

تاریخ الخلفاء الراشدین (4)

سیرة أمیر المؤمنین علي بن أبي طالب

شخصیته و عصره
دراسة شاملة

تألیف

علی محمد محمد الصلاّبی



الطبعة الأولى للناشر
م 1426 - هـ 2005

رقم الإيداع: 2005/9849
الترقيم الدولي: I.S.B.N
977- 6119 - 61 - 1

مركز السلام للتجهيز الفن
عبد الحميد عمر
٥١٠٥٩٥٤٥
47

مؤسسة اقرأ
للنشر والتوزيع والترجمة
10 ش أحمد عماره - بجوار حديقة الفسطاط
القاهرة ت: 5326610 محمول: 010/5224207

الإِهْدَاءُ

إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ حَرِيصٍ عَلَى إِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى أَهْدَى هَذَا الْكِتَابَ، سَائِلًاَ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَ بِأَسْمَائِهِ الْحَسَنَى، وَ صَفَاتِهِ الْعَلِيَّى، أَنْ يَكُونَ خَالِدًاً لِوْجَهِ الْكَرِيمِ. قَالَ تَعَالَى +فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْدِيْعُمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا" [الْكَهْفُ: 110].

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، وننحوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله + يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَآتَدُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران: 102]. + يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نُفُسٍّ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَآتَهُمْ رَبُّهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَا أَنْهَا بِهِ وَالْأَرْضُ حَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَّقِيبًا [النساء: 1]. + يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُوْلُوا فَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحَ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب: 71].

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظم سلطانك، ولك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا، أما بعد ..

هذا الكتاب الرابع في دراسة عهد الخلافة الراشدة، فقد صدرت عدة كتب عن الصديق والفاروق وذي النورين، وقد سميت هذا الكتاب: «سيرة أمير المؤمنين على بن أبي طالب، شخصيته وعصره»، ويتحدث هذا الكتاب عن أمير المؤمنين على من الميلاد حتى الاستشهاد، فيبدأ بالحديث عن اسمه ونسبه ولقبه ومولده وأسرته وقبيلته، وإسلامه، وأهم أعماله في مكة، وعن هجرته، ومعايشه للقرآن الكريم وأثرها عليه في حياته، وعن تصوره عن الله والكون والحياة والجنة والنار والقضاء والقدر، وعن مكانة القرآن الكريم عند، وما نزل فيه من القرآن الكريم، وعن الأصول والأسس التي سار عليها أمير المؤمنين على في استنباط الأحكام من القرآن الكريم وفهم معانيه، وعن تقدير أمير المؤمنين على لبعض الآيات الكريمة، وعن ملازمته لرسول الله × منذ طفولته، ومعرفته العميقه بمقام النبوة وكيفية التعامل معه، فقد أوضح معالمه بأقواله وأفعاله، وكان حريصاً على تعليم الناس وتحثهم على الاقتداء برسول الله × في أقواله وأعماله وتقريراته. فيبين وجوب طاعة النبي × ولزوم سنته والمحافظة عليها، وأوضح دلائل نبوة الرسول × وفضله وبعض حقوقه على أمته ×. ويجد القارئ الكريم نماذج من اتباع أمير المؤمنين على لسنة النبوية المطهرة، ويتحدث الكتاب عن أسماء بعض الرواة عن أمير المؤمنين على من الصحابة والتابعين وأهل بيته.

وينتقل الكتاب بالقارئ إلى حياة أمير المؤمنين في المدينة في عهد النبي × فيتكلم عن زواج أمير المؤمنين على من السيدة فاطمة رضي الله عنها، وما في هذا الزواج من دروس وعبر في المهر والجهاز، والزفاف والمعيشة والزهد، وصدق لهجة السيدة فاطمة وسيادتها في الدنيا والآخرة، وترجمت للحسن والحسين رضي الله عنهم ترجمة مختصرة، وبينت فضلاتها وما ورد فيها من أحاديث عن رسول الله ×، وتكلمت عن مفهوم أهل البيت عند أهل السنة، وما يخصهم من أحكام، كتحريم الزكاة عليهم، وكونهم لا يرثون رسول الله ×، وحقهم في خمس الخمس في الغنيمة والفيء، والصلة عليهم مع النبي ×، ووجوب محبتهم واحترامهم وموتهم، وبينت موافق أمير المؤمنين في سرايا رسول الله وغزواته، كبدر وأحد والخندق، وبني قريظة، والحدبية وخبير، وفتح مكة، وغزوة حنين، وعن استخلاف النبي × لعلي على المدينة في غزوة تبوك 8هـ وحج أبي بكر بالذاس، ودور على رضي الله عنه الإعلامي، ووفد قد نصارى نجران وأية المباهلة، وإراسل النبي × على داعيًا وقاضيًا لليمن، وأقضيته التي حكم بها في اليمن السعيد الحبيب، وموافقات على في حجة الوداع، وقصة الكتاب الذي هم النبي × بكتابته في مرض موت

٤، وعن العلاقة بالخلفاء الراشدين، ومكانته في دولة الخلافة الرشيدة، فتكلمت عن مبايعته لأبي بكر بالخلافة ومساندته له في حروب الردة، وتقديمه وتفضيله للصديق، وإقتائه به في الصلوات وقبول الهدايا منه، وأشارت إلى العلاقة بين الصديق والسيدة فاطمة وقصة ميراث النبي ×، وردت على الشبهات الرافضية حول قصة الميراث ونسفت حججهم وأدلتهم بالبراهين القاطعة والأدلة الناصعة، وكشفت السثار عن روایاتهم الضعيفة وال موضوعة، وأثبتت محبة السيدة فاطمة للحق والتزامها بالشريعة، واحترامها لخليفة رسول الله أبي بكر، وتسامحها معه، واحترام أهل البيت للصديق والمصاهرات المتبدلة بين آل الصديق وأهل البيت، ومحبتهم له وتنسمة أولادهم عليه، وتحدثت عن مساهمات على في عهد الفاروق في الأمور القضائية، والتنظيمات المالية والإدارية واستخلاف عمر على على المدينة مراراً، ومشاورته له في أمور الجهاد وشئون الدولة، وعن العلاقة ال حميمة المتنبنة بين الفاروق وأهل البيت، وزواج عمر من أم كلثوم بنت على بن أبي طالب، وحقيقة هذا الزواج الميمون المبارك، وتركت الحجج الدامغة، والبراهين الساطعة تسف الأكاذيب من جذورها فتركتها قاعداً صحفةً، وأخذت الحقائق التاريخية ترسم لنا حقيقة المحبة والمودة بين الصحابة الكرام، كما جاءت في القرآن الكريم، ووضحت بيعة على لعثمان رضي الله عنه وردت على الأكاذيب التي أ accusa بها، وتحدثت عن جهوده في دعم دولة ذي النورين، ودفاعه عنه أمام الغوغاء، وموافقة في فتنة مقتلة في بيته ، وأنباء الحصار، وبعد استشهاده، وتحدثت عن المصاهرات بين آل عثمان، وأتيت بأقوال على في الخلفاء الراشدين الذين سبقوه، والتي تدل على محبتهم واحترامهم وموتهم، والبراءة منهم يسبهم ويشتمهم وإقامة حد المفترى على من يسب الشيختين، ولا يتمالك القارئ المسلم نفسه من البكاء وهو يتأمل في أقوال أمير المؤمنين في الخلفاء وتعامله مع ذلك الجيل القرآني الفريد وساداته الكرام. قال الشاعر.

ومن عجب أنى أحن إليهم
وأسأل عنهم من لقيت وهم معى

وتطلبهم عينى وهم في سوادها

وقال الشاعر:

إني أحب أبا حفص وشيعته

وقد رضيت علياً قدوة وعلمـا

كل الصحابة سادتى ومعتقدى

كما أحب عتيقاً صاحب الغار

ما رضيت بقتل الشيخ في الدار

فهل على بهذا القول من عار

هذا وقد تحدثت عن بيعة على بالخلافة وكيف تمت، وعن أحقيته بها، وإنعام الص حابة على ذلك، وبيعة طلحة والزبير له طوعاً بدون ضغط أو إكراه، وانعقاد الإجماع ع لى خلافته، وشروط أمير المؤمنين في بيته، أول خطبة له، وأهل الحل والعقد في دولته ، وشيء من فضائله وأهم صفاته وقواعد نظام حكمه، وتوسعت في الحديث عن صفاته، فبينت علمه الواسع وفقهه الغزير، وزهده، وتواضعه، وكرمه وجوده، وحياته، وشدة عبد وديته، وصبره، وإخلاصه، وشكريه لله، ودعاء الخاشع، وعن المرجعية العليا لدولته، و سيرها على كتاب الله وسنة رسول ×، والاقتداء بالخلفاء الراشدين الذين سبقوه، وعن ح ق الأمة في الرقابة على الحكام، والشوري، والعدل والمساواة، والحريات، وعن حياته ف ي المجتمع واهتمامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودعوته للتوحيد ومحاربته للا شرك، وتعريفه الناس بأسماء الله وصفاته، وبنعم الله المستوجبة لشكريه، وحرصه على م

حو آثار الجاهلية، وحرصه على بطلان الاعتقاد بالكواكب، وإحرافه لمن غلوا فيه وادعوا فيه الألوهية، وحديثه عن كيفية بداية الإيمان في القلب وتعريفه للقوى، ومفهوم القضاء والقدر، وكيف يحاسب الله العباد على كثرة عدهم.

ونقلت شيئاً من خطبة ومواعظه، وما ينسب إليه من شعر، أو يتمثل به في مناسبات عديدة، واخترت مجموعة قيمة من حكمه التي سارت مضرب المثل بين الناس، وتكتل مت عن حديثه عن صفات خيار العباد، وعن تطوع النبي ﷺ، ووصف الصحابة الكرام، وتحذيره من الأمراض الخطيرة التي تصيب القلوب، كطول الألم وابتاع الهوى، والرياء، والعجب، وعن اهتمامه بترشيد الأسواق، ومحاربته للبدع، والأعمال التي تخالف الشد رع في أوساط الناس، وتحدثت عن المؤسسات التي في دولته، كالمالية، والقضائية، ومؤسسة الولاة، وعن الخطة القضائية والتشريعية في عهد الخلفاء الراشدين، والمصادر التي اعتمدها الصحابة في ذلك العهد، وعن ميزات القضاء في عهد الراشدين، وعن أشهر قضاة أمير المؤمنين على عليه السلام، وعن أسلوبه القضائي، ونظرته للأحكام الصادرة قبله، والمؤهلين للقضاء، ومجانية الحصول على الحكم، وعن اجتهاداته الفقهية في العبادات، والمعاملات المالية، والحدود والقصاص والجنایات. وأشارت إلى مسألة حجية قول الصحابي والخلفاء الراشدين، وبينت في حديثي عن مؤسسة الولاة، وأقاليم الدولة في عهده وما وقع في كل إقليم، من أمور جسام، وتكلمت عن منجهه في تعيين الولاة، ومراقبته لعملائه وبعض توجيهاته، والصلاحيات المنوحة للولاة. من تعيين وزراء مع كل وآل في كل إقليم، وتشكيل مجالس الشورى وإنشاء الجيوش في كل ولاية، وترتسيم السياسة الخارجية في مجال الحرب والسلم والحفاظ على الأمن الداخلي وتشكيل الجهاز القضائي في كل ولاية، والنفقات المالية، والعامل التابعين لكل ولاية ومتابعتهم ودور العرفاء والنقباء في تثبيت نظام الولايات، ووضحت بعض المفاهيم الإدارية من أقوال أمير المؤمنين على رضي الله عنه، كتأكيده على العنصر الإنساني، وعامل الخبرة والعلم، والعلاقة بين الرئيس المرءوس، ومكافحة الجمود، والرقابة الوعائية، والضبط، والمشاركة في صنع القرار، وحسن الاختيار لدى الوالي والضمادات المادية والنفسية لموظفي الدولة، ومراقبة ذوي الخبرة، ومفهوم الإدارة الأبوية، وكون التوظيف يتم عبر الضوابط وليس الروابط الشخصية، ثم انتقلت إلى المشاكل الداخلية في عهد على رضي الله عنه، فتحدثت عن معركة الجمل مبتدئاً بالأحداث التي سبقتها وعن أثر التنظيم السبئي في اندلاعها، ودور عبد الله بن سبأ في إذكاء الفتنة الداخلية، وعن اختلاف الصحابة في الطريقة التي يؤخذ بها القصاص من قتلة عثمان، وعن موقف السيدة عائشة أم المؤمنين، وطلحة والزبير و沐اوية بن أبي سفيان ومن كان معهم في الإسراع بالقصاص من قتلة عثمان، وبينت موقف معتنلي الفتنة، كسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأبي موسى الأشعري، وعمران بن حصين وأسامة بن زيد ومن سار عن نهجهم، وتكلمت عن موقف المتربيتين في تنفيذ القصاص حتى تستقر الأحوال، كأمير المؤمنين على رضي الله عنه، وعن محاذات الصلح قبل اندلاع معركة الجمل، وعن نشوب القتال، وجولته الأولى والثانية، واستشهاد طلحة والزبير، ومباعدة أهل البصرة لعلى رضي الله عنه، وعن موقف على رضي الله عنه من أم المؤمنين عائشة وكيف عاملها واحترمها وقدرها وردها إلى المدينة معززة من كرمته، وأشارت إلى فضائلها وشيء من سيرتها، كما ترجمت للزبير وطلحة رضي الله عنهما لكونهما من الشخصيات المؤثرة في عهد النبوة والخلافة الراشدة وفي عهد أمير المؤمنين على رضي الله عنه، ودافعت عنهما دفاعاً عن الحق لكونهما ظلماً، فيبين فضلهما ومكانتهما في الإسلام، وردت على الشبهات والأكاذيب التي أசفت بهما من خلال إثبات الحقائق الناصعة، والحجج الدامغة، وصفاتهم الرفيعة، وأخلاقهما الكريمة، بحيث يخرج القارئ المسلم بمعرفة حقيقة لا ليس فيها ولا غموض، لهذه الشخصيات الفذة، فلا يتاثر بالروايات

ت الضعيفة، ولا القصص الموضوعة التي وضعها مؤرخو الشيعة الرافضة، والتي شوهت ثقافة الناس عن هذه الشخصيات العظيمة، فالحديث عن ترجمة عائشة، أو طلحة والزبير، أو غيرهم من كبار الصحابة، الذين ساهموا في الأحداث التي وقعت في عهد أمير المؤمنين على رضي الله عنه ينسجم مع منهجي في دراسة شخصية أمير المؤمنين وعصره، والشخصيات التي أثرت في ذلك العهد ملتزمًا في طرحى بمنهج أهل السنة والجماعة جملة وتفصيلاً، أصولاً وفروعًا.

قال الشاعر أبو محمد القحطاني:

وسعيدهم وبعبد الرحمن	أكرم بطلحة والزبير وسعدهم
وامدح جماعة بيعة الرضوان	وابي عبيدة ذى الديانة والنقي
وامدح جميع الآل والنسوان	قل خير قول في صحابة أحمد
بسيوفهم يوم التقى الجمuan	دع ما جرى بين الصحابة في الوعى
وكلاهما في الحشر مرحومان	قتيلهم منهم وقاتلهم لهم
تحوى صدورهم من الأضغان	والله يوم الحشر ينزع كل ما
شتموا الصحابة دون ما برhan	لا تركن إلى الروافض إنهم
وودادهم فرض على الإنسان	لعنوا كما بغضوا صحابة أحمد
القى بها ربى إذا أحيانى	حب الصحابة والقرابة سنة
من كل إنس ناطق أو جان	وقال أيضًا:
ورموهم بالظلم والعدوان	إن الروافض شر من وطئ الحصى
جدلان عند الله منتقسان	مدحوا النبي وخونوا أصحابه
روح يضم جميعها جسدان	حبوا قرابته وسبوا صحبه
بأبى وأمي ذانك الفتنان	فكأنما آل النبي وصحبه
وهما بدين الله قائمتان	فتئان عدهما شريعة أحمد
	فتئان سالكتان في سبيل الهدى

هذا وقد تحدثت عن معركة صفين، ودوافع معاوية رضي الله عنه في عدم البيعة، والراسلات التي تمت بينه وبين على رضي الله عنه، ومحاولات الصلح، ونشوب الفتال، والدعوة إلى التحكيم، ومقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه وأثره على المسلمين، وعدن المعاملة الكريمة من الطرفين أثناء الحرب والمواجهة، ومعاملة الأسرى، وعدد القتلى، وترجم أمير المؤمنين على رضي الله عنه على قتلى الطرفين، ونهيه عن شتم معاوية ولعن أهل الشام، ثم تكلمت عن قصة التحكيم، فترجمت ليسرة أبي موسى الأشعري وعم

رو بن العاص رضي الله عنهم، وبينت بطلان الأكاذيب والقصص الواهية، والموضوعة التي أصفت بهما في حادثة التحكيم، وأشارت إلى كيفية الاستفادة من قصة التحكيم في فض النزاعات بين الدول الإسلامية. وركزت على موقف أهل السنة من تلك الحروب، وحذرت من بعض الكتب التي شوهت تاريخ الصحابة بالظلم والعدوان، ككتاب الإمامة والسياسة المنسوب زوراً لابن قتيبة، وكتاب الأغاني للأصفهاني، وتاريخ اليقoubi، والمسعودي وغيرهم من الكتب المنحرفة عن منهج أهل السنة والجماعة، وبينت دور المسوطين في تحريف التاريخ الإسلامي وتزويره وتشويهه، وكيف استفادوا من كتب الشيعة الروافض، وكيف أسسوا مدرسة معارضة ساهمت في تلويث الأفكار، وتحريف الواقع وطمسم الحقائق، وتوسيع النقاط السوداء في تاريخنا مع المبالغة والتهويل تحت شعارات براقة، كالباحث العلمي التزيه، والواقعية، والموضوعية والحياد، وتبني تلك الأفكار التدميرية مجموعة من أبناء المسلمين؛ ينترون للإسلام، لا يحسنون فهمه، ولا عرضه، ولا العمل به، ولا الدفاع عنه، بل تورطوا في شباك أعداء الإسلام الذين يعملون على تشويه تاريخ هذه الأمة وحضارتها التي صنعوا دينها العظيم.

هذا وقد قمت بدراسة موضوعية علمية في الفصل الأخير عن الخارج والشيعة الافتية، فأبيت نشأة الخارج وعرفت بهم، وذكرت الأحاديث النبوية التي تتضمن ذمهم، وانحيازهم إلى حرر راء، ومناظرة ابن عباس لهم، وسياسة أمير المؤمنين في التعامل معهم، وأسباب مقاتلتهم لهم، ونشوب القتال معهم، وقصة ذي الثبة أو المخدج، وأثر مقتله على جيش علىٰ رضي الله عنه، ووقفت مع الأحكام الفقهية التي اجتهد فيها أمير المؤمنين علىٰ في معاشرة في الجمل وصفين ومع الخارج، وكيف اعتمد عليها الفقهاء فيما بعد، ودونوها في كتبهم بما يعرف بأحكام فقه اللغة، وأشارت إلى أهم صفات الخارج في عهد أمير المؤمنين علىٰ، كالغلو في الدين، والجهل به، وشق عصا الطاعة، والتکفير بالذنوب واستحلال دماء المسلمين وأموالهم، والطعن والتضليل، وسوء الظن، والشدة على المسلمين، وناقشت بعض الآراء الاعتقادية للخارج، تکفير صاحب الكبرية، ورأيهم في الإمامة، وطعنهم في بعض الصحابة وتکفيرهم لعثمان وعلىٰ رضي الله عنهم، وتطرفت لأسباب انحراف الخارج ونزعاتهم في العصر الحديث، كالجهل بالعلوم الشرعية بسبب الإعراض عن العلماء، والقراءة من الكتب بدون معلم، وغلوهم في ذم التقليد، وتخلي كثير من العلماء عن القيام بواجبهم، وشيوخ الظلام والتحكم لقوانيں الوضعية، وانتشار الفساد بين الناس، وعدم تزكية النفوس، وأشارت إلى أهم مظاهر غلوهم، كالتشدد في الدين على النفس والتعسیر على الآخرين، والتعلم والغرور، والاستبداد بالرأي وتجهيل الآخرين، والطعن في العلماء العاملين، وسوء الظن، والشدة والعنف مع الآخرين، وتکفير المسلمين.

وتكلمت عن فرقة الشيعة الرافضة، فأبيت معنى الشيعة في اللغة والاصطلاح، ومعنى الرفض في اللغة والاصطلاح، وسبب تسميتهم بالرافضة، ونشأتهم ودور اليهود في ذلك، والمراحل التي مر بها الشيعة، وأهم عقائد الشيعة الرافضة، وموقف أمير المؤمنين وعلماء أهل البيت من تلك العقائد المنسوبة إليهم، كعقيدة الإمامة وحكم من جدها، والعصمة ومناقشة أدلة هم على العصمة وبيان بطلانها، وكذلك أدلة هم على النص من القرآن الكريم؛ كآية التطهير، والمباهلة، والولاية، وأدلة هم المزعومة من السنة، خطبة غير خد، وحديث: «أنت مني كمنزلة هارون من موسى»، وبيان الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي استدلوا بها على الإمامة، كحديث الطائر، وحديث الدار، وأنا مدينة العلم وعلىٰ بابها، وألحقت بالكتاب فهرساً للأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يحتاج بها الشيعة الرافضة لتحذير المسلمين من الوقوع في حبائبلهم، وبينت حقيقة التوحيد عند الشيعة الرافضة

ة، وكيف حرفوا نصوص التوحيد وجعلوها في ولاية الأئمة، وجعلوا الإمامة أصل قبول الأفعال، واعتقادهم أن الأئمة هم الواسطة بين الله وخلقه، وقولهم لا هداية للناس إلا بالأئمة، ولا يقبل الدعاء إلا بأسماء الأئمة، وكون الحج إلى المشاهد الشيعية أعظم عندهم من الحج إلى بيت الله، وكون الإمام عندهم يحرم ما يشاء ويحل ما يشاء، وأن الدنيا والآخرة للإمام يتصرف فيها كيف يشاء، وإسناد الحوادث الكونية إلى الأئمة، وقولهم: إن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء، وغلوهم في الإثباتات، وحقيقة التعطيل عندهم، ومسألة خلق القرآن، ومسألة رؤية الله عز وجل في الآخرة، وتقطيلاً لهم الأئمة على الأنبياء والرسل، و موقفهم من القرآن الكريم و اعتقاد بعض علمائهم بتحريف كتاب الله عز وجل والرد عليهم، و موقف الشيعة الرافضية من الصحابة الكرام والسنّة النبوية المطهرة، ومفهوم التقى عند القوم، وعقيدة المهدي المنتظر عندهم، والرجعة، وقولهم بالبداء على الله سبحانه وتعالى، وقد بينت موقف أمير المؤمنين على بن أبي طالب وأئمة أهل البيت الأطهار، وعلماء أهل السنة من تلك العقائد الفاسدة والمنحرفة عن كتاب الله تعالى، والتزمت في مناقشتي بالأدب والابتعاد عن السب والشتم، ومناقشة القوم من خلال أصولهم وكتبهم المعتمدة، والحرص على بيان الحقيقة لمحبي أهل البيت من الشيعة ودعوتهم بالاقتداء بأمير المؤمنين على رضي الله عنه، وتحذيرهم من المندسين تحت عباءة أهل البيت لغرض إفساد عقائد الناس وإبعادهم عن كتاب الله وسنة رسول الله ، كما أن هناكم رغبة صادقة لتعريف الجمهور العربي من أهل السنة بحقيقة هؤلاء الشيعة الرافضية، فالقضية لها وجودها وآثارها بين الشعوب في أفريقيا، وأسيا وأوروبا والأمريكتين، ودعاة التشيع الرافضيون نشطون في دعوتهم المنحرفة يبذلون في سبيل لها الغالي والنفيس، ويتحالفون مع خصوم الإسلام الصحيح لضربه والقضاء عليه، وتشدّوا منهجه، وهذا ليس بجديد، وأهل السنة - إلا من رحم الله - في استرخاء عجيب، ونور عميق وغفلة عما يراد بهم، وبعضهم يقول: إن الصراع السنّي الشيعي الراضاي قد عُلّى عليه الزمن، وهذا الكلام عار من الحقيقة، ودليل على الجهل، وفي طياته خداع لجمهور المسلمين العربيين، باسم التقرير وتوحيد الصف الإسلامي.

إن المنهج الصحيح للتقرير هو أن يقوم علماء أهل السنة بجهد كبير لنشر اعتقادهم الصحيح المتبني من كتاب الله وسنة رسول الله ، وبيان صحته وتميزه عن مذهب أهل البدع، فأهل السنة والجماعة هم المتبعون لما كان عليه رسول الله وأصحابه ونسبتهم إلى سنة الرسول × التي حثّ على التمسك بها بقوله ×: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعشوا عليها بالنواجه»**⁽¹⁾، وحذر من مخالفتها بقوله: «**وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»⁽²⁾، وقوله: «**من رغب عن سنتي فليس مني**»، وهذا بخلاف غيرهم من أهل الأهواء والبدع الذين سلكوا مسالك لم يكن عليها الرسول ×، فأهل السنة ظهرت عقيدتهم بظهوره بعثته × - وهي محفوظة بحفظ الله لها في كتابه وسنة رسول ×، وأهل الأهواء ولدت عقائدهم بعد زمانه ×، ومنها ما كان في آخر عهد الصحابة، ومنها كان بعد ذلك، والرسول × أخبر من عاش من أصحابه سيدرك هذا التفرق والاختلاف فقال: «**وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً**»⁽³⁾، ثم أرشد إلى سلوك الصراط المستقيم، وهو أتباع سنته وسنة خلفائه الراشدين ، وحذر من محدثات الأمور، وأخبر بأنها ضلال، وليس من المعقول ولا المقبول أن يُحجب حق وهدى عن الصحابة رضي الله عنهم، ويدخر لأناس يجيئون بعدهم، فإن تلك البدع المحدثة كلها شر، ولو كان في شيء منها خير لسبق إليه الصحابة، لكن ابتدأى به كثي

(1) سلسلة الأحاديث الصحيحة (647/2).

(2) مسلم (592/2).

(3) سلسلة الأحاديث الصحيحة (648, 647/2).

ر من جاء بعدهم ممن انحرفوا عما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، وقد قال الإمام مالك رحمة الله: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»، ولذا فإن أهل السنة ينتسبون إلى السنة وغيرهم بنتسبون إلى نحلهم الباطلة، أو إلى أسماءأشخاص معينين. إن المنهج الأصيل للتقرير هو بيان الحق وكشف الباطل وتقرير الشيعة إلى كتاب الله وسنة رسوله، وفهم الإسلام الصحيح من خلال علماء أهل السنة، وعلى رأسهم فقهاء وعلماء أهل البيت، كأمير المؤمنين على رضي الله عنه وأئنته وأحفاده، كما أنه ينبغي التتوييه، وتشجيع الأصوات الإصلاحية الشيعية الصادقة واحترامها وتقديرها والوقوف معها في نصيحة أقوامها، والذي قال به السيد حسين الموسوي في كتابه القيم: «له ثم للتاريخ، كشف الأسرار وتراثه الأئمة الأطهار» وكالجهد العلمي الذي قام به السيد أحد الكاتب مشكوراً في كتابه «تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولادة الفقيه»، علينا أن نقف مع كل محب صادق لأهل البيت متفقينًّا آثارهم الصحيحة وهديهم الجميل في إرشاد الناس لكتاب الله وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، ونعاملهم بكل احترام وتقدير، ونأخذ بأيديهم نحو شواطئ الأمان، وننحوهم على إعمال العقل، وتحريره من أغلاله، وإزاحة الركام الثقيل من الأباطيل التي على الفطرة حتى تأخذ العقول النيرة، والفطرة السليمة مجالها في الوصول للحقيقة التي لها نور ساطع وبريق لامع لا تخفيه الغيوم.

وعلى علماء أهل السنة أن يتلزموا أسلوب البحث العلمي الهدى في مناقشة بدعة الم بدعة وأن يترفقوا معهم، وقد يكون من تمام الترافق زيارتهم ومعاونتهم في الحدود التي لا خلاف فيها، أو نجدتهم في الملمات وأيام المصاعب، أو نصرهم إذا كانوا في نزاع مع الكافر أو الظالم لهم، وفق فقه السياسة الشرعية الخاضعة للمصالح والمفاسد، إلا أن ه ذا الأصل في التعاون وحسن العلاقة وهدوء البحث لا يمكن أن يطرد دائمًا ليشمل من يأتى من الشيعة الرافضة بغلو قد يكون في السكوت عنه تحريك الغوغاء والدهماء، بل الواجب أن ننكر على أهل الغلو الشديد الأقوال الشاذة في كل الأحوال، والحد المميز بين ا لطائفتين؛ الأولى التي نترافق معها في الكلام، والثانية التي نغليظ لها الكلام، إنما يكون كذلك في مدى اعتماد القائل على نص شرعي تتكون منه شبهة، أو على تأويل قد تميل إليه بعض الأذهان، وأما من يتبع غرائب النقول عن المجاهيل والمتآخرین ومن لا تأويل له، فالإنكار منا تجاهه أولى، وربما كان الإغلاط في إنكار بدعته أوجب.

قال الشاعر:

<p>تدعوا إلى الشحناء والشنان بك مهرباً وتلاقت الصفان والشرع سيفك وابد في الميدان واركب جود العزم في الجولان فالصبر أوثق عدة الإنسان الله در الفارس الطعن متجرداً الله غير جبان</p>	<p>واحدر مجادلة الرجال فإنها وإذا اضطررت إلى الجدال ولم تجد فاجعل كتاب الله در عاً سابغاً والسنة البيضاء دونك جنة واثبت بصبرك تحت ألوية الهدى واطعن برمح الحق كل معاند واحمل بسيف الصدق حملة مخلص</p>
--	---

كما أن علماء أهل السنة وأهل الحل والعقد منهم في المجتمعات الطائفية لهم دور كبير في قيادة المسلمين نحو الخير. فهم الذين يقدرون المواقف السياسية والتحالفات الحزبية مع الطوائف الأخرى وفق فقه المصالح والمفاسد الذي تضيّكه قواعد السياسة الشرعية، وهذا لا يمنع العلماء والدعاة من تعليم المسلمين أصول منهج أهل السنة وتربيتهم عليه ودعوة الناس إليه، والتحذير من العقائد الفاسدة المندسة في أوساط المسلمين حتى لا يتأثروا بها، والتي يجتهد دعاتها في نشرها بالليل والنهر، والسر والإعلان بدون ملل ولا كلل، ولنا أسوة حسنة في رسول الله ﷺ إبان هجرته للمدينة عندما عقد المعاهدات مع اليهود التي تؤمن لهم حياة كريمة في ظل الدولة الإسلامية، وكان القرآن الكريم في نفس الوقت يتحدث عن عقائد اليهود وتاريخهم وأخلاقهم حتى يتعرف المسلمون على حقيقة الشخصية اليهودية فلا يخدعون بها، وعندما غدر اليهود كان الصف الإسلامي محذناً ضد هذه الطائفة.

إن الدارس لحركة التاريخ الإسلامي، كمرحلة الحروب الصليبية في عهد نور الدين وصلاح الدين، وزمن العثمانيين في عهد السلطان محمد الفاتح وغيره، المربيين في مصر يوسف بن تاشفين، يلاحظ أن عوامل النهوض، وأسباب النصر كثيرة منها: صفاء الاعتقيدة، ووضوح المنهج، وتحكيم شرع الله في الدولة، وجود القيادة الربانية التي تتظر بنور الله، وقدرتها على التعامل مع سنن الله في تربية الأمم، وبناء الدول وسقوطها، ومع رفعة على المجتمعات، وأطوار الأمم، وأسرار التاريخ، ومحطّطات الأعداء من الصليبيين واليهود والملحدة والفرق الباطنية، والمبتدعة، وإعطاء كل عامل حقه الطبيعي في التعامل معه، فقضايا فقه النهوض، والمشاريع النهضوية البعيدة المدى متداخلة متباينة لا يستطيع استيعابها إلا من فهم كتاب الله عز وجل وسنة رسول ﷺ، وارتبط بالفقه الرشدي المحفوظ عن سلفنا العظيم، فعلم معلمه وخصائصه وأسباب وجوده وعوامل زواله، وأسباب تقاد من التاريخ الإسلامي وتجارب النهوض، فإذاً أن هذه الأمة ما فقدت الصدار قط وهي وفيه لربها ونبيها ﷺ، وعلم أن الهزائم العسكرية عرض يزول، أما الهزائم الثقافية فجرح مميت، والتقاليد الصحيحة تبني الإنسان المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم والدولة المسلمة على قواعدها المتينة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهدي الخلفاء الرشادين ومن سار على نهجهم، وعيقرية البناء الحضاري الصحيح هي التي أبَقت صرح الإسلام إلى يومنا هذا- بعد توفيق الله وحفظه.

فعلينا أن نعمل لهذا الدين، وسعادتنا ليست باقتطاف الشمر العاجل، وإنما في الشعور بتوفيق الله والأمل في رضاه. إنني في دراستي لعهد الخلافة الرشيدة حاولت أن أنتقي الكلمات وأصنف الأسطر والجمل لتجلية عهد الخلافة الرشيدة، من خلال الروايات الصحيحة، لكي يستفيد أبناء المسلمين من تلك الحقبة العلم الغزير والفقه الدقيق، وشمولية فهم إسلام، فلعل الله سبحانه أن يبارك في هذا الجهد وينتفع به أولئك الدعاة الذين لا نعرف أسماءهم، ولكن سيري التاريخ آثارهم وسيقلدون العالم الإسلامي من عثرته وينهضون به من كبوته، أولئك الربانيون المتجردون الذين عرفوا الحق واستشعروا السعادة في نصره، وتعصيوا له، ودافعوا عنه، ووقفوا بجانبه على رقة الحال وقلة النصير. فأخذ الله بأيديهم لصدقهم وإخلاصهم ومتابعتهم للنبي ﷺ، وأولئك العلماء، وطلاب العلم الذين توزن مدад أقلامهم بدماء الشهداء، وأولئك التجار الذين يقفون خلف موكب الدعوة بأموالهم وذرواتهم وأنفسهم وليسان حالهم يقول: **لَا ذُرِيدُ مَذْكُومٌ جَرَاءٌ وَلَا شُدُورًا إِنَّا ذَخَافُ مَنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبِيسًا قَمْطَرِيرًا** [الإنسان: 9-10] وأولئك الجنود المجهولون في هذه الدنيا ولكنهم غداً أعلام شامخة في ربى الخلد. إن العواصف العاتية تهم بعنف تزيد اجتياح إسلامنا وديننا وعقيدتنا من جذورها، وجهود خصوم الإسلام من أ

لصلبية واليهودية والعلمانية والباطنية والمبتدعة تستبيح قادتنا وكبراءنا في ميدان العلم والأدب والسياسة وترى تشويه تاريخنا فعندما تكون أمّة بدون تاريخ، فلن تكون أمّة صالحة. فما قيمة أمّة ليس لها رجال؟ وما قيمة دين لم يصنع رجالاً على تراخي العصور؟ فهل يمكننا أن نستلهمن من الدروس وال عبر من تاريخنا، ما يخزى أعداء الله ويرد كيدهم في نحورهم، وما يساعدنا على استئناف رسالتنا ودعم حضارتنا؟

إن الإنسانية تتربع في هذه الأونة الكالحة من التاريخ لبعدها عن منهج الله تعالى، و الدواء عند المسلمين وحدهم، فهل ينصفون أنفسهم، وينقدون الآخرين؟ قال الشاعر:

قرب الحبيب وما إليه وصول
ومن العجائب والعجائب جمة

والماء فوق ظهورها محمول
كالعيسى في البداء يقتتها الظما

فهل من عودة إلى الإسلام، تزكي السرائر، وتبني الأخلاق، وتصلنا بالقرآن الكريم، وتشعرنا بشرف الانتماء إلى محمد ودينه، وضرورة العمل بدعاوته وسنة خلفائه الراشدين، أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وسائل أصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين، ونكون حلقه موصولة في دعم رسالة الحبيب × التي استواعت الزمان كلها.

وقبل الحديث عن المصادر والمراجع التي تعاملت معها، لابد من الاعتراف بأن هذا الجهد، لو لا توفيق الله سبحانه وتعالى، ثم جهود علماء أهل السنة وطلاب العلم، ومن ساروا على منهجهم، ما استطعت أن أحذر في هذا البحر العميق، ولذلك أقرر بأنني استقدت من الرسائل العلمية التي طبعت والتي لم تنشر، من حيث المادة والمنهج، والحكم على الروايات، والرجوع إلى المصادر الحديثة، والتاريخية وغيرها مع محاولة النطوير والاستفادة من جهود الآخرين في البناء، وأخص بالذكر الدكتور أكرم ضياء العمري الذي أشرف وناقش الكتب من هذه الرسائل في هذا المجال، فقد استقدت من كتابه، كالسيرة النبوية الصحيحة، وعصر الخلافة الراشدة، ومن الرسائل التي أشرف عليها، كرسالة الدكتور يحيى اليحيى «الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري جمعاً وتوثيقاً» ورسالة الاستاذ عبد العزيز الأنصاري في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه من خلال كتب السنة والتاريخ دراسة نقيبة للروايات باستثناء حروب الردة، ورسالة الدكتور عبد العزيز بن محمد الفريج في تحقيق كتاب بـ «محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» ليوسف بن الحسن بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي الحنفي، ورسالة الدكتور محمد عبد الله الغبان في فتنة مقتل عثمان بن عفان، ورسالة عبد الحميد على ناصر في خلافة علي بن أبي طالب، وغير ذلك من الرسائل الجامعية التي أشرف عليها استاذة آخرون، كرسالة د. محمد أمحزون في تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روایات الطبری والمحدثین، ورسالة سلمان العودة، عبد الله بن سبا وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، ورسالة الاستاذة أسماء محمد أحمد زيد، دور المرأة السياسي في عهد النبي × والخلفاء الراشدين، وغير ذلك من الرسائل الجامعية، فالفضل لله سبحانه وتعالى ثم لأسانتنی وإخوانی الذين مهدوا لي الطريق، فلهم مني دعاء بظهور الغيب بأن يقبل الله جهودهم وتكون في ميزان حسناتهم يوم لا ينفع مال ولا بد ون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أما المصادر التي في هذه الدراسة المتعلقة بعهد الخلافة الراشدة فقد بدأت:

1- كتب الحديث: وقد بدأت بالكتب السنّة؛ صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذى والنمسائى وابن ماجة، ثم موطأ مالك ومسند أحمد، فيذلت جهداً لاستخراج المادّة التاريخية، التي لها علاقة بعهد الخلافة الراشدة ثم جمعت مادة تاريخية من مصنف عبد الرزاق وابن أبي شيبة ومستدرك الحاكم والسنن الكبرى للبيهقي وسنن سعيد بن منص

ور، ومسند الحميدي والطیالسی، ومجمع الزوائد وكشف الستار عن زوائد البزار، وموا رد الظمان إلى زوائد ابن حبان، ولم أغفل المعجم الكبير للطبراني وسنن الدارقطني، واستقدت من جهود المحققين لما سبق ذكره من كتب الحديث في الحكم على الروايات.

2- كتب شروح الحديث: وأهمها فتح الباري لابن حجر، وشرح النووي على صحيح مسلم ففيهما مادة تاريخية لا يستهان بها، كما أن تعلیقات ابن حجر والنوعی على بعض الأحداث التاريخية ذات أهمية تاريخية.

3- كتب النفسير: وأهم هذه الكتب، تفسیر الطبری، والقرطبي، وابن کثیر، وأهتم بـ علیقاتهم أكثر من الروايات التي نقلوها حيث إن معظمها ذكر في كتب الحديث والتاريخ.

4- كتب العقائد: وأهم هذه الكتب، منهاج السنة النبوية، لابن تیمیة، وهذا الكتاب استـ فدت منه فائدة عظيمة، وشرح الطحاویة، والإبانة في أصول الـ دینـة، والاعتقاد للـ یـهـقـیـ، وـ الشـرـیـعـةـ لـ الـأـجـرـیـ وـغـیـرـهـ مـنـ کـتـبـ الـعـقـائـدـ، حيث نـقـلـتـ مـنـهـ أـقـوـالـ السـلـفـ فـيـماـ يـتـعـلـقـ بـالـ خـلـفـاءـ الرـاشـدـینـ، وـمـکـانـةـ الصـحـابـةـ رـضـیـ اللـهـ عـنـهـمـ.

5- كتب الفقه: وأهمها المغنی لابن قدامة، والمجموع للـ نـوـوـیـ، وـبـدـایـةـ الـمـجـتـهـدـ لـابـنـ رـشـدـ وـغـیـرـهـ مـنـ کـتـبـ الـفـقـهـ، حيث استقدت منها في المسائل الفقهية والقضائية التي اجـتـهـدـ فـيـهاـ الـخـلـفـاءـ الرـاشـدـوـنـ.

6- كتب الأدب: حيث استخرجت منها بعض الأبيات المناسبة للخلفاء الراشدين أو تـ مـثـلـواـ بـهـاـ، أوـ اـسـتـمـعـواـ إـلـيـهـاـ، وـلـكـونـ کـتـبـ الـأـدـبـ لـیـسـ لـهـ أـسـانـیدـ وـفـیـهـاـ الـغـثـ وـالـسـمـینـ، لـذـلـكـ کـانـ اـخـتـیـارـیـ لـلـأـبـیـاتـ الـشـعـرـیـةـ الـتـیـ تـنـسـجـمـ مـعـ کـتـابـ الـلـهـ وـسـنـةـ رـسـوـلـهـ ×ـ وـأـخـلـاقـ دـلـلـ الـجـيلـ الـفـرـیدـ، وـمـنـ أـهـمـ هـذـهـ کـتـبـ، عـیـونـ الـأـخـبـارـ لـابـنـ قـتـیـبـیـ، وـالـأـدـبـ الـإـسـلـامـیـ فـیـ عـهـدـ الـنـبـوـةـ لـنـایـفـ مـعـرـوـفـ.

7- كتب الزهد والرقائق: واستخرجت منها أقوال الخلفاء الراشدين في هذا العلم وـ مـنـ أـهـمـ هـذـهـ کـتـبـ، عـدـةـ الصـابـرـیـنـ وـذـخـیرـةـ الشـاـکـرـیـنـ لـابـنـ الـقـیـمـ، وـمـدارـجـ السـالـکـینـ لـابـنـ الـقـیـمـ، مـختـصـرـ منـهـاـجـ الـقـاصـدـیـنـ لـاحـمـدـ بـنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ الـمـقـدـسـیـ، وـغـیـرـهـ مـنـ کـتـبـ.

8- كتب الفرق والمذاهب: وأهم هذه الكتب، الفصل في المل والأهواء والنحل، لأبى محمد بن حزم الظاهري، وأصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية د. ناصر القفار ي.

9- كتب في أنظمة الحكم: وأهم هذه الكتب، نظام الحكومة الإسلامية لـ الـکـتـانـیـ: المـسـمـىـ التـرـاتـیـبـ الـإـدـارـیـ، وـنـظـامـ الـحـکـمـ فـیـ الشـرـیـعـةـ وـالتـارـیـخـ الـإـسـلـامـیـ، لـظـافـرـ الـقـاسـمـیـ.

10- كتب في التراجم: وأهم هذه الكتب، سیر أعلام النبلاء للـ ذـهـبـیـ، شذرات الـ ذـهـبـ فـیـ أـخـبـارـ مـنـ ذـهـبـ، لـعـبـدـ الـحـیـ الـحـنـبـلـیـ، أـسـدـ الـغـابـةـ، لـابـنـ الـأـثـیـرـ، سـیرـ السـلـفـ لـأـبـیـ الـقـاسـمـ الـاـصـفـهـانـیـ.

11- كتب في الجرح والتعديل: وأهم هذه الكتب، تهذيب الـ کـمالـ فـیـ أـسـمـاءـ الـرـجـالـ، لـ حـافظـ الـمـزـىـ، وـالـجـرـحـ وـالـتـعـدـیـلـ، لـابـنـ أـبـیـ حـاتـمـ، الثـقـاتـ لـابـنـ حـبـانـ، الـکـاملـ فـیـ ضـعـفـاءـ اـلـرـجـالـ لـابـنـ عـدـیـ.

12- كتب التاريخ: وأهمها تاريخ الطبری، وهذا الكتاب نقل إلينا الروايات الصحيحـةـ وـالـضـعـیـفـةـ وـالـمـوـضـوـعـةـ بـأـسـانـیدـهـاـ، وـفـیـماـ يـتـعـلـقـ بـالـعـقـیدـةـ وـالـاـحـکـامـ الـشـرـیـعـةـ وـالـاـحـدـاثـ الـتـیـ تـنـتـعـلـقـ بـالـصـحـابـةـ، لـابـدـ مـنـ خـضـوـعـ الـرـوـاـیـاتـ لـالـجـرـحـ وـالـتـعـدـیـلـ وـبـیـانـ الـرـوـاـیـاتـ الـشـیـعـیـةـ

الرافضية، والكذابين والمجاهيل، وقد استقرت في هذا الشأن من كتاب استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبرى، لخالد الغيث، ومرويات أبي مخنف في تاريخ الطبرى، للدكتور يحيى إبراهيم اليحيى، وأثر التشيع على الروايات التاريخية د. عبد العزيز نور ولی، ومن أهم هذه الكتب، البداية والنهاية لابن كثير، وغيرها من الكتب التاريخية.

هذا أهم المصادر التي رجعت إليها مع كم كبير من المراجع الحديثة المتعددة.

هذا وقد تشددت في تصحیح الروایات أو الحکم علیها فيما يتعلق بالعقائد والأحكام والصحابة رضي الله عنهم، وفي هذا الشأن ما أنا إلا ناقل لأقوال العلماء المتخصصين في هذا العلم، فالفضل لله ثم لهم، واجتهدت في تصویر الحدث التاریخي من الروایات الصدیحة فقدمتها وأخذت بالحسنة ولم أهمل الروایات الضعیفة، فقد أفادت منها في إكمال الصدیرة التي لا تسدها الروایات الصحیحة والحسنة بما يتوافق مع روح ذلك العصر، لكن في ما لا يتعلق بعقيدة أو شریعه، ودخلت في مناقشات لشبهات وافتراضات الرافضة والمستحدثین رقین وبعض الكتاب المعاصرین، وقد حرصت على طرح منهج أهل السنة فيما يتعلق بالعهد الراشدی والرد على الشبهات، خصوصاً في عهد عثمان وعلى رضي الله عنهما، وقد جدت أفکار كثيرة من بعض الإخوة الأعزاء حول دراسة عهد الخلافة الراشدیة، والاعتراض على تطويرها، بما يلائم ذلك العصر الراهن ونسل الله تعالى السداد والتوفيق.

هذا وقد أفردت خامس الخلفاء الراشدين، الحسن بن علي بن أبي طالب بدراسة خاصة نظرًا لأهمية اجتهداته في فقه السياسة الشرعية وفقه المصالح والمفاسد، وما كان يملكه من رؤية إصلاحية توجت بتنازله عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه، وما تعرض له أثناء اتخاذ الخطوات التنفيذية لتلك الرؤية من عوائق ومصائب، وما تميزت به شخصيته الفذة من قدرة على امتلاك مشروع إصلاحي وعزم على التنفيذ كان سبباً في توحيد الأمة وتحقيق نبوءة النبي ﷺ في قوله: «ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فتتین من المسلمين»، وبتنازل الحسن بن على عن الخلافة ومبادرته لمعاوية رضوان الله عليهم أجمعين تنتهي بذلك فترة خلافة النبوة وهي ثلاثون سنة، واللحجة في ذلك قول رسول الله ﷺ: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يوتى الله الملك، أو ملكة من يشاء»⁽¹⁾، وقوله ﷺ: «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك»⁽²⁾ وقد علق ابن كثير على هذا الحديث فقال: وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن على، فإنه نزل على الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ، فإنه توفى في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسلیمه⁽³⁾. وبذلك يكون الحسن بن على رضي الله عنه خامس الخلفاء الراشدين، وبإذن الله تعالى سوف يكون مع كتاب الحسن بن على خلاصات مهمه فيما يتعلق بدراسة عهد الخلافة الراشدیة من معالمها وخصائصها، وأسباب زوالها، وظام حكمها وصفات حيلها، وقادتها ودستورها، وإدارة الأزمات فيها، واستنباط قوانين وسنن للنهوض، ومكانة المرأة في العهد الراشدی، ومؤسسات الدولة، وفقه القدوم على الله عند ذلك الجيل.

(1) صحيح سنن أبي داود (3879) لللباني.

(2) سنن الترمذی مع شرح الأحوذی (3956) - 397 قال الترمذی: هذا حديث حسن.

(3) البداية والنهاية (16/8).

هذا وقد حرصت على تناول شخصية أمير المؤمنين علىٰ من جوانبها المتنوعة، فحياته صفة مشرقة في تاريخ الأمة، وهو من الأئمة الذين يتأسى الناس بهديهم وأقوالهم وأفعالهم في هذه الحياة، فسيرته من أقوى مصادر الإيمان، والعاطفة الإسلامية الصحيحة، والفهم السليم لهذا الدين، فنتعلم منه فقهه في التعامل مع السنن وحسن توجيهها، وكيف نعيش مع القرآن الكريم وننهض بهديه ونقتدي برسول الله ﷺ، وأهمية الخوف من الله والإخلاص له وابتغاء ما عنده في نجاح العبد في الدارين، وأثر هذه المعاني في حياة الأمة الإسلامية ونهوضها وقيامها بدورها الحضاري المنشود، فلذلك اجتهدت في دراسة شخصيته وعصره حسب وسعي وطاقتى، غير مدع عصمة، ولا متبرئ من زلة، ووجه الله الكريم لا غيره قصدت، ونواهه أردت، وهو المسؤول في المعونة عليه، والانتفاع به، إنه طيب الأسماء وسميع الدعاء.

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب يوم السبت الساعة الواحدة إلا خمس دقائق ظهرًا بتاريخ 17 ربيع الآخر 1424هـ - الموافق 7 يونيو 2003م، والفضل لله من قبل ومن بعد، وأساله سبحانه وتعالى باسمائه الحسنى وصفاته العلي أن يجعل عملى لوجهه خالصاً ولا عباده نافعاً، وأن يثبّتني على كل حرف كتبته ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثبت إخواني الذين أعاذوني بكل ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب ألا ينسى العبد الفقير إلى عفوه ورحمته ورضوانه ورضاواه له من دعائه: +رب أوزعني أنأشكر ذعنتك التي انعمت علّي وعلّي وآلي وآلي وآلي وآلي وأعمل صالحاً ترضاه وآدخلني برحمتك في عبادك الصلحين" . وقال تعالى: "مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكٌ لَّهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلٌ لَّهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" . وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آل وصحبه وسلم.

سبحانك الله وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغرك وأتوب إليك، وأخر دعوانا
أأن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه و
مغفرته ورحمته ورضوانه
على محمد الصَّلَابِي

الفصل الأول

على بن أبي طالب رضي الله عنه بمكة
المبحث الأول

اسمه ونسبة وكنيته وصفته وأسرته

أولاً: اسمه وكنيته ولقبه:

1- اسمه ونسبة: هو على بن أبي طالب (عبد مناف)⁽¹⁾ بن عبد المطلب، ويقال له شيبة الحمد⁽²⁾ بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالا⁽³⁾ ك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معن بن عدنا⁽⁴⁾ ن⁽⁵⁾ فهو ابن عم رسول الله × ويلتقي معه في جده الأول عبد المطلب بن هاشم، وولده أبو طالب شقيق عبد الله والد النبي ×، وكان اسم على × عند مولوده أسد، سمته بذلك أمه رضي الله عنها باسم أبيها أسد بن هاشم، ويدل على ذلك ارتجازه يوم خير حيث يقول:
أنا الذي سمتني أمي حيدر⁽⁶⁾ كليب غابات كريه المنظرة⁽⁷⁾

وكان أبو طالب غائباً فلما عاد، لم يعجبه هذا الأسم وسماه علياً⁽⁸⁾.

2- كنيته: أبو الحسن، نسبة إلى أبنه الأكبر الحسن وهو من ولد فاطمة بنت رسول الله ×، ويكنى أيضاً بأبي تراب، كنية كناه بها النبي ×، وكان يفرح إذا نودي بها، وسبب ذلك أن الرسول × جاء بيت فاطمة رضي الله عنها فلم يجد عليه في البيت، فقال: أين ابن أب نعمك؟ قالت كأن بيتي وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يقل⁽⁹⁾ عندي، فقال × لإنسان: انظر أين هو؟ فجاء فقال: يا رسول الله هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله × وهو ماضطجع وقد سقط رداءه عن شقه وأصابه تراب، فجعل رسول الله × يمسحه عنه ويقول: قم أبا تراب⁽¹⁰⁾ ومن روایة البخاري: والله ما سماه إلا النبي⁽¹¹⁾، ومن كناه: أبو الحسن و الحسين وأبو القاسم الهاشمي⁽¹²⁾، وأبو السبطين⁽¹³⁾.

3- لقبه: أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين⁽¹⁴⁾.

ثانياً: مولده:

اختلفت الروايات وتعددت في تحديد سنة ولادته، فقد ذكر الحسن البصري أن ولادته قبلبعثة⁽¹⁵⁾ بخمس عشرة أو ست عشرة سنة⁽¹⁶⁾، وذكر ابن إسحاق أن ولادته قبل البعثة

(1) أبو طالب اسمه عبد مناف.

(2) عبد المطلب اسمه شيبة الحمد، الاستيعاب (3/1089).

(3) الطبقات الكبرى (3/19)، صفة الصفوة (1/308)، البداية والنهاية (7/333)، الإصابة (1/507)، الاستيعاب (1/10891)، المنتظم (5/66)، المعجم الكبير للطبراني (1/50).

(4) حيدر: من أسماء الأسد.

(5) الرياض التضرة في مناقب العشرة، ص (617).

(6) غريب الحديث للخطابي (2/170)، خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد بن على ناصر فقيهي ص (18).

(7) من قال يقين فالقائلة: الظهير، وتكون بمعنى النوم في الظهيرة، اللسان (11/577).

(8) مسلم في صحيحه رقم (2409).

(9) البخاري في صحيحه رقم (441)، (3703)، (3280).

(10) البداية والنهاية (7/223).

(11) أسد الغابة (4/16)، والسبطان: الحسن والحسين.

(12) تاريخ الإسلام للذهبي: ص (376)، البداية والنهاية (7/223)، خلاصة تهذيب الكمال (25012).

(13) المعجم الكبير للطبراني (1/54)، رقم 163 بسند مرسل.

ة بعشر سنين⁽¹⁾، ورجح ابن حجر قوله⁽²⁾، وذكر الباقي محمد بن على قولين: الأول: ك الذي ذكره بن إسحاق، ورجحه ابن حجر، وهو أنه ولد قبلبعثة عشر سنين⁽³⁾، وأما اثناني: فيذكر أنه ولد قبلبعثة بخمس سنين⁽⁴⁾، وقد ملت إلى قول ابن حجر وابن إسحاق فيكون مولده على التحقيق قبلبعثة عشر سنين⁽⁵⁾.

ونذكر الفاكهي⁽⁶⁾، أن عليه أولاً من ولد من بنى هاشم في جوف الكعبة، وأما الحاكم فقال: إن الأخبار تواترت أن عليه ولد في جوف الكعبة⁽⁷⁾.

ثالثاً: الأسرة وأثرها في الأعقاب:

لقد دل علم التشريح، وهو دراسة التركيب الجسدي، ولعلم النفس، ولعلم الأخلاق، وعلم الاجتماع، على تأثير الدم والسلالات في أخلاق الأجيال وصلاحياتها ومواهبها، وطاقتاتها، إلى حد معين، في أكثر الأحوال، وذلك عن ثلاثة طرق:

(أ) القيم والمثل التي مازال آباء هذه الأسرة وأجدادها يؤمنون بها أشد الإيمان ويحافظون عليها، أو يحاولون أن يحافظوا عليها أشد المحافظة، ويتبذلون لها ويمجدون، ويعتبرون من جار عليها من أبناء الأسرة، أو خالفها واحد عنها شاردًا غريباً، ويرون في ذلك غضاضة، وسقوط همة وقلة مرؤوءة، وعقوفاً للاعب وإساءة إليهم لا تغفر في قوانين هذه الأسرة العرفية المتراثة.

(ب) حكايات الآباء وعظماء الأسرة في البطولة والفتواة والفروسية، والشهامة، والأفة والإباء، والجود والشفاء، وحماية المظلومين والضعفاء، تتناقلها الأجيال وتنتابها به، وذلك في سن مبكرة، ومن أيام الصبا إلى سن الشباب والكهولة، فتوثر في تكوين عقليتها ومشاعرها، وتعيين المقاييس للعظمة والرجلة، والبر بالآباء، وتبرير شهرة الأسرة والسلالة.

(ج) تأثير الدم الموروث في أعضاء الأسرة كابرًا عن كابر، في أسرة حافظت على أنسابها وأصالتها، وذلك ما أيده علم السلالات⁽⁸⁾، وهذا ليس على إطلاقه، وفمatically ردء، لا تقبل استثناء، ولا شفاعة كاللسن الإلهية التي قال الله عنها فَدَنْ تَجَدْ لِسُنْتَ تَهْلِكَ اللَّهُ تَبَدِّلُهَا وَلَنْ تَجَدْ لِسُنْتَ اللَّهُ تَحْوِيلًا» [فاطر: 43]، وإلى ذلك أشار النبي في قوله: «الناس معادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فهوا»⁽⁹⁾، وقوله: «من بطا به عمله لم يسرع به نسيبه»⁽¹⁰⁾، وليس في ذلك من تقديراتي، وترتكيز الرئاسة الدينية والزعامة الروحية العلمية في أسرة معينة، واحتكارها لقيادة أمة، دينياً وروحياً وعلمياً بشكل دائم، وهو الذي عادى منه العالم القديم - قبل الإسلام - فساداً اجتماعياً وخلقياً جارفاً، واستبداداً فظيعاً، واستغلالاً مادياً شنيعاً، ترعرع به كتب التاريخ وشهادات المؤرخين للإمبراطوريتين الرومية والساسانية، والمجتمعين الإغريقي والهندي⁽¹¹⁾، وغيرها من الجاهلية، ولذلك يحد

(1) السيرة النبوية (262/1) دون إسناد.

(2) الإصابة (501/2) ترجمة على.

(3) المعجم الكبير للطبراني (53/1) رقم 165 دون إسناد حسن.

(4) المصدر السابق (53/1) رقم 166 دون إسناد حسن إلى محمد الباقي حيث أرسلها.

(5) فتح الباري (174/7)، والإصابة (507/2).

(6) صاحب أخبار مكة، حق الكتاب عبد الملك بن دهيش.

(7) المستدرك على الصحيحين (483/3) دون إسناد.

(8) المرتضى سيرة أمير المؤمنين على بن أبي طالب، لأبي الحسن الندوى ص 19-20.

(9) مسند أحمد (539/2) إسناد صحيح.

(10) مسلم: ك الذكر والدعاء والتوبية.

(11) المرتضى للندوى: ص(20).

سن بنا أن نشير إلى وضع الأسرة والسلالة- اللتين ولد ونشأ فيها أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه - العرقي والاجتماعي، وما كانتا تمتازان به من خصائص وأعراف، وتقاليد وتراث خلقي ونفسي، وكيف كان العرب ينظرون إليهما ويقرنون لهما بالفضل، ونبداً في ذلك بقريش، ثم ببني هاشم⁽¹⁾.

1- قبيلة قريش: أفر العرب كلهم بعلو نسب قريش، وسيادتها، وفصاحة لعنها، ونصاعتها ببيانها، وكرم أخلاقها وشجاعتها وفتورتها، وذهب ذلك مثلاً لا يقبل نقاشاً ولا جدالاً⁽²⁾، وكانوا حلفاء متآلين متمسكين بكثير من شريعة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، ولم يكونوا كالأعراب الذين لا يوور لهم دين، ولا يزيغونهم أدب، وكانوا يحبون أولادهم، ويحجون البيت، ويقيمون المناس克، ويكتفون موتاهم، ويغتسلون من الجناة، ويتبّرون من الهرابنة⁽³⁾، ويبتعدون عن المناجح من البنات وبنات الأخوات وبنات الأخت، غيره وبعداً من المجوسيّة، ونزل القرآن بتأكيد صنيعهم وحسن اختيارهم، وكانوا يتزوجون بالصداق والشهود ويطلقون ثلاثة⁽⁴⁾، ومما زاد شرفهم أنهم كانوا يتزوجون من أي قبيلة شاعوا، ولا شرط عليهم في ذلك، ولا يزوجون أحداً حتى يشتّروا عليه أن يكون متّحّساً⁽⁵⁾ على دينهم، يرون ذلك لا يحل لهم ولا يجوز لشرفهم، حتى يدان إليهم ويقاد⁽⁶⁾.

2- بنو هاشم: أما بنو هاشم فكانوا واسطة العقد في قريش، وإذا قرأتنا ما حفظه التاريخ وكتب السيرة من أخبارهم وأقوالهم - وهو قليل من كثير جداً - استدللنا به على ما كان يمتاز به هؤلاء من مشاعر الإنسانية الكريمة، والاعتدال في كل شيء، ورجاحة العقل، وقوة الإيمان بما للبيت من مكانة عند الله، والبعد عن الظلم ومكايدة الحق، وعلوّهم، والعطف على الضيق والمظلوم، والساخاء، والشجاعة، وما تشتمل عليه كلمة (الفر وسية) عند العرب من معانٍ كريمة وخلال حميدة، والسيرة التي تليق بأجداد الرسول الكريم^x، تتفق ويتفق مع ما كان يفضله ويدعوه إليه من مكارم الأخلاق، غير أنهم عاشوا في زمان الفترة، وسايروا أبناء قومهم في عقائد الجاهلية، وعباداتها⁽⁷⁾ ولم يصل بنو هاشم إلى هذه المكانة في مجتمعهم إلا بالتصحية والعطاء والبذل وخدمة الناس.

3- عبد المطلب بن هاشم: جد الرسول × وعلى بن أبي طالب رضي الله عنه: ولـ عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة⁽⁸⁾، بعد عمـه المطلب، فأقامـهما للناس، وأقامـ لقومـه ما كان آباءـه يـقيمـون قبلـه لـقومـهم من أمرـهم، وشرفـ في قـومـه شـرفـاً لم يـبلغـ أحدـ من آباءـه، وأـحـبهـ قـومـهـ وـعـظـمـ خـطـرـهـ فيـهمـ⁽⁹⁾.

ولـ يكنـ عبدـ المطلبـ أغـنىـ رـجـلـ فيـ قـريـشـ، وـلمـ يـكـنـ سـيدـ مـكـةـ الـوحـيدـ المـطـاعـ، كـماـ كانـ قـصـىـ، إـذـ كـانـ فـيـ مـكـةـ رـجـالـ كـانـواـ أـكـثـرـ مـنـهـ مـالـ وـسـلـطـانـاـ، إـنـماـ كـانـ وجـيهـ قـومـهـ، لأنـهـ كانـ يـتـولـيـ السـقاـيـةـ وـالـرـفـادـةـ، وـبـئـرـ زـمـزمـ، فـهـيـ وجـاهـةـ ذاتـ صـلـةـ بـالـبـيـتـ⁽¹⁰⁾، وـبـيـطـجـاـتـ إـيمـانـ عبدـ المـطـلبـ بـأنـ لـهـذاـ الـبـيـتـ مـكـانـةـ عـنـدـ اللهـ، وـأـنـهـ حـامـيـهـ وـمـانـعـهـ، وـتـنـجـلـ نـفـسـيـةـ سـدـ.

(1) فيما يتعلق بخصائص ومزاج العرب ينظر إلى السيرة النبوية للندوى.

(2) السيرة النبوية للندوى: ص(74).

(3) الهرابنة: قوام بيت النار، فارسي معرب وقيل: عظام الهند أو علماؤهم.

(4) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (1/243) للألوسي.

(5) منحمساً: التحسس: الشدد في الدين.

(6) المرتضى للندوى: ص(22)، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (1/243).

(7) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للألوسي (1/243).

(8) الرفادة: اطعم الحجاج في أيام الموسم حتى ينقرضا.

(9) السيرة النبوية لأبن شسام (1/142).

(10) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد على (58/4)، المرتضى: ص(22).

يد قريش السامية، وشخصيته القوية الشامخة في حديث دار بينه وبين أبرهة ملك الحبشة، وقد غزا مكة وأراد أن يهين البيت ويقضي على مكانته، وقد أصاب عبد المطلب مائة بعيير، فاستأذن له عليه، وقد أعظمه أبرهة ونزل له عن سريره فأجلسه معه، وسأله عن حاجته، فقال: حاجتي أن يرد على الملك مائتي بعيير أصابها لي. فلما قال له ذلك زهد فيه الملك وتقادته عينه، وقال: أتكلمني في مائتي بعيير أصبتها لك، وتنترك بيّناً هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه، لا تكلمني فيه؟! قال عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن لا بيت ربًا سيمنعه، قال: ما كان يمتنع مني، قال: أنت وذاك⁽¹⁾، وقد كان ما قاله عبد المطلب، ف humiliَ رب البيت بيته، وجعل كيد أبرهة وجيشه في تضليل، قال تعالى: **وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيْهِم بِحِجَارَةٍ مِنْ سَجِيلٍ فَاجْعَلْهُمْ كَعَصْفِ مَأْكُولٍ** [الفيل: 3-5].

وكان عبد المطلب يأمر أولاده بترك الظلم والبغى، ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهَاهم عن دنیيات الأمور⁽²⁾، ومات عبد المطلب بعد أن جاوز الثمانين، وعمر الرسول ثم اثنى سنتين، ومعنى ذلك أنه توفي حوالي سنة 578 للميلاد⁽³⁾، وذكر أنه لم تقم بمكة سوق أيامًا كثيرة لوفاة عبد المطلب⁽⁴⁾.

4- أبو طالب والد على بن أبي طالب رضي الله عنه: أبو طالب لا مال له، كان يحب ابن أخيه حبًا شديدًا، فإذا خرج خرج معه، فقد كان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله × بعد جده، فكان إليه ومعه⁽⁵⁾، وعندما أعلن رسول الله × الدعوة إلى الله وصدع بها وقف أبو طالب بجانب رسول الله × وصمم على مناصرته وعدم خذلانه، فاشتد ذلك على قريش غمًا وحسدًا ومكرًا، وإن المرء ليسمع عجبًا ويقف مذهولاً أمام مروءة أبي طالب مع رسول الله ×، فقد ربط أبو طالب مصيره بمصير ابن أخيه محمد ×، بل واستقاد من كونه زعيم بنى هاشم، وبنى المطلب إليه في حلف واحد على الحياة والموت، دفاعاً لرسول الله ×، مسلّهم ومشركهم على السواء⁽⁶⁾، وأجار ابن أخيه محمد × إجارة مفتوحة لا تقبل التردد والإحجام، ولمارأى أبو طالب من قومه ما سره من جدهم معه، وحدهم عليه، جعل يمدحهم وينظر قديمهم، وفضل رسول الله عليهم، ومكانه منهم ليشد لهم رأيهم وليحبوا معه على أمره⁽⁷⁾:

إذا اجتمعت يومًا قريش لمفتر
فعبد مناف سرها وصميمها

ففي هاشم أشرافها وقديمها	وإن حصلت أشراف عبد منافها
هو المصطفى من سرها وكريمها	وإن فخرت يومًا فإن محمدًا
علينا فلم تظفر وطاشت حلومها	تداعت قريش غثها وسمينها
إذا ما ثروا صدرُ الخود نقيمهها	وكنا قديمًا لا نقر ظلامة

(1) سيرة ابن هشام (49/1) المرتضى: ص (23).

(2) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (1/324).

(3) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (1/78).

(4) أنساب الأشراف للبلذري (1/78).

(5) المرتضى ص (24)، السيرة النبوية لأبن هشام (179/1).

(6) فقه السيرة النبوية للغضبان ص (184).

(7) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث للصلابي (1/158).

ولما خشى أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه، قال قصيده التي تعوذ فيها بحرمة مكة، وبمكانة منها، وتودد فيها أشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم في ذلك من شعره، أنه غير مسلم رسول الله ×، ولا تاركه لشيء أبداً حتى يهلك دونه فقال:

وقد قطعوا كل العرى والوسائل
ولما رأيت القوم لا ود فيهم

وقد طاوعوا أمر العدو المزائل
يعضون غنيظاً خلفنا بالأأنامل

وأبيض عصب من تراث المقاول
وأهدى من أثوابه بالوصائل

وأحضرت عند البيت رهطى وإخوتى
وأمسكت من نسبتكم بـ(1) محمد

وتعوذ بالبيت وبـ(2) المقدسات التي فيه، وأقسم بالبيت بأنه لن يسلم محمدًا ولو سالت الدماء أنهاراً، واشتدت المعارك مع بطون قريش:

ولما نطاعن دونه وتناضل
كذبتم وبـ(3) الله ذُبْرِي (1) محمد

ونذله عن أبنائنا والـ(3) الحالات
نهوض الروايا تحت ذات

الـ(4) الصالصل

واستمر أبو طالب في مناصرة ابن أخيه واستطاع أن يغزو المجتمع القرشي بقصائد
ده الضخمة التي هزت كيانه هزاً، ولما تغلغل الإسلام في قلوب أبناء بعض القبائل، اجت
معت قريش فائتمروا بينهم أن يكتبا كتاباً يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب،
على إلا ينكحوا إليهم ولا ينكحوه، ولا يبيعوه شيئاً ولا يبتاعوا منهم، وكتبوا صحيفة
وعلقوها في جوف الكعبة، وتوافقوا على ذلك، وانحازت بنو هاشم وبـ(5) بنو المطلب إلى أبي
طالب فدخلوا معه في شعبه (5)، وذلك في محرم سنة سبع من النبوة ومثلث بنو هاشم عل
ى ذلك نحو ثلاثة سنوات لا يصل إليهم شيء إلا سراً، ثم كان ما كان منأكل الأرضية
للصحيفة، وإخبار النبي × أبا طالب بذلك، وتمزيق الصحيفة، وبطلان ما فيها (6)، ومات
أبو طالب في النصف من شوال في السنة العاشرة من النبوة، وهو ابن بضع وثمانين سـ
نة، ولم يسلم أبو طالب (7)، وهو العام الذي ماتت في خديجة زوج النبي ×، وتنابت عـ
لى رسول الله × المصائب، وسمى هذا العام بـ(8) العام بعام الحزن.

5- أم أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه: هي الصحابية الجليلة السيدـة الفاضلة فاطمة بنت أسد بن هاشم بن قصي الهاشمية (9)، وهي أول هاشمـ

(1) ذُبْرِي: أي نسلمه ونغلب.

(2) أي كذبتم أن نسلمه قبل أن ننصر حوله.

(3) الحالات الرواجات.

(4) الصالصل: المزادات لها صلصلة بالماء.

(5) السيرة النبوية لأبن هاشم (350/1، 351).

(6) المصدر نفسه (373/1)، المرتضى: (ص26)، وقد فصلت ذلك في كتابي السيرة النبوية.

(7) بلوغ الأربع (324/1).

(8) السيرة لأبن هاشم (45/1)، المرتضى: (ص26).

(9) نسب قريش: (ص40) فضائل الصحابة (2/685).

ية ولدت هاشميًّا⁽¹⁾، وقد حظيت برعاية النبي × حينما كفله عمه أبو طالب بناء على وصية أبيه عبد المطلب، فكانت له أمًا بعد أمة تقوم على شئونه وترعي أموره ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، وقد قضى الحبيب المصطفى قرابة عقدين من حياته في كفها، وقد استجابت لدعوة الإسلام وأصبحت من السابقات الأوليات وصارت من صفة النساء من أخذن المكانة العليا في ساحة الفضيلة، وكانت رضي الله عنها مثالاً للرأفة والرحمة في معاملة الزهراء رضي الله عنها، إذ كانت تقوم بمساعدة براً بها وبوالدها ×، وروى عن أمير المؤمنين على رضي الله عنه أنه قال: قلت لأمي: أكفي فاطمة بنت رسول الله سقاية الماء والذهب في الحاجة، وتكتفي هي الطحن والعنجه⁽²⁾ كما أن صلتها بالنبي × أضافت إلى شخصيتها مكرمة حفظ الحديث وروايته، فقد روت عن النبي × مجموعة من الأحاديث، وقد كانت لها مكانة كبرى عند رسول الله ×، ويخصها بالهدية، فقد أورد ابن حجر بالإصابة أن علياً رضي الله عنه قال: أُهدي إلى رسول الله حلة إستبرق فقال: «اجعلها خُمُرًا بين الفواطم»⁽³⁾. فشققتها أربعة أحمرة، خمارًا لفاطمة بنت رسول الله ×، وخمارًا لفاطمة بنت أسد رضي الله عنها، وخمارًا لفاطمة بنت حمزة رضي الله عنها، ولم يذكر الرابعة⁽⁴⁾.

ولقد كان حظ السيدة فاطمة مباركاً في حياتها وعند وفاتها، وحظيت بالتكريم إذ توفيت في حياة الحبيب المصطفى ×⁽⁵⁾، وأماماً ما روى عن أنس في دفنه فهو واه ضعيف شديد الضعف ولا يقوى من طرقه الأخرى التي جاءت لأنها كلها ضعيفة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد أم على رضي الله عنها دخل عليها رسول الله × فجلس عند رأسها فقال: رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعيني، وتعرين وتكسيني، وتمعنين نفسك طيباً وتطعميني، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة، ثم أمر أن تغسل ثلاثةً ثلاثةً، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول الله بيده، ثم خلع رسول الله قميصه فألبسها أيام وفكها ببرد فوقه، ثم دعا رسول الله أسامه بن زيد وأبا أيوب الأنباري وعمر بن الخطاب وغلامًا أسود يحرفون، فحرروا قبره، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله × بيده وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله × فاضطجع فيه وقال: «الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت أغر لامي فاطمة بذلت أسد ولقتها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأتباء الذين من قبلي. فإنك أرحم الراحمين» وكبر عليها أربعًا وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر رضي الله عنهم⁽⁶⁾.

وقد احتج من احتج⁽⁷⁾ بهذا الحديث على جواز التوسل بالذوات، وقد قام الأستاذ أبو عبد الرحمن جبلان بن خضر العروسي في رسالته لمرحلة الماجستير بتتبع طرق الحديث وبين ضعفها وبطلانها⁽⁸⁾، ووضح أن الحديث قد روى من خمسة طرق: ثلاثة موصولة، ومرسلتان، فلم تخل واحدة منها من عدة علل فهو شديد الضعف، ومع هذا لم يرد التوسل المزعوم إلا في طريق واحدة، وهي طريق أنس، فهذه الأحاديث يمكن أن يعل بها الحديث لأن الكل ضعيف فيعل بعضه البعض ولا يزيدوها إلا وهنا وضاغعاً، وأما من ناحية

(1) فضائل الصحابة (2/ 685).

(2) مجمع الزوائد (356/8) رجال السندي رجال الصحيح.

(3) سنن ابن ماجة، كـ اللباس رقم 3596.

(4) الإصالية (27/8) رقم 1153.

(5) أمير المؤمنين على بن أبي طالب، أحمد السيد: ص (24).

(6) السلسلةضعيفة للألباني (32/1) رقم 23.

(7) السمهودي في وفاة الوفاء (1373/4)، والكتيري في محق القول: ص (391-379)، والوطني في السلبية مرحلة (155)، والعلوي في مفاهيم: ص (65) نقلًا عن الدعاء ومنزلته من العقيدة، جـ لان بن خضر.

(8) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية: ص (794-798).

ة المتن فهو منقوض من عدة وجوه:

- إن في هذا الحديث مبالغة وإطراء وتجاوزاً للمأثور في ذلك العهد النبوي.
- هذا الحديث يخالف هدية وسننه في غسل جنaza المرأة، وذلك في أمور منها:
- سكبه بيده الشريفة لم يرد إلا في هذه القصة، وأما الذي ورد في غسل بنته زينب أنه أمرهم بالغسل، ولم يسكب بنفسه، فقد روى البخاري ومسلم عن محمد بن سيرين عن أن أم عطية قالت: دخل علينا النبي ﷺ ونحن نغسل ابنته فقال: «اغسلنها ثلاثة أو خمسة أو أكثر من ذلك إن رأيت ذلك بماء وسدر، واجعلن في الآخرة كافوراً، فإذا فرغتن فاذنني» وقالت: فلما فرغنا ألقى إليها حقوه فقال: «أشعرنها إيه»، ولم يزد على ذلك⁽¹⁾.
- إن الحفر بيده وإخراجه التراب بيده والاضطجاع فيه كلها لم تعهد إلا في هذا الحديث الضعيف، مخالفًا هديه المشهور عنه وهو من المبالغة والإطراء.
- ثم لفظ الدعاء الذي بدأ بلفظة الغيبة ثم الخطاب بعيد عن أسلوبه المعهود في الدعوات المأثورات «اللهم أنت...» ولم نر في غير هذا الدعاء «الله الذي...».
- وما يدل على ضعفه أن الرواوى اعترف بأن النبي ﷺ لم يفعل هذه الأفعال إلا في هذه المرة، ولكنه أراد أن يبرر ذلك بما ذكره، وهيئات⁽²⁾.
- إخوة على بن أبي طالب رضي الله عنه: كان لأبي طالب أربعة أبناء، وهم: طالب، وهو الذي تكى به، وعقيل، وجعفر، وعلى، وبنتان هما: أم هانى، وجمانة، وكلهم من فاطمة بنت أسد، وكان بين كل واحد منهم وبين أخيه عشر سنوات، فطالب كان أكبر من عقيل بعشر سنوات، وكذلك الشأن مع جعفر وعلى، فكان جعفر أكبر من على بعشر سنوات⁽³⁾، وهذه نبذة مختصرة عن إخوة على رضي الله عنه.
- (أ) طالب بن أبي طالب: هلك طالب مشركاً بعد غزوة بدر، وقيل إنه ذهب فلم يرجع، ولم يدر له موضع ولا خبر، وهو أحد الذين تاهوا في الأرض، وكان محبًا لرسول الله ﷺ، وله فيه مداخن، وكان خرج إلى بدر كرهًا، وجرت بيته وبين قريش حين خرجوا إلى بدر محاربة فقالوا: والله يا بنى هاشم لقد عرفنا - وإن خرجتم معنا - أن هواكم مع مد، فرجع طالب إلى مكة مع من رجع، وقال شعرًا وقصيدة ثناء على النبي ﷺ وبكي فيها أصحاب قليب بدر⁽⁴⁾.
- (ب) عقيل بن أبي طالب: فكان يكتنأ أبا يزيد، تأخر إسلامه إلى عام الفتح، وقيل أسلم بعد الحديبية، وهاجر في أول سنة ثمان، وكان أسر يوم بدر فداء عممه العباس، وقع ذكره في الصحيح في مواضع، وشهد غزوة مؤته، ولم يسمع له ذكر في الفتح وحنين، لأنـهـ كانـ مـريـضاًـ،ـ أـشـارـ إـلـىـ ذـلـكـ اـبـنـ سـعـدـ،ـ لـكـ رـوـىـ الزـبـيرـ بـنـ بـكـارـ بـسـنـهـ إـلـىـ الـحـسـنـ بـنـ عـلـىـ أـنـ عـقـيلـ كـانـ مـنـ ثـبـتـ يـوـمـ حـنـينـ وـمـاتـ فـيـ خـلـافـةـ مـعـاوـيـةـ،ـ وـفـيـ تـارـيـخـ الـبـخـارـيـ الـأـصـغـرـ بـسـنـ صـحـيـحـ أـنـ مـاتـ فـيـ أـوـلـ خـلـافـةـ يـزـيدـ قـبـلـ الـحـرـةـ⁽⁵⁾،ـ وـعـمـرـهـ سـتـ وـتـسـعـونـ سـنـةـ⁽⁶⁾.
- (ج) جعفر بن أبي طالب: فهو أحد السابقين إلى الإسلام وكان يحب المساكين ويطرس إليهم ويخدمهم، ويحدثهم ويحدثونه، وهاجر إلى الحبشة، فأسلم النجاشي ومن تبعه على

(1) الدعاء و منزلته من العقدة الإسلامية: ص (799).

(2) المصدر نفسه: ص (798-794).

(3) البداية والنهاية (223 / 7)، المرتضى: ص (26).

(4) الجوهرة في نسب النبي وأصحابه من المرتضى للندوى: ص (23).

(5) الإصابة في تمييز الصحابة (494/2).

(6) المرتضى للندوى: ص (24).

ى يديه، ولقد تحدثت عنه في كتابي السيرة النبوية.. عرض وقائع وتحليل أحداث، واستند بمؤئنة من أرض الشام مقبلاً غير مدبر⁽¹⁾.

(د) أم هانئ بنت أبي طالب: ابنته عم النبي ×، قيل اسمها فاختة، وقيل اسمها فاطمة وقيل هند، والأول أشهر، وكانت زوج هبيرة بن عمرو بن عاذ المخزومي، وكان له منها عمرو، وبه كان يكنى، وفي فتح مكة أجارت أم هانئ رجلين من بنى مخزوم، وقال لها

رسول الله ×: أجرنا من أجرت يا أم هانئ. وروت أم هانئ عن النبي × في الكتب الستة وغيرها⁽²⁾، قال الترمذى وغيره: عاشت بعد على رضي الله عنه⁽³⁾.

(هـ) جمانة بنت أبي طالب: هي أم عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطاب، ذكرها ابن سعد في ترجمة أمها فاطمة بنت أسد، وأفردها في باب بنات عم النبي ×، وقال: ولدت لأبي سفيان بن الحارث ابنته جعفر بن أبي سفيان، وأطعمها رسول الله من خير ثلاثة وسقا⁽⁴⁾.

7- أزواجه وأولاده: ولد له من فاطمة⁽⁵⁾ بنت رسول الله ×: الحسن والحسين (وسياً تي الحديث عنهما مفصلاً)... وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى، وولد له من خولة بنت جعفر ابن قيس بن مسلمة، محمد الأكابر (محمد ابن الحنفية)، ولد له من ليلى بنت مسعود بن خالد من بنى تميم، عبد الله وأبو بكر، وولد له من أم البنين بنت حرام⁽⁶⁾ بن خالد بن جعفر بن ربعة: العباس الأكبر، وعثمان، وجعفر الأكبر، وبعد الله، وولد له من أسماء بنت عميس الخثعمية: يحيى وعون⁽⁷⁾، وولد له من الصبهاء⁽⁸⁾، عمر الأكبر ورقية، وولد له من أمامة⁽⁹⁾ بنت العاص بن الربيع، محمد الأوسط، وولد له من أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي، أم الحسن، ورملة الكبرى، وولد له من أمهات أولاد، محمد الأسد غر، وأم هانئ وميمونة، وزينب الصغرى، ورملة الصغرى، وأم كلثوم الصغرى، وفاطمة، وأمامه، وخديجة، وأم الكرام، وأم الرايم، وأم جعفر، جمانة ونفيسة، وولد له من محبة بنت أمرى القيس، ابنة هلكت وهي جارية. قال ابن سعد: لم يصح لنا من ولد على رضي الله عن غير هؤلاء⁽¹⁰⁾، وجميع ولد على بن أبي طالب رضي الله عنه لصلبه أربعين عشر ذكرًا، وتسع عشرة امرأة، وقيل: سبع عشرة امرأة، وكان النسل من ولده لخمسة، الحسن والحسين، ومحمد ابن الحنفية، والعباس ابن الكلبية، وعمر ابن التغلبية⁽¹¹⁾، وسيأتي الحديث عن السيدة فاطمة وذريتها، الحسن والحسين، وأم كلثوم في ثانياً هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

8- صفاته الخلقية: يقول ابن عبد البر رحمه الله: وأحسن ما رأيت في صفة على رضي الله عنه أنه كان ربيعة من الرجال إلى القصر ما هو، أدعع العينين، حسن الوجه، كأنه القمر ليلة البدر حسداً، ضخم البطن، عريض المنكبين، شئن الكفين (عَدَّا)⁽¹²⁾ أ

(1) المرتضى: ص(25).

(2) المصدر نفسه: ص(27).

(3) الإصابة في تمييز الصحابة (9/317، 318).

(4) الإصابة (4/259، 260)، المرتضى: ص(27).

(5) هي أول زوجة تزوجها على بن أبي طالب ولم يتزوج عليها حتى ماتت.

(6) (4) البداية والنهاية (332/7).

(7) وهي أم حبيب بنت ربيعة بن بحر، من سبعة عين التمر في عهد الصديق.

(8) وأمها زينب بنت رسول الله ×.

(9) الطبقات الكبرى (3/20).

(10) الطبقات (3/19، 20)، البداية والنهاية (7/331-333) منهج على بن أبي طالب في الدعوة إلـ

(11)ى الله، سليمان العبد: ص(30، 31)، (33)، (29).

(12) العدن: الشديد النام الخلق.

غيد، كان عنقه إبريق فضة، أصلع ليس في رأسه شعر إلا من خلفه، كبير اللحية، لمنكبه مشاش كمشاش السبع الضاري، لا يتبيّن عضده من ساعده، قد أدمجت دمجه، إذا مسّك بذراع رجل أمسك بنفسه فلم يستطع أن يتنفس، وهو إلى السمن ما هو، شديد الساعد واليد وإذا مشى للحرب هرول، ثابت الجنان، قوى شجاع^(١).

المبحث الثاني

إسلامه وأهم أعماله في مكة قبل الهجرة

أولاً: إسلامه:

كان من نعمة الله عز وجل على على بن أبي طالب وما صنع الله له وأراد به من الخير أن قريشًا أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة، فقال رسول الله ﷺ العباس عمّه – وكان من أيسر بنى هاشم: يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد ترى ما أصاب الناس من هذه الأزمة، فانطلق بنا فانخفض علينا فلنخف عنهم، آخذ من بيته واحدًا وتأخذ واحدًا، فنكفيهما عنه، فقال العباس: نعم.. فانطلق حتى أتيا أبا طالب، فقال له: إنما نريد أن نخف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهم: إن ركتما لي عقلاً فاصنعا ما شئتم، فأخذ رسول الله ﷺ عليهما فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرًا رضي الله عنه فضممه إليه، فلم يزل على بن أبي طالب رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبيًا، فاتبعه علىٰ، فافتقر به وصدقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه^(٢).

ونلاحظ أن رسول الله ﷺ أراد أن يرد الجميل والمعروف لعمه أبي طالب الذي كفله بعد وفاة جده عبد المطلب، فكان هذا من أكبر نعم الله عز وجل على علىٰ رضي الله عنه، إذ رياه وأديبه الذي أديبه الله، عز وجل، وحفظه وعصمه ورعاه، والذي كان خلقه القرآن، فانعكس هذا الخلق القرآني على علىٰ رضي الله عنه، وكفى بتربية النبي ﷺ تربية لعلى رضي الله عنه، فقد نشأ في بيت الإسلام وتعرف إلى أسراره في مرحلة مبكرة من حياته، وذلك قبل أن تتحطى الدعوة حدود البيت وتنطلق إلى البحث عن أنصار يشدون أزرها وينطلقون بها في دنيا الناس، ويخرجونهم من الظلمات إلى النور، وقد اختلف العلماء فيما يؤمن آمن بعد السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين، هل هو أبو بكر الصديق أم على رضي الله عنها؟ والذي أميل إليه من بين أقوال العلماء، أن أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، ومن الصبيان علىٰ، ومن النساء خديجة، وهي أول من آمن على الإيمان، ومن المولى زيد بن حارثة رضوان الله عليهم^(٣)، وبهذا يكون أمير المؤمنين أول الصغار إسلامًا.

ثانيًا: كيف أسلم علىٰ؟

روى ابن إسحاق أن على بن أبي طالب رضي الله عنه جاء إلى النبي ﷺ بعد إسلام خديجة رضي الله عنها، فوجدهما يصليان، فقال علىٰ: ما هذا يا محمد؟ فقال النبي ﷺ: «لَيْسَ اللَّهُ الَّذِي اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، وَبِعِثَتْ بِهِ رَسُولًا، فَادْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَهُدًى إِلَى عِبَادَتِهِ، وَتَكَفُّرَ بِالْمُلَائِكَةِ وَالْعَرَى» فقال له علىٰ: هذا أمر لم أسمع به من قبل اليوم، فلست بقاض أمرًا حتى أحذ أبا طالب، فكره رسول الله ﷺ أن يفتشي عليه سره، قبل أن يستعلن أمره، فقل له: «يَا عَلَى إِذَا لَمْ تَسْلُمْ فَأَكْتُمْ»، فمكث على تلك الليلة، ثم إن الله أوقع في قلب علىٰ ا

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (3/1123).

(٢) السيرة النبوية (1/246)، لأبن هشام.

(٣) البداية والنهاية (28-26/3)، الأوائل من الصحابة وذوو الفضل منهم والنجابة، رضوان جامع ص (23).

لإسلام، فأصبح غاديراً إلى رسول الله ×، حتى جاءه فقال: ما عرضت علىَ يا محمد؟ فـقـال له رسول الله ×: تـشـهد أـن لـا إـلـه إـلـه الله وـحـده لا شـرـيك لـه، وـتـكـفـر بالـلـاتـ والـعـزـىـ، وـتـبـرـأـ مـنـ الـأـنـدـادـ، فـقـعـلـ عـلـىـ وـأـسـلـمـ، وـمـكـثـ عـلـىـ يـأـتـيـهـ عـلـىـ خـوـفـ مـنـ أـبـيـ طـالـبـ، وـكـتـمـ عـلـىـ إـسـلـامـهـ وـلـمـ يـظـهـرـ بـهـ⁽¹⁾.

ثالثاً: بين على رضي الله عنه وأبي طالب:

قال ابن إسحاق: وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله × كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه على بن أبي طالب مستخفياً من أبيه أبي طالب، ومن جميع أعمامه وسائر قومه، يصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعاً فمكثاً كذلك ما شاء الله أن يمكثاً، ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان، فقال لرسول الله ×: يا ابن أخي، ما هذا الدين الذي تدين به، قال: «أي عم، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسليه ودين أبينا إبراهيم»، أو كما قال ×: «بعثتي رسولاً إلى العباد وأنت - أي عم - أحق من بذلك له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه وأعانتي عليه»، أو كذلك قال أبو طالب: أي ابن أخي، إنني لا أستطيع أن أفارق دين أبيائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يُخلص إليك⁽²⁾ بشيء تكرهه ما بقيت، ذكرروا أنه قال لعلى: أيبني، مما هذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبنت آمنت بالله وبرسول الله وصدقه بما جاء به، وصدق ليت معه الله واتبعته، فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه⁽³⁾.

رابعاً: هل كسر على رضي الله عنه الأصنام مع رسول الله في مكة؟

عن على رضي الله عنه، قال: انطلقت أنا والنبي × حتى أتينا الكعبة، فقال لي رسول الله × (جلس) وصعد على منكبي، فذهبت لأنهض به، فرأى مني ضعفاً، فنزل، وجلس لي النبي × قال: أصعد على منكبي، قال: فصعدت على منكبيه، قال: فنهض بي، قال: فإنه يخيل إلى إني لو شئت لزلت أفق السماء، حتى صعدت على البيت، وعلىه ثم ثال صفر أو نحاس، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله، وبين يديه ومن خلفه، حتى إذ استمكنت منه قال لي رسول الله × «اقذف به»، فقذفت فانكسر كما تكسر القوارير، ثم نزلت، فانطلقت أنا ورسول الله × نستبق حتى توارينا بالبيوت، خشية أن يلقانا أحد من الناس⁽⁴⁾ وهذا الحديث إسناده ضعيف، وبالتالي لا يمكن أن يبني عليه حكم كما زعم بعض الناس، وببقى الأصل الثابت في الفترة المكية، في منع النبي × للصحابة لاستخدام القدرة مع الخصوم أو الاعتداء على أصنامهم وأوثانهم بالقوة، وقد قام رسول الله × بتطهير مكة في عام الفتح من الأواثن وأرسل السرايا بعد ذلك الفتح العظيم لهم وتطهير الجزيرة العربية، من مواضع الشرك والطواوغية بعد القدرة على إزالتها وإبطالها.

خامساً: هل دفن على رضي الله عنه أبا طالب بإرشاد رسول الله؟

عن على رضي الله عنه: أنه أتى النبي × فقال: إن أبا طالب مات، فقال له النبي ×: اذهب فواره، فقال: أنه مات مشركاً. فقال: اذهب فواره، قال: فلما واريته رجعت إلى الذبي ×، فقال لي: اغتنسل⁽⁵⁾. وجاء في رواية: اذهب فاغتنسل ثم لا تحدث شيئاً حتى تأتي

[1] البداية والنهاية (4/3).

[2] لا يخاص إلينك: لا يصل إليك.

[3] السيرة النبوية لأبن هشام (1/246)، المرتضى: ص(35).

[4] مسند أحمد، الموسوعة الحسينية رقم (644)، إسناده ضعيف، وصحح الحكم إسناده واستدرك عليه ذلك ذهبي فقال: إسناده ضعيف ومتنه منكر، وقد قام أحمد ميرين البلوشي في رسالته التي حقق فيها ذهبي صائص أمير المؤمنين على بن أبي طالب بالحكم على رجال السندي وحكم عليه بالضعف، خصاً

ص على بن أبي طالب: ص (135، 136)، وقد صحح الحديث احمد شاكر. (2/58).

[5] مسند أحمد، الموسوعة الحسينية رقم (759) إسناده ضعيف، وفي الموسوعة نقشيل مفيد في الحكم على رجال السندي.

نَىٰ، قَالَ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ أَتَيْتَهُ، قَالَ فَدُعَا لِي بِدُعَوَاتِ مَا يُسْرِنِي أَنْ لَيْ بِهَا حَمْرَ النَّعْمَ وَسُورَ دَهَا، قَالَ الرَّاوِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّلْمَىٰ: وَكَانَ عَلَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا غَسَلَ مِيتًا اغْتَسَلَ (١)

سادساً: الحس الأمني عند على رضي الله عن دوره في إيصال أبي ذر رضي الله عنه لرسول الله ×:

إن من معلم المرحلة المكية، الكتمان والسرية، حتى عن أقرب الناس، وكانت الأولى من النبوة على وجوب المحافظة على السرية واضحة وصارمة، وقد قام على رضي الله عنه بدور عظيم فيأخذ أبي ذر إلى مقر الرسول ×، فقد كان رضي الله عنه منكرًا في حال الجاهلية، ويأتي عبادة الأصنام، وينكر على من يشرك بالله، وكان يصلى الله قبل إسلامه، بثلاث سنوات، دون أن يخص قبلة بعينها بالتجهيز، ويظهر أنه كان على نهج الأخذ، ولما سمع بالنبي × قدم إلى مكة، وكره أن يسأل عنه، حتى أدركه الليل، فاضطجع فرآه على رضي الله عنه، فعرف أنه غريب، فاستضافه ولم يسأله عن شيء، ثم غادر صباحاً إلى المسجد الحرام، فمكث حتى أمسى فرآه على فاستضافه للليلة الثانية، وحدث مثل ذلك الليلة الثالثة، ثم سأله عن سبب قدومه، فلما استوثق منه أبو ذر أخبره بأنه يريد مقابلة الرسول ×، فقال له على: «فانه حق، وهو رسول الله، فإذا أصبحت فاتبعني، فإنني إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني، فتبعده وقابل الرسول ×، واستمع إلى قوله، فأسلم، فقال له النبي ×: «ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتوك أمری»، فقال: والذي نفسي بيده لأصرخ بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد فنادي بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فثار القوم حتى أضجعوه فأتى العباس بن عبد المطلب، فحضرهم من انتقام غفار والتعرض لتجارتهم، التي تمر بديارهم إلى الشام، فأنقذه منهم (2)، وكان أبو ذر قبل مجئه قد أرسل أخاه، ليعلم له علم النبي × ويسمع من قوله ثم يأتيه، فانتطلق الأخ حتى قدمه، وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر، فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاماً ما هو بالشعر، فقال: ما شفيتني (3) مما أردت، وغزم على الذهاب بنفسه لرسول الله ×، فقال أخوه له: كن على حذر من أهلك مكة فانهم قد شنعوا الله وتجهموا (4).

ومن الدروس والعبر والفوائد من هذه الحادثة:

١- التأيي والتراث في الحصول على المعلومة:

حيث يعرف أبو ذر رضي الله عنه كراهية قريش لكل من يخاطب الرسول ×، وهذا التأني تصرف أمني، تقتضيه حساسية الموقف، فلو سأله عن علمت به قريش، وبالتأني قد يتعرض للاذى والطرد ويختبر الوصول إلى هدفه الذي من أجله ترك مصارب قومه وتحمل في سبيله مصاعب ومشاق السفر.

2- الاحتياط والحذر قبل النطق بالمعلومة:

حين سأله على رضي الله عنه أبا ذر رضي الله عنه عن أمر وسبب مجيبة إلى مكاهة، لم يخبره بالرغم من أنه استضافه ثلاثة أيام إمعانًا في الحذر، فاشترط عليه قبل أن يـ

(1) الصحيح المسند في فضائل الصحابة: ص (188)، وقال مصطفى العدوي: حسن بمجموع طرقه، وجاء بيسواد للحديث.

² صحيح البخاري (فتح الباري) (7/173).

(3) ما شفیقی ماما آرڈت: ما بلعنى غرضی وازلت عنی همی.
(4) مسلم (4/2473)، رقمہ 1923، صحة المسنونۃ الالبیریۃ.

(4) مسلم (1923/4) رقمه (2473)، صحيح السيرة النبوية، ابن اهيم العلی: ص(83)، السیرة النبویة الصحیحة للعمری (145/1)، سنفوا: أي أبعضوه.

٩- الصحيحه للعمرى (145/1)، سنعوا: اي بعضوه.

خبره أن يكتم عنه، وفي الوقت ذاته يرشده، فهذا غاية في الاحتياط وتم ما أراده.

3- التغطية الأمنية للتحرك

الاتفاق بين على وأبي ذر رضي الله عنهم على إشارة، أو حركة معينة، كأنه يصطح نعله، أو كأنه يريق الماء، وذلك عندما يرى على رضي الله عنه من يترصدهما أو يراقبهما، فهذه تغطية أمنية لتحركهما تجاه المقر (دار الأرقم)، هذا إلى جانب أن أبو ذر كان يسير على مسافة من على فيعد هذا الموقف احتياطًا، وتحسبًا لكل طارئ قد يحدث أثناء الحركة.

4- تقويق الصحابة رضي الله عنهم في الجوانب الأمنية، وتوافر الحس الأمني لديهم: وتغلغله في نفوسهم، حتى أصبح سمة مميزة لكل تصرف من تصرفاتهم الخاصة وال العامة، فألت تحرّكاتهم منظمة ومدروسة، مما أحوجنا لمثل هذا الحس الذي كان عند الصدابة، بعد أن أصبح للأمن في عصرنا أهمية بالغة في زوال واستمرار الدول والحضارات، وضعف وقوفة الأمم والشعوب، والجماعات والمؤسسات والمنظمات، وأصبحت له مدارسه الخاصة وتقنياته المتقدمة، وأساليبه ووسائله المتطور، وأجهزته المستقلة، وميزانية ذات الأرقام الكبيرة، وأضحت المعلومات عامة، والمعلومات الأمنية تتبع بأعلى الأثمان، ويضحى في سبيل الحصول عليها بالنفس إذا لزم الأمر، وما دام الأمر كذلك فعلى المسلمين الاهتمام بالنوادي الأمنية حتى لا تصبح قضياتنا مستباحة للأعداء، وأسرارنا فعلى متناول أيديهم⁽¹⁾.

سابعاً: على رضي الله عنه مع رسول الله × في طوافه على القبائل، وعرضه لـ دعوة عليها، وحضوره المفاوضات مع بني شيبان:

عن أبان بن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس: حدثني على بن أبي طالب، قال: لما أمر الله رسوله أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منى حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبو بكر رضي الله عنه فسلم، وكان أبو بكر مقدمًا في كل خير، وكان رجلًا نسابة.. إلى أن قال: ثم دفعنا إلى مجلس آخر، عليه السكينة والوقار، فتقدم أبو بكر فسلم فقال: من القوم؟ قالوا: شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله ×، وقال: بأبي وأمي، هؤلاء غير الناس، وفيهم مفروق قد غلبهم لسا ذا وجمالاً، وكانت له غديرتان تسقطان على تريبتنه، وكان أذني القوم مجلسًا من أبي بكر، فقال أبو بكر: كيف العدد كم؟ فقال مفروق: إنما لنزيد على ألف ولن تُغلب ألف من قلة، فقال أبو بكر: وكيف المعنعة فيكم؟ فقال مفروق: إنما لا شد ما نكون غصباً حين نلقي، وأشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنما لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقا ح، والنصر من عند الله، يديلنا مرة، ويديل علينا مرة أخرى، لعلك أخوا قريش؟ فقال أبو بكر: إن كان بلغكم أنه رسول الله فها هو ذا. فقال مفروق: إلام تدعونا يا أخا قريش؟

قال رسول الله ×: «أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنني عبد الله ورسوله، وإلى أن تؤمنوني وتنصروني، فإن قريشاً قد ظهرت على الله، وكذبت رسوله، واستغفت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد»، فقال مفروق: والإيمان تدعو أيضًا يا أخا قريش؟ فوالله ما سمعت كلامًا أحسن من هذا، فتلا رسول الله × **لَتَعَالَوْا أَتَلْ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْأَدْيَنْ أَحْسَانًا وَلَا تَقْتَلُوا أُولَادَكُمْ مِنْ أَمْلَاقِ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتَلُوا الذِّفَافُ الَّتِي**

(1) دروس في الكتمان، محمود شيت خطاب:ص(9)، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث لا صدلي (171/1).

رَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَدَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [الأنعام: 151].

قال مفروق: دعوت والله إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذب واك، وظاهروا عليك، ثم رد الأمر إلى هانئ بن قبيصة فقال: وهذا هانئ شيخنا، وصاحب ب ديننا، فقال هانئ: قد سمعت مقابلتك يا أخا قريش، وإنني أرى تركنا ديننا، واتبعنا دينك لمجلس جلسنا إلينا، لا أول له ولا آخر لذل في الرأي، وقلة نظر في العاقبة. إن الزلة مع العجلة، وإننا نكره أن نعقد على من وراءنا عقداً، ولكن نرجع وترجع، وننظر، ثم كأنه أحب أن يشركه المثلثي بن حارثة، فقال: وهذا المثلثي شيخنا وصاحب حربنا، فقال المثلثي - وأسلم بعد ذلك - قد سمعت مقابلتك يا أخا قريش، والجواب فيه جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا ومتابعتنا دينك، وإنما نزلنا بين صررين، أحدهما الإمامية، والأخر السُّنَّة، فقال له رسول الله ×: «**مَا هَذَا الصَّرْيَانُ؟**»، قال: أنهار كسرى، ومياه العرب، فلما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول، وإنما نزلنا على عهد أخيه علينا كسرى إلا نحدث حدثاً، ولا نؤوي محدثاً، وإنني أرى هذا الأمر الذي تدعونا إليه يا أخا قريش مما تكرهه الملوك، فإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب، فعلنا، فقال رسول الله ×: «**مَا أَسَأْتُمْ فِي الرَّدِّ، إِذَا أَفْصَحْتُمْ بِالصَّدْقِ، وَإِنْ دِينَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَنْ يَنْصُرَهُ إِلَّا مِنْ حَاطِهِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ تَلْبِسُوا إِلَّا قَلِيلًاً، حَتَّى يُورَثُكُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ، وَيُفَرِّشُكُمْ نِسَاءَهُمْ، أَتَسْبِحُونَ اللَّهُ وَتَهْوِيَّتُهُمْ قَدْسُونَهُ؟**»، فقال النعمان بن شريك: اللهم فلك ذاك ⁽¹⁾.

وهذا الحديث فيه دروس وعبر وفوائد تعلمها على بن أبي طالب رضي الله عنه منه:

1- تعلم على رضي الله عنه، أن النبي × رفض أن يعطي القوى المستعدة لتقديم ذ صرتها، أية ضمانات بأن يكون لأشخاص شيء من الحكم والسلطان على سبيل الثمن، أ و المكافأة لما يقدمونه من نصرة وتأييد للدعوة الإسلامية، وذلك لأن الدعوة الإسلامية إذ ما هي دعوة إلى الله، فالشرط الأساسي فيمن يؤمن بها ويستعد لنصرتها أن يكون الإخلاص لله، ونشدان رضاهم هما الغاية التي يسعى إليها من النصرة والتضحية وليس طمعاً ف ي نفوذ أو رغبة في سلطان، وذلك لأن الغاية التي يضعها الإنسان للشيء هي التي تكي ف نشاط الإنسان في السعي إليه، فلا بد إذن من أن تتجدد الغاية المستهدفة من وراء نصر رة الدعوة، عن أي مصلحة مادية لضمان دوام التأييد لها، وضمان المحافظة عليها من أي انحراف، وضمان أقصى ما يمكن من بذل الدعم لها، وتقديم التضحيات في سبيلها ⁽²⁾ ، فيجب على كل من يريد أن يلتزم بالجماعة التي تدعوا إلى الله لا يشترط عليها منصبًا ، أو عرضًا من أغراض الدنيا؛ لأن هذه الدعوة لله والأمر لله يضعه حيث يشاء، والداخل ل في أمر الدعوة إنما يريد ابتعاد وجه الله، والعمل من أجل رفع رايته، أما إذا كان المذ صب هو همه الشاغل فهذه علامة خطيرة تتبع عن دخن في نية صاحبها ⁽³⁾ لذلك قال ي حي بن معاذ الرازي: لا يفلح من شمنت منه رائحة الرياسة ⁽⁴⁾.

2- وتعلم على رضي الله عنه من رسول الله × أن صفة النصرة التي كان يطلبها رسول الله لدعوته من زعماء القبائل أن تكون غير مرتبطة بمعاهدات دولية، تتناقض مع الدعوة، ولا يستطيعون التحرر منها، وذلك لأن احتضانهم للدعوة والحالة هذه يعرضها خطراً القضاء عليها من قبل الدول التي بينهم وبينها تلك المعاهدات، والتي تجد في الدعو

(1) البداية والنهاية (142/3)، (143، 145)، البيهقي دلائل النبوة، إسناده حسن ونقل عنه ابن كثير.

(2) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (421/1).

(3) وفقات تربوية من السيرة النبوية، عبد الحميد البلاي: ص(72).

(4) صفة الصفة (94/4).

ة الإسلامية خطرًا عليها وتهديداً لمصالحها⁽¹⁾، إن الحماية المنشورة أو الجزئية لا تحقق الهدف المقصود، فلن يخوض بنو شيبان حرباً ضد كسرى، لو أراد القبض على رسول الله × وأتباعه، وبذلك فشلت المباحثات⁽²⁾.

3- إن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، كان هذا الرد من النبي × على المثنى بن حارثة، حين عرض على النبي × حمايته على مياه العرب، دون مياه الفرس، فمن يسب أغوار السياسة البعيدة ير بُعد النظر الإسلامي النبوي الذي لا يسامي⁽³⁾.

4- لم يسع على رضي الله عنه أثر الإسلام على المثنى وقومه بعد أن أسلموا، وكيف تحملت قبيلة بنى شيبان عباء مواجهة الفرس، وكان المثنى بن حارثة – فيما بعد- من قادة فتنة العراق في عهد الصديق رضي الله عنه، فقد أكبهم الإيمان بهذا الدين جرأة على قتال الفرس.

هذه بعض المفاهيم والدروس وال عبر التي استفادها على رضي الله عنه من رسول الله عند مفاوضاته لزعماء بنى شيبان.

ثامنًا: تقديم نفسه فداء للنبي ×:

عندما اجتمعت قبيلة قريش في دار الندوة، وأجمعوا على قتل النبي × والتخلص منه، أعلم الله نبيه × بذلك، وكان النبي × أحكم خلق الله، فأراد أن يبقى من أراد قتيله يذبح إلى فراشه ينتظرون يخرج عليهم، فأمر على بن أبي طالب رضي الله عنه أن ينام في فراشه تلك الليلة، ومن يجرؤ على البقاء في فراش رسول الله × والأعداء أحاطوا بالبيت يتربصون به ليقتلوه؟ من يفعل هذا ويستطيع البقاء في هذا البيت هو يعلم أن الأعداء لا يفرقون بينه وبين الرسول الله × في مرضجه؟ إنه لا يفعل ذلك إلا أبطال الرجال وشهد جعلهم بفضل الله⁽⁴⁾ - تعالى -، وقد أمره النبي × أن يقيم بمكة أيامًا حتى يؤدي أمانة الوداع والوصايا التي كانت عنده إلى أصحابها من أعدائه كاملة غير منقوصة، وهذا من أعظم العدل، وأداء الأمانة⁽⁵⁾، وقد جاء في رواية: أن رسول الله × قال له: نم في فراشك، وتسأج ببردي هذا الخضرى، فنم فيه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم⁽⁶⁾. وقال ابن حجر، وذكر موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: فرق على على فراش رسول الله يوارى عنه، وباتت قريش تخالف، وتتأمر، أيهم يهجم على صاحب الفراش فيونقه ، حتى أصيحووا فإذا هم بعلى، فسألوه، فقال: لا علم لي، فعلموا أنه قد فر⁽⁷⁾، وعن ابن عباس: إن علياً قد شرى نفسه تلك الليلة حين ليس ثوب النبي، ثم نام مكانه⁽⁸⁾، وفي عالي: +وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أَبْتَغِيَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ+ بالعياد" [القراءة: 207].

وفي هذا الموقف دروس وعبر وفوائد منها:

1- إن خطوة الهجرة كما رسمها رسول الله × كانت تتطلب أن يأخذ مكانه في البيت

(1) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (421/1).

(2) التحالف السياسي في الإسلام، منير الغضبان: ص(35).

(3) التحالف السياسي في الإسلام: ص(64).

(4) الحكمة في الدعوة إلى الله للخطابي: ص(235).

(5) الطبقات الكبرى (22/3)، تاريخ الخلفاء للسيوطى: ص(166).

(6) السيرة لأبي هاشم (91/2)، فتح الباري (7/236).

(7) فتح الباري (7/237).

(8) فضائل الصحابة رقم (1168) إسناده حسن.

رجل تشغله حركته داخل الدار أنظار المحاصرين لها من مشركي قريش، وتخدعهم بغض الوقت عن مخرج رسول الله ﷺ، حتى يكون وصاحبه أبو بكر قد جاوزوا منطقة الخطر⁽¹⁾.

2- في تلبية على رضي الله عنه لأمر النبي ﷺ مثلاً للجندى الصادق، المخلص لدعوة الإسلام، حيث فدى قائده ب حياته، ففي سلامة القائد سلامه الدعوة، وفي هلاكه خذلانها، وهذا منها، مما فعله على رضي الله عنه ليلة الهجرة من بياته على فراش الرسول ﷺ يعتبر تضحيه غالبية، إذ كان من المحتمل أن تهوى سبوف فتیان قريش على رأسه على رضي الله عنه، ولكن علياً رضي الله عنه لم يبال بذلك، فحسبه أن يسلم رسول الله نبى الأمة، وقائد الدعوة⁽²⁾.

3- في إيداع المشركين ودائعهم عند رسول الله ﷺ مع محاربهم له، وتصنيفهم على قاتلة، دليل باهر على تناقضهم العجيب الذي كانوا واقعين فيه، ففي الوقت الذي كانوا يكتبونه، ويزعمون أنه ساحر، أو مجنون، أو كذاب، لم يكونوا يجدون فيمن حولهم من هو خير منه أنة وصادقاً، فكانوا لا يضعون حواجزهم، ولا أموالهم التي يخافون عليها إلا عنده، وهذا يدل على أن كفرانهم لم يكن بسبب الشك لديهم في صدقه، وإنما بسبب تكبرهم واستعلائهم على الحق، الذي جاء به، وخوفاً على زعامتهم وطغيانهم⁽³⁾، وصدق الله العظيم: **فَقَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَا يُكَدِّبُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَدِّبُونَ كَوْنَ الظَّالِمِينَ بِإِيمَانَ اللَّهِ يَجْحَدُونَ** [الأنعام: 33].

4- وفي أمر الرسول ﷺ لعلى رضي الله عنه - بتادية هذه الأمانات لأصحابها في مكان، على الرغم من هذه الظروف الشديدة التي كان من المفروض أن يكتف بها الاضطراب، بحيث لا يتوجه التفكير إلا إلى إنجاح خطأ هجرته فقط، على الرغم من ذلك فإن الرسول ﷺ ما كان ليensi أو ينشغل عن رد الأمانات إلى أهلها، حتى ولو كان في أصعب الظروف التي تتني الإنسان نفسه فضلاً عن غيره⁽⁴⁾، فقد أبى أن يخون من ائمه ولو كان عدوًّا يحرض عليه، ويؤديه؛ لأن خيانة الأمانة من صفات المنافقين، ويتنزه عنها المؤمنون⁽⁵⁾.

5- هذا الحديث العظيم فيه دلالة قاطعة على شجاعة على رضي الله عنه، فإنه يعلم وهو يقوم بتنفيذ ما أمر به أنه معرض لخطر عظيم، فقد يقتلونه عليه داره ويقتلونه دون أن يتثنّوا من هويته، وقد يباغتونه وهو خارج في الصباح من غير أن يتبيّنوا من هو، والقوم يتربيصون به طوال الليل يترقبون هذه اللحظة وقد بلغ منهم الجهد كل مبلغ، فأصدروا غير قادرین على التأكد من شخصية الخارج من الدار، فهو محمد ﷺ أم رجل آخر؟ لابد أن ذلك كله قد دار في عقل على لكنه بادر وسعد بالتنفيذ فهو أولاً: يحب الله ورسوله **هُدًى مِّنْ رَّبِّهِ** عليه قلبه، فجعل سلامه رسول الله **خَدْفَهُ الْأَسْمَى** ولو كلفه ذلك التضحية ب حياته، ثانياً: هي عملية لابد منها لكي يخرج الرسول سالمًا من تدبير الأعداء حتى يتمكن من نشر الإسلام في كل مكان، فالأمر إذن يتعلق بمصلحة الإسلام أولاً وثانياً، وقد نام على رضي الله عنه في فراش رسول الله **خَدْفَهُ الْأَسْمَى** مع كل هذه التوقعات، وهذا دليل على عميق إيمانه بقضاء الله وقدره، فهو بحق مؤمن بقوله تعالى: **+ قُلْ لَّمَّا يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ** [التوبه: 51]. وإننا

(1) خلفاء الرسول: ص(36)، العشرة المبشرون بالجنة محمد صالح.

(2) السيرة النبوية للسباعي: ص(345).

(3) فقه السيرة للطيوطي: ص(153).

(4) الهجرة في القرآن الكريم: ص(364).

(5) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين: ص(423).

للمح في اختيار رسول الله × لعلـىـ لـيـقـومـ بـهـذـاـ الدـورـ الـخـطـيرـ ثـقـةـ تـامـةـ لـاـ تـعـدـلـهـ ثـقـةـ،ـ وـاـ طـمـنـنـانـاـ إـلـىـ قـرـاتـ خـاصـةـ اـمـتـازـ بـهـاـ عـلـىـ قـدـ لاـ تـتوـافـرـ فـيـ غـيـرـهـ،ـ فـإـنـهـ لـمـ يـتـرـدـدـ حـينـ دـعـاهـ الرـسـولـ ×ـ لـيـنـامـ عـلـىـ فـرـاشـهـ،ـ وـهـوـ يـعـلـمـ أـنـهـ لـيـسـ وـرـاءـ ذـلـكـ إـلـاـ المـوـتـ الـذـيـ أـعـدـ لـهـ الـمـشـرـكـونـ أـشـجـعـ فـتـيـانـ قـرـيشـ وـلـمـ يـسـمـحـ لـنـفـسـهـ

أـنـ يـفـكـرـ فـيـ الـعـاقـبـةـ؛ـ لـأـنـهـ يـعـلـمـ أـنـهـ حـينـ يـكـونـ فـدـاءـ لـرـسـولـ اللهـ يـنـالـ بـذـلـكـ شـرـفـاـ لـاـ يـنـالـهـ بـغـيرـ هـذـاـ الطـرـيقـ⁽¹⁾.

تاسعاً: هجرته:

لـمـ أـصـبـحـ عـلـىـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ،ـ قـامـ عـنـ فـرـاشـهـ،ـ فـعـرـفـهـ الـقـومـ وـتـأـكـدـواـ مـنـ نـجـاحـ رـسـولـ اللهـ ×ـ،ـ فـقـالـلـوـاـ عـلـىـ أـيـنـ صـاحـبـكـ؟ـ قـالـ:ـ لـاـ أـدـرـيـ،ـ أـوـ رـقـبـاـ كـنـتـ عـلـىـهـ؟ـ أـمـرـتـمـوـهـ بـالـخـروـجـ فـخـرـجـ.ـ وـضـاقـ الـقـوـمـ بـتـالـكـ الإـجـابـةـ الـجـرـيـةـ وـغـاظـهـمـ خـرـوجـ رـسـولـ اللهـ مـنـ بـيـنـ أـظـهـرـهـ،ـ وـقـدـ عـمـواـ عـنـهـ فـلـمـ يـرـوـهـ،ـ فـانـتـهـرـوـاـ عـلـيـاـ وـضـرـبـوـهـ،ـ وـأـخـذـوـهـ إـلـىـ الـمـسـجـدـ فـحـبـسـوـهـ هـنـاكـ سـاعـةـ،ـ ثـمـ تـرـكـوـهـ⁽²⁾ـ،ـ وـتـحـمـلـ عـلـىـ مـاـ نـزـلـ بـهـ فـيـ سـبـيلـ اللـهـ،ـ وـكـانـ فـرـحـهـ بـنـجـاحـ رـسـولـ اللهـ ×ـ عـظـمـ عـنـدـهـ مـنـ كـلـ أـذـىـ نـزـلـ بـهـ،ـ وـلـمـ يـضـعـفـ وـلـمـ يـخـبـرـ عـنـ مـكـانـ رـسـولـ اللهـ ×ـ،ـ وـانـطـلـقـ عـلـىـ فـيـ مـكـةـ بـجـوـبـ شـوـارـعـهـ بـاـحـثـاـ عـنـ أـصـحـابـ الـوـدـائـعـ الـتـيـ خـلـفـهـ رـسـولـ اللهـ مـنـ أـجـلـهـ،ـ وـرـدـهـ إـلـىـ أـصـحـابـهـ،ـ وـظـلـ يـرـدـ هـذـهـ الـأـمـانـاتـ حـتـىـ بـرـئـتـ مـنـهـ ذـمـةـ رـسـولـ اللهـ ×ـ،ـ وـهـنـاـكـ تـأـهـبـ لـلـخـروـجـ لـيـلـحـقـ بـرـسـولـ اللهـ ×ـ بـعـدـ ثـلـاثـ لـيـلـ قـضـاـهـنـ فـيـ مـكـةـ⁽³⁾.

وـكـانـ عـلـىـ فـيـ أـشـاءـ هـجـرـتـهـ يـكـمـنـ بـالـنـهـارـ فـإـذـاـ جـنـ عـلـىـهـ اللـلـيلـ سـارـ حـتـىـ قـدـمـ الـمـدـيـنـةـ،ـ وـقـدـ تـقـطـرـتـ قـدـمـاهـ⁽⁴⁾ـ،ـ وـهـكـذاـ يـكـونـ عـلـىـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ،ـ قـدـ لـاقـيـ فـيـ هـجـرـتـهـ مـنـ الشـدـدـ مـاـ لـاقـيـ،ـ فـلـمـ تـكـنـ لـهـ رـاحـلـةـ يـمـتـطـيـهـاـ،ـ وـلـمـ يـسـتـطـعـ السـبـيرـ فـيـ النـهـارـ لـشـدـةـ حـرـارـةـ الشـمـسـ وـفـيـ مـشـيـ اللـلـيلـ مـاـ فـيـهـ مـنـ الـظـلـمـةـ الـمـفـجـعـةـ وـالـوـحدـةـ الـمـفـزـعـةـ،ـ وـلـوـ أـضـفـنـاـ إـلـىـ ذـلـكـ أـنـهــ رـضـيـ اللـهـ عـنـهــ قـدـ قـطـعـ الـطـرـيقـ عـلـىـ قـدـمـيـهـ دـوـنـ أـنـ يـكـونـ مـعـهـ رـفـيقـ يـؤـنـسـهـ،ـ لـعـمـنـ مـقـدـارـ مـاـ تـحـمـلـهـ مـنـ فـسـوـةـ الـطـرـيقـ وـوـعـثـاءـ السـفـرـ اـبـتـغـاءـ مـرـضـاـهـ اللـهــ عـزـ وـجـلــ وـأـنـهـ فـيـ نـهاـيةـ الـمـطـافـ سـيـلـحـقـ بـرـسـولـ اللهـ ×ـ،ـ وـيـسـتـمـتـعـ بـجـوارـهـ أـمـدـاـ مـطـمـنـدـاـ فـيـ الـمـدـيـنـةـ،ـ وـلـمـ يـكـدـ عـلـىـ يـقـطـعـ الـطـرـيقـ وـيـصـلـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ حـتـىـ نـزـلـ فـيـ بـنـيـ عـمـرـوـ بـنـ عـوـفـ عـلـىـ كـلـثـومـ بـنـ الـهـدـمـ،ـ حـيـثـ كـانـ يـنـزـلـ رـسـولـ اللهـ ×ـ⁽⁵⁾ـ،ـ وـهـكـذاـ كـانـتـ هـجـرـةـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ عـلـىـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهــ تـضـحـيـةـ وـفـدـاءـ وـتـحـمـلاـ وـشـجـاعـةـ وـإـدـاماـ.

وـقـدـ لـاحـظـ سـيـدـنـاـ عـلـىـ مـدـدـ إـقـامـتـهـ بـقـبـاءـ اـمـرـأـ مـسـلـمـةـ لـاـ زـوـجـ لـهـ،ـ وـرـأـيـ إـنـسانـاـ يـأـتـيـهـ مـنـ جـوـفـ اللـلـيلـ،ـ فـيـضـرـبـ عـلـيـهـ بـابـهـ،ـ فـتـخـرـجـ إـلـيـهـ،ـ فـيـعـطـيـهـ شـيـئـاـ مـعـهـ،ـ فـتـأـخـدـهـ،ـ وـلـنـسـتـمـعـ إـلـيـهـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ وـهـوـ يـحـدـثـنـاـ بـالـقـصـةـ حـيـثـ قـالـ:ـ فـاسـتـرـبـتـ بـشـأـنـهـ،ـ فـقـلـتـ لـهـ:ـ يـاـ أـمـةـ اللـهـ،ـ مـنـ هـذـاـ ذـيـ يـضـرـبـ عـلـيـكـ بـاـبـكـ كـلـ لـيـلـ فـتـخـرـجـيـنـ إـلـيـهـ،ـ فـيـعـطـيـكـ شـيـئـاـ لـاـ أـدـرـيـ مـاـ هـوـ؟ـ وـأـنـتـ اـمـرـأـ مـسـلـمـةـ،ـ لـاـ زـوـجـ لـكـ؟ـ قـالـتـ:ـ هـذـاـ سـهـلـ بـنـ حـنـيفـ بـنـ وـهـبـ،ـ قـدـ عـرـفـ أـنـيـ اـمـرـأـ لـاـ أـحـدـ لـيـ،ـ فـإـذـاـ أـمـسـىـ عـدـاـ عـلـىـ أـوـثـانـ قـوـمـهـ فـكـسـرـهـاـ،ـ ثـمـ جـاءـنـيـ بـهـاـ فـقـالـ:ـ اـحـتـطـبـيـ بـهـذـاـ،ـ فـكـانـ عـلـىـ رـضـيـ اللـهـ يـؤـثـرـ ذـلـكـ مـنـ اـمـرـ سـهـلـ بـنـ حـنـيفـ حـتـىـ هـلـكـ عـنـدـهـ بـالـعـرـاقـ⁽⁶⁾ـ.ـ وـنـلـاـ حـظـ صـفـةـ الـنـبـاـهـةـ وـالـيـقـظـةـ الـتـيـ لـاـ بـدـ لـلـمـسـلـمـ أـنـ يـتـحـلـيـ بـهـاـ وـلـاـ يـكـونـ غـافـلـاـ عـمـاـ يـدـورـ حـوـلـهـ

(1) المصدر السابق نفسه: ص(426).

(2) تاريخ الطبرى (374/2).

(3) تاريخ الطبرى (382/2)، البداية والنهاية (335/7)، جولة تاريخية: ص(424).

(4) الكامل (106/2).

(5) الطفقات الكبرى (22/3)، السيرة لابن هشام (129/2)، ذكره ابن إسحاق بدون إسناده جولة تاريخية: ص(425).

(6) محمد رسول الله، صادق عرجون (421/2).

المبحث الثالث

معايشة أمير المؤمنين على القرآن الكريم

وأثرها عليه في حياته

أولاً: تصوره عن الله والكون والحياة والجنة والقضاء والقدر:

كان المنهج التربوي الذي تربى عليه على بن أبي طالب رضي الله عنه هو نفسه الذي خضع له كل الخلفاء الراشدين، والصحابية الكرام، فقد تربوا على القرآن الكريم، وكان المربي سيد الخلق أجمعين محمدًا ×، فقد حرص الحبيب المصطفى على توحيد مصد ر الثقى وتقدره، وأن يكون القرآن الكريم وحده هو المنهج، مع ما يوحى إليه المولى عز وجل من الحكمة، ولقد تربى الفرد المسلم، والأسرة المسلمة، والجماعة المسلمة على اعقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق التي جاءت في كتاب الله وسنته رسوله ×، ولقد كانت لآيات الكريمة التي سمعها على من رسول الله مباشرةً أثرها في صياغة شخصيته الإسلامية، فقد ظهرت قلبها، وزكت نفسه، ونورت عقلها، وتفاعل معها روحه، فتحول إلى إنسان جديد بقيمه ومشاعره وأهدافه وسلوكه وتعلّماته⁽¹⁾.

فقد عرف على رضي الله عنه من خلال القرآن الكريم والتربية النبوية الرشدة من هو الإله الذي يجب أن يعبد، وكان النبي × يغرس في نفسه معاني تلك الآيات العظيمة، فقد حرص × أن يربى أصحابه على التصور الصحيح عن ربهم وعن حقه عليهم، مدرّكاً أن هذا التصور سيورث التصديق واليقين عندما تصفى النفوس، وتستقيم الفطرة، فأصبحت نظره على رضي الله عنه إلى الله والكون والحياة والنار، والقضاء والقدر، وحقة الإنسان، وصراعه مع الشيطان مستمدة من القرآن الكريم وهدى النبي ×.

فإله سبحانه وتعالى منزه عن النقصان، موصوف بالكلمات التي لا تنتهي، فهو « واحد لا شريك له ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً».

وأنه سبحانه خالق كل شيءٍ ومالكه ومدبره: + إنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سَتَةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي الْلَّيْلَ الْمَهَارَ يَطْهُبُهُ حَثَيْثَا وَالشَّمْسَ وَالْأَقْمَرَ وَالْجِنُومَ مُسْخَرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ " [الأعراف: 54].

وأنه تعالى مصدر كل نعمة في هذا الوجود، دقت أو عظمت، ظهرت أو خفيت، + ما يَكُمْ مَنْ نَعْمَمَهُ فَمَنْ اللَّهُ ثُمَّ إِذَا مَسَكْمُ الصَّرْفَ إِلَيْهِ تَجَأْرُونَ " [النَّدَاء: 53].

وأن علمه محيط بكل شيء، فلا تخفي عليه خافية في الأرض ولا في السماء، ولا مَا يخفى الإنسان وما يعلن، وأنه سبحانه يقيّد على الإنسان أعماله بواسطة ملائكته، في كذا لا يترك كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها، وسينشر ذلك في اللحظة المناسبة والوقت المناسب + مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدِيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ " [اق: 18].

وأنه سبحانه بيّن عباده بأمور تختلف ما يحبون وما يهبون ليعرف الناس معادنهم، ومن منهم يرضي بقضاء الله وقدره، ويسلم له ظاهرًا وباطنًا، فيكون جديراً بالخلافة والإمامية والسيادة، ومن منهم يغضب ويسلط فلا يساوي شيئاً، ولا يُسند إليه شيء + إلَّا لَهُ خَلْقُ الْأَمْوَاتِ وَالْحَيَاةِ لَيَبْدُو كُمْ أَيُّكُمْ أَحَسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْأَعْزَى إِلَّا لَغَفُورٌ " [المالك: 2].

(1) السيرة النبوية للصلابي (145/1).

وأنه سبحانه يوفق ويؤيد وينصر من لجأ إليه ولاذ بحماه ونزل على حكمة في كل ما يأتي وما يذر: +إنْ لَهُ لَبِيَةً إِنَّ اللَّهَ الْأَذْيَ نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّ الصَّالِحِينَ [الأعراف: 196]، وأنه سبحانه وتعالى حقه على العياد أن يعبدوه ويعبدوه ولا يشركوا به شيئاً +بَلَّ اللَّهُ فَمَا عَبَدُ وَكَنْ مَنِ الشَّكَارِينَ [ال Zimmerman: 66].

وأنه وحده المستحق للعبادة وهذا حق الله على العباد، كما قال تعالى: + إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا [النساء: 48].

وأنه سبحانه حدد مضمون هذه العبودية، وهذا التوحيد في القرآن الكريم^(١).

وأما نظرته للكون فقد استمدنا من قول الله تعالى: +قُلْ أَئِذْكُمْ لَتَكُفُّرُونَ يَا إِلَهُ ذِي خَلْقِ الْأَرْضِ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذُكْرَ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَجَعْلُ فِيهَا رَوْاسِيَّ مِنْ فَوْقِهَا وَبِارْكَ فِيهَا وَقَدَرَ فِيهَا أَفْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٌ لِسَائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ادْتِبِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْدُنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنْ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَاهَا سَمَاءَ الدِّينِ بِمَصَابِيحٍ وَحَفَظَاهَا ذُكْرَ تَقْدِيرِ الْعَزِيزِ بِالْعَدْيَةِ" افصان١: 9-

[12]

وأما هذه الحياة فمهمها طالت فهي إلى زوال، وأن مداعها مهما عظم فإنه قليل حقير، قال تعالى: +اضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٌ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَإِذْ خَتَّلَتْ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذَرُّوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّفْتَدِرًا الْمَالُ وَالْبَدْنُونُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاهِثَاتُ إِلَى صَالِحَاتٍ خَيْرٍ عِنْدَ رَبِّكَ ثُوا بَدًا وَخَيْرٌ أَمْلًا" [الكهف: 45، 46]، فعرف الله تعالى الإنسان المسلمحقيقة الحياة، وأنها ليست دار كرامة، وأن الآخرة خير وأبقى، وهى تهدي من تمكن حب الله ورسوله من قبله على أن يقدم رضا الله ورسوله على ما سواه، ولو كان الثمن الدنيا وما فيها. وقد عبر عن هذه الحقيقة أمير المؤمنين على عندما قال: «يا دنيا غُرّى غيري، إلى تعرست أم إلى تشوقت، هيئات هيئات، قد باينتك ثلاثة لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك قليل، أه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطري

وأما نظرته إلى الجنة فقد استمدنا من خلال الآيات الكريمة التي وصفتها فأصبح حـ
الـهـ مـنـ قـالـ اللهـ فـيـهـ + تـدـحـافـ بـيـ جـنـوـبـهـمـ عـنـ الـمـضـاجـعـ يـدـعـونـ رـبـهـمـ خـ
فـاـ وـطـمـعـاـ وـمـمـاـرـزـقـنـاهـمـ يـدـفـقـونـ فـلـاـ تـعـلـمـ نـفـسـ مـاـ أـخـفـيـ لـهـمـ مـ
نـ قـرـةـ أـعـيـنـ جـزـاءـ يـمـاـكـانـواـ يـعـمـلـونـ" [السجدة: 16، 17].

وأما تصوره للنار فقد استمد من القرآن الكريم، فأصبح هذا التصور رادعاً له في حياته عن أي انحراف عن شريعة الله، فيرى المتنبي سيرة أمير المؤمنين على رضي الله عنه عميق استيعابه لفقه القدوم على الله عز وجل، وشده خوفه من عذاب الله وعقابه، وسيتصحّر كثير من هذه المعلمات في هذا الكتاب ياذن الله تعالى.

وأما مفهوم القضاء والقدر فقد استمد من كتاب الله وتعليم رسول الله ﷺ، فقد رسم مفهوم القضاء والقدر في قوله، واستوعب مراتبه من كتاب الله تعالى، فكان على يقين بأ

(١) منهاج الرسول في غرس الروح الجهادية: (١٦-١٠).

الاستيعاب (2) {1108/3}

ن علم الله محيط بكل شيء + وما تكُونُ فِي شَمَانٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ
وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كَذَنَاعَدِيْكُمْ شَهِودًا إِذْ تَفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يُ
عُزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مَتَّقَالَ ذَرَةً فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرُ
مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مَبِينٍ" [يونس: 61]، وأن الله قد كتب كل شيء
كائن + إِنَّا نَحْنُ نَذِيْقُ الْمُؤْمِنَوْنَ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَاتَّهَارُهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ عَ
أَحْدَصِيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مَبِينٍ" [يس: 12].

وأن مشيئة الله نافذة وقدرتها تامة + وما كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي الدُّ
سَمَاءِ وَالْأَرْضِ إِذْ كَانَ عَلَيْهِمَا قَدِيرًا" [إاطر: 44]، وأن الله خالق كـ
لـ شيء + ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالقُ كُلُّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ
وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكَيْلٍ" [الأنعم: 102].

وقد ترتب على الفهم الصحيح والاعتقاد الراسخ في قلبه لحقيقة القضاء والقدر، ثما
ر نافعة ومفيدة، ظهرت في حياته، وسنراها بإذن الله تعالى في هذا الكتاب، وعرف من
خلال القرآن الكريم حقيقة نفسه وبني الإنسان، وأن حقيقة الإنسان ترجع إلى أصلين: الأـ
صل البعيد وهو الخلقة الأولى من طين، حين سواه ونفخ فيه الروح، والأصل القريب وـ
هو خلقه من نطفة (١)، فقال تعالى: +الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ
قِ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ ذَسْلَاهُ مِنْ سُلَالَةِ مِنْ مَاءٍ مَهْيَنٍ ثُمَّ
سَوَاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمَعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئَدَةَ فَ
لِيَلَا مَا تَشْكُرُونَ" [السجدة: 7-9]، وعرف أن هذا الإنسان خلقه الله بيده، وأكرمه بالـ
صورة الحسنة والقامة المعتدلة، ومنحه العقل والنطق والتمييز، وسخر الله له ما في السـ
ماء والأرض، وفضلته على كثير من خلقه، وكرمه بإرسال الرسل له، وأن من أروع مـ
ظاهر تكريم المولى عز وجل سبحانه للإنسان أن جعله أهلاً لحبه ورضائه و يكون ذلك
باتباع النبي × الذي دعا الناس إلى الإسلام لكي يحيوا حياة طيبة في الدنيا ويظفروا بالنـ
عيم المقيم في الآخرة، قال تعالى: +مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَذْكَرَ وَهُوَ
مَوْمِنٌ فَلَذُّهُ يُبَيِّنَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَذْجُرَيْنَهُمْ أَجْرٌ هُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ" [النحل: 97].

وعرف أمير المؤمنين على رضي الله عنه حقيقة الصراع بين الإنسان والشيطان،
وأن هذا العدو يأتي للإنسان من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماليه، يوسوس له
بالمعصية، يستثير فيه كوامن الشهوات، فكان مستعيناً بالله على عدوه إبليس منتصراً عـ
ليه في حياته، كما سنرى في سيرته، وتعلم من قصة آدم مع الشيطان في القرآن الكريم،
أن آدم هو أصل البشر، وأن جوهر الإسلام الطاعة المطلقة لله، وأن الإنسان له قابلية للـ
قوع في الخطيئة، وتعلم من خطيئة آدم ضرورة توكل المسلم على ربـه، وأهمية التوبة وـ
لاستغفار في حياة المؤمن، وضرورة الاحتراز من الحسد والكثير وتقديم مرضاة الله سبحانه
إنه وتعالى على كل ما سواه، وأهمية التخاطب بأحسن الكلام مع إخوانه من الصحابة، فـ
الله تعالى: +وَقُلْ لَعْبَادِي يَقُولُوا إِنَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَعُ بَيْنَ
هُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِإِنْسَانٍ عَدُوًّا مُبِينًا" [الإسراء: 53]. وسار على منهـج
رسول الله في تزكية أصحابه لأرواحهم، وتطهير قلوبهم بأنواع العبادات، وتربيتهم على
التخلق بأخلاق القرآن الكريم.

ثانيةً: مكانة القرآن الكريم عنده:

عاش أمير المؤمنين على رضي الله عنه حياته مع القرآن تلاوة وحفظاً وفهمـاً وعملـاً

، وكان يقول: «من قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو من كان يتخذ آيات الله هزوًّا»⁽¹⁾ و كان يقول: «طوبى لهؤلاء كانوا أحب الناس إلى رسول الله»⁽²⁾ ، وكان يقول: «ما كنت أرى أحدًا يعقل ينام قبل أن يقرأ الآيات الثلاث الأخيرة من سورة البقرة»⁽³⁾ ، أي أهل القرآن وقال يصف القرآن الكريم ويبين عظيم قدره: «كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم مما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قسمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلله الله، وهو الحبل المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسن، ولا تقتضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقى به»⁽⁴⁾.

ولشدة اهتمام أمير المؤمنين على بالقرآن حصل على علم كبير به وبعلومه، فقد روى عنه أنه قال: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت، وعلى من نزلت، إن ربي وهب لي قلبًا عقولًا ولسانًا صادقًا ناطقاً»⁽⁵⁾ ، وقد قال رضي الله عنه: «سلوني عن كتاب الله، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم نهار، وفي سهل أم في جبل»⁽⁶⁾ ، ويرى ابن عبد البر أن على رضي الله عنه كان منمن جمع القرآن الكريم على عهد رسول الله وهو حي⁽⁷⁾ ، وقد قال في آخر عهده: «سلوني قبل أن تقدوني»⁽⁸⁾ . وكان ذلك عندما مات أكثر علماء الصحابة، وكان رضي الله عنه بالعراق، فكان من حرصه على تعليم الناس القرآن الكريم والهدى النبوى الشريف في قوم كثُرَّ فيهم الجهل ولا يعرفون الكثير من أحكام الدين، فكان رضي الله عنه يحرص على تعليمهم وإرشادهم للاحق، فقد كان أعلم أهل زمانه، وهذا نموذج للعلم الرباني الذي يحرص على تعليم الناس الخير وتربيتهم عليه.

ثالثًا: ما نزل فيه من القرآن الكريم:

كان القرآن الكريم ينزل على رسول الله يعالج أحداثًا واقعية حصلت في المجتمع النبوي الكريم، فيتشتت على عمل ما، ويُشيد بأقوام، ويحذر من آخرين، وينبه على بعض الأخطاء، وقد نزلت بعض الآيات التي خلدت بعض المآثر لأمير المؤمنين وبعض الصدابة رضي الله عنهم أجمعين.

1- منها قول تعالى: +هَذَا نَحْصُمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَلَمَّا دَنَ كَفَرُوا قَطَعُتْ لَهُمْ شَيَابٌ مِّنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الدَّمَمِ يُصَبُّ مِنْ بَهْرٍ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجَلُودُ وَلَهُمْ مَقْنَاعٌ مِّنْ حَدِيدٍ كُلُّمَا أَرَادُوا نَيْخُرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمْ أَعْيَدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرَقِ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَدَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤًا وَلَبَاسُهُمْ فِيهَا حَرَير" [الحج: 19-23].

روى البخاري بسنده عن على بن أبي طالب أنه قال: «أنا أول من يجتو بین يدى الـ رـحـمـنـ لـخـصـومـةـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ»، وقال قيس بن عبادة: فيهم نزلت +هـذـاـ نـحـصـمـانـ اـ

(1) المستطرف (29/1)، فرائد الكلام: ص(375)

(2) التبيان في أداب حملة القرآن: ص(46)، فرائد الكلام: ص(390)

(3) التبيان في أداب حملة القرآن: ص(66)، فرائد الكلام: ص(387)

(4) فضائل القرآن لابن كثير: ص (15) موقف على أمير المؤمنين على.

(5) الطبقات لابن سعد (338/2)، تاريخ الخلفاء للسيوطى: ص(152).

(6) الصواعق المحرقة (375/2)، الطبقات (338/2).

(7) الاستيعاب (1130/3) وجمع القرآن الكريم أي حفظه عن ظهر قلب.

(8) منهاج السنة (58)، (57/8).

خَتَّاصَمُوا فِي رَبِّهِمْ "قال: هم الذين تبارزا يوم بدر، حمزة وعلى وأبو عبيدة بن الحارث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة⁽¹⁾.

2- وهو أحد من نزل فيهم قول الله تعالى: + فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْ أَدْعُ أَبْنَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ وَذَرْأَءَكُمْ وَأَذْفَسَهُمْ وَأَنْقُسَهُمْ ثُمَّ نَبْتَهُمْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ " [آل عمران: 61]. وذلك في وفدي نجران حينما جادلهم النبي × في عيسى ابن مريم، وأنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى أمه الطاهرة، فأجابته، وكذبهم في أنه الله أو ابن الله أو ثلاثة، ودعاهم إلى الإسلام، فأبواها فدعاهم إلى المباهلة، فعن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: ولما نزلت: + فَقُلْ تَعَالَوْ أَدْعُ أَبْنَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ " دعا رسول الله عليهما، وفاطمة، وحسيناً رضي الله عنهم فقال: اللهم هولاء أهلي⁽²⁾.

3- موافقة القرآن له في كون الجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام: ففي الصحيح أن رجلاً قال: لا أبالي ألا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام، فقال على بن أبي طالب: «الجهاد في سبيل الله أفضل من هذا كله»، فقال عمر بن الخطاب «لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ×، ولكن إذا قضيت الصلاة سأله عن ذلك، فسألته، فأنزل الله هذه الآية: + أَجَعَلْتُمْ سَقَایَةَ الْحَاجِ وَعَمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمْنَ يَأْمُنُ اللَّهُ وَالْيَوْمُ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتُوْنَ عَنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهُدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَأْمُنُ وَاللَّهُمْ وَأَنْقُسْهُمْ أَعْظَمُ دُرْجَةً عَنْدَ اللَّهِ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْفَارِزُونَ يَبْشِرُهُمْ رَبِّهِمْ بِرَحْمَةِ مَنْهُ وَرَضُوْنَ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مَقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبْدَأَ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ" [التوبه: 19-22]. وبين لهم أن الإيمان والجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام والحج والعطوف ومن الإحسان إلى الحجاج⁽³⁾.

4- شفنته على أمة محمد ×: عن على رضي الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية: + يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ذَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً" [المجادلة: 12] قال النبي × على: مرحهم أن يتصدقوا، قال: يا رسول الله، بكم؟ قال: بدينار، قال: لا يطيقونه. قال: بنصف دينار. قال: لا يطيقونه، قال: فبكم؟ قال: بشعرير⁽⁴⁾، قال: فقال النبي × على: إنك لزهيد، قال: فأنزل الله: + أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقْبِلُمُوا لِصَلَاةٍ وَأَتُؤْلِمُوا الزَّكَاءَ" [المجادلة: 12]. قال: فكان على يقول: فبي خفف الله عن هذه الأمة⁽⁵⁾.

رابعاً: تبليغه تفسير رسول الله لبعض آيات القرآن الكريم:
استقاد على رضي الله عنه من تفسير رسول الله ×، وبلغ ما تعلم من رسول الله لنا س وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

(أ) قوله تعالى: + وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَذَكْمُ تُكَذِّبُونَ" [الواقعة: 82]: عن على رضي الله عنه عن النبي × قال: + وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَذَكْمُ تُكَذِّبُونَ" قال:

(1) البخاري رقم (3965).

(2) مسلم (1871/4)، 425.

(3) الفتاوى (166/8).

(4) يشيعه: وزن شعيرة من ذهب.

(5) رواه الترمذى رقم 3297 وقول: حسن غريب وضعفه الألبانى فى ضعيف موارد الظمان إلى زواذ د ابن حبان: ص (128)، 127.

شكراكم انكم تكذبون، مُطْرِنَا بَنُوءَ كَذَا وَكَذَا، بَنْجَمَ كَذَا وَكَذَا⁽¹⁾.

(ب) فكل ميسر لما خلق له: عن على - رضي الله عنه - قال: كنا في جنازة في بقعة الأرض، فلما رأى رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخرفة فنكش فجعل ينكت بمخرفته، ثم قال: «ما منكم من أحد، من نفس منفوسه إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، إلا وقد كتبت شقيّة أو سعيدة»، فقال رجل: يا رسول الله، أفلان نتكل على كتابنا وندع العمل، من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، فقل: «اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فسيصرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فسيصرون إلى عمل أهل الشقاوة»، ثم قرأ +فَامَّا مَنْ اَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَدَّيْسَرُهُ لِلْيُسْرَى وَامَّا مَنْ بَخْلَ وَاسْتَعْذَنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَدَّيْسَرُهُ لِلْعُسْرَى»⁽²⁾: [الليل: 5-10]، وفي رواية: أفلان نتكل على كتابنا وندع العمل؟ فمن كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة⁽³⁾.

وفي رواية في الصحيحين عن على قال: كان رسول الله ﷺ ذات يوم وفي يده عود ينكت به فرفع رأسه فقال: «ما منكم من نفس إلا وقد علم منها من الجنة والنار» فقال: يا رسول الله فلم نعمل؟ أو لا نتكل؟، فقال: لا، اعملوا، فكل ميسر لما خلق له ثم قرأ: +فَامَّا مَنْ اَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَدَّيْسَرُهُ لِلْيُسْرَى وَامَّا مَنْ بَخْلَ وَاسْتَعْذَنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَدَّيْسَرُهُ لِلْعُسْرَى»⁽⁴⁾ [الليل: 5-10]. فقد أخبر النبي ﷺ في هذه الأحاديث وغيرها بما دل عليه القرآن الكريم من أن الله - سبحانه وتعالى - تقدم علمه وكتابه وقضاءه بما سيصير إليه العباد من السعادة والشقاوة كما تقدم علمه وكتابه بغير ذلك من أحوال العباد وغيرهم⁽⁵⁾، قد بين النبي ﷺ أن ذلك لا ينافي وجود الأعمال التي بها تكون السعادة أو الشقاوة، وأن من كان من أهل السعادة فإنه ييسر لعمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فإنه ييسر لعمل أهل الشقاوة، وقد نهي أن يتكل الإنسان على القدر السابق ويدع العمل، ولهذا كان من أدى كل على القدر السابق وترك ما أمر به من الأعمال هو من الأئمرين أعمالاً، الذين ضدّل سعيهم في الحياة الدنيا، وكان تركهم لما يجب عليهم من العمل من جملة المقدور الذي يسروا به لعمل أهل الشقاوة، فإن أهل السعادة هم الذين يعملون المأمور ويتركون المحظوظ، فمن ترك العمل الواجب الذي أمر به وفعل المحظوظ متلاً على القدر، كان من جملة أهل الشقاوة والميسرين لعمل أهل الشقاوة، وهذا الجواب الذي أجاب به النبي ﷺ وتعالى له على بن أبي طالب رضي الله عنه وأصحاب النبي في غاية السداد والاستقامة⁽⁶⁾.

خامسًا: الأصول والأسس التي سار عليها أمير المؤمنين على في استبطاط الأحكام من القرآن الكريم وفهم معانيه:

كان أمير المؤمنين على رضي الله عنه على مبلغ كبير من العلم بالقرآن وعلومه، وقد جعله هذا العلم بالقرآن يعتقد أن القرآن فيه جميع الأحكام الشرعية إما صراحة أو ضمناً، فكان يقول بصدق ذلك: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ نَسِيًّا»⁽⁷⁾، ولذلك كان كثيراً ما يحتاج بالقرآن ويتلو الآية التي يستند إليها لبيان الحكم الشرعي وكانت طريقته في الاستبطاط كالآتي:

(1) الموسوعة الحديثة رقم 849 حسن لغيره.

(2) البخاري رقم (1362).

(3) البخاري رقم (6605).

(4) البخاري رقم (6605)، الفتاوى (165/8).

(5) الفتاوى (166/8).

(6) مصنف عبد الرزاق (1744).

(7) المصدر السابق (1744).

1- الالتزام بظاهر القرآن الكريم: كان أمير المؤمنين على رضي الله عنه يلتزم أحيا ذمّاً بظاهر القرآن الكريم حين لا يرى قرينة تقضي صرفه عن ظاهره، فإنه كان يتوضأ لكل صلاة ويقرأ هذه الآية: **+يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قَمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ...**⁽¹⁾ [المائدة:6]; لأن ظاهرها يدل على الوضوء عند إرادة الصلاة كل مرة، وأوجب الصوم على المقيم إذا أدركه الصوم ثم سافر، فقال: من أدركه الصوم وهو مقيم ثم سافر لزمه الصوم؛ لأن الله تعالى قال: **+فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمِّمْهُ** [البقرة:185]⁽²⁾، ورأى عدم تحريم إرضاع الكبير؛ لأنه ليس ضمن حولي الرضاعة استناداً إلى ظاهر آية الرضاعة، حيث روى عنه أنه قال في قوله تعالى: **+وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتَمَّ الرَّضَاعَةُ** [البقرة: 233]، الرضاعة سنتان فما كان من رضاع في الحولين حرم، وما كان بعد الحولي فلا يحرم⁽³⁾، وحمل القرآن الكريم على ظاهره في مكان آخر حيث حكم ببراءة امرأة اتهمت بالزناء لأنها ولدت بعد ستة أشهر من زواجهما، فجمع بين قوله تعالى: **+وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ** [البقرة:233] وقوله تعالى: **+ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ تَلَاثُونَ شَهْرٍ أَ** [الأحقاف:15]. فقال: الحمل ستة أشهر والفصل أربعة وعشرون شهر⁽⁴⁾، أي أنه طرح مدة الرضاعة وهي السنتان من مجموع مدة الرضاعة والحمل وهي ثلاثة شهراً فبقيت ستة أشهر، فجمع بين ظاهر كلتا الآيتين وحكم بهما⁽⁵⁾.

2- حمل المجمل على المفسر: المجمل هو ما خفي مراده بحيث لا يدرك إلا ببيان يرجى⁽⁶⁾، والمفسر: هو ما ظهر المراد منه دون الحاجة إلى بيان⁽⁷⁾ وقد حمل مجمل القرآن في قوله تعالى: **+هَذِهِ يَا بَالَّغُ الْكَعْبَةُ** [المائدة:95] على مفسره في مواضع أخرى، حيث ورد أنه سأله رجل علياً عن الهدي ما هو؟ فقال: من الثمانية أزواجاً، فكان الرجل شك، فقال له على: أقرأ القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل سمعت قول الله تعالى: **+يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُهُودِ وَلَا تُؤْخِذُنَّ لَكُمْ بِمِهْمَةِ الْأَذْعَامِ** [المائدة:1] قال: نعم، قال: فهل سمعته يقول: **+وَمِنَ الْأَذْعَامِ حَمْوَلَةٌ وَفَرْشًا كَلْوَا مَمَّا رَزَقْنَاكُمْ** [الحج:34] قال: فسمعت الله يقول: **+مِنَ الصَّدَّانِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ** قال: ألا لذكرهن حرام أم الأذنيين، أما اشتتملت عليه أرحاماً الأذنيين نبذل وذربي بعلمه إن كنتم صادقين **+وَمِنَ الْإِبْلِ اثْنَيْنِ** [الأذاعم: 143] قال: نعم، فهل سمعت الله يقول: **+يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَدْتُمْ حَرَمَ** [إلى قوله تعالى: **+هَذِهِ يَا بَالَّغُ الْكَعْبَةُ**] [المائدة:95]. فقال: الرجل: نعم، قال: فلتظيباً فماذا على؟ قال: هدياً بالغ الكعبة⁽⁸⁾.

3- حمل المطلق على المقيد في القرآن الكريم: المطلق: هو ما دل على الماهية بلا قيد، والمقيد هو ما قيد لفظاً بأي قيد⁽⁹⁾، ولقد حمل أمير المؤمنين على مطلق القرآن على مقidine في استنباط الحكم، إذ حمل مطلق الأمر بالقطع في آية السرقة على مقidine في آية الـ

(1) تفسير القرطبي (80/2).

(2) فقه الإمام على (45/1).

(3) المجموع للنووي (213/8).

(4) مصنف عبد الرزاق (12443)، فقه الإمام على (41/1).

(5) فقه الإمام على (46/1).

(6) مرأة الأصول في شرح مرقة الوصول: ص(197).

(7) المصدر نفسه: ص(191).

(8) الدار المنثور (13/3).

(9) جمع الجواجم بشرح المحتوى (79/2)، فقه الإمام على (47/1).

محاربة بعدم القطع إلا مرتين، وعدم قطع أكثر من يد ورجل عند تكرار السرقة، فإذا سرق مرة قطعت يده اليمنى، وإذا سرق قطعت رجله اليسرى عند على، فإن زاد سرق مرة ثلاثة ورابعة لم يزد على ذلك، ويعزره بدل القطع لأنّه حمل قوله تعالى:

+السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطُعُوا أَيْدِيهِمَا [المائدة: 38] على آية المحاربة + اذْمَأْ جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادُوا أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُصْلَبُوا أَوْ تُقْطَعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلَافٍ [المائدة: 33]. وقال: إن الله لم يزد على قطع يد ورجل في آية المحاربة، ولذلك كان يعاقب مثل هذابالسجن⁽¹⁾. فعن الشعبي قال: كان على لا يقطع إلا اليد والرجل، وإن سرق بعد ذلك سجن ونكل، وإن كان يقول: إني لاستحيي من الله أن لا أدع له يداً يأكل بها ويستجي⁽²⁾.

4- العلم بالناسخ والمنسوخ: النسخ، هو رفع الحكم الشرعي بخطاب متاخر⁽³⁾، ويقول الزركشي: قال الأئمة: ولا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ⁽⁴⁾، وعلى هذا المعنى يؤكد أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه، وذلك عندما عاتب قاصداً بقوله: أتعرف الناسخ والمنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت⁽⁵⁾.

5- النظر في لغة العرب: ومن منهج أمير المؤمنين على في فهم القرآن الكريم النظر في لغة العرب، كما فهم من قوله تعالى: +وَالْمُطَّلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةٌ قَرْوَعٌ [البقرة: 228] أن المراد بالأقراء الحيض، فلا تقضي العدة حتى تظهر من الحيضة الثالثة⁽⁶⁾، لذا قال على رضي الله عنه عن المطلقة: لا تحل لزوجها الرجعة عليه حتى تعفن من الحيضة الثالثة⁽⁷⁾ والقروء في كلام العرب جمع قراء، وهو الحيض، والقراء أيضاً الطهر، وأقرأت المرأة: حاضت، وأقرأت: أطهّرت⁽⁸⁾.

ومن ذلك فهمه رضي الله عنه من قوله تعالى: +أَوْ لَا مَسْتُدُّمُ الدَّسَاءَ [النساء: 43]، اللمس هو الجماع فقد قال: اللمس هو الجماع، ولكن الله كني عنه⁽⁹⁾، وحمل الناس ا لميس في قوله تعالى: +وَإِنْ طَلَّقْمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقُدْ فَرَضَتْ مِنْهُنَّ فَرِيشَةً [البقرة: 237] على الخلوة، فقال: المراد باللمس هنا الخلوة⁽¹⁰⁾، فأوجّب الصداق كله بالخلوة⁽¹¹⁾ وقد قال: إذا أرخي سترًا على امرأته وأغلق باباً وجب الصداق والعدة⁽¹²⁾.

6- فهم النص بنص آخر: ومن ذلك ما فهمه أمير المؤمنين على رضي الله عنه من قوله: +وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِذِكَارِيَنَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا [النساء: 141] أن ذلك يكون يوم القيمة، اعتماداً على قوله سبحانه وتعالى: +فَإِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بِيَنْدِكُمْ يَوْمَ

(1) فقه الإمام على (47/1)، مصنف عبد الرزاق 21874.

(2) مصنف عبد الرزاق 18764، فقه الإمام على (818/2).

(3) فقه الإمام على (48/1).

(4) البرهان في علوم القرآن (29/2).

(5) أبو خيمية، كـ العلم ص(31) تحقيق الألباني وقال: إسناده صحيح.

(6) تفسير ابن كثير (271/1).

(7) الدر المنور (234/1).

(8) الصحاح للجوهري (64/1) مادة (قرآن).

(9) فقه الإمام على (48/1)، الفصول في الأصول للجصاص (203/1).

(10) الفصول في الأصول (202/1).

(11) فقه الإمام على (48/1) أي خلوة الرجل بزوجته.

(12) مصنف بن أبي شيبة (334/4)، فقه الإمام على (531/2).

الْقِيَامَةُ [النساء: 141]. وذلك لما جاءه رجل يسأله كيف هذه الآية+لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِمَذْكُورِينَ عَلَى الدُّمُوْرِ مِنْدِيْنَ سَبِيلَا" فقال على رضي الله عنه: ادنه، فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا⁽¹⁾، ومنه ما فهمه من قوله تعالى: +وَالسَّاقِفُ الْمَرْفُوعُ" [الطور: 5] بأنه السماء لما رواه ابن جرير وذكره ابن كثيرون عن على +وَالسَّاقِفُ الْمَرْفُوعُ" يعني السماء. قال سفيان: ثم تلا+. وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَاقِفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنِ اِيمَانِهِمَا مُعَرِّضُونَ" [الأنياء: 32].

ومن ذلك أيضاً ما فهمه من قوله تعالى: +حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَوةِ الْوُسْطَى وَقَوْمُوا اللَّهَ قَانِتِينَ" [البقرة: 238]، أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، معتمداً في ذلك على نص من حديث رسول الله × يوم الأحزاب: «شاغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملا الله بيته وقبورهم ناراً»⁽²⁾، ومن هذا الباب أيضاً ما ورد في فهمه لقوله تعالى: +إِنَّ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تَذَهَّبُونَ عَنْهُ نَذَرْنَ عَذَمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُذَخِّلُكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا" [النساء: 31]. فعن سهل بن أبي خيثمة عن أبيه قال: إنني لفي هذا المسجد - مسجد الكوفة- وعلى رضي الله عنه يخطب الناس على المذهب يقول: يا أيها الناس، الكبائر سبع، فأصحابها ثلاثة مرات، ثم قال: لم لا تسألوني عنها؟ قالوا: يا أمير المؤمنين ما هي؟ قال: «الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله، وقدف المحسنة، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار يوم الزحف، والتعرّب⁽³⁾ بعد الهجرة»⁽⁴⁾ وهذا الفهم مبني على حديث رسول الله × الذي قال فيه: «اجتنبوا السبع لموبقات»⁽⁵⁾. قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرمت الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقدف المحدثات المؤمنات الغافلات»⁽⁶⁾، وهذا يدخل ضمن منهج أمير المؤمنين على في تفسير القرآن الكريم بالسنة.

7- السؤال عن مشكله: ومن منهج أمير المؤمنين على رضي الله عنه في فهم القرآن الكريم سؤاله عما أشكل عليه فيه، ومن ذلك سؤاله لرسول الله × عن يوم الحج الأكبر في قوله تعالى: +وَأَذْانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحِجَّةِ الْأَكْبَرِ" [التوبة: 3]. فقد قال: سألت النبي × عن يوم الحج الأكبر فقال: يوم النحر⁽⁷⁾، وبين أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه هذا المنهج فيما يرويه عن رسول الله ×، قال: قال يا رسول الله، إنا نزل بنا أمر ليس فيه بيان أمر ونهي، مما تأمرنا، قال: شاوروا الفقهاء والعبادين، ولا تمضوا فيه خاصة⁽⁸⁾.

8- العلم بمناسبة الآيات: إن العلم بالمناسبة التي نزلت فيها الآيات، والسبب الداعي لذلك؛ يفيد في إدراك معنى الآية، واستبطاط الحكم منها، لأن بيان النزول طريق قوى في فهم معاني الكتاب العزيز⁽⁹⁾، ولقد بلغ أمير المؤمنين على رضي الله عنه مبلغاً في العلم بأسباب نزول الآيات، كما يقول عن نفسه حادثاً على سؤاله عن كتاب الله: «سلوني، سلو

(1) تفسير ابن جرير، إسناده صحيح، (327/9).

(2) مسلم (437/1).

(3) أن يهاجر الرجل، حتى إذا وقع سمه في الفيء، ووجب عليه الجهاد، خلع ذلك من عنقه، فرجع أعرابياً كما كان.

(4) تفسير الطبراني (25/5).

(5) الموبقات: جمع موبقة وهي المهملة.

(6) البخاري، كتاب الوصايا رقم (2766).

(7) سنن الترمذى رقم (970) وصححه الألبانى (1/282).

(8) تاريخ خليفة بن خياط: ص(66)، منهج على بن أبي طالب في الدعوة إلى الله: ص(78).

(9) المصدر السابق: ص(79).

ني، سلوني عن كتاب الله تعالى، فوالله، ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهار⁽¹⁾ «وفي رواية: «والله ما أنزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت»⁽²⁾.

9- تخصيص العام: العام، هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بوضع واحد دفعه واحدة من غير حصر⁽³⁾، وقاعدة العموم، كل لفظ عام باق على عمومه حتى يرد التخصيص⁽⁴⁾، وقد يرد من الشارع ما يدل على قصر العام على بعض أفراده وهذا هو تخصيص العام⁽⁵⁾.

وقد ورد عن علي رضي الله عنه ما يفيد قوله بخصوص العموم، فقد سئل رضي الله عنه عن رجل له أختان وطى إداحهما ثم أراد أن يطأ الآخر قال: لا.. حتى يخرجها من ملكه⁽⁶⁾، وعن ابن الكواء سأله علياً عن الجمع بين الأختين فقال: حرمتهم آية وأحلتهما آية أخرى، ولست أفعل أنا ولا أهلي⁽⁷⁾. وقد صد أمير المؤمنين على بالآية التي حرمتها هي قوله تعالى: +وَأَنْ تَجْمِعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ+ [النساء: 23] وبالتالي أحلتها هي قوله تعالى: +إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكُتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلْوُمِينْ+ [المؤمنون: 6] فهاتان الآيتان بينهما عموم وخصوص، إذ خصص عموم التمنع بملك اليمين بخصوص عدم جواز الجمع بين الأختين⁽⁸⁾.

ومنها أنه حكم في عدة الحالات المتنوفة عنها زوجها بأن تعتد أبعد الأجلين، فقال: عندما أبعد الأجلين⁽⁹⁾، أي أنه خص عموم الآيتين +وَالذِّيْنَ يُتَوَفَّونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجَهُمْ يَتَرَبَّصُنَ بِأَنْفُسِهِنَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا+ [البقرة: 234]، وأولاً +الْأَحْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضْعَنْ حَمْلُهُنَّ+ [الطلاق: 4]، فالحامل المتوفى عنها زوجها إذا وضعت حملها قبل الأربعين الأشهر والعشرة الأيام فإنها تكمل المدة ولا تعمل بعموم الآية الثانية؛ لأن الأولى تخصصها، وإن أكملت المدة فلا تنقضي عدتها إلا بوضع الحمل؛ لأن عموم الآية الأولى مخصص بالثانية، فكل من الآيتين عام في وجهه، وخاص في وجه آخر، تخصص إداحهما الأخرى عند على، ولعله عمل بالاحتياط جمعاً بين الآيتين⁽¹⁰⁾، ولكن الرابع أن عدتها وضع الحمل في كلتا الحالتين، فقد صح عن عبد الله بن عتبة أن سبيعة بنت الحارث أخبرته أنها كانت تحت سعد بن خولة، وكان من شهد بدرًا، فتوفى عنها في حجة الوداع وهي حامل، فلم تتشبه أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل، فقال لها، مالي أراك متحملة؟ لعلك ترجين النكاح؟ إنك والله ما أنت بنكاح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشرين. قالت سبيعة: فلما قال لي ذلك جمعت على ثيابي حين أمسكت فأتيت رسول الله × فسألته عن ذلك فأفتأني بأني قد حلت حين وضعت حمي وأمرني بالتزوج إن بدا لي⁽¹¹⁾. ولعل علياً قال بذلك لعدم بلوغه حديث سبيعة وإلا فلا يخالف على الصحيح الثابت عن النبي ×⁽¹²⁾.

(1) الاصابة (50/2).

(2) الطبقات (338/2).

(3) تيسير علم أصول الفقه، عبد الله الجديع: ص (262).

(4) المصدر نفسه: ص (269).

(5) المصدر نفسه: ص (269).

(6) فقه الإمام على (560/1) (نفلاً عن مصنف ابن أبي شيبة).

(7) المصدر نفسه (560/2).

(8) الأحكام للأمدي (445/2)، روضة الناظر (129/2).

(9) الفصول في الأصول للجصاص (6). (106/6).

(10) فقه الإمام على (50/1).

(11) مسلم رقم (1484).

(12) فقه الإمام على (617/2).

10- معرفة عادات العرب ومن حولهم: وللمعرفة طبيعة وعادات العرب ومن حولهم من اليهود والنصارى وقت نزول القرآن دور كبير في فهم القرآن الكريم، وعلى رضي الله عنه عاش في ذلك الزمان، وعرف الكثير من العادات التي نهى عنها القرآن، أو تلك التي أقرها، ومن أمثلة هذا الفهم ما رواه ابن أبي حاتم: لما نافر ابن وائل أبا الفرزدق، فعقر كل واحد منهما مائة من الإبل، فخرج علىٰ على بغلة رسول الله × البيضاء وهو يذادي: «يا أيها الناس لا تأكلوا من لحومها، فإنها أهل بها لغير الله» فطعى الله عليه رضي الله عنه عرف من عادات العرب في وقته أن مثل هذه المنافة ليست لله وإنما هي للشيطان، فذلك نهى عنها مستدلاً بقوله تعالى: +**حُرِّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ**+⁽¹⁾ [المائدة: 3].

11- قوة الفهم وسعة الإدراك: وقوة الفهم وسعة الإدراك من المزايا التي امتازت بها تهربها على رضي الله عنه، والأمثلة التي تدل على هذا كثيرة جداً ذكر منها ما رواه ابن حير قال: نادي رجل من الخوارج عليه رضي الله عنه وهو في صلاة الفجر، فقال: **ولقد أُوحى لَذِكْرِ وَالذِّي الدَّيْنَ مِنْ قَبْلِكَ لَدُنْ أَشْرَكَتْ لَيَحْبَطَنَ عَمَلَكَ وَلَتَكُونُنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** [آل عمران: 65]، فأجابه على رضي الله عنه وهو في الصلاة + فاصبر إن وعد الله حق ولا يسْتَخْفَدَ الْذِينَ لَا يُوقَنُونَ [الرّوم: 60].⁽²⁾

هذه بعض الأصول والأسس التي سار عليها أمير المؤمنين على رضي الله عنه في استنباط الأحكام من القرآن الكريم وفهم معانيه، وهي ترشد محبيه وأبناء المسلمين الخلقين في كيفية التعامل مع كتاب الله سبحانه وتعالى.

سادسًا: تفسير أمير المؤمنين على بعض الآيات الكريمة:

١- الذاريات: عن الثوري عن حبيب بن أبي صابط عن أبي الطفيلي قال: سمعت أبا نعيم الكواه يسأل على بن أبي طالب عن الذاريات ذروأ قال: الرياح، وعن الحاملات وقرأ، قال: السحاب، وعن الجاريات يسرأ، قال: السفن، وعن المدبرات أمرأ قال: الملائكة^(٣)، وصححة الحاكم من وجه آخر عن أبي الطفيلي.

وقد أطنب الطبرى في تخریج طرقه إلى على (4)، وأخرجه عبد الرزاق من وجه آخر عن أبي الطفیل قال: سهـدت علـيـاً و هو يخطـب و هو يقول: سلوـني.. و سلوـني عن كـتاـب الله، فوالله ما من آية إلا و أنا أعلم أـلـيلـنـ نـزـلـتـ أـمـ بـنـهـارـ أـمـ فـيـ سـهـلـ أـمـ فـيـ جـلـ. فقال أـبـنـ الـكـواـءـ و أـنـاـ بـيـنـ عـلـيـ و بـيـنـ عـلـيـ و هو خـلـفـيـ - فقال: ما الـذـارـيـاتـ ذـرـوـاـ؟ فـذـكـرـ مـثـلـهـ و قـالـ فـيـ هـ: و بـلـكـ سـلـ تـقـمـاـ و لـاـ تـسـأـلـ تـعـنـدـاـ و فـيـهـ سـؤـالـ عـنـ أـشـيـاءـ غـيـرـ هـذاـ (5).

2- قوله تعالى: +فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّاسِ" [التكوير:15]: روی سعید بن منصور با سناد حسن عن علی قال: هن الكواكب تکنس بالليل وتخنس بالنهار فلا ترى⁽⁶⁾.

3- بكاء الأرض على العبد الصالح: قال على رضي الله عنه: إذا مات العبد الصالح بكى عليه مصاله من الأرض ومصعد عمله من السماء والأرض، ثم قرأ + فَمَا يَكَتْ

(1) تيسير أمير المؤمنين على بن أبي طالب، فهد بن عبد العزيز الفاضل، رسالة علمية جامعية لم تنشر ر (30/1).

(2) تقسيم الطير (59/21).

⁽³⁾ الخلافة الراشدة، يحيى اليحيى: ص (486).

(4) الدر المنشور (7/614)، تفسير الطبرى (26/185-188).

٥) الخلافة الراسدة، الْبَحِي: ص (٤٨٦).
٦) بُرْي (٢٣٣)، (١٣٣)، (١٣٣)، (١٣٣).

⁶ الخلافة الرشيدة، اليحيى: ص(487)، الفتح (8/563).

عَذَّلَ يُهُمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ" [الدخان:29].

4- الخشوع في القلب وأن تلين كفتك للمرء المسلم: سئل أمير المؤمنين على رضي الله عنه عن قوله تعالى: +الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ" [المؤمنون:2]، قال: الخشوع في القلب، وأن تلين كفتك للمرء المسلم ولا تلتقي في صلاتك⁽¹⁾.

5- خليلان مؤمنان، وخليلان كافران: سئل أمير المؤمنين رضي الله عنه عن قول الله تعالى: +الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبْعْضٍ عَدُوٌ لَا إِلَهَ إِلَّا إِلَهُكُمْ" [الزخرف:67]. قال: خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين، فبشر بالجنة فذكر خليله المؤمن، قال: فيقول: يا رب! إن خليلي فلاناً كان يأمرني بالخير وبينهاني عن الشر، فيأمرني بطاعتكم وطاعة رسولك، ويخبرني أني ملاقيك، فلا تضلني بعدى واهد ه كما هداني، وأكرمه كما أكرمني، فإذا مات جمع بينهما في الجنة، ويقال لهم: ليُدْنِ.

كل واحد منكما على صاحبه فيقول: اللهم كان يأمرني بالخير وبينهاني عن الشر، فيأمرني بي بطاعتكم وطاعة رسولك، ويُخبرني أني ملاقيك، فنعم الأخ والخليل والصاحب، قال: ثم يموت أحد الكافرين، فيُبشر بالنار، فيذكر خليله، فيقول: اللهم خليلي فلان كان يأمرني بالشر، وبينهاني عن الخير، ويأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك، ويُخبرني أني غير ملاقيك، اللهم فأضلله كما أضللتني، فإذا مات جمع بينهما في النار، فيقال ليُثْنَ كل واحد منكما على صاحبه قال فيقول: اللهم كان يأمرني بالشر وبينهاني عن الخير ويأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك، ويُخبرني أني غير ملاقيك، فبئس الأخ والخليل والصاحب⁽²⁾.

6- الزهد بين كلمتين من القرآن: قال رضي الله عنه: الزهد كله بين كلمتين من القرآن الكريم: قال سبحانه: +لَكِ يُلْأِتَ أَسَوَّ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرُحُوا بِمَا آتَكُمْ" [الحديد:23]. ومن لم يتأسى على الماضي، ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه⁽³⁾.

7- أمير المؤمنين على رضي الله عنه وتدبره في الصلاة: بينَ أمير المؤمنين رضي الله عن استحباب المصلي إذا من بآية رحمة أن يسأل الله تعالى منها، وإذا من بآية عذاب أن يستعيذ بالله تعالى، فعن عبد خير الهمданى قال: سمعت على بن أبي طالب قرأ في صلاة +سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى" فقال: سبحان ربى الأعلى⁽⁴⁾.

و عن حجر بن قيس المدرى قال: بت عند أمير المؤمنين على بن أبي طالب، فسمعته وهو يصلى من الليل يقرأ بهذه الآية: + أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْذُونَ أَلَذُّمْ تَخْلُقُونَ هُمْ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ" قال: بل أنت يا رب ثلاثة، ثم قرأ + أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُو نَ أَلَذُّمْ تَزَرَّعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارُونَ" قال: بل أنت يا رب ثلاثة، ثم قرأ + أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَلَذُّمْ أَذْرَكْتُمُوهُ مِنَ الْمُرْزَنَ أَمْ نَحْنُ نَ الْمُنْزَلُونَ" قال: بل أنت يا رب ثلاثة، ثم قرأ + أَفَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَلَذُّمْ أَذْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُذْشَدُونَ" قال: بل أنت يا رب ثلاثة⁽⁵⁾.

8- قوله تعالى: + يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَدْ بِسَلَيمٍ" [الشعراء:88، 89]. قال على رضي الله عنه: المال والبنون حرث الدنيا، وا

(1) الزهد لابن المبارك: ص(403) رقم (1148).

(2) الزهد لابن المبارك رقم (368).

(3) رسالة المسترشدين: ص(224)، فرائد الكلام: ص(376).

(4) المحطي (118/4)، السنن الصغرى (146/1).

(5) الدر المنور للسيوطى (23)، 22/8).

لعمل الصالح حرث الآخرة، وقد يجمعهما الله لأقوام⁽¹⁾.

(1) تفسير أمير المؤمنين على، لفهد بن عبد العزيز الفاضل (661/2) رسالة جامعية لم تنشر.

المبحث الرابع

ملازمته لرسول الله ×

كان على رضي الله عنه واحداً من المكينين الذين قرأوا وكتبوا في مجتمعهم الأممي، وهذا دليل على جهه للعلم وشغفه به منذ صغره، وقد وفقه الله تعالى أن يعيش منذ طفولته في بيت رسول الله ×، فتربي على بيده وزادت عناء رسول الله به بعد إسلامه، فكان رسول الله × الرافد القوي الذي أثر في شخصيته وصقل موهاباته وفجر طاقته، وهذب نفسه، وظهر قلبه ونور عقله، وأحيا روحه، فقد لازم رسول الله × في مكة والمدينة، وقد كان حريصاً على التلمذ على يدي رسول الله ×، الذي كان يربى أصحابه على القرآن الكريم، فقد كان هو الينبوع المتدفق الذي استمد منه على رضي الله عنه علمه وتربيته وثقافته، وقد كان النبي × تنزل عليه الآيات منجمة على حسب الواقع والأحداث، وكان يقرؤها على أصحابه الذين وقفوا على معانيها وتعلموا في فهمها، وتأثروا بمبادئها، وكان له أعمق الأثر في نفوسهم وعقولهم وقلوبهم وأرواحهم، كما كان على رضي الله عنه واحداً من الذين تأثروا بال التربية القرآنية على يدي رسول الله × وتشرب تعاليمه وتوجهاته النبوية، وقد اهتم على رضي الله عنه منذ أسلم بحفظ القرآن الكريم وفهمه وتأمله، وظل ملزماً للرسول × يتلقى عنه ما أنزل عليه حتى تم له حفظ جميع آياته وسوره، لقد حصل على رضي الله عنه ببركة صحبته لرسول الله × وتربيته على يديه خيراً كثيراً، وأصبح من الخلفاء الراشدين فيما بعد، فقد حرص على التبحر في الهدى النبوى الحكيم فـي غزواته وسلمه، وأصبح لعلي رضي الله عنه علم واسع ومعرفة غزيرة بالسنة النبوية المطهرة، فقد استمد من رسول الله علمًا وتربيه ومعرفة بمقاصد هذا الدين العظيم، وقد جمع بين رسول الله وبين على حب شديد، والحب عامل مهم في تهيئة مناخ علمي ممتاز بين المعلم وتلميذه، يأتي بخير النتائج العلمية، والثقافية، لما له من عطاء متعدد، وعلى رضي الله عنه قد أحب رسول الله × جداً جمماً، وتعلق فواده به، وقدم نفسه فداء له، وتنحية في سبيل نشر دعوته.

أولاً: أمير المؤمنين ومقام النبوة:

أوجب الله سبحانه وتعالى على التقلين - الإنس والجن - الذين أدركتهم رسالة النبي ×، أن يؤمنوا بالنبي × وبما جاء به، كما شهدت بذلك نصوص الكتاب العزيز، كما أكد الله وجوب الإيمان بنبيه بأن جعله مفترزاً بالإيمان به سبحانه وتعالى في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها:

قال تعالى: + قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِذْيَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً إِذْي لَمْ هُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّاهُو يُحْيِي وَيُمْتَدِ فَإِنَّمَا نُوَا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعَهُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ + [الأعراف: 158].

وقال ×: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»⁽¹⁾، وقد أجمعوا الأمة على وجوب الإيمان بالنبي ×، كما أجمعوا كذلك على أن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمد × من الإنس والجن فلم يؤمن به استحق عقاب الله تعالى، كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بعث إليهم الرسول، وهذا أصل منتق عليه بين الصحابة والتبعين لهم بإحسان وأنه المسلمون وسائر طوائف المسلمين من أهل السنة والجماعة

(1) مسلم (93/1) كتاب الإيمان.

وغيرهم⁽¹⁾.

وقد أعطى أمير المؤمنين على رضي الله عنه مقام النبوة حقه وأوضح معالمه بأقواله وأفعاله، وكان يحرص على تعليم الناس وحثهم على الاقتداء برسول الله × في أقواله وأعماله وتقريراته، ومن أقواله في هذا المعنى: واقتدوا بهدى نبيكم ×، فإنه أفضل الهدى واستنوا بيته فإنها أفضل السنن⁽²⁾.

1- وجوب طاعة النبي × ولزوم سنته والمحافظة عليها: تربى أمير المؤمنين على على وجوب طاعة رسول الله ×، فهو من قرأ وحفظ وفهم قوله الله تعالى: +مَنْ يُطِّ
عُ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ+ [النساء: 80]، وهذه الآية ضمن سلسلة من الآيات ربطت بين طاعة الله تبارك وتعالى وطاعة الرسول ×، فقد جعل الله طاعته وطاعة رسوله شيئاً واحداً، وجعل الأمر بطاعة رسوله مندرجًا في الأمر بطاعته سبحانه وتعالى، وفي ذلك بيان للعباد بأن طاعته سبحانه لا تتحقق إلا بطاعة الرسول ×، والآيات الواردة بهذا المعدى كثيرة، ⁽³⁾ وقد تربى أمير المؤمنين على يدي رسول الله ×، وعلم منه وجوب طاعته وأمثال أمره واتباع ما جاء به والسير على سنته والاقتداء به في كل ما جاء به عن ربه عز وجل، وأحاديثه × في هذا المجال أعطت للأمة توجيهات عظيمة متى ساروا عليها وامتنعوا ما فيها واستنروا بها، فقد تحققت لهم سعادة الدارين وفازوا وأفلحوا بإذن الله تعالى، وقد امتازت الأحاديث في هذا الشأن بكثرتها وتنوع عباراتها وتعدد أساليبها واستعمال بعضها على الأمثلة التي ضربها رسول الله × لأmente في هذا الشأن، ومما لا شك فيه أن هذه المميزات زادت الأمر توكيدها وتوضيحاً وبياناً، بحيث إنها لم تدع مجالاً لمتأول يؤولها أو محرف يغير معناها بهواه ورأيه الفاسد، وهذه الأحاديث على وجوب طاعته ×، واتباع ما جاء به من الترغيب في ذلك إضافة إلى التحذير من مخالفته، وتحريم معتبرته وبيان الوعيد الشديد في ذلك⁽⁴⁾، فمن هذه الأحاديث قوله ×: «كُلُّ أَمْتَهٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مِنْ أَبِي» قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»⁽⁵⁾، طاعة الرسول × هي الانقياد لسننه، مع رفض قول كل من قال شيئاً في دين الله عز وجل بخلاف سنته، دون الاحتيال في دفع السنن بالتأويلات المضمحة والمخترات الدائحة⁽⁶⁾.

وقد كان أمير المؤمنين على من أحرص الصحابة على طاعة رسول الله ×، فقد قال رضي الله عنه: «ما كنت لأدع سنة النبي × لقول أحد»⁽⁷⁾، وقال أيضاً: «ألا إني لست بنبي ولا يوحى إلىَّ، ولكنني أعمل بكتاب الله وسنة محمد × ما استطعت» وهو نموذج فريد بالتمسك بالسنة والالتزام بها والدعوة لها⁽⁸⁾، ومن هذا المفهوم والتصور الواضح لأهمية طاعة الرسول × واتباع سنته انطلقت أفعال أمير المؤمنين على رضي الله عنه. وكان رضي الله عنه يعتني بالسنة ويتحرى ويتثبت في روایتها وفيأخذها رضي الله عنه ، فقد قال رضي الله عنه: «إِذَا حَدَّثْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ×، فَلَئِنْ أَخْرَى مِنَ السَّمَاءِ أَحَبَّ إِلَى

(1) حقوق النبي على أmente في ضوء الكتاب والسنة (72/1).

(2) البداية والنهاية (319/7).

(3) حقوق النبي على أmente (74/1).

(4) حقوق النبي على أmente (86/1).

(5) البخاري رقم (7280).

(6) صحيح ابن حبان (153/1).

(7) فتح التاري (421/3).

(8) السفا للقاضي عياض (556/2).

ىً من أكذب عليه»⁽¹⁾، وقال رضي الله عنه: «كنت إذا سمعت من رسول الله × حديثاً نفعني الله بما شاء منه، وإذا حدثني عنه غيري استحلفت، فإذا حلف لي صدقته»⁽²⁾.

وكان أمير المؤمنين على رضي الله عنه يحارب ما ينافق الاتباع، فقد قال رضي الله عنه: «لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه».

2- حديث أمير المؤمنين على رضي الله عنه عن دلائل نبوة الرسول ×: بين أمير المؤمنين على رضي الله عنه بعضاً من دلائل نبوة النبي × منها ما يلي:

(أ) بركة دعائه: مرض على رضي الله عنه مرة فأتاه النبي × وهو يقول: اللهم إن كان أجيبي قد حضر فأرجوني، وإن كان متاخراً فارفعني، وإن كان البلاء فصبرني. فقال له رسول الله ×: ما قلت؟ فأعاد عليه. فقال رسول الله ×: «اللهم اشفه، اللهم عافه»، ثم قال: قم. فقمت، فما عاد لي ذلك الوجع بعده⁽³⁾. وسيأتي الحديث بإذن الله تعالى عن دعاء رسول الله له في خير.

(ب) إخباره بما فتح الله على نبيه من أمور الغيب: قال على بن أبي طالب رضي الله عنه: إذا حدثكم عن رسول الله × فلن آخر من السماء أحب إلى من أن أكذب عليه، وإذا حدثكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة»⁽⁴⁾، سمعت رسول الله × يقول: «يا تي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حاجرهم، فلينما لقيت عدوهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيمة»⁽⁵⁾، وسيأتي شرح هذا الحديث وغيره عند حديثنا عن الخوارج وموقف أمير المؤمنين على منهم بإذن الله تعالى.

(ج) النصر بالرعب: ومن دلائل النبوة التي حدثنا بها على رضي الله عنه ما رواه عن رسول الله × حيث قال: «أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء، فقلنا: يا رسول الله ما هو؟ قال: نصرت بالرعب، وأعطيت مفاتيح الأرض، وسميت أحمد، وجعل التراب لي طهوراً وجعلت أمتي خير الأمم»⁽⁶⁾.

(د) خاتم النبوة: ووضح على رضي الله عنه من جملة وصفه لرسول الله × وجود دلالة من أبرز الدلائل الحسية على نبوته × حيث يقول: بين كفيه خاتم النبوة⁽⁷⁾. وهذه لغة كان أهل الكتاب يعرفونها بها، وهي شيء بارز أحمر عند كتفه الأيسر، قدره إذا قُلل قدر بيضة الحمام، وإذا كبر جمع اليد⁽⁸⁾.

(هـ) سلام الجبال على النبي ×: أخبر أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه عن هذه الدلالة حيث قال: كنت مع النبي × بمكة، فخرجنَا في بعض نواحيها، فما ستقله جبل، ولا شجر، إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله⁽⁹⁾.

3- الترغيب في هدى النبي ×: كان أمير المؤمنين على رضي الله عنه يرغب المسلا

(1) فتح الباري (158/6).

(2) سنن ابن ماجة رقم (1395).

(3) مسنون أحمد (151/2)، تحقيق: أحمد شاكر إسناده صحيح.

(4) منهج على في الدعاوة إلى الله، ص (117)، فتح الباري (158/6).

(5) البخاري، لكت المناقب (281/1) واللهم المذكورون هم الخوارج الذين قاتلهم على بن أبي طالب في خلافة، وسيأتي الحديث عنهم بالتفصيل بإذن الله.

(6) البخاري. رقم (335).

(7) مصنف ابن أبي شيبة (513/11)، البخاري، كتاب المناقب.

(8) فتح الباري (6/561-563).

(9) سنن الترمذى، لكت المناقب (5/93)، المستدرك (2/620) صحيح الإسناد.

مبن في لزوم هدى النبي ×، فقد قال في خطبة له في الربذة⁽¹⁾: «الزموا دينكم واهتدوا بـ هدى نبيكم، واتبعوا سنته، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن، فما عرفه القرآن فالز موه، وما أنكره فردوه»⁽²⁾، وبعد رجوع أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه من قتال الخوارج خطب أصحابه خطبة بلغة نافعة جامدة للخير نافية عن الشر، وقد ضمن هذه الخطبة الأمر بالتزام هدى النبي × والترغيب فيه، حيث يقول: «واقتدوا بهد ي نبيكم ×، فإنه أفضل الهدى، واستتوا بسنته فإنها أفضل السنن»⁽³⁾، ولم تشغل الفتن الد اخلية أمير المؤمنين عليه رضي الله عنه والتي حصلت في عهده، عن دعوة أصحابه إل ى كل خير، ونهيهم عن كل شر⁽⁴⁾، وتحذيرهم من البدع، ومن قوله في هذا الشأن: «إن عوازم الأمور أفضلها، وإن محدثاتها شرارها، وكل محدثة بدعة، وكل محدث مبدع، وكل محدث ضيع، وما أحذر محدث بيعة إلا ترك بها سنة»⁽⁵⁾.

4- بيان فضله وبعض حقوقه على أمهته ×: **بيان أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه في معرض حديث المسلمين فضائل النبي ×** ومما قاله في هذا المجال: «فـ كان مما أكرم الله به عز وجل هذه الأمة، وخصهم به من الفضيلة أن بعث إليهم محمدًا ×، فعلمهم الكتاب والحكمة والرأي والسنن لكيما يهتدوا، وجمعهم لكيما لا يتفرقوا، و زكاهم لكيما يتطهروا، ورفعهم لكيما لا يجوروا، فلما قضى من ذلك ما عليه، قبضه الله عز وجل صلوات الله عليه ورحمته وبركاته»⁽⁶⁾. **والإيك بعض حقوقه ×:**

(أ) وجوب الصدق عنه والتحذير من الكذب عليه: حذر أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه من الكذب على رسول الله، فعن ربعي بن حراش قال: سمعت على بن أبي طالب يقول: قال النبي ×: «لا تكذبوا على إفانه من كذب على فلينج النار»، وحذر أمير المؤمنين على رضي الله عنه من نقل الكذب- وهو يعلم أنه كذب - فيما يرويه عن الذ بي × قال: «من حدث عني حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»⁽⁷⁾.

(ب) البعد عن أسباب تكذيبه: أرشد أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه الناس إلى البعد عن الأمر الذي يكون سبباً في تكذيب رسول الله ×، كتحذير الناس بما لا تدركه عقولهم من أقوال رسول الله ×، فقد قال: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله»⁽⁸⁾، ومعنى الحديث: بما يفهمون، وفيه دليل عل ى أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة، ومن كره التحذير ببعض دون بعض أحد د في الأحاديث التي ظهرت الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو ي يوسف في الغرائب، ومن قبلهم أبو هريرة كما تقدم عنه في الجوابين، وأن المراد ما يقع من الفتن ونحوه عن حقيقة، وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوى البدعة وظاهره ف ي الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب⁽⁹⁾.

(ج) إحسان الظن بحديث رسول الله ×: قال أمير المؤمنين على رضي الله عنه: إذا حدثتم عن رسول الله × حديثاً فظنوا به هو أهناه وأهداه وأنقاذه⁽¹⁰⁾.

(1) من قرى المدينة على ثلاثة أميال، معجم البلدان (24/3).

(2) البداية والنهاية (246/7)، تاريخ الطبرى.

(3) البداية والنهاية (319/7).

(4) البداية والنهاية (319/7).

(5) البداية والنهاية (319/7).

(6) البداية والنهاية (262/7).

(7) صحيح سنن ابن ماجة (13/1) قال الألباني: صحيح.

(8) البخاري، ك العلم (46/1).

(9) فتح الباري (425/1) باب من خص بالعلم قوماً دون قوم.

(10) مسند أحمد (211/2) أحمد شاكر، إسناده صحيح.

(د) الصلاة عليه: قال تعالى: + إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى الْذَّبِيْرِ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَدُوا صَلَوَا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا" [الأحزاب: 56].

وهذا إخبار من الله سبحانه وتعالى بمنزلة عبده ونبيه في الملا الأعلى، بأنه ينتى على به عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاه والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوى والسفلى جميعاً⁽²⁾، ويؤكد أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه هذا الحق لرسول الله × بوصف من لم يصل على رسول الله عند سماع ذكره بالليل، فيما يرويه عن رسول الله ×، حيث قال: «البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل على»⁽³⁾.

(هـ) محبته لرسول الله ×: قال تعالى: + قُلْ إِنْ كَانَ أَبْرَأُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْرَوْكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَكُمْ وَأَمْوَالَ افْتَرَقْتُمُوهَا وَتَجَارَةً تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَادِكُنْ تَرْضُوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ إِلَّا فَاسَقِينَ" [التوبه: 24]. فالآلية نصت على وجوب محبة الله ورسوله، وأن تلك المحبة يجب أن تكون مقدمة على كل محظوظ، ولا خلاف في ذلك بين الأمة⁽⁴⁾، وقال تعالى: + قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّبُكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" [آل عمران: 31]. ففي هذه الآية إشارة ضمنية إلى وجوب محبة النبي ×، لأن الله تبارك وتعالى قد جعل برهان محبته تعالى ودليل صدقها هو أتباع النبي ×، وهذا الأتباع لا يتحقق إلا بعد الإيمان بالنبي ×، والإيمان به لابد من تحقق شروطه التي منها محبة النبي ×، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله × قال: «فَوَالذِّي نَفْسِي بِيدهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالدِّهِ»⁽⁵⁾ ومما لا ريب فيه أن حظ الصحابة من حبه × كان أتم وأوفر، ذلك أن المحبة ثمرة المعرفة، وهم بقدر × ومنزلته أعلم وأعرف من غيرهم، فبالتأني كان حبه لهم له × أشد وأكبر⁽⁶⁾، وقد سئل أمير المؤمنين على رضي الله عنه: كيف كان حكم رسول الله ×؟ قال: كان والله أحد بـ إلينا من أموالنا وأولادنا وأبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظماء⁽⁷⁾، وهذه الخصوصية المطلقة ليست لأحد غير رسول الله ×.

5- المعرفة الدقيقة الشاملة لملامح الشخصية النبوية: لقد ساعدت الصلة الأسرية، والمعايشة الطويلة القريبة، والتتبع الدقيق لما خص الله به نبيه من نفسية نبوية، ومكارم أخلاق ومويل واتجاهات، أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه على معرفته الدقيقة الشاملة للشخصية النبوية وخصائصها والقدرة على وصفها، والتتويه بجوانب دقيقة في سيرته وخلفه، يلاحظ ذلك فيما روى عنه من وصف رسول الله وحياته وخلفه وسلوكه⁽⁸⁾.

(أ) بيان خلقه: قال أمير المؤمنين على رضي الله عنه: «كان رسول الله × ليس بالطويل ولا بالقصير، شتن الكفين⁽⁹⁾ والقدمين، مشرب وجهه حمرة، طويل الممسر بة⁽¹⁰⁾، ضخم

(1) صلاة الله تعالى: شأوه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء.

(2) نقشیر ابن كثير (508/3)، منهجه على بن أبي طالب في الدعوة: ص(129).

(3) صحيح سنن الترمذى (3/177) صحيح.

(4) نقشیر القرطبي (95/8).

(5) البخاري رقم 4 فتح الباري (58/1).

(6) حقوق النبي على أمنته (314/1).

(7) الشفاعة (568/2) للقاضي عياض.

(8) المرتضى: ص (43-39).

(9) أي خشن الكفين على طبقهما: الصاح لجوهري (214/5).

(10) الشعر المستدق الذي يأخذ من الصدر إلى السرة.

الكريديس⁽¹⁾، إذا مشى تكفاً تكفاً، كأنما ينحط من صلب⁽²⁾، لم أر قبله ولا بعد مثله⁽³⁾، وعن محمد بن على عن أبيه قال: كان رسول الله ضخم الرأس، عظيم العينين، هدب الأشفار⁽⁴⁾ – قال حسن⁽⁵⁾: الشفار – مشرب العينين بحمرة، كث اللحية، أزهار اللون، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى تكفاً كأنما يمشي في صعد، وإذا التقى التقى جميعاً⁽⁶⁾، عند الترمذى عن محمد من ولد على بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان على رضي الله عنه إذا وصف النبي⁽⁷⁾ قال: «لم يكن بالطويل الممغط»⁽⁸⁾، ولا بالقصير المتردد⁽⁹⁾، وكان ربعة من القوم، ولم يكن بالجعد القلقط⁽¹⁰⁾، ولا بالبسط، كان جعداً رجلاً، ولم يكن بالمطهم⁽¹¹⁾ ولا بالملكلثم⁽¹²⁾، وكان في الوجه تدوير، أبيض مشرب، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى تقلع، كأنما يمشي في صداب، وإذا التقى التقى⁽¹³⁾ معها.

«كما أن على بن أبي طالب رضي الله عنه بين صفة من صفات جسد النبي × بعد موته، وأمرًا لم يعرفه غيره – ربما من كان يغسله معه⁽¹⁴⁾ – حيث يقول: غسلت رسول الله ×، فجعلت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيئاً، وكان طيباً حياً وميتاً ×⁽¹⁵⁾، وكأن على رضي الله عنه يقول وهو يغسله: بأبي أنت وأمي، ما أطييك حياً وميتاً⁽¹⁶⁾.

(ب) بيان خلقة: تحدث أمير المؤمنين على رضي الله عنه عن أخلاق النبي ×، فقال: «كان أجواد الناس كفاماً، وأشراهم صدرأً وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة⁽¹⁷⁾، وأكرهم عشرة، من رأه بديهية هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعاته: لم أر قبله ولا بعده مثله»⁽¹⁸⁾، وأخبرنا عن شجاعة الرسول ×، وقوه بأسه، وأن علياً ومن كان معه من شجاعتهم أيضاً وقوة بأسهم التي سطرتها أخبار المغازي، كانوا إذا اشتدت الحرب يلوذون برسول الله ×، فيقول على رضي الله عنه: «لقد رأينا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ×، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً»⁽¹⁹⁾، وفي روایة أخرى: كنا إذا أحرم البأس، ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله ×، فما يكون من أحد أدنى من القوم منه⁽²⁰⁾، وبين على رضي الله عنه من أخلاق رسول الله × من الرحمة والكرم، والشجاعة والتواضع، ما ورد في وصفه لرسول الله × لليهود الذين طلبوه منه ذلك حيث يقول: كان أرحم الناس بالناس؛ للبيت كالأب الرحيم، والآخرة كالكريم، أشجع الناس، و

(1) الكُرُوس: كل عظم تام ضخم فهو كرموس، وكل عظامي التقى في مفصل فهو كرموس، وأراد علـى أنه × ضخم الأعضاء.

(2) الصلب هو الموضع المنحدر، وهذه الصفة من المشي تعنى أن النبي × كان قوياً، فإذا مشى فكأنما يمشي على صدور قديمه من القرفة.

(3) مسند أحمد 96/1 برقم (746) ط/الرسالة – إسناده صحيح، صححه الألباني في صحيح سنن الترمذى.

(4) هي حروف الأحافن وأصول منابت الشعر في الجفن التي تلتقي عند التغبيض.

(5) حسن بن موسى الراوى عن حماد عبد الله بن محمد بن عقيل بن محمد بن على.

(6) مسند أحمد 89/1 برقم (684) ط/الرسالة – إسناده صحيح.

(7) الممغط: الذاهب طولاً.

(8) المتردد: الداخل بعضه في بعض قصرأً.

(9) القلقط: الشديد الحعوده.

(10) المطهم: البadian الكبير للحم.

(11) الملكلثم: الممتلىء لحم الخدين والوجه.

(12) سنن الترمذى، كـ المناقب (599/5) حسن غريب إسناده غير متصل.

(13) كالعباس والفضل وقثم بن عباس يقالونه.

(14) صحيح سنن ابن ماجه لللبانى (247/1)، الحكم في المستدرك (59/3) واللفظ له صحيح على شرط التسخين ونم بخراجاه، ووافقه الذهبي.

(15) السيرة النبوية لأبن هشام (662/2).

(16) العربية: الطبيعة، وفلان لين العريكة: إذا كان سلسأً، انظر منهج على بن أبي طالب ص 110.

(17) وهو تتمة للحديث السابق.

(18) مسند أحمد (64/2) تحقيق أحمد شاكر، إسناده صحيح.

(19) مسند أحمد (343/2) وقال المحقق: إسناده صحيح.

أبنائهم كفّا، وأصبحهم وجهًا، لباسه العباء وطعامه خبز الشعير، وإدامه اللبن، ووساده لأدم محسو بليف النخل، سريره أم غيلان مرمل بالشريف⁽¹⁾، كان له عمامتان إحداهما دعى السحاب⁽²⁾، والأخرى العقاب، وكان سيفه ذا الفقار⁽³⁾، ورأيته الغراء وناقته العصبة⁽⁴⁾، وبغلته ددل⁽⁵⁾، وحماره يغور، وفرسه مرتجز⁽⁶⁾، وشاتهن بركة، ولواؤه الحمد، وكان يعقل البعير ويعرف الناضح⁽⁷⁾، ويرفع الثوب، ويخصف النعل⁽⁸⁾.

6- نماذج من اتباع أمير المؤمنين للسنة: كان أمير المؤمنين على شديد الحرث علی الاقتداء بالنبي ×، وحياته العملية خير دليل على ذلك، وهذه بعض الأمثلة المتنوعة التي كان يتبع فيها النبي ولا يفرق بين صغيرة ولا كبيرة:

- دعاء الركوب على الدواب: عن عبد الرزاق: أخبرني من شهد عليه حين ركب، فلما وضع رجله في الركاب، قال: بسم الله، فلما استوى قال: الحمد لله، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنما إلى ربنا لمنقلبون، ثم حمد ثلاثة وكبر ثلاثة، ثم قال: الله لهم لا إله إلا أنت، ظلمت نفسى فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنب إلا أنت، ثم ضحك، قال، فقيل: ما يضحكك يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت النبي × فعل مثل ما فعلت، وقال مثل ما قلت، ثم ضحك، فقلنا: ما يضحك يا نبي الله؟ قال: العبد – أو قال: عجبت للعبد. إذا قال: لا إله إلا أنت ظلمت نفسى فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنب إلا أنت، يعلم أنه لا يغفر لذنب إلا هو⁽⁹⁾.

- الشرب قائماً، وقاعدًا: عن عطاء بن السائب عن زادان: أن علي بن أبي طالب شرب قائماً، فنظر إليه الناس كأنهم أنكروه، فقال: ما تظرون؟⁽¹⁰⁾ إن أشرب قائماً، فقد رأيت النبي × يشرب قائماً، وإن أشرب قاعداً، فقد رأيت النبي × يشرب قاعداً⁽¹¹⁾.

- تعليم وضوء رسول الله ×: عن عبد خير: علمنا على "وضوء رسول الله ×، فصد ب الغلام على يديه حتى أنقاهم، ثم أدخل يده في الركوة، فمضمض واستنشق، وغضل وجهه ثلاثة ثلاثة، وذراعيه إلى المرفقين ثلاثة ثلاثة، ثم أدخل يده في الركوة فغمز أسفله ما بيده ثم أخرجها فمسح بها الأخرى، ثم مسح بكفيه رأسه مرة، ثم غسل رجليه إلى الكعبين ثلاثة ثلاثة، ثم اغترف هذية من ماء بكفه فشربه، ثم قال: هكذا كان رسول الله يتوضأ⁽¹²⁾.

- نهى رسول الله × لعلي عن أشياء: عن عبد الله بن حنين عن أبيه، قال: سمعت على ابن أبي طالب يقول: نهاني رسول الله × عن تختم الذهب، وعن لبس القَسْ والمعصفر، وقراءة القرآن وأنا راكع، وكسانى حلة من سيراء فخررت فيها، فقال: يا على، إني لم أكسكها لتلبسها، قال: فرجعت بها إلى فاطمة، فأعطيتها ناحيتها فأخذت بها لتطويها مع

(1) قال ابن القيم في زاد المعاد: كان رسول الله × ينام على الفرش تارة، وعلى النطع تارة، وعلى الصبر تارة، وعلى الأرض تارة، وعلى السرير تارة بين رماله، وتارة على كساء أسود (155/1).

(2) زاد المعاد: السرير المرمل: أي المنسوج، لسان العرب (295/11).

(3) وهى العمامة التي كسامها عليه زاد المعاد (135/1).

(4) للرسول سعة أسباب منها ذو القفار تقوله يوم بدر (زاد المعاد 130/1).

(5) وهي غير القصواء المشهورة والعصباء هي التي كانت لا تسبق.

(6) بغلة شهباء أهداها له المقويس وله غيرها (زاد المعاد 134/1).

(7) زاد المعاد (133/1) ملك سبعة من الخيل، متყق عليها.

(8) الناضح: البعير الذي يستنقى عليه الماء (لسان العرب 619/2).

(9) الرياض النضرة في مناقب العشرة (163/2).

(10) مسنون أحمد الموسوعة الحديثة رقم 930 حسن لغيره.

(11) في روایة: ما تنكرون.

(12) مسنون أحمد الموسوعة الحديثة رقم 1128، إسناده حسن.

(13) مسنون أحمد الموسوعة الحديثة رقم 876، صحيح لغيره، إسناده حسن.

ي، فشققتها بثنتين قال: فقلت: تربت يداك يا ابن أبي طالب، ماذا صنعت؟ قال: فقلت له أباً: نهاني رسول الله × عن لبسها، فالبسي واكسي نساعك⁽¹⁾.

- الذنوب والمغفرة: عن على رضي الله عنه قال: قال رسول الله ×: «من أذنب في الدنيا ذنبي فعوّب به، فالله أعدل من أن يثني عقوبته على عبده، ومن أذنب ذنبي في الدنيا فستر الله عليه، وعفا عنه، فالله أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه»⁽²⁾.

- إنما الطاعة في المعروف: عن على رضي الله عنه: أن رسول الله × بعث جيشاً، وأمر عليهم رجلاً، فلقد ناراً، فقال: ادخلوه! فأراد ناس أن يدخلوها، وقال آخرون: إن ما فررنا منها، فذكر ذلك لرسول الله ×، فقال للذين أرادوا أن يدخلوها: «لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيمة». وقال للآخرين قولاً حسناً، وقال: لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف⁽³⁾، والحديث يبين بأن الطاعة للحاكم مقيدة بطاعة الله ورسوله، والطاعة المطلقة ليست لأحد إلا الله ورسوله ×.

- لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف: دخل أبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري على على بن أبي طالب، فقال له على: أنت الذي تقول: «لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف من هو حي اليوم»، والله إن رحاء هذه الأمة بعد مائة عام⁽⁴⁾.

- دعاء الرسول × لأهل المدينة بالبركة: عن على بن أبي طالب رضي الله عنه، أذ له قال: خرجنا مع رسول الله ×، حتى إذا كنا بالحرقة بالسقيا التي كانت لسعد بن أبي وقا من، قال رسول الله ×: «أتويني بوضوء»، فلما توضأ قام فاستقبل القبلة، ثم كبر، ثم قال: «اللهم إن إبراهيم كان عبدك وخليلك دعا لأهل مكة بالبركة، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في مدهم وصاعهم مثل ما باركت لأهل مكة، مع البركة بركتين»⁽⁵⁾.

- دعاء الكرب: عن على بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «علمني رسول الله × إِذَا نَزَلَ بِي كَرْبَلَةَ أَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سَبَّحَنَ اللَّهَ، وَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَرَشِ الْعَظِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»⁽⁶⁾. وال الحديث يرشد إلى ضرورة التعلق بالله وحده والاعتماد عليه والاتجاج إليه، فلا يكشف الكرب إلا هو سبحانه، ولا يجيئ المضطر إذا دعا إلا الذي خلقه، فلا ملجأ من الله إلا إليه، ففيه إرشاد وتعليم إلى كل مسلم بأن يعتمد على الله في كل أحواله و شأنه.

- ما أسر إلى شيئاً كتمه الناس: عن أبي الطفلي قال: قلنا لعلي: أخبرنا بشيء أسره إليك رسول الله ×. فقال: ما أسر إلى شيئاً كتمه الناس، ولكن سمعته يقول: لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من غير تخوم الأرض، يعني المنار⁽⁷⁾، ففي قوله ×: لعن الله: اللعن من الله: الطرد والإبعاد عن رحمة الله، قوله: من ذبح لغير الله: يشمل كل من سوى الله حتى لو ذبح لنبي أو ملك، أو جنى أو غيرهم، فلو كانت هذه الأمور هينة في دين الله لما وصلت إلى درجة يستحقها على اللعن من

(1) المصدر نفسه رقم 710 إسناده حسن.

(2) المصدر نفسه رقم 1365 إسناد حسن.

(3) مسند أحمد رقم 724 إسناده صحيح.

(4) المصدر نفسه رقم 714 إسناده قوي.

(5) المصدر نفسه رقم 936 إسناده صحيح.

(6) المصدر نفسه رقم 701 إسناده صحيح.

(7) المصدر نفسه رقم 855 إسناده قوي.

رسول الله ×.

- إن الله رفيق يحب الرفق: عن على بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ×: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»⁽¹⁾.
- تعجيل الصدقة⁽²⁾: قيل أن تحل: عن على أن العباس بن عبد المطلب سأله النبي × فـ تعجـيل صدقـته قبل أن تـحل فـرـخص لـه في ذـلـك⁽³⁾.
- العـشرـ الأوـاخرـ منـ رـمـضـانـ: عنـ عـلـىـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ، قـالـ: كـانـ رـسـوـلـ اللـهـ يـوـقـظـ أـهـلـ فـيـ الـعـشـرـ الـأـوـاـخـرـ، وـيرـفـعـ الـمـنـزـرـ⁽⁴⁾.

ثانيةً: الرواية عن على بن أبي طالب رضي الله عنه:

كان أمير المؤمنين على رضي الله عنه أعلم الصحابة بالسنة في عهده، إذ روى أنه ذكر على عند عائشة، فقالت: أما أنه أعلم من بقي في السنة⁽⁵⁾، ومع ذلك فقد روى عن النبي × خمسمائة وستة ثمانين حديثاً⁽⁶⁾، وهو أقل مما رواه بعض الصحابة عن النبي × لأسباب منها.

1- انشغاله بالقضاء والإمار واحروب التي جعلته لا يتفرغ للفتيا وعقد حلقات الدروس التي كانت سبباً في انتشار عمل بعض الصحابة، كعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس.

2- ظهور أهل الأهواء والبدع من الذين أفرطوا فيه والذين فرطوا به كان سبباً في كثرة الكذب عليه، لذلك بذل العلماء جهدهم في معرفة صحة آطرق الموصلة إليه.

3- كثرة الفتن في زمانه وانشغال بعض الناس بها حال دون ثقته رضي الله عنه بمن يضع فيه علمه، إذا رُوى عنه أنه قال: إن هاهنا علمًا لو أصبت له حملة⁽⁷⁾.

وقد لاحظنا في منهج أمير المؤمنين في الرواية وقبول الحديث ما يأتي:

1- الحذر من الكذب على النبي × إذ هو أحد الرواية لقوله ×: «من كذب على متمع دأ فليتبوا مقعده من النار»⁽⁸⁾.

2- الاستيقاظ من الرواية فإنه كان يخلف الرواوى عليها، فقد روى أنه قال: كنت إذا سمعت من رسول الله × حديثاً نفعني الله بما شاء أن ينفعني منه، وكان إذا حدثني غيره استحلفته، فإذا حلف صدقته⁽⁹⁾.

3- عدم رواية المنكر والشاذ من الحديث، إذ ورد عنه أنه قال: حدثوا الناس بما يرون ودعوا ما ينكرون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله⁽¹⁰⁾، وقد روى على رضي الله عنه عن أبي بكر وعمر والمقداد بن الأسود وزوجته فاطمة.

(1) مسند أحمد رقم 902 حديث حسن الشواهد.

(2) تعجـيلـ الصـدـقـةـ: أي تعـجـيلـ الزـكـاـةـ.

(3) مسند أحمد رقم 822 إسناده حسن.

(4) مسند أحمد رقم 1116 إسناده حسن (3) 195/3.

(5) الطبقات (338/2).

(6) تاريخ الخلفاء ص 171.

(7) فقه الإمام على (3/1) نقلـاـ عنـ أعلامـ المـوقـعينـ.

(8) صحيح سنن ابن ماجة (13/1) وقال الألباني: صحيح.

(9) سنن ابن ماجة رقم 1395 إسناده صحيح.

(10) البخاري، أكـ العلمـ (46/1).

وروى عن على خلق كثير من الصحابة والتابعين وأهل بيته، فمن أشهر من روى عنه من الصحابة:

1- أبو أمامة إيس بن ثعلبة الأنصاري: من بنى حارثة، وهو ابن أخت أبي بردة، له عن النبي × ثلاثة أحاديث، وهو الذي أمره الرسول × أن يقيم على أمه يوم بدر⁽¹⁾.

2- أبو رافع القبطي مولى رسول الله × يقال اسمه إبراهيم، وقيل: سنان، وقيل: يسار، قال ابن عبد البر: أشهر ما قيل في اسمه أسلم، مات في عهد على بن أبي طالب سنة 40هـ⁽²⁾.

3- أبو سعيد الخدري سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة الأنصاري، خرج مع رسول الله × وهو ابن خمس عشرة سنة توفي سنة 74هـ⁽³⁾.

4- جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب الأنصاري السلمي، شهد صفين مع على وتوفي 78هـ، وكان من الحفاظ للسنن.

5- جابر بن سمرة بن جنادة بن جندي العامري السوائي حليفبني زهرة، وأمه خالدة بنت أبي وقاص، يكنى: أبا عبد الله، قال: صلیت مع رسول الله أكثر من ألفي مرة، نزل الكوفة وتوفي بها سنة 74هـ⁽⁴⁾.

6- زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان قيل: كنيته أبو عمر، وقيل أبو عامر، مات بالكوفة سنة 66هـ، وقيل 68هـ.

7- عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ابن أخي على، ولد بأرض الحبشة، وهو أول مولود في الإسلام توفي سنة 80هـ، وهو ابن تسعين سنة⁽⁵⁾.

8- عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوى، أسلم مع أبيه قبل أن يبلغ الحلم، توفي في مكة، سنة 63هـ، وهو ابن أربع وثمانين⁽⁶⁾.

9- عبد الله بن مسعود بن غافل بن وائل الهذلي من أوائل المسلمين توفي 32هـ⁽⁷⁾.

10- عمرو بن حرثة بن عثمان القرشي المخزومي يكنى أبا سعيد، رأى انبي × وسمع منه ومسح على رأسه ودعا له بالبركة، نزل الكوفة وكان له قدر وشرف، مات سنة 85هـ⁽⁸⁾.

- من روى عنه من أهل بيته: روى عنه من أهل بيته كل من:

1- ولده الحسن بن على سبط رسول الله ×.

2- ولده الحسين بن على سبط رسول الله × قتل يوم عاشوراء سنة 61هـ وهو ابن

(1) الاستيعاب (1601/1) أي يقيم على خدمة أمه.

(2) سير أعلام النبلاء (16/2).

(3) الاستيعاب (1671/4).

(4) الاستيعاب (219/1).

(5) الإصابة (276/4).

(6) وفيات الاعيان (236/2).

(7) الاستيعاب (988/2).

(8) المصدر السابق (1672/3).

سنة 56⁽¹⁾.

3- ولده محمد بن على بن أبي طالب أبو القاسم المدنى المعروف بابن الحنفية، نسبه إلى أمه خولة بنت جعفر بن قيس من بنى حنيفة، قال العجلى: تابعى ثقة كان رجلاً صالحًا يكنى أبا القاسم، ولد في ولاية عمر ومات سنة 73، وقيل 80، وقيل 81، وقيل 82، وقيل 93هـ⁽²⁾.

4- حفيده محمد بن عمر بن على بن أبي طالب ذكره ابن حبان في الثقات⁽³⁾.

5- حفيده على بن الحسين بن على بن أبي طالب الملقب بزين العابدين من سادات التابعين، وأمه سلافة بنت يزدجرد آخر ملوك فارس، أرسل عن جده على بن أبي طالب. قال العجلى: مدنى تابعى ثقة، توفي سنة 94هـ، وكان عمره ثمان وخمسين سنة⁽⁴⁾.

6- ابن أخته جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عاند بن عمران بن مخزو م وأمه أم هانئ بنت أبي طالب، ولد على عهد النبي × وله صحبة، ولد خراسان، وسكن الكوفة، قال العجلى: مدنى تابعى ثقة روى عن على⁽⁵⁾.

7- سريته أم موسى، قيل اسمها فاختة، وقيل حبيبة، قال الدارقطنى: حديثها مستقيم ، وقال العجلى: كوفية تابعية ثقة⁽⁶⁾.

- أشهر من روى عن على من التابعين:

1- أبو الأسود الدؤلي البصري، القاضي، اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان، ويقال اسمه عمرو بن عثمان، ويقال عثمان بن عمرو، أسلم على عهد النبي × وقاتل مع على يوم الجمل، وثقة ابن معين والعلجى وغيرهما، وتوفي في ولاية عبيد الله بن زياد سنة 69⁽⁷⁾.

2- أبو بردة بن موسى الأشعري الفقيه، واسمه الحارث، وقيل عامر، وثقة ابن سعد والعلجى وابن حبان، وقال العجلى: كان على قضاء الكوفة بعد شريح، روى عن أبيه وعلى وحده يفة وعبد الله بن سلام وعائشة وغيرهم، قيل: مات سنة 83 وقيل 104، وقيل 107هـ⁽⁸⁾.

3- أبو عبد الرحمن السلمى عبد الله بن حبيب بن ربيعة، أبو عبد الرحمن السلمى الکوفى القارىء، ولأبيه صحبة، وثقة العلجمى والنمسائى وأبو داود، روى عن عمر وعثمان وعلى وسعد، وخالد بن الوليد وابن مسعود وحنيفة وغيرهم، قيل مات سنة 72هـ، وقيل 85، وهو ابن خمس وثمانين سنة، شهد مع على صفين⁽⁹⁾.

4- زر بن حبيش بن حبابة بن أوس الأستاذ أبو مريم، ويقال أبو مطرف الكوفي، ذكر ابن معين أنه ثقة، مات سنة 81هـ، وقيل 82 وقيل 83 وهو ابن مائة وعشرين⁽¹⁰⁾.

5- زيد بن وهب الجهنى من قضاة، يكنى أبا سليمان، من أجلة التابعين وثقاتهم متقدمة على الاحتجاج به، وثقة ابن معين وغيره، ومات قبل سنة تسعين أو بعدها من ولاية

(1) تهذيب التهذيب (2/357).

(2) المصدر نفسه (2/306).

(3) المصدر السابق (2/82).

(4) تهذيب التهذيب (12/481)، لسان الميزان (7/533).

(5) تهذيب التهذيب (12/11/10).

(6) المصدر السابق (12/19).

(7) المصدر السابق (5/184).

(8) طبقات ابن سعد (6/103).

(9) المصدر السابق (6/103).

(10) المصدر السابق (6/67).

الحجاج⁽¹⁾.

6- سويد غفلة بن عوسرة بن عامر يكنى أباً أمية، رحل إلى رسول الله ﷺ، وقد قبض فلام يره، صحب أباً بكر وعمراً وعثماناً وعليماً، مات سنة 81 أو 82هـ وكان عمره 128 سنة⁽²⁾.

7- شريح بن هانئ بن يزيد بن نهيك الحارثي المذحجي ابن المقدام الكوفي، أدرك ولم ير، وهو من كبار أصحاب على، قتل مع أبي بكرة بسجستان سنة 78هـ⁽³⁾.

8- عامر بن شرحبيل بن عبد، ويقال عامر بن عبد الله بن شرحبيل الشعبي والحمير يأبو عمرو الكوفي من شعب همدان، روى عنه أنه قال: أدركت خمسين من الصحابة ة، وعن الحسن، قال: كان والله كثير العلم، عظيم الحلم، قدّم السلم من الإسلام بمكان، وعن مكحول قال: ما رأيت أفقه منه. قال ابن عيينة، كانت الناس تقول بعد الصحابة ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه، ولد لست خلت من خلافة عم ر ومات سنة 109هـ.

9- عبد خير بن يزيد ويقال ابن بجید بن جوى بن عبد عمرو بن عبد يعرب بن الصائد الهمданى أبو عمارة الكوفي، أدرك الجاهلية، قال العجلي: كوفي تابعي ثقة، وذكر ابن حبان في ثقات التابعين، قيل: عاش مائة وعشرين سنة، وقتل في صفين⁽⁴⁾.

10- عبد الرحمن بن أبي ليلى وأسمه يسار ويقال بلال، ويقال داود بن بلال بن بلي ل ابن أصحبة بن الجلاح الحريش الأنصارى الأوسي، ولد لست بقين من خلافة عمر، روى عنه أنه قال: أدركت عشرين ومائة من الأنصار، وثقة ابن معين والعجلي. قيل إنه م أصيب سنة 71هـ وقيل 82 بالجماجم⁽⁵⁾.

11- عبيدة السلماني وهو عبيدة بن عمرو، ويقال ابن قيس عمرو السلماني المرادي أبو عمرو الكوفي، أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بستين ولم يلقه، قال الشعبي: كان شريح أعلم بهم بالقضاء وكان عبيدة يوازيه، وقال العجلي: كوفي تابعي ثقة⁽⁶⁾.

12- عبد الله بن سلمة بن المرادي الكوفي، صاحب على، كنيته أبو العالية، قال العجلي: كوفي تابعي ثقة، قال البخاري: لا يتابع في حديثه، وعن عمرو بن مرة: يعر ف وينكر، كان قد كبر، وقال يعقوب بن شيبة: ثقة⁽⁷⁾.

13- عبد الله بن شقيق العقيلي، وكنيته أبو عبد الرحمن ويقال أبو محمد البصري، تابعي من أهل البصرة، ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى، وعن ابن معين أنه ثقة من خيار المسلمين لا يطعن في حديثه، روى أنه كان مستجاب الدعوة، مات بعد المائة وقيل سنة 108هـ⁽⁸⁾.

14- علامة بن قيس النخعي وهو علامة بن عبد الله بن مالك بن علامة النخ

(1) طبقات بن سعد (127/6).

(2) تهذيب التهذيب.

(3) المصدر السابق (124/6).

(4) المصدر السابق (124/6).

(5) ميزان الاعتلال (584/20).

(6) طبقات ابن سعد (90/6).

(7) تهذيب التهذيب (85/7).

(8) تهذيب التهذيب (542/5).

(9) تهذيب التهذيب (253/5).

عي الكوفي، ولد في حياة الرسول ﷺ، وعن أحمد: ثقة من أهل الخير، وعن ابن معين: روى أنه قرأ القرآن في ليلة، مات سنة 62، وقيل 61، قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث.

15- عمر بن سعيد النخعي الصهابي، أبو يحيى الكوفي، عن ابن معين: ثقة، ذكره ابن حبان في الثقات، له حديث عن علي في حد شارب الخمر، قال ابن سعد: مات سنة 115، وفيه 107هـ⁽¹⁾.

16- هانئ بن هانئ الهمذاني الكوفي، قال النسائي: ليس به بأس، ذكره ابن حبان في الثقات، وقيل كان يتشيع، قال ابن المديني: مجهول، قال ابن سعد: كان منكر الحديث، وعن الشافعى: أهل الحديث لا ينسبون حديثه لجهالة حاليه، ذكره ابن سعد في الطبقات لأولى في الكوفة، قال الذهبي: ليس به بأس⁽²⁾.

17- يزيد بن شريك بن طارق التيمي الكوفي، وعن يحيى بن معين: ثقة ذكره ابن حبان في التقال، قال ابن سعد: كان ثقة وكان عريف قومه، يقال إنه أدرك الجاهلية، روّي عن عمر وعليٍ وأبي ذر وابن مسعود وحذيفة⁽³⁾.

هذا إشارات عابرة عن الرواة عن على رضي الله عنه، لمن أراد المزيد، فليراجع رسالة الدكتور أحمد محمد طه «فقه الإمام على بن أبي طالب» المقدمة في جامعة بغداد ولم تنشر حتى الآن.

المبحث الخامس

أهم أعمال على بن أبي طالب رضي الله عنه ما بين الهجرة والأحزاب

شرع رسول الله × بعد استقراره بالمدينة في تثبيت دعائمه الدولة الإسلامية، فأخذ يبر
ن المهاجرين والأنصار، ثم أقام المسجد، وأبرم المعاهدة مع اليهود وبدأت حركة السرايا
، واهتم بالبناء الاقتصادي والتعليمي والتربوي في المجتمع الجديد، وكان على رضي ا
للّه عنه ملازماً له في كل أحواله، مفذاً لأوامره، متلمذاً على هديه.

أولاً: حركة السرايا:

1- غزوة العشيرة⁽⁴⁾: وفيها غزا × قريشداً، واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، وسميت هذه الغزوة بغزوة العشيرة، فأقام بها جمادي الأولى وليلالي من جمادي الآخرة، وادع فيها بنى مدرج وخلفاءهم من بنى ضمرة، ثم رجم إلى المدينة، ولم يلق كيداً،

(1) المصدر السابق (146/8)، سير أعلام النبلاء (443/4).

الكافل للذهب (218/3) {2} {2}

(3) المصدر نفسه (3/280).

(4) ناحية من نواحي يتبع بين مكة والمدينه.

وذلك أن العير التي خرج لها قد مضت ذلك بأيام ذاهبة إلى الشام⁽¹⁾، فساحت على البحر، وبلغ قريشًا خبرها فخرجوها يمنعونها، فلقوها رسول الله × ووقعت غزوة بدر الكبرى⁽²⁾، وقد حدثنا عمار بن ياسر عن مشاركته وعلى رضي الله عنهما في تلك الغزوة، فعن عمار ابن ياسر قال: كنت أنا وعلى رفيقين في غزوة ذي العشيرة، فلما نزلها رسول الله × وأقام بها رأينا ناسًا من بنى مدرج يعملون في عين لهم في نخل، فقال لي علي: يا أبا اليقطان هل لك أن تأتي هؤلاء فتظر كيف يعملون؟ فجئناهم، فنظرنا إلى عملهم ساعة، ثم غشينا النوم، فانطلقنا أنا وعلى ، فاضطجعنا في صور من النخل، في دقعاء⁽³⁾ من التراب فنمنا، فوالله ما أهبت إلا رسول الله × يحركنا برجله، وقد تترننا من تلك الدقوع، في يومئذ قال رسول الله × لعلي: يا أبا تراب، لما رأي عليه التراب قال: «الآلا حديثكم بأشقى الناس رجلين؟» فقلنا: بلى يا رسول الله، قال: «أحيمر ثمود الذي عقر لفافة والذي يضربك يا على على هذه [يعنى قرنه] حتى تُبل منه هذه [يعنى لحيته]»⁽⁴⁾، وقد تكرر نداء رسول الله لعلي بأبي تراب وسيطى الحديث عنه.

2- غزوة بدر الأولى: سببها: أن كرز بن جابر الفهري، قد أغارت على سرّاح⁽⁵⁾ المدينة ونهب بعض الإبل والمواشى، فخرج رسول الله × في طلبه، حتى بلغ وادياً يقال له «سفوان» من ناحية بدر، وفاته كرز بن جابر، فلم يدركه، فرجع رسول الله × إلى المدينة⁽⁶⁾، وقد أعطى الحبيب المصطفى أمير المؤمنين عليهما رضي الله عنه لواهه الأبيض⁽⁷⁾، وتعتبر حركة السرايا بداية الجهاد القتالي ضد أعداء الدعوة، مع حركة السرايا والبعوث والغزوات التي خاضها رسول الله × ضد المشركين ظهرت جليًا سنة التدافع التي تعامل معها النبي × وأصحابه ومن بينهم أمير المؤمنين على بن أبي طالب، وهذه السنة متعلقة تعلقاً وطيداً بالمتkin لهذا الدين، وقد أشار الله تعالى إليها في كتابه العزيز وجاء التصريح عليها في قوله تعالى: + وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بِعِظَمِهِمْ بِبَعْضِ ضِلَّفَسَدَاتِ الْأَرْضِ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ " [القرآن: 251]. وفي قوله تعالى: + الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا وَإِنَّا لَهُ وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بِعِظَمِهِمْ بِبَعْضِ لَهُدَمَتْ صَوَامِعَ وَبَيْعَ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدَ يَذْكُرُ فِيهَا اسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَغَوِي عَزِيزٌ" [الحج: 40].

ثانيةً: غزوة بدر:

1- قال النووي رحمه الله: وأجمع أهل التواريХ على شهوده بدرًا، وسائر المشاهد غير تبوك، قالوا: وأعطاه النبي × اللواء في مواطن كثيرة⁽⁸⁾.

كان على بن أبي طالب رضي الله عنه أحد المجاهدين الذين شاركوا في غزوة بدر، ولنتركه يقص علينا خبر هذه الغزوة، فعن حارثة بن مضرب بن على أبي طالب رضي الله عنه قال: وكان النبي × يتذكر عن بدر، فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا، سار رسول الله × إلى بدر، وبدر بئر، فسبقت المشركين إليها، فوجدنا فيها رجلين منهم، رجلاً من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط، فاما القرشي فانقلب، وأما مولى عقبة

(1) طبقات ابن سعد (10/2).

(2) المصدر نفسه (11/2).

(3) الدقوع: الأرض التي لأنبات فيها، القاموس (3/22).

(4) فضائل الصحابة (855/2) رقم 1172 أسناده حسن.

(5) السرح: الإبل والمواشى التي تسروح للرعى بالغادرة.

(6) سيرة ابن هشام (601/2).

(7) تاريخ الإسلام للذهبي (48/2)، على بن أبي طالب للرافعى: ص (89).

(8) تهذيب الأسماء واللغات (245/1).

ة فأخذناه، فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هم والله كثير عددهم، شديد بأسمهم، فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به إلى النبي ﷺ، فقال له: كم القوم؟ قال: هم والله كثير عددهم، شديد بأسمهم، فجهد النبي ﷺ أن يخبره كم هم، فأبى، ثم إن النبي ﷺ سأله: «كم ينحرون من الجزر؟»، فقال: عشرًا كل يوم، فقال رسول الله ﷺ: «القوم ألف، كل جزور لمنة وتبعها»، ثم إنه أصابنا من الليل طش من مطر، فأنطلقنا تحت الشجر والحج فنستظل تحتها، من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه عز وجل يقول: «اللهم إني إنك إن تهلك هذه الفتنة لا تعبد»، قال: فلما طلع نادى: الصلاة عباد الله، فجاء الناس، من تحت الشجرة والحجف، فصلى بنا رسول الله ﷺ، وحضر على القتال، ثم قال: إن جمع قريش تحت هذه الصالع الحمراء من الجبل. فلما دنا القوم منا وصافناهم، إذا رجل منهم على جمل له أحمر يسير في القوم، فقال رسول الله ﷺ: يا علي ناد حمزة. وكان أقربهم من المشركين: من صاحب الجمل الأحمر، وماذا يقول لهم، ثم قال رسول الله ﷺ: «إن يكن في القوم أحد يأمر بخير، فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر»، فجاء حمزة فقل: هو عتبة بن ربيعة، وهو ينهي عن القتال، ويقول لهم: يا قوم إني أرى قومًا مستميدين لا تصلون إليهم وفيكم خير، يا قوم اعصبوهااليوم برأسى، وقولوا: جبن عتبة بن ربيعة، وقد علمتم إني لست بأجبنكم، قال، فسمع ذلك أبو جهل، فقال: أنت تقول هذا؟ والله لو غيرك يقول هذا لأغضضته، قد ملئت رئتك وجوفك رعبًا. قال عتبة: أيًا تُعيّر يا مُصفر إسته؟ ستعلم اليوم أينما الجبان. قال: فبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد حمية، فقبلوا: من يبارز؟ فخرج فتية من الأنصار ستة، فقال عتبة: لا نريد هؤلاء، ولكن يبارزنا من بنى عمنا، من بنى عبد المطلب، فقال رسول الله ﷺ: «قم يا علي، قم يا حمزة، وقم يا عبيدة بن الحارث بن المطلب». فقتل الله تعالى عتبة وشيبة ابنى ربيعة، والوليد بن عتبة، وجرح عبيدة، فقتلنا منهم سبعين، وأسرنا سبعين، فجاء رجل من الأنصار قصيراً بالعباس بن عبد المطلب أسيرًا، فقال العباس: يا رسول الله، إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني ربي: أنا أسرته يا رسول الله. فقال: اسكت فقد أيدك الله تعالى بمثل كريم. فقال على: فأسرنا من بنى عبد المطلب: العباس وعقيلاً، ونوفل بن الحارث⁽¹⁾، ومن وصف على رضى الله عنه لغزوة بدر نلاحظ دروسًا وعبرًا وفوائد كثيرة يمكن الرجوع إليها في كتابي السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث.

2- ما قيل من أشعار في بطولة على بدر: كان لواء المشركين يوم بدر مع طحة فقتله على رضي الله عنه، فقال الحاج بن علاء السلمي في ذلك:

أعني ابن فاطمة المع المخولا
لله أي مذنب عن حربه

تركت طليحة للجبين مجندلا

جادت يداك له بعاجل طعنة

بالحق إذ يهون أخول أخولا

وشددت شدة باسل فكشفتهم

لترده حران حتى ينهلا⁽²⁾

وعللت سيفك بالدماء ولم تكن

ثالثًا: زواج على من فاطمة رضي الله عنهما:

هي فاطمة بنت إمام المتقين سيد ولد آدم رسول الله ﷺ، وأمها خديجة بنت خويلد، كانت

(1) مسند أحمد، الموسوعة الحديثية رقم 948 إسناده صحيح.

(2) البداية والنهاية (37977).

ت تكى بأم أبيها⁽¹⁾، ولدت رضي الله عنها قبل البعثة سنة خمسة وثلاثين من مولد النبي ×⁽²⁾، زوجها النبي × على بن أبي طالب سنة اثنين للهجرة بعد وقعة بدر، وولدت له أحسن والحسين وأم كلثوم، وكانت وفاتها بعد وفاة النبي × بستة أشهر فرضي الله عنها وأرضها⁽³⁾.

1- مهرها وجهازها: قال على بن أبي طالب رضي الله عنه: خطبت فاطمة إلى رسول الله × فقالت مولاً لي: هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ×؟ قلت: لا، قالت: فقد خطبت، فما يمنعك أن تأتي رسول الله × فيزوجك. قلت: وعندك شيء أتزوج به؟ فقالت: إنك إن جئت رسول الله × زوجك. قال: فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله ×، فلما أن قعدت بين يديه أفهمت، فوالله ما استطعت أن أتكلم جلاة وهيبة. قال رسول الله ×: «ما جاء بك؟ ألك حاجة؟» فسكت فقال: لعلك جنت تخطب فاطمة؟ قالت: نعم، فقال: وهل عندك من شيء تستحلها؟ قالت: لا والله يا رسول الله، فقال: ما فعلت درع سلطتكها؟ فوالذي نفس على بيده إنها لحطمية ما قيمتها أربعينات درهم، قالت: عندي، فقال: قد زوجتكها، فإبعاث إليها بها فاستحلها بها، فإنها كانت لصادق فاطمة بنت رسول الله ×⁽⁴⁾، وقد جهز رسول الله × فاطمة في خميل⁽⁵⁾ وقربة ووسادة أدم⁽⁶⁾ حشوها إدخر⁽⁷⁾، وقد جاء في روایات الشيعة، فأخذت درعي فانطلقت به إلى السوق فبعته بأربعينات درهم من عثمان بن عفان، فلما قبضت الدرارم منه وقبض الدرع مني قال: يا أمي الحسن، ألسن أولى بالدرع منك وأنت أولى بالدرارم مني؟ قالت: نعم، قال: فإن هذا الدرع هدية مني إليك، فأخذت الدرع والدرارم وأقبلت إلى رسول الله فطرحت الدرع والدرارم بين يديه، وأخبرته بما كان من أمر عثمان، فدعاه لـه أتنبي بخير⁽⁹⁾.

2- زفافها: قالت أسماء بنت عميس: كنت في زفاف فاطمة بنت رسول الله ×، فلما أصب هنا جاء النبي × إلى الباب فقال: يا أم أيمن أدعني لي أخي، قالت: هو أخوك وتتحكه؟ قال: نعم يا أم أيمن، قالت: فجاء على فوضي النبي × عليه من الماء ودعاه ثم قال: أدعني إلى فاطمة، قالت: فجاءت تغسل من الحياة، فقال لها رسول الله ×: اسكنتي فقد أنكحتك أحب أهل بيته إلى، قالت: ونوضي النبي × عليها من الماء ودعاه، قالت: ثم رجع رسول الله × فرأى سواداً بين يديه، فقال: من هذا؟ قالت: أنا، قال: أسماء؟ قلت نعم، قال: أسماء بنت عميس؟ قلت: نعم، قال: جئت في زفاف بنت رسول الله تكرمه له؟ قلت: نعم، قالت: فدعالي⁽¹⁰⁾.

3- وليمة العرس: عن بريدة قال: لما خطب على فاطمة، قال رسول الله ×: إنه لابد للعرس⁽¹¹⁾ من وليمة، قال: فقال سعد: على كبش، وجمع له رهط من الأنصار آصعاً من ذرة، فلما كان ليلة البناء، قال: يا على لا تحدث شيئاً حتى تلقاني، فدعا النبي × بماه فـ

(1) أسد الغابة (520/5)، الإصابة (365/4).

(2) الطبقات لأبن سعد (26/8).

(3) حلية الأولياء (43)، سير أعلام النبلاء (118/2، 134)، العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتغريط د. سليمان السجيمي: ص (132).

(4) دلائل التبرة للبيهقي (160/3) إسناده حسن.

(5) خميل: قطفة.

(6) الأدم: الجلد.

(7) إدخر: بنات.

(8) صحيح السيرة النبوية: ص (667)، مسند فاطمة الزهراء، وما ورد في فضلها للسيوطى تحقيق فؤاد أحمد زمرلى: ص (189).

(9) كشف الغمة للأربيلى (359/1)، بحار الأنوار للمجلسى: ص (39) نقلًا عن الشيعة وأهل البيت: ص (137، 138).

(10) فضائل الصحابة (955/2) رقم 342 إسناده صحيح.

(11) للعرس: أي للعروس.

وضأ منه ثم أفرغه على علىٰ، فقال: «اللهم بارك فيهما وبارك عليهما، وبارك في شبهما»⁽¹⁾.

4- معيشة على وفاطمة رضي الله عنهم: كانت معيشة على وفاطمة، وهما أحباب الناس إلى رسول الله ×، معيشة زهد وتقشف، وصبر وجهد، فقد أخرج هناد من عطاء، وقال: نبئت أن علياً رضي الله عنه قال: مكتنا أيامًا ليس عندنا شيء، ولا عند النبي ×، فخرجت فإذا أن بدينار مطروح على الطريق، فمكتت هنيهة أو أمر نفسي في أخذه أو تركه، ثم أخذته لما بنا من الجهد، فأعطيت به الضفاطين⁽²⁾، فاشترىت به دقيقةً، ثم أتيت به فاطمة قلت: اعجنى وأخبارى، فجعلت تعجن وإن قصتها لتضرب حرف الجفنة من الجهد الذي بها- ثم خبزت، فأتيت النبي × فأخبرته، فقال: «كلوه فإنه رزق رزقكموه الله عز وجل»⁽³⁾، وعن الشعبي، قال: قال على رضي الله عنه: تزوجت فاطمة بنت محمد رسول الله × ومالي ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل، ونخلف عليه ناضحنا بالنهار، ومالي خادم غيرها⁽⁴⁾، وعن مجاهد قال على: جعت مرة بالمدينة جوعاً شديداً، فخرج أطلب العمل في عوالي المدينة، فإذا بأمرأة قد جمعت مدرأً، فظننتها تزيد بلـه⁽⁵⁾، فأيّت لها فقاطعتها⁽⁶⁾ كل ذنب⁽⁷⁾ على تمرة، فمدّت ستة عشر ذنباً، حتى مجلت يدائي⁽⁸⁾ ثم أثنت الماء فأصبته منها، ثم أتتني فقلت بكفي هذا بين يديها⁽⁹⁾، فعدت لي ست عشرة تمرة، فأتيت النبي ×، فأخبرته، فأكل معى منها⁽¹⁰⁾. في هذا الخبر بيان لشدة الحال التي مر بها أمير المؤمنين على رضي الله عنه في المدينة، وأنأخذ منه صورة من السلوك المشروع في مواجهة الشدائـد، حيث خرج على رضي الله عنه وعمل بيديه للكسب المشروع، ولم يجلس متـظراً ما تجود به أيدي المحسنين، وصورة أخرى من قوة التحمل حيث قام بذلك العمل الشاق وهو يعاني من شدة الجوع ما يضعف قوته، وصورة أخرى من إثارة لأحـبة والوفاء لهم، فهو على ما به من شدة الجوع وبالرغم مما قام به من ذلك العمل الشاق قد احتفظ بأجرته من التمر حتى لقي النبي × فأكل معه⁽¹¹⁾.

5- زهد السيدة فاطمة وصبرها: كانت حياتها في غاية البساطة بعيدة عن التعقيد، وهي إلى شظف العيش أقرب منها إلى رغده⁽¹²⁾، وهذه القصة تصور لنا حال السيدة فاطمة من التعب و موقف رسول الله × منها عندما طلبت منه أن يعطيها خادماً من السبـي، قال على لفاطمة ذات يوم: والله لقد سـنوت⁽¹³⁾، حتى لـقت اشتكيت صدرـي، قال: وجاء الله أبا إلـك بـسبـي فاذـهي فاستـخدمـيه⁽¹⁴⁾، فقالـت: أنا والله طـحـنت حتى مجلـت يـدـائي، فأـتـيـتـ النبي × فقالـ: ما جاءـكـ أيـ بـنـيـةـ. قـالـتـ: جـئتـ لـأـسـلـمـ عـلـيـكـ وـاسـتـحـيـتـ أـنـ تـسـأـلـهـ وـرـجـعـتـ فـقـالـ علىـ: ما فـعـلـتـ؟ قـالـتـ: أـسـتـحـيـتـ أـنـ أـسـأـلـهـ، فـأـتـيـتـ جـمـيـعـاـ، فـقـالـ عـلـىـ: يا رسول الله والله لقد

(1) المعجم الكبير للطبراني 1153، فضائل الصحابة (2/ 858)، إسناده صحيح.

(2) الضفاطون: الحمالون والمكارون الذين يحملون الدقيق من الخارج.

(3) كنز العمل (328/7)، المرتضى للندوي: ص(21).

(4) كنز العمل (133/7)، المرتضى للندوي: ص(41).

(5) الدر: يعني الطين الابس، تزيد بلـه: يعني الماء.

(6) فقاطعتها: أي: انفقت معها على أجـرةـ.

(7) ذنب: دلو.

(8) مجلـتـ: توـرـمتـ منـ العـلـمـ.

(9) يعني بـسطـهـماـ وـضـمـهـماـ

(10) صفة الصفوة (320/1)، الموسوعة الحديثية مـسـنـدـ أـحـمـدـ 1135، إـسـنـادـ ضـعـيفـ لـانـقـطـاعـهـ.

(11) التـارـيخـ الإـسـلامـيـ للـحـمـيدـيـ (49/19)، (50).

(12) انـظـرـ: معـينـ السـيـرـةـ صـ255ـ للـسـامـيـ.

(13) سـنـوـتـ: اـسـنـفـتـ.

(14) أي أـسـائـلـهـ خـادـمـاـ.

سنوات حتى اشتكيت صدري، وقالت فاطمة: قد طحنت حتى ماحت بداعي⁽¹⁾، وقد جاءك الله بسبى وسعة فأخذمنا، فقال رسول الله ×: والله لا أعطيكم وأدع أهل الصفة تطوى⁽²⁾ بطونهم، لا أحد ما أنفق عليهم، ولكنني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم، فرجعا فأتاهم النب ي × وقد دخلا في قطيفتها إذا غطت رءوسهما تكشف أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما تكشف رءوسهما، فثارا، ثم قال: لا أخبركم بما سألتكم⁽³⁾؟ قال: بل ×. فقال: كلمات علمانيهن جبريل عليه السلام، فقال: «تسبحان في دبر كل صلاة عشرًا ، وتحمدان عشرًا ، وتكبران عشرًا ، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثة وثلاثين ، واحمدوا ثلاثة وثلاثين وكبرا أربعين وثلاثين»⁽⁴⁾، وفي القصة السالفة بعض القيم المهمة منه :

إن هذه الحادثة تبين لنا كيف أدار النبي × الأزمة الاقتصادية التي مرت بدولة الرسول في المدينة، وذلك من خلال ترتيبه للألوبيات، فسد جوع أهل الصفة ضرورة، وأما حاجة على وفاطمة للخادم ليست بمرتبة احتياج أهل الصفة، فقدم رسول الله أهل الصفة عليهم، وكانت وسائل رسول الله × في حل الأزمة الاقتصادية كثيرة.

ولقد تأثر على - رضي الله عنه - بهذه التربية النبوية، ويرم الزمن بالفتى على فيصب ح خليفة المسلمين، فإذا به من آثار هذه التربية يترفع عن الدنيا وزخارفها وبهذه كنوز الأ رض وخيراتها، لأن ذكر الله يملأ قلبه ويغمر وجوده، ولقد حافظ على وصية رسول الله × له، وقد حدثنا عن ذلك فقال: فوالله ما تركتهنمنذ علمانيهن، فسأله أحد الصحابة: ولا ليلة صفين؟ فقال: ولا ليلة صفين⁽⁴⁾.

6- إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا: عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: دخل على رسول الله × وعلى فاطمة من الليل، فأيقظنا للصلوة، قال: ثم رجع إل ى بيته فصلى هويا من الليل، قال: فلم يسمع لنا حسناً، قال: فرجع إلينا فأيقظنا وقال: قوما فصلينا، قال: فجلست وأنا أعرّاك عيني، وأقول: إنا والله ما نصلى إلا ما كتب لنا، إنما أ نفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، قال: فولى رسول الله × وهو يقول، ويضرب بيده على فخذه: «ما نصلى إلا ما كتب لنا، ما نصلى إلا ما كتب لنا + وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْئاً جَدَلَاً» [الكهف: 54]. وهذا فيه تجرد على رضي الله عنه للحق وحرمه ع لى نشر العلم ولو كان الأمر متعلقا به رضي الله عنه، وهذه قيمة كبيرة يتعلّمها المسلمون من أمير المؤمنين على، ولو أراد لكم الحديث، علمًا بأن صلاة الليل لم تكن واجبة.

رابعًا: ولادها الحسن والحسين رضي الله عنهم:

1- الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي:

سيط رسول الله × وريحانته في الدنيا، وأحد سبدي شباب أهل الجنة، أمه فاطمة الز هراء، ولد للنصف من رمضان سنة 3هـ وقيل في شعبان، وقيل في سنة أربع أو خمس⁽⁵⁾. وقد توفي عام 50هـ. وقد اخترت في كتابي السيرة النبوية بأنه ولد في العام ال رابع للهجرة⁽⁶⁾.

هذا وقد سماه رسول الله × حسناً، قال على رضي الله عنه: لما ولد الحسن سميته

(1) السيرة النبوية للصلابي (99/2)، مسلم رقم (2727) البخاري رقم (3705).

(2) تطوي: طوى من الجوع فهو طاو: خالي البطن جائع لم يأكل.

(3) البخاري: رقم (3705)، مسلم رقم (2727).

(4) مسلم (2092/4).

(5) فضائل الصحابة (970/2)، حلية الأولياء (35/2).

(6) السيرة النبوية للصلابي (199/2)، شدرات الذهب (10/1).

حرباً، فجاء رسول الله × فقال: أروني ابني. ما سميتموه؟ قلت: حرباً، قال ×: بل هو حسن⁽¹⁾ وهكذا غير × ذلك الاسم الحاد باسم جميل يدخل السرور والبهجة على القلوب، فحمل المولود الجديد اسمه الجميل، وحمله × بين يديه وقبله.

وهذا أبو رافع يخبرنا عن فعل رسول الله ×، يقول: رأيت النبي × أدن في أذني الح سن حين ولدته فاطمة بالصلوة⁽²⁾.

وحدثنا أبو رافع عن عقيقة الحسن فقال: لما ولدت فاطمة حسناً قالت: ألا أعق عن ابني بدم (بكشين) قال ×: لا ولكن أحلق رأسه وتصدق بي وزن شعره من فضة على المسماكين والأوفاض، وكان الأوفاض ناسياً من أصحاب رسول الله × محتاجين في المس جد أو الصفة ففعلت ذلك⁽³⁾.

هذا وقد وردت أحاديث كثيرة في فضائل الحسن بن علي رضي الله عنه منها:

أ- عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: رأيت الحسن بن عليًّا على عاتق النبي × وهو يقول: «اللهم إني أحبه فأحبه»⁽⁴⁾.

ب- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي × أنه قال للحسن: «اللهم إني أحبه، فأحبه وأحب من يحبه»⁽⁵⁾.

ج- وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهم عن النبي × أنه كان يأخذه والحسن ويقول ل: «اللهم إني أحبهما فأحبهما»⁽⁶⁾.

د- عن أبي بكرة رضي الله عنهما قال: سمعت النبي × على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: «ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فتن ين من المسلمين»⁽⁷⁾. فإخبار النبي × بأن الحسن سيد مفخرة عظيمة وميزة شريفة له رضي الله عنه وأرضاه، وقد تحققت نبوءة جده ×، فأصلاح على يديه بين المسلمين وحقن دماءهم، حيث نزل عن حقه في الخلافة لمعاوية رضي الله عنهم أجمعين، وكان ذلك في سنة إحدى وأربعين، وكانت خلافته رضي الله عنه ستة أشهر وسمى هذا العام عام الجمعة، وهذا ما أخبر به النبي × يقوله: «لعل الله أن يصلح به بين فتنين عظيمتين»⁽⁸⁾.

قال ابن حجر: فالحديث فيه علم من إعلام النبوة، ومنقبة للحسن بن علي، فإنه ترك الملك لا لقلة ولا لذلة، بل لرغبة فيما عند الله لما رأه من حقن دماء المسلمين، فراعي أمر الدين ومصلحة الأمة⁽⁹⁾، وسيأتي الحديث بإذن الله عن تنازل الحسن بالخلافة لمعاوية عند حديثنا في عهده في كتاب مستقل.

ه- وعن سعيد المقري⁽¹⁰⁾، قال: كنا مع أبي هريرة رضي الله عنه فجاء الحسن بن على ابن أبي طالب علينا فسلم فردنا عليه السلام ولم يعلم به أبو هريرة فقلنا: يا أبو هريرة هذا الحسن بن علي قد سلم علينا فللحقة وقال: عليك السلام يا سيدي ثم قال: إنه

(1) البخاري في الأدب (286).

(2) سنن أبي داود رقم 5105. إسناده ضعيف حكم عليه الشيخ عثمان الخميس، عن رسالته للماجستير المتعلق بالأحاديث الخاصة بالحسن والحسين: ص(80).

(3) الطبقات (233/1). إسناده ضعيف.

(4) البخاري رقم 3749.

(5) مسلم رقم 2421.

(6) البخاري: 3747.

(7) البخاري رقم 3746.

(8) البداية والنهاية (20/8)، سير أعلام النبلاء (144/3، 145).

(9) فتح الباري (13/66).

(10) هو: كيسان المدني مولى أم شريك، ثقة ثبت مات سنة 10، التغريب .463

سيد(1).

و- منها مشابهته رضي الله عنه للنبي في الخلق، فقد روى البخاري بإسناده إلى أذن ابن مالك رضي الله عنه قال: لم يكن أحد أشبه بالنبي × من الحسن بن على⁽²⁾.

ز- وروى أيضًا بإسناده إلى عقبة بن الحارث قال: رأيت أبا بكر رضي الله عنه وقد حمل الحسن وهو يقول: بأبى شبيه بالنبي ليس شبيهًا بعلی، وعلى يضحك⁽³⁾، فكونه رضي الله عنه شبه جده المصطفى × في الخلق منقبة عظيمة له وفضيلة ظاهرة⁽⁴⁾.

2- الحسين بن على رضي الله عنه:

هو أبو عبد الله الحسين بن على بن أبي طالب، سبط رسول الله ×، وريحانته ومحبّه، ابن بنت رسول الله، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة 4هـ، وقيل غير ذلك، ومات رضي الله عنه قتيلًا شهيداً، في يوم عاشوراء من شهر المحرم سنة إحدى وستين هجرية بكريلاء من أرض العراق، فرضي الله عنه وأرضاه⁽⁵⁾، وقد وردت في مناقبته وفضائله أحاديث كثيرة منها:

1- ما رواه أحمد بإسناده إلى يعلي العامري رضي الله عنه أنه خرج مع رسول الله × يعني إلى طعام دعوا له- قال: فاستمثّل رسول الله × أمّا القوم، وحسين مع غلامان يلاعبان فأراد رسول الله × أن يأخذ هذه فتفق الصبي يفر هنا مرة وها هنا مرة، فجعل النبي × يضاخكه حتى أخذه قال: فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه ووضع فاه وفمه وقال: «حسين مني وأنا من حسين، اللهم أحب من أحب حسيناً، حسين سبط من ألسabط»⁽⁶⁾، وفي ذلك منقبة ظاهرة للحسين رضي الله عنه، إذا حث على محبته وكانه علم بنور الوحي ما سيحدث بينه وبين القوم فخصه بالذكر، وأكد على وجوب المحبة وحرمة التعرض والمحاربة، وأكّد ذلك بقوله: «أحب الله من أحب حسيناً» فإن محبته تؤدي لمحبة الرسول ومحبة الرسول × من محبة الله»⁽⁷⁾.

ب- منها ما رواه البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أتى عبيد الله ابن زياد⁽⁸⁾ برأس الحسين عليه السلام فجعل في طست، فجعل ينكّت وقال في حسد شبيئاً، فقال أنس: كان أشبههم برسول الله × وكان مخصوصاً بالوسمة⁽⁹⁾⁽¹⁰⁾.

ج- وفي رواية أخرى عن أنس أيضًا قال: لما أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين جعل ينكّت بالقضيب ثانية يقول: لقد كان أشبهه قال جميلاً فقلت: والله لأسوءنك، إنني رأيت رسول الله يلثم حيث يقع قضيبك. قال: فانقبض⁽¹¹⁾. فالحديثان يدللان على فضل الحسين رضي الله عنه، وأنه كان أشبه أهل البيت به، ولكن قد يرد إشكال ولا سيما أنه قد تقدم في فضائل الحسن، أنه لم يكن أحد أشبهه برسول الله × من الحسن بن على، فيحدث التعارض، وقد أزال الإشكال والتعارض ابن حجر رحمة الله حيث جمع بينهما فقال: ويهمني الجمع بأن يكون أنس قال ما وقع في رواية الزهري في حياة الحسن لأنه يومئذ كان

(1) المستدرك، لـ معرفة الصحابة (3/169) صحيح الإسناد وافقه الذهبي.

(2) البخاري، لـ الفضائل رقم 3752.

(3) البخاري رقم 3750.

(4) النقدة في أهل البيت، ص(147).

(5) البداية والنهاية (152/8)، الإصابة (1/331-334).

(6) فضائل الصحابة رقم 1361، إسناده حسن.

(7) تجففة الأحوذى (10/279).

(8) قُتل عبيد الله عام 76هـ، الأعلام (4/193).

(9) الوسمة بكسر السين وقد تسكن: نبت، وقيل شجر باليمن يخضب بورقه الشعر.

(10) البخاري رقم 3748.

(11) فضائل الصحابة (2/985) رقم 1397، إسناده حسن، مجمع الزوائد (9/195).

أشد شبهًا بالنبي × من أخيه الحسين، وأما ما وقع في رواية ابن سيرين فكان بعد ذلك كـ ما هو ظاهر من سياقه، أو المراد بمن فضل الحسين عليه في الشبه ما عدا الحسن، ويـ تـ مـلـ أـنـ يـكـونـ كـلـ مـنـهـماـ أـشـدـ شـبـهـاـ فـيـ بـعـضـ أـعـضـائـهـ، فـقـدـ روـيـ التـرمـذـيـ وـابـنـ حـبـانـ مـنـ طـرـيقـ هـانـئـ بـنـ هـانـئـ عـنـ عـلـىـ قـالـ: الـحـسـنـ أـشـبـهـ النـبـيـ × مـاـ بـيـنـ الرـأـسـ إـلـىـ الصـدـرـ، وـالـ حـسـينـ أـشـبـهـ النـبـيـ × مـاـ كـانـ أـسـفـلـ مـنـ ذـلـكـ⁽¹⁾، فـهـذـهـ بـعـضـ الـأـحـادـيـثـ الـوـارـدـةـ فـيـ الـحـسـينـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ وـأـرـضـاهـ.

3- ما ورد من أحاديث في مناقب مشتركة بين الحسن والحسين رضي الله عنهمما:

أـ ما رواه البخاري بسانده إلى ابن عمر أنه قد سأله رجل من العراق عن المحرر
يقتل الذباب، فقال رضي الله عنه: أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قتلوا ابن ابنة رسـ
ول الله × وقال النبي ×: «هـما ريحـاتـايـ منـ الدـنـيـا»⁽²⁾.

قال ابن حجر: والمعنى أنهم مما أكرمني الله وحباني به، لأن الأولاد يشمون ويقبلون فكأنهم من جملة الرياحين⁽³⁾.

بـ. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحبهما فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني». يعني حسناً وحسيناً⁽⁴⁾.

جـ- وعن البراء بن عازب رضي الله عنهمما أن رسول الله × أبصر حسنًا وحسينًا
قال: «اللهم إني أحبهما فأحبهما»⁽⁵⁾.

د- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيد دا شباب أهل الجنة»⁽⁶⁾.

هـ- عن عبد الله بن بريدة قال: سمعت أبي بريدة يقول: كان رسول الله × يخطبنا في جاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويغتران، فنزل رسول الله × من على المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه، ثم قال: صدق الله ورسوله + إِذْمَا أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فَتَنَّهُ "نظرت إلى هذين الصبيان يمشيان ويغتران فلم أصبر حتى قطع الحديثي ورفعتهما" (7).

و- عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم أن رسول الله × كان يعود إلى حسن والحسين: «أعذكم بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة ، هكذا كان إبراهيم يعود ابنه إسماعيل وإسحاق»⁽⁸⁾. وهذا الحديث لا يتعارض مع ما رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: سمعت النبي × يقول: «لا هامة»⁽⁹⁾ وما رواه أبو هريرة عن رسول الله × في قوله: «لا هام، لا هام»⁽¹⁰⁾، قوله ×: «لا عدو ولا صفر ولا هامة»⁽¹¹⁾، فقد أجاب أبو جعفر الطحاوي بقوله: ففي هذه الأحاديث نفيه الهمامة ونفي وجودها، فكيف يجوز أن يعودهما من معدوم؟ فكان جوابنا له بتوفيق الله عز

فضائل الصحابة رقم 1366 إسناده صحيح.
البخاري رقم 3753.

فتح الباري (427/10) {3} البخاري رقم 3755

ف) صحيح سنن أبي داود (4277) / صحيح البخاري (10427)

صحيح سنن أبي داود (29/2)، فضائل الصحابة رقم 1359.
صحيح سنن الترمذى (3/226)، سنن الترمذى رقم 3782.

⁽⁵⁾ صحيح سنن الترمذى (226/3)، سنن الترمذى رقم 3782.

مجمع الزوائد (184/9) ٦

فضائل الصحابة رقم 58

البخاري رقم 3371

صحيح ابن حبان رقم 27

(١٠) شرح مشكل الآثار (٧)

١٠) سرچ سسٹم ایڈر (2220) مسلم رقم (11).

وجل وعونه: أن الهمامة التي عوذما × منها هو هوام الأرض التي يخاف غواهلها، والهمامة التي نفاتها هي خلافها، وهي ما كانت العرب تقوله في موتها، فمن ذلك ما رثى به لبد أخاه أربد⁽¹⁾ بقوله:

فليس الناس بعدك في نغير
ولا هم غير أصداء وهم

ومن ذلك قول أبي داود الأياديَّ:

سُلْطَنُ الموتِ والمنونِ عليهم
فلهم في صدى المقابر هام

فنفي رسول الله × ذلك كما في حديث أبي هريرة الذي رويناه، وأما الهمامة التي عود منها حسدًا وحسيدًا، فهي موجودة وهي هوام الأرض المخوفة وهي مشددة الميم، والهمامة التي نفاتها مخففة الميم، فليست منها في شيء⁽²⁾.

خامسًا: حديث الكساء ومفهوم أهل البيت:

حديث الكساء روتته عائشة رضي الله عنها⁽³⁾، قالت: خرج النبي × غداة وعليه مرط مرحلاً وهو الكساء» فأدخل علياً وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، ثم قال: +إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيرًا+ [الأحزاب: 33].

وهذا يبين لنا من كذب أن الصحابة يكتمون فضائل على، فهذه عائشة التي يدعون أنها تتبعض عليها هي التي تروي هذا الفضل لعلي وفاطمة⁽⁵⁾.

إن الخطاب في الآيات الكريمة كلها لأزواج النبي × حيث بدأ بهن وختم بهن، قال تعالى: +يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَا زَوْجُكَ إِنْ كُنْتَنَ تُرْدَنَ الْحَدِيَّةَ الدُّنْيَا وَرَبِّنَتَهُ مَا فَتَعَالَيْنَ أَمْ تَعْدُنَ وَأَسْرَ حَكْنَ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِنْ كُنْتَنَ تُرْدَنَ إِلَهَهُ وَرَسُولُهُ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ فَبَانَ اللَّهُ أَعْدَ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَ أَجْرًا عَظِيمًا يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يَكْضَبَعَافَ لَهَا لِعَذَابٍ ضَعُفَيْنَ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا وَمَنْ يَقْدُمَ مِنْكُنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَتَعْمَلْ صَالِحَانَوْتُهَا أَجْرًا هَامَرَتِينَ وَأَعْتَدَنَا لَهَا رَازِقًا كَبِيرًا مَا يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسَدَنَ كَاحِدَ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْدَنَ فَلَا تَخْضَعِنَ بِالْقَوْلِ فَيُطْمِعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرْضٌ وَقَلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا وَقَرْنَ فِي بَيْوَتِكُنَ وَلَا تَبْرُجِ الْجَاهَلِيَّةَ الْأُولَى وَأَقْمَنَ الصَّلَاةَ وَأَتَيْنَ الزَّكَاةَ وَأَطْعَنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيرًا وَأَذْكُرْنَ مَا يُتَلَئِي فِي بَيْوَتِكُنَ مِنْ أَيَّاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا" [الأحزاب: 28-34]، فالخطاب كله لأزواج النبي × ومعهن الأمر والنهي والوعيد، لكن لما تبين ما في هذا من المفعة التي تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت جاء التطهير بضمير المذكر لأنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث غالب الذكر، حيث تناول أهل البيت كلهم، وعلى فاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أخص من غيرهم بذلك، لذلك خصهم النبي × بالدعاء لهم، كما أن أهل بيتهما ينتهي إلى عاليًا والحسن والحسين وفاطمة إلى غيرهم كما في حديث زيد بن

(1) شرح مشكل الآثار (329/7).

(2) شرح مشكل الآثار (330/7).

(3) مسلم رقم (2408) فضائل الصحابة.

(4) مسلم رقم (2167) ك الزكاة.

(5) حقبة من التاريخ ص (187).

أرقم، وأنه لما قيل له: نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته الذين حرموا الصدقة وهم آل على وآل عيسى وآل العباس⁽¹⁾، وإذا اتسع مفهوم أهل بيت النبي × إلى أكثر من ذلك فهم نساؤه بدليل الآية، ويشمل أيضًا علياً وفاطمة والحسن والحسين، كحديث النساء، وب الحديث زيد بن أرقم، وآل عباس بن عبد المطلب، وآل عقيل بن أبي طالب، وآل جعفر بن أبي طالب بدليل حديث زيد بن أرقم، وآل الحارث بن عبد المطلب⁽²⁾، وسيأتي الحديث عن الآية الكريمة مفصلاً عند مناقشتنا للشيعة بإذن الله تعالى.

سادسًا: ما يخص آل رسول الله × من الأحكام:

1- تحريم عليهم الزكاة: لحديث عبد المطلب بن ربيعة أن النبي × قال: «إن الصدقة لا تتبغي لآل محمد، إنما هي أوسع الناس»⁽³⁾.

2- لا يرثون رسول الله ×: لحديث أبي بكر قال: قال رسول الله ×: «لا نورث، ما تركنا صدقة»⁽⁴⁾. وقد روى هذا الحديث أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب وأزواج النبي × وأبو هريرة كما نص على ذلك ابن تيمية وهي ثابتة عنهم في الصحاح والمسانيد⁽⁵⁾.

3- لهم خمس الخمس في الغنيمة⁽⁶⁾ والفي⁽⁷⁾: قال تعالى: +وَاعْلَمُوا أَنَّمَا خَذَمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ خُمُسُهُ وَلَرَسُولُ وَلَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ وَابْنُ السَّبِيلِ إِنْ كَنْتُمْ أَمْنَتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْأَفْرَقَانِ يَوْمَ الْتَّقْوَى الْجَمِيعَنَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [الأنفال: 41].

وقال تعالى: +مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيِّ رَسُولُهُ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَى فَلَلَّهُ وَلَرَسُولُهُ وَلَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ وَابْنُ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونُ دُونَ لَهُ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ» [الحشر: 7].

4- الصلاة عليهم مع النبي ×: عن كعب بن عجرة قال: سألنا رسول الله × فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليهم أهل البيت؟ فإن الله قد علمنا كيف نسلم، قال: «قولوا: الله لهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجید. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم على آل إبراهيم إنك حميد مجید»⁽⁸⁾.

5- لهم مودة خاصة: ويتمثل هذا فيما رواه زيد بن أرقم عن النبي ×: «أنذركم الله في أهل بيتي، أنذركم الله في أهل بيتي، أنذركم الله في أهل بيتي»⁽⁹⁾.

قال القرطبي: وهذه الوصية، وهذا التأكيد العظيم يقتضي وجوب احترام أهله وتوفيرهم ومحبتهم، وجوب الفروض المؤكدة التي لا عذر لأحد في التخلف عنها⁽¹⁰⁾، وقد فهم

(1) مسلم رقم 107.

(2) مسلم ك الزكاة رقم 167.

(3) مسلم رقم 1072.

(4) البخاري رقم 3093 مسلم 1757.

(5) منهاج السنة (195/4)، البداية والنهاية (252/5).

(6) ما أصيـبـ منـ أموـالـ أـهـلـ الـحـرـبـ وـأـوـجـفـ عـلـيـهـ الـمـسـلـمـونـ بـالـخـيـلـ وـالـرـكـابـ، النـهاـيـةـ (389/3).

(7) ما حصل لل المسلمين من أموال الكفار من غير حرب ولا جهاد، النـهاـيـةـ (482/3).

(8) البخاري رقم 3370، مسلم رقم 406.

(9) مسلم رقم 2408.

(10) فتح القدير للمناوي (14/3).

وصية النبي × بأهل بيته حق الفهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فأحبهم وأكرمهم، ودعا الناس إلى إكرامهم ومحبتهم، فقد روى البخاري بإسناده إلى أبي بكر رضي الله عنه ، أنه قال: أرقبوا محمدا × في أهل بيته⁽¹⁾.

فهذا خطاب من الصديق رضي الله عنه ووصية منه للناس في حفظ حقوق آل بيت النبي ×، فالمراقبة للشيء المحافظة عليه، ومعنى قول الصديق: احفظوه فيهم فلا تؤذوه م ولا تسيئوا إليهم⁽²⁾، وقال النووي: ومعنى «ارقبوا»: راعوه واحترمه وأكرمه⁽³⁾، وقد أكد رضي الله عنه تلك الحقوق بما قاله لعلى رضي الله عنه: والذي نفسي بيده لقراءة رسول الله × أحب إلى أن أصل من قرابتني⁽⁴⁾. ومحبة أهل البيت من أصول أهل السنة والجماعة، يقول ابن تيمية: وإن من أصول أهل السنة والجماعة أنهم يحبون أهل بيته الذي × ويتولون منهم ويحذطون فيهم وصية رسول الله ×⁽⁵⁾، وقال القاضي عياض: إن من علامات محبته × محبته لمن أحب النبي ×، ومن هو بسببه من آل بيته، وصحابته من المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم أجمعين، فمن أحب شيئاً أحب من يحبه⁽⁶⁾، وقال ابن كثير: ولا ننكر الوصاية بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرًا، وحسبًا ونسبًا، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية، فكانوا من أهل الحق كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه، وعلى وأهل بيته وذراته رضي الله عنهم أجمعين⁽⁷⁾.

سابعاً: علي رضي الله عنه في غزوة أحد:

في غزوة أحد بدأ القتال بمبارزة بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وطلحة بن عثمان، وكان بيده لواء المشركين، وطلب المبارزة مراراً، فخرج إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له علي: والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى يعجلك الله بسيفي إلى النار أو يجعلني بسيفك إلى الجنة، فضربه علي، فقطع رجله فوقع على الأرض فانكشفت عورته فقال: يا ابن عمي أشدك الله والرحم! فرجع عنه ولم يجهز عليه، فكتب رسول الله وقال لعلي بعض أصحابه: أفلأ جهزت عليه؟ قال: إن ابن عمي ناشدني الرحم حين انك شفت عورته فاستحييت منه⁽⁸⁾. وكان رضي الله عنه بعد الالتحام في ميمنة الجيش، وأخذ الرأية بعد مقتل مصعب بن عمر رضي الله عنه.

في هذه المعركة قتل من المشركين خلفاً كثيراً، رغم ما أصاب المسلمين من الشدة في هذه الغزوة، إضافة إلى بلائه في الدفاع عن رسول الله ×⁽⁹⁾، وكان علي رضي الله عنه هو الذي أخذ بيده رسول الله × حينما وقع في الحفرة يوم أحد⁽¹⁰⁾، لقد استشهد في تلك الغزوة عدد كبير من خيرة المهاجرين والأنصار، وترك حزناً عميقاً في نفس الرسول ×، كما أصاب العدو من الرسول الكريم، فأدموا وجهه الشريف، فقامت ابنته فاطمة وزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنهم بمحاولة جراحه، وإيقاف الدم الذي كان ينزف على وجهه ولحيته عليه الصلاة والسلام⁽¹¹⁾.

(1) البخاري رقم 713.

(2) انظر: قتـة البـاري (97/7).

(3) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتقرير: ص(175).

(4) البخاري رقم 3712.

(5) مجموع الفتاوى (3/407).

(6) الشفاء (2/573).

(7) تفسير القرآن العظيم (11/4).

(8) السيرة الحلبية (2/497, 498).

(9) البداية والنهاية (7/224).

(10) السيرة النبوية لأبي هشام (3/89).

(11) البخاري رقم 4075.

وظهرت شجاعة علي رضي الله عنه في تلك المعركة، فعندما أشبع أن الرسول × قتل، وفقده علي رأى أن الحياة لا خير فيها بعده، فكسر جفن سيفه، وحمل علي القوم حتى أفرجوا له، فإذا برسول الله ×⁽¹⁾، فثبت معه ودافع عنه دفاع الأبطال، وقد أصابته ست عشرة ضربة في ذلك اليوم⁽²⁾.

وبعد انسحاب جيش المشركين من أرض المعركة أرسل رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد الغزوة مباشرةً، وذلك لمعرفة اتجاه العدو، فقال له: «أخرج فِي آثارِ الْقَوْمِ وانظُرْ مَاذَا يصْنَعُونَ وَمَا يَرِيدُونَ، فَإِنْ كَانُوا قدْ جَنَبُوا الْخَيْلَ وَامْتَطَوْا إِلَيْهِ لِفَانِتِهِمْ يَرِيدُونَ مَكَّةَ، وَإِنْ رَكِبُوا الْخَيْلَ وَسَاقُوا الْإِبْلَ فَهُمْ يَرِيدُونَ الْمَدِينَةَ، وَالَّذِي نَفْسُهُ يَبِدِيهُ إِنْ أَرَادُوهَا لِأَسْيَرِنَ الْيَهُودَ فِيهَا ثُمَّ لَأَنْجِزُنَهُمْ»، قال علي: فخررت في أثرهم أنظر ماذا يصنعون، فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة⁽³⁾، فخرج علي رضي الله عنه، وأخذ رسول الله ﷺ بخط القلم⁽⁴⁾، وفِي هَذَا الْخَرْدَعَةِ دَرَوْبِهِ، وَعَدَّ مِنْهَا:

- شجاعة النبي ×، حيث كان داخل صفوف المشركين ولم يصل إليه سيدنا على إلا بعد جهد جهيد، فوجد رسول الله × في قلب العدو يقاتلهم حتى أصيب بعده جروح.

- يقظة الرسول ×، ومراقبته الدقيقة لتحركات العدو، وقدرته × على تقدير الأمور، وتحليل تصرفات الخصم وفهم ما يتربّط عليهما من قرارات.

- ظهور قوته المعنوية العالمية، ويظهر ذلك في استعداده لمقاتلة المشركين لو أرادوا المدينة.

- وفيه ثقة النبي × بعلي رضي الله عنه ومعرفته بمعادن الرجال.

- المروءة ومكارم الأخلاق عند على عندما رجع عن خصمه بعدهما انكشفت عورته وإقرار رسول الله × له، وهذا العمل يعلمنا قيمة التعامل، وكيف تكون الأخلاق حتى مع الخصم وحتى في ساحة المعركة.

- وجوب التضحية في سبيل الله وأنه بهذه الروح ينتصر الإسلام في الحياة وبنال شهيد الجنة، وهذا ما أثبته لنا بعض المهاجرين والأنصار في هذه المعركة وغيرها.

- وجوب الأخذ بالأسباب، وظهر هذا عندما وضع رسول الله × بعض الصحابة على جبل أحد، فعصوه ونزلوا و كان هذا من أسباب الهزيمة.

- وفيه شجاعة على رضي الله عنه، لأن هذا الجيش لو أبصره ما تورع عن محاولة قتاله (54)

ثامدًا: على رضي الله عنه في غزوة بنى النضير:

يرى المحققون من المؤرخين أن غزوة بنى النضير كانت بعد أحد في ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة، وقد رد ابن القيم على من زعم أن غزوة بنى النضير بعد در بستة أشهر بقوله: وزعم محمد بن شهاب الزهري: أن غزوة بنى النضير كانت بعد در بستة أشهر، وهذا وهم منه أو غلط عليه، بل الذي لا شك فيه أنها بعد أحد، والتي كان

(1) مسلم شرح النبوى (148/12)
(2) مسنن أبي يعلى (1/415، 416). إسناده حسن، خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد فقيهي
ص (39)

(3) مسند أبي يعلي (415/1)، (416) إسناده حسن، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد فقيهي ص(39).

(4) البداية والنهاية (4/41).
 (5) السيرة النبوية للصلابي (2/145)، غزوة أحد لأبي فارس: ص(95، 96).

() () () () () () () ()

ت بعد بدر بستة أشهر هي غزوة بنى قينقاع، وقريظة بعد الخندق، وخبير بعد الحديبية⁽¹⁾، وقال ابن العربي: وال الصحيح أنها بعد أحد⁽²⁾، وإلى هذا الرأي ذهب ابن كثير⁽³⁾، ففي هذه الغزوة فقد الصحابة على بن أبي طالب رضي الله عنه ذات ليلة، فقال النبي ﷺ: «إنه في بعض شأنكم»، فعن قليل جاء برأس عزوكاً، وقد كمن له حتى خرج في نفر من اليهود يطلب غرة من المسلمين، وكان شجاعاً رامياً، فشد عليه على رضي الله عنه فقتله، وفر اليهود⁽⁴⁾.

تاسعاً: على رضي الله عنه في غزوة حمراء الأسد:

تعتبر هذه الغزوة مكملة لغزوة أحد، فقد عاد المسلمون من أحد مساء السبت الخامس عشر من شوال من السنة الثالثة للهجرة، وما أن أصبح الصباح وخرج الناس من صلاة الفجر إلا وأنذنَ مؤذن رسول الله ﷺ بالتهيؤ على جناح السرعة لمطاردة العدو، وألا يخرج من الناس إلا من شهد أحداً، فاستجاب الناس لنداء رسول الله ﷺ مع ما بهم من جراحات وتعب، وكان في مقدمتهم رسول الله ﷺ، ولم يسمح لعبد الله بن أبي بالخروج منه، ولا لأحد لم يشهد أحداً إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الذي استشهد أبوه في أحد، وكان قد منعه من الاشتراك في بدر وأحد ليقي عن دخوله البنات، وخرج الجيش وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ، ويحمل اللواء، لواء أحد نفسه على بن أبي طالب⁽⁵⁾، وصل المسلمون بقيادة رسولهم الكريم ﷺ إلى حمراء الأسد التي تبعد عن المدينة ثلاثة عشر ميلاً، حيث حطوا الرحال فيها، وقد أدهشت هذه الحركة اليهود والمنافقين لما فيها من جرأة وشجاعة، وأيقنوا أن الروح المعنوية عالية، وأنهم لو هزموها لما عملوا على مطردة قريش⁽⁶⁾، كما أن في خروج النبي ﷺ إلى حمراء الأسد إشارة تنبوية إلى أهمية استعمال الحرب النفسية للتاثير على معنويات الخصوم، فخرج ﷺ بجنوده إلى حمراء الأسد وملك فيها ثلاثة أيام، وأمر بإيقاد النيران، وكانت تشاهد من مكان بعيد وملايات الأرجاء بأنوارها حتى خيل لقريش أن جيش المسلمين ذو عدد كبير لا طاقة لهم به، فانصرفوا وقد ملأ الربع أفنائهم⁽⁷⁾.

قال ابن سعيد: مضى رسول الله ﷺ بأصحابه حتى عسكروا بحمراء الأسد، وكان ا لمسلمون يوقدون تلك الليلالي خمسة نار حتى ترى من المكان البعيد، وذهب صوت م عسكرهم ونيرائهم في كل وجه فكتب الله تعالى بذلك عدوهم⁽⁸⁾، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحرب الباردة وسلحها المولى عز وجل في كتابه في معرض الثناء على الصاحبة: +الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمْ الْقُرْحُ لِلَّذِينَ أَ حسَدُوا مِنْهُمْ وَأَتَفْوَأُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ الدَّيْنُ إِنَّ الدَّيْنَ فَ دُجَمِعُوا لَكُمْ فَنَاهُشُو هُمْ فَزَادُوهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسِبْنَا اللَّهَ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَلَمَّا نَفَقَكُبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضَلْلُ لَمْ يَمْسِسْهُمْ سُوءٌ وَأَتَبْعَوْا رَضْمَ وَإِنَّ اللَّهَ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٌ إِذْمَا ذَكِرُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أُولَئِكَاهُ

(1) زاد المعاد (3/249).

(2) أحكام القرآن لابن العربي (4/1765).

(3) حديث القرآن عن الغزوات (1/254).

(4) ا蔓延 الأسماء للمقربي (1/180).

(5) وقد حمل على رضي الله عنه لواء رسول الله ﷺ في غزوة الكدر لبني سليم بعد عودته إلى المدينة بسبعين ليل من غزوة بدر.

(6) على بن أبي طالب، أحمد السيد الرفاعي ص 10-1، تاريخ الإسلام للذهبي، المغازى ص 226.

(7) غزوة أحد لابي فارس: ص (51).

(8) الطبقات لابن سعد (2/49).

فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ [آل عمران: 172 - 175].

عاشرًا: على رضي الله عنه و موقفه من حادثة الإفك:

ورد حديث الإفك الذي اتهم فيه المنافقون عائشة رضي الله عنها به، أن رسول الله × استدعي عليه وأسامة وأستشارهما في فراق أهله، لما كثُر القول وألقى النبي ×، واستلبث الوحي، فلما أسمأه، فأشار عليه بالذى يعلم من براءتها، فقال: يا رسول الله أهلك، ولا نعلم إلا خيراً، وأما على بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك⁽¹⁾، قالت: فدعا رسول الله × ببريرة فقال: أي بريرة هل رأيت من شيء يربيك؟ قالت ببريرة: لا والذى بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرًا أغمصه⁽²⁾ عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تمام عن عجبن أهلها، فتاتي الداجن⁽³⁾ فتأكله، فقام رسول الله، فاستعذر⁽⁴⁾ يومئذ من عبد الله بن أبي ابن سلوى لقالت: فقال رسول الله × وهو على المنبر: فوالله ما علمت على أهلى إلا خيراً، ولقد ذكروا رجالاً⁽⁵⁾ ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلى إلا معنى⁽⁶⁾. إن الكلام الذي قاله على إنما حمله عليه ترجيح جانب النبي ×، لما رأى عنده من القلق والغم بسبب القول الذي قيل. وكان شديد الغيرة، فرأى على رضي الله عنه في بادئ الأمر أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن تتحقق براءتها، فيمكن رجعتها، ويستفاد منه ارتکاب أخف الضررين لذهب أشدhem⁽⁷⁾، وقال النwoي: رأى على أن ذلك هو المصلحة في حق النبي ×، واعتقد ذلك لمارأى من انزعاجه، فبدل جهده في النصيحة، لا رادة راحة خاطره ×⁽⁸⁾، كما أن علياً رضي الله عنه لم ينزل عائشة - رضي الله عنها - بأدنى كلمة يفهم منها أنه عرض بأخلاقها، أو تناولها بسوء⁽⁹⁾، بل كان رأيه خيراً لها، فهو يقول إن أردت أن تزدح من المشكلة فإن غيرها كثير، وإن أردت الوصول للحقيقة، فإن أسأل الجارية توصلك إليها، وهي براءة عائشة، ثم بعد ذلك خطب رسول الله الناس وبين براءة عائشة، وخطورة من يخوض في عرضه ظلماً وزوراً، وقد بدت نصيحة على وأسامة بن زيد معًا إيجابيتين، وفي صالح عائشة رضي الله عنها، فقد أراد النبي × قناعة بما علم من خير في أهله⁽¹⁰⁾.

وعلى القارئ الكريم أن يحذر من الروايات الباطلة ساقطة الاعتبار التي تزعم بإساءة علی عائشة في أمر الإفك، والتي بنى عليها بعض الباحثين بأن ذلك جعل عائشة تعصب مـن على رضي الله عنه وتحقد عليه وتتهمه زوراً بقتل عثمان، وتخرج عليه مؤلبة عليه الأعداد الهائلة من المسلمين⁽¹¹⁾، ومن أمثل هؤلاء الباحثين، على إبراهيم حسن في التاريخ الإسلامي العام، وطه حسين في كتابه: على وبنوه⁽¹²⁾، وغيرهم، سوف نتحدث عن العلاقة المتينة بين أم المؤمنين عائشة وعلى - بإذن الله - عند حديثنا عن موقعة الجمل، لقد كانت قصة الإفك حلقة من سلسلة فنون الإيذاء والمحن التي لقيها رسول الله × من أعداء الدين، وكان من لأ

(1) البخاري رقم 4750.

(2) أغمصه: أي أعبى بها وأطعن بها عليه.

(3) الداجن: هي الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم.

(4) فاستعذر: أي قال: من يقوم بعذرني إن عاقبته على سوء صنيعه.

(5) هو صفوان بن العطاء السلمي.

(6) البخاري رقم 4750.

(7) نور المرأة السياسي اسماء محمد زباده: ص(462).

(8) صحيح مسلم بشرح النwoي (634/5).

(9) نور المرأة السياسي: ص(462).

(10) المصدر نفسه: ص(463).

(11) من أراد التوسيع في حادثة الإفك فليراجع السيرة النبوية للصلابي (926/2).

(12) خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد قفيهي: ص (54).

طف الله تعالى بنبيه وبالمؤمنين أن كشف الله زيفها وبطلانها، وسجل التاريخ بروايات صحيحة مواقف المؤمنين من هذه الفريدة، وهي مواقف يتأسى بها المؤمنون عندما تعرض لهم في حياتهم مثل هذه الفريدة، فقد انقطع الوحي، وبقيت الدروس لتكون عبرة وعظة للأجيال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها⁽¹⁾، وقد تحدثت في كتابي «السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث» عن الدروس والعبر والأداب والأحكام التي تؤخذ من حادثة الإفك⁽²⁾.

المبحث السادس

أهم أعمال علي رضي الله عنه
ما بين الأحزاب إلى وفاة النبي ×

أولاً: علي رضي الله عنه في غزوة الأحزاب:

كان موقف أمير المؤمنين على رضي الله عنه في الأحزاب بطوليًا رائعاً ينم عن مدى رسوخ العقيدة في قلوب أصحاب النبي ×، والدعوة إليها، والموت في سبيلها، والبداءة من خالفها، قال ابن إسحاق: وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين بعد أن اقتحمت خيل المشركين ثغرة في الخندق حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تدعو نحوهم، وكان عمرو بن عبد وقد قاتل يوم بدر حتى أثبتته لجراح، فلم يشهد يوم أحد، فلما كان يوم الخندق خرج معلمًا لغير مكانه فلما وقف هو وخليفه قال: من بيارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب فقال له: يا عمرو، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى أحد خلتين إلا أخذتها منه، قال له: أجل، قال له على: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلى الذرزل، فقال له: لم يا ابن أخي؟ فوالله ما أحب أن أقتلك، قال له على: لكنني والله أحب أن أقتلك، فحمى عمرو عند ذلك، فاقتصر عن فرسه، فعقرها، وضرب وجهه، ثم أقبل على علىٰ، فتاز لا وتجاوزاً فقتله على رضي الله عنه، وخرجت خيلهم منهزمة، حتى اقتحمت من الخندق هاربة⁽³⁾.

وقد ذكر ابن كثير ما رواه البيهقي في دلائل النبوة من أشعار قالها عمرو بن عبد ود علي رضي الله عنه، فقد قال عمرو لما خرج للمبارزة:

لجمعهم هل من مبارز؟

ولقد بحثْ من النداء

موقف القرن المناجز

ووقفت إذ جَبُنَ المشجَع

متسرعًا قبل الهراءِ.

ولذاك إني لم أكُن

والجود من خير الغرائز.

إن الشجاعة في الفتى

فعندما خرج له على رضي الله عنه:

مُجيبٌ صَوْتَكَ غَير عاجز

لَا تَعْجَلْنَ فَقد أتاك

والصدق مَذْجَى كلٌّ فائز

في نية وبصيرة

(1) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: ص (440).

(2) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (2/243-255).

(3) السيرة النبوية لأبن هشام (3/348).

إني لأرجو أن أقيم
عليك نائحة الجنائز
ذكرها عند الهزائم⁽¹⁾
ولما قتل على رضي الله عنه عمرو بن عبد وذكروا أنه قال من الشعر:
أعلى تفتحم الفوارس هكذا
عنى وعنهم أخروا أصحابي
ومن ضربة نجلاء يبقى
وألقى عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو، فقال حسان بن ثابت:
اللهم عَكْرَمٌ لَمْ تَقْتُلْ
اللهم ألقى لنا رمحه
اللهم يمنعني الفرار حفيظتي
ولما قاتل عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو، فقال حسان بن ثابت:
فَرِّ أَلْقَى لَنَا رَمَحَه
ولوليت تعدو كعدو الظالم
ولم تلو ظهرك مستأنساً
ما أن يحور عن المعدل
كان قفا فقا فر عل⁽²⁾

وبعد مقتل عمرو بن عبد وبعث المشركون إلى رسول الله × يشترون جيفته بعشدة
آلاف، فقال: ادفعوا إليهم جيفتهم، فإنه خبيث الجيفة، خبيث الديمة، فلم يقبل منهم شيئاً.
وقد حدث هذا وال المسلمين في ذلك من العيش، ومع ذلك فالحلال حلال والحرام حرام، إنها مقايس الإسلام في الحلال والحرام، فأين هذا من بعض المسلمين الذين يحاولون
إيجاد المبررات لأكل الriba وما شابه؟⁽⁴⁾

ثانية: علي رضي الله عنه في غزوة بنى قريطة:

وكان فيها رضي الله عنه حامل راية رسول الله × في المقدمة⁽⁵⁾، إلى أن حكم فيها
سعد ابن معاذ، وكان في بادي الأمر لم ينزلوا على حكمه، قال ابن هشام: إن علي بن أبي
طالب صاح وهم محاصرو بنى قريطة: يا كتبية الإيمان، وتقدم هو والزبير بن العوام
، وقال: والله لأنو قلن ما ذاق حمرزة، أو لا تفتحن حصونهم، فقالوا: يا محمد تنزل على حكم سعد بن معاذ⁽⁶⁾، وهكذا أنزل الله تعالى الرعب والخوف في قلوب أعداء العقيدة والديانة،
على لسان ذلك النبي النقي لما آتاه الله من حب الاستبسال والموت في سبيل عزة دين الله تعالى، وقد نادى كتبية بأحب الأسماء التي ينادي بها الله تعالى عباده ألا وهو نداء
الإيمان الذي يتجلى فيه صدق الاعتقاد، وصلاح العمل، وحب الجهاد في سبيله تعالى⁽⁷⁾.
ولما حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه أن تقتل مقاتلتهم، وأن تسبى النساء والذرية،
 وأن تقسم الأموال⁽⁸⁾، فكان من الدين يباشرون القتل على بن أبي طالب والزبير رضي الله عنهم⁽⁹⁾.

(1) نجلاء: واسعة، الهزائم: الحروب الشداد.

(2) البداية والنهائية (106/4).

(3) الفرع: صغار الصبا.

(4) معين السيرة للشامي: ص (94).

(5) السيرة النبوية لأبن هشام (258/3).

(6) البخاري رقم 1421، السيرة النبوية لأبن هشام (3/263).

(7) الخلفتان عثمان وعلي بين السنة والشيعة، أنور عيسى: ص (78).

(8) السيرة النبوية لأبن هشام (3/263)، البخاري رقم 4121.

(9) إمتحان الأسماء للمقرizi (1/247).

ثالثاً: علي رضي الله عنه في صلح الحديبية وبيعة الرضوان:

في غزوة الحديبية وقبل الصلح، خرج بعض العبيد (الأرقاء) من مكة إلى رسول الله ×، فكتب إليه موالיהם بإرجاعهم، فرفض رسول الله × أن يرجعهم وقال: «يا معاشر قريش لتنتهن أو ليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين، قد امتحن الله قلبه على الإيمان»، فسأل الصحابة بتلهف: من هو يا رسول الله؟ وكلهم يرجو أن يفوز هو بهذه الشهادة العظيمة من رسول الله ×، فقال ×: هو خاصف النعل، وكان قد أعد طى عليه بخصفها⁽¹⁾، ولما تام الصلح بين المسلمين وشركى قريش، كتب على كتاباً به ينهم قال: فكتب محمد رسول الله، فقال المشركون: لا تكتب محمد رسول الله، لو كنت رسول الله لم نقاتلك. فقال علي: امحه قال: ما أنا بالذى أمحوه، فمحاه رسول الله × بيده صالحهم على أن يدخل هو وأصحابه ثلاثة أيام، ولا يدخلها إلا بجلبَان⁽²⁾ (السلاح)⁽³⁾، وقد امتنع على رضي الله عنه عن محو كلمة (رسول الله) بداعِ محبته لرسول الله × وتعطى يمه⁽⁴⁾. وقد طعن الروافض الغلاة في موقف الصحابة وعمر بن الخطاب رضي الله عنه في الحديبية، وذكروا من مراجعة عمر للنبي × في أمر الصلح، وكذلك تأخر الصحابة في بداية الأمر عن النحر والحق حتى نحر رسول الله × وحلق، ولا مطعن في شيء من هذا في أصحاب رسول الله × لا عمر ولا غيره من الصحابة الذين شهدوا الحديبية، وبينا ن ذلك أن الرسول × كان قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة، فلما ساروا معه عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفق سر هذا العام، فلما وقع أمر الصلح، وفيه أن يرجعوا عامهم هذا، ثم يعودوا العام القادم شق ذلك على أصحاب رسول الله ×⁽⁵⁾، فجعل عمر - رضي الله عنه - على ما عرف به من القوة في الحق والشدة فيه يسأل رسول × ويراجعه في الأمر، ولم تكن أسئلته التي أسأ لها رسول الله لشك في صدق الرسول ×، أو اعتراض عليه، لكن كان مستقصلاً عما كان متقررًا لديه، من إنهم سيدخلون مكة ويطوفون بالبيت، وأراد بذلك أن يحفز رسول الله × على دخول مكة، وعدم الرجوع إلى المدينة، لما يرى في ذلك من عز لدين الله وإرغام للمشركين⁽⁶⁾.

قال النووي: قال العلماء: لم يكن سؤال عمر - رضي الله عنه - وكلامه المذكور شدّاً بل طلبًا لكشف ما خفي عليه، وحثّا على إذلال الكفار وظهور الإسلام، كما عرف من خلقه - رضي الله عنه - وقوته في نصر الدين وإذلال المبطلين⁽⁷⁾، فعمر - رضي الله عنه - كان في هذا مجتهداً حمله على هذا شدته في الحق، وقوته في نصرة الدين، والغيرة عليه، مع ما كان قد عودهم عليه رسول الله × من المشورة وإبداء الرأي امتثالاً لأمر الله تعالى: +فاعُفْ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَأْوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ+ [آل عمران: 159]، وقد كان كثيراً ما يستشيرهم ويأخذ برأيهم، كما استشارهم يوم بدر في الذهاب إلى العير، وأخذ بمشورتهم، وشاورهم يوم أحد في أن يقعد في المدينة، أو يخرج للعدو، فأشار جمهورهم بالخروج إليه فخرج إليهم، وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عائذ فأبى عليه السعدان (سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة) فترك ذلك، وشاورهم يوم الحديبية أن يميل على ذراري المشركين، فقال أبو بكر: إنما لم نجيئ

(1) مرويات غزوة الحديبية، حافظ الحكمي: ص (183)، والحديث صحيح بمجموع طرقه، خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد على ناصر: ص (30).

(2) الجلidan: شبه جراب من الأم يوضع فيه السيف المغمور.

(3) مسلم (3/1409)، خصائص على للنسائي، تحقيق أحمد البلوشي: ص (203).

(4) الانتصار للصحاب والآل: ص (262-274).

(5) البداية والنهاية (4/170)، تاريخ الطبرى (635/2).

(6) الانتصار للصحاب والآل: ص (264).

(7) شرح صحيح مسلم (141/12).

وإنما جئنا معتمرين، فأجابه إلى ما قال⁽¹⁾. وفي حوادث كثيرة يطول ذكرها، فقد كان عم ر- رضي الله عنه- يطمع أن يأخذ رسول الله × برأيه في مناجزة قريش وقتلهم، ولهذا راجعه في ذلك، وراجع أبا بكر، فلما رأى اتفاقهما أمسك عن ذلك وترك رأيه، فعذر ر سول الله لما يعلم من حسن نيته وصدقه⁽²⁾.

أما توقف الصحابة عن النحر والحلق حتى نحر رسول الله × وحلق، فليس معصية لأمر رسول الله ×، وقد ذكر العلماء له عدة توجيهات، قال ابن حجر: قيل: كأنهم توقفوا لاحتمال أن يكون الأمر بذلك للندب، أو لرجاء نزول وهي بإبطال الصلح المذكور، أو تخصيصه بالإذن بدخولهم مكة ذلك العام لإتمام نسكمهم، وسوغ لهم ذلك لأنه كان زمان وف وع النسخ، ويتحمل أنهم ألهتهم صورة الحال فاستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الذل عند أنفسهم، مع ظهور قوتهم واقتدارهم في اعتقادهم على بلوغ غرضهم، وقضاء نسكمهم بالغة أو الغلبة، أو أخروا الأمتثال لاعتقادهم أن الأمر المطلق لا يقتضي الفور، ويحمل مجمع وع هذه الأمور لمجمو عهم⁽³⁾، وجاء في بعض الروايات أن الرسول × لم يرأى عدم امتناع لهم دخل على أم سلمة ذكر لها ذلك فقالت: يا رسول الله لا تكلهم فإنهم دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح⁽⁴⁾، فأشارت عليه كما جاء في رواية البخاري: أن أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تتحر بدنك، وتدفع و حلقك في حلقك، فخرج لم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدن، ودعا حلقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فخرموا⁽⁵⁾، قال ابن حجر: ويحمل أنها فهمت عن الصحابة أنه احتمل عذابهم أن يكون النبي × أمرهم بالتحلل أخذًا بالرخصة في حقهم، وأنه يستمر على الإحرام أخذًا بالعزيمة في حق نفسه، فأشارت عليه أن يتخل لينتقى عنهم هذا الاحتمال، وعرف النبي × صواب ما أشارت به ففعله.. ونظير هذا ما وقع لهم في غزوة الفتاح من أمر ربه لهم بالفطر في رمضان، فلما استمروا على الامتناع، تناولوا القدر فشرب، فلما رأوه شرب شربوا⁽⁶⁾.

وهذا الوجه حسن، وهو اللائق بمقام أصحاب النبي ×، فلما أمرهم النبي × بالتحلل ولم يفعل، ظنوا أن الذي حمله على هذا هو الشفقة عليهم، كما كانت سيرته معهم، فكانهم - رضي الله عنهم - أثروا التأسي به على ما رخص لهم فيه من التحلل، ثم لما رأوه قد تحلل أيقروا أن هذا هو الأفضل في حقهم، فبادروا إليه، وهذا مثل ما حصل منهم في الحرج مع النبي × لما بلغوا مكة وطافوا وسعوا أمرهم أن يحلوا، وأن يصيروا النساء و يجعلوها عمرة، فكثير ذلك عليهم لتعظيمهم لنسكمهم، وقالوا: نذهب إلى عرفة ومذاكيرنا نقطر مدن المنى، فلما علم بذلك الرسول × وكان لم يتحلل، قال لهم: «أيها الناس أحلوا فلنلا الهدى الذي معي فعلت كما فعلت» قال جابر- رضي الله عنه- راوي الحديث: فحلانا وسمعنا وأطعنا⁽⁷⁾، وهذا كله من حرص أصحاب رسول الله × على الخير والرغبة في التأسي برسول الله × التأسي الكامل⁽⁸⁾.

إن موقف النبي × في سكوته على عمر رضي الله عنه عندما عارضه على الصلح يعطي قيمة كبيرة بأنه على القيادات الإسلامية من حكام وعلماء ودعاة أن يتخلوا بسبعة أ

[1] تفسير ابن كثير (420/1) عند تفسير قوله: «وشاورهم في الأمر».

[2] الانصار للصحاب والآل: ص(226).

[3] فتح الباري {347/5}.

[4] فتح الباري {347/5}.

[5] فتح الباري {347/5}.

[6] الباري، ك الشروط 2732.

[7] البخاري، ك الاعتصام رقم 7367.

[8] الانصار للصحاب والآل: ص(268)، وهذا من أفضل الكتب في الرد على بعض شبكات الروا ض.

لصدر وحسن الاستماع للرأي الآخر. وإعطاء المجال لكل ذي رأي أن يعبر عن رأيه بما يخدم المصلحة العامة، لا أن يفتح السجون ويكمم الأفواه. إن النبي ﷺ في صلح الحديبية، بين أن حرية إبداء الرأي مكفولة في المجتمع الإسلامي، وأن للفرد في المجتمع المسلم الحرية في التعبير عن رأيه، ولو كان هذا الرأي نقداً للموقف حاكم من الحكم أو خليفة من الخلفاء، فمن حق الفرد المسلم أن يبين وجهة نظره في جو من الأمان دون إرهاب أو تسلط يخنق حرية الكلمة والفكر، وإذا كان هذا موقف رسول الله ﷺ مع عمر، فمعارضة رئيس الدولة - من باب أولى - في رأي من الآراء وموقف من المواقف ليست بحد ذاتها جريمة تستوجب العقاب، ويغيب صاحبها في غياهـ السجون⁽¹⁾، كما أن الهـى النبي يـ الكريم يعلمنا كيف يربـي أصحابـه من خلال الأحداث. ولقد نال على رضـي الله عنهـ فـي الحـديـبية معـ من حـضـرـ من أـصـحـابـ رسولـ اللهـ رـضاـ اللهـ عـزـ وجـلـ وـنـزـلـ فـيـهـ قـولـهـ تـعـالـىـ: + لـقـدـ رـضـيـ اللـهـ عـنـ الـمـؤـمـنـينـ إـذـ يـبـاـعـ وـنـذـكـ تـحـتـ الشـجـرـةـ " [الفـاتـحـ: 18ـ]ـ،ـ وـقـالـ رـسـوـلـ اللهـ: «لـنـ يـدـخـلـ أـحـدـ النـارـ بـاـيـعـ تـحـتـ الشـجـرـةـ»⁽²⁾ـ،ـ وـقـدـ نـالـ عـلـىـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ وـإـخـوـانـهـ مـثـلـ أـبـيـ بـكـرـ وـعـمـرـ وـغـيـرـهـماـ مـنـ قـبـلـ فـيـ بـدـرـ وـسـامـاـ عـظـيمـاـ وـشـرـفـاـ عـالـيـاـ،ـ قـدـ قـالـ رـسـوـلـ اللهـ فـيـ أـهـلـ بـدـرـ: «وـمـاـ يـدـرـيـكـ لـعـلـ اللهـ اـطـلـعـ عـلـىـ رـأـيـهـ فـقـاـ لـ:ـ أـعـلـمـاـ مـاـ شـئـتـ فـقـدـ غـفـرـتـ لـكـمـ»⁽³⁾ـ.

رابعاً: عمرة القضاء 7هـ وعلى رضي الله عنه، وحضانة ابنة حمزة رضي الله عنهما:

لقد تغيرت النفوس والعقول بتأثير الإسلام تغيراً عظيماً، فعادت البنت - التي كان يتغير بها أشراف العرب، وجرت عادة وأدتها في بعض القبائل فراراً من العار، وزهداً في البنات - حبيبة يتنافس في تربيتها المسلمين، وكانوا سواسية، ولا يرجح بعضهم على بعض إلا بفضل أو حق⁽⁴⁾. فلما أراد النبي × الخروج من مكة، تبعته ابنة حمزة تnad ي: يا عم، فتناولها على، فأخذ بيدها وقال لفاطمة رضي الله عنها: دونك ابنة عمك، فاختصم فيها على وزيد وجعفر. قال على: أنا أخذتها وهي بنت عمي، وقال جعفر: هي ابنة عمي وحالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي، فقضى بها النبي × لحالتها وقال: الحالة بمنزلة الأم، وقال لعلي: أنت مني وأنا منك، وقال لجعفر: أشبهت خلقي وخلقي، وقال لزيد: أنت أخونا ومولاتنا وقول على لرسول الله ×: لا تتزوج بنت حمزة. قال: إنها ابنة أخي مـن الرضاعة⁽⁵⁾.

وفي هذه القصة دروس وعبر وأحكام وفوائد منها:

١- الخالة بمنزلة الأم.

2- الخالة تقدم على غيرها في الحضانة إذا لم يوجد الأبوان.

٣- تركية رسول الله × لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ووصفه له بقوله: أشبهه
ت خلقي وخلاقى.

4- منقبة زيد بن حارثة: يقول له الرسول: أنت أخونا ومولانا، لأنك كان أحداً لحمزة بن عبد المطلب، فقد أخى الرسول × بينهما، وهو باجتهاده يريد أن يكون عليه ما على أخي الشقيق من واجبات، والواجب أن يكون وليناً على بنت حمزة رضي الله عنه.

¹ غزوة الحديبية لأبي فارس: ص 134، 135.

(2) البخاري رقم 4840، مسلم 1856

(3) رقم 3983، مسلم البخاري (231).

السيرة النبوية للندوي: ص (321).
الخاتمة 4251

(٥) البحاري رقم ٤٢٥١.

5- زواج المرأة لا يسقط حقها في الحضانة: لقد حكم النبي × إلى زوجة جعفر بالحضانة وعمتها صفية بنت عبد المطلب حية موجودة.

6- لابد من موافقة الزوج على حضانة زوجته لابنة اختها، لأن الزوجة محتبسة لمصلحته ومنفعته، والحضانة قد نقوت هذه المصلحة جزئياً، فلابد من استئذانه، ونلاحظ هنا أن جعفر بن أبي طالب قد طالب بحضانة بنت عمّه حمزة لخالتها وهي زوجة له، فدل على رضاه بذلك.

7- إن الطفل إذا رضع مع عمه يصبح أخاً له في الرضاعة، وتصبح بناته كلمن بنات أخيه من الرضاعة، فيحرم عليه نكاحهن⁽¹⁾.

خامسًا: علي رضي الله عنه في غزوة خيبر 7هـ:

ذكر ابن إسحاق⁽²⁾ أنها كانت في المحرم من السنة السابعة للهجرة، وذكر الواقدي⁽³⁾ أنها كانت في صفر أو ربيع الأول من السنة السابعة للهجرة، بعد العودة من غزوة الحديبية، وذهب ابن سعد⁽⁴⁾ إلى أنها في جمادى الأولى سنة سبع، وقال الإمامان الأزهري ومالك: إنها في محرم من السنة السادسة⁽⁵⁾ وقد رجح ابن حجر⁽⁶⁾ قول ابن إسحاق على قول الواقدي⁽⁷⁾، وفي هذه الغزوة تجلت بطولة أمير المؤمنين على بن أبي طالب، ومكانته عند الله وعند رسوله، وما قدر الله من فتح هذه المستعمرة اليهودية، ذات الأهمية العسكرية الاستراتيجية على يده في مظهر جل رائع⁽⁸⁾، فقد كانت خيبر مستعمرة يهودية تتضمن قلاعاً حصينة، وقاعدة حربية لليهود، آخر معلم من معاقلهم في جزيرة الـ عرب، وكانوا يتربصون بال المسلمين الدوائر، ويتأمرون مع يهود المدينة وخارجها لغزو المدينة، فأراد رسول الله × أن يستريح منهم، ويأمن من جهتهم، وكانت في الشمال الشرقي للمدينة على بعد سبعين ميلاً منها⁽⁹⁾ توجه رسول الله × بجيشه إلى خيبر، وكانوا ألفاً وأربعمائة، ونزل حصون خيبر، وبدأ يفتحها حصدناً حصدناً، واستعصى حصن القموص على المسلمين، وكان على بن أبي طالب رمداً⁽¹⁰⁾، فقال رسول الله ×: «لاعطين ه ذه الراية عدواً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، فبات الناس يدوكون⁽¹¹⁾ ليلتهم أيهم يعطيها؟ فلما أصبح الناس، غدوا على رسول الله × كلهم يرجون أن يعطياها، فقال: أين على بن أبي طالب؟ فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: فارسلوا إليه، فأتى به، فبصق رسول الله في عينيه، ودعاه فبراً حتى كأنه لم يُكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال على: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثناً. قال: «اـ نفذ على رسرك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من أن يكون لك حُمر الـ دُعَم»⁽¹²⁾ فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر، وكان من صور بطولته فيها أن خرج له من حب ملكتهم

(1) زاد المعاد (2/ 374، 375)، صلح الحديبية لأبي فارس: ص (286، 287).

(2) السيرة النبوية لأبن هشام (3/ 455).

(3) المغازى (2/ 634).

(4) الطبقات (2/ 106).

(5) تاريخ دمشق (1/ 33).

(6) الفتح (16/ 41) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: ص (500).

(7) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: ص (500).

(8) المرتضى للنبوى: ص (52).

(9) المرتضى للنبوى: ص (52).

(10) المصدر نفسه: ص (53).

(11) أي: بات الناس في اختلاط واختلاف.

(12) مسلم رقم 2406.

وهو يقول:

قد علمت خير أني مرحبا

إذا الحروب أقبلت تلَهَّبُ

قال على:

كليث غابات كريه المنظرة

أنا الذي سمتني أمي حيدرة

أوفيهم بالصاع كيل السندرة

ضرب رأس مرحبا فقتله، ثم كان الفتح على يديه⁽¹⁾.

وفي موقف على في غزوة خير دروس وعبر وفوائد منها:

1- فضيلة عظيمة ومنقبة ظاهرة لأمير المؤمنين على رضي الله عنه: حيث شهد له النبي × بالمحبة في قوله: «يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» وقال ابن حجر في معنى أن علياً يحب الله ورسوله أراد بذلك وجوب المحبة، وإلا فكل مسلم يشتراك معه على مطلق هذه الصفة. وفي هذا الحديث تلميح بقوله تعالى: +قُلْ إِنَّ كُنُدْمٌ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَإِذَا بُغْدَةٌ وَنَبِيٌّ يُحِبُّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» [آل عمران: 31]. فكانه أشار إلى أن علياً تام الاتباع لرسول الله × حتى اتصف بصفة محبة الله له⁽²⁾.

2- بركة دعائه ×: حيث استجاب الله لدعاء رسوله × وقد قال على رضي الله عنه: ما مر مدْتُ منذ نقل النبي × في عيني⁽³⁾، كما أن علياً رضي الله عنه مرض مرءة، فأتأهله النبي × وهو يقول: اللهم إن كان أجيلاً قد حضر فارحني، وإن كان متاخراً فارفعني، وإن كان البلاء فصبرني، فقال له رسول الله ×: ما قلت؟ فأعاد عليه، فقال رسول الله ×: «اللهم اشفه، اللهم عافه»، ثم قال: قم. ففُقِّمت، فما عاد لي ذلك الوجع بعده⁽⁴⁾.

3- لا علاقة بين هذا الحديث وإماماة علي رضي الله عنه: بذهب الروافض إلى أن علياً رضي الله عنه هو الخليفة بعد النبي ×، واستدلوا بمجموعة من الأحاديث تدل على فضله ولا تدل على إمامته، منها هذا الحديث وزادوا فيه زيادات باطلة لا تصح عند علماء الحديث، كما أنه لا ملازمة بين كونه محب الله ورسوله ومحبوباً لهما وبين كونه إماماً بلا فضل أصلاً. على أنه لا يلزم من اثنينهما له نفيهما عن غيره، كيف وقد قال الله تعالى في حق أبي بكر ورفقائه: +يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّوْهُمْ» [المائدة: 54]، وقال في حق أهله بدر: +إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْاتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَدِيقًا كَانُوكُمْ بِنِيَانٍ مَّرْصُوصٍ» [الصف: 4]، ولا شك أن من يحب الله يحبه رسوله، ومن يحب الله من المؤمنين يحب رسوله، وقال في شأن أهل مسجد قباء: +فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ» [التوبه: 108]. ولما سُئل: من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة. قيل: ومن الرجال؟ قال: أبوها⁽⁵⁾. وإنما نص على المحبة والمحبوبة في حق على مع وجودهما في غيره لنكتة دقيقة تحصل من ضمن قوله: «يُفْتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدِيهِ»⁽⁶⁾.

(1) مسلم (1441/3) رقم 1807.

(2) فتح الباري (72/7).

(3) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم 589 بسناده حسن.

(4) مسند أحمد (151/2) صحيحه أحمد شاكر.

(5) البخاري، فتح الباري (22/7).

(6) مسلم رقم 2406.

وهي أنه لو ذكر مجرد الفتح لربما توهم أن ذلك غير موجب لفضيلته لما ورد في قوله ×: «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر». فازال ذلك التوهم بإثبات هاتين الصفتين لـ، فصار المقصود من تخصيص مضمون «فتح الله على يديه» وما ذكر من الصفات لإزاله ذلك الوهم⁽¹⁾.

4- وهناك مجموعة من الفوائد من حديث فضل علىٰ في فتح خير منها:

- فضل الصحابة في انشغالهم تلك الليلة وشغلهم عن بشاره الفتح، لأنهم اشغلا عذها بالتقاسهم معرفة من يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، والإيمان بالقدر لحصوله ما من لم يسع لها ومنها عن سعي، لأنَّ الصحابة غدوا على رسول الله مبكرين كلهم يرجون أن يعطواها ولم يعطوها، وعلى بن أبي طالب مريض، ولم يسع لها، ومع ذلك أاء طي الراية.

- الأدب في قوله: علىٰ رسلاك، ووجهه أنه أمره بالتمهل وعدم التسرع، والدعوة إلى الإسلام قبل القتال، والدعوة بالحكمة، تؤخذ من قوله: أخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، لأن من الحكمة أن تتم الدعوة، وذلك بأن تأمره بالإسلام أولاً، ثم تخبره بما يجب عليه من حق الله، ولا يكفي أن تأمره بالإسلام لأنَّه قد يطبق هذا الإسلام الذي أمرته به، وقد لا يطبقه، بل لابد من تعاهده حتى لا يرجع إلى الكفر. والمعرفة بحق الله في الإسلام تؤخذ من قوله ×: «وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه».

- ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد، لقوله ×: «لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» أي: خير لك من كل ما يستحسن في الدنيا، وليس المعنى كما قال بعضهم: خير لك من أن تتصدق بنعم حمر.

- الحلف على الفتيا لقوله × «فوالله لأن يهدى الله... إلخ فأقسم النبي × وهو لم يُستقسم ، والفائدة: هي حثه على أن يهدى الله به والتوكيد عليه. وقد أمر الله رسوله بالحلف وفي ذلة موضع من القرآن الكريم، في قوله تعالى: +وَيَسْتَدِيبُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِنِّي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌ [يونس: 53]، وفي قوله: +زَعَمَ الظَّدِينَ كَفَرُوا وَأَنَّ لَنْ يُبَعْدُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَبْعَدُنَّ [التغابن: 7]. وفي قوله تعالى: +وَقَالَ الظَّدِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَا كُمْ [إسٰ: 3]، فإذا كان هناك في القسم مقدرة ابتداء، أو جواباً لسؤال جاز وربما يكون مطليباً⁽²⁾.

سادساً: علي رضي الله عنه في فتح مكة وغزوه حنين 8هـ:

نقضت قريش صلحها مع رسول الله × بمساندتها بني بكر على خزانة حليف المسلمين، ودعمتهم بالخيل والسلاح والرجال، فقال رسول الله: «نصرت يا عمرو بن سالم، لا نصرني الله إن لم أنصر بني كعب» ولما عرض السحاب من السماء قال: «إن هذه السحابة لتسهل بنصر بني كعب»⁽³⁾ وقد جاء عمرو بن سالم إلى المدينة وأشند قصيدة بيه نيدي رسول الله × جاء فيها:

حلف أبينا وأبيه الأنذا

يا رب إني ناشد محمدًا

ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا

قد كنتم ولدًا، وكنا ولدًا

(1) مختصر التحفة الاشترى عشرية: ص (70)

(2) القول المفيد على كتاب التوحيد، لمحمد صالح (141/1، 142).

(3) البداية والنهاية (278/4).

وادع عباد الله ياتوا مددًا إن سيم خسفا وجهه تربدا وهم أذل وأقل عددا وقتلنا رُكَّعاً وسجداً	فانصر هداك الله نصرًا أعتدا فيهم رسول الله قد تجردا إلى أن قال: وزعموا أن لست أدعو أحداً هم بيتوна بالوتير هجداً
---	--

وبعثت قريش أبا سفيان إلى المدينة لتمكين الصلح وإطالة أمده، وعندما وصل إلى المدينة دخل على رسول الله × يعرض حاجته، أعرض عنده النبي × ولم يجبه، فاستعان بكتاب الصحابة أمثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلى حتى يتوصّلوا بينه وبين رسول الله ×، فأبوا جميعاً، فعاد أبو سفيان إلى مكة من غير أن يحظى بأي اتفاق أو عهد^(١)، وكان تعلّي رضي الله عنه في فتح مكة موافق متعددة منها:

1- إحباط محاولة تجسس لصالح قريش: عن حسن بن علي بن عبد الله أبا رافع أنه سمع علياً يقول: بعثني رسول الله × أنا والزبير والمقداد فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها». فانطلقنا تبعًاً بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذاً نحن بالظعينة، قلنا: أخرجني الكتاب، قالت: ما معك من كتاب. قلنا لذرجن الكتاب أو لذنقين^(٢) الثيايب قال: فأخرجت الكتاب من عقاصها، فأخذنا الكتاب، فأتينا به رسول الله ×، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلترة إلى ناس من المشركين بمكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ×، فقال رسول الله: يا حاطب ما هذا؟ قال: لا تعلم على، إني كنت أمراً ملتصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من كان معك من المهاجرين لهم قرابة يحمون أهليهم بمكة، فأحببتك إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أخذ فيهم يدًا يحمون بها قرابتني، وما فعلت ذلك كفراً، ولا ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكافر بعد الإسلام فقال رسول الله: «إنه قد صدقكم» فقال عمر: دعني أضرب عن^٣ هذا المنافق. فقال: «إنه قد شهد بدرًا، وما يدرك لعل الله قد اطلع إلى أهل بدر فقل: أعملوا ما شئتم، فقد غرفت لكم»^(٤).

2- أجرنا من أجرت يا أم هاني: قالت أم هاني بنت أبي طالب - أخت على رضي الله عنها: لما نزل رسول الله × بأعلى مكة فر إلى رجلان من أهلهما، من بني مخزوم، وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي، قالت: فدخل على بن أبي طالب أخي، فقال: والله لأقتلهما، فأغلفت عليهما باب بيتي، ثم جئت رسول الله × وهو بأعلى مكة، فوجنته يغتسل من جفنة إن فيها لاثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتنم لأخذ ثوبه، فتوسح به، ثم صلى ثمانى ركعات من الصبحى، ثم انصرف إلى فقال: من حبأ وأهلاً يا أم هاني ما جاء بك؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر على، فقال: قد أجرنا من أجرت وأمننا من أمنت، فلا يقتلهما^(٥)، وبناء على ما تقدم، فإن تأمّل المسلمين للكافر من أهل الحرب يجعله في أمان، ومن ثم فلا يجوز للمسلمين أن يتعرّضوا له بشيء.. حتى يُصان حق التأمين هذا من أي ضرر يمكن أن يلحق بالمسلمين من جرائه - فقد

(١) التاريخ السياسي والعسكري د. على معطي: ص(365).

(٢) في رواية: أو لذنقين.

(٣) إسناده صحيح، الموسوعة الحديثية مسند أحمد رقم 600.

(٤) صحيح السيرة: ص (527).

شرط الفقهاء لصحته أن يتجرّدَ مُعْطِي الأمان من التّهمة، ويَخْلُوُ ذلك الأمان الممنوح من أيّة مفسدة⁽¹⁾، أو يرفع الأمر إلىولي الأمر ليرى رأيه فيه.

3- مقتل الحويرث بن نقيد بن وهب: في هذا الفتح العظيم، كان النبي × قد عهد إلى أمرائه ألا يقاتلو إلا من قاتلهم، غير أنه أهدر دم نفر سماهم، وإن وجدوا تحت أستار الـ كعبة، منهم الحويرث بن نقيد بن وهب، كان من يؤذى النبي × بمكة، ولما تحمل العباس بفاطمة وأم كلثوم، نحس⁽²⁾ بهما الحويرث الجمل الذي هما عليه فسقطتا على الأرض، فلما أهدر دمه وظفر به على قتلته⁽³⁾.

4- علي رضي الله عنه في مهمة إصلاحية: أرسله الرسول × إلى بني جزيمة، ليتلافى خطأ خالد بن الوليد في قتل بعضهم، وذلك أن الرسول × بعث خالداً في السنة الثامنة للهجرة عقب فتح مكة، إلى بني جزيمة يدعوهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، وقالوا: صيّانا، فأخذ خالد يقتل منهم ويأسر.. فلما بلغ رسول الله × ما صنع خالد، رفع يديه فقال: اللهم إني أبْرأ إِلَيْكَ مَا صنعت، مرتين⁽⁴⁾، فبعث الرسول × عليهما إليهم، لينظر في أمرهم وبعث معه بمال، فقام على ب مهمته خير قيم، فوردي قتيلاً لهم وعارضهم عمّا أصدّب في الدماء والأموال حتى أنه ليدي ميلعنة⁽⁵⁾ الكلب، ولما انتهى من ذلك كله، سأّلهم: هل بقي لكم بقية من دم أو مال لم يود إليكم؟ قالوا: لا، قال: فإنّي أعطيكم هذه البقية من هـذا المال، إحتياطاً لرسول الله × مما لا يعلمون، ففعل، ولما راجع إلى رسول الله × وأخبره بالخبر قال: «أصبت وأحسنت»⁽⁶⁾. وبهذه المهمة الجليلة الموقفة، أزال على - رضي الله عنهـ هـمـاً وحملـاً أـنـقلـ الرـسـول ×⁽⁷⁾، وبهـذا الـهـدـى النـبـويـ الـحـكـيمـ وـاسـىـ النـبـيـ × بـنـىـ جـزـيمـةـ، وـأـزـالـ ماـ فـيـ نـفـوسـهـمـ مـنـ أـسـىـ وـحزـنـ⁽⁸⁾، وـكـانـ قـتـلـ خـالـدـ لـبـنـىـ جـزـيمـةـ تـأـلـ لـأـ مـنـهـ وـاجـهـادـاً خـاطـئـاًـ، وـذـلـكـ بـدـلـيلـ أـنـ الرـسـول × لـمـ يـعـاقـبـهـ عـلـىـ فعلـهـ⁽⁹⁾، وـلـمـ يـعـزـلـهـ.

5- على رضي الله عنه في غزوة حنين: من أعماله الجهادية التي تتسم بالشجاعة وتدل على الخبرة في القتال ما كان في غزوة حنين في العام الثامن من الهجرة، فقد ثبت مع الرسول ×، مع من ثبت معه من المهاجرين والأنصار، وكان في جيش هو وزن رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء، إذا أدرك طعن برمحه، وإذا فاته الناس رفع رمحه لم ن وراءه فاتبعوه، فأدرك على بعيريته الحرية، وتجربته الطويلة، أن لهذا الرجل عام لا مؤثراً في حماس هو وزن وشدة، فاتجه على بن أبي طالبـ رضي الله عنهـ ورجـلـ منـ الأـنـصـارـ نـحـوـهـ وـاسـتـطـاعـاـ إـسـقـاطـهـ مـنـ عـلـىـ جـمـلـهـ وـقتـلـهـ، فـماـ كـانـتـ إـلـاـ سـاعـةـ حـتـىـ اـذـ هـزـ مواـ وـولـواـ الأـدـبـارـ وـانـتـصـرـ المـسـلـمـونـ⁽¹⁰⁾.

6- سرية علي رضي الله عنه لهدم الصنم الفلس في بلاد طيء: بعد أن طهر النبي × البيت الحرام من الأواثن التي كانت فيهـ، كان لابد من هدم البيوت التي كانت معلماً للجاهـلـيةـ رـدـحـاً طـوـيـلـاًـ منـ الزـمـنـ⁽¹¹⁾، فـكـانتـ سـرـاـيـاـ رـسـولـ الله × تـتـرـىـ لـتـطـهـيرـ الجـزـيرـةـ منهاـ،

(1) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (1051/3).

(2) نحس الدابة: هيجهـاـ.

(3) فتح الباري (11/8)، السيرة النبوية لأبي هشام (58/4، 59).

(4) البخاري رقم (4339).

(5) ميلعنة: أسم الله، وال فعل «يلغ» يعني شرب.

(6) السيرة النبوية لأبي هشام (73)، إسناده ضعيف وله شواهد.

(7) خلافة على بن أبي طالب: ص (46).

(8) السيرة النبوية لأبي شيبة (465/3).

(9) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: ص (579).

(10) مسند أبي يعلى (388/3) حسن الإسناد، الصحيح المستد: ص (141) للعدوي.

(11) معين السيرة: ص (694).

فكانت من نصيب على رضي الله عنه صنم الفلس في بلاد طيء، ففي ربيع الآخر خرج ت سرية على بن أبي طالب إلى الفلس – صنم لطئ – ليهدهم، وكان تعدادها خمسين و مائة رجل من الأنصار، على مائة بعير وخمسين فرسماً، ومع راية سوداء ولواء أبيض، فشنوا الغارة على محلة آل حاتم – حاتم الطائي الذي ضرب المثل بجوده – مع الفجر ف هدموا الفلس وخرابه، وملأوا أيديهم من السبي والنعيم والشقاء، وفي السبي أخت عدى بن حاتم، وهرب عدى إلى الشام⁽¹⁾.

سابعاً: استخلاف النبي × لعلي على المدينة في غزوة تبوك 9هـ: كان في رجب سنة تسع من الهجرة غزوة تبوك، وكانت لها أهمية كبيرة في السيرة النبوية، وتحقق منها غايات كانت بعيدة الأثر في نفوس المسلمين والعرب، وجرى الحوادث في تاريخ الإسلام⁽²⁾، واستعمل رسول الله × على المدينة علياً، فوجد المنافقون فرصة للتفليس مما بداخلهم من حقد ونفاق، فأخذوا يتكلمون في على رضي الله عنه بما يسيء إليه، فمن ذلك قوله ما تركه إلا لثقله عليه، وهذا العمل والقول السبيء منهم في حقه عالمة بارزة واضحة على نفاقهم، ففي الحديث الصحيح أن علياً رضي الله عنه قال: «والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي × أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»⁽³⁾. عند ذلك أدرك على الجيش، وأراد الغزو معهم قائلاً: يا رسول الله أتختلفني في الصبيان والذماء، فقال رسول الله ×: «الآ ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي»⁽⁴⁾.

ثامداً: علي رضي الله عنه ودوره الإعلامي في حجة أبي بكر الناس 9هـ:

كانت تربية المجتمع وبناء الدولة في عهد النبي × مستمرة على كل الأصعدة والمجاالت العقائدية، والاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والعسكرية، والتبعية، وكانت فريضة الحج لم تمارس في السنوات الماضية، فحجة عام 8هـ بعد الفتح كلف بها عتاب بن أبيد، ولم تكن قد تميزت حجة المسلمين عن حجة المشرعين⁽⁵⁾، فلما حل موسم الحج أراد × الحج ولكنه قال: إنه يحضر البيت عراة مشرون يطوفون بالبيت⁽⁶⁾، فلا أحد أن أحج. وكان ذلك في سنة 9هـ فخرج أبو بكر ومعه عدد كبير من الصحابة، وساقوا معهم الهدي⁽⁷⁾، فلما خرج الصديق بركب الحجيج نزلت سورة براءة فدعا النبي × علياً رضي الله عنه وأمره أن يلحق بأبي بكر الصديق، فخرج على ناقة رسول الله × العضباء حتى أدرك الصديق أبا بكر بذى الحليفة، فلما رأه الصديق قال له: أمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم سارا، فأقام أبو بكر للناس الحج على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية، وكان الحج في هذا العام في ذي الحجة كما دلت على ذلك الروايات الصحيحة لا في شهر ذي القعدة كما قيل، وقد خطب الصديق قبل التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر، ويوم النفر الأول، فكان يعرف الناس مناسكهم: في وقوفهم وإفاضتهم، ونحرهم، ونفرهم، ورميهم للجمرات .. إلخ، وعلى يخلفه في كل موقف من هذه المواقف، فيقرأ على الناس صدر سورة براءة ثم ينادي في الناس بهذه الأمور الأربع، لا يدخل في الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عرياناً، ومن كان بينه وبين النبي × عهد فعهده إلى مدتة، ولا

(1) تاريخ الإسلام للذهبي: ص (624).

(2) المرتضى للنوي: (55).

(3) مسلم رقم 78.

(4) البخاري رقم 2404.

(5) السيرة النبوية لأبي شهبة (536/2)، دراسات في عهد البنوة: ص (22).

(6) نصرة النعيم (98/1)، البطقات الكبرى (168/2).

(7) فتح الباري (82/8).

يحج المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا⁽¹⁾، وقد أمر الصديق رهطاً آخر من الصحابة لمساعدة على بن أبي طالب في إنجاز مهمته⁽²⁾.

إن نزول صدر سورة براءة يمثل مفاصلة نهائية مع الوثنية وأتباعها، حيث منعت حجهم وأعلنوا الحرب عليهم⁽³⁾.

قال تعالى: + بِرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمُ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيَحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجَزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكُفَّارِينَ وَأَذَانَ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَا مَوْلَاهُجَّا الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبَدِّمُ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّهُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجَزِي اللَّهِ وَبَشَّرَ الدِّيَنَ كَفُرُوا بِعِذَابِ الْآيَمِ [التوبه: 1-3].

وقد أمهل المعاهدون لأجل معلوم منهم إلى انتهاء مدتهم، قال تعالى: + إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمُ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَهْدَافًا فَأَتَمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ [التوبه: 4].

كما أمهل من لا عهد له من المشركين إلى انسلاخ الأشهر الحرم، حيث يصبحون بذلك في حالة حرب مع المسلمين، قال تعالى: + فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَإِذَا تَذَوَّلُوا الْمُشْرِكِينَ حِيثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوهُمْ مَكْلُومِينَ مَرْصَدًا فَإِنْ تَابُوا وَأَقْامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكَاةَ فَخُلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ [التوبه: 5].

وقد كلف النبي × عليهما السلام نقض العهود على مسامع المشركين في موسم الحج، رعاة لما تعارف عليه العرب فيما بينهم من عقد العهود ونقضها، إلا يتولى ذلك إلا سيد القبيلة أو رجل من رهطه، وهذا العرف ليس فيه منفأة للإسلام، فذلك تدارك النبي × الأمر وأرسل عليهما بذلك، فهذا هو السبب في تكليف على بتبلیغ صدر سورة براءة لا مازعمته إلا رافضة من أن ذلك للإشارة إلى أن عليهما حق بالخلافة من أبي بكر، وقد علق الدكتور محمد أبو شيبة فقال: ولا أدرى كيف غفلوا عن قول الصديق: أمير أم مأموم؟⁽⁴⁾ وكيف يكون المأموم حق بالخلافة من الأمير⁽⁵⁾، وقد كانت هذه الحجة بمثابة التوطئة للحجارة الكبرى وهي حجة الوداع، لقد أعلن في حجة أبي بكر أن عهد الأصنام قد انقضى، وأن مرحلة جديدة قد بدأت، وما على الناس إلا أن يستجيبوا الشريع الله تعالى، وبعد هذا الإعلان الذي انتشر بين قبائل العرب في الجزيرة، أيقنت تلك القبائل أن الأمر جد، وأن عهد الوثنية قد انقضى فعلاً، فأخذت ترسل وفودها معلنة إسلامها ودخولها في التوحيد⁽⁶⁾.

تاسعاً: على رضي الله عنه ووفد نصارى نجران، وآية المباهلة 9 هـ:

كتب رسول الله × إلى نجران⁽⁷⁾ كتاباً قال فيه: «أَمَا بَعْدَ، فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ، وَأَدْعُوكُمْ إِلَى وِلَايَةِ اللَّهِ مِنْ وِلَايَةِ الْعِبَادِ، فَإِنْ أَبْ

(1) مسند الإمام أحمد الموسوعة الحديثة رقم 594 حديث صحيح.

(2) السيرة النبوية لأبي شيبة (537/2).

(3) نصرة النعيم (399/1).

(4) السيرة النبوية لأبي شيبة (540/2)، صحيح السيرة: ص(624).

(5) السيرة النبوية لأبي شيبة (540/2).

(6) قراءة سياسية للسيرة النبوية: ص (283).

(7) نجران بلد كبير على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن.

يتم آذنتكم بحرب. والسلام»⁽¹⁾ فلما أتى الأسقف الكتاب، جمع الناس وقرأه عليهم، وسألهم عن الرأي فيه؟ فقرروا أن يرسلوا إليه وفداً يتكون من أربعة عشر من أشرافهم، وقيل: ستين راكباً، منهم ثلاثة نفر يؤول إليهم أمرهم: العاقب، وهو أميرهم وصاحب مشورتهم والذين يصدرون عن رأيه، والسيد وهو صاحب رحلتهم، وأبو الحارت أسقفهم وبرهم وصاحب مدارسهم⁽²⁾، ولما جاء وفد نصاري نجران إلى رسول الله × بالمدينة، وضعوا ثياب السفر عنهم، ولبسوا حلاً لهم يجرونها من الحبرة، وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ×، فسلموا عليه، فلم يرد عليهم السلام، وتصدوا لكلامه طويلاً، فلم يكلمهم، وعليهم تلك الحال والخواتيم الذهب، فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنهما - وكانوا على معرفة لهم، كانوا يخرجون العير في الجالية إلى نجران، فيشتري لهم بثمنها من براها وثمرتها، فوجدوهما في ناس من الأنصار في مجلس، فقالوا: يا عثمان، ويا عبد الرحمن إن نبيكم كتب إلينا بكتاب، فأقبلنا مجيبين له، فسلمنا عليه، فلم يرد علينا سلامنا، وتصدانا لكلامه نهاراً طويلاً، فأعيانا أن يكلمنا، فما الرأي منكم، أنعود؟

فقالا لعلي بن أبي طالب وهو في القوم: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟ قال: أرى أن يضعوا حلتهم هذه وخواتيمهم، ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يأتوا إليه، ففعل الوفد ذلك، فوضعوا حلتهم وخواتيمهم، ثم عادوا إلى رسول الله × فسلموا عليه، فرد سلامهم، ثم سألهم وسائله فلم تزل بهم وبه المسألة⁽³⁾. وقالوا للرسول الله ×: كنا مسلمين قبلكم، فقال النبي ×: «يمنعكم من الإسلام ثلاثة: عبادتكم الصليب، وأكلكم الخنزير، وزعمكم أن الله ولدًا⁽⁴⁾ وكثير الرجال والحجاج بينه وبينهم، والنبي ينحو عليهم القرآن ويقرع باطلهم بالحجية، وكان مما قالوه لرسول الله ×: ما لك تشتم صاحبنا وتقول: إنه عبد الله، فقال: «أجل إن الله ورسوله وكلمة القاها إلى مريم العذراء البتول»، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب، فإن كنت صادقاً فأرنا مثلك؟ فأنزل الله في الرد عليهم قوله سبحانه: + إنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عَنْدَ اللَّهِ كَمَثَلَ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ + [آل عمران: 59]. فكانت حجة دامغة شبه فيها الغريب بما هو أغرب منه⁽⁵⁾، فلما لم تجد معهم المجادلة بالحكمة والموعظة الحسنة دعاهم إلى المباهلة⁽⁶⁾. امتنالاً لقوله تعالى: + فَمَنْ حَمَدَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا كُمْ وَنَسَاءَنَا وَنَسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهُنَّ فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ + [آل عمران: 61].

وخرج النبي × ومعه الحسن والحسين وفاطمة وقال: «وإذا أنا دعوت فأمّنوا»⁽⁷⁾. فائتleroوا فيما بينهم، فخافوا الهلاك لعلهم أنه نبي حقاً، وأنه ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا، فألبوا أن يلاعنوه وقالوا: أحكم علينا بما أحببتي، فصالحهم على ألفي حلة، ألف في رجب وألف في صفر⁽⁸⁾.

(1) البداية والنهاية (5/48).

(2) المصدر نفسه (5/48)، السيرة النبوية لأبي شهبة (2/547).

(3) زاد المعاد (3/629-638).

(4) المصدر نفسه (3/633).

(5) المصدر نفسه (3/633).

(6) السيرة النبوية لأبي شهبة (2/547).

(7) السيرة النبوية لأبي شهبة (2/547).

(8) السيرة النبوية لأبي شهبة (2/547).

عاشرًا: على رضي الله عنه داعيًّا وقاضيًّا في اليمن 10هـ:

بعد فتح مكة استجابت القبائل العربية بالجزيرة إلى الإسلام، وكان رسول الله × يرسل الدعاة إلى القبائل التي لم تستجب بعد، فأرسل عليًّا رضي الله عنه إلى همدان باليمن، وهذا البراء بن عازب – رضي الله عنه – يحدتنا عما حدث في ذهابه مع علي رضي الله عنه لليمن فيقول: .. فلما انتهينا إلى أوائل اليمن بلغ القوم الخبر، فجمعوا له، فصلى عليه ثم قرئ بنا الفجر، فلما فرغ، صفت صفةً واحدًا ثم تقدم بين أيدينا، فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله ×، فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، وكتب بذلك إلى رسول الله ×، فلما قرأ كتابه خر ساجدًا، وقال: «السلام على همدان، السلام على همدان»⁽¹⁾. قد كان رسول الله × حريصًا على الجبهة الجنوبية للدولة وأن تدخل قبائل اليمن في الإسلام، وظهر هذا الاهتمام في النتائج الباهرة التي حققتها الدعوة في كثرة عدد الوفود التي كانت تتسبّب من كل أطراف اليمن متوجهة إلى المدينة، مما يدل على أن نشاط المبعوثين إلى اليمن كان متصلًا وبعيد المدى، وكانت سرايا رسول الله × تساند هذا النشاط الذي عوّي السلمي، حيث بعث خالد بن الوليد ثم على بن أبي طالب رضي الله عنهما، فقد كان × يركز على مفاصل القوى، ومركّز التأثير في المجتمعات وبناء الدول ومارس هذا الفقه العظيم في حياته⁽²⁾.

هذا وقد أمر رسول الله × عليًّا بأن يقضى بين الناس في اليمن، وهذا على رضي الله عنه يحذّر نفسه حيث قال: بعثني رسول الله × إلى اليمن، فقلت له: يا رسول الله تبعثي إلى قوم أسن مني وأنا حدث لا أبصر القضاء، قال: فوضع يده على صدره، وقال: «اللهم ثبت لسانه وأهد قلبه، يا على إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع الآخر، ما سمعت من الأول، فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء»، قال: فما اختار على قضاء بعد، أو ما أشكل على قضاء بعد⁽³⁾.

لقد احتاج اليمنيون بعد انتشار الإسلام في بلادهم من يفهمون في أمور دينهم، ويعلمون م ويقضي بينهم بحكم الله عز وجل، فبعث رسول الله × عددًا من الصحابة إلى أرجاء اليمن منهم معاذ وأبي موسى الأشعري، وكان من أفضليتهم على بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد حفظت لنا كتب التاريخ والحديث والفقه مجموعة من القضايا التي حكم فيها على رضي الله عنه وهو باليمن منها:

1- قضاؤه في الأربعة الذين تدافعوا عند زُبْيَة⁽⁴⁾ للأسد: عن حنش عن على رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله × إلى اليمن فانتهينا إلى قوم قد بنوا زُبْيَة⁽⁵⁾ للأسد، فيبينما هم كذلك يتدافعون؛ إذا سقط رجل فتعلق بأخر، ثم تعلق رجل بأخر، (6) حتى صاروا فيه أربعة فَجَرَحَهُمُ الأسد؟، فانتدب له رجل بحرابة فقتلته، وماتوا من جراحتهم كلهم، فقام أولياء الأول إلى أولياء الآخر، فأخرجنوا السلاح ليقتتلوا، فاتاهم على على تقبيه⁽⁷⁾ بذلك، فقال: تزيدون أن تقاتلوا رسول الله × حتى، إنني أقضي بينكم قضاء إن رضيتم فهو القضاء، وإن لا حرج بينكم عن بعض، حتى تأتوا النبي × فيكون هو الذي يقضي بينكم، فمن عدًا بعد ذلك فلا حق له، اجمعوا من قبائل الذين حفروا البئر ربع الديمة وثلث الديمة ونصف الديمة كا

(1) زاد المعاد (622/3) إسناده صحيح.

(2) السيرة النبوية للصلابي (596/3)، الفقه السياسي للوثائق: ص(231).

(3) فضائل الصحابة (871/2) إسناده حسن رقم 1995.

(4) الزبيدة: حفرة تحفر للأسد، ولا تحرف إلا في مكان عالٍ من الأرض.

(5) الحفرة في الأرض: القاموس (340/4)، تاج العروس (1016).

(6) فضائل الصحابة (900/2) رقم 1239 إسناده حسن.

(7) تقبيه ذلك: أي أثره، النهاية (3) (483/3).

ملة، فلأول الرابع لأنه أهلك من فوقه، وللثاني ثلث الديه، وللثالث نصف الديه، وللرابع الديه كاملة فأبوا أن يرضوا، فأتوا النبي ﷺ وهو عند مقام إبراهيم فقصدوا عليه القصة، فقال: أبا أقضى بينكم واحتى، فقال رجل من القوم: إن علياً قضى فقصدوا عليه فأجازه رسول الله ﷺ⁽¹⁾

2- ثلاثة وقعوا على امرأة في طهر: عن زيد بن الأرقم أنه قال: أتى على بثلاثة وهو باليمين وقعوا على امرأة في طهر واحد، فسأل اثنين: أتقران لهذا بالولد؟ قالا: لا حتى سألهم جميعاً، فجعل كلما سأله اثنين، قالا: لا، فأقرع بينهم، فألحق الولد بالذي صارت عليه القرعة، وجعل عليه ثلثي الديبة⁽²⁾، قال: فذكر ذلك لنبي الله × فضحك حتى بدت نوافذه⁽³⁾، وكان ضحك رسول الله × فرحاً وسروراً بتوفيق الله تعالى عليه للصواب. ولذلك أقره على ذلك⁽⁴⁾، ويحتمل أن ما حصل من أولئك التفر إنما كان قبل إسلامهم لأن فعلهم محرم في دين الله تعالى⁽⁵⁾.

الحادي عشر: على رضي الله عنه في حجة الوداع:

أدرك على رضي الله عنه رسول الله في حجة الوداع، ونحر رسول الله ثلاثة وستين بذنة بيده، وكان عدد هذا الذي نحره عدد سنى عمره، ثم أمسك، وأمر عليه أن يذبح ما باقى من المائة، ففعل وأكملا العدد، وقد وصف لنا على رضي الله عنه بعض المذاق في حجته مع رسول الله، فعن على بن أبي طالب رضي الله عنه: أن النبي وقف بعرفة وهو مردف أسمامة بن زيد، فقال: «هذا الموقف وكل عرفة موقف»، ثم دفع بيسير العنق، وجعل الناس يضربون يميناً وشمالاً، وهو يلتفت ويقول: «السكينة أيها الناس، السكينة أيها الناس» حتى جاء المزدلفة، وجمع بين الصالاتين، ثم وقف بالمزدلفة، فوقف على قُرْحَ، وأردف بيسير العنق، والناس يضربون يميناً وشمالاً، وهو يلتفت ويقول: «السَّكِينَةُ، السَّكِينَةُ، أيها الناس» حتى جاء مُحْسِرًا فครع راحلته فخبت، حتى خرج، ثم عاد لسيّره الأول، حتى رمى الجمرة، ثم جاء المذحر فقال: هذا المنحر، وكل مني مذحر، ثم جاءت امرأة شابة من خثعم، فقالت، إن أبيشيخ كبير، وقد أفندي، وأدركه فريضة الله في الحج، ولا يستطيع أداءها، ففيجزئ عنه أن أوديتها عنه؟ قال رسول الله: «نعم، وجعل يصرف وجه الفضل بن العباس عنها. ثم أتاه رجل آخر، فقال: إني رميت الجمرة وأفضت ولبست ولم أحلق. قال: فلا حرج، فالاطلاق. ثم أتاه رجل آخر، فقال: إني رميت وحلقت ولبست ولم أتحر. فقال: لا حرج فائز. ثم أفضض رسول الله، فدعاه سوجل من ماء زرمزم، فشرب منه وتوضا، ثم قال: انزعوا⁽⁶⁾ يا بنى عبد المطلب، فلولا أن تغلبوا عليها لاذعت⁽⁷⁾. قال العباس: يا رسول الله، إني رأيتك تصرف وجه ابن أخيك؟ قال: إني رأيتك غلاماً شاباً، وجارية شابة فخشت عليهما الشيطان⁽⁷⁾. وقد كان على رضي الله عنه يعلن على الناس ما أمر به النبي، فعن عمرو بن سليم عن أمه قال:

(١) فضائل الصحابة رقم 1239 إسناده صحيح.

(2) منهاج على بن أبي طالب في الدعوة إلى الله:

(3) نواجد: جمع ناجد: لخ الأخبار، وللإنسان أربعة نواجد، وهناك رواية أخرى في فضائل الصدقة رقم 1095

4) سن النساي (66/182) حاسمه السندي.
5) مذحج عا زن ا طالر، ف الرعمة الله

⁵ مههج على بن أبي طالب في الدعوة إلى الله: ص(88).
⁶ المرتضى للندوة: ص 57، وقد جاء في: وآية الخادع.

(٦) المترضى شنبوي رقم ٥٧، وقد جاء في رواية الحجاري أن النبي ص نحر سبع بins بيده يرمي، ررم ١٧١٢ وفا على بالإشراف على قسمتها وهي مائة رقم ١٧١٨. النزع: استخراج الماء من زم زم لسفى الحجيج.

(7) مستند أحمد (9/2) الموسوعة الحديثية رقم 564 إسناده حسن.

ت: بينما نحن بمنى إذا على بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: إن رسول الله × قال: «إن هذه أيام أكل وشرب، فلا يصومها أحد»، واتبع الناس على جمله يصرخ بذلك⁽¹⁾.

الثاني عشر: تشرفه بغسل النبي × ودفنه:

لما توفي النبي × كان على ممن باشر غسله مع الفضل بن العباس وأسامي بن زيد⁽²⁾. وقال على رضي الله عنه: غسلت رسول الله ×، فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيئاً وكان طيباً حيناً وميتاً⁽³⁾. وقال: بأبي الطيب، طبت حيناً وطبت ميتاً⁽⁴⁾. وكأن على رضي الله عنه من ضمن من نزل في قبر رسول الله × وبashروا دفنه هو والفضل بن عباس، وقثم بن عباس، وشقران مولى رسول الله ×⁽⁵⁾. لقد كان نباً وقاية رسول الله × على الصحابة الكرام كالصاعقة لشدة حبهم له وما تعودوه من العيش في كنفه، عيش الأبناء في حجر الآباء بل أكثر من ذلك، وكان حظ أهل البيت والأسرة الهاشمية - وعلى رأسها فاطمة بنت رسول الله × وعلى بن أبي طالب - أوفر وأكثر بطبيعة الحال، وبحكم الفطرة السليمة والقرابة القريبة، وما يمتازون به من رقة الشعور، وقوية العاطفة، وشدة الحب ولكن احتملوه بقوة إيمانهم والرضا بقضاء الله والاستسلام لأمره⁽⁶⁾.

الثالث عشر: قصة الكتاب الذي همّ النبي × بكتابته في مرض موته:

ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عباس - رضي الله عنهم - أنه قال: لما حضر رسول الله × وفي البيت رجال فقال النبي ×: «هموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوه بعد»، فقال بعضهم: إن رسول الله × قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن، حسناً كتاب الله، فاختلاف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوه بعد، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ×: قوموا. قال عبد الله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله × وبين أن يكتب الكتاب لاختلافهم ولغطتهم⁽⁷⁾. وفي رواية أخرى عن ابن عباس - رضي الله عنهم - قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، أشتدع برسول الله × وجده، فقال: أئتونني أكتب لكم كتاباً لن تضلوه بعد أبداً، فتنازعوا، ولا ينبغي عند النبي نزاع، فقالوا: ما شأنه؟ أهجر، استقهموه، فذهبوا يرددون عليه فقال: دعوني، قال الذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه، وأوصاهم بثلاث، قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفود ينحو ما ذكرت أجيزة لهم، وسكت عن الثالث، أو قال: فنسيها⁽⁸⁾. وليس فيما ثبت في هذا الحديث ورواياته الصحيحة أي مطعن على أصحاب رسول الله، وأما ما ذكره الروافض من مطاعن فبدلة معلومة الفساد، وقد أجاب العلماء قدیماً عن بعضها ومن هذه الردود:

1- اختلاف الصحابة ثابت، وكان سببه اختلافهم في فهم قول الرسول × ومراده لا عصيائه، قال القرطبي صاحب المفهم: وسبب ذلك كله إنما حمل عليه الاجتهد المسوغ، والقصد الصالح، وكل محتهد مصيب، أو أحدهما مصيب، والآخر غير مأثور بل مأجور كما قررناه في الأصول⁽⁹⁾. ثم ذكر أن النبي × لم يعنفهم ولا ذمهم بل قال للجميع: دعوه

(1) الموسوعة الحبيبية رقم 567 إسناده صحيح.

(2) أبو داود (213/3) عن الشعبي مرسلًا رقم 3209 صححه الألباني في أحكام الجنائز: ص (51).

(3) سنن ابن ماجة (1/362) رقم 1467 صححه الألباني في أحكام الجنائز: ص (50).

(4) السيرة النبوية لأبي هشام (321/4).

(5) المصدر نفسه (321/4).

(6) المرتضى للنبوى: ص (59).

(7) البخاري رقم 4432.

(8) البخاري رقم 4431.

(9) المفہوم لما اشکل، تلخیص کتاب مسلم (559/4).

ي فالذى أنا فيه خير⁽¹⁾، وهو نحو ما جرى لهم يوم الأحزاب حيث قال لهم الرسول ×: «لا يصلين أحد العصر إلا في بنى قريطة»⁽²⁾، فتخوف ناس فوات الوقت،؟ فصلوا دون بنى قريطة، وقال آخرون: لا نصلي إلا حيث أمرنا رسول الله فما عنف أحد الفريقين⁽³⁾. 2- وأما ما ادعاه الروافض من أن اختلاف الصحابة وما ترتب عليه من عدم كتابة النبي × لهم ذلك الكتاب هو الذي حرم الأمة من العصمة، فهذا باطل لأنه يعني أن الرسول × قد ترك تبليغ ما فيه عصمتها من الضلال، ولم يبلغ شرع ربه لمجرد اختلاف أحد حابه عنده حتى مات على ذلك، وأنه بهذا مخالف لأمر ربه في قوله: **+يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَكُلْ بِلَاغٍ مَا أَذْرَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعُلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَأَنَّ اللَّهَ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**» [المائدة:67]. وإذا كان الرسول × مبرأ من ذلك ومن ذكره ماز ترکية ربه له في قوله: **+لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزَّيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْأَمْرِ وَمُذِيقٌ رَوْفٌ رَحِيمٌ**» [التوبه:128]، فوصفه بالحرص على أمته، أي على هدايتهم، ووصول النفع الدنيوي والأخروي لهم، ذكره ابن كثير في تفسيره⁽⁴⁾، وإذا كان هذا الأمر معلوماً بالاضطرار من دين الإسلام عند الخاص والعام، لا يشك فيه من في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان، وأن هذا الرسول الكريم قد بلغ كل ما أمر به، وكان أحقر من أن تكون على أمته، بما هو متواتر من جهاده وتضحياته، وأخباره الدالة على ذلك، علمنا علمًا يقينًا لا يشوبه أدنى شك، أنه لو كان الأمر كما يذكر الروافض من الوصف لهذا الكتاب من أن به عصمة الأمة من الضلال في دينها، ورفع الفرقه، والاختلاف فيما بينها إلى أن تقوم الساعة، لما ساغ في دين ولا عقل أن يؤخر رسول الله كتابه إلى ذلك الوقت الضيق، ولو أخره ما كان ليتركه لمجرد اختلاف أصحابه⁽⁵⁾، ولا يتصور أن النبي × يترك أمر ربه، ولو قدر أنه تركه في ذلك الوقت للتزار عهم عنده مصلحة رآها، فما الذي يمنعه من أن يكتبه بعد ذلك، وقد ثبت أنه عاش بعد ذلك عدة أيام، فقد كانت وفاته - عليه الصلاة والسلام - يوم الاثنين على ما جاء مصححًا به في روایة أنس في الصحيحين⁽⁶⁾، وحادثة الكتاب يوم الخميس بالاتفاق⁽⁷⁾، وقد ثبت باقًا في السنة والرافضة، أن رسول الله لم يكتب ذلك الكتاب حتى مات، علمنا أنه ليس من الدين الذي أمر بتبليغه لما دل عليه القرآن من أن الله قد أكمل له ولأمته الدين، فأنزل عليه قبل ذلك في حجة الوداع: **+الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتْ لَكُمُ الْإِسْلَامُ دِيْنًا**» [المائدة:3]، قال ابن نعيم: ولم تكن كتابة الكتاب مما أوجبه الله عليه أن يكتبه أو يبلغه في ذلك الوقت، إذ لو كان كذلك لما ترك × ما أمره الله به، لكن ذلك مما رأه مصلحة لدفع النزاع في خلافة أبي بكر، ورأى أن الخلاف لابد أن يقع⁽⁸⁾، وقال في موضع آخر: وأما قصة الكتاب الذي كان رسول الله × يريد أن يكتبه، فقد جاء مبينًا كما في الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنه - قالت: قال رسول الله × في مرضه: «ادعى لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متنمن ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»⁽⁹⁾، إلى أن قال بعد ذكر روایات الحديث: والنبي × قد عزم على أن يكتب الكتاب الذي ذكره لعائشة، فلما رأى أن الش

(1) البخاري رقم 4431.

(2) البخاري رقم 4119.

(3) الفهم (559/4).

(4) تفسير ابن كثير (404/2).

(5) مختصر التحفة الاشترى عشرية: ص (251)، الانتصار للصحاب والآل ص (228-229).

(6) البخاري رقم (4448)، ومسلم رقم (419).

(7) الانتصار للصحاب والآل: ص (229).

(8) منهاج السنة (316/6).

(9) مسلم رقم (2387).

ك قد وقع، علم أن الكتاب لا يرفع الشك، فلم يبق فيه فائدة، وعلم أن الله يجمعهم على ما عزم عليه كما قال: **وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ**⁽¹⁾ **وَأَمَا قَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ: «لَنْ تَضْلُّوا بَعْدِي؟ قَلَّنَا لِلضَّلَالِ مَعَانٌ، وَالْمَرَادُ بِهِ هُنَا عَدَمُ الْخَطَا فِي تَدْبِيرِ الْمَلَكِ، وَهُوَ إِخْرَاجُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَإِجازَةُ الْوَفْدِ بِنَحْوِ مَا كَانَ يَجِيزُهُ، وَتَجْهِيزُ أَسَامَةَ، لَا الضَّلَالُ وَالْغَوَايَةُ عَنِ الدِّينِ وَهُوَ مَا فَعَلَهُ أَبُو بَكْرُ وَالصَّحَابَةُ مِنْ بَعْدِهِ**⁽²⁾.

3- وأما معنى قول ابن عباس: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله × وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب⁽³⁾، فكما قال ابن تيمية في معناه: يقتضي أن الحائل كان رزية، وهو رزية في حق من شك في خلافة الصديق، واشتبه عليه الأمر، فإنه لو كان هناك كتاب لزال الشك، فأما من علم أن خلافته حق فلا رزية في حقه والله الحمد⁽⁴⁾.

ويوضح ذلك أن ابن عباس - رضي الله عنه - ما قال ذلك إلا بعد ظهور أهل الأهواء والبدع، من الخوارج والروافض، نص على هذا ابن تيمية⁽⁵⁾، وابن حجر⁽⁶⁾.

4- وأما ادعاؤهم أن النبي × أراد بذلك الكتاب أن ينص على خلافة على - رضي الله عنه - وزعم بعض الروافض أنه ليس هناك تقسيير معقول غيره، فهذا الادعاء باطل.

قال ابن تيمية: ومن توهم أن هذا الكتاب كان بخلافة على فهو ضال باتفاق عامة الناس، من علماء السنة والشيعة، أما أهل السنة فمتقوون على تقضيل أبي بكر وتقديمه، وأما القائلون بأن علياً كان مستحقاً للإمامية فيقولون: إنه قد نص على إمامته قبل ذلك نصاً جلياً ظاهراً معروفاً، وحينئذ فلم يكن يحتاج إلى الكتاب⁽⁷⁾.

5- وأما طعن الروافض على عمر - رضي الله عنه - وزعمهم بأنه قد اتهم رسول الله × بأنه لا يعي ما يقول: وقال: «إنه يهجر» ولم يتمثل قوله، قال: «عندكم كتاب الله»، «حسينا كتاب الله» فجوابه: أن ما ادعاه أو لا يأن عمر اتهم رسول الله بالهجر وأنه لا يعي ما يقول فهذا باطل، وذلك أن هذه اللفظة (أهجر) لا تثبت عن عمر - رضي الله عنه - أصلاً، وإنما قالها بعض من حضر الحادثة من غير أن تعين الروايات الواردة في الصحيحين قائلها، وإنما الثابت فيها «قالوا: ما شأنه أهجر»⁽⁸⁾، هكذا بصيغة الجمع دون الإفراد، ولهذا أنكر بعض العلماء أن تكون هذه اللفظة من كلام عمر، قال ابن حجر: ويه ظهر لي ترجيح ثالث الاحتمالات، التي ذكرها القرطبي، ويكون قائل ذلك بعض من قد يرد⁽⁹⁾، وقال الدهلوى: من أين يثبت قائل هذا القول هو عمر مع أنه وقع في أكثر الروايات (قالوا) بصيغة الجمع⁽¹⁰⁾.

إن الثابت الصحيح من هذه اللفظة أنها وردت بصيغة الإستفهام هكذا (أهجر؟) وهذا بخلاف ما جاء في بعض الروايات بلفظ (هجر، ويهجر) فإنه مرجوح على ما حقق ذلك المحدث.

(1) منهاج السنة (6/23).

(2) مختصر التحفة الائتية عشرية: ص (251).

(3) البخاري رقم (4432).

(4) منهاج السنة (6/25).

(5) المصدر السابق (6/316).

(6) فتح الباري (1/209).

(7) منهاج السنة (6/25)، الانتصار للصحب والآل: ص (281، 282، 283).

(8) البخاري رقم (4431).

(9) فتح الباري (8/133).

(10) مختصر التحفة الائتية عشرية: ص (250).

6- أما ادعاؤهم من معارضه عمر لرسول الله × بقوله: عندكم كتاب الله، حسبنا كتاب الله، وأنه لم يمتنع أمر رسول الله × فيما أراد من كتابة الكتاب، فالردد على هذه الشبهة الواهية، أن عمر - رضي الله عنه - ومن كان على رأيه من الصحابة، ظهر لهم أن أمر الرسول بكتابة الكتاب ليس على الوجوب، وأنه من باب الإرشاد إلى الأصلاح، وقد نبه على هذا القاضي عياض⁽⁸⁾، والقرطبي⁽⁹⁾، والنووي⁽¹⁰⁾ وابن حجر⁽¹¹⁾، ثم إنه قد ثبت بعد هذا صحة اجتهد عمر - رضي الله عنه - وذلك بترك الرسول × كتابة الكتاب، ولو كان واجباً لم يتركه لاختلافهم، لأنه لم يترك التبليغ لمخالفة من خالف، ولهذا عد هذا من موافقات عمر⁽¹²⁾، كما أن قول عمر - رضي الله عنه: حسبنا كتاب الله، رد على من نازعه لا على أمر النبي ×، وهذا ظاهر من قوله: عندكم كتاب الله، فإن المخاطب جمع، وهو المخالفون لـ عمر - رضي الله عنه - في رأيه، كما أن عمر - رضي الله عنه - كان بعيد النظر، ثاقب البصيرة، سديد الرأي، وقد رأى أن الأولى ترك كتابة الكتاب، بعد أن تقرر عنده أن الأمر به ليس على الوجوب، وذلك لمصلحة شرعية راجحة للعلماء في توجيهها، أقول: منها شفقة على رسول الله مما يلحقه من كتابة الكتاب مع شدة المرض، ويشهد لهذا قوله: إن رسول الله قد غلبه الوجع، فكره أن يتكلف رسول الله ما يشق ويشق عليه⁽¹³⁾، مع استحضار قوله تعالى: +مَا فَرِطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ+ [الأعراف:38]. وقوله تعالى: + تَبْيَانًا لَّكَ لِشَيْءٍ+ [النحل:89].

قال النووي: وأما كلام عمر- رضي الله عنه - فقد اتفق العلماء المتكلمون في شرح الحديث، على أنه من دلائل فقه عمر، وفضائله ودقيق نظره⁽¹⁴⁾.

(٨٨٦/٢) الشفاف (١)

المفہم (559/4) {2}

3) شرح صحيح مسلم (93/11)
4) فتح الباري (133/8)

فتح الباري (4)
الانتصار للصلح (5)

المفهوم (6) (559/4)

(7) الانتصار للصحاب

بِهِ (8) أَشْفَأَ (887/2)

٨ السقا (٦٦٧/٢) ٩ المفهوم (٥٥٩/٢)

شرح النووي (١٠)

فتح الباري { ١١ }
{ ١٢ }

فتح الباري (12)
الشافعی (888/2) (13)

١٤) شرح النوع، على

مکتبہ ملیعہ (۱۴)

⁽⁷⁾ الانتصار للصحابي ولآل: ص (28)، وهذا المرجع من أحسن ما أطلع عليه في الرد على هذه الشبه.

بِهِ (8) أَشْفَأَ (887/2)

٨ السقا (٦٦٧/٢) ٩ المفهوم (٥٥٩/٢)

شرح النووي (١٠)

فَتْحُ الْبَارِي {١١} ١٢

فتح الباري (12)
الشافعی (888/2) (13)

١٤) شرح النوع، على

مکتبہ ملیعہ (۱۴)

شرح النووي على صحيح مسلم (14)، الانتصار للصحاب والآل: ص (289، 290، 291، 292)، سبق (13)، شرح النووي على صحيح مسلم (90/11)، (886/2).

كما أن عمر – رضي الله عنه – كان مجتهداً في موقفه من كتابة الكتاب، والمجتهد في الدين معذور على كلّ، بل مأجور لقول النبي ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصل بفله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»⁽¹⁾, فكيف وقد كان اجتهاد عمر به صور رسول الله ﷺ فلم يؤثمه ولم يذمه به، بل وافقه على ما أراد من ترك الكتاب، وبهذا يظهر بطلان طعن الروافض على الصحابة في هذه الحادثة، وينكشف زيف ما قالوه في حقهم⁽²⁾.

(1) البخاري رقم (7352)
(2) الانتصار للصحاب والآل: ص (294، 295).

الفصل الثاني

علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عهد الخلفاء الراشدين المبحث الأول

علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عهد الصديق

أولاً: مبادعة علي لأبي بكر بالخلافة رضي الله عنهم:

وردت أخبار كثيرة في شأن تأخر علي عن مبادعة الصديق، وكذا تأخر الزبير بن العوام، وجُلَّ هذه الأخبار ليست بصحيحة، وقد جاءت روایات صحة السند تقيد بأن علیاً والزبير - رضي الله عنهم - بايعاً الصديق في أول الأمر، فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: لما توفي رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار بذكر بيعة السقيفة^(١)، ثم قال: ثم انطلقوا فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم فلم ير عليهما، فسأل عنه، فقام أناس من الأنصار، فأتوا به، فقال أبو بكر: ابن عم رسول الله ﷺ وختمه أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال: لا تشرب يا خليفة رسول الله ﷺ، فباعه، ثم لم ير الزبير بن العوام، فسأل عنه حتى جاءوا به، فقال: ابن عم رسول الله ﷺ وحواريه، أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال مثل قوله: لا تشرب يا خليفة رسول الله فباعاه^(٢). ومما يدل على أهمية حديث أبي سعيد الخدري الصحيح أن الإمام مسلم بن الحجاج صاحب الجامع لصحيح - الذي هو أصح الكتب الحديثية بعد صحيح البخاري - ذهب إلى شيخة الحافظ محمد بن إسحاق بن خزيمة - صاحب صحيح ابن خزيمة - فسألها عن هذا الحديث، فكتَّب له ابن خزيمة الحديث، وقرأه عليه، فقال مسلم لشيخه ابن خزيمة: هذا الحديث يساوي بيته، فقال ابن خزيمة: هذا الحديث لا يساوي بيته^(٣) (فقط)، إنه يساوي بدرة مال^(٤)، وعلق على هذا الحديث ابن كثير - رحمه الله - فقال: هذا إسناد صحيح محفوظ، وفيه فإذا جليلة، وهي مبادعة علي بن أبي طالب، إما في أول يوم، أو في الثاني من الوفاة، وهذا إن حق، فإن علي بن أبي طالب لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع عن صلاة من الصلوات خلفه^(٥)، وفي رواية حبيب بن أبي ثابت، حيث قال: كان علي بن أبي طالب في بيته، فأتاه رجل، فقال له: قد جلس أبو بكر للبيعة، فخرج على إلى المسجد في قميص له، ما عليه إزار ولا رداء، وهو متوجّل، كراهة أن يبسطي عن البيعة، فباع أبو بكر، ثم جلس، وبعث إلى ردائِه فجاءوه به، فلبسه فوق قميصه^(٦). وقد سأله عمرو بن حرثيث سعيد بن زيد، رضي الله عنه، فقال له: متى بويح أبو بكر؟ قال سعيد: يوم مات رسول الله ﷺ، كره المسلمين أن يبقوه بعض يوم، وليسوا في جماعة.

قال: هل خالف أحد أبو بكر؟ قال سعيد: لا. لم يخالف إلا مرتد، أو كاد أن يرتد، وقد أنقذ الله الأنصار، فجمعهم عليه وبايده. قال: هل قعد أحد من المهاجرين عن بيته؟ قال سعيد: لا لقد تتابع المهاجرون على بيته^(٧)، وكان مما قال على - رضي الله عنه - لأن الكواه وقيس بن عباد حينما قدم البصرة وسألاه عن مسيره قال: «لو كان عندي م

(١) مجمع الزوائد (١٨٣/٥) رجاله رجال الصحيح (البداية والنهاية ٢٨١/٥)، قال بن كثير: هذا إسناد صحيح محفوظ.

(٢) المستدرك (٧٦/٣)، السنن الكبرى (١٤٣/٨) بأسنادين صحيحين.

(٣) البدنة: ناقة أو بقرة تخر بمكة ولعاظتها وضخامتها سميت بيته.

(٤) الدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف دينار، والمعنى: أنه كنز ثمين.

(٥) البداية والنهاية (٢٣٩/٥).

(٦) الطبرى (٢٠٧/٣) والأثر مرسل وفي الإسناد سيف بن عمر متزوّك، وعبد العزيز بن سياه صدوقي يتسبّع، التقريب (٣٥٧).

(٧) تاريخ الطبرى (٢٠٧/٣) إسناد الخبر ضعيف، انظر خلافة أبي بكر الصديق، عبد العزيز سليمان: ص (٦٦).

ن النبي × عند في ذلك ما تركت أخاً بنى تيم بن مرة وعمر بن الخطاب يقونان على منبره ولقاتلتهما ولو لم أحد إلا برمي هذا، ولكن رسول الله × لم يقتل قتلاً ولم يتم فجأة، مكث في مرضه أيامًا وليلًا يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلوة، فيأمر أبو بكر فيصل بالناس، وهو يرى مكانه، ولقد أرادت امرأة من نسائه أن تصرفه عن أبي بكر فأبى وغضب وفأله: «أنت صواحب يوسف مروا أبو بكر فليصل بالناس» فلما قبض الله نبيه ونظرنا في أمورنا، فاخترنا لدنيانا من رضيه نبي الله، وكانت الصلاة أصل الإسلام، وهي أعظم الأمور وقوام الدين، فباعينا أبو بكر، وكان لذلك أهلاً، ولم يختلف عليه منا اثنان، ولم يشهده بعضنا على بعض، ولم يقطع منه البراءة، فأديت إلى أبي بكر حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جنوده، وكنت آخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطى⁽¹⁾.

وكان مما قال في خطبته على منبر الكوفة في ثنائه على أبي بكر وعمر: «فأعطي المسلمون البيعة طائعين، فكان أول من سبق في ذلك من ولد عبد المطلب أنا»⁽²⁾، وجاءت روايات وأشارت إلى مبايعة على لأبي بكر- رضي الله عنهما - في أول الأمر وإن لم تصرح بذلك، فعن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: إن عبد الرحمن بن عوف كان معه مر بن الخطاب، رضي الله عنه، ثم قام أبو بكر خطيب الناس، واعتذر إليهم وقال: «والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة قط، ولا كنت فيها راغبًا، ولا سألتها الله عز وجل في سر ولا علانية، ولكنني أشفقت من الفتنة، وما لي في الإمارة من راحة، ولكن فلدت أمرًا عظيمًا ما لي به من طاقة ولا بد إلا بتقوية الله عز وجل، ولو ددت أن أقوى الناس على لها مكاني اليوم»، فقل المهاجرون منه ما قال، وما اعتذر به. قال على رضي الله عنه والزبير: «ما غضبنا إلا لأننا قد أخرنا عن المشاورة، وأنا نرى أبو بكر أحق الناس بها بعد رسول الله × بالصلوة بالناس وهو حي»⁽³⁾. وعن قيس العبدى قال: «شهدت خطبة على يوم البصرة قال: فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي × وما عالج من الناس، ثم قبضه الله عز وجل إليه، ثم رأى المسلمين أن يستخلفوا أبو بكر- رضي الله عنه - فباعيوا وعاهدوا وسلموا، وبأيوب عاهدت وسلمت، ورضوا ورضيت، وفعل من الخير وجاهد حتى قبضه الله عز وجل، رحمة الله عليه»⁽⁴⁾.

إن علياً رضي الله عنه لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات ولم ينقطع عنه في جماعة من الجماعات، وكان يشاركه في المشورة، وفي تدبير أمور المسلمين. ويرى أبو زيز سليمان: ص (65).⁽⁵⁾

ن كثير ومجموعة من أهل العلم أن علياً جدد بيعته بعد ستة أشهر من البيعة الأولى أي بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها، وجاءت في هذه البيعة روايات صحيحة⁽⁶⁾. ولكن لما وقعت البيعة الثانية اعتقد بعض الرواية أن علياً لم يبايع قبلها، فنفي ذلك والمثبت مقدم على النافي⁽⁷⁾.

وهناك كتاب اسمه «الإمام على جدل الحقيقة وال المسلمين الوصية والشوري» لمحمد د محمد على زعم صاحبه بأنه يبحث وينشد الحقيقة، ولكن صاحبه لم يتخلص من المنه

(1) تاريخ الإسلام، عهد الخليفة الراشدة: ص (389) إسناد ضعيف خلافة أبي بكر الصديق، عبد العز

زير سليمان: ص (65).

(2) أسد الغابة (166/4)، خلافة أبي بكر: ص (66).

(3) البداية والنهاية (341/6) إسناد جيد، خلافة أبي بكر: ص (66).

(4) السنة، عبد الله بن أحمد (563/2) رجال الإسناد ثقات.

(5) البداية والنهاية (49/5).

(6) البداية والنهاية (49/5).

ج الشيعي الرافضي في الطرح ووضع السُّمّ في العسل، ولذلك وجوب التتبّيه، وقد تعرض لبيعة على رضي الله عنه، وزعم بأنّ أحقيّة على رضي الله عنه بالخلافة قائمة على الوصيّة.

ثانيًا: علي رضي الله عنه ومساندته لأبي بكر في حروب الردة:

كان علي رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه عيبة⁽¹⁾ نصح له، مرجحاً لما فيه مصلحة للإسلام والمسلمين على أي شيء آخر، ومن الدلائل الساطعة على إخلاصه لأبي بكر ونصحه للإسلام والمسلمين وحرصه على الاحتفاظ ببقاء الخلافة واجتماع شمل المسلمين ما جاء من موقفه من توجّه أبي بكر رضي الله عنه بنفسه إلى ذي القصّة، وعزّمه على محاربة المرتدين، وقيادته للتحركات العسكريّة ضدهم بنفسه، وما كان في ذلك من مخاطرة وخطر على الوجود الإسلامي⁽²⁾. فعن ابن عمر، رضي الله عنه يقول: «أَفَوْلَكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ × يَوْمَ أَحْدٍ: لَمْ سَيِّفْكَ وَلَا تَقْجَعْنَا بِنَفْسِكَ، وَأَرْجِعْ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ فَجَعْنَا بِكَ لَا يَكُونُ لِإِسْلَامِ نَظَامٌ أَبْدَأِ»، فرجوع⁽³⁾ فلو كان علي رضي الله عنه - أعاذه الله من ذلك - لم يتشرّح صدره لأبي بكر وقد بايعه على رغمّاً من نفسه، فقد كان ت هذه فرصة ذهبية ينتهزها على، فيترك أبو بكر وشأنه، لعله يحدث به حدث فيستريح منه ويصفو الجو له، وإذا كان فوق ذلك - حشاه الله - من كراهته له، وحرصه على التخلص منه، أغري به أحداً يغتاله، كما يفعل الرجال السياسيون بمنافسيهم وأعدائهم⁽⁴⁾، وقد كان رأي علي رضي الله عنه مقاتلة المرتدين، وقال لأبي بكر لما قال لعلي: ما تقول يا أبو الحسن؟ قال: أقول: إنك إن تركت شيئاً مما كان أخذه منهم رسول الله فانت على خلاف سنة الرسول، فقال: أما لئن قلت ذاك لأقائلنهم وإن منعوني عقالاً⁽⁵⁾.

ثالثًا: تقديم علي رضي الله عنه لأبي بكر:

توالت الأخبار عن علي رضي الله عنه في تقضيله وتقديمه لأبي بكر رضي الله عنه، فمن ذلك:

1- عن محمد ابن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ×؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر، وخشيّت أن يقول عثمان قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين⁽⁶⁾.

2- عن علي رضي الله عنه قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبّيها: أبو بكر. ثم قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد أبي بكر: عمر⁽⁷⁾.

3- عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا تستدّ خلف علينا؟ قال: ما استخلف رسول الله × فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم، كما جمعهم بعد نبّيه على خيرهم⁽⁸⁾.

4- وقال علي رضي الله عنه: لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلّته حد المف

(1) العيبة: وعاء من خوص ونحوه ينقل فيه الزرع المحصول إلى الجرين، ووعاء من ألم ونحوه يكتن فيه المتعة.

(2) المرتضى للتنوي: ص (97).

(3) البداية والنهاية (6/314، 315).

(4) المرتضى للتنوي: ص (97).

(5) المختصر من كتب الموافقة بين أهل البيت والصحابة للزمخشري: ص (48)، الرياض النصرة: ص (670).

(6) البخاري.

(7) مسند أحمد (1/106، 110، 127) صحيح أحمد شاكر معظم طرق الأحاديث.

(8) المستدرك (3/79) صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

ترى⁽¹⁾.

5- قول علي لأبي سفيان رضي الله عنهمَا: إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً.

وهناك آثار يستأنس بها في إيضاح العلاقة الطيبة بين علي وأبي بكر منها:

(أ) عن عقبة بن الحارث قال: خرجت مع أبي بكر الصديق من صلاة العصر بعد وفاة النبي × بليلٍ وعلى يمشي إلى جنبه، فمر بحسن بن علي يلعب مع غلامٍ، فاحتلمهُن على رقبته وهو يقول:

ليس شبيهًا بعلي

بأبي يشبه النبي

قال: وعلى يوضح⁽²⁾.

(ب) وعن علي رضي الله عنه قال: «من فارق الجماعة شبراً، فقد نزع ربة الإسلام من عنقه»⁽³⁾ فهل كان على يفعل ذلك؟ كان رضي الله عنه يكره الاختلاف ويحرص على الجماعة. قال القرطبي: من تأمل ما دار بين أبي بكر وعلى من المعاشرة ومن الاعذار، وما تضمن ذلك من الاتفاق عرف أن بعضهم كان يعترض بفضل الآخر، وأن قلوبهم كانت متقدة على الاحترام والمحبة، وإن كان الطبع البشري قد يغلب أحياناً، لكن الديانة ترد بذلك – والله الموفق⁽⁴⁾.

وأما ما قيل من تخلف الزبير بن العوام عن البيعة لأبي بكر، فإنه لم يرد من طريق صحيح، بل ورد ما ينفي هذا القول، ويثبت مبaitته في أول الأمر، وذلك في أثر أبي سعيد الصديق وغيره من الآثار⁽⁵⁾.

(ج) قال ابن تيمية: وقد تواترت عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «خير الأمة بعد نبائها أبو بكر ثم عمر»، وقد روى هذا عنه من طرق كثيرة قبل إنها تبلغ ثمانين طريقاً، وعنده أنه يقول: «لا أؤتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلتني حد المفترى»⁽⁶⁾. وقال أيضاً: ولم يقل قط أني أحق بهذا – أي الخلافة – من أبي بكر ولا قاله أحد من بعينه أن فلاناً أحق بهذا الأمر من أبي بكر، وإنما قال من فيه أثر لجاهلية عربية أو فارسية إن بيت الرسول أحق بالولاية لأن العرب في جاهليتها كان تقدم أهل الرؤساء، وكذلك الفرس يقدمون أهل بيت الملك، فنقل عن نقل عنه كلام يشير به إلى هذا⁽⁷⁾.

(د) تسمية أبي بكر بالصديق وشهادة على له بالسباق والشجاعة: عن يحيى بن حكيم ابن سعد قال: سمعت عليه رضي الله عنه يحلف: الله أنزل اسم أبي بكر من السماء، الصديق⁽⁸⁾، وعن صلة بن زفر العيسى قال: كان أبو بكر إذا ذكر عند على قال: السباق تذكر رون والذي نفسي بيده ما استبقنا إلى خير قط إلا سبقنا إليه أبو بكر⁽⁹⁾، وعن محمد بن عقيل بن أبي طالب قال: خطبنا على فقال: أيها الناس من أشجع الناس؟ قلنا: أنت يا أمير ا

(1) فضائل الصحابة (83/1) في سنته ضعيف.

(2) مسنـدـ أـحمدـ (170/1) إـسنـادـهـ صـحـيـحـ تـحـقـيقـ أـحمدـ شـاـكـرـ.

(3) مصنـفـ ابنـ اـبـيـ شـبـيـهـ (24/15) مـنـ مـرـسـلـ أـبـيـ طـاقـ الـأـزـدـيـ وـهـ صـدـوقـ وـرـجـالـ إـسـنـادـ ثـقـاتـ، خـلـافـةـ أـبـيـ بـكـرـ الصـدـيقـ: صـ(80).

(4) فتح الباري (495/7).

(5) خـلـافـةـ أـبـيـ بـكـرـ الصـدـيقـ، عـبدـ الـعـزـيزـ سـلـيـمانـ: صـ(81).

(6) منهاج السنة (162/3).

(7) منهاج السنة (26/3)، مرويات أبـي مـخـنـفـ: صـ(309).

(8) المعجم الكبير للطبراني (95/1) رجاله ثقات قاله الحافظ في الفتح.

(9) الطبراني في الأوسط (207/7) إسنـادـ ضـعـيفـ.

لمؤمنين. قال ذلك أبو بكر الصديق إنه لما كان في يوم بدر وضعنا لرسول الله العريش⁽¹⁾ فقلنا: من يقم عنده لا يدنو إليه أحد من المشركين؟ فما قام عليه إلا أبو بكر، وإنه كان شاهراً السيف على رأسه كلما دنا إليه أحد هوى إليه أبو بكر بالسيف، ولقد رأي ت رسول الله وأخذته قريش عند الكعبة فجعلوا يتعuponه ويترتونه⁽²⁾ ويقول: أنت الذي جعلت الآلهة إلهًا واحدًا، فوالله ما دنا إلينه إلا أبو بكر ولا يلي بكر يومئذ ضفيرتان⁽³⁾، فبل يجأ⁽⁴⁾ هذا، ويدفع هذا، ويقول: ويلكم أنتلؤن رجالاً أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبيه نات من ربكم.. وقطعت إحدى ضفيرتي أبي بكر، فقال على لأصحابه: ناشدتم الله أي ا لرجلين خير، مؤمن آل فرعون أم أبو بكر؟ فأمسك القوم، فقال على: والله ليوم من أبي بكر خير من مؤمن آل فرعون، ذلك رجل كتم إيمانه فأثني الله عليه، وهذا أبو بكر بذل نفسه ودمه لله⁽⁵⁾.

رابعاً: اقتداء على بالصديق في الصلوات وقبول الهدايا منه:

إن علياً رضي الله عنه كان راضياً بخلافة الصديق ومشاركاً له في معاملاته وفضياته، قابلاً منه الهدايا رافعاً إليه الشكواوي، مصليناً خلفه، محبباً له، مبغضاً من بغضه⁽⁶⁾، وشهد بذلك أكبر خصوم الخلفاء الراشدين، وأصحاب النبي × ومنتبعهم بهديهم، وسلك مسلكهم، ونهج منهجهم⁽⁷⁾، فهذا اليعقوبي الشيعي الغالي في تاريخه يذكر أيام خلافة الصديق فيقول: وارد أبو بكر أن يغزو الروم فشاور جماعة من أصحاب رسول الله ×، فقدموا وأخروا فاستشار على بن أبي طالب فأشار أن يفعل، فقال: إن فعلت ظرفت؟ فقال: بشرت بخير، فقام أبو بكر في الناس خطيباً، وأمرهم أن يتجهزوا إلى الروم، وفي روایة: سأله الصديق علياً كيف ومن أين تبشر؟ قال: من النبي × حيث سمعته يبشر بذلك⁽⁸⁾ البشارة، فقال أبو بكر: سرتني بما أسمعتي من رسول الله يا أبا الحسن، سرك الله⁽⁹⁾.

ويقول اليعقوبي أيضًا: وكان من يؤخذ عنهم الفقه في أيام أبي بكر على بن أبي طالب وعمر ابن الخطاب ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود⁽¹⁰⁾، فقدم علياً على جميع أصحابه، وهذا دليل واضح على تعاملهم مع بعضهم وتقديرهم عليه في المشورة⁽¹¹⁾ والقضاء، فعندما كتب خالد بن الوليد إلى أبي بكر قوله له: أنه وجده رجلاً في بعض نواحي العرب ينكح كما تنكح المرأة، فجمع أبو بكر لذلك أصحاب رسول الله × منهم على، فقال على: إن هذا ذنب لم يعمل به إلا أمة واحدة⁽¹¹⁾، ففعل الله به ما قد علمت، أرى أن يحرق بالنار، فاجتمع رأي أصحاب رسول الله أن يحرق بالنار، فامر به أبو بكر أن يحرق بالنار⁽¹²⁾ وكان على رضي الله عنه يمتنع أوامر الصديق؛ فعد دما جاء وفدى من الكفار إلى المدينة، ورأوا بال المسلمين ضعفاً وقلة لذهابهم إلى الجهات المختلفة للجهاد واستئصال شافة المرتدين والبغاء الطاغة، وأحس منهم الصديق خطرًا على

(1) العريش: ما يستظل به وجمعيه عروش وعرش.

(2) يترتونه: الترترة: تحريك الشيء.

(3) ضفيرتان: عقستان.

(4) حجا: الوجا: اللكر.

(5) المسندراك (3/67) صحيح على شرط مسلم ولم يخر جاء ووافقه الذهبي.

(6) الشيعة وأهل البيت، إحسان الهي ظهير: ص (69).

(7) الشيعة وأهل البيت إحسان الهي ظهير: ص (69).

(8) تاريخ اليعقوبي (2/132، 133) نقلًا عن الشيعة وأهل البيت: ص (70).

(9) المصدر السابق (2/138) نقلًا عن الشيعة وأهل البيت: ص (70).

(10) الشيعة وأهل البيت: ص (70).

(11) لا وهي أمة لوط عليه السلام.

(12) المعنى والشرح الكبير (12/220) المختصر من كتاب الموافقة: ص (51).

ى عاصمة الإسلام والمسلمين، أمر الصديق بحراسة المدينة وجعل الحرس على ألقابها يبيتون بالجي
وش، وأمر علياً والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود أن يرأسوا هؤلاء الحراس، وبقوا
كذلك حتى أمنوا منهم⁽¹⁾.

وللتعامل الموجود بينهم والتعاطف والتواط والوئام الكامل كان على وهو سيد أهل الـ^{بيت}
بيت ووالد سبطي الرسول × يتقبل الهدايا والتحف، دأب الإخوة المتساوين فيما بينهم والـ^{متخابين} كما قبل الصهباء الجارية التي سببت في معركة عين التمر، وولدت له عمر ور
قية⁽²⁾، وأيضًا منحه الصديق خولة بنت جعفر بن قيس التي أسرت مع من أسر في حر
ب اليمامة وولدت له أفضلياته بعد الحسن والحسين وهو محمد ابن الحنفية، وكانت
خولة من سبى أهل الرادة وبها يعرف ابنتها ونسب إليها محمد ابن الحنفية⁽³⁾ يقول الإمام
الجويني عن بيعة الصحابة لأبي بكر: وقد اندرجا تحت الطاعة عن بكرة أبيهم لأبي بكـ
ر - رضي الله عنه - وكان على رضي الله عنه سامعاً لأمره، وبائع أبيه بكر على ملاـ
من الأشهاد، ونهض إلى غزو بنى حنفية⁽⁴⁾.

ووردت روایات عديدة في قبوله هو وأولاده الهدايا المالية، والخمس، وأموال الفئـ
من الصديق رضي الله عنهم أجمعين، وكان على هو القاسم والمتولى في عهده على الخـ^{مس والفقـ}، وكانت هذه الأموال بيد على، ثم كانت بيد الحسن ثم بيد الحسين، ثم الحسن
بن الحسن ثم زيد بن الحسن⁽⁵⁾، وكان على رضي الله عنه يؤدي الصلوات الخمس في الـ^{مسجد خلف الصديق، راضياً بإمامته، ومظهراً للناس اتفاقه ووئامه معه}⁽⁶⁾، وكان على
رضي الله عنه يروى عن أبي بكر بعض أحاديث رسول الله ×، فعن أسماء بنت الحكم الـ^{فزاري} قالت: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: كنت إذا سمعت من رسول الله علمـ^{نفع}
ني الله به، وكان إذا حدثني عنه غيري استحلفته فإذا حلف صدقته، وحدثني أبو بكر - وـ^{صدق أبو بكر - قال: سمعت رسول الله × يقول: «ما من عبد مسلم يذنب ذنبًا ثم يتو}
<sup>ضاً فيحسن الوضوء ثم يصلى ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له»⁽⁷⁾ ولما قبض رسـ^{ول الله × اختاف أصحابه فقالوا: ادفنوه في البقيع}⁽⁸⁾، وقال آخرون: ادفنوه في موضع الـ^{جناز، وقال آخرون: ادفنوه في مقابل أصحابه، فقال أبو بكر: أخرروا فإنه لا ينبغي رفع}
<sup>الصوت عند النبي حيًّا ولا ميتاً، فقال على رضي الله عنه: «أبو بكر مؤمن على ما جـ^{اء به». قال أبو بكر: «عهد إلى رسول الله أنه ليس من نبي يموت إلا دفن حيث}
يُقْبَض»⁽⁹⁾، وشهد على رضي الله عنه للصديق عن عظيم أجراه في المصاحف، فعن عبدـ^{خير قال: سمعت علياً يقول: «أعظم الناس أجرًا في المصاحف: أبو بكر الصديق، هـ}</sup></sup>

(1) تاريخ الطيري (64/4)، الشيعة وأهل البيت: ص(71).

(2) الطبقات (20/3)، البداية والنهاية (331/7-333).

(3) الطبقات (20/3).

(4) الإرشاد للجويني: ص (428) نقلًا عن أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية للفقاري (85/1)

(5) الشيعة وأهل البيت: ص(72).

(6) الشيعة وأهل البيت: ص(72).

(7) مسند أحمد رقم 47.

(8) البقيع: مقبرة أهل المدينة وهي داخل المدينة.

(9) مسند أحمد (8/1) إسناده ضعيف قاله أحمد شاكر، وقال ابن حجر في الفتح (631/1) إسناده صـ
دح لكنه موقوف.

وأول من جمع بين اللوحين»⁽¹⁾.

خامسًا: الصديق والسيدة فاطمة وميراث النبي ×:

قالت عائشة رضي الله عنها: إن فاطمة والعباس - رضي الله عنهم - أتيا أبو بكر - رضي الله عنه - يلتمسان ميراثهما من رسول الله × وهمما يطلبان أرضه من فدك، وسهمه من خير، فقال لها أبو بكر: إني سمعت رسول الله يقول: «لا نورث، ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد × من هذا المال»⁽²⁾ وفي رواية قال أبو بكر رضي الله عنه... لسدت تاركًا شيئاً كان رسول الله × يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ⁽³⁾. وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: إن أزوج النبي ×، حين توفي الرسول الله، أردن أن يبعثن عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أبي بكر، ليسأله ميراثه ن من النبي ×، فقالت عائشة رضي الله عنها لهن: أليس قد قال رسول الله ×: «لا نورث، ما تركنا صدقة»⁽⁴⁾ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ×: «لا يقتسم ورثتي ديناراً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملني فهو صدقة»⁽⁵⁾.

وهذا ما فعله أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع فاطمة رضي الله عنها امتناعاً لقولها ×، لذلك قال الصديق: «لست تاركًا شيئاً كان رسول الله × يعمل به إلا عملت به»⁽⁶⁾ وقال: «والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله يصنعه إلا صنته»⁽⁷⁾.

وقد تركت فاطمة رضي الله عنه منازعته بعد احتجاجه بالحديث وبيانه لها، وفيه دليل على قبولها الحق وإذعانها لقوله ×، قال ابن قتيبة⁽⁸⁾: وأما منازعة فاطمة أبا بكر رضي الله عنها في ميراث النبي × فليس بمنكر، لأنها لم تعلم ما قاله رسول الله ×، وظنت أنها ترثه كما يرث الأولاد آباءهم، فلمان أخبرها بقوله كفت⁽⁹⁾، وقد غلا الرافضة في قضية ميراث النبي غلوًّا مفرطًا مجانبين الحق والصواب، معرضين متဂاهلين ما ورد من نصوص صحيحة في أنه × لا يورث، وجعلوا ذلك من أصول الخلاف بين الصحابة والآل البيت - رضي الله عنهم أجمعين - وامتداداً لأمر الخلافة، فاتهموا الصحابة - رضوا أن الله عليهم - بایقاع الظلم والجور على آل البيت، ولا سيما أبو بكر الصديق وعمر الفاروق - رضي الله عنهما - الذين غصباً الخلافة من آل البيت كما في زعمهم، وأضافوا إلى ذلك غصب أموال آل البيت، وغصب ما فرض الله لهم من حقوق مالية، ويعتبر الرافضة قضية فدك، ومنع فاطمة من إرثها من أهم القضايا، التي تواطأ عليها الصحابة بعد غصب الصديق رضي الله عنه للخلافة منهم على حد تعبيرهم، وذلك حتى لا يميل الناس إلى آل البيت بسبب هذا المال فيجتمعوا عليه ويخلعوه من الخلافة⁽¹⁰⁾.

والمتتبع لكتب الرافضة في هذه المسألة يجد أنها تنص على إنكار حديث رسول الله ×: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»⁽¹¹⁾ واستقطاب الأدلة لمحاولة إبطاله، فمن ذلك:

(1) المختصر من كتاب الموافقة: ص (44).

(2) البخاري رقم 6726.

(3) مسلم رقم 1759.

(4) البخاري رقم 6730، مسلم رقم 1758.

(5) البخاري رقم 6729.

(6) مسلم 1758.

(7) البخاري رقم 6726.

(8) شذرات الذهب (169/2).

(9) تأريخ مختلف الحديث: ص 1/19.

(10) المغيدة في أهل البيت بين الإفراط والتغريط: ص (435).

(11) مسلم 1758.

1- زعمهم أن هذا الحديث وضعه أبو بكر الصديق- رضي الله عنه- وفي ذلك يقول الحلى: إن فاطمة لم تقبل بحديث اخترعه أبو بكر من قوله: ما تركناه صدقة. وقال أيضًا: والتجأ في ذلك إلى روایة انفرد بها⁽¹⁾. وقال المجلسي بعد أن نص على أن أبو بكر وعمر أخذوا فدكًا: ولأجل ذلك وضعوا تلك الروایة الخبيثة المفتراء: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة⁽²⁾ ويقول الخميني في ذلك: نقول إن الحديث المنسوب إلى النبي لا صحة له، وأنه قيل من أجل استئصال ذرية النبي⁽³⁾.

ويحاب على ذلك: بأن هذا القول كذب محض وافتراء واضح، إذ هذه الروایة لم ينفرد بها أبو بكر رضي الله عنه بل إن قوله × «لا نورث ما تركناه فهو صدقة»، رواه عنه أبو بكر وعثمان وعلى وطلحة، والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب وأزواج النبي × وأبو هريرة وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم أجمعين⁽⁴⁾ وفي ذلك يقول ابن تيمية: والروایة عن هؤلاء ثابتة في الصحاح والمسانيد، ومشهورة يعلمها أهل العلم بالحديث، فقول القائل: إن أبو بكر انفرد بالروایة يدل على فرط جهله أو تعمده الكذب⁽⁵⁾.

وقال ابن كثير بعد ذكره لمن روی الحديث: «وأن هذا الزعم من الرافضة باطل، ولو تفرد بروايتها الصديق- رضي الله عنه - لوجب على جميع أهل الأرض قبول روايتها والانقياد لها في ذلك»⁽⁶⁾، وقد قال الدكتور سليمان بن رجاء السجيمي صاحب الكتاب القائم «العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتقرير»: ويؤيد هذا ما جاء من كتب الرافضة عن الإمام جعفر الصادق الإمام الخامس المعصوم عندهم فيما رواه الكليني والصفار والمفيد أنه قال: قال رسول الله ×: «من سلك طريقاً يطلب منه علمًا سلك الله به طريقاً إلى الجنة، والعلماء أمناء، والأتقياء حصون، والأوصياء سادة، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وأن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر»⁽⁷⁾ وفي رواية: «إن العلماء ورثة الأنبياء، وذلك أن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما أورثوا أحاديث من أحد أديثهم»⁽⁸⁾. وما أردت منك يا رسول الله؟ قال: «ما أورث النبيون».

2- زعمهم أن هذا الحديث مخالف لقوله تعالى: + يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّدَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأَنْبِيَّإِنْ " [النساء:11] وقالوا: ولم يجعل الله ذلك خاصًا بالآمة دونه ×؟⁽⁹⁾

والحقيقة أن الخطاب شامل للمقصودين بالخطاب، وليس فيه ما يوجب كون النبي × من المخاطبين بها⁽¹⁰⁾، فهو × لا يقياس بأحد من البشر، فهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ولأن الله حرم عليه صدقة الفرض والتطوع، وخصوصاً بأشياء لم يُخص بها أحد غيره ×، ومما خصه الله به، هو وأخوانه من الأنبياء عليهم السلام كونهم لا يورثون، وذلك صيانته من الله لهم لئلا يكون ذلك شبهة لمن يقدح في نبوتهم بأنهم طلبوا الدنيا وخلفوها لورثته

(1) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة (19/4) نقلًا عن العقيدة في أهل البيت.

(2) حق القيقن: ص (191) نقلًا عن العقيدة في أهل البيت: ص (443).

(3) كشف الأسرار للخميني: ص (132-133) نقلًا عن العقيدة في أهل البيت.

(4) العقيدة في أهل البيت: ص (444).

(5) منهاج السنة (4/199).

(6) الدوایة والنهاية (250/5).

(7) الكافي للكليني (34-32/1).

(8) المصدر السابق (34-32/1)، وبصائر الدرجات للصفار: ص (10، 11) والاختصاص للمفيد:

ص (4) وانظر: علم القيقن للكاشاني (2/747) نقلًا عن العقيدة لأهل البيت: ص (444).

(9) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة (194/4).

(10) منهاج السنة (195) لعقيدة في أهل البيت: ص (445).

م، أما بقية البشر فلا نبوة لهم يقدح فيها بمثل ذلك، كما صان الله تعالى نبينا × عن الخط والشعر صيانة لنبوته عن الشبه وإن كان غيره لم يحتاج إلى هذه الصيانة⁽¹⁾.

وقال ابن كثير في رده على استدلال الرافضة بالآية: إن رسول الله × قد خُص من بين الأنبياء بأحكام لا يشاركونه فيها. فلو قدر أن غيره من الأنبياء يورثون، وليس الأمر كذلك، لكان ما رواه الصحابة، وعلى رأسهم أبو بكر، مبيناً لشخصه بهذا الحكم دون م ن سواه⁽²⁾. وبهذا يتتبّع بطلان استدلالهم بمخالفة الحديث.

3- زعمهم أن منع الإرث والاستدلال بهذا الحديث مخالف لقوله تعالى: +وَرَثَتْ سُلَيْمَانَ دَاؤِدَ+ [النمل:16]، ومخالف لما حكاه الله عن نبيه زكريا عليه السلام: +وَإِنِّي خَفَتُ الْمَوْلَىيَّ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتْ أَمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلَدِيَا يَرْثَنِي وَيَرِثُ مِنْ أَلَّا يَعْقُوبَ وَاجْعَدْهُ رَبْ رَضِيَا+ [مريم: 5].

حيث قالوا: إن الميراث يقتضي الأموال وما في معناه، وليس لأحد أن يقول إن المراد بالآلية العلم دون المال⁽³⁾.

ويجب على ذلك بما يلي: إن الإرث اسم جنس يدخل تحته أنواع، ف يستعمل في إرث العلم والتبوة والملك وغير ذلك من أنواع الانتقال. قال تعالى: +ثُمَّ أُورَثَنَا الْكَتَابَ بِالَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عَبَادَنَا+ [فاطر:32]، وقال تعالى: +أُولَئِكَ هُمُ الْأَوَّلُونَ رَثُونَ الَّذِينَ يَرْثُونَ الْأَفْرَدَ وَسَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ+ [المؤمنون:10، 11] وغير ذلك من الآيات الواردة في هذا الشأن، وإذا كان كذلك فقوله تعالى: +وَرَثَتْ سُلَيْمَانَ دَاؤِدَ+ وقوله: +يَرْثُنِي وَيَرِثُ مِنْ أَلَّا يَعْقُوبَ+ إنما يدل على جنس الإرث، ولا يدل على إرث المال، وذلك أن داود عليه السلام كان له أولاد كثيرون غير سليمان فلا يختص سليمان بماله فدل على أن المراد بهذا الإرث إرث العلم والتبوة ونحو ذلك، لا إرث المال، والأية سبقت في بيان مدح سليمان وما خصه الله به من النعمة، وحصر الإرث في المال لا مدح فيه، إذ إن إرث المال من الأمور العاديّة المشتركة بين الناس، وكذلك قوله تعالى: +يَرْثُنِي وَيَرِثُ مِنْ أَلَّا يَعْقُوبَ+ ليس المراد به إرث المال لأنه لا يرث آل يعقوب شيئاً من أموالهم، وإنما يرث ذلك منهم أولادهم وسائر ورثتهم لو ورثوا⁽⁴⁾.

كما أن قوله: +وَإِنِّي خَفَتُ الْمَوْلَىيَّ مِنْ وَرَائِي+ [مريم:5] لا يدل على أن إرث إرث مال، لأن زكريا لم يخف أن يأخذوا ماله من بعده إذا مات، فإن هذا ليس به خوف، وزكريا عليه السلام لم يعرف له مال، بل كان تجاراً يأكل من كسب يده كما في صحيح مسلم⁽⁵⁾، ولم يكن ليذكر منها فوق قوته حتى يسأل الله ولدًا يرث عنه ماله، قدر على أن المراد بالوراثة في هاتين الآيتين وراثة التبوة، والقيام مقامه⁽⁶⁾.

يقول القرطبي في تفسيره للآلية: وعليه فلم يسل من يرث ماله، لأن الأنبياء لا تورث، وهذا هو الصحيح من القولين في تأويل الآية، وأنه عليه الصلاة والسلام أراد وراثة

(1) منهاج السنة: ص (194)، العقيدة في أهل البيت: ص (445).

(2) البداية والنهاية (254/5)، العقيدة في أهل البيت: ص (446).

(3) منهاج الكرامة: ص (109) نقلًا عن العقيدة في أهل البيت وغيرها من الكتب كالطرائف لابن «أو

وس» (347).

(4) منهاج السنة (222/4-224).

(5) مسلم رقم 2379.

(6) منهاج السنة (225/4)، البداية والنهاية (253/5)، العقيدة في أهل البيت: ص (448).

العلم والنبوة لا وراثة المال لما ثبت عن النبي × أنه قال: «إنا معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا صدقة»⁽¹⁾، وهذا الحديث يدخل في التفسير المسندي لقوله تعالى: + وَرَثَ سُلْيَمَانُ دَاؤِدَّ+ عبارة عن قول زكريا +فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيَا يَرْثَنِي وَرَثَ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبَّ رَضِيَّا+ وتخصيص للعموم في ذلك، وإن سلطان لم يرث من داود مالاً خلفه داود بعده. وإنما ورث منه الحكمة والعلم، وكذلك ورث يحيى من آل يعقوب، وهكذا قال أهل العلم بتأويل القرآن ما عدا الروافض⁽²⁾.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الرافضة خالفوا ما استدلوا به على وجوب الميراث، وذلك أنهم حصرروا ميراثه × في فاطمة – رضي الله عنه – فزعموا أنه لم يرث النبي × إلا هي، فأخرجوا أزواجه وعصيبته مخالفين عموم الآيات التي استدلوا بها، فقد روى الاصدوق بسنته عن أبي جعفر الباقر قوله: لا والله ما ورث رسول الله × العباس ولا على ، ولا ورثه إلا فاطمة عليها السلام، وما كان آخذ على عليه السلام السلاح وغيره إلا إذ ه قضى عنه دينه⁽³⁾. وروى الكليني والصادوق والطوسي بأسانيدهم إلى الباقر أيضًا قوله: وورث على عليها السلام من رسول الله × علمه، وورثت فاطمة عليها السلام تركته⁽⁴⁾، بل وأخرجوا فاطمة من ذلك، حيث زعموا أن النساء لا يرثن العقار، فقد بوب الكليني في كتابه الكافي بابًا بعنوان: إن النساء لا يرثن من العقار شيئاً، وساق تحته روايات منها: عن أبي جعفر الصادق إنه قال: النساء لا يرثن من الأرض ولا من العقار شيئاً⁽⁵⁾.

روى الصدوق بسنته إلى ميسير قال: سأله – يقصد الصادق – عن النساء ما لهن في الميراث، فقال: أما الأرض والعقارات فلا ميراث فيه⁽⁶⁾، وبهذا يتبيّن عدم استحقاق فاطمة – رضي الله عنها – شيئاً من الميراث، بدون الاستدلال بحديث: نحن معاشر الأنبياء لا نورث⁽⁷⁾، فما دامت المرأة لا ترث العقار والأرض، فكيف كان لفاطمة أن تستأذن فدك – على حسب قولهم- وهي عقار لا ريب فيه⁽⁸⁾، وهذا دليل كذبهم وتناقضهم فضلاً عن جهلهم⁽⁹⁾.

وأما ما زعموه من كون الصديق – رضي الله عنه – سأل فاطمة أن تحضر شهوداً، فأحضرت عليه وأم أيمن فلم يقبل شهادتهما، فهو من الكذب البين الواضح، قال حماد بن إسحاق: فأما ما يحكىه قوم أن فاطمة عليها السلام طابت فدك، وذكرت أن رسول الله × أقطعها إياها، وشهد لها على علىه السلام فلم يقبل أبو بكر شهادته لأن زوجها، فهذا أمر لا أصل له ولا تثبت به رواية أنها ادعت ذلك، وإنما هو أمر مفتعل لا ثبت فيه⁽¹⁰⁾.

4- أن السنة والإجماع قد دلا على أن النبي × لا يورث: قال ابن تيمية: كون النبي × لا يورث ثبت بالسنة المقطوع بها، وبإجماع الصحابة، وكل منها دليل قطعي، فلا يعارض ذلك بما يظن أنه عموم، وإن كان عموماً فهو مخصوص، لأن ذلك لو كان دليلاً لما كان إلا ظنياً فلا يعارض القطعي، إذ الظني لا يعارض القطعي، وذلك أن هذا الخبر

(1) مسلم رقم 1758

(2) تفسير القرطبي (11/35-45).

(3) من لا يحضره الفقيه (190/4)، العقيدة في أهل البيت: ص (451).

(4) الكافي للكليني (137/7)، العقيدة في أهل البيت: ص (451).

(5) الكافي للكليني (137/7)، العقيدة في أهل البيت: ص (451).

(6) الشيعة وأهل البيت: ص (89).

(7) مسلم 1768.

(8) الشيعة وأهل البيت: ص (98).

(9) العقيدة في أهل البيت: ص (452).

(10) منهاج السنة (238-236/4).

رواه غير واحد من الصحابة في أوقات ومجالس، وليس فيهم من ينكره، بل كلهم تلقاه بالقبول والتصديق، ولهذا لم يصر أحد من أزواجه على طلب الميراث، ولا أصر العَمَّ عَلَى طلب الميراث، بل لما طلب من ذلك شيئاً فأخبر بقول النبي × رجع عن طلبه، واستمر الأمر على ذلك على عهد الخلفاء الراشدين إلى على، فلم يغير شيئاً ولا قسم له تركه (١). قال ابن نعيم: قد تولى الخليفة (علي) بعد ذي النورين عثمان، وصار فدك وغيرها تحت حكمه، ولم يعط منها شيئاً لأحد من أولاد فاطمة ولا من زوجات النبي × ولا ولد العباس، فلو كان ظلماً وقدر على إزالته لكان هذا أهون عليه من قتال معاوية وجيوشه، أفتراه يقاتل معاوية مع ما جرى في ذلك من الشر العظيم ولا يعطي هؤلاء قليلاً من الماء، وأمره أهون بكثير (٢).

وبإجماع الخلفاء الراشدين على ذلك احتج الخليفة العباسي أبو العباس السفاح على بعض مناظريه في هذه المسألة على ما نقل ابن الجوزي في ثلبيس إيليس قال: وقد روينا عن السفاح أنه خطب يوماً فقام رجل من آل على - رضي الله عنه - قال: إنما من أولاد على - رضي الله عنه - فقال: يا أمير المؤمنين أعنى على من ظلمني. قال: ومن ظلمك؟ قال: أنا من أولاد على - رضي الله عنه - والذي ظلمني أبو بكر - رضي الله عنه - حين أخذ فدك من فاطمة، وقال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم، قال: ومن قام عبده؟ قال: عمر - رضي الله عنه - قال: ودام على ظلمكم. قال: نعم، قال: ومن قام بعده؟ قال: عثمان - رضي الله عنه - قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم، قال: ومن قام بعده؟ فجعل يلقي كذا وكذا ينظر مكاناً يهرب منه (٣).

وبتصويب أبي بكر - رضي الله عنه - في احتجاده صرَّ بعض أولاد على من فاطمة - رضي الله عنها - على ما روى البيهقي بسنده عن فضيل بن مرزوق قال: قال زيد بن على ابن الحسين بن على بن أبي طالب: أما لو كنت مكان أبي بكر، لحكمت بما حكم به أبو بكر في فدك (٤)، كما نقل أبو العباس القرطبي اتفاق أهل البيت بدءاً بعلي - رضي الله عنه - ومن جاء بعده من أولاده، ثم أولاد العباس الذين كانت بأيديهم صدقة رسول الله، إنهم ما كانوا يرون تملكتها، إنما كانوا ينفقونها في سبيل الله، قال - رحمه الله -: إن علياً لما ولى الخليفة ولم يغيرها عمما عمل فيها في عهد أبي بكر وعمر، وعثمان، ولم يتعرض لتملكها، ولا لقصمة شيء منها، بل كان يصرفها في الوجوه التي كان من قبله يصرفها فيها، ثم كانت بيد حسن بن على، ثم بيد حسين بن على، ثم توالت بيد الحسين بن الحسن، ثم بيد زيد بن الحسين، ثم بيد عبد الله بن الحسين، ثم توالت بيد العباس على ما ذكره أبو بكر البرقاني في صحيحه، وهؤلاء كبراء أهل البيت - رضي الله عنهم - وهم معتمدون عند الشيعة وأئمتهم، لم يروا عن واحد منهم أنه تملكها ولا ورثها ولا ورثت عنه، فلو كان ما يقوله الشيعة حقاً لأخذها على أو أحد من أهل بيته لما ظفروا بها (٥).

وقال ابن نعيم: قد تولى (علي) الخليفة بعد ذي النورين عثمان، وصارت فدك وغيرها تحت حكمه، ولم يعط منها شيئاً لأحد من أولاد فاطمة، ولا من زوجات النبي ×، ولا ولد العباس، فلو كان ظلماً وقدر على إزالته لكان هذا أهون عليه من قتال معاوية وجيوشه، أفتراه يقاتل معاوية مع ما جرى في ذلك من الشر العظيم، ولا يعطي هؤلاء قليلاً

(١) المصدر السابق (٤/٢٢٠).

(٢) المصدر السابق (٦/٣٤٧).

(٣) ثلبيس إيليس: ص (١٣٥).

(٤) تاريخ المدينة لابن سينا (١/٢٠٠)، البداية والنهاية (٥/٢٥٣).

(٥) المفہوم للقرطبي (٣/٥٦٤).

لَا من المال، وأمره أهون بكثير؟⁽¹⁾

وقال ابن كثير: وقد تكلمت الرافضة في هذا المقام بجهل، وتکلفوا ما لا علم لهم به، وكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، ولما يأتهم تأويله، وأدخلوا أنفسهم فيما لا يعنيهم⁽²⁾، فلو تقىموا الأمور على ما هي عليه لعرفوا للصديق فضله وقلوا منه عذر الذي يجب على كل أحد قبوله، ولكنهم طائفه مخذولة، وفرقة ممزولة، يتمسكون بالتشابهه، ويتركون الأمور المقررة عند أئمة الإسلام من الصحابة والتتابعين من بعدهم من العلماء المعترفين فيسائر الأعصار والأمصار، رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين⁽³⁾.

5- تسامح السيدة فاطمة مع أبي بكر: وقد ثبتت عن فاطمة - رضي الله عنها - أنها رضيت عن أبي بكر بعد ذلك، وماتت وهي راضية عنه، على ما روى البيهقي بسنده عن الشعبي أنه قال: لما مرضت فاطمة أتتها أبو بكر الصديق فاستاذن عليها، فقال على: يا فاطمة هذا أبو بكر يسألك عليك؟ فقالت: أتحب أن آذن له؟ قال: نعم، فأذنت له فدخل عليها يترضاها، فقال: والله ما تركت الدار والمآل، والأهل والعشيرة، إلا ابتغاء مرضاه الله، ومرضاهة رسوله، ومرضاتكم أهل البيت، ثم ترضاها حتى رضيت⁽⁴⁾ قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد قوى والظاهر أن عامر الشعبي سمعه من على، أو من سمعه من على⁽⁵⁾.

وبهذا تدحض مطاعن الرافضة على أبي بكر التي يعلقونها على غضب فاطمة عليه، فلن كانت غضبت على أبي بكر في بداية الأمر فقد رضيت عنه بعد ذلك وماتت وهي راضية عنه، ولا يسع أحداً صادقاً في محبته لها، إلا أن يرضي عن رضيت عنه⁽⁶⁾، ولا يعارض هذا ما ثبت في حديث عائشة: إنما يأكل آل محمد × من هذا المال، وإنما والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله × عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ×، ولا عملن فيها بما عمل به رسول الله ×، فأبى أبو بكر أن يدفع لفاطمة منها شىء، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت⁽⁷⁾. فإن هذا بحسب علم عائشة - رضي الله عنها - روایة الحديث ، وفي حديث الشعبي زيادة علم، وثبتت زيارة أبي بكر لها وكلامها له ورضاهما عنده، فعائشة - رضي الله عنها - نفت والد شعبي أثبتت، ومعلوم لدى العلماء أن قول المثبت مقدم على قول النافي، لأن احتمال الثبوت حصل بغير علم النافي، خصوصاً في مثل هذه المسألة، فإن عيادة أبي بكر لفاطمة - رضي الله عنها - ليست من الأحداث الكبيرة التي تشيع في الناس، ويطلع عليها الجميع، وإنما هي من الأمور العادية التي تخفي على من لم يشهدها، والتي لا يعبأ ببقائها لعدم الحاجة لذكرها، على أن الذي ذكره العلماء أن فاطمة - رضي الله عنها - لم تتعمد هجر أبي بكر - رضي الله عنه - أصلاً، ومثلها ينزع عن ذلك لنهي النبي × عن الهجر فوق ثلاثة، وإنما لم تكلمه لعدم الحاجة لذلك⁽⁸⁾، قال القرطبي صاحب المفهم في سياق شرحه لحديث عائشة المتقدم: ثم إنها (أي فاطمة) لم تلتقي بأبي بكر لشغله بمصيبيتها برسول الله × ولم لازمتها بيتها، فعبر الراوي عن ذلك بالهرجان، وإنما فقد قال رسول الله ×: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة»⁽⁹⁾، وهي أعلم الناس بما يحل من ذلك ويرحم، وأبعد

(1) منهاج السنة (347/6).

(2) البداية والنهاية (253/5).

(3) المصدر نفسه (251/5).

(4) السنن الكري للبيهقي (301/6).

(5) البداية والنهاية (253/5).

(6) الانصراف للصحاب والآل: ص (434).

(7) البخاري رقم 4240 قم 175.

(8) الانصراف للصحاب والآل: ص (434).

(9) البخاري رقم 6077.

الناس عن مخالفة رسول الله ﷺ، وكيف لا تكون كذلك وهي بضعة من رسول الله ﷺ وسيد نساء أهل الجنة⁽¹⁾.

وقال النووي: وأما ما ذكر من هجران فاطمة أبا بكر - رضي الله عنه - فمعناه انقباً عنها عن لقائه، وليس هذا من الهرجان المحرم، الذي هو ترك السلام والإعراض عند لقاء، وقوله في هذا الحديث: (فلم تكلمه) يعني في هذا الأمر، أو لأنقباضها لم تطلب منه حاجة ولا اضطرت إلى لقائه فتكلمه، ولم ينقل قط أنها التقيا فلم تسلم عليه ولا كلامته⁽²⁾، لقد انشغلت فاطمة - رضي الله عنها - عن كل شيء بحزنها لفقدها أكرم الخلق، وهي مصيبة تزري بكل المصائب، كما أنها أنشغلت بمرضها الذي ألم بها الفراش عن آية مشاركة في أي شأن من الشئون فضلاً عن لقاء خليفة المسلمين المشغول - لكل لحظة من لحظاته - بشئون الأمة، وحروب الردة وغيرها، كما أنها كانت تعلم بقرب لحوتها بأبيها ، فقد أخبرها رسول الله ﷺ بأنها أول من يلحق به من أهله⁽³⁾، ومن كان في مثل علمها لا يخطر بباله أمور الدنيا، وما أحسن قول المهلب الذي نقله العيني: ولم يرو أحد أنها لتقى وامتنعا عن التسليم، إنما لازمت بيتها، فعبر الرواى عن ذلك بالهجران⁽⁴⁾.

ومما يدل على أن العلاقة كانت وطيدة بين الصديق والسيدة فاطمة إلى حد أن زوجة أبي بكر أسماء بنت عميس هي التي كانت تمرض فاطمة بنت النبي ﷺ، ورضي الله عنها، في مرض موتها، وكانت معها حتى الأنفاس الأخيرة، وشاركت في غسلها وتزييلها إلى مثواها، وكان على رضي الله عنه يمرضها بنفسه وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس، رضي الله عنها، وقد وصتها بوصايتها في كفنها ودفنهما وتشييع جنازتها، فعملت أسماء بها⁽⁵⁾، فقد قالت السيدة فاطمة لأسماء: إنني قد استقبحت ما يُصنع بالنساء، إنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها، فقالت أسماء: يا بنت رسول الله ﷺ، إلا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة، فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوباً، فقال فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله! به تعرف المرأة من الرجال⁽⁶⁾. وعن ابن عبد البر: أن فاطمة رضي الله عنها أول من غطى نعشها في الإسلام، ثم زينب بنت جحش، وكان الصديق دائم الاتصال بعلي من ناحية ليسأله عن أحوال بنت النبي ﷺ خلاف ما يزعمه القوم، فمرضت (أي فاطمة رضي الله عنها) وكان على يصلي في المسجد الصلوات الخمس، فلما صلى قال له أبو بكر وعمر: كيف بنت رسول الله؟ ومن ناحية أخرى من زوجه أسماء حيث كانت هي المشرفة والممرضة الحقيقة لها، ولما قبضت فاطمة من يومها فارتبت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء، ودهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر وعمر يعزيان علياً ويقولان: يا أبا الحسن، لا تسبقنا بالصلة على ابنة رسول الله⁽⁷⁾، وقد توفي ت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة، روى ابن مالك بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده على بن الحسين، قال: ماتت فاطمة بين المغرب والعشاء فحضرها أبو بكر وعمر وعثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم، فلما وضع ت ليصلي عليها، قال على: تقدم يا أبا بكر، قال أبو بكر رضي الله عنه: وأنت يا أبا الحسن؟ قال: نعم، فوالله لا يصلي عليها غيرك، فصلى عليها أبو بكر رضي الله عنه ودفنت

(1) المفہم (12/73).

(2) شرح صحيح مسلم (12/73).

(3) مسلم رقم 2450.

(4) أباظيل يجب أن تمحى من التاريخ: ص (108).

(5) الشيعة وأهل البيت: ص (77).

(6) الاستبعاد (4/378).

(7) الشيعة وأهل البيت: ص (77)، كتاب سليم بن قيس: ص (255).

ليلًا. وجاء في رواية: صلى أبو بكر رضي الله عنه على فاطمة بنت رسول الله × فكبر عليها أربعًا⁽¹⁾، وفي رواية مسلم: صلى عليها على بن أبي طالب وهي الرواية الراجحة⁽²⁾.

ولقد أجاد وأفاد محمد إقبال في قصيدة العصماء (فاطمة الزهراء) فقال:

بقيت على طول المدى ذكرها	والمجد يشرف من ثلات مطالع
في مهد فاطمة فما أعلاها	هي بنت من؟ هي زوج من؟ هي أم من؟
من ذا يداني في الفخار أباها	منمن من؟
هادي الشعوب إذا ترور هداها	هي ومضة من نور عين المصطفى
وكأنه بعد البلى أحياها	من أيقظ الفطر الن iam بروحه
مثل العرائس في جديد حُلّها	وأعاد تاريخ الحياة جديدة
يترسم القمر المنير خطها	هي أسوة للأمهات وقدوة
ورأت رضا الزوج الكريم رضاها	جعلت من الصبر الجميل غذاءها

إلى أن قال:

وححدد شرعته ونحن فداتها	لولا وقوفي عند شرع المصطفى
وغمرت بالقبلات طيب ثراها ⁽³⁾	لمضيit للتطواف حول ضريحها

سادسًا: مصاهرات بين الصديق وأهل البيت وتسمية أهل البيت بعض أبنائهم باسم أبي بكر:

كانت صلة سيدنا أبي بكر الصديق خليفة رسول الله × بأعضاء أهل البيت، صلة ودية تدقيرية تليق به وبهم، كانت هذه المودة والثقة متبادلة، وكانت من المتأنة بحيث لا يتصور معها التباعد والاختلاف مما نسج الماسرون الأساطير والأباطيل، فالصادقة عائشة بنت الصديق بنت أبي بكر كانت زوجة النبي ×، ومن أحب الناس إليه مما احترق الحساد ونقم المخافون، فإنها حقيقة ثابتة وهي ظاهرة مطهرة بشهادة القرآن مما جدها المبطلون وأنكرها إلا منكرون، ثم أسماء بنت عميس التي كانت زوجة لجعفر بن أبي طالب شقيق على، فمات عنهم وتزوجها الصديق، ولدت له ولدًا سماه محمدًا الذي ولاه على مصر، ولما مات أبو بكر تزوجها على بن أبي طالب فولدت له ولدًا سماه يحيى⁽⁴⁾. وحفيدة الصديق كانت متزوجة من محمد الباقر - الإمام الخامس عند الروافض وحفيد على رضي الله عنه -، وقد نقل الأستاذ إد سان إلى ظهير من كتب الروافض ما يثبت التلاحم والمصاهرة بين بيت النبوة وبيت الصديق، فقد أثبتت أن قاسم بن محمد بن أبي بكر حفيد أبي بكر، وعلى بن الحسين بن على أبي طالب حفيد على كانوا ابني خالة، فأم قاسم بن محمد وعلى بن الحسين هما بنتا يزدجرد بن شهر يا

(1) المختصر من كتاب المموافقة: ص (68) في سند ضعف.

(2) مسلم رقم 1759.

(3) الوجه النبوية: ص (62، 63).

(4) خلافة على بن أبي طالب، وترتيب وتهذيب كتاب البداية والنهاية للسلمي: ص (22).

ر - بن كسرى- اللتان كانتا من سبى الفرس في عهد عمر رضي الله عنه، وتتوسع إحسان إلا هي ظهير في إثبات المصاهمات وعلاقات المودة والتراحم المتتبادل بين أهل البيت وبيت الصديق⁽¹⁾، وكان من حب أهل البيت للصديق والتواط ما بينهم أنهم سموا أبناءهم بأسماء أبي بكر رضي الله عنه، فأولهم على بن أبي طالب حيث سمى أحد أبنائه أبي بكر، وهذا دليل على حب ومؤاخاه وإعظام وتقدير على الصديق رضي الله عنهم، والجدير بالذكر أنه ولد له هذا الولد بعد تولية الصديق الخلافة والإمامية، بل وبعد وفاته كما هو معروف بداهة، وهل يوجد في الشيعة اليوم المتزعمين حب على وأولاده رجل يسمى بهذا الاسم، وهل هم موالون له أم مخالفون؟ وعلى رضي الله عنه لم يسم بهذا ابنه إلا تيمنا بالصديق وإظهاراً له المحبة والوفاء وحتى بعد وفاته، وإن فلما يوجد في بني هاشم رجل قبل على سمي ابنه بهذا الاسم، ثم لم يقدر على بهذا التيمن والتبرك وإظهار المحبة والصداقة للصديق بل بعده بنوه أيضاً مشوا مشيه ونحوها نهجه، فالحسن والحسين، سميَا كل واحد منها أحد أولادهما بأبي بكر، فقد ذكر ذلك اليقoubi والم Saundersi وهم من مؤرخي الروافض⁽²⁾، واستمر أهل البيت يسمون من أسماء أولادهم بأبي بكر، فقد سمي ابن أخي على بن أبي طالب رضي الله عنه وهو عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب فإنه سمي أحد أبنائه باسم أبي بكر، وهذه من إحدى علام الدجال الدائم بينهم⁽³⁾.

سابعاً: علي رضي الله عنه في وفاة الصديق:

كان علي رضي الله عنه من ضمن من استشارهم الصديق فيمن يتولى الخلافة من بعده، وكان رأي علي أن يتولى الخلافة بعد الصديق الفاروق⁽⁴⁾.

ولما حان الرحيل ونزل الموت بأبي بكر، كان آخر ما تكلم به الصديق في هذه الدنيا قوله تعالى: **إِنَّ وَفَتْنَتِي مُسْلِمٌ مَا وَأَلْحَقْتَنِي بِالصَّدَّاقَةِ** [يوسف: 101]. وارتبت المدينة لوفاة أبي بكر الصديق ولم تر المدينة منذ وفاة الرسول × يوماً أكثر باكيًا وباكية من ذلك المساء الحزين، وأقبل على بن أبي طالب مسرعاً، باكيًا، مسترجعًا ووقف على البيت الذي في

ه أبو بكر فقال:

رحمك الله يا أبي بكر كنت إلف رسول الله × وأنيسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشاورته، وكنت أول القوم إسلاماً، وأخلصهم يقيناً، وأشدهم الله تقوى، وأخوفهم الله، وأعظمهم غناه في دين الله عز وجل، وأحبوthem على رسول الله ×، وأحديهم على الإسلام، وأحسنهم صحبة، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم وسيلة، وأسبفهم برسول الله هديةً وسمتاً، وأشرفهم منزلة، وأرفعهم عنده، وأكرهم عليهم، فجزاكم الله عن رسول الله وعن الإسلام أفضل الجزاء، صدق رسول الله حين كذبه الناس، وكانت عنده بمنزلة السمع والبصر، سماك الله في تنزيله صديقاً فقال: **+ وَالَّذِي جَاءَ** **بِالصَّدَّاقِ وَصَدَّقَ بِهِ أَوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** [آل عمران: 133]، واستيه حين بخلوا، وفدت معه على المكاره حين قعدوا، وصحبته في الشدة أكرم الصحابة، ثاني اثنين صاحبه في الغار، والمنزل عليه السكينة، ورفيقه في الهجرة، وخليفة في دين الله وأمته، أحسن الخلافة حين ارتدوا، فقدمت بالأمر ما لم يقم به خليفة نبي، ونهضت حين وهن أصحابه، وبرزت حين است كانوا، وقويت حين ضعفوا، ولزمت منهاج رسول الله × إذ وهنوا، وكذلك كما قال رسول الله × ضعيفاً في بذلك قويًا في أمر الله، متواضعًا في نفسك عظيمًا

(1) الشيعة وأهل البيت: ص(78-83).

(2) تاريخ اليقoubi (228/2)، النتيجة والإشراف: ص (82).

(3) الشيعة وأهل البيت: ص (83)، الدر المنشور من تراث أهل البيت والصحابية، السيد علاء الدين الـ مدريسي ص (38-44)، رحماء بينهم، صالح بن عبد الله الدرويش.

(4) الكامل لأبي الأثير (79/2)، المختصر من كتاب الموافقة للزمخشري: ص (70-100).

عند الله تعالى، جليلاً في أعين الناس كبيراً في أنفسهم، لم يكن لأحد هم فيك مغمز، ولا لقائل فيك مهمز، ولا لمخلوق عندك هوادة، الصعب عندك قوى عزيز حتى تأخذ بحقه، القريب والبعيد عندك سواء، وأقرب الناس عندك أطوطفهم الله عز وجل وأنقاهم... شأنك الحق والصدق، والرفقة، قولك حكم وحتم، أمرك حلم وحزم، ورأيك علم وعزّم، اعتمد به الدين، وقوى بك الإيمان، وظهر أمر الله، فسبقت - والله - سبقاً بعيداً، وانبعدت من بعدك إتعاباً شديداً، وفزت بالخير فوزاً مبيناً، فإننا لله وإننا إليه راجعون، رضينا عن الله عز وجل قضاوه وسلمتنا له أمره، والله لن يصاد المسلمين بعد رسول الله بمثلك أبداً، كنت للدين عزّاً، وحرزاً وكهفاً، فالحقك الله عز وجل بنبيك محمد ، ولا حرمنا أجرك، ولا أضلنا بعدك، فسكت الناس حتى قضى كلامه، ثم بكوا حتى علت أصواتهم وقالوا: صدقـ(1).

وجاء في رواية: أن علياً قال عندما دخل على أبي بكر عندما سُجى: ما أحد أحب أن ألقى الله بصحيفته أحب إلىـ من هذا المسجـ(2).

(1) التبصرة لابن الجوزي (479/1-477) نقلـ عن أصحاب الرسول (108/1).

(2) تاريخ الذهبي، عهد الخلفاء الراشدين: ص (120).

المبحث الثاني

علي رضي الله عنه في عهد الفاروق

كان علي رضي الله عنه عضواً بارزاً في مجلس شورى الدولة العمرية، بل كان هو المستشار الأول، فقد كان عمر رضي الله عنه يعرف لعلي فضله، وفقهه، وحكمته، وكان رأيه فيه حسناً، فقد ثبت قوله فيه: أقضانا على⁽¹⁾، وقال ابن الجوزي: كان أبو بكر وعمر يشاررانه، وكان عمر يقول: أعود بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن⁽²⁾، وقال مسروق: كان الناس يأخذون عن سنته: عمر وعلى وعبد الله وأبي موسى وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب وقال: شامت أصحاب محمد × فوجدت علمهم انتهي إلى ستة نفر: عمر وعلى وعبد الله وأبي الدرداء وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، ثم شامت هؤلاء السيدة فوجدت علمهم انتهي إلى رجلين منهم: إلى علي، وعبد الله⁽³⁾، وقال أيضاً: انتهي العلم إلى ثلاثة، عالم بالمدينة، وعالم بالشام، وعالم بالعراق، فعالم المدينة على بن أبي طالب، وعالم الكوفة عبد الله بن مسعود، وعالم الشام أبو الدرداء، فإذا التقوا سأل عالم الشام وعالم العراق، عالم المدينة ولم يسألهما⁽⁴⁾، فكان على من هو لاء المقربين، يشد من أزر أخيه، ولا يدخل عليه برأيه، ويجهد معه في إيجاد حلول للقضايا، التي لم يرد فيها نص، وفي تذيم أمور الدولة الفتية، والشواهد على ذلك كثيرة، نذكر منها:

أولاً: في الأمور القضائية:

1- امرأة تعترى بها نوبات من الجنون: عن أبي طبيان الجنبي: أن عمر بن الخطاب أتى بأمرأة قد زنت، فأمر برجمها، فذهبوا بها ليرجموها، فلقيتهم على رضي الله عنه، فقلوا: ما هذه؟ قلوا: زنت فامر عمر برجمها، فانتزعتها على من أيدبهم وردهم، فرجعوا إلى عمر، فقال: ما ردركم؟ قلوا: رددنا على، قال: ما فعل هذا على إلا لشيء قد علمه، فأرسل إلى على، فجاء وهو شبه المغضب، فقال: مالك رددت هؤلاء؟ قال: أما سمعت الذي ي يقول: **رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المبulti حتى يعقل؟** قال: بل، قال على: فإن هذه مبتلة بني فلان، فلعله أتهاها وبها، فقال عمر: لا أدرى، فلم يرجمها⁽⁵⁾، فقد كان عمر لا يعلم أنه مجنونة.

2- مضاعفة الحد لمن شرب الخمر: أخذ عمر برأي على رضي الله عنهما في مضاعفة الحد لمن شرب الخمر، وذلك لانتشار شرب الخمر وخاصة في البلاد المفتوحة، وهي حديثة العهد بالإسلام، فأشار علىٰ على عمر رضي الله عنهما بأن يجلد فيها ثمانين، كأخف الحدود، وعمل ذلك بقوله: نراه إذا سكر هذى وإذا هذى افترى، وعلى المفترى ثم انون⁽⁶⁾، وقد ثبت عن على رضي الله عنه أنه قال: ما كنت أقيم حدّاً على أحد، فيما مت، وأجد في نفسي، إلا صاحب الخمر، فإنه لو مات وديته، وذلك لأن رسول الله × لم يسنه.⁽⁷⁾ وأول البيهقي قوله: (لم يسنه) زيادة على الأربعين، أو لم يسنه بالسياط وقد سنه بالنع

(1) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ص(1102)، المعرفة والتاريخ (481/1).

(2) فضائل الصحابة رقم 1100 إسناده ضعيف.

(3) علل الحديث ومعرفة الرجال.. علي بن المديني: ص(42، 43) نقل عن خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد على: ص(70)، البخاري رقم 4481.

(4) المعرفة والتاريخ للقسوى (444/1).

(5) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم 1328 صحيح لغيره.

(6) أرواء الغليل لللباني: (46/8، 47) قال إسناده ضعيف، وحقق هذا الأثر عبد الحميد على في رسالته (خلافة على بن أبي طالب) محق 30.

(7) فتح الباري (66/12).

ال وأطراف الثياب مقدار أربعين والله أعلم⁽¹⁾، وقد استتبع الفقهاء من أفعال الخلفاء الراشددين مقدار الحد في الخمر، على قول مالك والثوري وأبي حنيفة ومن تبعهم ثمانيون، إلا جماع الصحابة، ومن قال إن الحد أربعون: أبو بكر، والشافعي، وقول لأحمد، وتحمل الزيادة على ذلك من عمر، رضي الله عنه، على أنها تعزير يجوز فعله إذا رأه الإمام، وهذا هو القول الصحيح للشافعي⁽²⁾، وهذا الرأي مال إليه ابن تيمية أيضاً وقال: ..فاما مع فلة الشاربين وقرب أمر الشارب، فتكفي الأربعون⁽³⁾.

3- لا سلطان لك على ما في بطئها: أتى عمر رضي الله بامرأة حامل فسألها عمر فاعترفت بالفجور، فأمر بها عمر ترجم، فلقيها على فقال: ما بال هذه؟ فقالوا: أمر بها، أمير المؤمنين أن ترجم، فردتها على فقال: أمرت بها أن ترجم؟ قال: نعم، اعترفت عندي بالفجور! قال: هذا سلطانك عليها فما سلطانك على ما في بطئها؟ قال على: فلعلك انتهرت بها⁽⁴⁾، أو أخفتها؟ قال: قد كان ذاك، قال: أو ما سمعت النبي × يقول: «لَا حَدْ عَلَى مُعْتَرِّفٍ بَعْدَ بَلَاءٍ، أَنَّهُ مَنْ قَيَّدَ أَوْ حَبَسَ أَوْ تَهَدَّدَ فَلَا إِقْرَارَ لَهُ» فخلى عمر سبيلها، ثم قال: عجزت النساء أن تلد مثل على بن أبي طالب، لولا على لهاك عمر⁽⁵⁾.

وقد علق ابن تيمية على هذه القصة: إن هذه القصة إن كانت صحيحة، فلا تخلو من أن يكون عمر لم يعلم أنها حامل، فأخبره على بحملها، ولا ريب أن الأصل عدم العلم، والإمام إذا لم يعلم أن المستحقة للقتل أو الرجم حامل، فعرفه بعض الناس بحالها، كان هذا من جملة إخباره بأحوال الناس... إلى أن قال عن عمر، يعطي الحقوق ويقيم الحدود ويحكم بين الناس كلهم، وفي زمانه انتشر الإسلام وظهر ظهوراً لم يكن قبله مثله، وهو داد مَا يقضى ويقتى ولو لا كثرة علمه لم يطبق ذلك، فإذا خفيت عليه قضية من مائة ألف قضية ثم عرفها أو كان نسيها ذكرها فائي عيب في ذلك؟⁽⁶⁾ وكان رد هذا في سياق رده على الروافض.

4- ردوا الجهالات إلى السنة: أتى عمر بامرأة أنكحت في عدتها ففرق بينهما وجعل صداقها في بيت المال وقال: لا أجيئ مهرًا رد نكاحه، وقال: لا تجتمعان أبداً، فبلغ ذلك علياً فقال: وإن كانوا جهلوا السنة لها المهر بما استحل من فرجها ويفرق بينهما، فإذا انقضت عدتها فهو خاطب من الخطاب، فخطب عمر الناس فقال: ردوا الجهالات إلى السنة، ورجع عمر إلى قول على⁽⁷⁾.

5- هذا الرجل غلبني على نفسي وفضحني في أهلي: قال جعفر بن محمد: أتى عمر بن الخطاب بامرأة قد تعلقت بشاب من الأنصار وكانت تهواه، فلما لم يساعدها احتالت عليه، فأخذت بيضة، فألقت صفارها، وصبت البياض على ثوبها وبين فخذها ثم جاءت إلى عمر صارخة، فقالت: هذا الرجل غلبني على نفسي وفضحني في أهلي، وهذا أثر فعله، فسأل عمر النساء فقلن له: إن بيدنها وتنوبها أثر المني، فهم بعقوبة الشاب، فجعل يبس تغيث ويقول: يا أمير المؤمنين تثبت في أمري، فوالله ما أتيت فاحشة وما همت بها، فقد راودتني عن نفسي فاعتظمت، فقال عمر: يا أبا الحسن ما ترى في أمرهما، فنظر على

(1) السنن الكبرى (322/8)

(2) المعنى (307/8)

(3) الفتاوي / 336 / 28 (337) منهاج السنة (6/83)، خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد على ص (73).

(4) انتهت بها: زجرتها.

(5) سنن سعيد بن منصور (69/2) رقم 2083، المختصر من كتاب الموافقة: ص (131).

(6) منهاج السنة (42/6)

(7) المعنى والشرح الكبير (11/66)

إلى ما على التوب، ثم دعا بماء حار شديد الغليان، فصب على التوب فجمد ذلك البياض ثم أخذه واشتمه، وذاقه، فعرف طعم البيض، وزجر المرأة فاعترفت⁽¹⁾.

ونستخلص من هذه الواقعية بعض الدروس:

(أ) أن وسائل الإثبات في القضاء الإسلامي كانت تشمل الإقرار والشهادة واليمين والنكول.. وتنتسب لتشمل الأمارات والفراسة.

(ب) اهتمام عمر بمشاورة كبار الصحابة في النوازل، وعلى الخصوص على، رضي الله عنهمما الذي كانت منزلته عنده متميز⁽²⁾.

ثانيًا: علي رضي الله عنه والتنظيمات المالية والإدارية العمرية:

1- في الأمور المالية:

(أ) نفقات الخليفة: لما ولّي عمر بن الخطاب أمر المسلمين بعد أبي بكر مكث زمانًا ، لا يأكل من بيت المال شيئاً حتى دخلت عليه في ذلك خصاصة، ولم يعد يكتفيه ما يربّحه من تجارتة، لأنّه اشتغل عنها بأمور الرعيّة، فأرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ، فاستشارهم في ذلك فقال: قد شغلت نفسي في هذا الأمر فما يصلح لي فيه؟ فقال عثمان بن عفان: كل وأطعم، وقال ذلك سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وقال عمر لعلي: ما تقول أذت في ذلك؟ قال: غداء وعشاء، فأخذ عمر بذلك، وقد بين عمر حظه من بيت المال فقال: إنّي أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة قيم اليتيم، إن استغنيت عنه تركت، وإن افتررت إليه أكلت بالمعروف⁽³⁾.

(ب) رأي علي في أرض السواد بالعراق: لما فتحت أرض السواد بالعراق عنوة، أشدّ عدّ من الصحابة - رضوان الله عليهم - على عمر بتقسيمهم بين الفاتحين، ولكن لسوء الأرض وجودتها، ونظرية عمر البعيدة لمن سيأتي بعد ذلك، لم يطمئن عمر لتقسيمها، فاستشار علياً في ذلك فكان رأيه موافقاً لرأي الخليفة عمر إلا نقسم فأخذ برأيه وقال: لو لا آخر المسلمين ما فتحت قرية إلا قسمتها بين أهلها، كما قسم النبي ﷺ خير⁽⁴⁾.

(ج) لا جرم لتقسيمه: أتى عمر بمال فقسه بين المسلمين، وفضلت منه فضله، فاستشار فيها الصحابة، فقالوا له: لو تركته لنائبة إن كانت، وفي القوم على ساكت، فأراد عمر أن يسمع رأي على في ذلك، فذكره على بحديث مال البحرين حين جاء إلى النبي ﷺ، وأنه قسمه كله، فقال عمر لعلي: لا جرم لتقسيمه، فقسّمه على⁽⁵⁾، وبيدو أن هذا كان قبل تقسيم الدواوين⁽⁶⁾.

2- علي رضي الله عنه والأمور الإدارية:

عندما احتاج عمر رضي الله عنه أن يضع تاريخاً رسميًّا ثابتاً لتنظيم أمور الدولة وضبطها، جمع الناس وسألهم: من أي يوم نكتب التاريخ؟ فقال على رضي الله عنه: من يوم هاجر رسول الله ﷺ وترك أرض الشرك، فعله عمر⁽⁷⁾، وقد كان عمر - رضي الله عنه - يراه من أفضل من يقود الناسن فقد ورد عنه أنه كان ينادي رجالاً من الأنصار، فقال: من تحذثون أنه يستخلف من بعدي؟ فعد الأنصاري المهاجرين ولم يذكر علياً، فقا

(1) الطرق الحكمية لابن القيم: ص (48).

(2) الاجتهد في الفقه الإسلامي، عبد السلام السليماني: ص (145).

(3) الخلافة الرشدة، سنته صحيح، د. يحيى: ص (270).

(4) الأموال، القاسم بن سلام: ص (57)، خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد على: ص (75).

(5) مسند أحمد (49/1) استدله ضعيف لانقطاعه.

(6) خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد على: ص (75).

(7) التاريخ الكبير للبخاري (9/1).

ل عمر: فأين أنت من على؟ فوالله لو استخلفتموه، لأقامكم على الحق وإن كر هتموه⁽¹⁾. قال لابنه عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - بعد أن طعن: إن ولوها الأجل سلك بهم الطريق⁽²⁾.

3- استخلف عمر على المدينة مراراً:

(أ) استخلافه حين خرج عمر إلى ماء صراء فعسكر فيه: وذلك قبيل القادسية وكان ا لفرس قد حشدوا لل المسلمين، فجمع عمر الناس فاستشارهم فكلهم أشار عليه بالميسير⁽³⁾.

(ب) استخلافه عند نزول عمر بالجایة: وذلك حين نزل عمرو بن العاص أجنادين، فكتب إليه أرطبون الروم، والله لا تفتح من فلسطين شيئاً بعد أجنادين، فارجع لا تغر، وإنما صاحب الفتح رجل اسمه على ثلاثة أحرف، فعلم عمرو أنه عمر، فكتب يعلمه أن ال فتح مدخل له، فنادى له الناس، واستخلف على بن أبي طالب⁽⁴⁾.

(ج) استخلاف على حين حج عمر بأزواج النبي ×: وهي آخر حجة حجها بالناس كانت سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وكان مع أمهات المؤمنين أولياؤهن من لا يحتجبن منه، وخلف على المدينة على بن أبي طالب⁽⁵⁾.

ثالثاً: استشارة عمر لعلي رضي الله عندها في أمور الجهاد وشئون الدولة:

كان على رضي الله عنه المستشار الأول لعمرا بن الخطاب رضي الله عندهما، وكان عمر يشتهر في الأمور الكبيرة منها والصغيرة، وقد استشاره حين فتح المسلمين بيت المقدس، وحين فتحت المدائن، وعندما أراد عمر التوجه إلى نهاوند وقتل الفرس، وحين أراد أن يخرج لقتال الروم، وفي وضع التقويم الهجري وغير ذلك من الأمور⁽⁶⁾، وكان على رضي الله عنه طيلة حياة عمر مستشاراً ناصحاً لعمر، محبًا له خائفًا عليه، وكان عمر يحب علياً وكانت بينهما مودة ومحبة وثقة متبادلة، ومع ذلك يأبى أعداء الإسلام إ لآن يزوروا التاريخ، ويقصوا بعض الروايات التي تناسب أمرجهن ومشاربهم ليصوروا لنا فترة الخلفاء الراشدين عبارة عن أن كل واحد منهم كان يتربص بالأخر الدوائر لينة ض عليه، وكل أمورهم كانت تجري من وراء الكواليس⁽⁷⁾.

ان من أبرز ما يلاحظه المتأمل في خلافة عمر تلك الخصوصية في العلاقة، وذلك التعاون المتميز الصافي، بين عمر وعلى، رضي الله عندهما، فقد كان على هو المستشار الأول لعمرا فيسائر القضايا والمشكلات، وما اقترح على عمر رأينا إلا واتجه عمر إ لى تتفيد عن قناعة، وكان على رضي الله عنه يمحضه النصح في كل شئونه وأحواله⁽⁸⁾، فمثلاً عندما تجمع الفرس بنهاؤند في جمع عظيم لحرب المسلمين جمع عم ر - رضي الله عنه - الناس واستشارهم في المسير إليهم بنفسه، فأشار عليه عامه الناس بذلك، فقام إليه على - رضي الله عنه - فقال: أما بعد، يا أمير المؤمنين، فإنك إن أشخاص ت أهل الشام من شامهم سارت الروم إلى ذرارتهم، وإنك إن أشخاصت أهل اليمن إلى ذ رارتهم من يمنهم سارت الحبشة إلى ذرارتهم، وإنك إن أشخاصت من هذه الأرض إنقا

(1) خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد على: ص(76)، قيل إن الرواية مرسلة.
(2) بغية الباحث عن زواته مسند الحارث، تحقيق حسين أحمد (741/3) صحيح الإسناد، خلافة على بن أبي طالب: ص(76).

(3) المنظم (192/4).

(4) المصدر نفسه (327/4)، الفتح (87/4).

(5) على بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين: ص(99).

(6) المصدر نفسه: ص(138).

(7) فقه السيرة النبوية للبوطي: ص 529.

ضت عليك العرب من أطراها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من العورات والعيالات، أقرر هؤلاء في أمصارهم، واكتبه إلى أهل البصرة، فليتفرقوا وأثلاث فرق، فرقة في حرمهم وذراريهم، وفرقه في أهل عدهم حتى لا ينتصروا، ولذ سر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مددًا لهم إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدًا قالوا: هذا أمير العرب وأصلها، فكان ذلك أشد لكتلهم عليك، وأما ما ذكرت من مسيرة القوم، فإن الله هو أكره لمسييرهم منك، وهو أقرر على تغيير ما يكره، وأما عدهم فانا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكن بالنصر، فقال عمر: هذا هو الرأي كنت أحب أن أتابع عليه⁽¹⁾.

كانت نصيحة على نصيحة المحب لعمر الغيور عليه، والضئن لا يذهب، وأن يدي ر رحى الحرب بمن دونه من العرب وهو في مكانه، وحذر من أنه إذا ذهب، فلسوف ينشأ وراءه من الثغرات ما هو أخطر من العدو الذي سيواجهه، أرأيت لو أن رسول الله × أعلن أن الخلافة من بعده لعلي، أفكان لعلي أن يرحب عن أمر رسول الله × هذا، وأن يؤيد المستتبين لحقه بل لواجهه في الخلافة بمثل هذا التعاون المخلص البناء؟ بل أفكان لا صحابة، رضوان الله عليهم، كلهم أن يضيعوا أمر رسول الله ×؟ بل أفكان من المتصور أن يجمعوا وفي مقدمتهم على رضوان الله عليه على ذلك؟ بوسعنا أن نعلم إذن بكل بداهة، أن المسلمين إلى هذا العهد - نهاية عهد عمر - بل إلى نهاية عهد على كانوا جماعة واحدة، ولم يكن في ذهن أي من المسلمين أي إشكال بشأن الخلافة، أو شأن من هو أحق بها⁽²⁾.

إن كثرة مشاوره عمر لعلي، رضي الله عنهم، وغيره من الصحابة، لا يعني هذا أنه دونهم في الفقه والعلم، فقد بنت الأحاديث الصحيحة التي تدل على علو علمه، واكتتما لدينه، ولكن إيمانه وحبه للشوري، وتعويذه للحكام فيما بعد على المشاوره، وعدم الاستبداد بالأمر والرأي، وإن أعلماً رضي الله عنه كان كثيراً ما يرجع عن رأيه إلى رأي عمر⁽³⁾، فقد جاء عن عائشة، رضي الله عنها، في معرض حديثها عن عمر قولها: وقد كان على رضي الله عنه يتبع عمر بن الخطاب، فيما يذهب إليه ويراه، مع كثرة استشهاده عليه، حتى قال على رضي الله عنه: يشاورني عمر في كذا، فرأيت كذا، ورأي هو كذا، فلم أر إلا متابعة عمر⁽⁴⁾.

رابعاً: علي رضي الله عنه وأولاده وعلاقتهم بعمر رضي الله عنهم:
كان عمر رضي الله عنه شديد الإكراه لآل رسول الله × وإثارةهم على أبنائه وأسرته، تذكر من ذلك بعض المواقف:

- 1- أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر: جاء فيما رواه الحسين بن علي رضي الله عنه: أن عمر قال لي ذات يوم: أي بنى لو جعلت تأتينا وتغضانا؟ فجئت يوماً وهو خال بمعاوية، وابن عمر بالباب لم يوْزن له، فرجعت فلقيتني بعد، فقال: يا بنى لم أرك أتتنا؟ قلت: جئت وأنت خال بمعاوية فرأيت ابن عمر رجع، فرجعت، فقال: أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر، م إنما أنت في رعوسنا ما ترى: الله، ثم أنت، ووضع يده على رأسه⁽⁵⁾.
- 2- والله ما هنا لي ما كسوتكم: روى ابن سعد عن جعفر بن محمد الباقر عن أبيه على ابن الحسين، قال: قدم على عمر حل من اليمن، فكسا الناس فراحوا في الحل، وهو بـ

(1) تاريخ الطبرى(3/480)، تحقيق مواقف الصحابة (94/2).

(2) فقه السيرة للتوطى: ص(295).

(3) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد على: ص(77).

(4) الإمامية والرد على الرافضة للأصبهاني: ص(295).

(5) المرتضى: ص (1418)، كنز العمال (7/105)، الإصابة (1/133).

بن القبر والمنبر جالس، والناس يأتونه فيسلمون عليه ويدعون له، فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة رضي الله عنها يتخطيان الناس، ليس عليها من تلك الحال شيء، وعمر قاطب صار بين عينيه، ثم قال: والله ما هنا لي ما كسوتكم، قالوا: يا أمير المؤمنين، كسوت رعيتك فأحسنت، قال: من أجل الغلامين يتخطيان الناس وليس عليهم من شيء كبرت عنهم وصغراً عنها، ثم كتب إلى والي اليمن أن ابعث بحاتين لحسن وحسين، وعجل، فبعث إليه بحاتين فكساهما⁽¹⁾.

3- تقديم بنى هاشم في العطاء: عن أبي جعفر أنه لما أراد أن يفرض للناس بعدما فتح الله عليه، وجمع ناساً من أصحاب النبي ﷺ، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: أبداً بنفسك، فقال: لا والله بالأقرب من رسول الله ﷺ، ومن بنى هاشم رهط رسول الله ﷺ، وفرض للعباس، ثم لعلي، حتى والي بين خمس قبائل، حتى انتهى إلى بنى عدى بن كعب، فكتب: من شهد بدرًا من بنى هاشم، ثم من شهد بدرًا من بنى أمية بن عبد شمس، ثم الأقرب بالأقرب، ففرض الأعطيات لهم وفرض للحسن والحسين لمكانهما من رسول الله ﷺ⁽²⁾.

4- كسانى هذا الثوب أخي وخليلى: خرج على وعليه برد عدنى فقال: كسانى هذا الثوب أخي وخليلى وصفى وصديقى أمير المؤمنين عمر⁽³⁾. وفي رواية عن أبي السفر قال: رئي على على بن أبي طالب رضي الله عنه برد كان يكتثر لبسه قال: فقيل: يا أمير المؤمنين إنك لتكتثر لبس هذا البرد؟ فقال: نعم، إن هذا كسانى خليلي وصفى عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، ناصح الله فنصحه، ثم بكى⁽⁴⁾.

5- أقطع ينبع: أقطع عمر بن الخطاب علياً ينبع، ثم اشتري على إلى قطيعة عمر أشياء حفر فيها عينًا، فيبينما هم يعملون فيها إذ تجر عليهم مثل عنق الجزور من الماء فأتى على وبشر فتصدق بها على القراء والمساكين وفي سبيل الله ليوم تبيض وجوهه وتدبر وجوهه، ليصرف الله تعالى بها وجهه عن النار ويصرف النار عن وجهه، وكتب في صدقته: هذا ما أمر به على بن أبي طالب وقضى في ماله: إني تصدق ب ينبوع ووادي الفرى والأذنية وراعة في سبيل الله ووجهه، أبتغي مرضاة الله، ينفق منها في كل منفعة في سبيل الله ووجهه، وفي الحرب والسلم والجند وذوى الرحم القريب والبعيد، لا بيع ولا يوهب ولا يورث حيًّا أنا أو ميتًا، أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، ولا أبتغي إلا الله عز وجل، فإنه يقبلها وهو يرثها وهو خير الوارثين، فذلك الذي قضيت فيها بيبي وبيه ن الله عز وجل⁽⁵⁾.

6- لقولن يا أبا حسن: اجتمع عند عمر جماعة من قريش فيهم على فنذكروا الشرف، وعلى ساكت عمر: مالك يا أبا الحسن ساكتًا؟ فكان عليه كره الكلام، فقال عمر: لقولن يا أبا الحسن، فقال على:

فيها الجمامج عن فراخ الهمام⁽⁶⁾

في كل معرك تزيل سيفنا

(1) المرتضى: ص (118)، الإصابة (106/1).

(2) الخراج لأبي يوسف: ص (24، 25)، المرتضى: ص (118).

(3) المختصر من كتاب المواقف: ص 140.

(4) المصنف لابن أبي شيبة (29/12) رقم 2047 نقلًا عن الشريعة للأجري (2327/5) إسناده حسن.

(5) المخطى (180/6)، مصنف عبد الرزاق (375/10) فقه على، فلعيجي: ص (626).

(6) فراخ الهمام: فراخ الرأس على التشبيه.

الله أكرمنا بنصر نبيه

ويزورنا جبريل في أبياتنا

وبنا أعز شرائع الإسلام

بفرائض الإسلام والأحكام^(١)

7- حوار بين أمير المؤمنين عمر و على حول الرؤيا: قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أعجب من رؤيا الرجل أنه يبيت في بيته لم يخطر له على بال، ف تكون رؤياه كأخذ اليدين، ويرى الرجل الشيء، فلا تكون رؤياه شيئاً، فقال على بين أبي طالب: أفلأ أخبرك بذلك يا أمير المؤمنين؟ إن الله يقول^(٢): +اللَّهُ يَدْوِ فِي الْأَدْفُسِ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَذَامِهَا فَيُمْسِكَ ا لَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسَلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجْلٍ مُسَمٍّ+ [الزمآن: 42].

خامسًا: زواج عمر من أم كلثوم بنت على بن أبي طالب:

زوج على بن أبي طالب رضي الله عنه ابنته من فاطمة بنت النبي × من الفاروق حينما سأله زواجها منه رضي الله عنه بما يطلب، وثقة فيه وإقراراً لقضله ومناقبه، واعترافاً بمحاسنه وجمال سيرته، وإظهاراً بأن بينهم من العلاقات الوطيدة الطيبة والصلات المحكمة المباركة ما يحرق قلوب الحساد من أعداء الأمة المحبدة، ويرغم أنوفهم^(٣)، فقد كان عمر يكن لأهل البيت محبة خاصة لا يكناها لغيرهم لقربتهم من رسول الله ×، ولما أوصى به رسول الله × من إكرام أهل البيت ورعاية حقوقهم، فمن هذا الباب ثبت خطب عمر أم كلثوم ابنة على وفاطمة رضوان الله عليهم وتعدد إليه في ذلك قائلاً: فوالله ما على الأرض رجل يرصد من حسن صحبتها ما أرسد، فقال على: قد فعلت، فأقبل عم ر إلى المهاجرين، وهو مسرور قائلاً: رفوني.. ثم ذكر أن سبب زواجه منها ما سمعه من النبي ×: «كل سبب ونسب منقطع يوم القيمة إلا ما كان من سببي ونبي»، فأحببت أن يكونبني وبين رسول الله × سبب^(٤)، ولقد أقر بهذا الزواج كل أهل التاريخ والأدب ساب وجميع محدثي الشيعة وفقهائهم ومكابرיהם ومجادليهم وأنتمهم المعصومين حسب زعمهم، ولقد أورد الشيخ إحسان الهي ظهير روایات بخصوص ذلك في كتابه الشيعة والسنة^(٥)، ولقد ذكر هذا الزواج علماء أهل السنة في التاريخ وأجمعوا مصادرهم عليه، ومن العلماء الذين ذكروا هذا الزواج: الطبراني^(٦)، وأبن كثير^(٧)، وأبن الجوزي^(٨)، وأبن الديار بكرى^(٩)، وقد ذكر هذا^(١١) الزواج في كتب التراجم، كابن حجر^(١٢)، وأبن سعد^(١٣)، وأسد الغابة، وقد قام الأستاذ أبو معاذ الإماماعيلي في كتابه زواج عمر بن الخطاب من أم كلثوم بنت على بن أبي طالب رضي الله عنها حقيقة وليس افتاء، بتتبع مراجع مصادر الشيعة وأهل السنة فيما يتعلق بهذا الزواج ورد على الشبهات التي ألقى الصفة

(١) المختصر من كتاب الموافقة: ص(138).

(٢) الفتاوى (٢٧١، ٢٧٠/٥).

(٣) الشيعة وأهل البيت: ص(105).

(٤) إسناده حسن، أخرجه الحكم في المستدرك (١٤٢/٣) صحيح الإسناد ولم يخرجه، وقال الذهبي مدح عقلاً منقطع، وأورده الهيثمي في (مجمع الرائد ٩/١٧٣) وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوساط وزرجالهما رجال الصحيح غير الحسن بن سهل وهو ثقة، وهناك من ضعفه.

(٥) الشيعة وأهل البيت: ص(105).

(٦) تاريخ الطبراني (٢٨/٥).

(٧) البداية والنهاية (٢٢٠/٥).

(٨) تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين: ص(166).

(٩) المنظم (١٣١/٤).

(١٠) تاريخ الخميس ثغلاً عن زواج عمر من أم كلثوم لأبي معاذ: ص (١٩).

(١١) الأصابة لأبن حجر: ص (٢٧٦) كتاب الكني وكتاب النساء.

(١٢) الأصابة لأبن حجر: ص (٢٧٦) كتاب الكني وكتاب النساء.

(١٣) أسد الغابة (٤٢٥/٧).

ت بهذا الزواج الميمون، وقد ذكرت شيئاً من سيرتها وموافقها في حياتها في عهد الفاروق في كتابي (فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، شخصيته وعصره).

هذا وقد ولدت أم كلثوم بنت علي من عمر رضي الله عنه ابنة سميت (رقية) وولداً سميته زيداً، وقد روى أصحاب زيد أن زيد بن عمر حضر مشاجرة في قوم من بنى عدي بن كعب ليلاً فخرج إليهم زيد بن عمر ليصلحهم فأصابته ضربة شجت رأسه ومات من فوره، وحزنت أمه لقتله ووافقت مغشياً عليها من الحزن فماتت من ساعتها، ودفنت أم كلثوم وبابنها زيد بن عمر في وقت واحد، وصلى عليهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، قدمه الحسن ابن على بن أبي طالب وصلى خلفه⁽¹⁾.

سادساً: يا بنت رسول الله ما أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك، وما أحد من الخلق بعد أبيك أحب إلينا منك:

عن أسلم العدوبي قال: لما بويع لأبي بكر بعد النبي × كان على والزبير بن العوام يدخلان على فاطمة فيشاورانها، فبلغ عمر، فدخل على فاطمة فقال: يا بنت رسول الله ما أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك، وما أحد من الخلق بعد أبيك أحب إلينا منك، وكلما، فدخل على والزبير على فاطمة فقالت: انصرفا راشدين، فما رجعوا إليها حتى بايعا⁽²⁾، وهذا هو الثابت الصحيح والذي مع صحة سنته ينسجم مع روح ذلك الجيل وتتركيبة الله له. وقد زاد الروافض في هذه الرواية واحتلقو إفكا وبهتاناً وزوراً، وقالوا إن عمر قال: إذ اجتمع عندك هؤلاء الفراغ لحرقني عليهم هذا البيت، لأنهم أرادوا شق عصا المسلمين بتلآخرهم عن البيعة، ثم خرج عنها، فلم يلبث أن عادوا إليها، فقالت لهم: تعلمون أن عمر جاعني وحلف بالله لئن أنتم عدمت إلى هذا البيت ليحرقنه عليكم، وایم الله إنه ليصدقون فيما حلف عليه، فانصرفوا عني فلا ترجعوا إلى ففعلاً ذلك، ولم يرجعوا إليها إلا بعدما بايعوا⁽³⁾. وهذه القصة لم تثبت عن عمر رضي الله عنه، ودعوى أن عمر رضي الله عنه هم بإحرق بيته فاطمة، من أكاذيب الرافضة، أعداء صحابة رسول الله، وقد أوردها مع أكاذيب أخرى الطبراني الطبرسي في كتابه دلائل الإمامة⁽⁴⁾، عن جابر الجعفي، وهو رفضي كذاب باتفاق أئمة الحديث كما في الميزان⁽⁵⁾ للذهبي، وتهذيب التهذيب⁽⁶⁾، وزعم بعض الروافض أن عمر ضرب فاطمة حتى أسقط ولدها محسداً وهو في بطنهما، وهذه مدن الأكاذيب الرافضة التي لا أساس لها من الصحة، وما علموا أنهم يطعون في على رضي الله عنه، وذلك باتهامه بالجبن والسكوت عن عمر وهو من أشجع أصحاب النبي ×⁽⁷⁾، بل إن بعض كتب الروافض أنكر صحة هذا الهدناني والزور⁽⁸⁾ علمًا بأن محسداً ولد في حياة النبي × كما ثبت ذلك بالرواية الصحيحة.

سابعاً: الخلاف بين العباس وعلى وحكم عمر رضي الله عنهم بينهما:

قال مالك بن أوس: بينما أنا جالس في أهلي حين متن النهار⁽⁹⁾، إذا رسول عمر بن الخطاب يأتيني، فقال: أجب أمير المؤمنين، فانطلقت معه حتى دخلت على عمر، فإذا هو

(1) أسد الغابة (45/7)، ونساء أهل البيت، منصور عبد الحكم: ص(185، 186).

(2) أخرجه ابن أبي شيبة: المصنف (567/14) إسناده صحيح.

(3) عقائد الثلاثة والسبعين فرقة لأبي محمد المنفي (140/1).

(4) دلائل الإمامة: ص (26) نقلًا عن عقائد الثلاثة والسبعين (140/1).

(5) الميزان للذهبي (279/1).

(6) تهذيب التهذيب (47/2).

(7) حقيقة من التاريـخ: ص (224).

(8) مختصر التحفة الائتمانية عشرية: ص (252).

(9) متن النهار: ارتفع قبل الزوال.

جالس على رمال⁽¹⁾ سرير ليس بينه وبينه فراش، متكم على وسادة من أدم، فسلمت عليه ثم جلست، فقال: يا مالك إنه قدم علينا من قومك أهل أبيات، وقد أمرت فيهم برضخ، فاقبضه فاقسمه بينهم، فقلت: يا أمير المؤمنين لو أمرت به غيري، قال: اقبضه إليها المرء، فيبينما أنا جالس عنده أتاه حاجبه يرفأ، فقال: هل لك في عثمان عبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وفاص، يستاذنونك؟ قال: نعم فأذن لهم فدخلوا فسلموا وجلسوا، ثم جلس يرفاً سيرًا، ثم قال: هل لك في علىّ وعباس؟ قال: نعم فأذن لهم فدخلوا فسلما فجلس، فقال عباس: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا، وهما يختصمان فيما أفاء الله على رسوله × من مال بني النظير، فقال الرهط - عثمان وأصحابه: يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرج أحدهما من الآخر قال عمر: تيدكم⁽²⁾، أشدكم بالله الذي ياذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله × قال: «لا نورث، ما تركناه صدقة»، يزيد رسول الله × نفسه؟ قال الرهط: قد قال ذلك، فأقبل عمر على علىّ وعباس، فقال: أشدكم بما أتعلمان أن رسول الله × قد قال ذلك؟ قال: قد قال ذلك، قال عمر: فإني أحدثكم عن هذَا الامر، إن الله قد خص رسوله × في هذا الفئيشيء لم يعطه أحداً غيره، ثم قرأ: + وَمَا أَقَاعَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رَكَابٍ وَلَا كَنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُولَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [الحشر: 6]. فكانت هذه خالصة لرسول الله × ووالله ما احتازها دونكم، ولا استثار بها عليكم، قد أعطاكموها، وبتها فيكم، حتى بقي منها هذا المال، فكان رسول الله × ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مال الله، فعمل رسول الله × بذلك حياته، أشدكم بالله، هل تعلمون ذلك؟ قال عمر: ثم توفى الله نبيه × قال أبو بكر: أنا ولی رسول الله ×، والله يعلم أنه فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم توفى الله أبا بكر، فكنت أنا ولی أبا بكر فقضيتها سنتين من إمارتي، أعمل فيها بما عمل رسول الله × وما عمل فيها أبو بكر، والله يعلم أنني فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم جئتماني تكلماني وكلمتكم واحدة وأمركم واحد، جئته يا عباس، تسألني نصيبي من ابن أخيك، وجاءعني هذا «يريد عليّا» يزيد نصيبي أمراته من أبيها، فقلت لأكما: إن رسول الله قال: «لا نورث، ما تركناه صدقة» فلما بدا لي أن أدفعه إليكما قلت: إن شئت دفعتها إليكما، على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله × وما عمل أبو بكر، وبما عملت فيها منذ وليتها، فقلت: ادفعها إلينا، بذلك دفعتها إليكما فأشدكم بالله هل دفعتها إليهما بذلك؟ قال الرهط بنعم، ثم أقبل على علىّ وعباس فقال: أشدكم بالله هل دفعتها إليكما بذلك؟ قال: نعم، قال: فلتلمسان مني غير ذلك، فوالله الذي ياذنه تقوم السماء والأرض، لا أقضى فيها قضاء غير ذلك فإن عجزتما عنها فادفعها إلىّ، فإني أكيفكمها⁽³⁾.

ثامدًا: ترشيح عمر علىًا للخلافة مع أهل الشورى وما قاله على في عمر بعد اشهاده:

1- ترشيح على مع أهل الشورى: لما طعن عمر رضي الله عنه وظن أنه سيفارق الحياة، وأخذ المسلمين يدخلون عليه، ويقولون له: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف، فقال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر - أو الرهط - الذين توفى رسول الله × وهو عنهم راض فسمى علىًا، وعثمان، والزبير وطلحة وسعدًا وعبد الرحمن⁽⁴⁾، ثم دعا خصتهم وهم عبد الرحمن، وعثمان، وعلى فوعظهم⁽⁵⁾، إن عمر رضي الله عنه إمام وعلي

(1) المراد أنه كان السرير قد نسج وجهه بالسعف.

(2) التيد: الرفق، يقال: تيدك هذا، أي اثند.

(3) البخاري رقم 3094، مسلم 1757 واللطف للبخاري.

(4) البداية والنهاية (142/7).

(5) البخاري رقم 3700.

ه أن يستخلف الأصلح للMuslimين، فاجتهد في ذلك ورأى أن الستة الذين توفي رسول الله × وهو عنهم راضٌ أحق من غيرهم، وهو كما رأى، فإنه لم يقل أحد أن غيرهم أحق مذ هم، وجعل التعيين إليهم خوفاً أن يعين واحداً منهم، ويكون غيره أصلح لهم، فإنه ظهر له رجحان الستة دون رجحان التعيين، وقال: الأمر في التعيين إلى الستة يعيّنون أحداً م نهم، وهذا اجتهاد إمام عادل ناصح لا هوئي له رضي الله عنه، وهو نموذج واقعي لتطي بق قول الله تعالى: **وَأَمْرُهُمْ شُورَى بِيَدِهِمْ** [الشورى: 38] وقال: **وَشَأْوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ** [آل عمران: 159]، فكان ما فعله من الشورى مصلحة⁽¹⁾.

إن الفاروق رضي الله عنه رأى الأمر في الستة مقارباً فإنهم وإن كان بعضهم من الفضيلة ما ليس لبعض، فلذلك المفضول مزية أخرى ليست للأخر، ورأى أنه إذا عين واحداً فقد يحصل بولايته نوع من الخل فيكون منسوباً إليه، فترك التعيين خوفاً من الله تعالى، وعلم أنه ليس واحد أحق بهذا الأمر منهم فجمع بين المصلحتين، بين تعينهم إذ لا أحق منهم، وترك تعين واحد منهم لما تخوفه من التقصير، والله تعالى قد أوجب على العبد أن يفعل المصلحة بحسب الإمكان، فكان ما فعله غاية ما يمكن من المصلحة⁽²⁾، و لا يقال إنه يجعله الأمر شورى بين الستة قد خالف به من تقدمه كما هو زعم الشيعة الرا فضة، لأن الخلاف نوعان، خلاف تضاد وخلاف تتواء، وما فعله عمر - رضي الله عنه - من النوع الثاني⁽³⁾، وقد أقره على اجتهاده كل الصحابة ولم نسمع أحداً عارضه، وقد بسطت ما ابتكره عمر من طريقة جديدة في اختيار الخليفة من بعده في كتابي فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته وعصره، فمن أراد التوسيع فلي رجع إليه مشكوراً.

2- ما قاله على في عمر بعد استشهاده: قال ابن عباس كما هو في صحيح البخاري: وضع عمر على سريره فتكلفه الناس يدعون ويصلون، قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرع نى إلا رجل آخذ منكبي، إذا على بن أبي طالب، فترحم على عمر وقال: ما خلقت أحداً أحب إلى أن ألقى الله بمثل عمله منك، وأيم الله إن كنت لأطن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أني كنت كثيراً ما أسمع النبي × يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أذَا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر⁽⁴⁾.

3- قول على في عمر: إن عمر كان رشيد الأمر: وهو هو حرصه على عدم مخالفته بعد وفاته: عن عبد خير قال: كنت قريباً من على حيث جاء أهل نجران قال: قلت: فإذا كان راداً على عمر شيئاً فليوم، قال: فسلموا وأصطفوا بين يديه، قال: ثم أدخل بعضهم يده في كمه فأخرج كتاباً فوضعه في يد على، قالوا: يا أمير المؤمنين، خطك بيدينك وإملاء رسول الله × عليك، قال: فرأيت علياً وقد جرت الدموع على خده قال: ثم رفع رأسه إليهم فقال: يا أهل نجران، إن هذا لآخر كتاب كتبته بين يدي رسول الله ×، قالوا: فأ عطنا ما فيه، قال: سأخبركم عن ذاك؛ إن الذي أخذه عمر لم يأخذ لنفسه، إنما أخذه بجماعة من المسلمين، وكان الذي أخذه منكم خيراً مما أعطاكما والله لا أرد شيئاً مما صنعه عمر إن عمر كان رشيد الأمر⁽⁵⁾، وهذه الحادثة أصل الفقهاء عليها قولهم: لا يرد الفاضد

(1) منهاج السنة (3-162-164)، المتنقى: ص (362-364).

(2) منهاج السنة (3-162/3-164)، المتنقى: ص (362-364).

(3) عقيدة أهل السنة (1042/2).

(4) البخاري، رقم 3685.

(5) معجم البستان (5/269)، والمختصر من كتاب الموافقة: ص (139)، فقه الإمام على (2/813) - قل عن السنن للبيهقي، إسناده مرسل، الأجرى (4/1777) إسناده مرسل.

ي اجتهد قضاء من قبله عند على⁽¹⁾، وروى عنه أنه قال: أقضوا كما كنتم تقضون حتى تكونوا جماعة، فإني أخشى الاختلاف⁽²⁾، وهو قول جمهور الفقهاء⁽³⁾، وقد قال على: ما كنت لأحل عقدة شدتها عمر⁽⁴⁾.

4- إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله، فأنا أكرهه لذلك: لما فرغ على من وقعة الجمل، ودخل البصرة، وشيع أم المؤمنين عائشة لما أردات الرجوع إلى مكة، سار من ا لبصرة إلى الكوفة، فدخلها يوم الاثنين، لتنقض عشرة ليلاً خلت من رجب سنة ست وثلاثين، فقيل له: انزل بالقصر الأبيض، فقال: لا، إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله فأنا أكرهه لذلك، فنزل في الرحبة وصلى في الجامع الأعظم ركعتين⁽⁵⁾.

5- حب أهل البيت لعمر رضي الله عنه: إن من دلالة محبة أهل البيت الفاروق - رضي الله عنه - تسمية أبنائهم باسمه، حباً وإعاجباً بشخصيته، وتقديرًا لما أتى به من الأفضلية والمكارم العظيمة، ولما قدم إلى الإسلام من الخدمات الجليلة، وإقراراً بالصلات والودية الوطيدة التي تربطه بأهل بيته النبوة والرحم، والصهر القائم بينه وبينهم، فأول من سمي ابنه باسمه أمير المؤمنين على بن أبي طالب سمي ابنه من أم حبيب بنت ربيعة ال بكرية عمر⁽⁶⁾، وقد جاء في كتاب صاحب الفضول، حتى ذكر أولاد على بن أبي طالب: و عمر من التغلبية، وهي الصهباء بنت ربيعة من السبى الذي أغاث عليهم خالد بن الوليد بعد ن التمر، وعمر عمر هذا حتى بلغ خمساً وثمانين سنة فجاز نصف ميراث على رضي الله عنه، وذلك أن جميع إخوانه وأشقائه وهم عبد الله وجعفر وعثمان قتلوا جميعهم قبله مع الحسين رضي الله عنه - يعني أنه لم يقتل معهم - بالطف فورتهم⁽⁷⁾، هذا وتنتهي حسن في ذلك الحب لعمر بن الخطاب رضي الله عنهم فسمي أحد أبناءه عمر أليضاً⁽⁸⁾، وكذلك الحسين بن على سمي عمر، ومن بعد الحسين ابنه على الملقب بزین العابدين سمي أحد أبناءه باسم عمر⁽⁹⁾، وكذلك موسى بن جعفر الملقب بالكافر سمي أحد أبناءه باسم عمر⁽¹⁰⁾، فهو لاء الأمة من أهل البيت الذين ساروا على هدى النبي × ومعالم منهج أهل السنة والجماعة بسيرته لهم العطرة يظهرون لعمر الفاروق ما يكتونه في صدورهم من جدهم وولائهم له بعد وفاته ب مدّة، وقد جرى هذا الاسم وكذلك أبو بكر وعثمان في ذرية أهل البيت من ساروا على مذهب الحق وهو منهج أهل السنة والجماعة إلى يومنا هذا، ونجد أسماء الصحابة وأمهات المؤمنين في البيوت الهاشمية التي الترمّت بالكتاب والسنة، فقد سموا طلحة، وعبد الرحمن و عائشة وأم سلمة ونحن ندعو الشيعة اليوم إلى الاقتداء بعلي و الحسن والحسين وسائر الأئمة من آل البيت، فيسمون بعض أبنائهم وبنائهم بأسماء الخلفاء الراشدين، وأمهات المؤمنين⁽¹¹⁾، نرجو ذلك.

6- عمر بن الخطاب جعله الله سبباً في ذرية الحسين بن على بن أبي طالب: أعطى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - للحسين بن على رضي الله عنهم من غنائم الفر

(1) فقه الإمام على (813/2).

(2) مصنف عبد الرزاق (329/10) نقلًا عن فقه الإمام على (813/2).

(3) فقه الإمام على (813/2).

(4) المختصر من كتاب المواجهة بين أهل البيت والصحابة: ص (140) إسناده منقطع، ابن أبي شيبة في الصنف (33/12) رقم 12054.

(5) تاريخ الخلافة الراشدة، محمد كعنان: ص (383).

(6) تاريخ العقوبي (213/2)، الشيعة وأهل البيت: ص (133).

(7) الفصول المهمة: ص (143)، الشيعة وأهل البيت: ص (133).

(8) الشيعة وأهل البيت: ص (133).

(9) المصدر نفسه: ص (134).

(10) المصدر نفسه: ص (135).

(11) اذهبا فائتم الرافضة، عبد العزيز الزبير: ص (230).

س ابنة يزدجرد ملك الفرس، فولدت له زين العابدين على بن الحسين الذي لم يبق من أبناء الحسين غيره، وكل ذرية الحسين تتسلو منه وينسبون إليه⁽¹⁾، فليحذر الذين ينسبون عمر بن الخطاب ومن ينتسبون إلى الحسين، فلو لاه بعد الله لما كان لهم وجود⁽²⁾، كما أن عمر - رضي الله عنه - أعطى اختها لمحمد بن أبي بكر فكان عديلاً للحسين، وأنجبت له القاسم بن محمد بن أبي بكر فكان القاسم بن محمد بن أبي بكر، وعلى بن الحسين زيد ن العابدين أبني خالة⁽³⁾.

7- قول عبد الله بن الحسن بن على بن الحسن بن عمر⁽⁴⁾: عن حفص بن قيس، قال: سألت عبد الله بن الحسن عن المسح على الخفين، فقال: امسح، فقد مسح عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال: فقلت: إنما أسألك أنت تمسح؟ قال: ذاك أعجز لك، أخبرك عن عمر وتسألني عن رأيي، فعمر كان خيراً مني ومن ملء الأرض، فقلت: يا أبي محمد، فإن ناساً يزعمون أن هذا منكم تقية، قال: فقال لي - ونحن بين القبر والمنبر -: اللهم إن هذا قوله في السر والعلانية، فلا تسمعن على قول أحد بعدي. ثم قال: من هذا الذي يزعم أن علياً رضي الله عنه كان مقهوراً، وأن رسول الله × أمره بأمر ولم ينفذه؟ وكفى بإزاره على على ومنقصة أن يزعم أن رسول الله × أمره بأمر ولم ينفذه⁽⁵⁾.

المبحث الثالث

على رضي الله عنه في عهد عثمان بن عفان

أولاً: بيعة على لعثمان رضي الله عنه:

لم يك يفرغ الناس من دفن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حتى أسرع رهط الشورى وأعضاء مجلس الدولة الأعلى إلى الاجتماع في بيت عائشة أم المؤمنين، رضي الله عنها، وقيل أنهم اجتمعوا في بيت فاطمة بنت قيس الفهرية أخت الضحاك بن قيس، ليقضوا في أعظم قضية عرضت في حياة المسلمين - بعد وفاة عمر -، وقد تكلم القوم وبسطوا آراءهم واهتدوا بتوفيق الله إلى كلمة سواء رضي بها الخاصة والكافرة من المسلمين⁽⁶⁾، وقد أشرف على تنفيذ عملية الشورى واختيار الخليفة عبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنه، وحقق رضي الله عنه أول مظهر من مظاهر الشورى المنظمة في اختياره من يتحمل أعباء الخلافة ويسوس أمور المسلمين، فهو قد اصطنع من الآباء والصبر والاحترام وحسن التدريب ما كفل له النجاح في أداء مهمته العظمى⁽⁷⁾، وقد ركب الشورى بهم مارة وتجرد، مما يستحق أعظم التقدير⁽⁸⁾، قال الذهبي: ومن أفضل أعمال عبد الرحمن عزل نفسه من الأمر وقت الشورى، واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد، فنهض في ذلك أتم نهوض على جمع الأمة على عثمان، ولو كان محابياً فيها لأخذها لنفسه، أو لولاه ابن عمه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص⁽⁹⁾، وقد تم الاتفاق على بيعة عثمان بن عفان

(1) عمدة الطالب في أنساب أبي طالب، الفصل الثاني عنوان (عقب الحسين) نقلًا عن: اذهروا فأئتم الرافضة، ص (232).

(2) اذهروا فأئتم الرافضة، ص (232).

(3) سير أعلام النبلاء (256/6).

(4) هو عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبي طالب، أبو محمد الهاشمي كان ذا هيبة ولسان وسُرُف، وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز، توفي سنة 145هـ، الأعلام للزرکي (207/4)، تاريخ بغداد (431/9).

(5) الذهبي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعاقب لمحمد عبد الواحد المقدسي: ص (57).

(6) عثمان بن عفان، لصادق عرجون: ص (63, 62).

(7) المصدر نفسه ص: (71, 70).

(8) مجلة البحوث الإسلامية العدد 10: ص (255).

(9) سير أعلام النبلاء (86/1).

مان بعد صلاة صبح يوم البيعةاليوم الأخير من شهر ذى الحجة 23هـ/نوفمبر 644م، وكان صحيب الرومي الإمام إذ أقبل عبد الرحمن بن عوف، وقد اعتم بالعمامة التي عمها بها رسول الله ﷺ، وكان قد اجتمع رجال الشورى عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد، منهم: معاوية أمير الشام، وعمير بن سعد أمير حمص، وعمرو بن العاص أمير مصر، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر وصاحبه إلى المدينة⁽¹⁾، وجاء في رواية البخاري: فلما صلى الناس الصبح، واجتمع أولئك لرهط عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا شهد عبد الرحمن ثم قال: أما بعد، يا على إني قد نظرت في أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعل على نفسي سك سبيلاً فقال: ⁽²⁾أبايعك على سنة الله ورسوله والخلفتين من بعده، فباعيه الناس المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد والمسدون⁽³⁾، وجاء في رواية صاحب التمهيد والبيان أن على بن أبي طالب أول من بايع بعد عبد الرحمن بن عوف⁽⁴⁾.

ثانيةً: أباطيل رافضية دست في قصة الشورى:

هناك أباطيل رافضية دست في التاريخ الإسلامي في قصة الشورى وتولية عثمان لخلافة، وقد تلقفها المستشرقون وقاموا بتوسيع نشرها، وتأثر بها الكثير من المؤرخين والمفكرين المحدثين، ولم يمحصوا الروايات ويتحققوا في سندتها ومتتها، فانتشرت بين المسلمين، لقد اهتم مؤرخو الشيعة الرافضة بقصة الشورى وتولية عثمان بن عفان الخلافة ودسووا فيها الأباطيل والأكاذيب، وألف جماعة منهم كتاباً خاصة، فقد ألف أبو مخنف كتاباً في الشورى، وكذلك ابن عقدة، وابن بابويه⁽⁵⁾، ونقل ابن سعد تسع روايات من طريق الواردى في خبر الشورى وبيعة عثمان وتاريخ توليه للخلافة⁽⁶⁾، ورواية من طريق عبيد الله بن موسى تضمنت مقتل عمر وحصاره للشورى في السنة ووصيته لكل من على وعد مان إذا تولى أحدهما أمر الخلافة، ووصيته لصحابي في هذا الأمر⁽⁷⁾، وقد نقل البلاذرى خبر الشورى وبيعة عثمان عن أبي مخنف⁽⁸⁾، وعن هشام الكلبى منها ما نقله عن أبي مخنف ومنها ما تفرد به⁽⁹⁾، وعن الواقدي⁽¹⁰⁾، وعن عبيد الله بن موسى⁽¹¹⁾، واعتمد الطبرى في هذه القصة على عدة روايات منها رواية أبي مخنف⁽¹²⁾، ونقل ابن أبي الحديد بعض أحداث قصة الشورى من طريق أحمد بن عبد العزيز الجوهري⁽¹³⁾، وأشار إلى نقله عن كتاب (الشورى) الواقدي⁽¹⁴⁾، وقد تضمنت الروايات الشيعية الرافضة عدة أمور مسوسة ليس لها دليل من الصحة، وهى:

1- اتهام الصحابة بالمحاباة في أمر المسلمين: اتهمت الروايات الشيعية الرافضية

(1) شهيد الدار: ص (37).

(2) قوله: فقال: أى عبد الرحمن مخاطبًا عثمان.

(3) البخاري، ك الأحكام، رقم 7207.

(4) التمهيد والبيان ص (26).

(5) الدرية إلى تصانيف الشيعة (246/14).

(6) الطبقات الكبرى (3/63)، (3/67).

(7) الطبقات الكبرى (3/63)، (3/67).

(8) أنساب الأشراف (19)، (5/18).

(9) أنساب الأشراف (19)، (5/18).

(10) أنساب الأشراف (19)، (5/18).

(11) المصدر نفسه (6/5).

(12) أثر التشيع على الروايات التاريخية: ص (321).

(13) شرح نهج البلاغة (9/49)، (50)، (58).

(14) المصدر السابق (9/15).

الصحابة بالمحاباة في أمر المسلمين، وعدم رضا علىٰ بأن يقوم عبد الرحمن باختيار الخليفة، فقد ورد عند أبي مخنف وهشام الكلبي عن أبيه وأحمد الجوهرى أن عمر جعل ترجيح الكفتين إذا تساوتا بعد الرحمن بن عوف، وأن علياً أحس بأن الخلافة قد ذهبت منه، لأن عبد الرحمن سيقدم عثمان للمحاورة التي بينهما⁽¹⁾، وقد نفى ابن تيمية أي ارتباط في النسب القريب بين عثمان وعبد الرحمن فقال: إن عبد الرحمن ليس أخاً لعثمان ولا ابن عميه ولا من قبيلته أصلاً، بل هذا من بنى زهرة وهذا من بنى أمية، وبني زهرة إلى بنى هاشم أكثر ميلاً منهم إلى بنى أمية، فان بنى زهرة أخوال النبي ×، ومنهم عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص الذي قال له النبي ×: هذا خالي، فليرنى أمرؤ خاله⁽²⁾، فإن النبي × لم يؤاخ بين مهاجري ومهاجر، ولا بين أنصاري وأنصاري، وإنما أخي بين المهاجرين والأنصار، فأخي بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع الأنصاري⁽³⁾، وحديث مشهور ثابت في الصلاح وغيرها، يعرفه أهل العلم بذلك⁽⁴⁾، وقد بذلت الروايات الشيعية الرافضية محاباة عبد الرحمن لعثمان للمحاورة التي كانت بينهما، متباينة أن قوة النسب أقوى من المحاباة من جهة، ومن جهة أخرى تتساويا طبيعة العلاقة بين المؤمنين في الجيل الأول وأنها لا تقوم على نسب ولا معاشرة، وأما كيفية المصاهرة، التي كانت بين عبد الرحمن وعثمان فهي أن عبد الرحمن تزوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط اخت الوليد⁽⁵⁾.

2- حزب أموى وحزب هاشمي: أشارت رواية أبي مخنف إلى وقوع مشادة بين بدوى هاشم وبنى أمية أثناء المبايعة وهذا غير صحيح، ولم يرد ذلك برواية صحيحة ولا ضعيفة⁽⁶⁾، وقد انساق بعض المؤرخين خلف الروايات الشيعية الرافضية لجاجة في نفو سهم مع بطلانها سندًا ومتذرًا من جهة وثبتت روايات صحيحة تناقض ما ذهبوا إليه من جهة أخرى، وبنوا تحلياتهم الخاصة على تلك الروايات، فصورا تشاور أصحاب الرسول × في تحديد الخليفة الجديد بصورة الخلاف العشائرى وأن الناس قد انقسموا إلى حزبين؛ حزب أموى وحزب هاشمى، وهو تصور موهوم واستنتاج مردود لا دليل عليه، إذ ليس نابعًا من ذلك الجو الذي كان يعيشه أصحاب رسول الله × حينما كان يقف المهاجرى مع الأنصارى ضد أبيه وأخيه وابن عمه وبنى عشيرته، وليس نابعًا من تصور هؤلاء الصحابة وهم يضطربون بكل شيء من حطام الدنيا في سبيل أن يسلم لهم دينهم، ولا من المعرفة الصحيحة لهؤلاء النخبة من المبشرين بالجنة، فالأحداث الكثيرة التي رويت عن هؤلاء تثبت أن هؤلاء كانوا أكثراً بكثير من أن ينطلقوا من هذه الزاوية الضيقية في معالجة أمورهم، فليست القضية تمثيلاً عائلاً أو عشارياً، فهم أهل سورى لمكانتهم في الإسلام⁽⁷⁾.

3- أكاذيب نسبت زوراً وبهتاناً لعلي رضي الله عنه: قال ابن كثير: وما يذكره كثيرون من المؤرخين كابن جرير وغيره عن رجال لا يعرفون أن علياً قال لعبد الرحمن: خذ عنتي، وإنك إنما وليتنه لأنه صهرك ولি�شاورك كل يوم في شأنه، وأنه تلأكت حتى قال عبد الرحمن: إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَ ذَكْرَ إِذْمَانًا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ ذَكَرَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْقَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَدَ

(1) أثر التشيع على الروايات التاريخية: ص (322).

(2) صحيح سنن الترمذى (220/3) رقم 4018.

(3) البخارى، لك مناقب الأنصار رقم 3780.

(4) منهاج السنة النبوية (272)، (271/6).

(5) الطبقات الكبرى (127/3).

(6) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبرى: ص (177)، (178).

(7) الخلفاء الرأسدين، أمين القضاة ص 78، 79.

يُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا [الفتح: 10]، إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت في الأصحاب، فهي مردودة على قائلها ونقايلها والله أعلم، والمظنون من الصحابة خلاف ما يتوهم كثير من الرافضة وأغبياء الفُصّاص الذين لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار وضعيتها ومستقيمة ومسقية [١].

ثالثاً: المفضلة بين عثمان وعلي رضي الله عنهما:

الذي عليه أهل السنة أن من قدم علياً على أبي بكر وعمر فإنه ضال مبتدع، ومن قد نم علياً على عثمان فإنه مخطئ ولا يضللونه، ولا يبدعونه [٢]، وإن كان بعض أهل العلم قد تكلم بشدة على من قدم علياً على عثمان بأنه قال: من قدم علياً على عثمان فقد زعم أن أصحاب رسول الله × خانوا الأمانة حيث اختاروا عثمان على رضي الله عنه [٣]، وقد قال ابن تيمية: استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان، وأن كانت هذه المسألة - مسألة عثمان وعلى - ليست من الأصول التي يضل المخالف فيها عن جمهور أهل السنة، لكن المسألة التي يضل المخالف فيها هي مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله × أبو بكر، ثم عثمان، ثم على، ومن طعن في خلافة هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله [٤]، وذكر أقوال أهل العلم في مسألة تفضيل على على عثمان: فقال: فيها روايتان: إحداهما، لا يسوغ ذلك، فمن فضل علياً على عثمان خرج من السنة إلى البدعة، لمخالفته لجماع الصحابة، ولهذا قيل: من قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار، يروى ذلك عن غير واحد، منهم أبويب السختياني وأحمد بن حنبل والدارقطني، الثانية: لا يبدع من قدم علياً، لنقارب حال عثمان وعلى [٥].

رابعًا: على رضي الله عنه يقيم الحدود ويستشار في شؤون دولة عثمان رضي الله عنه:

1- إقامة على للحدود في عهد عثمان رضي الله عنهما: عن حصين بن المنذر، قال: شهدت عثمان بن عفان، وأتي بالوليد فشهد عليه رجالاً أحدهما حمران أنه شرب الْخمر، وشهد آخر أنه لم يتقى، فقال عثمان: إنه لم يتقى حتى شربها، فقال: يا على قم فاجلاه فقال على: قم يا حسن فاجله، فقال الحسن: ول حارها من تولى قارها [٦]، فكانه وجده عليه، فقال: يا عبد الله بن جعفر قم فاجله، فجلده وعلى يعذ حتى بلغ أربعين فقال: أمسك، ثم قال: جلد النبي × أربعين، وأبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكل سنة، وهذا أحب إلى [٧]. ويؤخذ من هذا الحديث أن علياً رضي الله عنه كان قريباً من عثمان ومعيناً له على طاعة الله، وكان على رضي الله عنه يقول في معرض دفاعه عن عثمان ردًا على من يعيي على عثمان بفعل المنسوب للوليد: إنكم ما تعيرون به عثمان كالطاعون نفسه ليقظل رداءه [٨]، ما ذنب عثمان في رجل قد ضربه بفعله وعزله عن عمله، وما ذنب عثمان فيما صنع عن أمرنا [٩].

2- استشارة عثمان لعلي وكبار الصحابة في فتح إفريقيا: جاء في رياض النفوس أ

(١) البداية والنهاية (152/7).

(٢) مجموعة الفتاوى (101/3)، (102).

(٣) حقبة من التاريخ لعثمان الخميس: ص (66).

(٤) مجموعة الفتاوى (101/3)، (102).

(٥) المصدر السابق (267/4).

(٦) أي: ول يشدتها وأواسلخها من ول هنئها ولذاتها.

(٧) شرح النووي على صحيح مسلم أى الحدود (216/11).

(٨) الرداء هو العون: تاريخ الطبرى (278/5).

(٩) تحقيق موافق الصحابة في الفتنة (421/1).

ن أمير المؤمنين عثمان بن عفان جاءه من واليه على مصر «عبد الله بن سعد» أن المسلمين يغيرون على أطراف إفريقية فيصيرون من عدوهم، وأنهم قربون من حوز المسلمين ن، فأعرب عثمان بن عفان رضي الله عنه- على إثر ذلك- للمسور بن مخرمة عن رغبة في بعث الجيوش لغزو إفريقية، جاء في هذا الصدد ما نصه: **فما رأيك يا ابن مخرمة؟**
قلت: اغزهم، قال: أجمع اليوم الأكابر من أصحاب رسول الله، وأستشيرهم، فما أجمعوا عليه فعلته، أو ما أجمع عليه أكثرهم فعلته. **رأيت علياً، وطلحة والزبير والعباس، وذكر رجالاً، فخلا بكل واحد منهم في المسجد، ثم دعا أبا الأعور «سعید بن زید» فقال له عثمان: لم كرهت - يا أبا الأعور - من بعثة الجيوش إلى إفريقية؟ فقال له: سمعت «عمر» يقول: لا أغزيها أحداً من المسلمين ما حملت عيناي الماء فلا أرى لك خلاف عمر، فقال له عثمان: والله ما ناخفهم وإنهم لراضون أن يقرروا في مواضعهم، فلا يغزوون، فلم يختلف عليه أحد من شاوره غيره، ثم خطب الناس، وندبهم إلى الغزو، إلى إفريقية، فخرج بعض الصحابة منهم عبد الله بن الزبير، وأبو ذر الغفارى⁽¹⁾.**

3- رأي على في جمع عثمان الناس على قراءة واحدة: جمع عثمان رضي الله عنه المهاجرين والأنصار وشاعرهم في الأمر، وفيهم أعيان الصحابة وفي طليعتهم على بن أبي طالب رضي الله عنه، وعرض عثمان رضي الله عنه هذه المعضلة على صفة الأمينة وقادتها الهدادين المهدىين، ودارسهم أمرها ودارسوه، وناقشهما فيها وناقشوه، حتى عرف رأيهما وعرفوا رأيه، وظهر الناس في أرجاء الأرض ما انعقد عليه إجماعهم، فلم يعرف قط يومذ لهم مخالف، ولا عرف عند أحد نكير، وليس شأن القرآن الذي يخفي على أحد الأمة فضلاً عن علمائها وأئمتها البارزين⁽²⁾ أن عثمان - رضي الله عنه - لم يبتدع في جمعه للمصحف، بل سبقه إلى ذلك أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - كما أنه لم يضع ذلك من قبل نفسه إنما فعله عن مشورة الصحابة، رضي الله عنهم، وأعجبهم هذا الفعل وقلوا: نعم ما رأيت، وقالوا أيضاً: قد أحسن - أي في فعله في المصاحف⁽³⁾، وقد أدرك مصعب بن سعد صاحبة النبي × حين مشق⁽⁴⁾ عثمان المصاحف فرأهم قد أعجبوا بهذا الفعل منه⁽⁵⁾، وكان على رضي الله عنه ينهى من يعيب على عثمان - رضي الله عنه - بذلك ويقول: يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً، فهو الله ما فعل الذي فعل - أي في المصاحف - إلا عن ملأ منا جميعاً، أي الصحابة.. والله لو وليت لفعل مثل الذي فعل⁽⁶⁾، وجاء في روایة أخرى عن على قوله: لما اختلف الناس في القراءة وبلغ ذلك عثمان جمعنا أصحاب رسول الله واستشارنا في جمع الناس على قراءة، فاجتمع علينا مع رأينا على ذلك، وقال بعد ذلك: لو وليت الذي ول، لصنعت مثل الذي صد

خامسًا: موقف علي رضي الله عنه في فتنة عثمان رضي الله عنه:

كانت هناك أسباب متنوعة ومتدخلة ساهمت في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه، كـ الرخاء وأثره في المجتمع، وطبيعة التحول الاجتماعي، ومجيء عثمان بعد عمر رضي الله عنهما، وخروج كبار الصحابة من المدينة، والعصبية الجاهلية، وتأمر الحافظين، والتد

⁽¹⁾ رياض النفوس (٩/٨-١) الجهاد والقتال، هيكيل (٥٥٦/١).

² عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص(175).

مشقة: أحراق (السان العذب) (344/10) فتبه معلم عمان (78/1).

(4) مسنون. آخری (مسانع العرب) (344).
(5) التاریخ الصغیر للبخاری (1/94) إسناده حسن لغيره.

⁽⁶⁾ فتح الباري (١٨/٩) إسناده صحيح.

(7) سُنَّ أَبِي ذَاوَدَ، كِ الْمَسَاحَفَ، صَ (29، 30)، إِسْنَادَه
_____ (80)

مید علی، ص (۸۰).

(٧) سنت أبي ذاود، أك المصاحف، ص (٣٠، ٢٩) إسناده صحيح، خلافة على بن أبي طالب، عبد الله ميد على، ص (٨٠).

بير المحكم لإثارة المأخذ ضد عثمان، واستخدام الوسائل والأساليب المهيجة للناس، وأثر السببية في أحداث الفتنة، وقد فصلت وشرحت تلك الأسباب في كتابي «تيسير الكريم المnan في سيرة عثمان بن عفان.. شخصيته وعصره».

لقد استخدم أعداء الإسلام في فتنة مقتل عثمان الأساليب والوسائل المهيجة للناس، من إشاعة الأراجيف حيث ترددت كلمة الإشاعة والإذاعة كثيراً، والتحريض، والمناظرة والمجادلة لل الخليفة أمام الناس، والطعن على الولاية، واستخدام تزوير الكتب واحتلاقتها على لسان الصحابة، رضي الله عنهم، عائشة وعلى وطاحنة والزبير، والإشاعة بأن على بن أبي طالب رضي الله عنه الأحق بالخلافة، وأنه الوصي بعد رسول الله ﷺ، وتنظيم فرق في كل من البصرة والكوفة ومصر، أربع فرق من كل مصر مما يدل على التدبر لمسبق، وأوهموا أهل المدينة أنهم ما جاءوا إلا بدعوة الصحابة، وصعدوا الأحداث حتى وصلت إلى القتل⁽¹⁾، وإلى جوار هذه الوسائل، استخدمو مجموعة من الشعارات منها، تكبر، ومنها أن هذا ضد المظالم، ومنها أنهم لا يقونون إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنها المطالبة باستبدال الولاية وعزلهم، ثم تطورت المطالبة إلى خلع عثمان، إلى أن تمادوا في جرائهم وطالبوا بل سارعوا إلى قتل الخليفة، وخاصة حينما وصلهم الخبر بأن أهل الأمصار قادمون لنصرة الخليفة، فزادهم حماسهم المحموم لتضيق الخناق على الخليفة، والتشوق إلى قتله بأي وسيلة⁽²⁾.

كان التنظيم السبئي بقيادة عبد الله بن سبأ اليهودي خلف تلكم الأحداث والتي بعدها، وسيأتي الحديث عنه بإذن الله، وعن عثمان الذي هز مقتله العالم الإسلامي وأثر في كثير من الأحداث إلى يومنا هذا.

1- موقف على رضي الله عنه في بداية الفتنة: استمر على – رضي الله عنه – في طريقته المعهودة مع الخلفاء، وهي السمع والطاعة والإذلاء بالمشورة والنصح، وقد عبر بنفسه عن مدى طاعته لل الخليفة عثمان والتزام أمره ولو كان شاقاً بقوله: لو سيرني عثمان إلى صرار لسمعت وأطعنت⁽³⁾، وعندما نزل المتمردون في ذى المروءة قبل مقتل عثمان بما يقارب شهرًا ونصفاً، أرسل إليهم عثمان علياً ورجل آخر لم تسمه الروايات والذى قي بهم على رضي الله عنه فقال لهم: تعطون كتاب الله، وتعتبون من كل ما سخطتم، فوافقوا على ذلك⁽⁴⁾، وفي رواية أنهم شادوه مرتين أو ثلاثة، ثم قالوا: ابن عم رسول الله ﷺ، ورسول أمير المؤمنين يعرض عليكم كتاب الله فقبلوا⁽⁵⁾، فاصطلحوا على خمس: على أدنى المنفي يقلب، والمحروم يعطي، ويوفر الفى، ويعدل في القسم، ويستعمل ذو الأمانة والقوة، وكتبوا بذلك في كتاب، أن يرد ابن عامر على البصرة، وأن يبقى أبو موسى على الكوفة⁽⁶⁾، وهكذا اصطلاح عثمان – رضي الله عنه – مع كل وفد على حدة ثم انصرفت إلى وفود إلى ديارها⁽⁷⁾، وبعد هذا الصلح وعودة أهل الأمصار جميعاً راضيين تبين لمشعل الفتنة أن خطتهم قد فشلت، وأن أهدافهم الدينية لم تتحقق، لذا خططوا تحطيطاً آخر - يذكر في الفتنة ويعييها - يقتضي تدمير ما جرى من صلح بين أهل الأمصار، وعثمان رضي الله عنه، ويرز ذلك فيما يأتي:

في أثناء طريق عودة أهل مصر، رأوا راكباً على جمل يتعرض لهم، ويفارقهم فكا

(1) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص (410).

(2) المصدر نفسه، ص (402).

(3) مصنف ابن أبي شيبة (225/15)، سنه صحيح.

(4) تاريخ دمشق ترجمة عثمان ص (338)، تاريخ خليفة، ص (169).

(5) فتنة مقتل عثمان (129/1).

(6) المصدر نفسه (129/1).

(7) المصدر نفسه (329/1).

نه يقول: خذوني، فقضوا عليه، وقالوا له: مالك؟ فقال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عماله بمصر، ففتثووه فإذا هم بكتاب على لسان عثمان، رضي الله عنه، ففتحوا الكتاب فإذا فيه أمر بصلبهم أو قتلهم أو تقطيع أيديهم وأرجلهم، فرجعوا إلى المدينة حتى وصلوه⁽¹⁾ ، ونفي عثمان، رضي الله عنه، أن يكون كتب هذا الكتاب، وقال لهم: إنهم اشتبهوا: أن تقيموا رجلين من المسلمين أو يمين بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمللت، ولا علمت ، وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقض الخاتم، فلم يصدقوه⁽²⁾ ، وهو الصادق البار^إ غایة في نفوسيهم، وهذا الكتاب الذي زعم هؤلاء المتمردون البغاء المنحرفون أنه من عثمان وعليه خاتمه يحمله غلامه على واحد من إبل الصدقه إلى عامله بمصر ابن أبي سرح، يأمر فيه بقتل هؤلاء الخارجين هو كتاب مزور مكتوب على لسان عثمان وذلك لعدة أمور منها⁽³⁾: كيف علم العراقيون بالأمر وقد اتجهوا إلى بلادهم، وفصلتهم عن المصريين - الذين أمسكوا بالكتاب المزعوم- مسافة شاسعة، فالعراقيون في الشرق والمصريون في الغرب، ومع ذلك عادوا جميعاً في آن واحد، كأنما كانوا على ميعاد؟ لا يعقل هذا إلا إذا كان الذين زوروا الكتاب واستأجروا راكباً ليحمله ويمثل الدور في البوبب أمام المصريين، قد استأجروا راكباً آخر انطلق إلى العراقيين ليخبرهم بأن المصريين قد اكتشفوا كتاباً بعث فيه عثمان لقتل المنحرفين المصريين، وهذا ما احتج به على بن أبي طلحة رضي الله عنه فقد قال: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقى أهل مصر وقد سرتם مراحل ثم طويتم نحونا⁽⁴⁾، بل إن علياً يجزم: هذا والله أمر أبرم بالمدينة⁽⁵⁾.

إن هذا الكتاب المشئوم ليس أول كتاب يزوره هؤلاء المجرمون، بل زوروا كتبًا عديدة لسان أمهات المؤمنين، وكذلك على لسان على وطلحة والزبير، وهذه عائشة، رضي الله عنها، تذهب بأنها كانت إلى الناس تأمرهم بالخروج على عثمان فتفتي وتقول: لا والله يأمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سوداء في بيضاء حتى جلس مجلس هذا⁽⁶⁾، ويعقب الأعمش فيقول: فكانوا يرون أنه كتب على لسانها⁽⁷⁾، ويتهم الوافدون عليهما بأنه كتب إليهم أن يقدموا عليه بالمدينة، فينظر ذلك عليهم ويقسم: والله ما كتبت إليك م كتابا⁽⁸⁾، كما ينسب إلى الصحابة بكتابه الكتب إلى أهل الأمصار يأمرونهم بالقدوم إليهم ، فدين محمد قد فسد وترك ، والجهاد في المدينة خير من الرباط في الشعور البعيدة⁽⁹⁾، ويعلق ابن كثير على هذا الخبر قائلاً: وهذا كذب على الصحابة، وإنما كتبت كتب مزورة عليهم، فقد كتب من جهة على وطلحة والزبير إلى الخوارج- قتلة عثمان- كتب مزورة عليهم أنكروها، وكذلك زور هذا الكتاب على عثمان أيضا، فإنه لم يأمر به، ولم يعلم به⁽¹⁰⁾، ويؤكد كلام ابن كثير ما رواه الطبرى وخليفة من استكار كبار الصحابة- على عائشة والزبير- أنفسهم لهذه الكتب في أصح الروايات⁽¹¹⁾. إن الأيدي المجرمة التي زورت الرسائل الكاذبة على لسان أولئك الصحابة هي نفسها التي أوقدت نار الفتنة من أولها إلى آخرها، ورمت ذلك الفساد العريض، وهي التي زورت وروجت على عثمان تلك الأباطيل، وأنه فعل وفعل، ولقتها للناس، حتى قبela الراعي، ثم زورت على لسان عثما

(1) تاریخ الطبری (379/5)

² فتنة مقتل عثمان (132/5)، البداية والنهاية (191/7).

⁽³⁾ تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان للصلابي، ص (410).

تاریخ اطبری (4) تاریخ الطبری (5)

٦) تحقيق موافق الصحابة (334/1).
٧) تاريخ الطبرى (359/5).

٦) الحسيني موافق الصحابة (٣٣٤/١).
 ٧) تاريخ خليفة بن خياط، ص (١٦٩)

⁽⁸⁾ تحقيق مواقف الصحابة (335/1)، البداية والنهاية (191/7).

تحقيق موافق الصحابة (1)
الذاتية (10) (175/7)

(10) البداية والنهاية (175/7)
 (11) تحقيق ملaquee, المراجعة (335/1)

(١١) نحيف موافق الصحابه (٣٣٥/١)

ن ذلك الكتاب، ليذهب عثمان ضحية إلى ربه شهيداً سعيداً، ولم يكن عثمان الشهيد هو المجنى عليه وحده في هذه المؤامرة السبئية اليهودية، بل الإسلام نفسه كان مجنىً عليه قبل ذلك، ثم التاريخ المشوه المحرف، والأجيال الإسلامية التي تلقت تاريخها مشوهاً هـى كذلك من جنى عليهم الخبيث اليهودي، وأعوانه من أصحاب المطامع والشهوات والحق الدفين، أما أن لأجيال الإسلامية أن تعرف تاريخها الحق، وسير رجالاتها العظام؟ بل ألم يأن لمن يكتب في هذا العصر من المسلمين أن يخاف الله ولا يتجرأ على تجريح ا لأبراء قبل أن يتحقق ويدقق حتى لا يسقط كما سقط غيره⁽¹⁾.

2- موقف على رضي الله عنه أثناء الحصار: اشتد الحصار على عثمان رضي الله عنه، حتى منع من أن يحضر للصلوة في المسجد، وكان صابراً على هذه البلوى التي أصابته كما أمره رسول الله × بذلك، وكان مع إيمانه القوى بالقضاء والقدر، يحاول أن يجد حلّاً لهذه المصيبة، فنراه تارة يخطب الناس عن حرمة دم المسلم، وأنه لا يحل سفكه إلا بحقه، وتارة يتحدث في الناس ويظهر فضائله وخدماته الجليلة في الإسلام، ويستشهد على ذلك ببقية العشرة رضوان الله عليهم⁽²⁾ وكأنه يقول: من هذا عمله وفضله هل ممكناً أن يطمع بالدنيا ويقدمها على الآخرة؟ وهل يعقل أن يخون الأمانة ويعيث بأموال الأمة ودمائها وهو يعرف عاقبة ذلك عند الله وهو الذي تربى على عين النبي × والذى شهد له ورثاه وكذلك أفضل الصحابة، أهكذا تكون معاملته؟!

واشتدت سيطرة الثوار على المدينة حتى أنهم ليصلون بالناس في أغلب الأوقات⁽³⁾، وحينما أدرك الصحابة أن الأمر ليس كما حسبوها، وخشوا من حدوث ما لا يحمد عقباه، وقد بلغهم أن القوم يريدون قتله، فعرضوا عليه أن يدافعوا عنه، ويخرجوا الغوغاء عن المدينة، إلا أنه رفض أن يراق دم سببته⁽⁴⁾، وأرسل كبار الصحابة أبناءهم دون استشارة عثمان، رضي الله عنه، ومن هؤلاء الحسن بن علي رضي الله عنهما، وعبد الله بن الزبير ر حيث تذكر بعض الروايات أن الحسن حُمل جريحاً من الدار⁽⁵⁾، كما جرح غير الحسن عبد الله بن الزبير، ومروان بن حاطب، ومروان بن الحكم، كما كان معهم الحسين بن علي وابن عمر رضي الله عنهم⁽⁶⁾، وقد كان على من أدفع الناس عن عثمان، رضي الله عنه، وشهد له بذلك مروان بن الحكم⁽⁷⁾، أقرب الناس إلى عثمان رضي الله عنه، وألا سقطهم به في تلك المحنقة القاسية الآلية، وقد أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله، رضي الله عنه، أن علياً أرسل إلى عثمان فقال: إن معي خمسمائة دارع، فأذن لي، فأمنعني أك من القوم، فإنك لم تحدث شيئاً يستحل به دمك، فقال: جزيت خيراً، ما أحب أن يهرا ق دم في سببي⁽⁸⁾، وقد وردت روايات عديدة تقيد وقوفه بجانب عثمان، رضي الله عنهما، أثناء الحصار، فمن ذلك: أن الثنرين منعوا عن عثمان الماء حتى كاد أهله أن يموتونا عطشاً، فأرسل على رضي الله عنه إليه بثلاث قرب مملوءة ماء، فما كادت تصل إليه، وجرح بسببها عدة من مواليبني هاشم وبني أمية حتى وصلت⁽⁹⁾، ولقد تسارعت الأحداث فوثب الغوغاء على عثمان وقتلوه، رضي الله عنه، وأرضاه، ووصل الخبر إلى الصاحبة وأكثرهم في المسجد، فذهبت عقولهم، وقال على لأبنائه وأبناء إخوانه: كيف قتل ع

(1) عثمان بن عفان الخليفة الشاكر الصابر، ص (228، 229).

(2) خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد على، ص (85).

(3) سير أعلام النبلاء (515/3).

(4) فتنه مقتل عثمان (167/1)، المسند (396/1) أحمد شاكر.

(5) الطبقات لابن سعد (128/8) بسند صحيح.

(6) تاريخ خليفة، ص (174).

(7) تاريخ الإسلام للذهبي، الخلفاء الرashدون، ص (460، 461) إسناده قوى.

(8) تاريخ دمشق، ص (403).

(9) أنساب الأشراف للبلادرى (67/5).

ثمان وأنتم على الباب؟ ولطم الحسن، وكان قد جرح⁽¹⁾ وضرب صدر الحسين، وشتم ابن الزبير وابن طلحة، وخرج غضبان إلى منزله ويقول: تبدأ لكم سائر الدهر، اللهم إني أبرأ إليك من دمه أن أكون قتلت أو ملأت على قتلته⁽²⁾، وهكذا كان موقف على رضي الله عنه، نصحاً وشورى، سمعاً وطاعة، وفقة قوية بجانبه أثناء الفتنة، ومن أدفع الناس عنده، ولم يذكره بسوء قط، يحاول الإصلاح وسد الخرق بين الخليفة والخارجين عليه، لكن الأمر فوق طاقته، وخارج إرادته، إنها إرادة الله عز وجل أن يفوز أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه بالشهادة⁽³⁾.

3- المصاهرات بين آل على وآل عثمان رضي الله عنه: لم يكن بينبني هاشم وبذر أمية من المبغضة والعداوة والمنافرة التي اخترعها وابتكرها أعداء الإسلام والمسلمين ن ونسجوا الأساطير والقصص حولها، ولقد اتضح لكل منصف أن بنى أمية مع بنى هاشم علاقتهم فيما بينهم علاقة أبناء العمومة والإخوان والخلان، فهم من أقرب الناس فيما بينهم، يتداولون الحب والتقدير والاحترام، ويتقاسمون الهموم والألام والأحزان، فبنوا أمية وبنو هاشم كلهم أبناء أب واحد، وأحفاد جد واحد، وأغصان شجرة واحدة قبل الإسلام وبعد الإسلام، وكلهم استقوا من عين واحدة ومنبع صاف واحد، وأخذوا الشمار من دين الله الحنيف الذي جاء به رسول الله الصادق الأمين، المعلم، المربى، خاتم الأنبياء والمرسلين، ولقد كان بين أبي سفيان وبين العباس صداقة يضرب بها الأمثال⁽⁴⁾، كما كانت بينهما المصاهرات قبل الإسلام وبعدده، فلقد زوج رسول الله × بنته الثمار من الأربعة من بنى أمية؛ من أبي العاص بن الربيع وهو من بنى أمية، ومن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن عمّان، وهو مع ذلك ابن بنت عمّة رسول الله × التي ولدت مع والد رسول الله عليه الصلاة والسلام عبد الله بن عبد المطلب توأميين أروى بنت كريز بن حبيب بن عبد شمس وهي أم عثمان وأمها أم حكيم وهي البيضاء بنت عبد المطلب عمّة النبي ×، هذا ولقد تزوج بعد عثمان بن عفان، رضي الله عنه، من بنى هاشم ابنه أبيان بن عثمان، وكأنه تزوجه أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر (الطيار) بن أبي طالب شقيق على رضي الله عنههما⁽⁵⁾، وحفيدة على، وبنت الحسين سكينة كانت متزوجة من حفيد عثمان زيد بن عمرو بن عثمان، رضي الله عنهم أجمعين، وحفيدة على الثانية وابنة الحسين فاطمة كانت متزوجة من حميد عثمان الآخر، محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وكانت أم حبيبة بنت أبي سفيان سيد بنى أمية متزوجة من سيد بنى هاشم وسيد ولد آدم رسول الله الصادق الأمين كما هو معروف، كما أن هند بنت أبي سفيان كانت متزوجة من الحارث بن نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم فولدت له ابنه محمد⁽⁶⁾.

وتزوجت لبابة بنت عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، العباس بن على بن أبي طالب، ثم خلف عليها الوليد بن عتبة (ابن أخي معاوية) ابن أبي شيبة⁽⁷⁾، وتزوجت رملة بنت محمد بن جعفر - الطيار - بن أبي طالب سليمان بن هشام بن عبد الملك (الأموي) ثم أبا القاسم بن وليد بن عتبة بن أبي سفيان⁽⁸⁾، كذلك تزوجت ابنة على بن أبي طالب رملة من ابن مروان بن الحكم⁽⁹⁾ بن أبي العاص بن أمية، فقد كانت رملة بنت على عند أبي الـ

(1) ابن أبي عاصم، الأحاديث الشهاني (125/1) نقلًا عن خلافة على، ص(87).

(2) مصنف ابن أبي شيبة (209/15) إسناده صحيح.

(3) خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد على ص(87).

(4) الشيعة وأهل البيت ص (141).

(5) المعارف للدينوري، ص (86)، الشيعة وأهل البيت ص (141).

(6) طبقات ابن سعد (15/5)، الإصابة (3/58، 59).

(7) نسب قريش، ص (123)، الشيعة وأهل البيت، ص (143).

(8) الشيعة وأهل البيت، ص (143).

(9) الشيعة وأهل البيت، ص (143).

هياج.. ثم خلف عليها معاوية بن مروان بن الحكم بن أبي العاص⁽¹⁾، وتزوجت حفيدة علی بن أبي طالب من حفيض مروان بن الحكم، ففقيحة بنت زيد بن الحسن بن علی بن أبي طالب تزوجها الوليد بن عبد الملك بن مروان فتوفيت عنده، وأمها لبابية بنت عبد الله بن عباس⁽²⁾، وقد اكتفيت ببيان بعض منها، وفيها كفاية لمن أراد الحق والتبصر⁽³⁾.

سادسًا: من أقوال على في الخلفاء الراشدين:

إن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم قد أجمع على صحتها وانعدادها الصحابة الكرام، ومن طعن في أحد منهم فقد خالف قول الله تعالى:

+وَمَنْ يُشَاقِقُ الرَّسُولَ مَنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَبَعُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نَوْلَهُ مَا تَوَلَّهُ وَنَصْلُهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصَدِيرًا [النساء: 115]، قوله النبي ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدىين، عضوا على هما بالنواحي» فهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم ومن اتباعهم بإحسان⁽⁴⁾، وما أحسن ما قاله أليوب السختياني في هذا المقام حيث قال: من أحب أبو بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ومن أحب عثمان فقد استثار بنور الله عز وجل، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن أحسن القول في أصحاب محمد فقد برئ من النفاق⁽⁵⁾.

قال الشاعر:

كما رضيت عتيقاً صاحب الغار	إني رضيت عليه قدوة علمًا
وما رضيت بقتل الشيخ في الدار	وقد رضيت أبا حفص وشيعته
فهل على بهذا القول من عار	كل الصحابة عندي قدوة علم
إلا لوجهك أعتقني من النار ⁽⁶⁾	إن كنت تعلم أني لا أحبهم

هذا وقد جاءت الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة في العلاقة المتميزة بين على والخلفاء الراشدين، رضي الله عنهم، وقد تم توضيح ذلك في الصفحات الماضية، وهذه بعض الأدلة نصيفها إلى ما سبق من براهين ساطعة على مكانة الخلفاء الراشدين عند أمير المؤمنين على رضي الله عنه.

1- سيداً كهول أهل الجنة وشبابها: عن على رضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ، فأقبل أبو بكر وعمر، فقال: يا على، هذان سيداً كهول أهل الجنة، وشبابها، بعد النبي ن والمرسلين⁽⁷⁾.

ما أضمر لهما إلا الذي أتعنى المضى عليه: عن سويد بن غفلة، قال: مررت بنفر من الشيعة يتناولون أبا بكر وعمر فدخلت على على[ؑ] فقلت: يا أمير المؤمنين، مررت بنفر من أصحابك آنفًا يتناولون أبا بكر وعمر بغير الذي هما له من الأمة أهل، فلو لا أنك

(1) جمهرة أنساب العرب ص (87)، نسب قريش، ص (45).

(2) طفقات ابن سعد (234/5).

(3) الشيعة وأهل البيت، ص (144).

(4) الشريعة للأجرى (1768/4).

(5) المصدر نفسه (1773، 1772/4).

(6) المصدر نفسه (2536/5).

(7) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم 602 حديث صحيح وهذا إسناد حسن.

تُضْمِرُ على مثل ما أعلناه عليه ما تجرعوا على ذلك فقال على: ما أضرر لهم إلا الذي أتمني المضي عليه، لعن الله من أضرر لهم إلا الحسن الجميل، ثم نهض دامع العين يبكي، قابضًا على يدي حتى دخل المسجد، فصعد المنبر وجلس عليه متذملاً قابضًا على لحيته ينظر فيها وهي بيضاء، حتى اجتمع له الناس، ثم قام فخطب خطبة موجزة بلغة، ثم قال: ما بال قوم يذكرون سيدى قريش وأئبى المسلمين؟ أنا مما قالوا برىٌ، وعلى ما قالوا مُعاقب، ألا والذي فلق الحبة وبرا النسمة، لا يحبهما إلا مؤمن تقى، ولا يبغضهما إلا فاجر ردي، صحب رسول الله على الصدق والوفاء، يأمران وينهيان وما يجاوزان فيما يصنعا رأى رسول الله، ولا كان رسول الله يرى بمثل رأيهما، ولا يحب كجهما حدًا، قضى رسول الله × وهو عنهم راضٍ، ومضيا المؤمنون عنهما راضون، أمر رسول الله أبا بكر لصلاة المؤمنين فصلى بهم تسعة أيام⁽¹⁾ في حياة رسول الله ×، فلما قبر ضن الله تعالى نبيه × واختار له ما عنده، ولاه المؤمنون أمرهم، وقضوا إليه الزكاة، لأذنها مقرونان، ثم أعطوه البيعة طائعين غير كارهين، أنا أول من سن ذلك من بنى عبد الله مطلب، وهو لذلك كاره يود أن أحدهنا كفاه ذلك، وكان والله خير من بقى، أرحمه رحمة، وأرأفه رأفة، وأثبته ورعاً، وأقدمه سنًا وإسلاماً.. فسأر فينا سيرة رسول الله × حتى مرضى على ذلك، ثم ولى عمر الأمر من بعده، فمنهم من رضي، ومنهم من كره، فلم يفارق الدنيا حتى رضي به من كان كرهه، فأقام الأمر على منهاج النبي × وصاحبيه، يتبع الأئم ما كتبوا الفصل⁽²⁾ أمه، وكان والله رفيقاً رحيمًا، وللمظلومين عوناً راحماً وناصراً، لا يخاف في الله لومة لأنم، ضرب الله بالحق على لسانه، وجعل الصدق من شأنه، حتى كنا نظن أن ملكاً ينطق على لسانه، أعز الله بإسلام الإلحاد، وجعل هجرته للدين قد واماً، ألقى الله تعالى له في قلوب المنافقين الرهبة، وفي قلوب المؤمنين المحبة.. إلى أن قال: فمن لكم بمثلهما - رحمة الله عليهما - ورزقنا المضي على سبيلهما، فإنه لا يبلغ مبلغهما إلا باتباع أثارهما والحب لهما، ألا فمن أحبنى فليحبهما، ومن لم يحبهما فقد أبغضني، وأنا منه بريء، ولو كنت تقدمت إليكم في أمرهما لما عاقتني على هذا أشد العقوبة، ولكن لا ينبغي أن أعقاب قبل التقدم، ألا فمن أتيت به يقول هذا بعد اليوم، فإن عليه ما على المفترى، ألا وخير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر وعمر، ولو شئت سميت الثالث، وأستغفر ر الله لي ولكم⁽³⁾.

3- هذا عثمان بن على سميته بعثمان بن عفان: عن أبي سعيد الخدري: نظرت إلى غلام أيفع⁽⁴⁾، له ذؤابة⁽⁵⁾ وجمة⁽⁶⁾، والله يعلم أني منه حيننذ لفي شك، ما أدرى غلام هو أم جارية، فمررنا بأحسن منه وهو جالس إلى جنب على فقلت: عافاك الله، من هذا الفتى إلى جانبك؟ قال: هذا عثمان بن على سميته بعثمان بن عفان، وقد سميت بعمر بن الخطاب، وسميت بعباس عم رسول الله، وقد سميت بخير البرية محمد، فاما حسن وحسين ومحمد⁽⁷⁾ فإنما سماهم رسول الله وعَقَّ عنهم وحَلَقَ رَعْسَهُم⁽⁸⁾، وتصدق وزنها وأمر بهم فسموا وختنوا⁽⁹⁾، فقد ولدوا في عهده عليه الصلاة والسلام ورسول الله هو الذي سماهم

(1) في الأصل سبعة، وورد تصويبها في الهاشم.

(2) القصيل ولد الناقة إذا قصل عن أيامه.

(3) النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب، ص (43)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة لـ للأكتاب رقم (4456).

(4) أيفع: سارف الاحتلال.

(5) الذؤابة: هي الشعر المضفور من شعر الرأس.

(6) الجمة من سعر الرأس: ما سقط على المنكبين.

(7) مسند أحمد (115/2) رقم (769) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(8) المختصر من كتاب المواقف، ص (141).

(9) وختنوا: الختن للرجال، والخفض للنساء، المختصر من كتاب المواقف، ص (141).

وعق عنهم.

4- أبو بكر وعمر وعثمان، رضي الله عنهم، كان لهم بالنبي اختصاص عظيم: قد عرف بالتواتر الذي لا يخفي على العامة والخاصة أن أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنه لهم كان لهم بالنبي × اختصاص عظيم، وكانوا من أعظم الناس اختصاصاً به، وصحبة له وقربة إليه، وقد صاحرهم كلامه وكان يحدهم ويثنى عليهم، وحينئذ فاما أن يكونوا على الاستقامة ظاهراً وباطناً في حياته وبعد موته، وإما أن يكونوا بخلاف ذلك في حياته، أو بعد موته، فإن كانوا على غير الاستقامة مع هذا القرب فأحد الأمراء لازم، إما عدم علم به بأحوالهم، أو مداهنته لهم، وأيهمما كان فهو من أعظم القدر في الرسول × كما قيل:

فإن كنت لا تدرى فتلك مصيبة أعظم

وإن كانوا انحرفوا بعد الاستقامة فهذا خذلان من الله للرسول في خواص أمته، وأكابر أصحابه، ومن وعد أن يظهر دينه على الدين كله، فكيف يكون أكابر خواصه مرتدين؟ فهذا ونحوه من أعظم ما يقدح به الرافضة في الرسول × كما قال الإمام مالك وغيره: إنما أراد هؤلاء الرافضة الطعن في الرسول × ليقول القائل: رجل كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلاً صالحًا لكان أصحابه صالحين، ولهذا قال أهل العلم: إن الرافضة دسيسة الزندقة⁽¹⁾.

5- ما يترتب عليه من مذهب الرافضة من تكfir الصحابة: إن مذهب الرافضة في تكير الصحابة يترتب عليه تكير أمير المؤمنين لتخليه عن القيام بأمر الله، ويلزم عليه إسقاط تواتر الشريعة، بل بطلانها ما دام نقلتها مرتدون، ويؤدي إلى القدر في القرآن العظيم، لأنهم وصلنا عن طريق أبي بكر وعمر وعثمان وإخوانهم، وهذا هو هدف واضح هذه المقالة، ولذلك قال أبو زرعة: إذا رأيت الرجل ينقض أحداً من أصحاب رسول الله × فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول × حق والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن وألسن أصحاب رسول الله ×، وإنما يرددون أن يجرحوا شهودنا ليبطروا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة⁽²⁾، ولذلك اعترفت كتب الشيعة أن الذي وضع هذه المقالة هو ابن سينا فقالت: إنه أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم، وادعى أن علياً عليه السلام أمره بذلك⁽³⁾.

6- قرائن عملية وأدلة واقعية على حقيقة العلاقة بين علي والخلفاء الراشدين: قامت القرائن العملية والأدلة الواقعية من سيرة أمير المؤمنين على في علاقته مع إخوانه أبي بكر وعمر وعثمان مما اشتهر وذاع نقله، وقد نقلنا منه الكثير فيما مضى ما يثبت المحبة الصادقة والإباء الحمييم بين هذه الطبيعة المختارة، والصفوة من جيل الصحابة، رضوا ن الله عليهم، وتأتي في مقدمة هذه الأدلة القرآن تزويج أمير المؤمنين على ابنته أم كلثوم لأمير المؤمنين عمر⁽⁴⁾، فإذا كان عمر فاروق هذه الأمة قد صار عند الشيعة الروافض أشد كفراً من إيليس، أفلابيرجعون إلى عقولهم ويتذرون فساد ما ينتهي إليه مذهبهم؟ إذ لو كان أبو بكر وعمر، رضي الله عنهم، كافرین كما يفترضون لكان على بتزویجه ابنته أم كلثوم الكبیر من عمر، رضي الله عنه، كافراً أو فاسقاً معرضًا بنته للزنا، لأن وطء الكافر للمسلمة زنا محض⁽⁵⁾، والعاقل المنصف البريء من الغرض، الصادق في

(1) منهاج السنة (123/4)، أصول مذهب الشيعة (931/2).

(2) الكفاية، ص (49).

(3) المقالات والفرق الفقهى ص (20) نقل عن أصول مذهب الشيعة (933/2).

(4) أصول مذهب الشيعة (932/2).

(5) المصدر نفسه (932/2).

محبته للنبي × وأهل بيته واتباعه لهم لا يملك إلا الإذعان لهذه الحقيقة، حقيقة الولاء والحب بين الخلفاء الأربع، رضوان الله عليهم، ولذلك لما قيل لمعز الدولة أحمد بن بوبيه- وكان رافضياً يشتم صحابة رسول الله - إن علياً- رضي الله عنه - زوج ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب، استعظم ذلك وقال: ما علمت بهذا، وتاب وتصدق بأكثر ماله وأعق مماليكه ورد كثيراً من المظالم وبكي حتى غشي عليه⁽¹⁾، لشعوره بعظم جرمه فيما سلف من عمره، الذي أمضاه ينوه في أعراضه هؤلاء الأطهار مغترّاً بشبهات الروافض⁽²⁾، وقد حاول شيوخ الشيعة الروافض إبطال مفعول هذا الدليل فوضعوا روایات مكذوبة على لسان الأئمة تقول: ذلك فرج غصبناه⁽³⁾، فزادوا الطين بلة، حتى صوروا أمير المؤمنين في صورة «الديوث» الذي لا ينافح عن عرضه، ويقر الفاحشة في أهله، وهل يتصور مثل هذا في حق أمير المؤمنين على بطل الإسلام؟ إن أدنى العرب ليذل نفسه دون عرضه، ويقتل دون حرمته، فكيف يثبتون لأمير المؤمنين وابنته حفيدة رسول الله × مذل هذه المنقصة الشنيعة، وهو الشجاع الصنديد، ليث بنى غالب، أسد الله في المشارق والمغارب⁽⁴⁾.

ويبدو أن بعضهم لم يتعجب من هذا التوجيه، فرام التخلص من هذا الدليل بمنطق أغرب وأعجب، حيث زعم أن أم كلثوم لم تكن بنت على ولكنها جنية تصورت بصورتها⁽⁵⁾، فإذا بما يستخف به أصحاب العقول ويستطيع كل من أراد أن يدعى على من يكرهه بأنه جニー أو جنية، وهذا يعيش الناس في الخرافات وتضيع الحقيقة.

ومن القرائن أيضاً علاقات القربى القائمة بينهم، ووسائل الصلة، وكذلك مظاهر المحبة، حتى إن علياً والحسن والحسين- كما مر معنا- يسمون بعض أولادهم باسم أبي بكر وعمر، وهل يطيق أحد أن يسمى أولاده بأسماء أشد أعدائه كفرًا وكرهًا له؟ وهل يطيق أن يسمع أسماء أعدائه تتعدد في أرجاء بيته يرددوها مع أهله في يومه مرات وكرات⁽⁶⁾.

إن أمير المؤمنين علياً - رضي الله عنه - لا يحظى عنه الصحابة ومنتبعهم من التابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين إلا محبة أبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنه - في حياتهم، وفي خلافتهم وبعد وفاتهم، فاما في خلافتهم فسامع لهم مطيع، يحبهم ويحبونه، ويعظم قدرهم ويعظمون قدره، صادق في محبتهم، مخلص في الطاعة لهم، يجاهد من يجاهدون، ويحب ما يحبون، ويكره ما يكرهون يتسخيرونه في النوازل فيشير مشورة ناصح مشفق محب، فكثير من سيرتهم بشورة جرت⁽⁷⁾، وهم يبادلونه نفس الشعور ويقال، إنه لا يجتمع حب أبي بكر وعمر وعثمان وعلى إلا في قلوب أتقىء هذه الأئمة⁽⁸⁾، وقال سفيان الثوري: لا يجتمع حب عثمان وعلى رضي الله عنهما إلا في قلوب نبلاء الرجال⁽⁹⁾، وقال أنس بن مالك: قالوا: إن حب عثمان وعلى رضي الله عنهما لا يجتمعان في قلب مؤمن، كذبوا فقد جمع الله عز وجل حبهما بحمد الله في قلوبنا⁽¹⁰⁾.

(1) المنتظم (38/7).

(2) أصول مذهب الشيعة (937/2).

(3) فروع الكافي (10/2)، أصول مذهب الشيعة (937/2).

(4) مؤتمر النجف للسويدى، ص (86) نفلاً عن أصول مذهب الشيعة (937/2).

(5) الآثار النعمانية (83/1)، نفلاً عن أصول مذهب الشيعة (938/2).

(6) أصول مذهب الشيعة (938/2).

(7) الشريعة للأجرى (2312/5).

(8) الشريعة للأجرى (2312/5).

(9) حلية الأولياء (32/7).

(10) الشريعة للأجرى (2315/5) إسناده صحيح.

سابعاً: وصف لأصحاب النبي × في القرآن الكريم:

قال تعالى: +مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَانٌ بِيَنْهُمْ تَرَاهُمْ رُكُعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضُوا أَنَّا سَيِّدُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَأَهُ فَازْرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوْيَ عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّدَّا لِحَادَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا" [الفتح: 29].

ومن المناسب أن أختتم هذا الفصل بهذه الآية الكريمة لتكون دليلاً على ما ذكرته من حبة والرحمة والتعاون بين الخلفاء الراشدين والصحابة الكرام، وهذه الآية تتضمنت ذكر منزلة رسول الله × بالثناء، ثم ثنى الله تعالى فيها بالثناء على سائر الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين، فذكر تعالى أن صفاتهم الشدة والغلظة على أهل الكفر، كما وصفهم بالترابم والتعاط ف فيما بينهم، ووصفهم بأنهم يكثرون من الأعمال الصالحة المقرونة بالإخلاص وسعة الرجاء، وفي مقدمة تلك الأعمال الصالحة إكثارهم من الصلاة ابتغاء الحصول على فضل من الله ورضوانه، كما بين - سبحانه - أن آثار ذلك تظهر على وجوههم +سِيمَاهُمْ فِي وَجْهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ" والسيمما أي العلامة، وقد قيل بها بياض يكون في الوجه يوم القيمة، قاله الحسن وسعيد بن جبير وهي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواية أخرى عنه وعن مجاهد: السيماء في الدنيا هو السمت الحسن «وعن مجاهد أيضاً: هو الخشوع والتواضع»⁽¹⁾.

وهذه الأقوال لا منافاة بينها؛ إذ يمكن أن يكون في الدنيا هو السمت الذي ينشأ عن التواضع والخشوع، وفي الآخرة يكون في جيابهم نور⁽²⁾، قال ابن كثير: فالصحابية - رضي الله عنهم - خلصت نياتهم وحسنلت أعمالهم، فكل من نظر إليهم أحبه في سماتهم وهديهم، وقال مالك، رضي الله عنه: بلغني أن النصاري كانوا إذا رأوا الصحابة، رضي الله عنهم - الذين قد حروا الشام - يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا، وصدقوا في ذلك، فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المقدمة وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ×، وقد نوه الله - تبارك وتعالى - بذركهم في الكتب المنزلة والأخبار المتدوالة، ولهذا قال - سبحانه - ههنا: +مِنْهُمْ فِي التَّوْرَاةِ" ثم قال: +وَمِنْهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَأَهُ" أي: فراخه +فَازْرَهُ" أي: شده وقواه +فَاسْتَغْلَظَ" أي: شب وطال +فَاسْتَوْيَ عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَاعَ" أي: فكذلك أصحاب رسول الله × أزروه وأيدوه ونصروه، فهم معه كالشطء مع الزرع +لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ" ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمة الله عليه في رواية عنه تحفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم، قال: لأنهم يغبطون به، ومن غاظه الصحابة رضي الله عنهم، فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء على ذلك .. ثم قال تبارك وتعالى .. +وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّدَّا لِحَادَاتِ مِنْهُمْ" أي: ثواباً جزيلاً ورزقاً كريماً، ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا يبدل، وكل من اتفق أثر الصحابة رضي الله عنهم فهو في حكمهم ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة رضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس ملأواهم وقد فعل⁽³⁾ وف ي قوله - سبحانه - في حق الصحابة الكرام رضي الله عنهم +لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ" أخط ر حكم وأغلظ تهديد وأشد وعيد في حق من غيظ بأصحاب رسول الله ×، أو كان في قلبه غ

(1) تفسير الطبرى (110/26، 111)، تفسير القرطبي (293/16).

(2) تفسير الطبرى (112/26).

(3) تفسير ابن كثير (365/6).

ل لهم⁽¹⁾، وأما قوله تعالى في ختام الآية: +وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَدُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ مَنْهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرًا عَظِيمًا" فيها وعد من الله تعالى لجميع الصحابة بالجنة، وكذلك كل من آمن وعمل الصالحت من أمة الإجابة؛ إذ هذا الوعد لجميع المؤمنين إلى يوم القيمة⁽²⁾، وكلمة «منهم» في الآية السابقة: «من» لبيان الجنس وليس للتبسيط، قال ابن تيمية: لا ريب إن هذا مدح لهم بما ذكر من الصفات وهو الشدة على الكفار والرحمة بينهم والركوع والسجود بيتغون فضلاً من الله ورضوانه، والسيماء في وجههم من أثر السجود وأنهم يبتعدون من ضعف إلى كمال القوة والاعتدال كالزرع، والوعد لهم بالمغفرة والأجر العظيم ليس على مجرد هذه الصفات، بل على الإيمان والعمل الصالح، فذكر ما به يستحقون الوعد، وإن كانوا كلهم بهذه الصفة، ولو لا ذكر ذلك لكان يظن أنهم بمجرد ما ذكر يستحقون المغفرة، ولم يكن فيه بيان سبب الجراء بخلاف ما إذا ذكر الإيمان والعمل الصالح، فإن الحكم إذا علق باس م مشتق مناسب كان ما منه الاشتقاق سبب الحكم⁽³⁾.

إن ما ذكرته في هذا الفصل ينسجم كلياً مع حديث القرآن الكريم عن الرحمة بين الصحابة والشدة على الكفار، وخصوصاً بين الخلفاء الراشدين، فهم السادة الكرام، وعليه القوم، وقادة الأمة بعد وفاة نبيها، فالحد من الروايات الضعيفة والقصص الموضوعة التي اختلقها أعداء الأمة ليشوهوها به تاريخ صدر الإسلام، أصدق الروايات الكاذبة والقصص الواهية التي تصور العداء بين الخلفاء الراشدين أم نصدق كتاب ربنا وما جاء في حقهم على لسان نبينا وما يوافقه مما دونه العلماء الثقات من أهل السنة والجماعة؟

قال تعالى: +وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" [الأفال: 63] ، فهذا وصف القرآن الكريم لحقيقة الألفة بين قلوب الصحابة، فهي منحة ربانية ونعمات أطاها الله لذلك الجيل الظاهر لا دخل لبشر فيها، وبين القرآن الكريم أن الألفة بين الصحبة نعمة من الله تعالى امتن بها على رسول الله ﷺ، وهذا التصوير القرآني لحقيقة الصحبة ينسجم مع الروايات الصحيحة التي تبين محبة الصحابة والمودة بينهم، وبذلك يقتضي ح أمر الذين وضعوا الروايات المكذوبة والموضوعة، والآية تشمل كل من سار على هذه القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين، قال ابن عباس: قربة الرحم تقطع، ومنه المنعم تکفر، ولم نر مثل تقارب القلوب⁽⁴⁾.

قال الشاعر:

ولقد صحبت الناس ثم خبرتهم
فإذا القرابة لا تقرب قاطعاً
وبلوت ما وصلوا من الأسباب
وإذا المودة أقرب الأسباب⁽⁵⁾

الفصل الثالث
بيعة على رضي الله عنه
وأهم صفاته وحياته في المجتمع
المبحث الأول
بيعة على رضي الله عنه

(1) قيس من هدي الإسلام، عبد المحسن العباد، ص (86).

(2) عقيدة أهل السنة في الصحابة (76/1).

(3) منهاج السنة (158/1).

(4) الدر المنشور في تفسير المأثور (100/4).

(5) الدر المنشور في تفسير المأثور (100/4).

أولاً: كيف تمت بيعة على رضي الله عنه:

تمت بيعة على رضي الله عنه بالخلافة بطريقه الاختيار وذلك بعد أن استشهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان، رضي الله عنه، على أيدي الخارجين المارقين الشاذون الذين جاءوا من الأفاق، ومن أمصار مختلفة، وقبائل متباينة لا سابقة لهم، ولا أثر خير في الدنيا ، وبعد أن قتلوه رضي الله عنه ظلماً وزوراً وعدواناً، يوم الجمعة لثمني عشرة ليلة مضت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين⁽¹⁾. قام كل من بقى بالمدينة من أصحاب رسول الله × بمبايعة على رضي الله عنه بالخلافة، وذلك لأنه لم يكن أحد أفضل منه على الإطلاق في ذلك الوقت، فلم يدع الإمامة لنفسه أحد بعد عثمان، رضي الله عنه، ولم يكن أبو السبطين، رضي الله عنه، حريصاً عليها، ولذلك لم يقبلها إلا بعد إلحاح شديد من بقى من الصحابة بالمدينة، وخوفاً من ازدياد الفتنة وإشارتها، ومع ذلك لم يسلم من نقد بعض الجهال إثر تلك الفتنة كموقعة الجمل وصفين التي أودى نارها وأنشأها الحاقدون على الإسلام كابن سباء وأتباعه الذين استخفهم فأطاعوه، لفسقهم ولزيغ قلوبهم عن الحق والهدى، وقد روى الكيفية التي تم بها اختيار على رضي الله عنه للخلافة بعض أهل العلم⁽²⁾، فقد روى أبو بكر الخالل بإسناده إلى محمد ابن الحنفية قال: كنت مع على رحمه الله وعثمان محصر قال: فأنا رجل فقال: إن أمير المؤمنين مقتول الساعة، قال: فقام على رحمه الله، قال محمد: فأخذت بوسطه تخوفاً عليه فقال: خل لا ألم لك، قال: فأتي على الدار، وقد قتل الرجل رحمة الله، فأتي داره فدخلها فأغلق بابه، فأنا الناس فضرروا عليه الباب فدخلوا عليه فقالوا: إن هذا قد قتل، ولابد للناس من خليفة ولا نعلم أحداً أحقر بها منك، فقل لهم على: لا تريدوني لكم وزيرًا خيراً مني لكم أميرًا، فقالوا: لا والله لا نعلم أحداً أحقر بها منك، قال: فإن أبيتم على فإن بيوعي لا تكون سرًا، ولكن أخرج إلى المسجد، فبأيعه الناس⁽³⁾، وفي رواية أخرى عن سالم ابن أبي الجعد عن محمد ابن الحنفية: فأنا ه أصحاب رسول الله فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل ولابد للناس من إمام ولا نجد أحداً أحقر بها منك أقدم مشاهد، ولا أقرب من رسول الله × فقال على: لا تفعلوا فإني لكم وزيرًا خيراً مني أميرًا، فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتى نباعيك، قال: ففي المسجد فإنه ينبغي ليبيعي لا تكون خيباً ولا تكون إلا عن رضا المسلمين، قال: فقال سالم بن أبي الجعد: فقال عبد الله بن عباس: فقد كرهت أن يأتيي المسجد كراهية أن يشعّب عليه، وأبي هو لا المسجد، فلما دخل المسجد جاء المهاجرون والأنصار فباعوا وباعوا الناس⁽⁴⁾.

ومن هذه الآثار الصحيحة بعض الدروس والعبر والفوائد منها:

1- نصرة على بن أبي طالب رضي الله عنه لعثمان رضي الله عنه ودفاعه عنه، وهذا متواتر عن على رضي الله عنه، بل كان أكثر الناس دفاعاً عن عثمان، رضي الله عنه، جاء ذلك بأسانيد كثيرة، وشهد بذلك مروان بن الحكم حيث قال: ما كان في القوم أحدٌ عن صاحبنا من أصحابكم يعني عليه عن عثمان⁽⁵⁾.

2- زهد على رضي الله عنه في الخلافة وعدم طلبه لها أو طمعه فيها، واعتزاله في بيته حتى جاءه الصحابة يطلبون البيعة.

3- إجماع الصحابة من المهاجرين والأنصار والناس عامة في المدينة على بيته،

(1) الطبقات لابن سعد (31/3).

(2) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (677/2).

(3) كتاب السنة لأبي بكر الخالل، ص (425).

(4) الخالل في السنة، ص (416) رجال الإسناد ثقات.

(5) بيعة على بن أبي طالب مالك الخالدي، ص (2) نقلًا على تاريخ الذهبي عهد الخلفاء الراشدين، ص (460) إسناده قوي.

ويدخل في هؤلاء أهل الحل والعقد، وهم الذين قصدوا عليهما وطلبوها منه أن يوافق على البيعة، وألحوا عليه حتى قبلها، وليس للغوغاء وقتلة عثمان كما في بعض الروايات الضعيفة والموضوعة.

4- إن عليهما كان أحق الناس بالخلافة يومئذ، ويدل على ذلك قصد الصحابة له، وإلحاحهم عليه، ليقبل البيعة، وتصر لهم بأنهم لا يعلمون أحق منه بالخلافة يومئذ.

5- أهمية الخلافة، ولذلك رأينا أن الصحابة أسرعوا في تولية على، وكان يقول: لو لا الخشية على دين الله لم أجدهم⁽¹⁾.

6- إن الشبهة التي أدخلوها على بيعة على، كون الخوارج الذين حاصروا عثمان، وشارك بعضهم في قتله، كانوا في المدينة، وأنهم أول من بدعوا بالبيعة وأن طلحة والزبير رأيا مكرهين، وهذه أقوال المؤرخين، لا تقوم على أساس وليس لها سند صحيح، والصحيف أنه لم يجد الناس بعد أبي بكر وعمر وعثمان كالرابع قدرًا وعلماً وتقى ودينًا، وبسبباً وجهاً، فعزز عليه المهاجرون والأنصار، ورأى ذلك فرضًا عليه، فانقاد إليه، ولو لا الإسراع بعقد البيعة لعلي، لأدى ذلك إلى فتن واختلافات في جميع الأقطار الإسلامية، فكان من مصلحة المسلمين أن يقبل على البيعة مهما كانت الظروف المحيطة بها، ولم يتخلَّف عن على أحد من الصحابة الذين كانوا بالمدينة، وقد خلط الناس بين تخلف الصحابة عن المسير معه إلى البصرة وبين البيعة؛ أما البيعة فلم يتختلف أحد عنها، وأما المسير معه فتختلفوا عنه لأنها كانت مسألة اجتهادية⁽²⁾، كما أن عليهما لم يلزمهم بالخروج منه كما سيأتي التفصيل بإذن الله عند حديثنا عن موقعة الجمل.

7- لا بد من الحذر من مبالغات الإخباريين التي تزعم أن المدينة بقيت خمسة أيام بعد مقتل عثمان وأميرها الغافقي بن حرب يلتسمون من يجيئهم إلى القيام بالأمر فلا يوجدون⁽³⁾ أن وتزعم أن الغوغاء من مصر عرضت الأمر على علىٰ فرفضه، وأن خوارج الكوفة عرضوا الخلافة على الزبير، فلا يجدونه، ومن جاء من البصرة عرضوا على طلحة البيعة، فهذا لا يثبت أمام الروايات الصحيحة، ولا يصح إسناده⁽⁴⁾، كما أن المعروف تمكِّن الصحابة من المدينة وقدرتهم على القضاء على الغوغاء لولا طلب عثمان، رضي الله عنه، بالكف عن استخدام القوة ضدهم. وقد فصلت ذلك في كتابي تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان، وال الصحيح أن بيعة على كانت عن طوعانية و اختيار من المسئلين وليس لأهل الفتنة دور في مبادعية على، وإنما كل من كان من الصحابة في المدينة⁽⁵⁾ هم الذين اختاروا أمير المؤمنين عليهما.

8- بلغت الروايات الصحيحة والشواهد في بيعة على إحدى عشرة رواية⁽⁶⁾، كما سيأتي تفصيل بعضها بإذن الله.

ثانيًا: أحقيَّة على بالخلافة:

إن أحق الناس بالخلافة بعد أبي بكر وعمر وعثمان، رضي الله عنهم، هو على بن أبي طالب رضي الله عنه، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة، وهذا ما يجب على المسلم اعتقاده والديانة لله به في شأن ترتيب الخلافة الراسدة، وقد ورد الإيماء إلى أحقيَّة خلافة على رضي الله عنه في كثير من النصوص الشرعية منها:

(1) فتح الباري (75/13) إسناده صحيح، بيعة على، ص(105).

(2) المدينة النبوية، محمد شراب (311/2).

(3) تاريخ الطبرى (432/4).

(4) استشهاد عثمان ووفاة الجمل د. خالد الغيث، ص 140-136.

(5) استشهاد عثمان ص (240).

(6) بيعة على بن أبي طالب، ص (122).

1- قال تعالى: +وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ أَمْنَوْا مِنْكُمْ وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتُهُنْ خَلْفَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكَّنَنَّ لَهُمْ دِيْنُهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا» [النور: 55]، وهو جه الاستدلال بها على حقيقة خلافة على رضي الله عنه أنه أحد المستخلفين في الأرض الذين مكن الله لهم دينهم.

2- قوله ×: «عَلَيْكُمْ بِسْنَتِي وسنة الخلفاء الراشدين المهدىين من بعدى تمسكوا بـها وعضوا عليها بالنواجذ»⁽¹⁾ ووجه الدلالة في هذا الحديث على أحقيه خلافة على رضي الله عنه أنه أحد الخلفاء الراشدين المهدىين الذين أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وحافظوا على حدود الله وأقاموا الصلاة واتوا الزكاة وساروا بسيرة رسول الله × في العدل وإقامة الحق.

3- قوله ×: «خَلْفَةُ النَّبِيِّ ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ يُؤْتَى اللَّهُ الْمَلَكُ مِنْ يَشَاءُ»⁽²⁾، وفي هذا الحديث إشارة إلى أحقيه على رضي الله عنه حيث إن خلافته كانت آخر الثلاثين من مدة خلافة النبوة التي حددتها النبي × في هذا الحديث وبموجب هذا قال أهل العلم⁽³⁾ قال أحمد بن حنبل: حديث سفيينة في الخلافة صحيح، إليه أذهب في الخلفاء⁽⁴⁾، وقال عبد الله بن أحمد: قال لأبي: إن قوماً يقولون إنه ليس بخليفة، قال: هذا قول سوء رديء فقال: أصحاب رسول الله كانوا يقولون له: يا أمير المؤمنين أفننكذبهم؟ وقد حج وقطع ورجم فيكون هذا إلا خليفة؟⁽⁵⁾

- وقال ابن تيمية في حديث سفيينة: وهو حديث مشهور من روایة حماد بن سلمة وعبد الوارث بن سعيد والعام بن حوشب عن سعيد بن جمهان عن سفيينة مولى رسول الله ×، رواه أهل السنن كأبي داود وغيره، واعتمد عليه الإمام أحمد وغيره في تقرير خلافة الخلفاء الراشدين الأربع، وثبته أحمد واستدل به على من توقف في خلافة على من أجل افتراق الناس عليه، حتى قال أحمد: من لم يربع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله ونهى عن مناكحته⁽⁶⁾.

وقال شراح الطحاوية: ونشئت الخلافة بعد عثمان لعلي رضي الله عنهما لما قتل عثمان وبايع الناس علياً صار إماماً حقاً واجب الطاعة، وهو الخليفة في زمانه خلافة نبوة، كما دل عليه حديث سفيينة أنه قال: قال رسول الله ×: «خَلْفَةُ النَّبِيِّ ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ يُؤْتَى اللَّهُ مَلْكُه مِنْ يَشَاءُ»⁽⁷⁾.

4- عن عكرمة قال لي ابن عباس ولابنه على: انطلاقاً إلى أبي سعيد فاسمعوا من حديثه، فانطلقت فإذا هو في حاطن يصلحه، فأخذ رداءه فاحتبى، ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى على ذكر بناء المسجد فقال: كنا نحمل لبنية لبنيه وعمار لبنيتين، فرأى النبي × ينفض التراب عن نه ويقول: وبح⁽⁸⁾ عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، قال:

(1) سنن أبي داود (4/201)، الترمذى (44/5) حسن صحيح.
(2) صحيح ابن حبان رقم 6657، الطبراني في الكبير 6442، السلسلة الصحيحة للألبانى (1/742-749).

(3) عقيدة أهل السنة والجماعة (686/2).

(4) السنة لعبد الله بن حنبل، ص (235).

(5) السنة لعبد الله بن حنبل، ص (235)، عقيدة أهل السنة في الصحابة (686/2).

(6) هذه الرسالة بالمكتبة الظاهرية بخطه في مسودته نقلاً عن عقيدة أهل السنة والجماعة (286/2).

(7) شراح الطحاوية، ص (545)، السلسلة الصحيحة (1/742-749).

(8) وبح كلمة رحمة نقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها، والوبح: ترحم، غريب الحديث لابن الجوزي

(8) (486/2)، لطائف في غريب الحديث (5/485)، النهاية في غريب الحديث (5/235).

يقول عمار: أَعُوذ بِاللّٰهِ مِنَ الْفَتْنَةِ⁽¹⁾، وَفِي رَوَايَةِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ لِعُمَرَ حِينَ جَعَلَ يَحْفَرُ الْخَنْدَقَ وَجَعَلَ يَمْسَحُ رَأْسَهِ وَيَقُولُ: بُؤْسِي⁽²⁾ ابْنُ سَمِيَّةَ تَقْتَلُكَ فَهَذَا بَاغِيَةٌ⁽³⁾ قَالَ ابْنُ تَيمِيَّةَ بَعْدَ ذَكْرِهِ لِقَوْلِهِ × تَقْتَلُ عَمَارَ الْفَتْنَةَ الْبَاغِيَّةَ⁽⁴⁾ وَهَذَا يَدِلُ عَلَى صَحَّةِ إِمَامَةِ عَلَى وَجْهِ وَبِ طَاعَتِهِ وَأَنَّ الدَّاعِيَ إِلَى طَاعَتِهِ دَاعٌ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْدَّاعِيَ إِلَى مَقَاتَلَتِهِ دَاعٌ إِلَى النَّارِ وَإِنْ كَانَ مَتَّأْوِلًا، أَوْ بَاغَ بِلَا تَأْوِيلٍ، وَهُوَ أَصْحَاحُ الْقَوْلِيْنَ لِأَصْحَابِنَا وَهُوَ الْحُكْمُ بِتَخْطِئَةِ مَنْ قَاتَلَ عَلَيْنَا، وَهُوَ مَذْهَبُ الْأَمَّةِ الْفَقِيْهَاءِ الَّذِيْنَ فَرَعُوا عَلَى ذَلِكَ قَتْلَ الْبَغَاءِ الْمَتَّأْوِلِيْنَ قَالَ، وَعِنْدَمَا أَنْكَرَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ عَلَى الشَّافِعِيِّ اسْتَدَلَّ لَهُ بِسِيرَةِ عَلَى فِي قَتْلِ الْبَغَاءِ الْمَتَّأْوِلِيْنَ قَالَ: أَيْجَ عَلَى طَلْحَةَ وَالزَّبِيرَ مَعًا بَغَاءً؟ رَدَ عَلَيْهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فَقَالَ: وَيَحْكُمُ وَأَيْ شَيْءٍ يَسْعَهُ أَنْ يَصْنَعَ فِي هَذَا الْمَقَامِ يَعْنِي: إِنْ لَمْ يَقْتُدْ بِسِيرَةِ عَلَى فِي ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ سَنَةُ الْخُلُفَاءِ الرَّاشِدِينَ فِي قَتْلِ الْبَغَاءِ – إِلَى أَنْ قَالَ – وَلَمْ يَتَرَدَّ أَحْمَدُ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَمَّةِ السَّنَةِ فِي ذَلِكَ⁽⁵⁾. فَلَا وَقَالَ قَاتِلُ: إِنْ قَتْلَ عَمَارَ كَانَ بِصَفَيْنِ، وَهُوَ مَعَ عَلَى، وَالَّذِيْنَ قَتَلُوهُ مَعَ مَعَاوِيَةَ، وَكَانَ مَعَهُ جَمَاعَةً مِنَ الصَّحَابَةِ فَكَيْفَ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الدَّعَاءُ إِلَى النَّارِ، فَالْجَوَابُ أَنَّهُمْ كَانُوا ظَانِيْنَ أَذْهَبُوهُمْ يَدْعُونَ إِلَى الْجَنَّةِ وَهُمْ مُجْتَهِدوْنَ لَا لَوْمَ عَلَيْهِمْ فِي اتِّبَاعِ ظَنُونِهِمْ، فَالْمَرْادُ بِالْدَّعَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ الدَّعَاءُ إِلَى سَبِيْلِهَا وَهُوَ طَاعَةُ الْإِمَامِ، وَكَذَلِكَ كَانَ عَمَارُ يَدْعُوهُمْ إِلَى طَاعَةِ عَلَى، وَهُوَ الْإِمَامُ الْوَاجِبُ الْطَّاعَةُ إِذْ ذَاكَ، وَكَانُوا هُمْ يَدْعُونَ إِلَى خَلْفِ ذَلِكَ لِكُونِهِمْ مَعْذُورِيْنَ لِلَّهِ وَيَلِ الذَّيْ ظَهَرَ لَهُمْ⁽⁶⁾.

قال النووي بعد قوله ×: بؤسی ابن سمية تقتلک فته باغیة⁽⁷⁾, قال العلماء: هذا الحديث حجة ظاهرة في أن علياً رضي الله عنه كان محقاً مصيبياً، والطائفة الأخرى بغاة، لكنهم مجتهدون، فلا إثم عليهم لذلك . وفيه معجزة ظاهرة لرسول الله × من أوجه: منها: أن عماراً يموت قتيلاً، وأنه يقتله مسلمون، وأنهم بغاة، وأن الصحابة يقاتلون وأنهم يكونون فرقتين باغية وغيرها، وكل هذا وقع مثل فلق الصبح، صلى الله وسلم على رسوله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى⁽⁸⁾.

5- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ×: «تمرق مارقة عن فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق» وفيه أيضاً: أنه قال: تكون في أمتي فرقتان فتخرج من بينهما مارقة يلي قتلهم أولاً لهم بالحق، وجاء بلفظ: قال: تمرق مارقة في فرقة من الناس فيلي قتلهم أولى الطائفتين بالحق. وجاء بلفظ: يخرجون على فرقاً مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق⁽⁹⁾، قوله ×: على حين فرقـة - بضم الفاء - أي: في وقت افتراق الناس أي: افتراق يقع بين المسلمين، وهو الافتراق الذي كان بين على ومعاوية رضي الله عنهما⁽¹⁰⁾، والمراد بالفرقـة المارقة هـم أهل النهـر وـأن كانوا في مـعسكر على رضي الله عنهـ في حـرب صـفينـ، فـلما انتـقـ علىـ ومعاوية علىـ تحـكـيمـ الحـكمـيـ نـ خـرجـواـ وـقـالـواـ: إـنـ عـلـيـاـ وـمـعـاوـيـةـ اـسـتـبـقاـ إـلـىـ الـكـفـرـ كـفـرـسـيـ رـهـانـ، فـكـفـرـ مـعـاوـيـةـ بـقـتـالـ عـلـىـ ثـمـ كـفـرـ عـلـىـ بـتـحـكـيمـ الـحـكـمـيـنـ، وـكـفـرـواـ طـلـحةـ وـالـزـبـيرـ، فـقـتـلـتـهـمـ الطـائـفةـ الـذـينـ كـانـوـاـ مـعـ عـلـىـ، وـقـدـ شـهـادـتـهـ النـبـيـ ×ـ أـنـ الطـائـفةـ الـتـيـ تـقـاتـلـهـمـ أـقـرـبـ إـلـىـ الـحـقـ، وـهـذـهـ شـهـادـةـ مـنـ النـبـيـ ×ـ

. (447) رقم الإخاري (1)

2) كأنه ترجم له من الشدة التي يقع فيها.
أ - ق (2225)

3 مسلم رقم (2235)
4 مسلم رقم (2235)

4 مسلم رقم (2235)
5 محمد بن الفتاوی (37/4)

(5) مجموع الفاوی (437/4)، (438).

(6) فتح النار، (542/1).

فیض ابیری (۵۴۲/۱) ۰۷ مسلم رقم (۲۲۳۵)

8) شرح النووى على ص

8) سرّح النّووي على صحيح مسلم (40/18، 41).
9) هذه الأحاديث في صحيح مسلم (745/2، 746).

(٩) هذه الأحاديث في صحيح مسلم (١٦٦/٧)، صحيح البخاري (٢٤٥/٧)، صحيح مسلم (١٦٦/٧).

(١٠) سرچ اسکوپی علی صحيح مسم (۱۰۰۷).

لعله وأصحابه بالحق، وهذا من معجزات النبي × لكونه أخبر بما يكون، فكان على ما قال، وفيه دلاله واضحة على صحة خلافة على رضي الله عنه وخطأ من خالقه⁽¹⁾.

ثالثاً: بيعة طلحة والزبير رضي الله عنهم:

عن أبي بشير العابد قال: كنت بالمدينة حين قتل عثمان، رضي الله عنه، واجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير فأتوا علياً، فقالوا: يا أبا الحسن هلم نبايعك، فقال: لا حاجة لي في أمركم، أنا معكم، فمن اخترتم فقد رضيت به.. فاختاروا، فقالوا والله ما اختار غيرك⁽²⁾.. إلخ الرواية وفيها تمام البيعة لعلي - رضي الله عنه - والروايات في هذا كثيرة ذكر بعضها ابن جرير في تاريخه⁽³⁾، وهي دالة على مبايعة الصحابة- رضي الله عنهم - لعلي رضي الله عنه، واتفاقهم على بيعة من فيهم طلحة والزبير، كما جاء مصراحًا به في الرواية السابقة، وأما ما جاء في بعض الروايات من أن طلحة والزبير ربايعا مكرهين، فهذا لا يثبت بنقل صحيح، والروايات الصحيحة على خلافه⁽⁴⁾، فقد روى الطبرى عن عوف بن أبي جميلة قال: أما أنا فأشهد أنى سمعت محمد بن سيرين يقول: إن علياً جاء فقال لطلحة: أبسط يدك يا طلحة لأبائك. فقال طلحة: أنت أحق، وأنت أمير المؤمنين، فابسط يدك، فبسط على يده فباعيه⁽⁵⁾، وعن عبد خير الخيوانى أنه قام إلى أبي موسى فقال: يا أبا موسى هل كان هذان الرجالن - يعني طلحة والزبير - من من بايع علياً؟ قال: نعم⁽⁶⁾، كما نص على بطلان ما يدعى من أنها بايعا مكرهين، الإمام المحقق ابن العربي وذكر أن هذا مما لا يليق بهما، ولا يعطي، قال- رحمه الله: فإن قيل بايد ما مكرهين «أي طلحة والزبير»، قلنا: حاشا الله أن يكرها، لهما ولمن بايعهما ولو كانوا مكرهين ما أثر ذلك، لأن واحد واثنين تتعقد البيعة بهما وتنتم، وهذا اجتهاد مروود، ومن بايع بعد ذلك فهو لازم له، وهو مكره على ذلك شرعاً، ولو لم يبايعا ما أثر ذلك فيهما، ولا في بيعة الإمام، وأما من قال: يد شلاء وأمر لا يتم⁽⁷⁾، فذلك ظن من القائل أن طلحة أولاً من بايع ولم يكن كذلك، فإن قيل فقد قال طلحة: بايuter واللنج على قفي! قلنا: اخترع هذا الحديث من أراد أن يجعل في (اللقا) لغة (فقى)، كما يجعل في (الهوى) (هوى) وتنك لغة هذيل لا قريش⁽⁸⁾، فكانت كذبة لم تدبر، وأما قوله: (يد شلاء) لو صح فلا متعلق لهم فيه، فإن يداً شلت في وقاية رسول الله × يتم لها كل أمر، ويتوقفى بها من كل مكروه، وقد تم الأمر على وجهه، ونفذ القدر بعد ذلك على حكمه⁽⁹⁾. إن الروايات التي تقول بأن طلحة والزبير أكرهوا على البيعة باطلة⁽¹⁰⁾، وهناك روايات صحيحة أشارت - كما ذ

(1) منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين لابن قدمة، ص (76) نقلًا عن عقيدة أهل السنة والجماعة (683/2).

(2) تاريخ الطبرى (449/5) إسناد الرواية حسن لغيره، حملة رسالة الإسلام الأولون، محب الدين الخطيب، ص (57).

(3) انظر: تاريخ الطبرى (450-448/5) وقد قام بجمع هذه الروايات ودرسها الدكتور محمد أم prez، تحقيق موافق الصحابة (59/2-59/1).

(4) الانصار للصحاب والآل، ص (236). (5) تاريخ الطبرى (456/5) الانصار للصحاب والآل، ص (236).

(6) تاريخ الطبرى (517/5) إشارة إلى ما جاء في بعض الروايات: أن أول من بايع علياً طلحة - رضي الله عنهم - وكان بيده اليمنى شلال، لما وفى بها رسول الله × يوم أحد، فقال رجل في القوم: أول يد بايuter أمير المؤمنين شلاء لا يتم هذا الأمر، تاریخ الطبرى (457/5)، البداية والنهاية (237/7).

(7) وقيل لغة طيء: ذكره ابن الأثير في النهاية (94/4) وكذلك اللنج ليس من لغة قريش بل من لغة طيء، قال ابن الأثير: هو بالضم: السيف بلغة طيء، النهاية (234/4) وقيل: هو السيف بلغة هذيل وطوانف من اليمن، لسان العرب (354/2).

(8) العواسم من الفوادص ص (148)، (149).

(9) استشهاد عثمان ص (141).

(10) استشهاد عثمان ص (141).

كرت – إلى بيعتهم العلى رضي الله عنهم، وهناك روایة صحيحة أوردها ابن حجر⁽¹⁾، عن طريق الأحنف بن قيس وفيها أن عائشة وطلحة والزبير، رضوان الله عليهم، قد أمروا الأحنف بمبایعه على رضي الله عنه بعدما استشارهم فيمن ببايع بعد عثمان رضي الله عنه⁽²⁾.

إن سابقة على – رضي الله عنه – وفضله، والتزامه بأحكام الكتاب والسنة، وتمسكه الشديد بالعمل بهما، وتعهده في خطبه بتطبيق الأوامر والنواهي الشرعية، ما كان ليفتاح لأحد باب الطعن في ولائيته على المسلمين، ويمكن القول إن علياً كان أقوى المرشحين للإمامية بعد مقتل عمر – رضي الله عنه – فالفارق عينه في السنة الذين أشار بهم، وهو واحد منهم، على أن الأربعية من رجال الشورى، وهم عبد الرحمن، وسعد، وطلحة والزبير بتنازلهم عن حقهم فيها له ولعثمان تركوا المجال مفتوحاً أمام الآتين، فلم يبق إلا هو وعثمان، وهذا إجماع من أهل الشورى على أنه لو لا عثمان ل كانت لعلي، وبعد موته عثمان، وقد قدمه ورجحه أهل دار الهجرة صار مستحضاً للخلافة، على أنه لم يكن أحد من أصحاب رسول الله × الموجودين في ذلك الحين أحق بالخلافة منه – رضي الله عنه – فهو من السابقين والمهاجرين الأوليين، وابن عم رسول الله، وصهره، بالإضافة إلى ذلك له من القدرة والكفاءة ما لا ينكر، وله من الشجاعة والإقدام والذكاء والعقلية القضائية النادرة، والحزم في المواقف، والصلابة في الحق، وبعد نظره في تصريف الأمور، فكل هذه العوامل تجعله بلا منازع المرشح الوحيد لإمامية المسلمين في تلك الفترة الحساسة من حياته⁽³⁾، ومع هذا كله فإن خلافته صحت بعدما انعقد إجماع المهاجرين والأنصار عليه ومبایعهم له.

رابعاً: انعقاد الإجماع على خلافة على رضي الله عنه:

انعقد إجماع أهل السنة والجماعة على أن علياً رضي الله عنه كان متعيناً للخلافة بعد عثمان رضي الله عنه لبيعة المهاجرين والأنصار له، لما رأوا لفضله على من بقي من الصحابة، وأنه أقدمهم إسلاماً، وأوفرهم علمًا، وأقربهم بالنبي × نسباً، وأشجعهم نفساً وأحبهم إلى الله ورسوله، وأكثرهم مناقب وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة وأشرفهم منزلة، وأشهدهم برسول الله × هدياً وسمداً، فكان رضي الله عنه متعيناً للخلافة دون غيره، وقد قام من بقي من أصحاب النبي × بالمدينة بعقد البيعة له بالخلافة بالإجماع، فكان حينئذ إماماً حقاً وجب على سائر الناس طاعته وحرم الخروج عليه ومخالته، وقد نقل الإجماع على خلافته كثير من أهل العلم منهم:

1- نقل محمد بن سعد: إجماع من له قدم صدق وسابقة في الدين ممن بقي من أصحاب النبي × بالمدينة على بيعة على رضي الله عنه حيث قال: وبivity على بن أبي طالب رحمه الله بالمدينة الغد من يوم قتل عثمان بالخلافة، ببايعه طلحة والزبير، وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعمار بن ياسر، وأسامه بن زيد، وسهيل بن حنيف، وأبو أيوب الأنصاري، ومحمد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، وخزيمة بن ثابت وجمع بيع من كان بالمدينة من أصحاب رسول الله × وغيرهم⁽⁴⁾.

2- ذكر ابن قدامة رحمه الله، أن الإمام أحمد، رحمه الله، روى بإسناده عن عبد الرزاق عن محمد بن راشد عن عوف قال: كنت عند الحسن فكان رجلان انتقص أبا موسى

(1) فتح الباري (38/13).

(2) استشهاد عثمان، ص(141)، المصنف لابن أبي شيبة (11/118)، ورجاله رجال الصحيح عداؤ مر بن جوان مقبول وصححه ابن حجر في فتح الباري (34/13-34).

(3) تحقيق موقف الصحابة في الفتنة (92/2).

(4) الطبقات الكبرى (31/3).

ى باتباعه علياً، فغضب الحسن ثم قال: سبحان الله قتل أمير المؤمنين عثمان فاجتمع الناس على خيرهم فباعوه أفيلاً مأموراً أبو موسى باتباعه⁽¹⁾.

3- وقال أبو الحسن الأشعري: وثبتت إمامية علي بعد عثمان، رضي الله عنه، بعقد من عقد له من الصحابة من أهل الحل والعقد لأنه لم يدع أحد من أهل الشورى غيره في وقته، وقد اجتمع على فضله وعلمه، وأن امتناعه عن دعوى الأمر ل نفسه في وقت الخلفاء قبله كان حقيقة علمه أن ذلك وقت قيامه، ثم لما صار الأمر إليه أظهر وأعلن، ولم يقصد ر حتى مضى على السداد والرشاد، كما مضى من قبله من الخلفاء وأئمة العدل على السداد والرشاد؛ متبعين لكتاب ربهم وسنة نبيهم هؤلاء الأربعة المجمع على عدتهم وفضلهم رضي الله عنهم⁽²⁾.

4- وقال أبو نعيم الأصبهاني: فلما اختلف الصحابة كان على الدين سبقو إلى الهجرة وال سابقة والنصرة والغيرة في الإسلام الذين اتفقت الأمة على تقديمهم لفضلهم في أمر دينهم ودنياهم، لا ينたりون عنهم ولا يختلفون فيمن أولى بالأمر من الجماعة الذين شهد لهم رسول الله بالجنة في العشرة من توفى وهو عنهم راض، فسلم من بقي من العشرة الستة من علي رضي الله عنه ولم يذكر أنه من أكمل الأمة ذكرًا وأرفعهم قدرًا، لتقديم سابقته وتقدمه في الفضل والعلم، وشهود المشاهد الكريمة، يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله، ويحبه المؤمنون ويبغضه المنافقون، لم يضع منه تقاديم من تقادمه من أصحاب رسول الله بل ازداد به ارتفاعاً لمعرفته بفضل من قدمه على نفسه؛ إذ كان ذلك موجوداً في الأنبياء والرسل عليهم السلام، قال تعالى: **إِنَّمَا يُحِبُّ رَسُولُنَا مَنْ يُحِبُّهُ** [آل عمران: 134]، فلم يكن تفضيل بعضهم على بعض إلى قوله **وَلَا كُنَّ اللَّهَ يَفْعُلُ مَا يُرِيدُ** [آل عمران: 134]، فلم يكن تفضيل بعض من خلقه، فتقول على أمر المسلمين عادلاً زاهداً آخذًا في سيره بمنهاج الرسول - عليه الصلاة والسلام - وأصحابه رضي الله عنهم حتى قبضه الله عز وجل - شهيداً هادياً مهدياً، سلك بهم السبيل المستعين والصراط المستقيم⁽³⁾.

5- وقال أبو منصور البغدادي: أجمع أهل الحق والعدل على صحة إمامية علي رضي الله عنه وقت انتسابه لها بعد قتل عثمان رضي الله عنه⁽⁴⁾.

6- وقال الزهرى: وكان قد وفى بعهد عثمان حتى قتل، وكان أفضل من بقي من أصحابه، فلم يكن أحد أحق بالخلافة منه، ثم لم يستبد بها مع كونه أحق الناس بها حتى جرت له بيعة، وبايده مع سائر الناس من بقي من أصحاب الشورى⁽⁵⁾.

7- وقال عبد الله الجوني: وأما عمر وعثمان وعلي - رضوان الله عليهم - فسبيل إثبات إمامتهم وإجماعهم لشريائط الإمامة كسبيل إثبات إمامية أبي بكر، ومرجع كل قاطع في الإمامة إلى الخبر المتواتر والإجماع.. ولا اکثرات يقول من يقول: لم يحصل إجماع على إمامية علي رضي الله عنه، فإن الإمامة لم تجده له وإنما هاجت الفتنة لأمور آخر⁽⁶⁾.

(1) منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين: ص (77، 78) نقلًا عن عقيدة أهل السنة في الصحابة (689/2).

(2) الإبانة عن أصول الديانة، (78)، مقالات الإسلاميين (346/1).

(3) كتاب الإمامة والرد على الرافضة، ص (360، 361).

(4) كتاب أصول الدين، ص (286).

(5) الاعتقاد، ص (193).

(6) كتاب الإرشاد إلى قواعد الأدلة في أصول الاعتقاد، ص (362، 363) يقصد القصاص من قتلة عثمان.

8- قال أبو عبد الله بن بطة: كانت بيعة على - رحمه الله - بيعة اجتماع ورحمة، لم يدع إلى نفسه، ولم يجبرهم على بيعته بسيفه، ولم يغلبهم بعشيرته، ولقد شرف الخلافة بنفسه، وزانها بشرفه، وكساها حلة البهاء بعدله ورفعها بعلو قدره، ولقد أباها فأجبروه، وتقاعس عنها فأكروه⁽¹⁾.

9- قال الغزالى: وقد أجمعوا على تقديم أبي بكر، ثم نص أبو بكر على عمر، ثم أجمعوا بعده على عثمان، ثم على علي رضي الله عنهم، وليس يظن منهم الخيانة في دين الله - تعالى - لغرض من الأغراض، وكان إجماعهم على ذلك من أحسن ما يستدل به على مراتبهم في الفضل، ومن هنا اعتقد أهل السنة هذا الترتيب في الفضل، ثم بحثوا عن الأخبار فوجدوا فيها ما عرف مستند الصحابة وأهل الإجماع في هذا الترتيب⁽²⁾.

10- قال أبو بكر بن العربي: فلما قضى الله من أمره ما قضى، ومضى في قدره ما مضى علم أن الحق لا يترك الناس سدى، وأن الخلق بعده مفتررون إلى خليفة مفروض عليهم النظر فيه، ولم يكن بعد الثلاثة كالرابع قدرًا وعلمًا وتقى ودينًا، فانعقدت له البيعة ولو لا الإسراع بعقد البيعة لجري على من بها من الأوليائش ملا يرتفع خرقه، ولكن عزم عليه المهاجرون والأنصار، ورأى ذلك فرضًا عليه فانقاد إليه⁽³⁾.

11- قال ابن تيمية: واتفق أصحاب رسول الله × على بيعة عثمان بعد عمر، وثبت عن النبي × أنه قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدىين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجد، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلاله»⁽⁴⁾.
فكان أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه آخر الخلفاء الراشدين المهدىين، وقد اتفق عامة أهل السنة من العلماء والعباد والأمراء والأجناد على أن يقولوا: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم على⁽⁵⁾.

12- قال ابن حجر: وكانت بيعة على بالخلافة عقب قتل عثمان في أوائل ذى الحجّة سنة خمس وثلاثين، فباعيه المهاجرون والأنصار وكل من حضر، وكتب بيعته إلى الأفاق، فإذا نعوا كلهم إلا معاوية في أهل الشام فكان بينهما بعد ما كان⁽⁶⁾، والذي نستقيده من هذه النقول المتقدمة للإجماع أن خلافة على رضي الله عنه محل إجماع على أحقيتها وصحتها في وقت زمانها، وذلك بعد قتل عثمان- رضي الله عنه - حيث لم يبق على الأرض أحد بها منه رضي الله عنه، فقد جاءته رضي الله عنه على قدر في وقتها ومحطها⁽⁷⁾.

وقد اعترض بعض الناس على الإجماع على خلافة على رضي الله عنه من وجوه:

- 1- تخلف عنه من الصحابة جماعة منهم سعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، وبن عمر وأسمة بن زيد وسوادهم من نظرائهم⁽⁸⁾.
- 2- إنما بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان⁽⁹⁾.

[1] لوماع الأنوار البهية للسفاريني (346/2)، عقيدة أهل السنة (692/2).

[2] الاقتصاد في الاعتقاد، ص (154).

[3] العواصم من الفواديم، ص (142).

[4] سنن أبي داود (201/4)، الترمذى (44/5) حسن صحيح.

[5] الوصية الكبرى، ص (23).

[6] فتح البارى (72/7).

[7] عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (693/2).

[8] العواصم من الفواديم ص 146-147.

[9] المصدر السابق ص 145.

3- أن أهل الشام؛ معاوية ومن معه لم يبايعوه بل قاتلوه⁽¹⁾..
وهذه الاعتراضات لا تأثير لها على الإجماع المذكور، ولا توجب معارضته وذلك أنها مردودة من وجوه:

الوجه الأول: أن دعوى أن جماعة من الصحابة تخلفوا عن بيعة دعوة غير صحيحة إذ أن بيعته لم يختلف أحد عنها، وأما نصرته فتختلف عنها قوم منهم من ذكر لأنها كان ت مسألة اجتهادية، فاجتهد كل واحد وأعمل نظره وأصابا قدرا⁽²⁾، وأما ما قاله ابن خلدون: إن الناس كانوا عند مقتل عثمان مفترقين في الأنصار، فلم يشهدوا بيعة على، والذين شهدوا فمنهم من بايع ومنهم من توقف حتى يجتمع الناس ويتفقوا على إمام كسعد وسعيد وابن عمر.. إلخ⁽³⁾، ما ذكر فهذا مبالغة من ابن خلون رحمة الله، أما سعد بن أبي وقاص فقد نقل بيعته ابن سعد، وابن حبان، والذهبي⁽⁴⁾ وغيرهم، وكذلك البقية قد بايوا كما ذكرنا بالإجماع في ذلك فيما حضر من الصحابة في المدينة، على أن ابن خلون نفسه نقل اتفاق أهل العصر الثاني من بعد الصحابة في المدينة على انعقاد بيعة على ولزومها لمسلمين أجمعين، وقد نقلت ما قاله ابن خلون لأن كثيراً من الكتاب والباحثين اعتدوا عليه فيما بعد.

الوجه الثاني: أن عقد الخلافة ونصب إمام واجب لابد منه، ووقف ذلك على حضور جميع الأمة وأتفاقهم مستحيل متذرع ، فلا يجوز اشتراطه لإفشاء ذلك إلى إنقاء الواحد ووقوع الفساد اللازم من انتقامه⁽⁵⁾.

الوجه الثالث: أن الإجماع حصل على بيعة أبي بكر بمبايعة الفاروق وأبي عبيدة وهم حضرهم من الأنصار مع غيبة على وعثمان وغيرهما من الصحابة، وكذلك حصل الإجماع على خلافة على بمبايعة سعد بن أبي وقاص وابن عمر وأسامه بن زيد وعمار ومن حضرهم من البريئين وغيرهم من الصحابة، ولا يضر هذا الإجماع من غاب عن البيعة أو لم يبايع من غيرهم رضي الله عنهم جميعاً، قال الحسن البصري: والله ما كان ت بيعة على إلا كبيعة أبي بكر وعمر رضي الله عنهم⁽⁶⁾.

الوجه الرابع: دعوى أنه إنما ي Bowie على أن يقتل قتلة عثمان: هذا لا يصح في شرط البيعة وإنما يبايعونه على الحكم بالحق، وهو أن يحضر الطالب للدم، ويحضر المطلوب وتقع الدعوى، ويكون الجواب، وتقوم البينة ويقع الحكم⁽⁷⁾ بعد ذلك. وأما الروايات التي تزعم أن طحة والزبير وبعض الصحابة، رضوان الله عليهم، قد اشترطوا في بيعتهم لعلي إقامة الحدود، فهذا الخبر على ضعف سنه فإن في متنه مقالا⁽⁸⁾، وفي ذلك يقول ابن الباري: فإن قيل بيعوه على أن يقتل قتلة عثمان، فلنا: هذا لا يصح في سرطه البيعة⁽⁹⁾.

الوجه الخامس: أن معاوية - رضي الله عنه - لم يقاتل علياً على الخلافة ولم يذكر إمامته وإنما كان يقاتل من أجل إقامة الحد الشرعي على الذين اشتركوا في قتل عثمان مع ظنه أنه مصيبة في اجتهاده ولكنه كان مخطئاً في اجتهاده ذلك، فله أجر الاجتهاد

(1) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (695/2).

(2) التمهيد للبلقاوي ص 233-234، العواسم من الفواديم ص 147.

(3) المقدمة ص 214.

(4) الطبقات (31/3)، القاتات (268/2) دول الإسلام (14/1)، عبد الله بن سبا وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص 171، 172.

(5) منهاج الفلاسيين في فضل الخلفاء الراشدين، ص (76، 77) نقلًا عن عقيدة أهل السنة.

(6) عقيدة أهل السنة في الصحابة (696/2).

(7) عقيدة أهل السنة في الصحابة (696/2).

(8) تاريخ الطبرى (459/5) (460).

(9) العواسم من الفواديم، ص (150).

فقط⁽¹⁾. وقد ثبت بالروايات الصحيحة أن خلافه مع علي - رضي الله عنه - كان في قتلة عثمان ولم ينزع عنده في الخلافة، بل كان يقر له بذلك، فمن أبي مسلم الخولاني أنه جاء وأناس معه إلى معاوية وقالوا: أنت تنازع علياً، هل أنت مثله؟ فقال: لا والله، إني لأعلم أنه أفضل مني، وأحق بالأمر مني، ولكن ألسنتم تعلمون أن عثمان قُتل مظلوماً، وأننا ابن عميه والطالب بدمه فأنوهوا به: فلبيدمع إلى قتلة عثمان وأسلم له، فأتوا عليه⁽²⁾ كل موه فلم يدفعهم إليه⁽³⁾. ويروي ابن كثير من طريق ابن ديزيل بسنته إلى أبي الدرداء وأبي أمامة - رضي الله عنهما: أنهما دخلا على معاوية فقالا له: يا معاوية علام تقاتل هذان الرجل؟ فوالله إنه أقدم منك ومن أبيك إسلاماً، وأقرب منك إلى رسول الله × وأحق به ذا الأمر منك، فقال: أقاتله على دم عثمان، وأنه أوى قاتلته، فاذهبا إليه فقولا له: فليقينا مـن قتلة عثمان، ثم أنا أول من أباعـه من أهل الشام⁽⁴⁾.

والروايات في هذا كثيرة ومشهورة بين العلماء⁽⁵⁾، وهي دالة على عدم منازعة معاوية لعلي - رضي الله عنهما - في الخلافة. ولهذا نص المحققون من أهل العلم على هذه المسألة وقراروها⁽⁶⁾، ويقول إمام الحرمين الجويني: إن معاوية وإن قاتل علياً فإنه لا ينكر إمامته، ولا يدعها لنفسه، وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظناً منه أنه مصيب وكان مخطئاً⁽⁷⁾. ويقول ابن حجر الهيثمي: ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن ما جرى بين علي ومعاوية - رضي الله عنهما - من الحروب فلم يكن لمنازعة معاوية لعلي في الخلافة للإجماع على أحقيتها لعلي كما مر، فلم تهج الفتنة بسببيها، وإنما هاجت بسبب أن معاوية ومن معه طلبوا من علي تسليم قتلة عثمان إليهم، لكن معاوية ابن عمه فامتنع على⁽⁸⁾، وسوف نبين موقفه على رضي الله عنه من عدم تسليم قتلة عثمان في حينه، وإنما الشاهد هنا هو إثبات عدم مبادعة معاوية ليس اعترافاً على شخص على. ويقول ابن تيمية: ومع معاوية لم يدع الخلافة، ولم يبأي له بها حين قاتل علياً، ولم يقاتل على أنه خليفة، ولا أنه يـستحق الخلافة ويـقرون له بذلك، وقد كان معاوية يـقر بذلك لمن سـأله عنه.. وكل فرقة مـن المتشيعـين⁽⁹⁾ مـقرـةـ معـ ذلكـ بـأنـهـ لـيـسـ مـعاـويـةـ كـفـائـاـ لـعـلـيـ بالـخـلاـفةـ،ـ وـلـاـ يـجـوزـ أـنـ يـكونـ خـلـيـفـةـ مـعـ إـمـكـانـ استـخـلـافـ عـلـيـ.ـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ،ـ فـإـنـ فـضـلـ عـلـيـ وـسـابـقـتـهـ وـعـلـمـهـ وـدـيـنـهـ وـشـجـاعـتـهـ وـسـائـرـ فـضـائـلـهـ كـانـتـ عـنـدـهـ ظـاهـرـةـ مـعـرـوفـةـ⁽¹⁰⁾،ـ فـثـبـتـ بـهـذـاـ أـنـ لـمـ يـنـازـعـ عـلـيـ.ـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ.ـ أـحـدـ فـيـ الـخـلاـفةـ،ـ لـاـ مـنـ الـذـينـ خـالـفـوـهـ،ـ وـلـاـ مـنـ غـيرـهـ⁽¹¹⁾،ـ فـهـذـهـ الـأـقـوـالـ عـنـ هـؤـلـاءـ الـعـلـمـاءـ كـلـهـاـ فـيـ بـيـانـ عـقـيـدـةـ أـهـلـ السـنـةـ وـالـجـمـاعـةـ فـيـ تـرـتـيـبـ الـخـلاـفةـ الـرـاشـدـةـ،ـ فـلـابـدـ مـنـ الذـودـ عـنـهـ وـالـتـبـشـيرـ وـتـرـبـيـةـ الـأـجيـالـ عـلـيـهـاـ،ـ وـالـاعـتـزـازـ وـالـافـخـارـ فـيـ الـإـنـسـابـ إـلـاـ يـبـهـاـ.

خامسًا بشرط أمير المؤمنين على رضي الله عنه في بيته وأول خطبة خطبها رضي الله عنه:

(1) عقيدة أهل السنة في الصحابة (696/2).

(2) البداية والنهاية (265/7)، تحقق موافق الصحابة (147/2).

(3) البداية والنهاية (270/7)، الانتصار للصحاب والآل، ص (239).

(4) البداية والنهاية لابن كثير (268/7-270) وقد جمع هذه الروايات الدكتور محمد أمحزون في كتابه: تحقيق موافق الصحابة في الفتنة (146/2-150).

(5) الانتصار للصحاب والآل، ص (239).

(6) لمعة الأدلة في عقائد أهل السنة والجماعة، ص (115).

(7) الصواب المحرقة نقلًا عن الانتصار للصحاب والآل، ص (239).

(8) أي المتشيعـينـ لـعـثـمـانـ أوـ عـلـيـ - رـضـيـ اللـهـ عـنـهـماـ - وـقـدـ كـانـ الـطـالـبـونـ بـدـمـ عـثـمـانـ - رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ - نـهـ - قـدـ اـنـضـمـواـ إـلـيـ مـعـاـويـةـ وـمـاـ كـانـ يـفـضـلـونـهـ عـلـيـ - رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ.

(9) مجموع الفتاوى (73، 72/35).

(10) الانتصار للصحاب والآل، ص (241).

جاء في بعض الروايات أن أمير المؤمنين عليه رضي الله عنه اشترط في بيعته أمه ورأً منها، أن تكون البيعة في ملا وليس في خفية، وفي المسجد، وعن رضا المسلمين، وأنه يدير أمرهم كما يراه ويعلمهم، فوافقوه وتواعدوا صباح اليوم التالي في المسجد للبيعة⁽¹⁾، وكان يوماً حافلاً وحاسماً، فقد خرج أمير المؤمنين وقد لبس ملابسه كاملة.. ثم بعد الحمد والثناء على الله بين الناس المحاولات التي بذلت معه وقال: إني كنت كارها لأم ركم، فأبكيتكم إلا أن أكون عليكم، لا وإنه ليس لي أمر دونكم، لا إن مفاتيح مالكم معى، لا وأنه ليس لي أن أخذ منه درهما دونكم⁽²⁾، ثم قال: يا أيها الناس: إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم، وقد افترقنا بالأمس على أمر، فإن شئتم قعدت لكم، وإنما فلا أحد على أحد، ثم رفع صوته قائلاً: رضيتم؟ قالوا: نعم، قال: الله أشهد عليهم، وأقبل الناس بباباً⁽³⁾، وبعد أداء البيعة قال أمير المؤمنين: أيها الناس: إنكم يايعتموني على ما بآيعتم عليه أصحابي، فإذا بايعتموني فلا خيار لكم على، وعلى الإمام الاستقامة وعلى الرعاية التسليم، وهذه بيعة عامة.. إلخ⁽⁴⁾، ومما مضى دروس وعبر وفوائد منها:

1- مبدأ الشورى: إن البيعة لل الخليفة الرابع على رضي الله عنه لم تختلف من حيث مبدأ الشورى عن مثيلتها السابقة بالرغم من الأزمة التي ألمت بالأمة، والأحوال المدلهمة والمشكلات المتتابعة، فلم تتم البيعة على أساس عشائرى، أسرى، أو قبلى، أو على أساس عهد ووصية من رسول الله ×، ولو وجد شيء من هذا القبيل لما حصل هذا الحوار الطويل، ولما رفض أمير المؤمنين، ولكن أول من يطالب بحقه. بينما كان الناس هم الذين يدفعونه إلى البيعة دفعاً ويلحون عليه في الطلب الحالاً، وهو يروغ منهم متخلصاً لا يلهي حدث ما يمنعه من ذلك إلى أن قبل على كره منه، ولم يطالب بهدا على أساس وصية من رسول الله له.. ولو وجدوا شيئاً من ذلك لما ترددوا في تنفيذه- ولا على أساس أنه من عبد مناف، أو لأنه من قريش فحسب، بل لأنه من السابقين ومن العشرة المبشرين بالجنة، ولأنه الثاني بعد عثمان في اختيار الناس لهما عند تطبيق عملية الشورى بعد مقتل عمر بن الخطاب، فكان عبد الرحمن بن عوف لا يشير عليه أحد بتنصيب عثمان خليفة بعد عمر إلا سأله لو لم يكن عثمان موجوداً فمن تختار؟ فيقول: على رضي الله عنه⁽⁵⁾.

2- أهل الحل والعقد في عهد أمير المؤمنين على: كان أهل الحل والعقد عند استخلاف أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بقية العشرة المبشرين ورؤساء بطون الأوس والخزرج، وكان هؤلاء من أهل المدينة، لأنهم هم السابقون الراسخون في العلم والإيمان⁽⁶⁾، وكان على رضي الله عنه يرى أن أمر اختيار الخليفة لمن كان باقياً في المدينة من المهاجرين والأنصار وأهل الحل والعقد من أهل بدر، وأصحاب الشورى، إلا أن الأستاذ بن على، رضي الله عنه، كان يرى ضرورة مراعاة الأمور المستجدة في تركيبة المجتمع الإسلامي، وقد بدا ذلك في هذا الحوار بين الحسن بن على وأبيه على بن أبي طالب رضي الله عنهم، قال الحسن: قد أمرتك فعصيتني فقتلت غداً بمضيعة لا ناصر لك، فقال على: إنك ما زلت تحن حنين الجارية، وما الذي أمرتني فعصيتني؟ قال: أمرتك يوم أحبط بعثمان، رضي الله عنه، أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قتل أبا تباع حتى يأتيك وفود أهل الأنصار والعرب وبيعة كل مصر⁽⁷⁾. وكان جواب على

(1) تاريخ الطبرى (448/5)، دراسات في عهد النبوة، ص(281).

(2) تاريخ الطبرى (449/5).

(3) تاريخ الطبرى (449/5).

(4) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص(282).

(5) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص(282).

(6) الخلافة بين التطهير والتطبيق، محمود المرادى، ص (288).

(7) البداية والنهاية (245/7).

رضي الله عنه: وأما قولك لا تباع حتى تأتي بيعه الأمسكار فإن الأمر أمر أهل المدينة وكرهنا أن يضيع هذا الأمر⁽¹⁾، على أن علياً رضي الله عنه، كان يرى أن البيعة تجوز في غير أهل المدينة من المهاجرين والأنصار، ولكنه كان يكره أن يتحول ذلك عنهم إلى غيرهم، أو أن يشركهم فيه غيرهم تقى وورعاً ان يُحدث بعد رسول الله × وخلفائه شيءً يبتعد به عن نهجهم وسبيلهم، أو أنه كان يرى أن الوقت ما زال مبكراً على إشراك غير المهاجرين والأنصار في أمور اختيار الحاكم المسلم، ولذلك فإنه كان يكره أن يضيع هذا الأمر من المهاجرين والأنصار⁽²⁾، والدليل على ذلك أنه رضي الله عنه عرض عليه أهل الكوفة بيعة الحسن قال: لا أنهاكم ولا أمركم، وهذا فيه تجويز لغير أهل المدينة في اختيار الحاكم.

ونستفيد من الحوار الذي حدث بين الحسن بن علي وأبيه رضي الله عنهما أموراً منها:

أ- احترام الرأي في النقاش من الجانبين.

ب- لطف المعاملة من أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه لولده.

ج- صراحة الولد مع والده وإبداء كل ما يراه صواباً في موضوع النقاش.

د- حسن الاستماع للطرف الثاني، حيث استمع أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه، من ابنه الحسن جميع ما عنده من الحجج.

هـ تقدير الحجج واحدة بعد الأخرى تقدير علمياً⁽³⁾.

3- الحرص على أن لا يظل منصب الخليفة شاغراً:

لقد عزم المهاجرون والأنصار بالمدينة على علىٰ رضي الله عنه أن يقبل الخلافة رغمًا عنه، تداركاً لخطر فساد أمر الأمة واختلاف الناس، فقبل وحرص على زحزحة الغوغاء خطوة أخرى إلى الوراء، بأن اشتربط أن تكون البيعة له علانية في المسجد، وبذلك يظل أهل الحل والعقد هم الذين يعقدون الإمامة، أما العامة فموقعهم هو: البيعة العلانية العامة⁽⁴⁾، وحرص على تأكيد هذا المبدأ من فوق المنبر، بقوله: أيها الناس إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم⁽⁵⁾.

4- الرد على بعض الكتب المعاصرة التي تحدثت عن بيعة على رضي الله عنه: يقظة العقاد- وهو يتكلم عن اختيار الخليفة بعد مقتل عثمان- وهذا الخبر- على وجائزته- قد حصر لنا أسماء جميع المرشحين للخلافة بالمدينة بعد مقتل عثمان، وربما كان أشدهم طليقاً لها طلحة والزبير اللذين أعلنا الحرب على علىٰ بعد ذلك، فقد كانوا يهدان لها في حياة عثمان، ويحسبان أن قريشاً قد أجمعوا أمرها إلا يتولاها هاشمي، وأن علياً وشريكه أن يذاد عنها بعد عثمان كما ذيد عنها قبله، وكانت السيدة عائشة تؤثر أن تؤول الخلافة إلى واحد من هذين، أو إلى عبد الله بن الزبير، لأن طلحة من قبيلة قيم، والزبير زوج اختها أسماء، وفي تأييد السيدة عائشة لواحد منهم مدعاه أمل كبير في النجاح⁽⁶⁾.

(1) البداية والنهاية (245/7)

(2) الخلافة بين التنظير والت التطبيق، ص (293، 294)

(3) منهاج على بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، ص (227، 228)

(4) الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام، السيد عمر، ص(72).

(5) تاريخ الطبراني (449/5)

(6) عقريبة على، ص(84).

وقال في موضع آخر: فمما لا شك فيه أن الإمام أنكر إجحافاً أصحابه في تخطيه بالبيعة إلى غيره بعد وفاة ابن عمه صلوات الله عليه، وأنه كان يرى أن قرابتة من النبي مزية ترشحه للخلافة بعده، لأنها فرع من النبوة على اعتقاده، وهم شجرة النبوة ومحط الرسالة، كما قال^(١).

وقال: فمن المعلوم أن علياً كان يرى أنه أحق بالخلافة من سابقيه، وأنه لم يزل مدفوعاً عن حقه هذا منذ انتقال النبي عليه السلام إلى الرفيق الأعلى^(٢)، وغير ذلك من الطامات والأكاذيب والإفك المبين التي تورط فيها العقاد بسبب الروايات الموضوعة، وسار على منهجه خالد محمد خالد في كتابه خلفاء الرسول ونقل عن على كلاماً مفترى، ذكر فيه أن أبي بكر وعمر قد اغتصبا الخلافة من على^(٣)، وجانب الصواب خالد البيطار في كتابه على ابن أبي طالب، عندما علق على موقف السيدة فاطمة من ميراث أبيها^(٤)، وموافق على من خلافة أبي بكر، وهذا مثل لفيف طويل لا ينتهي خاض هذه المعمدة وخطب فيها والتي تدعى أن علياً - رضي الله عنه - نذى عن الخلافة بعد عثمان كما نذى عنها قبله، وأن الصحابة كانوا يتآمرون لنيل الخلافة بداع العصبية ضدبني هاشم، أو لمطامع دنيوية، وأن علياً أنكر إجحافاً أصحابه في تخطيه بالبيعة إلى غيره بعد وفاة النبي ×، وأنه كان يرى أنه أحق بالخلافة من سابقيه، وأن النبي × مهد لخلافته وحبيبه للناس بما أمره حيناً واستخلفه حيناً آخر، وأن ليس ثمة علاقة حميمة بين الإمام وبين الصحابة، وأنه غفر للشيوخين تعديهما عليه بأخذ الخلافة، وأنه بايع الصديق بعد وفاة فاطمة، وكل هذان بهتان وزور، وكذب وافتراء يأبه الحق والعدل والإنصاف، وينكره التاريخ الصحيح، ويكتنف الكلام الصرير الذي صدر عن على نفسه الذي سبق ذكره، فقد اعترف على بأفظعية الخلفاء، حينما كان هو الخليفة، فكان يعلن ذلك على المنبر ويتوعد من يفضله عليهم بالعقاب، وهذا ثابت بالأسانيد الصحيحة، وكان لهم ناصرًا ومعيناً، وعلاقته بهم وطيدة وشديدة لا تؤثر في رسوخها العواصف الهوج^(٥) التي يثيرها من تورط في الروايات الضعيفة والأخبار الموضوعة من الكتاب الذين ذكرنا بعض نقولهم على سبيل المثال لا الحصر والسبب الذي أسقطهم في هذه الهوة هو جهلهم بمنهج أهل السنة والجماعة في كتابة التاريخ، وبعدهم عن التمييز بين المصادر الصحيحة والمصادر الساقطة، وعدم تقرير قيمة بين الروايات الصحيحة والروايات الضعيفة والموضوعة والاعتماد على الموضوعات في تحليلاتهم.

5- أول خطبة خطبها على رضي الله عنه: قال أمير المؤمنين على رضي الله عنه في أول خطبة خطبها حين تولى الخلافة: إن الله عز وجل أنزل كتاباً هادياً، بين في فيه الخير والشر، فخدعوا بالخير ودعوا الشر، الفرائض أدوها إلى الله (سبحانه) يؤدكم إلى الجنة، إن الله حرم حرم غير مجاهلة وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها، وشد بالإخلاص والتوحيد المسلمين، والمسلم من سلم المسلمين من لسانه ويده إلا بالحق، لا يحل أذى المسلم إلا بما يحب، يادروا أمر العامة...، فإن الناس أمامكم وأن من خلفكم الساعة تحدوكم، تخفوا تلحوظاً، فإنما ينتظر الناس أخراهم، انقوا الله في عباده وببلاده، إنكم مسئولون حتى عن البقاء والبهائم، أطعوا الله عز وجل ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه + وآذُكُرْ وَإِذْ آذْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ.

(١) المصدر نفسه، ص (١٤٨).

(٢) المصدر نفسه، ص (١٨١).

(٣) خلفاء الرسول، ص (٥٢٦، ٥٢٧).

(٤) على بن أبي طالب: خالد البيطار، ص (٨٤).

(٥) المصدر نفسه، ص (١٣٠).

"[الأنفال: 26]."

ولما كانت بيعة على جاءت بعد فتنة عمياء ذهب ضحيتها خليفة المسلمين السابق، فقد دعا المسلمين إلى الخير ونبذ الشر، وبين لهم أن حرمة المسلمون فوق كل حرمات، فلا يجوز أذاه في حال من الأحوال، ثم ذكرهم بالموت والآخرة وحثهم على التقوى والطاعة والعمل الصالح⁽²⁾.

وقد جاءت محاور الخطبة حول جانب العقيدة، والعبادة، والأخلاق، واهتمت ببعض مقاصد الشريعة، ولو شئنا أن نلخص خطته التي يريد أن يرسمها للناس لقلنا: يريد أن يقُول لهم: ارجعوا إلى العهد الذي كنتم عليه أيام رسول الله⁽³⁾، والخلفاء الراشدين الذين سبقوه، وقد أشار أمير المؤمنين في حكمه وبلاغه إلى النهج الذي سيقللون به عهد الخليفة الجديد بقوله: إذا رأيتُ الخير فخذوا به، وإذا رأيتُ الشر فدعوه.

وختم بالآية الكريمة التي كانوا في حاجة إلى استحضارها، ليقارنوها بها بين ما كانوا عليه قبل الإسلام وبعد الإسلام - إلى أبعد-. من القلة والضعف والضَّعْفَةَ والخمول حتى كانوا قطعة لحم على كف يتخطفها الطير، ثم ما صاروا إليه من القوة والسرعة والأمْنِ والسلام، والرخاء والثراء، وما أكرمهم به عليهم من النِّعمَ فطنَتْ حصاتهِم وخفقت رأيَّتهم ودان لهم العياد والبلاد⁽⁴⁾.

6- الترادف بين الألفاظ: الإمام وال الخليفة وأمير المؤمنين: قال النووي: يجوز أن يقال للإمام: الخليفة والإمام وأمير المؤمنين⁽⁵⁾، وقال ابن خلدون: وإن قد بيناً حقيقة هذا المذهب وأنه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا، به تسمى خلافة وإمامية، والقائم به خليفة وإمام⁽⁶⁾، ويعرف ابن منظور الخلافة بأنها الإمارة⁽⁷⁾، ويفسر أبو زهرة الترادف بين لفظي الخليفة وهي الإمامة الكبرى وسميت خلافة لأن الذي يتولاها ويكون الحاكم الأعظم المسلمين يخلف النبي × في إدارة شئونهم، وتسمى إمامية، لأن الخليفة كان يسمى إماماً، وأن طاعته واجبة، وأن الناس كانوا يسيرون وراءه كما يصلون وراء من يوئهم⁽⁸⁾، كما فسر الأستاذ محمد المبارك سبب اختيار هذه الألفاظ، الإمام وال الخليفة وأمير المؤمنين بأنه: ابتعاداً بالمفهوم الإسلامي للدولة ورياستها عن النظام الملكي بـ مفهومه القديم عند الأمم الأخرى من الفرس والرومان المختلف اختلافاً أساسياً عن المفهوم الإسلامي⁽⁹⁾، الجديد هذا وقد كان الخلفاء الأول يُلقبون بالخلفاء كما يلقون بالأئمة، ومنذ خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - استعمل المسلمون لقب «أمير المؤمنين».

ولقد ورد لفظ «إمام» في القرآن الكريم في أكثر من موضع بمعنى الزعيم أو الدليل أو الرئيس، قال الله تعالى: +إِذْي جَاءَكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ

(1) تاريخ الطبرى (459/5).

(2) الأدب الإسلامي، نايف معروف، ص (57).

(3) الخلفاء الرشيدون للنجار، ص (378).

(4) المرتضى اللندى، ص (140، 141).

(5) روضة الطالبين (49/10).

(6) المقدمة، ص (190).

(7) لسان العرب (83/9).

(8) تاريخ المذاهب لأبي زهرة، ص (21).

(9) نظام الإسلام (الحكم والدولة)، ص (61).

لَا يَنْهَى عَنِ الْمُحْدَثِينَ" [البقرة:124]، أي جاعلك قدوة يؤتمن به⁽¹⁾، وقال تعالى + وَاجْعَلْنَا لِلنَّاسِ إِمَامًا" [الفرقان:74]، أي يقتدون بنا في أمر الدين، وقال تعالى: +يَوْمَ نَدْعُ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِيمَانِهِمْ" [الإسراء:71]، أي يمن ائتموا به من النبي أو مقدم في الدين، وقيل: بكتاب أعمالهم التي قدموها⁽²⁾، وورد لفظ الإمام في مواطن كثيرة من السنة النبوية منها قول رسول الله ×: «من بايع إماماً، فأعطاه صفة يده، وثمرة قلبه، فليعطيه إن استطاع، فإن جاء آخر يناظره فاضربوا عنق الآخر»⁽³⁾، قوله ×: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»⁽⁴⁾ وقوله: «سبعة يظلمهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل...»⁽⁵⁾.

ومن الملاحظ أن لفظ الإمامة يغلب استعماله عند أهل السنة في مباحثهم العقدية والفقهية بينما يغلب استعمالهم لفظ (الخلافة) في كتاباتهم التاريخية، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن هذه المباحث - خاصة العقدية - قد كتبت للرد على المبتدعة في هذا الباب كالشيخ الروافض والخوارج⁽⁶⁾، فالشيعة الروافض يستخدمون لفظ الإمام دون الخلافة ويعتبرونها أحد أركان الإيمان عندهم، ويفرقون بين الإمامة والخلافة، فهم يعتبرون الإمامة رئاسة دين، والخلافة رئاسة دولة⁽⁷⁾. ويريدون من ذلك إثبات أن علياً رضي الله عنه كان أماماً زمن خلافة الثلاثة الذين سبقوه⁽⁸⁾، وقال ابن خلدون: إن الشيعة خصوا علياً باسم الإمام نعزاً له بالإمامية التي هي أخت الخلافة، وتعرضاً بمذهبهم في أنه أحق بإمامية الصلة من أبي بكر⁽⁹⁾.

إن هذه الألقاب: الخليفة، الإمام، أمير المؤمنين، ليست من الأمور التعبدية، وإنما هي مصطلحات وجدت بعد وفاة الرسول × وأصطلاح الناس عليها، وقد أطلق المسلمون غير هذه الألقاب في وقت لاحق للقب الأمير، كما كان الحال في الأندلس، وكذلك لقب السلطان، كما تسمى بذلك الحكام في الدولة الإسلامية، بلقب من هذه الألقاب، إذ إن المهم في هذا المجال أن يكون المسلمون ورؤسائهم خاضعين للتشريع الإسلامي عقيدة وشريعة، بغض النظر عن الألقاب التي يمكن أن تطلق على هذا الرئيس، سواء كان لقبه الخليفة أم أمير المؤمنين أم رئيس الدولة أم رئيس الجمهورية، فيمكن إطلاق أحد هذه الألقاب أو غيرها، وهذا يرجع إلى ما يتعارف عليه الناس، وإمكان الأفضل الالتزام بالألقاب السابقة، لما لها من مفهوم سياسي متميز عن المفاهيم المختلفة عند الأمم الأخرى، ولما لها من معان دوت عبر التاريخ على أنها رمز للحضارة الإسلامية⁽¹⁰⁾.

7- أيهما أصح عند ذكر أمير المؤمنين على: هل نقول رضي الله عنه أم كرم الله وجهه أم عليه السلام؟ إن الأصل عند ذكر الصحابة الترضي عنهم جمعاً كما قال تعالى: +وَالسَّمَاءُ يُفْرَنُ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالآذَّارَ وَالَّذِينَ أَتَبْعَوْهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضِيُوا عَنْهُمْ" [التوبه:100].

وقال تعالى: + لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَأِ يُعْوَذُكَ تَحْتَ الشَّدَّ

(1) نظام الحكم في الإسلام، عارف خليل، ص (80).

(2) المصدر نفسه، ص (81).

(3) صحيح مسلم بشرح النووي (233/12).

(4) صحيح مسلم بشرح النووي (237/12).

(5) فتح التاري (293/3).

(6) الإمامية العظمى عند أهل السنة والجماعة للدميجي، ص (36).

(7) المصدر نفسه، ص (36).

(8) المصدر نفسه، ص (36).

(9) نظام الحكم، عارف خليل، ص (81).

(10) المصدر نفسه، ص (82).

جَرَّةٌ» [الفتح: 18] لذلك اصطلاح أهل السنة على الترضي على كل صاحبي يجري ذكره أو يروى عنه الحديث، فيقال مثلاً: عن أبي بكر - رضي الله عنه - ولم يستعمل السلام - فيما أعلم - عند ذكر أحد منهم، مع أن السلام تحية المسلمين فيما بينهم، كما تعالى: **+فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلُّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عَنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً** [النور: 61]، على هذا فالترضي أفضل من السلام، قال تعالى +وَرَضُوا نَّمَنَ اللَّهُ أَكْبَرُ [التوبه: 72]، وأخبر النبي × أن الله تعالى يقول لأهل الجنة: «أَحَلَّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ أَبَدًا»⁽¹⁾، ولكن اصطلاح العلماء على أن السلام يختص بالأنبياء لقوله تعالى: +وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ [الصافات: 181]، ولقوله: +وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وَلِيْدٍ [مريم: 15]، ولما ورد في حق على «أنت مني يمنزلة هارون من موسى»⁽²⁾، أخذ الغلاة كالرافضة يستعملون في حق أمير المؤمنين على: عليه السلام، أو كرم الله وجهه، ولا شك أنه أهل لذلك، لكن يشركه في ذلك جميع الصحابة⁽³⁾، وقد وقع هذا في عبارة كثير من النساخ الكتب ومن بعض علماء أهل السنة أن يفرد على - رضي الله عنه - بأن يقال: عليه السلام من دون سائر الصحابة، أو كرم الله وجهه، وهذا وإن كان معاً صحيحاً لكن ينبغي أن يساوى بين الصحابة في ذلك⁽⁴⁾.

المبحث الثاني

شيء من فضائله وأهم صفاته وقواعد نظام حكمه

قال الإمام أحمد، وإسماعيل القاضي، والنسياني، وأبو علي النيسابوري: لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في على⁽⁵⁾، وقال الحافظ ابن حجر: وكان السبب في ذلك أنه تأخر، أي آخر الخلفاء الراشدين، ووقع الاختلاف في زمانه وخرج من خرج عليه، فكان ذلك سبباً لانتشار مناقبه من كثرة من كان يبيّنها من الصحابة ردًا على من خالقه، فاحتاج أهل السنة إلى بث فضائله، فكثر الناقل لذلك، وإلا فالذين في نفس الأمر أن لكل من الأربعة من الفضائل، إذا حرر بميزان العدل لا يخرج عن قول أهل السنة والجماعة أصلاً⁽⁶⁾، وقال ابن كثير: من فضائله أنه أقرب العشرة المشهود لهم بالجنة إلى رسول الله × نسباً⁽⁷⁾، وقد ذكرت كثيراً من فضائله فيما مضى من البحث كل في موضعه، وإنما للفائدة نشير إلى مزيد من الفضائل لعلي رضي الله عنه منه:

* عن زر رضي الله عنه قال: قال على: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي × إلى: «أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»⁽⁸⁾.

* عن أبي إسحاق: سأله رجل البراء وأنا أسمع قال: أشهد على بدر؟ قال: بارز وظاهر⁽⁹⁾.

* عن أبي هريرة أن رسول الله × كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعائشة والزبير، فتحركت الصخرة فقال رسول الله ×: «اهداً فما عليك إلا نبي أو صد

(1) مشكاة المصابيح للبغوي (88/3).

(2) الخاري رقم (2404).

(3) فتاوى في التوحيد، عبد الله بن جبرين، ص (37).

(4) الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية، ص (26) في الحاشية من تعليق المحقق أحمد التويجري.

(5) فتح الباري (71/7).

(6) المراد ترتيبهم في الفضل وهو حسب ترتيبهم في الخلافة، فتح الباري (71/7).

(7) البداية والنهاية (29/11).

(8) الصحيح المسند في فضائل الصحابة، ص (111).

(9) ظاهر: أي ليس درعاً على درع، الصحيح المسند، ص (112).

* ديق أو شهيد»⁽¹⁾.

* قال سعيد بن زيد: سمعت رسول الله × يقول: «النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلى في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، ولو شئت أن أسمي العاشر»⁽²⁾.

* قالت أم سلمة رضي الله عنها: سمعت رسول الله × يقول: «من سب علياً فقد سبّني»⁽³⁾.

* جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان، فذكر محسن عمله، قال: لعلَّ ذلك يسد ورُوك؟ قال: نعم.. قال: فأرجُم الله بأنفك، ثم سأله عن على فذكر محسن عمله قال: هو ذاك، بيته أوسط بيوت النبي × ثم قال: لعلَّ ذاك يسُوقك؟ قال: أجل! قال فأرجُم الله بأنفك، انطلق فاجهَد على جهادك⁽⁴⁾.

هذه بعض الفضائل الثابتة لعلي رضي الله عنه، وأما صفاته رضي الله عنه، فقد كان له صفات القائد الرباني المضحي في سبيل الله وكتابه وسنة نبيه، ونجملها في أمور ونذكر على بعضها بالتفصيل، فمن أهم هذه الصفات، سلاممة المعتقد، والعلم الشرعي، والثقة بالله، والقدوة، والصدق، والكفاءة والشجاعة، والمروءة، والزهد، وحب التضحية، وحسن اختياره لمعاونيه، والتواضع والطمأنينة، وعلو الهمة والحرم والإرادة القوية، والعدل، والقدرة على التعليم وإعداد الفادة، وغير ذلك من الصفات التي ظهرت للباحث في الفترة المكية في صحبه للنبي × وفي العهد المدني في غزواته مع رسول الله × وحياته في المجتمع، وظهر البعض الآخر لما تسلم قيادة الدولة الراشدية وأصبح أمير المؤمنين رضي الله عنه، ومن أهم هذه الصفات:

أولاً: العلم والفقه في الدين:

كان أمير المؤمنين على رضي الله عنه من علماء الصحابة الكبار، وقد تميز رضي الله عنه بجده في التحصيل، والتحرى في قبول العلم، والسؤال في طلبه، واستخدام وسائل ضبط العلوم في زمانه، من كتابة، وتعهد، ولزوم النبي ×، حيث يقول رضي الله عنه في جموعه للقرآن الكريم: الْيَتِ بِيَمِينِ إِلَّا أَرْتَدَى بِرِدَائِي إِلَّا إِلَى الصَّلَاةِ حَتَّى أَجْمَعَ الْقُرْآنَ⁽⁵⁾، وقال: ما دخل نوم عيني، ولا غمض رأسي على عهد رسول الله × حتى علم ذلك اليوم ما نزل به جبريل، عليه السلام، من حلال أو سنة، أو كتاب، أو أمر، أو نهي، وفيمن نزل⁽⁶⁾، وكان رضي الله عنه يلتقي النص من رسول الله × مباشرة، ولكن عذما يبلغه الحديث من غيره فإنه شديد التحرى في قبوله، خشية أن يتسبّل رسول الله × قوله لم يقله، ومما يدل على هذا المنهج قوله رضي الله عنه: كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله حديثاً نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني أحد من أصحابه استخلفه، فإذا حلف لي صدقته، قال: وحدثني أبو بكر - وصدق أبو بكر - رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله × يقول: «ما من عبد يذنب ذنبًا فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلى ركعتين، ثم يستغفر الله إلا غفر الله له» ثم قرأ هذه الآية + والأذين إذا فعْلُوا فاح

(1) الصحيح المسند في فضائل الصحابة، ص (117).

(2) الصحيح المسند في فضائل الصحابة، ص (117).

(3) الصحيح المسند، ص (121).

(4) المصدر السابق، ص (140).

(5) الطبقات (338/2).

(6) مسن الإمام زيد، ص (343) نقلًا عن منهج على بن أبي طالب في الدعوة.

شَهَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفَسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهُ" [آل عمران:135] إلى آخر الآية⁽¹⁾، نعم، على بن أبي طالب رضي الله عنه يستحلف أصحاب رسول الله × وهو التفات العدول، وما هذا إلا دليل على شدة تحريره في تلقي الحديث الذي يلقاه من غير رسول الله⁽²⁾، وكان رضي الله عنه صاحب لسان سئول وقلب عقول، فقد قال: إن ربِّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤلاً⁽³⁾، وعلل رضي الله عنه كثرة علمه بطلبه إياه من رسول الله × بالسؤال، بقوله: كنت إذا سألت أعطيت، وإذا سكت ابتدت⁽⁴⁾، وعندما يكون عائق الحياة بينه وبين رسول الله × يتغلب عليه يطلب من أحد الصحابة بسؤال رسول الله، فعن محمد ابن الأخفية قال: قال على: كنت رجلاً مذاء⁽⁵⁾، فاستحييت أن أسأله رسول الله ×، فأمرت المقادير بن الأسود فسألته فقال: فيه الوضوء⁽⁶⁾، وكان رضي الله عنه يحذر الناس من ترك العلم بسبب الحياة، فقد قال: ولا يستحب أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم⁽⁷⁾، ولا يستحبى جاهل أنس يسأل عما لا يعلم، وكان أمير المؤمنين على رضي الله عنه من بين القلة من المسلمين الذين كانوا يعرفون الكتابة في صدر الإسلام، وفوق هذا فقد كان من كتاب الوحي لرسول الله ×، وقد ساعدته هذه المهارة في القراءة والكتابة على التبحر في العلوم الشرعية، وكان رضي الله عنه يرى أن تكون كتابة النصوص بخط بيّن مع التقرير بين السطور، والتقرير بين الحروف، فعن أبي عثمان عمرو بن بحر بن الجاحظ، قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب: الخط علامه، فكلما كان ألين كان أحسن⁽⁸⁾، وقد أمر كاتبه عبد الله بن أبي رافع بقوله: ألف دونك وأطل سن قلمك، وأفرج بين السطور، وقرّ مط⁽⁹⁾ بين الحروف⁽¹⁰⁾. وعن أبي حكيم العبدلي قال: كنا نكتب المصاحف بالكاففة، فيمر علينا على ونحن نكتب فيقول: أجل قلمك⁽¹¹⁾، قال: فقطّعت منه، ثم كتبت فقال: هكذا نوروا ما نور الله⁽¹²⁾، وكان رضي الله عنه يتبعه ما تعلم بالعمل وتطبيقه، وكان من أحرص الناس على تطبيق ما سمعه من رسول الله ×، ولو كان ذلك في أصعب الظروف، كما مر معنا في تعليم رسول الله له وللسيدة فاطمة الله عنهم الأنذكار، فقد قال أمير المؤمنين: ما ترکت به منذ سمعته من النبي ×، قيل له: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين⁽¹³⁾، وقد أشار أمير المؤمنين على رضي الله عنه إلى ضبط النص بالعمل به بقوله: تعلموا العلم تعرّفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله⁽¹⁴⁾، وكان يرى أن العالم لا يسمى عالماً إلا إذا كان عاملاً بعلمه، لذا يقول مخاطداً حملة العلم: يا حملة العلم، اعملوا به فإن العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله⁽¹⁵⁾، وقال رضي الله عنه: هتف العلم بالعمل فإن أجاب وإلا ارته حل⁽¹⁶⁾، وكان على رضي الله عنه من المكرثين من الفتيا في أصحاب رسول الله، قال ابن القيم: الذين حفظت عنهم الفتوى، من أصحاب رسول الله مائة ونيف وثلاثون نسداً، ما بين رجل وامرأة، وكان المكرثون منهم سبعة: عمر ابن الخطاب، وعلى بن أبي طالب

(1) صحيح سنن الترمذى (128/1)، مشكاة المصابيح (416/1).

(2) منهاج على بن أبي طالب في الدعوة، ص (52).

(3) الطفقات (338/2)، الحلية (67/1).

(4) فضائل الصحابة (647/2) إسناده صحيح.

(5) أي كثير المذى وهو ما يخرج عند الملاعبة.

(6) مسلم ث (247/1).

(7) مصنف ابن أبي شيبة (284/13).

(8) الجامع لأخلاق الرأوى (1/262).

(9) فرمط بين الحروف: أي قرب بينها.

(10) الجامع لأخلاق الرأوى (262/1).

(11) أي عظم قلمك، وهو كناية عن تكثير الخط.

(12) الجامع لأخلاق الرأوى (1/260).

(13) مسلم (2091/4، 2092).

(14) البداية والنهاية (6/8).

(15) بيان العلم وفضله، ص (285).

(16) منهاج على بن أبي طالب، ص 63.

، وعبد الله بن مسعود، وعائشة أم المؤمنين، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر⁽¹⁾، وقد حد ابن حزم عليه رضي الله عنه في المرتبة الثالثة من بين الصحابة ، رضي الله عنهم، في كثرة الفتيا، وسيأتي الحديث بإذن الله تعالى عن المسائل القضائية ، وكثير من اجتهاداته الفقهية، عند حديثنا عن المؤسسة القضائية، وكان رضي الله عنه يُحث على التزاور والمدارسة، حيث يقول: تزاوروا وتدارسو الحديث، ولا تتركوه بدر س⁽²⁾، وفي رواية: تزاوروا وتحدثوا، فإن لم تقلعوا فإنه يدرس⁽³⁾، وكان أمير المؤمنين على رضي الله عنه يحث على لزوم الشیخ، والحرص على الأخذ منه، ويقول: ولا تشبع من طول صحبته، فإنما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء⁽⁴⁾، وقد تهيا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ملازمة رسول الله × صغيراً حين تربى في حجره، وكثيراً حينما كان صهره والد سبطيه، فكان بذلك قريباً من رسول الله، يأخذ عنه ويتعلم منه⁽⁵⁾، وقد شهدت السيدة عائشة لعلي بلزمته لرسول الله ×، فمن المقام بن شريح، عن أبيه قال: سألت عائشة فقالت: أخبريني برجل من أصحاب النبي × أسأله عن المسح على الذيفان، فقالت: أئت علياً فسله، فإنه كان يلزم النبي ×، قال: فأتيت علياً فسألته، فقال: أمرنا رسول الله × بالمسح على خفافنا إذا سافرنا⁽⁶⁾، وكان رضي الله عنه يرى الانتقاء في الأعلوم فقد قال: العلم أكثر من أن يحفظ، فخذوا من كل علم محاسنه⁽⁷⁾، وقد وصل من العلم مرتبة جعلته يقول للناس وهو في العراق: سلوني، فعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال: ما كان أحد من الناس يقول: سلوني غير على بن أبي طالب⁽⁸⁾ رضي الله عنه، وقد وثق الناس بعلمه سواء الصحابة أو التابعون، فعن ابن عباس، رضي الله عنه، قال: إذا أتانا ثبت عن على لم نعدل به⁽⁹⁾، وعن أنه أيضاً قال: إذا حدثنا ثقة عن على بفتيا لا ندعوه⁽¹⁰⁾ وعن سعيد بن غفلة أنه جاءه رجل يسأله عن فريضة رجل ترك ابنته وامرأته، قال: أنا أبئك قضاء على قال: حسي قضاء على، قال: قضى على لامرأته الثمن، ولابنته النصف، ثم رد البقية على ابنته⁽¹¹⁾، وقد أتني الناس عليه في علمه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أما إنه أعلم الناس بالسنة⁽¹²⁾، وكان معاوياً رضي الله عنه يكتب فيما ينزل لبه ليسأل له على بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك، فلما بلغه قتلها، قال: ذهب الفقه والعلم بممات ابن أبي طالب⁽¹³⁾، وعن الحسن بن على، أنه خطب الناس بعد وفاته على رضي الله عنه فقال: لقد فارقكم رجل أمس، ما سبقه الأولون بعلم، ولا أدركه الآخرون⁽¹⁴⁾، وعن عبد الله بن عياش بن أبي ربعة - وقد سئل عن على - فقال: كان الله والله ما شاء من ضرس قاطع السلطة⁽¹⁵⁾ في النسب، وقرباته من رسول الله ومصاهرته، والسابقة في الإسلام، والعلم بالقرآن والفقه بالسنة، والنجد في الحرب، والجود في المعاون⁽¹⁶⁾، وعن مسروق قال: انتهى علم أصحاب رسول الله إلى عمر، وعلى، وابن م

(1) أعلام المؤugin.

(2) الجامع لأخلاق الرؤساء (236/1).

(3) شرف أصحاب الحديث للبغدادي، ص(93).

(4) تذكرة الساعي، ص(100).

(5) مسند أحمد (195/2) إسناده صحيح، تحقيق محمد شاكر.

(6) تاريخ العقوبي (5/2).

(7) الاستيعاب، ص(1103).

(8) المصدر السابق، ص(1104).

(9) الطبقات (338/2).

(10) سنن الدارمي (375/2).

(11) الاستيعاب، ص(1104).

(12) المصدر السابق، ص(1108).

(13) فضائل الصحابة (595/2) إسناده صحيح.

(14) السلطة: التوسط، والوسط في النسب هو أكرمها وأشرفها.

(15) نختار العقبى للمحب الطبرى، ص (79).

سعود، وعبد الله رضي الله عنهم⁽¹⁾.

وقد ترك أمير المؤمنين رضي الله عنه نصائح وإرشادات لطلاب العلم والعلماء والفقهاء تتحقق أن تحفظ ويعمل بها، ومن هذه النصائح:

١- الناس ثلاثة: عالم ربانى، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاي أتباع كل ناعق: روى الحافظ أبو نعيم عن كميل بن زياد قال: أخذ على بن أبي طالب رضي الله بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبان - يعني الصحراء- فلما أصرحنا جلس ثم تنفس ثم قال: يا كم يل ابن زياد، القلوب أو عي فخيرها أو عاها للعلم، احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة: عالم ربانى، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاي أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح لم يستطع ضيئوا بنور العلم، ولم يلجنوا إلى ركن وثيق⁽²⁾. إن هذه الوصية البليغة قد اشتغلت على درر المواقع وغُرر الحكم، فقد قسم أمير المؤمنين على رضي الله عنه الناس إلى ثلاثة أقسام:

(أ) العلماء الربانيون: والمقصود بالعلماء علماء الدين، والربانيون الذين يجمعون بين الفقه والحكمة كما جاء في تفسير ابن عباس رضي الله عنهم في قوله تعالى: **وَلَا كُنْ كَوْنُوا رَبَّانِيَّينَ** [آل عمران: 79]، قال: حكماء فقهاء، أخرجه الإمام البخاري، وبذلك فسره عبد الله ابن مسعود، رضي الله عنه⁽³⁾، فالذين يجمعون بين الحكمة والفقه هم المؤهلون لتنمية الأمة وتوجيهها، لأن الحكمة وضع الشيء في موضعه المناسب ومن ذلك التوفيق إلى تطبيق الحكم الشرعي على الواقع الناس، وذلك يقتضي فيما دقيقاً لواقع المجتمع مع الإسلامي، ومن الحكمة القيام بتربيبة الأمة بهذا الدين، وذلك يقتضي الجمع بين تعليم الدين والتربية على التقوى ومكارم الأخلاق، وأما الفقه فهو فهم الأحكام الدينية من مصادره الشرعية، ولذلك كان العلماء الربانيون هم أفضل الأمة، لأنهم جمعوا بين فضيلتين هما: تلقى العلم، والتعليم مع التربية، فهم المؤهلون لتربيبة الأمة وتوجيهها⁽⁴⁾، وقد عرف أمير المؤمنين على رضي الله عنه الربانيين بأنهم هم الذين يغدون الناس بالحكمة ويربوهم على هم عليها⁽⁵⁾.

(ب) طلاب العلم الذين أخلصوا نياتهم في طلب العلم: ليكون وسيلة إلى نجاتهم من المسؤولية أمام الله تعالى، وقد عبر على رضي الله عنه عن هذا القسم بقوله: ومتعلم على سبيل نجاة، وهذا لا يختص بالدارسين الذين تقرعوا لطلب العلم، وإنما يشمل كل من حمل مسؤولية تطبيق هذا الدين، وأهمه أمر نجاته في الآخرة، فاستحق في أمور دينه العلامة الربانيين، ليعبد الله على بصيرة، وليسقى في معاملته مع الناس على منهج الله، وهذا يعتبر من المتعلمين على سبيل نجاة وإن لم يجلس في حلقات العلم⁽⁶⁾. إن أمير المؤمنين على - رضي الله عنه - يربينا أهمية إخلاص النية لله في طلب العلم، ويدعوه لتقديم ما عند الله والدار الآخرة على حطام الدنيا وشهوات النفس والدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله ودين الحق والصبر على ذلك.

(ج) الذين هجروا العلم الديني ولم يكن لهم ارتباط بالعلماء الربانيين: في معرفة أمور دينهم، وقد عبر عنهم أمير المؤمنين على رضي الله عنه بقوله: وهمج رعاي أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح لم يستطعوا بنور العلم.

(١) تاريخ السيوطي.. ص (196) حلية الأولياء (75/1).

(٢) صفة الصفة (329/1).

(٣) التاريخ الإسلامي للحميدى (11، 438/12).

(٤) التاريخ الإسلامي للحميدى (11، 438/12).

(٥) الفتوى (49/1).

(٦) التاريخ الإسلامي للحميدى (11، 438/12).

تحدث أمير المؤمنين عن صنف الهمج الرعاع اتباع كل ناعق، الذين يميلون مع كل ريح وليس لهم نور يستضيئون به، وحضر من هذا الصنف الإمعى، وكأنه رضي الله عنه يدعوا الناس بأن يكون همهم الحق والثبات عليه، وبأن يعمروا الدنيا والآخرة بطاعة الله وأن يستضيئوا بنور الله وينجعوا الدنيا مطية للآخرة.

2- المقارنة بين العلم والمال: وجاء في وصية أمير المؤمنين على رضي الله عنه لـ كمبل بن زياد.. العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكوك مع العمل، والمال تنقصه النفقة، العلم حاكم، والمال محكوم عليه، وصنعة المال تزول بزواله ومحبة العالم دين يدان بها، العلم يكسب العالم الطاعة في حياته، وجميل الأحداثة بعد مماته، مات خزان المال وهو أحياء، والعلماء باقون ما بقى الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة^(١)، عقد أمير المؤمنين على رضي الله عنه مقارنة بين العلم والمال، باعتبار أن العلم الشرعي هو عماد أهل الآخرة ومعقد عزهم وشرفهم في الدنيا والآخرة، والمقصود بالمال هنا الذي يجمعه صاحبه لذاته ولا يتوجه فيه بالطاعات وفق شرع رب به، وقد سوغ هذا الحكم بعده أمور:

(أ) أن العلم يحرس صاحبه بينما صاحب المال هو الذي يحرسه: فاما حراسة العلم صاحبه فإن العلم الإلهي يقي صاحبه من المهالك في الدنيا والآخرة، فاما أمر الآخرة فظاهر معلوم، حيث إن هذا العلم يقود صاحبه إلى رضوان الله تعالى والجنة ويجنبه طريق النار، وما أعظمها من مطالب وما أبلغها من مكاسب، وأما الوقاية من مهالك الدنيا فإن اسعادة الروحية الحقة لا تكون إلا باليقين الذي تتضاعل أمامه الحياة الدنيا، فتصبح جميع مآسيها ونكباتها بردًا وسلامًا على أصحاب اليقين، لأنهم لا يلقون لها بالاً، ولا يعيرونها اهتمامًا، بينما تحول هذه المأسى والنكبات إلى حياة حيمية على أهل الدنيا الذين يعتدون الحياة الدنيا هي رأس المال والمكسب، وأما حراسة صاحب المال ماله فأمرها ظاهر، فكم تملك أصحابها من الهم والخوف عليها تململ المريض، وباتوا يحرسون أموالهم بالهم والقلق والحزن المنهنگ⁽²⁾. والعلم ينور بصيرة صاحبه في الاختيار الأفضل وفي استخلاص العبر من الأمم الماضية والعيش بها في الحياة، والعلم يفتح آفاقاً واسعة في فقه الخلاف، ومعرفة المصالح والمفاسد، والمقاصد، وترتيب الأولويات فيسير صاحبه بذلك بين الناس.

(ب) أن العلم ينمو ويتسرّع بالعمل لأن العمل تطبيق للعلم، فهو بذلك يزيده عمقاً في الذاكرة، بخلاف المال فإن الإنفاق منه ينقصه، ولا يغيّر عن الحال أن المقصود هنا أموال أهل الدنيا التي ينفقون منها من أجل الدنيا، أما أموال أهل الآخرة فإنها محفوظة بالعمل الشرعي، فالإنفاق منها يزيدها نمواً كما جاء في قول الرسول: «ما نقص مال عبد من صدقة»⁽³⁾.

(ج) أن العلم الشرعي حاكم لأنه تنتظم به شئون الحياة: وعلى منهاجه يجب أن تقرر جميع الأنظمة التي تحكم الناس، فهو الحكم الحقيقي، أما المال فإنه محكوم عليه لأن إصداره وإيراده يخضع للأنظمة الحاكمة سواء كانت شرعية أو غير شرعية⁽⁴⁾.

(د) أن العلاقات الاجتماعية التي تقوم على المصالح المالية المشتركة تزول بزوال الماء لأنها هو الذي عقد تلك العلاقات بناء على تبادل المصلحة بوجوده، فإذا زال ذلك زال الماء

¹⁴ (1) حلية الأولياء (75/1)، صفة الصفو (329/1).

(2) التاريخ الإسلامي للحميدى (442/12).
(3) الموسوعة النفسية (442/12).

المصدر نفسه (442/12) {3} التاريخ الاسلامي (442/12) {4}

(+) سریع، ہے ساری (۱۲/۴۴۷).

صالح، أما العلاقات الأخوية التي تقوم على تبادل العلم الشرعي بين العالم ومحبيه فإنها باقية حالية في الدنيا والآخرة، قال تعالى: +الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ+ [الزخرف: 67].

(هـ) أن العلم الشرعي يكسب ولاء المسلمين وطاعتهم لأهله اختياراً منهم: من غير أن تفرض عليهم هذه الطاعة، وذلك على امتداد حياتهم، كما يكسبهم الذكر الحسن بعد مماتهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، حيث لا يفقد الناس إلا صورهم وأشكالهم.

وإنما لو استعرضنا التاريخ إلى عصرنا هذا لوجدنا العلماء من عهد الصحابة، رضي الله عنهم، تتعدد أسماؤهم ويدرك التاريخ حياته في الكتب والخطب والدورس العلمية، بينما اندرست أسماء كبار أهل الدنيا بانقضاء حياتهم، وأحياناً يشاهدون انطفاء سمعهم وهم أحياه⁽¹⁾.

3- أن الفقيه كل الفقه الذي لا يقطع الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من عذاب الله، ولا يرخص لهم في معاصي الله، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره، ولا خير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها⁽²⁾.

في هذا النص يبين أمير المؤمنين على رضي الله عنه أن من الفقه في الدين التزام صفة الاتزان والاعتدال في عرض أمور الدنيا ومحاولة إصلاح الناس، وذلك بأن يسير الداعية في خط وسط بين مقامي الخوف والرجاء، فلا ينطلق في تخويف الناس إلى الحد الذي يجعلهم يقطعون من رحمة الله، ولا ينطلق في ترغيب الناس إلى الحد الذي يجعلهم يأنمون من عذاب الله تعالى، ونجد عليه رضي الله عنه في هذا النص يبين أن من مظاهر الفقه في الدين لا يهون العالم من شأن المعاصي فيجرئ الناس على ارتكابها، وأن يحافظ على مستوى الإيمان والتقوى لدى الناس مع محاولة رفعهم نحو الكمال في ذلك، كما أن من الفقه أن يحاول العالم ربط المسلمين بكتاب الله تعالى، وهنا يبين على رضي الله عنه أهمية القرآن الكريم وتفضيله المطلق على كل ما سواه، وفيه تبيين أو تعليم للطريقة التي نتعامل بها مع القرآن الكريم، وألا نتجاوزه إلى غيره رغبة عنه لأنه مصدر الهدىية الأولى، ومن المعلوم أن السنة النبوية بيان تفصيلي للقرآن الكريم، فالتوجيه إلى القرآن يعبد توجيهه إلى السنة، ثم يبين أن من أهم شروط العبادة الشرعية المقبولة أن تكون صادرة عن علم بالكتاب والسنة وأن العلم لا يكون نافعاً إلا إذا رافقه الفهم الصحيح.

وبخت وصيته النافعة ببيان أهمية تدبر معاني كتاب الله تعالى حال التلاوة لأن الخير كل الخير في فهم مقاصد القرآن الكريم للعمل بأحكامه، والتوجيه الكامل الله بالقلب والعقل والروح والجوارح عند قراءتنا لكتابه، وبذل كل ما نستطيع لفهم مراد الله والعمل بأمره واجتناب نواهيه، والتخلص من كل العوائق التي تحول بيننا وبين كتاب الله، فهذا يدعونا للتجرد الله بالكلية وإخلاص الدين له، وتحري مراد الله ورسوله ودين الحق، ولو أدى إلى مفارقة الأهل والمال والولد والوجهة الدنيوية، فإن ما عند الله خير وأبقى والاتساع بمواضعه وتنمية الإيمان بتذكر معاني هذا الكتاب العظيم⁽³⁾.

4- ما أبداها على الكبد: عن الشعبي عن على رضي الله عنه أنه خرج عليهم وهو يقول: ما أبداها على الكبد فقيل له: وما ذلك؟ قال: أن تقول للشيء لا تعلمه: الله أعلم⁽⁴⁾.

5- أهل العلم وتعليم الناس: قال أمير المؤمنين على رضي الله عنه: ما أخذ الله العهد

(1) المصدر نفسه (443/12).

(2) حلبة الأولياء (77/1)، صفة الصفة (325/1).

(3) التاريخ الإسلامي (433-431/12).

(4) جامع بيان العلم وفضله (66/2).

على أهل الجهل أن يتلعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يُعَلِّمُوا⁽¹⁾.

6- الخير في كثرة العلم لا المال والولد: قال على رضي الله عنه: ليس الخير أن يكثراً مالك و ولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباها الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أساءت استغفرت الله، ولا خير في الدنيا إلا أحد رجلين، رجل أذنب ذنبًا فهو تدارك ذلك بتوبة، أو رجل يسارع في الخيرات، ولا يقل عمل في تقوى، وكيف يقل ما يتقبل؟⁽²⁾.

7- العلم والجهل: قال رضي الله عنه: كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه وبه رح به إذا ذُسْبَ إِلَيْهِ، وكفى بالجهل ضعة أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب إذا ذُسْبَ إِلَيْهِ⁽³⁾.

8- سبب زهد الناس في العلم: قال رضي الله عنه: إنما زهد الناس في طلب العلم، لما يرون من قلة انتفاع من عَلَمَ بما عَلَمَ⁽⁴⁾، وهذا فيه تحذير لعلماء السوء الذين يصدون عن سبيل الله، ودعوة للعلماء بالعمل بعلمهم ودعوة الناس إليه والصبر على أذاهم في سبيل الله تعالى.

9- من حقوق العلماء على أمتهم: قال أمير المؤمنين على رضي الله عنه: من حق العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال، ولا تعننته بالجواب، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوابه إذا نهض، ولا تقشين له سرًا، ولا تغتابن عنده أحداً، ولا تطلبن عثرته، وإن زل قبلت معذرتها، وعليك أن توقره وتعظممه الله ما دام يحفظ أمر الله، ولا تجلس أمامه، وإن كان له حاجة سبقت القوم إلى خدمته⁽⁵⁾.

10- مكانة العلماء العاملين عند الله: قال أمير المؤمنين على رضي الله عنه: من علم وعمل دُعِيَ في ملوك السماوات عظيمًا⁽⁶⁾، وهذه دعوة للعلم والعمل، وحث للسعى لمقامات العالية التي يكرم الله بها من علم وعمل ابتعاه مرضاته سبحانه وتعالى.

11- الاشتغال بالعلم أولى من الاشتغال بالعبادات التطوعية: قال أمير المؤمنين على رضي الله عنه: العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثم في الإسلام ثلاثة لا يسدتها إلا خلف مثاله⁽⁷⁾. وهذا التوجيه فيه دلالة على فقه ترتيب الأولويات عند أمير المؤمنين على، فهو يرى العمل المتعدي لخير الناس، هو العلم الأولى بالتقدير من العمل العبادي الذي ترجع فائدته على الشخص نفسه.

هذه بعض التوجيهات النافعة والإرشادات الصالحة من أمير المؤمنين على رضي الله عنه - لطلاب العلم.

ثانيةً: زهد أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه وورعه: فهم أمير المؤمنين على بن أبي طالب من خلال معايشته للقرآن الكريم وملازمه للنبي الأمين ، ومصاحبه للصحابية الكرام، ومن تفكره في هذه الحياة أن الدنيا دار اختبار وابتلاء، فقد تربى أمير المؤمنين على - رضي الله عنه - على كتاب الله، واستواع بـ

(1) فرائد الكلام، ص (361).

(2) حلبة الأولياء، ص (75).

(3) فرائد الكلام، ص (366).

(4) أدب الدين والدنيا، ص (82، 85).

(5) جامع بيان العلم وفضله (519/1).

(6) المصدر نفسه (497/1).

(7) المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح للدمياطي، ص (13).

الآيات التي تحدثت عن الدنيا، وأخبرتنا بخستها وقلتها وانقطاعها وسرعة فنائها، والإيات التي رغبت في الآخرة، وأخرجت بشرفها ودوامها قوله تعالى: + وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءً أَذْرَلَدَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْذَلَهُ بِهِ نَبَاتَ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُرُهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا الْمَالَ وَالْبَدْنَوْنَ زَيْنَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ذِيْرُ عَنْدَ رَبِّهِ أَبَدًا وَخَيْرُ أَمْلَاً [الكهف: 45، 46]، وتربي على يدي النبي × الذي كان أعراف الخلق بالدنيا ومقدارها، إذ هو الفائل ×: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»⁽¹⁾، وقال ×: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بما ترجع»⁽²⁾، وقال ×: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»⁽³⁾، وقد تأثر أمير المؤمنين على - رضي الله عنه - بالتربية القرآنية والنبيوية، فكان من أصدق النماذج التي زركتها تربية النبي - عليه السلام - والتي قال الله فيها: + كَمَا أَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مَّنْ كُمْ يَتَلَوُ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيْكُمْ [البقرة: 151]، فقد ضرب لنا أروع الأمثلة في الزهد، وهذه بعض المواقف المدهشة في هذا الباب.

1- يا صفراء ويا بيضاء غُرَّى غيري: عن على بن ربيعة الوالبي أن على بن أبي طالب جاءه ابن النباح فقال: يا أمير المؤمنين امتلاً بيت مال المسلمين من صفراء وبضاء، فقال: الله أكبر، فقام متوكداً على ابن النباح حتى قام على بيت مال المسلمين فقال: وكل جَنَّاتٍ يده إلى فيه

هذا جَنَّاتٍ خياره فيه

يا ابن النباح على بأشياع الكوفة، قال: فنودي في الناس، فأعطي جميع ما في بيت مال المسلمين وهو يقول: يا صفراء، ويا بيضاء غري غيري، ها، ها، حتى ما باق منه دينار ولا درهم، ثم أمره بنضجه وصلى فيه ركعتين، وفي رواية أخرى لأبي نعيم من خبر مجمع التيمي قال: كان على يكتس بيت المال ويصلى فيه ويتحذه مسجداً رجاء أن يشهد له يوم القيمة.

ففي هذا مثل بلieve في الترفع عن متاع الدنيا الزائل، فبيت المال قد امتلاً من الذهب والفضة، ولا ينظر إليه أمير المؤمنين على - رضي الله عنه - نظرة إعجاب وغرور، بل كان جوابه حينما أبلغه المسؤول المالي عن ذلك أن قال: «الله أكبر»، فإذا كان بعض الناس يكررون الدنيا ويعظمونها، فالله تعالى أكبر منها ومن كل شيء، وما دام المسلم يشد عر حقاً أن الله أكبر، فلماذا يجعل قلبه مستسلماً لما هو أصغر؟ إنه فقه عظيم من أمير المؤمنين على - رضي الله عنه - حينما تذكر هوان الدنيا وحقارتها، فكثير الله تعالى، ولسان حاله يؤنث من انخدع بمتاع الدنيا الزائل ونسى أن الله، جلا وعلا، أكبر من كل شيء، إنه لميزان دقique يحسه المؤمن الذي ذَوَرَ الله، سبحانه بصيرته، فكلما كان الله تعالى أعظم وأكبر من كل شيء في قلبه كانت الدنيا وما فيها أهون شيء عليه، وأصبح يسد خر المال الحلال في طاعة الله جل وعلا، وكلما عظمت الدنيا في قلبه كان ذلك على حد ساب نقص تعظيمه لله تعالى، ونجد أمير المؤمنين علياً - رضي الله عنه - يحلق في آفاق العظمة وهو يخاطب الدنيا بقوله: يا صفراء ويا بيضاء غري غيري.. مما يدل على الوجدان الحى والحس المرهف الذى يصور الدنيا كخصم يخالل ويرأوغ خصمها.. وهو بهذه اعلن انتصاره على جموح النفس وجنوح العواطف، ويحكم عقله الذى يعطي الدنيا حجمها المناسب لزمنها المحدود في شقائقها ونعمتها، ويعطي الآخرة حجمها المناسب لخلود

(1) سنن الترمذى رقم (4110) صحيح غريب.

(2) مسلم رقم (2858).

(3) مسلم رقم (2856).

ها وعظمتها نعيمها وهو جحيمها، ونجده- رضي الله عنه - يصل إلى قمة المعالي حينما صلى في بيت المال ركعتين لتكونا شاهدين له يوم القيمة بأنه عدل في حكمه واستقام في أمره، ولعل في اتخاذ بيت المال مسجداً رمزاً للعروة الآخرة على الدنيا، وهو مكملاً للسلوك العالي الذي مارسه في تصريف ذلك المال في وجوهه المشروعة⁽¹⁾.

2- والله ما أرزوك من مالكم شيئاً: ومن مواقف أمير المؤمنين على - رضي الله عنه - في الزهد والورع ما رواه هارون بن عتنة عن أبيه قال: دخلت على على بن أبي طالب بالخورنق⁽²⁾، وهو يرعد⁽³⁾ تحت سمل قطيفة⁽⁴⁾، فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك وأهل بيتك في هذا المال، وأنك تصنع بنفسك ما تصنع! فقال: والله ما أرزوك من مالكم شيئاً، وإنها نقطيفتي التي خرجت بها من منزلي - أو قال من المدينة⁽⁵⁾.

وهنا نتساءل فنقول: ما الذي حمل أمير المؤمنين عليهما على أن يعيش عيشة الفقراء وأن يتحمل البرد القارس وهو قادر على أن يشتري أغلى ما يوجد في الأرض من الملابس وأكثرها دفناً؟ إنه مثال للزهد الحقيقى حيث يرغب عن متاع الدنيا مع القدرة على تحصيله، إنه تلميذ المدرسة النبوية التي ربى فيها على الزهد في متاع الدنيا الزائل، والت魔鬼 على نعيم الآخرة الخالد، فقد عاش رسول الله × عيشة الفقراء وهو يستطيع أن يكون الأفضل للأغنياء⁽⁶⁾.

3- باعني رضاي وأخذ رضاه: عن أبي مطر بن عبد الله الجهنى قال: رأيت عليه السلام متترراً بازار، مرتدياً برداء ومعه الدرة⁽⁷⁾، كأنه أعرابي بدوى، ثم ذكر دخوله إلى السوق ومساوته أحد التجار في ثوب بثلاثة دراهم، وأن التاجر عرفه، قال: فلم يدركه لم يشتري منه شيئاً، فأتى آخر فلما عرفه لم يشتري منه شيئاً، فأتى غلاماً حدثاً فشتري منه قبيصاً بثلاثة دراهم، ثم جاء أبو الغلام فأخبره، فأخذ أبوه درهماً ثم جاء به فقال: هذا الدرهم يا أمير المؤمنين، قال: ما شأن هذا الدرهم؟ قال: كان ثمن القميص درهماً، فقال باعني رضاي وأخذ رضاه⁽⁸⁾. فهذا مثل في الزهد من أمير المؤمنين على ابن أبي طالب رضي الله عنه، فقد كان مظهراً في لباسه يوحى بأنه رجل أعرابي لخشونة ملابسه، وحينما أشتري له ثوباً اختار نوعاً متواضعاً رخيص الثمن مع أنه كان آنذاك أعلى مسؤول في العالم، حيث كان خليفة المسلمين، وهذا يدل على تواضعه وزهده في الدنيا، علمًا أن له حقه من الفئران من بيت المال وغيرهما من مصادر الدولة لشخص مفرغ، ك الخليفة وحاكم، لمرااعة مصالح المسلمين.

ومثل آخر في الورع والاحتياط للدين حينما امتنع من الشراء من يعرفونه حتى لا يروعوه في الثمن لمنصبه، فهو لا يريد أن يستثمر منصبه الكبير لمصالحة الخاصة، وهذا فهو دقيق لمجالات الورع والتقوى، فالخلافة عنده وعند أمثاله عمل صالح، وال الخليفة إذ صاحبه العدل كان أول السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيمة، فهو لا يريد أن يذهب س هذا العمل الصالح بمصالح دنيوية، فيتحول العمل إلى مجلبة للوزر بدلاً من الأجر،

(1) التاريخ الإسلامي (427/12) للحميدية.

(2) موضوع بالковفة.

(3) يرعد: من شدة البرد.

(4) سمل قطيفة: يعني قطيفة قديمة.

(5) حلبة الأولياء (82/1)، مصافة الصفوة (316/1).

(6) التاريخ الإسلامي (428/12).

(7) الدرة بكسر الدال وتشديدها، العصا.

(8) الزهد، ص (130).

فكان بهذا السلوك العالي قدوة حسنة لمن أتوا بعده⁽¹⁾.

4- يخشع القلب ويقتدي به المؤمن: قال عمر بن قيس: قيل لعلي رضي الله عنه: لم تر قميصك؟ قال: يخشع القلب ويقتدي به المؤمن⁽²⁾, فهذا من زهذه - رضي الله عنه - وحرصه على تربية المسلمين على حياة الزهد والتقوف، فقد لاحظ في لبس الثوب المروع ملحوظين: الأول أنه وسيلة إلى خشوع القلب وتواضع النفس والبعد عن أسباب العجب والكبراء، والثاني أنه يعتبر بذلك قدوة للمسلمين، فإذا رأاه الناس - وهو في أعلى مذنب - يليس الثوب المزمع فإن نفوسهم تتواضع ويتبعون عن التنافس في شراء الملابس الغالية الثمن، ويتقى بذلك الزاهدون الذين يتعرضون لملامة الناس على سلوكهم حياء الزهد⁽³⁾.

5- لا يحل لل الخليفة من مال الله إلا قصعتان: عن عبد الله زرير الغافقي قال: دخلت على على بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقرب إلينا خزيرة⁽⁴⁾, فقلت: أصلحك الله لو قربت إلينا من هذا البط - يعني الأوز - فإن الله - عز وجل - قد أكثر الخير، فقال: يا ابن زرير إني سمعت رسول الله يقول: «لا يحل لل الخليفة من مال الله إلا قصعتان، قصة يأكلها هو وأهله، وقصعة يضعها بين يدي الناس»⁽⁵⁾, وهذا أمير المؤمنين على بن أبي طالب - رضي الله عنه - يضرب مثلاً عالياً في الورع والزهد في متاع الدنيا الزائد من طعام وشراب، فلقد كان بإمكانه أن يأخذ من بيت المال ما شاء من الأموال مما لا يلتف النظر إليه، حيث يؤمن له معيشة متساوية لأغنياء المسلمين، ولكنه رضي بخشونة اعيش إيثاراً للأجلة عن العاجلة، واحتياطاً لأمر دينه، وإبرازاً للقدوة الصالحة، لأنه إذا كان أعلى على رجل في الدولة يعيش في هذا المستوى من العيش فإن في ذلك عزاء للقراء لا يصبروا ويرضوا بقضاء الله تعالى وقدره، ووعظاً للأغنياء ليشكروا الله تعالى، فيخففوا من اندفاعهم نحو الترف والإسراف⁽⁶⁾.

6- لا أحب أن يدخل بطني إلا ما أعلم: كان أمير المؤمنين - رضي الله عنه - يختبر على الجراب الذي فيه دقيق الشعير الذي يأكل من ويقول: لا أحب أن يدخل بطني إلا ما أعلم⁽⁷⁾, وقال سفيان: إن علياً لم بين أجرة على لبنة، ولا لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة، وإن كان ليؤتى بحبوه من المدينة في جراب⁽⁸⁾.

7- إنك لطيب الريح، حسن اللون، طيب الطعام: يروى عدى بن ثابت، وحبة بن جويه أن أنه أتى بسطخوان فالوذج⁽⁹⁾ إلى على فلم يأكل، وقال على: إنك لطيب الريح، حسن اللون، طيب الطعام، لكن أكره أن أعود نفسي ما لم تعنته⁽¹⁰⁾.

8- أزهد الناس في الدنيا على بن أبي طالب: قال الحسن بن صالح بن حي: تذكروا الزهد عند عمر بن عبد العزيز، فقال: أزهد الناس في الدنيا على بن أبي طالب⁽¹¹⁾, وقد

(1) التاريخ الإسلامي (429/12) للحميدي.

(2) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص (647) للذهبي.

(3) التاريخ الإسلامي (430/12) للحميدي.

(4) الخزيرة: لحم يقطع ويطبخ بالماء ويدر عليه الدقيق.

(5) مسند أحمد (78/1) إسناده صحيح، قاله أحمد شاكر وهناك من ضعفه.

(6) التاريخ الإسلامي (431/12).

(7) الكامل في التاريخ (2) (443/2).

(8) الكامل في التاريخ (2) (443/2).

(9) الطسطخوان: عبارة عن طشت كبير يوضع وسط المائدة، والفالوذج: حلواء تعمل من الدقيق والماء والعدس.

(10) الحلية (81/1)، صحيح التوثيق، ص (74).

(11) تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين، ص (645).

ذكر الذهبي أن علياً ركب حماراً ودللي برجليه إلى موضع واحد ثم قال: أنا الذي أهنت الدنيا (وفعله هنا من باب التربية العملية على الزهد والتقوى والترفع على الدنيا وليس على سبيل الخباء)⁽¹⁾، وأخرج أبو عبيد في الأموال عن على - رضي الله عنه - أنه أعد طي العطاء في سنة ثلاثة مرات، ثم أتاه مال من أصبهان، فقال: اغدوا إلى عطاء رابع، إني لست بخازنكم، فأخذها قوم وردها قوم⁽²⁾، وخطب على الناس فقال: أيها الناس، والله الذي لا إله إلا هو، ما رأيتم من مالكم قليلاً ولا كثيراً إلا هذه، وأخرج قارورة من كم قميصه فيها طيب، فقال أهدي إلى دهقان، وقال: ثم أتى بيت المال وقال: خذوا، وأنشا يقه ول:

يأكل منها كل يوم تمرة⁽⁴⁾

أفح من كانت له قوصرة⁽³⁾

لقد كان الزهد من الصفات البارزة في شخصية أمير المؤمنين على بن أبي طالب، رضي الله عنه، وكان زهده مع توافر أسباب الرخاء والثراء، وثقة الناس وتوقيرهم وإجلالهم له الذي يمنع من النقد والحساب والمؤاخذة⁽⁵⁾، ولم يكن - رضي الله عنه - مع زهده وورعه وتصلبه في دينه، على شيء من الفطاظة والخشونة والعبوس والكلح، ولم يكن نقيلاً للظل، بل كان دوداً بشوشاداً فيه دعاية ملحوظة، وقد جاء في وصفه: كان حسن الزوج، ضحوك السن، خفيف المشي على الأرض⁽⁶⁾ وقد عرف - رضي الله عنه - الزهادة فقال: أيها الناس الزهادة، قصر الأمل، والشك عن النعم والتورع عن المحارم⁽⁷⁾. وقصر الأمل ضد طول الأمل الذي ينسى الإنسان الآخرة، وإنما قصره فيجعله يجمع بين الدنيا والآخرة ابتعاده مرضاه الله، وأما الشكر عند النعم فهي صفات المسلم الرباني الذي يستشعر نعم الله عليه المادية والمعنوية، ما ظهر منها وما بطن، ويقابلها بالشكر للعزيز الوهاب، فتعريف أمير المؤمنين بين حقيقة الزهد، ولا شك أن زهد أمير المؤمنين على - رضي الله عنه - قد أثر في من حوله، وأصبح مدرسة مؤثرة في تاريخ الأمة، وقد ربط أبو الحسن الندوى بين الزهد والتجديد في المجتمع الإسلامي فقال: وقد رأينا الزهد والتجديد متراافقين في تاريخ الإسلام، فلا نعرف أحداً من قبل التيار، وغير مجرى التاريخ، ونفع روحًا جديدة في المجتمع الإسلامي، أو فتح عهدًا جديدًا في تاريخ الإسلام، وخلف تراثاً خالداً في العلم والفكر والدين، وظل قروداً يؤثر في الأفكار والآراء ويسير طر على العلم والأدب، إلا وله نزعة في الزهد، وتغلب على الشهوات، وسيطرة على المادة ورجالها، ولعل السر في ذلك أن الزهد يكسب الإنسان قوة المقاومة، والاعتداد بالشخصية والعقيدة، والاستهانة برجال المادة، وصراعي الشهوات، وأسرى المعدة⁽⁸⁾.

ثالثاً: تواضع أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه:

من الأخلاق القرآنية التي تجسدت في شخصية أمير المؤمنين على بن أبي طالب - رضي الله عنه - خلق التواضع، قال الله تعالى: +وَلَا تَمْسُكْ فِي الْأَرْضِ مَرَحَّاً إِذْ كَلَّ أَن تَخْرُقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طَوْلَهَا+ [الإسراء: 37]، وقول تعالى: + وَلَا تَصْعَرْ خَدَّكَ لِذَنَاسِ وَلَا تَمْسُكْ فِي الْأَرْضِ مَرَحَّاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُ

(1) تاريخ الإسلام، للذهبي ص، (645).

(2) كنز العمال (320/2).

(3) القوصرة: وعاء من قصب يجعل فيه التمر ونحوه.

(4) المرتضى للندوى، ص (212).

(5) المصدر نفسه، ص (210).

(6) المرتضى للندوى، ص (213).

(7) على بن أبي طالب، محمد رسيد رضا، ص (304).

(8) رجال الفكر والدعوة في حديث الإمام أحمد (105/1).

لَمُخْتَالٍ فَخُورٍ وَأَقْصِدٌ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضَضُ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتِ الْأَحْمَرِ" (القمان: 18، 19).

وفي آية الإسراء دعوة واضحة إلى التحلية بمكارم الأخلاق من التواضع واللين، ومرة قدر النفس، والنهي الصريح عن رعونات النفس من الكبر والبطر والاشتراك والاحتفار للناس، والأمر بضده وهو التواضع والقصد من الأمور صراحة بعد أن علم بالمفهوم من النهي السابق، ونذيل الله تعالى النهي والأمر بما ذيل به النهي السابق من عدم رضاه وشدة سخطه على من اتصف بتلك الصفات، فقال سبحانه: +إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلُّ مَخْتَالٍ فَخُورٍ+ [لقمان:18]، فعدم محبته لمن كان كذلك، يعني بغضه له، كما دلت عليه الآية السابقة، وفي هذا من الحث على التواضع ما فيه الكفاية للمؤمنين⁽¹⁾، غير أن القرآن الكريم لم يقتصر على ذلك، بل نوه بالمتواضع أيما تنويه حيث قال الله جل ذكره: +وَعَبَادُ الرَّحْمَنَ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَذَا وَإِذَا خَاطَبُوهُمْ أَجَاهَلُوْنَ قَالُوا سَلَامًا+ [الفرقان:63].

و هذا تنويه عظيم بالمتواضعين حيث وصفهم بالعبودية له، وذلك أعظم تشريف لهم لأن العبودية له، سبحانه، هي أشرف الأوصاف، ومن أعلى مراتب المحبين، وبذلك يتباهرون ولذلك يقول الشاعر:

وَكَدْتُ بِأَخْمَصِي أَطْأَلَ الثَّرِيَا

وَمَا زَادَنِي شُرْفًا وَتَيْهًا

وأن صيرت أَحْمَدَ لِي نَبِيًّا⁽²⁾

دخولی تحت قولک پا عبادی

وكان نبينا محمد × في ذرورة الذرا من هذا الخلق العظيم في كل صوره وأشكاله، و لا غرابة في ذلك فهو الذي أديبه ربه فأحسن تأديبه، وكان مما أديبه الله تعالى به في هذا ا لخلق قوله سبحانه وتعالى: +لَا تَمْدُنَ عَيْنِيْكَ إِلَيْ مَا مَتَعْذَبَ بِهِ أَزْوَاجًا مَذْهِمًا+ و لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَأَخْفُضْ جَنَاحَكَ لِمَدْوَمِيْنَ [الحجر: 88] و قوله تعال ى: +وَأَخْفُضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُمْؤْمِنِينَ [الشعراء: 215]. و خفض ال جناح كنایة عن التواضع لهم والرفق بهم⁽³⁾، وقد قام النبي × بذلك حق القيام، و ظهر اثر التواضع في كل أحواله الذاتية والاجتماعية والأسرية، وفي كل زمان ومكان بحيث لا ي خلو حال من أحواله × عن التواضع لله تعالى والمؤمنين⁽⁴⁾، وقد تأثر أمير المؤمنين عل ى - رضي الله عنه - بالتربيبة القرانية الكريمة، والتربية النبوية الرشيدة، فكانت هذه ال صفة متجسدة في شخصيته الفذة، وإليك بعض المواقف:

(أ) أنا الذي أهنت الدنيا: عن صالح بن أبي الأسود عمن حدثه أنه رأى عليه قد ركب حماراً ولدى رجليه إلى موضع واحد ثم قال: أنا الذي أهنت الدنيا⁽⁵⁾، وهكذا يشعر أمير المؤمنين على بن أبي طالب - رضي الله عنه - بالفرح لانتصاره على نفسه، وظاهر بمحظه التواضع أمام الناس وهو خليفة المسلمين، إن مناصب الدنيا خداعة غرارة، وإن فتنة الجاه بها أعظم من فتنة المال، فلطالما رأى أناس مسؤولون كانوا متواضعين قبل أن يلووا، فلما تولوا مناصب كبيرة بدأ التعاظم في نفوسهم شيئاً فشيئاً، حتى يكون من الصعب في آخر الأمر مخاطبتهم، واللقاء معهم، لكن أولياء الله المتقيين كلما ازدادوا رفع

(1) أخلاق النبي في القرآن والسنّة، أحمد الحداد (454/1).

(2) المصدر نفسه (455/1)

(3) روح المعاني للألوسي (5/80).

(٤) أخلاق النبي في القرآن والسنة (٤٥٩/١).

(٥) البداية والنهاية (٥/٨).

ة في المناصب الدينية زادوا تواضعًا للناس، وشعروا بالسرور وهم يقومون بمظاهر ا تواضع التي تنفي عنهم صفة التجبر والكبرياء⁽¹⁾.

(ب) أبو العيال أحق أن يحمل: روى عن على - رضي الله عنه - أنه أشتري تمرًا بدر هم فحمله في ملحفة، فقالوا: نحمل عنك يا أمير المؤمنين، قال: لا، أبو العيال أحق أ ن يحمل⁽²⁾، فهذا مثل من تواضعه حيث حمل متاعه بنفسه مع كونه أمير المؤمنين ومع كبر سنة، فلم ير في ذلك مسوغًا لقبول خدمة الناس له، وهو بهذا يجعل من نفسه قدوة حسنة للمسلمين في التواضع، فلو نازعت أحد الكبار نفسه في تصور العيب من حمل ال متاع فإنه بتذكره لموقف أمير المؤمنين على - رضي الله عنه - يزول ما في نفسه من ذلك، ولو اعترض على أحد المتواضعين معترض فإن له من الاقناء بأكبر أمير على و جه الأرض ما يرد هذا الاعتراض⁽³⁾.

(ج) معاملته لعمه العباس رضي الله عنهم: عن صهيب مولى العباس، قال:رأيت علياً يقبل يد العباس ورجله ويقول: يا عم، ارض عنی⁽⁴⁾. ولتأمل ما ورد في وصف ض رار الطائى لعلي - رضي الله عنه - حيث يقول: يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سأله، وينبئنا إذا استبياناه، ونحن والله مع تقربيه إنا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له⁽⁵⁾.

ومن أقوال أمير المؤمنين في التواضع: «تواضع المرء يكرمه»⁽⁶⁾، إن العبد كلما ر سخ في العلم بالكتاب والسنة وعمل بهما، وعرفحقيقة نفسه ازداد تواضعًا لله ولخلقه، كما إن علة من أعجب بنفسه من بعض دعوة اليوم إنما هي من قلة العلم والفهم، إضافة إ لى انصراف نظر الداعي إلى كثرة من حوله من الأتباع، وغفلته عن النظر إلى ما عند الله، ثم إلى من فوقه من العلماء الربانيين، وهذا من مداخل الشيطان الخفية على طلاب ا لعلم والمحسوبين على حقل الدعوة، وقد قيل في منشور الحكم: «إذا علمت فلا تفك في كثرة من دونك من الجهل، ولكن انظر إلى من فوقك من العلماء»⁽⁷⁾.

ونخت هذه الصفة بقول أمير المؤمنين على: «ما أحسن تواضع الغنى للفقير رغبة ف ي ثواب الله، وأحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله عز وجل»⁽⁸⁾، والتى به المقصود بـ: الاستغناء بالله عما في أيدي الأغنياء ولا يعني أبداً التكبر والغرور.

رابعاً: كرمه وجوده:

من الأخلاق القرآنية الكريمة التي تجسدت في شخصية أمير المؤمنين على بن أبي طالب - رضي الله عنه - خلق الكرم والجود، وقد كان تتويه القرآن الكريم بأهل الكرم عظيمًا، وقد كان هذا التنويه من أول القرآن الكريم حيث يقول سبحانه في مستهل ثاني سورة بعد البسمة: +المَذْكُورُ الْكِتَابُ لَا رَبِّ فِيهِ هُدًى لَّذِمَدْقُونَ الَّذِي نَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمَمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّ ذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقَ

(1) التاريخ الإسلامي (63/17) للحميدى.

(2) الزهد للإمام أحمد، ص (13).

(3) التاريخ الإسلامي (64/17).

(4) أصحاب الرسول (224/1)، السير للذهبي (94/2) (استناده صحيح).

(5) الاستيعاب (1108/3).

(6) منهاج أمير المؤمنين على في الدعوة، ص (523).

(7) هداية المرشدين، ص (105) على محفوظ.

(8) موعظة المؤمنين (344/2)، فرائد الكلام، ص (339).

ذُونَ أَوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مَنْ رَبَّهُمْ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" [البقرة: 1-5]

وقال تعالى: +وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَذْفَقُوا مَمَارِزَ قَنَاهُمْ سَرًا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَفْبُ الدَّارِ جَذَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ أَبْلَاهُمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَدَرِيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مَنْ كُلَّ بَابٍ لَامْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَتَنِعْمُ عَفْبَ الدَّارِ" [الرعد: 22-24]

الله قد بلغ مبلغ الكمال والعظمة في كافة الأخلاق، ولا سيما خلق الكرم، وقد وصفته خديجة، رضي الله عنها، بقولها: «إِنَّكَ لَتَصْلِي الرَّحْمَ، وَتَحْمِلُ الْكُلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرَى الْضَّيْفَ، وَتَعْنِي نَوَابِ الْحَقِّ»⁽¹⁾، فهي تصفه بهذه الصفات البالغة العظمة والقدار، والتي كان عليها قبل بعثته ورسالته، ولم يكن قد تحمل أعباء أمته، وقد أضفت عليه النبوة زيادة كمال وعظمة، فكيف به بعد ذلك كله؟ لا جرم أن كرمه × بعد ذلك سيكون بالغًا ذروة الذرّا في كرم الأنبياء وسائر البشر، وهو ما دلت عليه الدلائل النقلية الكثيرة⁽²⁾، وقد تأثر أمير المؤمنين على بن أبي طالب بالتربيبة القرآنية والنبوية، وترك لذاته أثاراً بارزة دالة على تأصل خلق الجود والكرم في شخصيته العظيمة، فقد ذكر الحافظ ابن كثير من خبر الأصبغ بن نباتة: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ فَرَفَعَتْهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ أَنْ أَرْفَعَهَا إِلَيْكَ، فَإِنْ قَضَيْتَهَا حَمَدْتَ اللَّهَ وَشَكَرْتَكَ، وَإِنْ لَمْ تَقْضِهَا حَمَدْتَ اللَّهَ وَعَذَرْتَكَ، فَقَالَ عَلَىٰ: اكْتُبْ حَاجَتَكَ عَلَىٰ الْأَرْضِ فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُرَى ذَلِ السُّؤَالَ فِي وِجْهِكَ، فَكَتَبَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، فَقَالَ لَيْ: عَلَىٰ بَحْلَةٍ، فَأَتَىَ بِهَا، فَأَخْذَهَا الرَّجُلُ فَلَبَسَهَا، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولَ: كسوتني حَلْةٌ تَبَلي مَحَاسِنِهَا

ولست أبغى بما قد فلتنه بدلا

إن نلت حسن ثانية نلت مكرمة

كالغوث يحيي نداء السهل والجبلا

إن الثنا ليحيي ذكر صاحبه

فكل عبد سيجزي بالذي عملا

لا تزهد الدهر في خير توقعه

فقال على: على بالدنار، فأتى بمائة دينار فدفعها إليه، فقال الأصبغ: يا أمير المؤمنين، حلة ومائة دينار قال: نعم، سمعت رسول الله × يقول: «أَنْزَلُوا النَّاسَ مِنَازِلَهُمْ» و هذه منزلة هذا الرجل عندي⁽³⁾، فهذا موقف جليل لأمير المؤمنين على بن أبي طالب - رضي الله عنه - في الوقوف عند حاجات المحتاجين والاهتمام بأمورهم ورعاية مشاء رهم، وإن أروع ما في هذا الخبر قوله: «اكتب حاجتك على الأرض فإنني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك» فكم يعاني المحتاجون من الذل بين يدي من يعرضون عليهم حوضائهم، وقدم يتلعنون فلا يستطيعون النطق، ولقد كانت مشاعر ذلك المحتاج عظيمة حينما واجهه أمير المؤمنين على بهذه المعاملة السامية، ولقد صاغ هذه المشاعر بالأبيات الـ مذكورة⁽⁴⁾، وقد كان - رضي الله عنه - يفرح بقدوم الضيف، وبكرم إخوانه في الله ويتلق

(1) السيرة النبوية (116/1).

(2) أخلاق النبي × في القرآن والسنة (648/2).

(3) البداية والنهاية (9/8).

(4) التاريخ الإسلامي للحميدى (127/17).

دهم، فعن أمير المؤمنين على - رضي الله عنه - قال: لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام، أخاف أن يكون الله قد أهاننى⁽¹⁾.

وقال: لعشرون درهمًا أعطيها أخي في الله أحب إلى من أن تصدق بمائة درهم على المساكين⁽²⁾، وعندما سُئل عن السخاء، قال: «ما كان منه ابتداء، فاما ما كان من مسأله فحياء وتكرم»⁽³⁾ وقد جعل في حياته أو قافًا لله تعالى، حيث جعل أرضه بينبع وفقارًا، وكتب فيها كتابًا: «هذا ما أمر به على بن أبي طالب، وقضى في ماله: إني تصدق بينبع ووادي القرى والأذينة وراعة في سبيل الله وذى الرحم القريب والبعيد، ولا يوهب ولا يورث، حيًّا أنا أو ميتًا»⁽⁴⁾، وقد قال عن صدقته: «لقد رأيتني وإنني لأربط الحجر على بطني من الجوع، وإن صدقتي لتبلغ اليوم أربعة ألف دينار»⁽⁵⁾، ولم يرد بقوله أربعة ألف دينار زكاة ماله، وإنما أراد الأوقف التي جعلها صدقة، وكان الحاصل من دخلها صدقة هذا العدد، فإن أمير المؤمنين على - رضي الله عنه - لم يدخل مالاً، ودليل ذلك⁽⁶⁾ ما قاله ابنه الحسن بعد مقتله: لقد فارقكم رجل ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم، بقيت من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادمًا، يعني عليه⁽⁷⁾، رضي الله عنه.

وكان يحيث الناس على إكرام العشيرة فيقول: «أكرم عشيرتك، فإنهم جناحك الذي به تطير، وإنك بهم تصوّل، وبهم تطول، وهم العدة عند الشدة، أكرم كريمه، وعد سفيههم، وأشركهم في أمرك، ويسر عن معسرهم»⁽⁸⁾.

خامسًا: الحياة من الله تعالى:

الحياة من أجل مكارم الأخلاق، لأنه يدل على طهارة النفس، وحياة الضمير، ويقطّعه الواجب الديني ومراقبة الله تعالى، إذ من لم يكن ذا حياء لم يقر الضيف، ولم يف بالسوء د، ولم يؤد الأمانة، ولم يقض لأحد حاجة، ولا تحري الجميل فأثره، والقبيح فتجنبه، ولا ستر عورة، ولا امتنع من فاحشة، وكثير من الناس لولا الحياة الذي فيه لم يؤد شيئاً من الأمور المفترضة عليه، ولم يرع لملحوظ حقًا، ولم يصل له رحمة، ولا بر له والدًا فإن الباخت على هذه الأفعال إما ديني - وهو رجاء عاقبتها الحمية - وإما دنيوي علوي وهو حياء فاعلها من الخلق، وقد تبين أنه لولا الحياة - إما من الخالق، وإما من الخالق - لم يفعلها صاحبها⁽⁹⁾، وعلى حسب حياة القلب تكون قوة خلق الحياة، فكلما كان القلب أحيا كان الحياة أتم، وقلة الحياة من موت القلب والروح⁽¹⁰⁾، وهو من شعب الإيمان، لأنه يكون باعدًا على أفعال البر، ومانعًا من المعاصي⁽¹¹⁾، ولهذا كان من الأخلاق العليا التي كان للقرآن الكريم بها عناية عظيمة⁽¹²⁾، فقد تحدث القرآن الكريم عن الحياة في الجانب النبوي في قوله تعالى: **إِنَّمَا أَيُّهَا الْأَذْنَانِ أَمْذُوا لَا تَدْخُلُوا بَيْوَاتَ النَّبِيِّ إِلَّا**
أَنْ يُؤْذِنَ لَكُمْ إِلَيْهِ طَعَامٌ غَيْرُ نَاظِرِينَ إِذَا هُوَ وَلَكُنْ إِذَا دُعْيْتُمْ فَلَا تَدْخُلُوا
فَإِذَا طَعَمْتُمْ فَلَا تَذَرْسُرُوا وَلَا مُسْتَأْذِسِينَ لَهُدَدِيَّتِي إِنْ ذَلِكُمْ كَمَا يُؤْذِنِي أَ

(1) فرائد الكلام، ص (402)، موعظة المؤمنين (2/2).

(2) موعظة المؤمنين (1/1).

(3) تاريخ الخلفاء للسيوطى، ص (204).

(4) تراث الخلفاء الراشدين، ص (517).

(5) أسد الغابة (7/4).

(6) صحيح التوثيق، (77).

(7) الطبقات (38/3).

(8) فرائد الكلام، ص (348).

(9) مفتاح الدار السعادة (377/1).

(10) مدارج السالكين (259/2).

(11) شرح مسلم للنووى (5/3).

(12) أخلاق النبي في القرآن الكريم (478/1).

لَذَّيْ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ [الأحزاب: 53]، فترى كي ف حمله الحياة على عدم مواجهة أصحابه بما كان يرحب فيه من خروجهم، ولم يستطع مشافهتهم بما يراه منهم⁽¹⁾، لأنَّه × كان أشد حياءً من العذراء في خدرها⁽²⁾، وقد قال ×: «الحياة لا يأتي إلا بخير»⁽³⁾، وقد تجسد هذا الخلق في شخص أمير المؤمنين على بن أبي طالب، رضي الله عنه، وقد حدثنا عن هذا الخلق فقال: إني لاستحي من الله أن يكون ذنب أعظم من عفوي، أو جهل أعظم من حلمي، أو عوره لا يوراها ستر، أو خلة لا يسدتها جودي⁽⁴⁾. فهذه أربع صفات من النقص قابلها أمير المؤمنين على بن أبي طالب – رضي الله عنه – بأربع صفات من الكمال، فالحياء من الله عز وجل يقتضي من الإذسان أن يتصرف بالغفور عند المقدرة، وذلك فيما إذا لم يكن الذنب فيه حد من حدود الله تعالى، وأن يتصرف بالعلم الذي يحتوي جهل الجاهلين، وأن يكون ستاراً لعيوب الناس، وأن يتسع كرمه لسد حاجة من احتاج إليه، وما أعطى هذه الحكم وزنها الراجح أن أمير المؤمنين عليه⁽⁵⁾ – رضي الله عنه – ربطها بالحياة من الله تعالى، فهذه الصفات الأربع تعتبر من صفات الكمال عند العقلاة، وكان كثير من العقلاء يتصرف بها لكسب السمعة البوية وسياسة الأمور بحسب الناس ورضاهما، أما أمير المؤمنين على – رضي الله عنه – فإنه ربطها بالحياة من الله تعالى لأن هدفه الأعلى ابتعاده مرضاه الله جلا وعلا، ولا شك أن من هذا هدفه سيكون تمثيله لهذه الصفات أقوى بكثير من كان هدفه دنيوياً⁽⁵⁾.

سادساً: شدة عبوديته وصبره وإخلاصه لله تعالى:

مارس على – رضي الله عنه – مفهوم العبادة الشامل في حياته، وتميز بقيمه الليل، وأصبح من أهل التهجد الذين قال الله فيهم +تَتَجَافَى جُذُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا [السجدة: 16]، وقال تعالى فيهم: +أَخْذَيْنَ مَا أَتَاهُمْ مَرْبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا فَلَيْلًا مَنَ الْأَيْلُ مَا يَهُ جَعْوَنَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ [الذريات: 16-18]، وقال تعالى فيهم: + وَعَبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْسُدُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَمَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا وَالَّذِينَ يَبْيَتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقَيْمَامًا [الفرقان: 63].

[64]

وهذا ضرار بن ضميرة الكناني يصف على بن أبي طالب لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم: كان يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستانس بالليل وظلمته، وأشهد بالله لا قد رأيته في بعض موافقه، وقد أرخي الليل سدوله، وغارت نجموه يتململ في محرايه، قابضًا لحيته، يتململ تململ السليم⁽⁶⁾، ويبكي بكاء الحزين، فكانى أسمعه الآن وهو يقو ل: يا ربنا، يا ربنا، يتضرع إليه، ثم يقول للدنيا: أبي تغيرت أم إلى تشوفت، هيئات هيءات، غرّي غيري، قد بننك⁽⁷⁾ ثالثاً، فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك يسير⁽⁸⁾، أه من قلة الزاد، وبعد السفر ووحشة الطريق، فوكفت⁽⁹⁾ دموع معاوية على لحيته، ما يمل كها وجعل ينشفها بكمه، وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال: كذا كان أبو الحسن رحمه الله، ك

(1) أخلاق النبي في القرآن والسنّة (1/478).

(2) مسلم رقم (2320).

(3) مسلم رقم (37).

(4) تاريخ دمشق (517/42)، نقلاً عن التاريخ الإسلامي للحميدي (20/274).

(5) التاريخ الإسلامي للحميدي (20/275).

(6) السليم: المدلوغ.

(7) بننك: أي طلاقك.

(8) خطر بمعنى: القدر، والمنزلة.

(9) فوكفت: أي سالت.

يف وجده عليه يا ضرار؟ قال: وجد من ذبح واحداًها في حجرها، لا يرقأ⁽¹⁾ دمعها، ولا يسكن حزنها، ثم قام فخرج⁽²⁾.

ودخل الأشتر النخعي على أمير المؤمنين على بن أبي طالب وهو قائم يصلى بالليل، فقال له: يا أمير المؤمنين، صوم بالنهار وسهر بالليل، وتعب فيما بين، فلما فرغ «على» من صلاته قال له: سفر الآخرة طويل، فيحتاج إلى قطعه بسير الليل⁽³⁾، وكان أمير المؤمنين على - رضي الله عنه - يحث الناس على تقوى الله ومراقبته، وخشيته، فقد قال: أيها الناس، انقوا الذي إن فلت سمع، وإن أضررت علم، وبادروا الموت الذي إن هربتم مدرككم، وإن أقمنتم أخذكم⁽⁴⁾، وكان يقول: يا أيها الناس خذوا عني هذه الكلمات، فلور كيتم المطى حتى تتضوها - يعني تهزلوها - ما أصبتم مثلها: لا يرجون عبد إلا ربها، ولا يخافن إلا ربنا، ولا يستحي - إذا لم يعلم - أن يتعلم، ولا يستحي - إذا سئل عما لا يعلم - أن يقول: لا أعلم، واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا خير في جسد لا رأس له⁽⁵⁾.

ففي هذه الوصية الجمع بين تصحيح التوحيد، والإرشادات إلى آداب العلم، حيث يوصي - رضي الله عنه - بتصحيح الاتجاه في مقامي الخوف والرجاء، فالمؤمن الحق لا يرجو إلا الله لأنه وحده المنعم بسائر النعم، والذين تجري على أيديهم النعم من المخلوقين إنما هم وسائل وأسباب في وصول تلك النعم، أما منشئ النعم وموجدها فهو الله سبحانه وتعالى، والمؤمن الحق لا يخاف من الله تعالى لأنه هو الذي يملك ضره ونفعه، والمخلوقات الذين يتوجه لهم الناس أنهم مصدر خوف إنما هم وجميع الخلق في قبضة الله تعالى، وإذا كان الله تعالى وحده هو الرزاق، وهو الخالق وحده، وهو المالك وحده، القادر على كل شيء، فلأنه يرجو المؤمن سواه أو يخاف من غيره؟ ولقد عبر أمير المؤمنين على - رضي الله عنه - عن الخوف من الله تعالى بالخوف من الذنوب لأن المراد هو الخوف من عاقبتها وهو عذاب الله تعالى، فهو إرشاد لأهم السبل الموصولة إلى تحقيق مقام الخوف من الله تعالى، ثم بيّن شيئاً من أداب التعلم لأن أمور الدين إنما تؤخذ بالعلم، فيذكر من أداب المتعلم أن لا يمنعه الحياة من التعلم حتى لو كان كبير السن، أو القدرة، ويذكر من أداب المعلم أن لا يمنعه الحياة من أن يقول لا أعلم فهي - «لا أعلم» - أحافظ لدينه ودين من سأله.

ثم يختتم وصيته النافعة ببيان أصل من أصول الإيمان، ألا وهو الصبر حيث يعتبره من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وذلك أن نجاح الأمور كلها يقوم على الصبر سواء في أمور الدنيا أو الآخرة⁽⁶⁾، وقد مارس أمير المؤمنين على - رضي الله عنه - مروراً بما لا يراه في صبر في حياته منذ نعومة أظافره، وإسلامه سرًا مع رسول الله × مروراً بما لا يراه في المغازي والسرايا، وعهد الخلفاء الراشدين وما صحبها من أحداث جسام، ومن ثم ما واجهه من صنوف الفتنة في خلافته، إلى أن أنهى الأمر بقتنهن كل هذه المراحل في حياته فيها الدروس البليغة لدعاة اليوم، والتنبية لهم لما تحتاجه الدعوة إلى الله، سبحانه وتعالى، من الصبر والتحمل ودفع الثمن⁽⁷⁾ ابتناءً على مرضاة الله تعالى، وكان - رضي الله عنه - يحث أصحابه على مقام الصبر، فقد قال - رضي الله عنه - للأشعث بن قيس: «إنك إن

(1) لا يرقأ: لا يسكن ولا يجف.

(2) حلية الأولياء (84/1)، الرقة والبكاء، ص (198).

(3) لطائف المعارف لابن رجب، التحمس لقيام الليل، محمد صالح، ص (93).

(4) أدب الدنيا والدين، ص (123)، فرائد الكلام، ص (369).

(5) حلية الأولياء (75/1)، صفة الصفوة (1).

(6) التاریخ الاسلامی (326/1).

(7) التاریخ الاسلامی (443/12).

(7) منهاج على بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، ص (525).

صبرت جری عليك القلم وأنت مأجور، وإن جزعت جری عليك القلم وأنت مأذور»⁽¹⁾
وقال رضي الله عنه: «ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس بار الجسم»، ثم رفع صوته فقال: «ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له»⁽²⁾، وقال: «الصبر مطية لا تکبو»، والصبر له مكانته المعروفة في دين الله، فقد ذكر الله تعالى الصبر في آيات كثيرة منها قوله تعالى: + إِذْمَا يُوْقَى الصَّابِرُونَ أَجْرٌ هُمْ بِغَيْرِ هَسَابٍ [الزمر: 10]، وقد جاء ذكر فضائله في أحاديث كثيرة، والصبر له ثلاثة أقسام وهو الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله، والصبر على البلاء.

وقد كان أمير المؤمنين على بن أبي طالب حريصاً على أن تكون أعماله خالصة لوجه الله تعالى، عاماً بقوله تعالى: + قُلْ أَمْرُ رَبِّي بِالْقَسْطِ وَأَقِيمُوا وَجُودُكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّينَ كَمَا يَدْعُكُمْ تَعْوِدُونَ [الاعراف: 29]، وقوله تعالى: + فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا [الكهف: 110]، وقوله تعالى: + فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّينَ وَلَا وَكِرْهِ الْكُفَّارُونَ [غافر: 14]، فقد كان أمير المؤمنين على بن أبي طالب قد تعلم من رسول الله أن الأعمال لا تقبل إلا إذا خلصت النية، فمعدى ذلك أن الإخلاص ركن أساسى في العبادة، وأن العبادة التي فقد منها الإخلاص ترد على صاحبها كما جاء في الحديث القدسى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه»⁽³⁾، فقد كان على رضي الله عنه محارباً للشرك، بجميع أشكاله وأنواعه سواء شرك الربوبية أو شرك الألوهية، وكان حريصاً في سكنته وحركاته أن تكون أعماله خالصة لوجه الله تعالى، وكان يحيث الناس خصوصاً طلاب العلم على بعد عن الرياء، فقد قال رضي الله عنه: يا حملة العلم، اعملوا به، فإنما العالم من عمل بما علم، ووافق عمله علمه، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يتجاوزون تراقيهم، تخلف سريرتهم علانيتهم، ويختلف عملهم عليهم، يجلسون حلقة، فيياهي بعضهم بعضًا، حتى إن أحدهم ليغضب على جليسه حين يجلس على غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله عز وجل⁽⁴⁾. وقد أشار أمير المؤمنين على رضي الله عنه إلى أحد الأمراض الخطيرة عند بعض من يجلس للتعليم للمباهاة والسمعة، ويغضب على طلابه لو تركوه وذهبوا الغير، لو كان هذا الذهاب فيه مصلحة لهم، فليست مصلحة طلابه عنده هي المهمة، بل المهم عنده مكانته وسمعته، وإن لم يقل ذلك بلسان المقال، فإنه يتبيّن من حكمية الحال⁽⁵⁾، لأن من إخلاص الداعي إلى الله أن يكون همه أن يتبع الناس الحق ولو خالفوا رأيه، وهذه حال أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه فقد قال: اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الاختلاف حتى يكون الناس جماعة، أو الموت كما مات أصحابي⁽⁶⁾، وكان ذلك في رأي راه في عدم جواز بيع أم الولد، وكان عمر يرى رأيه هذا، ثم رجع على عن رأيه الأول فرأى أنهن يبيعن⁽⁷⁾، وهذا تعليم للدعاة وطلاب العلم أن الخلاف في الرأي المشروع أمر طبيعي يجب لا تضيق به الصدور ولا يؤثر على وحدة الصف، إن دعابة اليوم في أشد الحاجة أن يراجعوا أنفسهم في هذا الخلق، وأين هم منه، وأن يتضرعوا إلى الله ليمدّهم بهذه الصفة الجميلة حتى ينالوا ثواب الله بعد مماته.

(1) أدب الدنيا والدين، ص (278)، فرائد الكلام، ص (371).

(2) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القمي، ص (153).

(3) مسلم: ك الزهد رقم (5985).

(4) سنن الدارمى في المقدمة (106/1)، الجامع لأحكام الرواوى (90/1).

(5) منهاج على بن أبي طالب، ص (513).

(6) البخاري. ك فضائل الصحابة (23/3).

(7) فتح الباري (73/7).

هم. وتتمرد عبادتهم إلى الله في دنياهم.

لقد كانت عبادة على رضي الله عنه قائمة على كمال الإخلاص لله تعالى، واتباعه الذي أتى النبي ﷺ، فالله هو المستحق للعبادة وحده، فقد كانت حياته كلها عبادة، يتنتقل فيها من نوع إلى نوع، ومن حال إلى حال، يمتنع قول الله عز وجل: **فَلْ إِنَّ صَلَاتِي وَذَسُّكِي وَمَحِيَّكِي وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِإِذْكَارِكَ أَمْرَتُ وَأَنَا أَوَّلُ الدَّمَسُلَمِينَ** [الأعلم: 162، 163]، لقد كانت العبادة عاملاً مهماً في ترقية الأخلاق والاستقامة على شرع الله تعالى، ولذلك عرف أمير المؤمنين الاستقامة في تقسيمه لمعنى «استقاموا» فقالوا: أدوا الفرائض^(١).

سابعاً: شكره لله:

والشكر هو صرف العبد كل ما أنعم به عليه إلى ما خلق لأجله^(٢)، يعني من نعمه الظاهرة والباطنة في النفس والمال فيصرف ذلك كله إلى عبادة ربه بما يليق بكل جارحة على الوجه الأكمل، وإذا ما فعل ذلك كان قد أظهر نعم الله عليه، وأدى واجب شكرها^(٣)، ويعتبر الشكر من أجل الأخلاق السلوكية الإيمانية التي على المؤمن أن يتخلّى بها في كل أحواله لما فيه من الاعتراف بالنعم لمسيديها، وقد دل على عظم مكانته انضواء جل الأخلق الإيمانية تحته من محبة ورضا وتوكل، لأن الشكر لا يتم إلا بعد التحلّي بها، ولا يمكن إلا عند استشعارها^(٤)، وقد كانت عنابة القرآن الكريم بهذه الخلق عظيمة كعظم مكانته في الأخلاق، فقد ورد ذكره في نحو من سبعين آية، أمرًا به، وحدها عليه، وثناء على أهله، ووعدًا لهم بحسن بجزائه، ونهيًّا عن ضده مما يدل على أمر هذا الخلق عظيم الشدة^(٥)، فقد قرن الله سبحانه في كتابه الذكر بالشكر، فقال تعالى: **+فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرْكُمْ وَلَا تَكْفُرُونَ** [آل عمران: 152]، وقرن سبحانه العبادة بالشكر، قال تعالى: **+فَبَاتَتْغُوا عَنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَأَعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوهُ وَلَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** [العنكبوت: 17]، مما يدل على تلازم العبودية بالشكر تلازمًا وثيقًا^(٦). وكان رسول الله صاحب القدر المعلى في كل الأخلاق الحميدة، ومنها هذا الخلق، وربى أصحابه ومنهم على بن أبي طالب على هذا الخلق، فكان لا يشعر بنعمة إلا شكر الله عليها، وكان إذا خرج من الخلاء مسح بطنه بيده، وقال: يا لها من نعمة لو يعلم العباد شكرها^(٧)، وعن أميـر المؤمنين على رضي الله عنه أنه قال لرجل من أهل همدان: إن النعمة موصولة بالشكـر، والشكر متعلق بالمزيد، وهو مقوـنـانـ فيـ قـرـنـ، فـلـنـ يـنـقـطـعـ المـزـيدـ منـ اللهـ عـزـ وجـلـ حتىـ يـنـقـطـعـ الشـكـرـ مـنـ العـبـدـ^(٨)، وكان رضي الله عنه يرى أن من شكر النعمة العفو عن لـخـصـمـ، فـقـدـ قـالـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ: إـذـاـ قـدـرـتـ عـلـىـ عـدـوـكـ فـاجـعـلـ عـفـوـهـ شـكـرـاـ لـلـمـقـدـرـةـ عليهـ^(٩).

ثامداً: الدعاء لله:

فالدعاء بباب عظيم، فإذا فتح للعبد تتبعه عليه الخيرات وإنها على البركات ولذا

(١) زاد المسير (254/7).

(٢) التوفيق على مهمات التعاريف، ص (435).

(٣) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، ص (185).

(٤) مدارج السالكين (249/2).

(٥) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة (186/1).

(٦) المصدر نفسه (187/1).

(٧) عدة الصابرين، ص (122)، علو الهمة (481/5).

(٨) الشكر لا ين أبـيـ الـدـنـيـاـ، فـنـفـلـ عـنـ عـلـوـ الـهـمـةـ (481/5).

(٩) الإعجاز والإيجاز للتعالي، ص (30).

ك حرص أمير المؤمنين على حسن الصلة بالله وكثرة الدعاء، قال تعالى: +وَقَالَ رَبُّكُمْ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْأَلُوكُمْ عَنْ عِبَادَتِي سَيَرْدُخْلُونَ نَجَهَنَمَ دَاخِرِينَ [غافر:60]. وقال تعالى: +وَإِذَا سَأَلَكَ عَبْدَكَ عَنِّي فَإِنَّى قَرِيبٌ أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانَ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلَيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشَدُونَ [البقرة:186]. وقد لازم أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه رسول الله ×، ورأى كيف كان رسول الله × يستغيث بالله ويستنصره ويطلب المدد منه، وقد حرص أمير المؤمنين على أن يتعلم هذه العبادة من رسول الله × وأن يكون دعاؤه وتسبيحه على الصيغة التي يأمر بها رسول الله × ويرتضيها، إذ ليس للمسلم أن يفضي على الصيغة المأثورة في الدعاء والتسبيح والصلوة على النبي صيغًا آخرًا مهما كانت في ظاهرها حسنة اللفظ، جيدة المعنى، لأن رسول الله × هو معلم الخير والهادي إلى الصراط المستقيم، وهو أعرف بالأفضل والأكمel. وقد نسب أقوام من الدعاة والذكري المبتدع لأمير المؤمنين على بن أبي طالب كذبًا وزورًا وبهتانًا، فمن كان محبًا لأمير المؤمنين على رضي الله عنه، فعليه أن يتبع هديه ومنهجه، فقد أرشدنا لمتابعة النبي × في الأقوال والأفعال، وكان أمير المؤمنين على رضي الله عنه صاحب دعوة مستجابة، فمن زاد ابن أبي عمر أن رجلا حدث علياً بحديث قال: ما أراك إلا قد ذذبتني، قال: لم أفعل، قال: أدعوك عليك إن كنت ذذبت، قال: ادع، فدعا بما يرجو حتى عمى⁽¹⁾، وكان رضي الله عنه يقول عندما يتشتت عليه: اللهم اغفر لي مالا يعلمو، ولا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيراً مما يظنون⁽²⁾.

ويروى أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله × أنه قال: «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليريد عليه من حوله: يرحمك الله، وليريد عليه يهديك الله ويصلح بالكم»⁽³⁾. وفي هذا الفعل من حسن الخلق والتلذب مع الله سبحانه وتعالى بمحمه الثناء عليه في مناسبة أمر فيها العبد بذلك. قال الحليمي: العطاس يدفع الأذى من الدماغ، الذي فيه قوة الفكر، ومنه منشأ الأعصاب، التي هي معدن الحس وبسلامته تسلم الأعضاء، فيظهر بذلك أنها نعمة جليلة، فناسب أن تقابل بالحمد لله، لما فيه من الإقرار بالخلق والقدرة، وإضافة الخلق إليه لا إلى الطبائع⁽⁴⁾.

وبين أمير المؤمنين على رضي الله عنه أدبًا من آداب المسافر فيما يرويه عن رسول الله × بقوله: كان النبي × إذا أراد سفراً قال: «بِكَ اللَّهُمَّ أَصُولُ، وَبِكَ أَجُولُ، وَبِكَ أَسِيرُ»⁽⁵⁾. وبين أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه أدبًا آخر من آداب المسافر، وذلك لما أراد سفراً ووضع رحله في الركاب قال: بسم الله، فلما استوى قال: الحمد لله، ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقربين، وإنما إلى ربنا لمنقلبون، ثم حمد الله ثلاثة، وكبر ثلاثة، ثم قال: اللهم لا إله إلا أنت، ظلمت نفسى فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنب إلا أنت، ثم ضحك، قال: فقيل: ما يضحكك يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت النبي × فعل مثل

ما فعلت، وقال مثل ما قلت، ثم ضحك، فقلنا: ما يضحكك يا النبي الله قال: عجبت للعبد، إذا قال لا إله إلا أنت، ظلمت نفسى فاغفر لي إنه لا يغفر الذنب إلا أنت، يعلم أنه لا يغفر

ر

(1) البداية والنهاية (6/8).

(2) فرائد الكلام، موعظة المؤمنين (228/2).

(3) سنن ابن ماجة (1224/2)، صحيح سنن ابن ماجة لللباني (303/2).

(4) فتح الباري (602/10).

(5) مسند أحمد (83/2) إسناده صحيح، قاله أحمد شاكر.

الذنوب إلا هو^(١).

وعن ابن عبد قال: قال لي على بن أبي طالب رضي الله عنه: يا ابن عبد، هل تدرى ما حق الطعام؟ قال: قلت: وما حقه يا ابن أبي طالب؟ قال: تقول: بسم الله، اللهم بارك لنا فيما رزقنا، قال: وتدرك ما شكره إذا فرغت، قال: قلت: وما شكره؟ قال يقول: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا^(٢)، وكان رضي الله عنه إذا رأى الهلال قال: اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وفتحه ونصره وبركته ورزقه نوره وظهوره وهداه، وأعوذ بك من شر وشر ما فيه وشر ما بعده^(٣)، وكان يقول في السجود: رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي^(٤)، وكان يقول بين السجدين: اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني وارزقني^(٥)، وكان يدع لمن دخل السوق هذا الدعاء فيقول: إذا دخلت السوق فقل: بسم الله الرحمن الرحيم، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أعوذ بك من يمين فاجرة، وصفقة خمسة، ومن شر ما أحاطت به هذه السوق^(٦)، وكان يقول: ما من كلمات أحب إلى الله من أن يقول العبد: اللهم لا إله إلا أنت، اللهم لا أعبد إلا إياك، اللهم لا أشرك بك شيئاً، اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت^(٧)، وكان يقول: اللهم ثبتنا على كلمة العدل بالرضا والصواب، وقوم الكتاب، هادين مهديين، راضين مرضيin، غير ضالين، ولا مضللين^(٨).

ومن أدعيته رضي الله عنه: اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء، وبجبر وثاك الذي غلبت به على كل شيء، وبعظمتك التي غلبت بها كل شيء وبسلطانك الذي ملأت به كل شيء وبقوتك التي لا يقوم لها شيء، وبنورك الذي أضاء له كل شيء، وبعد مك الذي أحاط بكل شيء، وباسمك الذي يبيد كل شيء، وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء، يا الله يا رحمن يا رحيم، اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم، والذنوب التي تنور الذم، واغفر لي الذنوب التي تحبس القسم، واغفر لي الذنوب التي تغير النعم، واغفر لي الذنب وب التي تنزل البلاء، وتدليل الأداء، واغفر لي الذنوب التي تحبس غيث السماء وترد الدعاء، واغفر لي الذنوب التي تردني إلى النار^(٩)، وهذا الدعاء يبين افتخار أمير المؤمنين على رضي الله عنه إلى ربه وخوفه من ذنبه، ويعلمنا كيفية التعامل مع أسماء الله الـ حسنى ودعاء الله بها سبحانه وتعالى، وهذا الدعاء يسلط الأضواء على عبودية أمير المؤمنين الله عز وجل.

وعن على رضي الله عنه قال: لقائي رسول الله × هؤلاء الكلمات وأمرني إن نزل بي كربلة أو شدة أقولها: «لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحانه، تبارك الله رب العالمين»^(١٠)، وكان عبد الله بن جعفر يلقنها الميت وينتفث بها على الموعوك^(١١)، ويعلّمها المغتربة من بناته^(١٢).

هذه بعض صفاته التي كانت ثماراً لتوحيده وإيمانه بالله واستعداده للقدوم على الله تـ

(١) المصدر نفسه (١٨٣/٢) إسناده صحيح قاله أحمد شاكر.

(٢) المصدر نفسه (٣٢٩/٢) قال المحقق: إسناده حسن.

(٣) كنز العمال رقم (٢٤٣١٠) فقه على بن أبي طالب، فلاغي، ص (٢٥١).

(٤) فقه على بن أبي طالب، فلاغي، ص (٢٥١).

(٥) فقه على بن أبي طالب، فلاغي، ص (٢٥١).

(٦) فقه على بن أبي طالب، فلاغي، ص (٢٥١).

(٧) مصنف ابن أبي سبيبة (٢) (١٤٩/٢).

(٨) فقه على بن أبي طالب، ص (٢٥٢).

(٩) فقه على بن أبي طالب، ص (٢٥٢).

(١٠) سنن البيهقي (٧/١٢٩)، معرفة الصحابة لأبي نعيم رقم (٣٥٢).

(١١) الموعوك من الواقع: وهو الحمي وقيل: المها.

(١٢) فضائل الصحابة (٨٢٠/٢) إسناده حسن.

عالٰى، وسوف يلاحظ القارئ الكريم كثيراً من صفاته بإذن الله تعالى، كالشجاعة والحمل والفصاحة والبلاغة وغيرها من الصفات من خلال الأحداث التي يمر بها في هذا الكتاب.

تاسعاً: المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين على رضي الله عنه:

كانت المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين على رضي الله عنه كتاب الله وسنة رسوله × والاقتداء بالشيوخين في هديهم.

1- فال مصدر الأول: هو كتاب الله تعالى: + إِنَّمَا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُونَ لِذَخَارَدِرِينَ خَصْصِيمًا [النَّاسَ] 105، فكتاب الله تعالى يشتمل على جميع الأحكام الشرعية التي تتعلق بشؤون الحياة، كما بين القرآن الكريم للمسلمين كل ما يحتاجون إليه من أسس تقوم عليها دولتهم، وقد قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه: الزموا دينكم، واهتدوا بهدى نبيكم، واتبعوا سنته، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فهو (1).

2- المصدر الثاني: السنة المطهرة: السنة التي يستمد منها الدستور الإسلامي أصوله، ومن خلاله يمكن معرفة الصيغ التفيفية والتطبيقية لأحكام القرآن الكريم (2)، فقد قال أمير المؤمنين على ابن أبي طالب رضي الله عنه: واهتدوا بهدى نبيكم ×، فإنه أفضل الهدى واستتوا بسنته، فإنها أفضل السنن (3).

3- الاقتداء بالخلفاء الراشدين الذين سبقوه: قال رسول الله ×: «اقتدوا بالذين من بعد أبي بكر وعمر» (4)، وقال أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه في أبي بكر وعمر رضي الله عنهم: والذي خلق الحبة وبرأ النسمة، لا يحبهما إلا مؤمن تقى، ولا يبغضهما إلا فاجر ردي، صحيحاً رسول الله على الصدق والوفاء، يأمران وينهيان وما يتجاوزان فيما يصنعان رأي رسول الله، ولا كان رسول الله يرى بمثل رايهم، ولا يحب كحبهما أحداً، قضي رسول الله وهو عنهم راض، ومضياً والمؤمنون عنهم راضون - واستمر في حديثه إلى أن قال في أبي بكر - وكان والله خير من بقى، أرحمه رحمة، وأرفعه رأفة، وأثبتته ورعاً، وأقدمه سنداً وإسلاماً، فسار علينا سيرة رسول الله × حتى مضى على ذلك، ثم ولى عمر الأمر من بعده. فأقام الأمر على منهاج النبي × وصاحبيه، يتبع آثارهما كاتباع الفضيل (5) أمه.. إلى أن قال: فمن لكم بمثلهما - رحمة الله عليهما- ورزقنا المضي على سبيلهما، فإنه لا يبلغ مبلغهما إلا باتباع آثارهما والحب لهما، إلا من أحبط فليحبهما ومن لم يحبهما فقد أغضني وأنا منه برئ (6)، وكان رضي الله عنه يدافع عن احتهادات عثمان بن عفان ويقول: يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً.. أو قولوا خيراً.. فوالله ما فعل الذي فعل - أي في المصاحف- إلا عن ملا ملائكة جمعاً، أي الصحابة.. ووالله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل (7)، وكان يقول: ما كنت لأحل عقدة شدتها عمر (8).

(1) البداية والنهاية (7/246).

(2) فقه التمكين في القرآن الكريم للصلabi، ص (432).

(3) البداية والنهاية (7/319).

(4) صحيح سنن الترمذى (3/200).

(5) الفضيل: ولد النافع إذا قُتل عن أمه.

(6) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة لالكلائى رقم (4456).

(7) فتح البارى (8/9).

(8) المختصر من كتاب الموافقة، ص (140)، إسناده منقطع، ابن أبي شيبة، المصنف رقم (120).

عاشرًا: حق الأمة في الرقابة على الحكام:

إن الأمة الحق في مراقبة الحكم وتقويمهم، قال تعالى: **وَلَتَكُنْ مَذَكُورًا أَمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَيِّ الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمُمْكِنِ وَفِيَنْهَا وَنَعْنَ الْمُنْكَرِ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** [آل عمران: 104]، وكان أول ما قاله أمير المؤمنين على رضي الله عنه إن توقيعه.. إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم، إلا أنه ليس لي أمر دونكم (1)، وهذا نفس ما قاله أبو بكر عندما تولى حديث قال: **فَإِنْ أَحْسَنْتْ فَأُعْنِي وَإِنْ أَسَأْتْ فَقُوْمُونِي** (2)، وما قاله عمر: **أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ مِنْ رُفْعَةِ عَيْوبِي** (3)، وقال: إني أخاف أن أخطئ فلا يرددني أحد منكم تهيباً مني (4)، وما قاله عثمان: إن وجدتم في كتاب الله أن تضعوا رجلي في القيد فضعوا رجلي في القيد (5)، وبذلك يكون قد جرى العمل في عهد الخلفاء الراشدين على التسلیم للأمة بحق الرقابة على الحكم، ولم ينكِر أحد، فدل ذلك على الإجماع (6)، كما إن إجماع الصحابة - حكامًا ومحکومین - في عهد الخلافة الراشدة ليس له إلا معنى واحد وهو الفهم الصحيح للكتاب، والطريق السليم للعمل بالسنة، فهو الذي عاصروا عهد تنزيل الكتاب وعاشوا طريقة النبي × في إقامة حياة الناس عليه، فهم أفهم الناس لروح الدين، وأعرف الناس بمقاصد الشرع، وأقدر الناس على التمييز بين الحق والباطل، ومن المستبعد بل من المحال أن يجمعوا على باطل، لقول النبي ×: «إن أمتى لا تجتمع على ضلال» (7)، ولهذا كان إجماعهم حجة يسوغ أن تراعى وتوضع ضمهن مصادر الدستور الإسلامي، وإجماع الأمة قد يكون على فهم نص، ويجوز أن ينعقد إجماع عن اجتماع وقياس، ويكون حجة (8)، إن أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه كان يحث الناس في خلافته على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد خطب ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنما هلك من هلك قبلكم يركبهم المعاصي ولم ينفع بهم الربانيون والأحبار، فأخذتهم العقوبات، فمُرُوا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقاً ولا يقرب أحلاً (9).

الحادي عشر : الشوري :

إن من قواعد الدولة الإسلامية حتمية تشاور قادة الدولة وحكامها مع المسلمين والنظام على رضاهم ورأيهم وإمضاء الحكم بالشوري، قال تعالى: **+فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنْ أَنَّ اللَّهَ لَذَّتْ لَهُمْ وَلَذَّ كَنْتْ فَظًا غَلِظًا الْقُلُوبُ لَا نُفَضِّلُ وَمِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَأْوَرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَّمْتْ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** [آل عمران: 159]، وقال تعالى: **+وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمَمْارِزَ فَنَاهُمْ يَنْفَقُونَ** [الشوري: 38]، لقد قرنت الآية الكريمة حكم الشوري بين المسلمين بإقامة الصلاة، فذلك على أن حكم الشوري حكم الصلاة، وحكم الصلاة واجبة شرعاً، فذلك الشوري

¹⁾ تاریخ الطبری (449/5، 457).

(2) البداية والنهاية (305/6).

(3) الشیخان أبو بکر و عمر من روایة البلاذري، ص (231).

⁴ المصدر نفسه، ص (231)، نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، ص (189).

(6) الدِّيَافِعُ وَالسَّادَةُ فِي الْفِقْهِ الْإِسْلَامِ، فَتْحُ عَنِ الْكَوْنَاتِ، 378.

(6) الدولة والسيادة في الفقه الإسلامي، فتحي عبد الكريم، ص (3/8).

(8) وضة الناظر وحنة المناظر (385/١) .

(9) تقسیر این آیه حاتم (15/3)، تقسیر این کثیر (603/2).

ى واجبة شرعاً⁽¹⁾. وقد كان أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه حريصاً على التزام منهج الشورى في تصرفاته وأعماله وقراراته، فمن ذلك أنه حينما وصل إليه كتاب من قائد معمق بن قيس الرياحي المكلف بمحاربة الخربت بن راشد الخارجي جمع أصحابه وقرأ عليهم كتابه واستشارهم وطلب منهم الرأي حيث اجتمع رأي عامتهم على قول واحد وهو: نرى أن تكتب إلى معمق بن قيس فيتبع أثر الفاسق فلا يزال في طلبه حتّى يقتله، أو يفيه، فإننا لا نأمن أن يفسد عليك الناس⁽²⁾، ومما روى عن أمير المؤمنين على رضي الله عنه في الشورى قوله: الاستشارة عين الهدية وقد خاطر من استغنى برأيه⁽³⁾، وقوله: نعم المؤازرة المشاوره وبين الاستبعاد الاستبداد⁽⁴⁾، وقوله: رأى الشيخ خير من مشهد الغلام⁽⁵⁾، وما أوصى به أمير المؤمنين على مالك بن الحارث الأشتر حين بدعثه إلى مصر في الشورى قوله: لا تدخلن في مشورتك بخيلاً فيعدل بك عن الفضل ويدعك الفقر، ولا جباداً فيضعنك عن الأمور، ولا حريصاً فيزرين لك الشره بالجور، فان البخل والجبن والحرص غرائز شتي يجمعها سوء الظن بالله⁽⁶⁾، وكان على رضي الله عنه يعلم أن الحكم إن لم يكن له مستشارون فلا يعلم محسان دولته ولا عيوبها، وسوف يغيب عنه الكثير من شؤون الدولة وقضايا الحكم، وكان يعلم أن الشورى تعرفه ما يجهله، وتضع أصابعه على ما لا يعرفه، وتزيل شكوكه في كل الأمور التي يقدم عليها، فيها هو يقول للأشر النخعي عندما لا له مصر: انظر في أمور عمالك الذين تستعملهم، فليكن اسد عمالك أيام اختياراً ولا يكن محاباة ولا اختياراً، فإن الآثار بالأعمال - أي الاستبداد بلا مشورة - والمحابة بها جماع من شعب الجور والخيانة لله، وإدخال الضرر على الناس، وليس تصلح أمور الناس، ولا أمور الولاية إلا بإصلاح من يستعينون به على أمورهم، ويختارونه لكافية ما غاب عنهم، فاصطف لولائية أعمالك أهل الورع والغفة والعلم والسيداسة والصدق بذوي التجربة والعقول والحياء من أهل البيوتات الصالحة وأهل الدين والورع، فإنهم أكرم أخلاقاً وأشد لأنفسهم صوناً وإصلاحاً وأقل في المطامع إسرافاً، وأحد سن في عواقب الأمور نظرًا من غيرهم، فليكونوا عمالك وأعونك⁽⁷⁾.

الثاني عشر: العدل والمساواة:

إن من أهداف الحكم الإسلامي الحررص على إقامة قواعد النظام الإسلامي التي تساهم في إقامة المجتمع المسلم، ومن أهم هذه القواعد العدل والمساواة، وقد قام أمير المؤمنين على رضي الله عنه بإقامة العدل بين الناس، وقد تضافت كل الخصال الحميدة والمطبيات العلمية والفقهية التي جعلته مؤهلاً للقيام بدوره هذا على أكمل وجه حتى أن الرسول ﷺ لتفته به وبقدراته بعثه قاضياً إلى اليمين⁽⁸⁾، وقد دعا له رسول الله بهذا الدعاء العظيم: «اللهم ثبت لسانه، واهد قلبه»⁽⁹⁾، ولذلك كان من الطبيعي أن يقيم حكمه على العدل الشامل، وأن يجعله على رأس غaiات وأهداف الحكم، لأن به تنسيق الأمور وتنظير المودة بين الرعية⁽¹⁰⁾، ولا شك أن العدل في فكر أمير المؤمنين على هو عدل الإسلام الذي

(1) النظام السياسي في الإسلام لأبي فارس، ص (9).
(2) تاريخ الطبرى (39/6).

(3) أدب الدنيا والدين للماوردي ص 89، 294، الإدارة العسكرية (279/1).

(4) نهاية الأربع (69/6) نقلًا عن الإداره العسكرية (279/1).

(5) المصدر نفسه (75/6)، المصدر نفسه (279/1).

(6) الإداره العسكرية في الدولة الإسلامية (279/1).

(7) نهاية الأربع (21/6)، فن الحكم الإسلامي، ص (151)، الشورى بين الأصالة والمعاصرة، عز الدين التميمي، ص (102).

(8) نظام الحكم في العهد الراشدي: ص (141).

(9) فضائل الصحابة (871/2) إسناده حسن رقم (1195).

(10) نظام الحكم في العهد الراشدي، ص (141).

ي هو الداعمة الرئيسية في إقامة المجتمع الإسلامي والحكم الإسلامي، فلا وجود للإسلام في مجتمع يسوده الظلم ولا يعرف العدل.

لقد كان أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه قدوة في عدله، أسر القلوب وببر العقول، فالعدل في نظره الذي يسعى للتطبيق في الحكم هو إحدى أهم ركائز الخلافة الراشدة، دعوة عملية للإسلام تفتح قلوب الناس للإيمان، وقد سار على ذات نهج رسول × فكانت سياساته تقوم على العدل الشامل بين الناس، فعن شريح قال: لما توجه على رضي الله عنه إلى حرب معاوية، رضي الله عنه، افتقد درعًا له، فلما انقضت الحرب ورجع إلى الكوفة، أصاب الدرع في يد يهودي بيعها في السوق، فقال له: يا يهودي، هذا الدرع درعي، لم أبع ولم أهبه، فقال اليهودي: درعي وفي يدي، فقال على: نصير إلى القاضي، فتقىما إلى شريح، فجلس على جنب شريح، وجلس اليهودي بين يديه.

فقال شريح: قل يا أمير المؤمنين، فقال: نعم، أقول: إن هذه الدرع التي في يد اليهودي درعي، لم أبع ولم أهبه، فقال شريح: يا أمير المؤمنين بينة، قال: نعم قتبر⁽¹⁾ والحسن والحسين يشهدون أن الدرع درعي، قال: شهادة الابن لا تجوز للأب، فقال: رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟ سمعت رسول الله × يقول: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»⁽²⁾ فقال اليهودي: أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه، وقاضيه قضى عليه؟ أشهد أن هذا الحق، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن الدرع درعك، كنت راكبًا على جملك الأورق وأنت متوجه إلى صفين فوquette منك ليلاً، فأخذتها قال: أما إذا قلتها فهي لك، وحمله على فرس، فرأيته وقد خرج فقاتل مع على الشراة بالنهر وان⁽³⁾.

ومن أمثلة عدله في الحكم: عن ناحية القرشي عن أبيه قال: كنا قياما على باب القصر إذ خرج على علينا فلما رأينا تحينا عن وجهه هيبة له، فلما جاز صرنا خلفه، فبينما هو كذلك إذ نادى رجل: يا غوثًا بالله، فإذا رجلان يقتلان، فلكل صدر هذا وصدر هذا، ثم قال لهما: تحيا، فقال أحدهما: يا أمير المؤمنين إن هذا اشتري مني شاة وقد شرطت عليه أن لا يعطيني معموزًا ولا محذقًا -يعنى الدراج المعيشة- فأعطاني درهمًا مغمورًا أفردته عليه فلطماني، فقال للآخر: ما تقول؟ قال: صدق يا أمير المؤمنين قال: فأعطاه شرطه، ثم قال للآخر: اجلس، وقال للمظلوم: اقتض، قال: أو أخوه يا أمير المؤمنين، قال: ذلك إليك، قال: فلما جاز الرجل، قال على: يا معاشر المسلمين خذوه، قال: فأخذوه فحمل على ظهر رجل كما يحمل صبيان الكتاب، ثم ضرب خمس عشرة درة، ثم قال: هذا نكال لما انتهكت من حرمتها، وفي رواية أنه قال: هذا حق السلطان⁽⁴⁾.

هذا الخبر ليعتبر مثلاً عاليًا للتواضع حيث يخرج أمير المؤمنين من بيته إلى السوق يتقدّم أحوال الناس، ويقوم بنفسه في حل مشكلاتهم، وهو نوع من السلوك العالي الذي يبرز وجود الولاية في واقع حياة الرعية، سواء قام بذلك الوالي الأكبر أو من دونه، ولا يلزم تكرار هذا الوجود كل يوم، إذ يكفي شعور الناس بأن الولاية معهم في مشكلاتهم ليطرد مئن صاحب الحق على بقاء حقه في حوزته، وعودته إليه فيما لو اعتدى عليه، وليرتدع من تسول له نفسه الاعتداء على حقوق الناس، وقبل ذلك وأهم منه أن يردعه كل من يدّع ث نفسيه بالاعتداء على حق الله تعالى، وهذا الوجود المتلاحم بين الوالي والرعية يظهر بصور متعددة تتناسب مع أنماط الحياة في كل عصر، فلا يقولن قائل: إن ما قام به أمير

(1) مولى لعلى رضي الله عنه.

(2) مصنف ابن أبي شيبة رقم (12225) المستتر (166/3) حديث صح من أوجه كثيرة.

(3) الشراة: الخوارج. النهر وان: بين واسطه وبغداد.

(4) تاريخ الطبرى (73/6).

المؤمنين على رضي الله عنه يعتبر سائغاً في عصره، ولكنه بعيد التصور في هذا العصر، فإنه لا عبرة بالأشكال والصور، وإنما العبرة بالأهداف والمقاصد التي بها تتحقق الحياة السعيدة للMuslimين، وذلك برعاية حق الله أولاً، ثم حقوق الناس العامة والخاصة، وما أمر به أمير المؤمنين على رضي الله عنه من إجراء العقوبة على المعتدي مع تنازل صاحب الحق دلالة على إدراكه رضي الله عنه لمقاصد الإسلام من حفظ الأمن، وإشاعة السلام بين المؤمنين، وبذلك سيرتدع من تميل نفسه إلى الاعتداء على غيره إذا عرف بأن العقوبة ستجري عليه ولو عفا عنه خصمه⁽¹⁾.

ومن مواقف عده رضي الله عنه بما رواه عاصم بن كلبي عن أبيه قال: قدم على علیٰ ابن أبي طالب مال من أصبهان⁽²⁾, فقسمه سبعة أسباع، فوجد فيه رغيفاً، فقسمه سبع كسر، وجعل على كل جزء كسرة، ثم أفرغ بينهم، أيهم يعطي أول⁽³⁾.

وأما مبدأ المساواة الذي اعتمدته أمير المؤمنين على بن أبي طالب في دولته، فيعد أحد المبادئ العامة التي أقرها الإسلام، قال تعالى: **إِنَّمَا أَيْمَانُهَا لِلنَّاسِ إِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ مُّنْذَرِينَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِيلَ لِتَعْمَلُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَكْرَمُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْمٌ خَبِيرٌ** [الحرات:13]، وجاءت ممارسة أمير المؤمنين على رضي الله عنه لهذا المبدأ خير شاهد، ومن هذه المواقف، حرصه على تقسيم المال فور وروده إليه على الناس بالتساوي بعد أن يتحرج منه ما ينبغي أن يأخذ للمرافق العامة، ولم يكن يستريح لنفسه أن يأخذ من هذا المال إلا متىما يعطي غيره من الناس، كما أنه كان يعطي معارضيه من الخارج من العطاء متىما يعطي غيرهم، وهذا قبل سفكهم للدماء، واعتذارهم على الناس⁽⁴⁾، وكان رضي الله عنه يساوى في العطايا بين الناس وبذلك يكون اقتداءه بالصديق في هذا الباب، رضي الله عنه لا يفضل شريفاً على مشرف، ولا عربياً على أعمى، فقد دفع مرة طعاماً ودراماً بالتساوي إلى امرأتين إحداهما عربية، والثانية أجنبية، فاحتاجت الأولى قائلة: إني والله امرأة من العرب، وهذه من العجم، فأجابها على: إني والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً على بني إسحاق. وكذلك لم يطلب إليه تفضيل أشراف العرب وقريش على الموالي والعم، قال: لا والله، لو كان المال لي لو أ sisit بينهم، فكيف وإنما هي أبو الهم؟⁽⁵⁾ وعن يحيى بن سلمة قال: استعمل على عمرو بن سلمة على أصبهان فقدم ومعه ماله وزقاق فيها عسل وسمن، فأرسلت أم كلثوم بنت على إلى عمرو تطلب منه سمنا وعسلًا، فأرسل إليها ظرف عسل وظرف سمن، فلما كان الغد خرج على وأحضر المال والعسل والسمن ليقسم، فعد الزقاق فنفت زقاق، فسألته عنها، فكتمه وقال: نحن نحضرهما، فعزم عليه إلا ذكرها له، فأخبره، فأرسل إلى أم كلثوم فأخذ الزقاق منها فرأها قد نقصا، فأمر التجار بتقويم ما نقص منها، فكان ثلاثة دراهم، فأرسل إليها فأخذها منها ثم قسم الجميع⁽⁶⁾. وعن أبي رافع وقد كان خازناً على رضي الله عنه على بيت المال، وقال: دخل يوماً وقد زينت ابنته، فرأى عليها لؤلؤة من بيت المال قد كان عرفاها، فقال: من أين لها هذه؟ الله على أن أقطع يدها، قال: فلما رأيت جده في ذلك قلت: أنا والله يا أمير المؤمنين زينت بها ابنة أخي، ومن أين كاذ

(1) التاريخ الإسلامي للحميدي (12/433).

(2) مدينة عظيمة في بلاد فارس.

(3) الكامل في التاريخ (2/442).

(4) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، ص(216).

(5) تراث الخلفاء الراشدين، ص (101).

(6) الكامل في التاريخ (2/442).

ت تقدر عليها لو لم أعطها، فسكت^(١).

الثالث عشر: الحريات:

مبدأ الحرية من المبادئ الأساسية التي قام عليها الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، ويقضي هذا المبدأ بتأمين وكفالة الحريات العامة للناس كافة ضمن حدود الشريعة الإسلامية وبما لا يتناقض معها، فقد كانت دعوة الإسلام لحرية الناس، جميع الناس، دعوة واسعة عريضة قلما تشمل على مثلها دعوة في التاريخ، وكانت أول دعوة أطلقها في هذا المجال هي دعوته الناس في العديد من الآيات القرآنية لتوحيد الله والتوجه له بالعبادة ودون سائر الكائنات والملائكة، وفي دعوة التوحيد هذه كل معاني الحرية والاستقلال لبني الإنسان، أضف إلى ذلك أن الإسلام عرف الحرية بكل معانيها ومدلولاتها ومفاهيمها، فتارة تكون فعلاً إيجابياً كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتارة فعلاً سلبياً كلامناع عن إكراه أحد في الدخول في الدين، وفي أحيان كثيرة يختلط معناها بمعنى الرحمة، والعدل الشوري والمساواة، لأن كل مبدأ من هذه المبادئ التي نادى بها الإسلام لا يمكن تحقيقه إلا بوجود الحرية، وقد أسمهم مبدأ الحرية مساهمة فعالة إبان حكم الخلفاء الراشدين خاصة بانتشار الدين الإسلامي، وتسهيل فتوحات المسلمين واتساع رقعة دولتهم، لأن الإسلام كرم الإنسان وكفل حرياته على أوسع نطاق، ولأن النظم السياسية الأخرى السائدة آنذاك في دولة الروم والفرس كانت أنظمة استبدادية وتسلطية، وفُنوية قاسية بسببها الرعایا، وبصورة خاصة المناون السياسيون والأقليات الدينية، أشد درجات الكبت والاضطهاد والظلم، وأما في الإسلام في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، فقد كانت الحريات العامة المعروفة في أيامنا معلومة ومصونة تماماً^(٢)، وقد كان لأمير المؤمنين على رضي الله عنه أقوال تدافع عن الحريات وموافق تدعم هذا المبدأ في المجتمع الإسلامي، فمن أقواله: بئس الزاد إلى المعاد العداون على العباد^(٣)، وقوله الموجز هذا يدل على أن الاعتداء على الناس كافة بأي شكل كان غير جائز في الإسلام، وذكر المعذبين بعذاب الله يوم القيمة، وعرف عنه قوله: ليس من العدل القضاء على القلة باللطم^(٤)، وقوله هذا يدل دلالة واضحة على أنه ليس من الجائز أخذ الناس بال شبّهات والحكم عليه لمجرد الظنون والشكوك، بل ينبغي أن يكون ذلك بـ(الثقة) أي باليقين المستند إلى أدلة دامغة وأكيدة لا تقبل الجدل حولها، وخير هذه الأدلة ما نصت عليه الشريعة^(٥) وبذلك يكون المبدأ الذي أقرته التشريعات الجزائية الحديثة القائل بأن المتهم يبقى بريئاً حتى إثبات العكس قد عرّفه الإسلام منذ أمد بعيد^(٦).

وقد تجلى مبدأ الحرية في أروع صوره ومعانيه أيام على رضي الله عنه، فالرغم من وجود ظروف استثنائية (فتن، مؤامرات، وحروب) تبرر الحاجة إلى تقيد حرية الأفراد في ذهبهم وإيمانهم وإقامتهم، أو ما يسمى في العصر الحديث بقانون الطوارئ إلا أن علياً لم يقيد حرية أحد، سواء كان من أتباعه أم من خصومه، ولم يكره أحداً على الإقامة والبقاء في ظل سلطانه، أو على الخروج منه، ولا حتى على المسير معه لمقاتلة أعدائه، ولم يصد أحداً من الناس عن اللحاق بمعاوية^(٧)، كما أنه لم يقيد حرية أصحاب عبد الله بن مسعود وعيادة المسلماني والربيع بن خيثم، ولم يكرههم على المسير معه لمقاتلة أه

(١) تاريخ الطبرى (72/6).

(٢) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ص (158)، (157).

(٣) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، ص (165).

(٤) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، ص (165).

(٥) هذه الأدلة هي: البينة الخطية المنظمة وفقاً لاحكام الشريعة، أو الثانية بشهادة رجلين أو بشهادة رجل وامرأتين وأحياناً بشهادة أربعة رجال كما في حالة الزنا.

(٦) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، ص (166).

(٧) المصدر نفسه، ص (159).

ل الشام عندما رفضوا ذلك، بل سمح لهم بالذهب لبعض التغور نزولاً على رغبتهم⁽¹⁾، وعندما ثار عليه الخوراج بعد معركة صفين بسبب قول التحكيم، فإنه لم يكره أحداً منهم على البقاء في ظل سلطانه أو الخروج منه، بل بالعكس فقد كان يأمر عماله بعدم التعرض لهم في طريقهم ما داموا لا يفسدون في الأرض ولا يعتدون على الناس⁽²⁾، وقال لهم: إن لكم عندنا ثلاثة، لا نمنعكم صلاة في هذا المسجد، ولا نمنعكم تصييركم من هذا الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نفاثكم حتى تقاتلوا⁽³⁾.

المبحث الثالث

حياته في المجتمع واهتمامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أولاً: دعوته للتوحيد ومحاربته للشرك:

إن حياة أمير المؤمنين على بن أبي طالب عامرة بالدعوة إلى توحيد الله تعالى، وتعريف الناس معاني الإيمان، والاعتماد والتوكيل على الله والخوف منه سبحانه وتعالى، ولتعريف به من خلال اسمائه الحسنى وصفاته العلى، ومحاربته للشرك بجميع أشكاله وأذواقه، ومن خلال توجيهه وتعليمه وتربيته للناس على دعوة التوحيد ومحاربة الشرك أمه ور منها:

1- قوله رضي الله عنه: «لا يرجونَ عَبْدَ إِلَّا رِبِّهِ وَلَا يخافُنَ إِلَّا نَبِّهَ»⁽⁴⁾ فهذا من أحسن الكلام، وأبلغه وأتمه. فإن الرجاء يكون للخير، والخوف يكون من الشر، والعبد إنما يصيبه الشر بذنبه، كما قال تعالى: +وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مَصِيرَةٍ فِيمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْدُونَ عَنْ كَثِيرٍ [الشوري: 30]، فالراجح يطلب حصول الخير ودفع الشر، ولا يأتي باللعم إلا الله، ولا يذهب المصائب إلا الله +وَإِنْ يَمْسِسْكَ اللَّهُ بِضَرٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرْدِكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ [يونس: 107]، +مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رِحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يَمْسِكَ فَلَا مُرْسَلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ [فاطر: 2]، والرجاء مقوتون بالتوكيل، فإن المتوكل يطلب ما رجاه من حصول المفعة ودفع المضرة، والتوكيل لا يجوز إلا على الله، كما قال تعالى: +إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَذْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَذَّلَ اللَّهُ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [آل عمران: 160]. وقال تعالى: +وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا أَتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيِّدُنَا اللَّهُ مِنْ قَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ [التوبية: 59]، وقال تعالى: +الَّذِينَ قَاتَلُوا لَهُمُ الْدِيَنَ إِنَّمَا قَاتَلُوا لِنَعْمَلَهُمْ مَذْهَبُهُمْ فَرَأَدَهُمْ إِيمَانًا وَقَاتَلُوا حَسْبًا لِنَعْمَلَهُمْ وَنَعْمَمُ الْوَكِيلَ [آل عمران: 173]، فهو لاء قالوا: حسبنا الله، أي: كافينا الله في دفع البلاء، أولئك أمروا أن يقولوا: حسبنا في جلب النعماء – فهو – سبحانه – كاف عبده في إزاله الشر وفي إنانة الخير، أليس الله يكاف عبده، ومن توكل على غير الله ورجاه خذل من جهة وحرم، +مَنْذَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْ لِيَاءَ كَمَذَلُ الْمُعْذَلَ كَبُوتٌ اتَّخَذَتْ بِيَتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبَيُوتِ لَبَيْتٌ [العنكبوت: 41]، +وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَيَكُونُوا لَهُمْ عَزَّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكْفُرُونَ عَلَيْهِمْ ضَدًا [مريم: 81، 82]، +وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَانَمَا خَرَّ مِنَ الْسَّمَاءِ فَتَخْطُفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهُوَيْ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَاحِقٍ [الحج: 31]

(1) المصدر نفسه، ص (159).

(2) المصدر السابق، ص (160).

(3) تاريخ الطبرى (688/5).

(4) الفتوى (101/8).

لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخْرَ فَتَقْعُدْ مَذْمُومًا مَخْدُولًا" [الإسراء: 22]. وقال أ Khalil: + لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخْرَ فَتَقْعُدْ مَذْمُومًا مَخْدُولًا" [العنكبوت: 17] ، فمن عمل لغير الله رجاء أن ينتفع بما عمل له، كانت صفتة خاسرة، قال تعالى: + وَأَذْيَنَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٌ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حَسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحَسَابِ" [النور: 39] ، وقال تعالى: + مَثُلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرِبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٌ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يُقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ" [إبراهيم: 18] ، وقال تعالى: + وَقَدْ مَنَّا إِلَيْيَ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَباءً مَثُورًا" [الفرقان: 23] ، وقال تعالى: + كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا وَجْهَهُ" [القصص: 88] ، كما قيل في تفسيرها: كل عمل باطل إلا ما أريده به وجهه، فمن عمل لغير الله ورجاه بطل سعيه، والراجحي يكون راجياً تارة بعمل يعلمه لمن يرجوه، وتارة باعتماد قلبه عليه وإتجائه إليه وسؤاله، فذاك نوع من العبادة له، وهذا نوع من الاستعانة به، وقد قال تعالى: + إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" [الفاتحة: 5] ، وقال: + فَمَا عَبَدْتُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ" [هود: 123] ، وقال: + قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوْكِيدٌ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ" [الرعد: 30] ، وما يوضح ذلك: أن كل خير ونعمة تناول العبد فإنما هي من الله، وكل شر ومصيبة تتدفع عنه أو تكشف عنه، فإنما يمنعها الله، وإنما يكشفها الله، وإذا جرى ما جرى من أسبابها على يد خلقه، فالله سبحانه - هو خالق الأسباب كلها سواء كانت الأسباب بحركة حي باختياره وقصده، كما يحدثه تعالى بحركة الملائكة والجن والإنس والبهائم أو حركة جماد بما جعل الله فيه من الطبع، أو بقياسه يكسره حركة الرياح والمياه ونحو ذلك، فالله خالق ذلك كله، فإنه لا حول ولا قوة إلا به⁽¹⁾، وما شاء كان وما لم يشا لم يكن ، فالرجاء يجب أن يكون كله للرب، والتوكيل عليه والدعاء له، فإنه إن شاء ذلك وبيسره كان وتبisser ، ولو لم يشا الناس ، وإن لم يشا ولم يبسسه لم يكن وإن شاء الناس⁽²⁾ ، هذه بعض المعاني من قول أمير المؤمنين: لا يرجون أحد إلا ربه⁽³⁾ .

وأما قوله: «وَلَا يَخافِنَ إِلَى ذَنْبِهِ»⁽⁴⁾ ، قال تعالى: + فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَاتِلُوا لَذَنَّاهُدَهُ وَإِنْ تُصْبِهُمْ سَيِّئَةً يَطْيِرُوْ بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ" [الأعراف: 131] . يبين سبحانه أن الحسنة من الله ينعم بها على الناس، وأن السيئة إنما تصيبهم بذنبهم، ولهذا قال تعالى: + وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعِذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ" [الأفال: 33] ، فأخبر أنه لا يعذب مستغفراً، لأن الاستغفار يمحو الذنب الذي هو سبب العذاب، فيندفع العذاب، كما في سنن أبي داود وابن ماجة عن النبي × أنه قال: «من أكثر الاستغفار، جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»⁽⁵⁾ ، وقال تعالى: + أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِذْ ذَنَيْ لَكُمْ مِنْهُ نَذَرٍ وَبَشِّرِ وَإِنَّ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ يَمْتَعُوكُمْ مَتَاعًا حَسَنَاتِكُمْ وَيُؤْتَكُمْ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلُهُ" [هود: 2] ، [3] . فبين: أن من وحد الله واستغفر متاعاً حسناً إلى أجل مسمى، ومن عمل بعد ذلك خيراً أزده من فضله، وفي الحديث: يقول الشيطان: أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكوني بلا إله إلا الله، والاستغفار⁽⁶⁾ ، فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يتوبون،

(1) الفتاوى (102/8)

(2) الفتاوى (102/8)

(3) المصدر نفسه (99/8)

(4) الفتاوى (99/8)

(5) سنن ابن ماجة رقم (3819)، سنن أبي داود (1518).

(6) مسند أبي يعلي (123/1) رقم (136)، مجمع الزوائد (210/1) وهو ضعيف.

لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً⁽¹⁾. وقال عمر بن عبد العزيز: ما نزل بلاء إلا بذنب ، ولا رفع إلا بتوبة، ولهذا قال تعالى: +الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ الدَّنَاسَ قَدْ جَمِعُوا لَكُمْ فَخَشُوْهُمْ فَرَأَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسِبْنَا اللَّهَ وَنَعْمَ الْوَكِيرُ لَ فَانْقَلَبُوا مِنْ حَمْمَةٍ مَنْ إِنَّ اللَّهَ وَفَضْلُ لَمْ يَمْسِسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رَضْدًا وَإِنَّ اللَّهَ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ إِذَا مَا ذَكَرْتُمُ الشَّيْطَانَ يَخْوِفُ أَوْلَيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [آل عمران: 173-175]⁽²⁾، فنهى المؤمن عن خوف أولياء الشيطان، وأمرهم بخوفه، وخوفه يوجب فعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، والاستغفار من الذنوب، وحيثنى يندفع البلاء وينتصر على الأعداء، فلهذا قال أمير المؤمنين على رضي الله عنه: لا يخافن عبد إلا ذنبه⁽³⁾، وإن سلط عليه مخلوق مما سلط عليه إلا ذنبه، فليخف الله، وليت من ذنبه التي نال بها ما ناله⁽⁴⁾، كما في الأثر: يقول الله: أنا الله مالك الملوك، قلوب الملوك ونواصيهم بيدي، من أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نعمة، فلا تشغلا بسب الملوك، وأطيعوني أعطف فـا وبهم عليكم⁽⁴⁾.

2- تعريف أمير المؤمنين الناس بأسماء الله وصفاته: قال تعالى: +فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَعْفِرْ لِذَنْبِكَ [محمد: 19]، فمن كان بالله أعرف كان منه أخو福، كما في قوله سبحانه وتعالى: +إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عَبْدَهُ الْعَلَمَاءُ [فاطر: 28]⁽⁵⁾، وقد يبين القرآن الكريم أن معرفة الأسماء الحسنة والصفات العلى من أعظم الوسائل في زيادة الإيمان وقوته وثباته، ومعرفته تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الربوبية، توحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواع هي روح الإيمان، وأصله وغايته، فكما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته، ازداد إيمانه وقوى يقينه⁽⁵⁾، قال تعالى: +وَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يَلْهَدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيِّجَ زَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [الأعراف: 180]⁽⁶⁾، وقال تعالى: +قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيْمَانًا تَدْعُوا فِلَهَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى [الإسراء: 110]⁽⁷⁾، وقد ثبتت في الأحاديث الصحيحة عنه × أنه قال: «إن الله تسعه وتسعين اسمًا — مائة إلا واحدة. من أحصاها دخل الجنة»⁽⁸⁾، أي من حفظها وفهم معانيها، واعتقدوها، وتبعده الله بها دخل الجنة، والجنة لا يدخلها إلا المؤمنون⁽⁷⁾.

ولأهمية هذا العلم قال أمير المؤمنين على رضي الله عنه: يا طالب العلم: إن للعالم ثلاث علامات، العلم بالله، وبما يحب الله، وبما يكره الله⁽⁸⁾، وقال في معرض وصفه للمولى سبحانه وتعالى: هو العالم بكل مكان، وكل حين وأوان، لم يخلق الآشيا من أصول أزلية، ولا بأوائل كانت قبله بديعة، بل خلق ما خلق فاقام خلقه وصور ما صور فأحسن صورته، توحد في علوه فليس لشيء منه امتاع، ولا له بطاقة شيء من خلقه انتفاع، إجابت له للداعين سريعة، والملائكة في السماوات والأرضين له مطيعة، علمه بالأموات البائدين، كعلمه بالأحياء المتقلبين، وعلمه بما في السماوات العلى، كعلمه بما في الأرض السفلى، وعلمه بكل شيء، لا تغيره الأصوات، ولا تشغله اللغات... مدير بصير، عالم بالأمم

(1) الفتاوى (100/8).

(2) الفتاوى (99/8).

(3) المصدر نفسه (101/8).

(4) المصدر نفسه (101/8).

(5) الوسيطة في القرآن الكريم للصلابي: ص (228).

(6) التخاري، أثـ الدعـوتـ رقمـ (6410).

(7) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للسعدي، ص (41).

(8) تاريخ اليعقوبي (207/2)، منهاج على بن أبي طالب، ص (91).

ور، حي قيوم... سبحانه وتعالى عن تكييف الصفات⁽¹⁾.

وجاء يهودي إلى أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه فسأله: متى كان ربنا؟ فتمرر⁽²⁾ وجه على بن أبي طالب وقال: لم يكن فكان؟! هو كان ولا كيونة، كان بلا كيف، كان لي س قبل ولا غاية، انقطعت الغايات دونه، فهو غاية كل غاية، فأسلم اليهودي⁽³⁾، وبما يرويه أمير المؤمنين على رضي الله عنه عن رسول الله × في صفات الله سبحانه وتعالى قوله: قال رسول الله ×: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»⁽⁴⁾.

إن معرفة أسماء الله وصفاته، وتأمل معانيها، والإيمان بها تنشر للعبد محبة الله وتعظيمه الموجبين للقيام بأمره ونهيه، كما توجب اللجوء إليه في الكربات، وسؤاله عند الحاجات، واستغاثته في الملمات وغيرها من أنواع العبادات القلبية⁽⁵⁾.

3- تعريف أمير المؤمنين على بن أبي طالب الناس بنعم الله المستوجبة لشكره: قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه مذكرةً بالله سبحانه وتعالى وبنعمه على عباده: أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال، ووقت لكم الآجال، وجعل لكم أسد ما عاصيكم على ما عناها، وأصغارًا انجلوا عن غشاها، وأفندوا تقهم ما دهاها، في تركيب صوره ما واما عمرها، فإنه الله لم يخلقكم عبادًا ولم يضرب عنكم الذكر صفحًا، بل أكرمكم بالنعم السواغ، وأرفدكم بأوفر الروافد، وأحاط بكم الإحساء، وأرسد لكم الجزاء في السراء والضراء، فانتقوا الله عباد الله وجدوا في الطلب، وبادروا بالعمل مقطع النهمات وهام الذات⁽⁶⁾، وكان أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه يحيث الناس على القرب من الله بشكر النعم الحاصلة ويحذرهم من الارکون إليها والأمن معها، ويرغبهم فيما عند الله من المزيد في حال شكر النعم، حيث يقول: فإن نزلت بكم رغبة فاشكروا الله، واجمعوا معها رهبة، وإن نزلت بكم رهبة فاذكروا الله واجمعوا معها رغبة، فإن الله قد تاذن المسلمين بالحسنى، ولمن شكره بالزيادة⁽⁷⁾، دعا أمير المؤمنين على رضي الله عنه الناس إلى التكبير في أنفسهم فقال: من عرف نفسه فقد عرف ربه⁽⁸⁾، وقد قال تعالى: +وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفْلَأْ تُبْصِرُونَ " [الذاريات: 21].

4- حرص أمير المؤمنين على بن أبي طالب على محو آثار الجاهلية: قال على بن أبي طالب رضي الله عنه: كان رسول الله × في جنارة، فقال: «أيكم ينطق إلى المدينة فلا يدع وثناً إلا كسره ولا قبرًا إلا سواه، ولا صورة إلا لطخها؟» فقال على رضي الله عنه: أنا أنطق يا رسول الله، فقال: «فأنطلق»، فانطلق، ثم رجع فقال: يا رسول الله، لم أدع بها وثناً إلا كسرته، ولا قبرًا إلا سويته، ولا صورة إلا لطختها، ثم قال رسول الله ×: «من عاد لصنعة شيء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد ×»⁽⁹⁾.

وعندما أصبح أمير المؤمنين أرسل أبا الهياج الأسدى وقال له: أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ×، أن لا تدع ثنالاً إلا طمسه، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته⁽¹⁰⁾، فأمره بـ

(1) حلية الأولياء (73/1).

(2) تمرر: تغير، لسان العرب (181/5).

(3) تاريخ الخلفاء للسيوطى، ص (206).

(4) مسنون أحمد (173/2)، قال احمد شاكر: إسناده حسن.

(5) منهاج على بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، ص (92).

(6) الحلية (78/1)، صفة الصفوقة (328/1).

(7) البداية والنهاية (309/7).

(8) مطلوب كل طالب من شرح كلمات على بن أبي طالب، لمحمد عبد الجليل العمري، مخطوط نقلًا عن منهجه على بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، ص (96).

(9) مسنون أحمد (87/2) حديث رقم (657) ط. الرسالة.

(10) مسلم، ك الجنائز (666/2).

محو التماشيل، وأن تكون القبور مدروسة معالمها، وقد كان أمير المؤمنين على رضي الله عنه كثيراً ما يقصد المقبرة زائرًا ومتغطياً، وقد أشرف على المقبرة فقال: يا أهل القبور أخبرونا بخبركم، أما خبركم قبلنا فالنساء قد تزوجن، والممال قد قسم، والمساكن قد سكنتها قوم غيركم، ثم قال: أما والله لو نطقوا القلوا: لم نر خيراً من القوى⁽¹⁾، وقد كان أمير المؤمنين على رضي الله عنه يسعى جاهدًا في تجريد التوحيد، وقطع أسباب الشرك ووسائله من جميع الجهات، ولذلك حذر من اتخاذ القبور مساجد لما تسببه من الفتنة في أهلها، وكونها ذريعة إلى عبادة الأموات، وقد وصف رضي الله عنه من فعل ذلك بأنه من شرار الناس كما في قوله: شرار الناس من يتخذ القبور مساجد⁽²⁾، وهذا اتباع لقول رسول الله ×: «اشتد عصب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»⁽³⁾، وغيره من الأحاديث التي صحت في هذا المعنى، كما لا بد من التنبيه على أن الغرض من زيادة القبور أمران، كما هو بيّن من الهدى النبوى الشريف الاتزان بالموت، والدعاء للميت والذ رحم عليه، وليس في واحد منها ما يدل على أن الزائر يقصد القبر، ليقضي حاجته، فف ضد القبر للانتفاع به مخالف لهدى النبي × ومخالف لأدب زيارة القبور التي نصّ عليه العلامة⁽⁴⁾، قال ابن العربي وهو يعد أغراض السفر، ومنه: القصد إلى الإخوان لتقديم أحوالهم- وبعد أن ذكر فضل من زار أخًا في الله- قال: هذا إن كان حيًا، فإن كان ميتًا، فتجوز زيارته قبره أيضاً، والترحم عليه لينتفع الميت بالحي، ولا يقصد الانتفاع بالميت فإنها بدعة⁽⁵⁾، بل إن قصد القبر رجاء قضاء الحاجة هو عين ما حذر منه النبي × عليه بحسب أصله أن يجعل لهم ذات أنواع، ففي حديث أبي واقد الليثي: أن رسول الله × لما خرج إلى حنين من بشارة للمشركين يقال لها: ذات أنواع يعلقون عليها أسلحتهم فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواع لهم (ذات أنواع)، فقال النبي ×: «سبحان الله، هذا كما قيل لموسى، أجعل لنا إلهًا كما لهم إلهة، والذي نفسي بيده لنتركن سنة من كان قبلكم»⁽⁶⁾، وفي عدة المرید يقول الشيخ الزروق بعد أن ذكر الحديث المتقدم: ولا يجوز عند العلماء تعظيم مكان، أو شجر أو بناء، أو أي شيء آخر له أصل في معنقات الجاهلية، رجاء الشفاء أو قضاء حاجة⁽⁷⁾، ثم قال: في الحديث دليل على منع كل ما يستدام أو ي يكون له أصل في عبادة الجاهلية من خشبة أو حديدة أو حجر أو بناء ونحوه، لا يمتهن أو لا يأدى على ذلك من أن أشهر أصنامهم التي عبدوها من دون الله، «اللات» و«مناة»، هـ ي اسماء لرجال صالحين ماتوا فاغلوا في تعظيمهم حتى عبادوهم من دون الله⁽⁹⁾، وهنا كان حديث النبي × وفعل سيدنا على له عمل عظيم في حماية جناب التوحيد، ويتبين لنا ما يفعله بعض جهله المسلمين من تعظيم القبور والطوابخ حولها والتعلق بأهلها أمر محرم يخالف أمر الله وسيرة أمير المؤمنين، فعلى العلماء الربانيين الذين يرجون الله واليوم الآخر أن يقتدوا بالنبي × كما فعل أمير المؤمنين على، وأن يسعوا للتعبد الناس لربه م وجعل قلوبهم تتعلق بالله الواحد القهار، وأن يحاربوا العوائق في الطريق إلى الله بالحكمة والمواعظ الحسنة.

(1) الاستذكار (234/1).

(2) مصنف عبد الرزاق (405/1)، كنز العمل رقم (22522).

(3) فتح الباري (376/4) إسناده حسن.

(4) الغلو في الدين، د. الصادق الغرياني، ص (119).

(5) فتح الباري (65/3).

(6) سنن الترمذى رقم (2180) حسن صحيح.

(7) عدة المرید، ص (206)، الغلو في الدين للغرياني، ص (119).

(8) عدة المرید، ص (206)، الغلو في الدين للغرياني، ص (119).

(9) الغلو في الدين، ص (119).

أ- الزيارة الشرعية للقبور: إن الزيارة الشرعية للقبور سنة مجهرة عند الكثريين، قد غفلها جمع من الناس لفسو البعد والخرافات في العالم الإسلامي، وعدم إرشاد أهل العلم الناس إلى هذه الزيارة المشروعة، وتقصير الدعاة في توضيح هذا النوع المباح وما يقال عند الزيارة، فالزيارة الشرعية الغرض منها، تذكر الموت ومكان الإنسان ونهايته، وأنه سيأتي اليوم الذي يكون هذا موضعه ومضجعه الذي يزوره الأن، مما يعين على الثبات على الطاعة، وتحت النفس، والأخذ بزمامها نحو العبادة خاصة إذا أصابها فتور وتقاعس عن العبادة، كما يشرع فيها السلام على الأموات والدعاء لهم بالرحمة والمغفرة، ومن الأدلة على ذلك حديث عائشة، رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ يخرج من آخر الباب إلى الواقع فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنما إن شاء الله بكم لا حقون، لهم أغفر لأهل بيتي الغرقد»، وفي رواية عنها، رضي الله عنها، في قصة جبريل، حين جاء النبي ﷺ وأخبره أن الله تعالى يأمره أن يستغفر لأهل بيتي الغرقد، قالت عائشة رضي الله عنها: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ فقال: «قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين وال المسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستاخرين، وإنما إن شاء الله بكم لا حقون»⁽¹⁾.

ب- تاريخ الاحتفال بالمزارات في الأضرحة: يذكر أن أول من أحدث الاحتفال بالمزارات السنوية في الأضرحة هم العبيدون (الفاطميون) في القرن الرابع، ذكر ذلك المقwä ريزى أحمد بن على قال: كانت لهم ستة موالد، مولد النبي ﷺ، مولد على بن أبي طالب، والحسن والحسين، وفاطمة رضي الله عنهم، ومولد الخليفة، وكانوا ينحررون عند قبر الأئمة الإبل والبقر والعننم⁽²⁾. ولم يكن المسلمين قبل هذا التاريخ في القرون الثلاثة الأولى يقيمون الأضرحة، ولا يحتفلون بها، ولا أدل على ذلك من أن أكثر الصحابة رضوان الله عليهم دفنتوا خارج البقىع في مصر والشام والعراق، لا تعرف قبورهم، ومن عرف قبوره منهم، ف مختلف فيه بين المؤرخين، وكُتاب السير، فكيف خفيت قبورهم عن أهل السير، وهم الصالحاء والعلماء وأعلام الهدى، الذين حملوا رأية الدين والعلم، والجهاد والعبادة؟ لو كان للأضرحة في زمانهم وزمان تابعيهم ذكر لما خفي مكانها، ولما اختلف المؤرخون فيها، و فعل الناس لهذا الأمر بعد القرون الأولى خير القرون لا يكسيه مشروعية الحال، كيف وقد نهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره عبداً؟ فمن يفعل ذلك من الناس فإنما يفعل عين ما حذر منه النبي ﷺ، ويحتج بعمله و عمل شيخه، ويقدمه على هدى رسول الله ﷺ وأصحابه، والله تعالى يقول: **لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدِيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** [الحجرات: 1]، ويقول: **فَلَا يَحْذَرُ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصْبِيَهُمْ فِتْنَةً أَوْ يُصْبِيَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** [النور: 63].

ج- ارتباط المزارات بالتخلف والجهل: ارتفع شأن القباب والتوابيت - المضروبة على القبور - خلافاً لأمر رسول الله ﷺ بتنسيتها، كما بين لنا أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه، وتقن الناس في زخرفتها بالألوان الزاهية، ونصبت عليها ستائر الحرير كستائر الكعبة، وحرست بالأبواب الفاخرة وزودت بخزانات الحديد القليلة، لجمع ما يوجد به الزائرون، وما ينقونه على أصحاب الأضرحة من نذور، لقضى حوائجه وتحققه أمامهم، وازدهرت الحياة للمتعيشين على خدمة الضريح وحراسته، رواة الكرامات، ورواية التحذير الصارم بسوء عاقبة كل من يحاول أن يشكك في سلامته ما يجرى، ومن المعروف أن التمجيل على هذا النحو للأضرحة لم يزدهر إلا يوم أن تخلف المسلمين، وضعفت هممهم، في عصور الانحطاط العلمي، والجمود الفكري، يوم أن حولوا نور

(1) مسلم رقم (671/1)، رقم (974).

(2) المواقظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (490، 427/1)، الغلو في الدين للغرياني، ص (103).

الرسالة المحمدية، التي استطاعت في الأربعين سنة الأولى من عمرها أن تجعل أهل الأرض من فارس إلى المغرب يدينون بها، حولوا هذه الرسالة الحضارية المشرفة إلى در وشة وخمول، وبطلة وتعلق بالأوهام، وقصروا همهم على أمور ما كان سلفنا الصالح، الذي ملا الدنيا علمًا وعملاً صالحًا يقف عندها، ولا يلقت إليها، لا يجدر بنا أن نسأل أنفسنا: هل وجد شيء من هذا على عهد الصحابة فعلاه لقبر الرسول ×، وهو أفضل قبر على وجه الأرض؟! أو لقبورهم، وهم أفضل أمنته، أو وجد شيء منه حتى في عهد الأئمة الذين يقتدي بهم، كمالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد رحمهم الله؟!

أليس عدم وجود شيء من ذلك عندهم دليلاً على أن ما يجري لا صلة له بالدين، ولا بالعبادة، ولا بالولاية؟! وإنما هي مظاهر التخلف والجهل، استغلها من لهم مصلحة باسم الدين، أيا كانت المصلحة، لتخدير العامة والاستيلاء على عقولهم، وجيبوهم، وأكل أموالهم وشدهم إلى الوراء، لقد ظل الإسلام قرونًا عديدة بتزعم العالم قوة ومعرفة، وحذف ضارة، وتشريعًا، وأخلاقيًا، ورحمة بالإنسانية، وتطعيمًا إلى الابتكار، ومعالي الأمور، ذلك كان حال المسلمين يوم أن كان تعاقبهم بحقيقة الإسلام فلما أعرضوا عن ذلك، واستبدلوا مفاهيم مغلوبةً - تعمد على التواكل والبطالة والدروشة والتعلق بالغيبيات التي لم يقم عليها دليل، ولم يأمرنا الله بها - بما عندهم من العلم والهداية، وسموا كل ذلك (بركة)، تسمية للشيء بضده، وأحرى بمن يعرض عن الهداية وأسبابها أن يكون من الضالين، وعن البركة من المبعدين⁽¹⁾.

د- الحملات الاستعمارية وإقامة الأضرحة: كان للحملات الغربية الاستعمارية موافق في تشجيع المسلمين أن ينحووا هذا المنحى ليبتعدوا عن جوهر الدين، ذكرت صحيفة لتأييز الإنجليزية قول أحد رجال الاستعمار البريطاني يحضر على تشجيع البدع والأوهام بين المسلمين يقول: فإن ذلك كفيل بإبعادهم عن الإسلام، يقول الشيخ أحمد الباقوري: إن أحد كبار المستشرقين حدثه عن بعض أساليب الاستعمار في آسيا، أن الضرورة كانت تقضي بتحويل القوافل الآتية من الهند إلى بغداد، عبر تلك المنطقة الواسعة إلى اتجاه جهة، للمستعمر فيه غاية، ولم تجد الوسائل في جعل القوافل تخثاره، وأخيرًا اهتدوا إلى إقامة عدة أضرحة وقباب على مسافات متقاربة في هذا الطريق، وما هو إلا أن تناقل الناس الإشاعات بما فيها من الأولياء، وبما شوهد من كرامتهم، حتى صارت تلك الطريق مأهولة، ومقصودة عامرة⁽²⁾، وقد اهتمت الحكومة الإنجليزية بالحالة الدينية في مصر، وهي ترصد التحرك الشيوعي في المنطقة، فكان مما طمأنها على تدين المصريين: أن ثلاثة ملايين مسلم زاروا ضريح أحمد البدوي بطنطا في ذلك العام، يقول أحد العلماء الذين أوفدوا من وزارة الأوقاف لوعظهم: لقد كنت أشهد من أعمالهم ما يستدعى الجلد بالسياط لا ما يستدعي الزجر بالكلام، ولو دعوا إلى واجب ديني صحيح لفروا نافرين، وحسبك معرفة حالهم أنهم جاءوا الضريح المذكور للوفاء بالندور والإبهام بالداعاء⁽³⁾.

هـ- هل المزارات من الإحداث في الدين: مات رسول الله × وهو أكرم الخلق على الله تعالى وأنقاهم الله، وأخشاهم الله، وتوقير أصحابه له غير خاف، ومحبتهم إيه لا تقدر، وقبر × في بيته، ومكان قبره الشريف معروف لدى أصحابه غير مجهول، وهو أفضل قبر في الدنيا، فلم يقيموا عليه مشهدًا ولا بناء، ولا قبابًا، ولم يجتمع عند قبره الخلفاء الراشدين إحياء لذكره في يوم من السنة معلوم في (مزار) ولا غيره من أصحابه الآخرين

(1) الغلو في الدين، للغربياني (105).

(2) انظر: ليس من الإسلام، لمحمد الغزالي، ص (224).

(3) الغلو في الدين، ص (105).

، اغتناماً للذكر والعبادة، بل كانوا إذا مروا بقبره الشريف يصلون ويسلمون عليه كما أمرهم ربهم، وكانوا يطعون أمره ويتبعون سنته، ويهتدون بهديه، ويقفون عند أمره ونهايه، حيّاً ومتّاً، امثلاً لأمر ربهم: +وَمَا أَنْكُمُ الرِّسُولُ فُخْذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَهُنَادِتُهُ وَا" [الحشر:7]، قوله عز وجل: +لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ" [الأحزاب:21]، وخلفاؤهم هم الفدوة الحسنة الذين أمرنا رسول الله × باتباع سنة لهم والعرض عليها بالنواخذة، ولم ينقل أحد من أهل الإسلام أن أصحابه اجتمعواليلة في السنة عند قبره للذكر والعبادة، رجاء البركة، وهو أول أيام الله، وحزب الهدى، وأنصار الحق، وكتائب الدين، وأعلم مما يحبه رسول الله ×، وأحرص على الطاعة، وتعظيم رسول الله × في قلوبهم وتوقيره بالمكان الذي لا يخفي، ولا يختلف عليه، لأنّه الذي نطق به القرآن، وأجمع على تعظيمهم له، ومحبته وتوقيرهم إياه أهل الإسلام، ولو كان هذا العيد السنوي عند قبره مما يقرب إلى الله، ولا يخاف منه فساد في الدين لكانوا أسبق إليه، ولم يأمرهم رسول الله × في حياته بشيء من هذا، ولا وجّه في سنته بفعل ولا تقرير ما يدل على مشروعيته عند قبر النبي × بعد موته، أو عند أحد من قبور أصحابه الذين ماتوا، ومررت عليهم السنون في حياته، فلم يتبعه هو ولا أصحابه بشيء من هذا، وهو أكمل الخلق عبودية الله، وأكملهم علمًا بما يرضي الله تعالى، ونصحه لأمته، وحرصه على ما ينفعهم نزل به القرآن +لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْأَمْرِ وَمِنْهُنَّ رَءُوفُ رَحِيمٌ" [التوبه:128]، وقد نهانا النبي × عن اتخاذ قبره عيداً، فقال ×: «لَا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبرى عيدين، وصلوا على ، فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنت»⁽¹⁾، ومعنى عيد من العود، وهو الرجوع والمعاودة، لأنّه يتكرر مرة بعد مرة، أي لا يجعلوازيارة قبرى أيامًا معلومة، وأوقاتاً مخصوصة، كل شهر، أو كل سنة، أو غير ذلك، في اجتماع عام يتكرر بصفة ثابتة كالعيد، ولا تتخذوه منسقاً ترحلون إليه كالحج، ولا تشبهوا باليهود والنصارى، فإنّهم يفعلون ذلك، وقد أدى بهم الأمر إلى الغلو والمبالغة في الإطراء، حتى جعلوا المسيح عليه السلام إلهًا، وقد حذر النبي × أصحابه من ذلك فقال: «لَا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»⁽²⁾، فإذا كان الحال من النهي في التعاقب بقبر النبي ×، وهو أكرم الخلق على الله، وهو سيد الأولين والآخرين، وأفضل الخلق أجمعين، وارجى الشفاعة عند الله يوم الدين، فما بالك بغير الأموات من دونه من الأولياء والصالحين، فتكون مخالفة نهيه في ذلك باتخاذ قبورهم أعياداً، داخلة في الشق الثاني من الحديث، وهو ما يقرب إلى من يخالف نبيه في قوله عز وجل: +فَلَمَّا حُذِرَ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصْبِبُهُمْ فَتَنَّهُ أَوْ يُصْبِبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا" [النور:63].

فهذا هو هدى خير القرون، فمن خالفهم زاعماً أنه أتى بطاعة وقربة، فلا يخلو حاله من أمررين، إما أنه جاء ببدعة ظلمًا، وأما أن يكون مدعيًا أنه فاقهم فضلاً وعلمًا، بل كان الإمام مالك رحمة الله تعالى يقول: من أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها، فقد زعم أن رسول الله × خان الدين، لأن الله تعالى يقول: +الْيَوْمُ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ" [المائدة:3]، فما لم يكن يومئذ دينًا، لا يكون اليوم دينًا⁽³⁾، وكان يقول: السنة سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق⁽⁴⁾.

إن إقامة (المزارات) عبادة لم يفعلها رسول الله × ولا أصحابه، بل نهى عنها، ومخالفته

(1) فتح الباري: (376/4) إسناده حسن.

(2) البخاري رقم (3345).

(3) الاعتراض للشاطبي (53/2).

(4) الغلو في الدين للغرياني، ص (109).

من الإحداث في الدين الذي ينتهي بصاحبها إلى الضلال كما أخبر النبي ﷺ، فقد كان مما خطب به في كل جمعة محرزاً: أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة⁽¹⁾، وقال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»⁽²⁾.

إن جمع الناس في يوم معين على الدوام، في مكان ما، تشد إليه الرحال من كل حد وبصوب للعبادة، لا يجوز إلا فيما شرعه الله تعالى من إقامة النسك في مكة، وعرفة، ومني، والمزدلفة، وفي صلوات الأعياد وال الجمعة والجماعة، وهي الشعائر التي أمر الله تعالى بتعظيمها، واقامتها، وأثنى على أهلها بقوله تبارك وتعالى: **إذْلَكَ وَمَنْ يَعْظُمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مَنْ تَقْوَى الْقُلُوبُ** [الحج: 32]، وإحداث مشهد آخر غير ما ذكر، في يوم من السنة، من الإحداث في الدين، لأنه إحداث عبادة ونسك لم يشرعها الله تعالى، فإن هذه المزارات صارت عند العامة كالنسك، يجتمع إليها الناس في يوم من السنة معلوم للذبح والعبادة، وتتشد إليها الرحال، وهذا في ذاته أمر مذموم، فإن الطاعات المطلقة المندوب إليها في كل وقت، إذا خصص شيء منها بليلة معينة، أو يوم معين، أو مكان معين، لم يخصص الشرع به، واعتقد أن لفعلها في ذلك الوقت المعيين، أو المكان الأعمى، أثراً خاصداً في البركة، أو رفع الدرجات، أو قبول العمل، أو تعظيم الأجر، تحولت تلك الأعمال التي هي من جنس الطاعات إلى بدعة بالاتفاق، لأن ترتيب الثواب على الأفعال، أمر توقيفي لا يكون إلا من الشارع، وقد جر هذا إلى مفاسد عظام، منها اعتقاد العامة في أصحابها الذين بنيت عليهم القباب خلافاً لنهي رسول الله ﷺ فاعتقدوا فيها الضر والنفع، وقضاء الحوائج، وتقربوا إليها بالذبائح والقرابين في يوم معلوم من السنة، عند إقامة المزار، وتوددوا إليها بعد ما أشاعوا حولها أن من ساق إليها الحيوان ليذبح في ذلك اليوم، وكانت له حاجة يرجوها من ربه، مثل ولد إن كان لا يلد، أو شفاء مرض إن كان مريضاً - لا يرجع إلا بها، فصارت ملجاً لنجاح المطالب، وسألوا منها ما سأله العباد من ربهم واستغاثوا بها، وظنوا أن حوائجهم ت قضي لهم من ربهم بواسطتها وعن طريقها، حتى صاروا يذبحون عندها، لاستنزال المطر إذا تأخر المطر، معرضين عن كتاب الله وهدى رسول الله ﷺ الذي أمر بالتنوب والاستغفار والدعاء والصلوة طلباً للسقيا، وقد ينزل المطر بعد ذبحهم، استدارجًا وابتلاء، ولكن عملهم لا يزال من أعمال الشياطين، ومعتقدات الجاهلية⁽³⁾، فإلى الله المشتكى.

إن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه دعا للتوحيد وحارب الشرك وأسبابه، فعلى محبيه ومتبعيه أن يأخذوا بأقواله وأفعاله التي ترشدنا للتمسك بالقرآن الكريم وهدى النبي ﷺ، وما أحسن كلامه عندما قال: «لا يرجون أحد إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه»⁽⁴⁾، و قوله لأبي الهياج الأسدي: ألا أبعنك على ما بعثتني عليه رسول الله ﷺ: «أن لا تدع تمثلاً إلا طمسه، ولا قبراً مشرفًا إلا سويته»⁽⁵⁾.

و- حرص أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه على بطلان الاعتقاد بالكوكب: لما أراد أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه أن يسافر لقتال الخوارج، عرض له منجم، فقال: يا أمير المؤمنين، لا تസافر، فإن القمر في العقرب، فإنك إن سافرت والقمر في العقرب هزم أصحابك- أو كما قال- فقال على: بل أسافر ثقة بإلهه وتو

(1) مسلم: رقم (867).

(2) البخاري: رقم (2697).

(3) الغلو في الدين، ص (111، 112).

(4) الفتاوى (101/8).

(5) مسلم: رقم (666/2).

كلاً على الله وتكذيباً لك، فسافر فبوراك له في ذلك السفر، فقتل عامدة الخوارج⁽¹⁾، وجاء في روایة:... فلما فرغ من النهر وان حمد الله وأثنى عليه ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا المنجم لقال الجهال الذين لا يعلمون: سار في الساعة التي أمره بها المنجم فظفر⁽²⁾.

انظر إلى حرص أمير المؤمنين على رضي الله عنه على سلامه عقيدة أصحابه مما ادعاه المنجم من ذلك الاعتقاد الفاسد، فعلى رضي الله عنه مع ما كان فيه من الأمر المهم من قتال الخوارج، وانشغل به بنتيجة المعركة، فإنه لم ينس تلك الكلمة التي قالها ذلك المجم له في بداية مسيره، فكان منه بيان فساد ذلك المعتقد في الوقت المناسب بعد انتهاء قتاله للخوارج وانتصاره عليهم⁽³⁾.

ز - إحراق أمير المؤمنين على رضي الله عنه لمن غلوا فيه وادعوا فيه الألوهية: عن عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي: إن هنا قوماً على باب المسجد يدعون أنك ربهم، فدعهم فقال لهم: ويحكم، ما تقولون؟ قالوا: أنت ربنا وحلاقنا ورازقنا، فقال: ويحكم إنما أنا عبد مثلكم، أكل الطعام كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، إن أطعتم الله أثابني إن شاء الله، وإن عصيته خشيت أن يعذبني، فانقووا الله وارجعوا، فأبوا فلما كان الغد غدوا عليه، فجاء قتير، فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام، فقال: أدخلهم فاللهم كذلك. فلما كان اليوم الثالث، قال: لئن قلت ذلك لأفعلنكم بأخيث قتلة، فأبوا إلا ذلك، فخذلهم أخدوداً بين المسجد والقصر، وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعوا، فأبوا أن يرجعوا، فقد ذهبوا بهم فيها، حتى إذا احترقوا⁽⁴⁾:

إني إذا رأيت الأمر أمراً منكرًا
رأي إذا رأيت ناري ودعوت قلب
ر⁽⁵⁾

كما أخرج البخاري في صحيحة خبر الإحراق من حديث عكرمة، قال: أتى على رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنذهب رسول الله × حيث قال: «لا تعذبوا بعذاب الله»، ولقتلتهم لقول رسول الله ×: «من بدل دينه فاقتلوه»⁽⁶⁾، وقال ابن تيمية: ثبت عنه أنه حرق غالبية الرافضة الذين اعتدوه إلهية⁽⁷⁾.

لم ير ابن عباس رضي الله عنهما، رأى على بن أبي طالب رضي الله عنه في إحراق السبيئة، حيث يقول: لو كنت أنا لم أحرقهم محتاجاً عليه بنهي رسول الله ×: «لا تعذبوا بعذاب الله»، ولقوله ×: «من بدل دينه فاقتلوه»⁽⁸⁾. قال ابن حجر: وهذا يتحمل أن ابن عباس سمعه من رسول الله ×، ويتحمل أن يكون سمعه من بعض الصحابة.

وفي روایة أبي داود: فبلغ ذلك علياً، فقال: وبح أبا عباس⁽⁹⁾، وهذا يتحمل أنه لم يرض بما اعرض به، ورأى النهي للتزميه⁽¹⁰⁾. وقال ابن حجر أيضاً: (وبح) كلمة رحمة، فتوجع له لكونه حمل النهي على ظاهره، فاعتقد التحرير مطلقاً، فأنكره، ويتحمل أن

(1) مجموع الفتاوى (179/135)، البداية والنهاية (288/7).

(2) البداية والنهاية (288/7).

(3) منهاج على بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، ص(329).

(4) فتح الباري (270/12) سنده حسن.

(5) فتح الباري (270/12) سنده حسن.

(6) البخاري، ك المرتدين (279/4).

(7) الفتاوى (474/28)، منهاج السنة (12/5).

(8) البخاري، ك المرتدين (279/4).

(9) سنن أبي داود، ك الحجود (520/4) صحيح الألباني.

(10) فتح الباري (271/12).

يكون قالها رضماً بما قال، وأنه حفظ ما نسيه بناء على أحد ما قيل في تفسير «وبح»، أذ لها نقال بمعنى المدح والتعجب⁽¹⁾، وقال: واختلف السلف في التحرير، فكره ذلك عمر، وابن عباس، وغيرهما مطلقاً سواء كان ذلك بسبب كفر، أو في حال مقاتلة، أو كان قصاً صدماً، وأجازه على، وخالد بن الوليد وغيرهما، وقال المهلب: ليس هذا النهي على التحرير، بل على سبيل التواضع، ويدل على جواز التحرير فعل الصحابة، فقد سمل النبي × أعين العرنين بالحديد المحمى، وقد حرق أبو بكر البغة بالنار بحضور الصحابة، وحرق خالد بن الوليد بالنار ناساً من أهل الردة، وأكثر علماء المدينة يحيزون تحريق الحصون والمراتك على أهليها، قال الثوري، والأوزاعي، وقال ابن المنير وغيره، لا حجة فيما ذكر للجواز، لأن قصة العرنين كانت إما قصاصاً أو منسوحة كما تقدم، وتحوير الصحابي معارض بمنع صحابي آخر، وقصة الحصون والمراتك مقيدة بالضرورة إلى ذلك إذا تعين طريقاً للعدو⁽²⁾، وقال ابن القيم: وحرق أبو بكر رضي الله عنه الوطنية وأذاقهم حر النار في الدنيا قبل الآخرة، وكذلك قال أصحابنا: إذا رأى الإمام تحريق اللوطى فله ذلك، فإن خالد بن الوليد، رضي الله عنه، كتب إلى أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، أذ وجد في بعض نواحي العرب رجالاً ينكح كما تتكح المرأة، فاستشار الصديق أصحاب رسول الله وفيهم على بن أبي طالب وكان أشدهم قوله، فقال: إن هذا الذنب لم تعص به أمة من الأمم، إلا واحدة فصنع الله بهم ما قد علمتم، أرى أن يحرق بالنار، فكتب أبو بكر إلى خالد أن يحرقوا فحرقهم، ثم حرقهم عبد الله ابن الزبير في خلافته، ثم حرقهم هشا م بن عبد الملك⁽³⁾.

ح- كافية بداية الإيمان في القلب عند أمير المؤمنين على بن أبي طالب، وتعريفه للتقوى: قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه: إن الإيمان يبدو لمحة بيساء في القلب، فكلما ازداد العبد إيماناً ازداد القلب بياضاً، وكلما ازداد العبد نفقةً ازداد القلب سواداً، حتى إذا استكمل العبد النفاق أسود القلب، وایم الله لو شفقت عن قلب المؤمن لو وجدهم أبيض، ولو شفقت عن قلب المنافق والكافر لوجدهم أسود⁽⁴⁾.

وقد بين علماء أهل السنة حقيقة الإيمان فقالوا بأن الإيمان هو التصديق بالقلب والنظر بالشهادتين والعمل بالجوارح والأركان، أي هو: اعتقاد وقول وعمل، فهذه ثلاثة كلها مدرجة فيه وتمثل أجزاء من حقيقته، وقد توالت أقوال العلماء ومن بعدهم على هذه الحقيقة واستدلوا بأدلة كثيرة من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية على صحة هذا القول في حقيقة الإيمان⁽⁵⁾ قال تعالى: + إِذَا مَوْمُدُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَّ تَفْلِيْبُهُمْ وَإِذَا ذُلِّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَرْتَدُ كَلُونَ الَّذِينَ يُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُذْفَقُونَ أَوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا " [الأنفال: 4-2]. فقد جمعت هذه الآيات - وهي تعرض صفات المؤمنين - بين عمل القلب وعمل الجوارح، واعتبرت هذا كله إيماناً، وقصرت الإيمان عليه بـ أدلة القصر والحصر (إنما) وعرفت المؤمنين بتلك الصفات مجتمعة، عندما ضمنتها بعراة + أَوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا" وأعمال الجوارح في هذه الصفات هي: إقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله⁽⁶⁾.

وقال رسول الله ×: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله، وأد

(1) المصدر نفسه (12/272).

(2) فتح الباري (6/150).

(3) الطرق الحكيمية في السياسة الشرعية، ص (23)، (22).

(4) إفتواوى (7/191).

(5) في ظلال الإيمان للخالدي، ص (23).

(6) تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين، ص (188).

نها إماتة الأذى عن الطريق والحياة شعبة من الإيمان⁽¹⁾. والشاهد في الحديث ما ذكره رسول الله ﷺ، فالشهادة قول، وإماتة الأذى عن الطريق عمل، والحياة خلق وسلوك، وجعل الثلاثة من الإيمان دليل على حقيقته، ومعظم شعب الإيمان هي أعمال⁽²⁾، وقال الإمام البخاري في صحيحة: هو قول و فعل يزيد وينقص، والحب في الله والبغض في الله من الإيمان. وقال عمر ابن عبد العزيز: إن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسنتاً، فمن استكملاها استكمل الإيمان ومن لم يستكملاها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأليهنها لكم حتى تعلموا بها، وإن مت فما أنا على صحبتكم بحريص⁽³⁾، وما قاله أمير المؤمنين في الإيمان لما سئل عنه: «الإيمان على أربع دعائم: على الصبر واليقين والعدل والجهاد، والصبر منها على أربع شعب: على الشوق والشوق والزهد والترقب، فمن اشتاق إلى لجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفع من النار اجتب المحرمات، ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبة، ومن ارتقى الموت سارع إلى الخيرات، واليقين منها على أربع شعب: على تبصرة الفطنة، وتلؤ الحكمة، وموعظة العبرة، وسنة الأولين، فمن تبصر في الفطنة تبيّنت له الحكمة، ومن تبيّنت له الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة فكانما كان في الأولين. والعدل منها على أربع شعب: على غائض الفهم، وغور العلم، وزهرة الحكم، ورساحة الحكم، فمن فهم علم غور العلم، ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم، ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش بين الناس حميداً، والجهاد منها على أربع شعب: بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن وشنآن الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شد ظهور المؤمنين، ومن نهى عن المنكر أرغم أنوف المنافقين، ومن صدق في المواطن قضي ما عليه، ومن شنى الفاسقين وغضب الله له وأرضاه يوم القيمة⁽⁴⁾. وقال أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه في تعريفه للتفويى: «ترك الإصرار على المعصية، وترك الاغترار بالطاعة»⁽⁵⁾. وقال فيها: «التفوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتزييل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل»⁽⁶⁾. ففي اهتمام أمير المؤمنين في حث الناس على التقوى ثمرات وآثار في جانب الفرد والمجمتع، منها: محبة الله له + الله يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ [التوبه: 4]، معية الله + إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ [النحل: 128]، الانتفاع بالقرآن + ذَلِكَ الْكَوْنَى بُلَّا رِبُّ فِيهِ هُدًى لَّذِمَّتَقِينَ [الفرقان: 2]، الحفظ من الشيطان ووساوسيه + إِنَّ الْمُتَّقِينَ [المائد: 27]، اليسر بعد العسر، والمخرج بعد الضيق + وَمَنْ يَتَّقَى اللَّهُ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرُجًا [الطلاق: 2]، + وَمَنْ يَتَّقَى اللَّهُ يَجْعَلُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يَسْرًا [الطلاق: 4]، الفراسة والحكمة والنور + يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَدُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهُ يَجْعَلُ لَكُمْ فَرْقَانًا [الأنفال: 29]، دخول الجنة + وَجَنَّةٌ عَرَضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أَعْدَتْ لَذِمَّتَقِينَ [آل عمران: 133]، النجا من النار + ذَمْ نُذْجِي الَّذِينَ اتَّقُوا وَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جَنَّيَا [مريم: 72]، المنزلة العالية يوم القيمة⁽⁷⁾ + الَّذِينَ اتَّ

(1) مسلم، أك الإيمان (63/1) رقم (75).

(2) في ظلال الإيمان، ص (30).

(3) البخاري، أك الإيمان (9/1).

(4) نهج البلاغة، ص (667).

(5) تفسير الرازى (21/2).

(6) فرائد الكلام، ص (334).

(7) سورة الحجرات دراسة تحليلية موضوعية للعمري، ص (237)، (236).

قَوْمٌ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [البقرة:212].

طـ. القضاء والقدر عند أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه: قال أمير المؤمنين على ابن أبي طالب رضي الله عنه: إنه لا يكون في الأرض شيء حتى يقضى في السماء، وليس من أحد إلا وقد وكل به ملكان يدفعان عنه ويكلانه، حتى يجيء قدره، فإذا جاء قدره خلياً بينه وبين قدره، وإن على من الله جنة حسينة، فإذا جاء أجلى كشف عنـ، وإنه لا يجد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبـ⁽¹⁾، وقال رضي الله عنه: إن الأمر ينزل من السماء كقطر المطر لكل نفس ما كـد بـ الله لها من زيادة أو نقصانـ في نفس أو أهلـ أو مـالـ، فمن رأى نقصـاً في نفسه أو أهـلاـهـ أو مـالـهـ، ورأـيـ لـغـيرـهـ كـثـرةـ فـلـاـ يـكـونـ ذـلـكـ لـهـ فـتـتـةـ، فـإـنـ الـمـسـلـمـ مـاـ لـمـ يـغـشـ دـنـيـاهـ يـظـهـرـ تـخـشـعـ لـهـ إـذـاـ ذـكـرـتـ وـيـغـرـىـ بـهـ لـنـاـمـ الـلـاـبـاـسـ الـعـالـمـ يـنـتـظـرـ أـوـلـ فـورـةـ مـنـ قـدـاحـةـ تـوـجـ بـ لـهـ المـغـمـ، وـتـدـفـعـ عـنـهـ الـمـغـرـمـ، فـكـذـلـكـ الـمـسـلـمـ الـبـرـيـءـ مـنـ الـخـيـانـةـ بـيـنـ إـحـدـيـ الـحـسـنـيـنـ، إـذـاـ مـاـ دـعـاـ اللـهـ خـيـرـ لـهـ، وـإـمـاـ أـنـ يـرـزـقـهـ اللـهـ مـاـ لـاـ فـإـذـاـ هـوـ ذـوـ مـالـ وـمـعـهـ حـسـبـهـ وـدـيـنـهـ، وـإـمـاـ أـنـ يـعـطـيـهـ اللـهـ فـيـ الـآـخـرـةـ خـيـرـ وـأـبـقـيـ، الـحـرـثـ حـرـثـ، فـحـرـثـ الـدـنـيـاـ الـمـالـ وـالـتـقـوـيـ، وـحـرـثـ الـآـخـرـةـ الـبـاقـيـاتـ الـصـالـحـاتـ، وـقـدـ يـجـمـعـهـمـ اللـهـ تـعـالـىـ لـأـقـوـاـ مـ(2).

يـ. كيف يـحـاسـبـ اللـهـ الـعـبـادـ عـلـىـ كـثـرـةـ عـدـدـهـ؟ قـيلـ لـأـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـىـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ: كـيـفـ يـحـاسـبـ اللـهـ الـعـبـادـ عـلـىـ كـثـرـةـ عـدـدـهـ؟ فـقـالـ: كـمـ يـرـزـقـهـ عـلـىـ كـثـرـةـ عـدـدـهـ⁽³⁾.

ثـانـيـاـ: خطـبـةـ لـأـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـىـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ وـتـحـلـيـلـهاـ:

كان أمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـىـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ يـتـعـهـدـ الرـعـيـةـ بـالـتـوـجـيـهـ وـالـتـعـلـيـمـ وـالـتـرـبـيـةـ مـنـ خـلـالـ الـاحـتـكـاكـ الـيـوـمـيـ، وـخـصـوصـاـ يـوـمـ الـجـمـعـةـ حـيـثـ كـانـتـ خـطـبـةـ الـجـمـعـةـ مـنـ الـمـنـابـرـ الـمـهمـةـ فـيـ تـوـجـيـهـ الـأـمـةـ وـتـرـشـيـدـهـاـ، وـقـدـ حـفـظـ الـتـارـيـخـ لـأـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـىـ كـثـيرـاـ مـنـ خـطـبـهـ، وـهـذـهـ إـشـارـاتـ عـابـرـةـ عـنـ خـطـبـهـ، وـإـلـيـكـ هـذـاـ النـمـوذـجـ الـفـرـيـدـ الـعـجـيبـ مـنـ خـطـبـهـ حـيـثـ قـاـلـ:

أما بعد فإنـ الدـنـيـاـ قدـ أـدـبـرـتـ وـأـذـنـتـ⁽⁴⁾ بـوـدـاعـ، وـإـنـ الـآـخـرـةـ قدـ أـقـبـلتـ وـأـشـرـفـتـ بـاطـلـاـعـ، وـإـنـ الـضـمـارـ⁽⁵⁾ الـيـوـمـ وـغـدـاـ السـبـاقـ، أـلـاـ وـإـنـكـ فـيـ أـيـامـ أـمـلـ منـ وـرـائـهـ أـجـلـ، فـمـنـ قـصـرـ فـيـ أـيـامـ أـمـلـهـ قـبـلـ حـضـورـ أـجـلـهـ فـقـدـ خـابـ عـمـلـهـ، أـلـاـ فـأـعـاملـوـاـ اللـهـ فـيـ الرـغـبةـ، كـمـ تـعـمـلـونـ لـهـ فـيـ الرـهـبةـ، وـإـنـيـ لـمـ أـرـ كـالـجـنـةـ نـاـمـ طـالـبـهـاـ، وـلـمـ أـرـ كـالـنـارـ نـاـمـ هـارـبـهـاـ، وـإـنـهـ مـنـ لـمـ يـنـفـعـهـ الـحـقـ ضـرـهـ الـبـاطـلـ، وـمـنـ لـمـ يـسـتـقـمـ بـهـ الـهـدـىـ حـادـ بـهـ الـضـلـالـ، أـلـاـ وـإـنـكـ قـدـ أـمـرـتـ بـالـظـلـعـ، وـدـلـلـتـ عـلـىـ الزـادـ، أـلـاـ إـيـهـاـ النـاسـ إـنـمـاـ الـدـنـيـاـ عـرـضـ حـاضـرـ، يـأـكـلـ مـنـهـ الـبـرـ وـالـفـاجـرـ، وـإـنـ الـآـخـرـةـ وـعـدـ صـادـقـ يـحـكـمـ فـيـهـ مـلـكـ قـادـرـ، أـلـاـ إـنـ الشـيـطـانـ يـعـدـمـ الـفـقـرـ وـيـأـمـرـكـ بـالـفـحـشـاءـ، وـالـلـهـ يـعـدـكـ مـغـفـرـةـ مـنـهـ وـفـضـلـاـ، وـالـلـهـ وـاسـعـ عـلـيـمـ، أـيـهـاـ النـاسـ، أـحـسـنـواـ فـيـ أـعـمـارـكـ تـحـفـظـ وـاـفـيـ أـعـقـابـكـ، فـإـنـ اللـهـ وـعـدـ جـنـتـهـ مـنـ أـطـاعـهـ، وـأـوـدـ نـارـهـ مـنـ عـصـاهـ، إـنـهـ نـارـ لـاـ يـهـدـأـ زـرـهـ، وـلـاـ يـفـكـ أـسـيـرـهـاـ، وـلـاـ يـجـبـ كـسـيرـهـاـ، حـرـهـ شـدـيدـ، وـقـعـرـهـ بـعـيـدـ، وـمـاـؤـهـاـ صـدـيدـ⁽⁶⁾.

(1) حـيـاةـ الصـحـابـةـ لـلـكـانـدـهـلـوـيـ (جـ3)، صـ (305)، فـرـائـدـ الـكـلـامـ، صـ (348).

(2) الـبـداـيـةـ وـالـنـهـاـيـةـ (8/8)، فـرـائـدـ الـكـلـامـ، صـ (343).

(3) أـبـ الدـنـيـاـ وـالـدـيـنـ، صـ (26)، فـرـائـدـ الـكـلـامـ، صـ (339).

(4) أـذـنـتـ: أـعـلـمـ.

(5) الـضـمـارـ: الـمـوـضـعـ الـذـيـ تـضـمـرـ فـيـهـ الـخـيـلـ لـلـسـبـاقـ.

(6) الـبـداـيـةـ وـالـنـهـاـيـةـ (7/8).

- ولو تأملنا في المقطع السابق لوجدنا أن عوامل التأثير في المدعوين تتمثل فيما يلي:
- ١- صدق اللهجة النابع من إيمانه بما يدعو إليه، مما يجعل كلماته كأنها قبس من نفسه المشتعلة، وصورة من عواطفه المنفعلة، فهو لا يكاد ينطق بالجملة حتى تكون أسماءهم قد تلقتها، وقلوبهم قد وعثا.
 - ٢- تميز الألفاظ بالقرءة، مع سهولتها وعذوبتها وسلامتها، كما أن عبارتها واضحة، وجملتها قصيرة، ولعل ذلك يساعف السامعين بإدراك المعنى المراد.
 - ٣- المقابلة بين المعاني المتنضادة مما يزيد المعنى وضوحاً، والسامع تأثرًّا، ومن ذلك مثلاً: قوله: فإن الدنيا قد أدرت وأذنت بوداع.. وإن الآخرة قد أقبلت و Ashton باطلة، وقوله: وإنني لم أر كالجنة نام طالبها.. ولا كالنار نام هاربها.
 - ٤- الاقتباس من القرآن الكريم، كما في قوله: لا إن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يغفرة منه وفضلاً، والله واسع عليم، ذلك مقتبس^(١) من قوله تعالى: +الشَّيْطَانُ يَعْدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعْدُكُمْ مَغْفِرَةً مَذْهَبًا وَفَضْلًا وَاللَّهُ أَسْعَ عَلَيْمَ " [البقرة: 268].
 - ٥- لقد كانت عناصر الخطبة المذكورة تتمثل في التأثر الشديد بالقرآن الكريم وبكلام الرسول ﷺ، وواقعيتها واتصالها الحميم بالحياة البشرية، وعمق المعاني وسموها وشمولها، والإجادة في تخير الألفاظ وبناء العبارة، والإيجاز، والتعبير عن المعاني والألفاظ بالصور، واعتماد الوسائل البidue، وخاصة الفول، فإن هذه الخطبة تتكتسب أهمية خاصة لما تكشف عنه من مزايا دينية وأدبية وشخصية، فهي عميقية الدلالة على شخصية أصحابها أمير المؤمنين على بن أبي طالب، تنبئ عن إدراكه السليم للمفاهيم والأراء الإسلامية السديدة التي تتناول طبيعة الدنيا وغاية الوجود البشري والمصير الذي ينتهي إليه، ونورض ح النتائج التي توصل إليها أمير المؤمنين على بن أبي طالب في هذا الخصوص، وتدلنا على ما كان يتحلى به من حكمة نافذة ورؤيا معمقة يرفدها صفاء ذهنه وطهارة روحه، إلى غير ذلك من المزايا العقلية والروحية العالية التي أفضتها عليه إيمانه وتقواه وتمسكه بعرى الإسلام واعتصامه بربه ورضاه بقضائه، إن هذا كله قد ساعدته في الوصول بالذ ر الفقي إلى هذا المستوى الرفيع، فكان بحق في عالم الأدب فارس الكلمة وقادها وإمامها تماماً، كما كان في الناس إماماً عادلاً راهداً، وقادها حكيمًا مجريباً، وفارساً لا يبارى^(٢)، هذا وقد اهتم أمير المؤمنين على رضي الله عنه بانتهاز المناسبات في وعظ الناس وتنذيرهم، ولم يكتف بخطب الجمعة فقط، فعندما شيع جنازة ووضعت في لحدها وع ج^(٣) أهلها وبكوا قال: ما تبكون؟ أما والله لو عاينوا ما عاين ميتهم، لأذلهنهم معainتهم عن ميتهم. وإن له فيهم لعوده ثم لا يُبقي منهم أحداً. فاقروا الله عباد الله، وجدوا في الطلب، وبادروا بالعمل مقطع النهايات، وهدم اللذات، فإن الدنيا لا يدوم نعيها، ولا تؤمن فجائها، غرور حائل، وسند مائل، اتعظوا عباد الله بالعبر، واعتبروا بالأيات والآثار، واذدوا بالذر، وانتفعوا بالمواعظ، فكأنما قد علقتم محالب المنية، وضمكم بيت التراب، ودهمتم مقطعا الأمور بنخفة الصور، وبعثرة القبور، وسياقفة المحشر، وموقوف الحساب، بإحاطة قدرة الجبار، كل نفس معها سائق يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها + وأشرفَتْ الْأَرْضُ بِذَوْرِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكُتُبُ وَجَيَءَ بِالْأَنْبَيْنَ وَالشُّهُدَاءَ وَقُضِيَ بِيَدِهِمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ " [الزمر: 69]. فار

(١) منهاج على بن أبي طالب في الدعوة إلى الله.

(٢) الأدب العربي، حبيب يوسف مغنيه، ص (354-363).

(٣) العج: رفع الصوت، الصحاح للجوهري (327/1).

تحت لذلك اليوم البلاد، ونادى المناد، وكان يوم التلاق، وكشف عن ساق، وكشف الشم، وحضرت الوحوش، مكان مواطن الحشر، وبدت الأسرار، وهلكت الأشرار وارتجمت الأفئدة⁽¹⁾.

ونستنتج من هذه الموعظة بعض عوامل التأثير منها:

1- وقوع الموعظة في مناسبتها، فإن الموعظة كانت بمناسبة تشيع جنازة، والنفوس في هذه الحالة تكون مستعدة للتلقى ما تذكر به في الموت والدار الآخرة.

2- الصياغة البلاغية للموعظة، فمواعظ أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه تتميز بأسلوبها المؤثر في نفوس المدعويين، فمن الجوانب البلاغية في النموذج المذكور ما يلي:

أ- الاستعارة مثل قوله: فكأنما قد علقت مخالب المنية، تشبّه الموت (المنية) بحيوان مفترس له مخالب، فحذف المشبه به وأبقى شيئاً من لوازمه وصفاته وهو المخالب.

ب- السجع العفواني غير المتتكلف: مثل قوله: فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، غرور حائل، وسند مائل.

ج- الصيغة الإنسانية⁽²⁾، وهي مبثوثة في الخطبة كلها مذهبها: ما تكون؟ استفهموا.. (اتعظوا) عباد الله بالعبر) نداء.. (اتعظوا، اعتبروا، وازدجروا، وانتقعوا) كل هذا على سبيل الأمر.

د- جزالة الألفاظ: لعل أي جزء من الخطبة يكون شاهداً عليها، لأن الخطبة كلها لا خلل فيها ولا ضعف.

3- اعتماد المضمون على القرآن الكريم وانتهاجها منهجه في الإرشاد والإقناع، كقوله: «كل نفس معها سائق يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها» اعتماداً على قوله تعالى: + وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائقٌ وَشَهِيدٌ [ق:21].

4- الترهيب بذكر أهوال يوم القيمة، كقوله: «ودهمتكم مقطعات الأمور بنفحة الصور، وبعثرة القبور، وسيادة المحشر، وموقف الحساب بإحاطة قدرة الجبار».

5- الإقناع ومن ذلك قوله: كم مرضت بيديك وعللت بكفيك، ومن تطلب له الشفاء تستوصف له الأطباء. بلإقناع بحصول الموت، والارتحال عن الدنيا والقدوم على الآخرة، وأنه لا مهرب ولا فكاك.

6- استحضار الصورة، وذلك لتعبيره بالفعل الماضي بما سيحدث في المستقبل، حتى يتصور السامع هذا الأمر الذي ينتظره، ومن ذلك قوله: فكأنما قد علقتكم مخالب المنية، وضمكم بيت التراب، ودهمتكم مقطعات الأمور.

(1) حلبة الأولياء لأبي نعيم (78/1)، صفة الصفوة (328/1).

(2) الكلام الذي لا يحمل التصديق والتکذیب.

7- لطف العبارة بحيث تستهوي السامعين ولا تغدر بهم⁽¹⁾.

فهذه بعض النماذج من خطب ومواعظ أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه والتي انتشرت بين الناس وساهمت في تربيتهم وتهذيب نفوسهم، وتطهير قلوبهم، وكان مفعولها سارياً في جيله والأجيال التي بعده إلى يومنا هذا.

ثالثاً: أمير المؤمنين على بن أبي طالب والشعر:

يظهر من الأخبار التي وصلتنا أن الحركة الشعرية في عهد الخلفاء الراشدين، كانت نشطة، ومعروف أن كتب الأدب لم تعتمد في الأسانيد على الموثوقين من الرواة، ولكنها تكون المصدر الوحيد للأخبار الأدبية والنقدية التي تتصل بالخلفاء الراشدين، والصابة بعامة، والتابعين بإحسان معاذا بعض الأراجيز التي كانت تردد في العهد النبوى ورمتها كتب الحديث الشريف⁽²⁾، فالمراجع فيما يتعلق بالشعر، والشعراء في عهد أمير المؤمنين على هي كتب الأدب والأدباء، فهي غنية في هذا الجانب، ولا يختلف موقف أمير المؤمنين على رضي الله عنه من الشعر عن مواقف الراشدين الذين سبقوه إلى سدة الخلافة، فكلهم يستقون من كتاب الله وسنة رسوله، فهو يستمع إلى الشعراء ينشدون بين يديه ما يطلب له أن يسمعه من صادق القول ورفيع المعاني، وكان يعطي على الشعر إذا استساغه وأعجبه، كما مر معنا عندما قال الأعرابي:

أكسوك حلة تبلى محسنها فسوف

ولعليَّ آراء نقدية راقية في الشعر، ما زالت معايير يعتمدتها النقاد في عصرنا الحاضر، فهو يقول: الشعر ميزان القول⁽⁴⁾، أي أن للشعر خصائص فنية يعرف بها صحيح القول من سقمة في مقاييس أهل هذا الفن الكلامي، وإن خالف في أغراضه قيم قوم آخر بين⁽⁵⁾، وأما أمير المؤمنين الشاعر، فقد اختلف في كثير مما ينسب إليه من شعر، وهذا الاختلاف لا يقل من شاعريته المتمثلة فيما رجحت نسبته إليه ولا يقدم ولا يؤخر في إمامته اللغوية والأدبية، ولكن يبدو للباحث أن الشعر لم يكن غاية عنده، كما أن سيرته السيدية وما رافقها من أحداث جسام لم تكن لتسمح له بالالتفات إلى صناعة الشعر وروايته، واصطياد المعاني الجميلة واختيار القوافي الرنانة المؤثرة، ومع ذلك فقد اشتهر له شعر كثير، ونسب إليه ديوان شعر يشتمل على العديد من القصائد والمقطوعات، فيه الكثير من الأقوال المرتلجة والآراء السديدة السامية، وكان أول من شكا في نسبة بعض القصائد إليه ابن هشام، فقد روى أن علياً كان يرتجز في أثناء بناء مسجد الرسول في المدينة: لا يستوي من يعمِّر المسجداً يدأب فيه قائماً وقاعدًا

ومن يُرى عن الغبار حائداً⁽⁶⁾

ويعقب ابن هشام قائلاً: سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز، فقالوا: بلغنا أن علياً بن أبي طالب ارتجز به، ثم يقول: فلا يدرى أهو قائله أم غيره⁽⁷⁾، وفي موضع آخر يقول ابن هشام: وقد روى ابن إسحاق ثلاث قصائد منسوبة لعلي، ولم تصاح

(1) منهاج على بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، ص (145).

(2) المدينة التربوية فجر الإسلام (98/2).

(3) العمدة لأبي رشيق (16/1).

(4) المصدر السابق (14/1).

(5) الأدب في الإسلام، نايف معروف، ص (192).

(6) سيرة ابن هشام (497/1).

(7) المصدر السابق (497/1).

له، ويرجح أنها قيلت في المعارك الإسلامية من قبل أحد المسلمين، وقد نظروا إلى معانٍ بها الدينية فرأى الرواة أنها تناسب علياً فنسبوها له، وأما الديوان الذي نسب إليه فيري ا لدكتور نايف معروف أن أمير المؤمنين علياً بفصاحته المعهودة وبلاعنته المشهورة هو أرفع مستوى من مجموع هذا الديوان، ويغلب على الظن أنه خليط لشعراء من مستويات متقدمة قام بجمعها بعض محبيه الذين عز عليهم إلا يكون شاعراً، ظنناً منهم أن ذلك يرجع من قدره عند الناس، علمًا أن علياً لم يكن بين شعراء الرسول الذين تولوا الرد على الحملة الدعائية التي شنتها شعراء المشركين على الإسلام والمسلمين⁽¹⁾، ولكن الأمر لم يصح أن علياً تكلم من الشعر بشيء غير بيته⁽²⁾، فهناك روایات عديدة جاءت تختلف هذ القول، إذ أثبت له الرواية عدداً من المقطوعات التي صحت نسبتها إليه عندهم⁽³⁾.

ومن الأشعار التي نسبت إلى أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه:

1- في الفرج والشدة:

إذا اشتملت على اليأس القلوب

أوطنت المكاره واطمانت

ولم تر لأنكشف الضر وجهها

أتاك على قنوط منك غوث

وكل الحالات إذا تناهت

2- في الصبر:

الا فاصبر على الحدث الجليل

ولا تجزع فإن أعسرت يوماً

ولا تطنن بربك ظن سوء

فإن العسر يتبعه يسار

فلو أن العقول تجر رزقاً

فكمن مؤمن قد جاع يوماً

3- في حرص الناس على الدنيا:

(1) الأدب في الإسلام، د. نايف معروف، ص(195).

(2) معجم الأدباء، ياقوت (5/263).

(3) الأدب في الإسلام، ص(195).

(4) الخطوب: الأمور العظيمة.

(5) الأريب: العاقل.

(6) البداية والنهاية (10/8).

(7) البداية والنهاية (10/8).

(8) الجوى: الشوق.

(9) البداية والنهاية (11/8).

وفي مراد الهوى عقل وتشمير
فالعقل منهم على الطاعات مأسور
صفاء عيشاتها همٌ وتکثير
لکنهم رزقوها بالمقادير
وما ناق نال دنياه بتفصیر
طار الیزة بأرزاق العصافير⁽¹⁾

وابيالك وابياه
حليمًا حين آخاه
إذا ما هو مشاه
مقاييس وأشباه
إذا ما هو حاذاه
دليل حين يلقاه⁽²⁾

ويکفى المرء من دنياه قوت
وحرص ليس تدركه النعوت
وما أرzaقه عنا تقوت
إلى قوم کلامهم السکوت⁽³⁾

فإن لكل نصيحة نصيحةً
لا يترکون أديمًا صحيحةً⁽⁴⁾

رابعًا: من حكم أمير المؤمنين على التي سارت بين الناس:

للناس حرص على الدنيا وتدبر
وإن أتوا طاعة الله ربهم
لأجل هذا وذاك الحرص قد مزجت
لم يرزقوها بعقل عندما قسمت
كم من أدیب لبیب لا تساعده
لو كان عن قوة أو عن مغالبة
4- في الصدقة:
فلا تصحب أخا الجهل
فكם من جاهل أردى
يقيس المرء بالمرء
واللشيء من الشيء
قياس النعل بالنعل
والقلب على القلب

5- في التواضع والقناعة:
حقيقة بالتواضع من يموت
فما للمرء يصبح ذا هموم
صنيع مليكنا حسن جميل
فيما هذا ستر حل عن قليل
6- في السر وكتمانه:
ولا تقشر سرك إلا إلينك
فإني رأيت غواة الرجال

(1) البداية والنهاية (11/8).
(2) البداية والنهاية (12/8).
(3) البداية والنهاية (12/8).
(4) عيون الأخبار لأبن قتيبة (97/1).

تهيأً لأمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه مجموعة من الأسباب من سرعة البديهة، وذلاقة اللسان، ورجحان العقل، وطهارة القلب، وصفاء النفس وعمق الإيمان، والتضلع في الدين، والقرب من رسول الله × وتلقى الوحي عنه، ما مكنته من فصاحه اللسان، وجودة البيان، فأصبحت كلماته دررًا، وجمله حكمًا أعجبت ذوي العقول، فهي لأهل البلاغة مطلب، وألأهيل الهدایة م quem، فيها حيث لهم على فضائل الأعمال، وجميل الخصال وأصبحت حكمه الجميلة مادة قيمة في مجال دعوة الناس وتعليمهم، وتهذيب نفوسهم وتنوير عقولهم، وإحياء قلوبهم، لما فيها من جودة التعبير، ووضوح المعاني، وعمق التفكير، وفوق ذلك فهي تتبع من قلب تقي، وصدر نقي⁽¹⁾ ومن هذه الحكم على سبيل المثال ما يلي:

1- صلاة الليل بهاء في النهار⁽²⁾. قال تعالى: +وَالَّذِينَ يَبْرُئُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقَيَّامًا" [الفرقان: 64].

وقال أيضًا في قيام الليل: نور المؤمن من قيام الليل⁽³⁾.

2- صلاح الدين من الورع وفساده من الطمع⁽⁴⁾.

3- طوبى لمن عمل بعلمه⁽⁵⁾.

4- الفرصة تمر من السحاب⁽⁶⁾.

5- قسوة القلب من الشبع⁽⁷⁾.

6- الشرف بالفضل والأدب، لا بالأصل والنسب⁽⁸⁾.

7- جمال الخلق أبهى من جمال الخلق⁽⁹⁾.

8- في سعة الأخلاق كنوز الأرض⁽¹⁰⁾.

9-المعروف كنز من أفضل الكنوز⁽¹¹⁾.

اجتمع عند أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه جماعة فتداكروا المعرف، فانتهز أمير المؤمنين هذا الحديث لترغيبهم فيه وحثهم عليه فقال:المعروف كنز من أفضل الكنوز، وزرع من أزكي الزروع، فلا يزي هدنكم في المعروف كفر من كفره، وجد من جده، فإن من يشكرك عليه من لم يصل إليه منه شيء أعظم مما ناله أهله مذهب، فلا تلتمس من غيرك ما أسديت إلى نفسك، إن المعروف لا يتم إلا بثلاث خصال: تهيبة، وسترها وتعجيله، فإذا أصغرته فقد عظمته، وإذا سترته فقد أتمته، وإذا عجلته فقد هناته⁽¹²⁾.

10- لا شرف مع سوء الأدب⁽¹³⁾.

(1) منهج على بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، ص (275).

(2) نثر الآي، مخطوط نقلًا عن منهج على بن أبي طالب، ص (276).

(3) نثر الآي، مخطوط نقلًا عن منهج على بن أبي طالب، ص (276).

(4) نثر الآي، مخطوط نقلًا عن منهج على بن أبي طالب، ص (276).

(5) المرجع السابق، ص (277).

(6) المرجع السابق، ص (277).

(7) المرجع السابق، ص (278).

(8) الإعجاز والإيجاز للشاعري، ص (30)، نقلًا عن منهج على بن أبي طالب، ص (226).

(9) نثر الآي مخطوط نقلًا عن منهج على بن أبي طالب، ص (228).

(10) نثر الآي، مخطوط نقلًا عن منهج على بن أبي طالب، ص (228).

(11) تاريخ العقوبي (210/2)، منهج على بن أبي طالب، ص (230).

(12) تاريخ العقوبي (210/2)، منهج على بن أبي طالب، ص (230).

(13) الإعجاز والإيجاز للشاعري، ص (28).

- 11- لا راحة لحسود⁽¹⁾.
- 12- الحاسد مغناط على من لا ذنب له⁽²⁾.
- 13- ويل للباغين من أحكام الحاكمين⁽³⁾.
- 14- من سل سيف البغي قُتل به⁽⁴⁾.
- 15- للظالم البادي - غداً - بكفه عطلة⁽⁵⁾. وهذا الترهيب مستفاد من قوله + وي و م يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدِ يَاهُ [الفرقان: 27].
- 16- إخفاء الشدائد من المروءة⁽⁶⁾.
- 17- أحسن إلى المسئ تسده⁽⁷⁾.
- 18- الإحسان يقطع اللسان⁽⁸⁾.
- 19- من عَذْب لسانه كثُر إخوانه⁽⁹⁾.
- 20- من قل صدقة، قل صديقه⁽¹⁰⁾.
- 21- لسانك يقتضي ما عودته⁽¹¹⁾.
- 22- من طلب ما لا يعنيه فاته ما يعنيه⁽¹²⁾.
- 23- صاحب الأخيار تأمن الأشرار⁽¹³⁾.
- 24- جليس الخير غنيمة⁽¹⁴⁾.
- 25- صحبة الأحمق نقصان في الدنيا وحسن في الآخرة⁽¹⁵⁾.
- 26- كفى أبداً لنفسك ما كرهته لغيرك⁽¹⁶⁾.
- 27- لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال⁽¹⁷⁾.
- 28- خير الناس من ينفع الناس⁽¹⁸⁾.
- 29- المرء مخبوء تحت لسانه⁽¹⁹⁾.
- 30- اللسان معيار أطاشه الجهل وأرجحه العقل⁽²⁰⁾.

(1) مطلوب كل مطالب من كلمات على بن أبي طالب مخطوطه نقاً عن منهج على، ص (234).

(2) الإعجاز والإيجاز للشعاعي، ص (29)، منهاج على بن أبي طالب، ص (235).

(3) المصدر نفسه، ص (35)، المصدر نفسه، ص (235).

(4) منهاج على بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، ص (235).

(5) المصدر نفسه، ص (236).

(6) المروءة: هي كمال الرجلة، منهاج على بن أبي طالب، ص (245).

(7) نثر الالئ من كلام على بن أبي طالب، نقاً عن منهاج على بن أبي طالب، ص (245).

(8) مطلوب كل طالب في شرح كلمات على بن أبي طالب، عن منهاج على، ص (246).

(9) منهاج على بن أبي طالب ص (247).

(10) المصدر نفسه، ص (247).

(11) المصدر نفسه، ص (248).

(12) المصدر السابق ص (249)، الإعجاز والإيجاز للشعاعي، ص (29).

(13) نثر الالئ من كلام على بن أبي طالب ومنهج على بن أبي طالب، ص (249).

(14) نثر الالئ من كلام على بن أبي طالب ومنهج على بن أبي طالب، ص (249).

(15) منهاج على بن أبي طالب، ص (249).

(16) المرجع السابق، ص (250).

(17) المرجع السابق، ص (250).

(18) المصدر السابق، ص (251).

(19) المصدر السابق، ص (252).

(20) أدب الدنيا والدين، ص (265).

- 31- أخوك من واساك في الشدة⁽¹⁾.
- 32- قيمة كل أمرئ ما يحسنه.
- 33- احضر صولة الكريم إذا جاء، وصولة اللئيم إذا شبع.
- 34- النفس مؤثرة للهوى، آخذة بالهويّي، جامعة إلى اللهو، أمارة بالسوء، مستوطنة للفجور، طالبة للراحة، نافرة عن العمل، فإن أكر هنّا أنضيّتها، وإن أهملتها أرديّتها⁽²⁾.
- 35- العجز آفة، والصبر شجاعة، والزهد ثروة، والورع جنة.
- 36- لا تكن عبد غيرك، وقد جعلك الله حرًا.
- 37- إليك والانتقال على الأمانى، فإنها بضائع النوكى⁽³⁾.
- 38- الناس نيام، إذا ماتوا انتبهوا.
- 39- الناس أعداء ما جهلو.
- 40- ما هلك أمرؤ عرف قدره.
- 41- رب كلمة سلبت نعمة.
- 42- الآداب حل مجده والفكر مرآة صافية.
- 43- الفقر يخرس الفطن عن حجته، والمفلق غريب في بلدته.
- 44- إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه⁽⁴⁾.
- 45- اجمعوا هذه القلوب، والتمسوا لها طرف الحكمة، فإنها تمل كما تمل الأبدان⁽⁵⁾.
- 46- بشاشة الوجه عطية ثانية⁽⁶⁾.
- 47- العفو عند المقدرة شكر للمقدرة⁽⁷⁾.
- 48- إعادة الاعتذار تذكير للذنب⁽⁸⁾.
- 49- أبلغ العظات النظر إلى الأموات⁽⁹⁾.
- 50- ذكر الموت جلاء القلوب⁽¹⁰⁾.

فهذه بعض الحكم لأمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه التي سارت به الناس، والتي لخصت كثيرًا من تجاربه في الحياة في عبارات موجزة، غزيرة المعانٰي، والغايات والأهداف والمقاصد، كان لها تأثير في حياة المجتمع الذي عاش فيه والمجتمعات المتلاحقة من بعده إلى يومنا هذا، لقد كانت الحكم، والخطب والأشعار والمواعظ من وسائل أمير المؤمنين على رضي الله عنه في توجيهه وترشيد وتعليم المجتمع الإسلام

(1) منهجه على بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، ص (253).

(2) المرتضى للندوي، ص (201).

(3) التوكى: الحمقى.

(4) المرتضى للندوي، (202).

(5) المصدر نفسه، ص (201).

(6) نثر الالائى فى كلام على بن أبي طالب نقلًا عن منهجه على بن أبي طالب، ص (238).

(7) مطلوب كل طالب نقلًا عن منهجه على بن أبي طالب، ص (239).

(8) الإعجاز والإيجاز، ص (29)، نقلًا عن على بن أبي طالب، ص (239).

(9) نثر الالائى نقلًا عن منهجه على بن أبي طالب، ص (239).

(10) منهجه على بن أبي طالب، ص (148).

(149).

٥.

خامسًا: حديث أمير المؤمنين على بن أبي طالب عن صفات خيار العباد، وعن تطوع النبي × ووصف الصحابة الكرام:

١- **صفات خيار العباد:** سئل أمير المؤمنين على بن أبي طالب عن خيار العباد فقل: الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أسأوا استغروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا غفروا^(١)، وقال: ألا وإن الله عباداً كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخدلين، وأهل النار في النار معذبين... شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة، أنفسهم عنيفة وحوائجهم خفيفة، صدروا أيامًا قليلة لعقبى راحة طويلة، إذا رأيتمهم في الليل، رأيتمهم صافين أقدامهم تجرى دموعهم على خوددهم، يجأرون إلى الله في فكاك رقابهم، وأما نهارهم فضلاء حلماء ببررة أنتقاء، كأنهم القداح، ينظر إليهم الناظر فيقول: مرضى وما بهم من مرض، وخولطوا، ولقد خالط القوم أمر عظيم^(٢).

وقال: ينبغي للمؤمن أن يكون نظره عبرة، وسكته فكرة، وكلامه حكمة^(٣).

وقال: طوبى لكل عبد نومة^(٤)، عرف الناس، ولم يعرفه الناس، عرف الله برضوان، أولئك مصابيح الهدى، يكشف الله عنهم كل فتنة مظلمة، سيدخلهم الله في رحمة منه ليروا بالمذاييع^(٥) البذر^(٦)، ولا الجفا^(٧) المراثين^(٨). وكلام أمير المؤمنين على فيه تأثر واضح بقول رسول الله: «إن الله يحب العبد التقي الغنى الخفي»^(٩).

٢- إجابته لمن سأله عن تطوع النبي ×: عن عاصم بن ضمرة قال: سألنا عليًا عن تطوع النبي × بالنهار فقال: إنكم لا تطريقونه. قال: فلنا ما أطقتنا. قال: كان النبي × إذا صلى الفجر أمهل، حتى إذا كانت الشمس من هنا، يعني من قبل المشرق، مقدارها من صلاة العصر من هنا، يعني من قبل المغرب قام فصلى ركعتين، ثم يمهل حتى إذا كان ت الشمس من هنا، يعني من قبل المشرق مقدارها من صلاة الظهر من هنا، يعني من قبل الغرب قام فصلى أربعين، وأربعينًا قبل الظهر إذا زالت الشمس، وركعتين بعدها، وأربعينًا قبل العصر، يفصل بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المقربين، والنبيين، ومن تبعهم من المؤمنين وال المسلمين، قال: قال على: تلك ست عشرة ركعة تطوع النبي × بالنهار، وقل من يداوم عليها^(١٠).

وقد يدَّن أمير المؤمنين في موضع آخر هدى رسول الله × في الوتر فقال: أوتر رسول الله × من أول الليل وأخره وأوسطه، فانتهي وتره إلى السحر^(١١)، وفي بيان هدى النبي × بعد صلاته، قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب: كان النبي × إذا سلم من الصلاة قال: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخترت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت وما

(١) مروح الذهب (431/2).

(٢) البداية والنهاية (6/8).

(٣) مروح الذهب (434/2).

(٤) الخامل الذي لا يؤبه له، وقيل: الغامض في الناس الذي لا يعرف الشر وأهله.

(٥) المذاييع: جمع مذيع، من أذاع الشيء إذا أمشاه والمذيع، الذي لا يكتم السر.

(٦) البذر: جمع بذور وهو الذي يُقسّي الكلام بين الناس.

(٧) الجفاء: غلط الطبع.

(٨) صفة الصفة (325/1).

(٩) المسند (168/1)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، مسلم (2277/4).

(١٠) مسند أحمد (62/2)، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(١١) المصدر نفسه (62/2)، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

ما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»⁽¹⁾.

3- وصف أمير المؤمنين على رضي الله عنه للصحابية الكرام: لما أحس أمير المؤمنين على ابن أبي طالب رضي الله عنه من أصحابه شيئاً من الغفلة وقلة النشاط في الطاعة ذكرهم بشيء من سيرة أسلفهم أصحاب رسول الله ×، فيما رواه أبو أراكه بقوله: صلیت مع على صلاة الفجر، فلما انفلت عن يمينه مكث كأن عليه كابة، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلي ركعتين ثم قلب يده فقال: والله لقد رأيت أصحاباً بـ محمد × فما أرى اليوم شيئاً يشبههم، لقد كانوا يصيرون صفرًا شعثًا غيرًا بين أيدي نهم أمثال ركب المعزى، قد باتوا الله سجداً وقياماً، يتلون كتاب الله، يتراوحن بين جبارهم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما تميد الشجر في يوم الريح، وهملت أعيونهم حتى تبتل ثيابهم، والله لكان القوم باتوا غافلين، ثم نهض فما رأي بعد ذلك مفترًا يصدق حك حتى قتلته ابن ملجم عدو الله الفاسق⁽²⁾.

4- تنبية أمير المؤمنين على رضي الله عنه أصحابه على فضائل الأعمال: مما ورد له في خطبة قوله: أو صدك بقوى الله، فإن أفضن ما توسل به العبد الإيمان والجهاد في سبيله، وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة، وإقام الصلاة فإنها الملة، وإيتاء الزكاة فإنها فريضة، وصوم شهر رمضان فإنه جنة من عذابه، وحج البيت فإنه منقة مধضة للذنب، وصلة الرحم فإنها منسأة في الأجل، محبة في الأهل، وصدقة السر فإنها تکفر الخطيئة، وتطفئ غضب رب، وصنع المعروف فإنه يدفع ميata السوء ويقي مصارع الهاول، أفيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر⁽³⁾.

5- معايدة المريض: عن ثوير بن أبي فاختة عن أبيه قال: أخذ على ببدي، قال: انتلق بنا إلى الحسن نعوده، فوجدنا عنده أبي موسى فقال على (رضي الله عنه): أعادك جد ت يا أبي موسى أم زائر؟ قال: لا بل عائدًا، فقال على: سمعت رسول الله يقول: «ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك، حتى يمسى، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح»⁽⁴⁾.

6- تشجيعه لابنه الحسن على الخطابة: قال أمير المؤمنين على لابنه الحسن يوماً: يا بني لا تخطب حتى أسمعك؟ فقال: إنني أستحيي أن أخطب وأن أراك، فذهب على حيث لا يراه الحسن، ثم قام الحسن في الناس خطيباً، وعلى يسمع فادى خطبة بليغة فصيحة، فلما انصرف جعل على يقول: ذريه بعضها من بعض والله سماع عليم⁽⁵⁾.

7- إني لست كما تقول: قال عمرو بن مُرَّه، عن أبي البخترى قال: جاء رجل إلى على فائتى عليه، وكان قد بلغه عنه أمر، فقال: إني لست كما تقول، وأنا فوق ما في نفسك⁽⁶⁾.

8- التحذير من الانقياد للشهوات: قال أمير المؤمنين على رضي الله عنه: إياكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم، فإن عاجلها ذميم، وأجلها وخيم، فإن لم تترها تنقاد بالتحذير والإرهاق، فسوّفها بالتأمل والإراغاب، فإن الرغبة والرهبة إذا اجتمعتا على النفس دلت لـ

(1) صحيح سنن أبي داود (283/1) لللباني.

(2) حلية الأولياء (76/1).

(3) البداية والنهاية (319/7).

(4) صحيح سنن الترمذى لللباني (286/1).

(5) البداية والنهاية (37/8).

(6) تاريخ الذهبي عهدخلفاء الراشدين، ص (646).

هما وانقادت⁽¹⁾.

9- إدخال السرور على المسلم: قال على بن أبي طالب رضي الله عنه: إن من موج بات المغفرة إدخال السرور على أخيك المسلم⁽²⁾.

10- أشد الأعمال ثلاثة: قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب: أشد الأعمال ثلاثة: إعطاء الحق من نفسك، وذكر الله على كل حال، ومواساة الأخ في المال⁽³⁾.

سادساً: التحذير من الأمراض الخطيرة التي حذر منها أمير المؤمنين:

1- جراء المعصية: قال أمير المؤمنين على رضي الله عنه: جراء المعصية الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والنقص في اللذة، قيل: وما النقص في اللذة؟ قال: لا ينال شهوة حلالاً إلا جاءها ما ينفعها إياها⁽⁴⁾ ومع هذا الترهيب والتخييف من المعصية فإن أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه لا يغفل عن الترغيب في تركها، حيث قال: من كان يريد العز بلا عشيرة، والنسل بلا كثرة، والغني بلا مال، فليتحول من ذل المعصية إلى عز الطاعة⁽⁵⁾، وقال: إذا رغبت في المكارم، فاجتنب المحارم⁽⁶⁾.

2- طول الأمل واتباع الهوى: خطب أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه على منبر الكوفة، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس إن أخاف ما أخاف عليكم طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فيعني الآخرة، وأما اتباع الهوى فقد عن ا لحق، إلا إن الدنيا قد ولت مدبرة والآخرة مقبلة، ولكن واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عم ل⁽⁷⁾.

فقد أشار أمير المؤمنين على رضي الله عنه في هذه الخطبة إلى أمرتين خطيرتين لهما تأثير كبير في حياة الناس وهما طول الأمل بالبقاء على قيد الحياة، فإنه يخدع الإنسان فيشغله بمشاريعه وطموحاته الدنيوية، وبينية بتأجيل الأعمال الصالحة وبينية الحياة الآخرة، فيتضخم عمله للدنيا ويتصاءل عمله للأخرة، ولو أن كل إنسان وضع في مخيلته أنه معروض للموت في كل ساعة لأصبح العمل للدنيا قليلاً بقدر الضرورة، ولا أصبح العمل للأخرة كثيراً لأنه هو الذي سيقى بعد الموت، وأما اتباع الهوى فإنه يغير اتجاه صاحبه، ويجعل الهدف الأعلى في فكره هو تحقيق هوى نفسه وهو من يعمل تحت إرادته، وبيني الهدف الإسلامي الأعلى الذي هو ابتعاء رضوان الله تعالى وفضله في الجنة، وبناء على تغيير الأهداف فإن مناهج العمل تتغير فتصبح مناهج دنيوية يُراد بها تحقيق أهداف لا تتجاوز الحياة الدنيا، كما تتغير العلاقات والروابط، فتصبح الأخيرة قائمة على لمصالح الدنيوية بدلاً من الإيمان والتقوى، إلى غير ذلك مما يتربّط على تغيير الأهداف⁽⁸⁾.

3- الرياء: قال أمير المؤمنين على رضي الله عنه: لا تعمل شيئاً من الخير رياءً، ولا تتركه حياء⁽⁹⁾، وقال رضي الله عنه: للمرأة ثلاثة علامات: يكسل إذا كان وحده، و

[1] أدب الدنيا والدين، ص (26).

[2] تنبية الغافلين، ص (245).

[3] حلية الأولياء (85/1).

[4] تاريخ الخلفاء للسيوطى، ص (402).

[5] تاريخ الباقوى (602/2).

[6] منهاج على في الدعوة إلى الله، ص (307)، نقلًا عن سمع الحمام في حكم الإمام، ص (57).

[7] حلية الأولياء (76/1)، صفة الصفوة (321/1).

[8] التاريخ الإسلامي للحميدى (276/20).

[9] أدب الدنيا والدين، ص (110).

ينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه، وينقص إذا ذم به⁽¹⁾، وقد جاءت نصوص الشرع بتسمية الرياء شركاً أصغر، فقد قال رسول الله ×: «إن أخواف ما أخاف ف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء، يقول الله تعالى يوم القيمة، إذا جازى الناس بأعمالهم، اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، فأنظروا هل تجدون عندهم جزاء»⁽²⁾، وعن شداد بن أوس قال: كنا نعد الرياء على عهد رسول الله ×⁽³⁾.

إن أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه حذر من مرض القلب الخطير المتعلق بارادة الإنسان وقصده، وحث الناس على إفراد الله سبحانه وتعالى بالقصد والطاعة والالتزام بالسير على هدى السنة النبوية، فقد ثبت عنه أنه قال: لا ينفع قول إلا بعمل، ولا عمل إلا بنية، ولا نية إلا بموافقة السنة⁽⁴⁾، وروى عن الفضيل بن عياض أنه تلا قوله تعالى: **يَبْلُو دُكُّمَ أَيْكُمْ أَحَسْنَ عَمَلًا** [الملك: 2]، فقال: أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا على ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إذا كان العمل خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً، لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص إذا كان الله عز وجل، والصواب إذا كان على السنة⁽⁵⁾.

إن صور الرياء متعددة منها: ما يكون بالأعمال، كمن يصلى في طهارة القيام ويطهيل الركوع والسجود وبظهر الخشوع عند رؤية الناس له، ومنها ما يكون من جهة القول، كالرثاء بالوعظ والتذكير وحفظ الأخبار والآثار لأجل المحاوره وإظهار غزاره العلم، وتحري الكشفتين بالذكر في محضر الناس ويتفاوت عنده في منزلة، أو يكون الرياء من جهة الزنى، كإبقاء أثر السجود على جبهته، ولبس الغليظ من الثبات وخشتها مع تشميمها لكثيراً ليقال: عابد زاهد، أو ارتداء نوع معين من الذي ترتديه طائفة يعدهم الناس علماء ليقال: عالم، أو يكون الرياء بالأصحاب والزائرين، كذلك يتكلف أن يستزير عالماً أو عابداً ليقال: إن فلاناً قد زار فلاناً، ودعوة الناس لزيارة كي يقال: إن أهل الخير يتزدون على «ه»، وكذلك من يرائي بكثرة الشيوخ ليقال: لقي فلان شيوخاً كثيرين واستقاد منهم لبياهي بذلك، أو يكون الرياء لأهل الدنيا، كمن يتختار ويختال في مشيته، أو يصعر خذه أو يلف عباءته، أو يحرك سيارته حركة خاصة، أو يكون الرياء من جهة الدين، لأن يرائي بإظهار النحو والصفار ليوجه الناس أنه جاد في العبادة، كثير الخوف والحزن، وغير ذلك من الصور التي يرائي بها المراعنون، يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب العباد⁽⁶⁾.

وبالجملة فإن المحافظة على أعمال الخير والإكثار من ذكر الله وعبادته وخشيتها وحدتها، وعدم خشية الناس في ذات الله ومحبة الصالحين وغيرها، كل هذا من الأعمال الصالحة الحسنة المطلوبة، ولكن لابد أن تكون كلها لله، لأن الرياء هو عمل العمل الصالح لغير الله، فيجب على المؤمن تصحيح نبته لله، لا أن يترك العمل الصالح خوفاً من الرياء، فلتحذر تلك الأصناف من خطورة مرض الرياء، ولتنذرك قول رسول الله ×: «من طلب العلم ليمارى به الفقهاء، أو يجارى به العلماء، أو يصرف به وجوه الناس إلى

(1) الكباير للذهبي، ص 145، فرائد الكلام، ص (338).

(2) مسنون أحمد 4285، 4294، إسناده حسن.

(3) الحاكم 3294، صححه الألباني في صحيح الترغيب (18/1).

(4) الشريعة للأجرى 6382، إسناده فيه ضعف.

(5) مدارج السالكين 892، إسناده ضعف.

(6) انظر: مختصر منهاج الفاسدين، ص 215-217، الشرك في القديم والحديث، أبو بكر محمد زكرياء (171/1).

هـ أدخله الله النار»⁽¹⁾.

إن أمير المؤمنين علياً حذر من الرياء، وبين أن الأعمال لا تقبل إلا إذا كانت خالصة لله وعلى سنة رسول الله ×، وقد حث رضي الله عنه على التمسك بالسنة في مناسبات عديدة، فقد قال: واقتدوا بهدى نبيكم ×، فإنه أفضل الهدى، واستنوا بسننه فإنها أفضل السنن⁽²⁾.

4- العجب: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: الإعجاب آفة الألباب⁽³⁾. إن العجب من الآفات التي تقصد الأفعال، وتهلك العياد، والعجب أحد العوارض التي تعرض للعاملين أثناء سيرهم إلى الله تعالى، والعجب داء ينافي الإخلاص ويضاده، ويغافى الذلّ والافتقار لله تعالى، فهو سوء أدب مع الله جلا جلاله، كما أن العجب يجانب محاسبة النفس، ويعمى عن معرفة أدواء النفس وعيوبها، ومع كل ذلك فالحديث عن تلك الآفة قليل مع شدة خطرها، وعظيم ضررها، وكثرة انتشارها، قال عبد الله بن المبارك: العجب أن ترى عندك شيئاً ليس عند غيرك⁽⁴⁾، وفرق ابن تيمية بين الرياء والعجب فقال: والعجب قرين الرياء لكن الرياء من باب الاشتراك بالخلق، والعجب من باب الاشتراك بالنفس، فالمرأوي لا يحقق قوله تعالى: +إِنَّمَا نَعْبُدُ رَبَّنَا+ والمعجب لا يحقق قوله تعالى: +وَإِنَّمَا نَسْتَعِينُ+ فمن حق قوله: +إِنَّمَا نَعْبُدُ+ خرج من الرياء، ومن حق قوله: +وَإِنَّمَا نَسْتَعِينُ+ خرج عن الإعجاب⁽⁵⁾.

وقال الغزالى: أعلم أن آفات العجب كثيرة، فإن العجب يدعو إلى الكبر، فيبتولد عن العجب الكبر، ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفي، والعجب يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها، وأما العبادات فإنه يستعظمها ويتبخّر بها، ويمن على الله ب فعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها، والمعجب يغتر بنفسه وبرأيه ويأمن مكر الله وعذابه، ويظن أنه عند الله بمكان.. ويخرجه العجب إلى أن يثنى على نفسه ويحمدها ويزكيها⁽⁶⁾.

وقال القرافي: وسر تحريم العجب أنه سوء أدب مع الله تعالى، فإن العبد لا ينفعي له أن يستعظم ما يتقارب به إلى سيده، بل يستصغره بالنسبة إلى عظمة سيده، لا سيما عظم الله تعالى، ولذلك قال الله تعالى: +وَمَا قَدْرُوا اللَّهُ حَقَ قَدْرُهُ+ [الزمر: 67]، أي ما عظموه حق تعظيمه، فمن أعجب بنفسه وعبادته فقد هلك مع ربه، وهو مطلع عليه، وع رض نفسه لمقت الله تعالى وسخطه⁽⁷⁾. ويمكن القول ابتداءً أن سبب العجب امران:

أ- الجهل بحق الله تعالى، وعدم تقدير الله تعالى حق قدره، وقلة العلم بأسماء الله وصفاته، وضعف التعبّد بهذه الأسماء والصفات.

ب- الغفلة عن حقيقة النفس، وقلة العلم بطبعاتها، والجهل بعيوبها وأدواتها، وإهمال محاسبة النفس ومراقبتها⁽⁸⁾.

ومن ثم فإن العلاج هو التعرف على الله تعالى، وتحقيق تعظيمه وتقديره حق قدره والقيام بالعبودية له من خلال العلم بأسمائه الحسنى وصفاته العلي، وتعبد المولى عز وجل بها، فالخير كله بيديه، ورحمته تعالى وسعت كل شيء: +وَمَا يَكُمْ مِنْ ذِيْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ+ [النـ

(1) مسلم، أك الإمار، باب من قاتل للرياء والسمعة (1513/2).

(2) البداية والنهاية (319/7).

(3) جامع بيان العلم وفضله (1/571).

(4) سير أعلام النبلاء (407/8).

(5) مجموع الفتاوى (277/10).

(6) الإحياء (370/3)، باختصار.

(7) الفروق (227/4).

(8) معالم السلوك وتركيبة النفوس، عبد العزيز العبد الطيف، ص 98.

ل.[53:]

قال الإمام الشافعي: إذا خفت على عملك العجب، فاذكر رضا من تطلب، وفي أي ذعيم ترعب، ومن أي عقاب ترعب، فمن فكر في ذلك صغر عنده عمله⁽¹⁾.
وقال النووي: وطريقة في نفي الإعجاب أن يعلم أن العلم فضل من الله تعالى، ومذلة عارية، فإن الله تعالى ما أخذ، ولم يعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فينبغي إلا يعجب بشيء لم يخترعه، وليس مالكاً له، ولا على يقين من دوامه⁽²⁾.

قال ابن القيم: أعلم أن العبد إذا شرع في قول أو عمل يتعمي مرضاه الله، مطالعاً فيه منه الله عليه به، وتوفيقه له فيه، وأنه بالله لا بنفسه، ولا بمعروضاته وفكرة وقوته، بل هو الذي أنشأ له اللسان والقلب والعين والأذن، فالذي من عليه بالقول والفعل، فإذا لم يغب ذلك عن ملاحظته ونظر قلبه لم يحضر العجب الذي أصله رؤية نفسه وغيبته عن شهود منه ربه وتوفيقه⁽³⁾. وأما العلاج الآخر للعجب فهو معرفة النفس ومحاسبتها، قال ابن الجوزي: من تلمح خصال نفسه وذنوبها، علم أنه على يقين من الذنوب والتقصير، وهو من حال غيره في شك، فالذي يُحذر منه الإعجاب بالنفس، ورؤيه التقدم في أعماله لآخرة، والمؤمن لا يزال يحتقر نفسه، وقد قيل لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: إن مت ندفك في حجرة رسول الله ×، فقال: لأن أقوى الله بكل ذنب غير الشرك أحب إلى من أن أرى نفسي أهلاً لذلك⁽⁴⁾. وقال ابن حزم: من امتحن بالعجب فليفكر في عيوبه، فان أعجب بفضائله، فليفتش عما فيه من الأخلاق الدنيا، فإن خفيت عليه جملة حتى لا يظن أنه لا عيب فيه، فليعلم أن مصيبيته إلى الأبد، وأنه أذم الناس نقصاً، وأعظمهم عيوباً، وأضعفهم تمييزاً، وأول ذلك أنه ضعيف العقل، جاهل، ولا عيب أشد من هذين، لأن العاقل هو من ميّر عيوب نفسه فغالبها وسعي في قمعها، والأحمق هو الذي يجعل عيوب نفسه، وإن أعجبت برأيك، فتتذرع في سقطاتك واحفظها ولا تنسها، وفي كل رأي قد رتبه صواباً فخرج بخلاف تقديرك، وأصاب غيرك وأخطأت أنت، وإن أعجبت بعملك، فاعلم أنه لا حصة لك فيه، وأنه موهبة من الله مجردة، وبهك إياها ربك تعالى، فلا تقابلها بما يخطئه، فلعله ينساك ذلك بعلة يمتحنك بها، تولّه عليك نسيان ما علمت وحفظت، وإن أعجبت بمدح إخوانك لك، ففكر في ذم أعدائك إياك، فحينئذ ينجل عنك العجب، فإن لم يكن لك عدو، فلا خير فيك، ولا منزلة أسقط من منزلة من لا عدو له، فليست إلا من نزلة من ليس الله تعالى عنده نعمة يحسد عليها - عافانا الله - فإن استحررت عيوبك، ففكر فيها لو ظهرت إلى الناس، وتمثل إطلاعهم عليها، فحينئذ تخجل وتتعرف نقصك⁽⁵⁾.

ويقول ابن القيم أثناء حديثه عن الحكم والأسرار في قضاء السيئات وتقدير المعااصي: ومنها: أن الله سبحانه إذا أراد بعده خيراً أنساه رؤية طاعاته ورفعها من قلبه ولسانه، فإذا ابتنى بذنب جعله نصب عينيه، ونسى طاعته وجعل همه كله بذنبه، فلا يزال ذنبه أمامه، إن قام أو قعد، أو غداً أو راح، فيكون هذا عين الرحمة في حقه، كما قال بعض السلف: إن العبد ليعمل الذنب فيدخل به الجننة، ويعمل الحسنة فيدخل بها النار، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: يعمل الخطيبة لا تزال نصب عينيه، كلما ذكرها بكى وندم وتاب واستغفر وضرر وأناب إلى الله، وذل له وانكسر وعمل لها أعمالاً ف تكون سبب الرحمة في حقه، وي العمل الحسنة فلا تزال نصب عينيه يمن بها، ويراهما، ويعتد بها على ربه وعلى الـ

(1) سير أعلام النبلاء (42/10).

(2) المجموع (55/1).

(3) الفرائد، ص (144).

(4) صيد الخاطر، ص (250، 251).

(5) الأخلاق والسير، ص (71-77) باختصار.

خلق، ويتكبر بها ويتعجب من الناس كيف لا يعظمونه ويكرمونه ويجلونه عليها، فلا تزال هذه الأمور به حتى تقوى عليه آثارها فتدخله النار⁽¹⁾. هذا شرح موجز وسريع لقول أمير المؤمنين على رضي الله عنه: الإعجاب آفة الآباب⁽²⁾.

سابعاً: اهتمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب بترشيد الأسواق وموافق متعدد مع الناس:

حرص أمير المؤمنين على رضي الله عنه على تقدّم أحوال المتعاملين في السوق وحملهم على التعامل بالشرع الحنيف، وقد ثبت أن علياً رضي الله عنه كان شديد العناية بالاحتساب في مجال السوق، فعن الحر بن جرموز المرادي عن أبيه قال: رأيت على بن أبي طالب رضي الله عنه يخرج من القصر وعليه قطربستان، إزاره إلى نصف الساق، ورأده مشمر قريباً منه، ومعه الدرة يمشي في الأسواق ويأمرهم بتقوى الله وحسن البيع ويقول: أوفوا الكيل والميزان ولا تنفعوا⁽³⁾ اللحم⁽⁴⁾، وعن أبي مطر قال: خرجت من المسجد، فإذا رجل ينادي من خلفي: ارفع إزارك، فإنه أفقى لثوبك وأتقى لربك، وخذ من رأسك إن كنت مسلماً، فمشيت خلفه، وهو مؤتز بزار، مرتد برداء، ومعه الدرة، كأنه أعرابي بدوي، فقلت: من هذا؟ فقال لي رجل: أراك غريباً في هذا البلد، فقلت: أجل من أهل البصرة. فقال: هذا على ابن أبي طالب أمير المؤمنين، حتى انتهى إلى دار ابن أبي معط وهو يسوق الإبل، فقال: بيعوا ولا تحلفوا، فإن اليمين تتفق السلعة وتحيق البركة، ثم أتى أصحاب التمر، فإذا خادمة تبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقلت: باعني هذا الرجل تمراً بدرهم، فرده مولاي فأبي أن يقبله. فقال له على: خذ تمرك وأعطيها درهماً، فانها ليس لها أمر، فدفعه، فقلت: أتدركى من هذا؟ فقال: لا. فقلت: هذا على بن أبي طالب أمير المؤمنين فهبت تمرها فأعطتها درهماً. ثم قال الرجل: أحب أن ترضي عني يا أمير المؤمنين. قال: ما أرضاني عنك، إذا وفيت الناس حقوقهم. ثم مر مجتازاً بأصحاب التمر، فقل: يا أصحاب التمر، أطعموا المساكين يربُّ كسبكم، ثم مر مجتازاً - ومعه المسلمين - حتى أتى إلى أصحاب السمك، فقال: لا يباع في سوقنا طاف. ثم أتى دار فرات وهي سوق الكرابيس⁽⁵⁾.

عن زاذان قال: كان على يمشي في الأسواق وحده يرشد الضال، ويعين الضعيف، ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ: +تَلَكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِذَلِكَ نَلَّا يُرِيدُونَ عُدُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا⁽⁶⁾ [القصص: 83]، ثم يقول: نزلت هذه الآية بأهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القراءة من سائر الناس⁽⁶⁾. وأخرج الخلال بهذه عن أبي سعيد قال: كان على أتى السوق فقال: يا أهل السوق، اتقوا الله وإياكم والطهارة، فإن الحلف ينفق السلعة، ويتحقق البركة، وإن التجار فاجر إلا من أخذ الحق وأعطى الحق، والسلام عليكم ثم ينصرف، ثم يعود إليهم فيقول لهم مثل مقالته⁽⁷⁾.

وعن أبي الصهباء قال: رأيت على بن أبي طالب رضي الله عنه بشط الكلأ يسأل عن الأسعار⁽⁸⁾، فهذا الإشراف المباشر من أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه

(1) مفتاح دار السعادة (297/1، 298)، مدارج السالكين (1/177).

(2) جامع بيان العلم وفضله (57/1).

(3) في بعض الروايات (ولا تنفعوا) كما في الطبقات (28/3)، ومصنف ابن أبي شيبة (7/308).

(4) تقييظ العظام استخراج مخه، وتتحقق شحم الناقة أي قل، وتفتح الشيء أي قشرة، والمراد - والله أعلم -

لا تخرجوه من العظام المكسو باللحى، لسان العرب (624/2)، فضائل الصحابة (2/688) إسناده صحيح رقم (938).

(5) البداية والنهاية (4/8).

(6) الدر المثور للسيوطى (444/6) البداية والنهاية (5/8).

(7) السنة ص (352)، تتحقق د. عطية الزهراني ص (352).

(8) الرياض النصرة في مناقب العشرة، ص (690)، شط الكلأ مكان وبالبصرة سوق الكلأ.

نه، تضمن أموراً منها:

- أ- لم تقصر الجولات على الإشراف والتوجيه، بل تعدت ذلك إلى خدمة الناس في شأنهم، كإرشاد الضال، وإعانة الضعيف، فمن كانت هذه حالة كانت كلماته وتوجيهاته أقرب للناس، وأبلغ في نفوس السامعين.
- ب- تضمن التوجيه النصح بتفويى الله سبحانه وتعالى وحسن البيع، وربما عظمهم بالقرآن الكريم، فإن من اتقى الله سبحانه وتعالى أحسن معاملته للناس في النفع لهم، والبعد عن مخادعتهم وغشهم.
- ج- من الظلم في المعاملات، وإعادة الحق إلى أهله، لأن موالي الحارية التي اشتربت التمر لم يحيزوا هذا الشراء، وهي في نفسها ليس لها أمر.
- د- النهى عن أصناف الغش التي تحصل في الأسواق، كنهيه عن تنفيذ اللحوم، وفي رواية (نفح اللحم).
- هـ- بيان بعض الأحكام والأداب المتعلقة في معاملات الناس ومنها:

 - النهى عن الحلف في البيع، وتعليق ذلك بأن اليمين بتفويى السلعة، وتحقق البركة، كما ورد عن رسول الله ×: «الحلف مذفقة للسلعة، ممحقة للبركة»⁽¹⁾.
 - الحث على إطعام المساكين وترغيبهم فيه، لأنه زيادة في الكسب.
 - النهى عن بيع السمك الطافي⁽²⁾، ولعل ذلك حتى لا يختلط مع المصيد الطري.

كان أمير المؤمنين يتقدّم أمور التجار في حضرته، ويأمر ولاته بذلك في الولايات، ويتنبه على المحسن منهم، أما من يقترف خطيئة بعد النهي، فينكل به، ويعاقبه من غير إسراف⁽³⁾، وكانت له بعض الإرشادات النافعة والنواهي الظاهرة التي تحث الناس على مكارم الأخلاق والالتزام بأحكام الشريعة وإليك بعض منها:

 - 1- إنكاره على مزاحمة النساء الرجال في الأسواق: أنكر أمير المؤمنين على أنس لا يمنعون نسائهم من الخروج إلى الأسواق مزاحمات الكفار، فقال لهم: ألا تستحيون أو تغارون؟ فإنه بلغني أن نساءكم يخرجن في الأسواق يزاحمن العلوج⁽⁴⁾.
 - 2- لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره: كان على رضي الله عنه يدخل السوق وبيده الدرة، وعليه عباء ويقول: يا أيها التجار، خذوا الحق، وأعطوا الحق تسلموا، لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره، ونظر إلى رجل يقص، فقال له: أقص ونحن قريب عهد برسول الله ×، لأسألك فإن أجبتني وألا جعفتاك⁽⁵⁾ بهذه الدرة، ما ثبات الدين وما زواله؟ قال: أما ثباته فاللورع، وأما زواله فاللطماع، قال: أحسنت، قص فمتلك من يقص⁽⁶⁾.
 - 3- خطورة التجارة قبل التفقه في أحكامها: قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه: من اتجر قبل أن يتفقه في الدين فقد ارتطم في الربا، ثم ارتطم، ثم ارتطم⁽⁷⁾، وقد كان الفاروق، رضي الله عنه، يضرب بالدرة من يقعد في السوق وهو لا

(1) البخاري. كتب البيوع (85/2).

(2) هو الذي يعلو الماء ولا يرسب.

(3) الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام، ص (202).

(4) العلوج: جمع علچ وهو الواحد من كفار العجم، مسند أحمد (255، 254/2) قال أحمد شاكر: صحيح الإسناد.

(5) حفته: صرعة وضرب به الأرض.

(6) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبن الحوزي (70/5).

(7) ارتطم: وقع: بستان العارفين، ص (350).

يعرف الأحكام، ويقول: لا يقعد في سوقنا من لا يعرف الربا⁽¹⁾، وكان يقول: لا بيع في سوقنا إلا من تفقه، وإنما أكل الربا شاء أو أبي⁽²⁾، فكل شؤون الحكم كانت محل اهتمام الـ لفـاء الرـاشـدـيـنـ، رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـ، لا يـطـغـيـ جـانـبـ عـلـىـ جـانـبـ، فـلاـ يـخـتـلـ الـحـالـ بـيـنـ يـدـيـ الـحـاكـمـ، فـقـدـ كـانـواـ يـقـعـدـونـ لـلـتـجـارـةـ الـقـوـادـعـ الـتـيـ تـصـلـحـ لـلـأـسـوـاقـ، وـتـنـظـمـ الـتـدـاـولـ، وـتـضـمـنـ الـثـبـاتـ وـالـاسـتـقـرـارـ، فـلـاـ غـيـرـ فـلـاـ اـحـتكـارـ، وـلـاـ اـسـوـاقـ سـودـاءـ وـلـاـ زـرـفـاءـ وـلـاـ جـهـلـ بـمـاـ يـجـوزـ وـمـاـ لـاـ يـجـوزـ فـيـ عـالـمـ التـجـارـةـ.

ويمكن اليوم تفقه التجار من خلال دورات في المساجد خصوصاً التي في قلب الأـ سـوـاقـ، وـلـابـدـ مـنـ تـوـجـيـهـ الـخـطـابـ لـلـتـجـارـ مـنـ خـلـالـ كـتـيـبـاتـ خـاصـةـ بـهـمـ وـالـأـشـرـطـةـ الصـوـتـيـةـ الـمـخـتـرـةـ الـتـيـ تـبـيـنـ أـحـكـامـ التـجـارـةـ وـتـبـسـطـ الـمـسـائـلـ الـمـتـعـلـقـةـ بـهـاـ وـالـتـيـ تـبـرـزـ مـاـ يـلـيـ:

* نماذج مختارة من التجار المسلمين المخلصين لدينهم الذين نصروا الله ورسوله بأموالهم.

* بيان أهمية الآخرة بالنسبة لهم لكي يجمعوا بين خيري الدنيا والآخرة.

وعلى العلماء وطلاب العلم واجب كبير في تفقه هذه الشريحة الكبيرة في المجتمعات، وعلى الحركات الإسلامية ألا تنسى واجبها في تعليم ابنائها من التجار وغيرهم هذا الفقه العزيز.

4- من سبق إلى موضع فهو أحق به: أثيرت قضية المحل التجاري في السوق وقضى على ابن أبي طالب رضي الله عنه في سوق الكوفة، أن من سبق إلى موضع فهو أحق به ما دام فيه ذلك اليوم، فإذا انتقل عنه، فهو لمن حل فيه، قال الأصبغ بن نباته: خرجت مع على بن أبي طالب إلى السوق، فرأى أهل السوق قد حازوا أمكنتهم، فقال علي: ما هذا؟ فقالوا: أهل السوق قد حازوا أمكنتهم، فقال: ليس ذلك لهم، سوق المسلمين كمصلحة المسلمين، من سبق إلى شيء فهو له يومه حتى يدعه، وظللت هذه القاعدة مذبعة حتى ولدت المغيرة بن شعبة، فلما كانت ولادة زياد بن أبيه عليها عام 49هـ جعل من قعد في مكانه ف فهو أحق به مدام فيه⁽³⁾.

5- المحتكر عاص ملعون: قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه في احتكار الطعام: جالب الطعام مرزوق، والمحتكر عاص ملعون⁽⁴⁾، وقد أمر أمير المؤمنين بحريق الطعام المحتكر، فقد أخرج الحافظ ابن أبي شيبة عن الحكم قال: أخبر عـلـيـ بـرـجـلـ اـحـتكـرـ طـعـامـ بـمـائـةـ أـلـفـ فـأـمـرـ بـهـ أـنـ يـحرـقـ(5)، وـقـدـ ذـهـبـ اـبـنـ قـدـامـهـ إـلـىـ أـنـ الـاحـتكـارـ الـمـحـرـمـ مـاـ اـجـتـمـعـتـ فـيـهـ شـرـوطـ ثـلـاثـةـ هـيـ:

أ- أن يشتري، فلو جلب شيئاً، أو أدخل من غلته شيئاً فادخره لم يكن محتكرًا، وهذا واضح من قول على رضي الله عنه.

ب- أن يكون المشترى قوتاً⁽⁶⁾.

ج- أن يضيق على الناس بشرائه. وترهيب أمير المؤمنين على من الاحتكر مبني على قول رسول ﷺ: «لا يحتكر إلا خاطئ»⁽⁷⁾.

(1) نظام الحكومة الإسلامية للكتاني (12/2).

(2) المصدر نفسه (17/2).

(3) الأموال لأبي عبد، ص (123)، الحياة الاقتصادية، د. بطانية، ص (115).

(4) فقه على، فتحي، ص (27)، مصنف عبد الرزاق (204/8)، مسند زيد، ص (245).

(5) المصنف رقم 433(6/103)، الحسبة في العصر النبوي، ص (34).

(6) وقيل: لا فرق بين الغوث وغيره.

(7) مسلم، ك المسافة (1228/3) والخطيء: العاصي الأثم.

6- الخسارة على المال والربح على ما اصطاحوا عليه: بين أمير المؤمنين على بن أبي طالب شيئاً من أحكام المضاربة وهي: نوع من أنواع المعاملات بين الناس، وهي دفع مال معلوم لمن يتجر به ببعض ربحه، فقال رضي الله عنه: الوضيعة على المال، والربح على ما اصطاحوا عليه⁽¹⁾، والوضيعة تعني الخسران في الشركة وهي على المال، أي على كل واحد بقدر ماله، فإن كان مالهما متساوياً في القدر⁽²⁾ فالخسران بينهما نصفاً، وإن كان أثلاً فالوضيعة تكون أثلاً.

7- تحريق قرية كانت تباع فيها الخمر: كان رضي الله عنه شديد الإنكار على من باع خمراً، فقد أمر بتحريق قرية كانت تباع فيها الخمر، فقد روى الإمام أبو عبيدة القاسم بن سلام أن علياً بن أبي طالب رضي الله عنه نظر إلى زرار⁽³⁾ فقال: ما هذه القرية؟ قال: القرية تدعى زرار، يلحم فيها، تباع فيها الخمر، فقام يمشي حتى أتاهما، فقال: على بالنيران، أضرمواها فيها، فإن الخبيث يأكل بعشه بعضه بعضًا، قال (الراوى): فاحترقت من غربيها حتى بلغت بستان خواستا بن جبرونا⁽⁴⁾.

8- احتسابه فيما يتعلق باللباس والهيئة: عن أبي مطر قال: خرجت من المسجد فإذا رجل ينادي خلفي: ارفع إزارك فإنه أنقى لثوبك، وأنقى لربك، وخذ من شعرك إن كنت مسلماً⁽⁵⁾.

9- حبسه أهل الشر والفساد: كان رضي الله عنه يلاحق أهل الشر والفساد، فإذا وجد أحدهم منهم حبسه، فقد روى القاضي أبو يوسف عن عبد الملك بن عمير قال: كان على بن أبي طالب رضي الله عنه إذا كان في القبيلة أو القوم الرجل الداعر حبسه، فإن كان له مال أتفق عليه من ماله، وإن لم يكن له مال أتفق عليه من بيت مال المسلمين، وقال: يحبس عنهم شره ويذفف عليه من بيت مالهم⁽⁶⁾.

10- الترهيب من عدم الإنفاق: قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب: بشر مال البخيل بحادث أو وارث⁽⁷⁾، وقال: البخيل مستعجل الفقر، يعيش في الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب في العقبى حساب الأغنياء⁽⁸⁾.

11- منادات للصلوة: كان أمير المؤمنين على رضي الله عنه شديد الاهتمام بأمر الصلاة، فقد كان يمر في الطريق منادياً: الصلاة، الصلاة، كان يوقظ بذلك الناس لصلاة لفجر، يحدثنا الحسن رضي الله عنه، عن خروجه اليوم الذي طعن فيه من بيته حيث يقول: فلما خرج من الباب نادى: أيها الناس! الصلاة الصلاة. وكذلك كان يصنع كل يوم، ومعه درته، فاعتراضه الرجال، فضربه ابن ملجم على دماغه⁽⁹⁾.

12- الاهتمام بالطرق العامة: كان أمير المؤمنين على رضي الله عنه يأمر بالثaug بـ⁽¹⁰⁾، والكنف⁽¹¹⁾، قطع من طريق المسلمين⁽¹²⁾.

(1) مصنف ابن أبي شيبة (4/6)، مصنف عبد الرزاق (248/8).

(2) المعنى (31/5).

(3) مطلا في الكوفة سميت باسم بانيها زراراً بن زيد.

(4) الأموال، ص (97، 98)، الحسبة لابن نيمية، ص (60).

(5) البداية والنهاية (4/8).

(6) الخراج لأبي يوسف ص (150).

(7) نثر اللالي تقلاً عن منهج على بن أبي طالب، ص (183).

(8) منهاج على في الدعوة إلى الله، ص (183).

(9) البداية والنهاية (7) (339/7).

(10) المتأغل: مفرداتها التغب: سبيل الماء في الوادي.

(11) والكاف: جمع كنيف وهو المرحاض، المصباح المنير ص (542).

13- ظهور بدعة القصص ومحاربة أمير المؤمنين على لها: حدثت بدعة القُصَّدَّا ص في عهد على- رضي الله عنه - فأنكرها الصحابة والتابعون، فقد أخرج محمد بن وضاح عن موسى بن معاوية قال: حدثنا ابن مهدي عن سفيان عن عبيد الله بن نافع قال: لم يقص على عهد النبي ×، ولا أبي بكر، ولا عمر، ولا عثمان، وأول ما كان القصص حين كانت الفتنة⁽¹⁾، والقصاص هم الوعاظ الذين يعقدون مجالس للوعظ تضاهي مجالس العلم، يعظون الناس فيها بالحكايات والإسرائييليات ونحوها، مما لا أصل له أو موضع، أو مما لا تدركه عقول العامة، وقد منعهم أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه، لأنهم أخذوا يحدثون الناس بالغرائب والمشتابهات، وما لا تدركه عقولهم وما لا يعرفون⁽²⁾، وأذن أمير المؤمنين لمن كان متذكراً من العلم الشرعي بأن يقص على الناس.

كانت حياة أمير المؤمنين في المجتمع دعوة للتوحيد ومحاربة للشرك، وكان حريصاً على تعليم الناس أسماء الله وصفاته وربط قلوبهم به وحده، وتذكيرهم بنعم الله وحدهم على شكرها، وقد كان رضي الله عنه مثابراً على محاربة الجahليّة، متذدراً جميـع الوسائل الدعويـة من خطابة ووعظ، وشعر وحكم، ولم يعش رضي الله عنه بعيداً عن الناس بل عاش بينهم بأخلاقه وسمته وعلمه رضي الله عنه.

ثامداً: ولادة الشرطة في عهد أمير المؤمنين على بن أبي طالب:

عندما تولى على رضي الله عنه أمر الخلافة كانت وظيفة الشرطة إحدى الوظائف الـ مهمـة المعروفة في الدولة، والقصص والآثار التي تحدثت عن دور الشرطة في عهد على رضي الله عنه كثيرة منها، ما رواه أصبغ بن نباته، أن شاباً شكا إلى على بن أبي طالب رضي الله عنه نفراً، فقال: إن هؤلاء خرجوا مع أبي في سفر فعادوا ولم يعد أبي فسألتهم عنـه، قالـوا: ماتـ، فـسألـهم عنـ مـالـهـ: قالـواـ: ما تركـ شيئاًـ، وـكانـ معـهـ مـالـ كـثـيرـ، وـترـافـعـناـ إـلـىـ شـرـيفـ، فـاستـحـلفـهـمـ وـخـلـىـ سـيـلـهـمـ، فـدـعـاـ عـلـىـ بالـشـرـطـةـ، فـوـكـلـ بـكـلـ رـجـلـ جـلـينـ، وـأـوـصـاـهـمـ الـأـيـمـنـ بـعـضـهـمـ يـدـنـوـ مـنـ بـعـضـ، وـلـاـ يـمـكـنـواـ أـحـدـاـ يـكـلـمـهـمـ، وـدـعـاـ كـاتـبـهـ، وـدـعـاـ أـحـدـهـمـ، فـقـالـ: أـخـبـرـنـيـ عـنـ أـبـيـ هـذـاـ الـفـتـيـ، أـيـ يـوـمـ خـرـجـ مـعـكـمـ؟ـ وـفـيـ أـيـ مـنـزـلـ نـزـلـتـ؟ـ وـكـيـفـ كـانـ سـيـرـكـمـ؟ـ وـبـأـيـ عـلـةـ مـاتـ؟ـ وـكـيـفـ أـصـيـبـ بـمـالـهـ؟ـ وـسـأـلـهـ عـمـلـهـ وـدـفـنـهـ، وـمـنـ تـوـلـىـ الـصـلـاـةـ عـلـيـهـ، وـأـيـنـ دـفـنـ، وـنـحـوـ ذـلـكـ، وـالـكـاتـبـ يـكـتـبـ، فـكـبـرـ عـلـىـ، وـكـبـرـ الـحـاـضـرـونـ وـالـمـتـهـمـونـ لـاـ عـلـمـ لـهـمـ إـلـاـ أـنـهـ ظـنـوـاـ أـنـ صـاحـبـهـمـ قـدـ أـفـرـ عـلـيـهـمـ، ثـمـ دـعـاـ أـخـرـ بـعـدـ أـنـ غـسلـهـ وـدـفـنـهـ، وـمـنـ تـوـلـىـ الـصـلـاـةـ عـلـيـهـ، وـأـيـنـ دـفـنـ، وـنـحـوـ ذـلـكـ، وـالـكـاتـبـ يـكـتـبـ، فـكـبـرـ عـلـىـ، وـكـبـرـ الـحـاـضـرـونـ وـالـمـتـهـمـونـ لـاـ عـلـمـ لـهـمـ إـلـاـ أـنـهـ ظـنـوـاـ أـنـ صـاحـبـهـمـ قـدـ أـفـرـ عـلـيـهـمـ، ثـمـ دـعـاـ أـخـرـ بـعـدـ أـنـ غـيبـ الـأـوـلـ عـنـ مـجـلـسـهـ، فـسـأـلـهـ كـمـ سـأـلـ صـاحـبـهـ، ثـمـ الـأـخـرـ ذـلـكـ، حتـىـ عـرـفـ مـاـ عـنـ الـجـمـيعـ، فـوـجـدـ كـلـ وـاـحـدـ مـنـهـ يـخـبـرـ بـضـدـ ماـ أـخـبـرـ بـهـ صـاحـبـهـ، ثـمـ أـمـرـ بـرـدـ الـأـوـلـ فـقـالـ: يـاـ عـدـ اللـهـ، قـدـ عـرـفـتـ عـنـادـكـ وـكـذـبـكـ بـمـاـ سـمـعـتـ مـنـ أـصـحـابـكـ، وـمـاـ يـنـجـيـكـ مـنـ الـعـقوـبـةـ إـلـاـ صـدقـ، ثـمـ أـمـرـ بـهـ إـلـىـ السـجـنـ، وـكـبـرـ وـكـبـرـ مـعـهـ الـحـاضـرـونـ، فـلـمـ أـبـصـرـ الـقـومـ الـحـالـ لـمـ يـشـكـواـ أـنـ صـاحـبـهـمـ أـفـرـ عـلـيـهـمـ فـدـعـاـ أـخـرـ مـنـهـمـ، فـهـدـهـ، فـقـالـ: يـاـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ، وـالـلـهـ لـقـدـ كـذـبـتـ كـارـهـاـ لـمـ صـنـعـواـ، ثـمـ دـعـاـ الـجـمـيعـ فـأـفـرـواـ بـالـقـصـةـ وـاسـتـدـعـيـ الـذـيـ فـيـ السـجـنـ وـقـيـلـ لـهـ: قـدـ أـفـرـ أـصـحـابـكـ وـلـاـ يـنـجـيـكـ سـوـىـ الصـدـقـ، فـأـفـرـ بـكـلـ مـاـ أـفـرـ بـهـ الـقـومـ، فـأـغـرـمـهـمـ الـمـالـ، وـأـفـادـ مـنـهـ الـقـتـلـ⁽³⁾.

فـهـذـهـ الـقـصـةـ تـحـوـيـ مـعـانـ وـدـلـالـاتـ كـثـيرـةـ تـقـيـدـ الـمـحـقـقـينـ، وـتـدـلـ "ـ فـيـ الـوقـتـ نـفـسـهـ عـلـىـ وـجـوـهـ الـسـجـنـ، وـرـجـالـ الـشـرـطـةـ⁽⁴⁾ـ، هـذـاـ وـقـدـ بـنـىـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ سـجـنـاـ فـيـ الـكـوـفـةـ سـمـاـهـ «ـنـافـعـاـ»ـ لـمـ

(1) مصنف عبد الرزاق (72/1).

(2) البدع والنهي عنها، (20).

(3) دراسات في الأهواء والفرق والبدع، ص (239).

(4) الطرق الحكيمية، ص (49).

(5) ولادة الشرطة في الإسلام، د. نمر الحميداني، ص (107).

يُكنَّ مستوثق البناء، فكان المسجونون يخرجون منه، فهدمه وبنى بدلًا منه سجناً سمّاه مخيّس⁽¹⁾، وقد أجرى على أهل السجون ما يقوّتهم من طعامهم وأدّمهم وكسوتهم في الشتاء، والصيف⁽²⁾، وكان لأمير المؤمنين على بن أبي طالب شرطة منهم، أبو الهياج الأسدى، وقيس بن سعد بن عبادة ومعقل بن قيس الرياحى، ومالك بن خبيب اليربوعى، والأصبغ بن نباته المشاجعى، وسعيد بن سارية بن مرة الخزاعى، وكان من ضمن الوظيفة الاجتماعية للشرطة، مساعدة المحجاج، وإغاثة الملهوف، وإرشاد التائه، وإطعام المساكين، وتقييم العون، وإظهار الرفق، وغير ذلك من المساعدات الإنسانية التي يراد بها وجه الله تعالى.

ومن هنا يظهر لنا أن الأمان في العصر الراشدى كان يقوم بدور حضاري في تقديم خدمات عامة للمجتمع، ولم يقتصر دوره فقط على الجانب الأمني وإن كان للجانب الأمنذ

^{أى} الأهمية الكبرى.

(1) وهذه التسمية ليست اعتباطاً بل لها غرض، فإن النافع من النفع وهو ضد الضرر..المخيس وهو الـ تذليل والتهدب .. التسميات تحققان أغراض السجن.
 (2) ولالية الشرطة، ص (108).

الفصل الرابع

المؤسسة المالية والقضائية في عهد

أمير المؤمنين على بن أبي طالب وبعض اجتهاداته الفقهية

المبحث الأول

المؤسسة المالية

في عهد على بن أبي طالب رضي الله عنه لم يحدث تغيير يذكر في السياسة المالية للدولة الإسلامية، إلا أن أمير المؤمنين على رضي الله عنه رجع إلى ما كان عليه أبو بكر الصديق في التسوية في العطاء^(١)، فلم يفضل أحداً، فأعطى الموالي كما أعطى السادة^(٢)، وكان الخراج في بعض الأمصار موكولاً إلى الولاة أنفسهم، ففي مصر كان قيس بن سعد بن عبادة – الوالي العام- مسؤولاً عن الخراج فيها، وكذلك حينمابعث على رضي الله عنه الأشتر النخعي على مصر كان في خطابه له ما يوحى أنه مع ولایته العامة كان مسؤولاً عن الخراج بما يصلح أهله، فإن صلاحه وصلاحهم صلاح لمن سواهم ولا صلاح إلا بهم، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ عن نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك يدرك بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة، أضر بالبلاد وأهلك العياد ولم يستقم أمره إلا قليلاً، فإن شكوا نفلاً أو علة أو انقطاع شرب، أو إحتلة أرض اغتصبها عرق، أو أجحف بها عطش، خفت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم.. فإن العمران محتمل ما حملته، وإنما خراب الأرض من إعواز أهلها، وإنما إعوازها أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انقاذهما بالعبر^(٣).

فقد كانت نظرة أمير المؤمنين على رضي الله عنه إلى الخراج بما يتعدى الجبائية إلى المسألة الاقتصادية برمتها، حيث يشكل الخراج المصدر الأساسي لها في ذلك الوقت، وقد اشتهر عن على رضي الله عنه بشدیده في مرافقية عماله في جميع النواحي، وكان الـ خراج والشئون المالية من الأمور المهمة التي كان يدقق فيها أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه، فكان يبعث العيون والأرصاد ليعلم أحواهم^(٤)، وقد كان لولاة البلدان صلحيات عامة في المصروفات من ولاياتهم وبيوت أموالها، فالولاة الذين كانوا يباشرون بيت المال وعمال الخراج بأنفسهم في عهد الخلفاء عموماً كانوا ينفقون من الأموال التي لديهم في الأوجه الشرعية في مصالح الولاية، فكانوا يستخدمون هذه الأموال في شئون الجهاد والفتح من إعداد للسلاح والدواب ومرتبات الجنود وغير ذلك من أوجه الجهاد، كما كان الولاة يقومون بصرف نفقات العمال، والموظفين في الولاية^(٥)، بالإضافة إلى أنهم كانوا يقومون ببعض الإصلاحات من بناء الحسور وحفر القنوات والعيون والأذوار، وكان ذلك يستدعي الصرف مما يجيئونه من ولاياتهم^(٦).

وفي الأوقات التي تعزل فيها ولاية الخراج أو بيت المال عن الولاية العامة فإن الولاية بحكم إشرافهم العام على الولاية يطلبون من عمال الخراج الإنفاق على هذه الإصلاحات، أو يقوم الولاة بتعيين عمال خاصين بهذه المشاريع، وتصرف نفقات العمل أو التجهيز من دخل الولاية عن طريق عمال الخراج إذا كانوا مستقلين، وهكذا فإنه حتى لو عزل

(١) الاستيعاب (11/3).

(٢) على بن أبي طالب، د. علي شرفى، ص (66).

(٣) الولاية على البلدان (153/2) إلى (163).

(٤) الولاية على البلدان (98/2)، النظريات المالية في الإسلام، ص (155).

(٥) التراخيص الإدارية لكتابي (1) (393).

(٦) الولاية على البلدان (98/2).

ت مهمة (الجباية) عن الوالي كما عبر⁽¹⁾ عنها بعض الباحثين⁽¹⁾ فإن النفقات مع ذلك كانت تأخذ طريقها بواسطة الولاية في كثير من الأحيان سواء للجهاد أو التعمير.

ولقد نبه بعض الفقهاء إلى أن على الولاية إتفاق الأموال في مصالح المسلمين وعدم تحميدها، إذا إن تجميد الأموال التي أخذت بحقها وعدم صرفها في مصالح المسلمين يوازي الظلم في جمعها، فعدوا التجميد للأموال العامة من باب الظلم والتقصير من جانب الولاية⁽²⁾، قد كانت الأمسكار والولايات أحق بأموالها وجياباتها من غيرها، فكان الولاية لا ي عملون على ترحيل الأموال عن مناطقهم إلى العاصمة في المدينة أو الكوفة فيما بعد، إلا بعد أن يسدوا حاجة ولاياتهم من النفقات⁽³⁾، ولا شك أن ما قام به الخلفاء الراشدين خصوصاً في عهد عمر من تنظيم دقيق للشؤون المالية في الولايات بما فيها من جباية، مصارد الدخل أو الواردات العامة إضافة إلى النفقات العامة. يعتبر تنظيمهً جديداً، ولم يمنعه م ذلك من الاستفادة من خبرات من سبقوه حيث استحدثوا الدواوين وضبطوا أمورهم المالية من مختلف جوانبها، وقد تحدثت عن المؤسسة المالية في عهد الفاروق، رضي الله عنه، بنوع من التفصيل، فمن أراد المزيد فليرجع إليها في كتابي فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وقد حاول بعض المستشرقين وفيهم فيليب حتى في موسوعته عن تاريخ العرب أن يقلل من شأن ما قام به الخلفاء الراشدين من تنظيم للأموال في الدولة عموماً فقال:

«والحقيقة أن الأخبار تعود إلى عمر كثيراً مما أحدهته السنون التي لحقت عهده من إنشاءات دعت إليها التجارب والأحوال الجديدة، وأن ما جاء به الخلفاء وعمال الأمصار الأول في صدد الخراج والجزية، وأصول جيابتها وسياسة أموال الدولة لم يكن بالشأن الخطير، فلقد أبقى الإسلام أساس الحكم وأنظمة الإدارية البيزنطية على ما كانت عليه سوريا ومصر، ولم يفكر أرباب الأمر في الأمسكار الفارسية أن يبدوا أصول الحكومة المحلية، ولم يأخذ القاتحون الضرائب إلا طبقاً لطبيعة البلاد وبمقتضى الأصول المرعية في العهد المنقرض سواء أكان بيزنطيأً أو فارسياً، ولم يعتبروا في ذلك إذا كانت قد دانت لهم صلحًا أو أنهم فتحوها عنوة، ولا اهتدوا بتشريع أو جده عمر»⁽⁴⁾. والكاتب هنا قد تجاهل النصوص التي وردت في استبطاط عمر للخراج على الأراضي المفتوحة عنوة، وكيف أن النظام قد لقي مجادلة ومحاربة من بعض الصحابة إلى أن استقر الأمر عليه، واتفق الجميع على تنفيذه⁽⁵⁾. وقد تولى محمد ضياء الدين الرئيس الرد على هؤلاء المستشرقين فيما قالوه من خلال نصوص تاريخية موثقة يخلص منها إلى أن هذه الدعوى لا أساس لها من الصحة، وأن المسلمين وفقهاءهم كانوا يفرقون بين ما أحدهه عمر، وما أحدهه غيره، بل ويفصلون تفصيلاً دقيقاً في قضايا الخراج في عهد عمر⁽⁶⁾.

وهذه عادة المستشرقين وأذنابهم من الطعن والتقصص في عظماء الإسلام، ولكن المشكلة أنهم يجدون من الأمة من ينظر لهم بإجلال وتقدير.

وبسبب الحروب والنزاعات الداخلية تأثرت دولة الخلافة في عهد على في مؤسساتها المالية والعسكرية، ومنصب الخلافة، مما ساهم في زوال الخلافة الرشيدة، وسيأتي تفصيل ذلك في محله بإذن الله.

(1) النظم المالية في الإسلام، ص (157)، الولاية على البلدان (99/2).

(2) أصول الفكر السياسي الإسلامي، فتحي عثمان، ص (43).

(3) السياسة المالية لعثمان بن عفان، قطب، ص (99).

(4) تاريخ العرب، فيليب حتى (228/1).

(5) الولاية على البلدان (100/2).

(6) الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، ص (131-136)، نقلًا عن الولاية على البلدان (100/2).

المبحث الثاني

المؤسسة القضائية

ولى الخليفة أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه، واقترن توليه التي نجحت عن قتل عثمان وما تبعها من أحداث شقت صف المسلمين وفرقت كلمتهم، وأصبَّت مواجهة تلك الأحداث لرَأْب الصدع شغله الشاغل، ولم يكن هذا الصراع الدامي في عهد على رضي الله عنه مانعاً له من أن يعطي للقضاء نصيباً من الاهتمام به وتنظيمه، ويدل على هذا رسالته⁽¹⁾ التي أرسلها إلى الأشتر النخعي واليه على مصر حين كانت دابة لحكمه، وفيها يقول: ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك من لا تضييق به الأمور، ولا تحكمه الخصوم، ولا يتتمادي في الزلة، ولا يحصر في الفئي إلى الحق إذا عرفه، ولا تستشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأذني فهم دون أصهار، وأوقفهم في الشبهات، وأخذهم بالحجج، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصوم، وأصبرهم على كشف الأمور، وأصرّهم على اتضاح الحكم، ومن لا يزدھي إطراء، ولا يستميله إغراء، وأولئك قد ليل، ثم أكثر من تعاهد قضائه، وأفسح له في البذر ما يزيل علته، وتقل معه حاجته إلى اناس، وأعطاه من المنزلة لديك ما لا يطبع فيه غيره من خاصتك، ليأمن بذلك اغتيال الرجال عندك⁽²⁾.

وفي هذه الرسالة أيضًا: أنتِ الله، وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنك إلا تجعل تَظَلْمَ، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمُه دون عباده، ومن خاصمه الله أدْحَض حجته، وكان الله حرباً، حتى ينزع أو يتوب. وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله، وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد⁽³⁾.

ونلاحظ أن هذا العهد تضمن صفات القاضي، كما تضمن حقوقه وواجباته، والذي يتأمل في الذي كتبه أمير المؤمنين على رضي الله عنه لواليه على مصر، يعجب لهذا العهد الذي كتب عام 40هـ، أو حولها، في وقت لم يكن للعرب فيه أي اتصال بالحضارات الأخرى بعد، وكيف كان العقل السليم الذي ينظر بنور الله قادرًا على تفتقيد المعاني، ووضع أمور الدولة في نصابها، على خير ما نرى اليوم في الدساتير والقوانين⁽⁴⁾. وهذه النظريات من أمير المؤمنين على في إنصاف الرعية، وتجنب ظلمها كانت فيما بعد عماداً في تنظيم ولاية المظالم⁽⁵⁾.

أولاً: الخطة القضائية والتشريعية في عهد الراشدين والمصادر التي اعتمدها الصحابة في ذلك العهد:

قصد بهذه الخطة الطريقة التي سلكها الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام وهم يبحثون عن الأحكام الشرعية لما يحدث لهم من وقائع وقضايا في حياتهم العملية، وهي طريقة هدتهم إليها صحبتهم للرسول الكريم وتدرّبوا على يديه، لذلك كان اتباع هذه الطريقة حقاً على ما جاء بعدهم. وقد لاحظنا من خلال دراستنا لعهد الخلفاء الراشدين في كتابنا عن أبي بكر وعمر وعثمان ودرستنا الحالية لعهد على رضي الله عنهم، أنهم كانوا كلما عرض لهم حدث، أو قضاة لجأوا إلى كتاب الله أولاً، فإن وجدوا فيه الحكم الشرعي للذ

(1) وقائمة ندوة النظم الإسلامية (379/1).

(2) سرِّح نهج البلاغة نقلاً عن نظام الحكم للفاسقي (103/2).

(3) المصدر نفسه (559/2).

(4) نظام الحكم للفاسقي (104/2).

(5) المصدر نفسه (560/2).

ازلة حسم الأمر، وإلا رجعوا إلى سنة رسول الله ﷺ، حتى إذا لم يجدوا فيها حلاً انتقلوا إلى الرأي بمعناه الواسع، وقد لاحظنا أن هذا الرأي كان في أول الأمر جماعياً في غالبية الأحيان، خصوصاً إذا انصب موضوعه على أمر من أمور الدولة ذات الصبغة العامة، وقد ساعد على ذلك أن كبار الصحابة كانوا مازلوا مستقرين بالمدينة يسهل جمعهم وأخذ رأيهم، وقد انبثق عن رأيهم الجماعي ما اصطلاح على تسميته فيما بعد «الإجماع»، وقد كانوا يستعملون القياس، والمصلحة هي مناط التشريع، وخير دليل على هذه الخطوة ما قال ميمون بن مهران حيث قال: كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصوم نظر في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضى بينهم قضى به، وإن لم يكن في الكتاب، وعلم من رسول الله ﷺ، في ذلك الأمر سنة قضى بها، فإن أعياه أن يجد فيه سنة عن رسول الله جمع رعوس الناس وخيارهم فاستشارهم فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به وكان عمر يفعل ذلك فإن أعياه أن يجد في القرآن والسنة نظر هل كان فيه لأبي بكر قضاء به، وألا دعا رعوس المسلمين، فإن أجمعوا على شيء قضى به⁽¹⁾. وعن ابن مسعود قال: فمن عرض عليه قضاء بعد اليوم فليقض بما في كتاب الله، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله ولا قضى به ذبيه ﷺ، فليقض بما قضى به الصالحون، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله ولا قضى نبيه ﷺ ولا قضى به الصالحون فليجتهد رأيه، ولا يقل: إني أرى وإنني أخاف، فإن الحلال بين، والحرام بين، وبين ذلك مشتبهات فدع ما يربيك إلى ما لا يربيك⁽²⁾. وقد بينا في حديثنا عن المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين على بن أبي طالب حرصه على السير على نفس المنهج، ويتبع من هذه الآثار أن الصحابة كانوا يعتمدون في خطتهم التشريعية والقضائية على الكتاب والسنة قبل الانتقال إلى الرأي بمعناه الواسع⁽³⁾.

ونحب أن نقف عند هذه الآثار لنستخلص منها بعض النتائج:

1- اتفاق الصحابة حول هذه الخطة إذ كانوا يرتبون مراحل اجتهدتهم وفهمهم مبتدئين بكتاب الله أولاً، ثم الانتقال إلى سنة رسول الله ﷺ قبل استخدام الرأي الجماعي ثم القيام.

2- كان للسابقة القضائية دور مهم في الخطة وهو دور جعلها ثاني النصوص مباشر

ة.
3- وما يلفت النظر في هذه الخطة أن أبا بكر وعمر على الخصوص، لم يكونا يسعشيران إلا من كان موجوداً من الصحابة بالمدينة، ولم نطلع على نص يدل على أنهما كانا يستدعيان من كان غائباً من الصحابة قصد استشارته في أمر من الأمور الاجتهادية، مما يدل على أن الإجماع كان ينعقد باتفاق من حضر من الصحابة بصرف النظر عن رأي من كان غائباً⁽⁴⁾، ويتحقق لنا من خلال ما سبق من خطة الخلفاء الراشدين والصحابة في التشريع والقضاء أنهم كانوا كلما حزبهم أمر، أو عرضت عليهم قضية بادروا إلى القرآن أولاً حتى إذا لم يجدوا فيه حلّاً رجعوا إلى السنة، فإذا لم يجدوا الحل، استعملوا رأي بمعناه الواسع، سواء كان جماعياً أو فردياً، وقد انبثق عن آرائهم الجماعية ما سمي بالإجماع، وهو مصدر طاري لم يكن له وجود في عصر الرسالة، وقد صنف هذا المصدر ثالث المصادر بعد الكتاب والسنة، وبما أنه لم يكن من الميسور دائمًا جمع الصحابة قصد التشاور والاتفاق على حكم معين لأسباب كثيرة، فقد لجأ الصحابة لاستعمال الر

(1) سنن الدارمي (58/1) رجال إسناده ثقات غير جعفر بن بر قال صدوق، السنن الكبرى للبيهقي (114/10) وصحح إسناده ابن حجر، فتح الباري (3/13).

(2) أعلام المؤقعن (62/1).

(3) الاجتهاد في الفقه الإسلامي... ضوابطه ومستقبله، ص (153).

(4) المصدر السابق نفسه، ص (153).

أي بصورة فردية في الفتوى والقضاء، وقد اعتمدوا الكتاب والسنة في آرائهم الفردية والجماعية، وعلى الفهم العميق لمفاسد الشريعة الهدافة إلى دفع المفاسد وجلب المصالح، واستوحاوا الأحكام للحوادث التي لا نص فيها من روح النصوص ولم يقضوا مع ظواهرها، وقد استعملوا القياس منذ عهد الرسول × وهو المصدر الرابع من مصادر التشريع ويأتي بعد الإجماع في المرتبة وإن كان سابقاً في الوجود⁽¹⁾.

وهذه هي المصادر التي اعتمدها الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام:

1- القرآن الكريم وهو العمدة والأساس، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار وال بصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه.

2- السنة وتطلق على ما جاء منقولاً عن النبي × بطرق صحيحة.

3- الإجماع ولابد أن يكون مستندًا إلى نص من كتاب أو سنة أو قياس.

4- القياس.

وكان الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام يشرعون أحكاماً لحوادث بناء على المصلحة الواجب مراعاتها أو دفع المفسدة، فكان اجتهادهم فيما لا نص فيه فسيحًا مجاله يستوع لحالات الناس ومصالحهم⁽²⁾.

ثانياً: ميزات القضاء في العهد الراشدي:

إن القضاء في العهد الراشدي يمثل الدرجة الثانية بعد القضاء في العهد النبوى الذى يمثل الجنور والأساس، وجاء القضاء في العهد الراشدى يمثل البناء الكامل، والتنظيم الشامل من جهة، ويعطى الصورة البراقة للقضاء الإسلامى من جهة ثانية، ويعتبر أنموذجاً ومثلاً وقدوة وتحت محظ الأنظار طوال العهود التالية، ويمكننا أن نشير باختصار وإيجاز إلى أهم ميزات القضاء في العهد الراشدى، وهي:

1- كان القضاء في العهد الراشدى امتداداً لصورة القضاء في العهد النبوى، بالالتزام به، والتأسي بمنهجه، وانتشار التربية الدينية، والإرتباط بالإيمان والعقيدة، والاعتماد على الواقع الدينى، والبساطة في سير الدعوى، واختصار الإجراءات القضائية، وقلة الدعاوى والخصومات إذا قورنت باتساع الدولة، وتعدد الشعوب والأمصار، وحسن اختيار القضاة، وتوافر الشروط الكاملة فيهم.

2- يعتبر القضاء في العهد الراشدى صورة صحيحة، وصادقة وسليمة للقضاء الإسلامى، ولذلك صار مثال الباحثين، ومحظ الأنظار للفقهاء، وصارت الأحكام القضائية والتنظيم القضائى في العهد الراشدى مصدرًا للأحكام الشرعية، والاجتهادات القضائية واللاراء الفقهية في مختلف العصور، وهذا بالاتفاق – ولو أدبياً- عند جميع العلماء والمذاهب، مع وجود الاختلاف في التدقيق والجزئيات والتفاصيل، ومن ذلك اختلاف الآئمة في حبّية قول الصحابي وعدم حجيته، كما هو مقرر في علم أصول الفقه، وعلم مصطلح الحديث، وتاريخ التشريع وسيأتي الحديث عن ذلك بإذن الله.

3- مارس الخلفاء الراشدون، وبعض ولاة الأمصار، النظر في المنازعات وتولى القضاء بجانب الولاية، كما أولوا الاهتمام الكامل لتولى قضاء المظالم وقضاء الحسبة⁽³⁾.

4- عين الخلفاء الراشدون في أكثر المدن والأقطار الإسلامية قضاة لممارسة القضا

(1) الاجتهاد في الفقه الإسلامي. ضوابطه ومستقبله، ص (154).

(2) المصدر نفسه، ص (159).

(3) تاريخ القضاء في الإسلام ص (158).

ء خاصة، دون بقية السلطات، وظهر بشكل مبدئي- ولأول مرة- فصل السلطة القضائية عن بقية السلطات، وأن الولاية لا سلطان لهم على القضاة في المدن الكبرى التي تم فيها تعيين القضاة بجانب الولاية، بينما يتولى الولاية في بقية المدن والأماكن القضاة والولاية معًا وهم تحت بصر ومحاسبة الخليفة الراشد.

5- كان القضاة في العهد الراشدي مجتهدين، فينظرون في نصوص القرآن والسنة مباشرة، ويعملون فيها بما يؤدى إليه اجتهادهم، فإن لم يجدوا فيها حكم الواقع اجتهدوا رأيهم بعد الاستئناس بما قضى به أسلافهم، واستشارة العلماء المعاصرين لهم، ثم أصدروا الحكم الذي وصل إليه اجتهادهم.

6- ظهرت مصادر جديدة للقضاء في العهد الراشدي نتيجة للمنهج السابق الذي التزم به، وصارت الأحكام القضائية هي: القرآن، والسنة الشريفة، والإجماع، والقياس، والسابق، وباق القضائية، والرأي الاجتهادي، مع المنشورة.

7- تم التنظيم الإداري الدقيق للقضاء في العهد الراشدي، وأرسل عمر وعلى- رضي الله عنهم- الرسائل الخالدة والمشهورة إلى القضاة والولاة، لتنظيم شؤون القضاة، وبين الدستور والمنهج، وتبع ذلك متابعة الخلفاء للقضاء، ومراقبتهم، وتبادل الرأي معهم، والسؤال عن أخبارهم وأقضيتهم، وطلب مراجعتهم في القضايا المهمة والمتعلقة والخطيرة، وكانت هذه الميزة في أوّلها في عهد عمر، رضي الله عنه، وخفت قليلاً في عهد شaban، وضفت في عهد على لاضطراب الأمور، وكثرة الفتنة، ونشوب الحروب الداخلية، وظهور بذرة الاستقلال الذاتي في الشام وما يتبعه، مع تعدد السلطة.

8- كانت اختصاصات القاضي في الغالب عامة و شاملة لجميع الواقع، وكانت صلاحيّة القاضي واسعة، وله الحرية الكاملة في الإجراءات، ولكن ظهر في هذا العهد نواة ا لاختصاص الموضوعي والتوعي للقضاء، وتم تعين قضاة للنظر في القضايا الصغيرة والبسيطة، كما تم تعين قضاة للأحداث الجسيمة والواقع الكبيرة، وبقي معظم الخلفاء غالباً- يتولون النظر في الجنایات والحدود، وقام بهذا الشأن بعض الولاية أيضاً، كما ظهر في هذا العهد تعدد القضاة في وقت واحد في المدن الكبرى والأقطار الواسعة كالمدينة المنورة، والكوفة، والبصرة، واليمن، كما ظهر قاض للعسكر لأول مرة.

9- تأكّد في هذا العهد ما كان في العهد النبوي من مراقبة الأحكام القضائية، وإقرار ما وافق القرآن والسنة، وما صدر عن الرأي والاجتهاد، لأن الاجتهاد لا ينقض بمثله، وينقض ما خالف القرآن والسنة⁽¹⁾.

10- استحدثت في العهد الراشدي رواتب القضاة بشكل منظم، مع التوسيع على القضاة، وأقيمت دار للقضاء، وأنشئ السجن للحبس، كما ظهر- ولأول مرة- امتناع كبار الصحابة عن القضاء، كابن عمر الذي طلب عثمان فامتنع، وكعب بن يسار بن ضئلة الذي طلبه عمر لتولي القضاء بمصر فأبى أن يقبل، وقيل قبله أيامًا، ثم اعتزل⁽²⁾.

11- كانت إجراءات التقاضي في العهد الراشدي بسيطة وسهلة وقليلة، بدءاً من سماع الدعوى، إلى إقامة البينة والإثبات والحجج، إلى إصدار الحكم فيها، إلى التنفيذ، وكذلك آداب القضاء مرعية في حماية الضعيف، ونصرة المظلوم، والمساواة بين الخصوم، وإقامة الحق والشرع على جميع الناس، ولو كان الحكم على الخليفة أو الأمير أو الوالي، وكان القاضي في الغالب يتولى تنفيذ الأحكام، إن لم ينفذها الأطراف طوعاً و اختياراً،

(1) تاريخ القضاء في الإسلام، ص (159).

(2) المصدر نفسه، ص (160).

وكان التنفيذ عقب صدور الحكم فوراً، ولكن ظهرت في العهد الراشدی أمور تنظيمية جديدة، فوجد كاتب القاضي في عهد عمر، وظهرت الشرطة والأعونان لمساعدة القاضي والوالى في عهد عثمان، وتطور التحقيق الجنائى في عهد سيدنا على رضى الله عنه، وف رق بين الشهود للوصول إلى الحق وكشف الواقع حتى صار مضرب المثل⁽¹⁾.

ثالثاً: أشهر قضاة أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه:

أقر أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي بعض القضاة الذين ثبتت جدارتهم، و كانوا على القضاء قبله، وعين قضاة وولاة آخرين⁽²⁾، منهم:

1- شريح بن الحارث الذي كان على قضاء الكوفة، وأقره على[ٌ] عليها، وكا ن يرزقه كل شهر خمسمائة درهم⁽³⁾.

2- أبو موسى الأشعري الذي ولاد عثمان القضاة بالكوفة، فأقره على، ثم عزله⁽⁴⁾.

3- عبيد الله بن مسعود، الوالى والقاضي باليمن.

4- عثمان بن حنيف على البصرة.

5- قيس بن سعد على مصر، وكان شهد فتح مصر، واحتضن بها داراً، وولي ها لعلي ثم عزله بمحمد بن أبي بكر⁽⁵⁾.

6- عمارة بن شهاب على الكوفة.

7- قثم بن العباس على المدينة المنورة، سنة 37هـ، على مكة والطائف⁽⁶⁾.

8- جعدة بن هبيرة المخزومي، ثم خلید بن فرة اليربوعي على خراسان⁽⁷⁾.

9- عبد الله بن عباس كان والياً على البصرة، وكان أبو الأسود الدؤلي على ق ضائتها، وفي قول ولی عبد الله بن عباس على القضاء في البصرة عبد الرحمن بن يزيد الحدّانى، وكان أخا المهلب بن أبي صفرة لأمه، وبقى قاضياً عليهم أيام على بن أبي ط الب، وطائفة من عمل معاوية حتى قدم زياد فعزله⁽⁸⁾، وقال أبو عبيدة: كان ابن عباس يف تى الناس ويحكم بينهم⁽⁹⁾، وإذا خرج ابن عباس عن البصرة استخلف أبا الأسود، فكان ه و المفتى، والقاضي يومئذ يدعى المفتى، فلم يزل كذلك حتى قتل على سنة أربعين، ونقل عن أبي الأسود أقضية طريفة، ولما خرج أمير المؤمنين على من المدينة إلى البصرة ولأ ى عليها عبد الله بن عباس⁽¹⁰⁾.

10- سعيد بن نمران الهمданى الذي عينه على لما قدم الكوفة، ثم عزله، ثم استقضاه مصع ب ابن الزبير على الكوفة فقضى ثلاثة سنوات، ثم عين ابن الزبير عبد الله بن عتبة بن منصور⁽¹¹⁾.

(1) المصدر نفسه، ص (160).

(2) تاريخ القضاء في صدر الإسلام، جبر محمود، ص (239).

(3) أخبار القضاة (227/2).

(4) تاريخ القضاة في الإسلام، ص (149).

(5) تاريخ الطبرى (589/5).

(6) المصدر نفسه (71/6).

(7) تاريخ القضاة في الإسلام، ص (151).

(8) أخبار القضاة (288/1).

(9) المصدر نفسه (288/1).

(10) تاريخ القضاة في الإسلام، ص (151).

(11) أخبار القضاة (397، 396/2).

11- عبيدة السلماني، محمد بن حمزة الذي عينه على قضاء الكوفة بعد عزل سعيد الهمذاني، وقال له: أقضوا كما كنتم تقضون، ثم عزله وعين شريحاً، وقال الشعب: كان شريحاً أعلم الناس بالقضاء، وكان عبيدة يوازي شريحاً في القضاء، ولوه أقضية طريقة، وكان من علماء الكوفة المشهورين، وكان شريحة يستشيره ويرجع إليه⁽¹⁾.

12- محمد بن يزيد بن خلدة الشيباني، عينه على قاضياً على الكوفة، وله أقضية فيها⁽²⁾.

وقد كان قضاة على في الأمسار هم ولاته على البلدان المختلفة لأن ولايتهم كانت عامة تشمل الحكم والإدارة وإقامة الحدود والإمامية والقضاء وجبائية الصدقات وغيرها⁽³⁾، وكان على رضي الله عنه يطلب من ولاته التحرى في تعين القضاة، مما يدل على أنه خول لهم تعين القضاة في البلدان التابعة لولاياتهم، مع أن الولاية في الغالب – هم قضاة الأمسار التي يقيمون فيها، إلا أنه ورد ذكر أسماء عدد من قضاة الأمسار في عهد علي، كما مر معنا، ويبدو أن ولاة الأمسار كان لهم الحق في النظر في المظالم التي يرفعها الناس ضد أحكام القضاة، وبالدرجة الأولى التي حكم فيها قضاة ولوا من قبلهم وليس من قبل الخليفة، كما كان لهم النظر في المظالم الأخرى من قبل قضاة البلدان لمعینين من قبل الخليفة بحكم عموم ولايتهم⁽⁴⁾، إلا أنهم كانوا يرجعون إلى الخليفة في مذهب هذه القضايا، ومن المعروف أن الخلفاء كانوا يفتحون أبوابهم لمن يجأ بالشكوى سواء كانت الشكوى ضد الولاية أو ضد القضاة أو عمال الخراج أو غيرهم⁽⁵⁾.

رابعاً: الأسلوب القضائي عند أمير المؤمنين على، ونظرته للأحكام الصادرة قبله، والمؤهلين للقضاء ومكانه ومجانية الحصول على الحكم:

1- إيقاؤه على أسلوب القضاة: يظهر أن علياً بن أبي طالب رضي الله عنه كان ينوي إدخال بعض التعديلات في أسلوب القضاة وأصول المحاكمات بما يتناسب مع التطور الجديد التي طرأت على المجتمع، إلا أنه أرجأ ذلك إلى أن تستقر الأمور، فقد أثر عنه رضي الله عنه إنه قال: أقضوا كما تقضون حتى تكونوا جماعة، فإني أخشى الآخرين⁽⁶⁾.

2- عدم نقضه الأحكام الصادرة قبله: وحرصاً على استقرار الأمور فإن أمير المؤمنين كان يرى بأنه لا يحق للقاضي أن ينقض حكمه أصدره قاض آخر، وقد كان هو – رضي الله عنه – كتب الكتاب بين أهل نجران وبين النبي × فكثروا في عهد عمر حتى خافهم على الناس، فوقع بينهم الاختلاف، فأتوا عمر، فسألوه البطل، فأبدلهم، ثم ندموا، ووضع عليهم شيئاً فأليه، فأبى أن يقيدهم، فلما ولى على أتوه فقالوا: يا أمير المؤمنين شفاعتك بساندك وخطك بيمنيك، فقال على: وبحكم إن عمر كان رشيد الأمر⁽⁷⁾، ولأن أرد قضاة قضى به عمر⁽⁸⁾.

3- الأهلية للقضاء: القضاة من الولايات العامة، ولذلك يتشرط في القاضي ما يشتهر

(1) طبقات ابن سعد (10/6)، أخبار القضاة (2/399، 401).

(2) أخبار القضاة (1/395).

(3) قضاة أمير المؤمنين، عبد الله بن عثمان، ص (290).

(4) الأحكام السلطانية، ص (77) للماوردي.

(5) الولاية على البلدان (2/93).

(6) مصنف عبد الرزاق (11/329).

(7) سنن البيهقي (10/120).

(8) المغني (9/577).

ط فيمن تكون له ولادة عامة على المسلمين من العقل والبلوغ والإسلام، ويشترط في القاضي أن يكون عفيفاً عما في أيدي الناس، حليماً لا تثيره الكلمة، ولا يغضبه التصرف ا لنابي، عالمًا بأحكام الشريعة، وبناسخها ومنسوخها، فقد قال على بن أبي طالب لقاض: هل تعلم الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت⁽¹⁾، وإنما سأله على عن الناسخ والمنسوخ لأن معرفته ليس بالأمر السهل في ذلك العصر، ويشترط فيه أن يكون عالماً بما قضى به القضاة السابقون، حتى لا يخرج عن خطهم في القضاء، حسماً لفوضى الأحكام، وأن يكون متواضعاً لا يرى غضاضة في استشارة ذوى العلم والعقل الراجح، لأن هذه الشورى تبعده عن الخطأ في الأحكام، وأن يكون جريئاً في الحق لا يتأخر عن النطق بالحكم به، ولو أغضب ذوى السلطان، وقد جمع ذلك كله قوله على رضي الله عنه: لا ينبغي أن يكون القاضي قاضياً حتى تكون فيه خمس خصال: عفيف، حليم، عالم بـ ما كان قبله، يستشير ذوى الآلاب، لا يخاف في الله لومة لائم⁽²⁾.

4- مكان القضاء: على القاضي أن يختار مكان جلوسه بين المتخاصمين في وسط ا لمدينة بحيث لا يشق على أحد الوصول إليه، ولذلك كان على رضي الله عنه يأمر شريراً القاضي - بالجلوس في المسجد الأعظم⁽³⁾، لييسر الوصول إليه⁽⁴⁾.

5- مجانية الحصول على الحكم: لما كانت إقامة العدل بين الناس من أهداف الدولة الإسلامية، فإن الفقه الإسلامي يقتضي بـ لا يقام أي حائل بين صاحب الحق وبين الحصول على حقه، ولذلك فإن المتقاضيين لا يدفعان للقاضي ولا للدولة شيئاً من المال للحصول على الحكم الذي يفصل الخلاف بينهما، بل الدولة الإسلامية هي التي تتکلف بنفقات الحكم والمحكمة، وقد كان على رضي الله عنه يعطي شريحاً على القضاة رزقاً، وقد رزق حين ولاده القضاء في الكوفة كل شهر خمسمائة درهم⁽⁵⁾.

6- بذور المحاماة: في العهد الراشد ظهرت بذور المحاماة، فكان على رضي الله عنه يوكل أخاه عقبلاً في المخاصمة، ولما أسن عقيل، وكل عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عنه أمام القضاء، وكان يقول: ما قضى لوكيلي فلى، وما قضى على وكيلي فعلى⁽⁶⁾.

خامسًا: ما يجب على القاضي:

لكي يتحقق القاضي العدل في الأحكام لابد له من مراعاة ما يلي:

1- دراسة القضية المعروضة عليه دراسة واعية: ولا يجوز له أن يتسرع في إصدار الحكم قبل الانتهاء من الدراسة، والاطمئنان إلى الحكم، ولذلك قال على لشريح: لسانك عبده ما لم تتكلم، فإذا تكلمت فأنت عبده، فانتظر ما تقضى، وفيه تقضى؟ وكيف تقضى؟⁽⁷⁾

2- المساواة بين الخصوم: فقد نزل على ضيف، فكان عنده أيامًا، فأتاها في خصومة، فقال له على: أخصم أنت؟ قال: نعم، قال: فارتاح علينا، فإننا نهينا أن ننزل خصمًا إلا مع خصم

(1) سنن البيهقي (10117).

(2) المعنى (43/9).

(3) مسند زيد (137/4)، موسوعة فقه على بن أبي طالب، ص (506).

(4) موسوعة فقه على بن أبي طالب، ص (506).

(5) موسوعة فقه عمر، ص (506).

(6) أصول المحاكمات الشرعية، ص (70)، تاريخ القضاء في الإسلام، ص (132).

(7) كنز العمال (14433).

(٤)

3- عدم الصيام بالمتخاصمين: ولی على بن أبي طالب رضي الله عنه أبا الأسود الـ دؤلي القضاء، ثم عزله فقال: لم عزلتني وما خنت ولا جنت؟ فقال: إنما رأيتك يعلو كلا مك على الخصمين^(٢).

4- الابتعاد عن المؤثرات ومجاهدة النفس: سواء كانت هذه المؤثرات قرابة، أو مالاً، أو بغضناً أو.. فقد جاء جعده بن هبيرة إلى على بن أبي طالب فقال: يا أمير المؤمنين، يأتيك ا لرجلان أنت أحب إلى أحدهما من نفسه، والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك، فتفتضى لهذا على هذا؟ قال: فلمزه على وقال: هذا شيء لو كان لي لفعتل، ولكن إنما ذلك شيء الله^(٣).

5- الشورى: وعلى القاضي أن يستشير ذوى العلم، والرأي لئلا يفلت منه حق، وقد كان على رضي الله عنه أحد أعضاء الشورى الذين يحرص الخلفاء على استشارتهم عند ما تعرض عليهم مشكلة، فقد روى الخصاف في أدب القاضي أن عثمان بن عفان كان إذا جاءه الخصمان قال لهما: ادع عليهما، وقال لهما: ادع طلحة والزبير ونفرًا من أصحاب رسول الله × فإذا جاءوا إليه قال لهم: تكلما، فإذا تكلما يقبل عليهم فيقول: ماذا تقولون؟ فإن قالوا ما يوافق قضى عليهما ولا ينظرهما بعد^(٤).

المبحث الثالث

من فقه أمير المؤمنين على بن أبي طالب

أولاً: في العبادات:

لم يألُ أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه جهدًا في بيان أحكام العبادات للناس، لما يتمتع به من غزارة في العلم وفقه في الدين، وما بينه للناس من أحكام العبادات يحتاج إلى سفر ضخم^(٥)، ولكن نشير إلى مجموعة من الأحكام في هذا الكتاب على النحو التالي:

أحكام في الطهارة:

1- يغسل من بول الجارية وينضح من بول الغلام ما لم يطعم: قال أمير المؤمنين على رضي الله عنه: يغسل من بول الجارية، وينضح من بول الغلام ما لم يطعم^(٦)، والدليل على ذلك، لما قال الحسين بن علي في حجر النبي × قالت لبابية بنت الحارث: يا رسول الله، أعطني ثوبك، والبس ثواباً، غيره، قال ×: إنما ينضح من بول الذكر، ويغسل من بول الأنثى^(٧).

2- نومجالس وحكمه في نقض الوضوء: أخرج عبد الرزاق في مصنفه بسند أنه علىً، وأiben مسعود، والشعبي قالوا في الرجل ينام وهو جالس: ليس عليه الوضوء^(٨)، ول على ذلك حديث رسول الله ×: «وَكَاءَ السَّهْ عَيْنَانَ، فَمَنْ نَامَ فَلِيَوْضُأَ»^(٩).

(١) كنز العمال برقم 14429، مصنف عبد الرزاق (300/8).

(٢) المعني (104/9).

(٣) فقه على بن أبي طالب، قلعي، ص (508).

(٤) شرح أدب القاضي للخصاف (305/1)، موسوعة على بن أبي طالب، ص (508).

(٥) انظر على سبيل المثال: موسوعة فقه على بن أبي طالب، محمد قلعي، فقه الإمام على، أحمد ط

(٦) صحيح سنن أبي داود لللباني (75/1) صحيح موقف.

(٧) صحيح سنن ابن ماجه (85/1) حسن صحيح.

(٨) المصنف (131/1).

(٩) صحيح سنن أبي داود لللباني (1) (203/1).

3- غسل المذى والوضوء منه: قال أمير المؤمنين على رضي الله عنه: كنت رجلاً مذاء فأمرت رجلاً⁽¹⁾ أن يسأل النبي × - لمكان ابنته - فسألها، فقال ×: توضأ، واغسل ذكرك⁽²⁾.

4- قراءة القرآن من دون المصحف - على كل حال ما لم يكن جنباً: قال على بن أبي طالب رضي الله عنه: كان رسول الله × يقرئنا القرآن على كل حال ما لم يكن جنباً⁽³⁾، وعن عامر الشعبي قال: سمعت أبا الغريف الهمداني يقول: شهدت على بن أبي طالب بال ثم قال: أقرعوا القرآن ما لم يكن أحدكم جنباً، فإذا كان جنباً فلا، ولا حرفاً⁽⁴⁾.

5- وطء الحائض: سأله عمر رضي الله عنه عليهما ما ترى في رجل وقع على امرأته وهي حائض؟ قال: ليس عليه كفارة إلا أنه يتوب⁽⁵⁾، وقد أجمعوا الأمة على حرمة وطء الحائض دون خلاف⁽⁶⁾، لقوله تعالى: +وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذْيٌ فَإِعْتَزْ لِمَا وَالْدَّسَاءُ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا طَهَرْنَ فَأَذْوَهُنَّ مِنْ حِدَثٍ أَمْرَكَمُ اللَّهُ" [البقرة: 222].

6- مباشرة الحائض: فقد سئل على - رضي الله عنه: مالك من أمر أنت إذا كانت حائضًا؟ قال: ما فوق الإزار⁽⁷⁾، ودليله في ذلك عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان إحدانا إذا كانت حائضًا أمرها رسول الله فتائزرا بيازار ثم يباشرها⁽⁸⁾.

أحكام في الصلاة:

1- لا يقرأ القرآن راكعاً ولا ساجداً: قال على بن أبي طالب رضي الله عنه: نهاني رسول الله عن قراءة القرآن وأنا راكع، أو ساجد⁽⁹⁾.

2- من لم يصل فهو كافر: سُئل أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين ما ترى في امرأة لا تصلى؟ قال: من لم يصل فهو كافر⁽¹⁰⁾، قال عبد الله بن شقيق: لم يكن أصحاب رسول الله × يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة، ولأنها عبادة يدخل بها في الإسلام، فيخرج بتتركها منها كالشهادة⁽¹¹⁾، ويفيد هذا الحكم قول رسول الله ×: «إن بين الرجل وبين الشرك والكافر ترك الصلاة»⁽¹²⁾. قال الإمام النووي: تارك الصلاة إن كان منكرًا لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين، خارج من ملة الإسلام، إلا أن يكون قريباً عهد بالإسلام، ولم يخالف المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه، وإن كان تركه تكاسلاً مع اعتقاد وجوبها - كما هو حال كثير من الناس - فقد اختلف العلماء فيه، فذهب مالك والشافعي (رحمهما الله) والجامهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر بل يفسق، ويستتاب، فإن تاب وإلا قتلناه حدًا، كالذاني المحسن، ولكنه يقتل بالسيف، وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر، وهو مروي عن على بن أبي طالب

(1) الرجل هو المقادد كما في رواية البخاري.

(2) مسلم، ك الحبيب (247/1).

(3) مسنده أحمد (51/2) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(4) مصنف عبد الرزاق (336/1).

(5) مصنف ابن أبي شيبة (59/1).

(6) بداية المجتهد (57/1)، المجموع (359/2).

(7) فقه الإمام على بن أبي طالب (155/1).

(8) مسلم (166/1).

(9) مسلم (349/1).

(10) مصنف ابن أبي شيبة (47/11)، كنز العمل (13/8).

(11) المعنى (44/2).

(12) مسلم ك. الإيمان (88/1).

ب (رضي الله عنه)، وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل (رحمه الله)، وبه قال عبد الله بن المبارك، وإسحاق بن راهويه، وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي، وذهب أبو حذيفة وجماعة من أهل الكوفة، والمزني صاحب الشافعي أنه لا يكفر ولا يقتل، بل يعزز وبحبس حتى يصلى⁽¹⁾.

3- إعادة الصلاة في الوقت: إذا أعاد المصلى صلاته في الوقت لفضيلة الجماعة فإن⁽²⁾ الأولى فرضه والمعادة نافلة عند على، نقل ذلك عن ابن قدامه، وعن الحارث عن على في الذي يصلى وحده، ثم يصلى في جماعة، قال: صلاته الأولى⁽³⁾، أي الثانية نافلة له، ودليله ما رواه أبو ذر حيث قال: قال لي رسول الله ×: «كيف أنت إذا كانت عليك النساء يميّتون الصلاة أو يؤخرون الصلاة عن وقتها، فإن أدركتها معهم فصلٌ فإنها لك نافلة»⁽⁴⁾، وجه الدليلة أنه سمي التي يصلى بها جماعة نافلة⁽⁵⁾، وإذا أعاد المغرب شفع بركعة⁽⁶⁾.

4- قضاء الفوائت: من فاتته صلاة فيجب عليه قضاوها، ويستحب أن يقضيها على الفور عند على، وقد قال على: إذا نام الرجل عن صلاة أو نسي فليصلِّ إذا استيقظ أو ذكر⁽⁷⁾ على هذا إجماع المسلمين دون خلاف⁽⁸⁾، والدليل على ذلك قول رسول الله ×: «إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها، فإن الله يقول: + أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي

5- صلاة التراويف: عن أبي عبد الرحمن السلمي أن علياً قام بهم في رمضان⁽¹⁰⁾، وعن إسماعيل بن زياد قال: مر على المساجد وفيها القناديل في شهر رمضان فقال: نور الله على عمر قبره، كما نور علينا مساجدنا⁽¹¹⁾، وعلى هذا إجماع مذاهب أهل السنة⁽¹²⁾، والحجة في ذلك ما رواه أبو هريرة أن النبي × قال: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»⁽¹³⁾، وجه الدليلة أن التراويف من القيام فهو سنة⁽¹⁴⁾، والجماعة في التراويف أفضل عند على وكان هو يصليلها جماعة⁽¹⁵⁾، ويجعل للرجال إماماً وللنساء إماماً، فعن عرفجة النقفي قال: كان على بن أبي طالب يأمر الناس بقيام شهر رمضان ويجعل للرجال إماماً وللنساء إماماً، قال عرفجة: فكنت أنا إمام النساء⁽¹⁶⁾، وصلاة التراويف لها دليل في أصلها من هدي النبي ×: فعن عروة بن الزبير أن عائشة - رضي الله عنها - أخبرته أن رسول الله × خرج ذات ليلة من جوف الليل، فصلوة في المسجد، وصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس يتحدثون، فاجتمع أكثر منهم، فصلوا معه، فأصبح الناس فتحتثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله فصل

(1) شرح صحيح مسلم (70/2)، المغني (447-442/2).

(2) المعني (113/2).

(3) مصنف ابن أبي شيبة (276/2)، كنز العمل (22833).

(4) مسلم، أك المساجد رقم (240).

(5) فقه الإمام على بن أبي طالب (177/1).

(6) مصنف ابن أبي شيبة (276/2).

(7) المصدر نفسه (64/2).

(8) فقه الإمام على بن أبي طالب (181/1).

(9) مسلم ك المساجد ومواضع الصلاة (477/1) رقم (684).

(10) المعني (169/2)، مصنف ابن أبي شيبة (395/2).

(11) المعني (169/2).

(12) بداية المجتهد (214/1)، المعني (165/2).

(13) مسلم رقم (759).

(14) فقه الإمام على بن أبي طالب (285/1).

(15) المعني (168/2).

(16) المجموع (34/4)، مصنف ابن أبي شيبة (222/2).

ى الناس بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال: «أما بعد فانه لم يخف على مكانتك، ولكنني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها»، فتوفى رسول الله والأمر على ذلك⁽¹⁾.

6- صلاة العيد في المسجد بالشيوخ والضعفاء: لما تولى أمير المؤمنين على بن أبي طالب الخلافة وصار بالكوفة، وكان الخلق بها كثيرين، قالوا: يا أمير المؤمنين، إن بالمدينة شيوخاً وضعفاء يشق عليهم الخروج إلى الصحراء فاستخلف على بن أبي طالب رجلاً يصلى بالناس العيد في المسجد، وهو يصلى بالناس خارج الصحراء، ولم يكن هذا يفعل قبل ذلك، وعلى من الخلفاء الراشدين، وقد قال النبي ×: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي»⁽²⁾، فمن تمسك بسنة الخلفاء الراشدين فقد أطاع الله ورسوله⁽³⁾.

7- تغسيل الرجل زوجته: يجوز للرجل أن يغسل زوجته عند على إذ إنه غسل زوجته فاطمة رضي الله عنها⁽⁴⁾، وعن أسماء بنت عميس قالت: أوصت فاطمة إذا ماتت لا يغسلها إلا أنا وعلي، قالت: فاغسلنها أنا وعلي⁽⁵⁾، وحکى إجماع الصحابة على ذلك لأن ذلك اشتهر فيهم ولم ينكروه⁽⁶⁾، وبه قال جمهور العلماء والحجۃ لهم لقول رسول الله × لعائشة: «ما ضرك لو مت قبلي فاغسلنك وكفنتك ثم صليت عليك ودفعتك»⁽⁷⁾.

8- الكفن من مال الميت: يحسب تكاليف تكفين الميت من رأس ماله إن كان له مال عند على⁽⁸⁾. فعن عبد الله بن ضميرة عن أبيه عن جده عن على رضي الله عنه أنه قال: الكفن من رأس المال⁽⁹⁾، والحجۃ في ذلك أن مصعب بن عمر قتل يوم أحد ولم يوجد له شيء يكفن فيه إلا نمرة، فكنا إذا وضعناها على رأسه خرجت رجلة وإذا وضعناها على رجلية خرج رأسه، فقال رسول الله ×: «ضعوها مما يلي رأسه واجعلوا على رجلية الآخر»⁽¹⁰⁾، وجه الدلالة، أنه لو كان واجداً على المسلمين لأخذ له من المسلمين الحاضرين ما يتم به كفنه⁽¹¹⁾.

9- كفن الرجل والمرأة وعدم المغالاة فيه: يسن أن يكفن الرجل في ثلاثة أثواب، والمرأة في خمسة أثواب عند على، نقل ذلك عنه الكاساني وغيره⁽¹²⁾، ويكره المغالاة في الكفن وهو الزيادة على الثلاثة للرجل والخمسة للمرأة عند على⁽¹³⁾، فقد قال أمير المؤمنين على: كفن المرأة خمسة أثواب وكفن الرجل ثلاثة، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين⁽¹⁴⁾.

10- غسل الشهيد وكفنه: لا يغسل الشهيد ولا يكفن عند على، فقد نقل ذلك عنه الكاس

(1) البخاري رقم (2012).

(2) سنن الترمذى في العلم (2276) حسن صحيح.

(3) الفتاوى (113/24).

(4) السبيل الجرار (344/1)، المبسوط (71/2).

(5) مصنف عبد الرزاق (410/3)، المحتفى (175/5).

(6) المعني (252/2)، نيل الأوطار (58/4).

(7) سنن ابن ماجه رقم (1464) إسناده صحيح.

(8) فقه الإمام على بن أبي طالب (305/1).

(9) الطبراني الأوسط (6774) إسناده ضعيف.

(10) مسلم (649/2) رقم 940.

(11) فقه الإمام على بن أبي طالب (306/1).

(12) البدائع (776/2)، المبسوط (72/2).

(13) فقه الإمام على بن أبي طالب (307/1).

(14) البدائع (766/2)، المبسوط (72/2).

انى وغيره⁽¹⁾، وروى عنه أنه لم يغسل من قتل معه في قتال مع مخالفيه ولم يأمر بتوكفينهم، بل دفن عماراً ولم يغسله⁽²⁾، وهذا قول جمهور أهل العلم إلا الحسن البصري وسعيد د بن المسيب لقولهما أن الميت يجب⁽³⁾.

أحكام متعلقة بالزكاة:

1- لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول: بِيَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ أَنْ حَوْلَانَ الْحَوْلَ وَلَا شَرْطٌ فِي وِجُوبِ الزَّكَاةِ، لَمَّا وَرَدَ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَيْسَ فِي مَالٍ زَكَاةٌ حَتَّىٰ يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ⁽⁴⁾، وَالْحَوْلُ شَرْطٌ لِوِجُوبِ الزَّكَاةِ فِي النَّفَودِ وَالْمَوَاشِيِّ، وَأَمْوَالِ التَّجَارَةِ، وَلَيْسَ بِشَرْطٍ فِي الزَّرْعِ، وَذَلِكَ إِجْمَاعٌ لَا خَلَافٌ فِيهِ⁽⁵⁾.

2- نصاب الذهب والفضة ومقدار الزكاة فيهما: بِيَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ أَنْ طَالَ بِرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ نَصَابَ الْذَّهَبِ عَشْرُونَ مِنْقَالًا، وَلَيْسَ فِيمَا دُونَهُ زَكَاةً، وَمَا زَادَ فِيهِ أَسْبَهُ، حَيْثُ يَقُولُ: لَيْسَ فِيمَا دُونَ عَشْرِينَ دِينَارًا شَيْءٌ، وَفِي عَشْرِينَ نَصَافَ دِينَارٍ، وَفِي أَرْبَعينَ دِينَارٍ، فَمَا زَادَ بِالْحِسَابِ⁽⁶⁾.

وقال عن نصاب الفضة: لَيْسَ فِي أَقْلَمِ مِائَتِي درَهم زَكَاة⁽⁷⁾، وَقَالَ: فَإِذَا بَلَغَ مِائَتَي درَهم فَفِيهِ خَمْسَةُ دَرَاهِمٍ، وَإِنْ نَقَصَ عَنِ الْمِائَتَيْنِ فَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، وَإِنْ زَادَ عَلَىِ الْمِائَتَيْنِ بِحِسَابٍ⁽⁸⁾.

3- نصاب الإبل ومقدار الزكاة فيها: قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه: في خمس من الإبل شاة إلى تسع، فإن زادت واحدة ففيها شاتان إلى أربع عشرة، فإن زادت واحدة ففيها ثلاثة شياه إلى تسع عشرة، فإن زادت واحدة ففيها أربع شياه إلى أربع وعشرين، فإن زادت واحدة ففيها خمس شياه⁽⁹⁾، فإن زادت واحدة ففيها بنت مخاض أو لبون (ذكر أكبر منها بعام) إلى خمس وثلاثين، فإن زادت واحدة ففيها بنت لبون إلى خمس وأربعين، فإن زادت واحدة ففيها حقة «طرقه الفحل» إلى سنتين، فإن زادت واحدة ففيها بنتا لبون إلى تسعين، فإذا كثرت الإبل فهي كل خمسين من الإبل حقة، ولا يجيء مع بين مفترق ولا يفرق بين مجتمع⁽¹⁰⁾.

4- الأصناف التي تجب فيها الزكاة من الزروع: الأصناف التي تجب فيها الزكاة عند علی هي الحنطة والشعير والتمر والزبيب، نقل ذلك عنه ابن حزم وغيره⁽¹¹⁾، وقد قال على: الصدقة عن أربع: من البر فإن لم يكن بر فتمر، فإن لم يكن تمر فزبيب، فإن لم يكن زبيب فشuber⁽¹²⁾.

5- عدم الزكاة في الخضروات والفواكه والعلس: قال أمير المؤمنين على: لَيْسَ فِي الْخَضْرَاءِ صَدَقَة⁽¹³⁾، وَفِي رَوَايَةِ: لَيْسَ فِي الْخَضْرَاءِ وَالْبَقْوَلِ صَدَقَة⁽¹⁴⁾، وَهُوَ قَوْلُ جَمِيعِ الْمُجَاهِدِينَ.

(1) البidayh (2/287)، فقه الإمام على بن أبي طالب (1/306).

(2) المغني (2/534)، فقه الإمام على (1/306).

(3) البidayh (2/806)، المغني (2/529).

(4) مسند حمد (2/211)، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(5) موسوعة فقه الإمام على، قلعيجي، ص (295).

(6) مصنف ابن أبي شيبة (3/119).

(7) المصدر نفسه (3/117).

(8) المحلى (6/61)، المجموع (6/59).

(9) عند ابن قدامه في المغني (2/579) من 20 إلى 35 فيها بنت مخاض.

(10) مصنف ابن شيبة (3/122).

(11) المحلى (5/212)، فقه الإمام على (1/346).

(12) مصنف ابن أبي شيبة (3/438).

(13) مصنف عبد الرزاق (7188)، جمع الجامع (2/157).

لماء⁽¹⁾، ولا زكاة في الفواكه عند على، فعن أبي إسحاق عن على قال: ليس في التفاح و ما أشبه صدقة⁽²⁾، وعن عاصم بن ضمرة عن على قال: ليس في الخضر صدقة؛ البقل والنفاح والفتاء⁽³⁾، وهو قول كل من قال باقتصار وجوب الزكاة على الأصناف الأربع، والحجارة لهم لدخولها تحت حكم الخضروات لاشتراكه معها في عدم البقاء والادخار⁽⁴⁾، وأما زكاة العسل فهي غير واجبة عند على حيث قال: ليس في العسل زكاة⁽⁵⁾.

6- صرف الزكاة لصنف واحد: يجوز إعطاء الزكاة لصنف واحد من الأصناف المانية، أو لشخص واحد بها عند على، فقد قال: لا بأس أن يبعث الرجل الصدقة في صدف واحد⁽⁶⁾، وروى عنه أنه أتى بصدقة فبعثها إلى أهل بيت واحد⁽⁷⁾.

7- إعطاء الزكاة للأصول والفروع: قال أمير المؤمنين على: ليس لولد ولا لوالد حلق في صدقة مفروضة، ومن كان له ولد أو والد فلم يصله فهو عاق⁽⁸⁾، وحکي إجماع العلماء على هذا، وحمل من خالقه على صدقة التطوع، والحجارة لهم لأن منفعتها تعود على دفع الزكاة لأنها تغنيهم عن النفقه فلا يدفعها إليهم، وقد يتذبذب ذلك حيلة للتخلص من دفع الزكاة، ثم إن الزكاة والنفقة واجبان مستقلان لا يحل أحدهما مكان الآخر كالصلة والصوم، وإن الزكاة حق الله تعالى فهي عبادة، وأما النفقه فهي حق العباد، وهي صلة القرابه⁽⁹⁾.

أحكام متعلقة بالصيام:

1- ثبوت صيام رمضان برؤية الواحد العدل: يثبت دخول شهر رمضان عند أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه بخبر الواحد العدل، ويلزم الناس بصيامه، فعن فاطمة بنت الحسين أن رجلاً شهد عند على بن أبي طالب رضي الله عنه على رؤية هلال رمضان فصام، وأحسبه قال: وأمر الناس بالصيام⁽¹⁰⁾، وهذا الحكم مبني على ما ثبت عن رسول الله ×: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غبى عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثة يوماً»⁽¹¹⁾.

قال النووي: المراد رؤية بعض المسلمين، ولا يشترط رؤية كل إنسان، بل يكفي جميع الناس رؤية عدلين، وكذا عدل على الأصح، وأما الفطر فلا يجوز بشهادة عدل واحد على هلال شوال عند جميع العلماء إلا ثور فجوزه بعد⁽¹²⁾.

2- صيام الجنب: يجوز أن يصوم الجنب أي يؤخر الغسل حتى يصبح، ثم يغسل ويتم صومه عند على، نقل ذلك عنه ابن قدامة وعن الحارث عن على قال: إذا أصبح الرجال وهو جنب فأراد أن يصوم فليصم إن شاء⁽¹³⁾، والدليل على ذلك ما ورد عن عائشة

(14) سنن البيهقي نقلًا عن فقه الإمام على (347/1).
(1) فقه الإمام على (347/1).

(2) جمع الجواب (95/2)، فقه الإمام على (348/1).
(3) مصنف عبد الرزاق (7199)، فقه الإمام على (348/1).

(4) فقه الإمام على بن أبي طالب (345/1).
(5) جمع الجواب (157/2)، فقه الإمام على (345/1).

(6) فقه الإمام على (352/1)، نقلًا عن سنن البيهقي.

(7) البائع (104/20)، فقه الإمام على (352/1).

(8) سنن البيهقي نقلًا عن فقه الإمام على (355/1).

(9) فقه الإمام على بن أبي طالب (335/1).

(10) المجموع (315/6)، المغني (90/3)، موسوعة فقه الإمام على، ص(42).

(11) مسلم (759/2).

(12) شرح صحيح مسلم (190/7).

(13) مصنف ابن أبي شيبة (81/2)، المغني (137/1).

وأم سلمه: أن رسول الله ﷺ كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم^(١).

3- الإفطار للشيخ الكبير: قال أمير المؤمنين على رضي الله عنه في تفسيره قول الله تعالى: **وَعَلَى الَّذِينَ يُطْبِقُونَهُ فِدْيَةً طَعَامٌ مِسْكِينٌ** [البقرة: 184] قال: ا لشيخ الكبير الذي لا يستطيع الصوم يفطر ويطعم مكان كل يوم مسكيناً⁽²⁾.

4- مكان الاعتكاف: عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي قال: لا اعتكاف إلا في مسجد جماعة⁽³⁾, وفي لفظ: لا اعتكاف إلا في مصر جامع⁽⁴⁾, ولعله قصد بذلك أن الاعتكاف لا يقام إلا في مسجد مصر الجامع الذي تقام فيه الجمعة⁽⁵⁾.

5- ما يجوز للمعتكف: قال على: إذا اعتكف الرجل فليشهد الجمعة وليرعى المريض
ولأشهد الحزاوة وإنما أهلها ملائكة هم بالحاجة وهو قائم⁽⁶⁾

من أحكام الحج: **البر وعيته وعمرم بباب وorum .**

١- تقيل المحرم امرأته: قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب: من قبل امرأته وهو محرم فليهرق دمًا⁽⁷⁾.

2- قتل المحرم للحيوان الصالح: عن مجاهد عن علي في الضبع إذا عدا على المحرم فليقتلها، فإن قتله قبل أن يعود عليه شاة⁽⁸⁾، ودليل ذلك قوله تعالى: + فَمَنْ أَضْطَرَ غَيْرُ بَاغٍ وَلَا عَادَ فَلَا إِنْثَمْ عَلَيْهِ " [البقرة: 173]⁽⁹⁾، لأنه إن لم يقتله قتله فتحة ق منه الأضرار، ثم إنه إن قاتل بذلك حيواناً شريراً فليلحق بالمؤذيات التي يجوز قتلها⁽⁹⁾.

3- قتل الغراب: يجوز للحرم قتل الغراب عند على، فقد قال: يقتل المحرم الغراب⁽¹⁰⁾، ودليل ذلك قول رسول الله ×: خمس فواسق يقتلن في الحرم: الفارة، والعقرب، والغراب، والحديا، والكلب العقرور⁽¹¹⁾.

4- الشك في الطواف: قال أمير المؤمنين: إذا طفت في البيت فلم تدر أتمت أو لم تتم، فأت ما شكت فإن الله لا يعذب على الزiyادة(12).

5- النسيان في الطواف: إذا نسى الرجل فطاف أشواطاً زائدة على المسنون يضيف إليها ما يبلغه مجموع أشواط طوافين عند على، قال على في الرجل ينسى فيطوف ثمانية فلizerd عليها ستة حتى تكون أربعة عشر ويصل إلى أربع ركعات⁽¹³⁾.

6- النيابة للحج: من استطاع بماله الحج ولم يستطع ببده لشيخوخة أو مرض يجب عليه أن ينوب عنه غيره عند على، نقل ذلك عنه ابن حزم وغيره⁽¹⁴⁾، فقد قال في الشيخ

(البخاري 232/2)

تفسير الطبرى (81/2)

3) مصنف عبد الرزاق (8009)
4) مصنف ابن الأشرش (91/3)

فقه الإمام علي بن أبي طالب (386/1) مصنف ابن أبي سبيه (913)

٦) مصنف ابن أبي شيبة (87/3)، جمع الجوامع (140/2).
 ٧) نهاد، اسم حبيبي بني أبي شيبة (١٣٨٥).

(7) فتح العزيز، شرح الوجيز للرافعى الهاشمى

⁸ مصنف ابن أبي سبيبة (6/4). (403/1).

(٩) فقه الإمام على بن أبي طالب (٤٠٣/١).
(١٠) محققة، ابن الأشراف (٩١/١).

10 مصنف ابن أبي سبيه (94/4).
11 سنن الترمذى (166/1) حسن صحيح

مصنف ابن أبي شيبة (96/4). مسندر مسلم (1135) میں ہے۔

13) مصنف عبد الرزاق رقم 9814

.(228/30)، المغنی (14)، المحلی (61/7).

الكبير، أنه يجهز رجالاً ينفقه فيحج عنه⁽¹⁾، ولليل ذلك ما روى ابن عباس أن امرأة من خثعم قالت: يا رسول الله × إن أبي شيخ كبير عليه فريضة الله في الحج وهو لا يستطيع أن يستوي على ظهر بعيره، فقال النبي ×: «فحجي عنه»⁽²⁾، وهذا يدل على أن الاستطاعة بالمال كافية لوجوب الحج على المكلف عند على ومن معه، أما الاستطاعة بالبدن في كفى أن يستطيع بعيره إذا وجد سواء أكان بمؤنة أو إجارة أو غيرهما⁽³⁾.

7- الشك في عدد الرميات: إذا شك الحاج في عدد رمي الجمرات يعيد ما شك فيه عند على، فعن أبي مجلز أن رجلاً سأله ابن عمر فقال: إني رميت الجمرة ولم أدر رميت سنتاً أو سبعاً، قال: أنت وذاك الرجل يريد عليك، فذهب فسألته فقال: أما أنا لو فعلت في صلاتي لأعدت الصلاة، فجاء فأخبره بذلك، فقال: صدق، أو أحسن، قال الشيخ: وكأنه أراد والله أعلم لأعدت المشكوك في فعله، كذلك في الرمي يعيد المشكوك في رميها⁽⁴⁾.

بعض الأحكام الحقائق بالعبدات:

1- إدراك الميتة قبل موتها: إذا أدرك الحيوان الآيل إلى الموت قبل موته بوقت قص رذبح جاز أكله، وعلامة حياته قبل ذبحه أن يتحرك منه عضو بعد ذبحه عند على⁽⁵⁾ فقد قال: إذا وجدت الموقوذة، والمتربدة والنطيحة وما أصاب السبع فوجدت تحريك يد أو رجل ذكرها وكل⁽⁶⁾، ولليل ذلك قول الله تعالى: **حُرْمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمْ وَلَا حِمْأَةُ الْخَنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْذَقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمَتَرَدِيَّةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ** [المائدة: 3] ووجه الدلالة أن قوله تعالى: **إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ** استثناء مما سبقه، أي إلا ما أدركتم ذكاته فيحل أكله⁽⁷⁾.

2- ذبائح نصارى العرب: لا يحل أكل ذبائح نصارى العرب استثناء من عموم الذصارى عند على، نقل ذلك عنه الطبرى وغيره⁽⁸⁾، وعن عبيدة السلمانى قال: لا تؤكل ذبائح نصارى العرب فإنهم لا يتمسكون من النصرانية إلا بشرب الخمر⁽⁹⁾، وفي رواية: لا تأكلوا ذبائح نصارى بني تغلب فإنهم لم يتمسكون بشيء من النصرانية إلا بشرب الخمر⁽¹⁰⁾، وقد استدل على ذلك بعدم التزامهم بتعاليم النصرانية في تحليل ما حلوا وتحريم ما حرموا فلا يعودون منهم، ولكن الله تعالى حين أحل ذبائحهم أحلها في وقت كان النصارى منحرفين عن أصل تعاليم النصرانية سواء عن عقيدتها، أو في أحکامها، فلم يمذع ذلك من تحليل ذبائحهم، فهذا ما عليه جمهور الصحابة والفقهاء⁽¹¹⁾.

3- ذبيحة الفخر: يحرم أكل ما ذبح فخرًا عند على رضي الله عنه، فعن الجارود بن أبي سبرة قال: كان رجل من بني رياح يقال له ابن وشيل - وهو سحييم - قال: وكان شاعرًا نافرًا غالبه أبو فرزدق الشاعر بما بظهر الكوفة على أن يعقر هذا مائة من إبله وهم ذات مائة من إبله إذا وردت فلما وردت الإبل الماء قاما إليها بالسيوف فجعلوا يكسعن عرا

(1) المحلى (61/7).

(2) مسلم (974/2) رقم (1335).

(3) فقه الإمام على بن أبي طالب (420/1).

(4) سنن البيهقي (149/5) نقلًا عن فقه الإمام على (418/1).

(5) فقه الإمام على بن أبي طالب (456/1).

(6) المحلى (458/7).

(7) فقه الإمام على بن أبي طالب (456/1).

(8) تفسير الطبرى (56/6)، تفسير القرطبي (78/6).

(9) مصنف عبد الرزاق (10035)، تفسير الطبرى (65/6).

(10) مصنف عبد الرزاق (10034)، كنز العمال (15651).

(11) تفسير الطبرى (65/5)، بداية المجتهد (456/1).

قيهما، فخرج الناس على الحمرات⁽¹⁾ يرثدون اللحم، وعلى⁽²⁾ بالكوفة، فخرج على بعلة رسول الله ×، وهو ينادي أهلا الناس: لا تأكلوا من لحومها فإنه أهل بها لغير الله. قال ابن حزم: إن رسول الله قال: «لعن الله من ذبح لغير الله»⁽²⁾, ووجه الدلالة أن الذبح لأجل افخر مما أهل به لغير الله، فيشتمل الحديث⁽³⁾.

4- نجاسة البيضة داخل الدجاجة الميتة: البيضة في بطن الدجاجة الميتة نجسة عند على⁽⁴⁾ لا يجوز أكلها سواء أصلبت قشرتها أم لا، نقل ذلك عنه ابن قدامة⁽⁴⁾.

5- طعام المشركين والمجوس غير الذبائح: لا يأس بأكل طعام المجوس والمشركين إذا لم يكن فيها من ذبائحهم، لأن التحرير خاص بالذبائح، فقد قال أمير المؤمنين على: لا يأس بطعام المجوس إنما نهى عن ذبائحهم⁽⁵⁾, وفي رواية: لا يأس بأكل خبز المجوس إذ ما نهى عن ذبائحهم⁽⁶⁾, وهو قول جمهور الفقهاء⁽⁷⁾.

6- ترك الشيب أبيض يجوز ترك الشيب أبيض دون تغييره بحناء أو غيره عند على، نقل ذلك عنه ابن حجر وغيره⁽⁸⁾, وعن الشعبي قال: رأيت عليه⁽⁹⁾ أبيض الرأس واللحية قد ملأت ما بين منكبيه⁽⁹⁾ وعن أبي إسحاق: رأيت عليه⁽¹⁰⁾ أصلع أبيض الرأس واللحية⁽¹⁰⁾, وعن ابن الحنيفة أن عليه⁽¹¹⁾ اختضب الحناء مرة ثم ترك⁽¹¹⁾.

7- اللعب بالنرد والشطرنج: لعب النرد حرام عند أمير المؤمنين على⁽¹²⁾ حيث قال: لا⁽¹³⁾ ن أقلب جمرتين أحب إلى⁽¹⁴⁾ من أن أقلب كعبين⁽¹²⁾. وكان لا يسلم على أصحاب الترشير⁽¹³⁾, ودليل تحريره قول رسول الله ×: «من لعب الترشير فكانه صبغ يده في لحم الخنزير ودمه»⁽¹⁴⁾. والشطرنج حرام عند على⁽¹⁵⁾ أيضًا نقله عنه ابن قدامة⁽¹⁵⁾, وكان يقول في الشطرنج: هو ميسر الأعاجم⁽¹⁶⁾, وفي رواية هو من الميسر⁽¹⁷⁾, وعن ميسرة بن حبيب قال: مر على بن أبي طالب على قوم يلعبون بالشطرنج فقال: ما هذه التمااثيل التي أنتم لها عاكفون، لأن يمس جمرًا حتى يطفأ خير له من أن يمسها⁽¹⁸⁾, وعن عمار بن أبي عمارة قال: مر على بمجلس من مجالس تيم الله وهو يلعبون بالشطرنج فوقف عليهم فقال: أما والله لغير هذا خلقت، أما والله لو لا تكون سنة لضررت بها وجوهكم⁽¹⁹⁾, والحجة في هذا التحرير بين المتألعين هو علة الميسر المحرم بنص الكتاب فيقال عليه⁽²⁰⁾.

(1) فقه الإمام على (467/1).

(2) مسلم، أك الأضاحي، باب تحرير الذبح لغير الله (1567/3).

(3) فقه الإمام على بن أبي طالب (468/1).

(4) المعنى (75/1)، المجموع (245/1).

(5) كنز العمال (2576)، فقه الإمام على بن أبي طالب (476/1).

(6) المعنى (296/4).

(7) فقه الإمام على (477/1).

(8) المتقد (270/7)، فقه الإمام على (495/1).

(9) فقه الإمام على (495/1).

(10) مصنف ابن أبي شيبة (9/427).

(11) مصنف ابن أبي شيبة (9/427).

(12) المصدر نفسه (738/8).

(13) إعلان السنن للنهانوي (464/17).

(14) مسلم (1770/4) رقم (2260).

(15) المعنى (10/212).

(16) إعلان السنن للنهانوي (464/17)، فقه الإمام على (501/1).

(17) إعلان السنن للنهانوي (464/17)، فقه الإمام على (501/1).

(18) المعنى (17/9).

(19) سنن البهفي نقلًا عن فقه الإمام على (502/1).

(20) فقه الإمام على (502/1).

8- نكاح المتعة: قال أمير المؤمنين على رضي الله عنه: نسخ رمضان كل صوم و نسخ المتعة الطلاق والعدة والميراث⁽¹⁾, وجة على ما رواه عن النبي × بأنه نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خير⁽²⁾.

9- النكاح بدون ولی: عن أبي قيس الأودي أن علياً كان يقول: إذا تزوج بغير إبن ولی ثم دخل بها لم يفرق بينهما وإن لم يصبها فرق بينهما⁽³⁾.

10- العيوب الجسدية في المرأة: إذا وجد الرجل فيمن تزوجها عيباً يصعب المقام معه، قال أمير المؤمنين على: إنه إذا دخل بها وجب المهر وخلاف بين الطلاق والإمساك ، وإن لم يدخل بها فرق بينهما بدون مهر⁽⁴⁾.

11- نكاح الخصي: قال أمير المؤمنين على: لا يحل للخصي أن يتزوج، فإن تزوج ولم تعلم المرأة، فرق بينهما عند على، فقد قال: لا يحل للخصي أن يتزوج امرأة مسلمة عفيفة⁽⁵⁾، ودليل ذلك أن الخصاء من العيوب المنفرة التي يصعب معه الجماع أو ينعدم، فقيس على غيره من العيوب التي جاز بها التفريح⁽⁶⁾.

12- من تزوج أختين جهلاً بأنهما أختان: من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى ظهرت أنهما أختان يفارق التي تأخر زواجهها عند على، فعن ابن حريج قال: أخبرت عن على أنه قال في رجل تزوج امرأة فأصابها ثم انطلق إلى أرض أخرى فتزوج امرأة فأصابها، فإذا هي أختها فقضى أنه يفارق الآخرة ويراجع الأولى، غير أنه لا يراجعاً الأولى حتى قضى هذه عدتها⁽⁷⁾، وهو قول جمهور فقهاء المذاهب⁽⁸⁾، والوجه لهم: أن نكاح الأول وقع صحيحًا دون الثانية، فإنه باطل لا ينعقد⁽⁹⁾.

13- تحريم وطء الزوجة في دبرها: وطء الزوجة في دبرها حرام عند على، نقل ذلك عنه ابن قدامة⁽¹⁰⁾، فعن أبي المعتمر قال: نادى على على المنبر فقال: سلوني، فقال رجل: أنتي النساء في أدبارهن؟ فقال: سفلت سفل الله بك، ألم تر أن الله تعالى يقول: + إِذْكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقُكُمْ بِهَا مِنْ أَهَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ [العنكبوت: 28]، وروى ذلك عن عبد الله ابن عباس وعبد الله بن عمرو وأبي هريرة، وبه قال سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن ومجاهد وعكرمة وهو قول أبي حنيفة والشافعى وأحمد والمالكية والظاهرية⁽¹¹⁾، ودليل التحريم، قول رسول الله ×: «ملعون من أتى امرأته في دبرها»⁽¹²⁾، وجه الدلالة: أن النهى عن الشيء وترتيب اللعن عليه يدل على الاتحريم⁽¹³⁾.

14- عدة الحامل المتوفى عنها زوجها: إذا كانت المرأة حاملاً وتوفي زوجها فوضعت قبل أن تنتهي عدتها فعند على أنها تعتد أبعد الأجلين، أي عدة الحمل، إذا لم تضع ق

(1) فقه الإمام على (509/2)
(2) مسلم، ك النكاح (1027/2) رقم (1407).

(3) مصنف عبد الرزاق (196/6).

(4) كنز العمال (45664)، مصنف عبد الرزاق (10677)، فقه الإمام على (535/2).

(5) مصنف عبد الرزاق (10719).

(6) فقه الإمام على بن أبي طالب (536/2).

(7) مصنف عبد الرزاق (10517).

(8) المدونة (280/2)، المغني (2581/6).

(9) فقه الإمام على بن أبي طالب (562/2).

(10) المغني (22/7).

(11) المغني (22/7)، المحيى (69/7)، تفسير القرطبي (93/3).

(12) سنن أبي داود (256/2)، الجامع الصغير (539/2).

(13) فقه الإمام على بن أبي طالب (568/2).

بل عدة المتوفى عنها زوجها، فإن وضعت قبل ذلك تعتد أربعة أشهر وعشراً، نقل ذلك عن ابن رشد وغيره⁽¹⁾، وعن عبد الرحمن بن معقل قال: شهدت عليه ساله رجل عن أم رأة توفى عنها زوجها وهي حامل قال: تترخص أبعد الأجلين⁽²⁾، وعن الشعبي كان يقول: أجل كل حامل آخر الأجلين⁽³⁾، وقد جمع أمير المؤمنين على رضي الله عنه بين قول الله تعالى: +أَوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجْلَهُنَّ أَن يَضْعُفُنَ حَمْدُهُنَ [الطلاق:4]، وقوله تعالى: +وَالَّذِينَ يَتَوَفَّونَ مَذْكُومٌ وَيَذْرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصُنَ بِأَنفُسِهِنَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا [البقرة:234]، إذ بينهما عموم وخصوص فلا يترجح لعمل بأحدهما دون الآخر، فيعمل بالاثنتين للخروج من الطن إلى اليقين والخلص من التعارض⁽⁴⁾.

والراجح أن عدتها وضع الحمل في كلتا الحالتين، فقد صح عن عبد الله بن عتبة أن سبعة بنت الحارث أخبرته أنها كانت تحت سعد بن خولة، وكان ممن شهد بدرًا، فتوفى عنها في حجة الوداع وهي حامل، فلم تتب أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعاك، فقال لها: مالي أراك متجملة؟ لعلك ترجين النكاح؟ إنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشرين. قالت سبعة: فلما قال لي ذلك جمعت على ثيابي حين أمسكت فأتيت رسول الله × فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حلت حين وضعت حمي وأمرني بالتزوج إن بدا لي⁽⁵⁾.

وهذا قول جمهور علماء المسلمين. وقيل: حصل الإجماع على ذلك بعد سماع هذا الحديث⁽⁶⁾، وقال الشعبي: ما أصدق أن على بن أبي طالب كان يقول عدة المتوفى عنها وجهها آخر الأجلين⁽⁷⁾، ولعل عليه قال بذلك لعدم بلوغه حديث سبعة وإلا فلا يخالف على الصحيح الثابت عن النبي ×⁽⁸⁾.

بعض الأحكام المتعلقة بالمعاملات المالية:

- 1- جواز السلطان: قال أمير المؤمنين على رضي الله عنه: لا بأس بجواز السلطان ، ما يعطكم من الحلال أكثر مما يعطيكم من الحرام⁽⁹⁾، وقال أيضًا: لا تسأل السلطان شيئاً، فإن أعطاك فخذ وإن ما في بيتك من الحلال أكثر مما فيه من الحرام⁽¹⁰⁾.
- 2- الهدية لرفع الظلم وأخذ الحق: من نصر شخصاً في حق أو دفع عنه ظلماً لا يجوز له أن يقبل هدية من نصره أو رفع عنه الظلم عند على، نقل ذلك عنه ابن حزم⁽¹¹⁾.
- 3- عدم ضمان العارية: لا يضمن المستعير العارية إذا تلفت بدون تعد عند على⁽¹²⁾، فقد قال على: ليست العارية مضمونة إنما هو معروف إلا أن يخالف فيضمن⁽¹³⁾.
- 4- عدم ضمان الوديعة: الوديعة أمانة بيد المودع عنده، فإذا تلفت عنده من غير جنا

(1) بداية المجتهد (95/2)، نيل الأوطار (77/8).

(2) مصنف ابن أبي شيبة (300/4).

(3) المصدر نفسه (298/4).

(4) سبل السلام (198/3).

(5) البخاري رقم (5318)، مسلم (1484).

(6) المعنى (473/7)، فقه الإمام على (716/2).

(7) سبل السلام (198/3).

(8) فقه الإمام على بن أبي طالب (617/2).

(9) المعنى (444/6)، فقه الإمام على (716/2).

(10) المعنى (444/6).

(11) المحلي (129/9).

(12) فقه الإمام على بن أبي طالب (721/2).

(13) مصنف عبد الرزاق (4788).

ية فلا ضمان عليه عند علىٰ، فقد قال رضي الله عنه: لا يضمن صاحب العارية ولا الوديعة⁽¹⁾.

5- بيع الغنيمة للكفار: لا يجوز بيع ما غنم المسلمون من أموال الكفار في الحرب إلى الكفار أنفسهم عند علىٰ رضي الله، فعن أم موسى قالت: أتى علىٰ بن أبي طالب بأني مرصعة بالذهب من آنية العجم فأراد أن يكسرها ويفصلها بين المسلمين، فقال ناس من الدهاقين: إن كسرت هذه كسرت ثمنها، ونحن نغلي لك بها، فقال علىٰ: لم أكن لأرد لكم ملكاً نزعه الله منكم فكسرها وفصلها بين الناس⁽²⁾، وقد فعل أمير المؤمنين ذلك حتى لا تذكر لهم بأمجادهم أو تعود بالنفع عليهم.

6- تضمين الصناع: وذلك حفاظاً لأموال الناس من الضياع، قال الشاطبي: إن الخلفاء الراشدين قضوا بتضمين الصناع، قال علىٰ بن أبي طالب رضي الله عنه: لا يصلح الناس إلا ذاك⁽³⁾، وفي هذا مقصود من مقاصد الشريعة وهو حفظ الأموال من الضياع⁽⁴⁾، وفي مصنف عبد الرزاق أن علىٰ رضي الله عنه ضمن الخياط والصباغ، وأشباه ذلك احتياطاً للناس⁽⁵⁾.

7- عقد الذمة وعدم التشديد في الجباية عليهم: قال أمير المؤمنين علىٰ: لا يقبل من مشركي العرب إلا الإسلام أو السيف، أما مشركون العجم فتؤخذ منهم الجزية، وأما أهل الكتاب من العرب والعجم فإن أبوياً أن يسلموا وسألونا أن يكونوا أهل ذمة قبلنا منهم الجزية⁽⁶⁾، وعن علىٰ أنه قال: إنما قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا⁽⁷⁾، وكان رضي الله عنه يستعمل الرفق في طريقة أخذها واليسير في مقدارها، فعن عبد الملاك بن عمير قال: أخبرني رجل من ثقيف قال: استعملني علىٰ بن أبي طالب، فقال: لا تضررين رجالاً سوطاً في جباية درهم ولا تبيعن لهم رزقاً ولا كسوة شتاء ولا صيف، ولا دية يعملون عليها، ولا تقم رجالاً قائماً في طلب درهم، قال: قلت: يا أمير المؤمنين إذ أرجع كما ذهبت من عندك، قال: وإن رجعت كما ذهبت، إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفة ويعنى الفضل⁽⁸⁾.

ثانياً: في الحدود:

1- عقوبة المرتد: قال أمير المؤمنين علىٰ رضي الله عنه: يستتاب المرتد ثلاثة، فإن عاد وألا قتل⁽⁹⁾. وجة قتله: ما روى ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «من بدل دينه فاقتلوه»⁽¹⁰⁾، وأما دليل استتابته فما روى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ استتاب رجلاً ارتد عن الإسلام أربع مرات⁽¹¹⁾.

وروى عن علىٰ في استتابة الزنديق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر قولهان هما:
أ- لا فرق في الاستتابة بين من أظهر الردة، وبين الزنديق الذي أظهر الإسلام وأبط

(1) المصدر نفسه (14786).

(2) فقه الإمام علىٰ بن أبي طالب (752/2).

(3) الاعتصام (19/2).

(4) مقاصد الشريعة الإسلامية، ص (602).

(5) مصنف عبد الرزاق (217/8)، موسوعة علىٰ بن أبي طالب، ص (22).

(6) فقه الإمام علىٰ (756/2).

(7) المعنى (375/8) فقه الإمام علىٰ (756/2).

(8) كنز العمال (14346)، المعني (537/8).

(9) مصنف ابن أبي شيبة (138/10).

(10) البخاري رقم (3017).

(11) مجمع الزوائد (262/6) فيه ضعف.

ن الكفر، وقامت عليه البينة بذلك⁽¹⁾.

فقد روى عبد الرزاق أن محمد بن أبي بكر كتب إلى على عن مسلمين تزندقا فكتب إليه: إن تابا وإلا فاضرب أعناقهما⁽²⁾.

ب- يستتاب من أظهر الردة ولا يستتاب الزنديق، فقد روى الأثرم بإسناده إلى على (رضي الله عنه)، أنه أتى برجل عربي قد تنصر، فاستتابه فأبى أن يتوب فقتلته، وأتى به رهط يصلون وهم زنادقة وقد قامت عليهم بذلك الشهود العدول، فجحدوا وقالوا: ليس لنا دين إلا الإسلام، فقتلتهم ولم يستتبهم، قال: أذرروني لم استتببت النصراني؟ استتبته لأنّه أظهر دينه، فأما الزنادقة الذين قامت عليهم البينة فإنما قتلتهم لأنّهم جحدوا، وقد قامت عليه م البينة⁽³⁾.

وأما المرأة المرتدة فقد ورد فيها عند على قوله:

أ- لا فرق بينها وبين الرجل في حكم القتل، وقد روى هذا القول أيضًا عن أبي بكر رضي الله عنه، وقال به الحسن والزهري والنخعي ومكحول وحماد ومالك والليث والأوزاعي والشافعي وإسحاق⁽⁴⁾.

ب- المرأة تسترق ولا تقتل، وهذا القول قال به الحسن وقتادة، لأنّ أبا بكر استرق نساء بنى حنيفة وذراريهم وأعطى عليًّا منهم امرأة فولدت محمد ابن الحنيفة، وكان ذلك بمحضر من الصحابة فلم يذكر، فكان إجماعاً⁽⁵⁾، كما أنّ قصة بعث على إلى بنى ناجية دليل على هذا الرأي، وسيأتي الحديث لاحقاً وفيها: وقتل مقاتلتهم وبسي ذراريهم⁽⁶⁾.

وقد قتل أمير المؤمنين على المرتدين بطريق مختلفة حسب حال كل منهم على النحو التالي:

أ- ضرب العنق بالسيف: كما في جواب على بن أبي طالب رضي الله عنه لمحمد بن أبي بكر عندما سأله عن مسلمين تزندقا؟ فقال: فأما اللذان تزندقا، فإن تابا، وإلا فاضرب أعناقهما⁽⁷⁾.

ب- الضرب حتى الموت: ففي مصنف ابن أبي شيبة أن عليًّا أتى برجل نصراني أسلم ثم تنصر، فسألته عن كلمة قال له، فقام إليه على فرسه برجله، فقام الناس إليه فضربوه حتى قتلوه⁽⁸⁾.

ج- الإحرق بعد القتل: كما في قصة المستورد العجي حيث أسلم ثم ارتد، فإن عليًّا رضي الله عنه أحرقه بعد أن قتله، ولعل عليًّا رضي الله عنه أحرقه لما خاف أن ينشرن قومه جنته، بعد أن رفض على تسليمها مقابل مبلغ من المال بذلوه له⁽⁹⁾.

د- القتل بالإحرق: كما في قصة على رضي الله عنه، مع السبيئة كما سبق بيانه⁽¹⁰⁾.

(1) المعني (126/8)، موسوعة فقه على بن أبي طالب، ص (273).

(2) المصنف (342/7) (170/10).

(3) المعني (4141/8)، موسوعة فقه على بن أبي طالب، ص (273).

(4) المعني (123/8).

(5) المعني (123/8)، فتح الباري (12). (268/12).

(6) مصنف ابن أبي شيبة (144/10).

(7) مصنف عبد الرزاق (359/8).

(8) المحلى لأبن حزم (190/11).

(9) موسوعة فقه على بن أبي طالب ص (275).

(10) منهاج على بن أبي طالب، ص (275).

وقتل المرتد فيه حفظ لأهل الدين، ومن مقاصد الشريعة الغراء حفظ الدين، فقد لاحظنا حرص الخلفاء الراشدين على تنفيذ أحكام الله في أهل الأهواء والخارجين عن الدين، وإنزال العقوبة المناسبة بهم، ومن أعظمها قتل المرتدين وقتالهم، كما فعل الخلفاء الراشدين وهذا تنفيذ لقول رسول الله ×: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بآحادي ثلث: الشيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعه»⁽¹⁾.

وقال ابن تيمية: فإنه لو لم يقتل ذلك - يعني المرتد - لكان الداخل في الدين يخرج منه فقتله حفظ لأهل الدين، والدين، فإن ذلك يمنع من النقص ويعندهم من الخروج عنه⁽²⁾.

2- حد الزنا:

أ- قصة رجم قال الشعبي: كان لشراحة زوج غائب بالشام، وإنها حملت، فجاء بها مولاها إلى أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: إن هذه زنت واعترفت، فجلدها يوم الخميس مائة جلد، ورجمها يوم الجمعة، وحرق لها إلى السرة، وأنا شاهد، ثم قال: إن الرجم سنة سنها رسول الله ×، ولو كان شهد على هذا أحد لكان أول من يرجم الشاهد بشهادته، ثم يتبع شهادته حجره، ولكنها أقرت، فأنا أول من يرميها، فرميها بحجر، ثم رمى الناس وأنا منهم، فكنت والله فيمن قتلها، وفي لفظ لأحمد والبخاري أن علّيماً قال: جلتها بكتاب الله، ورجمتها بسنة رسول الله ×⁽³⁾، وهذا الحكم القضائي اجتهاد لعلّي وهو مختلف فيه بين الفقهاء، وقال الجمهور بعدم الجمع بين الجلد والرجم⁽⁴⁾.

وجاء في رواية: حفر لها حفرة بالسوق فدار الناس عليها أو قال بها، فضربهم بالدرة، ثم قال: ليس هكذا الرجم إنكم إن تقلعوا هذا يفتاك بعضكم بعضاً ولكن صفووا كصفوفكم للصلة ثم قال: أيها الناس، إن أول الناس يرجم الزاني الإمام إذا كان الاعتراف، وإذا شهد أربعة شهود على الزنا، أول الناس يرجم الشهود بشهادتهم عليه، ثم الإمام ثم الناس، ثم رماها بحجر وكبر، ثم أمر الصف الأول فقال: ارموا، ثم قال: انصرفوا، وكذلك صدفأ صفا حتى قتلواها⁽⁵⁾.

ب- تأجيل رجم الحامل: المرأة الحامل إذا ثبت عليها الزنا لا يقام عليها الحد حتى تضع حملها عند على⁽⁶⁾، فعن رضي الله عنه قال: إن خادمًا للنبي × فجرت، فأمرني أن أقيم عليها الحد، فوجدتني لم تجف من دمها، فأتيتها فذكرت له، فقال: «إذا جفت من دمها فقم عليها الحد، أقيموا الحدود على ما ملكت أيمانكم»⁽⁷⁾، وقد قام بهذا الحكم في خلافة ع.

ج- المستكره على الزنا: لا حد على المستكره على الزنا عند على ولها مهر إلا مثل بذلك⁽⁸⁾، فقد قال في البكر تستكره على نفسها أن للبكر مثل صداق إحدى نسائها وللثيبي مثل صداق⁽⁹⁾ مثتها).

د- زنا المضطرة: إذا اضطرت امرأة على الزنا لإنقاذ حياتها من الموت فلم يدفع إلا به سقط عنها الحد عند على⁽¹⁰⁾، فقد جاء في رواية: أن امرأة أتت عمر فقلت: إني زني

(1) البخاري رقم (6878).

(2) مجموع الفتاوى (102/20).

(3) البخاري، ك الحدود (253/4).

(4) تاريخ القضاء في الإسلام، ص (152).

(5) مصنف عبد الرزاق 13335، فقه الإمام على (782/2).

(6) فقه الإمام على (783/2).

(7) مسنون الإمام أحمد رقم (1137) صحيح لغيره.

(8) فقه الإمام على (786/2).

(9) مصنف عبد الرزاق (13607).

(10) فقه الإمام على (788/2).

فارجمي فردها حتى شهدت أربع شهادات فأمر بترجمها، فقال على: يا أمير المؤمنين ، ردها فاسألاًها ما زناها لعل لها عذرًا؟ فردها فقال: ما زناك؟ قالت: كان لأهلي إيل فخذ رجت في إيل أهلي فكان لنا خليط⁽¹⁾، فخرج في إيله فحملت معي ماء ولم يكن في إيل لـ بين ، وحمل خليطنا ماء وكان في إيله لين ، فنفدت مائي فاستسقنت قابي أن يسقيني ، حتى ألم كنه من نفسي ، فأبكيت حتى كادت نفسي تخرج أعطيته ، فقال على: الله أكبر ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد ، أرى لها عذرًا⁽²⁾ ، وزيد في روایة: فأعطتها عمر شيئاً وتركتها⁽³⁾ ، وفـ د ذكر الفقهاء هذه الحادثة ضمن الإكراه على الزنا فلم يختلفوا في سقوط الحد بالإكراه⁽⁴⁾ ، ولكن الإكراه غير الاضطرار لأن الاضطرار فيه الإقدام على الفعل اختياراً ، أما الإكراه فلا إقدام فيه وإنما يساق إلى الفعل جبراً ، بدليل أن الله تعالى ذكر الإكراه مـ ستقلـا عن الاضـطـرار كما في قوله تعالى: +إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقُدْبَهُ مَطْمَئِنٌ بِإِلَيْهِ مَـانَ " [النـحل:106] وقولـه تعالى: +وَلَا تَذْكُرْهُ وَفَتَيَاتَكُمْ عَلَى الْبَغْـاعَ " [النور:33] ، وقولـه تعالى: +فَمَنْ أضطـرَّ غـيرَ بـاغٍ وـلا عـادٍ فـلا إـثمٌ عـلـيـهِ " .

وقد استدل على رضي الله عنه بآلية الأخيرة، ووجه الدلالة أن الاضطرار لإنقاذ الحياة يرفع العقوبة الأخروية عن المضطرب، فهو يسقط العقوبة الدنيوية من باب أولى في حقوق الله تعالى، ويؤخذ من هذه المسألة: عمل على بقاعدة الضرورات تبيح المحظورة ت⁽⁵⁾

هـ- درء الحدود بالشبهات: تدرأ الحدود بالشبهات عند علىٰ، فعن الضحاك بن مزاحم عن علىٰ قال: إذا بلغ في الحدود لعل وعسى فالحد معطل⁽⁶⁾، وعن علىٰ أن امرأة أنتهت فقالت: إني زنيت، فقال: لعاك أتيت وأنت نائمة في فراشك أو أكرهت؟ قالت: أتيت طائعة غير مكرهة، قال: لعلك غصبت علىٰ نفسك، قالت: ما غصبت، فحبسها فلما ولت وشد بابها جلدها⁽⁷⁾، لأنها لم تكن متزوجة ولذلك جلدت.

و- زنا النصرانية: إذا زنت النصرانية فلا تدفع إلى أهل دينها يقيمون عليها حسب دينهم عند على⁽⁸⁾, فعن قابوس بن مخارق أن محمد بن أبي بكر كتب إلى على يس الله عن مسلم زنى بنصرانية، فكتب إليه على: أما المسلم فاقم عليه الحد وادفع النصرانية إلى أهل دينها⁽⁹⁾, إن حد الزنا أمر تعبد فيه التطهير من الإثم، وذلك لا يناسب الخارج عن ملة الإسلام.

ز- الحد كفارة لذنب من أقيم عليه عند علىّ: فعن أبي ليلى عن رجل من هذيل قال
وعداده من قريش سمعت علياً يقول: من عمل سوءاً فأقيم عليه الحد فهو كفارة⁽¹⁰⁾، وف
ي روایة عنه أيضًا: كنت مع علىّ حين رجم شرابة فقلت: لقد ماتت هذه على شر حال
ها، فضربني بقضيب، أو بسوط كان في يده حتى أوجعني فقلت: لقد أوجعني، قال: وإن
أوجعك، قال: فقال: إنها لن تسأل عن ذنبها هذا أبداً كالذين⁽¹¹⁾. ولديل ما ذهب إليه أمير

(1) خليط: الشريك الذي يخلط ماله بمالي غيره.
 (2) كنز العمال ١٣٥٩٦، مغنى المحتاج (٤/١٤٥).

المغني (187/8) (3)

٤) إعلان السنن (671/11)، المغني (877/8).
 ٥) فقه الإمام عا (789/2).

فقه الإمام على (789/2) مصنف عبد الله بن المغيرة (13727/8/21)

فقه الإمام على (761/2).

المصدر السابق (799/1) (8)

مصنف عبد الرزاق (13419). (13355)

المصدر نفسه {13355} . {13353} المصدر نفسه {11}

.(11) نفسه المصدر (13353)

المؤمنين على رضي الله عنه حديث عبادة بن الصامت حيث قال: كنا مع رسول الله × في مجلس فقال: «ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب به، فهو كفارة له، ومن أصاب شيئاً من ذلك فستره الله عليه، فأمره إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه»⁽¹⁾.

إن من قاصد الشريعة حفظ العرض والنسب، فعدم حفظه يترتب عليه مفاسد حاصلة بسبب إهماله: وانتهاكه، ومعلوم ما يحصل من جراء ذلك من الحروب والمقاتل والفساد، واحتلاط الأنساب، وقطع النسل، لأن الزاني ليس له قصد في الولد، وإنما قصده اللذة الحاضرة، فلو لم تحفظ الفروج لعزف الناس عن النكاح، وانتشار الفساد الخلقي وظهور جريمة الزنا، وما ينشأ عنها من مفاسد خلقية وصحية، ونزول المصائب وحلول الكوارث والمحن، ولو لم يرد في ذلك إلا قول الله تعالى: **+ ولا تقربوا الزنى إنما كان فاحشة وساء سبيلاً [إسراء: 32]**، لكان كافياً⁽²⁾، لذلك جاءت الشريعة الغراء بالشرعيات الازمة لحفظ الأعراض والأنساب وقام الخلفاء الراشدون بتنفيذها.

3- حد الخمر:

أ- شرب الخمر في رمضان: عن عطاء عن أبيه أن عليه ضرب النجاشي الحارثي انشاعر، شرب الخمر في رمضان فضربه ثمانين ثم حبسه، فأخرجه الغد فضربه العشرين ثم قال له: إنما جلتك هذه العشرين بجرأتك على الله تعالى، وإفطارك في رمضان⁽³⁾.

ب- حكم الموت بإقامة حد الخمر: عن عليّ، قال: ما من رجل أفmet عليه حدًا، فما فاجد في نفسي إلا الخمر، فإنه لو مات لوديته، لأن النبي × لم يَسْدُنْه⁽⁴⁾.

وقد جاءت الأحكام الشرعية بالمحافظة على العقل الذي ميز الله به الإنسان وكرمه، فحرمت الخمر التي تذهب بالعقل وتعبيه، كما قال تعالى: **+ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَدُوا إِنَّ مَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ إِلَى قوله: + فَهَلْ أَنْذَمْ مِنْهُوْنَ [المائدah: 90، 91]**، وقال رسول الله ×: «كَل مسکر خمر وكل حمر حرام»⁽⁵⁾، ولذلك شرع إقامة الحد على السكران، وحرم المخدرات والمفترات التي تؤثر على سلامه العقل⁽⁶⁾.

إن حفظ العقل مقصود في الشرع لما يترتب عليه من حفظ باقي الضرورات، ولما يترتب على إهماله من مفاسد لا تعد ولا تحصى⁽⁷⁾.

4- حد السرقة:

أ- اشتراط الحرز: يشترط لقطع يد السارق أن يسرق المال من حرز مثله عند على فعن ضميرة قال: قال على: لا يقطع السارق حتى يخرج المتأم من البيت⁽⁸⁾.

ب- سرقة ما فيه شبهة ملك: لا تقطع يد سارق سرق من مال له فيه شبهة ملك، لأن يكون له نصيب فيه عند على⁽⁹⁾، فعن زيد بن ثمار قال: أتى على برجل سرق من الخمس فقال: له فيه نصيب، فلم يقطعه، وعن الشعبي عن على أنه كان يقول: ليس على من

(1) مسلم. ك الحدود، رقم (709) (1333/3).

(2) مقاصد الشريعة للبيوي، ص (255).

(3) كنز العمل 13687، فقه الإمام على (2).

(4) مسند أحمد رقم (1024) إسناده صحيح على شرط الشيفين.

(5) البخاري رقم (5585).

(6) الحكم والتحاكم في خطاب الوحي (1/467).

(7) مقاصد الشريعة للبيوي، ص (243).

(8) كنز العمل 13911، فقه الإمام على (2).

(9) فقه الإمام على (2).

سرق من بيت المال قطع⁽¹⁾.

د- سرقة العبد مولاه: لا تقطع يد عبد سرق من سيده عند علىٰ، فعن الحكم أن علياً قال: إذا سرق عبد من مالى لم أقطعه⁽⁴⁾.

هـ- إثبات السرقة: ثبتت السرقة عند أمير المؤمنين على رضي الله عنه بشهادة شاهدين أو الاعتراف من متين، نقل ذلك عنه ابن قدامة⁽⁵⁾، وعن عكرمة بن خالد قال: كان عليه لا يقطع سارقاً حتى يأتي بالشهداء فيويفهم عليه ويسجنه، فإن شهدوا عليه قطعه وإن نكلوا تركوه فاتى مرة بسارق فسجنه حتى إذا كان الغد دعا به وبالشاهدرين فقيل: تعيّب أحد الشاهدين فخلّى سبيل السارق ولم يقطعه⁽⁶⁾. وعن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه أن رجلاً أتى إلى على فقال: إنني سرقت فانتهرو وسبيه فقال: إنني سرقت، فقال على: اقطعوا قد شهد على نفسه متين، فقد رأيتها في عنقه⁽⁷⁾.

و- كشف السارق قبل أن يسرق: لا يقطع يد السارق عند كشفه قبل أن يخرج المتعاع من الحرز عند علىٰ، فعن الحارت عن علىٰ قال: أتى بمن قد نسب فأخذ علىٰ تلك الحال فلم يقطعه⁽⁸⁾، وفي لفظ بريادة وعزره أسوأ طاماً⁽⁹⁾.

ز- تكرار السرقة: من سرق قطعت يده اليمنى، ثم إن سرق مرة ثانية قطعت رجله اليسرى، فإن سرق ثلاثة ورابعة يعزز ولا تقطع يده الأخرى أو رجله الثانية عند على، ذل ذلك عنه ابن المنذر وغيره⁽¹⁰⁾، وعن عبد الله بن سلمه أن عليه أتى بسارق قطع يده، ثم أتى به فقطع رجله، ثم أتى به فقال: أقطع يده؟ فبأي شيء يتسمح وبأي شيء يأكل؟ ثم قال: أقطع رجله؟ على أي شيء يمشي؟ إني لأستحي من الله، قال: ثم ضربه وخلده إلى سجن⁽¹¹⁾. وعن المغيرة والشعبي قالا: كان على يقول: إذا سرق السارق مراراً قطعت يده ورجله، ثم إن عاد استودعته السجن⁽¹²⁾، وعن الشعبي قال: كان على لا يقطع إلا اليد والرجل، وإن سرق بعد ذلك سجن ونكل، وأنه كان يقول: إني لأستحي من الله أن لا أدع له يدأ يأكل بها ويستجي⁽¹³⁾.

ح- قطع اليد وتعليقها: يستحب أن يُجسم اليد ويعلق المقطوع في عنق المحدود عند على⁽¹⁴⁾، فعن حجية بن عدى: كان على يقطع ويُجسم ويحبس، فإذا برأوا أرسل إليهم فأخرجهم ثم قال: ارفعوا أيديكم إلى الله فيرعنوهما، فيقولون: من قطعكم؟ فيقولون على، فيقولون لهم؟ فيقولون: سرقنا، فيقول: اللهم شهد اللهم أشهد⁽¹⁵⁾، وجسم اليد، فلما لا ينفر الـ

.(1) مصنف عبد الرزاق (18871).

المصدر نفسه رقم (18806) (214/2).

3) فقه الإمام علي (814/2)
4) مذكرة نفاذ العقوبة (10/202)

٤) مصطفى ابن أبي سبيه (202/10).
٥) المخزون (279/8).

المعي (279/8) (6) مصنف عدد الأذواق، 18779

(6) مصنف عبد البرزاق، (9/1878)، حتر العمل، (3908).
 (7) مصنف عبد البرزاق، رقم (18784)، المغني، (8/280).

8) مصنف ابن أبي شيبة (477/9). 9) مصنف ابن سيرين رسم (18, 64). 10) مصنف (200/5).

⁹ كنز العمال (١٣٩١)، فقه الإمام بني يهود.

(١٠) المحتوى (٣٥٤/٣)، المعني (٢٦٤/٨).

¹¹ البَدَاعَ (4273/9)، فِي الْإِمَامِ عَلَى (818/2).

(12) مصنف ابن أبي شيبة (509/9) (13) (18764)

١٣) مصنف عبد الرزاق رقم (١٨٧٦٤).
١٤) فقه الإمام عاصي (٨٢١/٢).

فقه الإمام علي (821/2) {14}
كتاب العمار {15} (1326)

(١٥) متر العمل (١٩٢٦).

دم ويسرع البرء ومخافة سريان الجرح إلى الجسم وتلفه⁽¹⁾.

إن من مقاصد الشريعة الإسلامية حفظ أموال الناس التي هي قوام حياتهم، وقد حرم الإسلام كل وسيلة لأخذ المال بغير حق شرعاً، وحرم السرقة، وأوجب الحد على من ثبتت عليه تلك الجريمة، قال تعالى: +وَالسَّارِقُ فَاقْطَعُوا مَا حَزَأَءَ بِمَا كَسَبَ بَلْ كَمَا لَمْ يَكُنْ أَذْنَانُهُ+ [السارق: 1-2]. وقام الخليفة الراشدين بالإشراف على تنفيذ تلك الأحكام.

ثالثاً: في القصاص والجنايات:

جاءت شريعة الإسلام بأحكام القصاص للمحافظة على النفس ودرء المفاسد الناشئة عن شيوخ القتل وسفاك الدماء المحرمة، كما قال تعالى: +يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتُبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى+ [البقرة: 178]، وقال تعالى: +وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حِيَاةٌ يَا أَوْلَيَ الْأَلْبَابِ+ [البقرة: 179]، وقال تعالى: +وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقُدْ جَعَلَنَا لَوْلَاهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا+ [الإسراء: 33]، وهذه بعض المسائل المتعلقة بأحكام القتل والقصاص والجنايات.

أ- الاشتراك في القتل العمد: إذا اجتمع جماعة على قتل شخص عمدًا فإنهم يقتلون به جميعًا عند على⁽²⁾، وقد روى عنه أنه قتل ثلاثة قتلوا رجلاً⁽³⁾.

ب- من أمر عبده بالقتل: إذا أمر السيد عبده أن يقتل رجلاً فقتلته يقتل السيد عند على⁽⁴⁾ ويحبس العبد، نقل ذلك عن ابن المنذر وغيره⁽⁴⁾، وعن خلاس عن على في رجل أمر عبده أن يقتل رجلاً قال: إنما هو بمنزلة سوطه أو سيفه⁽⁵⁾، وفي رواية: إذا أمر الرجل عبده أن يقتل رجلاً فإنما هو كسيفه أو كسوطه، يقتل المولى ويحبس العبد⁽⁶⁾.

ج- المقتول في الزحام: من قتل في الزحام ولم يعلم قاتله، فإن بيته على بيت مال المسلمين عند على⁽⁷⁾، وعن يزيد بن مذكور الهمданى أن رجلاً قتل يوم الجمعة في المshed في الزحام، فجعل على بيته من بيت المال⁽⁸⁾.

د- جنابة السائق والقائد والراكب: في المسألة روایتان عن على: الروایة الأولى: ساقن الدابة وقادتها وراكبها ضامنون إذا وطئت الدابة، أو ضربت برجلها أحدًا، أو شيئاً عند على لنسبة التقصير وعدم التحرز والتثبت إليهم⁽⁹⁾، فعن خلاس على على: أنه كان يضمن القائد والسائق والراكب⁽¹⁰⁾، والحجة في ذلك، أن الراكب مباشر للقتل لأن الدابة كالآلة في يده، أما السائق، والقائد فهما متسببان، ويضمنان لعدم تحرزهما من الواقع فإذا الجنایة و عدم ثبتها من السوق والقود والركوب بصورة تمنع وقوع الجنایة⁽¹¹⁾، والروایة الثانية: لا ضمان عليهم إذا ثبت عدم التقصير منهم عند على، إذ روى عنه أنه قال: إذا قال: الطريق، فأسمع فلا ضمان عليه⁽¹²⁾، وعن على أنه قال: إذا كان الطريق واسعاً

(1) فقه الإمام على (821/2).

(2) فقه الإمام على (826/2).

(3) المعني (672/7).

(4) المعني (757/7).

(5) مصنف ابن أبي شيبة (371/9).

(6) فقه الإمام على (836/2).

(7) المصدر نفسه (838/2).

(8) الخلافة الرشيدة، يحيى البهبي، ص (502).

(9) فقه الإمام على (841/2).

(10) مصنف ابن أبي شيبة (259/9).

(11) فقه الإمام على (841/2).

(12) المصدر نفسه (842/2).

فلا ضمان عليه⁽¹⁾، واللحجة أو وسع الطريق وتتبّيه المارة هو التحرز والتثبت، فإذا لم يدّي المارة فهو تقصيرهم، فإن أصيّبوا فقد جنوا على أنفسهم فلا ضمان لهم، ولا منافاة بين الروايتين، لأن الأولى مع ثبوت التقصير، والثانية مع عدمه⁽²⁾، وثبتت التقصير على المارة.

هـ- ما أنشئت ببعد فأحدثت تلفاً: من حفر بئراً أو وضع شيئاً أو بناء في مكان لا دّيق له فيه فسبب تلف إنسان كأن يقع في البئر أو يعثر بما وضعه فيما ثبوت فهو ضامن عن على⁽³⁾. فقد قال رضي الله عنه: من حفر بئراً أو عرض عوداً فأصاب إنساناً فهو ضا من⁽⁴⁾.

وـ الخطأ في الشهادة: الخطأ في الشهادة يوجب الضمان عند على، فمن شهد على غيره خطأ في حد أو قصاص فأدلى تلف عضو أو نفس ضمن الديمة عند⁽⁵⁾، فقد روى عن على من طرق متعددة أنه: شهد رجلان بسرقة على رجل، فقطع على⁽⁶⁾ يده، ثم جاء الغد برجل فقال: أخطأنا بالأول، هو هذا الآخر فابلط شهادتهما على الآخر، وأغرمهما دية الأول⁽⁶⁾، وفي رواية فقال: لو كنتما تعمدتماه لقطعتكم فأبطل شهادتهما عن الآخر وأغرمهما دية الأول⁽⁷⁾، واللحجة في ذلك أنهما تسببا في الإنلاف والتسبب موجب للضمان كحافر البئر في الطريق⁽⁸⁾.

زـ اشتراك جماعة في قتل بعضهم بعضاً خطأ: إذا اشتراك جماعة في قتل بعضهم بعضاً خطأ توزعت المسؤلية الجنائية على جميعهم، كل واحد بقدر فعله مطروحاً منه ما جناه الميت على نفسه⁽⁹⁾، فعن خلاس قال: استاجر رجل أربعة رجال ليحفروا له بئراً فحفرواها فانكسرت بهم البئر، فمات أحدهم فرفع ذلك إلى على بن أبي طالب، فضمن ثلاثة ثلات أرباع الديمة وطرح عنه ربع الديمة⁽¹⁰⁾.

حـ من استخدم صغيراً أو عبداً بغير إذن: من استخدم صغيراً بغير إذن وليه أو عبداً بغير إذن مولاً في عمل، أو حمله على دابة فمات إثر ذلك فهو ضامن عند على، فعن الحكم قال: قال على: من استعمل مملوك قوم صغيراً أو كبيراً فهو ضامن⁽¹¹⁾، وقال على: من استعان صغيراً حرراً.. فهو ضامن ومن استعان كبيراً لم يضمن⁽¹²⁾.

طـ الفعل المعنوي: الفعل المعنوي كالإخلافة والتزويع وما شابههما إذا سبب قتل إنسان أو عطبه توجب المسؤلية الجنائية عند على⁽¹³⁾، فعن ابن جريج قال: قلت لعطا: رجل نادي صبياً على جدار أن استأخر فخر فمات؟ قال: يرون عن على أنه قال: يغره ويقول: أفز عه⁽¹⁴⁾، وإيجاب المسؤلية على الفعل المعنوي إجمالاً هو قول جمهور العلماء⁽¹⁵⁾.

(1) مصنف ابن أبي شيبة (559/9).

(2) فقه الإمام على (842/2).

(3) المصدر نفسه (842/2).

(4) مصنف عبد الرزاق (8400).

(5) فقه الإمام على بن أبي طالب (843/2).

(6) مصنف ابن أبي شيبة (409/9).

(7) مصنف عبد الرزاق (18461).

(8) فقه الإمام على (844/2).

(9) المصدر نفسه (844/2).

(10) المحلى (505/10)، فقه الإمام على (844/2).

(11) مصنف ابن أبي شيبة (377/9).

(12) مصنف ابن أبي شيبة (377/9).

(13) فقه الإمام على بن أبي طالب (846/2).

(14) كنز العمال (40/86).

(15) فقه الإمام على (846/2).

ى- جنایة الطبيب: إذا خالف الطبيب أو البيطري شروط المعالجة، فتعطى الإنسان أو الحيوان فهو ضامن⁽¹⁾، فعن الضحاك بن مزاحم قال: خطب على الناس فقال: يا معشد رالأطباء البياطرة والمطبيين من عالج منكم إنساناً أو دابة فليأخذ لنفسه البراءة، فإنه إن عالج شيئاً ولم يأخذ لنفسه البراءة فتعطى فهو ضامن⁽²⁾، وعن مجاهد أن عليه قال في الطبيب: إن لم يشهد على ما يعالج فلا يلوم من إلا نفسه، يقول: يضمن⁽³⁾.

ك- الميت من القصاص والحد: إذا أقيمت حد أو قصاص على مستحق فمات فلا ضمان على المقصى عند على⁽⁴⁾، فقد قال رضي الله عنه: من مات بقصاص بكتاب الله فلا حد له⁽⁵⁾، وقال: من مات في حد فإنما قتله الحد⁽⁶⁾، وقال أيضاً: إذا أقيمت على الرجل حد في الزنا أو السرقة أو قذف فمات فلا حدية له⁽⁷⁾، والحججة في ذلك، أن القصاص واجب، ولو احتج غير مشروط بالسلامة فيه فلا ضمان في أدائه إذا لم يحصل فيه تقصير أو إهمال⁽⁸⁾.

ل- قاطع طريق ألقى القبض عليه: إذا لم يأخذ مالاً ولم يقتل نفساً حبس حتى يتوب، وإذا أخذ مالاً ولم يقتل نفساً قطعت يداه، ورجله من خلاف، وإذا قتل وأخذ المال قطعت يداه ورجله من خلاف ثم صلب حتى يموت، وإن تاب قبل أن يؤخذ ضمن الأموال واقتصر منه ولم يحد⁽⁹⁾.

وقد تاب الحارث بن بدر قبل القدرة عليه، وكان قاطعاً للطريق، فقبل على توبته وأسقط حد الحرابة عنه لأنه تاب قبل القدرة عليه⁽¹⁰⁾.

م- قاتل اعترف بالقتل لدفع التهمة عن متهم بري: أتى برجل إلى أمير المؤمنين على من خربة بيده سكين ملطخة دم، وبين يديه قتيل يتشحط في دمه، فسألها، فقال: أنا قاتلها، قال: أذهبوا به فاقتلوه، فلما ذهب به أقبل رجل مسرعاً فقال: يا قوم لا تعجلوا ردوه إلى على، فردوه، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين ما هذا صاحبه، أنا قاتلته، فقال على للأول: ما حملك على أن قلت أنا قاتلها، ولم تقتلته؟ قال: يا أمير المؤمنين، وما أستطيع أن أصد نع، وقد وقف العسس على الرجل يتشحط في دمه، وأنا واقف بين يدي سكين، وفيها أثر الدم، وقد أخذت في الخربة، فخفت ألا يقبل مني، وأن يكون قساماً، فأعترفت بما لم أصدق، واحتسبت نفسي عند الله، فقال على: بئس ما صنعت، فكيف كان حديثك؟ قال: إني رجل قصاب، خرجت إلى حانتي في الغلس، فذبحت البقرة وسلختها، فبينما أنا أسلخها، والسكين في يدي أخذني البول، فأتيت خربة كانت بقربي، فدخلتها لقضاء حاجتي، وعدت أريد حانتي، فإذا أنا بهذا المقتول يتشحط في دمه، فراعني أمره، ووقفت أنظر إليه، والسكين في يدي، فلم أشعر إلا بأصحابك قد وقفوا على، فأخذوني، فقال الناس: هذا قتل هذا، ما له من قاتل سواه، فأيقتلت أنك لا تترك قولهم بقولي، فأعترفت بما لم أجنه، فقال على للمقر الثاني: فأنت كيف كانت قصتك؟ فقال: أغوناني إيليس فقتلت الرجل طمعاً في ماله، ثم سمعت حس العسس فخرجت من الخربة، واستقبلت هذا القصاب على الحال التي وصفها، فاستترت منه ببعض الخربة، حتى أتى العسس فأخذوه وأتوك به، فلما أمرت

(1) المصدر نفسه (847/2).

(2) مصنف عبد الرزاق (18047).

(3) المصدر نفسه (18046).

(4) فقه الإمام على (847/2).

(5) المصدر نفسه (848/2).

(6) المصدر نفسه (848/2).

(7) مصنف ابن أبي شيبة (342/9).

(8) فقه الإمام على (848/2).

(9) المحطي رقم (252)، عصر الخلافة الراشدة للعمري، ص (151).

(10) عصر الخلافة الراشدة، ص (151).

بقتله علمت أني سأبوء بدمه أيضًا، فاعترفت بالحق، فقال على للحسن: ما الحكم في هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، ابن كأن قد قتل نفساً فقد أحيا نفساً، وقد قال الله تعالى: +وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَ مِنْ أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا+ [المائدة: 32]، فخلى على عنهم، وأخرج دية القتيل من بيت المال⁽¹⁾، ولعله فعل ذلك بعد أن أسقط أولياء القتيل حقهم بالقصاص⁽²⁾.

نـ- امرأة قتلت زوجها يوم زفافها بحضور صديقها: حدث في عهد على رضي الله عنه أن امرأة قتلت زوجها يوم زفافها بحضور صديقها، فكانت العقوبة القتل قصاص⁽³⁾ من الجناة.

سـ- بدل الإبل في دفع الديمة، وكيف تدفع الديمة؟: الإبل أصل في الديمة ويجوز دفع بدها إذ لم يتوافر الإبل عند على، فعن عامر عن على وعبد الله وزيد قالوا: الديمة مائة من بغير⁽⁴⁾، وعن الحسن أن عليهما قضى بالديمة اثنى عشر ألفاً⁽⁵⁾، أي درهم من الفضة، وأما كيفية دفع الديمة، فدية الخطأ وشبه العمد على العاقلة تدفعها مقططاً على ثلات سنين عند على⁽⁶⁾، والحجة في ذلك ما روى عن المغيرة بن شعبة قال: قضى رسول الله × بالدية على العاقلة⁽⁷⁾، وأما تقسيطها، فلأنها كثيرة يصعب أداوها حالاً فقسمت على ثلات سنين بناء على التيسير الذي أمر به الإسلام⁽⁸⁾.

عـ- دية الكتابي: دية الكتابي من اليهود والنصارى مثل دية المسلم⁽⁹⁾، فعن الحكم بن عتبة أن علياً قال: دية اليهودي والنصراني وكل ذمي مثل دية المسلم⁽¹⁰⁾.

فـ- دية الصليب: دية العمود الفقري دية كاملة عند على إذا كسر وقد صاحبه القوة على الجماع، فقد قال على رضي الله عنه: إذا كسر الصليب ومنع الجماع ففيه الديمة⁽¹¹⁾.

صـ- عين الأعور: إذا فقاً إنسان عين الأعور فإن فيها الديمة كاملة أو يقتضي الأعور لنفسه فيفقاً عينًا للجاني ويأخذ نصف الديمة عند على، نقل ذلك ابن قدامة⁽¹²⁾، لأن عين الأعور تعادل عيني البصير في منفعة البصر، لذلك فيها الديمة كاملة⁽¹³⁾.

قـ- دية الأصابع: دية كل أصبع من الأصابع عشر دية النفس عند على، أي عشر مـن الإبل، فعن عاصم بن ضمرة عن على قال: في الأصابع عشر الديمة⁽¹⁴⁾، وفي رواية: في الأصابع عشر العشر⁽¹⁵⁾.

رابعاً التعزير:

كان أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه يؤدب العاصي ويردعه عن مـعصيـته بالتعزير إذا لم يترتب على مـعصـيـته حد، ولـما كـنـتـ عـقـوبـةـ التـعـزـيرـ عـلـىـ الـمـعـصـيـةـ غـيـرـ مـحدـدـةـ، فـإـنـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـىـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ يـذـهـبـ إـلـىـ الـمـلاـعـمـةـ بـيـنـ الـعـقـوبـةـ وـالـ

(1) الطرق الحكمية، ص (56)، القضاء في الإسلام، ص (154).

(2) لقضاء في الإسلام، ص (154).

(3) المعنى (9)، 362/9، 376، الطرق الحكمية، ص (50)، عصر الخلافة الراشدة، ص (153).

(4) مصنف ابن أبي شيبة (128/9).

(5) الأم (177/7).

(6) فقه الإمام علي (853/3).

(7) سنن ابن ماجة رقم (3633).

(8) فقه الإمام علي (854/2).

(9) المصدر نفسه (855/2).

(10) مصنف عبد الرزاق (18494).

(11) مصنف ابن أبي شيبة (231/9).

(12) المعنى (5/8).

(13) فقه الإمام علي (860/20).

(14) مصنف ابن أبي شيبة (193/9).

(15) مصنف عبد الرزاق رقم (17693).

معصية، فكلما تعاظمت المعصية كانت العقوبة أعظم، ولقد تعددت وسائل التعزير عند أمير المؤمنين على ابن أبي طالب رضي الله عنه حسب نوع المعصية وحال العاصي، (١)، ومنها على سبيل المثال:

١- الضرب باليد: ومثال ذلك لما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف بالبيت، وعلى رضي الله عنه يطوف معه، إذ عرض رجل لعمر فقال: يا أمير المؤمنين حتى قفي من على بن أبي طالب، فقال: وما بالله؟ قال: لطم عيني، فوقف عمر، حتى لحق به على فقال: الطمت عين هذا يا أبي الحسن؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين، قال: ولم؟ قال: لأنني رأيته يتأمل حرم المؤمنين في الطواف، فقال عمر: أحسنت يا أبي الحسن^(٢).

٢- الجلد دون الحد: وكان أكثر ما يعزر به، ومن ذلك جده للنجاشي الشاعر الذي شرب الخمر، وأفطر في رمضان، فقال له: إنما جلديك هذه العشرين لجرأتك على الله، وإفطارك في رمضان^(٣).

٣- التشهير: لجأ على بن أبي طالب رضي الله عنه إلى التشهير بال العاصي وتعریف الناس به، كما فعل بشاهد الزور، وفي ذلك مصلحة للمجتمع، لثلا يشتهد فتضيع الحقوق، عن على بن الحسين قال: كان على إذا أخذ شاهد زور بعثه إلى عشيرته فقال: إن هذا شاهد زور فاعرفوه وعرفوه ثم خلى سبيله^(٤)، وعن زيد بن على عن أبيه عن جده عن على بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أخذ شاهد الزور فغزروه، وطاف به في حيه وشد هرمه، ونهى أن يشتهد به^(٥).

٤- الحبس: كان أمير المؤمنين على رضي الله عنه يعاقب بالحبس أحياً، ومن ذلك حبسه للنجاشي الشاعر، الذي شرب الخمر، وأفطر في رمضان^(٦).

٥- التقييد في الحبس: كان أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه يقيد الدار^(٧)، بالحبس بقيود لها أفال، ويوكل بهم من يطهرا لهم وقت الصلاة من أحد الجانبين^(٨).

٦- الغمس في الأذار: وجد رجل تحت فراش امرأة، فأتى به على، فقال رضي الله عنه: اذهبوا به فقلبوه ظهرًا لبطن في مكان منتن، فإنه كان في مكن شر منه^(٩).

٧- القتل: قد يصل التعزير عند أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه إلى القتل، إذا كانت الجريمة قد تعاظمت، وكان لها أثرها البالغ الأهمية، كوضع الأحاديث على لسان رسول الله ×، لأن هذا العمل يؤدي إلى إدخال شيء في الدين مما ليس منه، وانحراف الناس عن دينهم الذي ارتضى الله لهم^(١٠)، لذا فقد كان يقول: من كذب على الذي × يضرب عنقه^(١١).

(١) منهج على بن أبي طالب في الدعوة، ص (٣٢١).

(٢) الرياض النصرة في مناقب العشرة، ص (١٦٥/٢).

(٣) موسوعة فقه على بن أبي طالب، فلتعجى، ص (١٥٣).

(٤) المصدر نفسه، ص (١٤٩).

(٥) موسوعة فقه على، ص (١٤٨).

(٦) مصنف ابن أبي سيبة (٣٦١٠).

(٧) جمع داعر، والداعارة هي الفسق والخبث.

(٨) موسوعة فقه على، فلتعجى، ص (١٥٦).

(٩) المصدر نفسه، ص (١٥٤).

(١٠) منهج على بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، ص (٣٢٤).

(١١) موسوعة فقه على، ص (١٥٤).

8- إنلاف أداة الجريمة وما يتبعها: فقد ورد عن ربيعة بن زكار قال: نظر على بن أبي طالب رضي الله عنه إلى قرية فقال: ما هذه القرية؟ قالوا: قرية تدعى زراراً⁽¹⁾, يلتحم فيها وبيع فيها الخمر، فاتاها بالثيران فقال: أضرمواها فيها، فإن الخبيث يأكل بعضه بعضاً، فاحتبرقت⁽²⁾, فقد أحرق أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه في هذه القرية الخمر وما يتبعه من مواد وأدوات تستخدم لصناعته⁽³⁾.

لقد أثر أمير المؤمنين على رضي الله عنه في المؤسسة القضائية باجتهداته في مجال القصاص والحدود والجنايات والتعزير، كما أنه - رضي الله عنه - ساهم في تطوير المدارس الفقهية الإسلامية باجتهداته الدالة على سعة إطلاعه وغزاره علمه وعمق فقهه وفهمه واستيعابه لمقدمة الشريعة الغراء.

المبحث الرابع

حجية قول الصحابي والخلفاء الراشدين

تحدد الأصوليون عن مذهب الصحابي وقالوا بأنه من الأدلة المختلف فيها عند الكثير منهم، وحكي ابن القيم إجماع الأئمة الأربع على الاحتجاج به⁽⁴⁾.

إن أصحاب النبي × وخصوصاً ساداتهم تبوأوا مكانة عالية في الفهم والإدراك كما قال عنهم ابن مسعود رضي الله عنه: فانهم كانوا أبله هذه الأمة قليلاً، وأعمقها علمًا، وأفلاطها تكفلأ، وأفونها هذينا، وأحسنها حالاً، فوم اختارهم لصحبة نبيه، وإقامته دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوا آثارهم، فانهم كانوا على الهدى المستقيم⁽⁵⁾, والشاهد من كلامه قوله: «أعمقها علمًا» فهم أعمق الأمة علمًا، وأكثرهم فهمًا وإدراكًا، ونسبة علم من بعدهم إلى علمهم كنسبة فضلهم إلى فضلهم⁽⁶⁾, وإذا كان هذا من الوضوح بمكان بحيث لا يحتاج إلى حجة وبرهان، فإنما نشير إلى بيان الأسباب التي يوأهم الله بها هذه المكانة وهي:

1- تلقיהם المباشر من النبي ×

وهذا له أثره في الفهم من عدة نواح:

أ- صفاء المورد: إذ بتلقיהם من النبي × يتلقون الوحي غضباً كما أنزل، ويسمعون كلام النبي × منه مباشرة، فليس عليهم مسوياً بما يكره، بل هو محض الكتاب والسنة لم يختلط به آراء الرجال، وغيره من العلوم التي فتح بابها من بعد على المسلمين كعلوم الفلك وآدابها وغيرها.

ب- دقة الفهم: حيث إن معلمهم رسول الله × أفسح الناس لساناً، وأبلغهم بيادٍ، وأدق درهم تقheim، فكيف إذا صادف ذلك أذاناً صاغية، وقلوبًا واعية، وسلبية مواتية، تتشدّد لحق، وتتلهّف لسماعة، ولا شك أن ذلك يجعلهم يفهمون ما يلقى إليهم فهمًا دقيقًا مطابقاً لمراد الله ورسوله، وهذا الأمر في غاية الوضوح إذ الناس في حياتهم وطلبة العلم في طلبهم يبحثون إبان تلقיהם عن أفضل العلماء علمًا وأحسنهم تصويراً للمسائل، وأقدرهم تقديرهم، وكم من تلميذ سطع نجمه، وعلا كعبه في العلم بفضل الله، ثم بفضل حسن تعليمه، ونحن نعلم أن أحداً لن يبلغ معاشر ما يبلغ إليه النبي × في حسن التعليم، ولا أقل

(1) محله بالكوفة سميت بزراراة بن يزيد بن عمر من بنى يكار.

(2) كنز العمال رقم (13744) أبو عبيد، الأموال ص (103).

(3) منهاج على في الدعوة إلى الله ص (325).

(4) إعلام الموقعين (120/4).

(5) شرح السنة للبغوي (1/215).

(6) إعلام الموقعين (4/147).

من ذلك، وبهذا شهد معاوية بن الحكم رضي الله عنه في حسن التعليم، حيث قال: فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه^(١).

جـ- ما يحصل لهم من يقين بما سمعوا وفهموا: فعلومهم يقينية، وعلوم من بعدهم يدا
خلها الطن في كثير من أحوالها.

د- ما يحصل لهم من اطلاع على أسباب النزول وأسباب ورود الأحاديث: ومعرفة الناسخ والمنسوخ مما يعينهم على فهم المراد وإدراك المقاصد.

هـ- وما يحصل لهم من مشاهدة أفعال النبي ×: التي تفسر أقواله، وتشرحها، وتبيّن آيات القرآن وتوضّحها، ويوقف بها على المراد.

و- إمكانية السؤال عما أشكل عليهم، والحصول على الجواب.

2- سلبياتهم العربية:

يفهمون أي القرآن، وأحاديث النبي × بسليقهم ويعرفون وجوه دلالتها على معانيها، فلا يحتاجون إلى ما يحتاج إليه من بعدهم من دراسة قواعد اللغة وقواعد الأصول.

3- إخلاصهم لله وتقواهم:

فَبِرْكَةِ إِخْلَاصِهِمْ نَالُوا الْعِلُومَ الْكَثِيرَةَ النَّافِعَةَ، فِي أَوْقَاتٍ قَلِيلَةٍ، كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُ: وَأَتَقْدُمُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُ مُكْمُلَ اللَّهِ" [البَقْرَةَ: 282].

فإذا تقرر هذا فكل هذه الأسباب شكلت فقهاً قوياً متماسكاً لدى أصحاب النبي ﷺ، قال ابن القيم بعد أن ذكر مدارك اختصوا بها، كسماعهم من النبي ﷺ وسماعهم من بعضه م، وعلمهم بالعربية على أكمل الوجه⁽²⁾، قال: أما المدارك التي شاركناهم فيها من دلالات الألفاظ والأقوية فلا ريب أنهم كانوا أقرب قلوباً وأعمق علماء، وأقل تكفاً وأقرب إلى أن يوفقاً فيما لم نوفق له نحن، ولما خصمهم الله تعالى به من تقد الأذهان، وفصاحة اللسان، وسعة العلم، وسهولة الأخذ، وحسن الإدراك وسرعته، وقلة المعارض أو عدمه، وحسن المقصد وتقوى الرب تعالى، فالعربية طبيعتهم وسليقتهم، والمعاني الصحيحة مرکوزة في فطرهم وعقولهم، ولا حاجة بهم إلى النظر في الإسناد وأحوال الرواية وعلل الحديث والجر والتغليل، ولا إلى النظر في قواعد الأصول وأوضاع الأصوليين، بل غنووا في ذلك كلّه، فليس في حقهم إلا أمران:

أحد هما: قال الله تعالى كذا، وقال رسوله كذا.

والثاني: معناه كذا وكذا.

وهم أسعد الناس بهاتين المقدمتين، وأحظى الأمة بهما، فقواهم متوفرة مجتمعة عليه ما، وأما المتأخرن فقواهم متفرقة وهمهم متشعبة، فالعربية وتتابعها قد أخذت من قوى أذهانهم شعبية، والأصول وقواعدها قد أخذت منها شعبية، وعلم الإسناد وأحوال الرواية قد أخذ منها شعبية، وفkerهم في كلام مصنفهم وشيوخهم على اختلافهم وما أرادوا به قد أخذ منها شعبية، إلى غير ذلك من الأمور، فإذا وصلوا إليها بقلوب وأذهان قد كللت من السير في غيرها، وأوهن قواهم مواصلة السير في سوهاها، فأدراكوا من النصوص ومعانيها بحسب القوة⁽³⁾، وبما تقم يتقرر أن أصحاب النبي × أدق فهمًا وعلماً بما هيأ الله لهم من الأسباب المعينة على الفهم والعلم، فبناء على ذلك فهم أعلم بمقاصد الشرعية ومرامي

⁽¹⁾ مسلم، كـ المساجد، رقم (33).

² مقصود الشريعة لليوبى، ص (60).

٣) إعلام الموقعين (١٤٩/٤).

ها من غيرهم، ولكون من أهم الطرق المحصلة لمقاصد الشريعة: العلم بالكتاب والسنّة وطرق الاستبطاط منها، وهذا متوافر لدى الصحابة بلا شك على أكمل الوجوه وأحسنها⁽¹⁾.

قال الشاطئي: السلف أعلم الناس بمقاصد القرآن⁽²⁾، وقال عن الصحابة: هم القدوة في فهم الشريعة والجري على مقاصدها⁽³⁾. هذا وقد تتوعد مذاهب العلماء في حجية قول الصحابي وانقسمت إلى خمسة أقوال مشهورة، وقبل أن نذكر أقوال المذاهب حرر محل النزاع فنقول:

- 1- اتفق الكل على أن مذهب الصحابي في مسائل الاجتهاد لا يكون حجة على غيره من الصحابة إماماً كان أو حاكماً أو مفتيناً.
- 2- إذا قال الصحابي قولًا ووافقه الباقون فليس داخلاً في محل النزاع لكونه إجماعاً حينئذ.
- 3- إذا قال قولًا وانتشر ولم يخالفه أحد فهذا له حكم الإجماع السكتي.
- 4- اتفقوا على أن قول الصحابي ليس بحجة إذا خالفه صحابي آخر.
- 5- اتفقوا على أن قول الصحابي إذا رجع إلى الكتاب أو السنّة أو الإجماع فإنه الحجة حينئذ فيما رجع إليه.
- 6- اتفقوا على أن قول الصحابي إذا رجع عنه فليس بحجة، ومحل الخلاف إذا قال الصحابي قولًا في مسألة اجتهادية تكليفية ولا ظهر له مخالف ولا موافق، ولا ندرى انتشر أم لا؟ خالف أحداً أم لا؟⁽⁴⁾.
واختلف العلماء في ذلك على أقوال:

القول الأول: أنه حجة وهو قول مالك والشافعي في القديم، وأحمد في روایة عنه، وعليه أكثر الأصوليين والفقهاء من الحنفية وابن عقيل من الحنابلة والعلاني⁽⁵⁾، والخطيب الغدادي من الشافعية، واختاره ابن القيم في إعلام الموقعين والشاطئي في المواقف وابن تيمية⁽⁶⁾.

القول الثاني: إنه ليس بحجة وهو قول الشافعی في أحد قوله اختارها الأمدى والرازي والغزالی وأحمد في روایة⁽⁷⁾.

القول الثالث: إنه حجة إن كان مما لا مجال للرأي فيه فقط، وهو قول جماعة من الأحناف⁽⁸⁾.

القول الرابع: قول أبي بكر وعمر - رضي الله عنهم - حجة دون غيرهما⁽⁹⁾.

القول الخامس: قول الخلفاء الأربعه أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم حجة دون غيرهم⁽¹⁰⁾.

(1) مقاصد الشريعة الإسلامية للبيوني، ص (601).

(2) المواقفات (409/3).

(3) المصدر نفسه (130/4).

(4) مقاصد الشريعة الإسلامية، ص (597).

(5) حقيقة البدعة وأحكامها (1/320).

(6) مجموعة الفتاوى (413/5)، إعلام الموقعين (120/4).

(7) مقاصد الشريعة الإسلامية، ص (597).

(8) حقيقة البدعة وأحكامها (1/321).

(9) الأحكام للأمدي (130/4)، حجية قول الصحابي، ص (40).

(10) حجية قول الصحابي، ص (40).

والراجح - والله أعلم - هو القول الأول، وأدلة الترجيح في ذلك:

أولاً: من كتاب الله تعالى: قال تعالى: +وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْآذَصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعْدَ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبْدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [التوبه:100].

روى الحافظ ابن حرير في تفسيره لهذه الآية بسنده عن محمد بن كعب القرظى قال: مر عمر بن الخطاب برجل يقرأ: +وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْآذَصَارِ " حتى بلغ +ورَضُوا عَنْهُ " قال: وأخذ عمر بيده فقال: من أقر أك هذا؟ قال: أبي بن كعب، قال: لا تقارقني حتى أذهب بك إليه، فلما جاءه قال عمر: أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا... قال: نعم، قال: أنت سمعتها من رسول الله ×؟ قال: نعم. قال: لقد كنت أنا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعمنا، فقال أبى: تصديق هذه الآية من أول سورة الجمعة: +وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُونَ بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [الجمعة:3]، وفي سورة الحشر: +وَالَّذِينَ حَمَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَا خَوَانِدِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ [الحشر:10]، وفي الأنفال: +وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَمَا وَلَكُمْ مِنْ كُمْ وَأَوْلُو الْأَرْدَامَ بِعَضُّهُمْ مِنْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْمٌ [الأنفال:75]، وبسبب سؤال عمر أنه كان يقرأ هذه الآية برفع الأنصار وبعدم إلحاق الواو في الذين كما أورد ذلك ابن جرير⁽¹⁾، ثم لما تبين له من أبي بن كعب الخفض وإلحاق الواو قال: لقد كنت أنا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعمنا، يقصد المهاجرين، وهذا القول منه - رضي الله عنه - يؤيد ما ذهب إليه أصحاب القول الأول القائلون بحجية أقوال الصحابة من غير تخصيص ببعضهم، إذ اشترك الجميع في وصف الثناء عليهم بكونهم سبقوا في كل علم وفضل وجهاد وعمل، وهذه الآية احتاج بها ابن القيم وجعلها من الأدلة الدالة على وجوب اتباع الصحابة⁽²⁾، وحكي احتجاج الإمام مالك بها في هذا المعنى⁽³⁾، وذكر أن الآية تتضمّن مدح الصحابة والثناء عليهم واستحقاقهم أن يكونوا أئمة متبعين يقتدي بهم، وتؤخذ أقوالهم، وأنها اقتضت المدح لمن اتباعهم كلهم، أو اتبع كل واحد منهم مالم يخالف نصها⁽⁴⁾. ومن الأدلة: قوله تعالى: +كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ تَمَرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ [آل عمران:110]، روى ابن جرير بسنده عند تفسيره لهذه الآية عن الضحاك، قال: هم أصحاب رسول الله × خاصية⁽⁵⁾، قال ابن جرير بعد إيراده لهذا الأثر مبيناً معناه: يعني وكانوا هم الرواة الدعاة للذين أمر الله المسلمين بطاعتهم⁽⁶⁾، واستشهد بالآية الشاطبي حين قرر أن: سنة الصحابة - رضي الله عنهم - سنة يعمّل عليها ويُرجع إليها⁽⁷⁾، فقال في الآية: إثبات الأفضلية على سائر الأمم، وذلك يقتضي استقامتهم في كل حال وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة⁽⁸⁾، وقد أفضى الإمام ابن القيم الجوزية في الاستدلال على حجية قول الصحابة بالأ

(1) تفسير الطبرى (14/438).

(2) أعلام المؤمنين (4/123).

(3) المصدر نفسه (4/123).

(4) المصدر نفسه (4/129-123).

(5) تفسير الطبرى (7/102).

(6) المصدر نفسه (7/120).

(7) المواقفات (4/74).

(8) المصدر نفسه (4/74).

يات الكريمة ووجه استدلاله فجاد وأفاد⁽¹⁾.

ثانيًا: أما الأدلة من السنة فهي كثيرة منها: قوله ×: «خير الناس القرن الذي أنا فيه، ثم الثاني ثم الثالث»⁽²⁾, فأخباره × بذلك يقتضى تقديمهم في كل باب من أبواب الخبر، ولا سيما في ظفرهم بالصواب⁽³⁾, فهم أفضل من غيرهم في كل فضيلة، من علم وعمل وإيمان وعقل ودين وبيان وعبادة، وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل، هذا لا يدفعه إلا مدن كابر المعلوم من الدين بالضرورة من دين الإسلام⁽⁴⁾, وعند عبد الله بن مسعود: قال رسول الله ×: «ما من نبي بعثه الله عز وجل إلا كان له في أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسننته ويقتدون بأمره»⁽⁵⁾, وقد استشهد البيهقي بهذا الحديث على أفضليتهم ومنزلتهم⁽⁶⁾ العالية في كل علم وعمل ومقصد⁽⁷⁾.

ثالثًا: الأدلة من الآثار منها: ما روى عن حذيفة بن اليمان- رضي الله عنهما- أنه قيل: يا معاشر القراء خذوا الطريق من كان قبلكم، فوالله لئن استقمنتم لقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن تركتموه يمinda وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً⁽⁸⁾, روى الخطيب بن سنه عن عاصم الشعبي أنه قال: ما حدثوك عن أصحاب محمد × فخذه⁽⁹⁾.

رابعًا: من أقوال الأنتمة والعلماء في حجية قول الصحابي:

1- قول الشافعي: ما كان الكتاب والسنة موجودين فالعذر عن سمعهما مقطوع إلا باتباعهما، فإذا لم يكن ذلك صرنا إلى أقاويل أصحاب رسول الله × أو واحد منهم⁽¹⁰⁾, وإنما أيضًا: لا يكون لك أن تقول إلا عن أصل، أو قياس على أصل، والأصل كتاب أو سنة، أو قول بعض أصحاب رسول الله × أو إجماع الناس⁽¹¹⁾.

2- وقال أحمد: لا تقلد دينك أحداً من هؤلاء، ما جاء عن النبي × وأصحابه فخذ به، ثم التابعين بعد، الرجل فيه مخير⁽¹²⁾.

3- قول الإمام مالك: ومذهبه في ترجيح عمل أهل المدينة مشهور ومعلوم، بيد أنه قد ذهب إلى أبعد من ذلك، حين اعتبر قول الصحابة، ولا سيما ولادة الأمر بعده محل احتجاج⁽¹³⁾.

4- قال ابن تيمية: ومن قال من العلماء إن قول الصحابي حجة، فإنما قاله إذا لم يخالفه غيره من الصحابة، ولا عرف نصاً يخالفه، ثم إذا اشتهر ولم ينكره، كان إقراراً على القول، فقد يقال هذا إجماع إفراطي إذا عرف أنهم أقرؤوه، ولم ينكره أحد منهم وهم لا يقرؤون على باطل⁽¹⁴⁾, أما إذا لم يشتهر فهذا إن عرف أنه خالقه فليس بحجة بالاتفاق⁽¹⁵⁾.

(1) إعلام الموقعين (4/ 123-135).

(2) مسلم (2/ 1965).

(3) إعلام الموقعين (4/ 136).

(4) مجموع الفتاوى (4/ 158).

(5) مسلم، ك الإيمان (1/ 69).

(6) (الاعتقاد للبيهقي)، ص (319).

(7) حقيقة الدعوة وأحكامها (1/ 328).

(8) حلية الأولياء (10/ 280)، البعد لأن ابن وضاح، ص (10).

(9) حقيقة الدعوة وأحكامها (1/ 329).

(10) الأم الشافعي (7/ 265).

(11) مناقب الشافعي، ص (367).

(12) مسائل الإمام أحمد لأبي داود، ص (276).

(13) إعلام الموقعين (4/ 123)، ترتيب المدارك (1/ 64).

(14) مجموع الفتاوى (1/ 283).

(15) مجموع الفتاوى (1/ 283).

5- قال الشاطبى: عند شرحه لقول النبي ﷺ: «ما أنا عليه وأصحابي»⁽¹⁾, فإنه راجع إلى ما قالوه وما سنوه، وما اجتهدوا فيه حجة على الإطلاق، وبشهادة رسول الله ﷺ لهم بذلك خصوصاً - إلى أن قال - فإذا كل ما سنوه فهو سنة، من غير نظير فيه بخلاف غير رهم⁽²⁾, وقال في المواقفات: سنة الصحابة - رضي الله عنهم - سنة يعمل عليها ويرجع إليها⁽³⁾.

(1) السلسلة الصحيحة (25، 12/1)، (480/3).
(2) الاعتصام (263/2).
(3) المواقفات (74/4).

الفصل الخامس

مؤسسة الولاية في عهد أمير المؤمنين

على بن أبي طالب رضي الله عنه

المبحث الأول

أقاليم الدولة

أولاً: مكة المكرمة:

توفي عثمان - رضي الله عنه - وعلى مكة خالد بن سعيد بن العاص، فأصدر علی رضي الله عنه قراراً بعزله وعين أبا قتادة الأنصاري واليما على مكة⁽¹⁾، ويبدو أن فترة ولايته قصيرة إذ إن عليماً رضي الله عنه عندما أراد الخروج من المدينة إلى العراق بعث قثم بن العباس⁽²⁾ واليما على مكة، وعزل أبا قتادة الأنصاري⁽³⁾، وبهذا فإن ولایة أبا قتادة استمرت قرابة الشهرين، ولم ترد عنها أخبار تذكر، ومعظم المصادر التي تحدثت عن ولایة قثم بن العباس على مكة ذكرت أن عليماً وله على مكة والطائف وأعمالها في وقت واحد⁽⁴⁾، وما نقلت الأخبار عن مكة في عهد خلافة علي رضي الله عنه سوى ما يتعلّق بموسم الحج ومن كان واليما عليه، فعلى بن أبي طالب لم يرد أنه شهد الحج أثناء خلافته بسبب انشغاله بالفنون التي قامت في أنحاء الدولة الإسلامية، حيث لم تستقر الأوامر ضاع فيها، وكان خلال موسم الحج يبعث من يقود الحجيج، ويبدو أن قثم بن العباس أقام الحج بالناس سنة 37هـ فقط، بينما بعث على رضي الله عنه على الحج عبد الله بن العباس سنة 36هـ، وعيّد الله بن العباس سنة 38هـ⁽⁵⁾، مع وجود اختلاف بين المصادر في سنة حج كل منهما، وأما سنة 39هـ فقد بعث معاوية أحد قواد الشام مع حجاج الشام وأمر ره أن يقيم الحج بالناس، فلما وصل إلى مكة تنازع مع (قثم بن عباس) وكاد أن يقع بينهما ما قاتل لولا أن عمل بعض الصحابة بينهما بالصلح على أن يقيم الحج بالناس أحد بنى شبيه وانتهى الحج بسلام ولم يقع قتال⁽⁶⁾، وقد استمر قثم بن العباس في ولايته على مكة إلى أن قدم جيش معاوية بقيادة بسر بن أرطأة فخرج منها قثم هارباً خائفاً على نفسه، وبذلك انتهت ولایة قثم، وخرجت مكة من ولایة على بن أبي طالب، وقد بعث على بن عاصم أجناده لاستعادة مكة إلا أن استشهاد على رضي الله عنه حال دون إتمام مهمته⁽⁷⁾.

ثانياً: المدينة النبوية:

كانت المدينة المنورة طيلة عهد رسول الله × وخلفائه الثلاثة من بعده عاصمة الدولة الإسلامية، ويقيم فيها الخليفة، ويتولى شئونها بنفسه أثناء وجوده أما في حالة السفر فإنه ينوب عليها من يتولى شئونها، وقد اختلف الوضع بعد مبايعة على رضي الله عنه بالخلافة، إذ دعته الحالة العامة والارتباط الذي حدث بعد مقتل عثمان إلى مغادرة المدينة المنورة، خصوصاً بعد خروج طلحة والزبير وعائشة باتجاه العراق قبل موقعة الجمل⁽⁸⁾، وقد استخلف على المدينة سهل بن حنيف الأنصاري كما تقول بعض الروايات⁽⁹⁾، ولا نعلم المدة التي بقي فيها ابن حنيف واليما على المدينة، والذي يبدو أن ولايته قد استمرت أك

(1) الولاية على البلدان (3/2)، تاريخ خليفة ابن خياط، ص (201).

(2) سير أعمال النبلاء (440/3).

(3) تاريخ اليعقوبي (179/2).

(4) الكامل في التاريخ (398/3)، الولاية على البلدان (4/2).

(5) الولاية على البلدان (4/2)، تاريخ الطبراني (198، 192)، تاريخ الطبراني (4/2).

(6) تاريخ الطبراني (80/6)، الولاية على البلدان (79/6).

(7) تاريخ خليفة بن خياط، ص (181)، الولاية على البلدان (5/2).

(8) تاريخ خليفة بن خياط، ص (181)، الولاية على البلدان (2/2).

(9) تاريخ ابن خياط، ص (201)، الولاية على البلدان (2/2).

ثر من سنة، فقد ورد أنه كان على المدينة سنة 37هـ⁽¹⁾، ثم ولى على تمام بن العباس على المدينة بعد أن عزل سهل بن حنيف، وقد ولى على بن أبي طالب على المدينة بعد ذلك أباً أبواب الأنصاري الذي استمر واليًا عليها إلى سنة 40هـ، حيث قدم المدينة جيش من الشام من قبل معاوية بقيادة بسر بن أرطأة⁽²⁾، ففر أبو أيوب من المدينة، وتوجه إلى على في الكوفة⁽³⁾، وبذلك خرجت المدينة من حكم على بن أبي طالب رضي الله عنه ودخلت في حكم معاوية، وهكذا تحولت المدينة في عهد على من قاعدة للخلافة إلى ولاية من الولايات، وأخذت الأحداث السياسية تدور بعيداً عنها، لذلك نجد المصادر التاريخية تکاد تهملها خلال تلك الفترة إلى أن استطاع جيش معاوية الاستيلاء عليها⁽⁴⁾.

ثالثاً: ولاية البحرين وعمان:

كانت البحرين حين توفي عثمان -رضي الله عنه- تابعة لإماراة البصرة، وكان ابن عامر يولي عليها من عماله، وفي عهد على رضي الله عنه عين على ولاية البحرين من مجموعة من الأمراء كان من أهمهم عمر بن أبي سلمة⁽⁵⁾ الذي خرج مع على من المدة الثانية لسفره إلى العراق، ثم بعثه على واليًا على البحرين⁽⁶⁾، لفترة من الوقت، ثم استدعاه على لصاحبه في العراق بعد ذلك، كما كان من عمال على في البحرين قدامة بن لعجلان الأنصاري⁽⁷⁾، والنعuman بن العجلان الأنصاري⁽⁸⁾، وكذلك ذكر من ولاته على البحرين عبيد الله بن العباس⁽⁹⁾، ويلاحظ أن عبيد الله بن عباس كان والي اليمن، فلعل البحرين ونجد كانتا تابعتين له في تلك الفترة، وهذا يوحى به تعبير الطبراني، كما أن تعبير خليفة بن خياط يوحى بعدم معرفته لترتيب معين لهؤلاء الولاء⁽¹⁰⁾، وقد أوردت المصادر أسماء بعض العمال الذين وجههم على إلى عمان أحدهم وال والأخر قائد جند إخماد إحدى الثورات التي قامت ضد على في عمان⁽¹¹⁾، وكذلك كان هنالك عامل على اليمامة⁽¹²⁾، ولعله خاضع لإشراف والي البحرين⁽¹³⁾.

رابعاً: ولاية اليمن:

لما استشهد عثمان وبوييع على بالخلافة ولد على عبيد الله بن العباس، رضي الله عنها⁽¹⁴⁾، وقد خرج ولاة عثمان من اليمن قبل وصول عبيد الله بن عباس إليها، واشترك بعضهم في جيش الجمل مع طلحة والزبير وكان لهم دور في تجهيز الجيش⁽¹⁵⁾، وقد كان عبيد الله بن عباس على صناعة وأعمالهم، كما كان معه في الولاية سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري⁽¹⁶⁾ على الجندي ومخالفتها⁽¹⁷⁾. وكان مقتل عثمان له أثر بالغ على المسلمين في اليمن، وأحس القوم بالامتعاض والتبرم من هذا الجرم، وبقي بعضاليمنيين

(1) تاريخ الطبرى (53/6)، الولاية على البلدان (2/2).

(2) سير أعلام النبلاء (409/3)، الولاية على البلدان (2/2).

(3) تاريخ الطبرى (80/6)، الكامل (373/3).

(4) الولاية على البلدان (3/2).

(5) تهذيب التهذيب (456/7).

(6) الكامل (222/3)، الولاية على البلدان (5/2).

(7) الولاية على البلدان (5/2).

(8) الإصابة (562/3)، الولاية على البلدان (5/2).

(9) تاريخ الطبرى (90/6).

(10) الولاية على البلدان (6/2).

(11) تاريخ الطفونى (95/2)، الولاية على البلدان (6/2).

(12) الولاية على البلدان (6/2).

(13) الولاية على البلدان (6/2).

(14) تاريخ خليفة بن خياط ص (6).

(15) مروج الذهب للمسعودى (357/2)، الولاية على البلدان (6/2).

(16) الاستئثار لأبن قدامة المقدسى، ص (99)، الولاية على البلدان (6/2).

(17) الولاية على البلدان (6/2).

لم يبايع ويرغب في قتل قتلة عثمان، رضي الله عنه، ولما تأخر هذا رسلوا معاوية بعد ا لحكيم، فأرسل بسر بن أرطأة، فاستطاع أن يستولى على اليمن بفضل مساعدتهم، ولكن لفترة وجيزة⁽¹⁾، حيث استطاع على استرجاعها من جيش معاوية، فأعاد عبيد الله بن عباس إلى ولائيتها

مرة أخرى، واستمر واليًا عليها إلى أن استشهد أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه⁽²⁾.

وقد روى أن بسرًا قتل ابنين لعبيد الله بن عباس وبعض أنصار على هناك، ثم رجع إلى الشام، وكان أمير المؤمنين قد وجه جارية بن قدامه السعدي، قيل: فعل مثلما فعل بسر وقتل بعض محبي عثمان في اليمن⁽³⁾، قال ابن كثير: وهذا الخبر مشهور عند أهل ا لسير وفي صحته عندي نظر⁽⁴⁾، ولاشك أن قتل الأبراء لم يحصل في تلك المرحلة حت ى في أيام البصرة وصفين عندما قامت الحرب بين الطرفين، فكيف يقتل الأطفال والأبراء في مرحلة الهدنة، لذلك لا يمكن قبول هذه الأعراف المناقضة لأعراف المسلمين وقيمهم ودينهم⁽⁵⁾.

خامسًا: ولادة الشام:

كان معاوية، رضي الله عنه، واليًا على الشام في عهدي عمر وعثمان، رضي الله عنهما، ولما تولى على الخلافة أراد عزله وتولية عبد الله بن عمر فأبى عليه عبد الله بن عمر قبول ولادة الشام، واعتذر في ذلك، وذكر له القرابة والمصاهرة التي بينهم⁽⁶⁾، ولم يلزمه أمير المؤمنين على قبل منه طلبه بعدم الذهاب إلى الشام، وأما الروايات التي تزعم أن عليًا قام بالتهجم على عبد الله بن عمر، رضي الله عنه، لاعتزاله وعدم وقوفه إلى جانبها، ففي ذلك الخبر تحريف وكذب⁽⁷⁾، وأقصى ما وصل إليه الأمر في قضية عبد الله بن عمر ولو لادة الشام ما رواه الذهبي من طريق سفيان بن عيينة، عن عمر بن نافع عن أبيه عن ابن عمر قال: بعث إلى علي قال: يا أبا عبد الرحمن إنك رجل مطاع في أهل الشام، فسر فقد أمرتك عليهم، قلت: أذكرك الله وقرابتي من رسول الله وصحبتي إيا ه، إلا ما أغنتني فأبى على، فاستعنت بحفصة فأبى، فخرجت ليلاً إلى مكة⁽⁸⁾، وهذا دليل قاطع على مبادئ ابن عمر، ودخوله في الطاعة، إذ كيف يوليه على وهو لم يبايع؟ . وفي الاستيعاب لابن عبد البر من طريق أبي بكر ابن أبي الجهم عن ابن عمر أنه قال حين احتضر: ما آسى على شيء إلا تركي قتال الفئة الباشية مع على رضي الله عنه⁽⁹⁾، وهذا مما يدل أيضًا على مبادئه لعلى، وأنه إنما ندم على عدم خروجه مع على للقتال، فإنه كان من اعتزل الفتنة، فلم يقاتل مع أحد، ولو كان قد ترك البيعة لكان ندمه على ذلك أكبر وأعظم ولصرح به، فإن لزوم البيعة والدخول فيها واجب، والتخلف عن ذلك متوج د عليه برواية ابن عمر نفسه أن النبي × قال: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»⁽¹⁰⁾، وهذا بخلاف الخروج للقتال مع على، فإنه مختلف فيه بين الصحابة، وقد اعتزله بعض الصحابة، فكيف يتصور أن يندم ابن عمر على ترك هذا القتال، ولا يندم

(1) خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد على، ص(109).

(2) تاريخ الطبرى (80/6، 81)، الولاية على البلدان (7/2).

(3) تاريخ الطبرى (55/6).

(4) البداية والنهاية (334/7).

(5) الانصاف د. حامد، ص (575).

(6) المصنف لابن أبي شيبة (472/7) إسناده صحيح.

(7) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، خالد الغيث، ص (160).

(8) سير أعلام النبلاء (224/3) رجال ثقات.

(9) الاستيعاب (326/6) بحاشية كتاب الإصابة.

(10) مسلم. أثر الإمارة رقم (1851).

على ترك البيعة لو كان تاركًا لها، مع ما فيه من الوعيد الشديد، وبهذا يظهر بطلان قول بعض المؤرخين في زعمهم من ترك ابن عمر البيعة على – رضي الله عنهمـ حيث ثبت أنه كان من المبايعين له بل المقربين منه، الذين كان يحرص على توليتهم، والاستعنة بهم، لما رأى فيه من صدق ولاء والنصح له⁽¹⁾.

وبعد اعتذار ابن عمر عن قبول ولاية الشام، أرسل أمير المؤمنين على سهل بن حنيف بدلًا منه، إلا أنه ما كاد يصل مشارف الشام حتى أخذته خيل معاوية وقالوا له: إن كان بعثك عثمان فحيهلا بك وإن كان بعثك غيره فارجع⁽²⁾، وكانت بلاد الشام تغلي غضبًا على مقتل عثمان ظلماً وعدواناً، فقد وصلهم قميصه مخضبًا بدمائه، وبأصابع نائلة زوجه، التي قطعت أصابعها وهي تدافع عنه، وكانت قصة استشهادهاليةة فظيعة اهتزت لها المشاعر، وتأثرت بها القلوب، وذرفت منها الدموع، كما وصلتهم أخبار المدينة وسيطرة الغوغاء عليها، وهرول بني أمية إلى مكة، كل هذه الأمور وغيرها من الأحداث والعوامل كان لها تأثير على أهل الشام وعلى رأسهم معاوية، رضي الله عنه، فقال: كان يرى أن عليه مسؤولية الانتصار لعثمان والقود من قاتلية فهو ولد دمه، والله عز وجل يقُول: +وَمَنْ قُتِلَ مَظُلُومًا فَقَدْ جَعَلَنَا لَوْلَيْهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْفَقْدِ إِذْ أَنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا+ [الإسراء:33]، لذلك جمع معاوية الناس، وخطبهم بشأن عثمان وأنه قُتل ظلماً وعدواناً على يد سفهاء منافقين لم يقدروا الدم الحرام؛ إذ سفكوه في شهر الحرام، في البلد الحرام، فثار الناس، واستنكروا وعلت الأصوات، وكان منهم عدد من أصحاب رسول الله ﷺ، فقام أحدهم وأسمه مرة بن كعب فقال: لو لا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما تكلمت، وذكر الفتنه فقرها، فمر رجل متقنع في ثوب، فقال: «هذا يومئذ على الهدي»، فقمت إليه، فإذا هو عثمان بن عفان فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: نعم⁽³⁾. وهناك حديث آخر له تأثيره في طلب معاوية القود من قتلة عثمان وكان منشطاً ودافعاً قويًا للتصديم على تحقيق الهدف، وهو عن النعمان بن بشير عن عائشة رضي الله عنها قالت: أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان ف جاء فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فكان من آخر كلمة أن ضرب منكبه فقال: «يا عثمان، إن الله عسى أن يلبسك قميصاً فـاـنـ أـرـادـكـ الـمـنـافـقـونـ عـلـىـ خـلـعـهـ فـلـاـ تـخـلـعـهـ حتـىـ تـلـقـانـيـ» قالـلـاهـ ثـلـاثـاـ، فـقـلـتـ لـهـ: ياـ أـمـ المؤـمـنـينـ فـأـنـ فـيـ كـانـ هـذـاـ عـنـكـ؟ـ قـالـتـ: نـسـيـتـهـ وـالـلـهـ مـاـ ذـكـرـتـهـ،ـ قـالـ: فـأـخـبرـتـهـ مـعـاوـيـةـ بـنـ أـبـيـ سـفـيـانـ فـلـمـ يـرـضـ بالـذـيـ أـخـبـرـتـهـ حـتـىـ كـتـبـ إـلـىـ أـمـ المؤـمـنـينـ أـنـ اـكـتـبـ إـلـىـ بـهـ،ـ فـكـتـبـ إـلـىـ بـهـ كـتـابـاـ⁽⁴⁾.ـ كـانـ الـحـرـصـ الشـدـيدـ عـلـىـ تـتـفـيـذـ حـكـمـ اللـهـ فـيـ الـقـتـلـةـ السـبـبـ الرـئـيـسيـ فـيـ رـفـضـ أـهـلـ الشـامـ بـزـعـامـةـ مـعـاوـيـةـ بـنـ أـبـيـ سـفـيـانـ بـيـعـةـ عـلـىـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ بـالـخـلـافـةـ،ـ وـلـيـسـ لـأـطـمـاعـ مـعـاوـيـةـ وـفـيـ وـلـايـةـ الشـامـ،ـ أـوـ طـلـبـهـ مـاـ لـيـسـ لـهـ بـحـقـ،ـ إـذـ كـانـ يـدـرـكـ إـدـرـاكـاـ تـامـاـ أـنـ هـذـاـ الـأـمـرـ فـيـ بـقـيـةـ السـنـةـ مـنـ أـهـلـ الشـورـىـ،ـ وـأـنـ عـلـيـاـ أـفـضـلـ مـنـ وـأـوـلـىـ بـالـأـمـرـ⁽⁵⁾ـ،ـ وـدـلـيلـ ذـلـكـ مـاـ أـخـرـجـهـ يـحـيـيـ بـنـ سـلـيـمانـ الـجـعـفـيـ بـسـنـدـ جـيـدـ،ـ عـنـ أـبـيـ مـسـلـمـ الـخـوـلـانـيـ أـنـ قـالـ لـمـعـاوـيـةـ:ـ أـذـ تـنـازـعـ عـلـيـاـ،ـ أـمـ أـنـتـ مـثـلـهـ؟ـ قـالـ:ـ لـاـ وـالـلـهـ إـنـ لـأـعـلـمـ أـنـ أـفـضـلـ مـنـيـ،ـ وـأـحـقـ بـالـأـمـرـ مـنـيـ،ـ وـلـكـنـ أـلـسـتـ تـعـلـمـونـ أـنـ عـثـمـانـ قـتـلـ مـظـلـومـاـ،ـ وـأـنـ اـبـنـ عـمـهـ،ـ وـالـطـالـبـ بـدـمـهـ،ـ فـأـتـوـهـ،ـ فـقـولـواـ لـهـ:ـ فـلـيـدـفـعـ إـلـىـ قـتـلـةـ عـثـمـانـ،ـ وـأـسـلـمـ لـهـ،ـ فـأـتـوـهـ عـلـيـاـ،ـ فـكـلـمـوـهـ،ـ فـلـمـ يـدـفـعـهـ إـلـيـهـ⁽⁶⁾ـ،ـ وـفـيـ روـاـيـةـ فـأـتـوـهـ فـكـلـمـوـهـ قـالـ:ـ يـدـخـلـ فـيـ الـبـيـعـةـ وـيـحاـكـمـهـ إـلـيـهـ⁽⁷⁾ـ،ـ وـأـمـاـ الـرـوـاـيـاتـ الـتـيـ

(1) الانتصار للصحاب والآل، ص (507).

(2) تهذيب تاريخ دمشق (39/4)، خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد على، ص (110).

(3) صحيح سنن ابن ماجه (24/1).

(4) مسنون أحمد، باقي مسنون الانتصار رقم (24045)، حديث صحيح.

(5) خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد على، ص (112).

(6) فتح الباري (92/13)، البداية والنهاية (129/8).

(7) فتح الباري (92/13)، استشهاد عثمان، ص (160).

تصور معاوية في خروجه عن طاعة على بسبب أطماع ذاتية وأطماع دنيوية، وبسبب العداء والتنافس الجاهلي القديم بين بنى هاشم وبنى أمية، وغير ذلك من الغنف والافتراءات والطعن على أصحاب رسول الله ﷺ، مما اعتمد عليها الكتاب المعاصرون - كالعقاد في عبقرية على، وعبد العزيز الدوري في مقدمة في تاريخ صدر الإسلام - وبنوا عليها تخيالاتهم الباطلة، فهي روايات متروكة مطعون في رواتها عدلاً وضبطاً⁽¹⁾.

وقد استمرت ولاية الشام تابعة لنفوذ معاوية بن أبي سفيان طيلة خلافة على رضي الله عنه، ولم يتمكن على من السيطرة أو تعين العمال والأمراء فيها، وقد وقعت في اللشّرق من بلاد الشام بعض المناوشات بين جند على وجند معاوية كان أهمها موقعة (صفير)⁽²⁾ والتي شهدتها على ومعاوية رضي الله عنهما في سنة 37هـ، ولم تمنع هذه المعارك من استمرار سيطرة معاوية على الشام⁽³⁾.

سادساً: ولاية الجزيرة:

كانت الجزيرة إحدى الولايات التابعة للشام أيام عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وبعد استشهاده كانت الشام بيد معاوية، والعراق بيد على، مما جعل الجزيرة محل تنازع بين الفريقين، نظرًا لموقعها الجغرافي واتصالها بالشام من جهة وبالعراق من جهة أخرى⁽⁴⁾، وبالتالي سهولة السيطرة عليها من كلا الجانبيين، وقد وقعت في الجزيرة العديد من المعارك بين أجناد على وأجناد معاوية في محاولة من كلا الطرفين للسيطرة عليها، ويبدو أن علىًا استطاع السيطرة عليها⁽⁵⁾، لفترة من الوقت، وعين عليها «الأشتر» وهو أشهر ولاة على في الجزيرة⁽⁶⁾، حيث لا يراه على لأكثر من مرة، فاستطاع أن يرتب أمورها، ثم اضطر على رضي الله عنه لنقله لولايته مصر وذلك في سنة 38هـ⁽⁷⁾، فعاد الإضطرا بمرة أخرى إلى الجزيرة، ونشط معاوية في الاستيلاء عليها بعد ذلك، فوّقعت فيها العديد من المعارك⁽⁸⁾، ويبدو أن معاوية استطاع في أواخر سنة 39هـ أن يسيطر إلى حد ما على الجزيرة⁽⁹⁾، وقد كانت ملأًا لبعض المعترلين للحرب بين على ومعاوية وهم الذين لم يبايعوا أيامها أبناء النزاع الناشب بينهما⁽¹⁰⁾، ولعل موقعها في المنتصف بين الطرفين هو الذي دفعهم لاختيارها، وقد وردت أسماء بعض من ولى الجزيرة لعلى ومنهم شبيب بن عامر⁽¹¹⁾، وكميل بن زياد، وكان لهما دور في مقاومة جيوش الشام التي هاجمت الجزيرة بل أنهما استطاعا الهجوم على الشام من قبل الجزيرة⁽¹²⁾.

سابعاً: ولاية مصر:

استشهد عثمان، رضي الله عنه، وعلى مصر محمد بن أبي حذيفة مغتصبًا للولاية فيها، ولم يقره عثمان عليها، وبعد وفاة عثمان أقره على على مصر فترة من الوقت لم تطل، حيث وجّه معاوية جيشًا إلى نواحي مصر فظفر بمحمد بن أبي حذيفة فقبض عليه ثم سجن وقتل⁽¹³⁾، وقد ذكر أن علىًا لم يعين محمد بن أبي حذيفة على مصر وإنما تركه

(1) خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد على، ص (112).
(2) الولاية على البلدان (8/2).

(3) معجم البلدان (135/2).

(4) الأخبار الطوال للبيهقي، ص (154)، الولاية على البلدان (8/2).

(5) تاريخ خلقة بن خياط، ص (200).

(6) تاريخ الطبرى (380/6).

(7) الفتوح لابن أثيم الكوفي (45/4)، الكامل (379/3).

(8) الكامل (380/3).

(9) سير أعلام النبلاء (414/3).

(10) الولاية على البلدان (9/2).

(11) الفتوح، لابن أثيم الكوفي (50/4-52)، تاريخ الطبرى (19/6).

(12) ولاية مصر للكندي، ص (42، 43)، الولاية على البلدان (9/2).

على حاله حتى إذا قتل عين على^١ قيس بن سعد الأنصاري على ولاية مصر^(١), فقال له: سر إلى مصر وليتها، واخرج إلى رحلك واجمع إليه ثقانك ومن أحببت أن يصحبك حتّى تأتيها ومعك جند، فإن ذلك أربع لعدوك وأعز لوليك، فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن واشتد على المريب، وارفق بالعامة والخاصة، فإن الرفق يمن^(٢) وقد ظهر ذكاء قيس وحسن تصرفه في العديد من المواقف، فإنه حين توجه إلى مصر كان فيه مجموعه من غضبوها لمقتل عثمان، ومجموعة من اشتراكوا في قتله، ولقد لقيته خيّل من مصر قبل دخوله إليها فقالوا: من أنت؟ قال: من فالة^(٣) عثمان، فأنا أطلب من أوى إليه فانتصر به الله، قالوا: من أنت؟ قال: قيس بن سعد، قالوا: امض فمضى حتى دخل^(٤) مصر. وهذا الموقف لقيس هو الذي مكنه من دخول مصر، ثم أعلن بعد ذلك أنه أمير، وربما لو أنه أعلن لهؤلاء الأجداد أنه أمير لمنعوه من دخول مصر أصلاً، كما حدث لمن وجهه على إلى الشام فمنعته أجناد الشام من دخولها حينما علموا أنه قد بعث أميراً على الشام^(٥), وحينما وصل قيس بن سعد إلى الفسطاط صعد المنبر وخطب في أهل مصر وقرأ عليهم كتاباً من على بن طالب رضي الله عنه وطلب البيعة لعلى^(٦), وهنا انقسم أهل مصر إلى فريقين: فريق دخل في بيعة على وباعوها قيساً، وفريق توقف واعتزل، وكان قيس بن سعد حكيمًا مع الذين بايعوا والذين امتنعوا، حيث لم يجبرهم على البيعة وكف عنهم وتركهم في حالهم^(٧). ولم يكتف بذلك بل إنه بعث لهؤلاء أعطياتهم في مكان اعتزازاً لهم، ووُلد عليه قوم منهم فأكرّهم وأحسن إليهم^(٨), فساعدت تلك المعاملة الطيبة على تجنب الصدام بهم، وبالتالي ساعدته على تهدئة الأوضاع بمصر، حتى استطاع قيس أن يذْظِم الأمور فيها، فوزع الأمراء ونظم أمور الخراج، وعين رجالات على الشرطة^(٩), وبذلك استطاع أن يرتب ولاية مصر، وأن يسترضي جميع الأطراف فيها^(١٠), وأصبح قيس بن سعد في هذا الموقع يشكل ثقلًا سياسياً وخطرًا عسكريًا على معاوية بن أبي سفيان في الشام، نظرًا لقرب مصر من الشام، ولترتيب قيس لها وتنظيمها وما اشتهر عن قيس من حزم، وخوف معاوية من حركات عسكرية مناوية له تخرج من مصر، ولذلك فإنه أخذ يراسل قيس بن سعد في مصر مهدداً له، وفي الوقت نفسه يحاول إغراءه بالازدحام إليه، وكانت إجابات قيس على تلك الرسائل إجابات ذكية بحيث لم يستطع معاوية أن يفهم موقف قيس وما ينوى عمله، وقد تعددت بينهما الرسائل^(١١), وقد انتشرت الروايا ت الرافضية من الرسائل بين معاوية وقيس بن سعد التي ذكرها أبو محفوظ في كتب التأريخ وهي باطلة لا تصح، فقد انفرد بها هذا الرافضي التالف الذي ضعفه رجال الجرح والتتعديل بها، وفي متن تلك الرواية غرائب من أبرزها ما يلي:

1- خطاب علي إلى أهل مصر مع قيس بن سعد وفيه: ثم ولى بعدهما وال فأحدث أحداثاً فوجدت عليه الأمة مقالاً فقالوا: ثم نعموا عليه فغيروا، وهذا يعني أن الذين قاموا على عثمان (رضي الله عنه) رجال الأمة، وأن الأمة قد غيرت هذا المنكر بقتل عثمان، وعلى رضي الله عنه بريء من هذا القول، وهو يعلم أن الذين قتلوا عثمان هم أوباش الذ

(١) ولادة مصر، ص (44)، النجوم الظاهرة (94/1).

(٢) الكامل في التاريخ (354/2).

(٣) الفالة: الجماعة المنهزمون، لسان العرب (531/11).

(٤) الولاية على البلدان (10/2) نقلًا عن نهاية الأربع في تاريخ العرب للنويري.

(٥) تهذيب تاريخ دمشق (39/4).

(٦) الكامل في التاريخ (354/2).

(٧) ولادة مصر، ص (44)، الكامل في التاريخ (354/2).

(٨) ولادة مصر، ص (44).

(٩) الولاية على البلدان (11/2)، النجوم الظاهرة (98/1).

(١٠) الولاية على البلدان (11/2).

(١١) الكامل (355/2)، الولاية على البلدان (11/2).

اس وأن قتله ظلم وفجور، وأقواله تدل على ذلك، ومنها ما رواه ابن عساكر أن محمد أب ن الحنيفه قال: ما سمعت عليا ذاكراً عثمان بسوء قط⁽¹⁾، وأخرج الحاكم وابن عساكر أ ن علياً رضي الله عنه قال: اللهم إني أبرا إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسي، وجاعوني للبيعة فقلت: والله لاستحي من الله أن أبشع قوماً قتلوا رجالاً قال له رسول الله: «الا تستحي من تستحي منه الملائكة»، إني لاستحي من الله أن أبشع عثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد، فانصرفوا فلما دُفن رجع الناس يسألونني البيعة، فقلت: اللهم إني مشفع مما أقدم عليه، جاءت عزيمة فبأيتها، فلما قالوا: أمير المؤمنين فكان صدح قلبي وانسكب⁽²⁾ بعراة.

وأقواله في هذا المعنى كثيرة⁽³⁾، وقد جمعتها في كتابي: تيسير الكريم المنان في سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان⁽⁴⁾.

2- قول قيس بن سعد: أيها الناس إننا قد باينا خيراً ما نعلم بعد نبينا × وهذا مردود ، إذ إن الثابت تقضيل أبي بكر وعمر (رضي الله عنه) على علىٰ رضي الله عنه كما صح بذلك، وهذا لا يشك فيه أحد في ذلك الزمان من الصحابة وغيرهم، وعليه فلا يصح نسبة هذا الكلام لقيس بن سعد، رضي الله عنه، ولا لغيره من الصحابة والتتابعين، ولم ي شتهر هذا إلا عند الشيعة الروافض المتأخرین⁽⁵⁾، قال ابن تيمية: الشيعة المتقدمون كلهم متقوون على تقضيل أبي بكر وعمر⁽⁶⁾، والأدلة في تقضيل أبي بكر وعمر كثيرة منها ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نخیر بين الناس في زمان النبي ×، فنخیر أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان⁽⁷⁾.

والآحاديث في ذلك كثيرة⁽⁸⁾ ومشهورة، وحقيقة الأمر كما مر معنا في الروايات ال صححة السابقة أن معاوية طلب من أمير المؤمنين تسليمه قتلة عثمان ولم يتهم أمير المؤمنين علياً به.

3- رسالة معاوية إلى قيس بن سعد: وإشارته إلى كون على طرفًا في قتل عثمان، وهذا لا يصح صدوره من معاوية، ذلك أن الأمر واضح في براءة على (رضي الله عنه)⁽⁹⁾ كما مر في الفقرة السابقة، وهذا لا يجهله معاوية (رضي الله عنه)، فضلاً أن يقره لقول قيس بن سعد (رضي الله عنه)، وهذا محمد بن سيررين من كبار التابعين ومن الذين عاصروا ذلك المجتمع يقول: لقد قتل عثمان وما أعلم أحداً يتهم علىاً في قتله⁽¹⁰⁾، ويقول أيضًا: لقد قتل عثمان يوم قتل وإن الدار يومئذ لغاصبة، فيما عبد الله بن عمر ، وفيهم الحسن بن على في عنقه السيف، ولكن عثمان عزم عليهم أن لا يقاتلو⁽¹¹⁾، وأخرج ابن أبي شيبة بسند رجاله ثقات عن محمد ابن الحنيفه أن علياً قال: لعن الله قتلة عثمان في السهل والجبل والبر والبحر⁽¹²⁾، والنصوص في هذا المعنى كثيرة جدًا⁽¹³⁾، مما يؤكد اشتهر كراهية

(1) تاريخ ابن عساكر، ترجمة عثمان، ص (395).

(2) المستدرك (95/3)، صحيح على شرط الشیخین.

(3) مرويات أبي مخنف، د. يحيى اليحيى، ص (211).

(4) عثمان بن عفان للصلابي، ص (407-409).

(5) مرويات أبي مخنف، (211).

(6) منهاج السنة (4/1)، (2111).

(7) الخاري رقم (3697).

(8) مرويات أبي مخنف، (212).

(9) تاريخ ابن عساكر، ترجمة عثمان، ص 35، مرويات أبي مخنف، ص (212).

(10) تاريخ ابن عساكر، ترجمة عثمان، ص (350).

(11) المصنف (268/15).

(12) نقل ابن عساكر نصوصاً كثيرة تبين نصرة على لعثمان، ترجمة عثمان، ص (395).

ة على رضي الله عنه لقتل عثمان⁽¹⁾.

4- وأما ما أورده من اتهام معاوية للأنصار في دم عثمان، فهذا لا يصح من معاوية وهو يعلم أن الذي قام بالدفاع جميـعاً هم الأنصار، فقد أخرج ابن سعد بسند صحيح أن زيد بن ثابت، رضي الله عنه، جاء إلى عثمان، رضي الله عنه، وهو محصور فقال: هذه لأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصار الله مرتين، قال: فقال عثمان: أما القتال فلا⁽²⁾.

5- ما ذكره من اختلاق معاوية كتاباً على لسان قيس بن سعد، فهذا من الكذب الذي لا يعقل صدوره من معاوية، ذلك أن العرب كانوا يعدون الكذب من أقبح الصفات التي يـا ترـزـهـ عنـهاـ الرـجـالـ الـكـرـامـ، وـهـذـهـ قـصـةـ أـبـىـ سـفـيـانـ وـهـوـ يـوـمـئـذـ عـلـىـ الشـرـكـ فـيـماـ أـخـرـجـهـ الـدـاـخـلـيـ فـيـ قـصـةـ سـؤـالـ هـرـقـلـ عـنـ رـسـوـلـ اللـهـ، يـقـولـ أـبـوـ سـفـيـانـ: فـوـالـلـهـ لـوـ لـاـ حـيـاءـ مـنـ أـنـ يـأـثـرـوـاـ عـلـىـ كـذـبـاـ لـكـذـبـتـ عـلـيـهـ⁽³⁾، فـهـذـهـ مـنـزـلـةـ الـكـذـبـ عـنـ الـعـرـبـ، وـعـنـ الـمـسـلـمـيـنـ أـشـدـ وـأـخـرـىـ، وـلـاـ يـقـولـ قـائـلـ: هـذـهـ خـدـعـةـ، وـالـحـرـبـ خـدـعـةـ، فـإـنـ الـخـدـعـةـ لـيـسـ مـعـنـاهـ الـكـذـبـ كـمـاـ هوـ مـعـلـومـ مـنـ كـلـمـ الـعـرـبـ، وـمـعـاـوـيـةـ، رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ، أـحـدـقـ مـنـ أـنـ يـفـعـلـ هـذـاـ⁽⁴⁾.

6- روایة هذه الكتب الكثيرة بين قيس ومعاوية وعلى رضي الله عنهم بهذا التسلسل وبهذه الدقة تدخل الشك والريبة على القارئ لجهالة المطلع والناقل لها⁽⁵⁾.

يقول الدكتور يحيى البهـيـ: إـنـ وـلـاـيـةـ قـيـسـ بـنـ سـعـدـ بـنـ عـبـادـةـ، رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـ، عـلـىـ مـصـرـ مـنـ قـبـلـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـىـ بـنـ أـبـىـ طـالـبـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ أـمـرـ مـجـمـعـ عـلـيـهـ⁽⁶⁾، وـكـلـ مـنـ تـرـجـمـ لـقـيـسـ لـمـ يـذـكـرـ هـذـهـ التـقـاصـيلـ⁽⁷⁾، أـيـ الـتـيـ ذـكـرـهـ أـبـوـ مـخـفـ فـيـ روـايـتـهـ، وـحـدـىـ مـؤـرـخـوـ مـصـرـ الـمـعـتـبـرـوـنـ لـمـ يـذـكـرـواـ ذـاكـ⁽⁸⁾، هـذـاـ وـقـدـ نـقـلـ روـايـةـ أـبـىـ مـخـنـفـ مـنـ الطـبـرـ يـيـ بـعـدـ حـذـفـ وـاـخـتـصـارـ كـلـ مـنـ: إـبـنـ الـأـثـيـرـ، وـابـنـ كـثـيرـ، وـابـنـ خـلـدونـ، وـابـنـ تـغـرـىـ بـرـدـىـ⁽⁹⁾، وـقـدـ أـخـرـجـ الـكـنـدـيـ أـيـضـاـ عـنـ عـبـدـ الـكـرـيمـ بـنـ الـحـارـثـ قـالـ: لـمـ تـقـلـ مـكـانـ قـيـسـ عـلـىـ مـعـاـوـيـةـ كـتـبـ إـلـىـ بـعـضـ بـنـيـ أـمـيـةـ بـالـمـدـيـنـةـ: أـنـ جـزـىـ اللـهـ قـيـسـ بـنـ سـعـدـ خـيـرـاـ وـاـكـتـمـواـذـ لـكـ، فـإـنـيـ أـخـافـ أـنـ يـعـزـلـهـ عـلـىـ إـنـ بـلـغـهـ مـاـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ شـيـعـتـاـ، حـتـىـ بـلـغـ عـلـيـهـ فـقـالـ مـنـ مـعـهـ مـنـ رـؤـسـاءـ أـهـلـ الـعـرـاقـ وـأـهـلـ الـمـدـيـنـةـ: بـدـلـ قـيـسـ وـتـحـولـ، فـقـالـ عـلـىـ: وـيـحـكـمـ، إـنـهـ لـمـ يـفـعـلـ، فـدـعـونـيـ، قـالـوـاـ: لـتـعـزـلـنـهـ فـإـنـهـ قـدـ بـدـلـ، فـلـمـ يـزـالـوـ بـهـ حـتـىـ كـتـبـ إـلـيـهـ: إـنـيـ قـدـ اـحـتـجـتـ إـلـىـ قـرـبـ إـكـ، فـاسـتـخـلـفـ عـلـىـ عـمـلـكـ وـأـقـدـمـ⁽¹⁰⁾، وـقـدـ رـجـحـ هـذـهـ الـرـوـايـةـ الـدـكـتـورـ الـيـحـيـيـ فـيـ كـتـابـهـ الـقـيـمـ مـرـوـيـاتـ أـبـىـ مـخـنـفـ فـيـ تـارـيـخـ الـطـبـرـيـ قـالـ:

1- إنـهاـ مـنـ روـايـةـ مـصـرـيـ ثـقـةـ وـهـوـ أـعـلـمـ بـقـطـرـهـ مـنـ غـيرـهـ.

2- أـخـرـجـهاـ مـؤـرـخـ مـصـرـيـ.

3- خـلـوـهـاـ مـنـ الغـرـائبـ.

4- مـتـهـاـ مـاـ يـقـعـقـ مـعـ سـيـرـةـ أـولـئـكـ الـرـجـالـ.

(1) مـرـوـيـاتـ أـبـىـ حـنـيفـ فـيـ تـارـيـخـ الـطـبـرـيـ، صـ (213).

(2) الطـبـقـاتـ (70/3) سـنـدـ صـحـيـحـ.

(3) الـبـخـارـيـ رـقـمـ (7).

(4) مـرـوـيـاتـ أـبـىـ مـخـنـفـ فـيـ تـارـيـخـ الـطـبـرـيـ، صـ (214).

(5) الصـدـرـ نـفـسـهـ، صـ (214).

(6) تـارـيـخـ خـلـيفـةـ، صـ (201)، فـتـوحـ مـصـرـ (274)، وـلـاـةـ مـصـرـ (440)، سـيـرـ أـعـلـامـ النـبـلـاءـ (13/3).

(7) طـبـقـاتـ اـبـنـ سـعـدـ (52/6)، تـارـيـخـ بـغـدـادـ (177/1)، سـيـرـ أـعـلـامـ النـبـلـاءـ (102/3).

(8) فـتـوحـ مـصـرـ، وـوـلـاـةـ مـصـرـ، مـرـوـيـاتـ أـبـىـ مـخـنـفـ، صـ (207).

(9) تـارـيـخـ اـبـنـ خـلـدونـ (1092/4)، النـجـومـ الزـاهـرـةـ (97/1)، الـبـداـيـةـ وـالـنـهـاـيـةـ (251/7).

(10) وـلـاـةـ مـصـرـ، صـ (45)، وـفـيـاـ الـمـدـائـنـيـ وـهـوـ صـدـوقـ وـبـقـيـةـ رـجـالـهـ ثـقـاتـ إـلـاـ أـنـهـ مـرـسـلـةـ.

5- بذلت تردد على في عزل قيس حتى ألح عليه الناس فاستيقاه عنده، وهذا القائد لا يفرط بالقيادات الحاذقة وقت المحن⁽¹⁾.

- تعين محمد بن أبي بكر على ولاية مصر: تدخل بعض الناس للإفساد بين على وقيس بن سعد لكي يعزله، وفي نهاية المطاف طلب بعض مستشاري على منه أن يعزل قيساً وصدقوا تلك الإشاعات التي قيلت فيه، وألحوا في عزله، فكتب إليه على: إني قد احتج إلى قربك فاستخلف على عملك وأقدم⁽²⁾. وكان هذا الكتاب بمثابة عزل لقيس عن ولاية مصر، وقد عين على مكانه الأشتري النخعي⁽³⁾، على أكثر الأقوال، وقد التقى على با لأشتري قبل سفره إلى مصر، فحدثه حديث أهل مصر وخبره خبر أهلها، وقال: ليس لها غيرك، اخرج رحمك الله فإني إن لم أوصاك اكتفيت برأيك، واستعن بالله على ما أهلك؛ فاختلط الشدة باللين، وارفق ما كان الرفق أبلغ، واعزم بالشدة حين لا تغنى عنك إلا الشدة⁽⁴⁾، وقد توجه الأشتري إلى مصر ومعه رهط من أصحابه، إلا أنه حينما وصل إلى أطرا ف(بحر القلزم) - البحر الأحمر - مات قبل أن يدخل مصر، وقد قيل إنه سقى شربة مسمومة من عسل فمات منها، وقد اتهم أناس من أهل الخراج أنهم سموه بتحريض من معاو⁽⁵⁾، والتهمة الموجهة إلى معاوية في قتل الأشتري بالسم لا ثبت من طريق صحيح.

واستبعد ذلك ابن كثير⁽⁶⁾، وابن خلدون⁽⁷⁾، وسار على نهجهما الدكتور يحيى اليحيى⁽⁸⁾، وملت إلى هذا القول.

هذا وقد مات الأشتري قبل أن يباشر عمله في مصر، ومع ذلك فإن المصادر تتحدث عنه كأحد ولاة مصر لعلى بن أبي طالب، وقد ولى بعده على مصر محمد بن أبي بكر⁽⁹⁾. وقد سبق لمحمد بن أبي بكر أن عاش في مصر في عهد عثمان، وتدل الروايات على أن محمد بن أبي بكر قد وصل إلى مصر قبل أن يغادرها الوالي الأول قيس بن سعد، وقد دارت محاورة بين قيس بن سعد ومحمد بن أبي بكر قدم فيها قيس عدة نصائح لمحمد، خصوصاً فيما يتعلق بالناس الغاضبين لمقتل عثمان، والذين لم يبايعوا عليهما بعد، وقد قال قيس: يا أبي القاسم إنك قد جئت من عند أمير المؤمنين وليس عزلك إباهي بمانعك أن أنسح لك ولوه، وأنا من أمركم هذا على بصيرة، ودع هؤلاء القوم ومن انضم إليهم - يقصد الذين لم يبايعوا عليهما ولا غيره - على ما هم عليه، فإن أتوك فاقبلهم وإن تحلفوا علىك فلا تطلبهم، وأنزل الناس على قدر منازلهم وإن استطعت أن تعود المرضى وتشهد الجائز فافعل، فإن هذا لا ينقشك⁽¹⁰⁾.

وقد حمل محمد معه عهداً من على رضي الله عنه فقرأه على أهل مصر وخطبهم⁽¹¹⁾، وقد كتب أمير المؤمنين على لمحمد بن أبي بكر كتاباً جاءه عندما ولاه على مصر، ولم يكن هذا الكتاب مقتصرًا على سياسة الولاية، بل يحوى دعوة محمد بن أبي بكر الصديق إلى الله، ومما جاء في هذا الكتاب: واعلم يا محمد أنك وإن كنت محتاجاً إلى نصيبك من الدنيا، إلا أنك إلى نصيبك من الآخرة أحوج، فإن عرض لك أمران: أحد

(1) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبرى، ص (210).

(2) ولادة مصر (45، 46).

(3) فتوح البلدان، ص (229)، الولاية على البلدان (12/2).

(4) النجوم الظاهرة (103/1).

(5) النجوم الظاهرة (104/1)، سير أعلام النبلاء (34/4).

(6) البداية والنهائية (303/8).

(7) تاريخ ابن خلدون (1125/4).

(8) مرويات أبي مخنف، ص (224).

(9) النجوم الظاهرة (106/1).

(10) ولادة مصر، ص (50)، الولاية على البلدان (13/2).

(11) الكامل في التاريخ (356/2).

هما للآخرة والآخر للدنيا، فابداً بأمر الآخرة، ولتعظم رغبتك في الخير، ولتحسن فيه نيتك، فإن الله عز وجل يعطي العبد على قدر نيته، وإذا أحب الخير وأهله ولم يعمله كان - إن شاء الله- كمن عمله، فإن رسول الله ص قال حين رجع من تبوك: «إن بالمدينة لا قواماً ما سرتم من مسيرة، ولا هبطتم من واد إلا كانوا معكم، ما حبسهم إلا المرض». يقول: كان ت لهم نية»⁽¹⁾، ثم اعلم يا محمد أنني قد ولتكم أعظم أجنادي: أهل مصر وولتكم ما ولته ك من أمر الناس، فأنت محقوق أن تخاف فيه على نفسك وتحذر فيه على دينك، ولو كان ساعة من نهار، فإن استطعت أن لا تسخط ربك لرضا أحد من خلقه منه، فاشتد على الظالم، ولن لأهل الخير وقربهم إليك واجعلهم بطناتك، وإخوانك، والسلام⁽²⁾.

وببدأ محمد بن أبي بكر يمارس ولاته، وقد مضى الشهر الأول من ولاته بسلام، إلا أن الأمور بدأت تتغير بعد ذلك، فلم يعمل محمد بن نصيحة قيس بن سعد، وببدأ يتحرش بألوان الأقوام الذين لم يبايعوا علياً، فكتب إليهم يدعوه إلى المبايعة فلم يجيبوه، فبعث رجالاً إلى بعض دورهم ففهموها ونهب أموالهم وسجن بعض ذراريهم، فعملوا على مداريته⁽³⁾، ثم إن معاوية أعد جيشاً بقيادة عمرو بن العاص فغزا به مصر، وتحالف معه فقاتلهم محمد بن أبي بكر، وكانت قوتهم كبيرة تصل إلى عشرة آلاف مقاتل وفيهم مسلمة بن مخلد ومعاوية بن حديج⁽⁴⁾ ووقيعت بينهم وبين محمد بن أبي بكر معارك قوية انتهت بمقتل محمد بن أبي بكر واستيلاء أجناد معاوية على مصر، وبذلك خرجت مصر من حكم على بن أبي طالب رضي الله عنه سنة ثمان وتلاثين للهجرة⁽⁵⁾، وقد انفرد أبو مخنف الشيعي الرافض برواية مفصلة ذكرها الطبرى⁽⁶⁾، شوهدت كثيراً من حفائق التاريخ والتي لم يخرجها غيره ثم ذكرها بعض المؤرخين على النحو التالي:

اليعقوبي: ذكر قتال عمرو بن العاص لمحمد بن أبي بكر، وأن معاوية بن حديج أخذه وقتلته ثم وضعه في جيفة حمار فأحرقه⁽⁷⁾، وأما المسعودي⁽⁸⁾، وابن حبان⁽⁹⁾، فقد أشارا إلى قتل محمد بن أبي بكر ولم يذكر التفاصيل⁽¹⁰⁾، ونقل ابن الأثير⁽¹¹⁾ رواية أبي مخنف في الطبرى بعدما حذف منها كتاب معاوية إلى محمد بن أبي بكر، ونص المكاتبات بين على وابن أبي بكر، وحذف رد ابن أبي بكر على معاوية وعمرو بن العاص، من رواية أبي مخنف في الطبرى.

وقد ذكر النويرى نحواً مما ذكره ابن الأثير⁽¹²⁾، وذكر ابن كثير قريباً مما ذكره ابن الأثير والنويرى، وأما ابن خلدون فأشار إلى معنى روایات أبي مخنف⁽¹³⁾، واختصر ابن تغرى بردى روایات أبي مخنف⁽¹⁴⁾، وكل هذه الروایات جاءت من طريق أبي مخنف وساهمت في تشويه التاريخ الإسلامي لذلك الحقيقة، وتناقلها الكتاب المعاصرون دون تمحيص وساهموا في نشرها، واستقرت كثيرة من تلك الأكاذيب في أذهان بعض المتفقين

(1) له أصل في صحيح مسلم، ك الإمارة (3/ 1518).

(2) تاريخ الطبرى، منهج على بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص (282).

(3) الكامل في التاريخ (2/ 357)، الولاية على البلدان (2/ 13).

(4) تاريخ الطبرى (6/ 11).

(5) تاريخ خليفة بن خياط، ص (19)، تاريخ الطبرى (5/ 6).

(6) تاريخ الطبرى (6/ 17- 18).

(7) تاريخ العقوبى (2/ 194).

(8) مروج الذهب (2/ 420).

(9) التقاط (2/ 297).

(10) مرويات أبي مخنف ص (241).

(11) الكامل (2/ 409- 414).

(12) نهاية الأربع (20/ 107- 112).

(13) تاريخ ابن خلدون (4/ 1126- 1128).

(14) الجوم الزاهرة (1/ 107- 112).

، فأصبحت جزءاً لا يتجزأ من ضمن سلسلة المفاهيم المغلوطة التي نشروها بين الناس.

هذا وإن قتل معاوية بن حبيج لمحمد بن أبي بكر قد ثبت من طريق صحيح فيما أخذ رجه أبو عوانة عن عبد الرحمن بن شمسة قال: دخلت على عائشة أم المؤمنين فقالت لـي: من أنت؟ قلت: من أهل مصر، قالت: كيف وجدتكم في غزاتكم هذه؟ قلت: وجدناه خير أمير، ما مات لرجل مما عبد إلا أعطاه عبداً، ولا بغير إلا أعطاه بغيراً، ولا فرس إلا أعطاه فرساً، قالت: أما انه لا يمنعني قتله أخي أن أحدث ما سمعت من رسول الله × يقول: «اللهم من ولی من أمر أمتي شيئاً فرق بهم فارفق به، ومن شق عـلـيـهـ فـشـقـ عـلـيـهـ»⁽¹⁾.

وقد اشتملت روایات أبي مخنف في تاريخ الطبری حول ولایة محمد بن أبي بکر لمصر ومقتلہ على جملة من الغرائب أبرزها ما يأتي:

1- ما ذكره من مبايعة أهل الشام لمعاوية بالخلافة بعد التحكيم فهذا غير صحيح، فقد نقل ابن عساکر بسند رجالة ثقات عن سعيد بن عبد العزیز التتوخى أعلم الناس بأمر الشام⁽²⁾، أنه قال: كان على بالعراق يدعى أمير المؤمنين وكان معاوية بالشام يدعى الأمير، فلما مات على دعي معاوية بالشام أمير المؤمنين⁽³⁾، فهذا النص يبين أن معاوية لم يبايع بالخلافة إلا بعد وفاة على وإلى هذا ذهب الطبرى، فقد قال في آخر حادث سنة أربعين: وفي هذه السنة بوبع لمعاوية بالخلافة بايليا⁽⁴⁾، وعلق على هذا ابن كثیر بقوله: يعذر لمامات على قام أهل الشام ببايعوا معاوية على أمرة المؤمنين لأنه لم يبق له عندهم منازع⁽⁵⁾، وكان أهل الشام يعلمون بأن معاوية ليس كفداً على بالخلافة، ولا يجوز أن يكـونـ خـلـيـفـةـ معـ إـمـكـانـ استـخـالـفـ علىـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ،ـ فـإـنـ فـضـلـ عـلـىـ وـسـابـقـتـهـ وـعـلـمـهـ،ـ وـدـيـنـهـ،ـ وـشـجـاعـتـهـ،ـ وـسـائـرـ فـضـائـلـهـ كـانـتـ عـنـهـمـ ظـاهـرـةـ مـعـرـوفـةـ،ـ كـفـضـلـ إـخـوانـهـ أـبـيـ بـكـرـ وـعـمـ رـ وـعـثـمـانـ،ـ وـغـيـرـهـمـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـ⁽⁶⁾،ـ وـإـضـافـةـ إـلـىـ ذـلـكـ فـإـنـ النـصـوـصـ تـمـنـعـ مـنـ مـبـاـعـةـ خـلـيـفـةـ معـ وـجـودـ الـأـوـلـ،ـ فـقـدـ أـخـرـجـ مـسـلـمـ فـيـ صـحـيـحـةـ عـنـ أـبـيـ سـعـيدـ الـخـدـرـيـ قـالـ:ـ قـالـ رـسـولـ اللـهـ ×ـ:ـ «إـذـاـ بـوـبـعـ لـخـلـيـقـتـيـنـ فـاقـتـلـوـاـ الـأـخـرـ مـنـهـمـ»⁽⁷⁾،ـ وـالـنـصـوـصـ فـيـ هـذـاـ الـمـعـنـىـ كـثـيـرـةـ،ـ وـمـنـ الـمـحـالـ أـنـ يـقـدـمـ الصـاحـابةـ عـلـىـ مـخـالـفةـ ذـلـكـ⁽⁸⁾.

2- قوله: إن عمرو بن العاص صالح معاوية على أن له مصر طعمه ما بقي، وهذه القصة أخرى لها ابن عساکر بسند فيه مجهول⁽⁹⁾، وذكرها الذهبي بصيغة التمريض، وبالتالي تصبح ساقطة لا اعتبار لها.

3- اتهام محمد بن أبي بكر بقتل عثمان رضي الله عنه بمشاقصه، وهذا باطل، وقد جاءت روایات ضعيفة في ذلك، كما أن متونها شاذة لمخالفتها للرواية الصحيحة التي تبـيـنـ أـنـ القـاتـلـ هوـ رـجـلـ مـصـرـيـ⁽¹⁰⁾،ـ وـقـدـ ذـكـرـ الـدـكـتـورـ يـحـيـيـ الـيـحيـيـ عـدـةـ أـسـبـابـ تـرـجـحـ بـرـأـةـ مـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ بـكـرـ مـنـ دـمـ عـثـمـانـ مـنـهـاـ:

(أ) أن عائشة، رضي الله عنها، خرجت إلى البصرة للمطالبة بقتلة عثمان ولو كان

(1) مسند أبي عوانة (40/113)، مسلم (3/1458)، مع اختلاف في بعض الألفاظ.
 (2) قال الحاكم: هو لأهل الشام كمالك لأهل المدينة، تهذيب التهذيب (4/60).

(3) تاریخ الطبری (6/76).

(4) تاریخ دمشق (16/360).

(5) الدیایة والنهایة (8/16).

(6) فتاوى ابن تيمية (35/73).

(7) صحيح مسلم (3/1480).

(8) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبری، ص (412).

(9) تاریخ دمشق (13/261).

(10) قتله مقتل عثمان (1/209).

أخوها منهم ما حزنت عليه لما قتل.

(ب) لعن على رضي الله عنه لقتلة عثمان، رضي الله عنه، وتبرؤه منهم، يقتضى عدم تقربيهم وتوليهم، وقد ولى محمد بن أبي بكر مصر فلو كان منهم ما فعل ذلك.

(ج) ما أخرجه ابن عساكر بسنده عن محمد بن طلحة بن مصرف قال: سمعت كنانة مولى صفية بنت حبيبي قال: شهدت مقتل عثمان وأنا ابن أربع عشرة سنة، قال: هل أندى محمد بن أبي بكر شيء من دمه، فقال: معاذ الله، دخل عليه، فقال عثمان: يا ابن أخي لست بصاحبِي، فخرج، ولم ينذر من دمه بشيء⁽¹⁾، ويشهد بهذا ما أخرجه خليفة بن خياط والطبراني بإسناد رجاله ثقات عن الحسن البصري، وكان من حضر يوم الدار⁽²⁾، أن ابن أبي بكر أخذ بلحيته، فقال عثمان: لقد أخذت مني مأخذًا أو قعدت مني مقعدًا ما كان أبوك ليقعده، فخرج وتركه⁽³⁾، وبهذا يتبين أن سبب تهمته هو دخوله قبل القتل⁽⁴⁾، وقد ذكر ابن كثير - رحمة الله - أنه لما كلمه عثمان - رضي الله عنه - استحبى، ورجع وتندم، وغطى وجهه وحاجز دونه فلم تقد محاجزته⁽⁵⁾.

(د) ما ورد من تخويف معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) لمحمد بن أبي بكر بالمثلة، وما ذكر من جعل محمد بن أبي بكر في جيفة حمار وإحرافه، كل هذا لا يستقيم مع أحكام الشرع في القتلى، فقد ورد الضرر عن التمثيل بالكافر فكيف بال المسلمين، أخرج مسلم في صحيحه أن رسول الله × كان إذا أمر أميرًا على جيش أو سرية، أو صاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اعزوا ولا تغلوا، ولا تغروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا⁽⁶⁾، وقال الأشافعي: وإذا أسر المسلمون المشركين فأرادوا قتلهم، قاتلواهم بضرب الأعناق ولم يجاوزوا بذلك، أي أن لا يمثلوا بقطع يد ولا رجل ولا عضو ولا مفصل ولا بقر بطن، ولا تحرّيق، ولا تغرير ولا شيء يعود ما وصفت، لأن رسول الله × نهى عن المثلة⁽⁷⁾، وهل يظفر بالصحابية الكرام مخالفة هذا، وهم كما وصفهم ابن مسعود: خير هذه الأمة، أبواها قلوا بما وأعمقها علمًا، وأقلها تكفارًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ×، ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطراقيهم، فهم أصحاب محمد ×، كانوا على الهدى المستقيم ورب الكعبة⁽⁸⁾، وفألا عنهم ابن أبي حاتم: ندب الله عز وجل إلى التمسك بهديهم والجري على مناهجهم، والسلوك لسبيلهم والاقتداء بهم قال: +وَيَدْبِعُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ذُو لَهْ مَا تَوَكَّى وَنَصَلَهُ جَهَنَّمْ وَسَاءَتْ مَصَرِيرًا⁽⁹⁾ [النساء: 115].

وأصح روایة جاءت في إحرافه ما أخرجه الطبراني عن الحسن البصري قال: أخذ هذا الفاسق محمد بن أبي بكر في شعب من شعاب مصر فأدخل في جوف حمار فأحرق⁽¹⁰⁾، وهذا الرواية مرسلة إذ إن الحسن لم يشهد الحادثة، ولم يسم لنا من نقل عنه، إضافة إلى أن النص لم يذكر من قام بإحرافه، وأيضاً ما كان الحسن أن يرميه بالفسق و

(1) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبراني ص (243).

(2) المصدر نفسه ص (244)، تهذيب الكمال ص (97/6).

(3) مرويات أبي مخنف، ص (244).

(4) فتنة مقتل عثمان (209/1).

(5) البداية والنهاية (193/7).

(6) صحيح مسلم (1357/3).

(7) الأم (162/4)، انظر آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص (479).

(8) حلية الأولياء (305/1).

(9) مقدمة الجرح والتعديل (7/1).

(10) المعجم الكبير (84/1) ورجاله ثقata غير أمية بن خالد فهو صادق.

هو يعلم ثناء على رضي الله عنه عليه وتفضيله له⁽¹⁾.

(هـ) ما ذكره من قوله (على رضي الله عنه)، الفاجر ابن الفاجر يقصد معاوية، فهذا يستبعد صدوره من علي (رضي الله عنه)، إذ إن الخلاف مع معاوية دون أبيه، وأبو سفيان، رضي الله عنه، قد أسلم وحسن إسلامه ومات قبل مقتل عثمان رضي الله عنه، فلم يدرك الفتنة⁽²⁾، والله تعالى يقول: +وَلَا تَزِرْ وَازْرَةً وَزُرْ أُخْرَى+ [فاطر: 18]، والأصحاب أعلم الناس بكتاب الله وأشدهم وقوفاً عند حدوده، فكيف ينسب لهم مثل هذا الفعل⁽³⁾.

(وـ) ما ذكره من قول معاوية بن حديج- رضي الله عنه - لعمرو بن العاص- رضي الله عنه- لما طلب ابن أبي بكر وتلاوته لهذه الآية +أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بِرَاءَةٌ فِي الزَّبَرِ+ [القرآن: 43]، فهذا يعني تكfir محمد بن أبي بكر وغيره، وهذا لم يعرف من الصحابة وما كان بينهم لم يصل إلى درجة التكfir، وقد وضح سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، هذا بقوله: «إِنَّمَا بَيْنَنَا لَمْ يَبْلُغْ دِينَنَا»⁽⁴⁾، وأيضاً فإن معاوية بن حديج من جند عمرو بن العاص، رضي الله عنه، وما كان له أن يرفض طلبه⁽⁵⁾.

(زـ) ما أورده من قول محمد بن أبي بكر أن عثمان عمل بالجور ونبذ حكم الكتاب لـ أقف له على أصل ثبت صحة نسبته إلى ابن أبي بكر ، أما إظهار براءة عثمان، رضي الله عنه، من ذلك فأشهر من أن تذكر⁽⁶⁾، وقد توسيط فيها في كتابي «تيسير الكريم الـ عثمان في سيرة عثمان بن عفان».

ثامدًا: ولادة البصرة:

أرسل أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه عثمان بن حنيف الأنصاري أميرًا على البصرة بدلاً من عبد الله بن عامر واليها السابق الذي تركها واتجه إلى مكة المكرمة، وقد كان عثمان بن حنيف الأنصاري صاحب خبرة في المنطقة؛ إذ سبق أن عليه عمر على مسح (السوداء) وتقدير الخراج فيه⁽⁷⁾، وقد سار عثمان بن حنيف إلى البصرة ودخلها بسلام، إلا أن أهل البصرة انقسموا ثلاثة فرق، فرقه بايعت ودخلت في الجماعة، وفرقه اعترلت وقالت: ننظر ما يصنع أهل المدينة فنصنعه، وفرقه رفضت الدخول في البيعة⁽⁸⁾. ولم يلبث عثمان بن حنيف طويلاً في الولاية، فقد قدم إلى البصرة جيش طلاقة والزبير وعائشة قبل معركة الجمل ومعهم من خرج للمطالبة بدم عثمان، وتطورت الأمور وحدث قتال، وخرج عثمان بن حنيف إلى بن أبي طالب رضي الله عنه فلقيه في طريقه إلى البصرة قبيل وقعة الجمل، وبذلك انتهت ولاية عثمان بن حنيف، وقد وصل على بن أبي طالب إلى البصرة ومكث فيها بعضاً من الوقت حدثت في أثناءه وقعة الجمل - التي سيأتي تفصيلها باذن الله تعالى - وعندما أراد على بن أبي طالب الخروج من البصرة ولـي عبد الله ابن عباس، رضي الله عنه، وقد ولـي على مع عبد الله بن عباس زيد بن أبيه على الخراج، وأمر ابن عباس أن يستشيره ويأخذ برأيه نظراً لما وجد على ء

(1) الاستيعاب (348/3).

(2) سير أعلام النبلاء (105/2)، وموريات أبي مخنف في تاريخ الطبرى، ص (248).

(3) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبرى، ص (247).

(4) فضائل الصحابة (751/2) وسنه صحيح، مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبرى، ص (248).

(5) مرويات أبي مخنف، ص (248).

(6) مرويات أبي مخنف، ص (248).

(7) سير أعلام النبلاء (320/2).

(8) خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد على، ص (107)، تاريخ الطبرى (5) (492/5).

نده من خبرة في العمل وفطانة في السياسة⁽¹⁾. وقدم على بعض النصائح لابن عباس منه ا قوله: «أوصيك بتقوى الله عز وجل والعدل على من ولاك الله أمره، انسع للناس بوجهك وعلمه وحكمك، وياك والإخن⁽²⁾، فإنها تميّت القلب والحق، وأعلم أن ما قررك من الله بعدك من النار، وما قربك من النار بعدك من الله، واذكر الله كثيراً ولا تكن من الغافل ين⁽³⁾. وقد بدأ ابن عباس يمارس عمله في ولادته وهو صحابي عرف بعلمه الواسع في ا لفقه والتفسير، وقد أثبتت مهارة إدارية بتوظيد الأمان في سجستان وهي تابعة لولاية البصرة، وفي إقليم فارس حيث عين زياد بن أبي سفيان واليًا عليه، كما أذابه حين خرج من البصرة فتمكن من ضبط الأمان فيها، ويعتبر عبد الله بن عباس من أهم رجالات أمير المؤمنين على، وكان يرافقه في الأحداث الخطيرة، وينصح له ويجادل عنه، وكان أمير المؤمنين على يعتمد عليه ويستشيره، وقد استمرت ولاية ابن عباس على البصرة حتى 39 هـ، وكان يعاونه صاحب الشرطة وصاحب الخراج، وقد استمر ابن عباس في بعض الر ايات على البصرة حتى مقتل على، قال الطبرى في حوادث سنة 40هـ: فيها خرج عبد الله بن عباس من البصرة، ولحق بمكة في قول عامة أهل السير، وقد أنكر ذلك بع ضهم وزعم أنه لم ينزل بالبصرة عاملًا عليها من قبل أمير المؤمنين على رضي الله عنه حتى قتل، وبعد مقتل على صالح الحسن معاوية، ثم خرج إلى مكة⁽⁴⁾.

إن شخصية ابن عباس كانت شخصية قيادية جمعت صفات القائد الرباني، من العلم والفتنة والذكاء والصبر، والحزم، وغيرها من الصفات إلا أنه أشتهر بالفقه والعلم بسب ب دعاء رسول الله له بالفقه في الدين والعلم بالتأويل، وأخذه عن كبار الصحابة، وقوة اجتهاده وقدرته على الاستنباط، واهتمامه بالتفسير، ومنهجه المتميز في تعليم أصحابه، وحرصه على نشر العلم، ورحلاته وأسفاره، وتأخر وفاته وقرب منزلته من عمر، رضي الله عنه⁽⁵⁾، فقد حظي بعناية خاصة من الفاروق عندما لمس فيه مخايل النجابة والذكاء والفتنة، فكان يدnyه من مجلسه، ويقربه إليه، ويشاوره، ويأخذ برأيه فيما أشكل من الآيات، وابن عباس مازال شابًا غلامًا، فكان لذلك الآخر البالغ في دفعه وحثه على التحصي ل والتقدير، بل والإكثار في باب التفسير وغيره من أبواب العلم، فعن عامر الشعبي عن ابن عباس، رضي الله عنه، قال: قال لي أبي: يا بنى إني أرى أمير المؤمنين يقررك، ويخذلوك، ويستشيرك مع أناس من أصحاب رسول الله، فاحفظ عنى ثلاثة: اتق الله ولا تقصد ين له سرًا، ولا يجرئ عليك كذبة، ولا تغتابن عنده أحد⁽⁶⁾، وكان عمر يدخله مع أكابر الصحابة، وما ذلك إلا لأنه وجد فيه قوة الفهم وجودة الفكر، ودقة الاستنباط، وقد قال ابن عباس، رضي الله عنهما: كان عمر يسألني مع أصحاب محمد ، فكان يقول لي: لا تتكلموا، فإذا تكلمت قال: غلبتوني أن تأتوا بما جاء به هذا الغلام الذي لم تجتمع شؤون رأسه⁽⁷⁾، وكان ابن عباس لشدة أدبه، إذا جلس في مجلس فيه من هو أسن منه لا يتحدث إلا إذا أذن له، فكان عمر يلمس ذلك منه فيحيثه، ويحرضه على الحديث تنشيطًا لنفسه، وتشجيعًا له في العلم⁽⁸⁾. وكان لعمر، رضي الله عنه، مجلس يسمع فيه الشباب ويعلمهم، وكان ابن عباس من المقدمين عند عمر، فعن عبد الرحمن بن زيد قال: كان

(1) تاريخ الطبرى (580/5).

(2) الإخن: الأحقاد.

(3) وقعة صفين للمنقري ص (105)، الولاية على البلدان (15/2).

(4) تاريخ الطبرى (56/6).

(5) تفسير النابغين (395-374/1).

(6) الحطبة (318/10)، تفسير التابعين (376/1).

(7) المستدرك (53/3) صحيح إسناده الحكم ووافقه الذهبي.

(8) تفسير التابعين (377/1).

عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، إذا صلى السبحرة وفرغ دخل مربيه⁽¹⁾، فأرسل إلى فتيان قد قرعوا القرآن منهم ابن عباس، قال: فيأتون فيقرؤون القرآن ويتدارسونه، فإذا كان القائلة انصر فنا، قال: فمروا بهذه الآية: **وَإِذَا قُبِّلَ لَهُ أَدْقَنَ اللَّهُ أَحْذَثَهُ الْعَزَّةَ بِالْأَثْمِ فَحَسِبْتُهُ جَهَنَّمَ وَلَبِئْسَ الْمَهَاجَدُ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أَبْتَغِيَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَوْفٌ بِالْعَبَادِ** "[البقرة: 206، 207]"، فقال ابن عباس لبعض من كان إلى جانبه: اقتل الرجال: فسمع عمر ما قال، فقال: وأي شيء قلت؟ قال: لا شيء يا أمير المؤمنين، قال: لماذا قلت؟ اقتل الرجال؟ قال: فلما رأى ذلك ابن عباس قال: أرى هاهنا من إذا أمر بنتقوى الله أخذته العزة بالإثم، وأرى من يشرى نفسه بنتقاء مرضاه الله، يقوم هذا فيأمر هذا بنتقوى الله فإذا لم يقبل، وأخذته العزة بالإثم قال هذا: وأنا أشرى نفسي، فاقتتل الرجال، فقال عمر: الله تلاذك يا ابن عباس⁽²⁾، وكان عمر، رضي الله عنه، يسأل ابن عباس عن الشيء من القرآن ثم يقول: غص غواص⁽³⁾، بل كان إذا جاءته الأقضية المعضلة يقول لابن عباس: يا ابن عباس قد طرأت علينا أقضية عضل، وأنت لها ولآمثالها، ثم يأخذ برأيه، وما كان يدعوه لذلك أحداً سواه إذا كانت العضل⁽⁴⁾، وعن سعد بن أبي وقاص قال: ما رأيت أحداً أحضر فهمما، ولا ألب ليداً، ولا أكثر علمماً، ولا أوسع حلمماً من ابن عباس، ولقد رأيت عمر بن الخطاب يدعو للغضولات ثم يقول: عندك قد جاءتك معضلة، ثم لا يجاوز قوله، وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار⁽⁵⁾، وكان عمر يصفه بقوله: ذاك فتى الكهول، إن له لساناً سوولاً، وقلباً عقولاً⁽⁶⁾، يقول طلحة بن عبد الله: ما كنت أرى عمر بن الخطاب يقدم على ابن عباس أحداً⁽⁷⁾، وكان ابن عباس، رضي الله عنه، كثير الملازمات لعمر، حريصاً على سؤاله والأخذ عنه، ولذا كان رضي الله عنه من أكثر الصحابة نقلاً وروایة لتقسيير عمر وعلمه - رضي الله عنه -، وقد أشار بعض أهل العلم إلى أن عامة علم ابن عباس أخذه عن عمر، رضي الله عن الجميع⁽⁸⁾، لقد كان اهتمام عمر به مساعداً له على المضي قدماً في طريق العلم عامه والتفسير خاصة⁽⁹⁾، ولذلك شررت المدرسة المكية في عهد التابعين بحبر الأمامة وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما⁽¹⁰⁾، وكان ابن عباس في عهد عثمان من المقربين إلى الخليفة، وقد كلفه بالحج بالناس في العام الذي قتل فيه⁽¹¹⁾، هذا وقد عمل بعض المتأثرين بمدرسة الاستشراق بتشويهه صورة حبر الأمة ونسموا إليه أباطيل وأكاذيب الصفوها بسييرته، علمًا بأن مدرسة الاستشراق فيما يتعلق بالعهد الراشدي وتاريخ صدر الإسلام امتداد لمورخي الرفض والشيعة الغلاة الذين اخْتَلَقُوا الروايات والأخبار، ولطخوا بها سيرة الصحابة الكرام، فحاء مورخو الاستشراق وأحيوا تلك الأخبار الكاذبة، والروايات الموضوعة، وصاغوها بأسلوب حديث ويرفعون شعار الموضوعية والبحث العلمي، وكل هذا كذب وزور، وقد تأثر به الكثير من الباحثين والأدباء والمورخين، ولذلك تجد في كتب التاريخ والأدب المعاصر البعيدة عن منهج أهل السنة والموغلة في مناهج الاستشراقين، تشويهًا عجيبًا للصحابية، فمثلاً: زعمت تلك الكتب أن عبد الله بن عباس ر

(1) السبحرة: الدعاء وصلة التطوع، المرید: المكان يجعل فيه التمر.

(2) تقسيير الطبرى (245/4)، الدر المنثور (1/578).

(3) فضائل الصحابة لأحمد (981/1) رقم (140).

(4) تقسيير التابعين (1/37).

(5) طبقات ابن سعد (2/369).

(6) تقسيير التابعين (1/379)، فضائل الصحابة لأحمد رقم (1555).

(7) طبقات ابن سعد (2/370).

(8) تقسيير التابعين (2/370).

(9) المصدر نفسه (1/506).

(10) عمر بن الخطاب للصلابي، ص (220).

(11) تاريخ الطبرى (5/431-325).

ضي الله عنه نهب أموال المسلمين بالبصرة، وغدر بابن عمه على رضي الله عنه، وهر ب بالأموال المسروقة إلى مكة، وتطلع للانضمام إلى معاوية⁽¹⁾ بعد أن كان مع على، ذكر ذلك دون حياء صاحب كتاب الفتنة الكبرى (على وبنوه) الدكتور طه حسين والعبارة التي وردت على لسان طه حسين في كتابه (على وبنوه):

1- قال: وكان لابن عباس من العلم بأمور الدين والدنيا، ومن المكانة في بذلك هاشم خاصة وفي قريش عامة، وفي نفوس المسلمين جميعاً، ما كان خليقاً أن يعصمه من الانحراف عن ابن عمه⁽²⁾.

2- قال: رأى ابن عباس نجم ابن عمه في أحواله، ونجم معاوية في صعود فأقام في البصرة يفكر في نفسه أكثر مما يفك في ابن عمه⁽³⁾.

3- قال: ولو نسي ابن عباس نفسه قليلاً! ولكنه لم يضعها بحيث كان يجب عليه أن يضعها منذ قليل، أن يكون والياً لعلى على مصر من أمصار المسلمين⁽⁴⁾.

وغير ذلك من الأكاذيب والتزهات التي اعتمد قائلوها على الروايات الضعيفة وال موضوعة، ويكتفى شرفاً لابن عباس دعاء رسول الله × له: «اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين»⁽⁵⁾.

هذا، وقد بدأ ابن عباس يمارس عمله في ولائته على البصرة بعد خروج على من ال بصرة إلى الكوفة، ولحق ابن عباس بعلي قبيل صفين واستخلف على البصرة زياد بن أبيه⁽⁶⁾، وفي أثناء ولالية ابن عباس على البصرة قام بالعديد من الأعمال أهمها ترتيب (سد جستان) بعد أن قتل ولاليها على يد مجموعة من الخوارج، حيث بعث إليها ابن عباس بأمر من على مجموعة من أجناد البصرة تمكنوا من قتل الخوارج فيها وترتيب أمورها وتأمين أهلها سنة 36هـ⁽⁷⁾، كما كان لابن عباس وأجناد البصرة دور مع على بن أبي طلاق في معركة صفين⁽⁸⁾، كما قام ابن عباس بتنظيم شئون بعض الأقاليم التابعة لولائته وعين عليها الأمراء من قبله، حيث وجه إلى فارس زياد بن أبيه فرتبتها، واستطاع أن ينطم أمورها ويؤدب أهلها بعد عصيانهم⁽⁹⁾، وفي أيامه غدر أهل اصطخر فقام بغزوهم وتآدم عليهم⁽¹⁰⁾، وفي سنة 38هـ أرسل معاوية بن أبي سفيان رجالاً إلى البصرة ليدعوه له بين أهلها، إلا أن زياد بن أبيه نائب ابن عباس على البصرة تمكن من مقاومته ومدافعته حتى قتل الرجل في إحدى دور البصرة⁽¹¹⁾، وكان ابن عباس يرافق علياً في كثير من تحركاته في نواحي العراق، وإذا وقعت بعض الأشياء وابن عباس في البصرة كان على يطشه عليها بالكتب التي كان يرسلها إليها باستمرار ويأخذ رأيه في كثير من القضايا عن طريق المراسلة، كما كان ابن عباس أيضاً يكتب لعلى عن شئون ولائته، كما بعثه على سنة 38هـ على الحج نياية عنه، وقد استمر ابن عباس في ولالية البصرة إلى استشهاد على أخذًا برأي الطبراني في ذلك، وقد وجد مجموعة من المساعدين لولائي البصرة أيام عل

(1) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، ص (191).

(2) الفتنة الكبرى (على وبنوه)، ص (121).

(3) المصدر نفسه، ص (122).

(4) المصدر نفسه، ص (126).

(5) الطبراني رقم (10587) إسناده صحيح.

(6) تاريخ خليفة بن خياط، ص (201)، ولالية على البلدان (16/2).

(7) الكامل في التاريخ، ص (352)، (351/2).

(8) الولاية على البلدان (16/1)، تاريخ الطبراني (5/595 إلى 615).

(9) تاريخ الطبراني (53)، (52/6).

(10) الأكابر الطوال، ص (205)، الولاية على البلدان (16/2).

(11) الولاية على البلدان (16/2) نقلًا عن خليفة بن خياط.

ى فيهم القاضي وصاحب الشرطة، وصاحب الخراج وغيرهم، كما كانت تتبع ولاية البصرة مجموعة من الأقاليم في بلاد فارس.

ومما سبق يتبيّن لنا أن على بن أبي طالب بعد مبايعته بادر إلى عزل ابن عامر، والى عثمان على البصرة، وعين مكانه عثمان بن حنيف، ولكن حملة الجمل أحثت ارتباكًا في البصرة، وبالتالي خرجت من سيطرة عثمان بن حنيف، فاضطر إلى مغادرتها حتى قدم على، وبعد موقعة الجمل عمل علىٰ على تنظيم أمورها⁽¹⁾. كما وقعت بعض الاضطرابات في البصرة من جراء حركة الخوارج، وكذلك أشاء محاولة معاوية السيطرة عليه، إلا أن البصرة مع ذلك استمرت إحدى الولايات الإسلامية التابعة لخلافة على طيلة عشرة، ولم يتمكن خصومه من السيطرة عليها⁽²⁾. وبرزت في البصرة قدرات ابن عباس القيادية، وقد انفع بصحابته على رضي الله عنهم وتأثر به غالبية التأثير، وكان أمير المؤمنين على يتعهد بالنصوح والإرشاد والمواعظة بين الحين والآخر، حتى أن ابن عباس قال: ما انقطعت بكلام أحد بعد رسول الله × كانتفاعي بكتاب كتب به إلى على بن أبي طالب رضي الله عنه، فإنه كتب إلى: أما بعد فإن المرء يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، ويسره درك ما لم يكن ليفوته، فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك، ول يكن أسفاك على ما فاتك منها، وما نلت من دنياك فلا تكثرن به فرحةً، وما فاتك منها فلا تأس عليه حزناً، ول يكن همك فيما بعد الموت⁽³⁾.

وقد كان ابن عباس من أهل القيام، فعن ابن مليكة قال: صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة، فكان يصلى ركعتين، فإذا ترك، قام شطر الليل، ويرتل القرآن حرفاً حرفاً، ويكثر في ذلك من الشیح والنحیب⁽⁴⁾. وقد كان رضي الله عنه غزير الدمعة حتى أثر ذلك على خديه، فعن أبي ر جاء، قال: رأيت ابن عباس وأسفل من عينيه مثل الشراك البالبي من البكاء⁽⁵⁾. وكان رضي الله عنه يصوم الاثنين والخميس، فعن سعيد بن أبي سعيد، قال: كنت عند ابن عباس، فجاء رجل، فقال: يا ابن عباس، كيف صومك؟ قال: أصوم الاثنين والخميس، قال: ولم؟ قال: لأن الأعمال ترفع فيهما، فأحب أن يرفع عملي، وأنا صائم⁽⁶⁾. وكان كريما جواداً يحفظ لأهل السبق مكانتهم ومنزلتهم، فقد تعرض أبو أيوب الانصاري رضي الله عنه لأزمة مالية وأنقلته الديون، فنزل على ابن عباس، ففرغ له بيته، وقال: لأصنعن بك كما صنعت برسول الله ×، ثم قال: كم دينك؟ قال: عشرون ألفاً فطاها أربعين ألفاً، وعشرين مملاوكاً، وكل ما في البيت⁽⁷⁾.

وكان من أبلغ الناس وله قدرة عجيبة على تفهيم المستمعين، فعن الأعمش قال: حدثنا أبو وائل قال: خطبنا ابن عباس، وهو أمير على الموسم، فافتتح سورة النور، فجعل يقة رأ ويفسر، فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثل هذا، لو سمعته فارس والر ونم والترك لأسلمت⁽⁸⁾. وكان رضي الله عنه من أجمل الناس وأفصح الناس، وأعلم الناس، فعن مسروق قال: كنت إذا رأيت ابن عباس، قلت: أجمل الناس، فإذا نطق، قلت: أف-

(1) الولاية على البلدان (2/17).

(2) الولاية على البلدان (2/17).

(3) صفة الصفة (1/327).

(4) سير أعلام النبلاء (3/352).

(5) المصدر نفسه (3/352).

(6) سير أعلام النبلاء (3/352)، إسناده فيه ضعيف إلا أن فعل ابن عباس ثابت عن النبي × حيث قال: «عرض الأعمال يوم الاثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم» رواه الترمذى

رقم 4847 حديث حسن.

(7) المصدر نفسه (3/351)، الحلية (1/324).

(8) سير أعلام النبلاء (3/351).

صح الناس، فإذا تحدث، قلت: أعظم الناس⁽¹⁾، وقال القاسم بن محمد: ما رأيت في م杰س ابن عباس باطلاً قط⁽²⁾، وقد أصيب رضي الله عنه ببصره قبل وفاته وقد قال في ذلك شعرًا:

ففي لساني وقلبي منهما نور

إن يأخذ الله من عيني نور هما

وفي فمي صارم كالسيف مأثور⁽³⁾

قلبي ذكي وعقلني غير ذي دخل

وهو أحد المؤثرين في الأحداث في عهده، وهو باختصار من أفضل النماذج لورثة الأنبياء.

تاسعًا: ولاية الكوفة:

استشهد عثمان رضي الله عنه وواليه على الكوفة أبو موسى الأشعري، وبعد مبايعة على بالخلافة أقر أمير المؤمنين على أبي موسى الأشعري على ولايته، وقد أخذ له البيعة من أهلها، وكتب له بموقف أهل الكوفة من بيعته، من حيث تقبل الكثير للبيعة⁽⁴⁾، وعند ما خرج أمير المؤمنين من المدينة للعراق كان يسأل عن أبي موسى خصوصًا، ففي أثناء الطريق إليها لقيه رجل من أهل الكوفة، فسأله على عن أبي موسى فقال: إن أردت الصلح فأبو موسى صاحب ذلك، وإن أردت القتال، فأبو موسى ليس بصاحب ذلك، قال: والله ما أريد إلا الإصلاح حتى يردد علينا، قال: قد أخبرتك الخبر⁽⁵⁾، وقد تبين فيما بعد بذلك أبي موسى إلى الصلح والمسالمة وعدم القتال بين المسلمين، فقد بعث على محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر والحسن بن علي وغيرهم في وفود مختلفة لاستئثار أهل الكوفة قبل موقعة الجمل - سيأتي الحديث عنها بالتفصيل لاحقًا إن شاء الله تعالى - فسأل أهل الكوفة أبي موسى عن الموقف واستشاروه في الخروج: فقال: أما سبيل الآخرة فإن تقيموا ، وأما سبيل الدنيا فإن تخرجو وأنتم أعلم⁽⁶⁾، وقد افتتح العديد من أهل الكوفة بعد ذلك بالخروج مع الحسن، رضي الله عنه، بعد محاورات متعددة وطويلة بينهم وبين الحسن، وقيل إنه خرج معه قرابة تسعين ألفاً⁽⁷⁾، وتميل العديد من الروايات إلى أن ولاية أبي موسى على الكوفة قد انتهت في هذه الفترة قبيل موقعة الجمل، حيث تذكر بعض الروايات أن الأشتر «وكان أحد قواد على» قد طرد أبو موسى وغلمانه من قصر الكوفة وتغلب عليه⁽⁸⁾، كما ذكرت بعض الروايات أن عليًا كتب إلى أبي موسى بعزله، وعين مكانه «قرضة بن كعب الانصاري» واليًا على الكوفة⁽⁹⁾، ثم إن على بن أبي طالب رضي الله عنه قدم الكوفة بعد موقعة الجمل حيث أصبحت الكوفة قاعدة الخلافة، وبالتالي كان على رضي الله عنه هو المسؤول مباشرة عن أحوال الكوفة وما يتبعها من ولايات، وأصبح له امكانية خاصة بقية عصره، حيث كانت عاصمة الخلافة ومنها يدير أمير المؤمنين على مختلف أنحاء الدولة، وإليها تقدم الوفود، ومنها تخرج الأجناد، كما كان ذلك سببًا في جذب السكان إليها، ولا شك أن هذا كان له دور كبير في تنشيط الحركة التجارية وال عمرانية في الكوفة طيلة خلافة على. وقد كان رضي الله عنه كثير الاهتمام بالكوفة وينتقد أهلها

(1) سير أعلام النبلاء (351/3).

(2) سير أعلام النبلاء (351/3).

(3) المصدر نفسه (357/3).

(4) تاريخ الطبرى (467/5).

(5) المصدر نفسه (511/5).

(6) المصدر نفسه (508/5).

(7) المصدر نفسه (517/5).

(8) تاريخ الطبرى (519/5).

(9) الاستبصار لأبن قدامه ص 124، الولاية على البلدان (19/2).

ا بنفسه، كما يحرص على تعيين من ينوب عنه في ولاتها في حال غيابه، فحينما أراد على الخروج إلى صفين ولى على الكوفة «أبا مسعود البدرى»⁽¹⁾ وحينما أراد التوجه لقتال الخوارج في «النهرawan»⁽²⁾، ولـى على الكوفة «هانى بن هوذة النخعى»⁽³⁾، فلم يز لـ بالـ الكوفـة حتى استـشهدـ على⁽⁴⁾ رضـي اللهـ عـنهـ.

ومما سبق نلاحظ أن الكوفة كانت تدار من قبل الولاية، حتى إذا تخذـها على رضـي اللهـ عـنهـ مقرـاـ للخلافـةـ أصـبحـ هوـ المسـئـولـ عـنـ ولـاتـهاـ،ـ وأـخذـ يـنـبـيبـ عـنـهـ مـنـ يـتـولـىـ شـؤـونـهاـ فيـ غـيـابـهـ،ـ وأـصـبـحـ الـكـوـفـةـ ذاتـ أـهمـيـةـ خـاصـةـ نـظـرـاـ لـ إـقـامـةـ أمـيرـ المؤـمنـينـ فـيـهاـ⁽⁵⁾.

عاشرًا: ولايات الشرق:

1- فارس: تذكر المصادر أن على بن أبي طالب ولـى على فارس سـهـلـ بنـ حـنـيفـ اـلـأـنـصـارـيـ،ـ رـضـيـ اللهـ عـنهـ،ـ وـقـدـ اـسـتـمـرـ وـالـيـاـ علىـ فـارـسـ فـتـرـةـ مـنـ الـوقـتـ،ـ ثـمـ إـنـ أـهـلـ فـارـسـ عـصـواـ وـأـخـرـجـواـ سـهـلـ بـنـ حـنـيفـ سـنـةـ 37ـهـ تـقـرـيـبـاـ،ـ فـاتـصـلـ عـلـىـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ بـاـيـنـ عـبـاسـ،ـ وـتـبـاحـثـ مـعـهـ فـيـ شـأـنـ فـارـسـ،ـ وـكـانـ اـبـنـ عـبـاسـ عـلـىـ الـبـصـرـةـ،ـ فـاتـقـقـ مـعـهـ بـعـدـ اـسـتـ شـارـةـ مـجـمـوعـةـ مـنـ النـاسـ عـلـىـ أـنـ يـبـعـثـ اـبـنـ عـبـاسـ مـسـاعـدـهـ زـيـادـ بـنـ أـبـيـ سـفـيـانـ عـلـىـ فـارـسـ⁽⁶⁾،ـ وـهـنـاـ يـبـدـوـ الـاـرـتـبـاطـ وـاضـحـاـ بـيـنـ وـلـاـيـةـ الـبـصـرـةـ وـإـقـلـيمـ فـارـسـ،ـ وـإـحـسـاسـ اـبـنـ عـبـاسـ بـمـسـئـولـيـتـهـ عـنـ ذـلـكـ إـقـلـيمـ عـنـ ذـلـكـ إـقـلـيمـ عـلـىـ بـعـثـ أـحـدـ مـعـاوـيـهـ إـلـىـ ذـلـكـ إـقـلـيمـ لـضـبـطـهـ وـتـرـتـيـبـ أـمـورـهـ،ـ وـقـدـ تـوـجـهـ زـيـادـ إـلـىـ فـارـسـ يـصـاحـبـهـ أـرـبـعـةـ أـلـافـ جـنـديـ،ـ فـدـوـخـ تـلـكـ الـبـلـادـ وـقـضـىـ عـلـىـ الـفـتـنـةـ فـيـهـاـ وـتـمـكـنـ مـنـ ضـطـهاـ⁽⁷⁾،ـ وـقـدـ اـشـتـهـرـ زـيـادـ بـمـقـدـرـةـ سـيـاسـيـةـ ذـذـةـ مـكـنـتـهـ مـنـ إـعادـةـ الـاسـقـرـارـ إـلـىـ ذـلـكـ الـبـلـادـ بـأـقـلـ الخـائـرـ⁽⁸⁾،ـ يـقـولـ الطـبـرـيـ:ـ لـمـ قـدـ زـيـادـ فـارـسـ بـعـثـ إـلـىـ رـؤـسـائـهـ فـوـعـدـ مـنـ نـصـرـهـ وـمـذـاهـ،ـ وـخـوـفـ قـوـمـاـ وـتـوـعـدـهـمـ وـضـرـبـ بـعـضـهـمـ بـبـعـضـ،ـ وـدـلـ بـعـضـهـمـ عـلـىـ عـورـةـ بـعـضـ،ـ وـهـ رـبـتـ طـائـفةـ،ـ وـأـقـامـتـ طـائـفةـ،ـ فـقـتـلـ بـعـضـهـمـ بـعـضـاـ،ـ وـصـفتـ لـهـ فـارـسـ فـلـمـ يـلـقـ فـيـهـاـ حـمـيـاـ وـلـاـ حـرـبـاـ،ـ وـفـعـلـ مـثـلـ ذـلـكـ بـكـرـمانـ⁽⁹⁾،ـ ثـمـ رـجـعـ إـلـىـ فـارـسـ فـسـارـ فـيـ كـورـهـاـ وـمـنـاهـ فـسـكـنـ اـلـنـاسـ إـلـىـ ذـلـكـ فـاسـقـامـتـ لـهـ الـبـلـادـ⁽¹⁰⁾،ـ وـقـدـ قـامـ زـيـادـ بـتـنظـيمـ أـمـورـ فـارـسـ،ـ وـبـنـىـ فـيـهـاـ بـعـضـ الـحـصـونـ،ـ وـقـامـ بـتـرـتـيـبـ شـؤـونـ الـخـرـاجـ فـيـهـاـ،ـ كـمـ ضـبـطـ الـعـدـيدـ مـنـ الـبـلـادـ التـابـعـةـ لـوـلـاـتـهـ دـتـيـ أـمـنـتـ الـبـلـادـ وـاسـقـامـتـ⁽¹¹⁾،ـ وـقـدـ اـسـتـمـرـ زـيـادـ وـالـيـاـ عـلـىـ فـارـسـ بـقـيـةـ خـلـافـةـ عـلـىـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ،ـ وـكـانـ زـيـادـ أـشـهـرـ وـلـاـتـهـ عـلـىـ فـارـسـ نـظـرـاـ لـسـيـاسـتـهـ وـتـمـكـنـهـ مـنـ ضـبـطـهـ⁽¹²⁾.

وـقـدـ وـجـدـتـ بـعـضـ التـقـيـمـاتـ الـإـدـارـيـةـ دـاـخـلـ إـقـلـيمـ فـارـسـ،ـ فـقـدـ وـرـدـ ذـكـرـ بـعـضـ الـوـلـاـتـ الـمـخـتـصـةـ بـبـلـادـ مـعـيـنةـ دـاـخـلـ إـقـلـيمـ،ـ فـقـدـ ذـكـرـتـ اـصـطـخـرـ،ـ وـذـكـرـ أـنـهـ كـانـ مـنـ وـلـاتـهـ الـمـنـذـرـ بـنـ الجـارـودـ⁽¹³⁾،ـ وـجـرـتـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ عـلـىـ بـعـضـ الـمـكـاتـبـ⁽¹⁴⁾،ـ كـمـ أـنـ زـيـادـ بـنـ أـبـيـ سـفـيـانـ سـكـنـهـ وـتـحـدـ

(1) سير أعلام النبلاء (2/493).

(2) هي كورة واسعة بين بغداد وواسط بها العديد من القرى، وبها وقعة أمير المؤمنين على مع الخوار

جـ،ـ مـعـجمـ الـبـلـادـ (5/324).

(3) الـوـلـاـتـ عـلـىـ الـبـلـادـ (20/20)،ـ تـارـيـخـ خـلـيفـةـ صـ (202).

(4) المصـدرـ نـفـسـهـ (2/20).

(5) المصـدرـ نـفـسـهـ (2/20).

(6) تـارـيـخـ الطـبـرـيـ (6/71).

(7) تـارـيـخـ الطـبـرـيـ (7/53).

(8) وـلـاـيـةـ الـبـلـادـ (2/21).

(9) تـارـيـخـ الطـبـرـيـ (6/53).

(10) المصـدرـ نـفـسـهـ (6/52).

(11) المصـدرـ نـفـسـهـ (6/53).

(12) الـوـلـاـتـ عـلـىـ الـبـلـادـ (2/21).

(13) الطبقات الكبرى (5/561).

(14) الطبقات الكبرى (5/877).

صن بها بعد مقتل على رضي الله عنه⁽¹⁾، كما ذكرت من بلدان فارس أصبهان التي تعد من أكبر كورها⁽²⁾، وقد ذكر من ولاتها على محمد بن سليم⁽³⁾، كما كان من أشهر ولاة أصبهان لـ على «عمر بن سلمة» وقد قدم بأموال وطعام من أصبهان إلى أمير المؤمنين على بن أبي طا لـ⁽⁴⁾، وقد ضربت الراهن زمن على في هذه المناطق الفارسية سنة 39هـ، ولا يزال بعض منها محفوظاً في المتحف العراقي وتحمل عبارات عربية، إضافة إلى تاريخ ضربها⁽⁵⁾.

2- خراسان: تعتبر خراسان ولاية واسعة، وقد ارتبطت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بولاية البصرة في عهد الخلفاء الراشدين، وفي خلافة على رضي الله عنه ورد ذكر العديد من الحوادث التي وقعت في هذه الولاية خلال تلك الفترة، كما ورد ذكر بعض ولاتها، وبعض الأمراء على كورها وبلدانها، فقد ورد أن أول ولاة على على خراسان عبد الرحمن بن أبي زبي⁽⁶⁾، كما كان من ولاة على إلى خراسان جعدة بن هيبة بن أبي وهب⁽⁷⁾، وقد بعثه على رضي الله عنه إلى خراسان، بعد عودته من صفين سنة 37هـ، وكان أهل خراسان قد ارتدوا فحاول تأديبهم وتتنظيم البلاد مرة أخرى⁽⁸⁾، إلا أنه - على ما يدرو - لم ينجح، فيبعث على أحد قواده إلى خراسان، حتى تمكن من مصالحة أهله، وضبط أمورها مرة أخرى⁽⁹⁾.

كما تعد سجستان أحد الأقاليم المجاورة لخراسان، وكلا الإقليمين مرتبطة إلى حد ما بولاي البصرة، وفي الغالب فإن هناك ارتباطاً إدارياً بين الإقليمين، وقد ورد ذكر بعض ولاية سجستان في عهد على بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن هؤلاء عبد الرحمن بن جزء الطائي⁽¹⁰⁾، وقد بعثه على رضي الله عنه إلى سجستان بعد موقعة الجمل، فقام ثوار من صالحيك العرب بقتله، وعاثوا فساداً في البلد، فكتب على إلى ابن عباس في البصرة أن يوجه أميراً آخر إلى سجستان، فوجه ربعي بن كأس العنبري، فاستطاع القضاء على ثورة الصالحية، وقتل زعيمهم وضبط أمور البلاد، واستقر بها إلى أن استشهد على بن أبي طالب رضي الله عنه⁽¹¹⁾.

وكانت همدان: أحد الثغور الشرقية، وقد امتازت أثناء ولاية عثمان بوجود والمستقل فيها، وتوفي عثمان وعليها جرير بن عبد الله البجلي، وبعد مبايعة على بالخلافة ووصوله إلى العراق بعث إلى جرير بن عبد الله في همدان يأمره بأخذ البيعة له بالخلافة على من قبله من الناس والقدوم إليه⁽¹²⁾، وبعث بالرسالة مع رجل يعتمد عليه وقال: إنني بعثت إليك بفلان، فسألته عما بدا لك وأقر كتابي هذا على المسلمين⁽¹³⁾، وقد قدم جرير إلى على في الكوفة فيبعث إلى معاوية في الشام، ثم عاد مرة أخرى وتعرض للإهانة من قبل بعض أجناد على، ومنهم الأشتر وغيره، فلحق جرير بمعاوية في الشام، وترك ولادته

(14) تاريخ التعزري (203/2)، الولاية على البلدان (22/2).
(1) الأخبار الطوال، ص (219)، الولاية على البلدان (22/2).

(2) معجم البلدان (207/1).

(3) الأخبار الطوال، ص (153)، الولاية على البلدان (22/2).

(4) الكامل في التاريخ (442/2).

(5) الراهن الإسلامي للخلفاء الراشدين، ص (5)، وداد القراء.

(6) فتوح البلدان ص (399).

(7) تهذيب النomal (191/1)، الولاية على البلدان (23/2).

(8) فتوح البلدان، ص (399)، الولاية على البلدان (23/2).

(9) تاريخ خليفة بن حبطة، ص (199)، الولاية على البلدان (23/2).

(10) الولاية على البلدان (23/2).

(11) فتوح البلدان، ص (387)، الأخبار الطوال، ص (153)، الولاية على البلدان (153/2).

(12) تاريخ الطبراني (599/5).

(13) الفتوح، ابن آئتم الكوفي (363/2)، الولاية على البلدان (167/2).

، وكان ذلك قبل موقعة صفين⁽¹⁾.

3- أذربيجان: كان الأشعث بن قيس عاملاً على أذربيجان حينما توفي عثمان بن عفان، فلما بُويع على بن أبي طالب بالخلافة كتب إلى الأشعث بن قيس أن يبَايِع له، وأن يأخذ له البيعة على من قبله⁽²⁾، ويبدو أن علياً رضي الله عنه استقدم الأشعث بن قيس فلا حق بعلي في الكوفة، ثم شهد معه المشاهد حيث اشتراك معه في صفين⁽³⁾، وفي قتال الخوارج، ويبدو أن علياً رضي الله عنه ولـى على أذربيجان خلال هذه الفترة سعيد بن ساريـة الخزاعي، ثم أعاد الأشعث بن قيس مرة أخرى على أذربيجان، ويظهر أن علياً ضم إلـيه ولاية أرمينية، كما صرـح بذلك البلاذرـي⁽⁴⁾، وقد كانت للأـشـعـثـ بنـ قـيسـ بعضـ الأـعمـالـ المـهمـةـ أـثـنـاءـ وـلـايـتـهـ أـذـرـبـيـجـانـ لـعـلـىـ،ـ وـمـنـ ذـلـكـ إـنـزـالـهـ مـجـمـوعـةـ مـنـ العـرـبـ مـنـ أـهـلـ الـعـطـاءـ أـرـدـبـيلـ⁽⁵⁾،ـ وـتـمـسـيرـهـ وـبـنـاءـ مـسـجـدـهـ بـعـدـ أـنـ اـنـتـشـرـ إـلـاسـلـامـ بـيـنـ أـهـلـهـ⁽⁶⁾ـ،ـ وـقـدـ وـرـدـتـ بـعـضـ الـأـسـمـاءـ لـوـلـاـةـ عـلـىـ فـيـ بـعـضـ بـلـادـ الـمـشـرـقـ الـأـخـرـىـ،ـ مـنـ ذـلـكـ أـسـمـاءـ بـعـضـ الـوـلـاـةـ فـيـ الـأـهـواـزـ،ـ وـمـنـهـ الـخـرـيـتـ بـنـ رـاشـدـ،ـ وـقـدـ كـانـ وـالـيـاـ عـلـىـ بـعـضـ بـلـادـ الـأـهـواـزـ قـبـلـ صـفـيـ نـ،ـ فـلـمـ رـجـعـ عـلـىـ مـنـ صـفـينـ أـخـذـ الـخـرـيـتـ يـجـمـعـ الـجـنـودـ،ـ وـيـدـعـوـ إـلـىـ خـلـعـ عـلـىـ،ـ وـاسـتـولـىـ عـلـىـ بـعـضـ الـأـمـاـكـنـ فـلـغـ ذـلـكـ عـلـيـاـ فـوـجـ إـلـيـهـ جـيـشـاـ تـمـكـنـ مـنـ القـضـاءـ عـلـىـ حـرـكـتـهـ وـقـتـلـهـ⁽⁷⁾ـ،ـ وـسـيـأـتـيـ الـحـدـيـثـ عـنـهـ بـالـتـفـصـيـلـ بـاـذـنـ اللـهـ تـعـالـىـ.

ومن الأمراء على في الأهواز مصقلة بن هبيرة الشيباني⁽⁸⁾، وقد اشتري أسرى من بعض أجناد على فأعتقهم، ولم يتمكن من تسديد كامل ثمنهم، ثم فر إلى معاوية في الشام⁽⁹⁾، وقد أورد خليفة بن خياط واليًا على على بلاد السند، وذكر أنه جمع جماعًا أيام على وتوجه إلى السند، بعد أن اجتمع إليه الناس، ولكنه فشل في إحدى المعارك ومن معه، ولم يبق من جيشه إلا عصابة⁽¹⁰⁾ بسيرة، كما ذكر في ولادة على (بزيذ بن حجية التميمي) وقد استعمله على «الري» بعد صفين، ثم اندهمه على رضي الله عنه بأنه أخذ من الخراج فحبسه في الكوفة، ثم فر إلى معاوية في الشام⁽¹¹⁾، وأما المدائن فقد كان عليه ما سعد بن مسعود التقى، وقد كان له دور رئيسي في مجابهة الخوارج، ودارت بينه وبين ن على وقواده العديد من المراسلات في شأنهم، حيث حاولوا الوصول إلى المدائن⁽¹²⁾، وقد اشتهر عن سعد توليه ابن أخيه- المختار بن أبي عبيد التقى⁽¹³⁾ - على المدائن في حالة غيابه، وقد غضب على على المختار التقى نتيجة تصرفه تصرفاً غير شرعي في أموال الخراج⁽¹⁴⁾، ويعتبر سعد من قواد على المشهورين، ولعل قربه ولادته من الكوفة كان السبب الرئيسي في اشتراكه مع على في الكثير من المواقف، وقد أورد المؤرخ أبو حنيفة الدينوري بعض الأسماء لولادة على في مناطق مختلفة⁽¹⁵⁾.

.(1) تاريخ الطبرى (599/5)، (2) تاريخ الطبرى (600/5)، (3) تاريخ الطبرى (601).

^٣ تاريخ الطبرى (٥٩٩/٥)، تاریخ خلیفة بن خباط، ص (١٩٣).

⁽³⁾ تاريخ خليفة بن خياط، ص (193)، الولاية على البلدان (24/2).

(4) فتوح البلدان، ص(207)، الولاية
 (5) أذربيجان من أشهر مدن أذربيجان وهو

(٦) فتوح البلدان، ص (٣٢٤)، الولادة حاليًا على بعد 64 كيلو مترًا شرق شهر من ميناء طرابلس.

8) الأنساب للسعانى (438/7)، الولادة
9) البداية والنهاية (310/7)، الولادة

٩) البدایه والنهایة (٣١٠/٧)، الولایة
 ١٠) تاریخ خلیفہ، ص (٢٠٠)، الولایة
 ١١) نہاد الائمه (٢٠/١٠٣)، الولایة

الولاية الآرب (197/20)، نهاية (11)
الطبرى تاريخ (5/690) (12).

12) تاريخ الصبري (5/690).
 13) المصدر نفسه (5/690).
 14) اللهم إله العالمين، رب العالمين (186)، الم

(14) التمهيد والبيان، ص (186)، الو
 (15) الأخبار الطوال، ص (26) نقلًا.

جبریل موسوی، ص ۱۵ (۲۰)

(14) المهدى والبيان، ص (186)، الولاية على البلدان (26/2).
 (15) الأخبار الطوال، ص (26) نقلًا عن الولاية على البلدان (26/2).

وهكذا رأينا فيما سبق أن على بن أبي طالب رضي الله عنه بذل جهداً كبيراً في تدطيم الولايات، وأنه عانى من الصعوبات والمشكلات الكثيرة في هذه الولاية، فقد خرجت العديد من الولايات من يده كاليمين والجaz و مصر، كما أنه لم يفرض سيطرته ابتداء على بعض الولايات كالشام و فلسطين وماجاورها، وأما البلاد والولايات التي استمرت تحت حكمه كالعراق وفارس فقد عانى فيها من المشكلات الكثيرة وعلى رأسها مشكلة الخوارج الذين ظهروا في تلك المناطق، خصوصاً في السنوات الأخيرة من حكم على ، وبالتالي فإن الاستقرار في تلك المناطق لم يكن تاماً، كما أن أهل البلاد الأصليين في بلاد المشرق كفارس وخراسان وسجستان قاموا بالعديد من التمرارات التي قتل فيها بعض ولاة على ، ومن أبرز المشكلات التي واجهها على ما وقع له من خلاف مع بعض الولاة ، وبالتالي تخلوا عن ولاياتهم، كحرير بن عبد الله في همدان، ومفضلة بن هبيرة في الأهواز وغيرهما، وهكذا يتضح أن علياً رضي الله عنه قضى مدة خلافته في جهاد داخلية مع جبهات داخلية منعته في كثير من الأحيان من تنظيم شئون تلك البلاد كما أراد، وواجهه العديد من العقبات التي بددت طاقته، واستنفدت جهوده رضي الله عنه، وقد شغلت هذه المشكلات اهتمام المؤرخين فركزوا عليها الأضواء، وكان هذا على حساب رصدهم للشئون التنظيمية والإدارية لهذه الولايات⁽¹⁾.

المبحث الثاني

تعيين الولاية في عهد على رضي الله عنه

بويع على بالخلافة بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان، رضي الله عنه، وقد وقع الاضطراب في مختلف أنحاء الدولة نتيجة مقتل عثمان، وبالتالي فإن علياً رضي الله عنه بويع في ظروف صعبة بدأت الدولة الإسلامية خاللها نقد الشيء الكثير من استقرارها ونشاطها، وقد ظهر هذا الاضطراب واضحاً في المدينة نفسها، وقد بدأت الأمور تتضطرب في مختلف أنحاء الدولة، وأحس المستشارون والنصحاء بخطورة ما يقع، فتقى بعضهم بنصائح إلى على فيما يمكن أن يفعله من البداية خصوصاً فيما يتعلق بالولاية على البدان⁽²⁾.

أولاً: موقف على من ولاة عثمان وتعيينه لأقاربه:

1- موقف على من ولاة عثمان: كان أمير المؤمنين على رضي الله عنه يدرك إدراكاً كاملاً، أن من الأسباب الرئيسية ل الفتنة، عدم رضا مجموعة من الناس عن ولاة عثمان، رضي الله عنه، وذلك بسبب ما أشاعه رؤوس الفتنة ضد عثمان وولاته، وليس لعجزهم أو ظلمهم، ولكن الكثير من الكتاب المعاصرین في حديثهم عن سياسة على في توليته الولاية، يستقبحون بقولهم: إن علياً لم يكن ليرضى أن يبقى عمال عثمان على ولائتهم ساءة واحدة بعد تولييه الخلافة، يمنعه من ذلك دينه وأمانته⁽³⁾، وما أقطع هذا الاتهام الموجه ضد عثمان، رضي الله عنه، وضد عماله، وقد نسقته في كتابي تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان، وتحدثت عن حقيقة ولاة عثمان في مبحث كامل⁽⁴⁾، فمن أراد المزيد فليرجع إليه.

لقد اعتمد من طعن في ولاة عثمان على روایات واهية ومشهورة وهي:

(1) الولاية على البدان (27/2) جل هذا المبحث من كتاب الولاية على البدان للدكتور عبد العزيز العمرى، وهو من أفضل ما أطّلعت في هذا الباب فجزاه الله خيراً.

(2) الولاية على البدان (27/2)، (28).

(3) الخلفاء الراشدون للنحجار، ص (374).

(4) عثمان بن عفان للصلابي، ص (289-264).

أ- الرواية الأولى: من طريق الواقدي: أن ابن عباس قال: دعاني عثمان فاستعملني على الحج ثم قدمت المدينة وقد بويع لعلى، فأتته في داره، فوجدت المغيرة بن شعبة مستاخلياً به فحبسني حتى خرج من عنده، فقلت: ماذا قال هذا؟ قال: قال لي قبل مرته هذه: أرسل إلى عبد الله بن عامر، وإلى معاوية، وإلى عمال عثمان بعهودهم تقرهم على أعمالهم، يبايعون لك الناس، فإنهم يهدئون البلاد ويسكنون الناس، فأبيت ذلك عليه يومئذ وقلت: والله لو كان ساعة من نهار لاجتهدت فيها رأيي، ولا وليت هؤلاء ولا مثلهم يولى ، قال: ثم انصرف من عندي وأنا أعرف فيه أنه يرى أنه مخطئ ثم عاد إلى الأن فقال: إني أشرت عليك أول مرة بالذى أشرت عليك وخالقتك فيه، ثم رأيت بعد ذلك رأيي، وأنه أرى أن تصنع الذي رأيت فتنزعهم وتستعين بمن تثق به، فقد كفى الله، وهم أهون شوكة مما كان، قال ابن عباس: قلت لعلى: أما المرة الأولى فقد نصحك وأما المرة الأخيرة فقد غشك، قال لي على: ولو نصحني؟ قال ابن عباس: لأنك تعلم أن معاوية وأصحابه أهـل دنيا، فمـتى تـبتـهم لا يـبـالـونـ بـمـنـ وـلـىـ الـأـمـرـ، وـمـتـىـ تـعـزـلـهـمـ يـقـولـونـ: أـخـذـ هـذـاـ الـأـمـرـ بـغـيـرـ شـورـىـ، وـهـوـ قـتـلـ صـاحـبـنـاـ وـيـوـلـبـونـ عـلـيـكـ، فـيـنـقـضـ عـلـيـكـ أـهـلـ الشـامـ وـأـهـلـ الـعـرـاقـ، مـعـ أـذـ يـلاـمـنـ طـلـحـةـ وـالـزـبـيرـ أـنـ يـكـرـاـ عـلـيـكـ، فـقـالـ عـلـيـ: أـمـاـ مـاـ ذـكـرـتـ مـنـ إـقـرـارـهـ مـفـوـالـهـ مـاـ أـشـكـ أـنـ ذـكـرـ خـيـرـ فـيـ عـاجـلـ الدـنـيـاـ لـإـصـلـاحـهـمـ، وـأـمـاـ ذـيـ يـلـزـمـنـيـ مـنـ الـحـقـ وـالـمـعـرـفـةـ بـعـمـ الـعـثـمـانـ فـوـالـلـهـ لـأـوـلـىـ مـنـهـ أـحـدـ أـبـدـاـ، فـإـنـ أـقـبـلـوـ فـذـكـ خـيـرـ لـهـ، وـإـنـ أـدـبـرـوـ بـذـلـكـ لـهـ السـيـفـ، قـالـ ابنـ عـبـاسـ: أـطـعـنـيـ وـأـدـخـلـ دـارـكـ وـالـحـقـ بـمـالـكـ بـيـنـيـ، وـأـغـلـقـ بـابـكـ عـلـيـكـ، فـإـنـ الـعـرـبـ تـجـولـ جـوـلـةـ وـتـضـطـرـبـ وـلـاـ تـجـدـ غـيرـكـ، فـإـنـكـ وـالـلـهـ لـثـنـ نـهـضـتـ مـعـ هـؤـلـاءـ الـيـوـمـ لـيـ حـمـلـنـكـ النـاسـ دـمـ عـثـمـانـ غـدـاـ، فـأـبـيـ عـلـيـ، فـقـالـ لـابـنـ عـبـاسـ: سـرـ إـلـىـ الشـامـ فـقـدـ وـلـيـتـكـهاـ، فـقـالـ ابنـ عـبـاسـ: مـاـ هـذـاـ بـرـأـيـ، مـعـاـوـيـةـ مـنـ بـنـيـ أـمـيـةـ، وـهـوـ اـبـنـ عـمـ عـثـمـانـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ وـعـاملـهـ عـلـىـ الشـامـ، وـلـسـتـ أـمـنـ أـنـ يـضـرـبـ عـنـقـيـ لـعـثـمـانـ، أـوـ أـدـنـىـ مـاـ هـوـ صـانـعـ أـنـ يـجـسـدـ يـفـتـحـكـ عـلـيـ، فـقـالـ لـهـ عـلـيـ: وـلـمـ؟ قـالـ: لـقـرـابـةـ مـاـ بـيـنـيـ وـبـيـنـكـ، وـإـنـ كـانـ مـاـ حـمـلـ عـلـيـ حـمـلـ عـلـيـ، وـلـكـ اـكـتـبـ إـلـىـ مـعـاـوـيـةـ فـمـذـهـ وـعـدـهـ، فـأـبـيـ عـلـيـ وـقـالـ: وـالـلـهـ لـأـكـانـ هـذـاـ أـبـدـاـ⁽¹⁾.

ب- الرواية الثانية: وهي مثل الرواية الأولى في المعنى، وفيها زيادة واختلاف يثير الشك في صحتها، وهو أن ابن عباس قدم مكة بعد مقتل عثمان- رضي الله عنه- فلقي في طريقه الزبير وطلحة ومعهما فتنة من قريش بالنواصف⁽²⁾، يريد مكة، وهذا يخالف الحقيقة، إذ إن علياً بويع بعد أن وصل ابن عباس من الحج، وأن الزبير وطلحة قد بايعا علياً، فإذا خرجا في هذا الوقت يكون قد خرجا قبل البيعة وهذا خطأ واضح جلي⁽³⁾.

ج- الرواية الثالثة: رواية أبي مخنف، رواها بدون إسناد، بأن المغيرة بن شعبة أشار على على أن يثبت معاوية على الشام، وأن يولي طلحة والزبير البصرة والковفة، فإنه ترضى ابن عباس على رأيه لأن البصرة والkovفة عين المال ومصدره، فإذا ولاهما ضيقة على على، وأن ولاية معاوية الشام لا تنفعه وقد تضره، فاستمع على إلى رأي ابن عباس، ولم يقبل مشورة المغيرة بن شعبة⁽⁴⁾.

د- الرواية الرابعة: وردت رواية الواقدي الأولى بشيء من الاختصار عن ابن عبد البر⁽⁵⁾، ولكن بدل ابن عباس، الحسن⁽⁶⁾. إن هذه الروايات يأتي خطرها من حيث إنها الأ

(1) تاريخ الطبرى (461/5) إلى (463).

(2) المصدر نفسه (463/5).

(3) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد على، ص (103).

(4) أنساب الأشراف (36/2).

(5) الاستبعاد (371/2) بحاشية الإصابة.

(6) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (103)، تاريخ الإسلام للذهبي عهد الخليفة الراشدة، ص (537).

ساس الذي بنيت عليه أهم الدراسات المعاصرة وخرجت منها بنتائج خطيرة تطعن في أكابر الصحابة أهل الشورى، في دينهم وفي عدتهم وأمانتهم، وتصورهم أفراداً ماديين هم الثروة والسلطان ولو على حساب دماء المسلمين، وما الفتنة التي أدت إلى مقتل عثمان، وما حرب الجمل إلا بسبب هذه الأطامع الشخصية⁽¹⁾، ويظهر الأضطراب والنكارة في متن هذه الروايات في جل فقراتها، فقوله: إن ابن عباس قدم المدينة بعد بيعة على[ٰ] يخالف الروايات الموثوقة في أنه جاء قبل أن يبايع بالخلافة وقد تقم. وقوله: وأشار المغيرة على على[ٰ] بأن يرسل إلى عبد الله بن عامر وإلى معاوية، وإلى عمال عثمان بعهودهم يقرهم على أعمالهم.. يخالف روايات أوثق منها تقيد أن معظم هؤلاء الولاية قد تركوا ولادتهم واتخذوا سبيلهم إلى مكة، وكيف يرسل إليهم بإثباتهم وهم قد تركوا البلاد؟

وقوله: إن علياً قال في هؤلاء الولاية، والله لو كانت ساعة نهار لاجتهدت فيها رأيي ولا وليت هؤلاء، ولا مثلهم يولي، يخالفه أن هؤلاء الولاية مؤهلون للإمارة والقيادة، فقد توسع على أيديهم الدولة الإسلامية، فعبد الله بن عامر وصلت فتوح البصرة في ولايته إلى كابل - عاصمة أفغانستان- أما معاوية فلو أنه لم يكن مؤهلاً ما ولى عشرين عاماً.. وقد بينت أن عدم رضا مجموعة من الناس عن عمال عثمان هو بسبب ما أشاعه أهل الفتنة عنهم، وليس لعجزهم، والواقع التاريخي يثبت ذلك، وتصور الرواية الواهية المغيرة بن شعبة بالمداهنة والغش، وعدم المبالغة بمصلحة المسلمين، وفي هذا الوقت العصب ببالذات، وهذا لا يوافق أخلاقه وسيرته قبل الفتنة وبعدها، كما تصور - عن حسن نية - علياً رضي الله عنه بالجاهل في هذه الأمور السياسية، وأن المغيرة وابن عباس هما العارفان بهذه الأمور⁽²⁾، وأما رواية أبي مخنف، فإن ابن عباس يشير على[ٰ] بعزل معاوية وأن ولايته لا تفعه «سياسيًا» بخلاف روايات الواقدي- وفيها أن الصحابيين الـ جيلين طلحة والزبير إذا ولاهما على مصدر[ٰ] العراق، فسيستأثران بموارده المالية⁽³⁾. إن الروايات السابقة واهية من حيث السند، وهذا كاف في إسقاطها، ومضطربة ومذكرة من حيث المتن، وهي روايات افتراضية إذا حدث كذا فسيحدث كذا، فهي لا تنقل إلا خبر التاريخي على حقيقته، وللأهواء وتدخل الراوي بشخصه وميوله الرافضة أثر في ذلك⁽⁴⁾.

وما قام به أمير المؤمنين على رضي الله عنه من تعين ولاة جدد أدعى إلى بيعة الناس في تلك البلاد البعيدة، ولبيحدهم عهد الفتوحات، ويفسح المجال أمام العبريات الجدية أن تتطلق وتخدم دين الله تعالى⁽⁵⁾.

إن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه كان يمتلك موهبة قيادية ومعرفة بالنفس والأوضاع القائمة، وأنه أقال الولاية ليختار سوادهم حسب ما يراه ملائمةً لتحقيق الانسجام الإداري والسياسي بين الخليفة وأعوانه، وقد عزل عمر بعض ولاة أبي بكر، كما عزل عثمان بعض ولاة عمر، وبالتالي من حق على[ٰ] أن يعزل من يرى أن المصلحة متحققة بعزله وتعيين غيره⁽⁶⁾، وقد جانب الصواب بعض المؤلفين المعاصرین في قضية عزل على لولاة عثمان، فاشتبهت أفلامهم في تفسير هذا الموقف، فمنهم من حمله على صلابة على في الحق وضرورة التغيير، ومنهم من حمله على ضعف خبرة على[ٰ]

(1) علي وبنوه، طه حسين إسلاميات، ص (850، 851، 854)، عقريبة على ص (53، 55، 75) للعقاد.

(2) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد على، ص(105).

(3) المصدر نفسه، ص(106).

(4) المصدر نفسه، ص(106).

(5) علي بن أبي طالب، عبد السنار الشيخ، ص (176).

(6) عصر الخلافة الرائدة، ص (129).

سياسية، وأن الأولى سياسياً بإبقاء الولاية، وخاصة معاوية حتى تستقر الأوضاع وتؤخذ ا لبيعة لعلي في الأمصار، وهذه التفسيرات مدارها على روایات واهية وأخبار ضعيفة تد ور حول إداء المغيرة بن شعبة رأيين متعارضين حول الموقف من الولاية⁽¹⁾، كما أن ع ليّاً - رضي الله عنه - إمام مجتهد له أن يعزل جميع عمال عثمان إذا رأى المصلحة في ذلك، وقد ولّى رسول الله ×، وهو المعصوم - خالد بن سعيد بن العاص على صناعة وع مرو بن العاص على عمان⁽²⁾، فعزلهما الخليفة الصديق من بعده - رضي الله عنه - ع زل خالد ولّى مكانه المهاجر بن أبي أمية - له صحبة - وعزل عمرو ولّى مكانه حذيفة بن محسن - له صحبة⁽³⁾، وقد ولّى أبو بكر - رضي الله عنه - القائلين العظيمين خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة - رضي الله عنهم - فعزلهما عمر - رضي الله عنه - مع كفافتهما⁽⁴⁾، ولّى الفاروق - رضي الله عنه - على مصر عمرو بن العاص⁽⁵⁾ - ر ضي الله عنه - وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه -⁽⁶⁾، فعزلهما ذو النورى ن، ولّى على مصر ابن أبي سرح⁽⁷⁾، وعلى الكوفة سعد بن أبي وقاص⁽⁸⁾، فهل ينتقد ع اقل الصديق والفاروق وهذا النوري في عزلهم هؤلاء العمال الأكفاء؟ إن لكل وقت أحوا لاً وظروفاً تطرأ، فيحمل اللام على ما لا يراه السابق من الاجتهاد، ويرى الشاهد ما لا يراه الغائب⁽⁹⁾ وأما قول بعض الكتاب المعاصرين بأن أمير المؤمنين على عزل جميع عمال عثمان، فإن العزل لم يتحقق إلا في معاوية بن أبي سفيان في الشام⁽¹⁰⁾، وخلال بن أ بي العاص بن هشام في مكة⁽¹¹⁾، وأما البصرة فخرج منها عبد الله ابن عامر، ولم يول عثمان عليها أحداً⁽¹²⁾، وفي اليمن أخذ أميرها يعلى بن منية - رضي الله عنه - مال جباري ة اليمن وقدم مكة بعد مقتل عثمان، وانضم إلى طلحة والزبير وحضر معهما موقعة الج مل، ووفد ابن أبي سرح عامل مصر واستتاب ابن عمه عليهما، فلما رجع إليها وجد ابن أ بي حذيفة تغلب عليها قطربه عنها، فذهب إلى الرملة بفلسطين، ومكث بها حتى مات⁽¹³⁾، وهكذا فإن أمير اليمن والبصرة عزل نفسهما، وأمير مصر عزله المتغلب ع ليها ابن أبي حذيفة، وأمير الكوفة أقره على - رضي الله عنه - في منصبه، فلم يرد العز لحقيقة إلا في حق معاوية وإلى الشام وخالد بن أبي العاص وإلى مكة، كما أن أمير الم ؤمنين على - رضي الله عنه - ولـى أخير الناس على المسلمين، فمن الولاية الذين ولاهم عل ى الأقاليم سهل بن حنيف على الشام وهو صحابي جليل شهد بدرًا وأحدًا، وثبت مع النب ي × يوم أحد حين اكتشاف الناس وباعيه على الموت، وجعل ينضح بالنبل عن رسول الله ×، وشهد أيضًا الخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ×⁽¹⁴⁾، ولـى عثمان بن حنيف على البصرة، وهو صحابي من الأنصار كان عاملًا لعمراً على العراق⁽¹⁵⁾، كما ولـى قي

(1) المصدر نفسه، ص (159).

(2) تاريخ خليفة بن خياط، ص (97).

(3) المصدر نفسه، ص (123).

(4) المصدر نفسه، ص (122).

(5) المصدر نفسه، ص (155).

(6) تاريخ الطبرى (467/5).

(7) سير أعلام النبلاء (33/1)، الولاية على البلدان (17/1).

(8) تاريخ الطبرى (251/5).

(9) تحقيق موقف الصحابة في الفتنة (99/2).

(10) المعجم الكبير للطبراني (261/12)، مصنف ابن أبي شيبة (81/15) رجاله رجال الصحيح.

(11) تاريخ ابن خياط، (201)، الولاية على البلدان (3/2).

(12) سير أعلام النبلاء (35/3)، الإصابة ترجمة (4711).

(13) تحقيق موقف الصحابة (100/2).

(14) الطبقات (471/3).

(15) التاریخ الكبير للبخاري (209/3).

س بن سعيد بن عبادة على مصر⁽¹⁾، وكان صاحب شرطة النبي × وكان جواداً من ذوي الرأي والذكاء⁽²⁾، وولى عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب على اليمين، له صحبة⁽³⁾، وهو أصغر من أخيه بسنة، وكان كريماً مدوحاً نبيلاً⁽⁴⁾، وأما قول بعض الكتاب، إنه عزل العمال قبل أن تصل إليه بيعة أهل الأ MCSار، فإنه تولية الإمام العمال على الأ MCSار غير مشروطة بوصول بيعة أهلها له عند جميع المسلمين، فمتى بایع أهل الحل والعقد أي خليفة لزمت بيعته جميع البلدان النائية عن مركز خلافته شرعاً وعملاً، ولو كانت تولية الخليفة العمال على الأ MCSار متوقفة على وصول بيعة أهلها له ما تمت بيعة الصديق - رضي الله عنه - لأنه تصرف بإرسال بعثة أسامة ومحاربة المرتدین وممانع الزكاة قبل وصول بيعة أهل مكة والطائف وجواش في البحرين، وكذلك الفاروق، رضي الله عنه، فإنه استهل خلافته بعزل خالد بن الوليد وتولية أبي عبيدة بن الجراح قائداً عاماً على جيوش المسلمين بالشام قبل وصول بيعة أهل اليمين وجيوش المسلمين بالشام والعراق إليه، وتصرف ذو التوربين - رضي الله عنه - في أمور المسلمين أيضاً قبل بيعة الأ MCSار إليه⁽⁵⁾.

2- تعين أمير المؤمنين على رضي الله عنه بعض أقاربه على الولايات: تحدث الكتاب المعاصرون عن قضية تولية الأقارب على الولايات في خلافتي عثمان وعلى⁽⁶⁾، حيث إن عثمان عين عدداً من الولاية، وقد تم تبيان ذلك، وكانوا خمسة من بنى أمية من ثمانية عشر واليأ، وعندما توفي عثمان لم يكن من بنى أمية من الولاية إلا ثلاثة وهم معاوية وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، وعبد الله بن عامر بن كريز فقط، وعزل عثمان الولاية بن عقبة وسعيد ابن العاص، ولكنه عزلهما من أين؟ من الكوفة التي عزل منها عمر سعد بن أبي وقاص، الكوفة التي لم ترض بوالاً أبداً، إذ عزل عثمان، رضي الله عنه لا ولئن الولاة لا يعتبر مطعزاً فيهـ بل مطعن في المدينة التي ولـوا عليها⁽⁶⁾، ثم إن الولاية الذين ولاهم عثمان - رضي الله عنه - من أقاربه قد أثبتوا الكفاية والمقدرة في إدارة شؤون الولايات، وفتح الله على أيديهم الكثير من البلدان وساروا في الرعية سيرة العدل والإحسان، ومنهم من تقدّم مهمات الولائية قبل ذلك في عهد الصديق والفاروق، رضي الله عنه ما⁽⁷⁾، وقد قام أمير المؤمنين على رضي الله عنه بالسير على منهجه عثمان في تولية أصحاب الكفاية والمقدرة والصلاح من الأقارب على الولايات، وهم من أبناء عمه العباس بن عبد المطلب، وهم على التوالي، عبد الله بن عباس، وعبيد الله بن عباس، وقثم وتمام ابني العباس، ومحمد ابن أبي بكر ربيبه، والتحقيق يثبت أن كلاً من على وعثمان عيناً من يغلب على ظنهما كفأته، ولا يتصور أنهما قدما الأقارب بسبب القرابة، وكانت الظروف التي تسود الولايات تقتضي اختياراً دقيقاً للولاة من حيث القوة والأمانة، فلا تزال الافتوات في الأقاليم الشرقية غير مستقرة، فضلاً عن مشكلات الخوارج في خلافة على⁽⁸⁾، ولو تأملنا في أنساب ولاة على لوجتنا أحد عشر واليأ منهم من الانصار من بين ستة وثلاثين واليأ، وبسبعة منهم من قريش - بيينهم أربعة من أبناء العباس بن عبد المطلب

(1) النجوم الزاهرة (2/94)، ولادة مصر ص (44).

(2) الإصابة (3/94)، تحقيق موافق الصحابة (2/101).

(3) تاريخ خلقة، ص (200)، تحقيق موافق الصحابة (2/101).

(4) سير أعلام النبلاء (3/512).

(5) تحقيق موافق الصحابة (2/101).

(6) حقائق من التاريخ، ص (57)، عثمان بن عفان للصلabi، ص (265)، هناك تحقيق موسع في المسألة.

(7) تحقيق موافق الصحابة (1/417).

(8) عصر الخلافة الراشدة، ص (129).

- لب - وهذه قائمة بأسماء الولاة في خلافة على⁽¹⁾.
- 1- سهل بن حنيف الأنصاري (المدينة).
 - 2- تمام بن العباس بن عبد المطلب (المدينة).
 - 3- أبو أيوب الأنصاري (المدينة).
 - 4- أبو قتادة الأنصاري (المدينة).
 - 5- قثم بن العباس بن عبد المطلب (مكة والطائف).
 - 6- عمر بن أبي سلمة (البحرين).
 - 7- قدامه بن العجلان الأنصاري (البحرين).
 - 8- النعمان بن العجلان الأنصاري (البحرين).
 - 9- عبيد الله بن عباس (اليمن والبحرين).
 - 10- سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري (الجند).
 - 11- مالك بن الأشتر (الجزيرية ثم مصر).
 - 12- شبيب بن عامر (الجزيرية).
 - 13- كمبل بن زياد النخعي (الجزيرية).
 - 14- محمد بن أبي حذيفة بن عتبة (مصر).
 - 15- قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري (مصر).
 - 16- محمد بن أبي بكر الصديق (مصر).
 - 17- عثمان بن حنيف الأنصاري (البصرة).
 - 18- عبد الله بن عباس (البصرة).
 - 19- أبو الأسود الدؤلي (الковفة).
 - 20- هاني بن هوذة النخعي (الkovفة).
 - 21- أبو موسى الأشعري (الkovفة).
 - 22- أبو مسعود البدرمي (الkovفة).
 - 23- فرظة بن كعب الأنصاري (الkovفة).
 - 24- سهل بن حنيف الأنصاري (فارس).
 - 25- زياد بن أبي سفيان (فارس).
 - 26- المنذر بن الجارود (اصطخر).
 - 27- عمر بن سلمة (أصبهان).
 - 28- محمد بن سليم (أصبهان).
 - 29- خليد بن قرة التميمي (خراسان).
 - 30- عبد الرحمن بن أبي زيد (خراسان).

(1) عصر الخلافة الراشدة ص (129).

- 31- جعدة بن هبيرة بن أبي وهب (خراسان).
- 32- عبد الرحمن بن جزء الطائي (سجستان).
- 33- ربعي بن كأس العنبري (سجستان).
- 34- جرير بن عبد الله البجلي (همدان).
- 35- الأشعث بن قيس الكندي (أذربيجان).
- 36- سعيد بن سرية الخزاعي (أذربيجان).
- 37- الخريت بن راشد الناجي (الأهواز).
- 38- مصقلة بن هبيرة الشيباني (الأهواز).
- 39- يزيد بن حجية التميمي (الري).
- 40- سعد بن مسعود التقي (المدائن).
- 41- الحارث بن مرة العبدى (السند)⁽¹⁾.

إن عثمان وعلياً - رضي الله عنهم - خليفتان راشدان يقتدى بهما، وأفعالهما تشكل سوابق دستورية في هذه الأمة، فكما أن عمر سن لمن بعده التخرج من تقريب الأقربين، فإن عثمان وعلياً سنا لمن بعدهم تقريب الأقربين إذا كانوا أهل كفاعة⁽²⁾.

ثانية: مراقبة أمير المؤمنين على لعماله وبعض توجيهاته:

دأب أمير المؤمنين على رضي الله عنه مراقبة ولاته وتتبع أحوالهم في ولاياتهم، وسؤال عنهم، وقد اتسع لذلك عدة أساليب منها أنه كان يبعث مفتشيه إلى هؤلاء الولاية في سألون عنهم الناس، وقد يسأل بعض العمال عن بعض ويأمرهم بتقادم أمرورهم، فقد كتب إلى كعب بن مالك: أما بعد فاستخلف على عملك، وأخرج في طائفة أصحابك حتى تمر بأرض كورة السوداء فتسأله عن عمالي وتنتظر في سيرتهم⁽³⁾، كما كان على رضي الله عنه يعتمد على تقارير سرية يبعثها إليه مفتشوه على هذه الولايات ولا يعرف الولاية مهمته م⁽⁴⁾، وقد يكون هؤلاء المراقبون من موظفي الوالي أو آخرين مجهولين، وقد يكونون مقيمين في الولاية أو متقللين من ولاية إلى أخرى، ويدل على وجود هذه التقارير السرية ما كان يكتبه علي رضي الله عنه إلى هؤلاء الولاية، ولعل تدخل بعض الأشخاص بين أمير المؤمنين ولاته هو السبب في ترك بعضهم للولاية ورفضهم للعمل، كتدخل الأشراف بين علي وجرير ابن عبد الله البجلي، وتدخل بعض الناس بين علي ومصقلة بن هبيرة⁽⁵⁾، وقد فتح على رضي الله عنه الباب على مصراعيه لأبي شکوی تقدم إليه ضد أحد من ولاته، وكان إذا بلغه عن أحد منهم شكایة قال: اللهم إني لم أمرهم أن يظلموا خلقك أو يتركوا حقك⁽⁶⁾، وقد قام رضي الله عنه بحبس أحد الولاية وتأدبيه وضربه بالدرة حينما بلغته شكایة عنه⁽⁷⁾ وثبتت التهمة.

وقد كان أمير المؤمنين على دائم النصح لولاته، وقد نصح على رضي الله عنه مجموعه من الولاية منهم قيس بن سعد، حين لاه على مصر حيث أوصاه: تأتيها ومعك جذد، فإن ذلك أربع لدعوك، وأعز لوليك، فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن

(1) عصر الخلافة الراشدة، ص (130، 131، 132).

(2) الأساس في السنة وفقها سعيد حوى (1675/4)، عثمان بن عفان للصلابي، ص (365).

(3) تاريخ اليعقوبي (28204).

(4) الولاية على البلدان (33/2).

(5) تاريخ الطبرى (5/600، 601).

(6) الفتاوى (28، 151).

(7) الولاية على البلدان (34/2) نقلًا عن الكامل لابن الأثير.

وأشتد على المربي، وأرفق بالعامة والخاصة، فإن الرفق يمن⁽¹⁾، ومن نصائحه إلى قي س بن سعد في إحدى رسالاته: أما بعد فاقبل على خراجك بالحق، وأحسن إلى جندك بـ لإنصاف، وعلم من قبلك مما علمك الله⁽²⁾، وقد كانت بعض العهود المرسلة للبلدان في تـ حبين الولاة تشمل على بعض النصائح والتوجيهات، ومن ذلك عهد على إلى محمد بن أـ بي بكر في ولاية مصر الذي قرأه على الناس، فقد كان يحتوى على جملة من النصائح لـ عامة وللواли نفسه⁽³⁾، وكانت تجرى بين على وبين لاته العديد من الاتصالات سواء بـ المراسلة الخطية، أو الشفهية، أو بالاتصال المباشر، وبالدرجة الأولى أثناء قيوم هؤلاء اـ لولاة إلى الكوفة لمقابلة أمير المؤمنين على أو للاشتراك معه في قتال الخوارج وغيرهم ، ولم يؤثر عن أمير المؤمنين أنه حج واتصل بولاته في الحج بعد مبايعته، كما كان يفعـ لـ الخلفاء السابقون، وإنما كان ينبع عنه في ذلك بعض من يقتـفهم كأبناء العباس وغيرـ رهم، وكان ولاة المشرق أكثر ولاة على اتصالاً به، نظرًا لقربهم من الكوفة وتكرار وـ فودهم إليها، وكان على كثـيرًا ما يكتب أوامر تصدر على شكل نصائح تبين لهم طريقة العمل، وقد كان بعضها مكتوبًا، وبعضها مشافهة، فقد جاء في أحد كتب أمير المؤمنين إـ لـ عماله: «فإنكم خزان الرايعة، ووكلاء الأمة، وسفراء الأنمة، ولا تجشموا أحدًا عن حاجته، ولا تحبسوه عن طلبته، ولا تبعـن الناس في الخراج كسوة شقاء، ولا صيف، ولا دابة يعملون عليها، ولا عبدًا، ولا تضرـن أحدًا سوطًا لمكان درهم ولا تمسـ مال أحدـ من الناس مصلّ ولا معاـهد⁽⁴⁾».

وتقدم بعض الدهاقين بشكوى إلى على من أحد عماله فكتب إلى ذلك العامل: أما بـ دـ فإن دهاقين أهل بذلك شكوا منك غلظة وقسـوة واحتقارًا وجفـوة، ونظرت فلم أرهـمـ أـهـلـ لأنـ يـدـنـواـ لـشـرـكـهـمـ،ـ وـلـأـنـ يـقـضـواـ وـيـحـفـواـ لـعـهـدـهـمـ،ـ فـالـبـلـسـ لـهـمـ جـلـابـاـ منـ الـلـيـنـ تـشـوـبـهـ بـطـرـفـ مـنـ الشـدـةـ،ـ وـدـاـولـ لـهـمـ بـيـنـ الـقـسـوةـ وـالـرـأـفـةـ،ـ وـامـزـجـ لـهـمـ بـيـنـ التـقـرـيبـ وـالـإـدـنـاءـ،ـ وـالـإـدـنـاءـ بـعـادـ وـالـإـقصـاءـ إـنـ شـاءـ اللهـ⁽⁵⁾ـ.

ثالثاً: الصالحيـاتـ المـمنـوـحةـ لـلـوـلـاـةـ فـيـ عـهـدـ عـلـىـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ:

امتنع أمير المؤمنين على عن تسليم جميع السلطات بيد شخص واحد، فكان مبدئـةـ وزـيـعـ السـلـطـاتـ وـتـحـديـدـ الصـالـحـيـاتـ،ـ فـقـدـ نـصـبـ ابنـ عـباسـ وـالـيـاـ علىـ الـبـصـرـةـ،ـ وـنـصـبـ زـيـادـ علىـ الـخـرـاجـ وـبـيـتـ الـمـالـ،ـ وـلـمـ يـكـفـ بـهـذـاـ بـلـ أـمـرـ اـبـنـ عـباسـ أـنـ يـسـمـعـ مـنـهـ وـيـطـبـعـ(6)،ـ وـهـذـاـ قـمـةـ الضـبـطـ الإـدـارـيـ،ـ فـزـيـادـ يـطـبـعـ اـبـنـ عـباسـ فـيـ إـطـارـ وـلـايـتـهـ عـلـىـ الـبـصـرـةـ،ـ وـابـنـ عـبـاسـ يـطـبـعـ زـيـادـ فـيـ إـطـارـ عـلـمـهـ فـيـ بـيـتـ الـمـالـ وـالـخـرـاجـ،ـ أـمـاـ لـشـئـونـ القـضـاءـ فـقـدـ نـصـبـ أـبـاـ الأـسـدـ الدـؤـلـيـ⁽⁷⁾ـ.

وـمـنـ خـلـالـ عـهـدـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـىـ الـذـيـ كـتـبـ لـمـالـكـ بـنـ الـأـشـتـرـ يـمـكـنـ أـنـ نـلاحظـ الـصـالـحـيـاتـ الـمـمـنـوـحةـ لـلـوـلـاـةـ،ـ وـنـحاـولـ أـنـ نـجـعـلـ الصـورـةـ أـكـثـرـ وـضـوـحـاـ مـعـ التـقـصـيلـ:

1- تعـيـنـ الـوزـراءـ:ـ يـقـولـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ فـيـ عـهـدـ لـمـالـكـ بـنـ الـأـشـتـرـ:ـ إـنـ شـرـ وـزـرـائـكـ مـنـ كـانـ لـلـأـشـارـ قـبـلـكـ وـزـيـرـاـ،ـ وـمـنـ شـرـكـهـمـ فـيـ الـأـثـامـ فـلـاـ يـكـونـنـ لـكـ بـطـانـةـ⁽⁸⁾ـ،ـ فـإـنـهـ أـعـواـ

(1) الولاية على البلدان (36/2).

(2) الولاية على البلدان (36/2).

(3) تراث الخلفاء الراشدين، ص (156).

(4) نهج البلاغة (155/2).

(5) نهج البلاغة (155/2).

(6) تاريخ الطبراني (580/5).

(7) تاريخ خليفة بن خياط، ص (200).

(8) بطانة الرجل: خاصته، والأئمة: جمع آثم، والظلمة: جمع ظالم.

ن الأئمة، وإخوان الظلمة، وأنت واحد منهم خير الخلف⁽¹⁾، ومن له مثل آرائهم ونفذهم، وبين عليه مثل أصارهم وأوزارهم⁽²⁾، ومن لم يعاون ظالمًا على ظلمه، ولا أثما على إثمه، أولئك أخف عليك مئونة، وأحسن لك معونة، وأحنى لك عطفاً، وأقل لغيرك إلهاً⁽³⁾، ففي هذا النص الذي أورده أمير المؤمنين على بصورة نصائح أورد فيه النقاط والحقائق الآتية:

- أ- تعيين الوزراء من صلاحيات الوالي.
- ب- الشروط التي يجب أن يختار الوالي وزراءه بموجبها.
- ج- طريقة التعامل والعلاقة المتبادلة بين الوالي والوزير.
- د- وظيفة الوزير.

أما عدد الوزراء فلم يذكره أمير المؤمنين على بل اكتفى بلفظ الجمع، ويظهر أن عددهم يرتبط بمقدار حاجة الوالي إلى المعاونين، لأن عمل الوزير هو مساعدة الوالي في وظائفه، وهناك شروط حددها أمير المؤمنين على: أن لا يكون وزيرًا سابقاً للولاية先任，وي منتخب الوالي من مجموع وزرائه وزيرًا واحدًا يكون نائبه ومساعده في تمشية الأمور، ويجب أن يختاره من بين وزرائه على أساس⁽⁴⁾ قول أمير المؤمنين: ثم ليكن أثرهم عنك أقول لهم بمر الحق لك⁽⁵⁾. وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأولئك وأعما ذلك من هو أك حيث وقع⁽⁶⁾، وأما وظائفهم فهي تدخل في دائرة «المساعدة» وأما تدید تفاصيل هذه الدائرة فيوكل إلى الوالي الذي يقرر وظائف وزرائه حسب الحاجة إليهم، ويكون ارتباط الوزراء بالوالى بصورة مباشرة⁽⁷⁾.

2- تشكيل مجالس الشورى: وذلك بالاستعانة بالعلماء والحكماء وهم أهل الحل والعقد، وأهل الخبرة، فقد ورد في حكمه هذا النص: وأكثر مدارسة العلماء، ومناقشة الحكام في تثبت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك⁽⁸⁾.

وفي هذا النص التأكيد على جمع العلماء والحكماء في مجالس استشارية منتظمة، ويمكن أن يجري تعيينهم من قبل الوالي أو يتم انتخابهم من قبل الناس، فليس هناك تحديد من أمير المؤمنين على طبيعة تشكيل هذه المجالس، بل اكتفى أمير المؤمنين بالمطالبة بأن وليه، وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكام أما كيف تم جمعهم؟ فهؤلء اجتمعوا بأمر من الوالي أو يتم انتخابهم من قبل الناس؟ فهذا أمر لم يبيت فيه أمير المؤمنين على، بل تركه معلقاً حسب الظروف التي تتحكم في طريقة تعيينهم، إما باختيار الوالي أو انتخاب الناس، وأما وظيفة هذا المجلس فهو الدارسة والبحث لتحديد السياسات العامة بخصوص الأمرين:

- أ- تثبت ما صلح عليه البلاد.
 - ب- إقامة ما استقام عليه الناس من قبل الوالي.
- وهذا يعني وضع الخطوط العريضة لكل ما يتعلق بإصلاح أوضاع البلاد والعباد،

(1) الخلف: يعني البطل.

(2) الأصار: جمع أصر وهو الذنب والإثم وكذلك الأوزار.

(3) الآلف: الألفة والمحبة.

(4) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام على، د. محسن الموسوي، ص (261).

(5) مر الحق: صعوبته على نفس الوالي.

(6) نهج البلاغة، شرح محمد عبد، ص (609).

(7) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام على، ص (261).

(8) نهج البلاغة، شرح محمد عبد، ص (610).

سواء كان ذلك في مصرف بيت المال أو تعين الإداريين، أو تقديم الخدمات للأصناف من تجار وصناع ومزارعين، وهذا المجلس أشبه ما يكون بالمجالس المحلية التي تقام في الدولة التي يقوم نظامها على اللامركزية⁽¹⁾، وفي نصف آخر يذكر أمير المؤمنين صفات هؤلاء المستشارين والمعاونين: ثم الصدق بذوي المروءات والأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة والشجاعة والسماحة، فإنهم جماع من الكرم وشعب من العرف⁽²⁾، وذكر أمير المؤمنين على رضي الله عنه أهمية الاهتمام بهم وتقد أحوالهم وأمورهم فقال: ثم تقد من أمرور ما يتقد الوالدان من ولدهما، ولا يتقد من في نفسك شيء قويتهم به⁽³⁾، ولا تحرن لطفاً تعاوذهـ⁽⁴⁾ له وإن قل، فإنه داعية لـ لهم إلى بذل النصيحة لك وحسنظن بك، ولا تقد لطيف أمرور هـ اتكالاً على جسيمه، فإن لليسير من لطفك موضعـ ينتقون بهـ ولجسمـ موقعـ لا يستغنوـ عنهـ⁽⁵⁾.

3- إنشاء الجيش وتجهيزه: قال أمير المؤمنين علىـ رضي الله عنهـ لمالك النخعيـ: ول يكن آثار رؤوس جندك عندك⁽⁶⁾ من واساهمـ في معونتهـ، وأفضلـ عليهمـ من جدتهـ بماـ يـ سعـهمـ، ويـسعـ من وراءـهمـ من خـلوفـ أهـليـهمـ، حتىـ يـكونـ هـمـاـ واحدـاـ فيـ جـهـادـ العـدـ وـ، فإنـ عـطـفـ قـلـوبـهـمـ عـلـيـكـ⁽⁷⁾. والـذـيـ يـظـهـرـ منـ هـذـاـ النـصـ:

أـ لـابـدـ مـنـ وـجـودـ قـوـةـ عـسـكـرـيـةـ تـدـافـعـ عـنـ الـوـلـايـةـ.

بـ تشـكـيلـ هـذـهـ قـوـةـ وـإـعـادـاهـاـ مـنـ مـسـئـولـيـةـ الـوـالـيـ، وـيـجـرـىـ إـنـفـاقـ عـلـيـهـاـ مـنـ بـيـتـ مـالـ الـوـلـايـةـ.

جـ تعـيـينـ رـؤـسـاءـ الجـنـدـ مـنـ مـسـئـولـيـةـ الـوـالـيـ، وـهـنـاكـ شـرـوطـ عـلـىـ الـوـالـيـ يـجـبـ الـعـمـ بمـوجـبـهاـ عـنـ اـخـتـيـارـ رـؤـسـاءـ الجـنـدـ، فـلـابـدـ مـنـ رـعـيـتـهـمـ وـالـهـنـاءـهـمـ بـهـمـ حـتـىـ يـكـونـ هـمـاـ واحدـاـ فيـ جـهـادـ العـدـ وـ، فإنـ عـطـفـ قـلـوبـهـمـ عـلـيـكـ⁽⁹⁾. والـذـيـ يـظـهـرـ منـ هـذـاـ النـصـ:

4- ترسـيمـ السـيـاسـةـ الـخـارـجـيـةـ فـيـ مـجـالـ الـحـرـبـ وـالـسـلـمـ: يـقـولـ أمـيرـ المـؤـمنـينـ عـلـىـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ لـوـالـيـهـ مـالـكـ الأـشـتـرـ: وـلـاـ تـدـفعـ عـنـ صـلـحـاـ دـعـوكـ إـلـيـهـ عـدـوكـ وـلـهـ فـيـهـ رـضاـ، فـإـنـ فيـ الـصـلـحـ دـعـةـ لـجـنـوـدـ⁽¹⁰⁾، وـرـاحـةـ مـنـ هـمـوـمـ وـأـمـنـاـ لـبـلـادـكـ، وـلـكـ الحـذـرـ مـنـ عـدـوكـ بـعـدـ صـلـحـهـ فـإـنـ الـعـدـوـ رـبـاـ قـارـبـ لـيـتـغـفـلـ⁽¹²⁾، فـخـذـ بـالـحـزـمـ، وـاتـهـمـ فـيـ ذـلـكـ حـسـنـ اـلـظـنـ، وـإـنـ عـقـدـتـ بـيـنـكـ وـبـيـنـ عـدـوكـ عـقـدةـ أـوـ الـبـسـتـهـ مـنـ ذـمـةـ⁽¹³⁾، فـحـطـ عـهـدـكـ بـالـلـوـفـاءـ وـارـعـ ذـمـتـكـ بـالـآـمـانـةـ، وـاجـعـلـ نـفـسـكـ جـنـةـ دونـ مـاـ أـعـطـيـتـ⁽¹⁴⁾، فـإـنـهـ لـيـسـ مـنـ فـرـائـضـ اللهـ شـيـءـ الـنـاسـ أـشـدـ عـلـيـهـ اـجـتمـاعـيـاـ مـعـ تـرـقـ أـهـوـائـهـ وـتـشـتـتـ آـرـائـهـ مـنـ تـعـظـيمـ الـوـفـاءـ بـالـعـهـودـ⁽¹⁵⁾، وـقـدـ لـزـمـ ذـلـكـ الـمـشـرـكـوـنـ فـيـمـاـ بـيـنـهـمـ دونـ الـمـسـلـمـيـنـ لـمـ اـسـتـوـبـلـواـ مـنـ عـوـاقـبـ الـغـدرـ⁽¹⁶⁾، فـلـاـ

(1) الإـدـارـةـ وـالـنـظـامـ الـإـدـارـيـ عـنـ الـإـمامـ عـلـىـ، صـ (161).

(2) نـهـجـ الـبـلـاغـةـ: شـرـحـ مـحـمـدـ عـبـدـ، صـ (612).

(3) تـفـاقـمـ الـأـمـرـ: عـظـمـ، فـهـمـ مـسـتـخـفـونـ لـكـ خـيـرـ.

(4) يـ لاـ تـعـدـ شـيـئـاـ مـنـ تـلـطـفـكـ مـعـهـمـ حـقـيرـاـ قـنـترـكـ لـحـقـارـتـهـ، فـكـ تـلـطـفـ لـهـ مـوـقـعـ فـيـ قـلـوبـهـمـ.

(5) نـهـجـ الـبـلـاغـةـ، شـرـحـ مـحـمـدـ عـبـدـ، صـ (613).

(6) أيـ أـفـضـلـ وـأـعـلـىـ مـنـزـلـةـ مـنـ وـاسـيـ الـجـنـدـ وـسـاعـدـهـمـ.

(7) أيـ عـلـىـ الرـؤـسـاءـ.

(8) نـهـجـ الـبـلـاغـةـ، شـرـحـ مـحـمـدـ عـبـدـ، صـ (613).

(9) الإـدـارـةـ وـالـنـظـامـ الـإـدـارـيـ عـنـ الـإـمامـ عـلـىـ، صـ (265).

(10) نـهـجـ الـبـلـاغـةـ، شـرـحـ مـحـمـدـ عـبـدـ، صـ (613).

(11) الدـعـةـ: الـرـاحـةـ.

(12) قـارـبـ يـقـرـبـ مـنـكـ بـالـصـلـحـ لـيـقـيـ عـلـيـكـ غـلـةـ عـنـ فـيـغـدـرـكـ فـيـهـ.

(13) النـمـةـ: الـعـهـدـ.

(14) يـ حـفـظـ عـلـىـ مـاـ أـعـطـيـتـ مـنـ الـعـهـدـ بـرـوحـكـ.

(15) يـ أـنـ النـاسـ لـمـ يـجـمـعـواـ عـلـىـ فـرـضـةـ مـنـ فـرـائـضـ اللهـ أـشـدـ مـنـ الـوـفـاءـ بـالـعـهـودـ.

(16) لـأـنـهـ وـجـدـواـ عـوـاقـبـ الـغـدرـ وـبـيـلـةـ أـيـ مـهـلـةـ.

تغدرن بذمتك، ولا تخيسنّ بعهدك⁽¹⁾، ولا تختلن عدوك، فإنه لا يجرئ على الله إلا جاه لشقي، وقد جعل الله عهده وذمته أمنًا أفضاه بين العباد برحمته⁽²⁾، وحريمًا يسكنون إلا منعته، ويستقيضون إلى جواره⁽³⁾، فلا إدخال ولا مدارسة⁽⁴⁾، ولا خداع فيه، ولا تعقد عقدًا تجوز فيه العلل⁽⁵⁾، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوققة، ولا يدعونك ضيق أمر لزمهك فيه عهد الله إلى طلب انساخه بغير الحق، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وأن تحيط بك من الله فيه طلبة⁽⁶⁾، فلا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك⁽⁷⁾.

واستاداً لهذا النص يقوم الوالي بـ:

- عقد معاهدة الصلح مع الدول والأمم المجاورة.

- أخذ الاستعداد للحرب، وأخذ الحيطة عند الضرورة، وبين هذين الأمرين تجري مفرقات كثيرة من تبادل الرسائل، وتتبادل الوفود، وتتبادل الزيارات وعقد المعارضات⁽⁸⁾.

- الوفاء بالعهد عند المسلمين قاعدة أصولية من قواعد الدين الإسلامي التي يجب على كل مسلم أن يتلزم بها⁽⁹⁾، كما أن الوفاء بالعهود والمواثيق لم يكن عند أمير المؤمنين على مجرد نظرية مكتوبة على الورق، ولكنه كان سلوكًا عمليًا في حياته وقد حذر الله من نقض الأيمان بعد توكيدها في كثير من الآيات القرآنية، قال تعالى: +وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْهِضُوا بِالْأَيْمَانِ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ+ [الحل: 91]، وقال جل وعلا: +وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسُؤُلًا+ [الإسراء: 34].

5- الحفاظ على الأمن الداخلي: وذلك بانتهاج السياسات السلمية، كتب أمير المؤمنين إلى بعض عماله: «أما بعد، فإن دهاقين أهل بلدك شدوا منك غلطة وقسوة واحتقاراً وجفوة، فالبس لهم جلاباً من الذين تشوبه بطرف من الشدة، وداول لهم بين القسوة والرأفة، وأمزج لهم بين التقريب والإدانة والإبعاد والإقصاء»⁽¹⁰⁾، وتأتي هذه السياسة للحفاظ على الأمن الداخلي، فإذا حدث ما يعكر هذه المهمة فإن مهمة الوالي هي محاولة حل المشكلات بطرق سلمية بعيدة عن استخدام القوة رافضاً سياسة الاستقواء على الشعب⁽¹¹⁾، وفي رسالته إلى مالك بن الأشتر: فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه وبهونه، بل يزيله وينقله⁽¹²⁾.

6- تشكيل الجهاز القضائي في الولاية: يقول أمير المؤمنين على رضي الله عنه: «ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ومن لا تقيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم⁽¹³⁾، ولا يتمادي في الزلة، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه⁽¹⁴⁾، ولا تشر

(1) خاس بعهد: خانه ونقضه، والختل: الخداع.

(2) أفضاه هنا: بمعنى أفضاه.

(3) يستقيضون: أي يفزعون إليه بسرعة.

(4) الإدخال: الأفساد، والمدارسة: الخيانة.

(5) نهج البلاغة، ص (627).

(6) نهج البلاغة، ص (627).

(7) المصدر نفسه، ص (627).

(8) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام على، ص (256).

(9) منهاج الإعلام الإسلامي في صلح الحدبية، ص (329).

(10) الولاية على البلدان (37/2)، نقلاً عن شرح نهج البلاغة (230/2) طبعة أخرى غير محمد عبد

(11) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام على، ص (257).

(12) شرح نهج البلاغة، ص (627).

(13) لا تحمله مخاصمة الخصوم على اللجاج والإصرار على رأيه.

ف نفسه على طمع⁽¹⁾، ولا يكتفى بأدنى فهم دون أقصاه⁽²⁾، وأوْقفهم في الشبهات⁽³⁾، بالحاجة، وأفْلَهُم تبرماً بمراجعة الخصم، وأصْبَرُهُم على تكشِّف الأمور، وأصْرَمُهُم عند انتفاف الحكم من لا يزدَهِيهِ إطْرَاء⁽⁴⁾، ولا يسْتَمِلُهُ إغْرَاء... وأفسح له في البذل ما يزيل علة ونقل معه حاجته إلى الناس، ليأْمَن بذلك اغْتِيال الرجال له عندك⁽⁵⁾. فانظر في ذلك نظرًا بليغاً⁽⁶⁾.

من هذا النص يظهر لنا:

- أ- من مسؤولية الوالي تعين القضاة.
- ب- على الوالي الالتزام بشروط صارمة في اختيار القاضي.
- ج- على الوالي رعاية القضاة كاملة حتى لا يشعروا بالحاجة إلى الآخرين⁽⁶⁾.
- 7- النفقات المالية: المصدر لتمويل النفقات في الولاية أموال الزكاة والصدقات والغنائم والفيء والخارج والعشور، وتتووضع في بيت المال وهو المحل الذي يجتمع فيه بيت المال المسلمين، وهناك عامل في بيت المال يسجل كل ما يصله من أموال، وكل ما يخرج من بيت المال، ولبيت المال وظيفة مهمة في الإدارة الامركزية، فما يجتمع من الأموال يتم أو لا إنفاقه على شئون الولاية من موظفين وعمال وقضاة، ومحتججين، وإعمار الخ.. وما تبقى يتم إرساله إلى عاصمة الخلافة، ويعتبر بيت المال قلب الولاية الذي يوزع الدم في شرائين الأجهزة العاملة⁽⁷⁾، قال أمير المؤمنين على: وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذوى العيال والمجاعة⁽⁸⁾، وجزء من هذه الأموال مصدر دره الخارج- كما ذكرنا- وهو ما وضع لأخذة على الأرض المزروعة، وهو المصدر الأول لتعطية رواتب موظفي الولاية، وما زاد على ذلك يوزع على الفقراء والمساكين، يقول أمير المؤمنين على: «الناس كلهم عيال على الخارج وأهله» والمقصود بالناس عامه الموظفين والمجاهدين الذين قال عنهم أمير المؤمنين رضي الله عنه: «لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله من الخارج». وقد أرشد أمير المؤمنين إلى استثمار الأرض؛ أي عمارة الأرض فقد قال: «ول يكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخارج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخارج لغير عمارة أخرى البلاد وأهلك الأرباد»⁽⁹⁾، فعمارة الأرض ستضيق موارد مالية جديدة يمكن الاستقادة منها في مجال الراتب والنفقات المتنوعة، وتنتمي هذه النفقات باستقلالية عن الأجهزة المركزية التي لها حدود من هذه الموارد بعد أن يتم استخراج المقادير الضرورية للولاية، وبعث البقية إلى العاصمة، يقول أمير المؤمنين: «وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيما قبلنا»⁽¹⁰⁾، كما أن من النفقات المهمة في الولاية أعمال الأنهر، فقد كتب أمير المؤمنين على لفقرطة بن كعب الأنصاري: «أما بعد، فإن رجالاً من أهل الذمة من عمالك ذكروا نهرًا في أرضهم قد عفا واندفن، وفيه لهم عمارة على المسلمين، فانظر أنت وهم، ثم أعمل وأصلاح

(14) أي: لا يضيق صدره من الرجوع إلى الحق.

(1) الإشراف على الشيء: الإطلاع عليه من فوق.

(2) لا يكتفى في الحكم بما يبدو له بأول فهم وأقربه دون أن يأتي على أقصى فهم.

(3) الشبهات: ما لا يتضح الحكم فيها بالنص.

(4) لا تستخفه زيادة الثناء عليه.

(5) شرح نهج البلاغة، ص (615).

(6) الإدارة والنظام الإداري، ص (258).

(7) الإدارة والنظام عند الإمام علي، ص (262).

(8) شرح نهج البلاغة، ص (647).

(9) المصدر نفسه، ص (617).

(10) شرح نهج البلاغة (618)، الإدارة والنظام، ص (258).

النهر، فلعمري لأن يعمروا أحب إلينا من أن يخرجوا وأن يعجزوا ويقصروا في واجب من صلاح البلاد والسلام»⁽¹⁾.

8- العمال التابعون للولاة ومتابعتهم: قال أمير المؤمنين على: «ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً⁽²⁾، ولا تولهم محاباة وأثره، فإنها جماع شعب الجور واليانة، وتتوخّ منهم أهل التجربة والحياة، أهل البيوتات الصالحة والقديم في الإسلام⁽³⁾ المتقدمة، فإنهما أكرم أخلاقاً وأصح أعراضاً، وأقل في المطامع إشرافاً، وأبلغ في عوائق الأمور نظراً، ثم أسيغ عليهم الآرزاقي⁽⁴⁾، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن نتناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك⁽⁵⁾، ثم تقدّم أعمالهم، وابعث العيون⁽⁶⁾ من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم⁽⁷⁾ على استعمال الأمانة والرفق بالرعاية، وتحفظ من الأوعان، فإن أحد منهم بسط يده إلى الخيانة اجتمع بها عليه عندك أخبار عيونك⁽⁸⁾، اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنـه، وأخذته بما أصابـه من عملـه، ثم نصـبـته بـمقـامـ المذلةـ وـوسـمـتهـ بالـخـيـانـةـ، وـفـلـدـتـهـ عـارـ التـهمـةـ»⁽⁹⁾.

وهـذا يـتحدـثـ عنـ الموـظـفـينـ التـابـعـينـ لـلـوـلاـةـ وـالـمـاحـفـظـينـ عـلـىـ المـدـنـ وـالـقـرـىـ وـجـاهـ الـصـدـقـاتـ، وـعـلـىـ عـاـنـقـهـ مـسـؤـلـيـةـ كـبـيرـةـ لـأـنـ عـلـمـهـ مـتـصـلـ بـصـورـةـ مـبـاشـرـةـ، وـيـتـجـلـ يـ فـيـ هـذـاـ النـصـ أـهـمـيـةـ هـؤـلـاءـ فـيـ الـجـهـازـ الإـادـريـ؛ لـأـنـهـ يـمـتـلـئـ الـسـلـطـةـ التـقـيـدـيـةـ الـحـقـيقـيـةـ، فـكـانـ لـابـدـ مـنـ إـشـبـاعـ حـاجـاتـهـ حـتـىـ لـاـ يـطـمـعـواـ فـيـ مـالـ غـيرـهـ، وـلـاـ حـقـوقـهـمـ⁽¹⁰⁾، وـيـشـيـرـ رـأـيـهـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـينـ عـلـىـ إـلـىـ أـهـمـيـةـ الـعـيـونـ الـتـيـ تـقـومـ بـأـعـمـالـ الرـقـابـةـ عـلـىـ الـإـدـارـاتـ وـالـوـحدـاـتـ وـبـيـتـ الـمـالـ، وـيـتـعـيـنـهـ مـنـ قـبـلـ الـوـالـيـ وـيـكـونـ اـرـتـباطـهـ مـعـهـ، وـهـنـاكـ شـروـطـ يـجـبـ أـنـ تـوـافـرـ فـيـهـمـ

أ- أن يكونوا من أهل الصدق حتى تكون تقاريرهم واقعية صادقة.

ب- أن يكونوا من أهل الوفاء حتى يكون هدفهم هو الإخلاص للدولة، وبعد تقديم التقارير على الوالي أن يثبت بدقة ما في هذه التقارير ولا يسرع في الحكم على الأفراد، ومن أعمال هذا الجهاز فرض الرقابة على التجار وذوى الصناعات لمنعهم من الاحتكار وإيقاع الضرر بالناس، وما قاله أمير المؤمنين في رسالته للأستر في هذه الفقرة يشير إلى أن دولة الخلافة الراشدة تهتم بدوام المباشرة لاحوال الرعاية، وتقيد أمورها، والتماس الإحاطة بجانب الخلل في أفرادها وجماعاتها، وهذا مبدأ قرآني بينه المولى عز وجل على لسان سليمان عليه السلام: + وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَافِرِينَ لَا عَذَّبَنِي عَذَّبَ أَنَا شَدِيدًا أَوْ لَا ذَبَحَنِي أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ» [النمل: 20، 21]، وتقيد الطير، وذلك بحسب ما تقتضيه العناية بأمور الخلافة والاهتمام بكل جزء فيها والرعاية لكل واحد فيها وخاصة الضعفاء، ولا شك أن

(1) تاريخ اليعقوبي (203/2)، الولاية على البلدان (37/2).

(2) اي الاختبار والامتحان قبل تولية الاعمال.

(3)

(4)

(5)

(6)

(7)

(8)

(9)

(10)

(3) اي أنها هم الأولون.

(4)

(5)

(6)

(7)

(8)

(9)

(10)

(4) أكمله ووسع لهم فيه.

(5) نقصوا في ادائها أو خانوا.

(6)

(7)

(8)

(9)

(10)

(5) حدوة لهم: اي سوق لهم وحث.

(6)

(7)

(8)

(9)

(10)

(6) شرح نهج البلاغة، ص (616).

(7) الإدارة والنظم الإداري عند على، ص (266).

القيادة تحتاج إلى لجان ومؤسسات وأجهزة حتى تستطيع أن تقوم بهذه المهمة العظيمة، إن سليمان عليه السلام مهتماً بمتابعة الجندي وأصحاب الأعمال وخاصة إذا رأى شيء من أحوالهم، فسلمان عليه السلام، لما لم ير الهدى بادر بالسؤال: **«+مَالِيْ لَا أَرَى الْهُدُدْ»** يعني أهو غائب؟ كأنه يسأل عن صحة ما لاح له⁽¹⁾، ثم قال: **«+أَمْ كَانَ مِنَ الْغَايَاتِ بَيْنَ سُؤَالَيْ أَخْرَى يَنْمِيْ عَنْ حَزْمٍ فِي السُّؤَالِ بَعْدَ التَّرْفِقِ»**، فسلمان عليه السلام أراد أن يفهم منه أنه يسأل عن الغائب لا عن شفقة فقط ولكن عن جد وشدة، إذا لم يكن الغائب بعذر⁽²⁾، فعهد الخليفة الراشدة تطبيق عملي لمفاهيم القرآن الكريم، إن أمير المؤمنين عليه أرضي الله عنه أشار إلى أهمية الأجهزة الأمنية للدولة المسلمة التي تحرص أشد الحر ص على الاهتمام بالأخبار والمعلومات حتى توظف لخدمة الدين، ونشر المبادئ السامية ، والأهداف النبيلة، والمثل العليا، وتقضى على بذور الفساد في الأجهزة المتعددة التي يقع وتم عليها نظام الولايات.

9- أصناف وطبقات المجتمع: قال أمير المؤمنين: «واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى لبعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنفاق والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلية من ذوي الحاجة والمسكنة، وكل قد سمي الله سنه⁽³⁾، ووضع على حده فريضته في كتابه أو سنة نبيه ×، عهداً منه عندنا محفوظاً...» إلى أن قال: «ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار ذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقيهم⁽⁴⁾، ويقيمونه من أسواقهم، ويكونون من الترافق بأيديهم مالا يبلغه وفق غيرهم، ثم الطبقة السفلية من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحقق رفدهم ومعونتهم»⁽⁵⁾. ثم أوصى بالتجار وأصحاب الصناعة بهم خيراً فقال: «ثم استوص بالتجار وذوى القناعات وأوص بهم خيراً: المقيم منها، والممضطرب بما له⁽⁶⁾، والمترافق بيده، فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجلاً بها من المباعد والمطارح في بررك وسهلك وجلالك، وحيث لا يلتم الناس لمواضعها⁽⁷⁾، ولا يجترون عليها، فإنهم سد لم لا تخاف بائقته⁽⁸⁾، وصلح لا تخشى عائلته، وتقد أمورهم بحضورتك وفي حواشي بلادك، وأعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشدةً⁽⁹⁾، واحتكاراً للمنافع وتنحيم⁽¹⁰⁾ في البياعات، وذلك باب مضررة للعامة وعيوب على الولاية، فامنعوا من الاحتقار، فإن رسول الله × منع منه، ول يكن البيع بيعاً سمحاً، بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقيين من البائع والمبتاع، فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه⁽¹⁰⁾، فنكل به، وعاقب في غير إسراف»⁽¹¹⁾.

ونلاحظ من كلام أمير المؤمنين على رضي الله عنه أن طبقة التجار من أهم شرائح المجتمع، ولذلك أرشد الولاية إلى الاهتمام بهم من خلال وجود دائرة تتولى رعاية هذه الطبقة والإشراف على أعمالها، حتى لا يظهر عليها المظاهر السلبية كالشح والاحتقار و

(1) تقسيم الرازى (189/24).

(2) الحكم والتحاكم في خطاب الولي (593/2).

(3) أي نصيبيه من الحق.

(4) شرح نهج البلاغة، ص (611).

(5) رفدهم: مساعدتهم وصلاتهم.

(6) المتردد بأمواله بين البلدان.

(7) يحلونها من أمكنة بحيث لا يمكن النائم الناس واجتماعهم في مواضع تلك المرافق.

(8) البائقة: الدهنية.

(9) الشح: البخل.

(10) قارف: خالط، حكرة: الاحتقار.

(11) شرح نهج البلاغة، ص (620).

ما شابه ذلك. وذوو الصناعات، يلم بهم ما يلم التجار من أضرار ومشاكل، فكان لابد من قيام جهاز لرعايتهم ومساعدتهم في إتمام أعمالهم⁽¹⁾، ومن هذه الطبقات أهل الخراج، وهو العاملون على الأرض من زراع وحراث وحافرین لأبار، وهم يحتاجون إلى الاهتمام وتشكيل لجان تكون موكلة بأهل الخراج لحل المشكلات التي تتعرض لهم، لأن هذا الطريق هو السبيل إلى التنمية واستثمار الأرض. ومن هذه الأصناف أهل الذمة الذين يعيشون في الدولة الإسلامية، ويعملون فيها، فلا بد من رعاية الدولة لهم وتقد شؤونهم، من خلال جهاز يتولى شؤونهم الاقتصادية منها والاجتماعية⁽²⁾، ومنها الطبقة السفلية من المساكين والمحاجين وأهل البؤس والزمني، فإن في هذه الطبقة الفانع⁽³⁾، والمعتر⁽⁴⁾، وتشمل هذه الطبقة أهل البيم وذوى الرقة في السن ممن لا حيلة له، ولا ينصلب للمسألة نفسه، فالدواة مسؤولة عنه رعاية كاملة، اجتماعية واقتصادية وتعلمية، وكان على الوالي أن يحدد وقتاً للقاء بهم ليزيل عنهم مشاعر الحرمان ويتفقد أمورهم بنفسه وبصورة مباشرة، وعليه أن يوفر الأجواء التي يستطيع بواسطتها هؤلاء المحرومون من التكلم أمام الوالي⁽⁵⁾.

10- التربية بالعقاب والثواب: قال أمير المؤمنين على: «ولا يكون المحسن والممسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان، وتدربيداً لأهل الإساءة على الإساءة، واللزمه كلاً منهم ما ألزم نفسه»⁽⁶⁾، واعلم أنه ليس بشيء أدعى إلى حسن ظن راعٍ برعيته من إحسانه إليهم وتحفيظه المؤونات عليهم، وترك استكراهه إياهم على ما ليس قبلهم⁽⁷⁾، فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك، فإن حسن الظن يقطع عنك نصبًا طويلاً⁽⁸⁾، وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاوك عنده»⁽⁹⁾، وهذه التربية بالعقاب والثواب تحدث عنها القرآن الكريم وتتضح معالمها جلية في قصة ذي القرنين في قوله تعالى: + قالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسُوفَ تَعَذَّبُهُ ثُمَّ يُرَدُ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذَّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا وَأَمَّا مَنْ أَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً أَحْسَنَهُ وَسَذَقُوا لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا" [الكهف: 87، 88].

إن التربية العملية للقيادة الراشدة هي التي تجعل الحواجز المشجعة هدية للمحسن ليرداد في إحسانه، وتجر طاقة الخير العاملة على زيادة الإحسان وتشعره بالاحترام والتقدير، وتأخذ على يد المسوء لتصرب على يده، حتى يترك الإساءة، وتعمل على توسيع دور الخير والإحسان في أوساط المجتمع وتبسيط حلقات الشر إلى أبعد حدود وفق قانون الثواب والعقاب، وهذا ما أرشد إليه أمير المؤمنين على رضي الله عنه.

11- دور العرفاء والنقباء في تثبيت نظام الولايات: عرف المسلمون النقباء في بيعة العقبة الثانية حينما عين الرسول × اثنى عشر نقيباً من الأنصار على قومهم؛ ثلاثة من الأوس وتسعة من الخزرج⁽¹⁰⁾، واستمر تنظيم النقباء والعرفاء في الأجناد الإسلامية المخلفة في عهد عمر، ومما ورد في ذلك تنظيم الناس في القادية على يد سعد بن أبي وفا ص حيث اجتمعت القبائل، فأمر أمراء الأجناد وعرف العرفاء، فعرف على كل عشرة رجالاً، كما كانت العرافات أزمان النبي × وكذلك كانت إلى أن فرض العطاء، وأمر علـ

(1) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام على، ص (263).

(2) المصدر السابق نفسه، ص (263).

(3) قانون: السائل.

(4) المعتر: المتعرض للعطاء بلا سؤال.

(5) الإدارة والنظام الإداري، ص (264).

(6) فإن المسوء لزم نفسه استحقاق العقاب، والمحسن الثواب.

(7) قبلهم: بكسر فتح - أي عندهم.

(8) النصب: النصب.

(9) الباء هنا: الصنعت مطلقاً حسنة أو سيئة، انظر: نهج البلاغة، ص (61).

(10) السيرة النبوية لأبن هشام (87/2).

ى الرأيات رجاليات من أهل السابقة، وعشرون الناس وأمر على الأعشاش رجالاً من الناس لهم وسائل في الإسلام⁽¹⁾، ويُعد عمر أول من نظم تقسيم الناس في الأمصار عموماً، ففي زمانه بُرِزَ العرفاء على الناس في أمصارهم وأصبحوا مسؤولين أمام الوالي عن قبائلهم والمجموعات المنضمة إليهم حسب التقسيم المتبع ذلك الوقت⁽²⁾، وقد استمر نظام العرفة طيلة عصر عثمان رضي الله عنه، فكان يجمع لنباء ويعطيهم الأموال بحسب صنفهم فيقسمونها على من يتبعهم من الناس⁽³⁾، وقد استقاد الولاة من العرفاء في إدارة الولايات في الشؤون المختلفة المدنية منها والعسكرية، فكانوا يساعدون في توزيع العطاء على الناس، وفي السيطرة على النظام داخل الولايات، وفي البحث عن المطلوبين للقضاء وغيره، وفي سرعة تجنيد الناس حين الحاجة، وفيأخذ المشرورة من الناس، كما كان لنباء دور في معرفة من يضاف اسمه إلى العطاء ومن يخذل اسمه، وغير ذلك من الأمور المختلفة، وهكذا كان العرفاء من أهم الموظفين للولاية في إدارة أمصارهم مع أن هؤلاء في الغالب لم يكونوا متقرجين لهذا العمل وحده، بل كانوا مجرد مساعدين وقت الحاجة، وكان في تقسيم العرفاء ونباء في كثير من الأحيان شيء من التنظيم القبلي، حيث كان التقسيم أحياناً باعتبار القبيلة، إلى أن كثر الداخلون في الإسلام من الأعاجم وبذعوا يستوطنون الأمصار فبدأ هذا التقسيم يقل تدريجياً⁽⁴⁾ مع احتفاظه بقوته في معظم الأوقات خلال عهد الخلفاء الراشدين⁽⁵⁾، وقد كان يتبع الولاية على البلدان بعض كبار القواد الذين يتولون قيادة أقسام معينة في الجيش، ويقومون بالفتح المختلفة بتوجيهه من أمراء الولايات، كما كانوا يصحبون الوالي وهو أمير الحرب في زواجه المختلفة ويساعدونه في تنظيم الجيش وقيادته⁽⁶⁾، وقد كان أمراء التعبئة يلون الأمصار، والذين يلون أمراء التعبئة أمراء الأعشاش، والذين يلون أمراء الأعشاش، أصحاب الرأيات، والذين يلون أصحاب الرأيات والقواد رؤوس القائل⁽⁷⁾، كما أن العرفاء يرفعون ما يرافقهم من اقتراحات أو تظلمات جماعية، ويوصلونها نيابة عنهم، ويتحدثون باسمهم ويدافعون عن حقوقهم أمام الوالي وغيره⁽⁸⁾.

رابعاً: من المفاهيم الإدارية عند أمير المؤمنين على رضي الله عنه:

1- التأكيد على العنصر الإنساني: كتب أمير المؤمنين إلى أحد عماله: «أما بعد، فإن دهاقين أهل بذلك شكوا منك غلطة وقسوة واحتقاراً وجفوة. فالليس لهم جلباباً من اللين تشوبه بطرف من الشدة، وداول بين القسوة والرأفة وامزج لهم بين التقرب والإدانة وإبعاد والإقصاء إن شاء الله»⁽⁹⁾. فكان على الرئيس ملاحظة الأوضاع النفسية لمرء عوسيه، وأن يضع استراتيجيته الإدارية على ضوء هذا الواقع، وأن يوازن بين ضرورات الضبط والتنظيم مع الضرورات الواقعية التي تقرزها الحالات الإنسانية والنفسية، فمن الخطأ أن تقوم النظرية الإدارية التنظيمية على قواعد صارمة وثابتة لا تراعي العامل الإنساني، ولا تراعي تأثيرات الظروف، وكأن التنظيم الإداري لا ي مؤسسة أو منظمة أو حركة، أو حزب أو جمعية أو ناد... إلخ يتحرك في فراغ بمعزل عن التأثيرات الخارجية و

(1) الولاية على البلدان (2/106)، التاريخ الطبراني (87/5).

(2) النظم الإسلامية، صبحي الصالح، الولاية على البلدان (2/106).

(3) الأموال، الفاسق بن سلا، ص (345)، الولاية على البلدان (2/106).

(4) الولاية على البلدان (1/107).

(5) المصدر نفسه (2/107).

(6) الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة للزبيدي، ص (41).

(7) تاريخ الطبراني، فضلاً عن الولاية على البلدان (2/108).

(8) العرافة والتغابة للفاروقي ص (80، 81، 86)، الولاية على البلدان (2/108).

(9) نهج البلاغة، ص (539).

الداخلية⁽¹⁾.

2- عامل الخبرة والعلم: في هذا النطاق يؤكد أمير المؤمنين على رضي الله عنه على أهمية أن يكون المسؤول صاحب خبرة وعلم، فإذا كان كذلك فله حق الطاعة، وألا فإذاً له لا طاعة له، يقول أمير المؤمنين: عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالتهم⁽²⁾، فإذاً كان جا هلاً فإنهم معذرون فلا طاعة للجاهل لأنه يأخذهم إلى الهلاك. ويقول أيضًا: لا طاعة لـ مخلوق في معصية الخالق⁽³⁾، والجاهل غير العارف بالأمور ينتهي أمره إلى معصية الخالق⁽⁴⁾ بأمر مخالف.

3- العلاقة بين الرئيس والمرعوس: هذه العلاقة لا يرسمها التسلسل التنظيمي والتدرج بل ترسمه المصلحة المشتركة بين الرئيس والمرعوسين، يقول أمير المؤمنين على لـ واليه عندما بعثه إلى مصر: «ثم أمور من أمورك لابد لك من مباشرتها، منها إجابة عمـ لك بما يعيـ عنـ كتابك، ومنـها إصدار حاجـات الناس يوم ورـدهـا عليك بما تحرـج به صـ در أوـعـانـك»⁽⁵⁾، ونحن هنا أمام حالة ألغـى فيها التسلسل الوظيفـي إلـغـاء تامـاً، وإذا لم يقدـر الوالـي على القيام بهذه المهمـة فإـنه يـنـتـدـبـ بعضـ خـلـصـائـهـ لـذـلـكـ، فيـقـولـ: «وـتقـدـ أمـورـ مـ نـ لاـ يـصـلـ إـلـيـكـ مـنـهـمـ مـمـنـ تـقـتـمـهـ العـيـونـ وـتـحـقـرـهـ الرـجـالـ، فـفـرـغـ لـأـلـئـكـ ثـقـتكـ مـنـ أـهـلـ الـ خـشـيـةـ وـالـتوـاضـعـ، فـلـيـرـفـعـ إـلـيـكـ أـمـورـهـ»⁽⁶⁾، وهذا تجاوز واضح على الإدارـةـ الـبـيـرـوـقـراـطـيـةـ الـتـيـ تـرـىـ أنـ كـلـ شـيءـ يـجـبـ يـمـضـيـ مـضـمـنـ التـسـلـسـلـ الـادـارـيـ وـلـاحـقـ لأـحدـ فـيـ إـلـغـاءـ هـذـاـ التـسـلـسـلـ، وـمـنـ يـلـغـ ذـلـكـ يـعـدـ مـتـجـاـزـرـاـ لـلـتـنظـيمـ، ثـمـ بـيـنـ أـمـيرـ الـمـؤ~مـنـيـنـ مـضـارـ التـقـيـدـ غـيـرـ اـ لـمـسـؤـلـ بـالـتـسـلـسـلـ الـوـظـيـفـيـ: «فـإـنـ اـحـتـجـابـ الـوـلـاـةـ عـنـ الرـعـيـةـ شـعـبـةـ مـنـ الضـيـقـ وـقـلـةـ عـلـمـ بـالـأـمـورـ، وـالـاحـتـجـابـ عـنـهـمـ يـقـطـعـ عـنـهـمـ عـلـمـ مـاـ اـحـتـجـواـ دـونـهـ؛ فـيـصـغـرـ عـدـهـمـ الـكـبـيرـ، وـيـعـظـمـ الصـغـيرـ، وـيـقـبـحـ الـحـسـنـ وـيـحـسـنـ الـقـبـيـحـ، وـيـشـابـ الـحـقـ بـالـبـاطـلـ»⁽⁷⁾. هـذـهـ هيـ مـضـارـ الـتـرـددـ الـإـدـارـيـ وـالـتـقـيـدـ الـحـرـفيـ بـهـ، فـتـبـاطـئـ الـأـمـورـ بـيـنـ هـذـهـ السـلـسـلـةـ الطـوـلـةـ وـأـنـتـقـالـهـاـ مـنـ مـسـؤـلـ إـلـيـ مـسـؤـلـ، وـمـنـهـ إـلـيـ مـسـؤـلـ ثـالـثـ، فـرـابـعـ وـخـامـسـ حـتـىـ وـصـولـهـاـ إـلـيـ النـاسـ الـعـاـدـيـنـ، هـذـهـ السـلـسـلـةـ الـتـيـ تـجـرـىـ بـعـدـاـ عنـ مـبـاشـرـةـ الرـئـيـسـ الـأـعـلـىـ قـدـ تـعـيـرـ الـأـمـورـ وـتـقـلـبـهـاـ رـاسـاـ عـلـىـ عـقـبـ، فـيـصـبـحـ الصـغـيرـ كـبـيرـاـ وـالـحـقـ بـاـطـلـاـ، وـالـحـسـنـ قـبـيـحـاـ وـالـقـبـيـحـ حـسـنـاـ، كـ مـاـ يـقـولـ أـمـيرـ الـمـؤ~م~ن~ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ، وـهـوـ مـاـ تـعـانـىـ مـنـ التـنـظـيمـاتـ الـبـيـرـوـقـراـطـيـةـ لـأـنـهـ تـعـتمـدـ عـلـىـ سـلـسـلـةـ تـتـقـلـ بـعـرـهـاـ الـمـسـائـلـ وـالـقـضـائـاـ، فـتـحـرـفـ عـنـ أـهـدـافـهـ وـمـرـامـيـهـ، وـالـعـلـاـجـ كـمـاـ يـقـدـمـهـ أـمـيرـ الـمـؤ~م~ن~ عـلـىـ هوـ أـلـاـ يـحـتـجـ الـمـسـؤـلـ عـنـ أـفـرـادـهـ، فـاـحـتـجـابـهـ يـتـسـبـبـ فـيـ تـغـيـرـ قـرـارـاتـهـ أـوـ تـطـبـيقـهـاـ فـيـ أـحـسـنـ الـظـرـوفـ تـطـبـيقـاـ مـتـحـجـرـاـ بـعـدـاـ عـنـ الـأـهـدـافـ الـذـيـ طـمـحـ مـنـ أـجـلـهـاـ، وـمـهـمـةـ الرـئـيـسـ لـيـسـ مـحـصـورـةـ فـيـ لـقـاءـ الـمـرـعـوـسـيـنـ، بـلـ عـلـيـهـ أـنـ يـوـفـرـ الـأـجـوـاءـ الـمـطـمـنـنـةـ الـتـيـ تـجـعـلـ الـمـرـعـوـسـ قـادـرـاـ عـلـىـ طـرـحـ مـشاـكـلـهـ بـطـمـانـيـةـ وـبـدـونـ خـوـفـ، لـأـنـ الـغاـيـةـ لـيـسـتـ هـيـ الـمـقـابـلـاتـ الـفـجـةـ، بـلـ الـهـدـفـ هـوـ أـنـ يـكـونـ هـذـاـ الـلـقـاءـ مـفـيدـاـ فـلـابـدـ مـنـ خـلـقـ الـأـجـوـاءـ الـمـنـاسـبـةـ لـهـذـهـ الـلـقـاءـاتـ، يـقـولـ فـيـ ذـلـكـ: وـاجـعـ لـنـوـيـ الـحـاجـاتـ مـنـكـ قـسـمـاـ تـنـفـرـعـ لـهـمـ فـيـهـ شـخـصـاـ وـتـجـلـسـ لـهـمـ مـجـلسـاـ عـامـاـ فـتـوـاضـعـ فـيـهـ اللـهـ الـذـيـ خـلـفـكـ وـتـقـدـ عـذـ هـمـ جـنـدـكـ وـأـعـوـانـكـ مـنـ حـرـاسـكـ وـشـرـطـكـ حـتـىـ يـكـلـمـهـمـ غـيـرـ مـتـعـنـعـ⁽⁸⁾، وـيـبـعـثـ إـلـىـ

(1) الإدارـةـ وـالـنـظـامـ الـإـدـارـيـ عـنـ الـإـلـامـ عـلـىـ، صـ(217).

(2) نـهجـ الـبـلـاغـةـ، صـ(700).

(3) الـمـصـدـرـ نـفـسـهـ، صـ(701).

(4) الإـدـارـةـ وـالـنـظـامـ الـإـدـارـيـ، صـ(217).

(5) نـهجـ الـبـلـاغـةـ، صـ(623).

(6) الـمـصـدـرـ نـفـسـهـ، صـ(621).

(7) نـهجـ الـبـلـاغـةـ رقمـ(53) صـ(624).

(8) الـمـصـدـرـ نـفـسـهـ، صـ(622).

فثم بن العباس «ابن عمه» برسالة يقول فيها: «ولا يكن لك إلى الناس سفير إلا لسانك ولا حاجب إلا وجهك»⁽¹⁾، وهناك نصوص أخرى تؤكد على طبيعة العلاقة بين الرئيس والمرء وبين وأنها لا تقوم عبر الوسائل ولا القيود الإدارية، بل تقوم وجهاً لوجه عندما تستدعي الحاجة لذلك⁽²⁾.

4- مكافحة الجمود: هناك بعض النظريات الإدارية واللوائح التنظيمية تسبب الجمود، وإضاعة الوقت والجهد، وإضاعة الحقوق، كما أن كثيراً من الأعمال لا يفكّر بإنجازه أساساً لأنها تستغرق وقدماً طويلاً حتى يتم اقرارها عبر السلسلة الإدارية، من هنا جاءت دعوة أمير المؤمنين رضي الله عنه: من أطاع التواني ضيع الحقوق⁽³⁾.

5- الرقابة الوعائية: الرقابة مهمة في كل تنظيم إداري، فقد نوه أمير المؤمنين رضي الله عنه إلى هذه الوظيفة فقال: «وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعااهدك في السر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعاية»⁽⁴⁾، فالرقابة عند أمير المؤمنين هي عطف ونصرة للمرأقب لمواصلة أداء الأمانة، كما أن الرقابة لا بد أن تتم عبر وسائل من أهل الصدق والوفاء حتى يكون تقديرهم عادلاً لا تتلاعب فيه أهواهم، فالرقابة هنا عامل مساعد على التقدم، وتدفع بالأفراد إلى الحركة، والإخلاص في العمل. إن القوانين الصارمة لا وجود لها في الفكر الإداري لأمير المؤمنين رضي الله عنه عندما تعيق هذه القوانين حركة الأفراد داخل التنظيم، وتصبح سبباً لإضاعة الحة وق⁽⁵⁾.

6- التوظيف يتم عبر الضوابط وليس عبر الروابط الشخصية: في هذا المجال أكد أمير المؤمنين على في عهده لواليه على مصر: «ثم انظر في أمور عمالك فاستعلمهم أخباراً ولا تولهم محاباة وأثره» فلابد من إجراء الاختبارات الأولية على الشخص الذي يراد استخدامه في عمل ما، ويجب أن يبتعد الرئيس عن المعايير الشخصية في توظيفه وترقية الأشخاص إلى المناصب العالية، ثم يقول: «ثم انظر في حال كتابك، فول على أمرك خيراً لهم»⁽⁶⁾ وليس أقربهم إلى قلبك وعائلتك، فلا مجال للروابط والعواطف، فالمعلم يار هو الحق، وتنطلق هذه الميزة بخاصية أخرى هي الأمانة⁽⁷⁾.

7- الضبط: ففي كتاب أمير المؤمنين على رضي الله عنه إلى الأشعث بن قيس يتبين هذا المفهوم: «وإن عملك ليس لك بطعمه، ولكنه في عنفك أمانة، وأنت مسترعي لمن فوقك»⁽⁸⁾. فقد اعتبر أمير المؤمنين العمل الإداري - في هذا النص - أمانة، ويجب على المسئول أن يرد هذه الأمانة كما هي، وأن يحافظ عليها، وأنه مسئول أمام الله على أدائها، ومسئولي أمام رئيسه «من فوقه» اعترافاً بأهمية التسلسل الوظيفي، وهذا عامل مهم من عوامل إيجاد الضبط الإداري الذي يمنع مظاهر التسيب والانحراف⁽⁹⁾.

8- المشاركة في صنع القرار: إذا ما أعدنا قراءة النصوص عند أمير المؤمنين التي تحت على المشاورات لوجدنا أن الغاية من هذا الحث هو إيجاد مقدار من المشاركة في ص

(1) المصدر نفسه (647).

(2) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام على، ص (217).

(3) نهج البلاغة، ص (714).

(4) نهج البلاغة، ص (616).

(5) الإدارة والنظام الإداري، ص (222، 221).

(6) نهج البلاغة، ص (618).

(7) الإدارة والنظام الإداري، ص (222).

(8) نهج البلاغة، ص (525).

(9) الإدارة والنظام الإداري، ص (223).

نع القرار، وأن لا ينفرد رجل واحد في صنع القرار، سواء كان هذا الرجل قائداً عسكرياً، أو مالياً، أو مديرًا أو مسؤولاً في أي ميدان من الميادين، فـ«الشركة» في الرأي تؤدي إلى الصواب⁽¹⁾، لأنها مشاركة جمع من العقول، وإضافة آراء ذوى الخبرة والتجربة، فالقرار الذي يأتي عبر مناقشة مستفيضة ستجتمع عليه الآراء فيكون أقرب إلى الصواب⁽²⁾ فالمشاورة تكفل هذا النجاح، يقول أمير المؤمنين على: شاوروا فالنجاح في المشاوره⁽³⁾، لم يحدد أمير المؤمنين كيفية وأسلوب المشاوره بل وضع أمامنا قاعدة عامة، وذكر لنا فوائد تطبيق هذه القاعدة، ولم يستثن ميدانًا من الميادين عن المشورة، وهذا يعني أنها ضرورية لكل عمل يقوم به الإنسان، وتشتد الضرورة عندما يكون هذا العمل منوطاً بجموعة من الأشخاص وليس فرداً واحداً، وإذا أمعنا النظر في هذا النص: صواب ارأى بإحالة الأفكار⁽⁴⁾، لاتضح لنا أهمية المناقشات المستفيضة من ذوى الشأن للوصول إلى القرار الصائب⁽⁵⁾.

9- حسن الاختيار لدى الوالي والضمانات المادية والنفسية لموظفي الدولة: إن حسن الاختيار يسد الطريق أمام المشاكل التي قد تطرأ نتيجة ضعف الموظف أو عدم انسجامه مع الجو العام، وإذا أمعنا النظر في رسالة أمير المؤمنين على "لملك الأشرت النخعي لو جدنا الشروط المهمة التي يضعها أمامه عند اختياره لعماله": «ثم انظر في أمور عمالك واستعملهم اختياراً، ولا تولهم محاباة وأثرة، فإنها جماع من شعب الجور والخيانة، وتوخِّ منهم أهل التجربة والحياة من أهل البيوتات الصالحة، والقدم في الإسلام المتقدمة فإذا هم أكرم أخلاقاً، وأصح أغراضه، وأقل في المطامع إسرافاً، وأبلغ في عوائق الأمور نظرًا»⁽⁶⁾. فهذه شروط متعددة غير محصورة بالكتفاعة الازمة في العمل فقط، بل لابد من ملاحظة «العامل» من النواحي النفسية والاجتماعية أيضاً، حتى لا يأخذ الطموح ولا تتغير نوياه وأغراضه، كما لابد من ملاحظة سلوكه الاجتماعي وقدرته على التكيف في المحيط الاجتماعي الجديد، عند ذلك تبدأ مسؤولية الوالي: ثم أسبغ عليهم الأرزاق، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك⁽⁷⁾، فعندما تجتمع تلك الخصال في فرد من الأفراد ثم يقابل بالمكافأة الجيدة فإن ذلك مدعاة له لأن يستقيم في عمله ويوافق جهده لترقية الولاية أو المؤسسة. وفي مكان آخر يقول: وأفسح له في البذل ما يزيل علته، وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك مالا يطمع فيه غيره من خاصتك⁽⁸⁾، وهذه عوامل تصنف الموظفين الكبار من السقوط في طريق الرشوة أو شرائط بالمال:

أ- البذل الواسع الذي يكفل جميع حاجاته حتى يشعر بالغنى.

ب- المنزلة المرموقة حتى يشعر بالأمن والطمأنينة على وظيفته، وهذا ما يسمى بأمن الوظيفي.

فماذا يريد الموظف بعد كل ذلك إذا كانت حياته مؤمنة، ووضعه الوظيفي مستقرًّا، وهذه الضمانات لكيان موظفي الدولة يمكن إنزالها على الشركات الكبرى والمؤسسات عملاقة وقادرة للحركات الإسلامية، إنها كفالة كاملة تضمنها للموظف أفضل الأفكار الإدارية

(1) الإدارة والنظام الإداري، ص (229).

(2) الإدارة والنظام الإداري، ص (229).

(3) الإدارة والنظام الإداري، ص (229).

(4) الإدارة والنظام الإداري، ص (229).

(5) الإدارة والنظام الإداري، ص (229).

(6) نهج البلاغة، ص (616).

(7) نهج البلاغة ص (616).

(8) شرح نهج البلاغة، ص (615).

رية، فحتى الإدارة اليابانية لا تحبط الموظف بهذا الشكل من الرخاء الأمني والمعيشي، فالموظف يأخذ راتبًا معينًا، وقد يكون هذا الراتب غير كاف لغطية جميع نفقاته، فمثلاً سيعمل حينذاك يا ترى؟ قد تدفعه الحاجة إلى أعمال مشينة مخلة بالأخلاق، لكن المنهاج الإداري لأمير المؤمنين على رضي الله عنه يجب أن يؤمن الموظف حتى يصل حد الغنى، أي لا يتم الاكتفاء بالراتب الشهري فقط، بل المعيار هو تأمين حاجاته، ومن ثم توفي ر الأمان الوظيفي له⁽¹⁾، «وأعطه من المنزلة ما لا يطمع فيه غيره من خاصتنا»⁽²⁾.

10- مراقبة ذوى الخبرات: فذوى التجارب هم مصدر المعرفة الواقعية، ومن الطبيعى أن يستفيد المتعلم من أصحاب التجارب أكثر من يتأقى العلوم النظرية، وقد استقاد اليابانيون من هذه القاعدة عندما حولوا معاملهم إلى جامعات يستفيد منها العامل الجديد، فهو يتلقى الخبرة من سبقه، والذي سبقه من سبقه، وقد جاءت هذه القاعدة على لسان أمير المؤمنين: خير من شاورت ذوى النهي والعلم وأولوا التجارب والحزم⁽³⁾، وأفضل من شاورت ذوى التجارب⁽⁴⁾، ويقول في مصاحبة أصحاب العلم والتجربة: خير من صاحبت ذوى العلم والحلم⁽⁵⁾، وهذه النصوص ما هي إلا قواعد غايتها إعداد الإنسان المسلم الناجح في الحياة، ومن ثم بناء المجتمع المتصف بالتقدم والرقي المستمر⁽⁶⁾.

11- الإدارة الأبوية: الوالى هو أب قبل أن يكون صاحب سلطة، وهو يتعامل مع موظفيه على أنه أباً، فمتلما يتحمل الأب تربية ابنائه، كذلك يتحمل مسؤولية إعداد كبار موظفي الدولة، وهذا ما أخذت به التجربة اليابانية، والذي نجد له مصداقاً في قول أمير المؤمنين على إلى مالك بن الأشتر فيوصيه بموظفيه: ثم تقد من أمرورهم ما ينفرد الوالدان من ولدهما⁽⁷⁾، فيجب أن يتعامل المسؤول مع أفراده معاملة الوالد لولده يرعاه، ويعفو عنه عندما يسىء، وعندما يعاقبه فعقوبته هي تربية له.

هذه بعض المفاهيم الإدارية عند أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه.

(1) الإدارة والنظام الإداري، ص (231).

(2) شرح نهج البلاغة، ص (615).

(3) الإدارة والنظام الإداري، ص (234).

(4) الإدارة والنظام الإداري، ص (234).

(5) المصدر نفسه، ص (235).

(6) المصدر نفسه، ص (235).

(7) نهج البلاغة، ص (612)، الإدارة والنظام الإداري، ص (235).

الفصل السادس

معركته الحمل و صفين، قضية التحكيم

قال تعالى: +وَإِنْ طَادُفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ افْتَدِلُوا فَأَصْلِحُوهُا بَيْنَهُمَا
فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخْرِي فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَيْهَا
مِنَ اللَّهِ فَإِنْ فَيَعْتَذِرْ فَأَصْلِحُوهُا بَيْنَهُمَا بِالْعُدْلِ وَأَقْسِطُوهُا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْ
مُقْسِطِينَ إِذَا مُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوهُا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَأَدْقِنُوا
لَهُ لَعْلَكُمْ تُرَحِّمُونَ"

الحركات: 10، 9

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أبي؟ قال: فانطلق إليه، وركب حماراً، وانطلق المسلمون، وهي أرض سبخة⁽¹⁾، فلما أتاه النبي ﷺ قال: إلينك عنى، فوالله لقد أذاني نتن حمارك، قال: فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله أطيب ريداً منك، قال: فغضب لعبد الله رجل من قومه. قال: فغضب لكل واحد منهم أصحابه، قال: فكان بينهم ضرب بالجريد وبالأيدي وبالنعال. قال: فبلغنا أنها نزلت فيهم: +وَإِنْ طَادَفْتَهُنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ افْتَدِلْهُوا فَإِنْ صَلَحُوهُا بَيْذِنْهُمَا⁽²⁾.

وعن الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، قوله: +وَإِنْ طَائِفَتَا نَارٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفَتَرْدُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ يَغْتَرْبُ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخِرِي فَقَاتِلُوا إِنَّمَا تَبْغِي هَذِهِ تَفْرِيَةُ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ" فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَهُ أَمْرُ النَّبِيِّ × وَالْمُؤْمِنُونَ إِذَا اقْتَلُوكُمْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ وَيَنْصُفْ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ فَإِنْ أَجَابُوكُمْ حُكْمُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ حَتَّى يُنْصَفَ الظَّالِمُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ فَمَنْ أَبَى مِنْهُمْ أَنْ يَجْتَبَ فَهُوَ باغٌ فَحَقٌّ عَلَى إِيمَانِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْاهِدُوهُمْ وَيَقْاتِلُهُمْ حَتَّى يُفَيِّضُوا إِلَى أَمْرِ اللَّهِ وَيُقْرَأُوا بِحُكْمِ اللَّهِ⁽³⁾

وفي قوله تعالى: +وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ افْتَدِلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا+، أي إذا تقاتل فريقان من المسلمين، فيجب على ولاة الأمور الإصلاح بالنصائح والدعوة إلى حكم الله، والإرشاد وإزالة الشبهة وأسباب الخلاف، والتعبير بـ«إن» للإشارة إلى أنه لا ينبغي أن يقع القتال بين المسلمين، وأنه إن وقع فإنه نادر قليل، والخطاب في أية لولاة الأمور، والأمر فيها للجوب⁽⁴⁾، وقد استدل البخاري وغيره بهذا على أن المعصية وإن عظمت لا تخرج من الإيمان، خلافاً للخوارج الفائلين بأن مرتکب الكبيرة كافر وهو في النار، وثبت في صحيح البخاري عن أبي بكر- رضي الله عنه-. قال: إن رسول الله خطب يوماً، ومعه على المنبر الحسن بن علي - رضي الله عنهما، فجعل ينظر إليه مرة، وإلى الناس أخرى، ويقول: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فنتين عظيمتين من المسلمين»⁽⁵⁾، فكان كما قال × أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل العراقة، بعد الحرث وب التهـ، وقعت بينهما⁽⁶⁾

وفي قوله تعالى: +فَبَانَ بَعْثَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأَخْرَى فَقَاتَلُوا الَّذِي تَبَغْيِي
هَتَّى تَفْيِي إِلَى أَمْرِ اللَّهِ، أي فإن اعتدت وتجاوزت الحد إحدى الفتنين على الآخر
ري، ولم تذعن لحكم الله ولنصيحة المسلمين، فعلى المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفة الباغية، حتى

(1) أرض سبخة هي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر.

(2) البخاري، رقم 2691، مسلم رقم 1799

³ التفسير الصحيح، حكمت البشير (369/4).

⁴ التقسيم المنير للزحيلي (237/26).

ابخاري، رفم (10) { 5
النفس، المذن { 6
(238/26)

(6) التفسير المثير (238/26).

ترجع إلى حكم الله، وما أمر به من عدم البغى، والقتال يكون بالسلاح وبغيره، ويفعل الوسيط ما يحقق المصلحة، وهي الفيضة، فإن تحقق المطلوب بما دون السلاح كان ذلك، وإن تعين السلاح وسبلها فعل حتى الفيضة.

وفي قوله تعالى: +فَإِنْ فَعَاهُ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُ الْمُقْسِطِينَ+ أي رجعت الفئة الباغية في بغيها، بعد القتال، ورضيت بأمر الله وحكمه، فعلى المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين في الحكم، ويتحرروا الصواب المطابق لحكم الله، ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم، وتؤدي ما يجب عليه للأخرى، حتى لا يتجدد القتال بينهما مرة أخرى، واعدولوا إليها الوسطاء في الحكم بينهما. إن الله يحب العادلين، ويجازيهم أحسن الجزاء، وهذا أمر بالعدل في كل الأمور^(١). قال ×: «إن المقيطين عند الله، على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهلיהם وما لُذُوا»^(٢) ثم أمر الله تعالى بالإصلاح في غير حال القتال، ولو في أدنى اختلاف فقال: +إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِذْ هُوَ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ+، فهذه الآية أصل من الأصول التي تنظم علاقة المسلم بأخيه المسلم^(٣). إن الله تعالى لم ينف صفة الإيمان عن إحدى الطائفتين أو كليتهما مع وقوع القتال بينهما، وإن أولى الناس بالدخول تحت معنى هذه الآية هم سادات المؤمنين الصالحة الكرام، سواء ما وقع في معركة الجمل أو صفين، وقد قام أمير المؤمنين على - رضي الله عنه - بتطبيق هذه الآية من حرصه على الإصلاح. وقد استجاب طلحة والزبير لذلك، إلا أن أتباع عبد الله بن سبأ أنشبوا الحرب بين الطرفين، وسيأتي بيان ذلك في محدثنا الله، وحرص أمير المؤمنين على الإصلاح مع أهل الشام، وبذل ما في وسعه، من طرق سلمية، وجر دسيفه بعد فشل كل المحاولات الإصلاحية لكي يفي معاوية - رضي الله عنه - إلى السمع والطاعة، ووحدة الخلافة الإسلامية، إلا أن معاوية اشترط تسلیم قتلة عثمان- رضي الله عنه -، فاجتهد وأخطأ، وكان الحق مع أمير المؤمنين على وفقه القتال.

وقال تعالى: +إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ+ فثبتت الأخوة الإيمانية لجميع المقاتلين من المسلمين، ومن باب أولى ما وقع بين على وطلحة والزبير - رضي الله عنهم- في ا لجمل، وما وقع مع معاوية في صفين، ومن هنا يظهر لنا أن المقاتلين في الحمل وفي صفين مؤمنون، ولا مجال للطعن في الصحابة بسبب هذه الحوادث التاريخية، أو محاولا ة نزع الإيمان عنهم، أو نشر العبارات المنحرفة في حقهم، ويكتفى في الرد على تلك المقا لات الباطلة أن هذه الآيات ثبّتت لهم أخوة الإيمان، وسيأتي بيان ما وقع بينهم - بإذن الله تعالى - بالتفصيل.

فقد ذكر تعالى أن المؤمنين إخوة في الدين، ويجمعهم أصل واحد، وهو الإيمان، فلما
ب الإصلاح بين كل أخوين متازعين، وزيادة في أمر العناية بالإصلاح بين الآخرين أمر
ر الله تعالى بالتفوى، والمعنى: فأصلحوا بينها، وأليكن رائداًكم في هذا الإصلاح وفي كل
أموركم تقوى الله، وخشيته والخوف منه، بأن تلتزموا الحق والعدل، ولا تحيفوا ولا تميّلا
ول الواحد الآخرين، فإنهم إخوانكم، والإسلام سُورٌ بين الجميع، فلا تفضل بينهم ولا فوار
ق، ولعلكم ترحمون بسبب التقوى وهي التزام الأوامر واجتناب النواهي⁽⁴⁾.

وقد جعلت الآية الكريمة الإصلاح بين الإخوة وتقوى الله سبب نزول رحمة الله، تع

(1) التفسير المنير (238/26).

(2) مسلم: الإمارة - حديث رقم (1827) (305)

(3) سورة الحجرات، د. ناصر العمري (305).
 (4) التقسيم المنبئ (239/26).

(4) التفسير المثير (239/26).

ظيمًا لأمر الإصلاح بين المسلمين⁽¹⁾. ويلاحظ أنه قال: إنقوا الله عند تخاصم رجلين، وإن يقل ذلك عند إصلاح الطائفتين، لأنه في حالة تخاصم الرجلين يخشى اتساع الخصومة ، وأما في حال تخاصم الطائفتين فإن أثر الفتنة أو المفسدة عام شامل الكل⁽²⁾، وكلمة (إنم) للحصر تقييد أنه لا أخوة إلا بين المؤمنين، ولا أخوة بين المؤمن والكافر، لأن الإسلام هو الرباط الجامع بين أتباعه، وتقييد أيضًا أن أمر الإصلاح ووجوبه إنما هو عند وجود الأخوة في الإسلام، لا بين الكفار، فإن كان الكافر ذميًّا أو مستأذنًا وجبت إعانته وحمايةه ورفع الظلم عنه، كما تجب إعانته المسلم ونصرته مطلقًا إن كان خصمها حربيًّا⁽³⁾.

وقد قال ابن العربي: هذه الآية أصل في قتال المسلمين، والعمدة في حرب المتأولين ، وعليها عوْل الصحابة، وإياها عن النبي ×: «تقتل عمارًا الفئة الباغية» [أي عمار بن ياسر] أي أن بقتل البغاء فرض على الكفائية، إذا قام به البعض سقط عن الباقيين، ولذلك تختلف قوم من الصحابة – رضي الله عنهم – عن هذا الأمر، كسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة وغيرهم، اعتذر إليه كل واحد منهم بعذر قبله منهم⁽⁴⁾ أمير المؤمنين على . وهناك كثير من الأحكام سوف نراها من خلال سرد الواقع التي حدثت بين الصحابة – بإذن الله تعالى -.

وبعد نظام التحكيم وقتل الفئة الباغية حتى ترقى إلى أمر الله نظامًا له السبق من حيث الزمان على محاولات البشرية في هذا الطريق، وله الكمال والبراءة من العيب والنقص الواضحين في كل محاولات البشرية البائسة الفاسدة التي حاولتها في كل تجاربها لكسيدة، وله بعد هذا وذاك صفة النظافة والأمانة والعدل والمطلق، لأن الاحتكام فيه إلى أمر الذي لا يشوبه غرض ولا هوى، ولا يتعلق به نقص أو قصور⁽⁵⁾. ولم تنته محاولات الإصلاح منذ اندلاع القتال حتى توج بالصلاح العظيم الذي خطط له أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنه.

المبحث الأول

الأحداث التي سبقت معركة الجمل

كانت فتنة مقتل عثمان – رضي الله عنه – سببًا في حدوث كثير من الفتن الأخرى ، وأقت بظلالها على أحداث الفتن التي تلتها، وقد ساهمت أسباب عديدة في فتنة مقتل عثمان – رضي الله عنه – منها: الرخاء وأثره في المجتمع، طبيعة التحول الاجتماعي في عهده، مجيء عثمان بعد عمر، خروج كبار الصحابة من المدينة، العصبية الجاهلية، توقف الفتوحات، الورع الجاهل ، طموح الطامحين، تأمر الحاقدين، التدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد عثمان، استخدام الأساليب والوسائل المهيجة للناس، دور عبد الله بن سبأ في الفتنة، وقد تم تفصيل تلك الأسباب في كتابي «تيسير الكريم المذان في سيرة عثمان بن عفان»⁽⁶⁾ إن عثمان– رضي الله عنه – كان الناس يحبونه جدًا عظيمًا، لحسن سياساته ولمكانته من رسول الله × وأحاديثه في الثناء عليه وزواجه من ابنته حتى سمي بذوي الذورين، فهو من الصحابة الكبار الذين يشروا بالجنة، ولقد تعرض للظلم في حياته من بعض الغوغاء، وكان في استطاعته أن يقضى عليهم ولكنه امتنع خوفًا من أن يكون أول من يسفك الدماء في أمة محمد ×، فقد كانت سياساته في التعامل مع الفتنة قائمة على الح

(1) منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس للحريري: ص(16).

(2) التفسير المنير (239/26).

(3) التفسير المنير (240/26).

(4) المصدر نفسه (242/26)، أحكام القرآن (4/150).

(5) في ظلال القرآن (3344/6).

(6) عثمان بن عفان للصلabi ص(340-311).

م والثاني والعدل، وقد منع الصحابة من قتال الغوغاء، وأحب أن يقي المسلمين بنفسه، وذلك كان مقتله سبباً لحدوث كثير من الفتن الأخرى وألقت بظلالها على الأحداث الممتalaة من الفتن، ولقد كان مقتله عظيماً على المسلمين ولذلك تصدع المجتمع الإسلامي لهذا الحادث الجلل، وانقسم الناس، ومما يزيد من مكانته وبراعته مما نسب إليه موافق الصحة من قتله، فقد أجمع الجميع على براعته واتفقوا على الأخذ به إلا أن المواقف اختلفت في الكيفية، وهذا ما سيأتي بيانه، بإذن الله. ونحب أن نسلط الأضواء على دور عبد الله بن سبا في الفتنة عموماً:

أولاً: أثر السببية في إحداث الفتنة:

(1) السببية حقيقة أم خيال: حقيقة عبد الله بن سبا: أجمع القدماء على وجوده بلا اتساع وخلاف في ذلك فلة من المعاصرين أكثرهم من الشيعة، وجة من أنكره أنه من إبداع مخيلة سيف بن عمر التميمي وذلك لأنقاد بعض علماء الرجال له في مجال روایة الحديث أن العلماء يدعونه حجة في الأخبار، علمًا بأنه وردت روايات كثيرة عند ابن عساف تذكر عبد الله بن سبا ليس من بين رواتها سيف بن عمر، وقد حكم الألباني على بعضها بأنها صحيحة من حيث السندي⁽¹⁾، وهذا غير الروايات الكثيرة عن ابن سبا في كتب الشيعة سواء في كتب الفرق أو الرجال أو الحديث عندهم، وليس فيها عمر هذا، لا من قريب ولا من بعيد، وقد ابتدأ التشكيك في شخصية عبد الله بن سبا⁽²⁾ ووجوده في محاولة منهم لنفي دور العنصر اليهودي الحاقد في زرع الفتنة بين المسلمين من جهة، ومن جهة أخرى يوجه الاتهام للصحاببة بأنهم سبب الفتنة بغرض هدم النموذج السامي والصور المشرقة لهم عند المسلمين، وتابعهم على نفي وجود عبد الله بن سبا بعض المعاصرين كله من الشيعة الرافضة لغاية في نفوسهم، وهي محاولتهم الفاشلة لتبرئة أصل مذهبهم من مؤسسة حقيقي كما أجمع القدماء جميعهم من فيهم الشيعة. وتتجذر الإشارة أن من أنكر عبد الله بن سبا من المحسوبين على أهل السنة هم من تأثروا وتتلذذوا على أيدي المستشرقين فأين بلغ هؤلاء من فلة الحياة والجهل؟ وقد ملأ ترجمته كتب التاريخ والفرق، وتناقلت أفعاله الرواية وطبقت أخباره الأفاق، لقد انفق المؤرخون والمحدثون وأصحاب كتب الفرق والملل والنحل والطبقات والأدب والأنساب الذين تعرضوا للسببية على وجود شخصية عبد الله بن سبا الذي ظهر في أخبار الفتنة، ودور ابن سبا فيها لم يكن قصراً على تاريخ الإمام الطبرى، واستناداً على روايات سيف بن عمر التميمي فيه، إنما هي أخذ بار منشرة في روايات المقدمين، وفي ثلثا الكتب التي رصدت أحداث التاريخ الإسلامى وآراء الفرق والنحل في تلك الفترة، إلا أن ميزة تاريخ الإمام الطبرى على غيره أنه ألغزها مادة وأكثر تفصيلاً لا أكثر، ولهذا فإن التشكيك في هذه الأحداث بلا سند وبلا دليل بحجة عدم ذكر عبد الله بن سبا إلا من طريق سيف بن عمر حتى بعد ثبوت ذكره من روايات صحيحة ليس فيها سيف ابن عمر كما أسلفنا، إنما يعني الهدم لكل تلك الأخبار، والتسيفية بأولئك المخربين والعلماء وتزييف الحقائق التاريخية، فمتى كانت المنهجية ضرورة من ضرورة الاستنتاج العقلى المحض فى مقابل النصوص والروايات المتضادرة؟ وهل تكون المنهجية في الضرب صفحًا والإعراض عن المصادر الكثيرة المتقدمة والمتأخرة التي أثبتت لابن سبا شخصية واقعية؟⁽³⁾، وقد جاء ذكر ابن سبا في كتب أهل السنة كثيراً منها:

(1) دعوى الإنفاذ للتاريخ الإسلامي، للعودة ذكر فيها الطرق التي ذكرها الألباني.

(2) تحقيق موافق الصحابة (284/1) ذكر تصصيات مهمة، وكذلك عبد الله بن سبا وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، للعودة.

(3) دعوى الإنفاذ للتاريخ الإسلامي للعودة، تحقيق موافق الصحابة (70/1).

جاء ذكر السبئية على لسان أعشى همدان⁽¹⁾ المتوفى عام 83هـ، وقد هجا المختار بن أبي عبيد التقي وأنصاره من أهل الكوفة بعدما فرّ مع أشراف قبائل الكوفة إلى البصرة بقوله:

وأنى بكم يا شرطة الكفر عارف⁽²⁾

شهدت عليكم أنكم سبئية

وهناك رواية عن الشعبي المتوفى عام 103هـ (721م) تقدّم كذب عبد الله بن سبأ⁽³⁾، وتحدث ابن حبيب⁽⁴⁾ المتوفى عام 245هـ (860م) عن ابن سبأ حينما اعتبره أحد أبناء الجشيات⁽⁵⁾، كما روى أبو عاصم خُثْيَش بن أصرم المتوفى سنة 253هـ، خبر إلراق علی رضي الله عنه - لجامعة من أصحاب ابن سبأ في كتابه الاستقامة⁽⁶⁾، ويعتبر الجاحظ⁽⁷⁾ المتوفى سنة 255هـ من أوائل من أشار إلى عبد الله بن سبأ⁽⁸⁾، ولكن روایته ليس أقدم رواية عن ابن سبأ كما يروى الدكتور جواد على⁽⁹⁾، وخبر إلراق على بن أبي طالب - رضي الله عنه - لطائفه من الزنادقة تكشف عنه الروايات الصحيحة في كتب الصحاح والسنن والمسانيد⁽¹⁰⁾، ولفظ الزنادقة ليس غريباً عن عبد الله بن سبأ وطائفته.

ويقول ابن تيمية: إن مبدأ الرفض إنما كان من الزنادقة عبد الله بن سبأ⁽¹¹⁾.

ويقول الذهبي: عبد الله من غلاة الزنادقة.. وله أتباع يقال لهم السبئية، مع

ويقول ابن حجر: عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة.. وله أتباع يقال لهم السبئية، مع تقدون الإلهية في على بن أبي طالب، وقد أحرقوهم على بالنار في خلافته⁽¹³⁾.

ويوجد لابن سبأ ذكر في كتب الجرح والتعديل، يقول ابن حبان المتوفى 354هـ: وكأن الكلبي - محمد بن السائب الإخباري - سبئياً، من أصحاب عبد الله بن سبأ، من أولئك الذين يقولون: إن علياً لم يمت، وأنه راجع إلى الدنيا قبل الساعة.. وإن رأوا سحابة قاتلوا: أمير المؤمنين فيها⁽¹⁴⁾، كما أن كتب الأنساب هي الأخرى تؤكد نسبة السبئية إلى عبد الله بن سبأ، وهو الغلاة من الرافضة، وابن سبأ أصله من اليمين، كان يهودياً وأظهر إسلام⁽¹⁵⁾، ولم يكن سيف بن عمر هو المصدر الوحيد لأخبار عبد الله بن سبأ، إذ أورد ابن عساكر في تاريخه روايات لم يكن سيف فيها، وهي تثبت ابن سبأ وتؤكّد أخباره⁽¹⁶⁾، ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة 728هـ أن أصل الرفض من المناقفين الزنادقة، فإنه ابتداع ابن سبأ الزنادقى، وأظهر الغلو في على وادعى الإمامة والنص على، وادعى العصمة له⁽¹⁷⁾، ويشير الشاطبى⁽¹⁸⁾ والمتوافق عام 790هـ إلى أن بدعة السبئية من الد

(1) هو عبد الرحمن بن الحارث الهمданى، المعروف بأعشى همدان.

(2) ديوان أعشى همدان: ص (148).

(3) تاريخ دمشق، ابن عساكر (331/9).

(4) تاريخ بغداد (277/2).

(5) عبد الله بن سبأ للعوده ص (53)، المحبر، ابن حبيب: ص (308).

(6) تذكرة الحفاظ (551/2)، شذرات الذهب (129/2).

(7) وفيات الأعيان (470/30).

(8) البيان والتبيين (81/3).

(9) تحقيق موافق الصحابة (290/8).

(10) عبد الله بن سبأ للعوده: ص (53).

(11) مجموع الفتاوى (483/28).

(12) ميزان الاعتراض للذهبي (426/2).

(13) لسان الميزان لابن حجر (360/3).

(14) المجرودين من المحدثين، أبو حاتم (253/2).

(15) الأنساب (24/7).

(16) تحقيق موافق الصحابة (1/298)، عبد الله بن سبأ للعوده: ص (54).

(17) مجموع الفتاوى لابن تيمية (435/4).

(18) إبراهيم بن موسى، محمد العرناصى توفي عام 790.

دع الاعقادية المتعلقة بوجود الله مع الله - تعالى - وهي بدعة تختلف عن غيرها من المقدرات⁽¹⁾، وفي خطط المقريزى المتوفى عام 845هـ، أن عبد الله بن سباً قام من زمن على مُحدثاً القوم بالوصية والرجعة والتناسخ⁽²⁾، وأما المصادر الشيعية التي ذكرت ابن سباً، فقد روى الكشى عن محمد بن قولوية، قال: حدثني سعد بن عبد الله قال: حدثني يعقوب بن يزيد، ومحمد بن عيسى، عن علي بن مهزيار، عن فضالة بن أبوب الأزدى، عن أبان بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله يقول: لعن الله عبد الله بن سباً، أنه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين وكان والله أمير المؤمنين عبداً طائعاً، الويل لمن كذب علينا، وإن قد وما يقولون فيما لا نقول في أنفسنا نبراً إلى الله منهم⁽³⁾، والرواية عند الشيعة من حيث ث السند صحيحة⁽⁴⁾.

وفي كتاب الخصال أورد القمي الخبر نفسه، ولكن موصولاً بسند آخر، وأما صاحب روضات الجنات فقد ذكر ابن سباً على لسان الصادق المصدوق الذي لعن ابن سباً لاتهامه بالكذب والتزوير وإذاعة الأسرار والتلويل⁽⁵⁾، وقد ذكر الدكتور سليمان العودة في كتابه مجموعة من النصوص التي تذكر بها كتب الشيعة ومروياتهم عن عبد الله بن سباً، فهي أشبه ما تكون وثائق مسجلة تدين من حاول من متأخرى الشيعة إنكار عبد الله بن سباً، أو التشكيك في أخباره، بحجة قلة، أو ضعف المصادر التي حكت أخباره⁽⁶⁾.

إن شخصية ابن سباً حقيقة تاريخية لا لبس فيها في المصادر السننية والشيعية المقدمة والمتأخرة على السواء، وهي كذلك أيضاً عند غالبية المستشرقين أمثال: يوليوس فلهم اوزن⁽⁷⁾، وفان فولتن⁽⁸⁾، وليفي ديلافيد⁽⁹⁾، وجولد تسىهر⁽¹⁰⁾، وريبنولد نكلسن⁽¹¹⁾، وداويرت رونلس⁽¹²⁾.. على حين يبقى ابن سباً محل شك أو مجرد خرافة عند فئة قليلة من المستشرقين أمثال: كيتاني وبرنارد لويس⁽¹³⁾، وفرید لندر المتأرخ⁽¹⁴⁾، علمًا بأننا لا نعتمد بهم في أحداث تاريخنا.

ومن يستقرئ المصادر، سواء القديمة والمتأخرة، عند السنة والشيعة، يتتأكد له بأن وجود ابن سباً كان وجوداً تؤكده الروايات التاريخية، وتقيض فيه كتب العقائد، وذكرته كتب الحديث، والرجال والأنساب، والأدب، واللغة، وسار على هذا النهج كثير من المحققين والباحثين والمحاذين، يبدو أن أول من شك في وجود ابن سباً المستشرقون، ثم دعم هذا الطرح الغالبية من الشيعة المعاصرین بل وأنكر بعضهم وجوده البنية، وبرز من الباحثين العرب المعاصرین من أعجب بأراء المستشرقين، ومن تأثر بكتابات الشيعة المحدثين، ولكن هؤلاء جميعاً ليس لهم ما يدعون به شکهم وإنكارهم إلا الشك ذاته، والاستناد إلى مجرد الهوى والظنون والفرضيات⁽¹⁵⁾، ومن أراد التوسيع في معرفة المراجع والم

(1) الاعتصام (197/2).

(2) المواعظ والإعتبار يذكر الخطط والآثار للمقريزى (256/2)، (257).

(3) رجال الكشى (324/1).

(4) عبد الله بن سبا الحقيقة المجهولة للشيعة، لمحمد على العلم: ص (30).

(5) عبد الله بن سبا، سليمان العودة: ص (62).

(6) عبد الله بن سبا، سليمان العودة: ص (62).

(7) الخوارج والشيعة، يوليوس فلهاوزن: ص (170).

(8) السيدة العربية والشيعة والإسلاميات: ص (80).

(9) تحقيق موافق الصحابة (321/1).

(10) العقيدة والشريعة الإسلامية، جولد تسىهر: ص (229).

(11) تاريخ العرب الأدنى في الجاهلية: ص (235).

(12) عقائد الشيعة: ص (58).

(13) أصول الإماماعالية (86).

(14) تحقيق موافق الصحابة (312/1).

(15) تحقيق موافق الصحابة (312/1).

صادر السننية والشيعية والاستشرافية التي ذكرت ابن سباء فليراجع تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة للدكتور محمد أحمزون، وعبد الله بن سباء وأثره في أحداث الفتنة في صدر إسلام، للدكتور سليمان بن حمد العودة.

(2) دور عبد الله بن سباء في تحريك الفتنة: في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان - رضي الله عنه - بدت في الأفق سمات الاضطراب في المجتمع الإسلامي نتيجة عوامل التغيير التي ذكرناها، وأخذ بعض اليهود يتحينون فرصة الظهور مستغلين عوامل الفتنة ومتظاهرين بالإسلام واستعمال التقية، ومن هؤلاء عبد الله بن سباء الملقب بابن السوء، وإذا كان ابن سباء لا يجوز التهويل من شأنه كما فعل بعض المغالين في تضخيم دوره في الفتنة⁽¹⁾، فإنه كذلك لا يجوز التشكيك فيه أو الاستهانة بالدور الذي لعبه في أحد أحداث الفتنة، كعامل من عواملها، على أنه أبرزها وأخطرها، إذ إن هناك أجواءً للفتنة مهدت له، وعوامل أخرى ساعده، وغاية ما جاء به ابن سباء آراء ومعتقدات ادعاهما وأختارها من قبل نفسه وافتعلها من يهوديته الحادة، وجعل يروجها لغاية ينشدها وغرض يسنته، وهو الدس في المجتمع الإسلامي بغية النيل من وحدته، وإذكاء نار الفتنة وغرس بذور الشقاق بين أفراده، فكان ذلك من جملة العوامل التي أدت إلى قتل أمير المؤمنين عثمان - رضي الله عنه - وتفرق الأمة شيعاً وأحزاباً⁽²⁾، وخلاصة ما جاء به أن أنتي بـ مقدمات صادقة وبنى عليها مبادئ فاسدة راجت لدى السذج الغلاة وأصحاب الأهواء من الناس، وقد سلك في ذلك مسلك ملتوية لبس فيها على من حوله حتى اجتمعوا عليه، فطرق باب القرآن بتناوله على زعمه الفاسد حيث قال: لعجب من يزعم أن عيسى يرجع ، ويكتب بأن محمدًا يرجع، وقد قال تعالى: +إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادَكَ إِلَى مَعَادٍ+ [القصص: 85] فمحمد أحق بالرجوع من عيسى⁽³⁾، كما سلك طريق القبض الفاسد من ادعاء إثبات الوصية لعلى - رضي الله عنه - بقوله: إنه كان ألفنبي، وكلنبي وصي، وكان على وصي محمد ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلى خاتم الوصياء⁽⁴⁾، وحينما استقر الأمر في نفوس أتباعه انتقل إلى هدفه المرسوم، وهو خروج الناس على الخليفة عثمان - رضي الله عنه -، فصادف ذلك هو في نفوس بعض القوم حيث قال لهم: من أظلم من لم يجز وصية رسول الله × ووتب على وصي رسول الله × وتدبروا أمر الأمة؟ ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله فانهضوا في هذا الأمر فحركونه، وابدعوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوا إلى هذا الأمر⁽⁵⁾، وبث دعاته، وكاتب من كان في الأمصار، وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ويكتبا لهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تتراولوا بذلك المدينة، وألوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون، ويسترون غير ما يبدون، فيقول أهل مصر: إنما في عافية مما فيه الناس⁽⁶⁾.

ويظهر في النص الأسلوب الذي اتباه ابن سباء، فهو أراد أن يوقع في أعين الناس بين اثنين من كبار الصحابة، حيث جعل أحدهما مهضوم الحق وهو على، وجعل الثاني مـ

(1) مثل سعيد الألغاني في كتابه (عائشة و السياسة).

(2) تحقيق مواقف الصحابة (327/1).

(3) تاريخ الطبرى (347/5).

(4) تاريخ الطبرى (347/5).

(5) المصدر نفسه (348/5).

(6) المصدر نفسه (348/5).

غتصبًاً وهو عثمان، ثم حاول بعد ذلك أن يحرك الناس - خاصة في الكوفة - على أمره. هم باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فجعل هؤلاء يتذرون لأصغر الحوادث على ولاتهم، علمًا بأنه ركز في حملته هذه على الأعراب الذين وجد فيهم مادة ملائمة لتفيذه خطته، فالقراء منهم استهواهم عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأصدح المطامع منهم هييج أنفسهم بالإشاعات المغرضة المفترضة على عثمان؛ مثل تحizه لأقاربه وإغراق الأموال من بيت مال المسلمين عليهم، وأنه حمى الحمى لنفسه إلى غير ذلك من التهم والمطاعن التي حرك بها نفوس الغوغاء ضد عثمان - رضي الله عنه - مع براعته، ثم إنه أخذ يحضر أتباعه على إرسال الكتب بأخبار سيئة مفجعة عن مصرهم إلى بقية الأمصار، وهكذا يتخيّل الناس في جميع الأمصار أن الحال بلغ من السوء ما لا مزيد عليه، والمستفيد من هذه الحال هم السبئية، لأن تصديق ذلك من الناس يفيدهم في إشعاع شرارة الفتنة داخل المجتمع الإسلامي⁽¹⁾، هذا وقد شعر عثمان - رضي الله عنه - بأن شيئاً ما يحاك في الأمصار وأن الأمة تخوض بشر ف قال: والله إن رحى الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها⁽²⁾.

على أن المكان الذي رتع فيه ابن سبأ هو مصر، وهناك أخذ ينظم حملته ضد عثمان - رضي الله عنه -، ويبحث الناس على التوجه إلى المدينة لإثارة الفتنة بدعاوى أن عثمان أخذ الخلافة بغير حق، ووثب على وصى رسول الله × يقصد⁽³⁾ عليًا، وقد غشهم بكتاب ادعى أنها وردت من كبار الصحابة حتى إذا أتى هؤلاء الأعراب المدينة المنورة واجتمعوا بالصحابة لم يجدوا منهم تشجيعًا، حيث تبرعوا بما نسب إليهم من رسائل تطلب الناس على عثمان⁽⁴⁾، ووجدوا عثمان مقدراً للحقوق، بل وناظرهم فيما نسبوا إليه، ورد عليهم افتراءهم وفسر لهم صدق أعماله، حتى قال أحد زعمائهم وهو مالك ابن الأشتر اذنخعي: لعله مكر به وبكم⁽⁵⁾. ويعتبر الذهبي أن عبد الله بن سبأ المهيج ل الفتنة بمصر وبإذن ذور الشقاق والنقاء على الولاية ثم على أمير المؤمنين عثمان فيها⁽⁶⁾، ولم يكن ابن سبأ وحده، وإنما كان عمله ضمن شبكة من المتأمرين وأخطبوط من أساليب الخداع والإحرازا على عثمان ظهر ابن سبأ وذهابه إلى مصر وإذاعته بين الناس كلامًا اخترعه من عند نفسه، فافتتن به بشر كثير من أهل مصر⁽⁷⁾.

إن المشاهير من المؤرخين والعلماء من سلف الأمة وخلفها يتفقون على أن ابن سبأ ظهر بين المسلمين بعقائد وأفكار وخطط سبئية، ليُلْفِت المسلمين عن دينهم وطاعة إمامهم ويُوَقِّع بينهم الفرقـة والخلاف، فاجتمع إليه من غوغاء الناس ما تكوّنت به الطائفة السبئية المعروفة التي كانت عاملاً من عوامل الفتنة المنتهية بمقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وما ترتب على قتله من فتن كمعركتي الجمل وصفين وغيرهما. والذي يظهر من خطط السبئية أنها كانت أكثر تنظيمًا، إذ كانت بارعة في توجيه دعايتها ونشر أفكارها لامتلاكها ناصية الدعاية والتأثير بين الغوغاء والراغع من الناس، كما كانت نشيطة في تكوين فروع لها سواء في البصرة أم في الكوفة أم في مصر، مستغلة العصبية القبلية، ومتمكنة من إثارة مكامن التمرد عند الأعراب والعبيد والموالي، عارفة بالمواضع الحساس

(1) الدولة الأموية، يوسف العشى: ص(168)، موافق الصحابة (330/1).

(2) تاريخ الطبرى (250/5).

(3) المصدر نفسه (348/5)، تحقيق موافق الصحابة (1/330).

(4) المصدر نفسه (348/5)، تحقيق موافق الصحابة (1/330).

(5) تحقيق موافق الصحابة (1/331).

(6) تحقيق موافق الصحابة (1/338).

(7) البداية والنهاية (1677/7، 168).

ة في حياتهم وبما يريدون⁽¹⁾.

ثانيًا: اختلاف الصحابة في الطريقة التي يؤخذ بها القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه:

إن الخلاف الذي نشأ بين أمير المؤمنين على من جهة، وبين طلحة والزبير وعائشة من جهة أخرى، ثم بعد ذلك بين على ومعاوية لم يكن سببه ومنشأه أن هؤلاء كانوا يقدرون في خلافة أمير المؤمنين على وإمامته وأحقيته بالخلافة والولاية على المسلمين، فقد كان هذا محل إجماع بينهم.

قال ابن حزم: ولم ينكر معاوية قط فضل على واستحقاقه الخلافة، ولكن اجتهاده أداء إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان - رضي الله عنه - على البيعة، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان⁽²⁾.

وقال ابن تيمية: ومعاوية لم يدع الخلافة، ولم يباع له بها حين قاتل عليهما، ولم يقاتل على أنه خليفة، ولا أنه يستحق الخلافة، ويقررون له بذلك، وقد كان معاوية يقر بذلك لمن سأله عنه، ولا كان معاوية وأصحابه يرون أن يبتدوا عليهما وأصحابه بالقتال، ولا فعلوا⁽³⁾. وقال أيضًا... وكل فرقة من المتشيعين مقرّة مع ذلك بأن معاوية ليس كفداً لى بالخلافة، ولا يكون خليفة مع إمكان استخلاف على، فإن فضل على وسابقته وعلمه ودينه وشجاعته وسائر فضائله كانت عندهم ظاهرة معلومة كفضل إخوانه أبي بكر وعم ر وعثمان رضي الله عنهم⁽⁴⁾.

إن منشأ الخلاف لم يكن قدحًا في خلافة أمير المؤمنين على - رضي الله عنه - وإن ما اختلفوا في قضية الاقتصاص من قتلة عثمان، ولم يكن خلافهم في أصل المسألة، وإنما كان في الطريقة التي تعالج بها هذه القضية، إذ كان أمير المؤمنين على موافقاً من حيث المبدأ على وجوب الاقتصاص من قتلة عثمان، وإنما كان رأيه أن يرجي الاقتاصص من هؤلاء إلى حين استقرار الأوضاع وهدوء الأمور واحتمام الكلمة⁽⁵⁾. قال النووي: واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهه، فلشدة اشتباهاها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام: قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف، وأن مخالفه باع، فوجب عليهم نصرته، وقتل الباغي فيما اعتقدوه فعلوا ذلك، ولم يكن يحل لمن هذ صفتة التأخير عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاء في اعتقدده، وقسم عكس هؤلاء: ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر، فوجب عليهم مساعدتهم وقتل الباغي عليه، وقسم ثالث: اشتباهت عليهم القضية، وتحيروا فيها، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطيفين فاعتزلوا الفريقين، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين، وأن لا حق معه، لما جاز لهم التأخير عن نصرته في قتال البغاء عليه⁽⁶⁾.

ثالثًا: خروج الزبير وطلحة وعائشة ومن معهم إلى البصرة للإصلاح:

قدم طلحة والزبير إلى مكة ولقيا عائشة - رضي الله عنهم جميعاً - وكان وصولهم إلى مكة بعد أربعة أشهر من مقتل عثمان تقريباً، أي في ربيع الآخر من عام 36هـ⁽⁷⁾.

(1) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (339/1).

(2) الفصل في المل والأهواء والنحل (160/4).

(3) مجموع الفتاوى (72/35).

(4) مجموع الفتاوى (72/35).

(5) أحداث وأحاديث فتنة الهرج ص 158.

(6) شرح النووي على صحيح مسلم (149/15).

(7) تاريخ الطبرى (469/5).

، ثم بدأ التفاوض في مكة مع عائشة، رضي الله عنها، للخروج، وقد كانت هناك ضغوط نفسية كبيرة على أعصاب الذين وجدوا أنفسهم لم يفعلوا شيئاً لإيقاف عملية قتل الخليفة ا لمظلوم، فقد اتهموا أنفسهم بأنهم خذلوا الخليفة وأنه لا تكفي لذنبهم هذا - حسب قولهم- إ لا الخروج للمطالبة بهم، علمًا بأن عثمان هو الذي نهى كل من أراد أن يدافع عنه في حياته تضحية في سبيل الله، فعائشة تقول: إن عثمان قُتل مظلوماً والله لأطالبين بهم⁽¹⁾،

وطلحة يقول: إنه كان مني في عثمان شيء ليس توبتي إلا أن يسفك دمي في طلب دمه⁽²⁾، والزبير يقول: ذُهُنَّ النَّاسُ فِي دِرْكِ بَهْدَىٰ الَّذِي يَبْطُلُ، فإن في إبطاله توهين سلطان الله بيمنا أبداً، إذا لم يفطم الناس عن أمثالها لم يبق إمام إلا قتله هذا الضرب⁽³⁾.

فهذا الإحساس الضاغط على الأعصاب والذئوس كان كفياً لأن يحرك الناس ويحركهم من راحتهم واستقرارهم، بل كانوا يخرجون وهم يدركون أنهم يخرجون إلى أهوا لقادمة مجهلة، فكل واحد منهم خرج من بيته وهو غير متوقع العودة مرة أخرى؛ فشيءة أو لاده بالبكاء وسمى يوم خروجهم من مكة نحو البصرة بيوم النحيب، فلم يُرَ يوم كان أكثر باكيًا على الإسلام، أو باكيًا له من ذلك اليوم⁽⁴⁾.

لقد توافرت مجموعة من العوامل في مكة جعلتهم يفكرون في طريقة جادة لتحقيق مطا بهم، ومن هذه العوامل: أن بنى أمية قد هربوا من المدينة واستقروا في مكة، ومنها: أن عبد الله بن عامر - أمير البصرة في عهد عثمان - كان في مكة وهو يبحث على الخروج ويعرض المعونة المادية، ومنها: أن يعلى بن أمية الذي خرج من اليمن لإعانة الخليفة عثمان وصل إلى مكة، وقد قتل الخليفة ومعه من المال والسلاح والدواب شيء لا يأس به، فعرض كذلك للمساعدة في قتل عثمان، فكان هذا كفياً لتشجيع الباحثين عن طريقة لمطاردة قتلة عثمان، وما دامت العوامل قد توافرت لجمع قوة تطالب بدم عثمان فمن أين يبدعون؟ دار حوار بينهم حول الجهة التي يتوجهون إليها فقال بعضهم - على رأسهم السيدة عائشة-: إن المدينة هي وجهتهم، وظهر رأي آخر يطلب التوجه إلى الشام ليتجمعوا معًا ضد قتلة عثمان ، وبعد نظر طويل قرر لهم على البصرة، لأن المدينة فيها كثرة ولا يقدرون على مواجهة لهم لقتلهم، ولأن الشام صار مضموناً لوجود معاوية، ومن ثم يكون دخولهم البصرة أولى في هذه الخطة لأنها أقرب البلدان قوة وسلطة، ويستطيعون من خلالها تحقيق خطتهم⁽⁵⁾، وكان تخطفهم ومهمتهم واضحة سواء قبل خروجهم، أو أثناء طريقهم، أو عند وصولهم إلى البصرة وهي: المطالبة بدم عثمان، والإصلاح، وإعلام الناس بما فعل الغوغاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر⁽⁶⁾، وأن هذا المطلب هو لإقامة حد من حدود الله⁽⁷⁾، وأنه إذا لم يؤخذ على أيدي قتلة عثمان - رضي الله عنه- فسيكون كل إمام معرضًا للقتل من أمثال هؤلاء⁽⁸⁾، وأما الطريقة التي تصورها فهي الدخول إلى البصرة ثم الكوفة، والاستعانة بأهلها على قتلة عثمان منهم أو من غيرهم ثم يدعون أهل الأمصار الأخرى لذلك حتى يضيقوا على قاتلي عثمان الموجودين في جيش على فيأخذونهم بأقل قدر ممكن من الضحايا⁽⁹⁾.

لم يكن الخروج إلى البصرة والغضب الذي حرк الصحابة من البساطة التي ظهر

(1) تاريخ الطبرى (485/5).

(2) سير أعلام النبلاء (34/1).

(3) تاريخ الطبرى (487/5).

(4) تاريخ الطبرى (487/5)، دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة للشجاع: ص(417).

(5) تاريخ الطبرى (476/5)، دراسات في عهد النبوة: ص(418).

(6) تاريخ الطبرى (489/5).

(7) دراسات في عهد النبوة: ص(419).

(8) تاريخ الطبرى (487/5).

(9) دراسات في عهد النبوة: ص(419).

ت للناس كثار لعثمان، رضي الله عنه، وكأنه رجل من عوام الناس قُتل، فخرجت الجيوش في الطلب له بثاره، رغم كونه حدًّا من حدود الله يستوجب الغضب ويستدعي حدوث ذلك، ولكن مكانة عثمان وشخصيته ومكانته المعنوية ك الخليفة، وقتلها بالصورة التي تمَّت، كان فوق ذلك، ومعه اغتيال لصفة شرعية هي «الخلافة» التي يفهمها المسلمون: نوبة عن صاحب الشرع في حفظ الدين، وسياسة الدنيا به⁽¹⁾، فالاعتداء عليها دون وجه حق اعتداء على صاحب الشرع وتوهين لسلطانه، وضياع لنظام المسلمين⁽²⁾.

كانت السيدة عائشة والزبير وطلحة ومن معهم يسعون لإيجاد رأي إسلامي عام في مواجهة الطغمة السنية التي قتلت عثمان، وأصبحت ذات شوكة لا ينتهان بها، وذلك من خلال تعريف المسلمين بما أتى هؤلاء السنيين والغواء من أهل الأمصار ونزاع القبائل، ومن ظاهرهم من الأعراب والعيبي، فقد بات واضحًا عند الصحابة من الفريق الذي كان يرى رأي عائشة - رضي الله عنها - أن الغواء والسنيين لهم وجود في جيش عليٍّ، وأنه لأجل ذلك فإن علياً - رضي الله عنه - يصعب عليه مواجهتهم، خشية منه على أهل المدينة، ومن ثم فإنه ينبغي عليهم أن يحاولوا السعي لإلقاء المسلمين، وتقوية جانب المطالب بإقامة الحدود، لتم إقامتها بأقل الخسائر في دماء الأبرياء، وهو هدف لا شك أن علياً كان يسعى إليه، ويحاوله، بل إن الروايات التي مرت معنا في المحاورية بين الزبير وطلحة وعلى تدل على ذلك، ثم إن هذا السلوك منهم، وهذه النية في تعريف الناس، وتوضيح الأمور لهم، دليل على وعيٍ تامٍ منهم بأساليب السنية في اللعب بأفكار العامة، وتوجيهها على النحو الذي ينخر في الأمة حتى لا تسقر على حال، فكان لابد من مواجهتها في ميدان الأفكار، لإبطال عملها، وقد تبين هذا العمل واضحًا، وصريحًا في الروايات الصحيحة⁽³⁾، التي تحدث فيها السيدة عائشة - رضي الله عنها - عن أهداف هذا الخروج، فروى الطبرى أن عثمان بن حنيف - وهو والى البصرة من قبل أمير المؤمنين على بن أبي طالب - أرسل إلى عائشة - رضي الله عنها - عند قدومها البصرة سألها عن سبب قدومها، فقال: والله ما مثلّي يسير بالأمر المكتوم، ولا يعطي لبنية الخبر، إن الغواء من أهل الأمصار، ونزاع القبائل غزوا حرّم رسول الله × وأحدثوا فيه الأحداث، وألووا فيه المحدثين، واستوّجوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر؛ فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه، وانتهوا بالمال الحرام، وأحلوا بلاد الحرام، والشهر الحرام، وزمقوا الأعراض والجنود، وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم، ضارين مضررين غير نافعين ولا متقين، ولا يقدرون على امتناع ولا يأمدون، فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس ورائعاً، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا، وقرأت لا خير في كثيرون من ذجوائهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس "[النساء: 14]"، فهذا الإصلاح من أمر الله عز وجل وأمر رسول الله × الصغير والكبير والذكر والأنثى، فهو الذي شائننا إلى معروف نامركم به وتحضكم عليه ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره⁽⁴⁾. وروى ابن حبان أن عائشة - رضي الله عنها - كتبت إلى أبي موسى الأشعري - والى عليٍّ على الكوفة - فإنه قد كان من قتل عثمان ما قد علمت، وقد خرجت مسلحة بين الناس، فمر من قبلك بالقرار في منازلهم، والرضا بالعافية حتى يأتىهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين⁽⁵⁾. ولما أرسل على القعقاع بن عمرو لعائشة ومن كان معه

(1) مقدمة ابن خلدون: ص(191).

(2) دور المرأة السياسي: ص(391).

(3) دور المرأة السياسية: ص(394).

(4) تاريخ الطبرى (489/5).

(5) التفات لابن حبان (282/2).

ها يسألها عن سبب قدومها، دخل عليها القعقاع فسلم عليها، وقال: أي أمه، ما أشخاصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بنى، إصلاح بين الناس⁽¹⁾.

وبعد انتهاء الحرب يوم الجمل جاء على إلى عائشة - رضي الله عنها - فقال لها: غفر الله لك. قالت: ولك، ما أردت إلا الإصلاح⁽²⁾. فتقر أنها ما خرجت إلا للإصلاح بين الناس، وفيه رد على من طعن في عائشة - رضي الله عنها - من الشيعة الرافضية في قوله: إنها خرجت من بيتها وقد أمرها الله بالاستقرار فيه في قوله: + قرْنَ فِي بُ يَوْتَكُنْ وَلَا تَبَرِّجْ الْجَاهِلِيَّةَ الْأُولَى [الأحزاب: 33]، فإن سفر الطاعة لا ينافي القرار في البيت وعدم الخروج منه إجماعاً، وهذا ما كانت تراه أم المؤمنين - عائشة - في خروجها للإصلاح للمسلمين وكان معها محرمتها ابن أختها عبد الله بن الزبير⁽³⁾.

قال ابن تيمية في الرد على الراضا في هذه المسألة: فهي - رضي الله عنها - لم تتبرج تبرج الجاهليه الأولى، والأمر بالاستقرار في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة مأمور بها، كما لو خرجت للحج والعمره، أو خرجت مع زوجها في سفره، فإن هذه الآية قد نزلت في حياة النبي × وقد سافر بهن رسول الله × بعد ذلك، كما سافر في حجة الوداع بعائشة - رضي الله عنها - وغيرها، وأرسلها مع عبد الرحمن أخيها فأردها خلفه، وأعمراها من التعليم، وحجة الوداع كانت قبل وفاة النبي × بأقل من ثلاثة أشهر، بعد نزول هذه الآية، ولهذا كان أزواجا النبي × يحججن بعده كما كان يحججن معه، في خلافة عمر - رضي الله عنه - وغيره، وكان عمر يوكل بقطارهن عثمان، أو عبد الرحمن بن عوف، وإذا كان سفرهن لمصلحة جائزًا، فعائشة اعتقدت أن ذلك السفر مصلحة للمس لم ينف فتاولت في ذلك⁽⁴⁾. ويقول ابن العربي: وأما خروجها إلى حرب الجمل فما خرجت لحرب ولكن تعلق الناس بها وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة وتهارج الناس، ورجوا بركتها في الإصلاح، وطمعوا في الاستحسان منها إذا وقفت للخلق، وظننت هي ذلك، فخرجت مقدمة بالله في قوله: + لَا خَبَرَ فِي كَثِيرٍ مَنْ ذَجَّوْهُمْ إِلَّا مَنْ أَمْرَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ [النساء: 114]. والأمر بالإصلاح، مخاطب به جميع الناس من ذكر أو أنثى حر أو عبد⁽⁵⁾.

وهذه بعض الأمور المهمة في خروجها:

1- هل أكرهت السيدة عائشة على الخروج؟ زعم اليعقوبي أن الزبير بن العوام أكره السيدة عائشة على الخروج⁽⁶⁾، وقال بهذا القول صاحب الإمامة والسياسة⁽⁷⁾، وابن أبي الحميد⁽⁸⁾، وكذلك فعل الدينوري⁽⁹⁾، وألمحت الرواية التي ذكرها الذهبي بأن المتسلط عليها هو عبد الله بن الزبير⁽¹⁰⁾ - ابن أختها أسماء - وسار على هذه الروايات كثير من الباحثين، كمحمد سيد الوكيل⁽¹¹⁾، فقد زعم أن الزبير وطلحة شجعا عائشة على الخروج،

(1) تاريخ الطبراني (520/5).

(2) شرارات الذهب (42/1).

(3) الانتصار للصحب والآل: ص (444).

(4) منهاج السنة (4/317-570).

(5) أحكام القرآن (3/569-570).

(6) تاريخ العقوبي (2/180).

(7) الإمامة والسياسة (1/58-69).

(8) شرح نهج البلاغة (9/18).

(9) الأخبار الطوال: ص (145).

(10) سير أعلام النبلاء (2/193).

(11) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين: ص (526).

وزاهية قدور⁽¹⁾ وغيرهما، وهذا غير صحيح، فقد قامت السيدة عائشة بالمطالبة بثار عث مان منذ اللحظة التي علمت فيها بمقتله - رضي الله عنه - وقبل أن يصل الزبير وطلحة وغيرهما من كبار الصحابة إلى مكة؛ ذلك أنه قد روى أنها لما انصرفت راجعة إلى مكة أتتها عبد الله بن عامر الحضرمي فقال: ما ردرك يا أم المؤمنين؟ قالت: ردّتني أن عثمان قُتل مظلوماً، وأن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر، فاطلبوا دم عثمان تعز وألاسلام. فكان عبد الله أول من أجابها⁽²⁾، ولم يكن طلحة والزبير قد خرجا من المدينة، وإنما خرجا منها بعدما مر على مقتل عثمان أربعة أشهر⁽³⁾.

2- هل كانت مسلطة على من معها؟: كان فيمن خرج معها - رضي الله عنها - جموع من الصحابة⁽⁴⁾، ولم تكن السيدة عائشة المرأة المسلطـة التي تحرك الناس حيث شاعت - كما زعم بروكلمان⁽⁵⁾، ولقد أكدت روایات الطبرـي تأيـيد أمـهـات المؤـمنـين لهاـ، ولـمـ مـعـهاـ فيـ السـعـيـ لـالـإـصـلـاحـ، بلـ وـتـأـيـيدـ عـدـدـ غـيرـ قـلـيلـ مـنـ أـهـلـ الـبـصـرـةـ لهاـ⁽⁶⁾، وـكـانـ هـذـاـ العـدـدـ غـيرـ الـقـلـيلـ مـنـ لـاـ يـسـتـهـانـ بـهـمـ، فـلـقـدـ وـصـفـهـمـ طـلـحـةـ وـالـزـبـيرـ بـأـنـهـمـ خـيـارـ أـهـلـ الـبـصـرـةـ وـذـجـاؤـهـمـ⁽⁷⁾، وـوـصـفـتـهـمـ السـيـدةـ عـائـشـةـ بـأـنـهـمـ الصـالـحـونـ⁽⁸⁾، وـمـاـ كـانـ خـرـوجـ هـذـاـ العـدـدـ مـنـ الـصـالـحـينـ إـلـاـ عـنـ اـعـتـقـادـ رـاسـخـ بـجـدـوـيـ هـذـاـ خـرـوجـ وـصـوـابـ مـقـصـدـهـ، وـكـانـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـينـ نـيـعـمـ هـذـاـ، وـبـرـدـ الزـعـمـ الـذـيـ زـعـمـهـ الـبـعـضـ مـنـ أـنـ الـخـارـجـيـنـ مـعـ السـيـدةـ عـائـشـةـ كـانـواـ جـمـوعـاـ مـنـ السـفـهـاءـ وـالـغـوـغـاءـ وـالـأـوـبـاشـ⁽⁹⁾، فـلـقـدـ وـقـفـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـينـ بـعـدـ مـعرـكـةـ الجـمـلـ بـيـنـ الـقـتـلـيـ مـنـ فـرـيقـ عـائـشـةـ، يـتـرـحـمـ عـلـيـهـمـ وـيـذـكـرـ فـضـلـهـمـ⁽¹⁰⁾. وـسـيـأـتـيـ بـيـانـ ذـلـكـ أـنـ لـمـ يـكـنـ خـرـوجـاـ غـوـغـائـيـاـ، تـحـكـمـتـ فـيـهـ السـيـدةـ عـائـشـةـ فـيـ أـنـاسـ غـيـرـ رـاشـدـيـنـ، بلـ كـانـ خـرـوجـاـ وـعـيـاـ شـارـكـ فـيـهـ بـعـضـ الصـحـابـةـ الـكـبـارـ⁽¹¹⁾.

3- موقف أزواج النبي × من الخروج للطلب بدم عثمان: كانت أزواجا النبي × قد خرجن إلى الحج في هذا العام فراراً من الفتنة، فلما بلغ الناس بمكة أن عثمان قد قُتل أقسم نساء، ولكن قد خرجن منها فرجعن إليـهـاـ، وجعلـنـ يـنـتـظـرـونـ ماـ يـصـنـعـ النـاسـ ويـتـحـسـنـ الـأـخـبـارـ، فـلـمـ بـوـيـعـ عـلـىـ خـرـجـ عـدـدـ مـنـ الصـحـابـةـ مـنـ الـمـدـيـنـةـ كـارـهـيـنـ المـقـامـ بـهـاـ بـسـبـبـ الـغـاءـ مـنـ أـهـلـ الـأـمـصـارـ، فـاجـتـمـعـ بـمـكـةـ مـنـهـمـ خـلـقـ كـثـيرـ مـنـ الصـحـابـةـ وـأـمـهـاتـ الـمـؤـمـنـينـ⁽¹²⁾، وكانت بقية أمـهـاتـ الـمـؤـمـنـينـ قـدـ وـافـقـنـ عـائـشـةـ عـلـىـ السـيـرـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ، فـلـمـ اـتـقـقـ رـأـيـ عـائـشـةـ وـمـنـ مـعـهـاـ مـنـ الصـحـابـةـ عـلـىـ السـيـرـ إـلـىـ الـبـصـرـةـ، رـجـعـنـ عـنـ ذـلـكـ وـقـلنـ: لـاـ نـسـيـرـ إـلـىـ غـيـرـ الـمـدـيـنـةـ⁽¹³⁾. كانـ الـخـرـوجـ فـيـ أـمـرـ عـثـمـانـ إـذـنـ غـيـرـ مـخـتـلـفـ عـلـيـهـ بـيـنـ أـمـهـاتـ الـمـؤـمـنـينـ، لـكـنـهـ اـخـتـلـفـ حـيـنـ تـغـيـرـتـ الـوـجـهـةـ مـنـ الـمـدـيـنـةـ إـلـىـ الـبـصـرـةـ، غـيـرـ أـنـ أـمـ الـمـؤـمـنـينـ حـفـصـةـ بـنـتـ عـمـ - رـضـيـهـ عـنـهـاـ - وـاقـفـتـ عـائـشـةـ عـلـىـ السـيـرـ إـلـىـ الـبـصـرـةـ، وـإـذـ مـاـ عـزـمـ⁽¹⁴⁾ عـلـيـهـاـ أـخـوـهـاـ عـبـدـ اللهـ كـيـ لاـ تـخـرـجـ، فـلـمـ يـكـنـ دـمـ خـرـوجـهـاـ نـاتـجـاـ عـنـ اـفـتـاعـ مـ

(1) عائشة أم المؤمنين: ص (184).

(2) تاريخ الطبرـي (475/5).

(3) دور المرأة السياسي: ص (383)، تاريخ الطبرـي (469/5).

(4) المصدر نفسه: ص (384).

(5) تاريخ الشعوب الإسلامية: ص (111، 114، 117).

(6) تاريخ الطبرـي (475/5).

(7) تاريخ الطبرـي نـقـلاـ عـنـ دورـ المرأةـ السـيـاسـيـ: ص (385).

(8) تاريخ الطبرـي نـقـلاـ عـنـ دورـ المرأةـ السـيـاسـيـ: ص (385).

(9) انظر ما قاله صاحب الامامة والسياسة (5771).

(10) تاريخ الطبرـي (574/5).

(11) دور المرأة السياسي: ص (385).

(12) البداية والنهاية (241/7).

(13) البداية والنهاية (241/7).

(14) عزم عليها: أقسم عليها.

نها⁽¹⁾، وقالت عائشة: إن عبد الله حال بيني وبين الخروج، وأرسلت إلى عائشة بعذرها⁽²⁾. وتکاد الروايات الشائعة تبدى أن أم سلمه - رضي الله عنها - لم تكن ترى رأى عائشة ومن معها في الخروج إلى البصرة، وأنها كانت ترى ما يراه على⁽³⁾ غير أن أقرب الروايات إلى الصحة هي أنها أرسلت إلى علىٰ ابنها عمر بن أبي سلمه قائلة: والله لھو أعز على من نفسي، يخرج معك فيشهد مشاهدك. فخرج فلم يزل معه⁽⁴⁾. وهي رواية عند التحقيق لا يتبيّن لنا منها أن هذا الإرسال لابنها يعني أنها كانت تخالف أمها أن المؤمنين في القول بالإصلاح بين المسلمين، فعاشرة نفسها ومن معها لم يكونوا يرون أنه م بهذا الخروج يخالفون علىٰ - رضي الله عنه - أو يخرجون على خلافته كما رأينا، وكما سوف تؤكّد لنا الأحداث، كما أننا لم نجد في الروايات الصحيحة ما يدل على خروجها على إجماع أمها المؤمنين في أهمية السعي للإصلاح⁽⁵⁾، وكانت أمها المؤمنين يعلم أن هذا الخروج في الإصلاح بين المسلمين مما يدخل في معنى الفرض الكفائي، والضابط فيه أن الطلب فيه ليس متوجها إلى جميع المكلفين، بل هو إلى ما فيه أهلية القيمة به، لا على الجميع عموماً، ولقد كانت أهلية القيام بهذا الإصلاح بين المسلمين متوفراً تماماً في السيدة عائشة: مكانة وسداً وعلمًا وقدرة، وكانت عائشة أكثرهن فقهًا بإجماع جمهور المسلمين⁽⁶⁾، كما أنها كانت تهتم بالأمور العامة، وكانت صاحبة شخصية ثقافية واسعة، تكونت منذ نشأتها في بيت أبي بكر العالم بأ أيام العرب وأنسابهم، ومن عيشها في بيت رسول الله × الذي خرجت منه أسس سياسة الدولة الإسلامية، ثم هي بنت الخليفة الأول للمسلمين، وقد أكد العلماء هذه المكانة للسيدة عائشة، فقد قال عروة بن الزبير: لقد صحبت عائشة، فما رأيت أحداً قط كان أعلم بأية أنزلت، ولا بفرضية ولا بسنة، ولا بشد عر، ولا أروى له، ولا بيوم من أيام العرب، ولا بنسب، ولا يكذا، ولا يقضاء، ولا بطبع منها⁽⁷⁾. وكان الشعبي يذكرها فيتعجب من فقهها وعلمهها، ثم يقول: ما ظنكم بأد بـ النبوة؟! وكان عطاء يقول: كانت عائشة أفقه الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة⁽⁸⁾. وكان الأخفف بن قيس سيدبني تميم، وأحد بلغاء العرب يقول: سمعت خطبة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، والخلفاء بعدهم. بما سمعت الكلام من فم مخلوق أفهم، ولا أحسن من منه في عائشة. وكان معاوية يقول مثل هذا⁽⁹⁾: هذا وقد خرج أمها المؤمنين مودعات السيدة عائشة حين خرجت للبصرة، وفي ذلك معنى من معاني المعاونة والتسلية لها على أمرها⁽¹⁰⁾.

4- مرور السيدة عائشة على ماء الحواب: ثبت مرور السيدة عائشة على ماء الحواب من طرق صحيحة؛ فعن يحيى بن سعيد بن القطان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس ابن حازم أن رسول الله × قال لازواجه: «كيف يأخذان تبّع عليهما كلاب الحواب»⁽¹¹⁾. ومن طريق شعبة عن إسماعيل ولطف شعبة: أن عائشة لما أتت على الحواب سمعت نباح الكلاب، فقالت: ما أظنني إلا راجعة، إن رسول الله × قال لنا: أيتکن تبّع عليهما كلاب الحواب.

(1) دور المرأة السياسي: ص (386).

(2) تاريخ الطيري (487/5).

(3) أنساب الأشراف (224/4).

(4) أسد الغابة (169/4)، الإصابة (487/4)، دور المرأة السياسي ص (387)، المستدرك مرويات

أبي مخنف: ص (257).

(5) دور المرأة النبلاء (387).

(6) سير أعلام النبلاء (183/2).

(7) سير أعلام النبلاء (183/2).

(8) المصدر نفسه (185/2).

(9) المصدر نفسه (183/2).

(10) دور المرأة السياسي: ص (389).

(11) مسند أحمد (97/6).

قال لها الزبير: أترجعين؟ عسى الله عز وجل أن يُصلح بك بين الناس⁽¹⁾. وبهذا اللفظ آخر جه يعلى بن عبيد عن إسماعيل، وهو عند الحاكم⁽²⁾، وقال الألباني: إسناده صحيح جداً و قال: صحة من كبار أئمة الحديث: ابن حبان، والذهبى، وابن كثير، وابن حجر⁽³⁾. فهذه الرأيات الصحيحة، ليس فيها شيء من شهادة الزور أو التدليس الذي يتزه عنه مقام الصحابة والذى زعمته الروايات الضعيفة⁽⁴⁾ التي سيأتي بيانها. إن المتأمل لهذه الروايات التي صحتها العلماء لا يجد في أي منها ما يدل على نهى عن شيء، أو أمر بشيء لقوله السيدة عائشة، بل إن ما يفهم منها هو تساؤله عن ليتهن التي يحدث أن تمر على ماء الحواب؟ والروايات الدالة على النهي، والتي بها لفظة إياك في الآخر الوارد: «إياك أن تكوني يا حميراء»⁽⁵⁾ لم يصححها العلماء، وإنما ضعفت، ومن هنا فإن الصحيح الذي نذهب إليه هو أن مروي السيدة عائشة على ماء الحواب لم يكن له الآخر السبلي الذي افتعلته الروايات الموضوعة، ولم يكن له الآخر بعيد على السيدة عائشة نفسها بحيث تفكك جديداً في الرجوع عما خرجت له من إصلاح بين المسلمين، وسعى لتسديد خطاهم، ولم يعد الأمر أن يكون «ظناً» مذها في احتمال الرجوع، وهذا هو ما عبرت عنه حين قالت: ما أظنني إلا راجعة وهو ظن لم يتبلاط إلا بسيئاً ثم عاد هدفها واضحاً بعدما ذكرها الزبير بما عسى الله أن يجريه على يديها من إصلاح بين المسلمين⁽⁶⁾، فقد كانت وما زالت مسألة ماء الحواب⁽⁷⁾ والأحاديث المذكورة فيها مجالاً خصباً للشيعة وغيرهم يطعنون بها على أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ويدينون بها خروجها في شأن الطلب بدم عثمان، حتى انتهى بهم الأمر إلى نفي صفة الاجتهاد عنها، بدعوى مخالفتها - في زعمهم - لنهى الرسول × لها عن أن ترد ماء الحواب، وقد ذكرت المصادر التاريخية هذه القصة، فقد جاءت عند الطبرى في رواية طويلاً، يرويها إسماعيل بن موسى الفزارى قال عنه ابن عدى: أنكروا منه الغلو والتسيع⁽⁸⁾. ويروى الفزارى هذا الخبر عن علي بن عابس الأزرق، وهو ضعيف قاله ابن حجر والنمسائى⁽⁹⁾، وهو يروى هذا الخبر عن الخطاب الهجرى وهو مجھول⁽¹⁰⁾، وهذا الهجرى المجهول، يرويه عن مجھول آخر هو صفوان بن قبيعة الأحمسى⁽¹¹⁾، ثم أخيراً عن شخصية أشد جهازه هي شخصية العزنى صاحب الجمل، وما هو بصاحب الجمل، وإنما صاحبه هو يعطى بن أمية⁽¹²⁾.

وفي متن هذه الرواية ما يحد القارئ من رائحة التشيع والرفض الواضحة في آخر الرواية، حيث ترمع على لسان على أنه كان - رضي الله عنه - يرى أحقيته بالخلافة على أبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - وال الصحيح الثابت من الروايات المحققة يدل على خلا ذلك تماماً⁽¹³⁾. وعلى أساس كل ما سبق يتضح لنا أن هذه الرواية غير صحيحة⁽¹⁴⁾، وهناك روایات أخرى وردت في هذا الموضوع، كلها باطلة سندًا ومتناً، ومغزى هذه الروايات وهدفها هو الطعن على كبار الصحابة وفضلائهم، وبيان أن مقص

(1) مسنون أحمد (97/6).

(2) المستدرك (120/3).

(3) سلسلة الأحاديث الصحيحة (767/1) رقم 474.

(4) دور المرأة السياسي: ص(405).

(5) قال الذهبى: كل حديث فيه يا حميراء لا يصح، سير أعلام النبلاء (2/167، 168).

(6) دور المرأة السياسي: ص(406).

(7) الحواب: من مياه العرب على طريق البصرة قريب منها على طريق مكة إليها.

(8) الكامل في ضعفاء الرجال (528/1)، ميزان الاعتدال (1/413).

(9) تقريب التهذيب (697/1).

(10) تقريب التهذيب (392/2)، دور المرأة السياسي: ص(400).

(11) ميزان الاعتدال (434/3)، لسان الميزان (3/225).

(12) أسد الغابة (486/5)، دور المرأة السياسي: ص(400).

(13) دور المرأة السياسي: ص(402).

(14) تاريخ الطبرى (483/5).

دهم من خروجهم هذا، هو تحقيق مطامع دنيوية شخصية من مال ورئاسة وغيرها، وأن الغاية تبرر الوسيلة، وأنهم لا ينورون في سبيل ذلك عن إشعال الحرب والفتنة بين المسلمين، وتركز الروايات على الصالحين طلحة والزبير - رضي الله عنهم -
 (١)، كما يريد مفترى هذه الروايات أن يبين ويؤكد أن هذين الصالحين ومن معهما من أفراد المعسكر يتجرّعون على انتهاء حرمات الله؛ فهم يقسمون ويحلفون لأم المؤمنين بأيمان مغلظة أن هذا ليس ماء الحواب، وزيادة على ذلك أتوا بسبعين نفساً - وفي رواية بخمسين نفساً - يشهدون على صدق قولهم، فكان هذا العمل - كما افترى المسعودي الشيعي الرافضي - أول شهادة زور في الإسلام^(٢). وتحاول هذه الروايات أن تظهر أن طلحة والزبير وأم المؤمنين - رضي الله عنهم - ليسوا على شيء من صفاء القلوب والاجتناع على هدف واحد، وتحاول أن تظهر أن عائشة - رضي الله عنها - بجانب طلحة - رضي الله عنه - وفي قرارتها نفسها أن يتولى هو الخلافة، وذلك لأنه يتميّز مثلها، كما تنظر هذه الروايات أن هناك تناقضًا داخلياً بين طلحة والزبير، وحرصًا من كل واحد منها أن يتولى الإمارة، وهذه الروايات لا تخلي من ضعف قوى، فيغضّها منقطع السند أو فيها مجاهيل لا يعرفون، أو فيها كلا العبيدين الفادحين^(٣). ولقد تأثر كثير من الكتاب والمؤرخين بهذه الروايات واعتمدوا عليها وأسهموا في نشرها، وهي لا أساس لها، كالعقاد في عبقرية على، وطه حسين في على وبنوه^(٤)، وغيرهما من الكتاب المعاصرين.

٥- أعمالهم في البصرة: عندما وصل طلحة والزبير وعائشة - رضي الله عنهم - ومن معهم إلى البصرة نزلوا جانب الخريبة^(٥)، ومن هناك أرسلوا إلى أعيان وأشراف القبائل يستعنون بهم على قتلة عثمان، كان كثير من المسلمين في البصرة وغيرها، يودون ويرغبون في القود من قتلة عثمان - رضي الله عنه - إلا أن بعض هؤلاء يرون أن هذا من اختصاص الخليفة وحده، وأن الخروج في هذا الأمر بدون أمره وطاعته معصية، ولكن خروج هؤلاء الصحابة المشهود لهم بالجنة، وأعضاء الشورى ومعهم أم المؤمنين عائشة حبيبة رسول الله × وأفقة النساء مطلقاً، ومطلبهم الشرعي لا غبار عليه ولا يزيد كره صحابي واحد، جعل الكثير من البصريين على اختلاف قبائلهم ينضمون إليهم، وأرسل الزبير إلى الأحنف بن قيس السعدي التميمي يستنصره على الطلب بدم عثمان، والأحنف من رؤساء تميم وكلمه مسموعة، يقول الأحنف واصفاً هول الموقف: ..فأتأني أ أغسط أمر أتأني قط فقلت: إن خذلاني هؤلاء ومعهم أم المؤمنين وحواري رسول الله × لشدي د(٦) إلا أنه اختار الاعتزال، فاعتزل معه ستة آلاف من أطاعه من قومه، وعصاه في هذا الأمر كثير منهم، ودخلوا في طاعة طلحة والزبير وأم المؤمنين^(٧). وينذر الزهري أن عامة أهل البصرة تتبعهم^(٨)، وهكذا انضم إلى طلحة والزبير وعائشة ومن معهم أنصاراً جدد لقضيتهم التي خرجوا من أجلها. وقد حاول ابن حنيف تهدئه الأمور والإصلاح قد ر المستطاع إلا أن الأمور خرجت من يده حتى قال أحدهم عن البصرة: قطعة من أهل الشام نزلت بين أظهرنا^(٩). وحتى إن معاوية فيما بعد حاول الاستيلاء عليها بمساعدة أهل

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/٢٨٣) ضعيفة السند منقطعة، وأنساب الأشراف من (٤٧/٢) نفس الطريق وهذه الروايات تخالف الصحيح الثابت.

(٢) مروج الذهب (٣٦٧/٢).

(٣) تاريخ الطبرى وفي أسنادها مجهولان، خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد: ص (١٣٣).

(٤) خلافة على بن أبي طالب: ص (١٣٢).

(٥) موقع جانب البصرة، انظر: خطط البصرة ومنطقها ١١٤- ١٢٢ العلمي.

(٦) خلافة على بن سعد (٤٥٦/٥) له شواهد تقوية.

(٧) مصنف عبد الرزاق (٤٥٦/٥) بسند صحيح إلى الزهري مرسلًا.

(٨) الطبقات (٣٣٣/٦).

(1) لها.

وتدكر بعض المصادر غير الموثقة أن عثمان بن حنيف رخص لحكيم بن جبلة في القتال، وهذا لا يثبت، والمصادر الصحيحة لم تثبت ذلك⁽²⁾.

6- مقتل حكيم بن جبلة ومن معه من الغوغاء: أقبل حكيم بن جبلة بعدهما خطبت عائشة - رضي الله عنها - في أهل البصرة، فأنشب القتال وأشرع أصحاب عائشة وطلاحة والزبير - رضي الله عنهم - رماحهم وأمسكوا ليمسكوا، فلم ينته حكيم ومن معه، ولم يشن، وظل يقاتلهم، وطلحة والزبير كافرون إلا ما دافعوا عن أنفسهم، وحكيم يذمر⁽³⁾ به ويركبهم بها⁽⁴⁾، وعلى الرغم من ذلك، فإنه عائشة - رضي الله عنها - ظلت حريصة على عدم إنشاب القتال، فأمرت أصحابها أن يتيمانوا بعيداً عن المقاتلين، وظلوا على ذلك حتى حجز الليل بينهم⁽⁵⁾، حتى إذا كان الصباح جاء حكيم بن جبلة وهو يرير، وفي يده الرمح، وفي طريقه إلى حيث عائشة - رضي الله عنها - ومن معها، جعل حكيم لا يمر برجل أو امرأة يذكر عليه أن يسب عائشة إلا قتلها⁽⁶⁾، وعندئذ غضبت عبد القيس إلا من كان أغدور⁽⁷⁾ منهم، فقالوا لحكيم: فعلت بالأمس وعدت لمثل ذلك اليوم، والله لا ندّعك حتى يقديك الله⁽⁸⁾، فرجعوا وترکوه، ومضى حكيم بن جبلة فيمن غزا معه عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وحصره من نزاع القبائل كلها، فلقد كانوا قد عرفوا أن لا مقام لهم بالبصرة، فاجتمعوا إليه، ووافقوا أصحاب عائشة، فاقتتلوا فتاوا شديدة⁽⁹⁾، وظل مذادي عائشة - رضي الله عنها - يناديهم ويدعوهم إلى الكفر⁽¹⁰⁾، وجعلت رضي الله عنها - تقول: لا تقتلوا إلا من قاتلكم. لكن حكيمًا لم يُرَعَ⁽¹¹⁾ للمنادي، وظل يُسرّع القتال، عندئذ وبعد ما تبيّنت للزبير وطلحة - رضي الله عنها - طبيعة هؤلاء الذين يقاتلون، وأنهم لا يتورعون عن حرمة، وأن لهم هدفاً في إنشاب القتال، قالوا: الحمد لله الذي جمع لنا ثارنا من أهل البصرة، اللهم لا تبق منهم أحداً، وأقد منهم ال يوم، فاقتتلهم، فجاد لهم القتال، ونادوا: من لم يكن من قتلة عثمان - رضي الله عنه - فليكف عننا، فإننا لا نريد إلا قتلة عثمان، ولا نبدأ أحداً، فاقتتلوا أشد القتال⁽¹²⁾، فلم يفلت من قتلة عثمان من أهل البصرة إلا واحد، وكان منادي الزبير وطلحة قد نادى: ألا من كان فيكم من قبائلكم أحد من من غزا المدينة فليأتنا بهم⁽¹³⁾. وكان فريق من هؤلاء الجهال والغوغاء - كما قالت عائشة - قد غادوها في بيتها في الغلّاس ليقتلوها، وكانوا قد ذهبوا حتى سُدَّة بيتها، ومعهم الدليل، إلا أن الله دفع عنها بغير من المسلمين كانوا قد أحاطوا بيتها - رضي الله عنها - فدارت عليهم الرحى وأطاف بهم المسلمون فقتلوا هم⁽¹⁴⁾، واستطاع الزبير وطلحة ومن معهم أن يسيطرموا على البصرة وكانوا بحاجة إلى طعام ومونة غذائية، وقد مرت عليهم أسابيع، وهم ليسوا في صيافة أحد، فتووجه جيش الزبير إلى دار

(1) فتح الباري (26/13)، خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد: ص (137).

(2) خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد: ص (137، 138).

(3) يذمر الخيل: يحضنها ويشجعها.

(4) تاريخ الطبراني (494/5).

(5) تاريخ الطبراني (494/5).

(6) المصدر نفسه (495/5).

(7) غدر: اغتصب.

(8) يقديك الله: القوّاد: التصاص، وقتل القاتل بالقتيل.

(9) تاريخ الطبراني (499/5).

(10) تاريخ الطبراني (499/5).

(11) لم يُرَعِ: لم يبال.

(12) تاريخ الطبراني (499/5).

(13) المصدر نفسه (501/5).

(14) المصدر نفسه (503/5).

الإمارة ومن ثم إلى بيت المال ليزرقوا أصحابهم، وأخلى سبيل عثمان بن حنيف واتجه إلى على⁽¹⁾، وبذلك تمت سيطرة طلحة والزبير وأم المؤمنين – رضي الله عنهم – على ألبصرة وقتلوا عدداً كبيراً من شارك في الهجوم على المدينة، قدر بسبعين رجلاً من أبرزهم زعيم ثوار البصرة حكيم بن جبلة، والذي كان حريصاً على القتال وإشعال الحرث، وكان الزبير أمير المؤمنين؛ فقد بُويع على ذلك⁽²⁾.

7- رسائل السيدة عائشة إلى الأمصار الأخرى: كانت السيدة عائشة – رضي الله عنها – حريصة على إيضاح وجه الحق فيما حدث من قتال مع أهل البصرة، فكتبت إلى أهل الشام والكوفة واليامامة، وكتبت إلى أهل المدينة أيضاً تخبرهم بما صنعوا وصاروا إليه، وكان فيما كتبته به لأهل الشام: إنما خرجنا لوضع الحرب وإقامة كتاب الله عزوجل هو الذي يرددنا عن ذلك. فباعينا خيار أهل البصرة ونجباورهم، وخالفنا شرارهم وذرّا لهم، فردّونا بالسلاح، وقالوا فيما قالوا: نأخذ أم المؤمنين رهينة أن أمرتهم بالحق وحدثهم عليه، فأعطاهم الله عزوجل سنة المسلمين مرة بعد مرأة، حتى إذا لم يبق حجة ولا عذر استبس قتلة عثمان أمير المؤمنين، فلم يفلت منهم إلا حرثوص بن زهير والله مقيد. وإنما نناشدكم الله – سبحانه – في أنفسكم إلا ما نهضتم بمثل ما نهضنا به، فلنلقى الله عزوجل وتلقونه وقد أذرنا وقضينا الذي علينا⁽³⁾.

8- الخلاف بين عثمان بن حنيف وجيشه عائشة والزبير وطلحة: روى الطبرى عن أبي مخنف عن يوسف بن يزيد، عن سهل بن سعد قال: لما أخذوا عثمان بن حنيف أرسلوا أباً ابن عثمان بن عفان إلى عائشة يستشيرونها في أمره، قالت: اقتلوه، فقالت لها أم رأة: نشنثك الله يا أم المؤمنين في عثمان وصحبته رسول الله ×، قالت: ردوا أبناءها، فردّوه، فقالت: احبسوه ولا تقتلوه. قال: لو علمت أنك تدعيني لهذا لم أرجع. فقال لهم معاً شع بن مسعود: اضربوه وانتقوا شعر لحيته، فضربوه أربعين سوطاً، وانتقوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه⁽⁴⁾، وفي سند هذه الرواية أبو مخنف وهو شيعي راضي محترق، وهذه الرواية لم تثبت من طريق صحيح يمكن أن يعول عليه، والصحابة الكرام ينزعون عن مثل هذه المثلثة القبيحة. والذي يفهم من رواية سيف أن الغوغاء هم الذين فعلوا ذلك، وأن طلحة والزبير – رضي الله عنهم – استثنوا، واستعظاموا وبعد ما بالخبر إلى عائشة فقالت: خلوا سبيله ولدينه حيث شاء⁽⁵⁾، وهذه الرواية عارضت تقسيمات أبي مخنف فهي لم تذكر الأمر بقتله أو حبسه أو الأمر بتنق شعر وجهه، وقد اختار هذه الرواية النويرى وأبن كثير⁽⁶⁾، وذكر الذهبي أن مجاشع بن مسعود قد قتل قبل دخول دار عثمان بن حنيف⁽⁷⁾، وحتى لو فرض عدم قتل مجاشع بن مسعود فليست إليه القيادة حتى يصدر هذه الأوامر⁽⁸⁾.

رابعاً: خروج أمير المؤمنين على بن أبي طالب إلى الكوفة:

لم يكن الصحابة – رضي الله عنهم – في المدينة يؤيدون خروج أمير المؤمنين على بن أبي طالب من المدينة، فقد تبين ذلك حينما هم على بالنهوض إلى الشام، ليزور أ

(1) تاريخ الطبرى (43/5)، خلافة على، عبد الحميد: ص (138).

(2) أنساب الأشراف (93/2) بسند حسن، خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد: ص (139).

(3) تاريخ الطبرى (501/5).

(4) تاريخ الطبرى (497/5).

(5) تاريخ الطبرى (497/5).

(6) نهاية الأربع (38/20)، البداية والنهاية (7/233).

(7) تاريخ الإسلام للذهبي، مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبرى: ص (359).

(8) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبرى: ص (259).

هلا وينظر ما هورأي معاوية وما هو صانع⁽¹⁾، فقد كان يرى أن المدينة لم تعد تمتلك المقومات التي تملكتها بعض الأنصار في تلك المرحلة فقال: إن الرجال والأموال بالعراقة⁽²⁾، فلما علم أبو أيوب الانصاري - رضي الله عنه - بهذا الميل قال للخليفة: يا أمير المؤمنين، أقمت بهذه البلاد لأنها الدرع الحصينة، ومهاجرة رسول الله ×، وبها قبره ومذبه ومادة الإسلام، فإن استقامت لك العرب كنت كمن كان، وإن تشغب عليك قوم رميتم بهم بأعدائهم، وإن الجئت حينئذ إلى السير سرت وقد أذرت..، فأخذ الخليفة بما أشار به أبو أيوب وعزز المقاومة بالمدينة وبعث العمال على الأنصار⁽³⁾. ولكن حدث كثير من المستجدات السياسية التي أرغمت الخليفة على مغادرة المدينة، وقرر الخروج للتوجه إلى لköففة ليكون قريباً..من أهل الشام⁽⁴⁾، وأنشاء استعداده للخروج، بلغه خروج عائشة وطارة والزبير إلى البصرة⁽⁵⁾، فاستفرأ أهل المدينة ودعاهم إلى نصرته، وحدث تناقل من بعض أهل المدينة بسبب وجود الغوغاء في جيش على، وطريقة التعامل معهم، فكان كثيرون من أهل المدينة يرون أن الفتنة ما زالت مستمرة، فلا بد من التروي حتى تجلّي الأمور أكثر، وهو يقولون: لا والله ما ندري كيف نصنع، فإن هذا الأمر لم شتبه علينا ونحن مقيمين حتى يضئ لنا ويسفر.. وروى الطبراني أن علياً - رضي الله عنه - خرج في تعبئة التي كان تعبي بها إلى الشام وخرج معه من نسط من الكوفيين والبصريين متخففين في سبعمائة رجل⁽⁶⁾، والأدلة على تناقل كثير من أهل المدينة عن إجابة أمير المؤمنين لـ خروج كثيرة، منها: خطب الخليفة التي شكا فيها من هذا التناقل⁽⁷⁾، وظاهرة اعتزال كثيرون من الصحابة بعد مقتل عثمان كما اتصح ذلك، كما أن رجالاً من أهل بدر لزموا بيته م بعد مقتل عثمان فلم يخرجو إلا إلى قبورهم⁽⁸⁾. وقد عبر أبو حميد الساعدي الأنصاري - وهو بدرى - عن المنه لمقتل الخليفة عثمان فقال: اللهم إن لك على "أن لا أضحك حتى ألقاك"⁽⁹⁾. فقد كانوا يعدون الخروج من المدينة في تلك المرحلة يقود إلى الانزلاق في الفتنة التي يخشون عوائقها⁽¹⁰⁾، على سلامه ما مضى لهم من جهاد مع رسول الله ×⁽¹¹⁾، وما سبق ذكره لا يعني أنه لم يشارك أحد من الصحابة في مسيرة الخليفة، بل شارك البعض، لكنهم كانوا قليلاً، قال الشعبي: لم يشهد موقعة الجمل من أصحاب رسول الله غير على وعمار وطلحة والزبير، فإن جاءوا بخامس فأنا ذايب⁽¹²⁾، وفي رواية: من حدثك أنه شهد الجمل من شهد بدرًا أكثر من أربع نفر فكذبه؛ كان على وعمار في ناحية وطلحة والزبير في ناحية⁽¹³⁾، وفي رواية: لم ينهض مع على إلى البصرة غير ستة نفر من البدربيين ليس لهم سابع⁽¹⁴⁾.

وبهذا يكون المقصود في الرواية السابقة من الصحابة أهل بدر، وعلى كل حال فإن من شارك في الفتنة من الأنصار قليل. قال ابن سيرين والشعبي: وقعت الفتنة بالمدينة وأصحاب النبي × أكثر من عشرة آلاف، مما يعدون من خف فيها عشرين رجالاً؛ فسميت

(1) الثقات لأبن حبان (283/2)، الأنصار في العصر الراشدی: ص(161).

(2) الثقات لأبن حبان (283/2)، الأنصار في العصر الراشدی: ص(161).

(3) الثقات لأبن حبان (283/2)، الأنصار في العصر الراشدی: ص(161).

(4) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص(183).

(5) تاريخ الطبری (507/5).

(6) تاريخ الطبری (481/5).

(7) الطفقات (237/3)، الأنصار في العصر الراشدی: ص(163).

(8) البداية والنهاية نقلًا عن الأنصار في العصر الراشدی: ص(164).

(9) تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الرسدين.

(10) الأنصار في العصر الراشدی: ص(164).

(11) الأنصار في العصر الراشدی: ص(164).

(12) تاريخ خياط: ص(16)، مصنف ابن أبي شيبة (710/8).

(13) العمدة للجاحظ: ص(175)، الأنصار في العصر الراشدی: ص(165).

(14) الخلافة الراشدة من تاريخ ابن كثير، كنان: ص(356).

حرب على وطحة والزبير وصفين فتنة⁽¹⁾، فيتضحك مما سبق أن عدد الصحابة الذين خرجوا مع الخليفة على إلى البصرة كان قليلاً ولا يمكن الجزم بمشاركةهم في حرب الجمل، فمع شدة تلك الموقعة وكثرة أحداثها لم تذكر المصادر مشاركات الصحابة فيها أو شهادتها أو جرحي⁽²⁾. إن إحدى الروايات تقول: خرج معه من نشط من الكوفيين والبصربيين متخفيين في سبعمائة رجل⁽³⁾. والذي يظهر من هذه الرواية أنها أقرب إلى واقع تلك المرحلة، وأكثر انسجاماً مع سير الأحداث، ومع موقف أهل المدينة الذي كان يتراوح بين الميل للعزلة والتناقل عن المشاركة في الأحداث⁽⁴⁾.

1- نصيحة عبد الله بن سلام لأمير المؤمنين على: حاول عبد الله بن سلام صاحب رسول الله × أن يثنى عزم أمير المؤمنين على عن الخروج، فأتاه وقد استعد للمسير، وأظهر له خوفه عليه ونهاه أن يقدم على العراق قائلاً: أخشى أن يصييك ذباب السيف، كمَا أخبره بأنه لو ترك ممبر رسول الله ×، فلن يراه أبداً، كان على يعلم هذه الأشياء من رسول الله × فقال: وایم الله لقد أخبرني به رسول الله ×، ولكن من مع على من البصريين والكوفيين بلغت بهم الجرأة أن قالوا على: دعنا فلقتناه، فقد أصبح قتل المسلمين ممن يقف في طريقهم، أو يحسون بخاطره على حياتهم بالقول أو العمل أمرًا هيداً لا يرون به بأيّدًا، وفي قولهم وتهجمهم هذا ما يدل على قلة الورع وعدم إنزال الصحابة الكرام مناز لهم التي أمر رسول الله × الناس بعده بها، ولكن علىاً - رضي الله عنه - نهاهم قائلاً: إن عبد الله بن سلام رجل صالح⁽⁵⁾.

2- نصيحة الحسن بن علي لوالده: خرج أمير المؤمنين من المدينة وعندما بلغ الربيعة⁽⁶⁾ عسکر فيها بمن معه، ووفد عليه عدد من المسلمين يبلغوا المائتين⁽⁷⁾، وفي الربيعة قام إليه ابنه الحسن - رضي الله عنهما - وهو باك لا يخفى حزنه وتأثره على ما أصاب المسلمين من تفرق واختلاف، وقال الحسن لوالده: قد أمرتك فعصيتني، فـُقتل غداً بمضرية لا ناصر لك، فقال على: إنك لا تزال تخن⁽⁸⁾ خنين الجارية، وما الذي أمرتني فعصيت لك؟ قال: أمرتكم يوم أحبط بعثمان - رضي الله عنه - أن تخرج من المدينة فيُقتل ولست بها، ثم أمرتكم يوم قتل ألا تباع حتى ياتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر، ثم أمرتكم حين فعل هذان الرجال ما فعلوا أن تحلس في بيتك حتى يصطلحوا، فإن كان الفساد كان على يدي غيرك، فعصيتني في ذلك كله. قال: أي بنى، أما قولك: لو خرجت من المدينة حين أحبط بعثمان، فهو الله ألقى أحبط بنا كما أحبط به، وأما قولك: لا تباع حتى تأتى بيعة الأمصار، فإن الأمر أمر أهل المدينة، وكرهنا أن يضيع هذا الأمر، وأما قولك حين خرج طحمة والزبير، فإن ذلك كان وهذا على أهل الإسلام، والله ما زلت مقهوراً مذلوليت، منقوصاً لا أصل إلى شيء مما ينبغي، وأما قولك: أجلس في بيتك، فكيف ل لي بما قد لزمني، أو من تريدين؟ أتریدني أن أكون مثل الضبع التي يحاط بها، ويقال: بباب دباب⁽⁹⁾، ليست هنا حتى يحل عرقوبها ثم ذُخرج، وإذا لم أنظر فيما لزمني من هذا الأمر ويعنيني، فمن ينظر فيه؟ فكف عنك أي بنى⁽¹⁰⁾. كان موقف أمير المؤمنين

(1) الخلافة الراشدة من تاريخ ابن كثير كعنان: ص(356).

(2) الانصار في العصر الراشدی: ص(165).

(3) تاريخ الطبری (481/5).

(4) الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدی من الخلاف: ص(388).

(5) مسند أبي يعلى (381/1) قتل محققه: إسناده صحيح.

(6) شرق المدينة المنورة تبعد 204 كيلو متراً.

(7) أنساب الأشراف (45/2)، خلافة على بن أبي طالب: ص(143).

(8) تاريخ الطبری (482/5) خن: آخر الصوت من خياشمیه.

(9) بباب كقطام: دعاء الصبع للضبع.

(10) تاريخ الطبری (482/5).

على حازماً في هذه المشكلة وواضحاً ولم يستطع أحد أن يثنيه عن عزمه. وأرسل على رضي الله عنه من الربعة يستنفر أهل الكوفة ويدعوهم إلى نصرته، وكان الرسول محدث بن أبي بكر الصديق، ومحمد بن جعفر ولكنهما لم ينجحا في مهمتهما، إذ إن أبو موسى الأشعري والى الكوفة من قبل على، ثبط الناس ونهاهم عن الخروج والقتال في الفتنة وأسمعهم ما سمعه من رسول الله × من التحذير من الاشتراك في الفتنة⁽¹⁾، فأرسل على بعد ذلك هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، ففشل في مهمته، لتأثير أبي موسى عليهم⁽²⁾.

3- استفار أمير المؤمنين على لأهل الكوفة من ذي قار⁽³⁾: تحرك على بجيشه إلى

ذي قار فسر به بعد ثمانى ليالى من خروجه من المدينة، وهو في تسعمائة رجل تقريراً⁽⁴⁾، فبعث للكوفة في هذه المرة عبد الله بن عباس فأبظوا عليه، فأتابعه بعمار بن ياسر والحسن بن على، وعزل أبو موسى الأشعري واستعمل قرظة بن كعب بدلاً منه⁽⁵⁾. وكان للقعقاع دور عظيم في إقناع أهل الكوفة، فقد قام فيهم وقال: إني لكم ناصح وعليكم شفيف، وأحب أن ترشدوا، ولاقولن لكم قوله لا هو الحق،... والقول الذي هو القول انه لا بد من إمارة تتنظم الناس وتترزع الظلم، وتعز المظلوم، وهذا على يلي ما ولی، وقد أنصف في الدعاء، وإنما يدعوا إلى الإصلاح، فانفروا وكونوا في هذا الأمر بمرأى ومسمع⁽⁶⁾. وكان للحسن بن على أثر واضح، فقد قام خطيباً في الناس وقال: أيها الناس، أجيروا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوج لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولوا الأمان⁽⁷⁾ أمثال في العاجلة وخير من العاقبة، فأجيروا دعوتنا وأعينوا على ما ابتلينا به وابتلا⁽⁸⁾. ولبي كثير من أهل الكوفة وخرجوا مع عمار والحسن إلى على ما بين سبعة إلى سبعة آلاف رجل، ثم انضم إليهم من أهل البصرة ألفان من عبد القيس، ثم توافدت عليه الف باذل إلى أن بلغ جيشه عند حدوث المعركة اثنى عشر ألف رجل تقريراً⁽⁹⁾. وعندما التقى أهل الكوفة بأمير المؤمنين على ذي قار قال لهم: يا أهل الكوفة، أنتم وليتكم شوكة العجم ولوكمهم وفضضتم جموعهم، حتى صارت إليكم مواريثهم، فأعنتم حوزتكم، واغتنتم الناس على عدوهم، وقد دعوتم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة، فإن برجعوا فذاك ما انريد، وإن يلجنوا داويناهم بالرفق، وبابناهم حتى يبدعوا بظلم، ولن ندع أمرًا فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله⁽¹⁰⁾.

4- اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية: وهذا القول ينطبق على حال الصحابة في هذه الفتنة، فمع اختلافهم في الرأي، لم يدخل قلب أحد الضلع على أخيه، وإليك هذه القصة التي حدثت بالكوفة، فقد روى البخاري عن أبي وائل قال: دخل أبو موسى الأشعري، وأبو مسعود وعقبة بن عمرو الأنصاري على عمّار حين بعثه على إلينا أهل الكوفة يستنفرهم، فقالا: ما رأيتك أتيت أمراً أكره عندنا من إسراعك في هذا الأمر منذ أسلمت. فقال عمار: ما رأيتك منكما منذ أسلمنا أمراً أكره عندي من إبطائهما في هذا الأمر ر.. وفي رواية: قال أبو مسعود - وكان مسعود -: يا غلام هات حلتين فأعط إحداهما

(1) تاريخ الطبرى (514/5)، مصنف ابن أبي شيبة (12/15) إسناده حسن.

(2) خلافة على بن أبي طالب: ص (144)، سير أعلام النبلاء (486/3).

(3) ذو قار، ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة، معجم البلدان (393/4).

(4) تاريخ الطبرى (519/5-521).

(5) فتح البارى (53/13)، التاريخ الصغير (109/1).

(6) تاريخ الطبرى (516/5).

(7) أولو النهى: أصحاب العقول.

(8) تاريخ الطبرى (516/5).

(9) مصنف عبد الرزاق (456/5)، صحيح إلى الزهرى مرسلاً، خلافة على بن أبي طالب (146)، والأسناد حسن لغيره، قاله عبد الحميد على.

(10) تاريخ الطبرى (519/5).

با موسى، والأخرى عمار^ا، وقال: روها فيه إلى الجمعة⁽¹⁾. فأنت ترى أبا مسعود وعما راً وكلاهما يرى الآخر خطئاً ومع ذلك فابو مسعود يكسو عماراً حلة ليشهد بها الجمعة لأنه كان بثياب السفر وهيئة الحرب، فكره أبو مسعود أن يشهد الجمعة في تلك الثياب، وهذا تصرف يدل على غایة الود مع أن كليهما جعل تصرف صاحبه نحو الفتنة غيرها، فغمار يرى إبطاء أبي موسى وأبي مسعود عن تأييد على عبيداً، وأبو موسى وأبو مسعود رأيا إسراع عمار في تأييد أمير المؤمنين على عبيداً، وكلاهما له حجته التي اقتتن بها؛ فمن أخطأ فذلك لما ظهر لهم من ترك مباشرة القتال في الفتنة، تمكناً بالأحاديث الاردة في ذلك وما في حمل السلاح على المسلم من الوعيد، وكان عمران على رأى على في قتال الباغين والذاكرين، والتمسك بقوله: **+فَقَاتِلُوا الَّذِي تَبَغُّرِي** [الحجرات: 9] وحمل الوعيد الوارد في القتال على من كان متعدياً على صاحبه، وكلا الفريقين لم يكن حريراً على قتل صاحبه، ويتعلق الطرفان بأذني سبب لمنع الاشتجار قبل أن يقع، ومضى الالتحام إن وقع، لأن الطرفين كانوا كارهين للقتال⁽²⁾.

5- تساؤلات على الطريق:

أ- ما سأله أبو رفاعة بن رافع بن مالك العجلان الأنباري لما أراد الخروج من لا ربّذة، فقال: يا أمير المؤمنين، أي شيء تزيد؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح، إن قبلاً منا وأجابونا إليه، قال: فإن لم يجيبونا إليه؟ قال: ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر، قال: فإن لم يرضوا؟ قال: ندعهم ما تركونا، قال: فإن لم يتمكنونا؟ قال: امتنعنا منهم، قال: فنعم إذًا. فسمع تلك السلسلة من الأسئلة والإجابات فاطمأن إليها وارتاح لها، وقال: لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول، وقال:

وانفر بنا واسْمُ بنا نحو الصوت

دراكها دراكها قبل الفوت

لا وأَلَّاتٌ نفسي إن هبت الموت⁽³⁾

ب- أهل الكوفة يسألون علياً من فيهم الأعور بن بنان المنقري: لما قدم أهل الكوفة إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه في ذي قار، قام إليه أقوام من أهل الكوفة يسألونه عن سبب قدومهم، فقام إليه فيمن قام الأعور بن بنان المنقري، فقال له على رضي الله عنه: على الإصلاح وإطفاء النائر⁽⁴⁾، لعل الله يجمع شمل هذه الأمة بنا ويضع حربهم، وقد أجابوني، قال: فإن لم يجيبونا؟ قال: تركناهم ما تركونا. قال: فإن لم يتمكنونا؟ قال: دفعناهم عن أنفسنا، قال: فهل لهم مثل ما عليهم من هذا؟ قال: نعم⁽⁵⁾.

ج- أبو سلمة الدلائلي، من سأل أمير المؤمنين رضي الله عنه فقال: أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبو من هذا الدم، إن كانوا أرادوا الله عز وجل بذلك؟ قال: نعم. قال: فترى لك حجة بتأخيرك ذلك؟ قال: نعم، إن الشيء إذا كان لا يدرك فالحكم فيه أحوطه وهو أعممه نفعاً، قال: فما حالنا وحالهم إن ابتنينا غداً؟ قال: إني لأرجو لا يقتل أحد نقيّ فلبه الله مذماً ومنهم إلا أدخله الله الجنة⁽⁶⁾.

د- وسأل مالك بن حبيب أمير المؤمنين على بن أبي طالب، فقال: ما أنت صانع إذا لقيت هؤلاء القوم؟ قال: قد بان لنا ولهم أن الإصلاح، الكف عن هذا الأمر، فإن بايعونا

(1) الخاري، ك الفتن.

(2) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشد (304/2).

(3) تاريخ الطبرى (510/5).

(4) النائز: العداوة.

(5) البداية والنهاية (250/7)، تاريخ الطبرى (529/5).

(6) البداية والنهاية (250/7).

فذلك، فإن أبوا وأبينا إلا القتال فصدع لا يلتئم، قال: فإن ابتلينا فما بال قتلانا؟ قال: من أراد الله عز وجل نفعه ذلك وكان نجاءه⁽¹⁾.

إن هدف أمير المؤمنين الإصلاح وإطفاء الفتنة، وإن القتال ليس وارداً في تدابيره، لأنه إن حصل، فهو داء لا يُرجى شفاءه، أما من يقتل بين الطرفين فهو مرهون بنبيته، سواء قاتل مع أمير المؤمنين أو قاتل ضده، وبذلك يقرر أمير المؤمنين أن المسلمين الذي ن خرجوا في هذا الأمر، بعد استشهاد عثمان - رضي الله عنه - بيتغون الإصلاح والقضاء على الفتنة مجتهدون وأجرهم على قدر إخلاص ثواباً لهم ونقاء قلوبهم⁽²⁾.

خامسًا: محاولات الصلح:

قبل أن يتحرك على رضي الله عنه بجيشه نحو البصرة أقام في ذي قار أيامًا، وكأن غرضه - رضي الله عنه - القضاء على هذه الفرقة والفتنة بالوسائل السلمية، وتجنبها ب المسلمين شر القتال والصادم المسلح بكل ما أوتي من قوة وجهد، وكذلك الحال بالنسبة لطلحة والزبير، وقد اشترك في محاولات الصلح عدد من الصحابة وكبار التابعين من اعتزلوا الأمر، منهم:

1- عمران بن حصين رضي الله عنه: فقد أرسل في الناس يخذل الفريقيين جميعاً، ثم أرسل إلى بنى عدى - وهم جمع كبير انضموا للزبير - فجاء رسوله وقال لهم في مسجدتهم: أرسلني إليكم عمران بن حصين صاحب رسول الله × ينصحكم ويحلف بالله الذي لا إله إلا هو لأن يكون عبداً حшибاً مجدهاً يرعى أعنزاً في رأس جبل حتى يدركه الموت، أحب إليه من أن يرمي في أحد من الفريقيين بسهم أخطأ أو أصاب، فأمسكوا فدي لـكم أبي وأمي. فقال القوم: دعنا منك، فإننا والله لا ندع ثقل رسول الله × لشيء⁽³⁾ أبداً.

2- كعب بن سور: أحد كبار التابعين، فقد بذل كل جهد، وكلف نفسه فوق طاقتها، وقام بدور يعجز عنه كثير من الرجال، فقد استمر في محاولة الصلح إلى أن وقع المحذور، وذهب ضحية جهوده؛ إذ قُتل وهو بين الصفيين بدعوه هؤلاء ويدعو هؤلاء إلى تحكيم كتاب الله وكف السلاح⁽⁴⁾.

3- القعاع بن عمرو التميمي: أرسل أمير المؤمنين على القعاع بن عمرو التميمي رضي الله عنهما في مهمة الصلح إلى طلحة والزبير، وقال: الق هذين الرجلين، فادعهما إلى الألفة والجماعة، وعظم عليهما الاختلاف والفرقة. وذهب القعاع إلى البصرة، فبدأ بعائشة - رضي الله عنها - وقال لها: ما أقدمك يا أماه إلى البصرة؟ قالت له: يا بنى من أجل الإصلاح بين الناس. فطلب القعاع منها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرها، ويكملهما في حضرتها وعلى مسمع منها.

* محاورة القعاع لطلحة والزبير: ولما حضر أسلهما عن سبب حضورهما، فقال كما قالت عائشة: من أجل الإصلاح بين الناس. فقال لهما: أخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ فوالله لئن عرفناه لنصلحن معكم، ولئن أنكرناه لا نصلح، قالا له: قتلة عثمان، رضي الله عنه، ولا بد أن يُقتلوا، فإن تُركوا دون قصاص كان هذا تركاً للقرآن، وتعطيلاً لأحكامه، وإن افترضنا منهم كان هذا إحياء للقرآن. قال القعاع: لقد كان في البصرة ستة آلة من قتلة عثمان وأنتم قتلتموهم إلا رجلاً واحداً، وهو حرقوص بن زهير السعدي، فلا

(1) تاريخ الطبرى (52/5)، الانصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدى: ص(406).

(2) الإنصاف، د. حامد: ص(406).

(3) الطبقات لأبن سعد (87/4)، خلافة على، عبد الحميد: ص (148).

(4) الطبقات لأبن سعد (92/7) من طريقين صحيحه الاستاذ، وخلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد: ص (149).

ما هرب منكم احتمى بقومه من بنى سعد، ولما أردتم أخذه منهم وقتلته منعكم قومه من ذلك، وغضب له ستة آلاف رجل اعتزلوكم، ووقفوا أمامكم وقفه رجل واحد، فإنه تركتم حرقوصاً ولم تقتلوه، كنتم تاركين لما تقولون وتتادون به وتطالبون علياً به، وإن فاتلت بنى سعد من أجل حرقوص، وغلبوكم وهزموكم وأديلوا عليكم، فقد وقعت في المحذور، وفوتكمهم، وأصابكم ما تكرهون، وانتم بمطالبتكم بحرقوص أغضبتم ربىعه ومصر، مـن هذه البلاد، حيث اجتمعوا على حربكم وخذلانكم، نصرة لبني سعد، وهذا ما حصل مع على، وجود قتلة عثمان في جيشه.

* الحل عند القعاع: الثاني والتسكين ثم الفصاص: تأثرت أم المؤمنين ومن معها بـ منطق القعاع وحجه المقبولة؛ فقالت له: فـمـاذا تقول أنت يا قعاع؟ قال: أقول: «هـذا أمر دوـاؤه التـسـكـينـ، ولا بدـ منـ التـانـيـ فـيـ الـاقـتصـاصـ منـ قـتـلـةـ عـثـمـانـ، فإذاـ اـنـتـهـتـ الـخـلـافـاتـ، وـاـجـمـعـتـ كـلـمـةـ الـأـمـةـ عـلـىـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ تـقـرـعـ لـقـتـلـةـ عـثـمـانـ، وـإـنـ أـنـتـ بـايـعـتـ عـلـيـاـ»⁽¹⁾ وـاـنـقـتـمـ جـمـعـتـ كـلـمـةـ الـأـمـةـ عـلـىـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ تـقـرـعـ لـقـتـلـةـ عـثـمـانـ، وـإـنـ أـنـتـ بـايـعـتـ عـلـيـاـ»⁽¹⁾ وـاـنـقـتـمـ معـهـ، كـانـ هـذـاـ عـلـامـةـ خـيـرـ، وـتـبـاشـيرـ رـحـمـةـ، وـقـدـرـةـ عـلـىـ الـأـخـذـ بـثـأـرـ عـثـمـانـ، وـإـنـ أـنـتـ أـبـيـتـ ذـكـ، وـأـصـرـرـتـ عـلـىـ الـمـكـابـرـةـ وـالـقـتـالـ كـانـ هـذـاـ عـلـامـةـ شـرـ، وـذـهـابـاـ لـهـذـاـ الـمـلـكـ، فـاثـرـواـ العـاـفـيةـ تـرـزـقـوـهـاـ، وـكـوـنـواـ مـفـاتـيـخـ خـيـرـ كـمـاـ كـنـتـ أـلـاـ، وـلـاـ ذـعـرـ ضـوـنـاـ لـلـبـلـاءـ، فـتـعـرـضـوـاـهـ، فـقـصـرـ عـنـ اللـهـ وـإـيـاـكـمـ، وـإـيمـ اللـهـ إـنـيـ لـأـقـولـ هـذـاـ وـأـدـعـوكـمـ إـلـيـهـ، وـإـنـيـ لـخـائـفـ أـنـ لـاـ يـتـمـ، حـتـىـ يـأـخـذـ اللـهـ حـجـتـهـ مـنـ هـذـهـ الـأـمـةـ الـتـيـ قـلـ مـتـاعـهـ، وـنـزـلـ بـهـاـ مـاـ نـزـلـ، فـإـنـ مـاـ نـزـلـ بـهـاـ أـمـرـ عـظـيمـ، وـلـيـسـ كـقـتـلـ الرـجـلـ، وـلـاـ قـتـلـ النـفـرـ الرـجـلـ، وـلـاـ قـتـلـ الـقـبـيـلـةـ الـقـبـيـلـةـ»⁽²⁾. اـقـتـعـواـ بـكـ لـامـ القـعـاعـ الـمـقـعـ الصـادـقـ الـمـخلـصـ، وـوـافـقـواـ عـلـىـ دـعـوـتـهـ إـلـىـ الـصـلـحـ، وـقـالـوـاـهـ: قـدـ أـحـسـ نـتـ وـأـصـبـتـ الـمـقـالـةـ، فـأـرـجـعـ، فـإـنـ قـدـ عـلـىـ، وـهـوـ عـلـىـ مـثـلـ رـأـيـكـ، صـلـحـ هـذـاـ الـأـمـرـ إـنـ شـاءـ اللـهـ. عـادـ الـقـعـاعـ إـلـىـ عـلـيـ فـيـ «ـذـيـ قـارـ»ـ وـقـدـ نـجـحـ فـيـ مـهـمـتـهـ، وـأـخـبـرـ عـلـيـاـ بـمـاـ جـرـىـ مـعـهـ، فـأـعـجـبـ عـلـىـ ذـلـكـ، وـأـوـشـكـ الـقـوـمـ عـلـىـ الـصـلـحـ، كـرـهـ مـنـ كـرـهـ، وـرـضـيـهـ مـنـ رـضـيـهـ⁽³⁾.

* بشائر الاتفاق بين الفريقيين: لما عاد القعاع وأخبره بما فعل، أرسل على رضي الله عنه رسولين⁽³⁾ إلى عائشة والزبير ومن معهما يستوثق مما جاء به القعاع بن عمرو، فجاءه عليهما، بأنه على ما فارقنا عليه القعاع فأقدم، فارتحل على حتى نزل بحيالهم، فنزلت القبايل إلى قبايلهم، مصر إلى مصر، وربيعة إلى ربيعه، واليمن إلى اليمن، وهم لا يشكرون في الصلح، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، ولا يذكرون ولا ينون إلا الصلح⁽⁴⁾، وكان أمير المؤمنين على رضي الله عنه لما نوى الرحيل قد أدعى قراره الخطير: الا واني راحل غداً فارتلوا - يقصد إلى البصرة - الا ولا يرتحلن غداً أحد أغان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس⁽⁵⁾.

سادساً: نشوب الفتال:

1- دور السبيئة في نشوب الحرب: كان في عسكر على رضي الله عنه من أولئك الـ طـغـاهـ الـخـوارـجـ الـذـيـنـ قـتـلـواـ عـثـمـانـ مـنـ لـمـ يـعـرـفـ بـعـيـنـهـ، وـمـنـ تـنـتـصـرـ لـهـ قـبـيـلـتـهـ، وـمـنـ لـمـ تـقـمـ عـلـيـهـ حـجـةـ بـمـاـ فـعـلـهـ، وـمـنـ فـيـ قـلـبـهـ نـفـاقـ لـمـ يـمـكـنـ مـنـ إـظـهـارـهـ⁽⁶⁾، وـحـرـصـ أـتـبـاعـ اـبـنـ سـبـاـ عـلـىـ إـشـعـالـ الـفـتـتـةـ وـتـأـجـيجـ نـيـرـانـهاـ حتـىـ يـفـلـتـواـ مـنـ الـقـصـاصـ⁽⁷⁾. فـلـمـ نـزـلـ النـاسـ مـنـازـلـهـمـ وـاطـ

(1) الانقاذ التام لسياسة أمير المؤمنين على في التعامل مع قتلة عثمان.

(2) الدابة والنهاية (739/7)، تاريخ الطبرى (521/5).

(3) تاريخ الطبرى (525/5).

(4) المصدر نفسه (539/5).

(5) المصدر نفسه (525/5).

(6) تاريخ الطبرى (526/5).

(7) المصدر نفسه (527/5)، تحقيق موافق الصحابة (120/2).

مأنوا، خرج على وخرج طلحة والزبير، فتوافقوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه فلم يجدوا أمرًا ، هو أمثل من الصلح وترك الحرب حين رأوا أن الأمر أخذ في الانقضاض، فافترقوا على ذلك، ورجع على⁽¹⁾ إلى عسكره، ورجع طلحة والزبير إلى عسكريهما، وأرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما، وأرسل على إلى رؤساء أصحابه، ماعدا أولئك الذين حاصروا عثمان - رضي الله عنه - فبات الناس على نية الصلح والعافية وهم لا يشكرون في الصالح، فكان بعضهم بخيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، لا يذكرون ولا ينون إلا⁽²⁾ الصلح. وبات الذين أثاروا الفتنة بشر ليلة باتواها قط، إذ أشرفوا على الهلاك وجعلوا يتشارون ليلتهم كلها، وقال قائلهم: أما طلحة والزبير فقد عرضا أمرهما، وأما على فلم نعرف أمره حتى كان اليوم؛ وذلك حين طلب من الناس أن يرحلوا في الغد ولا يرتحل معه أحد أغان على عثمان بشيء، ورأى الناس فينا - والله - واحد، وإن يصطلحوا مع على فعلى دمائنا⁽³⁾. وتكلم ابن السوداء عبد الله بن سبا - وهو المشير فيهم - فقال: يا قوم إن عزكم في خلطة الناس فصانوه، وإذا التقى الناس غداً فانشروا القتال، ولا تفرغوه للذطر، فإذا من أنت معه لا يجد بدًا من أن يمتنع، ويشغل الله عليناً وطلحة والزبير ومن رأى رأيه عمما تكرهوه، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون⁽⁴⁾. فاجتمعوا على هذا الرأي بإنشاب الحرب في السر، فغدوا في الغلس وعليهم ظلمة، وما يشعر بهم جيد رانهم، فخرج مضربيهم إلى مضربهم، وربعيتهم إلى ربيعيهم، وبماناتهم إلى يمانيهم، فوضعوا فيهم السيوف، فثار أهل البصرة، وثار كل قوم في وجه الذين باغتهم، وخرج الأزبقي وطلحة في وجوه الناس من مصر، فبعثا إلى الميمنة، وهم ربعة يرأسها عبد الرحمن بن بن الحارث بن هشام، والميسرة، يرأسها عبد الرحمن بن عتاب بن أبي سعيد وثبتنا في القلب، فقالوا: ما هذا؟ قالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلاً، فقالوا: ما علمنا أن علياً غير منه حتى يسفك الدماء ويستحل الحرماء، وإن له يطاوينا، ثم رجعوا بأهل البصرة، وقصف أهل البصرة أولئك حتى ردّ لهم إلى عسكريهم⁽⁵⁾، فسمع على وأهل الكوفة الصوت، وقد وضعوا لسيئية رجلاً قريباً من على ليخبره بما يريدون، فلما قال: ما هذا؟ قال ذلك الرجل: ما في جتنا إلا وقوم منهم يبيتونا فرددناهم، وقال على لصاحب ميمنته: أنت الميمنة، وقال لصاحب ميسرته: أنت الميسرة، والسببية لا تفتر إنشاباً⁽⁶⁾. وعلى الرغم من تلك البداية للمعركة فإن الطرفين ما لبثا يملكان الرواية حتى تتضح الحقيقة، فعلى ومن معه يتقدون على إلا يدعوا بالقتال حتى يدعوا طلباً للحجارة واستحقاقاً على الآخرين بها، وهم مع ذلك لا يقتلون مدبراً، ولا يجهزون على جريح، ولكن السببية لا تفتر إنشاباً⁽⁷⁾، وفي الجانب الآخر ينادي طلحة وهو على دابته وقد غشيه الناس فيقول: يا أيها الناس أنتصتون؟ فجعلوا يركبونه ولا ينصتون، فما زاد أن قال: أف فراش نار وذبان طمع⁽⁸⁾، وهل يكون فراش الـ نار وذبان الطمع غير أولئك السببية؟ بل إن محاولات الصلح لتجرى حتى آخر لحظة من لحظات المعركة.

ومن خلال هذا العرض يتبين أثر ابن سبا وأعوانه «السببية» في المعركة ويتضح - بما لا يدع مجالاً للشك - حرص الصحابة - رضي الله عنهم - على الإصلاح وجمع الكلمة؛ وهذا هو الحق الذي ثبته النصوص وتطمئن إليه النقوس⁽⁹⁾. وقبل الحديث عن جولات المعركة نشير إلى أن أثر السببية في معركة الجمل مما يكاد يجمع عليه العلماء

(1) تاريخ الطبرى (526/5).

(2) المصدر نفسه (527/5).

(3) تاريخ الطبرى (541/5).

(4) تاريخ الطبرى (541/5).

(5) تاريخ الطبرى (541/5).

(6) تاريخ خليفة بن خياط: (182).

(7) عبد الله بن سبا وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام: ص (192، 193).

سواء أسموههم بال媳سيين، أو بأباش الطائفتين، أو أسامهم البعض بقتلة عثمان، أو نبزو هم بالسفهاء، أو بالغوغاء، أو أطلقوا عليهم صراحة السببية⁽¹⁾.. وإليك بعض النصوص التي تؤكد ذلك:

أ- جاء في أخبار البصرة لعمر بن شبة أن الذين نسب إليهم قتل عثمان خسروا أن يـ سطـاحـ الفـريـقـانـ عـلـىـ قـتـلـهـ، فـأـشـبـواـ الـحـرـبـ بـيـنـهـمـ حـتـىـ كـانـ مـاـ كـانـ⁽²⁾.

ب- قال الإمام الطحاوي: فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من على ولا من طحة، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين⁽³⁾.

ج- وقال الباقياني: ..وتم الصلح والتفرق على الرضا، فخاف قتلة عثمان من التمكن منهم، والإحاطة بهم، فاجتمعوا وتشاوروا و اختلقو، ثم انفقت آراؤهم على أن يفترقا فرقين، ويدعوا بالحرب سحرة في المعسكرين ويختلطوا، ويصبح الفريق الذي في عسكر على: غدر طحة والزبير، ويصبح الفريق الذي في عسكر طحة والزبير: غدر على، فـمـ لـهـمـ ذـلـكـ عـلـىـ مـاـ دـبـرـوـهـ وـنـشـبـتـ الـحـرـبـ، فـكـانـ كـلـ فـرـيقـ مـنـهـمـ دـافـعـاـ لـمـكـرـوـهـ عـنـ نـفـسـهـ وـمـانـعـاـ مـنـ الإـشـاطـةـ بـدـمـهـ، وـهـذـاـ صـوـابـ مـنـ الـفـرـيقـيـنـ وـطـاعـةـ لـهـ تـعـالـىـ إـذـ وـقـعـ، وـالـامـتـاعـ مـنـهـ عـلـىـ هـذـاـ السـبـيلـ، فـهـذـاـ هوـ الصـحـيـحـ المشـهـورـ، إـلـيـهـ نـمـيـلـ، وـبـهـ نـقـولـ⁽⁴⁾.

د- ونقل القاضي عبد الجبار: أقوال العلماء، باتفاق رأي على وطحة والزبير وعائشة - رضوان الله عليهم - على الصلح، وترك الحرب، واستقبال النظر في الأمر، وأـنـ مـنـ كـانـ فـيـ الـمـعـسـكـ مـنـ أـعـدـاءـ عـثـمـانـ كـرـهـوـ ذـلـكـ، وـخـافـوـاـ أـنـ تـقـرـغـ الـجـمـاعـةـ لـهـمـ، فـدـبـرـوـاـ فـيـ إـلـقاءـ مـاـ هـوـ مـعـرـوفـ، وـتـمـ ذـلـكـ⁽⁵⁾.

هـ - ويقول القاضي أبو بكر بن العربي: وقدم على على البصرة، وتدانوا ليتراءوا، فـلـمـ يـتـرـكـهـمـ أـصـحـابـ الـأـهـوـاءـ، وـبـادـرـوـاـ بـإـرـاقـةـ الـدـمـاءـ، وـاشـجـرـتـ الـحـرـبـ، وـكـثـرـتـ الـغـوـغاـءـ على البوغاء، كل ذلك حتى لا يقع برهان، ولا يقف الحال على بيان، ويفحى قتلة عثمان، وإن واحداً في الجيش يفسد تدبيره، فكيف بـأـلـفـ⁽⁶⁾.

و- ويقول ابن حزم: ..وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتلوا ولا تحاربوا، فـلـمـ كـانـ الـلـيـلـ عـرـفـ قـتـلـةـ عـثـمـانـ أـنـ الـإـرـاغـةـ وـالـتـدـبـيرـ عـلـيـهـمـ، فـبـيـنـوـ عـسـكـرـ طـحـةـ وـالـزـبـيرـ وـبـذـلـكـ السـيـفـ فـيـهـمـ، فـدـعـقـ الـقـوـمـ عـنـ أـنـفـسـهـمـ حـتـىـ خـالـطـواـ عـسـكـرـ عـلـىـ، فـدـفـعـ أـهـلـهـ عـنـ أـنـفـسـهـمـ، كـلـ طـائـفةـ تـظـنـ - وـلـاـ شـكـ - أـنـ الـأـخـرـىـ بـدـأـتـهـاـ الـقـتـالـ، وـاـخـتـلـطـ الـأـمـرـ اـخـتـلـاطـاـ، وـلـمـ يـقـدـرـ أحدـ عـلـىـ أـكـثـرـ مـنـ الدـفـاعـ عـنـ نـفـسـهـ، وـالـفـسـقـةـ مـنـ قـتـلـةـ عـثـمـانـ لـاـ يـفـتـرـوـنـ مـنـ شـنـ الـحـرـبـ وـإـضـدـ رـاـبـهـاـ، فـكـلـتـاـ الطـائـفـيـنـ مـصـيـبـةـ فـيـ غـرـضـهـاـ وـمـقـصـدـهـاـ، مـدـافـعـةـ عـنـ نـفـسـهـاـ، وـرـجـعـ الزـبـيرـ وـنـزـكـ الـحـرـبـ بـحـالـهـاـ، وـأـتـىـ طـحـةـ سـهـمـ غـارـبـ، وـهـوـ قـائـمـ لـاـ يـدـرـيـ حـقـيـقـةـ ذـلـكـ الـاـخـتـلـاطـ، فـصـادـفـ جـرـحـاـ فـيـ سـاقـهـ كـانـ أـصـابـهـ يـوـمـ أـحـدـ بـيـنـ يـدـيـ رـسـوـلـ اللـهـ، فـاـنـصـرـ وـمـاتـ مـنـ وـقـتـهـ - رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ -، وـقـتـلـ الزـبـيرـ بـوـادـيـ السـبـاعـ. بـعـدـ اـنـسـابـهـ مـنـ الـمـعرـكـةـ. عـلـىـ أـقـلـ مـنـ يـوـمـ مـنـ الـبـصـرـةـ، فـهـكـذـاـ كـانـ الـأـمـرـ⁽⁷⁾. ويـقـولـ الذـهـبـيـ: كـانـتـ وـقـعـةـ الـجـمـلـ أـثـارـهـاـ سـفـهـاءـ الـفـرـيقـيـنـ⁽⁸⁾. ويـقـولـ: إـنـ الـفـرـيقـيـنـ اـصـطـلـحـاـ وـلـيـسـ لـعـلـىـ وـلـاـ طـحـةـ قـصـدـ الـقـتـالـ، بلـ لـيـتـكـلـمـواـ فـيـ اـجـتـمـاعـ الـكـلـمـةـ، فـتـرـامـيـ أـبـاـشـ الطـائـفـيـنـ بـالـبـلـبـلـ، وـشـبـتـ نـارـ الـحـرـبـ، وـثـارـتـ

(1) المصدر نفسه: ص(194).

(2) فتح الباري 56/13.

(3) شرح العقيدة الطحاوية: ص(546).

(4) التمهيد: ص(233).

(5) تشبيث دلائل النبي للهداي: ص(299).

(6) العواصم من الفواعيم: ص(156، 157).

(7) الفصل في الملل والنحل 157/4، 158.

(8) العبر (3771)، عبد الله بن سبا للعودية: ص(195).

النفوس⁽¹⁾. وفي كتاب «دول الإسلام»: والتهم القتال من «الغواء» وخرج الأمر عن على وطلحة والزبير⁽²⁾. ويقول الدكتور سليمان بن حمد العودة: ولنا بعد ذلك أن نقول: وما المانع أن تكون رواية الطبرى المصرحة بدور «السببية» في الجمل، تفسر هذا التعميم، وتحدد تلك المسميات التي وردت في نقولات هؤلاء العلماء؟ وحتى لو لم تكن هذه الطوائف الغوغائية ذات صلة مباشرة بالسببية ولم تكن لها أهداف كأهادفهم، فمما مانع به من القول إن هذه شكلت أرضية استغلها ابن سبا وأعوانه «السببية»، كما هي العادة في بعض الحركات الغوغائية التي تستغل من قبل المفسدين؟!⁽³⁾

ولا ننسى أن للفترة وأجوائها دوراً في الإسهام بتلك الأحداث، فمما لا شك فيه أن الناس في الفتن قد تحجب عنهم أشياء يراها غيرهم رأى العين، وقد يتأنلون فيها صانعين أشياء يرى من سواهم حقيقته ناصعة لا تحتاج إلى عباء، وكفى بسواند الفتنة حاججاً عن التروي والإبصار⁽⁴⁾، ولا بعد كثيراً؛ فهذا الأحنف بن قيس - وهو أحد الذين عايشوا أحد أث الجمل - يخرج وهو يريد نصرة على بن أبي طالب، حتى لقيه أبو بكرة⁽⁵⁾، فقال: يا أحنف ارجع فاني سمعته × يقول: إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار، فقلت أو قيل: يا رسول الله، هذا القاتل بما بال المقتوّل؟ قال: إنه كان قد أراد قتل أصحابه⁽⁶⁾. إن القتال مع علىٰ كان حقاً وصواباً ومن قتل معه فهو شهيد وله أجران، ولكن أبو بكرة - رضي الله عنه - حمل حديداً ورد في غير الحالة التي قاتل فيها علىٰ على حالة قتال الباغين، وهو فهم منه رضي الله عنه ولكنه فهم في غير محله. ومن هذه الرواية ندرك أن عقبات متعددة واجهت علىٰ رضي الله عنه في معركته مع الآخرين، منها أمثل هذه الفتاوي التي هي أثر عن ورع أكثر منها أثرًا عن فتوى تصيب محلها⁽⁷⁾. هذا وقد امتنع الأحنف من الدخول مع علىٰ - رضي الله عنهما -، فلم يشهد الجمل مع أحد من الفريقين⁽⁸⁾، ونقترب أكثر فإذا الزبير رضي الله عنه - وهو طرف أساسى في المعركة - يكشف لنا عن حقيقة الأمر: إن هذه لهى الفتنة التي كنا نحدث عنها، فقال له مولاً: أتسميهما فتنة وتقاتل فيها؟ قال: ويحك، إنا ننصر ولا ننصر ، ما كان أمر قط إلا على مت موضع قدمي فيه، غير هذا الأمر، فإني لا أدرى أسبق أنا فيه أم مدبر⁽⁹⁾. ويشير إلى ذلك طلاحة فيقول: بينما نحن يد واحدة على من سوانا، إذ صرنا جلين من حديد يطأب بعضنا بعضًا⁽¹⁰⁾. وفي الطرف الآخر يؤكّد أصحاب علىٰ رضي الله عنه على الفتنة فيقول عمار - رضي الله عنه - في الكوفة عن خروج عائشة: إنها زوجة نبيكم في الدنيا والأخرة، ولكنها مما ابتليتم⁽¹¹⁾.

2- الجولة الأولى في معركة الجمل: زاد السبئيون في الجيشين من جهودهم في إنشاب القتال، ومحاكمة الفريق الآخر، وإغراء كل فريق بخصمه، وتهييجه على قتاله، ونشرد

(1) تاريخ الإسلام (15/1)، عبد الله بن سبا للعوده: ص(195).

(2) تاريخ الإسلام (15/1)، عبد الله بن سبا للعوده: ص(195).

(3) عبد الله بن سبا للعوده: ص(195).

(4) المصدر نفسه: ص(196).

(5) هو فقيع بن الحارث بن كلدة التقي، كما قال الإمام أحمد وعزّا هذا القول إلى الأكثرين، وقيل إنه ذفيف ابن مسروح وبه جزم ابن سعد، وقيل اسمه مسروح وبه جزم ابن إسحاق. وعلى كل فهو مشهور بكنته أبي بكرة، من فضلاء الصحابة، ومن أهل الطائف، ومن انتزل الفتنة يوم الجمل وأيام صفين، قيل في سبب كنته أنه تدلّى من حصن الطائف بيكره فاشتهر بها. توفى بالبصرة 52هـ.

(6) مسلم (4/2213)، أك الفتنة.

(7) الأساس في السنة وفقها، السيرة النبوية (1711/4).

(8) صحيح مسلم على شرح الترمذ (10/18).

(9) تاريخ الطبرى (506/5).

(10) تاريخ الطبرى (506/5).

(11) المصدر نفسه (516/5).

ت المعركة عنيفة قاسية حامية شرسة، وهي معركة الجمل، وسميت بذلك لأنَّ أم المؤمنين ن عائشة، رضي الله عنها، كانت في المعركة في الجولة الثانية وسط جيش البصرة، ترك ب الجمل الذي قدمه لها يعلى بن أمية في مكة، حيث اشتراه من اليمين، وخرجت على هذا الجمل من مكة إلى البصرة، ثم ركبته أثناء المعركة، وكانت المعركة يوم الجمعة في السادس عشر من جمادى الثانية، سنة ست وثلاثين، في منطقة «الزابوقة» قرب البصرة، حزن على لما جرى، ونادى مناديه: كفوا عن القتل أيها الناس: ولم يسمع نداء أحد، فالكل كان مشغولاً بقتل خصمه⁽¹⁾، كانت معركة الجمل على جولتين: الجولة الأولى كان على فيها جيش البصرة فيها طحة والزبير، واستمرت من الفجر حتى قبيل الظهيرة⁽²⁾، ونادى على في جيشه، كما نادى طحة والزبير في جيشهما: لا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تلحوظوا خارجاً من المعركة تاركاً لها⁽³⁾. وقد كان الزبير، رضي الله عنه، وصي أنه عبد الله بقضاء دينه فقال: إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإنني لا أراني إلا لأسألك مظلوماً، وإن أكبر همي ديوني⁽⁴⁾. وأنثاء ذلك جاء رجل إلى الزبير، وعرض عليه أن يقتل علياً، وذلك بأن ينس مع جيشه، ثم يفت به، فأنكر عليه بشدة، وقال: لا؛ لا يفتك مؤمن بمؤمن، أو أن الإيمان فيد الفتاك⁽⁵⁾. فالزبير، رضي الله عنه، ليس له غرض في قتل علي أو أي شخص آخر بريء من دم عثمان، وقد دعا أمير المؤمنين على الزبير، فكلمه بالطف العبارية، وأجمل الحديث، وقيل ذكره بحديث سمعه من رسول الله × يقو ل له - أي الزبير - «لتقاتله وأنت له ظالم»⁽⁶⁾ - وهذا الحديث ليس له إسناد صحيح⁽⁷⁾. وبعض الروايات ترجع السبب في انصراف الزبير - رضي الله عنه - قبيل المعركة لما علم بوجود عمار بن ياسر في الصف الآخر وهو وإن لم يرو عن رسول الله ×: «قتل عمار الفتنة الباغية»⁽⁸⁾، فعلمه سمعه من بعض إخوانه من الصحابة لشهرته⁽⁹⁾، وبعضاً يرجع السبب في انصرافه إلى شكه في صحة موقفه⁽¹⁰⁾، من هذه الفتنة - كما يسميها - وفي رواية ترجع السبب في انصرافه إلى أن ابن عباس، رضي الله عنهما، ذكره بالقرابة القوية من علي؛ إذ قال له: أين صفية بنت عبد المطلب حيث تقاتل بسيفك على بن أبي طالب بن عبد المطلب⁽¹¹⁾. فخرج الزبير من المعركة، فلقاه ابن جرموز قتيلاً⁽¹²⁾ كما سيأتي تفصيله بأذن الله. فالزبير، رضي الله عنه، كان على وعي لهدفه - وهو الإصلاح - ولكنه لمارأى حلول السلاح مكان الإصلاح رجع، ولم يقاتل، وقول ابن عباس: تقاتل بسيفك على بن أبي طالب؟ فيه حذف مفهومه: ألم جئت للإصلاح وجمع الشمل؟⁽¹³⁾ وعلى إثر هذا الحديث انصرف الزبير وترك الساحة، وربما كانت عوامل متعددة ومتدخلة أسهمت في خروج الزبير من ساحة المعركة، وأما طحة بن عبيدة القائد الثاني لجيش البصرة، فقد أصيب في بداية المعركة، إذ جاءه سهم غرب لا يعرف من رماه، فأصابه إصابة مباشرة، ونزف دمه بغازره فقالوا له: يا أبا محمد، إنك لجريح، فاذهب وادخل البيوت لل تعالج فيها، فقال طحة لغلامه: احملني، وابحث لي عن مكان مناسب، فأخذ

(1) المصدر نفسه (541/5).

(2) المصدر نفسه (541/5)، الخلفاء الراشدون للخالدي: ص(245).

(3) تاريخ الطبرى (541/5).

(4) مصنف ابن أبي شيبة (543/15)، الخلفاء الرashدون للخالدي: ص(245).

(5) مسند أحمد (19/3) قال محققه أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(6) استشهاد عثمان ووفاة الجمل: ص(201) خرج طرق الحديث وحكم عليها بالضعف.

(7) المدينة النبوية فجر الإسلام (324/2)، المطالب العليي رقم (4468).

(8) مسند أحمد (47/1-49)، (38/11) إسناده صحيح، تحقيق أحمد شاكر.

(9) خلافة على بن أبي طالب: ص(154).

(10) المصدر نفسه ص(154)، تاريخ الطبرى (506/5).

(11) الطبقات (110/3) إسناده صحيح، خلافة على: ص(155).

(12) الطبقات (10/3)، تاريخ خلافة: ص(186).

(13) المدينة النبوية فجر الإسلام (248/2).

ل البصرة، ووضع في دار فيها ليعالج، ولكن جرحه ما زال ينزف حتى توفي في البيت، ثم دفن في البصرة، رضي الله عنه⁽¹⁾، وأما الرواية التي تشير إلى تحريض الزبير وطلحة على القتال وأن الزبير لما رأى الهزيمة على أهل البصرة ترك المعركة ومضى، فهذه الرواية لا تصح⁽²⁾، وهذا الخبر يعارضه ما ثبت من عدالة الصحابة، رضوان الله عليهم، كما أنه يخالف الروايات الصحيحة التي تنص على أن أصحاب الجمل ما خرجوا إلا للإصلاح، فكيف ينسجم هذا الفعل من الزبير، رضي الله عنه، مع الهدف الذي خرج من مكة إلى البصرة من أجله إلا وهو الإصلاح بين الناس؟! وبالفعل فإن موقف الزبير، رضي الله عنه، كان السعي في الإصلاح حتى آخر لحظة، وهذا ما أخرجه الحاكم من طريق أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي، وفيه أن الزبير، رضي الله عنه، سعى في الصلح بين الناس ولكن قاتلت المعركة واختلف أمر الناس ومضى الزبير وترك القتال⁽³⁾، وكذلك طلحة فقد جاء من أجل الإصلاح وليس من أجل إرادة الدماء، وأما عن مقتل طلحة - رضي الله عنه - فقد كان عند بدء القتال كما صرحت بذلك الأحقف بن قيس⁽⁴⁾.

ويخرج الزبير من ميدان المعركة، ويموت طلحة، رضي الله عنهما، وبسقوط القتلة والجرحى من الجانبين تكون قد انتهت الجولة الأولى من معركة الجمل، وكانت الغلبة فيها لجيش علي، وكان على رضي الله عنه يراقب سير المعركة ويرى القتلى والجرحى في الجانبين، فيتألم ويحزن، وأقبل على علي ابنه الحسن، وضممه إلى صدره، وصار يديه كى ويقول له: يا بُنْيَ، ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين عاماً. فقال الحسن: يا أبا، لقد كنت نهيتك عن هذا، فقال على: ما كنت أظن أن الأمر سيصل إلى هذا الحد، وما طعم الحياة بعد هذا؟ وأي خير يُرجى بعد هذا؟⁽⁵⁾

3- الجولة الثانية: وصل الخبر إلى أم المؤمنين بما حدث من القتال، فخرجت على جملها تحيط بها القبائل الأزردية، ومعها كعب الذي دفعت إليه مصحفًا يدع الناس إلى وقف الحرب، تقدمت أم المؤمنين وكلها أمل أن يسمع الناس كلامها لمكانتها في قلوب الناس؛ فتحجز بينهم وتطفئ هذه الفتنة التي بدأت تشتعل⁽⁶⁾، وحمل كعب بن سور المصحف، وتقدم أمام جيش البصرة، ونادي جيش على قائلاً: يا قوم، أنا كعب بن سور، قاضي البصرة، أدعوكم إلى كتاب الله، والعمل بما فيه، والصلح على أساسه. وخشي السبييون في مقدمة جيش على أن تتجه محاولة كعب فرشقه بنبالهم رشقة رجل واحد، فلقي وجه الله، ومات والمصحف في يده⁽⁷⁾، وأصابت سهام السبييون وبنالهم جمل عائشة وهو دجها، فصارت تنادي، وتقول: يا بني، الله، الله، اذكروا الله ويوم الحساب، وكفوا عن القتال. والسبئيون لا يستجيبون لها، وهم مستمرون في ضرب جيش البصرة، وكان على من الأخلف يأمر بالكف عن القتال، وعدم الهجوم على الصربيين، لكن السبيئين في مقدمة جيش لا يستجيبون له، ويأبون إلا إقداماً وهجوماً وقتالاً، ولما رأت عائشة عدم استجابتهم لدعاتها، ومقتل كعب بن سور أمامها، قالت: أيها الناس، العنوا قتلة عثمان وأشياعهم. وصارت عائشة تدعو على قتلة عثمان وتلعنهم، وضج أهل البصرة بالدعاء على قتلة عثمان وأشياعهم، ولعنهم، وسمع على الدعاء عالياً في جيش البصرة فقال: ما هذا؟ قالوا: عائشة تدعو على قتلة عثمان، والناس يدعون معها. قال على: ادعوا معي على قتلة عثم

(1) البداية والنهاية (253/7).

(2) تاريخ الطبراني (540/5).

(3) المستدرك (366/3)، استشهاد عثمان: ص (200).

(4) تاريخ خليفة ص 185، استشهاد عثمان: ص (202).

(5) البداية والنهاية (521/7).

(6) مصنف عبد الرزاق (456/5)، يسند صحيح إلى الزهرى.

(7) البداية والنهاية (253/7).

ان وأشياعهم والعنوهم. ووضح جيش على بلعن قتل عثمان والدعاء عليهم⁽¹⁾، وقال علی: اللهم لعن قتلة عثمان في السهل والجبل⁽²⁾. اشتدت الحرب وانتشرت وتشابك القوم وتسلّحوا بالرماح، وبعد نصف الرماح، استلوا السيف فتضاربوا بها حتى تصرفت⁽³⁾، ودنا الناس بعضهم من بعض⁽⁴⁾، ووجه السبئيون جهودهم لعقر الجمل وقتل عائشة أم المؤمنين، فسارع جيش البصرة لحماية عائشة وحملها، وقاتلوا أمام الجمل، وكان لا يأخذ أحد بخطام الجمل إلا قُتل، حيث كانت المعركة أمام الجمل في غاية الشدة والقسوة والعدف والسخونة، حتى أصبح الهوج كأنه قنفذ مما رمي فيه من النبل⁽⁵⁾، وقتل حول الجمل كثير من المسلمين من الأزد وبني ضبة وأبناء وفتیان قريش بعد أن أظهروا شجاعة منفطعة النظير⁽⁶⁾، وقد أصيّبت عائشة بحيرة شديدة وحرج فھي لا ترى القتال ولكنه وقع رغمماً عنها، وأصبحت في وسط المعمعة، وصارت تتدلي بالكلف، فلا مجيب، وكان كل من أخذ بخطام الجمل قتل، ف جاء محمد بن طلحة (السجاد) وأخذ بخطامة وقال لأمه أم المؤمنين: يا أماه ما تأمرین؟ فقالت: کن كخيري ابني آدم - أي کف يدك - فأغمد سيفه بعد أن سلّة قُتلت رحمة الله⁽⁷⁾، كما قُتلت عبد الرحمن ابن عتاب بن أبي سعيد، الذي حاول أن يقتل الأشتر حتى لو قُتل معه؛ وذلك أنه صار عه فسقطا على الأرض جميعاً، فقال ابن عتاب لمن حوله: اقتلوني⁽⁸⁾ ومالكاً، لحقه عليه لما كان له من دور بارز في تحريض الناس على عثمان، رضي الله عنه، ولكن الأشتر لم يكن معروفاً بملكه، ولم يك قد حان أجله ولو قال الأشتر لا بادرته سيفك كثيراً⁽⁹⁾، وأما عبد الله بن الزبير، فقد قاتل قتالاً منقطع النظير، ورمى بنفسه بين السيفين، فقد استخرج من بين الفتلى وبه بضع وأربعون ضربة وطعنة، كان أشدّها وأخرها ضربة الأشتر؛ إذ من حقه على ابن الزبير لم يرض أدنى يضربه وهو جالس على فرسه بل وقف في الركابين فضربه على رأسه ظاناً أنه قتله⁽¹⁰⁾، واستحر القتل أيضاً في بني عدي وبني ضبة والأزد، وقد أبدى بنو ضبة حماسة وشجاعة وفداء لأم المؤمنين، وقد عبر أحد رؤسائهم وهو عمر بن يثرب الصبي برجره.

ننازل الموت إذا الموت نزل

نحو بنى ضبة أصحاب الجمل

1

ننعي ابن عفان بأطراف الأسل(11)

الموت عندنا أحلى من العسل

(1) البداية والنهاية (253/7).

(2) مصنف أبي شيبة (15/268) بسند صحيح، سنن سعيد بن منصور (2/236) بسند صحيح.

(3) مصنف ابن أبي شيبة (258/15) رجاله رجال الصحيح.

(4) الطبقات (2/5) بسند صحيح
(5) الراحلة الثالثة (253/7) بسند صحيح

(5) البداية والنهاية (253/7)، تاريخ خليفة: ص(190) بسند حسن.
(6) البداية والنهاية (254/7).

(6) البداية والنهاية (254/7)،
 (7) نسب قيش، ص (281)، التاريخ الصغير للخان، (110/1).

(8) مصنف ابن أبي شيبة (228/15)، مرويات أبو مخلف ص 268، اسناده صحيح.

٨) مصنف ابن أبي سبيه (٢٢٨/١٥)، مرويّات أبي محفوظ ٦٦٨ إسناده صحيح.
 ٩) خلافة على بن أبي طالب، عد الحمد: ص (١٥٩).

(10) مصنف ابن أبي شيبة (15/228) بسند صححه ابن حجر في الفتح (13/57، 58).

١٠) مصنف ابن أبي سعيد (٢٢٦) بحسب صحابة ابن حجر في الفتح (١٣٥٧، ٥٨).
١١) تاريخ خليفة: ص(١٩٠) بسند حسن، خلافة علي، عبد الحميد: ص(١٥٩).

(12) أنساب الأشراف للبلاذري (43/2) بسند متصل.

لیبی، اسرائیل و بحرین (۱۲) (۴۰٪)

ل^(١)، واحتمل أخوها محمد وعبد الله بن بديل الهوج حتى وضعاه أمام على، فأمر به علـى، فأخذ في منزل عبد الله بن بديل^(٢)، وصدق حدس على - رضي الله عنه - العسكري، فما إن زال السبب أو الدافع الذي دفع البصريين إلى الإقبال على الموت بشغف، وأخرجت أم المؤمنين من الميدان، حتى ولو الأدبار منهزمين. ولو لم يتخذ هذا الإجراء لا ستمرت الحرب إلى أن يقفي جيش البصرة أصحاب الجمل، أو ينهزم جيش على، وعندما بدأت الهزيمة نادى على أو مناديه في جيشه أن لا يتبعوا مدبرًا ولا يجهزوا على جريح، ولا يغفموا إلا ما حمل إلى الميدان أو المعسرك من عتاد أو سلاح فقط، وليس لهم ما وراء ذلك من شيء، ونهاهم أن يدخلوا الدور، ليس هذا فحسب، بل قال لمن حاربه من أهل البصرة: من وجد له شيئاً من متاع عند أحد من أصحابه، فله أن يسترده، فجاء رجل إلى جماعة من جيش على وهم يطبحون لحمة في قدر له فأخذ منهم القدر وكفأ ما فيه احتفلاً عليهم^(٣).

٤- عدد القتلى: أسفرت هذه الحرب الضروس عن عدد من القتلى اختلفت في تقديره الرؤى، وذكر المسعودي أن هذا الاختلاف في تقدير عدد القتلى مرجعه إلى أهواء الرواية^(٤). فيذكر قتادة أن قتلى يوم الجمل عشرون ألفاً^(٥)، ويظهر أن فيها مبالغة كبيرة، لأن عدد الجيشين حول هذا العدد أو أقل، أما أبو مخنف الرافضي الشيعي، فقد بالغ كثيراً - بحكم ميله - وقد أساء من حيث يظن أنه أحسن؛ إذ ذكر أن العشرين ألفاً هم من أهل البصرة^(٦)، وأما سيف فيذكر أنهم عشرة آلاف نصفهم من أصحاب علي رضي الله عنه ونصفهم من أصحاب عائشة، رضي الله عنها، وفي رواية أخرى قال: وقيل خمسة عشر ألفاً، خمسة آلاف من أهل الكوفة، وعشرة آلاف من أهل البصرة، نصفهم قتل في المعركة الأولى ونصفهم في الجولة الثانية^(٧)، والرواياتان ضعيفتان للانقطاع وغيره، وفيهما ما بالغة أيضاً، ويدرك عمر بن شبيه بسنته أن القتلى يزيدون على ستة آلاف، إلا أن الرواية ضعيفة سند^(٨)، أما اليعقوبي، فقد جاوز هؤلاء جميعاً؛ إذ وضع عدد القتلى اثنين وثلاثين ألفاً^(٩)، وهذه الأرقام مبالغ فيها جداً، وكان من أسباب المبالغة:

أ- رغبة أعداء الصحابة من السببية وأتباعهم، في توسيع دائرة الخلاف بين أبناء الأمة التي يجمعها حب الصحابة والاقتداء بهم بعد رسول الله ×.

بـ- إسهام بعض الشعراء والجهلة من أبناء القبائل، في تضخيم ما جرى وتهكيره، ليتناسب مع ما يصنعونه من أسعار ينسبونها إلى بعض زعمائهم وفرسانهم، فضلاً عن وجود قصاصي السمر، ورواة الأخبار الذين يجلبون اهتمام الناس بهم، من خلال الأحداث المثيرة التي يتحدثون عنها

(1) أعلام الحديث للخطابي (1611/3).

(2) مصنف ابن أبي شيبة {15/286، 287} بسند جيد، الفتح {57/13}.

مصنف ابن أبي شيبة (286/15، 287) بسند جيد، الفتح (57/13). (3)
الذري (267/2) (4)

(367/3) مروج الذهب (4), (186) قلادة خلفية من ذهب (6)

(6) تاريخ خليفة بن خياط (186) بسند مرسل.
 (7) تاريخ الطلاق (542/5-555)

⁸) تاريخ الطبرى (542/5-555). خاط (186) اسن

٨) تاریخ حیفه بن حیاط (١٨٦)، اسناده منقطع وهو حس إلى قادة.
 ٩) مصنف ابن الباري (٦٢/١٣)، فتح الباري (٥٤٦/٧)، شنیة

^{١٠} مسند ابن أبي سعيد (٣٤٦٧): صح ابوري (١٥٢/١٥).

مکتبہ ص(455)۔

* قصر مدة القتال، حيث أخرج ابن أبي شيبة بإسناد صحيح⁽¹⁾، أن القتال نشب بعد الظهر فما غربت الشمس وحول الجمل أحد ممن كان يذب عنه.

* الطبيعة الدفاعية للقتال حيث كان كل فريق يدافع عن نفسه ليس إلا.

* قياساً بعدد شهداء المسلمين في معركة اليرموك «ثلاثة آلاف شهيد»، ومعركة القادسية «ثمانية آلاف وخمسمائة شهيد»، وهي التي استمرت عدة أيام، فإن العدد الحقيقي لقتلى معركة الجمل يعد ضئيلاً جدًا، هذا مع الأخذ بالاعتبار شراسة تلك المعارك وحدتها لكونها من المعارك الفاصلة في تاريخ الأمم.

* أورد خليفة بن خياط بيادًا بأسماء من حفظ من قتل يوم الجمل فكانوا قرابةً من المائة⁽²⁾، فلو فرضنا أن عددهم كان مائتين وليس مائة، فإن هذا يعني أن قتلى معركة الجمل لا يزيد على المائتين. وهذا هو الرقم الذي ترجح له الدكتور خالد بن محمد الغيث في رسالته «استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبرى- دراسة نقدية»⁽³⁾.

5- هل يصح قتل مروان بن الحكم لطلحة بن عبيد الله؟ أشار كثير من الروايات إلى أن قاتل طلحة بن عبيد الله، رضي الله عنه، هو مروان بن الحكم⁽⁴⁾، ولكن بعد دراسة تلك الروايات أتضح براءة مروان بن الحكم من تلك التهمة وذلك للأسباب التالية:

أ- قال ابن كثير: ويقال إن الذي رماه بهذا السهم مروان بن الحكم، وقد قيل: إن الذي رماه بهذا السهم غيره، وهذا عندي أقرب وإن كان الأول مشهوراً، والله أعلم⁽⁵⁾.

ب- قال ابن العربي: قالوا إن مروان قتل طلحة بن عبيد الله، ومن يعلم هذا إلا علام الغيوب، ولم ينقله ثبت⁽⁶⁾.

ج- قال محب الدين الخطيب: وهذا الخبر عن طلحة ومروان لقيط لا يُعرف أبوه ولا صاحبه⁽⁷⁾.

د- بطلان السبب الذي قيل أن مروان قتل طلحة، رضي الله عنه، من أطلقه، وهو اتهام مروان لطلحة بأنه أغار على قتل عثمان، رضي الله عنه، وهذا السبب المزعوم غير صحيح حيث إنه لم يثبت من طريق صحيح أن أحداً من الصحابة قد أغار على قتل عثمان رضي الله عنه.

هـ- كون مروان وطلحة، رضي الله عنهم، من صفات واحد يوم الجمل وهو صفات لمنادين بالإصلاح بين الناس⁽⁸⁾.

وـ- أن معاوية، رضي الله عنه، قد ولى مروان على المدينة ومكة، فلو صح ما بدر من مروان لما ولأه معاوية، رضي الله عنه، على رقاب المسلمين، وفي أقدس البقاع عند الله.

زـ- وجود روایة لمروان بن الحكم في صحيح البخاري⁽⁹⁾ - مع ما عرف عن البخاري

(1) مصنف ابن أبي شيبة (546/7)، فتح الباري (62/13).

(2) تاريخ خليفة: ص(187، 190).

(3) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص(215).

(4) الطفقات (223/3)، تاريخ المدينة (1170/4)، تاريخ خففة: ص(185).

(5) البداية والنهائية (7) (248).

(6) العواصم من القواسم: ص(157- 160).

(7) العواصم من القواسم: ص(157- 160).

(8) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص(202).

(9) فتح الباري (520/2)، استشهاد عثمان: ص(203).

ري رحمة الله من الدقة وشدة التحري في أمر من قبل روایته - فلو صح قيام مروان بـ⁽¹⁾ تل طحة، رضي الله عنه، لكان هذا سبباً كافياً لرد روایته والقبح في عدالته⁽¹⁾.

6- نداء أمير المؤمنين بعد الحرب: ما إن بدأت الحرب تضع أوزارها، حتى نادى منادي على: أن لا يجهزوا على جريح، ولا يتبعوا مدبراً، ولا يدخلوا داراً، ومن ألقى الملاعنة من سلاح وهو أمن، ومن أغلق بابه فهو أمن، وليس لجيشه من غنية إلا ما حمل إلى ميدان المعركة من سلاح وكراع، وليس لهم ما وراء ذلك من شيء، ونادي منادي أمير المؤمنين ن فيمن حاربه من أهل البصرة من وجد شيئاً من متعاه عند أحد من جنده، فله أن يأخذه⁽²⁾، وقد ظن بعض الناس في جيش على أن عليهما سيقسم بينهم السبي، فتكلموا به ونشروا بين الناس، ولكن سرعان ما فاجأهم على رضي الله عنه، حين أعلن في ندائهم: وليس لأم ولد، والمواريث على فرائض الله، وأي امرأة قتلت زوجها فلتعتد أربعة أشهر وعشرين على: كذلك السيرة في أهل القبلة، ثم قال: فهاتوا سهامكم وأقرعواها على عائشة فهي رأس الأمر وقادتهم، ففرقوا وقالوا: نستغفر الله، وتبيّن لهم أن قولهم وظنهم خطأ فاحش، ولكن ليرضيهم قسم عليهم رضي الله عنه من بيت المال خمسمائة خمسين⁽³⁾.

7- تقىده للقتلى وترحمه عليهم: بعد انتهاء المعركة خرج على يتقى القتلى مع نفر من أصحابه، فأبصر محمد بن طحة (السجاد) فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أما والله لقد كان شاباً صالحًا، ثم قعد كثيراً حزيناً... ودعا للقتلى بالمعفورة، وترحّم عليهم وأثنى على عدد منهم بالخير والصلاح⁽⁴⁾، وعاد إلى منزله فإذا امرأته وابنته يبكين على عثمان وقرابته والزبير وطحة وغيرهم من أقاربهم القرشيين. فقال لهن: أني لأرجو أن تكون من الذين قال الله فيهم: +وَذَرْ عَذَمَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غُلٍ إِخْوَانَ عَلَيْهِ سُرُرٍ مَتَّقَابِلِينَ+ [الحجر: 47]. ثم قال: ومن هم إن لم نكن؟! ومن هم إن لم نكن؟! فما زال يردد ذلك حتى ودّت أنه سكت⁽⁵⁾.

8- مباعدة أهل البصرة: كان أمير المؤمنين على رضي الله عنه حريصاً على وحدة الصف، واحترام رعایا الدولة، ومعاملتهم المعاملة الكريمة، وكان لهذه المعاملة أثر بالغ في مباعدة أهل البصرة لأمير المؤمنين على، وكان أمير المؤمنين قد وضع الأسرى في مساء يوم الجمل في موضع خاص، فلما صليت الغداة طلب موسى بن طحة بن عبيدة بن عبد الله، فقربه ورحب به وأجلسه بجواره وسأله عن حاله وأحوال إخواته، ثم قال له: إنا لم نقدر أرضكم هذه ونحن نريد أن نأخذها، إنما أخذناها مخافة أن ينتبهوا الناس، ودفع له غالتها وقال: يا ابن أخي وآتنا في الحاجة إذا كانت لك، وكذلك فعل مع أخيه عمران بن طحة قباعيه، فلما رأى الأسرى ذلك دخلوا على على رضي الله عنه بباب عنده، فباق عليهم وبائع الآخرين على رياتهم قبيلة قبيلة⁽⁶⁾، كما سأله عن مروان بن الحكم وقال: يعطفي عليه رحم ماسة، وهو مع ذلك سيد من شباب قريش، وقد أرسل مروان إلى الحسن والحسين وابن عباس رضي الله عنهم ليكلموا عليهما فقال على: هو أمن فليتوجه حيث شاء، ولكن مروان إزاء هذا الكرم والنبل، لم تطاوه نفسه أن يذهب حتى بايعه⁽⁷⁾، كما أن مروا

(1) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص(202).

(2) خلافة على بن أبي طالب: ص(168) عبد الحميد، مصنف ابن أبي شيبة (286/15) بسند صحيح.

(3) مصنف ابن أبي شيبة (286/15) بسند صحيحة ابن حجر (57/13).

(4) مصنف ابن أبي شيبة (261/15)، المستدرك (375، 104، 103/3)، والإسناد حسن لغيره، خلافة على بن أبي طالب، ص(169).

(5) مصنف ابن أبي شيبة (268/15) - (269) خلافة على ص: (169) عبد الحميد.

(6) الطبقات (224/3) بسند حسن، المستدرك (376/3)، (377).

(7) سنن سعيد بن متصور (337/2) بسند حسن.

ن – رضي الله عنه – أتى على فعال أمير المؤمنين على فقال لابنه الحسن: ما رأيت أكرم غلبة من أبيك، ما كان إلا أن ولأينا يوم الجمل حتى نادي مناديه: ألا لا يتبع مدبر، ولا يذف على جريح⁽¹⁾. وبذلك تمت بيعة أهل البصرة لأمير المؤمنين على، وولى عليه م ابن عمه عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، وولى على خراجها زيد بن أبيه، وأراد على رضي الله عنه أن يمكث فيها مدة أطول، لولا أن مالكاً (الأستر) أجهله من ذلك؛ وذلك أن الأشتراط كان يطمع في أن يلي ولایة، فلما علم بأن ابن عباس ولی إمارة البصرة غضب وسار في قومه، فخشى على رضي الله عنه منه شرًا وفتنة، فاستعجل ببقية جيشه، وأدركه، وعاتبه على سيره وأظهر أنه لم يسمع عنه شيئاً⁽²⁾.

9- حديث أبي بكرة عن رسول الله ×: «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»⁽³⁾. قال القرطبي: قال علماونا: ليس هذا الحديث حديث أبي بكرة – في أصحاب النبي ×، بدليل قوله تعالى: + وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَدَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخْرَى فَقَاتَلَتُهُا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ قَاتَلَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُ الْمُفْسِطِينَ إِذَا مَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةً فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَأَتَدْفَوا اللَّهَ لَعْنَكُمْ تُرْحَمُونَ» [الحجرات: 9، 10]. فأمر الله تعالى بقتل الفئة الباغية، ولو أمسك المسلمون عن قتال أهل البغي لتعطلت فريضة من فرائض الله. وهذا يدل على أن قوله: «القاتل والمقتول في النار» ليس في أصحاب النبي ×، لأنهم إنما قاتلوا على التأويل. قال الطبرى: لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين من المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل وكسر السيف، لما أقيمت حد ولا أبطل باطل، ولو جد أهل النفاق والفسق سبيلاً إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين، وسبى نسائهم، وسفك دمائهم، لأن يتحزبوا عليهم، ويکف المسلمين أيديهم عنهم بأن يقولوا: هذه فتنة قد نهينا عن القتال فيها، وأمرنا بکف الأيدي والهرب منها⁽⁴⁾. وقال النووي: وأما كون القاتل والمقتول فمحمولة على من لا تأويل له ويكون قتالهما عصبية ونحوها، ثم كونه في النار معناه مستحق لها وقد يجازى بذلك، وقد يعفو الله تعالى عنه، هذا مذهب أهل الحق.. وعلى هذا يتأنى كل ما جاء من نظائره. واعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة، رضي الله عنهم، ليست بداخلة في هذا الوعيد، ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم والإمساك عما شجر بينهم، وتأويل قتالهم وأنهم مجتهدون متأنلون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا، بل اعتقاد كل فريق أنه الحق ومخالفه باع، فوجب عليه قتاله ليرجع إلى أمر الله، وكان بعضهم مصيباً وبعضهم مخطئاً معذوراً في الخطأ في الإجتهد، والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه، وكان على رضي الله عنه هو الحق المصيب في تلك الحروب، هذا هو مذهب أهل السنة، وكانت القضية مشتبهة حتى إن جماعة من أصحابه تحيروا فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولم يتلقنوا الصواب ثم تأخروا عن مساءلة لهم⁽⁵⁾.

10- تاريخ معركة الجمل: اختلف المؤرخون في تاريخ وقعة الجمل إلى أقوال كثيرة منها:

أ- أخرج خليفة بن خياط من طريق قادة أن الفريقين التقى يوم الخميس في

(1) كتاب أهل البغي من الحاوي الكبير للماوردي: ص(111)، فتح الباري (62/13).

(2) فتح الباري (57/13)، خلاصة على، عبد الحميد: ص(174).

(3) مسلم. أ. الفتن (233/4).

(4) التذكرة (233، 232/2).

(5) شرح صحيح مسلم (228، 227/8).

النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، وكانت الواقعة يوم الجمعة

(١)

بــ أخرج عمر بن شبة أن الواقعة كانت في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين^(٢).

جــ أخرج الطبرى من طريق الواقدى أن الواقعة كانت يوم الخميس لعشرين من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين^(٣).

دــ ذكر المسعودي أن الواقعة كانت يوم الخميس في العاشر من جمادى الأول^(٤)، غير أن أرجح الأقوال هو ما أخرجه خليفة بن خياط من طريق قدادة حيث إن إسناد روایته يعد أصح ما في الباب.

11ــ أفلأ نكف عنهن وهن مسلمات؟: جاء أمير المؤمنين إلى الدار التي فيها أم المؤمنين عائشة، فاستأند وسلام عليها ورحت به، وإذا النساء في دار بنى خلف بيكون على من قُتل، منهم عبد الله وعثمان ابنا خلف، فبعد الله قتل مع عائشة، وعثمان قتل مع على ، فلما دخل على قالت له صفتة امرأة عبد الله، أم طلحه الطلحات: أيت الله منك أو لا لك ما أيتت أو لا دي. فلم يرد عليها على شيء، فلما خرج أعادت عليه المقالة أيضاً فسكت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين أنسكت عن هذه المرأة وهي تقول ما تسمع؟ فقال: ويحك إنما أمرنا أن نكف عن النساء وهن مشرفات، أفلأ نكف عنهن وهن مسلمات؟!^(٥)

12ــ اعتذار أبي بكرة التقى عن إماراة البصرة: جاء عبد الرحمن بن أبي بكرة التقى إلى أمير المؤمنين فباعه فقال له على: أين المريض؟ - يعني أباه - قال: إنه والله مريض يا أمير المؤمنين، وإنه على مسرتك لحرirsch. فقال: امش أمامي، فمضى إليه فعاد، واعتذر إليه أبو بكرة فغدره، وعرض عليه البصرة فامتنع وقال: رجل من أهلك يمسك الناس، وأشار عليه بابن عباس فولاه على البصرة، وجعل معه زياد بن أبيه على الخراج وبيت المال، وأمر ابن عباس أن يسمع من زياد^(٦).

13ــ موقف أمير المؤمنين على مبنى عائشة: قال رجل: يا أمير المؤمنين، إن على الباب رجلين ينالان من عائشة، فأمر على القعقاع بن عمرو أن يجلد كل واحد مئنة، وأن يخرجهما من ثيابهما^(٧)، وقد قام القعقاع بذلك.

14ــ دفاع عمار بن ياسر عن أم المؤمنين عائشة: عن محمد بن عريب قال: قام رجل ذكر عائشة عند على، فجاء عمار فقال: من هذا الذي يتناول زوجة نبينا؟ اسكت مقبوحاً منبوداً مذموماً مذحوراً^(٨). وجاء في روایة: اغرب مقبوحاً، أتؤذى حبيبة رسول الله ×!^(٩) وجاء في روایة: ذكرت عائشة عند على رضي الله عنهم فقام: حلية رسول الله ×^(١٠).

سابعاً: بين عائشة أم المؤمنين وأمير المؤمنين على بن أبي طالب:

(١) تاريخ خليفة بن خياط: ص(184، 185).

(٢) فتح الباري (61/13).

(٣) استشهاد عثمان: ص(206) نقلأ عن تاريخ الطبرى.

(٤) مروج الذهب (360/2).

(٥) البداية والنهاية (357/7).

(٦) البداية والنهاية (357/7).

(٧) المصدر نفسه (258/7).

(٨) فضائل الصحابة (110/2) إسناده ضعيف، ضعيف سنن الترمذى رقم (815) للألباني.

(٩) سير أعلام النبلاء (179/2) حديث حسن قاله الذهبي.

(١٠) المصدر نفسه (176/2) حديث حسن.

عائشة أم المؤمنين هي الصديقة بنت الصديق أبي بكر عبد الله بن عثمان، وأمها أم رومان بنت عويمر الكنانية، ولدت بعد المبعث بأربع سنوات أو خمس، تزوجها النبي × وهي بنت ست ودخل بها وهي بنت تسع سنين، وكان دخوله بها في شوال في السنة الأولى، وقيل في السنة الثانية من الهجرة، وهي المبرأة من فوق سبع سماوات، وكانت أحب إزواج النبي × إليه، ولم يتزوج بكرًا غيرها، وكانت أفقه نساء الأمة على الإطلاق، فكان الأكابر من الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين، إذا أشكل عليهم الأمر في الدين استقوها، وقد توفى عنها النبي × وهي في الثامنة عشرة من عمرها، وكانت وفاتها رضي الله عنها في سنة ثمان وخمسين ليلة السابع من رمضان، وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه، ودفنت في البقيع رضي الله عنها وأرضاها⁽¹⁾، ومناقبها، رضي الله عنها، كثيرة مشهورة فقد وردت أحاديث صحيحة بخصوص انفردت بها عن سواها من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وأرضاها منها:

1- مجيء الملك بصورتها إلى النبي × في سرقة⁽²⁾ من حرير قبل زواجها به ×: فقد روى الشیخان من حديث عائشة، قالت: قال رسول الله ×: أريتك في المنام ثلاثة ليال جاعني بك الملك في سرقة من حرير فیقول: هذه أمراتك فاكتشف عن وجهك، فإذا أنت هي فاقول: إن يك هذا من الله يمضه⁽³⁾.

2- أحب إزواج النبي ×: وقد صرحت بمحبتها لما سئل × عن أحب الناس إليه، فقد روى البخاري بإسناده إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي × بعثه على جيش ذات السلاسل⁽⁴⁾، قال: فأتيته فقالت: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، قلت: فمن الرجال؟ قال: أبوها⁽⁵⁾. قال الحافظ الذهبي: وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض، وما كان عليه الصلاة والسلام ليحب إلا طيباً، وقد قال: «لو كنت متخدًا خليلاً من هذه الأمة لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام أفضل»، فأحب أفضل رجال في أمته، وأفضل امرأة في أمته، فمن أبغض حببي رضي الله × فهو حرى أن يكون بغرضًا إلى الله ورسوله، وحبه عليه الصلاة والسلام لعائشة كان أمرًا مستفيضًا⁽⁶⁾.

3- نزول الوحي على النبي × وهو في لحافها دون غيرها من نسائه عليه الصلاة والسلام: فقد روى البخاري بإسناده إلى هشام بن عمرو عن أبيه قال: كان الناس يتحررون بهداياهم يوم عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صوابحي إلى أم سلمه فقلن: يا أم سلمه والله إن الناس يتحررون بهداياهم يوم عائشة، وإن نريد الخير كما تريده عائشة، فمرى رسول الله × أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث كان أو حيث ما دار، قالت: ذكرت ذلك أم سلمه للنبي × قالت: فأعرض عنى، فلما عاد إلى ذكرت له ذلك فأعرض عنى، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: «يا أم سلمه لا تؤذني في عائشة فإنه والله ما نزل على الوحي في لحاف امرأة منك غيرها»⁽⁷⁾. وقال الذهبي: وهذا الجواب منه دال على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر الله وراء حبه لها، وأن ذلك الأمر من أسباب حبه لها⁽⁸⁾.

4- أن جبريل عليه السلام أرسل إليها سلامه مع النبي ×: فقد روى البخاري بإسناده إلى

(1) سير أعلام النبلاء (2/135-201) طبقات ابن سعد (58/8)، البداية والنهاية (8/95).

(2) أي في قطعة من جيد الحرير، انظر: النهاية لابن الأثير (2/362).

(3) مسلم رقم (2438).

(4) مأخوذ من السلسل وهو العذب الصافي من الماء، والنهاية لابن الأثير (2/389).

(5) البخاري رقم (4358).

(6) سير أعلام النبلاء (2/143).

(7) البخاري رقم 3775، لـ فضائل الصحابة.

(8) سير أعلام النبلاء (2/143).

عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله × يوماً: «يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام» ، فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى – تريد رسول الله ×⁽¹⁾.

5- بدأ النبي × بتخديرها عند نزول آية التخدير، وقرن ذلك بارشادها إلى استشارة أبويها في ذلك الشأن لعلمه أن أبويها لا يأمرانها بفرافقه، فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة؛ فاستن بها بقية أزواجه ×، فقد روى الشیخان بإسنادهما إلى عائشة، رضي الله عنها، قالت: لما أمر رسول الله × بتخدير أزواجه بدأ بي فقال: إنني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجل حتى تستأمرى أبويك. قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفرافقه قال: ثم قال: إن الله – جل شأنه – قال: +يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ فَلْ لَا زُوْجٌ أَحَدٌ رَدْنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَيْذَنَتْهَا فَاتَّعَالَيْنَ أَمْتَعْكَنَ وَأَسْرَ حَكَنَ سَرَادَاجَ مِيلَا وَإِنْ كَنْتُنَ تَرَدْنَ اللَّهَ وَرَسُولُهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَبَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَ زُلْمَ أَبُوِي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج رسول الله × مثل ما فعلت⁽²⁾.

6- نزول آيات من كتاب الله بسببيها، فمنها ما هو في شأنها خاصة ومنها ما هو للأمة عامة: فاما الآيات الخاصة بها والتي تدل على عظم شأنها ورفعة مكانتها شهادة الباري جل وعلا لها بالبراءة مما رميته به من الإفك والبهتان، وهو قوله تعالى: +إِنَّ الَّذِينَ حَمَّلُوا إِلَيْنَا فَكَ عَصْبَيْهِ مَذْكُومٌ لَا تَحْسُبُوهُ شَرَّ الْكُمْ بِلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لَكُلُّ امْرٍ مَنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّ إِي كَبُرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ [النور: 11] إلى قوله تعالى: +الْخَيْدَاتُ لِلْخَيْدَيْنَ وَالْخَبِيْدَوْنَ لِالْخَبِيْدَيْتَاتِ وَالْطَّيْبَيْتَاتُ لِلْطَّيْبَيْنَ وَالْطَّيْبَيْوْنَ لِلْطَّيْبَيْبَاتِ أَوْلَيْكَ مُبَرِّونَ مَمَا يَقُولُونَ لَهُمْ مَعْفُرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ [النور: 26]. قال ابن القيم: ومن خصائصها أن الله سبحانه وتعالى برأها مما رماها به أهل الإفك، وأنزل في عذرها وبراءتها وحياناً يتنى في محاريب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيمة، وشهده لها بأنها من الطيبات، ووعدها المغفرة والرزق الكريم. وأخبر سبحانه وتعالى أن ما قبل فيها من الإفك كان خيراً لها، ولم يكن ذلك الذي قيل فيها شرّ لها ولا خافضاً من شأنها، بل رفعها الله بذلك وأعلى قدرها وأعظم شأنها، وصار لها ذكرًا بالطيب والبراءة بين أهل الأرض والسماء، فيما لها من منقبة ما أجلها! وتأمل هذا التشريف والإكرام الناشئ عن فرط تواضعها واستصغرها لنفسها حيث قالت: لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في يوحى ييـنـتـىـ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله × رؤيا بيرئني الله بها⁽³⁾. بهذه صديقة الأمة وأم المؤمنين وحب رسول الله ×، وهي تعلم أنها بريئة منه مظلومة، وأن قاذفيها ظالمون مفترون عليها، وقد بلغ أذاهم إلى أبويها وإلى رسول الله ×⁽⁴⁾. قال ابن كثير: ولما تكلم فيها أهل الإفك بالزور والبهتان غار الله فأنزل براءتها في عشر آيات من القرآن تتنى على الزمان.. وقد أجمع العلماء على تكثير من قذفها بعد براءتها⁽⁵⁾. وأما ما نزل بسببيها من الآيات وهي للأمة عامة فآية التيم و كانت رحمة وتسهيلاً لسائر الأمة، فقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة، رضي الله عنها، أنها استعانت من أسماء قладة فهلكت، فأرسل رسول الله × ناسداً من أصحابه في طلبها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء، فلما أتوا النبي × شدوا ذلك إليه، فنزلت آية التيم فقال أسماء بن حبيب: جزاكم الله خيراً، فوالله م

(1) البخاري، كفضائل الصحابة رقم 3768.

(2) البخاري رقم (4789).

(3) البخاري رقم (4141).

(4) جلاء الإفحام: ص(124، 125).

(5) البداية والنهاية (95/8)، تفسير القرآن العظيم (268/3).

انزل بك أمر تكر هينه إلا جعل الله لك وللمسلمين فيه خير⁽¹⁾.

7- كان رسول الله × يحرض على أن يمرض في بيته: فقد كانت وفاته × بين سحرها ونحرها وفي يومها، وجمع الله بين ريقه وريقها في آخر ساعة من ساعاته في الدنيا ، وأول ساعة من الآخرة، ودفن في بيتها⁽²⁾، فقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة، رضي الله عنها، أن رسول الله × لما كان في مرضه جعل يدور في نسائه ويقول: أين أنا غداً؟ حرصاً على بيت عائشة، قالت: فلما كان يومي سكن⁽³⁾، وعند مسلم عنها أيضاً قال: إن كان رسول الله × ليتقد يقول: «أين أنا اليوم، أين أنا غداً؟» استطاء ليوم عائشة، قالت: فلما كان يومي سكن بين سحر ونحر⁽⁴⁾، وروى البخاري أيضاً بإسناده عنها: أن رسول الله × كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: «أين أنا غداً، أين أنا غداً؟» يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه بأن يكون حيث شاء، فكان في بيته عائشة حتى مات عندها. قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور علىَّ فيه في بيتي، فقضى الله وإن رأسه لبين نحري وسحري، وخالط ريقه ريقني، ثم قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه مساواك يسكن به، فنظر إليه رسول الله، فقلت له: أعطني هذا السواك يا عبد الرحمن، فأعطانيه فقصمه، ثم مضغته، فأعطيته رسول الله × فاستن به، وهو مستعد إلى صدري. وفي رواية أخرى بزيادة: فجمع الله بين ريقه وريقه في آخر يوم من الذكر وأول يوم من الآخرة⁽⁵⁾.

8- إخباره × بأنها من أصحاب الجنة: فقد روى الحاكم بإسناده إلى عائشة، رضي الله عنها، قالت: قلت: يا رسول الله، من أزواجه في الجنة؟ قال: أما إنك منهن؟ قالت: فخيل إلىَّ أن ذلك أنه لم يتزوج بكرًا غيري⁽⁶⁾. وروى البخاري بإسناده إلى القاسم بن محمد أن عائشة اشتكت فجاء ابن عباس فقال: يا أم المؤمنين تقدمين على فرط صدق علی رسول الله ×، وعلى أبي بكر⁽⁷⁾. وفي هذا فضيلة عظيمة لعائشة، رضي الله عنها، حيث قطع لها بدخول الجنة إذ لا يقول ذلك إلا بتوفيق⁽⁸⁾.

9- فضل عائشة على النساء كفضل الثريد علىسائر الطعام: ما رواه الشيخان بإسنادهما إلى عبد الله بن عبد الرحمن أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله × يقول: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»⁽⁹⁾. قال التوسي: قال العلماء: معناه: أن الثريد من كل طعام أفضل من المرق، فثرید اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد، وثريد ما لا لحم فيه أفضل من مرقه، والمراد بالفضيلة نفعه والتسبيع منه وسهولة مساغه، والالتزام به وتيسير تناوله، وتمكن الإنسان من أخذ كفایته منه بسرعة وغير ذلك، فهو أفضل من المرق كله ومن سائر الأطعمة، وفضل عائشة على النساء زائد كزبادة فضل الثريد على غيره من الأطعمة. وليس في هذا تصريح بتفصيلها على مريم وأسمية لاحتمال أن المراد تفضيلها على نساء هذه الأمة⁽¹⁰⁾.

هذه بعض الأحاديث التي أشارت إلى فضل السيدة عائشة ومكانتها وسبقه؛ وعلو شد

(1) البخاري، رقم (336).

(2) سير أعلام النبلاء (2/189)، البداية والنهاية (95/8).

(3) البخاري، كـ فضائل الصحابة رقم (3774).

(4) مسلم، كـ الصحابة رقم (2443).

(5) البخاري، رقم (4451)، (4450).

(6) المستدرج (13/4) صحيح الإسناد ولم يخرجه ووافقة الذهبي.

(7) البخاري، رقم (3771)، فتح الباري، (108/7)، العقيدة في أهل البيت: ص(95).

(8) البخاري، رقم 3770.

(9) شرح صحيح مسلم (208/15).

(10) شرح صحيح مسلم (209).

أنها في الدين، وعظيم مكانتها، ومع هذا فقد تعرضت السيدة عائشة أم المؤمنين للطعن والتجريح والكذب والافتراء من قبل الشيعة الرافضة ومن تأثر برواياتهم المختلفة، وأثارهم الموضوعة، وجاءوا لآثار صاحب، وأحاديث مسندة صحيحة وأولوها على غير حقائقها ومرادها، كما فعل ذلك صاحب كتاب «ثم اهتديت» وهو لم يأت بجديد وإنما سار على منهاج أسلافه من سبقوه من الشيعة الروافض، وطعن في أم المؤمنين عائشة بقوله مار: والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم بها ليعلم إياه تطيعون أم هي⁽¹⁾. وليس في قول عمار هذا ما يطعن به على عائشة – رضي الله عنهما – بل فيه أعظم فضيلة لها، وهي أنها زوجة نبينا × في الدنيا والآخرة، فأي فضل أعد لهم من هذا؟! فإن غاية كل مؤمن من رضا الله والجنة، وعائشة – رضي الله عنها – قد تحقق لها ذلك بشهادة عمار – رضي الله عنه – الذي كان مُخالفاً لها في الرأي في تلك الفتنة، وأنها ستكون في أعلى الدرجات في الجنة بصحبة رسول الله ×⁽²⁾، وبهذا قد جاء الحديث الصحيح المرفوع للنبي ×، على ما روى الحكم في المستدرك من حديث عائشة – رضي الله عنها – أن النبي × قال لها: أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة؟ قالت: بلى والله، قال: فانت زوجتي في الدنيا والآخرة⁽³⁾. فيكون هذا الحديث من أعلم فضائل عائشة – رضي الله عنها – ولذا أورد البخاري الأثر السابق عن عمار في مناقب عائشة رضي الله عنها⁽⁴⁾، وأما قوله في الجزء الأخير من الأثر: ولكن الله ابتلاكم لا تتبعوه أو إياها⁽⁵⁾. وليس بمطعن على أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – وبين ذلك من وجوه:

أ- أن قول عمار هذا يمثل رأيه، وعائشة – رضي الله عنها – ترى خلاف ذلك، وأن ما هي عليه هو الحق، وكل منهما صاحبى جليل، عظيم القدر في الدين والعلم، وليس قول أحدهما حجة على الآخر⁽⁶⁾.

ب- أن غاية ما في قول عمار هو مخالفتها أمر الله في تلك الحالة الخاصة، وليس كذلك مخالف مذموماً حتى تقوم عليه الحجة بالمخالفة ويعلم أنه مخالف، وإلا فهو معذور إلا لم يتعد المخالفة، فقد يكون ناسياً أو متولاً فلا يؤخذ بذلك.

ج- أن عماراً – رضي الله عنه – ما قصد بذلك ذم عائشة ولا انتقادها، وإنما أراد أن يبين خطأها في الاجتهاد نصحاً للأئمة، وهو مع هذا يعرف لأم المؤمنين قدرها وفضلها⁽⁷⁾، وقد جاء في بعض روایات هذا الأثر عن عمار أن عماراً سمع رجلاً يسب عائشة، فقال: اسكت مقبوحاً منبوزاً، والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أطييعوه أو إياها⁽⁸⁾. وأما قول الشيعة الروافض؛ أن النبي × قام خطيباً، فأشار نحو مسكن عائشة فقال: هنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان، وطعنهم على عائشة – رضي الله عنها – بذلك وزعمهم أن الرسول × أراد أن الفتنة تخرج من بيتها. فهو ذا الكلام فيه تضليل وقلب للحقائق، وتديليس على من لا علم عنده من العامة، وذلك بتقسيمه قول الراوي: فأشار (نحو مسكن عائشة) على أن الإشارة كانت لبيت عائشة وأنها سبب الفتنة، والحديث لا يدل على هذا بأي وجه من الوجوه، وهذه العبارة لا تحتمل هذا الفهم عند من له أدنى معرفة بمقاصد الكلام، فإن الراوي قال: أشار نحو مسكن عائشة،

(1) البخاري، كـ فضائل الصحابة رقم (3772).

(2) الانصار للصحاب والآل ص: (448).

(3) المستدرك (10/4)، الصحيح المسند لمصطفى العدوى: ص(356).

(4) البخاري رقم (3772).

(5) البخاري رقم (3772).

(6) الانصار للصحاب والآل: ص(448).

(7) الانصار للصحاب والآل: ص(450)، (451).

(8) البداية والنهاية (7/248).

ولم يقل: إلى جهة مساكن عائشة، والفرق بين التعبيرين واضح وجلي، وهذه الرواية التي ذكرها أخراجها البخاري في كتاب فرض الخمس⁽¹⁾، وهذا الحديث قد جاء مخرجًا في كتب السنة من الصحاحين وغيرهما من عدة طرق وبأكثر من لفظ، وجاء النص فيها على البلاط المشار إليها بما يدحض دعوى الشيعة الروافض، ويغنى عن التكليف في الرد عليهم بأى شيء آخر، وهو هي ذي بعض روايات الحديث من عدة طرق عن ابن عمر - رضي الله عنهما -، فعن ليث عن نافع عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه سمع رسول الله × وهو مستقبل المشرق يقول: «ألا إن الفتنة هنا من حيث يطلع قرن الشيطان»⁽²⁾، وعن عبيد بن عمر قال: حدثني نافع عن ابن عمر أن رسول الله × قام عند باب حصة فقال بيده نحو المشرق: «الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان» قال لها مرتين أو ثلاثة، وعن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله × قال وهو مستقبل المشرق: «ها إن الفتنة هنا، ها إن الفتنة هنا، ها إن الفتنة هنا، ها إن الفتنة هنا من حيث يطلع قرن الشيطان»⁽⁴⁾. وفي هذا الروايات تحديد صريح للجهة المشار إليها وهي جهة المشرق، وفيها تفسير للمرة صود بالإشارة في الرواية التي ذكرها الشيعة الروافض⁽⁵⁾، كما جاء في بعض الروايات الأخرى للحديث تحديد البلاط المشار إليها، فعن نافع عن ابن عمر قال: ذكر النبي × فقل: «اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا»⁽⁶⁾، فأظنه قال في الثالثة: هناك الزلازل والفتنة وبها يطلع قرن الشيطان⁽⁷⁾.

وعن سالم بن عبد الله بن عمر أنه قال: يا أهل العراق، ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة، سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله × يقول: إن الفتنة تجيء من هنا وأوْمًا بيده نحو المشرق، من حيث يطلع قرن الشيطان⁽⁸⁾. وفي بعض الروايات جاء ذكر بعض من يقطن تلك البلاد من القبائل ووصف حال أهلها، فعن أبي مسعود قال: أشار رسول الله × بيده نحو اليمن فقال: «ألا إن الإيمان هنا، وإن القسوة وغلظ القلب في الفدائيون»⁽⁹⁾، وعند أصول أذناب الإبل، حيث يطلع قرن الشيطان في ربعة ومضر»⁽¹⁰⁾. فدللت هذه الروايات دلالة قطعية على بيان مراد النبي × من قوله: الفتنة (هنا) وأن المقصود بذلك بلاد المشرق، حيث جاءت الروايات مصريحةً بهذا، كما جاء في بعضها وصف أهل تلك البلاد وتبين بعض قبائلها، مما يظهر به بطلان ما ادعى الشيعة الروافض من أن الإشارة كانت إلى بيت عائشة، فإن هذا قول باطل، ورأى ساقط، لم يفهمه أحد وما قال به سوى الشيعة الروافض⁽¹¹⁾.

10- المفاضلة بين عائشة وخديجة وفاطمة رضي الله عنهن: قال ابن تيمية: وأفضل نساء هذه الأمة خديجة وعائشة وفاطمة، وفي تفضيل بعضهن على بعض نزاع⁽¹²⁾. وبعد ل ابن تيمية عن خديجة وعائشة أمي المؤمنين أيهما أفضل؟ فأجاب: بأن سبق خديجة وتأثرها في أول الإسلام ونصرها وقيامتها في الدين لم تشاركها فيه عائشة ولا غيرها من مهمات المؤمنين، وتتأثر عائشة في آخر الإسلام وحمل الدين وتبلغه إلى الأمة وإدراكتها

(1) البخاري رقم (3104).

(2) البخاري رقم (7093)، مسلم رقم (2905).

(3) مسلم، ك الفتن (2229/4).

(4) مسلم، ك الفتن (2229/4).

(5) الانصار للصحب والآل: ص (453).

(6) نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق.

(7) البخاري رقم (7095).

(8) مسلم، ك الفتن من المشرق (4/2229).

(9) الفدالون: الذين تعلو أصواتهم في حروفهم ومواثيدهم.

(10) البخاري رقم (3302)، الانصار للصحب والآل ص (455).

(11) الانصار للصحب والآل: ص (455).

(12) مجموع الفتاوى (394/4).

من العلم ما لم تشاركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها⁽¹⁾, وقال ابن حجر: وقيل انعقد الإجماع على أفضلية فاطمة وبقى الخلاف بين عائشة وخديجة⁽²⁾, وقال في شرح حديث أبي هريرة أن جبريل أتى النبي × وأمره أن يقرئ خديجة السلام من ربها وفيه قال السهيلي: استدل بهذه القصة أبو بكر بن داود على أن خديجة أفضل من عائشة لأن عائشة سلم عليها جبريل من قبل نفسه، وخدية أبلغها السلام من ربيها، وزعم ابن العربي أنه لا خلاف في أن خديجة أفضل من عائشة، ورد بأن الخلاف ثابت قديماً، وإن كان الراجح أفضلية خديجة بهذا وبما تقدم⁽³⁾. عند التحقيق والنظر في النصوص الوراثة في تفضيل كل واحدة منهن - رضي الله عنهن- نجد أنها تدل على أفضلية خديجة وفاطمة ثم عائشة رضي الله عنهن، وذلك لقوله ×: «لقد فضلت خديجة على نساء أمتي»⁽⁴⁾, وقال ×: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وأسيمة»⁽⁵⁾, قال ابن حجر: وهذا نص صريح لا يحتمل التأويل⁽⁶⁾, وقال ×: «حسبك من نساء العالمين: مريم ابنة عمران وخدية بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وأسيمة امرأة فرعون»⁽⁷⁾. وهذا نص في أن خديجة رضي الله عنها أفضل نساء الأمة، ثم إن اللفظ الوارد في تفضيل فاطمة رضي الله عنها وهو قوله ×: «يا فاطمة لا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة؟»⁽⁸⁾. وفي لفظ: «سيدة نساء أهل الجنة»⁽⁹⁾, فهو صريح لا يبس فيه ولا يحتمل التأويل، وهو نص في أنها أفضل نساء الأمة وسيدة نساء أهل الجنة، وقد شاركت أمها في هذا التفضيل فهي وأمها أفضل نساء أهل الجنة، وهي وأمها أفضل نساء الأمة، بهذا وردت النصوص⁽¹⁰⁾, وأما ما ورد في تفضيل عائشة، رضي الله عنها، في قوله ×: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» فهو لفظ لا يستلزم الأفضليّة المطلقة كما قال ابن حجر⁽¹¹⁾: وليس فيه تصريح بأفضليّة عائشة، رضي الله عنها، على غيرها، لأن فضل الثريد على غيره من الطعام إنما هو لما فيه من تيسير المأونة وسهولة الإساغة، وكان أجل طعمتهم يومئذ، وكل هذه الخصال لا تستلزم ثبوت الأفضليّة له من كل وجهة، فقد يكون مفضولاً بالنسبة لغيره من جهات أخرى⁽¹²⁾. فالحادي ث إدّا دال على أفضليّة عائشة، رضي الله عنها، على سائر نساء هذه الأمة ماعدا خديجة وفاطمة، رضي الله عنهما، لورود الدليل على ذلك مما قيد تلك الأفضليّة لعائشة، رضي الله عنها⁽¹³⁾, وأما ما ورد من حديث عمرو بن العاص لما سأله النبي ×: أي النساء أحب إليك؟ فقال ×: عائشة⁽¹⁴⁾. فقد أشار ابن حبان إلى أنه مقيد في نسائه × إذ عقد عنواناً في صحيحة فقال: ذكر خبر وهم في تأويله من لم يحكم صناعة الحديث، وساق تحته حديث عمرو بلفظ: قلت: يا رسول الله أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقلت: إني لست أعنى النساء وإنما أعنى الرجال، فقال: أبو بكر أو قال: أبوها. ثم قال ابن حبان: أذك

(1) المصدر نفسه (393/4).

(2) فتح الباري (109/7).

(3) فتح الباري (139/7).

(4) فتح الباري (135/7).

(5) الإحسان لابن حبان (73/9)، صحيح الجامع لللباني (371/1).

(6) فتح الباري (135/7).

(7) ضئائل الصحابة (755/2) رقم (1325) وصححه الألباني في تخريج المشكاة (1745/3).

(8) البخاري رقم (6285).

(9) فتح الباري (105/7).

(10) العقيدة في أهل البيت: ص (97).

(11) فتح الباري (107/7).

(12) المصدر نفسه (447/6).

(13) العقيدة في أهل البيت: ص (97).

(14) البخاري رقم (4358).

ر الخبر الدال على أن مخرج السؤال كان عن أهله دون سائر النساء من فاطمة وغيرها ، وأخرج بسنته عن أنس قال: سئل رسول الله ﷺ: من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة قيل له: ليس عن أهلك نسألك ، قال: فأبواها⁽¹⁾! وبهذا يتبين أن عائشة، ثلث خديجة وفاطمة في الفضل، رضي الله عنها. إذًا فكل ما ورد من دليل على عموم تقديرها رضي الله عنها مقيد بالنص الوارد في خديجة وفاطمة، رضي الله عنها، ولا ينكر أن لعائشة، رضي الله عنها، من الفضائل كالعلم مثلاً ما تختص به عن خديجة وفاطمة رضي الله عنها، إلا أنه لا يلزم من ثبوت خصوصية شيء من الفضائل ثبوت الفضل المطلق⁽²⁾، وعلى كل حال فليس فضل إداهن على الأخرى بمطعن على المفضولة، بل في هذا أكبر دليل على علو مكانة هؤلاء النساء الثلاث فاطمة و خديجة و عائشة رضي الله عنهم؛ حيث إن الخلاف لم يخرج عنهن في أنهن أفضل نساء الأمة، فما الذي يضر أم المؤمنين عائشة لو كانت ثالثة نساء الأمة في الفضل؟! وهل هذا مدعاة لاحتراهما وتقديرها أم للنيل منها و الطعن فيها، كما يفعل الشيعة الروافض؟!⁽³⁾

* هل استباحت السيدة عائشة أم المؤمنين قتال المسلمين في معركة الجمل؟: قد تقدم أنها ما خرجت بذلك وما أرادت القتال، وقد نقل الزهري عنها أنها قالت بعد موقعة الجمل: إنما أريد أن يحجز بين الناس مكاني، ولم أحسب أن يكون بين الناس قتال، ولو علمت ذلك لم أقف بذلك الموقف أبداً⁽⁴⁾. وهذا القول بأن السيدة عائشة استباحت قتال المسلمين بباطل لا يثبت أمام الروايات الصحيحة التي بينت أن عائشة ما خرجت إلا للإصلاح مما مر معنا، وإنما هذه الأقوال من الروايات التي وضعتها الشيعة الروافض، والتي شوهدت تاريخ صدر الإسلام، وجعلت مما حدث بين على وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم حرباً أهلية، وتآثر بعض الباحثين بتلك الروايات حتى قال بعضهم: وأسرت عائشة، ويصورون المسألة كحرب أهلية مخطط لها، وهو قول طبيعى من باحثين لا يستقون معلوماتهم في هذا الشأن إلا من الروايات المقدوحة، ومن المصادر غير الموثوق بها مثل الإمامية والسياسة، والأغاني، ومروج الذهب، وتاريخ اليعقوبي، بل وتاريخ التمدن الإسلامي لجورج زيدان⁽⁵⁾.

* هل يصح هذا الحديث: قاتلين علياً وأنت له ظالمة؟ إنه لا يعرف في شيء من كتاب العلم المعتمدة، ولا له إسناد معروف، وهو بالموضوعات المذكورة أشبه منه بالأحاديث الصحيحة، بل هو كذب قطعاً، فإن عائشة لم تقاتل، ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين الناس.. لا قاتلت ولا أمرت بقتل، هكذا ذكر غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار⁽⁶⁾.

* أمير المؤمنين على رضي الله عنه يرد عائشة إلى مأمنها معززة مكرمة: جهز أمير المؤمنين على عائشة بكل شيء ينبعي لها من مركب وزاد ومتاع، وأخرج معها من نجا من خرج معها إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وقال: تجهز يا محمد «ابن الحنفية»، فبلغها، فلما كان اليوم الذي ترحل فيه جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس، فخرجت على الناس، وودعواها وودعهم وقالت: يا بني، تعب بعضاً على بعض استبطاء واسترادة، فلا يعتدين أحد منكم على أحد بشيء

(1) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (11/9).

(2) فتح الباري (7/108)، العقدة في أهل البيت: ص(98).

(3) الانصار للصحاب والآل: ص(461).

(4) المغازى للزهري: ص(154).

(5) انظر: دراسة وتحليل للعهد النبوى الأصيل، محمد جميل، الحزبية السياسية، رياض عيسى، الحرية م السياسي، النبي والنساء، الدولة العربية فلهاؤزن، نقاً عن دور المرأة السياسي، ص(442).

(6) منهاج السنة (2/185).

ء بلغه من ذلك، إنه والله ما كان بيني وبين على في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحmateها، وإنما عندي على معتبرتي من الأخيار.. وقال على: يا أيها الناس، صدقتو والله برت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيك × في الدنيا والآخرة. وخرجت يوم السبت لـ غرة رجب سنة ست وثلاثين، وشيعها على أميالاً وسرح بنبيه معها⁽¹⁾ يوماً. وبناتك المعاشرة الكريمة من أمير المؤمنين على رضي الله عنه نراه قد اتبع ما أوصاه به النبي الأمّة × عندما قال له: «إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر». قال: أنا يا رسول الله؟ قال: نعم. قال: أنا؟ قال: نعم. قلت: فأنا أشقاهم يا رسول الله. قال: لا، ولكن إذا كان ذلك فارددتها إلى مأمنها»⁽²⁾. وقد خالف الصواب من ظن أن خروج أم المؤمنين إلى البصرة كان لشيء في نفسها من على رضي الله عنه لموقفه منها في حديث الإفك حين رماها المنافقون بالفاحشة فاستشاره النبي × في فرافقها. فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سوأها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك⁽³⁾. وهذا الكلام الذي قاله على إنما حمله عليه ترجيح جانب النبي ×، لما رأى عنده من الفلق والغم بسبب القول الذي قيل، وكان شديد الغيرة، فرأى على أنه إذا فارقها سكن ما عنده من الفلق بسببها إلى أن يتتحقق براءتها، فيمكن رجعتها، ويستفاد منه ارتکاب أخف الضررين لذهب أشدتها⁽⁴⁾. قال التنووي: رأى على أن ذلك هو المصلحة في حق النبي ×، واعتذر ذلك لما رأى من انزعاجه، فبذل جهده في النصيحة، لإرادة راحة خاطره⁽⁵⁾. وعلى رضي الله عنه لم ينزل عائشة رضي الله عنه بها بأذني كلمة يفهم منها أنه قد عرض بأخلاقها أو تتallowها بسوء، فإنه على الرغم من قوله للنبي ×: لم يضيق الله عليك⁽⁶⁾، إلا أنه عاد فقال لرسول الله × ناصحاً: وسلم الجارية تصدقك⁽⁷⁾. فهو قد دعاه إلى التحرّي أولاً قبل أن يفارقها، أي أنه قد رجع عن نصيحته لأولى بالمقارنة إلى نصيحة أخرى بسؤال الجارية، وتحرّي الحقيقة⁽⁸⁾، وقد سأله رسول الله × الجارية التي كانت أكثر التصادفًا بعائشة، فأكيدت أنها ما علمت من أمر عائشة إلا خيراً، وقد خرج رسول الله × من يومه الذي سأله في الجارية، واستعد من عبد الله بن أبي قانلاباً: يا معاشر المسلمين من يعذرني من رجل بلغني أذاته في أهل بيتي، فوالله ما علمنت على أهلي إلا خيراً⁽⁹⁾. لقد كانت نصيحة على في صالح عائشة، فقد أزداد × قناعة بما علم من خير في أهله⁽¹⁰⁾. ولم يكن موقف على في حادثة الإفك هو الذي جعل عائشة تغضب منه رضي الله عنه لأجله، أو تحقد الحقد الذي يجعلها تتهمه زوراً بقتل عثمان، وتخرج عليه مؤلبة الأعداد الهائلة من المسلمين، كما زعم كثير من الباحثين من تورط في روایات الشيعة الرافضة التي لفقوها ووضعوها.

* ندمهم على ما حصل منهم: قال ابن تيمية:.. وهكذا عامة السابقين، ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قد صد في القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم⁽¹¹⁾.

أ- فامير المؤمنين على ورد عنه عندما نظر وقد أخذت السيف مأخذها من الرجال

(1) تاريخ الطبرى (581/5).

(2) مسند أحمد (393/6) إسناده حسن.

(3) البخاري رقم (4786).

(4) نور المرأة السياسي: ص(462).

(5) شرح التنووي على صحيح مسلم (634/5).

(6) البخاري رقم (4786).

(7) البخاري رقم (4786).

(8) نور المرأة السياسي: ص(462).

(9) البخاري رقم (4786).

(10) نور المرأة السياسي: ص(462).

(11) المتنقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، ص(222).

، أنه قال: لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة⁽¹⁾.

بـ- وروى نعيم بن حماد، بسنده إلى الحسن بن على، أنه قال لسليمان بن صرد: لقد رأيت علياً حين اشتد القتال وهو يلوذ بي، ويقول: يا حسن، لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة⁽²⁾.

جـ- وعن الحسن بن على قال: أراد أمير المؤمنين على أمرًا، فتابعت الأمور، فلم يجد منزعاً⁽³⁾.

دـ- وعن سليمان بن صرد، عن الحسن بن على أنه سمع علياً يقول - حين نظر إلى السببوف قد أخذت القوم: يا حسن أكل هذا فينا؟ ليتني مت قبل هذا بعشرين أو أربعين سنة⁽⁴⁾.

هـ- وأما عائشة: فقد ورد عنها أنها كانت تقول حين تذكر وقعة الجمل: وددت أنني كنت جلست كما جلس أصحابي، وكان أحب إلى أن يكون ولدت من رسول الله × بضعة عشر، كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، ومثل عبد الله بن الزبير⁽⁵⁾.

وـ- وكانت إذا قرأت قوله تعالى: +وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ+ [الأحزاب: 33] تبكي حتى تبل خمارها⁽⁶⁾.

زـ- قالت عائشة: وددت أن لو كان لي عشرون ولدًا من رسول الله × وكلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وأنى ثكلتهم، ولم يكن ما كان مني يوم الجمل⁽⁷⁾.

حـ- قال ابن تيمية: فإن عائشة لم تقائل، ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنت أن خروجها مصلحة للمسلمين، ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى، فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبل خمارها، وهكذا عامنة النساء باقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعلى وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم⁽⁸⁾.

طـ- قال الذهبي: ولا ريب أن عائشة ندمت ندمة كليلة على مسيرها إلى البصرة، وصورها يوم الجمل، وما ظنت أن الأمر يبلغ ما بلغ⁽⁹⁾.

ثامنًا: سيرة الزبير بن العوام واستشهاده:

هو أبو عبد الله الزبير بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدى⁽¹⁰⁾، ويجمع مع النبي × في قصي، وهو حواري رسول الله وابن عمته، أمه صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد أصحاب الشورى⁽¹¹⁾، أسلم وهو حدث وله ست عشرة سنة⁽¹²⁾، ولم يختلف عن زوجها رسول الله⁽¹³⁾، وقد تعرض بعد إسلامه للتعذيب، فقد روى أن عم الزبير كان يعلقه في حصير ويدخن عليه الد

(1) الفتن لنعيم بن حماد (80/1).

(2) الفتن لنعيم بن حماد (80/1).

(3) المصدر نفسه (81/1).

(4) أحداث وأحاديث فتن الهرج. ص(217).

(5) الفتن، نعيم بن حماد (81/1).

(6) سير أعلام النبلاء (2) (177/2)، الطبقات (81/8).

(7) التمهيد للبلاني: ص(232)، عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي كان من نبلاء الرجال وهو من أشرف نبى مخزوم، توفي قبل معاوية.

(8) المنقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض: ص(222، 223).

(9) سير أعلام النبلاء (177/2).

(10) الإصابة (526/1-528).

(11) الطبقات الكبرى (100/3)، الإصابة (526/1-528).

(12) سير أعلام النبلاء (41/1).

(13) سير السلف (226/1) الرواية مرسلة.

ار وهو يقول: ارجع إلى الكفر، فيقول الزبير: لا أكفر أبداً⁽¹⁾.

1- أول من سلَّ سيفه في سبيل الله: عن سعيد بن المسيب، قال: أول من سلَّ سيفه في ذات الله الزبير بن العوام، وبينما الزبير بن العوام قائل إذ سمع نغمة: أن رسول الله قُتل، فخرج من البيت متجرداً السيف صلاته، فلقيه رسول الله × كففة⁽²⁾، فقال: «ما شأتك يا زبير؟» قال: سمعت أنك قُتلت، قال: «فما كنت صانعاً؟» قال: أردت والله أن أستعرض أهل مكة، قال: فدعوا له النبي × بخير». قال سعيد: أرجو أن لا تضيع له عند الله عز وجل دعوة النبي ×⁽³⁾.

2- هجرته للحبشة: ولما اشتتد إيداء قريش لرسول الله × ولأصحابه وأشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة ليكونوا في جوار «النجاشي» ذلك الملك العادل، فكانوا عنده بخير دار مع خير جار، وظلوا على تلك الحال من الأمان والاستقرار إلى أن نزل رجل من الحشة لينازع النجاشي في الملك، فحزن المسلمون لذلك حزناً شديداً وخافوا أن يظهر ذلك الرجل، وهو لا يعرف حق الصحابة الأطهار ولا يعرف قدرهم، وهنا أراد الصحابة - رضي الله عنهم - أن يعرفوا أخبار الصراع الدائر بين النجاشي وبين هذا الرجل على جانب الآخر من النيل⁽⁴⁾. قالت أم سلمه - رضي الله عنها: فقال أصحاب رسول الله × وعلى الله وسلم: من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتيانا بالخبر؟ قالت: فقال زبير بن العوام: أنا. قلوا: فأنت؟ وكان من أحدث القوم سنًا. قالت: فنفحوا له قربة فجعلوها في صدره، ثم سبع عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقي القوم، ثم انطلق حتى حضرهم. قالت: فدعوه⁽⁵⁾ ثم أعلى ذلك متوقعون لما هو كائن، إذ طلع الزبير وهو يسعى، فلم يلاده، قالت: فوالله إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو عدوه، والتمكين له في ثوبه وهو يقول: ألا أبشرُوا، فقد ظفر النجاشي، وأهلك الله عدوه ومكَن له في بلاده.⁽⁵⁾ وبعد رجوع الزبير من الحبشة إلى مكة قام في كتف الحبيب المصطفى رسول الله ×، يدققى منه مبادئ الإسلام وأوامره ونواهيه، وعندما هاجر رسول الله للمدينة كان الزبير ضمن المهاجرين إليها.

3- في غزوة بدر: كان الزبير رضي الله عنه فارسًا مقداماً، وبطلاً مغواراً، لم يتذلّف عن مشهد واحد من المشاهد، تراه في كل غزوة وفي كل معركة، فقد اتصف بالشجاعة الخارقة، والبطولة النادرة، والإخلاص الكامل، والتفاني لإعلاء كلمة الحق⁽⁶⁾، ولم يذلّف الزبير، رضي الله عنه، الكثير في سبيل الله، وجعل نفسه وماليه وقفًا لله - عز وجل - فلكرمه الله ورفعه في الدنيا والآخرة، فقد كانت عليه عمامة صفراء معترجاً بها يوم بدر، فعن عروة أنه قال: كانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء فنزل جبريل عليه سيماء الزبير⁽⁷⁾. فيقال لها من منقبة لا توازيها الدنيا بما فيها، وفيه يقول عامر بن صالح بن عبد الله بن الزبير:

جَدِّيْ ابْنِ عَمَّةِ أَحْمَدَ وَوَزِيرِهِ

عَنِ الْبَلَاءِ وَفَارِسُ الشَّقَاءِ

شَهَدَ الْوَغْيَ فِي الْأَلْمَةِ الصَّفَاءِ

وَغَدَةَ بَدْرَ كَانَ أَوْلَ فَارِسَ

(1) الطبراني في الكبير (122/1).

(2) كففة أي مواجهة كان كل واحد منها قد كف صاحبه عن محاوزته إلى غيره.

(3) فضائل الصحابة (914/2) رقم 1260 أسناده ضعيف حسن لغيره.

(4) السيرة لابن هشام (1)، أصحاب الرسول (274/1).

(5) السيرة النبوية لابن هشام (1)، (279/1).

(6) هل الشورى السنة، رياض العبد الله: ص (67).

(7) الطبراني في الكبير رقم 230 مرسلاً صحيح الإسناد، سير أعلام النبلاء (46/1).

نزلت بسيماه الملائكة ذُصرة

بالحوض يوم تأب الأعداء⁽¹⁾

وعن الزبير قال: لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدحج لا يُرى منه إلا عيناه، وهو يكنى أبا ذات الكرش، فقال: أنا أبو ذات الكرش، فحملت عليه فطعنته في عينيه فمات، قال الزبير: لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطأت فكان الجهد أن نزعتها وقد أثرت طرفاها. فسأله إياها رسول الله فأعطاه، فلما قبض رسول الله × أخذها ثم طلبها أبو بكر فأعطاه إياها، فلما قبض أبو بكر سأله إياها عمر فأعطاه إياها، فلما قتل عثمان وقع ت عند آل على، فطلبها عبد الله بن الزبير، فكانت عنده حتى قتل⁽²⁾.

هذا الخبر يصور لنا دقة الزبير بن العوام في إصابة الهدف، حيث استطاع أن يضع الحرابة في عين ذلك الرجل مع صيق ذلك المكان، وكونه قد وزع طاقته بين الهجوم والدفاع، فلقد كانت إصابة ذلك الرجل بعيدة جدًا لكونه حمى جسمه بالحديد الواقي، لكن الزبير استطاع إصابة إحدى عينيه، فكانت بها نهاية، ولقد كانت الإصابة شديدة العمق مما يدل على قوة الزبير الجسدية، إضافة إلى دقته ومهارته في إصابة الهدف⁽³⁾. وقد كان يوم بدر مع رسول الله × فارسان: الزبير على فرس على الميمنة والمقداد بن الأسود على فرس على الميسرة⁽⁴⁾.

4- في غزوة أحد: قال الزبير رضي الله عنه: جمع لي النبي × أبويه يوم أحد⁽⁵⁾، وهذا دليل على قتاله وبأسه في تلك المعركة، فقد اتصف رضي الله عنه بالثبات والعزمية وحب الشهادة في سبيل الله تعالى، وقد وصف لنا رضي الله عنه ما فعله أبو دجانة الأذناري في تلك الغزوة، فعندما التحم الجيشان واشتدا القتال، وشرع رسول الله × يشذ هم أصحابه، ويعمل على رفع معنوياته وأخذ سيفاً وقال: من يأخذ مني هذا؟ فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا أنا – وكان من ضمنهم الزبير – قال: فمن يأخذ بحقه؟ فاحجم القوم، فقال سماك بن خرشة أبو دجانة: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به العدو حتى ينتحني. قال: أنا أخذه بحقه. دفعه إليه وكان رجلاً شجاعاً يختال عند الحر بـ – أي يمشي مشية المتكبر – وحين رأه رسول الله × يتذكر بين الصفين قال: إنها لا مشية يبغضها الله إلا في هذا الوطن⁽⁶⁾. ووصف الزبير بن العوام ما فعله أبو دجانة يوم أحد فقال: وجدت في نفسي حين سالت رسول الله × السيف فمنعنيه وأعطيه أبا دجانة وتركتني، والله لأنظرن ما يصنع، فاتبعته فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه، فقتلت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت – وهكذا كانت تقول له إذا تعصب – فخرج وهو يقول:

ونحن بالسفح لدى النخيل

أنا الذي عاهدني خليبي

أضرب بسيف الله والرسول⁽⁸⁾

أن لا أقوم الدهر في الكيول⁽⁷⁾

فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله، وكان من المشركين رجل لا يدع جريحاً فالتقى إلا ذف

(1) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين: ص(501).

(2) صحيح البخاري، ك المغازي رقم (3998).

(3) التاريخ الإسلامي (163/4).

(4) سير أعلام النبلاء (46/1) والرواية مرسلة.

(5) فضائل الصحابة (918/2) رقم (1267) إسناده صحيح.

(6) مسلم، ك فضائل الصحابة رقم 2470.

(7) الكيول: مؤخرة الصفوف.

(8) البداية والنهاية (17/4).

ف(١) عليه، فجعل كل منهما يدنو من صاحبه، فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقىما فاختلما ضربتني، فضرب المشرك أبا دجانة فانقاد بدرقه فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتلته ، ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها فقلت: الله رسوله أعلم^(٢).

قال ابن إسحاق: قال أبو دجانة: رأيت إنساناً يحمل الناس حماساً شديداً فصمدت له فلما حملت عليه السيف ولوّل، فإذا امرأة، فأكرمت سيف رسول الله أن أضرب به أمرأة⁽³⁾، وعن هشام عن أبيه، قالت عائشة: يا ابن أخي كان أبواك - يعني الزبير وأبا بكر - من +الذين أستحبّنهم وآثرناهم+ من بعدهم مَا أصابهم بالقرح" [آل عمران: 172].

لما انصرف المشركون من أحد، وأصاب النبي × وأصحابه ما أصابهم، خاف أن يرجعوا، فقال: من ينتدبه لهؤلاء في آثارهم، حتى يعلموا أنّ بنا قوة، فانتدب أبو بكر والزبير في سبعين، فخرجوا في آثار المشركين، فسمعوا بهم فانصرفوا، قال تعالى: **قَلَبُوا بِنَذْعَمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضَلُّ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ** [آل عمران: 174] لم يلقوا عدوًّا⁽⁴⁾، ولما استشهد حمزة بن عبد المطلب، رضي الله عنه، في أحد جاءت أم الزبير صفية بنت عبد المطلب لتنتظر إلى أخيها، وقد مثل به المشركون فجدوا أنفسه وبقروا بطنه، وقطعوا أنديه ومذاكيه، فقال رسول الله لابنها الزبير بن العوام: «اللهم فأرجعها، لا ترى ما بأخيها»، فقال لها: يا أمه، إن رسول الله × يأمرك أن ترجعي، قالت: ولم؟ وقد بلغني أنه قد مثل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك، لأنّ حبسه ولأصبرن ، إن شاء الله، فلما جاء الزبير بن العوام، رضي الله عنه، إلى رسول الله فأخبره بذلك، قال: «خل سبيلها»، فانته فنظرت إليه فصلت عليه واسترجمت⁽⁵⁾، واستغرت له⁽⁶⁾، وجاء في روایة عن عروة قال: أخبرني أبي الزبير أنه لما كان أحد أقبلت امرأة تسعى، حتى إذا كادت أن تشرف على القتل، قال: فكره النبي × أن تراهم، فقال: «المرأة المرأة». قال الزبير: فتوسمت أنها أمي صفية، قال: فخرجت أسعى إليها، فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتل، قالت: فلَدَمَتْ في صدرِي، وكانت امرأة جلدة، قالت: إليك، لا أرض لك. قال: فقلت: إن رسول الله × عزم عليك. قال: فوقفت، وأخرجت ثوبين معها، قالت: هذان ثوابان جئت بهما لأخي حمزة، فإذا إلى جانبه رجل من الأنصار قتيل، وقد فعل به كما فعل بحمزة، قال: فوجدنا غضاضة وحياة أن نكفن حمزة في ثوبين، والأنصار لا ي肯ون له، فقلنا: لحمزة ثوب، والأنصار يثوب، فقدرناهما فكان أحدهما أكبر من الآخر، فأقر عنا بينهما، فكفنا كل واحد منهما في الثوب الذي طار له⁽⁷⁾.

5- في غزوة الخندق: (لكل نبی حواریٰ و حواریٰ الزبیر) ⁽⁸⁾: قال رسول الله ﷺ
وم الخندق: من يأتينا بخبر بنی قریظة؟ فقال الزبیر: أنا، فذهب على فرس، فجاء بخبره
م. ثم قال الثانية، فقال الزبیر: أنا، فذهب، ثم الثالثة، فقال النبی ﷺ: «لکل نبی حواریٰ ،
وحواریٰ الزبیر» ⁽⁹⁾، ومعنى قوله ﷺ: و حواریٰ الزبیر: أي: خاصتی من أصحابی ونا
صری، ومنه الحواریون أصحاب عیسیٰ عليه الصلوٰۃ والسلام، أي خلصاؤه وأنصاره،

(1) دف: أجهز عليه.

البداية والنهاية (18/4).

. (3) البداية والنهاية (18/4)
الإجابة: (1037)

البخاري رقم (4077).

(5) استرجعت: قالت: إنما الله وإنما إله راجعون.
 (6) السيدة فاطمة لاذعة هشام (108/3)

السيرة النبوية لابن حسام
مسند أحمد (34/3) الموسى

مسند احمد (34/3) الموسى
مسلم رقم (2414) 8

8 مسلم رقم .(2414)
9 مسلم رقم .(2414)

سیمین رسم (۹)

فالحواري هو الناصر المخلص، فالحديث أشتمل على هذه المنقبة العظيمة التي تميز بها الزبير، رضي الله عنه، ولذلك سمع عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، رجلاً يقول: أنا ابن الحواري، فقال: إن كنت من ولد الزبير وإلا فلا⁽¹⁾. وجاء في عمدة القاري شرح صحح البخاري للعيني: فإن قلت: الصحابة كلهم أنصار رسول الله عليه الصلاة والسلام خلصاء فما وجه التخصيص به؟ قلنا: هذا قاله حين قال يوم الأحزاب: من يأتيني بخبر الف وم؟ قال الزبير: أنا، قال: من يأتيني بخبر القوم؟ فقال: أنا، وهكذا مرة ثالثة ولا شك أنه في ذلك الوقت نصر نصرة زائدة على غيره⁽²⁾. وقد فداه رسول الله × يوم الأحزاب بأبيه وأمه؛ فعن عبد الله بن الزبير قال: كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر بن أبي سلمه ففي النساء فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلىبني قريطة مرتين أو ثلاثة فلما رجعت قلت: يا أبا رأيتك تختلف، قال: وهل رأيتني يا بنى؟ قلت: نعم، قال: كان رسول الله × قال: من يأتيبني قريطة فیأتینی بخبرهم؟ فانطلق فلما رجعت جمع لي رسول الله × أبويه فقال: فداك أبي وأمي⁽³⁾. وهذا الحديث فيه منقبة ظاهرة للزبير، رضي الله عنه، حيث فداه رسول الله × بأبويه، وفي هذه القافية تعظيم لقدره واعتداد بعمله، واعتبار بأمره، وذلك لأن الإنسان لا يفدي إلا من يعظمه، فيبذل نفسه أو أغز أهله له⁽⁴⁾.

لقد نال الزبير في غزوته الخندق وساماً خالداً باقياً على مر السنين (الكلنبي حواري وحواري الزبير)⁽⁵⁾. لقد وصف النبي × الزبير بالحواري، وهو وصف عميق الدلاله واسع المفاهيم، والدارس لهذه المعاني يدرك ابعاد كلمة الحواري، ويتبين معالمها ويعبر أسرارها وأغوارها، وأكثر من يحتاج إلى العناية بهذه المفاهيم هم العلماء والداعية والمربيون، لأن الدعوة الإسلامية تحتاج إلى إعداد الحواريين ليقدموا نماذج حية في الأسوقة والقدوة، لأن القدوة العملية أقوى وأشد تأثيراً في نشر المبادئ والأفكار، لأنها تجسيد وتطبيق عملي لها، يسهل مشاهدتها والتاثر والاقتداء بها، وأن الحواريين يأخذون بسنة الرسول × ويفتقدون بأمره⁽⁶⁾. كما جاء في الحديث: «ما مننبي بعثه الله في أمة قبلى إلا كان له من أمتها حواريون وأصحاب يأخذون بسناته ويفتقدون بأمره»⁽⁷⁾. ومن سنن الدعوات أن مسيراتها تمر بالفقن والمحن وتبتلى من أصدقائها وأعدائها، وحرص الرسول × على إرشاد المسلمين إلى هذه المتغيرات والحوادث فقال: «ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمّنون»⁽⁸⁾. فما مهمة الحواري؟ القدوة الحسنة والإيمان التطبيقي والإخلاص والفاء التي هي أبرز صفات الحواريين، فيكون مثالاً حقيقياً لوراثة الأنبياء، فيسعى لنشر الحق والخير وهدایة الأمة والنہوض بها من كبوتها، ويضحي في سبيل الله بكل غال ونفيس ليجدد للإسلام شبابه ونضارته، في الوقت الذي يكون ساقطوا المهمة لا هم إلا مصلحتهم الشخصية⁽⁹⁾. والزبير بن العوام، رضي الله عنه، نموذج ذي في تجسيد هذه المعاني، فقد تربى في أحضان الدعوة على يدي النبي ×، وتلقى الجرعات المطلوبة لتحمل أعبائها منذ شبابه الباكر، وموقف الزبير في غزوة الأحزاب يصور لنا شخصيته ونشائره على الجرأة والنصرة ومحبته للرسول ×، وأنبتت أيام أنه كان رضي الله عنه رجل المهام الصعبة، فقد اتصف بالجرأة والإقدام فكُلف

(1) مصنف ابن أبي شيبة رقم (12219)، صحيح..

(2) عمدة القاري رقم (2239/19).

(3) البخاري رقم (3720).

(4) تحفة الأحوذى رقم (246/10).

(5) مسلم رقم (2414).

(6) صحيح مسلم بشرح النووي (26/2)، (27).

(7) دراسات تربوية للأعظمي: ص(206).

(8) صحيح مسلم بشرح النووي (26/2)، (27).

(9) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية: ص(207).

بمهمة كشف أسرار العدو، وما حدث مع الزبير يشير إلى مشروعية تقسيم الأعمال وتصنيف الدعاة كل حسب إخلاصه وفادته وتصحيحته ومواهبه وطاقته⁽¹⁾. هذا وقد شارك ازبير في كل غزوات الرسول × وكانت له مواقف مشرفة، وكان في عهد الراشدين من أعمدة الدولة في فتوحاتها الكبيرة رضي الله عنه.

6- في غزوة اليرموك: عن عروة أن أصحاب رسول الله × قالوا للزبير يوم اليرموك: ألا تشد فتشد معك؟ فقال: إني إن شددت كذبتم. ق قالوا: لا نفعل، فحمل عليهم حتى شق صوفهم، فجاوزهم وما معه أحد، ثم رجع مُقْبلاً فأخذوا بجلامه فضربوه ضربتين على عرقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر. قال عروة: أدخل أصحابي في تلك الضربات العبر وأنا صغير. قال عروة: وكان معه عبد الله بن الزبير يومئذ، وهو ابن عشر سنين فحمله على فرس ووكل به رجلاً⁽²⁾، قال الذهبي في السير معلقاً: هذه الواقعة هي يوم اليمامة إن شاء الله، فإن عبد الله كان إذ ذاك ابن عشر سنين⁽³⁾، وذكر ابن كثير أن الموقعة هي «اليرموك» ولا مانع من وقوع ذلك في الموقعتين. فقد قال ابن كثير: وقد كان فيمن شهد «اليرموك» الازبير بن العوام، وهو أفضل من هناك من الصحابة، وكان من فرسان الناس وشجاعتهم، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ، فقالوا: ألا تحمل فتحمل معك؟ فقال: إنكم لا تثبتون. فقلوا: بلـي. فحمل وحملوا، فلما واجهوا صنوف الروم أحجموا وأقدموا، فاخترق صنوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر، وعاد إلى أصحابه. ثم جاءوا إليه مرة ثانية ففعل كما فعل في الأولى، وجروح يومئذ جروحين بين كتفيه، وفي رواية: جروح⁽⁴⁾. ويقول ابن كثير مرة أخرى: خرج مع الناس إلى الشام مجاهداً، فشهد اليرموك، فشرفوا بحضوره، وكانت له بها اليد البيضاء والهمة العالية، اخترق جيوش الروم وصنوفهم مررتين، من أولهم إلى آخره⁽⁵⁾.

7- في فتح مصر: ولما قصد عمرو بن العاص مصر لفتحها كان معه قوات لم تكن كافية لفتحها، فكتب إلى عمر بن الخطاب يستمدده ويطلب المدد من الرجال، فأشق عمر من قلة عدد قوات عمرو، فأرسل الزبير بن العوام في اثنى عشر ألفاً، وقيل: أرسل عمر أربعة آلاف رجل، عليهم من الصحابة الكبار: الزبير، والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، ومساهمة ابن مخلد، وقال آخرون: خارجة بن حذافة هو الرابع، وكتب إليه: إني أمدتك بأربعة آلاف، على كل ألف منهم رجل مقام ألف. وكان الزبير على رأس هؤلاء الرجال⁽⁶⁾، وحين قدم الزبير على عمرو، وجده محاصراً حصن بابليون فلم يلبث الزبير أن ركب حصانه وطاف بالخندق المحيط بالحصن، ثم فرق الرجال حول الخندق، وطال الحصار حتى بلغت مدة سبع أشهر، فقبل للزبير: إن بها الطاعون. فقال: إنا جئنا للطعن والطاعون⁽⁷⁾. وأبطأ الفتح على عمرو بن العاص، فقال الزبير: إني أحب نفسي لله، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين، فوضع سلماً وأسنده إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد، وأمرهم إذا سمعوا تكبيرة ان يجيبوه جميعاً، مما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبر ومعه السيف، فتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو؛ خوفاً من أن ينكسر، فلما رأى الروم أن العرب قد ظفرت وبالحصن انسحبوا، وبذلك فتح حصن بابليون أبوابه للمسلمين، فانتهت بفتحة المعركة الحاسمة لفتح مصر، وكانت شجاعة الزبير النادرة السبب المباشر لانتصار المسلمين على المقوية

(1) دراسات تربوية: ص(208).

(2) الخاري رقم (3975).

(3) سير أعلام النبلاء (1/63).

(4) البداية والنهاية (1/63).

(5) المصدر نفسه (7/260).

(6) فتوح مصر والمغرب: ص(61)، قادة فتح الشام ومصر: ص(208-226).

(7) سير أعلام النبلاء (1/55).

(1)

8- غيره الزبير بن العوام رضي الله عنه: عن أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنها - قالت: تزوجني الزبير - رضي الله عنه - وما له في الأرض مال ولا مالوك ولا شيء غير فرسه. قالت: فكنت أعلف فرسه وأكيفه مؤنته وأسوسه، وأدق النوى للناصحة، وأعلفه وأسقيه الماء وأحرز غربه، وأعجن، ولم أكن أحسن أحين فكان يخطب لي جارات من الأنصار وكن نسوة صدق. قالت: وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله × على رأسي، وهي على ثلثي فرسخ، قالت: فجئت يوماً والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله × ومعه نفر من أصحابه فدعا لي، ثم قال: «أَخْ أَخ»، ليحملني خلفه، فاستحببت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته، قالت: وكان من غير الناس، قالت: فعرف

رسول الله × أني قد استحببت فمسي، فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله × وعلى رأسي النوى، ومعه نفر من أصحابه، فanax لأركب معه، فاستحببت وعرفت غيرتك، فقلت: والله لحملك النوى كان أشد علىَّ من ركوبك معه، قالت: حتى أرسل إلىَّ أبو بكر بعد ذلك بخادم، فكفتني سياسة الفرس، فكانما أعتقني⁽²⁾.

٩- تسمية الزبير أو لاده بأسماء الصحابة الشهداء: من شدة حب الزبير، رضي الله عنه، للشهادة، كان أن سمي أو لاده بأسماء الصحابة الشهداء، فقد روى هشام بن عروة عن أبيه قال: قال الزبير: إن طلحة يسمى بنبيه بأسماء الأنبياء، وقد علم أنه لا نبي بعد محمد ×، وإنّي أسمى بأسماء الشُّهَدَاء لعلهم يستشهدون: عبد الله بعد الله بن جحش، والمنذر بالمنذر ابن عمرو، وعروة بعروة بن مسعود، وحمزة بحمزة، وجعفر بجعفر بن أبي طالب، ومصعب بمصعب بن عمير، وعيادة بعيادة بن الحارث، وخالد بخالد بن سعيد، وعمرو بعمرو بن سعيد بن العاص قتل باليرموك⁽³⁾.

10- إخفاء الطاعات عند الزبير: قال الزبير بن العوام - رضي الله عنه -: أيمك استطاع أن يكون له خيبة من عمل صالح فليعمل⁽⁴⁾.

11- ما قاله حسان بن ثابت من شعر في مدح الزبير: مرّ الزبير بمجلس من أصحاب رسول الله ﷺ، وحسان ينندهم من شعره، وهم غير نشاط لما يسمعون منه، فجلس معهم الزبير، ثم قال: مالي أراكم غير أذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة؟ فقد كان يعرض به رسول الله ﷺ، فيحسن استماعه، ويجزل عليه ثوابه، ولا يشتغل عنه، فقال حسان مدح الزبير:

حواريه والقول بالفعل يُعدل

أقام على عهد النبي و هديه

يُوَالِي وَلِيَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ أَعْدَلٌ

أقام على منهاجه وطريقه

يصلوٰ إِذَا مَا كَانَ يَوْمٌ مَّحْجُولٌ

هو الفارس المشهور والبطل الذي

أَبْيَضُ سَاقٍ إِلَى الْمَوْتِ بِرُّقْلٍ⁽⁵⁾

اذا كشفت عن ساقها الحرب حدثها

(١) قادة فتح الشام ومصر، ص(٢٠٩-٢٢٧).

⁽²⁾ حياة الصحابة (691/2)، أصحاب الرسول (281/1).

³ تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص(505)، الطبقات (101/3).

⁴ الزهد لابن المبارك: ص(392).
⁵ عفاف الاذا

(٥) يرقل: يسرع: وهي سرعة الإبل.

ومن أسد في بيتها لمؤذل⁽¹⁾
ومن نصرة الإسلام مجد مؤذل⁽²⁾
عن المصطفى والله يعطي في جزل
وفعلك يا ابن الهاشمية أفضل⁽³⁾

وابن امرؤ كانت صفة أمّه^{*}
له من رسول الله قُربى قريبة
فكم كربة ذب الزبير بسيفه
ثاؤك خير من فعال معاشر

12- كرم الزبير بن العوام رضي الله عنه: روى عن عروة بن الزبير أنه قال: أو
صى إلى الزبير سبعة من الصحابة منهم عثمان وابن مسعود وعبد الرحمن، فكان ينفق
على الورثة من ماله ويحفظ أموالهم⁽⁴⁾.

وهذا مثل رفيع من أمثلة الكرم والوفاء، وهو يجسد المعاني السامية في النفس حتى تبد
في هي المائة في الصمير الحي، وتبعاً لذلك يُسخر هذا الصمير الحي كل ما يملك من أ
جل سيادة هذه المعاني، وقد تجود النفس مرة ثمة يعترضها شيء من الفتور، فأما أن يـ
نكفـل مثل هذا الشـهم السـخي بالـنفـقة على ورـثـة عـدـد من الصـحـابةـ، ويـحـفـظـ لهمـ أـمـوالـهـمـ فـهـوـ ذـ
مـوـذـجـ فـرـيدـ فـيـ عـالـمـ الـوـاقـعـ، وـمـؤـشـرـ مـهـمـ مـنـ مـؤـشـرـاتـ الرـقـىـ الـأـخـلـاقـيـ لـدىـ الصـحـابةـ رـضـ
يـ اللهـ عـنـهـ⁽⁵⁾.

13- وحان وقت الرحيل.. وشهادة رسول الله له بدخول الجنة: خرج الزبير بن العوا
م، رضي الله عنه، من معركة الجمل في الجولة الأولى وقد بينا الأسباب في تركه لساحـ
ة المعركةـ، وـعـنـ خـرـوجـهـ مـنـ سـاحـةـ القـتـالـ كـانـ يـتـمـنـ قولـ الشـاعـرـ:
ذكر الأمور التي أخشى عوائقها
في الله أحسن في الدنيا وفي الدين

وقيل إنه أنسد:

ولقد علمتُ لو أن علمي نافعـ
أنـ الحـيـاةـ مـنـ المـمـاتـ قـرـيبـ
وبـعـدـ

وبـعـدـ خـرـوجـهـ تـبـعـهـ عمـرـوـ بـنـ جـرـمـوزـ وـفـضـالـةـ بـنـ حـابـسـ وـنـفـيـعـ فـيـ طـائـفـةـ مـنـ غـواـةـ بـ
نـ تـمـيمـ فـيـقالـ: إـنـهـ لـمـ أـدـرـكـوـهـ تـعـاـونـوـاـ عـلـيـهـ حـتـىـ قـتـلـوـهـ، وـيـقـالـ بـلـ اـدـرـكـهـ عمـرـوـ بـنـ جـرـمـ
وزـ فـقـالـ لـهـ عـمـرـوـ: إـنـ لـيـ إـلـيـكـ حاجـةـ، فـقـالـ: اـدـنـ، فـقـالـ مـولـيـ الزـبـيرـ – وـاسـمـهـ عـيـطةـ:ـ إـ
نـ مـعـهـ سـلاـحـاـ. فـقـالـ: وـإـنـ، فـقـدـمـ إـلـيـهـ فـجـعـلـ يـحـدـثـهـ وـكـانـ وـقـتـ الصـلـاـةـ. فـقـالـ لـهـ الزـبـيرـ:ـ إـ
صلـاـةـ. فـقـالـ: الصـلـاـةـ، فـقـدـمـ الزـبـيرـ لـيـصـلـىـ بـهـماـ فـطـعـنـهـ عمـرـوـ بـنـ جـرـمـوزـ فـقـتـلـهـ، وـيـقـالـ بـلـ
ادـرـكـهـ عمـرـوـ بـوـادـ يـقـالـ لـهـ وـادـيـ السـبـاعـ وـهـوـ نـائـمـ فـيـ القـائـلةـ⁽⁷⁾. فـهـجـمـ عـلـيـهـ فـقـتـلـهـ، وـهـذـاـ هـ
وـالـقـوـلـ الـأـشـهـرـ، وـيـشـهـدـ لـهـ شـعـرـ اـمـرـأـتـهـ عـاـنـكـةـ بـنـتـ زـيـدـ بـنـ عـمـرـوـ بـنـ نـفـيـلـ وـكـانـتـ آـخـرـ مـ
نـ تـزـوـجـهـ، وـكـانـتـ قـبـلـهـ تـحـتـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ فـقـتـلـ عـنـهـاـ، وـكـانـتـ قـبـلـهـ تـحـتـ عـبـدـ اللهـ بـنـ
أـبـيـ بـكـرـ الصـدـيقـ فـقـتـلـ عـنـهـاـ، فـلـمـ قـتـلـ الزـبـيرـ رـثـهـ بـقـصـيـدةـ مـحـكـمـةـ الـمـعـنـىـ فـقـالـتـ:

(1) في الديوان، وعند الحاكم لمرقى: وهو العظيم المجل.

(2) سير أعلام النبلاء (56/1).

(3) المصدر نفسه (57/1).

(4) سير أعلام النبلاء (131/1).

(5) التاریخ الاسلامی (131/17).

(6) سير أعلام النبلاء (60/1).

(7) القائلة: وقت اشتداد حرّ الطہیرة.

غدر ابن جرموز بفارس بهمه
 يا عمرو لو نبهته لوجدته
 تكلناك أمك أن ظفرت بمثله
 كم عمرة قد خاضها لم يثنه
 والله ربي إن قتلت لمسلمًا

يوم اللقاء وكان غر معد⁽¹⁾
 لا طائشًا رعش الجنان⁽²⁾ ولا اليد
 من بقى من يروح ويغتندي
 عنها طرادك يا ابن فقع العردد⁽³⁾
 حلت عليك عقوبة المتعمد⁽⁴⁾

ولما قتله عمرو بن جرموز فاحتز رأسه وذهب به إلى على، ورأى أن ذلك يحصل له به حظوة عنده فاستأذن فقال علي: بشّر قاتل ابن صفية بالنار، ثم قال علي: سمعت رسول الله يقول: «لكلّنبي حواري وحواريبي الزبير»⁽⁵⁾، ولما رأى علي سيف الزبير قال: إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله⁽⁶⁾، وفي رواية: منع أمير المؤمنين على ابن جرموز من الدخول عليه، وقال: بشر قاتل ابن صفية بالنار⁽⁷⁾، ويقال: إن عمرو بن جرموز قتل نفسه في عهد علي، وقيل: بل عاش إلى أن تأمر مصعب بن الزبير على العراق فاختفى منه، فقيل لمصعب: إن عمرو بن جرموز ه هنا وهو مختلف، فهل لك فيه؟ فقال: مروه فليظهر فهو آمن، والله ما كنت لأفقيد⁽⁸⁾ للزبير منه، فهو أحقر من أن أجعله عدلاً للزبير⁽⁹⁾.

هذا وقد أخبر الحبيب المصطفى أن الزبير سيموت شهيداً، فعن أبي هريرة أن رسول الله × كان على جبل حراء، فتحرّك فقال رسول الله ×: «اسكن حراء؛ فما عليك إلانبي أو صديق أو شهيد» وعليه النبي × وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى طلحة والزبير رضي الله عنهم⁽¹⁰⁾، قال التنووي: وفي هذا الحديث معجزات لرسول الله ×، منها إخباره أن هؤلاء شهداء، وماتوا كلهم - غير النبي × وأبي بكر - شهداء، فإن عمر وعثمان وطلحة والزبير - رضي الله عنهم - قتلوا ظلماً شهداء، فقتل الثلاثة مشهور، وقتل الزبير بوادي السباع بقرب البصرة منصرفًا تاركاً للقتال، وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركاً للقتال، فأصابه سهم قتله، وقد ثبت أن من قُتل مظلوماً فهو شهيد⁽¹¹⁾. قال الأشعبي: أدركك خمسمائة أو أكثر من الصحابة يقولون: على وعثمان وطلحة والزبير في الجنة، قال الذهبي: قلت: لأنهم من العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن البريءين ومن أهل بيضة الرضوان، ومن السابقين الأولين الذين أخبر الله تعالى أنه رضي الله عنهم ورضوا عنه، ولأن الأربعه قُتلوا، ورُزقوا الشهادة، فنحن محبون لهم باغضون للأربعة الذي نقتلوا الأربعه⁽¹²⁾.

(1) معد: المعد: الصلب والشجاع.

(2) الجنان: القلب.

(3) البداية والنهاية (261/7)، العردد: الصلب الشديد.

(4) البداية والنهاية (261/7).

(5) ضئائل الصحابة (920/2).

(6) البداية والنهاية (261/7).

(7) الطبقات (105/3) اسناده حسن، خلافة على: ص(164) عبد الحميد.

(8) أقيد: قيد: القتل بالقاتل.

(9) البداية والنهاية (261/7).

(10) مسلم رقم (2417).

(11) شرح التنووي على صحيح مسلم (271/15).

(12) سير أعلام النبلاء (62/1).

14- حرصه على أداء دينه عند الموت: عن عبد الله بن الزبير قال: جعل الزبير يوم الجمل يوصيني بيده، ويقول: إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه بمولاي. قال: فوالله ما دريت ما أراد، حتى قلت: يا أبا من مولاك؟ قال: ما وقعت في كربة من دين إلا قلت: يا مولى الزبير اقض عنه، فيقضيه، وإنما دينه الذي كان عليه: أن الرجل كان يتبرأ بالمال فيستودعه إياه فيقول الزبير: لا ولكنه سلف فإني أخشى عليه الضيعة. قال: فقلت: ل ولم يدع ديناراً ولا درهماً إلا أرضين، فبعثها - يعني وقضيت دينه - فقال بنو الزبير: أقسم بيننا ميراثنا. قلت: والله لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين: ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فانقضه، فجعل كل سنة ينادي بالموسم، فلما مضى أربع سنين قسم بينهم، وكان للزبير أربع نسوة، فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف. فجاء الجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف⁽¹⁾، وقول البخاري، رحمة الله، محمول على أن جملة المال حين الموت كانت ذلك دون الزائد في أربع سنين دون القسمة⁽²⁾، وقد وقع في تركته من البركة الشيء الكثير⁽³⁾، وبارك الله له في أراضيه بعد موته، فوفى دينه وزاد عليه الشيء الكثير، وفي هذه القصة درس وعبر وفوائد:

أ- قول الزبير لابنه: يا بني إن عجزت عن شيء منه فاستعن بمولاي؛ وهذا مثل من أمثلة اليقين الراسخ والإيمان القوى الذي ترتب عليه صدق التوكل على الله عز وجل، واللجوء إليه في قضاء الحاجات وكشف الكربات، فالمؤمن الحق يعتقد جازماً بأن كل شيء بيده جل وعلا، فإذا وقع في ضائقة وكرب فإن أول ما يتadar إلى ذهنه تصور وجود الله تعالى وهيمنته على كل شيء، وأن المخلوقين الذين يُشكرون طرفاً آخر في قضية إنما هم في قبضة البارئ جل وعلا، وأن قلوبهم بيده سبحانه كيف يشاء، فليأخذوا إليه قبل كل شيء ويسأله قضاء حاجته وتقرير كربته، ثم يقوم بعمل الأسباب التي خلقها الله تعالى وجعلها موصولة إلى النتائج المطلوبة، مع الاعتقاد بأنها مجرد أسباب وأن الأفعال والمقدرات هو الله تعالى، وأنه قادر على أن ينزع من الأسباب قوة التأثير فلا تؤدي إلى نتائجها⁽⁴⁾ المعروفة.

ب- هل كان الزبير رضي الله عنه من الأثرياء؟ نرى النص السابق ينطق بأن الزبير، رضي الله عنه، ما كان من الأثرياء أصحاب الأموال المعروفة المشهورين بذلك، بل كان يشعر بالضيق وبعده أمر ما في ذمته من أموال وديون، وكان يخشى إلا تفويت سره وعقاره بما عليه من أموال، كما ينطق هذا النص أيضاً بأن عبد الله بن الزبير ما كان يخالف إياه في توقعه، بل كان يتوقع مثله أن الديوان تزيد على الأموال والأرض، يقول له أبوه: أفترى يُبقي ديندراً من مالنا شيئاً؟ فلا يجد عبد الله جواباً لأبيه، ولو كان يتوقع غير ما توقع أبوه، لأجابه مطمئداً إياه في هذا الوقت العصيب، بأن الأمر غير ما يقدر ويتحقق، بل تجده يجارى أباه صراحة في توقعه، فيسأل الله - عندما أشار عليه أن يسد عين بمولاه: من مولاك؟ فهو يتوقع أنه سيستعين به، ولا يزعن زاعم بأن عبد الله لم يكن محظياً بشروة أبيه، عارفاً بأملاكه، فإن عبد الله كان في ذلك الوقت في سن الخامسة والثلاثين، ومن يكن في مثل هذه السن من شأنه أن يكون ظهيراً لأبيه عالماً بكل أحواله وأمواله، وبخاصة إذا كان هو الابن الأكبر، وإن سؤال الزبير له: أفترى يُبقي ديننا من مالنا شيئاً؟ يشهد بأن عبد الله كان على علم بأحوال أبيه وأمواله، بل إن عبد الله صرحب أن أمر قضاء الدين ما كان سهلاً ولا هيناً، فيقول: فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا

(1) البخاري رقم (3129).

(2) شذرات الذهب (209/1).

(3) الاصابة لابن حجر (461/2).

(4) التاريخ الإسلامي (309/20).

قلت: يا مولى الزبير، اقض عنه دينه فيقضيه⁽¹⁾. وما يشهد أيضًا بأن الزبير لم يكن مع دودًا من الأغنياء وأصحاب الثروات وأن توقعه عن ديونه ونسبتها إلى أملاكه كان في موضعه ومحله، أن حكيم بن حرام رضي الله عنه – وهو ابن عم الزبير – تلقى عبد الله بن الزبير ف يقول له: ما أراكم تطيفون هذا الذي عليكم من الديون فإن عجزتم عن شيء منه، فاستعينوا بي⁽²⁾. ولليل رابع: يأتي عبد الله بن جعفر رضي الله عنه لعبد الله ابن الزبير – وكان له عند الزبير أربعمائة ألف – فيقول لابن الزبير: إن شئتم تركتها لكم، قال عبد الله بن الزبير: لا. قال عبد الله بن جعفر: فإن شئتم جعلتموها فيما تؤخرون إن أخرت م⁽³⁾، فهذه شهادة اثنين من كبار الصحابة يتوقعان عدم وفاء أملاك الزبير بما عليه من ديون ويعداهه من يحتاج إلى عون ومساعدة، ثم هما من يعرف الزبير وبخاطره، ويطلع على أحواله، فأحدهما حكيم بن حرام ابن عم الزبير، والأخر ابن خاله، فأم الزبير صفية بنت عبد المطلب عمّة الرسول × وهو يتعامل معه أخذًا وعطاء واقتراضًا وانتظامًا، فهو ذه أدللة أربعة لا يرقى إليها الشك تتطيق بأن الزبير، رضي الله عنه، ما كان من أصحاب الثروات⁽⁴⁾. وقد فتشا فيما فشا عن ثروة الزبير وغناه الحديث عن عبيده وخيوله؛ ففي بعض المصادر أنه كان له ألف مملوك، وأن الألف مملوك كانوا يؤدون إليه الخارج كل يوم، مما يدخل إلى بيته منها درهم واحد، يتصدق بذلك جميعه⁽⁵⁾. لكن المستشرق الداعع صبيت «ول دبورانت» جعل الألف عشرة آلاف، فقال: كان الزبير يمتلك عشرة آلاف عدد. ثم أضاف إليها ألف جواد⁽⁶⁾، وبالطبع حذف المستشرق (الذكي) خير تصدق الزبير به خراج مماليكه⁽⁷⁾، وهذا الخبر لا يقف أمام روایة البخاري، إذ جاء فيها «فقتل الزبير ولم يترك ديناراً ولا درهماً، إلا أرضين منها الغابة، وإحدى عشرة داراً بالمدينة، ودارين بالبصرة، وداراً بالكوفة، وداراً بمصر⁽⁸⁾، فالرواية واضحة، وهي بأسلوب الحصر، وفي مقام الحديث عن هم الدين، والقارب التي كانت في سبيل سداده، فلو كان هناك ألف مملوك، لكان لها ذكر، ولثمنها قيمة وقدر، إلا يساوى المملوك الواحد في أقل تقدير ألفي درهم⁽⁹⁾، فيكون ثمن المماليك هو قيمة الدين كله إلا قليلاً؟! هذا كله على فرض أنها كانت ألفًا فقط، أما إذا أخذنا بشطحة ول دبورانت، وأنها عشرة آلاف مملوك، فمعنى ذلك نسف روایة البخاري من أساسها، فإن عشرة آلاف مملوك وألف جواد يكفي ثمنها – مهمًا كان بخسًا – أن يسدد ديونه، ويغرق ورثته في لحج الثراء، وما كان الزبير بحاجة إلى أن يقول لابنه: إن من أكبر همي لدَيْنِي. ولا أن يسأله: أفترى يُبُقُّ في ديننا من مالنا شدیداً؟ ولا أن يوصيه: إذا أعجزك شيء من ديني، فاستعن عليه بمولاي⁽¹⁰⁾.

إن الحديث عن سيرة الزبير وطلحة وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري وأم المؤمنين عائشة ينسجم مع أهداف الكتاب، من حيث الحديث عن سيرة أمير المؤمنين على وعصره، فهذه الشخصيات تعتبر محورية في الحديث عن عصر أمير المؤمنين على، كما أن التشويه الذي لحق بها في كتب التاريخ والأدب يكون عند الحديث في الفتن الداخلية، فيبيان سيرة هم، وأخلاقهم وصفاتهم واجب علينا، حتى يخرج القارئ بمعرفة حقيقة لهذه الشخصيات، فلا يتأثر بالروايات الضعيفة، ولا القصص الموضوعة التي وضعها مورخو الشيعة الرافضية

(1) البخاري رقم (3129).

(2) البخاري رقم (3129).

(3) البخاري رقم (3129).

(4) الزبير بن العوام، الثورة، عبد العظيم الدبيب ص(9).

(5) سير السلف الصالحين (227/1) في إسناده ضعف.

(6) الزبير بن العوام، الثورة الثورة ص(11).

(7) المصدر نفسه ص(13).

(8) البخاري (3129).

(9) الزبير بن العوام، الثورة والثورة: ص(14).

(10) البخاري رقم (3129).

والتي شوهدت ثقافة الناس عن هذه الشخصيات العظيمة، فالحديث عن سيرة الزبير أو غيره من كبار الصحابة التي أسممت في الأحداث في عهد أمير المؤمنين على رضي الله عنه ينسجم مع أهداف المؤلف التي أراد إيصالها لقارئ من خلال دراسته لعهد الخلفاء الراشدين.

تاسعاً: سيرة طلحة بن عبد الله رضي الله عنه واستشهاده:

هو أبو محمد طلحة بن عبد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب الفرشي التميمي⁽¹⁾، يجتمع مع النبي × في مرة بن كعب، ومع أبي بكر الصديق في تيم بن مرة، وعدد ما بينهم من الآباء سواء⁽²⁾ وأمه – رضي الله عنه – الصعبة بنت الحضرمي امرأة من أهل اليمن وهي أخت العلاء بن الحضرمي⁽³⁾، أسلمت ولها صحبة وظفرت بشرف الهجرة⁽⁴⁾، وطلحة – رضي الله عنه – أحد العشرة الذين يशروا بالجنة، وأحد الشمائلة الذين سقوا إلى الإسلام وأحدخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، وأحد ستة أصحاب الشورى⁽⁵⁾.

1- إسلامه وابتلاؤه وهجرته: قال طلحة بن عبد الله: حضرت سوق بصرى، فإذا راهب في صومعته يقول: سلوا أهل هذا الموسم، أفيهم أحد من أهل الحرم؟ قال طلحة: نعم، أنا. فقال: هل ظهر أحمد بعد؟ قلت: ومن أحمد؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، هذا شهر الذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء، ومخرجه من الحرم ومهاجرته إلى ذَخْل، وحرّة⁽⁶⁾ وسباخ⁽⁷⁾، فياك أن تُسبِّق إلينه. قال طلحة: فوق ما قال في قلبى، فخرجت سريراً حتى قدمت مكة، قلت: هل كان من حدث؟ قالوا: نعم، محمد بن عبد الله الأمين تبأ ، وقد تبعه ابن أبي قحافة. قال طلحة: فخرجت حتى دخلت على أبي بكر، وقلت: أتبعت هذا الرجل؟ قال: نعم، فانطلق إليه، فادخل عليه، فاذبّعه، فإنه يدعوا إلى الحق وإلى الخير. وأخبر طلحة أبا بكر بما قال الراهب، فخرج أبو بكر بطلحة، فدخل به على رسول الله ×، فأسلم طلحة، وأخبر رسول الله × بما قال الراهب، فسر رسول الله ×، فلما أسلم أبو بكر وطلحة بن عبد الله، أخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية، فشدّها في جبل واحد، ولم يمنعهما بنو تيم، وكان نوفل يُدعى أسد قريش ولذلك سُمِّي أبو بكر وطلحة القرینين⁽⁸⁾، هذا وقد أودي طلحة في الله ولقي أذى كبيراً من المشركين، ومن عشيرته الأقربيين ، وبقي طلحة – رضي الله عنه – صابراً على الأذى والعقاب حتى أدن الله عز وجل بالهجرة، ولما ارتحل رسول الله × مهاجرًا إلى المدينة لفيفه طلحة قادماً من الشام في غيره، فكسا رسول الله × وأبا بكر ثياب الشام، ثم مضى طلحة إلى مكة حتى فرغ من تجارة، ثم خرج بعد ذلك بال أبي بكر؛ فهو الذي قدم بهم المدينة، فطلحة من المهاجرين الأوليين – رضي الله عنهم⁽⁹⁾، ولما قدم المدينة أخى رسول الله بينه وبين أبي أيوب الأنصاري⁽¹⁰⁾، وقيل كعب بن مالك الأنصاري، حين أخى بين المهاجرين والأنصار⁽¹¹⁾.

2- في غزوة بدر: كان طلحة بن عبد الله، رضي الله عنه، قد كلف بتحسّس عير قريش، وذلك لما تحيّن رسول الله × وصول عير من الشام لنقريش، فقد بعث × طلحة و

(1) الإصابة (220/2)، الاستيعاب لابن عبد البر على حاشية الإصابة (210/2).

(2) فتح الباري (82/7).

(3) الإصابة (220/2).

(4) المصدر السابق (337/4)، فتح الباري (82/7).

(5) المستدرك للحاكم (369/3)، عقيدة أهل السنة في الصحابة (228/1).

(6) حرّة: هي الأرض الغليظة ذات الحرارة السوداء التخرّات.

(7) سباخ: جمع سبخة، وهي أرض ذات نزف وملح.

(8) البداية والنهاية (258/7).

(9) المصدر نفسه (258/7)، فرسان من عصر النبوة: ص(225).

(10) البداية والنهاية (258/7).

(11) فرسان من عصر النبوة: ص(225)، الاستيعاب لابن عبد البر.

سعيد بن زيد، رضي الله عنهما، يأتيانه بالأخبار، فخرجاً وبلغوا الحوراء، فلم يزلا مقيمين هناك حتى مرت العبرة، فتساحت، فعادا إلى المدينة بالأخبار، وكان رسول الله قد خرج بال المسلمين في غزوة بدر فأسر عالىينضما إلى الجيش، إلا أنهما لم يدركا المعركة، وضرب لهما رسول الله بسهمهما وأجورهما، سهماً كالمقاتلين، وأجرًا كالمجاهدين⁽¹⁾.

3- في غزوة أحد، أوجب طلحة رضي الله عنه: عن جابر قال: لما كان يوم أحد وولى الناس كان رسول الله في ناحية في آنٍ عشر رجالاً منهم طلحة، فأدركه المشركون، فقال النبي: من لقوم؟ قال طلحة: أنا. قال: كما أنت، فقال رجل من الأنصار: أنا، فقاتل حتى قُتل. ثم التفت، ثم قاتل حتى قُتل. ثم التفت، ثم قاتل حتى قُتل. قال: من لهم؟ قال طلحة: أنا. قال: كما أنت، فقال رجل من الأنصار: أنا. قال: أنت، فقاتل حتى قُتل، فلم يزل كذلك حتى بقي مع النبي الله (طلحة) فقال: من ل القوم؟ قال طلحة: أنا. فقاتل طلحة قاتل الأحد عشر، حتى قُتلت أصابعه فقال: حسيبي. فقال رسول الله: لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون». ثم رد الله المشركون⁽²⁾، وعند أحمد: فقال له النبي: «لو قلت بسم الله لا رأيت يُنفي لك بها بيت في الجنة وأنت هي في الدنيا»⁽³⁾، وعن قيس بن حازم قال:رأيت يد طلحة شلاء وهي بها النبي يوم أحد⁽⁴⁾، وجروح في تلك الغزوة تسعًا وثلاثين، وأربعين جراحة، وقع منها في رأسه شجة مربعة، وقطعاً نساه - يعني العرق - وشداً على إصبعه، وكان سائر الجراح في حسه وغلبه الغشي - الإغماء - ورسول الله يرجع به القهقري؛ كلما أدركه أحد من المشركون، قاتل دونه حتى أستدنه إلى الشعب⁽⁷⁾، حتى قال عنه: «أوجب طلحة حين صنع برسول الله ما صنع»⁽⁸⁾.

4- شهيد يمشي على الأرض: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله كان على جبل حراء، فتركت. فقال رسول الله: «اسكن حراءً فما عليك إلا النبي أو صديق أو شهيد»، وعليه النبي وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى طلحة والزبير وسعد بن أبي وفاص - رضي الله عنهم⁽⁹⁾ - فلما علم طلحة بأنه سيموت شهيداً وذلك بعد أن سمع تلك البشرى من الحبيب المصطفى ظل يبحث عن شهادته في مطانها، فشهاد المشاهد كلها مع النبي عدا غزوة بدر⁽¹⁰⁾، فقد كان في مهمة كلفه بها رسول الله كما مرّ معنا، وقال عنه النبي: «من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلاحة بن عبد الله»⁽¹¹⁾.

5- من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه: عن موسى وعيسيى ابني طلحة عن أبيهما أن أصحاب رسول الله قالوا لأعرابي جاء يسأل رسول الله من قضى نحبه من هو؟ فكانوا لا يجترئون على مسألته، يوقرونه ويهابونه، قال: فسألهم الأعرابي فأع

(1) الحاكم في المستدرك (369/3)، الاستيعاب (4188).

(2) السلسلة الصحيحة رقم (2171)، الحديث حسن بمجموع طرقه.

(3) فضائل الصحابة رقم (1294) إسناده صحيح.

(4) البخاري رقم (4063).

(5) البخاري (361/7)، أصحاب الرسول (264/1).

(6) فتح الباري (361/7).

(7) سير أعلام النبلاء (32/1).

(8) صحيح الجامع لللباني رقم (2540).

(9) مسلم رقم (2417).

(10) أصحاب الرسول (260/1).

(11) رواه الترمذى والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (5962).

رض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم إنني اطلعت من باب المسجد – يعني طلحة – وعى ثياب خضر فلما رأني رسول الله × قال: «أين السائل عن قضى نحبه؟» قال الأاء رابي: أنا يا رسول الله. قال: «هذا من قضى نحبه»⁽¹⁾.

6- دفاعه عن إخوانه وإنسان الظن بهم: عن مالك بن أبي عامر، قال: جاء رجل إلى طلحة فقال: أرأيتك هذا اليماني، هو أعلم الحديث رسول الله منكم. يعني أبا هريرة – ذُنْسَعْمَنْهُ أشْيَاء لَا نَسْعَهَا مِنْكُمْ، قال: أما أن قد سمع من رسول الله × ما لم نسمع، فلا أشك، وسأخبرك؛ إذًا كنا أهل بيتك، وكنا إنما نأتى رسول الله غدوة وعشية، وكان مسكينًا لا مال له – أبو هريرة – إنما هو باب رسول الله، فلا أشك أنه قد سمع ما لم نسمع، وهل تجد أحدًا فيه خير يقول على رسول الله ما لم يقل⁽²⁾.

7- إتفاقه في سبيل الله: عن قبيصة بن حابر قال: صحبت طلحة، مما رأيت أعطى لجزيل مال من غير مسألة منه⁽³⁾، وعن موسى عن أبيه طلحة أنه أتاه ماله من حضرموت سبعمائة ألف، فبات ليته يتململ. فقال: ما ظنّ رجل بربه بيته وهذا المال في بيته؟ قالت: فأين أنت عن بعض أخلاقك، فإذا أصبحت فادع بحفان وقصاع فقسمه. فقال لها: رحمة الله إنك موافقة بنت موفق، وهي أم كلثوم بنت الصديق، فلما أصبح دعا بحفان، فقه سمعها بين المهاجرين والأنصار، فبعث إلى علىٰ منها بجفنة، فقالت له زوجته: أبا محمد، أما كان لنا في هذا المال من نصيب؟ قال: فأين كنت منذ اليوم؟ فشأنك بما بقي: قالت: فكانت صرة فيها نحو ألف درهم⁽⁴⁾. وعن سعدى بنت عوف المريمية، قالت: دخلت على طلحة يوماً وهو خاتر⁽⁵⁾، فقالت: ما لك؟ لعل رابك من أهلك شيء؟ قال: لا والله، نعم خليلة المسلم أنت، ولكن مال عندي قد غمدّي. قالت: ما يغمدك؟ عليك بقولك، قال: يا خلام ادع لي قومي، فقسمه فيهم، فسألت الخازن، كم أعطي؟ قال: أربعمائة ألف⁽⁶⁾، وعن الحسن البصري أن طلحة بن عبيد الله باع أرضاً له بسبعمائة ألف فبات أرقاً من مخافة ذلك المال، حتى أصبح فرقه⁽⁷⁾، وعن علي بن زيد قال: جاء أعرابي إلى طلحة يسأله، فقرب إليه برحم فقال: إن هذه لرحم ما سألك بها أحد قبلك، إن لي أرضاً قد أعطاني بها عثمان ثلاثة ألاف فاقبضها، وإن شئت بعنها من عثمان، ودفعت إليك الثمن فقال: لا ثمن، فأعطاوه وكان رضي الله عنه لا يدع أحداً من بنى تميم عائلاً إلا كفاه وقضى دينه، وكان يرسل لعائشة أم المؤمنين كل سنة عشرة آلاف⁽⁸⁾، إنه طلحة الخير، وطلحة الفياض، وطلحة الجود⁽⁹⁾، وقد سماه رسول الله بالفياض لسعة عطائه وكثرة إتفاقه في وجوه الخير، فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى موسى بن طلحة أن طلحة نحر جزوراً وحرق بئراً يوم ذي قردا⁽¹⁰⁾، فأطعهم وسقاهم فقال النبي ×: «يا طلحة الفياض». فسمى طلحة الفياض⁽¹¹⁾.

8- من فرائد أقواله ودُرَرَ جواهر كلامه: فمن أقواله: إن أفلَ عيب الرجل جلوسه

(1) رواه الترمذى بأسناد حسن رقم (3742).

(2) سير أعلام النبلاء (37/1) بأسناده حسن.

(3) الحالية (88/1)، سير أعلام النبلاء (30/1).

(4) سير أعلام النبلاء للذهبي (30/1)، (31).

(5) خاتر النفس: غير نشط.

(6) مجمع الزوائد (9/148) قال الهيثمى: رواه الطبرانى وروى عنه ثقات.

(7) سير أعلام النبلاء (32/1).

(8) المصدر نفسه (31/1).

(9) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين: ص(527).

(10) البداية والنهاية (258/7).

(11) ماء على ليتين من المدينة بينها وبين خير، النهاية (37/4).

في بيته⁽¹⁾، ومما حفظ عنه قوله: الكسوة تظهر الذمة، والإحسان إلى الخادم يكتب الأداء⁽²⁾. ولطلحة - رضي الله عنه - آراء ثاقبة وصحيفة في الناس، فكان لا يشاور بخيلاً في صلة ولا جياؤاً في حرب⁽³⁾.

9- شهادة طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: لما حضر يوم الحمل واجتمع به على فوعظه تأخر فوقف في بعض الصنوف، فجاءه سهم غرب فوقع على ركبته، وقيل في رقبته، والأول أشهر، وانتظم السهم مع ساقه خاصرة الفرس فجمح به حتى كان يلقيه، وجل يقول: إلى عبد الله، فأدركه مولى له فركب وراءه وأدخله البصرة فمات بدار فيها، ويقال: إنه مات بالمعركة، وإن علياً لما دار بين القتلى رأه فجعل يمسح عن وجهه التراب⁽⁴⁾، ثم قال: عزيز على أبا محمد أن أراك مُجنلاً في الأودية، ثم قال: إلى الله أشكو عُجري وبُجرى⁽⁵⁾، وترحم عليه وقال: لينتي مَتْ قبل هذا بعشرين سنة⁽⁶⁾، ولا شك أن طلحة ابن عبيد الله، رضي الله عنه، من أهل الجنة، فقد روى الترمذى بإسناده إلى عبد الرحمن ابن عوف قال: قال رسول الله : «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة في الجنة، والزبير وعبد الرحمن بن عوف في الجنة». ثم قال: وقد روى هذا الحديث عبد الرحمن بن حميد عن أبيه عن سعيد بن زيد عن النبي × نحو هذا⁽⁷⁾، ففي هذا الحديث دين منقبة واضحة لطلحة، رضي الله عنه، حيث شهد له النبي × أنه من أهل الجنة وأكمل بها من شهادة فإنها تضمنت الإخبار بسعادته في الدنيا والآخرة⁽⁸⁾.

10- حفظ الله له بعد موته: إن الله حفظ جسد طلحة بن عبيد الله، رضي الله عنه، بعد موته، فقد فتح قبره بعد أكثر من ثلاثين عاماً، ونقلوه إلى مكان آخر، فلم يتغير منه إلا شعيرات في أحد شقّي لحيته، فعن المثنى بن سعيد قال: أتى رجلٌ عائشة بنت طلحة فقال: أرأيت طلحة في المنام؟ قل لعائشة تحولني من هذا المكان، فإن الذرّ - الرطوب أو الماء - قد أذاني. فركبت في حشمتها، فضربوا عليه بناء واستشاروه. قال: فلم يتغير منه إلا شعيرات في أحد شقّي لحيته، أو قال: رأسه، وكان بينهما بضع وثلاثون سنة⁽⁹⁾، فرضي الله عن طلحة وسائر الصحابة أجمعين.

11- سعد بن أبي وقاص يدعى على من يقع في عثمان وعلى طلحة والزبير رضي الله عنهم: عن سعيد بن المسيب أن رجلاً كان يقع في طلحة والزبير وعثمان وعلى رضي الله عنهم فجعل سعد ينهاه ويقول: لا تقع في إخوانى، فأبى، فقام فصلى ركتعين ثم قال: اللهم إن كان سخطاً لك فيما يقول، فأرني فيه اليوم أية واجعله عبرة، فخرج الرجل فإذا ببختي يشق الناس، فأخذه بالباطل فوضعه بين كركرته⁽¹⁰⁾ أو البلاط، فسحقه حتى قتلته. قال سعيد ابن المسيب: فأنا رأيت الناس يتبعون سعداً ويقولون: هنئاً لك أبا إسحاق أجيبيت دعونك⁽¹¹⁾.

(1) المستدرك (374/3)، حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه، مختصر تاريخ دمشق (203/11)، يقدّم صد أن العزلة بعد عن الاهتمام.

(2) فرسان من عصر النبوة، ص (237).

(3) فرسان من عصر النبوة، ص (237).

(4) البداية والنهاية (258/7).

(5) سرائر وحزاني التي تموح في جوفي.

(6) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين (528).

(7) أخرجه أبو داود (4649)، الترمذى (3757). حديث حسن.

(8) عقيدة أهل السنة (293/1).

(9) أصحاب الرسول (270/1).

(10) البداية والنهاية (259/7).

(11) البداية والنهاية (259/7).

المبحث الثاني
معركة صفين (37هـ)

أولاً: تسلسل الأحداث التي قبل المعركة:

1- أم حبيبة بنت أبي سفيان نرسل النعمان بن بشير بقميص عثمان إلى معاوية وأهـل الشام: لما قُتـل عثمان، رضي الله عنهـ، أرسـلت أم المؤمنـينـ، أم حـبيـبة بـنـتـ أـبـيـ سـفـيـانـ إلىـ أـهـلـ عـثـمـانـ؛ أـرـسـلـواـ إـلـىـ بـيـبـاـ بـعـدـ قـتـلـ فـيـهاـ، فـعـثـوـاـ إـلـيـهاـ بـقـمـيـصـهـ مـضـرـ جـاـ بالـدـمـ، وـبـخـصـلـةـ الشـعـرـ الـتـيـ نـتـفـتـ مـنـ لـحـيـتـهـ، ثـمـ دـعـتـ النـعـمـانـ بـنـ بشـيـرـ وـمـعـهـ قـمـيـصـ عـثـمـانـ مـضـمـخـ بـالـدـمـ، وـمـعـهـ أـصـابـعـ نـائـلـةـ الـتـيـ أـصـبـيـتـ حـيـنـ دـافـعـتـ عـنـ بـيـدـهـ⁽²⁾، وـكـانـتـ نـائـلـةـ بـنـتـ الفـرـاقـصـةـ الـكـلـبـيـةـ زـوـجـ عـثـمـانـ كـلـبـيـةـ شـامـيـةـ⁽³⁾، فـوـرـ النـعـمـانـ عـلـىـ مـعـلـوـيـةـ بـالـشـامـ، فـوـ ضـعـهـ مـعـاـوـيـةـ عـلـىـ المـنـبـرـ لـيـرـاهـ النـاسـ، وـعـلـقـ الـأـصـابـعـ فـيـ كـمـ قـمـيـصـ يـرـفـعـ تـارـةـ وـيـوـضـعـ تـارـةـ، وـالـنـاسـ يـتـبـاـكـونـ حـولـهـ، وـحـتـ بـعـضـهـ بـعـضـاـ عـلـىـ الـأـخـذـ بـثـارـهـ⁽⁴⁾، وـجـاءـ شـرـحـبـيلـ بـنـ السـمـطـ الـكـنـديـ وـقـالـ لـمـعـاـوـيـةـ، كـانـ عـثـمـانـ خـلـيـفـتـاـ، فـإـنـ قـوـيـتـ عـلـىـ الـطـلـبـ بـدـمـهـ وـأـلـاـ فـاعـ تـرـلـنـاـ⁽⁵⁾. وـأـلـيـ رـجـالـ الشـامـ أـنـ لـاـ يـمـسـوـ النـسـاءـ وـلـاـ يـنـامـوـ عـلـىـ الـفـرـشـ حـتـيـ يـقـتـلـوـاـ قـتـلـةـ عـذـ مـانـ وـمـنـ عـرـضـ دـوـنـهـ بـشـيـءـ أـوـ تـقـنـيـ أـرـواـحـهـ⁽⁶⁾، وـكـانـ ذـلـكـ مـاـ يـرـيدـهـ مـعـاـوـيـةـ، فـقـدـ كـانـتـ الصـورـةـ الـتـيـ نـقـلـهـاـ النـعـمـانـ بـنـ بشـيـرـ إـلـىـ أـهـلـ بـشـعـةـ بـشـعـةـ؛ مـقـتـلـ الـخـلـيـفـةـ، سـيـوـفـاـ مـصـلـةـ هـ مـنـ الغـوـاءـ عـلـىـ رـقـابـ النـاسـ، بـيـتـ الـمـالـ مـنـتـهـكـاـ مـسـلـوـبـاـ، وـأـصـابـعـ نـائـلـةـ مـقـطـوـعـةـ، فـهـاـ جـتـ النـفـوسـ وـالـعـوـاطـفـ، وـاهـتـرـتـ الـمـشـاعـرـ، وـتـأـثـرـتـ بـهـاـ الـقـلـوبـ، وـذـرـفـتـ مـنـهـاـ الـعـيـونـ، وـلـاـ غـرـابـةـ بـعـدـ هـذـاـ إـلـطـاقـاـ أـنـ نـرـىـ إـصـرـارـ مـعـاـوـيـةـ وـمـنـ مـعـهـ مـنـ أـهـلـ الشـامـ بـالـإـصـرـارـ عـلـىـ الـمـطـالـبـ بـدـمـ عـثـمـانـ، وـتـسـلـيمـ الـقـتـلـةـ لـلـقـصـاصـ قـبـلـ الـبـيـعـةـ، وـهـلـ نـتـصـورـ أـنـ يـتـمـ مـقـتـلـ أـمـيـدـ رـمـؤـمـيـنـ وـسـيـدـ الـمـسـلـمـيـنـ مـنـ حـاقـدـيـنـ مـحـتـلـيـنـ مـتـأـمـرـيـنـ، وـلـاـ يـتـماـوـجـ الـعـالـمـ إـلـاسـلـامـيـ مـنـ أـقـصـاهـ إـلـىـ أـقـصـاهـ لـلـقـصـاصـ مـنـ أـصـاحـابـ هـذـهـ⁽⁷⁾.
الـجـرـيـمةـ الـبـشـعـةـ؟ـ!

2- دـوـافـعـ مـعـاـوـيـةـ فـيـ دـمـ الـبـيـعـةـ: كـانـ مـعـاـوـيـةـ، رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ، وـالـيـدـاـ عـلـىـ الشـامـ فـيـ عـهـدـ عمرـ وـعـثـمـانـ، رـضـيـ اللـهـ عـنـهـماـ، وـلـمـ تـولـيـ الـخـلـافـةـ عـلـىـ أـرـادـ عـزـلـهـ وـتـولـيـةـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ عمرـ، فـاعـتـذرـ بـنـ عمرـ، فـأـرـسـلـ عـلـىـ سـهـلـ بـنـ حـنـيفـ بـدـلاـ مـنـهـ، إـلـاـ أـنـهـ مـاـ كـادـ يـصـلـ مـ شـارـفـ الشـامـ (ـوـادـيـ الـقـرـىـ)ـ حـتـيـ عـادـ مـنـ حـيـثـ جـاءـ، إـذـ لـقـيـتـهـ خـيـلـ مـعـاـوـيـةـ عـلـيـهاـ حـبـيبـ بـنـ مـسـلـمـةـ الـفـهـرـىـ، فـقـالـوـاـ لـهـ: إـنـ كـانـ بـعـثـكـ عـثـمـانـ فـحـيـهـلـاـ بـكـ وـإـنـ كـانـ بـعـثـكـ غـيرـهـ فـارـجـعـ⁽⁸⁾. لـقـدـ اـمـتـعـ مـعـاـوـيـةـ وـأـهـلـ الشـامـ عـنـ الـبـيـعـةـ وـرـأـواـ أـنـ يـقـصـ عـلـىـ رـضـيـ اللـهـ عـدـهـ هـ مـنـ قـتـلـةـ عـثـمـانـ ثـمـ يـدـخـلـونـ الـبـيـعـةـ⁽⁹⁾، وـقـالـوـاـ: لـاـ نـبـاـعـ مـنـ يـؤـوـيـ الـقـتـلـةـ⁽¹⁰⁾، وـتـخـوـفـوـاـ عـلـىـ أـنـفـسـهـمـ مـنـ قـتـلـةـ عـثـمـانـ الـذـيـنـ كـانـوـاـ فـيـ جـيـشـ عـلـىـ، فـرـأـواـ أـنـ الـبـيـعـةـ لـعـلـىـ لـاتـجـبـ عـلـيـهـ مـ، وـأـنـهـ إـذـاـ فـانـتـلـوـاـ عـلـىـ ذـلـكـ كـانـوـاـ مـظـلـوـمـيـنـ، فـقـالـوـاـ: لـأـنـ عـثـمـانـ قـتـلـ مـظـلـومـاـ بـاتـقـاقـ الـمـسـلـمـيـنـ، وـقـتـلـتـهـ فـيـ عـسـكـرـ عـلـىـ، وـهـمـ غـالـبـوـنـ لـهـمـ شـوـكـةـ، فـإـذـاـ بـايـعـنـاـ ظـلـمـوـنـاـ وـاعـتـدـوـاـ عـلـيـنـاـ وـ

(1) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين: ص(359).

(2) البداية والنهاية (539/7).

(3) تاريخ الدعوة الإسلامية، محمد جميل: ص(398).

(4) البداية والنهاية (539/7) سندـهاـ ضـعـفـ.

(5) الأنساب (418/4)، تاريخ الدعوة الإسلامية: ص(398).

(6) تاريخ الطبرى (600/5).

(7) معاوية بن أبي سفيان للغضب: ص(183 - 178).

(8) تاريخ الطبرى (466/5).

(9) البداية والنهاية (129/7).

(10) العواسم من القواسم: ص(162).

ضاع دم عثمان، وكان معاوية - رضي الله عنه - يرى أن عليه مسؤولية الانتصار لعلم
ان والقود من قاتليه، فهو ولی دمه، والله يقول: + وَمَنْ قُتِلَ مَظُلُومًا فَقَدْ جَعَلَنَا
لَوْلَيْهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِذْ كَانَ مَذْصُورًا" [الإسراء: 33]، لذا
ك جمع معاوية الناس، وخطبهم بشأن عثمان وأنه قتل مظلوماً على يد سفهاء منافقين لم
يقدروا الدم الحرام، إذ سفكوه في الشهر الحرام في البلد الحرام، فثار الناس، واستنكروا
وعلت الأصوات - وكان منهم عدد من أصحاب رسول الله ﷺ، فقام أحدهم - واسمه مر
ة بن كعب - فقال: لو لا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما تكلمت، وذكر الفتنة فقربها، فـ
مر رجل متقنع في ثوب، فقال: هذا يومئذ على الهدى، فقمت إليه، فإذا هو عثمان بن عفا
ن، فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: نعم^(١).

وهناك حديث آخر له تأثيره في طلب معاوية القود من قتلة عثمان وكان منشطاً ودافعاً قوياً للتصديم على تحقيق الهدف، وهو: عن النعمان بن بشير عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: أرسل رسول الله \times ، فكان من آخر كلمة أن ضرب منكبها، فقال: «يا عثمان إن الله عسى أن يلبيك قميصاً، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخليه حتى تلقاني» ثلثاً، فقلت لها: يا أم المؤمنين فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيته والله ما ذكرته، قال: فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرض بالذى أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين أن اكتبى إلى به، فكتبت إليه به كتاباً⁽²⁾

لقد كان الحرث الشديد على تنفيذ حكم الله في القتلة السبب الرئيسي في رفض أهل الشام بز عامة معاوية بن أبي سفيان بيعة على بن أبي طالب، ورأوا أن تقديم حكم القصاص مقدم على البيعة، وليس لأطماع معاوية في ولادة الشام، أو طلبه ما ليس له بحق، إذ كان يدرك إدراكاً تاماً أن هذا الأمر في بقية السنة من أهل الشورى، وأن عليه أفضلاً منه وأولى بالأمر منه⁽³⁾، وقد انعقدت البيعة له بإجماع الصحابة بالمدينة، وكان اجتهاد معاوية يخالف الصواب.

3- معاوية يرد على أمير المؤمنين على رضي الله عنهم: بعث على رضي الله عنه كتبًا كثيرة إلى معاوية فلم يرد عليه جوابها، وتكرر ذلك مراراً إلى الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر، ثم بعث معاوية طُومار⁽⁴⁾ مع رجل، فدخل به على على⁽⁵⁾ فقال له على: ما ورأوك؟ قال: جئتكم من عند قوم لا يريدون إلا القواد⁽⁶⁾ كلهم موتور⁽⁶⁾ ترك ستين ألف شيخ ي يكون تحت قميص عثمان، وهو على منبر دمشق، فقال على: اللهم إني أبراً إليك من دم عثمان. ثم خرج رسول معاوية من بين يدي على فهم به أولئك الذين قتلوا عثمان ي يريدون قتيله، مما أفلت إلا بعد جهد⁽⁷⁾.

4- تجهيز أمير المؤمنين على لغزو الشام واعتراض الحسن على ذلك: بعد وصول رد معاوية لأمير المؤمنين على، عزم الخليفة على قتال أهل الشام، كتب إلى قيس بن سعد بمصر يستنفر الناس لقتالهم، وإلى أبي موسى بالكوفة، وبعث إلى عثمان بن حنيف بذلك، وخطب الناس فتحتّهم على ذلك، وعزم على التجهز، وخرج من المدينة، واستخلف عليها قثم بن العباس، وهو عازم أن يقاتل من أطاعه من عصاه وخرج من أمره ولم يدلي به مع الناس، وجاء إليه ابنه الحسن بن على فقال: يا أبا داعٍ هذا فإن فيه سفاك دماء ا

: (1) صحيح سنن ابن ماجه (240/1)

(2) مسند أحمد رقم (24045)، حديث صحيح.

(3) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد على: ص(112).

الطبومار: الصحيفة

القُوَّد: القاتل بالقتل

المونور: صاحب النار. {6} {7} البداية والنهاية (240/7)

(٧) البدایه والنهایه (٢٤٠/٧).

ل المسلمين، ووقوع الاختلاف بينهم، فلم يقبل منه ذلك، بل صمم على القتال، ورتب الجيـش، فدفع اللواء إلى محمد بن الحنفية، وجعل ابن العباس على الميمنة، وعمر بن أبي سـلمـه على الميسرة، وقيل: جعل على الميسرة عمرو بن سفيان بن عبد الأسد، وجعل على مقدمته أبي ليلى بن عمر بن الجراح ابن أخي أبي عبيدة، واستختلف على المدينة قـثمـ بن الـعبـاسـ، ولم يبق شيء إلا أن يخرج من المدينة قاصداً الشام، حتى جاءه ما شغله عن ذلك⁽¹⁾، وقد تم تفصيل ذلك من خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة إلى معركة الجـملـ.

5- بعد معركة الجـملـ أرسل أمير المؤمنين على جـرـيرـ بن عبد الله إلى معاوية: ذـكرـ رـأنـ المـدـةـ بينـ خـلاـفةـ أمـيرـ المؤـمـنـينـ عـلـىـ إـلـىـ فـتـنـةـ السـبـئـيـةـ الثـانـيـةـ أوـ ماـ يـسـمـيـ البـصـرـةـ أوـ مـعـرـكـةـ الجـملـ، خـمـسـةـ آـشـهـرـ وـوـاـحـدـ وـعـشـرـونـ يـوـمـاـ، وـبـيـنـ دـخـولـهـ الكـوـفـةـ شـهـرـ، وـبـيـنـ ذـكـرـ وـخـرـوجـهـ إـلـىـ صـفـينـ سـتـةـ آـشـهـرـ⁽²⁾، وـرـوـىـ شـهـرـانـ أوـ ثـلـاثـةـ⁽³⁾ وـقـدـ كـانـ دـخـولـهـ أمـيرـ المؤـمـنـينـ بـيـنـ الكـوـفـةـ يـوـمـ الـاثـيـنـ لـاثـيـنـ عـشـرـةـ لـيـلـةـ خـلـتـ مـنـ رـجـبـ سـنـةـ سـتـ وـثـلـاثـيـنـ، فـقـيلـ لـهـ: اـنـزـلـ بـالـقـصـرـ الـأـبـيـضـ، فـقـالـ: لـاـ، إـنـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ كـانـ يـكـرـهـ نـزـولـهـ، فـأـنـاـ أـكـرـهـ لـذـكـرـ، فـنـزـلـ فـيـ الرـحـبةـ وـصـلـىـ بـالـجـامـعـ الـأـعـظـمـ رـكـعـتـيـنـ ثـمـ خـطـبـ النـاسـ فـحـثـهـمـ عـلـىـ الـخـيـرـ، وـنـهـاـهـمـ عـنـ الشـرـ، وـمـدـحـ أـهـلـ الـكـوـفـةـ فـيـ خـطـبـتـهـ ذـهـنـ، ثـمـ بـعـثـ إـلـىـ جـرـيرـ بنـ عبدـ اللهـ وـكـانـ عـلـىـ هـمـ ذـانـ مـنـ زـمـانـ عـثـمـانـ، وـإـلـىـ الـأـشـعـتـ بـنـ قـيـسـ وـهـوـ عـلـىـ نـيـابةـ أـذـرـيـبـيـجـانـ مـنـ أـيـامـ عـثـمـانـ يـأـمـرـهـمـ أـنـ يـأـخـذـ الـبـيـعـةـ لـهـ عـلـىـ مـنـ هـنـالـكـ ثـمـ يـقـبـلـانـ إـلـيـهـ، فـفـعـلـاـذـكـ، فـلـمـ أـرـادـ عـلـىـ أـنـ يـدـعـ عـثـ إلىـ مـعـاوـيـةـ - رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ - يـدـعـوـهـ إـلـىـ بـيـعـتـهـ، فـقـالـ جـرـيرـ بنـ عبدـ اللهـ الـجـلـيـ: أـنـ أـذـهـبـ إـلـيـهـ يـاـ أـمـيرـ المؤـمـنـينـ، فـإـنـ بـيـنـيـ وـبـيـنـهـ وـدـاءـ، فـأـخـذـ لـكـ الـبـيـعـةـ مـنـهـ، فـقـالـ الـأـشـتـرـ: لـاـ تـ بـعـثـ يـاـ أـمـيرـ المؤـمـنـينـ، فـإـنـيـ أـخـشـ أـنـ يـكـوـنـ هـوـاهـ مـعـهـ، فـقـالـ عـلـىـ: دـعـهـ. فـبـعـثـهـ وـكـتـبـ مـعـهـ كـتـادـاـ إـلـىـ مـعـاوـيـةـ يـعـلـمـ بـاـجـتمـاعـ الـمـهـاجـرـينـ وـالـأـنـصـارـ عـلـىـ بـيـعـتـهـ، وـيـخـبـرـهـ بـمـاـ كـانـ فـيـ وـقـعـةـ الـجـملـ، وـيـدـعـوـهـ إـلـىـ الدـخـولـ فـيـمـاـ دـخـلـ فـيـهـ النـاسـ، فـلـمـاـ اـنـتـهـيـ إـلـيـهـ جـرـيرـ بنـ عبدـ اللهـ ، أـعـطـاهـ الـكـتـابـ وـطـلـبـ مـعـاوـيـةـ عـمـرـ بـنـ العـاصـ وـرـعـوسـ أـهـلـ الشـامـ فـاسـتـشـارـهـ، فـأـلـوـاـ أـنـ بـيـاعـواـ حـتـىـ يـقـتـلـ قـتـلـةـ عـثـمـانـ، أـوـ أـنـ يـسـلـمـ إـلـيـهـ قـتـلـةـ عـثـمـانـ، وـإـنـ لـمـ يـفـعـلـ قـاتـلـوـهـ وـلـمـ بـيـاـ يـعـوـهـ حـتـىـ يـقـتـلـهـ عـنـ آـخـرـهـ، فـرـجـعـ جـرـيرـ إـلـىـ عـلـىـ فـأـخـبـرـهـ بـمـاـ قـالـوـاـ، فـقـالـ الـأـشـتـرـ: أـلـمـ أـذـهـبـ يـاـ أـمـيرـ المؤـمـنـينـ أـنـ تـبـعـثـ جـرـيرـ؟ـ فـلـوـ كـنـتـ بـعـثـتـيـ لـمـ اـفـتـحـ مـعـاوـيـةـ بـاـدـاـ إـلـاـ أـغـلـقـتـهـ. فـقـالـ لـهـ جـرـيرـ: لـوـ كـنـتـ ثـمـ لـقـلـوـكـ بـدـمـ عـثـمـانـ، فـقـالـ الـأـشـتـرـ: وـالـلـهـ لـوـ بـعـثـتـيـ لـمـ يـعـيـنـيـ جـوـ اـبـ مـعـاوـيـةـ، وـلـأـعـلـمـهـ عـنـ الـفـكـرـةـ، وـلـوـ أـطـاعـنـيـ فـيـكـ أـمـيرـ المؤـمـنـينـ لـحـبـسـكـ وـأـمـثالـكـ حـتـىـ بـسـتـقـيمـ أـمـرـ هـذـهـ الـأـمـمـةـ. فـقـامـ جـرـيرـ مـعـضـدـاـ فـأـقـامـ بـقـرـقـيـسـاءـ، وـكـتـبـ إـلـىـ مـعـاوـيـةـ يـخـبـرـهـ بـمـاـ قـالـ وـقـيلـ لـهـ، فـكـتـبـ إـلـيـهـ مـعـاوـيـةـ يـاـمـرـهـ بـالـقـدـومـ عـلـيـهـ⁽⁴⁾، وـهـكـذاـ كـانـ الـأـشـتـرـ سـبـبـاـ فـيـ إـيـادـ اـ لـصـاحـبـيـ جـرـيرـ بنـ عبدـ اللهـ الـذـيـ كـانـ وـالـيـاـ عـلـىـ قـرـقـيـسـاءـ وـعـلـىـ غـيرـهـاـ وـرـأـسـاـ فـيـ قـبـيـلـهـ بـجـيـلـةـ، وـيـضـطـرـهـ إـلـىـ مـفـارـقـةـ أـمـيرـ المؤـمـنـينـ عـلـىـ. وـهـذـاـ الصـاحـبـيـ جـرـيرـ بنـ عبدـ اللهـ الـجـلـيـ قـالـ: مـاـ رـأـيـتـ رـسـوـلـ اللـهـ ×ـ إـلـاـ تـبـسـمـ فـيـ وـجـهـيـ، وـقـالـ ×ـ: «ـيـطـلـعـ عـلـيـكـمـ مـنـ هـذـاـ الـبـابـ رـجـلـ مـنـ خـيـرـ دـيـ يـمـنـ، عـلـىـ وـجـهـهـ مـسـحـةـ مـلـاـكـ»⁽⁵⁾.

6- مـسـيـرـ أـمـيرـ المؤـمـنـينـ إـلـىـ الشـامـ: اـسـتـعـدـ أـمـيرـ المؤـمـنـينـ عـلـىـ لـغـزـوـ الشـامـ، فـبـعـثـ يـسـ تـنـفـرـ النـاسـ⁽⁶⁾، وـجـهزـ جـيـشـاـ ضـخـماـ اـخـتـلـفـتـ الـرـوـاـيـاتـ فـيـ تـقـيـدـهـ، وـكـلـهـ رـوـاـيـاتـ

(1) الـبـداـيـةـ وـالـنـهـاـيـةـ (240/7).

(2) مـرـوـجـ الـذـهـبـ (360/2).

(3) التـارـيـخـ الصـغـيرـ للـبـخـارـيـ (102/1).

(4) الـبـداـيـةـ وـالـنـهـاـيـةـ (265/7).

(5) مـسـلـمـ رـقـمـ (2475).

(6) الإـصـابـةـ (124، 123/1). نـقـلاـ عـنـ الـحاـكـمـ بـسـدـ حـسـنـ.

ضعيفة⁽¹⁾ إلا رواية واحدة حسنة الإسناد ذكرت أنه سار في خمسين ألفاً⁽²⁾.

وكان مكان تجمع جند أمير المؤمنين بالخيلة⁽³⁾، وهو على ميلين من الكوفة آذاك، فتوافت عليه القبائل من شتى إقليم العراق⁽⁴⁾، واستعمل أمير المؤمنين على أبو مسعود لأنصاري، وبعث من الخيلة زيد بن النضر الحارثي طليعة في ثمانية آلاف مقاتل، وبعث شريح بن هانئ في أربعة آلاف، ثم خرج على رضي الله عنه بجيشه إلى المدائن (بغداد) فانضم إليه فيها من المقاتلة وللإله سعد بن مسعود التقى، ووجه منها طليعة في ثلاثة آلاف إلى الموصل⁽⁵⁾، وسلك رضي الله عنه طريق الجزيرة الرئيسية على شط الفرات الشرقي حتى بلغ قرب قرقيسياه⁽⁶⁾، فاتته الأخبار بأن معاوية قد خرج لملاقاته وعسكر بصفين، فتقى على إلى الرقة⁽⁷⁾، وعبر منها الفرات غرباً ونزل على صفين⁽⁸⁾.

7- خروج معاوية إلى صفين: كان معاوية جاداً في مطاردة قتلة عثمان، رضي الله عنه، فقد استطاع أن يترصد بجماعة من غزوا المدينة من المصريين أثناء عودتهم وقتلاً لهم، ومنهم أبو عمرو بن بديل الخزاعي⁽⁹⁾، ثم كانت له أيد في مصر وشيعة في أهل «خربتا» تطالب بدم عثمان، رضي الله عنه، وقد استطاعت هذه الفرقة إيقاع الهزيمة بمحمد بن أبي حذيفة في عدة مواجهات عام 36هـ، كما استطاع أيضاً أن يوقع برعوس مدبر ي ومخططه غزو المدينة من المصريين، مثل عبد الرحمن بن عيسى، وكنانة بن بشر، ومحمد بن حذيفة فحبسهم في فلسطين، وذلك في الفترة التي سبقت خروجه إلى صفين، ثم قتلهم في شهر ذي الحجة عام 36هـ⁽¹⁰⁾، وعندما علم معاوية بتحرك جيش العراق جمع مستشاريه من أعيان أهل الشام، وخطب فيهم وقال: إن علياً نهد إليكم في أهل العراق.. فقال ذو الكلاع الحميري: عليك أمرأى وعليينا امفعل⁽¹¹⁾⁽¹²⁾.

وكان أهل الشام قد بايعوا معاوية على الطلب بدم عثمان، رضي الله عنه، والقتال⁽¹³⁾، وقد قام عمرو بن العاص، رضي الله عنه، بتجهيز الجيش وعقد الألوية، وقام في الجيش خطيباً يحرضهم، فقال: إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم وأهونوا شوكتهم، وفروا حدهم، ثم إن أهل البصرة مخالفون لعلى قد وترهم وقتلهم، وقد تقامت صناديد أهل الكوفة يوم الجمل، وإنما سار في شرذمة قليلة، ومنهم من قد قتل خليفتكم، فالله الله في حكم أن تضييعوه وفي دمكم أن تبطلوه⁽¹⁴⁾، وسار معاوية في حيش ضخم، اختلت الروايات في تقديره، وكلها روايات منقطعة أسانيدها، وهي عين الروايات التي فدرت جيش عى رضي الله عنه، فقدر بمائة ألف وعشرين ألفاً⁽¹⁵⁾، وقدر بسبعين ألف مقاتل، وقدر بأكثر من ذلك بكثير⁽¹⁶⁾، إلا أن الأقرب للصواب أنهم ستون ألف مقاتل، فهي وإن كانت منة

(1) من قال: مائة وخمسون ألفاً أو يزيدون، البداية والنهاية (260/7)، مائة وعشرون ألفاً: المعرفة والتاريخ (3/13) بسند منقطع، وقدر بستين ألفاً: تاريخ خليفة بن خياط: ص(193).

(2) تاريخ خليفة: ص(193) بسند حسن.

(3) موقع قرب الكوفة من جهة الشام، معجم البلدان (5/278).

(4) خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد: ص(188).

(5) تاريخ الطبراني (5/603) بسند حسن إلى عوانة منقطع.

(6) فرقسياء: بلد يقع على نهر الباور عند صبيه في الفرات - الرقة: مدينة مشهورة - في سوريا اليوم - على نهر الفرات الشرقي، معجم البلدان (4/328).

(7) تاريخ الطبراني (5/604) بسند حسن.

(8) المحن لأبي العرب التميمي: ص(124)، خلافة على، عبد الحميد: ص(191).

(9) خلافة على، عبد الحميد: ص(191).

(10) لغة حمير في إبدال لام (ال) التعرّف ميمًا، أي: عليك الرأي وعلينا الفعل.

(11) الإصابة (1/480)، خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد: ص(192).

(12) أنساب الأشراف (2/52) بسند منقطع، خلافة على: ص(192).

(13) تاريخ الطبراني (5/601) بسند منقطع.

(14) خلافة على بن أبي طالب: ص(194)، المعرفة والتاريخ (3/313).

(15) خلافة على: ص(194)، تاريخ خليفة: ص(193).

(16) خلافة على: ص(194)، تاريخ خليفة: ص(193).

طعة الإسناد إلا أن روايتها صفوان بن عمرو السكري، حمصي من أهل الشام ولد عام 72هـ) وهو ثبت ثقة، وقد أدرك خلقةً من شهد صفين، كما يتبيّن من دراسة ترجمته⁽¹⁾، والإسناد إليه صحيح⁽²⁾، وكان قادة جيش معاوية على النحو التالي: عمرو بن العاص على خيول أهل الشام كلها، والضحاك بن قيس على رجاله الناس كلهم، وذو الكلاع الحميري على ميمنة الجيش، وحبيب بن مسلمة على ميسرة الجيش، وأبو الأعور المسلمي على المقدمة. هؤلاء هم القادة الكبار وتحت كل قائد من هؤلاء قادة وزعوا حسب القبائل، وكان هذا الترتيب عند مسيرهم إلى صفين، ولكن أثناء الحرب تغير بعض القادة وظهر قادة آخرون مما اقتضته الظروف، ولعل هذا يكون السبب في اختلاف أسماء القادة في بعض المصادر⁽³⁾.

وبعث معاوية أبا الأعور المسلمي مقدمة للجيش، وكان خط سيرهم إلى الشمال الشرقي من دمشق، ولما بلغ صفين أسفل الفرات، عسكر في سهل فسيح، إلى جانب شريعة في الفرات، ليس في ذلك المكان شريعة غيرها، وجعلوها في حيزه⁽⁴⁾.

8- القتال على الماء: وصل جيش على رضي الله عنه إلى صفين، حيث عسكر معاوية، ولم يجد موضعًا في سهلًا يكفي الجيش، فعسكر في موضع وعر نوعًا ما؛ إذ أغلب الأرض صخور ذات كדי وأكمات⁽⁵⁾، فوجئ جيش العراق بمنع معاوية عنهم الماء، فهرع البعض إلى على رضي الله عنه يشكون إليه هذا الأمر، فأرسل على إلى الأشعري بن قيس فخرج في ألفين ودارت أول معركة بين الفريقين انتصر فيها الأشعت وانتصروا على الماء⁽⁶⁾، إلا أنه قد وردت رواية تتفق وقوع القتال في أصله مفادها أن الأشعت بن قيس جاء إلى معاوية فقال: الله الله يا معاوية في أمّة محمد! هبوا أنكم قتلتم أهل العراق، فمن للبعثة والذراري؟ إن الله يقول: +وَإِن طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ افَتَدْلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا+ [الحجرات: 9] قال معاوية: فما ترید؟ قالوا: خلوا بيننا وبين الماء. فقال لأبي الأعور: خل بين إخواننا وبين الماء⁽⁷⁾. وقد كان القتال على الماء في أول يوم تواجهها فيه في بداية شهر ذي الحجة فاتحة شهر على شكل كتاب صغير، فكان القتال بينهما متواصلاً طوال هذا الشهر، وكان القتال على شكل كتاب صغير، على رضي الله عنه يخرج من جيشه كتبية صغيرة يؤمن عليها أميرًا، فقتلان مرة واحدة في اليوم، في الغداة أو العشي، وفي بعض الأحيان تقتلان مرتين في اليوم، وكان أغلب من يخرج من أمراء الكتاب في جيش على، الأشتري، وحجر بن عدى، وشبيث بن ربعي، وخالد بن المعتمر، ومعقل بن يسار الرياحي، ومن جيش معاوية أغلب من يخرج، حبيب بن مسلمة، وعبد الرحمن بن السبط، وقد تجنبوا القتال بكمال الجيش خشية الهلاك والاستئصال، وأملأاً في وقوع صلح بين الطرفين، تسان به الأرواح الدماء⁽⁸⁾.

9- المواعدة بينهما ومحاولات الصلح: ما إن دخل شهر المحرم، حتى بادر الفريقان إلى المواعدة والهدنة طمعًا في صلح يحفظ دماء المسلمين، فاستغلوا هذا الشهر في الـ

(1) سير أعلام النبلاء (380/6).

(2) خلافة على بن أبي طالب: ص(194).

(3) امتداد العرب في صدر الإسلام صالح العلي: ص(73)، خلافة على: ص(194).

(4) صفين، نصر بن مزاحم: ص(160، 161).

(5) خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد: ص(196)، النصر المبين.

(6) مصنف ابن أبي سيبة (24/15) بسند حسن.

(7) سير أعلام النبلاء (296)، مرويات أبي مخف: ص(296).

(8) خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد ص(197)، البداية والنهاية (7/266)، تاريخ الطبرى (614/5).

راسلات بينهم، ولكن المعلومات عن راسلات هذه الفترة - شهر المحرم - وردت من طرق ضعيفة⁽¹⁾ مشهورة، إلا أن ضعفها لا ينفي وجودها، كان الباقي بالمراسلة أمير المؤمنين على ابن أبي طالب رضي الله عنه، فأرسل بشير بن عمرو الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وشبيث بن رباعي التميمي إلى معاوية، رضي الله عنه، يدعوه كما دعا ه من قبل إلى الدخول في الجماعة والبابية، فرد معاوية عليه برد السائق المعروف، بدأ سليم قتلة عثمان أو القود منهم أولاً، ثم يدخل في البيعة، وقد تبين لنا موقف على من هذه القضية⁽²⁾، كما أن قراء الفريقين، قد عسكروا في ناحية من صفين، وهم عدد كبير، قد قاموا بمحاولات للصلح بينهما، فلم تنجح تلك المحاولات للتزام كل فريق منها برأيه و موقفه⁽³⁾، وقد حاول اثنان من الصحابة، وهما أبو الدرداء، وأبو أمامة، رضي الله عنهمَا ، الصلح بين الفريقين، فلم تنجح مهمتهما أيضاً لنفس الأسباب السابقة، فتركا الفريقين ولم يشهدَا معهما أمرهما⁽⁴⁾، وكذلك حضر مسروق بن الأجدع - أحد كبار التابعين - فوَعَ ط، وخوف ولم يقاتل⁽⁵⁾.

وقد انتقد ابن كثير التفصيات الطويلة التي جاءت في روايات أبي مخنف ونصر بن مزاحم، بخصوص المراسلات بين الطرفين فقال: «...ثم ذكر أهل السير كلاماً طويلاً جرى بينهم وبين على، وفي صحة ذلك عنهم وعنهم نظر، فإن في مطاري ذلك الكلام من على ما ينقض فيه معاوية وأباه، وأنهما إنما دخلوا في الإسلام ولم يزالا في تردد فيه، وغير ذلك، وأنه قال في ذلك: لا أقول إن عثمان قُتل مظلوماً ولا ظالماً... وهذا عند ي لا يصح من على رضي الله عنه»⁽⁶⁾، وموقف على رضي الله عنه من قتل عثمان واضح قد بينته في كتابي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وفي هذا الكتاب.

ثانية: نشوب القتال:

عادت الحرب على ما كانت عليه في شهر ذي الحجة من قتال الكتائب والفرق والمبارزات الفردية، خشية الالتحام الكلي إلى أن مضى الأسبوع الأول منه، وكان عدد الوفيات الحربية بين الفريقين إلى هذا التاريخ أكثر من سبعين وقعة، وذكر أنها تسعون⁽⁷⁾ إلا أن علياً أعلن في جيشه أن غالباً الأربعاء سيكون الالتحام الكلي لجميع الجيش، ثم نبذ معاوية يخبره بذلك⁽⁸⁾، فثار الناس في تلك الليلة إلى أسلحتهم يصلحونها ويحدونها، وقام عمرو بن العاص بإخراج الأسلحة من المخازن لمن يحتاج من الرجال ممن فل سلاحه، وهو يحرض الناس على الاستبسال في القتال⁽⁹⁾، وبات جميع الجيشين في مشاورات وتنظيم للقيادات والألوية.

1- اليوم الأول: أصبح الجيشان في يوم الأربعاء قد نظمت صفوفهم وزعوا حسب التوزيع المتبع في المعارك الكبيرة: قلب وميمنة وميسرة، فكان جيش على رضي الله عنه على النحو التالي⁽¹⁰⁾: على بن أبي طالب على القلب، وعبد الله بن عباس على الميسرة، وعمار بن ياسر على الرجال، ومحمد بن الحنفية، حامل الراية، وهشام بن عتبة (المرقال) حام

(1) تاريخ الطبرى (612/5)، خلافة على بن أبي طالب: ص(199).

(2) تاريخ الطبرى (613/5)، خلافة على بن أبي طالب: ص(19).

(3) المصدر نفسه (614/5).

(4) البداية والنهاية (270/7).

(5) سير أعلام النبلاء (67/4) بدون إسناد.

(6) البداية والنهاية (269/7).

(7) الآباء بتواريخ الخلفاء: ص(59)، صفين: ص(202)، شذرات الذهب (45/1).

(8) البداية والنهاية (273/7).

(9) سنن سعيد بن مصوص (240/2) ضعيف.

(10) تاريخ خليفة بن خياط: ص(193) بسند حسن إلى شاهد عيان.

ل اللواء، والأشعت بن قيس على الميمنة. وأما جيش الشام، فمعاوية في كتبة الشهباء أصد حاب البيض والدروع على تل مرتفع، وهو أمير الجيش، وعمرو بن العاص قائد خيل الشام كلها، وذو الكلاع الحميري على الميمنة على أهل اليمن، وحبيب بن مسلمة الفهري على الميسرة على مصر، والمخارق بن الصباح الكلاعي حامل اللواء⁽¹⁾، وتقابلت الجيوش الإسلامية، ومن كثرتها قد سدت الأفق. ويقول كعب بن جعيل التغلبي أحد شعراء العرب⁽²⁾ وذلك عندما رأى الناس في ليلة الأربعاء وقد ثبتوا إلى نبالهم وسيوفهم يصلحونها استعداداً لهذا اليوم:

أصبحت الأمة في أمر عجب
والملك مجموع غداً لمن غالب
فقلت قولاً صادقاً غير كذب
إن غداً تهلك أعلام العرب⁽³⁾

وتذكر بعض الروايات الضعيفة أن علياً خطب في جيشه، وحرضهم على الصبر والإقدام والإكثار من ذكر الله⁽⁴⁾، وتذكر أيضاً أن عمرو بن العاص قد استعرض جيشه، وأمرهم بتسوية الصنوف وإقامتها⁽⁵⁾، وهذه الروايات لا يوجد مانع من الأخذ بها، لأن كل قائد يحرض جيشه ويحمسه، ويهمهم بكل ما يؤدى به إلى النصر والتدمير الجيشان في ذلك عنيف، استمر محتدماً إلى غروب الشمس لا يتوقف إلا لأداء الصلاة، ويصلى كل فريق في معسكره وبينهما جثث القتلى في الميدان تحصل بينهما، وسأل أحد أفراد جيشه لـ رضي الله عنه حين انصرافه من الصلاة، فقال: ما نقول في قتلنا وقتلهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: من قتل منا ومنهم يريد وجه الله والدار الآخرة دخل الجنة⁽⁶⁾. وقد صبر بعضهم على بعض فلم يغلب أحد أحداً، ولم ير مولياً حتى انتهى ذلك اليوم. وفي المساء خرج على رضي الله عنه إلى ساحة القتال فنظر إلى أهل الشام، فدعا رباه قائلاً: اللهم أغفر لي ولهم⁽⁷⁾.

2- اليوم الثاني: في يوم الخميس تذكر الروايات أن علياً رضي الله عنه قد غلس بـ صلاة الفجر واستعد للهجوم، وغيره بعض القيادات، فوضع عبد الله بن بديل الخزاعي على الميمنة بدلاً من الأشعت بن قيس الذي تحول إلى الميسرة⁽⁸⁾، وزحف الفريقان نحو بعضهما واشتبكوا في قتال عنيف أشد من سابقه، وبدأ أهل العراق في التقدم وأظهروا تقدماً على أهل الشام، واستطاع عبد الله بن بديل أن يكسر ميسرة معاوية، وعليها حبيب بن مسلمة، ويتقدم باتجاه كتبة الشهباء، وأظهر شجاعة وحماساً منقطع النظير، وصاحب هذا التقدم الجزائري، تقدم عام لجيش العراق، حتى إن معاوية قد حدثه نفسه بترك ميدان القتال، إلا أنه صبر وتمثل بقول الشاعر:

أبت لي عفتني وأبى بلائي
وأخذى الحمد بالثمن الربح
وضربى هامة البطل المشيخ
وإكراهي على المكروه نفسي

(1) تاريخ خليفة بن خياط: ص(193) بسند حسن إلى شاهد عيان.

(2) شاعر نطلب في عصره، محضرم، شهد صفين مع معاوية، وهو شاعر معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام، الأعلام للزرکلي (180/6).

(3) البداية والنهاية (273/7)، تاريخ الطبرى (262/5).

(4) تاريخ الطبرى (622/5) من طريق أبي حنف.

(5) الطبقات (255/4) من طريق الوادقى.

(6) سنن سعيد بن منصور (344/2)، (345) بسند ضعيف.

(7) مصنف ابن أبي شيبة (297/15) بسند ضعيف.

(8) تاريخ الطبرى (630/5).

وقلي كلما جشأت وجاشت: مكانك تحمدي أو تستريحي⁽¹⁾

واستحث كتبيته الشهباء، واستطاعوا قتل عبد الله بن بديل، فأخذ مكانه في قيادة الميمنة الأشتر، وتماسك أهل الشام وبایع بعضهم على الموت، وكروا مرة أخرى بشدة وعزيمة وقتل عدد من أبرزهم ذو الكلاع، وحوشب وعبد الله بن الخطاب، رضي الله عنهم، وانقلب الأمر لجيش الشام، وأظهر تقدماً، وبداً جيش العراق في التراجع، واستحر القتل في أهل العراق وكثرت الجراحات، ولما رأى على جيشه في تراجع، أخذ يناديهم ويحمسهم، وقاتل قتالاً شديداً واتجه إلى القلب حيث ربعة، فثارت فيه الحمية وبایعوا أميرهم خالد بن المعتمر على الموت وكانوا أهل قتال⁽²⁾.

وكان عمّار بن ياسر، رضي الله عنه، قد جازر الرابعة والخمسين عاماً، وكان يحارب بحماس، يحرض الناس، ويستهضفهم، ولكنه بعيد كل البعد عن الغلو، فقد سمع رجلاً بجواره يقول: كفر أهل الشام. فنهاده عمار عن ذلك وقال: إنما بغوا علينا، فنحن نتقاهم لبغيتهم، فإلينا واحد، ونبينا واحد، وقبلتنا واحدة⁽³⁾.

ولما رأى عمار رضي الله عنه تقهقر أصحابه، وتقدم خصومه، أخذ يستحثهم ويبين لهم أنهم على الحق ولا يغرنهم ضربات الشاميين الشديدة، فيقول رضي الله عنه: من سره أن تكتفه الحور العين فليقدم بين الصفين محتسباً، فإني لأرى صفة يضرركم ضرباً يرتاب مذهبه المبطلون، والذي نفسي بيده، لو ضربونا حتى يبلغوا منا سعفات هجر، لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل، ولعلمنا أن مصلحبينا على الحق وأنهم على الباطل⁽⁴⁾. ثم أخذ في التقدم، وفي يده الحربة ترعد - لكبر سنها - ويشتد على حامل الراية هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ويستحثه في التقدم ويرغبه وبطمعه فيما عند الله من النعيم، وبطمع أصحابه أيضاً في قول: أزفت الجنة وزينت الحور العين، من سره أن تكتفه الحور العين، فليتقدم بين الصفين محتسباً. وكان منظرًا مؤثراً فهو صحابي جليل مهاجرى بدرى جازر الرابعة والخمسين يمتلك كل هذا الحماس وهذا العزم والروح المعنوية العالمية واليقين الثابت، فكان عاملًا مهمًا من عوامل حماس جيش العراق ورفع روحهم المعنوية مما زادهم عنفًا وضراوة وتصحية في القتال، حتى استطاعوا أن يحولوا المعركة لصالحهم، وتقدم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وهو يرتجز بقوله:

قد عالج الحياة حتى ملاً

أعور يبغى أهله مَحَلًا

<

لابد أن يقال أو يُفلاً⁽⁵⁾

وعمار يقول: تقدم يا هاشم، الجنة تحت ظلال السيوف، والموت في أطراف الأسل⁽⁶⁾، وقد فتحت أبواب السماء وتزيينت الحور العين:

محمدًا وحزبه⁽⁷⁾

اليوم ألقى الأحبة

وعند غروب شمس ذلك اليوم الخميس، طلب عمار شربة من لبن ثم قال: إن رسو

(1) المصدر نفسه (636/5).

(2) الإصابة (454/1)، أنساب الأشراف (56/2) بسند حسن إلى قتادة مرسلاً.

(3) مصنف ابن أبي شيبة (290/15) الإسناد حسن لغيره.

(4) مجمع الزوائد (243/7)، خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد: ص(219) إسناده حسن.

(5) تاريخ الطبرى (652/5).

(6) الأسل: الرماح.

(7) تاريخ الطبرى (652/5).

ل الله × قال لي: إن آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن⁽¹⁾, ثم تقدم واستحدث معه حام
ل الراية هشام بن عتبة بن أبي وقاص الزهري فلم يرجعا وقتلا⁽²⁾, رحمهما الله ورضي
الله عنهما.

3- ليلة الهرير يوم الجمعة: عادت الحرب في نفس الليلة بشدة واندفع لم تشهد لها أيام السابقة، وكان اندفع أهل العراق بحماس وروح عالية حتى أز الوال أهل الشام عن أماكنهم، وقاتل أمير المؤمنين على قتلاً شديداً وبائع على الموت⁽³⁾، وذكر أن علياً رضي الله عنه صلى بيشه المغرب صلاة الخوف⁽⁴⁾، وقال الشافعى: وحفظ عن على أنه صلى صلاة الخوف ليلة الهرير⁽⁵⁾، يقول شاهد عيان: اقتتنا ثلاثة أيام وثلاث ليال حتى تكسرت الرماح ونفت السهام ثم صرنا إلى المساففة فاجتنبنا بها إلى نصف الليل حتى صرنا نعاني بعضنا ببعض، ولما صارت السيف كالمناجل تضاربنا بعمد الحديد، فلا نسمع إلا غمغمة وهممة القوم، ثم تراينا بالحربة وتحاثينا بالتراب وتعاضينا بالأسنان وتقادمنا بالأفواه إلى أن أصبحوا في يوم الجمعة وارتقت الشمس وإن كانت لا ترى من عبار المعركة وسقطت الألوية والرايات، وأنهك الجيش التعب وكلت الأيدي وجفت الحطوف⁽⁶⁾.

4- الدعوة إلى التحكيم: إن ما وصل إليه حال الجيشين بعد ليلة الهرير لم يكن يحتم
ل مزيد قتال، وجاءت خطبة الأشعث بن قيس زعيم كندة في أصحابه ليلة الهرير فقال: ق
د رأيت يا معشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي، وما قد فني فيه من العرب،
فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ؛ فما رأيت مثل هذا قط، إلا قليل الشاهد الغا
ئب، إن نحن توافقنا غداً إنه لفناء العرب، وضيقة الحرمات، أما والله ما أقول هذه المقال
ة جزءاً من الحرب، ولكنني رجل مسن، وأخاف على النساء والذرارى غداً، إذا نحن فد
يـا، اللهم إنك تعلم أنـي قد نظرت لقومي ولأهل ديني فلم آل⁽⁸⁾.

(1) مصنف ابن أبي شيبة (15/302، 303) بسند منقطع.
(2) تاريخ الطبرى (5/653).

2) تاريخ الطبرى (653/5).
3) المستدرك (402/3) قال الذى

(2) تاريخ الطبرى (653/5).
 (3) المستدرك (402/3) قال الذهبي: ضعيف، خلافة على: ص (226)
 (4) السنن الكبرى للبخارى (252/3) قال التلائى: نسخة معاذ الله

(4) السنن الكبير للبيهقي (3/252) قال الألباني: رواه البيهقي بصيغة (4/3).

(42/3) {5} تخصيص الأبيهير (78/2)، خلافة علي بن أبي طالب: ص (227).

⁶ شذرات الذهب (45/1)، وقعة صفين: ص(369).

6 سدرات الذهب (45/1)، وف
7 البداية والنهاية (283/7)

(7) البداية والنهاية (283/7)
 (8) فتنات وفتنات (179)

{8} وَقْعَةُ صَفَيْنِ: ص(479)

⁸ وَقَعَهُ صَفَيْلٌ. ص (479).
⁹ المَصْدِرُ نَفْسَهُ: ص (881-884).

(٩) المصدر نفسه: ص (٨٨١-٨٨٤).

(1997-1998) 3 (1) - 3 (2)

ضل – كالمنداة لتحكيم القرآن لصون الدماء المسلمة – جريمة ومؤامرة⁽¹⁾ وحيلة، ونسبوا للأمير المؤمنين على أقوالاً مكذوبة تعارض ما في الصحيح، على أنه قال: ما رفعوه أثم لا يرعنها، ولا يعملون بما فيها، وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهنةً ومكيدة⁽²⁾. ومن الشتائم قولهم عن رفع المصاحف: إنها مشورة ابن العاهر⁽³⁾، ووسّعوا دائرة الدعاية ال مضادة على عمرو بن العاص – رضي الله عنه – حتى لم تعد تجد كتاباً من كتب التار يخ إلا فيه انتقاد لعمرو بن العاص وأنه مخادع وماكر بسبب الروايات الموضوعة الذ ي لفقها أعداء الصحابة الكرام، ونقلها الطبرى، وابن الأثير وغيرهما، فوق فيها كثير م ن المؤرخين المعاصرين مثل حسن إبراهيم حسن في تاريخ الإسلام، ومحمد الخضرى ب ك في تاريخ الدولة الأموية، وعبد الوهاب النجاشي في تاريخ الخلفاء الراشدين وغيرهم كث ير، مما ساهم في تشويه الحقائق التاريخية الناصعة.

إن روایة أبي مخنف تفترض أن عليه رفض تحكيم القرآن لما اقترحه أهل الشام، ثم استجاب بعد ذلك له تحت ضغط القراء الذين عرفوا بالخوارج فيما بعد⁽⁴⁾، وهذه الروایة تحمل سبباً من على لمعاوية وصحابه يتزه عنه أهل ذاك الجبل المبارك، فكيف بساداتهم وعلى رأسهم أمير المؤمنين على؟! ويکفى للرواية سقوطاً أن فيها آيا مخنف الراضىي المحترق، فهي روایة لا تتصدى للبحث التزيعي، ولا تقف أمام روایات أخرى لا يتهم أصحابها بهوى مثل ما يرويه الإمام أحمد بن حنبل عن طريق حبيب بن أبي ثابت قال: أتيت أبا وائل أحد رجال على بن أبي طالب فقال: كنا بصفين، فلما استحر القتل بأهل الشام قال عمرو لمعاوية: أرسل إلى على المصحف؛ فادعه إلى كتاب الله، فإنه لا يأبى عليك، ف جاء به رجل فقال: بيتنا وبينكم كتاب الله + أَلَمْ تَرَ إِلَيَّ الَّذِينَ أَوْتُوا نَصْبِيَا مِنْ الْكِتَابِ يُدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمْ بِيَدِهِمْ ثُمَّ يَتَوَلَّ فِرِيقٌ مَدْهُومٌ وَهُمْ مُعْرِضُونَ [آل عمران: 23]، فقال على: نعم، أنا أولى بذلك، فقام القراء – الذين صاروا بعد ذلك خوارج – بأسيافهم على عاتقهم فقالوا: يا أمير المؤمنين لا نمد شى إلى هؤلاء حتى يحكم الله بيننا وبينهم؟ قام سهل بن حنيف الأنصارى رضي الله عنه فقال: أيها الناس اتهموا أنفسكم، لقد كنا مع رسول الله ﷺ، يوم الحديبية، ولو نرى قتالاً لقاتلنا، وذلك في الصلح الذي بين رسول الله ﷺ وبين المشركين، ثم حدثهم عن معارضة عمر، رضي الله عنه، للصلح يوم الحديبية ونزلت سورة الفتح على رسول الله ﷺ، فقال على: أيها الناس إن هذا فتح، فقبل القضية ورجع، ورجع الناس⁽⁵⁾. وأظهر سهل بن حنيف رضي الله عنه اشتمازه من يدعون إلى استمرار الحرب بين الإخوة وقال: أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم⁽⁶⁾، وبين لهم أنه لا خيار عن الحوار والصلح لأن ما سواه فتنية لا تعرف عاقبها، فقد قال: ما وضعنا بسيوفنا على عاتقنا إلى أمر إلا أسهلنا بنا إلى أمر نعرفه قبل هذا الأمر، ما نسد منها خصمًا إلا تجر علينا خصم ما ندرى كيف نأتى له⁽⁷⁾. وفي هذه الروايات الصحيحة رد على دعاء الفتنة، وبمغضبي الصحابة الذين يضعون الأخبار المكذوبة، ويضعون الأشعار وينسبونها إلى أعلام الصحابة والتبعين الذين شاركوا في صفين؛ ليظهروهم بمظهر المتحمس لئن ذلك الحرب ليزرعوا البعضاء في الفتو

(1) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين: ص(316).

(2) الكامل (386/2).

(3) تاريخ الطبرى (662/5).

(4) تاريخ الطبرى (662/5).

(5) مصنف ابن أبي شيبة (336/8)، مسند أحمد مع الفتح الربانى (483/8).

(6) البخاري رقم (4189).

(7) البخاري رقم (4189).

س ويعملوا ما في وسعهم على استمرار⁽¹⁾ الفتنة.

إن الدعوة إلى تحكيم كتاب الله دون التأكيد على تسلیم قتلة عثمان إلى معاویة وقول التحکیم دون التأکید على دخول معاویة في طاعة على والبیعة له، تطور فرضته أحداث حرب صفين، إذ إن الحرب التي أودت بحياة الكثير من المسلمين، أبرزت اتجاهها جماء يما رأى أن وقف القتال وحقن الدماء ضرورة تقضيها حماية شوكة الأمة وصيانة قوتها أمام عدوها، وهو دليل على حيوية الأمة ووعيها وأثرها في اتخاذ القرارات⁽²⁾.

إن أمیر المؤمنین علیه رضی الله عنہ قبل وقف القتال في صفين، ورضی التحکیم وعد ذلك فتحاً ورجع⁽³⁾ إلى الكوفة، وعلق على التحکیم آمالاً في إزالة الخلاف، وجمع الكلمة، ووحدة الصف، ونقوية الدولة، وإعادة حركة الفتوح من جديد. إن وصول الطرفين إلى فكرة التحکیم والاستجابة له أسهمت فيها عدة عوامل منها:

أ- أنه كان آخر محاولة من المحاولات التي بذلت لإيقاف الصدام وحقن الدماء سواء تلك المحاولات الجماعية أو المحاولات الفردية التي بدأت بعد موقعة الجمل ولم تفلح، أمّا الرسائل التي تبودلت بين الطرفين لتفيد وجهات نظر كل منهما، فلم تُجد هي الأخرى شيئاً، وكان آخر تلك المحاولات ما قام به معاویة في أيام اشتداد القتال حيث كتب إلى علی رضی الله عنہ يطالبه بوقف القتال فقال: فإني أحسبك أن لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ بك ما بلغت لم نحنها على أنفسنا، فإنما إن كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي منا ما ينبع غي أن نندم على ما مضى ونصلح ما بقى⁽⁴⁾.

ب- تساقط القتلى وإراقة الدماء الغزيرة ومخافة الفناء، فصارت الدعوة إلى إيقاف الحرب مطلبًا يرنو إليه الجميع.

ج- الملل الذي أصاب الناس من طول القتال، حتى وکأنهم على موعد لهذا الصوت الذي نادى بالهدنة والصلح، وكانت أغلبية جيش علی في اتجاه الموافدة، وکانوا يرددون: قد أكلتنا الحرب، ولا نرىبقاء إلا عن الموافدة⁽⁵⁾. وهذا ينقض ذلك الرأي المتهافت الذي روج بأن رفع المصاحف كان خدعة من عمرو بن العاص، والحق أن فكرة رفع المصاحف لم تكن جديدة ولیست من ابتکار عمرو بن العاص، بل رفع المصاحف في الجمل ورشق حامله كعب بن سور قاضي البصرة بسمه وقتل.

د- الاستجابة لصوت الوحي الداعي للإصلاح، قال تعالى: +فَإِنْ تَنْهَا زَعْدُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ+ [النساء: 59] ويفيد هذا ما قاله على ابن أبي طالب حينما عرض عليه الاحتكام إلى كتاب الله، قال: نعم أنا أولى بذلك، بیننا وبينكم كتاب الله⁽⁶⁾.

ـ 5- مقتل عمّار بن ياسر رضي الله عنه وأثره على المسلمين: يعد حديث رسول الله × لumar، رضي الله عنه، «تقىك الفتنة الباغية»⁽⁷⁾ من الأحاديث الصحيحة والثابتة عن النبي ×، وقد كان مقتل عمّار، رضي الله عنه - أثر في معركة صفين، فقد كان علماً لأصحاب رسول الله يتبعونه حيث سار، وكان خزيمة بن ثابت حضر صفين وكان كـ

(1) الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدی من الخلاف: ص(530).

(2) دراسة في تاريخ أخلاقاء الأمويين: ص(38).

(3) دراسة في تاريخ الخلفاء: ص(38).

(4) الأخبار الطوال للبيوری: ص(187)، دارسات في عهد النبوة: ص(432).

(5) صفين: ص(482-485)، دراسات في عهد النبوة: ص(433).

(6) مصنف ابن أبي شيبة (336/8).

(7) مسلم رقم (2916).

افًا سلاحه، فلما رأى مقتل عمار سل سيفه وقاتل أهل الشام، وذلك لأنَّه سمع⁽¹⁾ حديث رسول الله × عن عمار: «**تقتله الفتنة البااغية**». واستمر في القتال حتى قُتل⁽²⁾، وكان لمقتله عمّار أثر في معسكر معاوية، فهذا أبو عبد الرحمن السلمي دخل في معسكر أهل الشام، فرأى معاوية وعمرو بن العاص وابنه عبد الله بن عمرو، وأبا الأعور السلمي، عند شريعة الماء يسقون. وكانت هي شريعة الماء الوحيدة التي يستقي منها الفريقان، وكان حديثهم عن مقتل عمّار بن ياسر، إذ قال عبد الله بن عمرو لوالده: لقد قتلنا هذا الرجل وقد قال فيه رسول الله ×: «**تقتله الفتنة البااغية**». فقال عمرو لمعاوية: لقد قتلنا الرجل وقد قال فيه رسول الله × ما قلت. فقال معاوية: اسكن فواكه ما تزال تدحض⁽³⁾ في بولك، أذ حن قتلناه؟ إنما قتلته من جاء به⁽⁴⁾، فانتشر تأويل معاوية بين أهل الشام انتشار النار في الـ هشيم، وجاء في روایة صحيحة أن عمرو ابن حزم دخل على عمرو بن العاص فقال: قد ل عمّار وقد قال فيه رسول الله ×: «**تقتله الفتنة البااغية**». فقام عمرو بن العاص فزعًا يرجع حتى دخل على معاوية فقال له معاوية: ما شأنك؟ فقال: قُتل عمّار. قال معاوية: فماذا؟ قال عمرو: سمعت رسول الله × يقول له: «**تقتلك الفتنة البااغية**». فقال له معاوية: دحضت في بولك، أو نحن قتلناه؟ إنما قتلته على وأصحابه، وجاءوا به حتى ألقوه بين رماحنا، أو قال: بين سيفينا⁽⁵⁾.

وفي روایة صحیحة أيضًا: جاء رجالان عند معاوية يختصمان في رأس عمّار، يق ول كل واحد منهم: أنا قتنته؛ فقال عبد الله بن عمرو بن العاص: ليطلب به أحدكم نفساً لصاحبه، فإني سمعت رسول الله × يقول: «**تقتله الفتنة البااغية**». قال معاوية: فما بالك م هنا؟ قال: إن أبي شكانى إلى رسول الله × فقال: أطع أباك ما دام حيًّا ولا تعصه. فأنا معكم ولست أقاتل⁽⁶⁾. من الروايات السابقة نلاحظ أنَّ الصاحباني الفقيه عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - حريص على قول الحق والنصر، فقد رأى أنَّ معاوية وجنده، هم الفرقة البااغية لقتلهم عمّارًا، فقد تكرر منه هذا الاستئثار في مناسبات مختلفة؛ ولا شك أنَّ مقتل عمّار - رضي الله عنه - قد أثر في أهل الشام بسبب هذا الحديث، إلا أنَّ معاوية - رضي الله عنه - أول الحديث تأويلاً غير مستساغ ولا يصح في أنَّ الذين قتلوا عما رأوا هم الذين جاءوا به إلى القتال⁽⁷⁾. وقد أثر مقتل عمّار كذلك على عمرو بن العاص، بل كان استشهاد عمّار دافعًا لعمرو بن العاص للسعى لإنهاء الحرب⁽⁸⁾. وقد قال رضي الله عنه: وددت أنني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة⁽⁹⁾، وقد جاء في البخاري عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: كنا نحمل لبنة، وعمّار لينتين لبنيتى، فرأاه النبي ×، فينفض التراب عنه ويقول: «**ويح عمّار تقتله الفتنة البااغية**»، يدعوه إلى الجنة ويدعوه إلى النار». قال عمّار: أعود بالله من الفتى⁽¹⁰⁾، وقال ابن عبد البر: توالت الآثار عن النبي × أنه قال: «**تقتل عمّار الفتنة البااغية**»، وهذا من إخباره بالغيب وإعلام نبوته ×، وهو من أصح الأحاديث⁽¹¹⁾، وقال الذبيبي بعد ما ذكر الحديث: وفي الباب عن عدة

(1) مسلم رقم (2916).

(2) خلافة علي: ص(211)، مجمع الزوائد للهيثمي (242/7). وقال فيه: رواه الطبراني وفيه أبو معشر وهو لين.

(3) الدحض: الزلق، والداحض: من لا ثبات له ولا عزيمة في الأمور.

(4) مسنون أحمد (206/2) إسناده حسن.

(5) مصنف عبد الرزاق (240/11) بسند صحيح.

(6) مسنون أحمد (139، 138/11).

(7) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد: ص(325).

(8) معاوية بن أبي سفيان، الغضبان، ص(215).

(9) أنساب الأشراف (170/1)، عمرو بن العاص للغضبان: ص(603).

(10) البخاري رقم (447).

(11) الاستيعاب (1140/3).

من الصحابة، فهو متواتر⁽¹⁾.

6- فهم العلماء للحديث:

أ- قال ابن حجر: وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة وفضيلة ظاهرة على وعما ر، ورد على التواصي الزاعمين أن علياً لم يكن مصيباً في حربه⁽²⁾.

وقال أيضاً: دل الحديث: تقتل عماراً الفئة الباغية، على أن علياً كان المصيب في تلك الحروب؛ لأن أصحاب معاوية قتلواه⁽³⁾.

ب- يقول النووي: وكانت الصحابة يوم صفين يتبعونه حيث توجه لعلمهم بأنه مع الـ فئة العادلة لهذا الحديث⁽⁴⁾.

ج- قال ابن كثير: كان على وأصحابه أدنى الطائفتين إلى الحق من أصحاب معاوية ، وأصحاب معاوية كانوا باغين عليهم، كما ثبتت في صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي سملة عن أبي نصرة عن أبي سعيد الخدري قال: حدثني من هو خير مني – يعني أبو قفادة- أن رسول الله × قال لumar: «تقتل الفئة الباغية»⁽⁵⁾، وقال أيضاً: وهذا مقتل عمار بن ياسر - رضي الله عنهما - مع أمير المؤمنين على بن أبي طالب، قتله أهل الشام، وبان وظهر بذلك سر ما أخبر به الرسول × من أنه تقتل الفئة الباغية، وبان بذلك أن علياً محق، وأن معاوية باع، وما في ذلك من دلائل النبوة⁽⁶⁾.

د- وقال الذهبي: هم طائفة من المؤمنين، باغت علي الإمام على، وذلك بنص قول المصطفى صلوات الله عليه لumar: «تقتل الفئة الباغية»⁽⁷⁾.

ه- قال القاضي أبو بكر بن العربي: في قوله تعالى: +وَإِن طَائِفَةً مَّا أُصلَ فِي قتال المسلمين، والعمدة في حرب المتأولين، وعليها عول الصحابة، وإليها لاجأ الأعيان من هذه الملة، وإياها عنى النبي × بقوله: «تقتل عماراً الفئة الباغية»⁽⁸⁾.

و- وقال ابن تيمية: وهذا يدل على صحة إمامية علي ووجوب طاعته، وأن الداعي إلى طاعته داع إلى الجنة، والداعي إلى مقاتلته داع إلى النار - وإن كان متأولاً - وهو دليل على أنه لم يكن يجوز قتال علي، وعلى هذا فمقاتلته مخطئ - وإن كان متأولاً - أو باع - بلا تأويل - وهو أصح القولين لأصحابنا، وهو الحكم بتحطمة من قاتل علياً، وهو مدح الأئمة القهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاء المتأولين⁽⁹⁾. وقال أيضاً: مع أن عل يا أولى بالحق من فارقه، ومع أن عماراً قتلت الفئة الباغية - كما جاءت به النصوص - فعلينا أن نؤمن بكل ما جاء من عند الله ونقر بالحق كله، ولا يكون لنا هوى، ولا نتكلم بغير علم، بل نسلك سبيل العلم والعدل، وذلك هو اتباع الكتاب والسنة، فاما من تمسك ببعض الحق دون بعض، فهذا منشأ الفرقـة والاختلاف⁽¹⁰⁾.

ز- وقال عبد العزيز بن باز: وقال × في حديث عمار: «تقتل عماراً الفئة الباغية ». فقتله معاوية وأصحابه في وقعة صفين، فمعاوية وأصحاب بغاة، لكن مجتهدون ظنوا

(1) سير أعلام النبلاء (421/1).

(2) فتح الباري (646/1).

(3) فتح الباري (92/13).

(4) تهذيب الأسماء واللغات (38/2).

(5) البداية والنهاية (220/6).

(6) المصدر نفسه (277/7).

(7) سير أعلام النبلاء (209/8).

(8) أحكام القرآن (1717/4).

(9) مجموع الفتاوى (437/4).

(10) المصدر نفسه (450، 449/4).

أنهم مصيّبون في المطالبة بدم عثمان⁽¹⁾.

حـ- وقال سعيد حوي: بعد أن قتل عمار الذي وردت النصوص مبينة أنه نقلته الفتنة الباغية، تبين للمترددين أن علياً كان على حق وأن القتال معه كان واجباً، ولذا عبر ابن عمر عن تخلفه بأنه يأسى بسبب هذا التخلف، وما ذلك إلا أنه ترك واجباً وهو نصرة الإمام الحق على الخارجين عليه بغير حق كما أفتى بذلك الفقهاء⁽²⁾.

7- الرد على قول معاوية رضي الله عنه: إنما قتله من جاء به⁽³⁾. إن جل الصحابة والتابعين قد فهموا من قول رسول الله × لumar: «تقتلk الفئة الباغية»⁽⁴⁾ أن المقصود: جيش معاوية، رضي الله عنه، مع أنهم - أي معاوية وجيشه - معذرون في اجتهادهم، فهم يقصدون الحق ويريدونه ولكنهم لم يصبوه، وفنة على أولى بالحق منهم كما قال ×⁽⁵⁾، ومع أن الأئمة لم يعجّبهم تأويل معاوية - كما سانقل - إلا أنهم عذروه في اجتهاده، فها هو ابن حجر يقول في قوله ×: «يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار»⁽⁶⁾.

فإن قيل: كان قتله بصفين وهو مع على، والذين قتلوه مع معاوية، وكان معه جماعة من الصحابة، فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار؟ فالجواب: أنهم كانوا ظانين أنهم يدعونه إلى الجنة، وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم، فالمراد بالدعاء إلى الجنة الدعاء إلى سببها، وهو طاعة الإمام، وكذلك كان عمار يدعوه إلى طاعة على، وهو الإمام الواجب الطاعة، إذ ذاك، وكانتوا هم يدعونه إلى خلاف ذلك، لكنهم معذرون للتأويل الذي ظهر لهم⁽⁷⁾.

وقال القرطبي: وقال الإمام أبو المعالي في كتاب الإرشاد، فصل.. على رضي الله عنه، كان إماماً حقاً في توليته، ومقاتلوه بغاة، وحسن الظن بهم يقتضي أن يظن بهم قد صد الخير وإن أخطأوه⁽⁸⁾، وقال أيضاً: وقد أجاب على رضي الله عنه عن قول معاوية بأن قال: رسول الله × إذن قتل حمزة حين أخرجه، وهذا من على رضي الله عنه الإزام، لا جواب عنه، وحجة لا اعتراض عليها، قاله الإمام الحافظ أبو الخطاب بن دحية⁽⁹⁾، قال ابن كثير: قول معاوية: إنما قتله من قدمه إلى سيفونا، تأويل بعيد جداً، إذ لو كان كذلك لكان أمير الجيش هو القاتل للذين يقتلون في سبيل الله، حيث قدمهم إلى سيفون الأعداء⁽¹⁰⁾، وقال ابن تيمية: وهذا القول لا أعلم له قائلاً من أصحاب الأئمة الأربع ونحوهم من أهل السنة، ولكن هو قول كثير من المروانيّة ومن وافقهم⁽¹¹⁾، وقال ابن القيم معلقاً على هذا التأويل: نعم، التأويل الباطل تأويل أهل الشام قوله × لumar: «تقتلk الفئة الباغية»⁽¹²⁾ فقالوا: نحن لم نقتله إنما قتله من جاء به حتى أوقعه بين رماحنا، وهذا هو التأويل الباطل المخالف لحقيقة اللفظ وظاهره، فإن الذي قتله هو الذي باشر قتله، لا من استنصر به⁽¹³⁾.

(1) فتاوى ومقالات متعددة (6/87).

(2) الأساس في السنة (1710/4).

(3) مسند أحمد (206/2) إسناده حسن.

(4) مسلم رقم 2916.

(5) معاوية بن أبي سفيان: ص (214-210).

(6) الخاري رقم 447.

(7) التنكرة (222/2).

(8) التنكرة (223/2).

(9) المصدر نفسه (2/222).

(10) البداية والنهاية (221/6).

(11) منهاج السنة (406/4).

(12) مسلم رقم 2916.

(13) الصواعق المرسلة (184/1، 185).

8- من هو قاتل عمّار بن ياسر؟ قال أبو الغادية الجهنى وهو يحدث عن قتله لعمار: فلما كان يوم صفين، أقبل يستن أول الكتبة رجلاً، حتى إذا كان بين الصفين فأبصر رجلٌ عورة، فطعنها في ركبته بالرمح فعثر، فانكشف المغفر عنه، فضررته فإذا هو رأس عمار. ثم قُتل عمار قال الرواوى: واستنقى أبو الغادية، فاتى بماء في زجاج، فابى أن يشرب فيها فاتى بماء في قدر فشرب، فقال رجل: ... يتورع عن الشرب في الزجاج وإن ميتورع عن قتل عمار⁽¹⁾، ويخبر عمرو بن العاص، رضي الله عنه، الخبر ف يقول: سمعت رسول الله × يقول: قاتل عمار وسالبه في النار⁽²⁾، قال ابن كثير: ومعلوم أن عمارًا كان في جيش على يوم صفين، وقتل أصحاب معاوية من أهل الشام، وكان الذي تولى قتله يقال له أبو الغادية، رجل من أفناد الناس، وقيل إنه صاحب⁽³⁾، وقال ابن حجر: والظاهر بالصحابة في تلك الحروب أنهم كانوا متأولين، وللمجتهد المخطئ أجر، وإذا ثبت هذا في حق أحد الناس فثبتوه للصحابة بالطريق الأولى⁽⁴⁾، وقال الذهبي: وابن ملجم عند الرأي وأفضى أشقي الخلق في الآخرة، وهو عندهنا أهل السنة من نرجو له النار، ونجوز أن الله يتجاوز عنه، لا كما يقول الخوارج والروايفض، وحكمه حكم قاتل عثمان، وقاتل الزبير، وقاتل طلحة، وقاتل سعيد بن جبير وقاتل عمار وقاتل خارجة، وقاتل الحسين، وكل هؤلاء نبراً منهم ونبغضهم في الله، ونكل أمرهم إلى الله عز وجل⁽⁵⁾. وقد وفق الألباني في تعليقه على قول ابن حجر: هذا حق، ولكن تطبيقه على كل فرد من أفرادهم مشكل؛ لأنّه يلزم تنافض القاعدة المذكورة بمثل حديث الترجمة [عنوان باب (قاتل عمار وسالبه في النار)]⁽⁶⁾، إذ لا يمكن القول بأن أبي الغادية القاتل لعمار ماجور؛ لأنّه قاتله مجتهدًا، ورسول الله × يقول: قاتل عمار في النار⁽⁷⁾، فالصواب أن يقال: إن القاعدة صحيحة، إلا ما دل الدليل القطع على خلافها، فيستثنى ذلك منها كما هو الشأن هنا، وهذا خير من ضد رب الحديث الصحيح⁽⁸⁾ بها، وقد ترجم لأبي الغادية الجهنى ابن عبد البر فقال: اختلف في اسمه: فقيل: يسار بن سبع وقيل: يسار بن أزر هر، وقيل: اسمه مسلم. سكن الشام ونزل في واسط، يعد في الشاميين، أدرك النبي × وهو غلام، روى عنه أنه قال: أدركت الذي بي × وأنا أيفع، أرد على أهلي الغنم، وله سماع من النبي ×، قوله ×: «لا ترجعوا بعد ي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»⁽⁹⁾، وكان محبًا لعثمان، وهو قاتل عمار بن ياسر، وكان يصف قتله إذا سئل عنه لا يباليه، وفي قصته عجب عند أهل العلم⁽¹⁰⁾.

9- المعاملة الكريمة أثناء الحرب والمواجهة: إن وقعة صفين كانت من أعجب الوقائع بين المسلمين.. كانت هذا الوقائع من الغرابة إلى حد أن القاريء لا يصدق ما يقرأ ويقـف مشدوهًا أمام طبيعة النفوس عند الطرفين، فكل منهم كان يقف وسط المعركة شاهراً سيفه وهو يؤمن بقضيته إيمانًا كاملاً، فليست معركة مدفوعة من قبل القيادة، يدفعون الأجنود إلى معركة غير مقتتين بها، بل كانت معركة فريدة في بواتتها، وفي طريقة أداؤها وفيما خلفتها من آثار؛ فهو اعثثا في نفوس المشاركون تعبر عنها بعض المواقف التي وصلت إلينا في المصادر التاريخية، فهم إخوة يذهبون معًا إلى مكان الماء فيستقون جمـيـ

(1) الطبقات الكبرى (3)، 260/3، 261) بسنده صحيح.

(2) السلسلة الصحيحة (5/18، 19).

(3) البداية والنهاية (6/220).

(4) الإصابة (7/260).

(5) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (654).

(6) السلسلة الصحيحة (5/18-19).

(7) السلسلة الصحيحة (5/19-18).

(8) المصدر نفسه (5/19).

(9) مسنـدـ أحـمـدـ (4/76) وـسـنـدـ حـسـنـ.

(10) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، رقم (3089).

عًا ويزدحمن وهم يغرون الماء وما يؤذى إنسان إنسانًا⁽¹⁾، وهم إخوة يعيشون معًا عد ما يتوقف القتال فهذا أحد المشاركين يقول: كنا إذا تواعدنا من القتال دخل هؤلاء في مع سكر هؤلاء. وهؤلاء في معسكر هؤلاء.. وتحذوا إلينا وتحذثوا إليهم⁽²⁾، وهم أبناء قبيلة واحدة وكل منها اجتهاده، فيقاتل أبناء القبيلة الواحدة كل في طرف⁽³⁾ قتالاً مريراً، وكل منهم يرى نفسه على الحق وعنده الاستعداد لأن يقتل من أجله، فكان الرجال يقتتلان حتى يُتَّخَنَا (وهنا وضعفًا) ثم يجلسان يستريحان، ويدور بينهما الكلام الكثير، ثم يقونا ن فيقتلان كما كانا⁽⁴⁾، وهم أبناء دين واحد يجمعها، وهو أحب إليهما من أنفسهما، فإذا حان وقت الصلاة توتفقا لأدائها⁽⁵⁾، ويوم قتل عمار بن ياسر صلى عليه الطرفان⁽⁶⁾، ويد قول شاهد عيان اشتراك في صفين: نتازلنا بصفين، فاقتتلنا أيامًا فكثر القتلى بيننا حتى ع قررت الخيل، فبعث على إلى عمرو بن العاص أن القتلى قد كثروا فأمسك حتى يدفن الجم بع قتلاهم، فأجابهم، فاختلط بعض القوم بعض حتى كانوا هكذا – وشبك بين أصابعه – وكان الرجل من أصحاب على يشد فيقتل في عسكر معاوية، فيستخرج منه، وقد مر أصحاب على بقتيل لهم أمام عمرو، فلما رأه بكى وقال: لقد كان مجتهداً أخشى في أمر الله⁽⁷⁾، وكانوا يسارعون إلى التناهي عن المنكر حتى في مثل هذه المواقف، وكانت هناك مجموعة عرروا بالقراء، وكانوا من تلامذة عبد الله بن مسعود من أهل الشام معًا، فلم يذضموا إلى أمير المؤمنين على، ولا إلى معاوية بن أبي سفيان وقالوا لأمير المؤمنين: إننا نخرج معكم ولا ننزل عسكركم، ونعسكر على حدة حتى ننظر في أمركم وأمر أهل الشام، فمن رأيناه أراد ما لا يحل له، أو بدا منه بغي كنا عليه، فقال على: مرحباً وأهلاً، هذا هو الفقه في الدين، والعلم بالسنة من لم يرض بهذا فهو جائز خائن⁽⁸⁾.

والحقيقة أن هذه المواقف منبعثة من قناعات واجتهادات استوتفوا منها في قراره أنف سهم وقاتلوا عليها⁽⁹⁾.

10- معاملة الأسرى: إن المعاملة الحسنة للأسير وإكرامه في صفين من الأمور الدهية بعد ما استعرضنا المعاملة الكريمة أثناء القتال، وقد بين الإسلام معاملة الأسرى، فقد حدث رسول الله ﷺ على إكرام الأسير، وإطعامه أفضل الأطعمة الموجودة، هذا مع غير المسلمين فكيف إذا كان الأسير مسلماً؟! لا شك أن إكرامه والإحسان إليه أولى، ولكن الأسير في المعركة يعتبر فئة وقوفة لفرقته⁽¹⁰⁾، ولذلك كان على رضي الله عنه يأمر بحسبه، فإن بابع أخلى سبيله وإن أبى أخذ سلاحه ودابتة أو يهبهما لمن أسره ويحلفه لا يقاد لـ. وفي رواية يعطيه أربعة دراهم⁽¹¹⁾، وغرض الخليفة الراشد من ذلك واضح، وهو إضعاف جانب البغاة وقد أتى بأسير يوم صفين، فقال الأسير: لا تقتلني صبراً. فقال على رضي الله عنه: لا أقتلك صبراً، إني أخاف الله رب العالمين، فخلى سبيله ثم قال: أفيك

(1) تاريخ الطبرى (610/5).

(2) سير أعلام النبلاء (41/2)، مرويات أبي مخنف، ص(296).

(3) البداية والنهاية (270/7)، دراسات في عهد النبي، ص(424).

(4) تاريخ الطبرى، نقلًا عن دراسات في عهد النبي، ص(424).

(5) تاريخ دمشق (18/2239)، دراسات في عهد النبي، ص(424).

(6) أنساب الأشراف (56/6) بسند حسن إلى عتبة، خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد:

ص(241).

(7) أنساب الأشراف (56/6) بسند حسن إلى عتبة، خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد:

ص(241).

(8) صفين، ص(115)، دراسات في عهد النبي، ص(424).

(9) دراسات في عهد النبي، ص(424).

(10) كتاب قتال أهل البغى من الحاوي الكبير، ص(133، 134).

(11) خلافة على ابن أبي طالب، عبد الحميد، ص(243).

خير تباعي(1)؟

ويبدو من هذه الروايات أن معاملته للأسرى كما يلي:
* إكرام الأسير والإحسان إليه.

* يعرض عليه البيعة والدخول في الطاعة، فإن بايع خلٰ سبيله.

* إن أبي البيعة أخذ سلاحه ويحلفه أن لا يعود للقتال ويطافه.

* إن أبي إلا القتال تحفظ عليه في الأسر ولا يقتله صير⁽²⁾، وقد أتى رضي الله عنه مرة بخمسة عشر أسيرًا – ويبدو أنهم جرحى – فكان من مات منهم غسله وكفنه وصله إلى عليه⁽³⁾، ويقول محب الدين الخطيب معلقاً على هذه الحرب: ومع ذلك، فإن هذه الحرب المثالية هي الحرب الإنسانية الأولى في التاريخ التي جرى فيها المتحاربان معًا على مبادئ الفضائل التي يتمنى حكام الغرب لو يعمل بها في حروبهم، ولو في القرن الحادي والعشرين، وإن كثیراً من قواعد الحرب في الإسلام لم تكن لتعلم وتدون لولا وقوع هذه الحرب، والله في كل أمر حكمة⁽⁴⁾، قال ابن العديم: قلت: وهذا كله حكم أهل البغي، ولها قال أبو حنيفة: لولا ما سار علىٰ فيهم، ما علم أحد كيف السيرة في المسلمين⁽⁵⁾.

11- عدد القتلى: تضاربت أقوال العلماء في عدد القتلى، فذكر ابن أبي خيثمة أن القتلى في صفين بلغ عددهم سبعين ألفاً، من أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً، ومن أهل الشام خمسة وأربعون ألف مقاتل⁽⁶⁾، كما ذكر ابن القيم أن عدد القتلى في صفين بلغ سبعين ألفاً أو أكثر⁽⁷⁾، ولا شك أن هذه الأرقام غير دقيقة، بل أرقام خيالية، فالقتال الحقيقي والصدام الجماعي استمر ثلاثة أيام مع وقف القتال بالليل إلا مساء الجمعة فيكون مجموع القتال حوالي ثلاثين ساعة⁽⁸⁾، ومهما كان القتال عنيفاً، فلن يفوق شدة القاذسية التي كان عدد الشهداء فيها ثمانية آلاف وخمسمائة⁽⁹⁾، وبالتالي يصعب عقلاً أن نقبل تلك الروايات التي ذكرت الأرقام الكبيرة.

12- تقد أمير المؤمنين على القتلى وترحمه عليهم: كان أمير المؤمنين على رضي الله عنه بعد نهاية الجولات الحربية يقوم بتقادم القتلى، فيقول شاهد عيان: رأيت علياً عليه بغلة النبي × الشهباء، يطوف بين القتلى⁽¹⁰⁾، وأثناء تقادمه القتلى ومعه الأشتر، مر برجل مقتول – وهو أحد القضاة والعباد المشهورين بالشام – فقال الأشتر – وفي رواية أخرى عدي بن حاتم: يا أمير المؤمنين أحابيس⁽¹¹⁾ معهم؟ عهدي والله به مؤمن، فقال عليه: فهو اليوم مؤمن. لعل هذا الرجل المقتول هو القاضي الذي آتى عمر بن الخطاب وقلماً: يا أمير المؤمنين، رأيت رؤيا أفر عتني، قال: ما هي؟ قال: رأيت الشمس والقمر يقتنان والنجموم معهما نصفين. قال: فمع أيهما كنت؟ قال: مع القمر على الشمس، فقال عمر: قال تعالى: +وَجَعَلْنَا الْأَيْلَ وَالذَّهَارَ آيَةً فَمَدَوْنَا آيَةً الْأَيْلَ وَجَعَلْنَا

(1) الأم للشافعي (224/4)، (256/8).

(2) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(243).

(3) تاريخ دمشق، تحقيق المنجد (1/331)، خلافة علي بن أبي طالب ص(243).

(4) العواصم من القواصم، ص(168)، من تعليق الخطيب في الحاسية.

(5) بغية الطلب في تاريخ حلب (309)، خلافة علي ص(245).

(6) الآتيء للقضاعي ص(246).

(7) الصواعق المرسلة (1/377) بدون سند، تحقيق محمد دخيل الله.

(8) الدولة الاموية، ص(360-362).

(9) تاريخ الطبرى (4/388).

(10) مصنف ابن أبي شيبة.

(11) حابس بن سعد الطائي، مخضرم، قتل بصفين.

آية النهار مبصرة [الإسراء:13]، فانطلق فو الله لا تعمل لي عملاً أبداً، قال الراوي: فبلغني أنه قتل مع معاوية بصفين⁽¹⁾، وقد وقف على على قتلاه وقتل معاوية فقال: غفر الله لكم، غفر الله لكم، للفريقين جميعاً⁽²⁾، وعن يزيد بن الأصم قال: لما وقع الصلح بين علي ومعاوية، خرج علي فمشى في قتلاه فقال: هؤلاء في الجنة، ثم خرج إلى قتلى معاوية فقال: هؤلاء في الجنة، ويصير الأمر إلى وإلى معاوية⁽³⁾، وكان يقول عنهم هم: المؤمنون⁽⁴⁾، وقوله رضي الله عنه في أهل صفين لا يكاد يختلف عن قوله في أهل الجم⁽⁵⁾،

13- موقف لمعاوية مع ملك الروم: استغل ملك الروم الخلاف الذي وقع بين أمير المؤمنين على ومعاوية - رضي الله عنهم - وطمع في ضم بعض الأراضي التي تحت هيمنة معاوية إليه، قال ابن كثير:.. وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان أخشاه وأذله، وقهر جندهم ودحرهم، فلما رأى ملك الروم استغلال معاوية بحرب على تداني إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه، فكتب معاوية إليه: والله لئن لم تنته وتتراجع إلى بلادك يا لعنة لاصطلحن أنا وابن عمي عليك، ولآخر جنك مع جميع بلادك وألاضيقن علىك الأرض بما رحبت، فعد ذلك خاف ملك الروم وانكف، وبعث يطلب الهداية⁽⁶⁾، وهذا يدل على عظمة نفس معاوية وحميته الدين.

14- قصة باطلة في حق عمرو بن العاص بصفين: قال نصر بن مزاحم الكوفي: وحمل أهل العراق وتلفّاهم أهل الشام فاجتذبوا وحمل عمرو بن العاص.. فاعتراضه على وهو يقوّل:

والخسر والأنامل الطفو⁽⁷⁾

قد علمت ذات القرون الميل

إلى أن يقول: ثم طعنه فصرعه واتقه عمرو برجله، فبدت عورته، فصرف على وجهه عنه واردث. فقال القوم: أفلت الرجل يا أمير المؤمنين. قال: وهل تدرؤن من هو؟ قالوا: لا. قال: فإنه عمرو بن العاص ثقاني بعورته فصرفت وجهاً⁽⁸⁾. وذكر القصة - أيضاً - ابن الكلبي كما ذكر ذلك السهيلي في الروض الأنف. وقول على: إنه انقاني بعورته فأذكوري الرحم إلى أن قال: ... ويروى مثل ذلك عن عمرو بن العاص مع على - رضي الله عنه - يوم صفين، وفي ذلك يقول الحارث بن النضر السهمي كما رواه ابن الأكليبي وغيره:

وَعُورَتْهُ وَسْطَ الْعِجَاجَةِ بَادِيَةٌ

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ فَارسٌ غَيْرُ مُنْتَهٍ

ويوضح منه في الخلاء معاوية⁽⁹⁾

یکف لها عنه على سنانه

والرد على هذا الافتراض والإفهام المبين كالتالي: فراوي الرواية الأولى نصر بن مزاحم الـ
كوفي صاحب وقعة صفين شيعي جلد لا يستغرب عنه كذبه وافتراضه على الصحابة، قال عنه
الذهبـي في الميزان: نصر بن مزاحم الكوفي رافضي جلد، تركوه، قال عنه العقيلي: شيعي فـ

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٧٤/١١) بسند منقطع

(3) مصنف این ابی سبیه (303/15) بسید حسن.
 (4) تاریخ دمشق (329/1، 331)، خلافة علی،

⁽⁴⁾ تاريخ دمشق (١، ٣٢٩)، ٣٣١، حارقة على، ص ٢٥.
⁽⁵⁾ خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص ٢٥١.

⁶ البداية والنهاية (122/8).

الطفول جمع طفّل، بالفتح، و
قطّة جمع قطّات (106) {7}{8}

(٩) ابروافص الانف (462/5)، فصص لا تسب (19/6).

ي حديثه اضطراب وخطأ كثير، وقال أبو خيثمة: كان كذاباً⁽¹⁾، وقال عنه ابن حجر: قال الع جلي: كان راضياً غالياً..ليس بثقة ولا مأمون⁽²⁾. وأما الكلبي؛ هشام بن محمد بن السائب ال كلبي؛ فانتقوا على غلوه في التشيع، قال الإمام أحمد: من يحدث عنه؟ ما ظننت أن أحداً يحد ث عنه. وقال الدارقطني: متروك⁽³⁾، وعن طريق هذين الرافضيين سارت هذه القصة في الآ فاق وتلقفها من جاء بعدهم من مؤرخي الشيعة، وبعض أهل السنة من راجت عليهم أكاذيب الرافضة⁽⁴⁾، وتعد هذه القصة أنموذجاً لأكاذيب الشيعة الروافض وافتراطهم على صحابة ر سول الله، فقد اختلف أداء الصحابة من مؤرخي الرافضة مثاليب لاصحاب رسول الله × وص اغوها على هيئة حكايات وأشعار لكي يسهل انتشارها بين المسلمين، هادفين إلى الغض من جانب الصحابة الأبرار - رضي الله عنهم - في غفلة من أهل السنة الذين وصلوا متأخرین إ لى ساحة التحقيق في روایات التاریخ الإسلامي، بعد أن طارت تلک الأشعار والحكايات بين القدّاص و أصبح كثیر منها من المسلمات، حتى عند مؤرخي أهل السنة للاسف⁽⁵⁾.

15- مرور أمير المؤمنين على بالمقابر بعد رجوعه من صفين: لما انصرف على أمير المؤمنين رضي الله عنه من صفين مرّ بالمقابر، فقال: «السلام عليكم أهل الديار الم وحشة، والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات، وال المسلمين والمسلمات، أنتم لنا سلف ف ارط، ونحن لكن تبع»، وبكم عمّا قليل لاحقون، اللهم اغفر لنا ولهم، وتجاوز بعفوک عنا وعنه، الحمد لله الذي جعل الأرض كفاناً، أحياءً، أموازاً، الحمد لله الذي خلقكم وعليه ا يخشركم، ومنها يبعثكم، طوبى لمن ذكر المعاد وأعد للحساب، وقع بالكفاء»⁽⁶⁾.

16- إصرار قتلة عثمان - رضي الله عنه - على أن تستمر المعركة: إن قتلة عثمان كانوا حريصين على أن تستمر المعركة بين الطرفين، حتى يتقانى الناس، وتضعف قوة الطرف الآخر، فيكونوا بمأوى عن القصاص والعقاب، ولذلك فإنهم فزعوا وهو يرون أهل الشام يرفعون أ لمصاحف، وعلى رضي الله عنه يجيبهم إلى طلبهم فيأمر يوقف القتال وحقن الدماء، فسعوا إ لى ثني أمير المؤمنين عن عزمه، لكن القتال توقف، فسقط في أيديهم، فلم يجدوا بدّاً من الخروج على على رضي الله عنه، فاختروا عوا مقوله (الحكم لله) وتحصنوا بعيداً عن الطرفين، وألغى أن المؤرخين لم يركزوا على ما فعله هؤلاء في هذه المرحلة، كما فعلوا في معركة ال جمل، رغم أنهم كانوا موجودين في جيش على، وعن سر إخفاق تلك المفاوضات التي دامت أشهرًا عديدة، وعن الدور الذي يمكن أن يكون قتلة عثمان قد قاموا به في معركة صفين لإ ذال كل محاولة صلح بين الطرفين، لأن اصطلاح على مع معاوية هو أيضًا اصطلاح على دمائهم، لا يعقل أن يجتهدوا في الفتنة في وقعة الجمل، ويترکوا ذلك في صفين⁽⁷⁾.

17- نهى أمير المؤمنين على عن شتم معاوية ولعن أهل الشام: روی أن علياً - رضي الله عنه - لما بلغه أن اثنين من أصحابه يظهران شتم معاوية ولعن أهل الشام أرس ل إليهما أن كفّا عما يبلغني عنكما، فأتاها فقالا: يا أمير المؤمنين، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: بل ورب الكعبة المسدّة، قالا: فلم تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟ قال: ك رهت لكم أن تكونوا العازين، ولكن قولوا: اللهم احقن دماعنا ودماءهم، وأصلاح ذات بيننا وبينهم، وأبعدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوا عن الغي من لحج

(1) ميزان الاعتدال (253/4-254).

(2) لسان الميزان (157/6).

(3) المحرر وحون لابن حبان (91/3)، تذكرة الحفاظ (343/1)، معجم الأدباء (19/19)، قصص لا

تشتبث (18/1).

(4) قصص لا تشتبث (20/1).

(5) المصدر نفسه (10/1).

(6) البيان والتبيين للجاحظ (148/3)، فrand الكلام للخلفاء الكرام، ص(327).

(7) أحداث وأحاديث فتنه الهرج، ص(147).

به⁽¹⁾. وأما ما قيل من أن علياً كان يلعن في قنوطه معاوية وأصحابه، وأن معاوية إذا قد ت لعن علياً وابن عباس والحسن والحسين، فهو غير صحيح، لأن الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا أكثر حرصاً من غيرهم على التقيد بأوامر الشارع الذي نهى عن سباب المسلم ولعنه⁽²⁾. فقد روى عن رسول الله × قوله: «من لعن مؤذنا فهو كقتله»⁽³⁾، وقوله ×: «ليس المؤمن بطبعان ولا بلغان»⁽⁴⁾، وقوله ×: «لا يكون اللعنون شفاء ولا شفاء يوم القيمة»⁽⁵⁾. كما أن الرواية التي جاء فيها لعن أمير المؤمنين في قنوطه لمعاوية وأصحابه ولعن معاوية لأمير المؤمنين وابن عباس والحسن والحسين لا تثبت من ناحية السند حيث فيها أبو مخنف لوط بن يحيى الرافضي المحترق الذي لا يوثق في روایاته، كما أن في أصح كتب الشيعة عندهم جاء النهي عن سب الصحابة، فقد أكمل على[ٰ] على من سب معاوية ومن معه فقال: إني أكره لكم أن تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم أحقن دماءنا ودماءهم، وأصلاح ذات بيننا وبينهم⁽⁶⁾. فهذا السب والتکفير لم يكن من هدى على باعتراف أصح كتاب في نظر الشيعة⁽⁷⁾.

المبحث الثالث

التحكيم

تم الانفاق بين الفريقين على التحكيم بعد انتهاء موقعة صفين؛ وهو أن يُحكم كل واحد منهما رجلاً من جهته ثم يتحقق الحكمان على ما فيه مصلحة المسلمين، فوكل معاوية عمرو بن العاص ووكل على[ٰ] أبا موسى الأشعري، رضي الله عنهم جميعاً، وكانت بين الفريقين وثيقة في ذلك، وكان مقر اجتماع الحكمين في دومة الجندل في شهر رمضان سنة 37هـ، وقد رأى قسم من جيش على رضي الله عنه أن عمله هذا ذنب يوجب الكفر، فعليه أن يتوب إلى الله تعالى، وخرجوا عليه فسموا الخوارج، فأرسل على رضي الله عنه اليه ابن عباس، رضي الله عنهما، فناظرهم وجادلهم ثم ناظرهم على رضي الله عنه بنفسه فرجعت طائفة منهم وأت طائفة أخرى، فجرت بينهم وبين على رضي الله عنه حروب أضفت من جيشه وأنهكت أصحابه، وما زالوا به حتى قتلوا غيلة، وسيأتي تفصيل ذلك في محله بإذن الله تعالى.

تعد قضية التحكيم من أخطر الموضوعات في تاريخ الخلافة الراشدة، وقد تاه فيها كثير من الكتاب، وتخبط فيها آخرون وسطرواها في كتبهم ومؤلفاتهم، وقد اعتمدوا على الروايات الضعيفة والموضوعة التي شوهت الصحابة الكرام وخصوصاً أبا موسى الأشعري الذي وصفوه بأنه كان أبله ضعيف الرأي مخدوعاً في القول، وبأنه كان على جاذب كبير من الغفلة، ولذلك خدعاه عمرو بن العاص في قضية التحكيم، ووصفوا عمرو بن العاص، رضي الله عنه، بأنه كان صاحب مكر وخداع، فكل هذه الصفات الذميمة حاول المعارضون والحاقدون على الإسلام إلصاقها بهذين الرجلين العظيمين الذين اختاره ما المسلمين ليفصلوا في خلاف كبير أدى إلى قتل كثير من المسلمين، وقد تعامل الكثير من المؤرخين والأدباء والباحثين مع الروايات التي وضعها خصوم الصحابة الكرام على أنها حقائق تاريخية، وقد تلقاها الناس منهم بالقبول دون تمحيص لها وكأنها صحيحة لا مرية فيها؛ وقد يكون لصياغتها الفصصية المثيرة وما زعم فيها من خداع ومكر أثر

(1) الأخبار الطوال، ص(165) نقلأً عن تحقيق موافق الصحابة في الفتنة (232/2).

(2) تحقيق موافق الصحابة (232/2).

(3) البخاري، نك الأدب (84/7).

(4) السلسلة الصحيحة لابن حجر، رقم (320)، صحيح سنن الترمذى (189/2)، رقم (1110).

(5) مسلم (2598) رق (2006/4).

(6) بفتح البلاغة، ص(323).

(7) أصول مذهب الشيعة (934/2).

ي اهتمام الناس بها وعنابة المؤرخين بتدوينها. وليرعلم أن كلامنا هذا ينصب على التقصي لات لا على أصل التحكيم حيث إن أصله حق لا شك فيه⁽¹⁾.

وقد رأيت أن يكون المدخل في هذا المبحث التعريف بسيرة الصحابيين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهم. أو لا: سيرة أبي موسى الأشعري:

هو عبد الله بن قيس بن حضدار بن حرب، الإمام الكبير، صاحب رسول الله ×، أبو موسى الأشعري التميمي الفقيه المقرئ⁽²⁾. وقد أسلم أبو موسى بمكة قديماً، قال ابن سعد: قدم مكة فحالف سعيد بن العاص، وأسلم قديماً وهاجر إلى أرض الحبشة⁽³⁾. وتذكر بعض الروايات أنه رجع إلى قومه للدعوة إلى الله. وقد جمع ابن حجر بين الروايات في إسلامه فقال: وقد استشكل ذكر أبي موسى فيهم، لأن المذكور في الصحيح أن أبي موسى خرج من بلاده هو وجماعة قاصداً النبي × بخير.. ويمكن الجمع بأن يكون أبو موسى هاجر أولاً إلى مكة فأسلم، فبعثه النبي × مع من بعث إلى الحبشة، فتووجه إلى بلاد قومه، وهم مقابل الحبشة من الجانب الشرقي، فلما تحقق استقرار النبي × وأصحابه بالمدينة هاجر هو ومن أسلم من قومه إلى المدينة فلقتهم السفينة لأجل هيجان الريح من الحبشة، فهذا محتمل وفيه جمع بين الأخبار فليعتمد⁽⁴⁾.

1- أوسمه الشرف التي وضعها رسول الله × على صدر أبي موسى.

أ- لكم الهجرة مرتين، هاجرتم إلى النجاشي، وهاجرتم إلى: عن أبي موسى، قال: خرجنا من اليمن في بضع وخمسين من قومي ونحن ثلاثة إخوة: أنا، وأبو رُهْم، وأبو عامر، فأخرجتنا سفينتنا إلى النجاشي، وعند جعفر وأصحابه، فأقبلنا حين افتتحت خير، فقال رسول الله ×: «لكم الهجرة مرتين: هاجرتم إلى النجاشي وهاجرتم إلى»⁽⁵⁾، وعن أنس قال: قال رسول الله ×: «يقدم عليكم غداً قوم هم أرق قتيبة للإسلام منكم».

فقد الأشعريون؛ فلما دنوا جعلوا يرتجون:

غداً نلقى الأحبة
محمدًا وحزبه

فلما قدمو تصافحوا، فكانوا أول من أحدث المصادفة⁽⁶⁾.

ب- هم قومك يا أبي موسى: عن عياض الأشعري قال: لما نزلت: +فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ+ [المائدة: 54]. قال رسول الله ×: «هم قومك يا أبي موسى»، وأواما إليه⁽⁷⁾.

ج- اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيمة مدخلاً كريماً: عن أبي موسى قال: لما فرغ رسول الله × من حنين بعث أبا عامر الأشعري على جيش أوطاس، فذهب قي دريد بن الصمة فقتل دريد، وهزم الله أصحابه؛ فرمى رجل أبا عامر في ركبته بسهم فثبتته⁽⁸⁾. فقلت: يا عم، من رماك؟ ف وأشار إليه. فقصدت له، فلحقته، فلما رأني، ولئ ذاهباً، فجعلت أقول له: ألا تستحي؟ ألسنت عريباً؟ ألا تثبت؟ قال: فكفاً، فالثابت أنا وهو فاخ

(1) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبرى: ص(378)، تزييه خال المؤمنين معاوية: ص(38).

(2) سير أعلام النبلاء (381/2).

(3) الطبقات (107/4).

(4) فتح الباري (189/7).

(5) مسلم رقم (2502).

(6) سير أعلام النبلاء (384/2) أسناده صحيح.

(7) المستدرك (313/2) صحة الحكم ووثقه الذهبي، سير أعلام النبلاء (238/4).

(8) سير أعلام النبلاء (385/2).

تلقنا ضربتين، فقتلته، ثم رجعت إلى أبي عامر، فقلت: قد قتل الله صاحبك، قال: فانزاع
هذا السهم. فنزعه فنزا منه الماء. فقال: يا ابن أخي، انطلق إلى رسول الله × فأقرئه مني
السلام، وقل له يستغفر لي. واستخلفني أبو عامر على الناس، فكمث بسيراً، ثم مات. فلـ
ما قدمنا، وأخبرت النبي ×، توضأ، ثم رفع يديه، ثم قال: اللهم اغفر لعبد ابن أبي عامـ
ر. حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال: اللهم اجعله يوم القيمة فوق كثير من خلقك. فقلـ
ولى يا رسول الله؟ فقال: اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيمة مدخلاً
كريماً^(١)

د- إن هذا قد ردَّ البشري فأقبلًا أنتما: عن أبي موسى، قال: كنت عند رسول الله × بالجعرانة⁽²⁾ فأتى أعرابي فقال: لا تتجز لِي ما وعدتني؟ قال: أبشر. قال: قد أكثرت من البشري. فأقبل رسول الله على[ٰ] وعلى بلال. فقال: إن هذا قد ردَّ البشري فأقبلًا أنتما فـ لا: قبـلـاـ يـاـ رسـوـلـ اللـهـ، فـدـعـاـ بـقـدـحـ، فـغـسـلـ يـدـيهـ وـوـجـهـ فـيـهـ، وـمـجـ فـيـهـ، ثـمـ قـالـ: اشرـبـاـ مـنـهـ، وأـفـرـغـاـ عـلـىـ رـعـوـسـكـماـ وـنـحـورـكـماـ، فـفـعـلـاـ، فـنـادـتـ أـمـ سـلـمـهـ مـنـ روـاءـ السـترـ: أـنـ فـضـلـاـ لـمـكـماـ، فـأـفـضـلـاـ لـهـ مـنـهـ⁽³⁾

هـ- لقد أُعطي م Zimmerman من مزامير آل داود: عن ابن بريدة عن أبيه قال: خرجم لي
لة من المسجد، فإذا النبي × عند باب المسجد قائم، وإذا رجل يصلى، فقال لي: يا بريدة،
أتراء يُرائي؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: بل هو مؤمن مني، لقد أُعطي Zimmerman من
مزامير آل داود. ففتنته فإذا هو أبو موسى الأشعري؛ فأخبرته⁽⁴⁾.

و- يا عبد الله بن قيس، ألا أدلّك على كلمة من كنوز الجنة؟: عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، وكان القوم يصدعون ثانية أو عقب، فإذا أصعد الرجل قدّال: لا إله إلا الله، والله أكبر - أحسيبه قال: بأعلى صوته - ورسول الله ﷺ على بغلته يعتد رضها في الجبل، فقال: أيها الناس، إنكم لا تنادون أصم ولا غائبًا، ثم قال: يا عبد الله بن قيس - أو يا أبي موسى - ألا أدلّك على كلمة من كنوز الجنة؟ فقلت: بل يا رسول الله. قال: قل: لا حول ولا قوة إلا بالله⁽⁵⁾.

ز- يسراً ولا تعسرأ وتطاوعا ولا تُنفرا: استعمل رسول الله × أبا موسى على زبيـ د وعـن⁽⁶⁾ وأرسـله مع معاذ إلى الـيمـن، فـعن أبـي موسـى أن النـبـي × لما بـعـثـه وـمـعاـذـا إـلـيـ الـيمـنـ، قـالـ لـهـماـ: يـسـرـاـ وـلـاـ تـعـسـرـاـ وـتـطـاوـعـاـ وـلـاـ تـنـفـرـاـ، فـقـالـ لـهـ أبو مـوسـىـ: إـنـ لـنـاـ بـأـرـضـ نـاـ شـرـابـاـ، يـصـنـعـ مـعـ العـسـلـ يـقـالـ لـهـ التـبـغـ، وـمـنـ الشـعـيرـ يـقـالـ لـهـ: المـزـرـ، قـالـ: كـلـ مـسـكـرـ حـرامـ، فـقـالـ لـيـ مـعاـذـ: كـيـفـ تـقـرـأـ الـقـرـآنـ؟ قـلتـ: أـقـرـأـ فـي صـلـاتـيـ، وـعـلـىـ رـاحـلـتـيـ، وـقـائـمـاـ وـقـاعـدـاـ، أـقـوـقـهـ نـقـوـقـاـ، يـعـنـيـ شـيـئـاـ بـعـدـ شـيـءـ، قـالـ: فـقـالـ مـعاـذـ: لـكـنـيـ أـنـامـ ثـمـ أـقـومـ، فـأـحـتـسـبـ ذـ وـمـتـيـ، كـمـ أـحـتـسـبـ قـوـمـتـيـ، قـالـ: وـكـأـنـ مـعاـذـاـ فـضـلـ عـلـيـهـ⁽⁷⁾.

2- مكانة أبي موسى عند عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: كان أبو موسى من ضمن أعمدة الدولة في عهد عمر، وكان قائداً للجيوش في فتح قم وقاثان⁽⁸⁾، وموقعة تست

. (2498) مسلم، رقم (١)

(2) **الجُرْأَةُ:** بين مكة والطائف وهي أقرب إلى مكة.

.(2497) مسلم، رقم {3} (703) رقم {4}

.(4) مسلم، رقم (793)، مجمع الزوائد (358/9) (5) (2704)

5) مسلم، رقم (2704).
6) زانا خلافة بن خالاط.

ناریخ خلیفه بن خیاط

الحادية والنهائية (114/7)، البداءة (8)، مسلم، رقم (1733)، البخاري (4344).

(٨) البدایه والنهایه (١٤/٧)

ر⁽¹⁾, كما كان من مؤسسي المدرسة البصرية في عهد الفاروق وكان يعد من أعلم الصحابة، وقد قدم البصرة، وعَلِمَ بها⁽²⁾, وقد تأثر بعمر بن الخطاب، رضي الله عنهم، وكان بينهما مراسلات – سنتي عليها عند حديثها عن مؤسسة الولادة والقضاء – وكان أبو موسى، رضي الله عنه، قد اشتهر بالعلم والعبادة والورع والحياء، وعزه النفس وعفتها، والزهد في الدنيا والثبات على الإسلام، ويعد أبو موسى، رضي الله عنه، من كبار علماء الصحابة وفقائهم ومفتיהם، فقد ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ في الطبقة الأولى من الصحابة، رضي الله عنهم، كان عالماً عاملاً صالحًا تاليًا لكتاب الله، إليه المنتهي في حسن الصوت بالقرآن، روى علمًا طيبًا مباركاً، أقرأ أهل البصرة وأقوفهم، وقد كان رضي الله عنه كثير الملازم للنبي ﷺ، كما أنه تلقى من كبار الصحابة كعمر وعلى وأبي بكر وعبد الله بن مسعود، وتأثر أبو موسى على وجه الخصوص بعمر بن الخطاب كثيراً، وكان عمر يتعهده بالوصايا والكتب في أثناء ولادته الطويلة على البصرة، كما أن أبي موسى كان يرجع إلى عمر في كل ما يعرض له من القضايا، حتى عده الشعبى واحداً من أربعة قضاة الأمة، فقال: قضاة الأمة: عمر، وعلى، وزيد بن ثابت، وأبو موسى⁽³⁾، وكان أبو موسى عندما يأتي المدينة يحرص على مجالس عمر، رضي الله عنهم، وربما أمضى جزءاً كبيراً معه، فعن أبي بكر بن أبي موسى أن أبي موسى رضي الله عنه أتى عمر بن الخطاب بعد العشاء فقال له عمر: ما جاء بك؟ قال: جئت أتحدث إليك، قال: إنه فقه. فجلس عمر فتحديثاً طويلاً، ثم إن أبي موسى قال: الصلاة يا أمير المؤمنين، قال: إننا في صلاة⁽⁴⁾. وكما كان أبو موسى حريصاً على طلب العلم والتعليم كان حريصاً على نشر العلم وتعليم الناس وتقديرهم، وكان يحضر الناس على التعلم والتعليم في خطبه، فعن أبي المهلب قال: سمعت أبي موسى على مذبحه وهو يقول: من علمه الله علمًا فليعلمه، ولا يقولن ما ليس له به علم، فيكون من المذلفين، ويمرق من الدرين⁽⁵⁾, وقد جعل أبو موسى مسجد البصرة مركز نشاطه العلمي، وخصص جزءاً كبيراً من وقته لمجالسه العلمية، ولم يكتف بذلك، بل كان لا يدع فرصة تمر دون أن يستقيد منها في تعليم الناس وتقديرهم، فإذا ما سلم من الصلاة استقبل، رضي الله عنه، الناس، وأخذ يعلمهم ويضبط لهم قراءتهم للقرآن الكريم، قال ابن شونب: كان أبو موسى إذا صلى الصبح استقبل الصوفوف رجالاً يقرأهم⁽⁶⁾, واشتهر أبو موسى بين الصحابة بجمال صوته، وحسن قراءاته، فكان الناس يجتمعون عليه حين يسمعونه يقرأ، وكان عمر، رضي الله عنه، إذا جلس عنده أبو موسى طلب منه أن يقرأ له ما يتيسر له من القرآن⁽⁷⁾, وقد وفاته لتعليم المسلمين، وبذل رضي الله عنه كل ما يستطيع من جهد في تعلم القرآن ونشره بين الناس في كل البلاد التي نزل فيها، واستعلن بصوته الجميل وقراءته الندية فاجتمع الناس عليه، وأزدحم حوله طلاب العلم في مسجد البصرة، فقسمهم إلى مجموعات وحلق، فكان يطوف عليهم يسمعهم ويستمع منهم ويضبط لهم قراءتهم⁽⁸⁾, فكان القرآن الكريم شغله الشاغل، رضي الله عنه، صرف له معظم أوقاته في حلبه وفي سفره، فعن أنس بن مالك قال: بعثني الأشعري إلى عمر، رضي الله عنه، فقال: كيف تركت الأشعري؟ فقلت له: تركته يعلم الناس القرآن، فقال: أما إنه كيس⁽⁹⁾,

(1) المصدر نفسه (88/7).

(2) تفسير النابغة (433/1).

(3) سير أعلام النبلاء (389/2).

(4) أبو موسى الأشعري الصحابي العالم المجاهد، محمد طهناز ، ص(121).

(5) الطبقات (107/4).

(6) سير أعلام النبلاء (298/2).

(7) أبو موسى الأشعري الصحابي العالم، ص(125، 126)، سير أعلام النبلاء (391/2).

(8) المصدر نفسه، ص(127)، سير أعلام النبلاء (389/2).

(9) الطبقات (108/4) رجاله ثقات، كيس: عاقل فطن.

ولا تسمعها أياه⁽¹⁾. حتى عندما كان يخرج إلى الجهاد كان يعلم ويفقه، فعن حطاب بن عبد الله الرقاشى قال: كنا مع أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في جيش على ساحل دجلة، إذ حضرت الصلاة، فنادى مناديه للظهور، قام الناس للوضوء، فتوضاً ثم صلي بهم، ثم جلسوا حلقاً، فلما حضرت العصر نادى منادى العصر، فهب الناس للوضوء أي ضداً فامر مناديه: لا وضوء إلا على من أحدث.

وأثمرت جهوده العلمية، رضي الله عنه، وقررت عينه برؤية عدد كبير حوله من حفاظ القرآن الكريم وعلمائه، زاد عددهم في البصرة وحدها على ثلاثة، ولما طلب عمر بن الخطاب من عماليه أن يرفعوا إليه أسماء حفاظ القرآن لكي يكرمههم ويزيد عطاءهم، فكتب إليه أبو موسى أنه بلغ من قبلي ومن حمل القرآن ثلاثة وبضعة رجال⁽²⁾، واهتم أبو موسى، رضي الله عنه، بتعليم السنة وروايتها، فروعى عنه عدد من الصحابة وكبار التبعين. قال الذهبي - رحمه الله: حدث عنه بريدة بن الحصيب، وأبو إمام الباهلى، وأبا سعيد الخدرى، وأنس بن مالك، وطارق بن شهاب، وسعيد بن المسيب، والأسود بن يزيد، وأبو وايل شقيق بن سلمة، وأبو عثمان النهدي وخلق سواهم⁽³⁾ وكان رضي الله عنه شديد التمسك بسنة النبي ﷺ، دل على ذلك مسيرته في الحياة وما أوصى به أولاده عند موته، ومع حرصه الشديد على السنة لم يكتثر، رضي الله عنه، من روایة الأحاديث الشريفية كما هو حال كبار الصحابة، رضي الله عنهم، فقد كانوا يتبعون من الرواية عن النبي ﷺ، وكان من المقربين لأبي موسى في البصرة أنس بن مالك ويعتبر من خواصه، فعن ثابت عن أنس قال: كنا مع أبي موسى في مسيرة، والناس يتكلمون ويدكرون الدنيا، قال أبو موسى: يا أنس إن هؤلاء يكاد أحدهم يفرى الأديم بلسانه فريباً، فتعال فلنذكر ربنا ساعنة، ثم قال: ما ثير الناس - ما بطا بهم؟ قلت: الدنيا والشيطان والشهوات، قال: لا، لكن عجلت الدنيا وغيّبت الآخرة، أما والله لو عاينوها ما عدلوا ولا بدلو⁽⁴⁾. ولثقة أبي موسى بأنس فقد كان يكلفه أن يكون رسوله إلى أمير المؤمنين عمر، قال أنس: بعثني أبو موسى الأشعري من البصرة إلى عمر فسألني عن أحوال الناس، وبعد موقعة تستر أرسله أبو موسى إلى عمر بالأسرى والغنائم فقدم على عمر بصحابها الهرمان⁽⁵⁾.

3- ولادة أبي موسى في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهم: يعتبر أبو موسى - بحسب - أشهر ولادة البصرة أيام عمر بن الخطاب، فقد فتحت في أيامه المواقع العديدة في فارس، فكان يجاهد بنفسه، ويرسل القادة للجهات المختلفة من البصرة، وفي أيامه تمكنت الضربيون من فتح الأهواز وما حولها وفتحوا العديد من المواقع المهمة، وكانت فترة ولايته حافلة بالجهاد، وقد تعاون أبو موسى مع الولاة المجاورين له في كثير من الحروب والفتورات، وقد قام بجهود كبيرة لتنظيم المناطق المفتوحة وتعيين العمال عليها وتؤمنها وترتيب مختلف شئونها، وقد جرت العديد من المراسلات بين أبي موسى وعمر بن الخطاب في مختلف القضايا، منها توجيهه لأبي موسى في كيفية استقباله للناس في مجالس الإمار، ومنها نصيحته لأبي موسى بالورع ومحاولة إسعاد الرعية، وهي قيمة قال فيها عمر: «أما بعد، فإن أسعد الناس من سعدت به رعيته، وإن أشقي الناس من شققت به رعيته، وأياك أن ترتفع فيرتفع عمالك، فيكون مثلك عند ذلك مثل البهيمة نظرت إلى خضر من الأرض فرتفعت تبغي السمن وإنما حتفها في سمنها»⁽⁶⁾. وهناك العديد من الرسائل

(1) سير أعلام النبلاء (390/2).

(2) أبو موسى الأشعري، ص(129).

(3) سير أعلام النبلاء (381/2).

(4) أنس بن مالك الخادم الامين، عبد الحميد طهماز، ص(135).

(5) تاريخ الطبرى (66/5).

(6) مناقب عمر لأبن الجوزى، ص(130).

بين عمر وأبي موسى تدل على نواح إدارية وتفيذية مختلفة كان يقوم بها أبو موسى بتو
جيء من عمر، وقد جمع معظم هذه المراسلات محمد حميد الله في كتابة القيم عن الوثائق
السياسية⁽¹⁾. وتعتبر فترة ولاية أبي موسى على البصرة من أفضل الفترات حتى لقد عبر
عنها أحد أحفاد البصريين فيما بعد، وهو الحسن البصري – رحمة الله – فقال: ما قدمها
راكب خير لأهلها من أبي موسى⁽²⁾، إذ إن أبي موسى – رحمة الله – كان بالإضافة إلى إـ
مارته خير معلم لأهلها، حيث عـلـمـهـمـ القرآنـ وأـمـرـهـمـ الدـيـنـ المـخـتـلـفـةـ⁽³⁾، وفي عـهـدـ عـمـرـ بنـ
الـخـطـابـ كـانـ العـدـيدـ مـنـ الـمـدـنـ فـيـ فـارـسـ – وـالـتـيـ فـتـحـتـ فـيـ زـمـنـهـ – تـخـضـعـ لـلـبـصـرـةـ، وـتـ
دارـ مـنـ قـبـلـ وـالـىـ الـبـصـرـةـ الـذـيـ يـعـيـنـ عـلـيـهـ الـعـمـالـ مـنـ قـبـلـهـ، وـيـرـتـبـطـونـ بـهـ اـرـتـبـاطـاـ مـبـاشـرـاـ
رـأـ، وـهـكـذـاـ اـعـتـيـرـ أـبـيـ مـوـسـىـ مـنـ أـعـظـمـ وـلـاهـ عـمـرـ. وـاعـتـيـرـ مـرـاسـلـاتـ عـمـرـ مـعـ أـبـيـ مـوـسـىـ
سـىـ مـنـ أـعـظـمـ الـمـصـادـرـ الـتـيـ كـشـفـتـ سـيـرـةـ عـمـرـ مـعـ وـلـاتـهـ، وـبـيـنـتـ مـلـامـحـ أـسـلـوبـهـ فـيـ التـعـاـ
مـلـ مـعـهـمـ⁽⁴⁾، وـقـدـ أـوـصـىـ عـمـرـ – رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ – فـيـ وـصـيـتـهـ لـلـخـلـفـةـ مـنـ بـعـدـ أـلـاـ يـقـرـأـ لـ
يـ عـاـمـلـ أـكـثـرـ مـنـ سـنـةـ، وـأـفـرـ الأـشـعـرـيـ أـرـبـعـ سـنـنـ⁽⁵⁾، وـقـدـ تـولـيـ أـبـوـ مـوـسـىـ مـنـصـبـ الـقـضـاءـ
أـءـ فـيـ عـهـدـ عـمـرـ وـكـانـ كـتـابـ عـمـرـ إـلـيـهـ فـيـ الـقـضـاءـ أـنـمـوذـجـاـ وـمـثـالـاـ يـفـيدـ كـلـ قـاضـ، بلـ وـ
كـلـ إـدـارـيـ، فـيـ كـلـ زـمـانـ وـمـكـانـ⁽⁶⁾، وـقـالـ عـنـهـ أـبـيـ الـقـيمـ: وـهـذـاـ كـتـابـ جـلـيلـ تـلـقـاهـ الـعـلـمـاءـ بـالـ
قـبـولـ، وـبـنـواـ عـلـيـهـ أـصـوـلـ الـحـكـمـ، وـالـشـهـادـةـ، وـالـمـفـتـيـ أـحـوـجـ شـيـءـ إـلـيـهـ وـإـلـىـ تـأـمـلـهـ وـالـلـقـفـهـ فـيـ
هـ⁽⁷⁾، كـماـ تـولـيـ الـوـلـاـيـةـ فـيـ عـهـدـ عـثـمـانـ وـاستـقـضـاهـ ذـوـ النـورـينـ عـلـىـ الـبـصـرـةـ أـيـضـاـ، وـلـمـاـ
تـلـ عـثـمـانـ كـانـ وـالـيـاـ عـلـىـ الـكـوـفـةـ، وـلـمـاـ تـولـيـ عـلـىـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ الـخـلـفـةـ، أـخـذـ أـبـوـ مـوـسـىـ
يـ لـهـ الـبـيـعـةـ مـنـ أـهـلـ الـكـوـفـةـ، إـذـ كـانـ وـالـيـاـ عـلـيـهـ لـعـثـمـانـ بـنـ عـفـانـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ، وـحـينـ
سـتـفـرـ الـخـلـفـةـ الـكـوـفـيـنـ مـنـ ذـيـ قـارـ، رـأـيـ أـبـوـ مـوـسـىـ بـوـاـدـرـ الـفـتـنـةـ وـالـإـنـشـاقـ بـيـنـ الـمـسـلـمـيـنـ
نـ، فـنـصـحـ لـأـهـلـ الـكـوـفـةـ أـنـ يـلـزـمـوـاـ بـيـوـتـهـمـ وـيـعـتـزـلـوـاـ هـذـاـ الـأـمـرـ فـإـنـمـاـ هـيـ فـتـنـةـ، الـقـاعـدـ فـيـهـاـ
خـيـرـ مـنـ الـقـائـمـ، وـالـقـائـمـ خـيـرـ مـنـ الـمـاـشـيـ، وـلـكـنـ لـاـخـتـلـافـ وـجـهـةـ نـظـرـهـ مـعـ الـخـلـفـةـ عـزـلـ عـ
نـ وـلـاـيـةـ الـكـوـفـةـ⁽⁸⁾.

إن حياة أبي موسى، رضي الله عنه، منذ إسلامه قضتها في نشر الإسلام وتعليم النـ
اسـ الـعـلـمـ، وـخـاصـةـ الـقـرـآنـ الـذـيـ اـشـهـرـ بـقـرـاءـتـهـ، وـالـجـهـادـ فـيـ سـبـيلـ اللـهـ وـالـحرـصـ عـلـيـهـ، وـالـاـ
فـصـلـ فـيـ الـخـصـومـاتـ، وـنـشـرـ الـعـدـلـ وـضـبـطـ الـلـوـلـاـيـاتـ عـنـ طـرـيقـ الـقـضـاءـ وـالـإـدـارـةـ، وـلـاـ شـدـ
أـكـ أنـ هـذـهـ الـمـهـامـ صـعـبـةـ وـتـحـتـاجـ إـلـىـ مـهـارـاتـ وـصـفـاتـ فـرـيـدـةـ مـنـ الـعـلـمـ وـالـفـهـمـ وـالـفـطـنـةـ وـالـاـ
حـذـقـ وـالـوـرـعـ وـالـزـهـدـ، وـقـدـ أـخـذـ مـنـهـ أـبـوـ مـوـسـىـ بـنـصـيـبـ وـافـرـ، فـاعـتـمـدـ عـلـيـهـ رـسـوـلـ اللـهـ ×
ثـمـ الـخـلـفـاءـ الـأـرـبـعـةـ مـنـ بـعـدـ رـضـوـانـ اللـهـ عـلـيـهـمـ⁽⁹⁾، فـهـلـ يـتـصـورـ أـنـ يـتـقـنـ رـسـوـلـ اللـهـ ×، ثـمـ
خـلـفـاؤـهـ بـعـدـ بـرـجـلـ يـمـكـنـ أـنـ تـجـوزـ عـلـيـهـ مـثـلـ الـخـدـعـةـ الـتـيـ تـرـوـيـهـاـ قـصـةـ التـحـكـيمـ؟!⁽¹⁰⁾

إن اختيار أبي موسى رضي الله عنه – حـكـمـاـ عـنـ أـهـلـ عـرـاقـ مـنـ قـبـلـ عـلـىـ – رـ
ضـيـ اللـهـ عـنـهـ – وـأـصـحـابـهـ يـنـسـجـ مـتـامـاـ مـعـ الـأـحـدـاثـ، فـالـمـرـحلةـ الـتـالـيـةـ هـيـ مـرـحلـةـ الـصـلـحـ
وـجـمـعـ كـلـمـةـ الـمـسـلـمـيـنـ، وـأـبـوـ مـوـسـىـ الـأـشـعـرـيـ كانـ مـنـ دـعـةـ الـصـلـحـ وـالـسـلـامـ، كـمـاـ كـانـ فـيـ

(1) الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة.

(2) سير أعلام النبلاء (2/389).

(3) الولاية على البلدان (1/120).

(4) المصدر نفسه (1/120).

(5) سير أعلام النبلاء (2/391).

(6) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(262).

(7) أعلام المؤمنين (1/186).

(8) فتح الباري (13/53)، التاريخ الصغير (11/109).

(9) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(262).

(10) تحقيق موافق الصحابة في الفتنة (2/227).

الوقت نفسه محبوبًا، مؤتمدًا من قبائل العراق، وقد ذكرت المصادر المتقدمة أن علياً هـ و الذي اختار أبو موسى الأشعري، يقول خليفة في تاريخه: وفيها - سنة 37هـ- اجتمع الـ حكمان: أبو موسى الأشعري من قبل علىـ، وعمرو بن العاص من قبل معاوية⁽¹⁾، وبقيـ لـ ابن سعد: فكره الناس الحرب وتداعوا علىـ الصلح، وحكمـوا الحكمـين، فحكمـ علىـ أـبي موسى، وحكمـ معاويةـ عمروـ بنـ العاصـ⁽²⁾، ولهذا يمكن القول إنـ الدورـ المنـسـوبـ لـ القـرـاءـ فيـ صـفـيـنـ منـ مـسـؤـلـيـةـ وـقـفـ القـتـالـ وـالـتـحـكـيمـ، وـفـرـضـ أـبـيـ مـوـسـىـ حـكـمـاـ لـيـسـ إـلاـ فـرـيـةـ تـارـيـخـيـةـ اـخـتـرـعـهـاـ الإـخـبـارـيـونـ الشـيـعـةـ الـذـيـنـ ماـ انـقـطـعـوـاـ عـنـ تـزـوـيرـ وـتـشـوـيهـ تـارـيـخـ الـإـسـلامـ بـالـرـوـاـيـاتـ الـبـاطـلـةـ، وـكـانـ يـزـعـجـهـمـ أـنـ يـظـهـرـ عـلـيـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ بـمـظـهـرـ الـمـتـعـاطـفـ مـعـ مـعـاوـيـةـ وـأـهـلـ الشـامـ، وـأـنـ يـرـغـبـ فـيـ الـصـلـحـ مـعـ أـعـادـهـمـ التـقـلـيـدـيـنـ، وـمـنـ جـهـةـ أـخـرىـ يـحـمـلـونـ الـمـسـؤـلـيـةـ لـأـعـادـهـمـ الـخـوـارـجـ وـيـتـخـلـصـوـنـ مـنـهـاـ، وـيـجـعـلـوـنـ دـعـوـيـ الـخـوـارـجـ تـاقـضـيـهـ فـسـهـاـ، فـهـمـ الـذـيـنـ أـجـبـرـوـاـ عـلـيـأـمـاـ عـلـىـ قـبـولـ التـحـكـيمـ، وـهـمـ الـذـيـنـ ثـارـوـاـ عـلـيـهـ بـسـبـبـ قـبـولـ التـحـكـيمـ⁽³⁾.

إنـ هـذـهـ العـجـالـةـ عنـ شـخـصـيـةـ أـبـيـ مـوـسـىـ لـهـاـ عـلـاقـةـ بـبـحـثـاـ عـنـ شـخـصـيـةـ أـمـيـرـ الـمـؤـمنـينـ عـلـيـ وـعـصـرـهـ، وـأـبـوـ مـوـسـىـ مـنـ السـخـصـيـاتـ الـمـؤـثـرـةـ فـيـ عـصـرـهـ، وـقـدـ تـعـرـضـتـ لـلـتـشـوـيهـ، وـغـالـبـاـ إـذـاـ تـحـدـثـ أـحـدـ عـنـ صـفـيـنـ وـالـتـحـكـيمـ تـعـرـضـتـ شـخـصـيـةـ أـبـيـ مـوـسـىـ وـعـمـرـوـ بنـ الـعـاصـمـ، لـلـتـشـوـيهـ، وـالـكـذـبـ وـالـافـتـراءـ بـسـبـبـ الـرـوـاـيـاتـ الـضـعـيفـةـ وـالـمـوـضـوعـةـ، فـكـانـ لـزـامـاـ عـلـيـنـاـ أـنـ تـحـدـثـ عـنـ شـيـءـ مـنـ سـيـرـتـهـمـ الـعـطـرـةـ الـزـكـيـةـ، وـهـذـاـ المـقـصـدـ مـنـ أـهـدـافـ الـكـتـابـةـ فـيـ هـذـاـ الـبـحـثـ.

ثـانـيـاـ: سـيـرـةـ عـمـرـوـ بنـ الـعـاصـمـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ:

هوـ عـمـرـوـ بنـ الـعـاصـمـ بـنـ وـائـلـ السـهـمـيـ، يـكـنـىـ أـبـيـ مـحـمـدـ وـأـبـيـ عـبـدـ اللهـ، وـيـتـقـقـ أـبـنـ إـسـحـاقـ⁽⁴⁾ وـالـزـبـيرـ بـنـ بـكـارـ⁽⁵⁾ أـنـ إـسـلـامـهـ كـانـ عـنـدـ النـجـاشـيـ فـيـ الـحـبـشـةـ، وـهـاجـرـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ فـيـ صـفـرـ سـنـةـ ثـمـانـ لـلـهـجـةـ، وـذـكـرـ أـبـنـ حـجـرـ أـنـ أـسـلـمـ سـنـةـ ثـمـانـ قـبـلـ الـفـتـحـ، وـقـيلـ: بـيـنـ الـحـدـيـبـيـةـ وـخـيـرـ⁽⁶⁾.

1- إـسـلـامـهـ: نـتـرـكـ عـمـرـوـ بنـ الـعـاصـمـ، رـضـيـ اللهـ عـنـهـ، يـحـدـثـاـ عـنـ إـسـلـامـهـ، فـقـدـ قـالـ: لماـ اـنـصـرـنـاـ مـعـ الـأـحـزـابـ مـنـ الـخـنـدقـ جـمـعـتـ رـجـالـاـ مـنـ قـرـيـشـ، كـانـوـاـ يـرـوـنـ رـأـيـيـ وـيـسـمـعـونـ مـنـيـ، فـقـلـتـ لـهـمـ: تـعـلـمـوـنـ وـالـلـهـ أـنـيـ أـرـىـ أـمـرـ مـحـمـدـ يـعـلـوـ الـأـمـوـرـ عـلـوـاـ مـنـكـراـ، وـإـنـيـ رـأـيـتـ أـمـرـاـ، فـمـاـ تـرـوـنـ فـيـهـ؟ قـالـوـاـ: وـمـاـذـاـ رـأـيـتـ؟ قـالـ: رـأـيـتـ أـنـ نـلـحـقـ بـالـنـجـاشـيـ، فـإـنـاـ أـنـ نـكـوـنـ تـحـتـ يـدـيـهـ أـحـبـ إـلـيـنـاـ أـنـ نـكـوـنـ تـحـتـ يـدـيـ مـحـمـدـ، وـإـنـ ظـهـرـ قـوـمـاـ فـنـحـنـ مـنـ قـدـ عـرـفـواـ، فـلـنـ يـأـتـيـنـاـ مـنـهـمـ إـلـاـ خـيـرـاـ، قـالـوـاـ: إـنـ هـذـاـ الرـأـيـ، قـلـتـ: فـاجـمـعـوـ لـنـاـ مـاـ نـهـدـيـهـ لـهـ، وـكـانـ أـحـبـ مـاـ يـهـدـىـ إـلـيـهـ مـنـ أـرـضـنـاـ الـأـدـمـ⁽⁷⁾، فـجـمـعـنـاـ لـهـ أـدـمـاـ كـثـيرـاـ ثـمـ خـرـجـاـ حـتـىـ قـدـمـنـاـ عـلـيـهـ، فـوـالـلـهـ إـنـاـ لـعـنـهـ إـذـ جـاءـهـ عـمـرـوـ بـنـ أـمـيـةـ الـضـمـرـيـ، وـكـانـ رـسـوـلـ اللـهـ ×ـ قـدـ بـعـثـ إـلـيـهـ فـيـ شـأنـ جـعـفـ رـوـأـصـحـابـ، قـالـ: فـدـخـلـ عـلـيـهـ، ثـمـ خـرـجـ مـنـ عـنـهـ، قـالـ: فـقـلـتـ لـأـصـحـابـيـ: هـذـاـ عـمـرـوـ بـنـ أـمـيـةـ الـضـمـرـيـ، لـوـ دـخـلـتـ عـلـىـ النـجـاشـيـ، وـسـأـلـتـهـ إـيـاهـ فـأـعـطـانـيـهـ، فـضـرـبـتـ عـنـقـهـ، فـإـذـاـ فـعـلـتـ ذـلـكـ رـأـيـتـ قـرـيـشـ أـنـيـ أـجـزـأـتـ عـنـهـاـ⁽⁸⁾، حـيـثـ قـلـتـ رـسـوـلـ مـحـمـدـ، قـالـ: فـخـلـتـ عـلـيـهـ، فـسـجـدـتـ

(1) تاريخ خليفة، ص(191، 192).

(2) الطبقات (32/3).

(3) تحقيق موافق الصحابة (215/2).

(4) المعجم الكبير للطبراني (53/9).

(5) الإصابة (2/3) خلافة عليـ، عبدـ الحميدـ، ص (263).

(6) تهذيب التهذيب (56/8).

(7) الأدبـ الجـلـديـ.

(8) أـجـزـأـتـ عـنـهـاـ: كـفـيـنـاـ.

له كما كنت أصنع، فقال: مرحباً صديقي، أهديت إلي من بلادك شيئاً؟ قال: نعم، أيها الملك، قد أهديت إليك أدمًا كثيراً، قال: ثم قربته إليه فأعجبه واحتله، ثم قلت له: أيها الملك إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطيته لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا، قال: فغضب، ثم مد يده، فضرب بها أنفه ضربة ظننت أذبه قد كسره، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه، ثم قلت له: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه، قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتيه موسى لقتله؟ قال: قلت: أيها الملك، أكتلك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطعني واتبعه، فإنه والله على الحق، وليظهرن على من خالقه كما ظهر موسى على فرعون وجندوه، قال: قلت: أفتبايني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده فبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي، وقد حال رأبي عما كان عليه، وكتمت على أصحابي إسلامي، ثم خرجت عامداً إلى رسول الله لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح، وهو مقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم⁽¹⁾، وإن الرجل لنبي، أذهب والله فأسلم، فحتى متى؟ قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم. قال: فقدمنا المدينة على رسول الله ×، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبابع، ثم دنوت، فقلت: يا رسول الله ×، إني أباعيك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي، ولا أذكر ما تأخر، قال: فقال رسول الله ×: «يا عمرو بابع، فإن الإسلام يحب ما كان قبله، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها»، قال: فبايعته ثم انصرفت⁽²⁾. وفي رواية قال: ... فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي × فقلت: أبسط يمينك فلأباعيك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: «ما لك يا عمرو؟» قال: قلت: أردت أنأشترط. قال: «تشترط بماذا؟» قلت: أن يغفر لي. قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟»⁽³⁾.

2- عمرو بن العاص يقود سرية في ذات السلاسل 7 هـ:

جهز النبي × جيشاً بقيادة عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل، وذلك لتأديب قبائل التي غرها ما حدث في موتة التي اشتراك فيها إلى جانب الروم، فتجمعت تrepid الدنيا من المدينة، فتقدم عمرو بن العاص في ديارها ومعه ثلاثة مئات من المهاجرين والأنصار، ولما وصل إلى مكان تجمع الأعداء بلغه أن لهم جموعاً كثيرة، فأرسل إلى رسول الله × يطلب المدد فجاءه مدد بقيادة أبي عبيدة بن الجراح⁽⁴⁾، وقاتل المسلمين الكفار، وتغلب عمرو في ديار قباعية التي هربت وتفرقوا وانهزمت، ونجح عمرو في إرجاع هيبة الإسلام لأطراف الشام، وإرجاع أحلاف المسلمين لصداقتهم الأولى، ودخول قبائل أخرى في حلف المسلمين، وإسلام الكثيرين منبني عبس، وبني مرة، وبني ذبيان، وكذلك فزاره وسيدها عيينة بن حصن في حلف مع المسلمين، وتبعها بنو سليم، وعلى رأسهم العباس بن مرداس، وبنو أشجع، وأصبح المسلمون هم الأقوى في شمال بلاد العرب، وإن لم يكن في البلاد جميعها⁽⁵⁾، وفي هذه الغزوة دروس وعبر وحكم تتعلق بعمرو بن العاص منها:

أ- إخلاص عمرو بن العاص:

يقول عمرو: بعث إلى رسول الله × فقال: «خذ عليك ثيابك، وسلامك، ثم ائتي».

(1) استقام المنسم: تبين الطريق ووضح.

(2) صحيح البخاري النبوية، ص (494)، سير أعلام النبلاء (60/3)، والسيرة لابن هشام (276/2).

(3) مسلم، كتاب الإيمان، رقم (121).

(4) السيرة النبوية الص الصحيحة (471/2)، السيرة النبوية لابن هشام (280/3).

(5) السيرة النبوية لأبي شيبة (433/2)، السيرة النبوية لابن هشام (280/4).

فأئتيه وهو يتوضأ، فصعد في النظر، ثم طأطاً، فقال: «إني أريد أن أبعثك على جيش⁽¹⁾، فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك في المال رغبة صالحة»، قال: قلت: يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال، ولكنني أسلمت رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله ×. قال: «يا عمرو نعم المال الصالح للمرء الصالح»⁽²⁾. فهذا الموقف يدل على قوة إيمان وصدق وإخلاص عمرو بن العاص للإسلام وحرصه على ملازمته رسول الله ×، وقد بين له رسول الله × أن المال الحال نعمة إذا وقع بيد الرجل الصالح، لأنه يبتغي وجه الله ويصرفه في وجوه الخير كفالة الأيتام والأرامل والدعاة ودعم المجاهدين، والمشاريع الخيرية وغيرها من وجوه البر، ويفعل به نفسه وأسرته⁽³⁾، ويغنى به المسلمين، ونستتبط من الحديث أن سعي العبد للحصول على المال الصالح أمر محمود يحث عليه النبي ×، كما أن الرجل ذا المال إذا استطعنا إيصال الصالح له ليجمع بين صلاح المال وصلاح نفسه كما في الحديث، فهو أيضاً مطلوب ومحمود، وهذا خير له وللإسلام والمسلمين.

ب- حرص عمرو على سلامته قوله: بعث رسول الله × عمراً في غزوة ذات السلاسل، فأصابهم برد، فقال لهم عمرو: لا يوقدن أحد نار، فلما قدم شكوكه، قال: يا نبي الله، كان فيهم قلة، فخشيت أن يرى العدو قلتهم، ونهيتم أن يتبعوا العدو مخافة أن يكون لهم كمين، فاعجب ذلك رسول الله⁽⁴⁾.

ج- من فقه عمرو بن العاص رضي الله عنه: قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت ثم صليت بأصحابي الصبح، فذروا ذلك للنبي × فقال: «يا عمرو صليت بأصحابك وأنتم جن؟» فأخبرته بالذى معنى من الاغتسال وقلت: إني سمعت الله يقول: «وَلَا تَقْتُلُو أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا» [النساء: 29]، فضحك رسول الله × ولم يقل شيئاً⁽⁵⁾.

وهذا الاجتهاد من عمرو بن العاص يدل على فقهه ووفر عقله، ودقة استبطاطه الحكم من دليله⁽⁶⁾، ولئن وقف الفقهاء عند هذه الحادثة يفرعون عليها الأحكام، فإن الذي يسمى وقنا⁽⁷⁾ منها تلك السرعة في أخذ عمرو للقرآن وصلته به حتى بات قادرًا على فقه الأمور من خلال الآيات وهو لم يمض على إسلامه أربعة أشهر، إنه الحرص على الفقه في دين الله، وقد يكون عمرو سوها احتمال وارد - على صلة بالقرآن قبل إسلامه يتبع ما يستطيع الوصول إليه، وحينئذ نكن أمام مثل آخر من عظمة هذا القرآن الذي لوى أعناق الكافرين وجعلهم وهم في أشد حالات العداوة لهذا الدين يحاولون استعماله هذا القرآن، كما أرأينا ذلك في العهد المكي، ويؤيد هذا ما رأينا من معرفته بالقرآن حينما طلب من النجاشي أن يسأل مهاجري الحبشة عن رأيهما في عيسى عليه السلام⁽⁸⁾.

3- فضائله ومناقبه:

أ- شهادة رسول الله × له بالإيمان: قال رسول الله ×: «أسلم الناس وأمن الناس

(1) جيش: سرية ذات السلاسل.

(2) رواه ابن حبان في الموارد (2277)، صحيح السيرة، ص (508) صحيح الألباني.

(3) التاريخ الإسلامي للحميدي (133/7).

(4) سير أعلام النبلاء (66/3).

(5) المصدر نفسه (67/3) إسناده صحيح، صحيح ابن حبان، رقم (202).

(6) غزوة الحديبية لابي فارس، ص (210).

(7) معين السيرة، ص (381)، القائل هو صالح أحمد الشامي صاحب معين السيرة.

(8) المصدر نفسه، ص (381)، مسند أحمد (203/1) رجاله رجال الصحيح.

مرو بن العاص»⁽¹⁾, وفي حديث آخر قال رسول الله ×: «ابنا العاص مؤمنان عمرو و هشام»⁽²⁾, وقال عمرو بن العاص: فزع الناس بالمدينة مع النبي × فتفرقوا, فرأيت سالاً مَا احتبى سيفاً فجلس في المسجد, فلما رأيت ذلك فعلت مثل الذي فعل, فخرج رسول الله × فرأني وسلاماً, وأتي الناس فقال: «أيها الناس ألا مفزعكم إلى الله ورسوله, ألا فع لتم ما فعل هذان الرجال؟»⁽³⁾.

ب- تقديم رسول الله × له على غيره, وشهادته له بأنه من صالح قريش:

فقد جاء عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قوله: ما عدل بي رسول الله × وبخالا د أحداً منذ أسلمنا في حرب⁽⁴⁾. وشهد له رسول الله × بأنه من صالح قريش, فمن أبي مليكة قال: قال طلحة بن عبيد الله: سمعت رسول الله × يقول: «إن عمرو بن العاص من صالح قريش»⁽⁵⁾. وهذا درس نبووي في معرفة النبي × لمعادن الرجال والاستقادة منها.

ج- دعاء رسول الله × له: عن زهير بن قيس البلوي عن عمه علامة بن رمثة البلو ي قال: بعث رسول الله × عمرو بن العاص إلى البحرين, ثم نعش رسول الله × ثم استيقظ فقال: «رحم الله عمرًا». فتذكروا من اسمه عمرو ثم نعش ثانية فاستيقظ فقال: «رحم الله عمرًا» ثم نعش ثالثة فاستيقظ, فقال: «يرحم الله عمرًا». فلنا: من عمرو يا رسول الله؟ قال: «عمرو بن العاص». فلنا: وما باله؟ قال: «ذكرته إني كنت إذا ندب الناس الصدقة, جاء من الصدقة فأجزل, فأقول: من أين لك هذا يا عمرو؟ فيقول: من عند الله, وصدق عمرو, إن لعمرو عند الله لخيراً كثيراً». قال زهير: فلما كانت الفتنة قلت: أتبع هذا, قال فيه رسول الله ما قال, فلم أفارقه⁽⁶⁾.

4- أعماله في عهد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم:

كان رسول الله × قد أرسل عمرًا إلى دعوة أبني الجلندي «جبلير, وعبد» إلى الإسلام ودعاهما إلى الإسلام وصدقهما بالنبي × وخليا بين عمرو وبين الصدقة والحكم فيما بين قومهم, وكانوا له عونًا على من خالفه⁽⁷⁾, وبعد وفاة رسول الله × وجه الصديق عمرو بن العاص بجيشه إلى فلسطين, وكان الصديق خيره بين البقاء في عمله الذي أسند إليه رسول الله × وبين أن يختار له ما هو خير له في الدنيا والآخرة, إلا أن الذي هو فيه أحد ب إليه, فكتب إليه عمرو بن العاص: إني سهم من سهام الإسلام وأنت بعد الله الرامي به والجامع لها, فانتظر أشدتها وأخشاها وأفضلها فارم به⁽⁸⁾, فلما قدم المدينة أمره أبو بكر رضي الله عنه أن يخرج من المدينة وأن يعسكر حتى يندب معه الناس.. ثم أرسله جب ش إلى الشام⁽⁹⁾. وفي معركة اليرموك كان عمرو على الميمنة, فكان لمشاركة أثر كبير في انتصار المسلمين, وبعد وفاة الصديق استمر عمرو في الشام وكانت له مشاركة فعالة في حركة الفتح الإسلامي بالشام, فقد قام بمشاركة شرحبيل بن حسنة في فتح بيisan, و

(1) سلسلة الأحاديث الصحيحة (238/1), رقم (155) وحسنه.

(2) الطبقات (191/4), السلسلة الصحيحة (1/240), رقم (156).

(3) مسنون أحمد (203) بسند حسن.

(4) سنن البيهقي باب إسلام مناقب عمرو بن العاص (43/4).

(5) سنن الترمذى كتاب المناقب باب مناقب عمرو بن العاص, رقم (3844).

(6) المعجم الكبير (5/18) المستدرك (3/455) صحيح الحاكم وقال الذهبى: صحيح إسناده حسن.

(7) الطبقات (262/1) جوامع السيرة لابن حزم, ص (24, 29).

(8) تمام الوفاء سيرة الخلفاء ص (55).

(9) فتوح الشام للأزدي, ص (48-51).

طبرية، وأجنادين⁽¹⁾، كما قام رضي الله عنه بفتح غزة، واللد، ويُبنى، وعمواس، وبيت جبرين، وبِيافا، ورفح، وبيت المقدس، ولم يقتصر عمرو رضي الله عنه على فتح بلاد الشام وحدها، بل شمل أيضًا مشاهير بلاد مصر، حيث كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصدر أمره إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه بعد الفراغ من فتوح الشام أن يسير بهن معه من الجندي إلى مصر، فخرج رضي الله عنه حتى وصل إلى العريش ففتحها، كما شملت حركة الفتح أيضًا: الفرما، والفسطاط، وحسن بابليون، وعين شمس، والفيوم، والأشمونيين، وأخميم، والبشرود، وتتبس، ودمياط، وتونة، ودقهلة، والإسكندرية، وبلاط⁽²⁾ فريقية أخرى مثل؛ برقة وزويلة وطرابلس⁽³⁾، وقد شهد له الفاروق بصفات الزعامة وإمامية فقال: ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلى أمير⁽⁴⁾. وكان في عهد عثمان بن المقربيين إلى الخليفة ومن أهل مشورته، ولما أحبط بعثمان، رضي الله عنه، خرج عمرو بن العاص من المدينة متوجهًا إلى الشام وقال: والله يا أهل المدينة ما يقيم به أحد فيدركه قتل هذا الرجل إلا ضربه الله عز وجل بذلك، ومن لم يستطع نصره فليهره، فسار وسار معه أبناء عبد الله ومحمد، وخرج بعده حسان بن ثابت وتتابع على ذلك ما شاء الله⁽⁵⁾، وعندما جاء الخبر عن مقتل عثمان رضي الله عنه وبأن الناس بايعوا على بن أبي طالب، قال عمرو بن العاص: رحم الله عثمان رضي الله عنه وغفر له، فقال سلامة بن زنباع الجذامي: يا معاشر العرب إنه قد كان بينكم وبين العرب باب فاتخذوا بابًا إذا كسر الباب، فقال عمرو: وذلك الذي نريد ولا يصلح الباب إلا أشاف⁽⁶⁾، تخرج الحق من حافرة البأس ويكون الناس في العدل سواء، ثم تمثل عمرو بن العاص بهذه الآيات: فيا لهف نفسي على مالك حفظ القراء

فأعذرهم أم بقومي سكر

أنزع من الحر⁽⁶⁾ أودى بهم

ثم ارحل راجلًا يبكي ويقول: يا عثماناه؛ أتعي الحياة والدين، حتى قدم دمشق⁽⁷⁾.

هذه هي الصورة الصادقة عن عمرو رضي الله عنه والمتالية مع شخصيته وخط حياته وقربه من عثمان، أما الصورة التي تمسخه إلى رجل مصالح وصاحب مطامع وراغب دنيا فهي الرواية المتروكة الضعيفة، روایة الواقدی عن موسی بن يعقوب⁽⁸⁾، وقد تأثرت بالروايات الضعيفة والسبقية مجموعة من الكتاب والمؤرخين، فأهلوا بعمرو إلى الحضيض، كالذي كتبه محمود ثابت خطاب⁽⁹⁾، وعبد الخالق سيد أبو رابية⁽¹⁰⁾، وعباس محمود العقاد الذي يتعالى عن النظر في الإسناد ويستخف بقارئه، ويظهر له صورة معاوية وعمرو رضي الله عنهما بأنهما: ... انتهازيان صاحباً مصالح، ولو أجمع الناقدون الذين ارتكبوا على بطلان الروايات التي استند إليها في تحليله، فهذا لا يعني للعقاد شيئاً، فقد قال بعد أن ذكر روايات ضعيفة وأهية لا تقوم بها حجة: ... وليقن الناقدون بالتاريخيون ما بدا لهم أن يقولوا في صدق هذا الحوار، وصحة هذه الكلمات، وما ثبت نقله ولم يثبت مذهب سنه، ولا نصه، فالذى لا ريب فيه ولو أجمع التوارييخ قاطبة على نقضه أن الانفاق

(1) تاريخ الطبرى (605/3)، الكامل لابن الأثير (498/2).

(2) سير أعلام النبلاء (70/3)، القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص (942 - 634).

(3) سير أعلام النبلاء (70/3).

(4) تاريخ الطبرى نقلاً عن عمرو بن العاص للغضبان، ص (464).

(5) أشاف: جمع أشفي وهو المقت.

(6) الحر: جمع حرّ وهي الظلمة الشديدة.

(7) تاريخ الطبرى نقلاً عن عمرو بن العاص، ص (464).

(8) عمرو بن العاص للغضبان، ص (481).

(9) سفراء النبي × محمود ثابت خطاب، ص (508).

(10) عمرو بن العاص، عبد الخالق سيد أبو رابية، ص (316).

بين الرجلين، كان اتفاق مساومة ومساعدة على الملك والولاية، وأن المساومة بينهما كانت على النصيب الذي آتى كل منهما ولو لاه لما كان بينهما اتفاق⁽¹⁾.

إن شخصية عمرو رضي الله عنه الحقيقة أنه رجل مبادئ، غادر المدينة حين عجز عن نصرة عثمان، وبكي عليه بكاءً مُرَا حين قتل، فقد كان يدخل في الشورى في عهد عثمان من غير ولایة، ومضى إلى معاوية، رضي الله عنهما، يتعاونان معًا على حرب قتلة عثمان والثار لل الخليفة الشهيد⁽²⁾، لقد كان مقتل عثمان كافياً لأن يحرك كل غضبه على أولئك المجرمين السفاكين، وكان لابد من اختيار مكان غير المدينة للثأر من هؤلاء الذين تجرأوا على حرم رسول الله وقتلوا الخليفة على أعين الناس، وأي غرابة أن يغضب عمرو لعثمان؟ وإن كان هناك من يشك في هذا الموضوع فمداره على الروايات المكتوبة التي تصور عمرًا همه السلطة والحكم⁽³⁾.

ثالثاً: نص وثيقة التحكيم:

بسم الله الرحمن الرحيم

1- هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب، ومساعدة بن أبي سفيان وشيعته ما، فيما تراضيا فيه من الحكم بكتاب الله وسنة نبيه ×

2- قضية علي على أهل العراق شاهدهم وغائبهم، قضية معاوية على أهل الشام شاهدهم وغائبهم.

3- إنما تراضينا أن نقف عند حكم القرآن فيما يحكم من فاتحته إلى خاتمه، نحيي ما أحيا ونميت ما أمات. على ذلك تقاضينا وبه تراضينا.

4- وإن علياً وشيعته رضوا بعد الله بن قيس ناظراً وحاكمًا، ورضي معاوية بعمرو بن العاص ناظراً وحاكمًا.

5- على أن علياً ومساعدة أخذنا على عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وعهد الله وميثاقه وذمة رسوله، أن يتخدوا القرآن إماماً ولا يدعوا به إلى غيره في الحكم بما وجدوا فيه مسطورًا، وما لم يجدا في الكتاب ردًا إلى سنة رسول الله الجامحة، لا يعتمدان لها خلافاً، ولا يبغيان فيها بشبهة.

6- وأخذ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص على علي ومساعدة عهد الله وعهد الله وميثاقه بالرضا بما حكما به مما في كتاب الله وسنة نبيه، وليس لهما أن ينقضوا ذلك ولا يخالفاه إلى غيره.

7- وهذا آمنان في حكمتهما على دمائهما وأموالهما وأشعارهما وأبشارهما وأهلاليهما وأولادهما، ما لم يَعْدُ وَالْحَقُّ، رضي به راض أو سخط سلطان، وإن الإمامة أنصارهما على ما قضيا به من الحق مما في كتاب الله.

8- فإن توفى أحد الحكمين قبل انتفاء الحكومة، فلا شيء وأنصاره أن يختاروا مكانه رجلاً من أهل المعدلة والصلاح، على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق.

(1) عمرو بن العاص للعقاد، ص (231، 232).

(2) عمرو بن العاص للعصيان، ص (489، 490).

(3) عمرو بن العاص للعصيان، ص (492).

- 9- وإن مات أحد الأميرين قبل انتهاء الأجل المحدود في هذه القضية، فـ
شيّعه أن يلوا مكانه رجلاً يرضون عدله.

10- وقد وقعت القضية بين الفريقين والمفاوضة ورفع السلاح.

11- وقد وجبت القضية على ما سميـناه في هذا الكتاب، من موقع الشرط على الأمـيرين والحكـمين والـفريـقين، والله أقرب شـهيد وكـفى به شـهيداً، فإـن خـالـفا وـتـحـديـا، فـالـأـمـةـ بـرـيـئـةـ مـنـ حـكـمـهـماـ، وـلـاـ عـهـدـ لـهـمـاـ وـلـاـ ذـمـةـ.

12- والنـاسـ آـمـنـونـ عـلـىـ أـنـفـسـهـمـ وـأـهـالـيـهـمـ وـأـوـلـادـهـمـ وـأـمـوـالـهـمـ إـلـىـ اـنـقـضـاءـ اـلـأـجـلـ، وـالـسـلـاحـ مـوـضـوعـةـ، وـالـسـبـلـ أـمـنـةـ، وـالـغـائـبـ مـنـ الـفـرـيقـيـنـ مـثـلـ الشـاـهـدـ فـيـ الـأـمـرـ.

13- ولـلـحـكـمـيـنـ أـنـ يـنـزـلـاـ مـنـزـلاـ مـتـوـسـطـاـ عـدـلاـ بـيـنـ أـهـلـ الـعـرـاقـ وـالـشـامـ.

14- وـلـاـ يـحـضـرـهـمـ فـيـهـ إـلـاـ مـنـ أـحـبـاـنـهـمـ.

15- وـالـأـجـلـ إـلـىـ اـنـقـضـاءـ شـهـرـ رـمـضـانـ، فـانـ رـأـيـ الـحـكـمـانـ تـعـجـيلـ الـحـكـمـةـ عـجـلاـهـاـ، وـإـنـ رـأـيـاـ تـأـخـيرـهـاـ إـلـىـ آـخـرـ الـأـجـلـ أـخـرـاـهـاـ.

16- فـانـ هـمـاـ لـمـ يـحـكـمـاـ بـمـاـ فـيـ كـتـابـ اللهـ وـسـنـةـ نـبـيـهـ إـلـىـ اـنـقـضـاءـ الـأـجـلـ، فـالـفـرـيقـانـ عـلـىـ أـمـرـهـمـاـ الـأـوـلـ فـيـ الـحـرـبـ.

17- وـعـلـىـ الـأـمـةـ عـهـدـ اللهـ وـمـيـثـافـهـ فـيـ هـذـاـ الـأـمـرـ، وـهـمـ جـمـيـعـاـ يـدـ وـاحـدـةـ عـلـىـ مـاـ أـرـادـ فـيـ هـذـاـ الـأـمـرـ إـلـاـ دـلـيـلـاـ أـوـ ظـلـمـاـ أـوـ خـلـافـاـ.

وـشـهـدـ عـلـىـ مـاـ فـيـ هـذـاـ الـكـتـابـ الـحـسـنـ وـالـحـسـينـ، اـبـنـاـ عـلـيـ، وـعـبـدـ اللهـ بنـ عـبـاسـ، وـعـبـدـ اللهـ بنـ جـعـفرـ بنـ أـبـيـ طـالـبـ، وـالـأـشـعـثـ بنـ قـيـسـ الـكـنـدـيـ، وـالـأـشـتـرـ بنـ الـحـارـثـ، وـسـعـيـدـ بنـ اـلـقـيـسـ الـهـمـدـانـيـ، وـالـحـصـينـ وـالـطـفـيـلـ اـبـنـاـ الـحـارـثـ بنـ عـبـدـ الـمـطـلـبـ، وـأـبـوـ سـعـيـدـ بنـ رـبـيـعـةـ الـأـنـصـارـيـ، وـعـبـدـ اللهـ بنـ خـبـابـ بنـ الـأـرـتـ، وـسـهـلـ بنـ حـنـيفـ، وـأـبـوـ بـشـرـ بنـ عـامـرـ الـجـارـيـ، وـعـوـفـ بنـ الـحـارـثـ بنـ عـبـدـ الـمـطـلـبـ، وـبـيـزـيدـ بنـ عـبـدـ اللهـ الـأـسـلـمـيـ، وـعـقـبةـ بنـ عـامـرـ الـأـذـهـنـيـ، وـرـافـعـ بنـ خـدـيـجـ الـأـنـصـارـيـ، وـعـمـرـوـ بنـ الـحـقـمـ الـخـرـاعـيـ، وـالـنـعـمـانـ بنـ عـجلـانـ الـأـذـهـنـيـ، وـحـجـرـ بنـ عـدـيـ الـكـنـدـيـ، وـبـيـزـيدـ بنـ حـجـيةـ الـكـنـدـيـ، وـمـالـكـ بنـ كـعبـ الـهـمـدـانـيـ، وـرـبـيـعـةـ بنـ شـرـحـبـيلـ، وـالـحـارـثـ بنـ مـالـكـ، وـحـجـرـ بنـ بـيـزـيدـ، وـعـلـيـةـ بنـ حـجـيةـ، وـمـنـ أـهـلـ الـشـامـ، حـبـيـبـ بنـ مـسـلـمـ الـفـهـرـيـ، وـأـبـوـ الـأـعـورـ الـسـلـمـيـ، وـبـيـسـرـ بنـ أـرـطـأـ الـقـرـشـيـ، وـمـعـاوـيـةـ بنـ خـدـيـجـ الـكـنـدـيـ، وـالـمـخـارـقـ بنـ الـحـارـثـ الـزـبـيـديـ، وـمـسـلـمـ بنـ عـمـرـ الـسـكـسـيـ، وـعـبـدـ اللهـ بنـ خـالـدـ بنـ الـوـلـيـدـ، وـحـمـزةـ بنـ مـالـكـ، وـسـبـيـعـ بنـ بـيـزـيدـ بنـ عـامـرـ الـعـبـسـيـ، وـمـسـرـوقـ بنـ جـلـةـ الـعـكـيـ، وـبـيـسـرـ بنـ بـيـزـيدـ الـحـمـيرـيـ، وـعـبـدـ اللهـ بنـ عـامـرـ الـقـرـشـيـ، وـعـتـنـةـ بنـ أـبـيـ سـفـيـانـ، وـمـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ اللهـ بنـ جـلـةـ الـحـمـيرـيـ، وـعـمـارـ بنـ الـأـحـوـصـ الـكـلـبـيـ، وـمـسـعـدـةـ بنـ عـمـرـوـ الـعـتـبـيـ، وـالـصـبـاحـ بنـ جـلـةـ الـحـمـيرـيـ، وـعـبـدـ الرـحـمـنـ بنـ ذـيـ الـكـلـاعـ، وـتـمـامـةـ بنـ دـهـشـ، وـشـبـ، وـعـلـقـمـةـ بنـ حـكـمـ، كـتـبـ يـوـمـ الـأـرـبـاعـاءـ لـثـلـاثـ عـشـرـةـ لـلـيـلـةـ بـقـيـتـ مـنـ صـفـرـ سـنـةـ سـبـعـ وـثـلـاثـ(1).

رابعاً: قصة التحكيم المشهورة وبطلانها من وجوه:

لقد كثُرَ الكلام حول قصة التحكيم، وتناولها المؤرخون والكتاب على أنها حقيقة ثابتة لا مرية فيها، فهم بين مطيل في سياقها ومحصر وشارح ومستبط للدروس وبيان للأ

(1) انظر: الوثائق السياسية، ص (537-538)، الأخبار الطوال للدينوري، ص (196-199)، أنساب الأشraf (1382)، تاريخ الطبرى (5/665-666)، البداية والنهاية (7/276-277).

حكم على مضمونها، وقلما تجد أحداً وقف عندها فاحصداً محققاً، وقد أحسن ابن العرب في ردها إجمالاً وإن كان غير مفصل، وفي هذا دلالة على قوة حاسته النقدية للنصوص، إذ أن جميع متون قصة التحكيم لا يمكن أن تقوم أمام معيار النقد العلمي، بل هي بطلة من عدة وجوه⁽¹⁾.

1- أن جميع طرقها ضعيفة، وأقوى طريق وردت فيه هو ما أخرجه عبد الرزاق والطبراني بسند رجاله ثقات عن الزهرى مرسلًا قال: قال الزهرى: فأصبح أهل الشام قد نشروا مصاحفهم، ودعوا إلى ما فيها، فهاب أهل العراق، فعند ذلك حكموا الحكمين، فاختار أهل العراق أبا موسى الأشعري، واختار أهل الشام عمرو بن العاص، ففرق أهل صفين حين حكم الحكمان، فاشترطا أن يرفعوا ما رفع القرآن، ويختضعا ما خفض القرآن، وأن يختارا لأمة محمد، وأنهما يجتمعان بذمة الجندي، فإن لم يجتمعوا لذلك اجتمعا من اتفاق الم قبل بأذرح، فلما انصرف على خالفت الحرورية وخرجت - وكان ذلك أول ما ظهرت - فاذنوه بالحرب، وردوا عليه: أن حكم بن آدم في حكم الله عز وجل، وقالوا: لا أحد من الناس سبحانه، وقاتلوا، فلما اجتمع الحكمان بأذرح، وافاهم المغيرة بن شعبية فيمن حضر من الناس، فارسل الحكمان إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير فإقبالهما في رجال كثير، ووافى معاوية بأهل الشام، وأبي علي وأهل العراق أن يوافوا فقال المغيرة بن شعبية لرجال من ذوي الرأي من قريش: أترون أحداً من الناس برأي يهدى به يستطيع أن يعلم أيجتمع الحكمان أم يتفرقان؟ قالوا: لا نرى أحداً يعلم بذلك، قال: فوالله إنني لأطن أني سأعلمه منهما حين أخلو بهما وأرجعهما، فدخل عمرو بن العاص وبدأ به فقال: يا أبا عبد الله، أخبرني بما أسألك عنه، كيف ترانا معشر المعزلة، فإننا قد شكنا في الأمر الذي تبين لكم من هذا القتال، ورأينا أن نستأنى ونتثبت حتى تجتمع الأمة؟ قال: أراك معشر المعزلة خلف الأبرار، وأمام الفجار؛ فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك، حتى دخل على أبي موسى فقال له مثل ما قال لعمرو وفقال أبو موسى: أراك أثبت الناس رأياً، فيك بقية المسلمين، فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك، فلقي الذي بين قال لهم ما قال من ذوي الرأي من قريش، فقال: لا يجتمع هذان على أمر واحد، فلما اجتمع الحكمان وتكلما قال عمرو بن العاص: يا أبا موسى، رأيت أول ما تقضي به من الحق أن تقضي لأهل الوفاء بوفائهم، وعلى أهل الغدر بعذرهم، قال أبو موسى: وماذاك؟ قال: ألسنت تعلم أن معاوية وأهل الشام قد وفوا، وقدموا للموعد الذي واعدناهم ليلاه؟ قال: بل، قال عمرو: أكتبها فكتبها أبو موسى، قال عمرو: يا أبا موسى، أنت على أن نسى رحلاً لي أمر هذه الأمة؟ فسمه لي، فإن أقدر على أن أتابيك فلك على أن أتابيك وإن لا فلي عليك أن تتبعني، قال أبو موسى: أسمى لك معاوية بن أبي سفيان فلم ييرحا مجيئهما حتى استبا، ثم خرجا إلى الناس، فقال أبو موسى: إنني وجدت مثل عمرو ومثل الذي ن قال الله عز وجل: **وَاتَّلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الدُّرْيَ أَتَيْنَاهُ أَيَّاتَنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا**" [الأعراف: 175].

فلما سكت أبو موسى تكلم عمرو فقال: أيها الناس وجدت مثل أبي موسى كمثل الذي قال الله عز وجل: **+ مَثَلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلَ اَلْحَمَارِ يَحْمِلُ اَسْفَارًا**" [الجمعة: 5]. وكتب كل واحد منها مثله الذي ضرب لصاحبها إلى الأمصار⁽²⁾. والزهرى لم يدرك الحادثة فهي مرسلة، ومراسيله كأدرج الرياح لا تقوم بها حجة⁽³⁾، كما قرر العلماء. وهناك طريق آخر أخرجهما ابن عساكر بسنه إلى ا

(1) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبرى، ص (404).

(2) المصنف (5/463)، مرويات تاريخ الطبرى، ص (406).

(3) المراسيل لأبي حاتم، ص (3)، الجرح والتتعديل (1/246).

لزهري وهي مرسلة وفيها أبو بكر بن أبي سبرة قال عنه الإمام أحمد: كان يضع الحديث⁽¹⁾, وفي سنته أيضًا الواقدي، وهو متروك⁽²⁾, وهذا نصها:.. رفع أهل الشام المصاحف وقالوا: ندعوك إلى كتاب الله والحكم بما فيه، وكان ذلك مكيدة من عمرو بن العاص، فاصطلحوا وكتبوا بينهم كتاباً على أن يوافوا رأس الحال أذرح، وحكموا حكمين ينظرون في أمر الناس فيرون بحکمهم، فحكم على أبي موسى الأشعري، وحكم معاوية عمرو بن العاص، وتفرق الناس، فرجع علي إلى الكوفة بالاختلاف والدغل، واختلف عليه أصحابه فخرج عليه الخوارج من أصحابه من كانوا معه، وأنكروا تحكيمه وقالوا: لا حكم إلا لله، ورجع معاوية إلى الشام بالألفة واجتماع الكلمة عليه. ووافى الحكمان بعد ذلك بأذرح في شعبان سنة ثمان وثلاثين، واجتمع الناس إليهما وكان بينهما كلام اجتمعا عليه في السر خالفة عمرو بن العاص في العلانية، فقدم أبو موسى فتكلم وخلع علياً ومعه معاوية، ثم تكلم عمرو بن العاص فخلع علياً وأقر معاوية، فتفرق الحكمان ومن كان اجتمع إليهما، وبایع أهل الشام معاوية في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين⁽³⁾. وأما طرق أبي مخنف فهي معلولة به، فال الأول: وهو أبو مخنف لوط بن يحيى، ضعيف ليس بثقة⁽⁴⁾, وإن بخاري تالف غالى في الرفض، وأما الثاني قال فيه ابن سعد: كان⁽⁵⁾ ضعيفاً، وقال البخاري وأبو حاتم: كان يحيىقطان يضعفه⁽⁶⁾, وقال عثمان الدارمي: ضعيف⁽⁷⁾, وقال النسائي: ضعيف⁽⁸⁾.

هذه طرق قصة التحكيم المشهورة، والمناظرة بين أبي موسى وعمرو بن العاص المزعومة، ألمثل هذا تقوم به حجة؟ أو يغول على مثل ذلك في تاريخ الصحابة الكرام وهذه الخلفاء الراشدين، عصر القدوة والأسوة؛ ولو لم يكن في هذه الروايات إلا الاضطرابات في متنونها لكتفها ضعفاً فكيف إذا أضيق إلى ذلك ضعف أسانيدها⁽⁹⁾.

2- أهمية هذه القضية من جانب الاعتقاد والتشريع، ومع ذلك لم تتفق لنا بسند صحيح، ومن المحال أن يطبق العلماء على إهمالها مع أهميتها وشدة الحاجة إليها⁽¹⁰⁾.

3- وردت روایة تقضى تلك الروايات تماماً، وذلك فيما أخرجه البخاري في تاريخه مختصرًا بسند رجاله ثقات، وأخرجه ابن عساكر معمولاً، عن الحصين بن المنذر أن معاوية أرسله إلى عمرو بن العاص فقال له: إنه بلغني عن عمرو بعض ما أكره فإنه فاسد الله عن الأمر الذي اجتمع عمرو وأبو موسى فيه كيف صنعتنا فيه؟ قال: قد قال الناس وقلوا، ولا والله ما كان ما قالوا، ولكن لما اجتمعت أنا وأبو موسى قلت له: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أرى أنه من التفر الذين توفى رسول الله ﷺ، وهو عنهم راض قال: فقلت: أين تجعلني من هذا الأمر أنا ومعاوية؟ قال: إن يستعن بكم ففيكم معونة، وإن يستعن بكم فطال ما استغنى أمر الله عنكم⁽¹¹⁾. وقد روى أبو موسى عن تورع عمرو ومحاسبته له نفسه، وتذكره سيرة أبي بكر وعمر، وخوفه من الأحداث بعدهما، قال أبو موسى: قال لي عمرو بن العاص: والله لئن كان أبو بكر وعمر تركا هذا المال وهو يحل لها، لقد

(1) تهذيب التهذيب (27/12)، مرويات تاريخ الطبرى، ص (406).

(2) مرويات تاريخ الطبرى، ص (406).

(3) تاريخ دمشق (53/16).

(4) تحقيق موافق الصحابة (223/2).

(5) مرويات أبي مخنف، ص (407).

(6) التاريخ الكبير (267/2/4)، الجرح والتعديل (138/9).

(7) التاريخ الكبير، ص (238)، تحقيق موافق الصحابة (223/2).

(8) الضعفاء والمتركون، ص (253).

(9) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبرى، ص (408).

(10) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبرى، ص (408).

(11) التاريخ الكبير (398/5).

غُبْنَا وَأَخْطَأْنَا أَوْ نَقْصَرْنَا رأْيِهِمَا، وَوَاللَّهِ مَا كَانَا مَغْبُونِينَ وَلَا مَخْطَئِينَ وَلَا نَاقْصِي الرَّأْيِ، وَوَاللَّهِ مَا جَاءَنَا لِوَهْمٍ وَلَا ضَعْفًا إِلَّا مِنْ قِبْلَنَا^(١).

4- إن معاوية كان يقر بفضل علي عليه وأنه أحق بالخلافة منه، فلم ينزع عه الخلافة ولا طلبها لنفسه في حياة علي، فقد أخرج يحيى بن سليمان الجعفي بسند جيد⁽²⁾، عن أبي مسلم الخولاني أنه قال لمعاوية: أنت تنازع علياً في الخلافة، أو أنت متله؟ قال: لا وإنني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر، ولكن المستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً وأنا ابن عمه وولييه أطالب بدمه؟ فاتوا علياً فقولوا له: يدفع لنا قتلة عثمان وأسلم له، فاتوا علياً فكلموه فلم يدفعهم إليه⁽³⁾. فهذا هو أصل النزاع بين علي ومعاوية، رضي الله عنهم؛ فالله حكيم من أجل حل هذه القضية المتنازع عليها لا لاختيار خليفة أو عزله⁽⁴⁾، ويقول ابن حزم في هذا الصدد بأن علياً قاتل معاوية لامتناعه عن تنفيذ أوامره في جميع أرض الشام، وهو الإمام الواجب طاعته، ولم يذكر معاوية قط فضل علي واستحقاقه الخلافة، لكن اجتهاده أداه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان على البيعة، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان والكلام فيه من أولاد عثمان وأولاد الحكم بن أبي العاص لسن وقوته على الطلب بذلك، وأصاب في هذا وإنما أخطأ في تقديمه ذلك على البيعة فقط⁽⁵⁾، وفهم الخلاف على هذه الصورة وهي صورته الحقيقة- يدين إلى أي مدى تخطيء الروايات السابقة عن التحكيم في تصوير قرار الحكمين، إن الحكمين كانوا مفوضين للحكم في الخلاف بين علي ومعاوية، ولم يكن الخلاف بينهما حول الخلافة ومن أحق بها منهما، وإنما كان حول توقيع القصاص على قتلة عثمان، وليس هذا من أمر الخلافة في شيء، فإذا ترك الحكمان هذه القضية الأساسية، وهي ما طلب إليهما الحكم فيه، واتخذا قراراً في شأن الخلافة كما ترجم الرواية الشائعة، فمعنى ذلك أنهما لم يفضا موضوع النزاع، ولم يحيط بموضع الدعوى. وهو أمر مستبعد جدًا⁽⁶⁾.

5- إن الشروط التي يجب توافرها في الخليفة هي العدالة والعلم، والرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح، وأن يكون قرشبياً⁽⁷⁾، وقد توافرت هذه الشروط في علي رضي الله عنه، فهل بيعته منعقدة أم لا؟ فإن كانت منعقدة سولا شاك في ذلك. وقد بابعه المهاجرون والأنصار؛ أهل الحل والعقد، وخصوصه يقرؤن له بذلك، فقول معاوية الساقي بدل عليه بأن «الإمام إذا لم يخل عن صفات الأئمة، فرام العاقدون له عقد الإمامة أن يخلعوا، لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً» باتفاق الأئمة، فإن عقد الإمام لازم، لا اختيار في حله من غير سبب يقتضيه، ولا تنتظم الإمامة ولا تقيد الغرض المقصود منها إلا مع القطع بازومها، ولو تخير الرعاعيا في خلع إمام الخلق على حكم الإيثار والاختيار لما استتب للإمام طاعة ولما استمرت له قدرة واستطاعة ولما صاح لمنصب الإمام معنى⁽⁸⁾».

وإذن فليس الأمر بهذه الصورة التي تحكيها الروايات؛ كل من لم يرض بإمامه خلعه، فقد الإمام لا يحله إلا من عقده، وهم أهل الحل والعقد، وبشرط إخلال الإمام بشروط الإمامة، وهل على رضي الله عنه فعل ذلك واتفق أهل الحل والعقد على عزله عن الخلافة وهو الخليفة

(١) العواصم من القواسم، ص (١٧٨-١٨٠).

{فتح الباري (86/13)}
{النلا - لاما}

³ سیر اعلام التبلاء (140/3).

5) الفحـان فـي الـهـلـلـةـ وـالـأـذـاجـ، (160/1).

٦) تحقيقة، و ٧) الفصل في المل والتحل (١٦٠/٤)،

(()) الأحكام السلطانية للمواردي، الأحكام السلطانية لابي يعى، ص (٢٥٠)، عيت الأمم، ص (٧٩)، و ما بعدها.

(8) غیاث الأُم، ص (128)، مرويات أبي مخنف، ص (410).

ة الراشد حتى يقال إن الحكمين اتفقا على ذلك، فما ظهر منه قط إلى أن مات رضي الله عنه، شيء يوجب نقض بيعته، وما ظهر منه قط إلا العدل، والجد، والبر والتقوى والخير⁽¹⁾.

6- إن الزمان الذي قام فيه التحكيم زمان فتنة، وحالة المسلمين مضطربة مع وجود خليفة لهم، فكيف تنتظم حالتهم مع عزل الخليفة، لاشك أن الأحوال ستزداد سوءاً، والصابة الكرام أحق وأعقل من أن يقدموا على هذا؟ ولهذا يتضح بطلان هذا الرأي عقلاً ونقلًا.

7- إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حصر الخلافة في أهل الشورى: وهم الستة وقد رضي المهاجرون والأنصار بذلك، فكان ذلك إذنًا في أن الخلافة لا تعود هؤلاء إلى غيرهم ما بقي منهم واحد ولم يبق منهم في زمان التحكيم إلا سعد بن أبي وقاص، وقد اغترل الأمر ورحب عن الولاية، والإمارة، وعلى بن أبي طالب القائم بأمر الخلافة وهو أفضل الستة بعد عثمان فكيف ينطوي بالأمر إلى غيره⁽²⁾.

8- أوضحت الروايات أن أهل الشام بياعوا معاوية بعد التحكيم: والسؤال: ما المسوغ الذي جعل أهل الشام بياعون معاوية؟ إن كان من أجل التحكيم، فالحكمان لم يتفقا ولم يكن ثمة مبرر آخر حتى ينسب عنهم ذلك، مع أن ابن عساكر نقل بسند رجاله ثقات عن سعيد بن عبد العزيز التتوخي⁽³⁾، أعلم الناس بأمر الشام⁽⁴⁾ أنه قال: كان علي بالعراق يدعى أمير المؤمنين وكان معاوية بالشام يدعى الأمير، فلما مات علي دعي معاوية بالشام أمير المؤمنين⁽⁵⁾، فهذا النص يبين أن معاوية لم يبايع بالخلافة إلا بعد وفاة علي، وإلى هنا ذذهب الطبرى، فقد قال في آخر حوادث سنة أربعين: وفي هذه السنة بُويع لمعاوية بالخلافة باليلياء⁽⁶⁾، وعلق على هذا ابن كثير بقوله: يعني لما مات علي قام أهل الشام بياعون امعاوية على إمرة المؤمنين لأنه لم يبق له عندهم منازع⁽⁷⁾، وكان أهل الشام يعلمون بأن معاوية ليس كذلك⁽⁸⁾ لعلي بالخلافة ولا يجوز أن يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي رضي الله عنه، فإن فضل علي وبسابقته وعلمه، ودينه، وشجاعته، وسائل فضائله: كانت عندهم ظاهرة ومعروفة، كفضل إخوانه، أبي بكر وعمر، وعثمان وغيرهم رضي الله عنهم⁽⁹⁾، وإضافة إلى ذلك فإن النصوص تمنع من مبايعة خليفة مع وجود الأول، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله: «إذا بُويع لخلفيتين فافتلو الآخر منهما»⁽¹⁰⁾، والنصوص في هذا المعنى كثيرة⁽¹¹⁾. ومن المحال أن يطبق الصابة على مخالفه ذلك⁽¹²⁾.

9- أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر قال: دخلت على حفصة قلت: قد كان من أمر الناس ما ترين فلم يجعل لي من الأمر شيء فقالت: الحق فإنهم ينتظرونك وأخذتى أن يكون احتباسك عنهم فرقة، فلم تدعه حتى ذهب، فلما تفرق الناس خطب معاوية قال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه، فلنحن الحق به منه ومن أبيه، فما

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل (238/4).

(2) مرويات أبي مخنف، ص (411).

(3) سعيد بن عبد العزيز التتوخي ثقة إمام، التقريب.

(4) تهذيب التهذيب (60/4).

(5) تاريخ الطبرى (76/6).

(6) البداية والنهayah (16/8).

(7) الفتاوى (73/35).

(8) صحيح مسلم (1480/3).

(9) سنن البيهقي (144/8).

(10) مرويات أبي مخنف، ص (412).

ل حبيب ابن مسلمة: فهلا أجبته؟ قال عبد الله: فحللت حبوتي وهممت أن أقول أحق بهذا منك من قاتلك وأباك على الإسلام فخشت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم ويد حمل عنني غير ذلك، فذكرت ما أعد الله في الجنان. قال حبيب: حفظت وعصمت⁽¹⁾، هذا الحديث قد يفهم منه مباعية معاوية بالخلافة، وليس فيه تصريح بذلك، وقد قال بعض العلماء: إن هذا الحديث كان في الاجتماع الذي صالح فيه الحسن بن علي رضي الله عنه معاوية رضي الله عنه.

وقال ابن الجوزي: إن هذه الخطبة كانت في زمن معاوية لما أراد أن يجعل ابنه يزيد ولبي عهده، ويرى ابن حجر أنما في التحكيم⁽²⁾: دلالة النص على القولين الأولين أقوى. قوله: فخشت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم.. دليل على اجتماع الكلمة على معاوية، وأيام التحكيم أيام فرقه واختلاف لا أيام جمع وائللاف⁽³⁾.

10- حقيقة قرار التحكيم: ليس من شك في أن أمر الخلاف الذي رأى الحكمان رده إلى الأمة وإلى أهل الشورى ليس إلا أمر الخلاف بين علي ومعاوية حول قتلة عثمان، ولم يكن معاوية مدعياً للخلافة، ولا منكرًا حق علي فيها كما تقرر سابقاً، وإنما كان ممتنعاً عن بيعته، وعن تنفيذ أوامرها في الشام حيث كان متغلباً عليها بحكم الواقع لا بحكم القانون، مستقidiًّا من طاعة الناس له بعد أن بقى واليًا فيها زهاء عشرين سنة⁽⁴⁾، وقد قال ابن دحية الكلبي في كتابه «أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين»: قال أبو بكر محمد الطيب الأشعري -الباقلاني- في مناقب الأئمة: مما انفع الحكمان قط على خلقه -علي بن أبي طالب- وعلى أنهما لو اتفقا على خلعه لم ينفع حتى يكون الكتاب والسنّة المجتمع عليهما يوجبان خلعه، أو أحد منهما على ما شرطا في الموافقة بينهما، أو إلى أن يبينا ما يوجب خلعه من الكتاب والسنة، ونص كتاب علي عليه السلام -اشترط على الحكمين أن يحكما بما في كتاب الله عز وجل من فاتحته إلى خاتمه لا يجاوزان ذلك ولا يحيدان عنه، ولا يميلان إلى هوى ولا إدهان، وأخذ عليهمما أغفل العهود والمواثيق، وإن هما جاوزا بالحكم كتاب الله فلا حكم لهما.. والكتاب والسنة يثبتان إمامته، ويحظى مانه ويثنيان عليه، ويشهدان بصدقه وعدالته، وإمامته وسابقته في الدين، وعظيم جهاده بالحكم، ووفر الحلم، وأنه حقيق بالإمامية، وأهل لحمل أعباء الخلافة⁽⁵⁾.

11- مكان انعقاد المؤتمر: كان الموعد المحدد لاجتماع الحكمين كما جاء في الوثيقة- في رمضان في عام 37هـ، إذا لم تحدث عوائق، في موضع وسط بين العراق والشام وهذا الموضع المختار هو دومة الجندل⁽⁶⁾، في روایات موثقة، وأذرح⁽⁷⁾ في روایات أخرى دونها في الإنقاذ، ولعل لقرب المكانين من بعضهما أثرًا في اختلاف الروایات، إذ يقول خليفة ابن خياط⁽⁸⁾: ويقال بأذرح وهي من دومة الجندل قریب، وقد تم الاجتماع في الموعد المحدد بدون عوائق⁽⁹⁾.

(1) البخاري (48/5).

(2) فتح الباري (466/7).

(3) مرويات أبي مخنف.

(4) تحقيق موافق الصحابة في الفتنة (134/2).

(5) أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين، ص (177).

(6) دومة الجندل: غرب مدينة الجوف في شمال الجزيرة العربية.

(7) أذرح: اسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة من نواحي البقاء.

(8) تاريخ خليفة، ص (191، 192).

(9) خلافه علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (267).

إن المكان الذي اجتمع فيه الحكمان هو دومة الجندي، وهذا بخلاف ما جزم به ياقو
ت الحموي من أن التحكيم حدث في أدرح، واستدل على ذلك ببعض روایات لم يبينها وب
الأشعار . وبخاصة بشر عذى الرمة⁽¹⁾ في مدح بلال بن أبي برد⁽²⁾ وهو قوله:

**أبوك تلافي الدين والناس بعدهما
تشاءوا وبيت الدين منقلع الكسر**

فشد إصار الدين أيام أذرح ورد حروباً قد لقحن إلى عقر⁽³⁾

12- هل حضر سعد بن أبي وقاص اجتماع الحكمين؟ اجتمع الحكمان في موعدهما المحدد، ومع كل واحد منهما بضع مئات يمثّلون وفدين، وفد عن أهل العراق، والآخر يمثّل أهل الشام، وطلب الحكمان من عدد من أعيان قريش وفضلاً لهم الحضور لمشاورتهم والاستئناس برأيهم، ولم يحضر الاجتماع عدد من كبار الصحابة كانوا قد اعتزلوا القتال منذ بدايته وأفضل هؤلاء، سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، فإنه لم يحضر التحكيم ولا أراد ذلك ولا هم به⁽⁴⁾. فعن عامر بن سعد أن أخاه عمر انطلق إلى سعد في غنم له خارجاً من المدينة فلما أتاه قال: يا أبا، أرضيت أن تكون أعرابياً في غنمك والناس يتذارعون في الملك بالمدينة؟ فضرب سعد صدر عمر وقال: اسكت فإني سمعت رسول الله يقول: «إن الله يحب العبد التي النقى الخفي»⁽⁵⁾.

خامسًا: هل يمكن الاستفادة من حادثة التحكيم في فض النزاعات بين الدول الإسلامية؟

يمكن الاستفادة من حادثة التحكيم في فض النزاعات بين الدول الإسلامية وذلك بـ
ـ مل قادة البلاد الإسلامية جميعاً مسؤولياتهم ومن ورائهم الأمة الإسلامية التي يحكمونها
ـ في الضغط الجاد الصادق، على الطرفين المتنازع عين، لكي يوقفا بينهما القتال، ويحلجا إلى
ـ التحكيم الشريعي في الإسلام فيرسل هذا الطرف حكمًا من قبله، وذلك حكمًا آخر من قبله
ـ أيضًا، الفصل في النزاع القائم وذلك على ضوء ما يلي:

١- تحديد صلاحيات الحكمين في إصدار الأحكام التي لابد منها لحل المشكلات التي هي سبب النزاع.

2- جعل مصادر التشريع الإسلامي هي المرجع الوحيد لإصدار تلك الأحكام والط^{ول} التي تفصل في مسائل النزاع.

3- أخذ العهد على كل طرف من طرفي النزاع، وأخذ العهد على جميع قادة البلاد الإسلامية بقبول ما يصدره الحكمان من أحكام وحلول مشروعة لإنها النزاع الراهن على أنها واجبة التنفيذ بحكم الإسلام، وأن الخروج عليها، أو الرضا بذلك الخروج يترب عليه الإثم شرعاً.

4- إذا أصدر الحكمان ما اتفقا عليه من أحكام، وحلول، وانقاد لها الطرفان المتنازعان قضي الأمر. وكفى الله المؤمنين القتال.

٥- إذا رفض أحد الطرفين، أو كلاهما الانقياد لقضاء الحكمين، اعتبر الطرف الرافع

(1) ذو الرمة، غيلان بن عقبة توفي 117هـ، سير أعلام النبلاء (267/5).
(2) 2021/2.

(2) بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري، تؤذن بتأريخ دمشق (321/3).
 (3) ابن الأمة، (361، 362)، نقلًا عن خلافة عاصم (272).

(3) دیوان دی الرمه، ص (361)، نفلا عن خلافه علی، ص (272).
(4) خلافة علی بن ابی طالب عبد الحمید ص (272).

(4) خلافه على بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (272).
 (5) المسند (1/168) وقال أحمد شاكر : أسناده صحيح (3/26). خلافة على، بين أبي طالب، عبد الحميد، ص (272).

(3) المسند (168/1) وقال احمد ساكن. إسناد صحيح (26/3)، حرفه علي بن أبي طالب، سلمي، ص (107).

ضن هو الطرف الباغي، سواء صدر الرفض من أحدهما، أو من كليهما، ووجب شرعاً على القوات الإسلامية في الأقطار الأخرى أن تضع نفسها تحت تصرف ما يصدره الحكمان من قرارات عسكرية، من أجل التدخل لحسم النزاع بالقوة، على وجه لا تترتب عليه أضرار ومخاطر هي أكبر من ضرر النزاع الفائم.

6- ويكون من صلاحيات الحكمين بالاتفاق إصدار القرارات التي تخص كيفية تحرير القوات المسلحة في الأقطار الإسلامية الأخرى، من أجل حل النزاع القائم على ضوء ما سلف بيانه⁽¹⁾. ولعل اللجوء إلى مثل هذه الطريقة في حل المنازعات بين الأقطار، كفيل بسد الطريق على أية قوة خارجية تتدخل في نزاعات المسلمين بحجة أنَّ بعض أطراف النزاع دعاها إلى هذا التدخل.. ومن ثم تستغل هذه الفرصة، لكي تتأمر على المسلمين، فتعمل على تصعيد تلك النزاعات، وفرض الحل الذي يحلوها، ويكون فيه مصلحتها فقط، وليعناني المسلمون، بعدد من آثار ذلك الحلأسوأ مما كانوا يعانون من فتنة النزاع نفسها، فهذه المعاناة لا تهمها في شيء، لا ، بل إن هذه المعاناة هي من جملة الاهتمامات التي فرضت من أجل تغييرها ذلك الحل المنشئ؛ فلنا: لعل اللجوء إلى التحكيم، على نحو و ما سلف بيانه، يسد الطريق في وجه تلك القوى الخارجية التي تبغي في صفو المسألة من الفساد، هذا، وإن الصفة الإلزامية شرعاً للحل عن طريق التحكيم -الذي عرضناه- تستند إلى إجماع الصحابة، فقد أجمعوا الصحابة كلهم في عهد النزاع الذي نشب بين علي ومعاوية على اللجوء إلى التحكيم، والقبول به.. سواء في ذلك الصحابة الذين كانوا مع علي، والصحابة الذين كانوا مع معاوية، والصحابة الذين انتزعوا الفريقين، كسعد بن أبي وقاص، وأبن عمر، وغيرهما رضي الله عنهم أجمعين⁽²⁾.

سادساً: موقف أهل السنة من تلك الحروب

إن موقف أهل السنة والجماعة من الحرب التي وقعت بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم هو الإمساك بما شجر بينهم إلا فيما يليق بهم رضي الله عنهم لما يسببه الخوض في ذلك من توليد العداوة والحقد والبغض لأحد الطرفين و قالوا: إنه يجب على كل مسلم أن يحب الجميع ويرضي عنهم ويترحم عليهم، ويحفظ لهم فضائلهم، ويعترف لهم بسوادهم، وينشر مناقبهم، وأن الذي حصل بينهم إنما كان عن اجتهاد، والجميع مثابون في حالي الصواب والخطأ، غير أن ثواب المصيب ضعف ثواب المخطئ في اجتهاده، وأن القاتل والمقتول من الصحابة في الجنة، ولم يجوز أهل السنة والجماعة الخوض فيما شجر بينهم، وقبل أن أذكر طائفتين من أقوال أهل السنة التي تبين موقفهم فيما شجر بين الصحابة أذكر بعض النصوص التي فيها الإشارة إلى ما وقع بين الصحابة من الاقتتال بما وصفوا به فيها وتلك النصوص هي⁽³⁾:

1- قال تعالى: **وَإِنْ طَادُفْتَهُنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ افْتَدِهُنَا فَأَصْلَحُهُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ أَحَدُهُمَا عَلَى الْأَخْرَى فَقَاتِلُوهُ الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَيْهِ أَمْرُ اللَّهِ فَإِنْ فَعَاهُتْ فَأَصْلَحُهُوا بَيْنَهُمَا بِالْعُدْلِ وَأَفْسِطُوهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُفْسِطِينَ** [الحجرات: 9].

ففي هذه الآية أمر الله تعالى بالإصلاح بين المؤمنين إذا ما جرى بينهم قتال لأنهم إخوة، وهذا الاقتتال لا يخرجهم عن وصف الإيمان حيث سماهم الله -عز وجل- مؤمنين وأمر بالإصلاح بينهم وإذا كان حصل اقتتال بين عموم المؤمنين، ولم يخرجهم ذلك من

(1) الجهاد والقتل في السياسة الشرعية (1665/3).

(2) الجهاد والقتل في السياسة الشرعية (1665/3).

(3) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (727/2) تنزيه حال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان من الظلم والفسق في مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان، ص (41).

لإيمان، فأصحاب رسول الله × الذين اقتتلوا في موقعة الجمل وبعدها أول من يدخل في اسم الإيمان الذي ذكر في هذه الآية، فهم لا يزالون عند ربهم مؤمنين إيماناً حقيقاً ولم يُؤثر ما حصل بينهم من شجار في إيمانهم بحال لأنه كان عن اجتهاد⁽¹⁾.

2- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ×: «تمرق مارقة عذ د فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق»⁽²⁾، والفرقه المشار إليها في الحديث هي ما كان من الاختلاف بين علي ومعاوية، رضي الله عنهم، وقد وصف × الطائفتين بـ معنـاـ بـأنـهـماـ مـسـلمـتـانـ،ـ وـأـنـهـماـ مـتـعـلـقـتـانـ بـالـحـقـ،ـ وـالـحـدـيـثـ عـلـمـ مـنـ أـعـلـامـ النـبـوـةـ:ـ إـذـ وـقـعـ اـلـأـمـرـ طـبـقـ مـاـ أـخـبـرـ بـهـ عـلـيـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ،ـ وـفـيـ الـحـكـمـ بـإـسـلـامـ الطـائـفـتـيـنـ:ـ أـهـلـ الشـامـ وـأـهـلـ لـالـعـرـاقـ،ـ لـاـ كـمـاـ يـزـعـمـهـ فـرـقـةـ الرـافـضـةـ وـالـجـهـلـةـ الطـغـامـ مـنـ تـكـفـيرـهـمـ أـهـلـ الشـامـ،ـ وـفـيـ أـنـصـاحـابـ عـلـيـ أـنـدـنـيـ الطـائـفـتـيـنـ إـلـىـ الـحـقـ،ـ وـهـذـاـ هـوـ مـذـهـبـ أـهـلـ السـنـنـ وـالـجـمـاعـةـ أـنـ عـلـيـاـ هـ وـالـمـصـيبـ وـإـنـ كـانـ مـعـاوـيـةـ مـجـهـدـاـ،ـ وـهـوـ مـأـجـورـ،ـ إـنـ شـاءـ اللـهـ،ـ وـلـكـنـ عـلـيـاـ هـ وـهـوـ الـإـمـامـ فـلـهـ أـجـرـانـ كـمـاـ ثـبـتـ فـيـ صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ:ـ «إـذـ اـجـتـهـدـ الـحـاـكـمـ فـأـصـابـ فـلـهـ أـجـرـانـ وـإـذـ اـجـتـهـدـ فـأـخـطـأـ فـلـهـ أـجـرـ»⁽³⁾.

3- وعن أبي بكرة قال: بينما النبي × يخطب جاء الحسن فقال النبي ×: «ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فتنتين من المسلمين»⁽⁴⁾ ففي هذا الحديث شهادة النبي × بإسلام الطائفتين أهل العراق وأهل الشام، والحديث فيه رد واضح على الخوارج الذين قد فروا عليناً ومن معه، ومعاوية ومن معه بما تضمنه الحديث من الشهادة للجميع بالإسلام، ولذا كان يقول سفيان بن عيينة: قوله فتنتين من المسلمين يعجبنا جداً، قال البيهقي: وإنما أعجبهم لأن النبي × سماهم جميعاً مسلمين وهذا خير من رسول الله بما كان من الحسن بن علي بعد وفاة على في تسليميه الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان⁽⁵⁾.

فهذه الأحاديث المتقدمة ذكرها فيها الإشارة إلى أهل العراق الذين كانوا مع علي والآباء أهل الشام الذين كانوا مع معاوية بن أبي سفيان وقد وصفهم النبي × بأنهم من أمته⁽⁶⁾، كما وصفهم بأنهم جميعاً متعلقون بالحق لم يخرجوا عنه كما شهد لهم × بأنهم مستمررون على الإيمان، ولم يخرجوا عنه بسبب القتال الذي حصل بينهم، وقد دخلوا تحت عموم قوله تعالى: +وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَدَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا+ [الحجرات: 9]. وقد قدمنا أن مدلول الآية ينتظمهم، رضي الله عنهم أجمعين، فلم يكفروا ولم يفسدوا بقتالهم بل هم مجتهدون متاؤلون، وقد بين الحكم في قتالهم ذلك على بن أبي طالب رضي الله عنه كما مر معنا. فالواجب على المسلم أن يسلك في اعتقاده فيما حصل بين الصحابة الكرام، رضي الله عنهم، مسلك أهل السنة والجماعة، وهو الإمساك بما حصل بينهم، رضي الله عنهم، ولا يخوض فيه إلا بما هو لائق بمقامهم، وكتب أهل السنة مليئة ببيان عقidiتهم الصافية النقية في حق أولئك الصفوة المختارة، وقد حددوا موقفهم من تلك الحرب التي وقعت بينهم في آقوالهم الحسنة التي منها⁽⁷⁾:

1- سئل عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله تعالى، عن القتال الذي حصل بين الصحابة فـقالـ:ـ تـلـكـ دـمـاءـ طـهـرـ اللـهـ يـدـيـ منـهـ أـفـلاـ أـطـهـرـ بـهـ لـسـانـيـ،ـ مـثـلـ أـصـحـابـ رسولـ اللـهـ ×ـ مـذـ

(1) العاصم من القواصم، ص (169، 170) أحكام القرآن (1717/4).

(2) مسلم (745).

(3) البخاري مع شرحه في فتح الباري (318/13).

(4) البخاري، كتاب الفتن، رقم (7109).

(5) الاعتقاد للبيهقي، ص (198)، فتح الباري (13/66).

(6) في صحيح مسلم (746/2)، تكون في أمتي فرقتان.

(7) عيادة أهل السنة في الصحابة (746/2)، تكون في أمتي فرقتان.

ل العيون، ودواء العيون ترك مسها⁽¹⁾، قال البيهقي معلقاً على قول عمر بن عبد العزيز، رحمة الله تعالى: هذا حسن جميل لأن سكوت الرجل عما لا يعنيه هو الصواب⁽²⁾.

2- سئل الحسن البصري رحمة الله تعالى عن قتال الصحابة فيما بينهم فقال: قتال شهده أصحاب محمد × وغبنا، وعلموا وجهنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا⁽³⁾. ومعدى قول الحسن هذا: أن الصحابة كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا، وما علينا إلا أن نتبعهم فيما اجتمعوا عليه، ونقف عند ما اختلفوا فيه ولا نبتعد رأياً منا، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا والله عز وجل إذ كانوا غير متهمين في الدين⁽⁴⁾.

3- سئل جعفر بن محمد الصادق عما وقع بين الصحابة فأجاب بقوله: أقول ما قال الله: +عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضْلِلُ رَبِّي وَلَا يَنْسَى+⁽⁵⁾ [طه: 52].

قال الإمام أحمد، رحمة الله، بعد أن قيل له: ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية؟ قال: ما أقول فيهم إلى الحسنى⁽⁶⁾، وعن إبراهيم بن آرذ الفقيه قال: حضرت أحمد بن حنبل وسألته رجل عما جرى بين علي ومعاوية؟ فأعرضني عنه قيل له: يا أبا عبد الله هو رجل من بنى هاشم فأقبل عليه فقال: أقرأ: +تَلَكَ أَمْمَةً قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ+ [البقرة: 141].

4- وقال ابن أبي زيد القير沃اني في صدد عرضه لما يجب أن يعتقد المسلم في أصل حاب رسول الله × وما ينبغي أن يذكروا به فقال: وألا يذكر أحد من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر والإمساك عما شجر بينهم وأنهم أحق الناس أن يتمنس لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب⁽⁷⁾.

5- وقال أبو عبد الله بن بطة أثناء عرضه لعقيدة أهل السنة والعقيدة: ومن بعد ذلك نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ×، فقد شهدوا المشاهد معه وسبقو الناس بالفضل، فقد غفر الله لهم وأمرك بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم، وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم وأنهم سيقتلون، وإنما فضلوا على سائر الخلق لأن الأخطاء والعمد وضع عنهم، وكل ما شجر بينهم مغفور لهم⁽⁸⁾.

6- قال أبو بكر بن الطيب الباقلاني: ويجب أن يعلم أن ما جرى بين أصحاب النبي × ورضي الله عنهم، من المشاجرة نكف عنه ونترحم على الجميع ونشتري عليهم ونسأل الله تعالى لهم الرضوان والأمان والفوز والجنان، ونعتقد أن علياً عليه السلام أصحاب فيما فعل وله أجران، وأن الصحابة رضي الله عنهم إن ما صدر منهم كان باجتهاد فلهم الأجر ولا يفسقون ولا يبدعون، والدليل عليه قوله تعالى: +لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ كَيْدَهُ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَدْحًا قَرِيبًا+ [الفتح: 18]، قوله ×: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فلا أجران وإذا اجتهد فأخذوا فيه أجر» فإذا كان الحاكم في وقتاته أجران على اجتهاده فما ظنك باجتهاد من رضي الله عنهم ورؤوساً عنه؟! ويدل على صحة هذا القول: قوله × للحسن رضي الله عنه: «إن أبني هذا سيد وسيصلح الله به بين فنتين عظيمتين من الم

(1) الإنصاف للباقلاني، ص (69)، الطبقات (394/5).

(2) مناقب الشافعي، ص (136).

(3) (4) الجامع لأحكام القرآن (16/332).

(5) الإنصاف للباقلاني، ص (6).

(6) مناقب الإمام أحمد لأبي الجوزي، ص (164).

(7) رسالته المشهورة مع شرحها للقرآن الدائري، ص (23).

(8) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، ص (268).

سلمين»⁽¹⁾ فأثبتت العظمة لكل واحدة من الطائفتين وحكم لهما بصحبة الإسلام، وقد وعد الله هؤلاء القوم بنزع الغل من صدورهم بقوله تعالى: **وَذَرْ عُدُّا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غُلٍ إِخْوَانًا عَلَى سُرُّ مَتَّقِابِلِينَ** [الحجر: 47]. إلى أن قال: ويجب الكف عما شجر بينهم والسكت عنه⁽²⁾.

7- وقال ابن تيمية: في صدد عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة فيما شجر بين الصحابة: ويمسكون بما شجر بين الصحابة ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويمها ما هو زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، وال الصحيح منه هم فيه معذرون، إما مجتهدهم دون مصيبيون، وإما مجتهدون مخطئون⁽³⁾.

8- قال ابن كثير: أما ما شجر بينهم بعده عليه الصلاة والسلام: فمنه ما وقع من غير قصد كيوم الجمل، ومنه ما كان عن اجتهاد كيوم صفين، والاجتهاد يخطئ ولكن صاحبه معذور وإن أخطأ وأmajorأً: وأما المصيب فله أجران⁽⁴⁾.

9- وقال ابن حجر: واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف الحق منهم لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجرًا واحدًا، وأن المصيب يؤجر أجرين⁽⁵⁾.

فأهل السنة مجتمعون على وجوب السكت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة، رضي الله عنهم، بعد قتل عثمان والترحم عليهم وحفظ فضائل الصحابة والإعدام لهم بسواءاتهم ونشر محسناتهم رضي الله عنهم وأرضاهم⁽⁶⁾.

سابعاً: التحذير من بعض الكتب التي شوهت تاريخ الصحابة:

1- الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة: من الكتب التي شوهت تاريخ صدر الإسلام كتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة، ولقد ساق الدكتور عبد الله عسيلان في كتابه «الإمامية والسياسة في ميزان التحقيق العلمي» مجموعة من الأدلة تبرهن على أن الكتاب المذكور منسوب إلى الإمام ابن قتيبة كذباً وزوراً ومن هذه الأدلة:

- إن الذين ترجموا ابن قتيبة لم يذكر واحد منهم أنه ألف كتاباً في التاريخ يدعى «الإمامية والسياسة» ولا نعرف من مؤلفاته التاريخية إلا كتاب «المعارف».

- إن المتصفح للكتاب يشعر بأن ابن قتيبة أقام في دمشق والمغرب في حين أنه لم يخرج من بغداد إلا إلى الدينور.

- إن المنهج والأسلوب الذي سار عليه المؤلف في «الإمامية والسياسة» يختلف تماماً عن منهج وأسلوب ابن قتيبة في كتبه التي بين أيدينا، فإن ابن قتيبة يقدم لممؤلفاته بمقدمة طويلة يبين فيها منهجه والغرض من مؤلفه، وعلى خلاف ذلك يسيير صاحب «الإمامية والسياسة» فمقدمته قصيرة جداً لا تزيد على ثلاثة أسطر، هذا إلى جانب الاختلاف في الأسلوب، ومثل هذا النهج لم نعهد في مؤلفات ابن قتيبة.

- يروي مؤلف الكتاب عن ابن أبي ليلى بشكل يشعر بالتأني عنه، وابن أبي ليلى هذا هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه: قاضي الكوفة، توفي سنة 148هـ، والمع

(1) البخاري، الفتن، رقم (7109).

(2) الإنفاق فيما يجب اعتماده ولا يجوز الجهل به، ص (69-67).

(3) الإنفاق فيما يجب اعتماده ولا يجوز الجهل به، ص (69-67).

(4) الباعث الحثيث ص (182).

(5) فتح الباري (34/13).

(6) عيادة أهل السنة (740/2).

روف أن ابن قتيبة لم يولد إلا سنة 213هـ، أي بعد وفاة ابن أبي ليلى بخمسة وستين عاماً.

- إن الرواة والشيوخ الذين يروى عنهم ابن قتيبة عادة في كتبه لم يرد لهم ذكر في أى موضع من مواضع الكتاب.

- إن قسمًا كبيرًا من روایاته جاءت بصيغة التمريض، فكثيرًا ما يجيء فيه: ذكرروا عن بعض المصريين، وذكروا عن محمد بن سليمان عن مشايخ أهل مصر، وحدثنا بعض مشايخ المغرب، وذكروا عن بعض المشيخة، وحدثنا بعض المشيخة، ومثل هذه التراكيبي بعيدة كل البعد عن أسلوب وعبارات ابن قتيبة ولم ترد في كتاب من كتبه.

- إن مؤلف «الإمامية والسياسة» يروى عن اثنين من كبار علماء مصر، وابن قتيبة لم يدخل مصر ولا أخذ عن هذين العالمين⁽¹⁾.

- ابن قتيبة يحتل منزلة عالية لدى العلماء فهو عندهم من أهل السنة، وثقة في علمه ودينه، يقول السلفي: كان ابن قتيبة من القفات وأهل السنة، ويقول عنه ابن حزم: كان ثقة في دينه وعلمه، وبنبه في ذلك الخطيب البغدادي، ويقول عنه ابن تيمية: وإن ابن قتيبة من المتنسبين إلى أحمد وأسحاق والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة⁽²⁾، ورجل هذه منزلة لدى رجال العلم المحققين، هل من المعقول أن يكون مؤلف كتاب «الإمامية والسياسة» الذي شوه التاريخ وألصق بالصحابة الكرام ما ليس فيهم؟!⁽³⁾

يقول الدكتور علي نفيع العلياني في كتابه، عقيدة الإمام بن قتيبة عن كتاب الإمامية والسياسة: وبعد قراءاتي لكتاب الإمامية والسياسة قراءة فاحصة ترجم عندي أن مؤلف الإمامية والسياسة رافضي خبيث، أراد إدماج هذا الكتاب في كتب ابن قتيبة نظرًا لكثرتها ونظرًا لكونه معروفاً عند الناس بانتصاره لأهل الحديث، وقد يكون من رافضه المقرب، فإن ابن قتيبة له سمعة حسنة في المغرب⁽⁴⁾، وما يرجح أن مؤلف الإمامية والسياسة من الروافض ما يلي:

* إن مؤلف الإمامية والسياسة ذكر على لسان علي رضي الله عنه أنه قال للمهاجرين: الله يا معاشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم، ولا تدفعوا أهله مقامه في الناس وحده، فوالله يا معاشر المهاجرين لنحن أحق الناس به لأننا أهل البيت، ونحن أحق بهذا الأمر منكم.. والله إنه لفينا فلا تنبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله⁽⁵⁾. ولا أحد يرى أن الخلافة وراثية لأهل البيت إلا الشيعة.

* إن مؤلف الإمامية والسياسة قدح في صحابة رسول الله قدحًا عظيمًا فصور ابن عمر رضي الله عنه جبانًا، وسعد بن أبي وقاص حسودًا، وذكر محمد بن مسلم غصب على علي ابن أبي طالب لأنه قتل مرحباً اليهودي بخيير، وأن عائشة رضي الله عنها أمرت بقتل عثمان⁽⁶⁾، والقدح في الصحابة من أظهر خصائص الرافضة، وإن شاركهم الخوارج، إلا أن الخوارج لا يقدحون في عموم الصحابة⁽⁷⁾.

(1) عقيدة الإمام ابن قتيبة علي العلياني، ص (90).
 (2) لسان الميزان (357/3)، تحقيق موافق الصحابة (144/2).

(3) تحقيق موافق الصحابة (144/2).

(4) الفتاوى لابن تيمية (391/17).

(5) الإمامية والسياسة (12/1).

(6) الإمامية والسياسة (54، 55/1).

(7) عقيدة الإمام ابن قتيبة، ص (91) لل العلياني.

* إن مؤلف الإمامة والسياسة يذكر أن المختار بن أبي عبيد قُتل من قبل مصعب بن الزبير لكنه دعا إلا آل رسول الله × ولم يذكر خرافاته وأدعائه الوحي⁽¹⁾، والرافضة هم الذين يحبون المختار بن أبي عبيد لكنه انتقم من قتلة الحسين، مع العلم أن ابن قتيبة رحمة الله ذكر المختار من الخارجين على السلطان وبين أنه كان يدعي أن جبريل أتاهه⁽²⁾

* إن مؤلف الإمامة والسياسة كتب عن خلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثما
ن خمساً وعشرين صفحة فقط، وكتب عن الفتنة التي وقعت بين الصحابة مائتي صفحة،
فقام المؤلف باختصار التاريخ الناصع المشرق وسود الصحائف بتاريخ زائف لم يثبت
نه إلا القليل، وهذه من أخلاق الروايف المعهودة، نعوذ بالله من الضلال والخذلان.

* يقول السيد محمود شكري الألوسي في مختصره للتحفة الائتية عشرية: ومن مكاييد هم يعني الرافضةـ أنهم ينظرون في أسماء الرجال المعتبرين عند أهل السنةـ فمن وجده موافقاً لأحد منهم في الاسم واللقب أسندوا رواية حديث ذلك الشيعي إليهـ فمن لا وقف له من أهل السنةـ يعتقد أنه إمام من أنتمهمـ فيعتبر بقولهـ ويعد بروايتهـ كالسدي فإنهما رجلان أحدهما السدي الكبير والسدي الصغيرـ فالكبير من ثقات أهل السنةـ والصغير من الوصاعين الكاذبينـ وهو رافضي غالـ وعبد الله بن قتيبة رافضي غالـ وعبد الله بن مسلم ابن قتيبة من ثقات أهل السنةـ وقد صنف كتاباً سماه بالمعارفـ فصنف ذلك الرافضي كتاباً سماه بالمعارف أيضاً فقصد للإضلال⁽³⁾. وهذا مما يرجح أن كتاب الإمامية والسياسة لابن قتيبة الرافضي وليس لابن قتيبة السنى الثقةـ وإنما خلط الناس بينهما لتشابه الأسماء⁽⁴⁾ والله أعلم.

2- نهج البلاغة: ومن الكتب التي ساهمت في تشويه تاريخ الصحابة بالباطل كتاب نهج البلاغة؛ فهذا الكتاب مطعون في سنته ومتنه، فقد جمع بعد أمير المؤمنين بثلاثة قرون ونصف قرن بلا سند، وقد نسبت الشيعة تأليف نهج البلاغة إلى الشريف الرضي وهو غير مقبول عند المحدثين لو أُسند خصوصاً فيما يوافق بدعته، فكيف إذا لم يُسند كما فعل في النهج؟ وأما المتهم -عند المحدثين- فهو أخوه علي⁽⁵⁾، فقد تحدث العلماء فيه فقال:

- قال ابن خلkan في ترجمة الشريف المرتضي: وقد اختلف الناس في كتاب نهج الـ⁶
lagha المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه هل جمعه؟ أم جمع أخي
ه الرضي؟ وقد قيل: إنه ليس من كلام علي، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضع
ه والله أعلم⁽⁶⁾.

- وقال الذهبي: من طالع نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وفيه السب الصراح، والحط على السيدتين أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس الفرسان الصحابة ونفسي غيرهم من يدعهم من المتأخر بين جزم شأن أكثره باطل⁽⁷⁾.

- **وقال ابن تيمية:** وأهل العلم يعلمون أن أكثر خطب هذا الكتاب مفتراة على على

(1) الإمامة والسياسة (20/2).

المعرف، ص (401) {2}

³² مختصر التحفة الائتية عشرية للألوسي ص (32).

عَيْدَةُ الْإِمَامِ أَبْنِ فَتَنِيَّهُ، ص ٤
الْأَدَمُ، الْإِسْلَامُ، نَازِفَةٌ، ٢٠١٥، ص ٥

⁶) الأدب الإسلامي، نايف معروف، ص (53).

میزان الاعتدال (124/3) (7)

(۱۲۷۰) - میرزا رضا

ولهذا لا يوجد غالباً في كتاب متقدم ولا لها إسناد معروفة⁽¹⁾.

- وأما ابن حجر، فيتهم الشريفي المرتضى بوضعه، ويقول: ومن طالعه جزم بأنه مذنوب على أمير المؤمنين عليه.. وأكثره باطل⁽²⁾.

- واستناداً إلى هذه الأخبار وغيرها تناول عدد من الباحثين هذا الموضوع، فقالوا بـ عدم صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام علي رضي الله عنه⁽³⁾.

ويمكن تلخيص أهم ما لاحظه القدامى والمحدثون على «نهج البلاغة» للتشكيك بصدق نسبته للإمام علي بما يلي:

* خلوه من الأسانيد التوثيقية التي تعزز نسبة الكلام إلى صاحبه؛ متداً ورواية وسد داً.

* كثرة الخطب وطولها، لأن هذه الكثرة وهذا التطويل مما يتعدى حفظه وضبطه قبل عصر التدوين، مع أن خطب الرسول لم تصل إلينا سالمة وكاملة مع ما أتيح لها من العناية الشديدة والاهتمام.

* رصد العديد من الأقوال والخطب في مصادر وثيقة منسوبة لغير علي رضي الله عنه، وصاحب النهج يثبتها له.

* اشتمال هذا الكتاب على آقوال تتناول الخلفاء الراشدين قبله بما لا يليق به ولا يليق به، وتنافي ما عرف عنه من توقيره لهم، ومن أمثلة ذلك ما جاء بخطبته المعروفة بـ«الشفقة» التي يظهر فيها حرصه الشديد على الخلافة، رغم ما شهُر عنه عن التقشف والازهد.

* شيوخ السجع فيه، إذ رأى عدد من الأدباء أن هذه الكثرة لا تتفق مع البعد عن التألف الذي عرف به عصر الإمام علي رضي الله عنه، مع أن السجع العفواني الجميل لم يكن بعيداً عن روحه ومبناه.

* الكلام المنمق الذي تظهر فيه الصناعة الأدبية التي هي من وسائل العصر العباسي وزخرفه، ما نجده في وصف الطاووس والخفافش، والنحل والنمل، والزرع والسحب وأمثالها.

* الصيغ الفلسفية الكلامية التي وردت في ثناياه، والتي لم تُعرف عند المسلمين إلا في القرن الثالث الهجري، حين ترجمت الكتب اليونانية والفارسية والهندية، وهي أشبه ما تكون بكلام المتكلمين منه بكلام الصحابة والراشدين⁽⁴⁾.

إن هذا الكتاب يجب الحذر منه في الحديث عن الصحابة وما وقع بينهم وبين أمير المؤمنين علي، وتعرض نصوصه على الكتاب والسنة، فما وافق الكتاب والسنة، فلا مانع من الاستئناس به وما خالف فلا يلتفت إليه.

3- كتاب الأغاني للأصفهاني: يعتبر كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني كتاباً أدبياً وسرياً وغناءً، وليس كتاب علم وتاريخ وفقه، ولوه طنين ورنين في آذان أهل الأدب والتاريخ، فليس معنى ذلك أن يسكت عما ورد فيه من الشعوبية والدنس، والذنب الفاضح والطعن والمعايب، وقد قام الشاعر العراقي والأستاذ الكريم وليد الأعظمي بتأليف كتابه الأ

(1) منهاج السنة (24/4).

(2) لسان الميزان (223/4).

(3) الأدب الإسلامي، نايف معروف، ص (53).

(4) الأدب الإسلامي، ص (54, 55).

قيم الذي سماه السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني، فقد شمر -جزاه الله خيراً- عن ساعد الجد، ليميز الهرل من الجد، والسم من الشهد، ويكشف ما احتواه الكتب من الأكاذيب ونيران الشعوبية والحقد، وهي تغلي في الصدور، كغلي القدر، وأخذ يرد على ترهات الأصفهاني فيما جمعه من أخبار وحكايات مكذوبة وغير موثقة تسيء إلى آل البيت النبوى الشريف، وتجرح سيرتهم، وتشوه سلوکهم، كما تناول مزاعم الأصفهاني تجاه معاوية بن أبي سفيان والخلفاء الراشدين الأمويين بما هو مكذوب ومدسوس عليهم من الروايات؛ وتتناول الأستاذ الكريم والشاعر الإسلامي القدير وليد الأعظمي في كتابه *القيم الحكايات المتفرقة* التي تضمنها الكتاب والتي تطعن في العقيدة الإسلامية والدين الإسلامي، وتقضي الجاهلية على الإسلام وغيرها من الأباطيل⁽¹⁾.

ولقد تحدث العلماء فيه قدیماً:

- **قال الخطيب البغدادي:** كان أبو الفرج الأصفهاني أكذب الناس، كان يشتري شيئاً كثيراً من الصحف، ثم تكون كل روايته منها⁽²⁾.

- **قال ابن الجوزي:** ومثله لا يوثق بروايته، يصح في كتبه بما يوجب عليه النسق، ويجهون شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمل كتاب الأغاني، رأى كل قبيلة ومنكر⁽³⁾. قال الذهبـي: رأيت شيخنا تقى الدين ابن تيمية يضعفه، ويتهمه في نقله ويستهون به⁽⁴⁾.

4- **تاريخ اليعقوبي**, ت 290هـ: هو أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح العباسـي من أهل بغداد، مؤرخ شيعي إمامـي كان يعمل في كتابة الدواوين في الدولة العباسـية حتى لقب بالكاتب العباسـي، وقد عرض اليعقوبي تاريخ الدولة الإسلامية من وجهـة نظر الشيعة الإمامـية، فهو لا يعترف بالخلافة إلى على بن أبي طالب وأبنائه حسب تسلسل الأئمة عند الشيعة، ويسمى عليهـا بالوصـي، وعندما أرـخ لخلافة أبي بكر وعمر وعثمان لم يضف عليهم لقب الخلافـة وإنما قال تولـي الأمر فلان، ثم لم يترك واحدـاً منهم دون أن يطعنـ فيهـ وكذلك كبار الصحابةـ فقد ذكر عن عائشـة، رضـي الله عنهاـ، أـ خبارـ⁽⁵⁾ سـيـئةـ، وكذلك عن خـالـدـ بنـ الـولـيدـ⁽⁶⁾، وعـمـروـ بنـ العـاصـ⁽⁷⁾، وـمـعاـوـيـةـ بنـ أبيـ سـفـيـانـ⁽⁸⁾، وـعـرـضـ خـبرـ السـقـيـفـةـ عـرـضـاًـ مـشـيـداًـ⁽⁹⁾ـ اـدعـىـ فـيهـ أـنـهـ قدـ حـصـلـتـ مـؤـامـةـ عـلـىـ سـلاـبـ الخـلـافـةـ منـ عـلـيـ أـبـيـ طـالـبـ الـذـيـ هوـ الـوـصـيـ فـيـ نـظـرـهـ، وـطـرـيقـتـهـ فـيـ سـيـاقـ الـاتـهاـ مـاتـ الـبـاطـلـةـ هـيـ طـرـيقـةـ قـوـمـهـ مـنـ أـهـلـ التـشـيـعـ وـالـرـفـضـ، وـهـيـ إـمـاـ اختـلـاقـ الـخـبـرـ الـكـلـيـ⁽¹⁰⁾ـ، أـوـ التـزـيدـ فـيـ الـخـبـرـ⁽¹¹⁾ـ، وـالـإـضـافـةـ عـلـيـهـ، أـوـ عـرـضـهـ فـيـ غـيرـ سـيـاقـهـ وـمـحلـهـ حـتـىـ يـنـ حـرـفـ معـناـهـ، وـمـنـ الـمـلـاحـظـ أـنـهـ عـنـدـماـ ذـكـرـ الـخـلـافـةـ الـأـمـوـيـنـ وـصـفـهـمـ بـالـمـلـوـكـ، وـعـنـدـماـ ذـكـرـ خـلـافـةـ بـنـيـ الـعـبـاسـ وـصـفـهـمـ بـالـخـلـافـةـ، كـمـاـ وـصـفـهـمـ دـوـلـتـهـمـ فـيـ كـتـابـهـ الـبـلـدـانـ باـسـمـ الـدـوـلـةـ الـمـيـارـكـ⁽¹²⁾ـ، مـاـ يـعـكـسـ نـفـاقـهـ وـتـسـتـرـهـ وـرـاءـ شـعـارـ النـقـيـةـ، وـهـذـاـ الـكـتـابـ يـمـثـلـ الـانـحرـافـ وـالـشـوـيـهـ الـحـاـصـلـ فـيـ كـتـابـ الـتـارـيـخـ الـإـسـلـامـيـ، وـهـوـ مـرـجـعـ لـكـثـيرـ مـنـ الـمـسـتـشـرـقـيـنـ وـالـمـسـتـغـرـبـ

(1) السيف اليماني في نحر الأصفهاني للأعظمي، ص (9-14).

(2) تاريخ بغداد (398/11).

(3) المنتظم (40,41/7).

(4) ميزان الاعتدال (123/3).

(5) تاريخ اليعقوبي (183-180/2).

(6) المصدر نفسه (131/2).

(7) المصدر نفسه (222/2).

(8) المصدر نفسه (238-232/2).

(9) المصدر نفسه (126-123/2).

(10), (2) منهج كتاب التاريخ الإسلامي ص 431.

(12) كتاب البلدان لليعقوبي ص 432.

ين الذين طعنوا في التاريخ الإسلامي وسيرة رجاله، مع أنه لا قيمة له من الناحية العلمية إذ يغلب على القسم الأول القصص والأساطير والخرافات، والقسم الثاني كتب من زاوية نظر حزبية كما أنه يفتقد من الناحية المنهجية لأبسط قواعد التوثيق العلمي⁽¹⁾.

5- المسعودي (ت: 345هـ) كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر: هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، من ولد عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه⁽²⁾، وقيل إنه كان رجلاً من أهل المغرب⁽³⁾، ولكن يرد عليه بأن المسعودي صرخ بنفسه أنه من أهل العراق، وأنه انتقل إلى ديار مصر للسكن فيها⁽⁴⁾، وإن قصد ببلاد المغرب عكس المشرق فمصر من بلاد المغرب الإسلامي فلا إشكال⁽⁵⁾، والمسعودي رجل شيعي، فقد قال فيه ابن حجر: كتبه طافحة بأنه كان شيعياً معتزلياً⁽⁶⁾، وقد ذكر أن الوصية جارية من عهد آدم تنقل من قرن إلى قرن حتى رسولنا ، ثم أشار إلى اختلاف الناس بعد ذلك في الاصناف والاختيارات، فقد رأى الشيعة الإمامية الذين يقولون بالنصر⁽⁷⁾، وقد أولى الأحداث المذكورة بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في كتابه مروج الذهب اهتماماً كبيراً أكثر من اهتمامه بحياة رسول الله في الكتاب المذكور⁽⁸⁾، وركز اهتمامه بالبيت العلوي وتتبع أخبارهم بشكل واضح في كتابه مروج الذهب⁽⁹⁾، وعمل بدون حياء ولا خجل على تشويه تاريخ صدر الإسلام.

هذه بعض الكتب القديمة التي نحذر منها، والتي كان لها أثر في كتابات بعض المعاصرين، كطه حسين (الفتنة الكبرى.. علي وبنيه)، والعقاد في العبريات فقد تورطاً في انتهاكات الموضوعية والضعفية وقامت تحليلاتها على، وبالتالي لم يخالفهما الصواب، ووقعوا في أخطاء شنيعة في حق الصحابة، رضي الله عنهم، وكذلك عبد الوهاب النجار في كتابه «الخلفاء الراشدون» حيث نقل نصوصاً من روایات الرافضة من كتاب «الإمام والسياسة»، وحسن إبراهيم حسن في كتابه «عمرو بن العاص» حيث قرر من خلال الروایات الرافضية الموضوعة بأن عمرو بن العاص رجل صالح ومطاعم ولا يدخل في شيء من الأمور إلا إذا رأى فيه مصلحة ومنفعة له في الدنيا⁽¹⁰⁾، وغير ذلك من الباحثين الذين ساروا على نفس المنوال، فدخلوا في الأتفاق المظلمة بسبب بعدهم عن منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الركام الهائل من الروایات التاريخية.

ثامداً: الاستشراق والتاريخ الإسلامي:

إن من أعظم الفرق أثراً في تحريف التاريخ الإسلامي الشيعة الرافضة بمختلف طائفتها وفرقها، فهم من أقدم الفرق ظهوراً، ولهم تنظيم سياسي وتصور عقائدي، ومنهج فكري منحرف- وهو أكثر الطوائف كذباً على خصومهم، كما أنهم من أشد الناس خصومة للصحابة -كما سيأتي معنا- فسب الصحابة وتکفيرهم من أساسيات معتقدهم وأركانهم، خاصة الشیخین أبا بکر وعمر ویسمونهما الجبیت والطاغوت⁽¹¹⁾، وقد كان للشیعة أكبر عدد من الرواة والإخباريين الذين تولوا نشر أکاذیبهم ومحترفيتهم وتدوینها في كتب و

(1) منهج كتابة التاريخ الإسلامي ص 432

(2) الفهرست لابن التديم ص (171) سير أعلام النبلاء.

(3) الفهرست، ص (117).

(4) معجم الأدباء (93-91/13).

(5) منهج المسعودي في كتابة التاريخ ص 44، أثر التشيع، ص (243).

(6) لسان الميزان (225/4)، أثر التشيع، ص (246).

(7) مروج الذهب ومعادن الجوهر (38/1).

(8) (12) أثر التشيع على الروایات التاريخية، ص (248).

(10) تاريخ عمرو بن العاص، حسن إبراهيم، ص (206، 207).

(11) الشیعه والسنّة، ص (32) إحسان الهی طهیر.

رسائل عن أحداث التاريخ الإسلامي، خاصة الأحداث الداخلية، كما كان للشعوبية والعلمية أثر في وضع الأخبار التاريخية والحكايات والقصص الramimia إلى تشويه التاريخ الإسلامي، وإلى إلقاء طائفة على طائفة، أو أهل بلد على آخر، أو جنس على جنس، وإدعاً الميزان الشرعي في التفاصيل وهو ميزان التقوى + إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْقَدَا كُمْ " [الجرات: 13].

كما أن الفرق المنحرفة قد استغلت وضع القصاص وانتشارهم وجهل معظمهم وقلة علمهم بالسنة، وأنحراف طائفة منهم تبتغي العيش والكسب، فنشروا بينهم أكاذيبهم وحكاياتهم وقصصهم الموضوعة، فلتلقها هؤلاء القصاصون دن وعي وإدراك ونشروها بين العامة، لقد انتشر عن طريقهم مئات الأحاديث المكذوبة على الصحابة والتبعين وعلماء الإسلام، مما يسيء لهم ويشوّه تاريخهم وسيرتهم، وقد كان من فضل الله وتوفيقه أن قيض من مجموعة من العلماء النقاد الذين قاموا بجهد في نقد الرواية والمروريات في بيان الأحاديث المكذوبة بالنص عليها وبيان الرواية الضعاف والمتهمين وأصحاب الأهواء، وفي رسم المنهج في نقد الروايات وقبولها، جهد كبير وموفق، من أبرز من تصدى لإيضاح المغالط التاريخية ورد زيف الروايات المكذوبة القاضي ابن العربي في كتاب «العواصم من القواسم»، والإمام ابن تيمية في كثير من كتبه ورسائله، خاصة كتابه القيم «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والذرية»، وكذلك الحافظ الناقد الذهبي في كثير من مؤلفاته التاريخية مثل كتاب «سير أعلام النبلاء، وتاريخ الإسلام، وميزان الاعتدال في نقد الرجال»، وكذلك الحافظ ابن كثير المفسر المؤرخ في كتابه «البداية والنهاية»، وأيضاً الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه، «فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ولسان الميزان، وتهذيب التهذيب والإصابة في معرفة الصحابة».

أما الوسائل التي استخدمت لغرض تحرير الواقع التاريخية وتشويه سير رجال ا مصدر الأول من الصحابة والتبعين فهي كثيرة ونذكر منها:

- الأخلاق والذب.
- الإثبات بخبر أو حادث صحيحة فيزيدون فيها وينقصون منها حتى تتشوه وتخرج عن أصلها.
- وضع الخبر في غير سياقه حتى ينحرف عن معناه ومقصده، والتأويل والتقسيير الباطل للأحداث.
- إبراز المثالب والأخطاء وإخفاء الحقائق المستقيمة.
- صناعة الأشعار وانتهاها لتأييد حوادث تاريخية مدعاة لأن الشعر العربي ينظر له كوثيقة تاريخية ومستند يساعد في توثيق الخبر وتائيده.

وضع الكتب والرسائل المكذوبة ونحلها لعلماء وشخصيات مشهورة، كما وضعت رافضة كتاب «الإمامية والسياسة» الذي نسبته إلى أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري لشهرته عند أهل السنة وتقديرهم به كما مر معنا.

وقد تلقف هذه الأكاذيب والتحريفات في القرن الماضي علماء الغرب وكتابه من المسلمين والمنصرين -إبان غزوهم واستعمارهم للبلدان الإسلامية- فوجدوا فيها ضالتهم، وأخذوا يعملون على إبرازها والتركيز عليها مع ما زادوه من عندهم -يدافع من عصبيتهم وكرههم للإسلاميين- من الكذب مثل اختراع حوادث لا أصل لها، أو التقسيير المغضض للحوادث التاريخية بقصد التشويه، أو التقسيير الخاطئ تبعاً للتصور والاعتقاد الذي

يدينون به، ثم شايع هؤلاء طائفة غير قليلة العدد من تلاميذ المستشرقين في البلاد العربية والإسلامية، وأخذوا طرائقهم ومناهجهم في البحث، وأفكارهم وتصوراتهم في الفهم والتحليل وتفسير التاريخ، وحملوا الرأي بعد رحيلهم عن بلاد المسلمين، فكان ضررهم أشد وأنكى من ضرر أستاذهم المستشرقين، ومن ضرر أسلافهم السابقين من فرق البدع والضلال، وذلك أنهم ادعوا كأساندتهم - اتباع الروح العلمية المتجردة والمنهج العلمي في البحث، والحقيقة أن غالبيهم لم يتجدد إلا من عقيدته، أما التجدد بمعنى الإخلاص للحق وسلوك المنهج العلمي السليم في إثبات الواقع التاريخية، كالمقارنة بين الروايات، ومعرفة قيمة المصادر التي يرجعون إليها، ومدى أمانة الناقلين، وضبطهم لما نقلوا، وقياس الأنباء واعتبارهم بأحوال العمران البشري وطبعاته⁽¹⁾، فلا اثر له عند القوم، فلم يتقدموه من المنهج العلمي إلا الأمور الشكلية مثل الحوashi وترتيب المراجع وما شابهها، وربما كان هذا هو مفهوم المنهج العلمي عندهم⁽²⁾، يقول محب الدين الخطيب: إن الذين تتفقوا باتفاقية أجنبية عنا قد غلب عليهم الوهم بأنهم غرباء عن هذا الماضي، وأن موقفهم من رجاله كموقف وكلاء نيابة من المتهمنين، بل لقد أوغل بعضهم في الحررص على الظهور أمام الآخرين بظاهر المتجرد عن كل أصارة ب الماضي العروبة والإسلام جريحاً وراء المستشرقين في ارتياههم حيث تحس الطمأنينة وميلهم مع الهوى عندما يدعوهם الحق إلى التثبت وفي إنسائهم الحكم وارتياههم إليه قبل أن تكون في أيديهم الدلائل عليه⁽³⁾.

ومن أهم الوسائل التي اتبعها المستشرقون وتلاميذهم في تشويه وتحريف حقائق التاريخ الإسلامي:

أ- التدخل بالتقسير الخاطئ للأحداث التاريخية على وفق مقتضيات أحوال عصرهم الذي يعيشون هم فيه وحسبما يجول بخواطيرهم، دون أن يتحققوا أولاً الواقعية التاريخية حتى تثبت ودون أن يراعوا ظروف العصر الذي وقعت فيه الحادثة وأحوال الناس وتوجهاتهم في ذلك الوقت، والعقيدة التي تحكمهم ويدينون بها، فإنه قبل تفسير الحادثة لابد من ثبوت وقوعها وليس وجودها في كتاب من الكتب كافياً لثبوتها⁽⁴⁾، لأن مرحلة الثبوت مرحلة سابقة على البحث في تفسير الواقع التاريخية، كما ينبغي أن يكون التقسير متمشياً مع منطق الخبر التاريخي، وموضوع البحث، ومع الطابع العام للمجتمع، أو العصر والبيئة التي حدثت فيها الواقعية، كما يشترط لا يكون هذا التقسير متعارضاً مع واقعة أو جملة وقائع أخرى ثابتة، كما أنه لا ينبغي أن ينظر في التقسير إلى عامل واحد كما هو دين كثير من المدارس التاريخية المعاصرة- وإنما ينظر فيه إلى جملة العوامل المؤثرة في الحديث وخاصة العوامل العقدية والفكريّة.. ثم إن التقسير التاريخي للحوادث بعد هذه الأكله لا يعود كونه اجتهاداً بشرياً يحتمل الصواب والخطأ، وقد أبرز البعض تاريخ الفرق الضالة وعمد إلى تضخيم أدوارها وتصويرها بصورة المصلح المظلوم، وبأن المؤرخين المسلمين قد تحاملوا عليها، فالقرامطة والإسماعيلية، والرافضة الإمامية والفالطمية والزنوج وإخوان الصفا، والخوارج كلهم في نظرهم واعتبارهم دعاة إصلاح وعدالة وحرية ومساواة، وثورتهم كانت ثورات لإصلاح الظلم والجور، فهذا الشغب والإرجاف على التاريخ الإسلامي ومزاحمة سير رجاله ودعاته بسير قادة الفرق الضالة أمر لا يستغرب من قوم لا يدينون بالإسلام، فهم من واقع عقيدتهم يكيدون له بكل جهد مستطاع، ليلاً ونهاراً، وسرّاً وجهاً ولا يتوقع من مطموسي الإيمان وملل الكفر إلا مناصرة إخوانهم

(1) (2) منهج كتابة التاريخ الإسلامي، محمد صالح، ص (502).

(3) المصادر الأولى لناريخنا، مجلة الأزهر، سنة 1374هـ.

(4) منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ص (504).

في الضلال، ولكن الأمر الذي قد يحدث استغراباً عند البعض أن يحمل رأية التشويه والتحريف بعد سقوط دولة الاستشراق كتاب يحملون أسماء إسلامية ومن أبناء المسلمين، ويقومون بنشر مثل هذه السموم علىبني جلدهم ليصرفوا بها الأغراط عن الصراط المسد تقييم، ولقد عمد هؤلاء إلى التشكيك بالروايات المشبوهة والضعيفة، والساقة يتقطونها من كتب الأدب وقصص السمر والحكايات الشعبية والكتب المنحولة والضعيفة، فهذه الكتب هي مستنداتهم في الغالب مع ما يجدونه من الروايات المكذوبة في الطبراني والمسعودي، مع أنهم يعلمون أنها لا تعتبر مراجع علمية يعتمد عليها، لقد وقع الاعتداء على التاريخ الإسلامي - خاصة تاريخ الصدر الأول - بالتشويه عن طريق اختيار مواقف مختارة و التركيز عليها، كالمعارك والحروب مع تصويرها على غير حقيقتها حتى تزول عنها صفة الجهاد في سبيل الله، أو التركيز على الأحداث والفتن الداخلية بقصد إظهار خلافات الصحابة، رضي الله عنهم، وعرضها وكأنها نموذج للصراعات والمكائد السياسية في وقتنا الحاضر، وبالتجهيل وهو إهمال كل ما هو مducta للآقدماء والأسوة الحسنة، وبالتشكيك في، وهو توجيه السهام إلى التاريخ ورجاله وإلى المؤرخين المسلمين أنفسهم والشكوك في معلوماتهم وصدقهم، وبالتجزئة وهي محاولة تجزئة التاريخ الإسلامي إلى أوصال وأشuntas وكأنها لا رابط بينها كالتوزيع الإقليمي والعرقي ونحوه، فكل هذه الوسائل والحملات تسعى إلى تدمير تاريخنا الإسلامي ومحو معلمه النيرة وإبعاده عن مجال القيادة الحسنة والتربية الصحيحة.

لذا ينبغي على المؤرخ المسلم معرفة هذه الوسائل والتبيه لها، ومعرفة الذين تابعوا لمستشرقين في آرائهم ومناهجهم وعدم التناقي منهم إلا بحذر شديد، فإذا كان علماً علينا رحمة الله - قد نقدوا كثيراً من الرواية وضعفوا روایتهم بسبب أخذهم عن أهل الكتاب ورأيهم الإسرائيليات، فإنه ينبغي لنا التوقف في قبول أقوال وتقسيرات من يتلقى من المستشرقين بل إسقاطها وعدم اعتبارها إلا بدليل وبرهان واضح⁽¹⁾.

(1) منهاج كتابة التاريخ الإسلامي، ص (507).

الفصل السابع

موقف أمير المؤمنين علي من الخوارج والشيعة المبحث الأول

الخوارج

أولاً: نشأة الخوارج والتعریف بهم:

عرف أهل العلم الخوارج بتعریفات منها ما بيّنه أبو الحسن الأشعري، أن اسم الخوارج يقع على تلك الطائفة التي خرجت على رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويبيّن أن خروجهم على عليٍ هو العلة في تسميتهم بهذا الاسم، حيث قال رحمة الله تعالى: **والسبب الذي سموا له خوارج خروجهم على عليٍ لما حكم**⁽¹⁾.

وأما ابن حزم: فقد بيّن أن اسم الخارجي يتعدى إلى كل من أشبه أولئك النفر الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وشاركتهم في معتقدهم، فقد قال: ومن وافق الخوارج من إنكار التحكيم وتکفير أصحاب الكبائر والقول بالخروج على أئمة الجور، وأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار، وأن الإمامة جائزه في غير قريش فهو خارجٌ وإن خالفهم، فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمين وخالفهم فيما ذكرنا فليس خارجيًا⁽²⁾.

وأما الشهيرستاني: فقد عرف الخوارج بتعریف عام اعتبر فيه الخروج على الإمام الذي اجتمع عليه الكلمة وعلى إمامته الشرعية خروجاً في أي زمان كان، حيث قال في تعریفه للخوارج: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارج ياً سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أم كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان⁽³⁾.

وقال ابن حجر معرفاً لهم: **والخوارج هم الذين أنكروا على عليٍ التحكيم وتبذلوا منه ومن عثمان وذریته وقاتلواهم، فإن أطلقوا تکفيرهم فهم الغلاة**⁽⁴⁾. وقال في تعریف آخر: أما الخوارج فهم جماعة خارجة، أي: طائفة، وهم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم على الدين وخروجهم على خيار المسلمين⁽⁵⁾.

وأما أبو الحسن الملطي: فيرى أن أول الخوارج المحكمة، الذين ينادون لا حكم إلا لله ويقولون: علىٌ كفر، يجعل الحكم إلى أبي موسى الأشعري ولا حكم إلا لله. فرقه الخوارج، سميت خوارج لخروجهم على عليٍ رضي الله عنه يوم الحكمين، حين كرهوا الحكم، وقالوا: لا حكم إلا لله⁽⁶⁾.

وأما الدكتور ناصر العقل فيقول: **هم الذين يُکَفِّرونَ بالمعاصي، ويخرجن على أئمة الجور**⁽⁷⁾.

فالخوارج هم أولئك النفر الذين خرجوا على عليٍ رضي الله عنه بعد قبوله التحكيم في موقعة صفين، ولم يُعرفوا بها غير لقب الخوارج، ومن تلك الألقاب الح

(1) مقالات الإسلاميين (207/1).

(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل (113/2).

(3) الملل والنحل.

(4) هدي الساري في مقدمة فتح الباري، ص 459.

(5) فتح الباري (283/2).

(6) التنبية والرد على أهل الأهواء والبدع، ص 47.

(7) الخوارج، ناصر العقل، ص 28.

رورية⁽¹⁾، والشراة⁽²⁾، والممارقة، والمحكمة⁽³⁾، وهم يرضون بهذه الألقاب كلها إلا بالمارقة، فإنهم ينکرونها أن يكونوا مارقين من الدين كما يمرق السهم من الرمية⁽⁴⁾.

ومن أهل العلم من يرجع بداية نشأة الخوارج إلى زمن الرسول ×، ويجعل أول الخوارج ذا الخويصرة الذي اعترض على الرسول × في قسمة ذهب كان قد بعث به على رضي الله عنه من اليمين في جلد مقروظ، فقد جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: بعث علي بن أبي طالب إلى رسول الله × من اليمين بذهبة في أديم مقروظ⁽⁵⁾، لم تحصل من ترابها⁽⁶⁾، قال: فقسمها بين أربعة نفر، بين عبيدة بن حصن، والأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علامة بن علانة، وإما عامر بن الطفيلي، فقال رجل من أصدحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النبي ×، فقال: «الا تأمنوني وأنا أمني من في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً»، قال: فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشر الجبهة⁽⁷⁾، كث اللحية ملحوظ الرأس مشمر الإزار، فقال: يا رسول الله اتق الله، فقال: «وويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله»، قال: ثم ولى الرجل، فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟، فقال: «لا، لعله أن يكون يصلني»، قال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله ×: «إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس⁽⁸⁾، ولا أشق بطونهم»، قال: ثم نظر إليه وهو مقف⁽⁹⁾، فقال: «إنه يخرج من ضئضي⁽¹⁰⁾ هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً، لا يجاوز حناجرهم، يمرقو ن من الدين كما يمرق السهم من الرمية»، قال: أطنه قال: «للن أدركتم لاقتلتكم قتل شهود»⁽¹¹⁾.

قال ابن الجوزي عند هذا الحديث: أول الخوارج وأقبحهم حالة ذو الخويصرة التمييزي، وفي لفظ: أنه قال له: أعدل، فقال: «وويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل»⁽¹²⁾، فهذا أول خرجي خرج في الإسلام، وآفته أنه رضي برأي نفسه ولو وقف لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله ×، وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه⁽¹³⁾.

ومن أشار بأن أول الخوارج ذو الخويصرة: أبو محمد ابن حزم⁽¹⁴⁾، وكذا الشهيرستاني في كتابه الملل والنحل⁽¹⁵⁾، ومن العلماء من يرى بأن نشأة الخوارج بدأت بالخروج على عثمان رضي الله عنه بأحداثهم الفتنة التي أدت إلى قتل رضي الله عنه ظلماً وعدوا آنذاك، وسميت تلك الفتنة التي أحدثوها بالفتنة الأولى⁽¹⁶⁾، وقال شارح الطحاوية: الخوارج والشيعة حدثوا في الفتنة الأولى⁽¹⁷⁾، وقد أطلق ابن كثير على الغوغاء الذين خرجوا على عثمان وقتلوه اسم الخوارج، حيث قال في صدد ذكره لهم بعد قتلهم عثمان رضي الله عنه

(1) سموا بهذه الاسم لنزولهم بحرارة في أول أمرهم.

(2) سموا سراة لقولهم: شربنا أنفسنا في طاعة الله، أي: بعنانها بالجنة.

(3) سموا بهذا الاسم لأنكارهم الحكيمين، وقولهم: لا حكم إلا لله.

(4) مقالات إسلاميين (207/1).

(5) أبيم مقرظ: في جلد مبسوغ بالفرو.

(6) أي: لم تميز ولم تتصف من تراب معدها.

(7) ناشر الجبهة: مرتفع الجبهة.

(8) أي: افتش وأكشف، ومعناه: أني أمرت بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.

(9) مقف: أي مول.

(10) ضئضي: هو بضادين معجمتين مكسورتين وآخره مهموز وهو أصل الشيء.

(11) آخر جه البخاري (232/2)، ومسلم (742/2).

(12) آخر جه مسلم (740/2).

(13) تلبيس إيليس، ص 90.

(14) الفصل في الملل والأهواء والنحل (157/4).

(15) الملل والنحل (116/1).

(16) عقيدة أهل السنة في الصحابة (3/1141).

(17) شرح العقيدة الطحاوية ص 563.

٤: وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال وكان فيه شيء كثير جداً⁽¹⁾.

الرأي الراجح في بداية نشأة الخوارج: وبالرغم من الارتباط القوي بين ذي الخوارج والغوغاء الذين خرجوا على عثمان وبين الخوارج الذين خرجوا على علي بسبب التحكيم، فإن مصطلح الخوارج بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة لا ينطبق إلا على الخارجين بسبب التحكيم، بحكم كونهم جماعة في شكل طائفة لها اتجاهها السياسي وأراوها الخاصّة، أحدثت أثراً فكريّاً عقديّاً واضحاً، بعكس ما سبقها من حالات⁽²⁾.

ثانيًا: ذكر الأحاديث التي تتضمن ذم الخوارج:

وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ في ذم الخوارج المارقة، وصفوا فيها بأوصاف ذميمة شنيعة جعلتهم في أخبث المنازل، فمن الأحاديث التي وردت الإشارة فيها إلى ذمهم، ما رواه الشیخان في صحیحهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسمًا، إذ أتاه ذو الخويصرة هو رجل من تميم، فقال: يا رسول الله، أعدل، فقال: «ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكُن أعدل»، فقال عمر: يا رسول الله اذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: «دعه فإن له أصدح فيه شيء يحرّك أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوزه رأفيهم⁽³⁾، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية⁽⁴⁾ ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافته⁽⁵⁾، مما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نفسه، وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء، وقد سبق الفرش والدم⁽⁶⁾، أيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البصّعة⁽⁷⁾ تدرّر⁽⁸⁾ ويخرجون على حين فرقه من النسل»، قال أبو سعيد: فأشهد أنّي سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ، وأشهد أنّ علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به حتى نظر إليه على نعت النبي ﷺ الذي نعته⁽⁹⁾.

وروى الشیخان أيضًا من حديث أبي سلمة وعطاء بن يسار أنهما أتوا أبي سعيد الخدري فسألاه عن الحرورية هل سمعت النبي ﷺ يقول: «يخرج في هذه الأمة سوءٌ يقل مذهله - قوم تحقرن صلاتكم مع صلاتهم، فيقرؤون القرآن لا يجاوز حلوتهم - أو حاجره - م- يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، فينظر الرامي إلى سهمه إلى نصله، إلا في رصافه فيتمارى في الفوقة⁽¹⁰⁾ هل علق بها من الدم شيء»⁽¹¹⁾، وروى البخاري م- ن حديث أبي بن عمرو قال: قلت لسهل بن حنيف: هل سمعت النبي ﷺ يقول في الخوارج شيء؟ قال سمعته يقول: وأهوى بيده قبل العراق: «يخرج منه قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية» ففي هذه الأحاديث الثلاثة ذم واضح لفرقة الخوارج، فقد وصفهم بأنهم طائفة مارقة، وأنهم يتشددون في الدين في غير موضع التشدد، بل يمرقون منه بحيث يدخلون فيه ثم يخرجون منه سريعاً لم يتذمّر مسكوناً منه بشيء، كما اشتمل الحديث الأول في هذه الأحاديث الثلاثة أنهم يقاتلون أهل الـ

(1) البداية والنهاية (202/7).

(2) فرق معاصرة للعوادي (67/1)، خلافة على عبد الحميد ص 297.

(3) تراقيهم: جمع ترقّة وهي العظم بين ثغره والعنق، وهما ترقوتان من الجانبين.

(4) الرمية: الصيد الذي ترميه فتقصده وينفذ فيه سهمك، وفيه كل دابة مرمية.

(5) رصافة: يقال: رصف السهم إذا شدّه بالرصاف، وهو عقب يلوي على مدخل النصل فيه.

(6) يعني: من أسرعوا في الرمية، لم يعلق به شيء من الفرش والدم.

(7) البصّعة: القطعة من اللحم، النهاية في غريب الحديث (133/1).

(8) تدرّر: أي: ترجرج تجيئ وتذهب. النهاية في غريب الحديث (112/2).

(9) مسلم (743, 744/2).

(10) الفوقة: هي الحجر الذي يجعل فيه الوتر.

(11) مسلم (743, 744/2).

حق، وأن أهل الحق يقتلونهم، وأن فيهم رجالاً صفة يده كذا وكذا، وكل هذا وقع وحصل كما أخبر به ×، وفي قوله ×: «لا يجاوز تراقيهم» احتمالان:

1- يحتمل أنه لكونه لا نفقه قلوبهم، ويحملونه على غير المراد به.

2- يحتمل أن يكون المراد أن تلاوتهم لا ترتفع إلى الله⁽¹⁾.

ومن صفاتهم الذميمة التي ذمهم بها الرسول ×: أنهم ليس لهم من الإيمان إلا مجرد النطق به، وأنهم أصحاب عقول رديئة وضعيفة، وأنهم عندما يقرؤون القرآن يظنون لشدة ما بلغوا إليه من سوء الفهم أنه لهم وهو عليهم، فقد روى البخاري رحمة الله من حديث علي رضي الله عنه أنه قال: إذا حدثكم عن رسول الله × حديثاً، فوالله لإن آخر من السماء أحب إلى من أن أكذب عليه، وإذا حدثكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة، وإنني سمعت رسول الله × يقول: «سيخرج قوم في آخر الزمان⁽²⁾ أحداث الأسنان⁽³⁾، سفهاً الأحلام⁽⁴⁾ يقولون من خير قول البرية⁽⁵⁾ لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»⁽⁶⁾.

وفي هذين الحديثين ذم الخوارج بأنهم ليس لهم من الإيمان إلا مجرد النطق، فقد دل الحديث الأول على أنهم يؤمنون بالنطق لا بالقلب⁽⁷⁾. وأما هذا الحديث الذي هو حديث زيد بن وهب الجهنمي عن علي رضي الله عنه فقد أطلق الإيمان فيه على الصلاة، وكلما دل الحديثين على أن إيمانهم محصور في نطقهم وأنه لا يتجاوز حناجرهم، ولا تراقيهم، وهذا أبغض الدم وأقبحه لما وصف به⁽⁸⁾.

ومن الصفات القبيحة التي ذمهم بها ×: أنهم يمرقون من الدين لا يوفون للعودية إلى الله، وأنهم شر الخلق والخليقة، فقد روى مسلم رحمة الله من حديث أبي ذر رضي الله عنه ×، قال: «إن بعدي من أمتى - أو سيكون بعدي من أمتى - قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلاقيهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة»⁽⁹⁾. وروى من حديث أبي سعيد أن النبي × ذكر قوماً يكونون في أمتة يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحالق قال: «هم شر الخلق - أو من شر الخلق - يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق».

ومن صفاتهم التي ذموا بها على لسان رسول الله ×: أنهم من أبغض الخلق إلى الله، فقد جاء في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن أبي رافع مولى رسول الله × أن الحرورة لما خرجت وهو مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه قالوا: لا حكم إلا لله، قال علي رضي الله عنه: كلمة حق أريده بها باطل⁽¹⁰⁾، إن رسول الله × وصف ناساً إني لأعرف صفتهم وهؤلاء يقولون الحق بالسننهم لا يجوز هذا منهم - وأشار إلى حلقه - من أبغض

(1) فتح الباري (6/618) ما قاله القاضي عياض في شرح النووي (7/159).

(2) قال الحافظ ابن حجر: المراد بأخر الزمان خلافة النبوة فإن في حديث سفينة المخرج في السنة، وصحح ابن حيان وغيره مرفوعاً: «الخلافة بعدي تأثثون سنة ثم تصير ملكاً»، وكانت قصة الخوارج وقتلهم يوم النهروان في أخر خلافة علي سنة ثمان وتلاثين للهجرة، ففتح الباري (12/287).

(3) أحداث السنن: صغار السن، شرح النووي (7/169).

(4) بسفهاء الأحلام: ضعفاء العقول، فتح الباري (6/619).

(5) أي من القرآن كما في حديث أبي سعيد المقعدة يقرؤون القرآن.

(6) البخاري (2/281).

(7) فتح الباري (2/281).

(8) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (3/1183).

(9) مسلم (2/750).

(10) معناه: أن الكلمة أصلها صدق، قال تعالى: «إِنَّ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ» [يوسف: 140]، لكنهم أرادوا بها الإنكار على علي في تحكيمه، شرح النووي (7/173, 174).

ضن خلق الله إليه منهم أسود إحدى يديه ظبي شاه⁽¹⁾, أو حلمة ثدي, فلما قتلهم على رضي الله عنه, قال: انظروا فلم يجدوا شيئاً, فقال: ارجعوا فوالله ما كذبت ولا كذبت مرتي ن أو ثلاثة ثم وجدوه في خربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه, قال عبيد الله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم وقول علي فيهم⁽²⁾.

ومن صفاتهم القبيحة التي كانت ذمّاً لهم على لسان رسول الله ×: أنهم حرموا من معرفة الحق والاهتداء إليه⁽³⁾, فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أسميد بن عمرو عن سهل بن حنيف عن النبي × قال: «يتيمه قوم قبل المشرق محلقة رؤوسهم»⁽⁴⁾, قال النبوة: قوله ×: «يتيمه قوم قبل المشرق», أي: يذهبون عن الصواب, وعن طريق الحق, قال: تاه إذا ذهب ولم يهتد لطريق الحق والله أعلم⁽⁵⁾.

ومن الصفات المذمومة التي تلمسوا بها وأخبر النبي × أنها واقعة فيهم: أنهم يتدينون بقتل أهل الإسلام وترك عبدة الأوثان والصلبان⁽⁶⁾, فقد روى الشیخان في صححهما من حديث أبي سعيد الخدري قال: بعث علي رضي الله عنه وهو باليمين بذهبة في تربتها إلى رسول الله ×, فقسمها رسول الله × بين أربعة نفر... فجاء رجل كث اللحية مشرف الوجنتين⁽⁷⁾, ناتي الجبين⁽⁸⁾, مطلق الرأس, فقال: أتق الله يا محمد, فقال رسول الله ×: «من يطع الله إن عصيته, أيأمني على أهل الأرض ولا تأمنوني», قال: ثم أدى الرجل, فاستأذن رجل من القوم في قتله يرون أنه خالد بن الوليد رضي الله عنه, فقال رسول الله ×: «إن من ضئلي هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حنجرهم, يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان, يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية, لئن أدركتهم لأقتلهم قتل عاد»⁽⁹⁾.

وفي هذا معجزة بارهة للرسول × حيث وقع منهم ما أخبر به ×, فإنهم كانوا يسلون سيفهم على أهل الإسلام بالقتل, وكانوا يغدوونها عن الكفار من اليهود والنصارى⁽¹⁰⁾, كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى.

ومن الصفات القبيحة التي كانت ذمّاً وعاراً مشيناً للخوارج: أن الرسول × حرض على قتلهم إن هم ظهروا, وأخبر × أنه لو أدركهم لأبادهم بالقتل إبادة عاد وثمود, وأخبر × بأن من قتلهم له أجر عند الله تعالى يوم القيمة, وقد شرف الله رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب بمقاتلتهم وقتلهم, إذ أن ظهورهم كان في زمانه رضي الله عنه وأرضاه على وفق ما وصفهم به النبي × من العلامات الموجودة فيهم, فقد خرج رضي الله عنه إلى الخوارج بالجيش الذي كان هيأه للخروج إلى الشام, فأوقع بهم بالنهر والنهران, ولم ينج منهم إلا دون العشرة, كما سيأتي بيانه, ولم يقاتلهم حتى سفكوا الدم الحرام, وأغاروا على أموال المسلمين فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم, ولما أظهروه من الشر من أعمالهم وأقوالهم وحسبنا هنا من الأحاديث الواردة في ذم الخوارج ما تقدم ذكره, إذ الأحاديث الواردة في ذمهم كثيرة فلما يخلو منها كتاب من كتب السنة المطهرة⁽¹¹⁾. وسيأتي الحديث

(1) المراد: ضرع الشاة.

(2) مسلم (749/2).

(3) عقدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (1184/3).

(4) مسلم (750/2).

(5) شرح التنووي (175/7).

(6) عقدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (1184/3).

(7) شرف الوجنتين: أي يارز الجبين من النساء وهو الارتفاع.

(8) ناتي الجبين: أي يارز الجبين من النساء وهو الارتفاع.

(9) البخاري (232/2), ومسلم (741, 742/2).

(10) عقدة أهل السنة في الصحابة الكرام (1185/3).

(11) عقدة أهل السنة في الصحابة الكرام (118/3).

في الصفحات القادمة بإذن الله تعالى عن بداية انحيازهم إلى حررائهم، ومناظرة ابن عباس لهم، وحرص أمير المؤمنين علي على تبصيرهم وهدائهم، وعن أسباب معركة النهر روان والنتائج التي ترتبت عليها، وعن أصول الخوارج ومناقشة تلك الأصول، وهل الفك ر الخارجي لا زالت أفكاره موجودة بين الناس؟ وما أسباب ذلك؟ وكيفية معالجتها؟

ثالثاً: انحياز الخوارج إلى حررائهم ومناظرة ابن عباس لهم

انفصل الخوارج في جماعة كبيرة من جيش علي رضي الله عنه أثناء عودته من صفين إلى الكوفة، وقد عددها في روایة ببضعة عشر ألفاً، وحدد في روایة باثني عشر ألفاً⁽¹⁾، وفي روایة بثمانية آلاف⁽²⁾، وفي روایة بأنهم أربعة عشر ألفاً⁽³⁾، كما ذكر أنهم عشرون ألفاً⁽⁴⁾، وهذه الروایة التي تذكر أنهم عشرون ألفاً، قد جاءت بدون إسناد⁽⁵⁾، وقد انفصل هؤلاء عن الجيش قبل أن يصلوا إلى الكوفة بمراحل، وقد أفلق هذا التفرق أصداب على وهالهم، وسار على بمن بقي من جيشه على طاعته حتى دخل الكوفة، وانشغال أمير المؤمنين بأمر الخوارج خصوصاً بعد ما بلغه تنظيم جماعتهم من تعين أمير للصلة وأخر للقتال، وأن البيعة لله عز وجل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما يعني انفصالمهم فعلياً عن جماعة المسلمين.

وكان أمير المؤمنين علي حريصاً على إرجاعهم إلى جماعة المسلمين، فأرسل ابن عباس إليهم لمناظرتهم، وهذا ابن عباس يروي لنا الحادثة، فيقول:..... فخرجت إليهم ولد سنت أحسن ما يكون من حل اليمين، وترجملت، ودخلت عليهم في دار في نصف النهار، وكان ابن عباس رجلاً جميلاً جهيرًا، فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس، ما هذه الحلة؟ قال: ما تعبيون علي؟ لقد رأيت علي رسول الله أحسن ما يكون من الحل، ونزلت: + قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعَبْدَهِ وَالْأَطْيَبَاتِ مِنَ الرُّزْقِ. [الأع راف:32] قالوا: فما جاء بك؟ قال: قد أتيتكم من عند صاحبة النبي من المهاجرين والأنصار، من عند ابن عم النبي وصهره وعليهم نزل القرآن، فهم أعلم بتأنيله منكم، ولدي س فيكم منهم أحد لأبلغكم ما يقولون، وأبلغهم ما تقولون، فانتحدى لي نفر منهم، قلت: هاته واما نقمتم على أصحاب رسول الله وابن عمه، قالوا: ثالث، قلت: ما هن؟ قالوا: أما اصحابهن: فإنه حكم الرجال في أمر الله، وقال الله: +إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ+ ما شأن الرجال والحكم؟، قلت: هذه واحدة، وأما الثانية فإنه قاتل ولم يسب ولم يعتن، فإن كانوا كفارةً لقد حل سببهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حل سببهم ولا قاتلهم، قلت: هذه الشتان فما الثالثة؟، قالوا: محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، قلت: هل عندكم شيء غير هذا؟، قالوا: حسينا هذا، قلت لهم: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل شأنه وسنة نبيه ما يرد قولكم أترجعون؟، قالوا: نعم، قلت: أما قولكم: حكم الرجال في أمر الله، فإني أقرأ عليكم من كتاب الله أن قد صير الله حكمه إلى الرجال في ثم ن ربع درهم، فأمر الله تبارك وتعالى أن يحكموا فيه، أرأيتم قول الله تبارك وتعالى: +يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَدُوا لَا تَقْدِرُوا الصَّدِيدَ وَآدُمْ حَرَمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُّتَعَ مَدَا فَجَزَاءٌ مَّثُلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمَ يَحْكُمْ بِهِ دُوَّا عَدْلٌ مَّذْكُمْ+ [المائدة:95]، وكان من حكم الرجال، أنسدكم بالله أحكم الرجال في صلاح ذات البين، وحقن دمائهم أفضل أو في أربن؟ قالوا: بل، بل هذا أفضل، قلت: وفي المرأة وزوجها +

(1) تاريخ بغداد (160/1).

(2) البداية والنهاية (7/280-281).

(3) مصنف عبد الرزاق (10/157-160) بسنده صحيح، مجمع الزوائد (6/235).

(4) تاريخ خليفة، ص (192).

(5) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص 303.

وَإِنْ خَفْتُمْ شَقَاقَ بَيْنَهُمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِمَا " [النساء: 35]، فتشدtkم بالله حكم الرجال في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في بعض امرأة، أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، قلت: وأما قولكم: قاتل ولم يأسِبْ ولا م يغنم، أفتسبون أملك عائشة، تستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم؟، فإن قلت: أنا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم + الله ببي أوْلَى بِالْأَمْرِ مِنْنِي مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ " [الأحزاب: 6]، فأنتم بين ضلالتين فاتوا منها بمخرج، أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، فقال: وأما محا نفسه من أمير المؤمنين، فانا أتيكم بما تضررون، إن نبى الله × يوم الحديبية صالح المشركين، فقال لعلى: «اكتب يا علي ما صالح عليه محمد رسول الله»، قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، فقال رسول الله ×: «امح يا علي، اللهم إنك تعلم أني رسول الله، امح يا علي واكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله»، والله لرسول الله خير من علي، وقد محا نفسه، ولم يكن محوه نفسه ذلك محاه من النبوة، أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم، فقاتلوا على ضلالتهم، قتلهم المهاجرون والأنصار⁽¹⁾. ويمكننا أن نستخرج من مناظرة ابن عباس للخوارج مجموعة من الدروس والعبر والحكم منها:

1- حسن الاختيار لمن سوف يقوم بالمناظرة مع الخصم: فقد اختار أمير المؤمنين علي ابن عمه عبد الله بن عباس، وهو حبر الأمة وترجمان القرآن؛ لأن القوم كانوا يعرفون بالقراء ويعتمدون في الاستدلال على معتقدهم بالقرآن، لذا كان أولى الناس بمناظرته م من هو أدرى الناس بالقرآن وبتأويله، ويمكن القول بأن ابن عباس رضي الله عنه هو صاحب الاختصاص في هذه المناظرة، لما يتحلى به من إخلاص النية لله، واجتناب الهوى، والتحلي بالحلم والصبر، والتريث والترفق بالخصم، وحسن الاستماع لكل الخصوم، وتجنب المماراة، ووضوح الحجة وقوة الدليل.

2- الابتداء مع الخصم من نقاط الالقاب: فقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وخصوصه من الخوارج متقيين على الآخذ من كتاب الله وسنة نبيه محمد × وكذلك كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حيث قال لهم: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه × ما يرد قولكم أترجعون؟، ومع هذا فإن عبد الله بن عباس رضي الله عنه يستوثق منهم قبل بداية المناظرة.

3- معرفة ما عند الخصم من الحجج واستقصاؤها: والاستعداد لها قبل بداية المناظرة، ونتوقع أن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه علم بحججهم قبل مناظرتهم، وقرر لا صحابة كيفية الرد عليها.

4- تفنيد مزاعم الخصم واحدة تلو الأخرى: حتى لا يبقى لهم حجة كما يتضح من كلام ابن عباس رضي الله عنهما في مناظرته لهم كلما فرغ من تفنيد حجة قال: أخرجت من هذه؟.

5- التقديم للمناظرة بما يخدم نتيجتها لصالح الحق: فإن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال في بداية الأمر وقبل المناظرة: أتيتكم من عند أصحاب النبي × وصهره وعليه نزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم أحد منهم⁽²⁾.

(1) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، النسائي، تحقيق أحمد البلوشي، ص 200، إسناده حسن.

(2) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ص 197 إسناده حسن.

6- إظهار احترام رأي الخصم أثناء المناقضة: ليكون أدعى لسماع كل ما عنده، وأن يحمله على احترام رأيه، وهذا ما ظهر من مناظرة ابن عباس للخوارج⁽¹⁾،

7- وقد وفق الله عز وجل الآلاف من هؤلاء؛ إذ بلغ عدد من شهد معركة النهر وان
منهم أقل من أربعة الآلاف كما سيأتي بيانه باذن الله تعالى - وذلك عندما عرفوا الحق، و
زالت عنهم الشبهة بفضل الله، ثم بسبب ما أوتيه ابن عباس رضي الله عنهما من علم وف
رة وحجة وبيان، إذ وضح لهم بطلان ما احتجوا به، بتفسير الآيات التي تأولوها التفسير
الصحيح، وبالسُّنة النبوية المشرفة والتي توضح معاني القرآن الكريم⁽²⁾.

8- قول ابن عباس رضي الله عنهما: وليس فيكم منهم أحد: ⁽³⁾ هذا نص صريح من ابن عباس في كون الخوارج لا يوجد فيهم أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، ولم يعترض عليه أحد من الخوارج، والرواية صحيحة وثابتة، كما أنه لا يوجد أحد من علماء أهل السنة -على حد علمي- قال: إن الخوارج كان فيهم بعض أصحاب رسول الله ﷺ، وأمام الزعم أن الخوارج كان فيهم بعض الصحابة فذلك عند المذهب الخارجي، وليس لهم دليل على موثوق به على قولهم.

٩- تحديد المرجعية: في قول ابن عباس رضي الله عنهما: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل شأنه وسُنْنَة نبِيِّهِ × ما يرد قولكم أتُرجمون؟، قالوا: نعم.

ففي كلام ابن عباس هذا درس مهم، لأنّه تحديد المرجعية للمنتظرین حتى يمكن الوصول إلى نتيجة صحيحة من خلال المناظرة.

رابعاً: خروج أمير المؤمنين رضي الله عنه لمناظرة بقية الخوارج وسياسته في التعامل معهم بعد رجوعهم للكوفة ثم خروجهم من جديد

بعد مناظرة ابن عباس للخوارج واستجابة ألفين منهم له، خرج أمير المؤمنين علي بن نفسه إليهم فكلمهم فرجعوا ودخلوا الكوفة، إلا أن هذا الوفاق لم يستمر طويلاً، بسبب أن الخوارج فهموا من علي رضي الله عنه أنه رجع عن التحكيم وتاب من خطيبته حسب زعمهم- وصاروا يذيعون هذا الزعم بين الناس، فجاء الأشعث بن قيس الكندي إلى أمير المؤمنين، وقال له: إن الناس يتحدثون أنك رجعت لهم عن الكفر، خطب علي رضي الله عنه يوم الجمعة، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه ذكرهم ومبادرتهم الناس وأمرهم الذي فارق وله فيه⁽⁴⁾، وفي رواية: جاء رجل فقال: لا حكم إلا لله، ثم قام آخر فقال: لا حكم إلا لله، ثم قاموا نوادي المسجد يحكمون الله، فأشار عليهم بيده، اجلسوا، نعم لا حكم إلا لله، كلمة حق يبتغي بها باطل، حكم الله أنتظر فيكم⁽⁵⁾، وأخذ يسكنهم بالإشارة وهو على المنبر، فقام رجل منهم واضعاً إصبعيه في أذنيه ويقول: لَذِكْرِنَّ أَشْرَكْتُ لَدِيْهِ بَطْنَ عَمَلَكَ وَ لَذِكْرُنَّ مِنَ الْأَخْسَرِيْنَ "الزمر: 65"، فرد أمير المؤمنين علي بقوله تعالى: +فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفْنَكَ الظَّالِمُونَ لَا يُوقَنُونَ "الروم: 60".

وأعلن أمير المؤمنين علي سياساته الرشيدة العادلة تجاه هذه الجماعة المتطرفة، فقال لهم: إن لكم عندي ثلاثة:

١- لا نمنعكم صلاة في هذا المسجد.

(١) منهاج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، ص 339.

(2) خلافة علي بن أبي طالب في عبد الحميد ص 307.

⁽³⁾ خصائص علی بن ابی طالب للنسائی، ص 200، اسناد

(4) مصنف ابن أبي شيبة (15/312، 313)، صحيح الالباني في إرواء الغليل (8/118، 119).

(5) مذہب اے مخفف فی تاریخ الطبری، ص 452

(٥) مرويات أبي محف في تاريخ الطبرى، ص 452.

2- ولا نمنعكم نصيبيكم من هذا الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا.

3- ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا⁽¹⁾.

فقد سلم لهم أمير المؤمنين على بهذه الحقوق ما داموا لم يقاتلوا الخليفة، أو يخرجو على جماعة المسلمين، مع احتجاظهم بتصوراتهم الخاصة في إطار العقيدة الإسلامية، فهو لا يخرجهم بداية من الإسلام، وإنما يسلم لهم بحق الاختلاف دون أن يؤدي إلى الفرقه وحمل السلاح⁽²⁾. ولم يزج أمير المؤمنين بالخوارج في السجون أو يسلط عليهم الجوابيس، ولم يجر على حرياتهم، ولكن رضي الله عنه حرص على إيضاح الحجة وإظهار الحق لهم ولغيرهم ممن قد ينخدع بأرائهم ومظاهرهم، فقد أمر مؤذنه بأنه يدخل عليه القراء ولا يدخل أحد إلا قد حفظ القرآن، فامتلا الدار من قراء الناس، فدعا بمصحف إمام عظيم، فتفق يصكه بيديه ويقول: أيها المصحف حدث الناس، فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين ما تسائله عنه، إنما هو مداد من ورق، ونحن نتكلم بما وعيانا منه، فماذا تزيد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل + وإنْ خَفَّتْمُ شَقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَدُوهَا حَكِيمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكِيمًا مِنْ أَهْلِهِ إِنْ يَرِيدَا إِصْلَاحًا يُوْفِقَ اللَّهُ بِيَنْهُمَا [النساء: 35]. فألمة محمد أعظم دمًا وحرمة من امرأة ورجل، ونقوموا على أن كاتبت معاوية، فكتبت علي بن أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله بالحدبية حين صالح قومه قريشاً، فكتب رسول الله: «بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال سهيل: لا أكتب باسم الله الرحمن الرحيم، قال: «كيف تكتب؟» قال: اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله: «أكتب»، فكتبت، فقال: «أكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله»، فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك، فكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشاً، يقول الله في كتابه: + لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةٌ حَسَدَةٌ لَمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرُ»⁽³⁾ [الأحزاب: 21].

ولما أيقن الخوارج أن أمير المؤمنين عازم على إنفاذ أبي موسى الأشعري حكمًا، طلبوا منه الامتناع عن ذلك، فأبى على عليهم ذلك وبين لهم أن هذا يعد غدرًا ونقضًا لأنليمان والعقود، وقد كتبنا بيننا وبين القوم عهودًا، وقد قال تعالى: + وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدهَا وَقُدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا» [النحل: 91].

قرر الخوارج الانفصال عن أمير المؤمنين على وتعيين أمير عليهم، فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي، فخطبهم خطبة بلية زدهم في الدنيا ورغبهم في الآخرة والجنة، وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قال: فاخروا علينا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى جانب هذا السواد، إلى بعض كور الجبال أو بعض هذه المدائن منكرين لهذه الأحكام الجائرة، ثم قام حرقوص بن زهير فقال بعد حمد الله والثناء عليه: إن المتعاق بهذه الدنيا قليل، وإن الفراق لها وشيك، فلا تدعونكم زينتها أو بهجتها إلى مقام بها، ولا تلقيتكم عن طلب الحق وإنكار الظلم + إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْأَذْيَنَ اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مَحْسُدُونَ» [النحل: 128]. فقال حمزة بن سنان الأسيدي: يا قوم، إن الرأي ما رأيتم وإن الحق ما ذكرتم، فولوا أمركم رجالاً منكم، فإنه لأبد لكم من عماد وسنان، ومن رأية تحفون بها، وترجعون إليها. فبعثوا إلى زيد بن حصن الطائي سوكان من رؤ

(1) مصنف ابن أبي شيبة (15/328، 327)، والشافعي في الأم (136/4)، وتاريخ الطبرى (688/5) بحسب ضعيف للانقطاع على أن المسند شواهد وقد ثوب، قاله الالبانى في إرواء الغليل (117، 118/8).

(2) الوظيفة العقدية للدولة الإسلامية، حامد عبد الماجد، ص 47.

(3) مسند أحمد (656/2)، قال أحمد شاكر: صحيح الإسناد.

وسمهم- فعرضوا عليه الإمارة فأبى، ثم عرضوها على حرقوص بن زهير فأبى، وعرضوها على حمزة بن سنان فأبى، وعرضوها على شريح بن أبي أوفى العبيسي فأبى، وعرضوها على عبد الله بن وهب الراسبي فقبلها، وقال: أما والله لآقبلها رغبة في الدنيا، ولا أدعها فرقاً من الموت^(١).

وأجتمعوا أيضًا في بيت زيد بن حصن الطائي السنبي فخطبهم وحثّهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتلا عليهم آيات من القرآن منها قوله تعالى: **إِنَّمَا جَعَلْنَاكُمْ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَمَا كُمْ بِالْأَرْضِ إِلَّا تَدْرِي** [سورة البقرة: 120]، و**وَمَا يَرَى فِي أَيْضُلَكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَيْلَمُ عَذَابَ** [سورة العنكبوت: 20]، **بِشَدِيدٍ يَمْنَاسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ** [ص: 26]، قوله تعالى: **+ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** [المائدة: 44]، والأية التي بعدها: **+ وَمَنْ لَمْ يَحْدُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** [المائدة: 45]، والأية التي بعدها: **+ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** [المائدة: 47].

ثم قال: فأشهد على أهل دعوتنا من أهل قبلتنا، أنهم قد اتبعوا الهوى ونبذوا حكم الكتب
اب، وجاروا في القول والأعمال، وأن جهادهم حق على المؤمنين، وبكى رجل منهم يقا
ل له: عبد الله بن شجرة السلمي، ثم حرض أولئك على الخروج على الناس وقال في كلام
مه: اضربيوا وجوههم وجباههم بالسيوف حتى يطاع الرحمن الرحيم، فإن أنتم ظفرتم وأ
طبع الله كما أردتكم ثواب المطاعين له العاملين بأمره، وإن فشلتم فأي شيء أفضل
من المصير إلى رضوان الله وجنته⁽²⁾.

¹⁾ البداية والنهاية (312/7)، تاريخ الطبرى (689/5).

البداية والنهاية (2) (312/7)

وم القيامة، وذهب الباقون إلى ذلك الموضع ووافى بهم من كانوا يكتبون إليه من أهل الـ بصرة وغيرها، واجتمع الجميع بالنهر وان وصارت لهم شوكة ومنعة⁽¹⁾.

ولما تفرق الحكمان على غير رضا، كتب أمير المؤمنين علي إلى الخوارج وهم مجتمعون بالنهر وان أن الحكمين تفرقوا على غير رضا، فارجعوا إلى ما كنتم عليه وسيراوا بنا إلى قتال أهل الشام، فأبوا ذلك، وقالوا: حتى تشهد على نفسك بالكفر وتتوب، فأبى⁽²⁾. وفي رواية كتبوا إليه: أما بعد، فإنك لم تغصب لربك، إنما غضبت لنفسك فإن شهدت على نفسك بالكفر، واستقبلت التوبة، نظرنا فيما بيننا وبينك وإلا فقد ناذنك على سواء، إن الله لا يحب الخائبين، فلماقرأ كتابهم أيس منهم، فرأى أن يدعهم ويمضي بالناس إلى أهـ ل الشام حتى يلقاهم فيناجزهم⁽³⁾.

إن قضية إعلان الخوارج كـأُفـرـ عـلـيـ وـطـلـبـهـ مـنـهـ التـوـبـةـ لـاـ تـثـبـتـ بـهـذـهـ الرـوـاـيـاتـ،ـ وـلـكـ نـهـاـ تـنـقـعـ مـعـ رـأـيـ الـخـوارـجـ فـيـ تـكـفـيرـ عـلـيـ وـعـشـانـ وـامـتـحـانـ النـاسـ بـذـلـكـ⁽⁴⁾.

خامسًا: معركة النهر وان (38هـ)

1- سبب المعركة: كانت الشروط التي أخذها أمير المؤمنين علي على الخوارج أن لا يسفكون دمـاـ،ـ ولاـ يـرـوـعـواـ آـمـدـاـ،ـ وـلـاـ يـقـطـعـواـ سـبـيلـاـ،ـ وـإـذـ اـرـتـكـبـواـ هـذـهـ الـمـخـالـفـاتـ فـقـدـ بـذـ بـدـؤـوـ إـلـيـهـمـ الـحـرـبـ،ـ وـنـظـرـاـ لـأـنـ الـخـوارـجـ يـكـفـرـونـ مـنـ خـالـفـهـمـ وـيـسـتـبـحـونـ دـمـهـ وـمـالـهـ،ـ فـقـدـ بـذـ بـدـؤـوـ اـبـسـكـ الدـمـاءـ الـمـحـرـمـةـ فـيـ إـلـيـسـلـامـ،ـ وـقـدـ تـعـدـدـتـ الرـوـاـيـاتـ فـيـ اـرـتـكـابـهـمـ الـمـحـظـورـاتـ،ـ وـمـاـ صـحـ مـنـ هـذـهـ الرـوـاـيـاتـ مـاـ حـدـثـ بـهـ شـاهـدـ عـيـانـ كـانـ مـنـ الـخـوارـجـ ثـمـ تـرـكـهـمـ حـيـثـ قـالـ:ـ صـحـبـ أـصـحـابـ الـنـهـرـ،ـ ثـمـ كـرـهـتـ أـمـرـهـمـ،ـ فـكـتـمـهـ خـشـيـةـ أـنـ يـقـتـلـونـيـ،ـ فـبـيـنـاـ أـنـاـ مـعـ طـائـفةـ مـنـهـمـ،ـ إـذـ أـتـيـناـ عـلـيـ قـرـيـةـ وـبـيـنـاـ وـبـيـنـاـ قـرـيـةـ نـهـرـ،ـ إـذـ خـرـجـ رـجـلـ مـنـ الـقـرـيـةـ مـذـعـورـاـ يـجـرـ رـدـاءـهـ،ـ فـقـالـوـاـ لـهـ:ـ كـأـنـاـ رـوـعـنـاـ؟ـ قـالـ:ـ أـجـلـ،ـ قـالـوـاـ:ـ لـاـ رـوـعـ لـكـ،ـ فـقـلـتـ:ـ وـالـلـهـ يـعـرـفـونـهـ وـلـمـ أـعـرـفـهـ،ـ فـقـالـوـاـ:ـ أـنـتـ اـبـنـ خـيـابـ رـسـوـلـ اللـهـ؟ـ قـالـ:ـ نـعـمـ،ـ قـالـوـاـ:ـ عـذـكـ حـدـيـثـ تـحـدـثـ أـهـ عـنـ أـبـيـكـ عـنـ النـبـيـ؟ـ قـالـ:ـ سـمـعـتـهـ يـقـولـ:ـ إـنـهـ سـمـعـ النـبـيـ ذـكـرـ فـتـةـ قـالـ:ـ «ـالـقـاعـدـ فـيـ بـهـ خـيـرـ مـنـ الـقـائـمـ،ـ وـالـقـائـمـ فـيـهـ خـيـرـ مـنـ الـمـاشـيـ،ـ وـالـمـاشـيـ فـيـهـ خـيـرـ مـنـ السـاعـيـ،ـ فـإـنـ أـدـرـكـتـكـ فـكـنـ عـبـدـ اللـهـ الـمـقـتـولـ»ـ،ـ فـأـخـذـهـ وـسـرـيـّـهـ لـهـ مـعـهـ،ـ فـمـرـ بـعـضـهـ عـلـىـ ثـمـرـةـ سـاقـطـةـ مـنـ نـخـلـةـ،ـ فـأـخـذـهـ فـأـلـقـاـهـ فـيـ فـيـهـ،ـ فـقـالـ بـعـضـهـ:ـ ثـمـرـةـ مـعـاهـدـ فـيـمـ استـحـلـلـهـ؟ـ فـأـلـقـاـهـاـ مـنـ فـيـهـ ثـمـ مـرـواـ عـلـىـ خـنـزـيرـ فـنـفـحـهـ بـعـضـهـ بـسـيفـهـ فـقـالـ بـعـضـهـ:ـ خـنـزـيرـ مـعـاهـدـ فـيـمـ اـسـتـحـلـلـهـ؟ـ فـقـالـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ خـيـابـ:ـ أـلـاـ أـدـلـكـ عـلـىـ مـاـ هوـ أـعـظـمـ عـلـىـهـ حـرـمـةـ مـنـ هـذـاـ؟ـ قـالـوـاـ:ـ نـعـمـ،ـ قـالـ:ـ أـنـاـ،ـ وـلـكـنـهـ قـدـمـوـهـ إـلـىـ الـنـهـرـ فـضـرـبـوـاـ عـنـقـهـ،ـ يـقـولـ الـرـاوـيـ:ـ فـرـأـيـتـ دـمـهـ يـسـيلـ عـلـىـ الـمـاءـ،ـ كـمـ أـنـهـ شـرـاكـ نـعـلـ اـنـدـفـرـ بـالـمـاءـ حـتـىـ تـوـارـىـ عـنـهـ⁽⁵⁾ـ،ـ ثـمـ دـعـواـ بـالـسـرـيـةـ وـهـيـ حـبـلـ،ـ فـبـقـرـواـ عـمـاـ فـيـ بـطـنـهـ،ـ يـقـولـ الـرـاوـيـ:ـ لـمـ أـصـحـ قـوـمـاـ هـمـ أـبـعـضـ إـلـيـ صـحـبـةـ مـنـهـمـ،ـ حـتـىـ وـجـدـتـ خـلـوـةـ فـانـفـلـاتـ⁽⁶⁾ـ.ـ أـثـارـ هـذـاـ الـعـلـمـ الـرـاعـبـ بـيـنـ النـاسـ،ـ وـأـظـهـرـ مـدـىـ إـرـهـابـهـمـ بـيـقـرـ بـطـنـ هـذـهـ الـمـرـأـةـ وـذـبـحـهـمـ عـبـدـ اللـهـ كـمـ تـذـبـحـ الشـاةـ،ـ وـلـمـ يـكـتـفـواـ بـهـذـاـ بـلـ صـارـوـاـ يـهـدـدـونـ النـاسـ قـتـلـاـ،ـ حـتـىـ إـنـ بـعـضـهـمـ اـسـتـكـرـ عـلـيـهـمـ هـذـاـ الـعـلـمـ قـاتـلـينـ:ـ وـيـلـكـمـ مـاـ عـلـىـ هـذـاـ فـارـقـنـاـ عـلـيـاـ⁽⁷⁾ـ.

بالرغم من فضاعة ما ارتكبه الخوارج من منكرات بشعة، لم يبادر أمير المؤمنين عـلـ

(1) البداية والنهاية (7/312، 313).

(2) أنساب الأشراف (63/2) سند فيه ضعف وله شواهد.

(3) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص 319.

(4) المصدر نفسه، ص 318.

(5) أي لم يختلط بالماء، تاريخ بغداد (205، 206/1).

(6) مصنف ابن أبي شيبة (310، 311/15) سند صحيح.

(7) مجمع الزوائد (237، 238/6) إسناده صحيح.

ي إلى قتالهم، بل أرسل إليهم أن يسلموا القتلة لإقامة الحد عليهم، فأجابوه بعناد واستكبار: كلنا قتلة⁽¹⁾، فسار إليهم بجيشه الذي قد أعده لقتال أهل الشام في شهر محرم من عام 38هـ⁽²⁾، وعسكر على الضفة الغربية لنهر النهروان، والخوارج على الضفة الشرقية بذاء مدينة النهروان⁽³⁾.

2- تحريرض أمير المؤمنين على جيشه على القتال: كان أمير المؤمنين على رضي الله عنه يدرك أن هؤلاء القوم هم الخوارج الذين عناهم رسول الله × بالمرور من الدين، لذلك أخذ يحث أصحابه أثناء مسيرهم إليهم ويحرضهم على قتالهم، وكان لأحاديث رسول الله × في الخوارج أثرها لدى الصحابة وأتباع أمير المؤمنين على رضي الله عنه، فقد كان رضي الله عنه يحث جيشه على البدء بهؤلاء الخوارج، فقال: أيها الناس إني سمعت رسول الله ×: «يخرج قوم من أمتي يقررون القرآن، ليس قرائتم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتهم بشيء، ولا صيامهم بشيء، يقررون القرآن، يحبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم ترافيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية»، لو يعلم الجيش الذي يصيرون ما قضى لهم على لسان نبيهم × لاتكتروا عن العمل، وأية ذلك أن فيهم رجالاً لهم عضد وليس لهم ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الذي عليه شعرات بيض، فتدبرهون إلى معاوية وأهل الشام، وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم، والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الدماء⁽⁴⁾، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله⁽⁴⁾.

وقال رضي الله عنه في يوم النهروان: أمرت بقتل المارقين.. وهؤلاء المارقون⁽⁵⁾. وعسكر الجيش في مقابلة الخوارج يفصل بينهما نهر النهروان، وأمر جيشه أن لا يبدؤوا بالقتال، حتى يجتاز الخوارج النهر غرباً، وأرسل علي رضي الله عنه رسلاً ينشد هم الله ويأمرهم أن يرجعوا، وأرسل إليهم البراء بن عازب رضي الله عنه يدعوهم ثلاثة أيام فأبا⁽⁶⁾، ولم تزل رسلاً تختلف إليهم حتى قتلوا رسلاً، واجتازوا النهر⁽⁷⁾، وعندما بلغ الخوارج هذا الحد وقطعوا الأمل في كل محاولات الصلح وحفظ الدماء، ورفضوا عذاباً واستكباراً العودة إلى الحق وأصرروا على القتال، قام أمير المؤمنين بترتيب الجيش، وتهيئته للقتال⁽⁸⁾، فجعل على ميمنته حجر بن عدي، وعلى الميسرة سبعة شيش بن رباعي، ومعقل بن قيس الرياحي، وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري، وعلى الرجال أبا قتادة الأنصاري، وعلى أهل المدينة سوكانوا سبعمائة. قيس بن سعد بن عبادة، وأمر علي أبا أيوب الأنصارياً أن يرفع رأية أمان للخوارج ويقول لهم: من جاء إلى هذه الرأية فهو أمن، ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو أمن، إنه لا حاجة لنا فيكم إلا فممن قتل إخواننا، فانصرف منهم طائف كثيرون، وكانوا أربعة آلاف، فلم يبق منهم إلا ألف أو أقل مع عبد الله بن هب الراسبي، فرجعوا على عليٍّ وكان على ميمنته زيد بن حصن الطائي السنبيسي، وعلى الميسرة شريح بن أوفى، وعلى خيالتهم حمزة بن سنان، وعلى الرجال حرقوص بـ

(1) مصنف ابن أبي شيبة (309/15) بسنده صحيح.

(2) أنساب الأشراف (63/2) بسنده فيه مجہول، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص 322.

(3) تاريخ بغداد (205/1)، (206/1).

(4) مسلم (749)، (748).

(5) السنة لابن أبي عاصم، تحقيق الألباني رحمه الله.

(6) السنن الكبرى للبيهقي 197/8، خلافة علي، عبد الحميد ص 324.

(7) مصنف ابن أبي شيبة (327-325/15).

(8) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص 324.

ن زهير السعدي، فوقوا مقاتلين لعلي وأصحابه⁽¹⁾.

3- نشوب القتال: وزحف الخوارج إلى علي، وقدم علي بين يديه الخيل، وقدم منهم الرماة وصف الرجالية وراء الخيالة، وقال لأصحابه: كفوا عنهم حتى يبدأكم، وأقبلت الـ خوارج يقولون: لا حكم إلا لله، الرواح الرواح إلى الجنة، فحملوا على الخيالة الذين قدموا عليهم، ففرقواهم حتى أخذت طافنة من الخيالة إلى الميمنة، وأخرى إلى الميسرة فاستقبلتهـم الرماة بالنبل، فرموا وجوههم، واعطفت عليهم الخيالة من الميمنة والميسرة، وهضـ لهم الرجال بالرماح والسيوف، فأثأموا الخوارج فصاروا صر على تحت سنابك الخيول، وقتلـ أمراؤهم: عبد الله بن وهب، وحرقوص بن زهير، وشريح ابن أوفى، وعبد الله بن سخيرة السلمي⁽²⁾، وقال أبو أيوب: وطعنـ رجلاً من الخوارج بالرمح، فانفذـهـ من ظهرـهـ وقلـ لهـ: أبـسـرـ يا عدو اللهـ بالـنـارـ، فقالـ: سـتـلـمـ أـيـناـ أـوـلـىـ بـهـ صـلـيـاـ⁽³⁾.

وقد انتـلـ كثيرـ منـ الخوارجـ القـتـالـ لـكلـمةـ سـمعـوهاـ منـ عبدـ اللهـ بنـ وهـبـ الرـاسـبـيـ،ـ كانتـ تـدلـ عـنـهـ ضـعـفـ الـاستـبـصـارـ وـالـوهـنـ فـيـ الـيقـينـ،ـ وـهـذـهـ الـكلـمةـ قـالـهـاـ عـنـدـمـاـ ضـرـبـ عـلـيـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ رـجـلـ عـنـهـ رـجـلـ بـسـيفـهـ،ـ فـقـالـ الـخـارـجـيـ:ـ حـبـذـاـ الرـوـحـةـ إـلـىـ الـجـنـةـ،ـ فـقـالـ عـبـدـ اللهـ بنـ وهـبـ:ـ مـاـ أـدـرـيـ إـلـىـ الـجـنـةـ أـمـ إـلـىـ النـارـ⁽⁴⁾ـ،ـ فـقـالـ رـجـلـ مـنـ بـنـيـ سـعـدـ وـهـوـ فـروـةـ اـبـنـ نـوـفـ الـأـشـجـعـيـ:ـ إـنـمـاـ حـضـرـتـ اـغـتـارـاـ بـهـذـاـ وـأـرـاهـ قـدـ شـكـ؟ـ،ـ فـانـعـزـلـ بـجـمـعـةـ مـنـ أـصـحـابـهـ،ـ وـمـالـ أـلـفـ إـلـىـ أـبـيـ أـيـوبـ الـأـنـصـارـيـ،ـ وـجـعـلـ النـاسـ يـتـسلـلـونـ⁽⁵⁾ـ.ـ وـقـدـ كـانـ تـمـعـرـكـةـ حـاسـمـةـ وـقـصـيـرـةـ أـخـذـتـ وـقـدـنـاـ مـنـ الـيـوـمـ التـاسـعـ مـنـ شـهـرـ صـفـرـ مـنـ عـامـ ثـمـانـ وـثـلـاثـينـ لـلـهـرـةـ 38/2/9⁽⁶⁾ـ،ـ وـأـسـفـرـتـ هـذـهـ الـمـعـرـكـةـ الـخـاطـفـةـ عـنـ عـدـدـ كـبـيرـ مـنـ الـقـتـلـىـ فـيـ صـفـوفـ الـخـارـجـ،ـ وـكـانـ الـحـالـ عـلـيـ عـكـسـ ذـلـكـ تـمـامـاـ فـيـ جـيـشـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـيـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ،ـ فـقـتـلـ أـصـحـابـهـ عـلـيـ فـيـمـاـ رـوـاهـ مـسـلـمـ فـيـ صـحـيـحـهـ،ـ وـعـنـ زـيـدـ بنـ وهـبـ:ـ رـجـلـ نـقـطـ⁽⁷⁾ـ.ـ وـفـيـ روـاـيـةـ بـسـنـدـ حـسـنـ قـالـ:ـ وـقـتـلـ مـنـ أـصـحـابـهـ عـلـيـ اـثـنـ عـشـرـ أوـ ثـلـاثـةـ عـشـرـ⁽⁸⁾ـ.ـ وـجـاءـ فـيـ روـاـيـةـ صـحـيـحـةـ أـنـ أـبـاـ مـجـلـ⁽⁹⁾ـ قـالـ:ـ وـلـمـ يـقـتـلـ مـنـ الـمـسـلـمـيـنـ يـقـصـدـ جـيـشـ عـلـيـ إـلـاـ تـسـعـةـ رـهـطـ،ـ فـإـنـ شـئـتـ فـاذـهـبـ إـلـىـ أـبـيـ بـرـزـ⁽¹⁰⁾ـ،ـ فـأـسـأـلـهـ فـإـنـهـ قـدـ شـهـدـ ذـلـكـ⁽¹¹⁾ـ،ـ وـأـمـاـ قـتـلـ الـخـارـجـ،ـ فـتـذـكـرـ الـرـوـاـيـاتـ أـنـهـمـ أـصـبـيـوـاـ جـمـيـعـاـ⁽¹²⁾ـ،ـ وـيـذـكـرـ الـمـسـعـودـيـ أـنـ عـدـدـ أـيـسـيـرـاـ لـاـ يـتـجاـوزـ الـعـشـرـ،ـ فـرـواـ بـعـدـ الـهـزـيمـةـ السـاحـقةـ⁽¹³⁾ـ.

4- ذو الثدية أو المخدج وأثر مقتله على جيش علي رضي الله عنه: ظهرت روايات مختلفة في تحديد شخصية ذي الثدية، وهذه الرواية منها ما هو ضعيف الإسناد ومنها ما هو قوي، وقد جاء في الأحاديث النبوية أوصاف ذو الثدية، فمن ذلك أنه أسود البشرة⁽¹⁴⁾، وفي رواية حبشي، وأنه مخدج اليد، أي ناقص اليد، ويده صغيرة مجتمعة، فهو من المنكب إلى العضد فقط، أي بدون ذراع، وفي نهاية عصده مثل حلمة الثدي وعلي

(1) تاريخ الخليفة الراشدة، محمد كعنان، ص 425، مختصر من البداية والنهاية.

(2) تاريخ الخليفة الراشدة، ص 425.

(3) أخبار الخوارج من الكامل للمبرد، ص 21، خلافة علي، ص 325.

(4) المصدر نفسه، ص 21، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص 325.

(5) انساب الأشراف (63/2) (63/2) بسند فيه مجھول.

(6) مسلم (748/2).

(7) مصنف ابن أبي شيبة (311/5)، تاريخ خلافة ص 197 بسند حسن.

(8) لاحق بن عبد الأسلامي صاحب ثقة من الطبقات الثالثة.

(9) نصلة بن عبد الأسلامي صاحب مشهور بكتبه، مات سنة 65هـ.

(10) المعرفة والتاريخ (315/3)، تاريخ بغداد (182/1).

(11) أخبار الخوارج من الكامل ص 338.

(12) خلافة علي بن أبي طالب ص 329، تاريخ خليفة ص 197.

(13) مصنف عبد الرزاق (146/10).

ها شعيرات بيض، وعضده ليست ثابتة، كأنها بلا عظم إذ إنها تدرد أي تتحرك تذهب وتجيء، أما مخدج اليد، أو مودون اليد أو مثدون اليد، فكلها بمعنى واحد وهو ناقص اليد⁽¹⁾، وأما اسمه فقد أخطأه من قال أن ذا الثديه هو حرقوص بن زهير السعدي⁽²⁾، فحرقة وص رجل مشهور كان له دور في الفتوح الإسلامية، ثم خرج على عثمان رضي الله عنه، وقد فر إثر معركة الجمل الصغرى التي قتلت فيها الزبير وطلحة رضي الله عنهم فتلة عثمان بالبصرة، وقد صار حرقوص من زعماء الخوارج المميزين⁽³⁾، إلا أنه قد ورد في روایة أن اسمه (حرقوس) أما أبوه فلا يعرفه أحد، وجاء في روایة أن اسمه مالك، وذلك أنهم بحثوا عنه فلما وجده قال على: الله أكبر، لا ياتيكم أحد يخبركم من أبوه؟، فجعل الناس يقولون هذا مالك هذا مالك، فقال على: ابن من⁽⁴⁾؟ فلم يعرف أحد أيامه.

وقد ورد في رواية صححها الطبرى أن اسمه نافع ذو الثدية كما جاء عند ابن أبي شيبة وأبى داود، إلا أن طريقهما واحد، فـ*فيُعد* ما جاء في المصادر الثلاثة رواية واحدة ذات طريق واحد⁽⁵⁾، كان على رضي الله عنه يتحدث عن الخوارج منذ ابتداء بدعتهم، وكثيرًا ما كان يتعرض إلى ذكر ذي الثدية، وأنه عالمة هؤلاء، ويسرد أوصافه، وبعد نهاية المعركة الحاسمة أمر على رضي الله عنه أصحابه بالبحث عن جثة المخدج، لأن وجودها من الأدلة على أن عليًّا رضي الله عنه على حق وصواب، وبعد مدة من البحث مرت على عليٍّ وأصحابه وجده أمير المؤمنين على جماعة مكونة ببعضها على بعض عند شفيف النهر قال: أخر جوهم، فإذا المخدج تحتهم جميعًا مما يلي الأرض، فكير علىٍ ثم قال: صدق الله، وبلغ رسوله سجد سجود الشكر، وكبر الناس حين رأوه واستبشروا⁽⁶⁾.

5- معاملة أمير المؤمنين علي للخوارج: عامل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ا لخوارج قبل الحرب وبعدها معاملة المسلمين، فما أن انتهت المعركة حتى أصدر أمره ف ي جنده أن لا يتبعوا مدبراً، أو يذفروا على جريح، أو يُمثّلوا بقتيل. يقول شقيق بن سلمة المعروف بأبي وائل -أحد فقهاء التابعين ومن شهد مع علي حربه- لم يسب علي يوم الجمل ولا يوم النهر وان⁽⁷⁾، وقد حمل رثة أهل النهر إلى الكوفة وقال: من عرف شيئاً فل يأخذ فجعل الناس يأخذون حتى بقيت قدر فجاء رجل وأخذها، وهذه الرواية لها طرق ع دة⁽⁸⁾، ولم يقسم بين جنده إلا ما حمل عليه الخوارج في الحرب من السلاح والكراع فقط، وأمير المؤمنين علي رضي الله عنه لم يكفر الخوارج، إذ قبل الحرب حاول إرجاعهم إل ى الجماعة، وقد رجع كثير منهم، ووعظهم وخوفهم القتال، يقول ابن قدامة: وإنما كان ك ذلك لأن المقصود كفهم ودفع شرهم لا قتلهم، فإن أمكن لمجرد القول كان أولى من القتا ل، لما فيه من الضرر بالغريقين، وهذا يدل على أن الخوارج فرقة من المسلمين، كما قا ل بذلك كثير من العلماء⁽⁹⁾.

وكان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يسميهم الفاسقين، فعن مصعب بن سعد قال: سألت أبي عن هذه الآية: + قلْ هَلْ نُدْبِدُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يَحْسِنُونَ صَدْنَعًا

(١) *النهاية في غريب الحديث* (١٢، ١٣/١) فتح الباري (٢٩٤، ٢٩٥/١٢).

الملل والنحل (١١٥/١)
فتى النادم (٣٢٣/١٢)

(3) فتح الباري (12/292)، الإصابة (1/139)،
الفتح الذهاب، المسند، الإمام أحمد (23/55).

(4) الفتح الرباني على مسند الإمام أحمد (155/23)، بساند حسن، والبداية والنهاية (294، 295/7).

(5) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص 334.

(6) مصنف ابن أبي سيبة (317/15-319) بسنده صحيح.

⁷ السنن الكبرى للبيهقي (182/8) بسند صحيح.

فتح البارق (12/301-300)، نيل الأطاو (9)، الناخص الحبير (47/4).

(٩) فتح الباري (١٢٠٧/٣٠٠)، بيل الاوطار (٨/١٢)

[الكهف: 104، 103] أَهْمَ الْحَرُورِيَّةِ؟، قَالَ: لَا، هُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، أَمَا الْيَهُودُ فَكَذَبُوا بِمُحَمَّدٍ ×، وَأَمَا النَّصَارَى فَكَفَرُوا بِالْجَنَّةِ، وَقَالُوا: لَيْسَ فِيهَا طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ، وَلَكِنَ الْحَرُورِيَّةُ + وَمَا يُضْلِلُ بِهِ إِلَّا الْفَاسِدِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيقَاتِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصَّلَ وَيَفْسُدُونَ فِي الْأَرْضِ أَوْلَادُكُ هُمُ الْخَاسِرُونَ» [البقرة: 26، 27] وكان سعد يسميهما الفاسقين⁽¹⁾، وفي رواية عن سعد رضي الله عنه أنه قال لما سئل عنهم: «هم قوم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم»⁽²⁾.

وقد سُئلَ عَلَيْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَكْفَارُهُمْ؟ قَالَ: مِنَ الْكُفَّارِ فَرَوَا، فَقِيلَ: مَنَافِقُونَ؟، قَالَ: الْمَنَافِقُونَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا، قَيلَ: فَمَا هُمْ؟ قَالَ: قَوْمٌ بَغَوُا عَلَيْنَا فَقَاتَلُنَاهُمْ، وَفِي رَوَايَةٍ: قَوْمٌ بَغَوُا عَلَيْنَا فَقَسَرُنَا عَلَيْهِمْ، وَفِي رَوَايَةٍ: قَوْمٌ أَصَابَتْهُمْ فَتْتَةٌ فَعَمِلُوا فِيهَا وَصَمُوا⁽³⁾، كَمَا أَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَجْهَ نَصِيحةِ لِجِيَشِهِ وَلِلْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ بَعْدِهِ قَالَ: إِنَّ خَالِفَوْا إِمَامًا عَادِلًا فَقَاتَلُوْهُمْ، وَإِنْ خَالَفُوا إِمَامًا جَائِرًا فَلَا تَقْاتَلُوْهُمْ فَإِنْ لَهُمْ مَقْالًا⁽⁴⁾. وَالملحوظُ فِي قَاتَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلْخُوارِجِ وَقَاتَلَهُ فِي الْجَمْلِ وَصَفِينَ، أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَدَمَ وَحَزَنَ عَلَى قَاتَلِهِ فِي وَقْعَةِ الْجَمْلِ وَصَفِينَ، أَمَا فِي قَتْلِ اللَّهِ مَعِ الْخُوارِجِ فَكَانَ يَظْهَرُ الْفَرَحُ وَالسُّرُورُ لِقَاتَلِهِمْ، قَالَ ابْنُ تَمِيمَةَ: إِنَّ النَّصْ وَالْإِجْمَاعُ فَرَقٌ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا، فَإِنَّهُ قَاتَلَ الْخُوارِجَ بِنَصْرِ رَسُولِ اللَّهِ ×، وَفَرَحَ بِذَلِكَ، وَلَمْ يَنْازِعْهُ فِيهِ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَأَمَّا الْقَاتَلُ يَوْمَ صَفِينَ فَقَدْ ظَهَرَ مِنْهُ مَنْ كَرِهَتْهُ وَالْنَّدَمَ عَلَيْهِ مَا ظَهَرَ⁽⁵⁾.

سادسًا: من الآثار الفقهية من معارك أمير المؤمنين علي رضي الله عنه:

تمكَنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِغَزِيرِ عِلْمِهِ وَسُعَّةِ فَقْهِهِ أَنْ يَضْعِفَ قَوَاعِدَ وَأَحْكَامًا وَهِيَ ضَوَابطُ شَرْعِيَّةٍ فِي قَاتَلِ أَهْلِ الْبَغْيِ، ثُمَّ سَارَ أَهْلُ السَّنَةِ مِنْ أَئِمَّةِ الْعِلْمِ وَالْفَقِيمِ عَلَى سَيِّرَتِهِ فِي الْبَغَاءِ، وَاسْتَبَطُوا مِنْ هُدِيَّةِ الرَّاشِدِيِّ الْأَحْكَامِ وَالْقَوَاعِدِ الْفَقِيهِيَّةِ فِي هَذَا الشَّأنَ، حَتَّى قَالَ جَلَّ أَهْلُ الْعِلْمِ: لَوْلَا حَرَبٌ عَلَى لَمْنَ خَالِفَهُ لَمَا عَرَفَتِ السُّنْنَةُ فِي قَاتَلِ أَهْلِ الْقَبْلَةِ⁽⁶⁾، وَرَوَى هَذَا عَنْ عَلِيٍّ نَفْسَهُ فِي قَوْلِهِ: أَرَأَيْتُ لَوْ أَنِّي غَبَتْ عَنِ النَّاسِ، مِنْ كَانَ يَسِيرُ فِيهِمْ هَذِهِ السَّيِّرَةُ⁽⁷⁾؟، وَقَالَ الْأَحْنَفُ لَعْنِي: يَا عَلِيًّا إِنْ قَوْمًا بِالْبَصَرَةِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ إِنْ ظَهَرْتَ عَلَيْهِمْ غَدًا أَنْكَ تَقْتَلُ رِجَالَهُمْ وَتَسْبِي نِسَاءَهُمْ، قَالَ: مَا مَثَلِي يَخَافُ هَذَا مِنِّي، وَهُلْ يَحْلُ هَذَا إِلَّا مِنْ تَوْلِي وَكَفَرَ؟

وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ فَإِنْ قَاتَلَ أَهْلُ الْقَبْلَةِ يَخَافُ قَاتَلَ الْكُفَّارِ وَالْمُرْتَدِينَ مِنْ أَوْجَهِ مُتَعَدِّدَةٍ:

1- أَنْ يَقْصُدَ بِالْقَاتَلِ رَدْعَهُمْ وَلَا يَتَعَمَّدُ بِهِ قَاتَلَهُمْ، لِأَنَّ الْمَقْصُودَ رَدْهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ وَدَعْشَرَهُمْ لَا الْقَاتَلِ، بَيْنَمَا يَجُوزُ أَنْ يَتَعَمَّدَ قَاتَلُ الْمُشَرِّكِينَ وَالْمُرْتَدِينَ⁽⁸⁾.

2- إِذَا قَاتَلَ مَعَ الْبَغَاءِ عَبْدَ وَنِسَاءَ وَصَبِيَّانَ، فَحُكْمُهُمْ جَمِيعًا حُكْمُ الرَّجُلِ الْبَالِغِ الْحَرِّ، يُقَاتَلُونَ مُقْبَلِينَ وَيُتَرَكُونَ مُدْبِرِينَ؛ لِأَنَّ قَاتَلَهُمْ لَدْفَعَ أَذَاهُمْ بَيْنَمَا يَجُوزُ قَاتَلَ أَهْلِ الرَّدَّةِ وَالْكَ

(1) صحيح البخاري، فتح الباري (842/5).

(2) مصنف ابن أبي شيبة (324، 325/15).

(3) الاعتصام للشاطبي (62/1).

(4) مصنف عبد الرزاق (150/10).

(5) مصنف ابن أبي شيبة (332/15).

(6) فتح الباري (301/12).

(7) مجموع الفتاوى (516/28).

(8) التمهيد للباقلي، ص 229.

(9) تحقيق موافق الصحابة (295/2).

(10) مصنف عبد الرزاق (124/10).

(11) المغني (126-108/8).

فر مقبلين ومدبرين⁽¹⁾.

3- إذا ترك أهل البغي القتال إما بالرجوع إلى الطاعة، وإما بإلقاء السلاح، وإنما به زيمة، وإنما بالعجز لجراح أو مرض أو أسر، فإنه لا يجوز الإجهاز على جريحهم وقتل أسيرهم، وإن جاز الإجهاز على جرحى المشركين والمرتدین وقتل أسرائهم. فقد روی أن أبي شيبة في مصنفه عن علي رضي الله عنه أنه قال يوم الجمل: لا تتبعوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ومن ألقى سلاحه فهو آمن⁽²⁾، وفي رواية عبد الرزاق، أن علياً أمر مناديه فنادي يوم البصرة: لا يتبع مدبراً، ولا يذف على جريح، ولا يقتل أسير، ومن أغلق بابه أو ألقى سلاحه فهو آمن، ولم يأخذ من متابعهم شيئاً⁽³⁾. وقال علي يوم الجمل: لا تتبعوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيراً، وإياكم والنساء وإن شتمن أعراضكم وبسببن أمراءكم، فقد رأينا في الجاهلية وإن الرجل ليتناول المرأة بالجريدة أو الهراء فغير بها، هو وعقبه من بعده⁽⁴⁾. وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: شهدت صفين وكانوا لا يجهزون على جريح، ولا يقتلون موليداً، ولا يسلبون قتيلاً⁽⁵⁾.

4- يعتبر أحوال من في الأسر من البغاء، فمن أمنت رجته إلى القتال أطلق سراحه، ومن لم تؤمن منه الرجعة حبس إلى انجلاء الحرب ثم يُطلق، إذ لم يجز أن يحبس بعدها، وإن جاز أن يبقى الكافر في الأسر⁽⁶⁾.

5- أن لا يستعان لقتالهم بمشرك معاهد ولا ذمي، وإن جاز أن يستعان بهم على قتال أهل الردة وال الحرب⁽⁷⁾.

6- أن لا يهانهم إلى مدة ولا يوادعهم على مال، فإن هادنهم إلى مدة لم يلزمهم، فإن ضعف عن قتالهم انتظر بهم القوة عليهم، وإن وادعهم على مال بطلت المواعدة ونظر في المال، فإن كان من فيئهم وصدقاتهم لم يرده عليهم، وصرف الصدقات في أهلها والفي في مستحقه، وإن كان من خالص أموالهم لم يجز أن يملكونه، ووجب رده إليهم⁽⁸⁾، فإن على رضي الله عنه لم يستحل مال أهل الجمل.

7- إذا خرروا على الإمام بتأويل سائغ راسلهم، فإن ذكروا مظلمة أز الها عنهم، وإن ذكروا شبهة بيتها كما بين علي رضي الله عنهـ للخوارج شبههم، وعاد كثير منهم إلى صف الجماعة⁽⁹⁾، فإن رجعوا وإلا وجب قتالهم عليه وعلى المسلمين⁽¹⁰⁾.

8- إن لم يخرجوا عن المظاهره بطاعة الإمام ولم يتحيزوا بدار اعتزلوا فيها، وكانوا أفراداً تتالمهم القدرة ويسهل ضبطهم تُركوا ولم يحاربوا، وأجريت عليهم أحكام العدل فيما يجب عليه، ولهم من الحقوق والحدود⁽¹¹⁾.

9- لا يقاتل البغاء بما يعم اطلاقه كالنار والمنجنيق وغير ذلك، ولا تحرق عليهم المس اكن ولا يقطع عليهم النخل والأشجار، وإن جاز ذلك مع الكفار والمشركين، لأن دار الإ سلام تمنع ما فيها وإن بقى أهلها، إلا إذا دعت إلى ذلك الضرورة في حالة ما إذا تحصد

(1) المعني (110/8) الأحكام السلطانية ص 60.

(2) مصنف ابن أبي شيبة (15/236)، الفتن (13/57)، إسناده صحيح.

(3) مصنف عبد الرزاق (10/123، 124)، تحقيق موافق الصحابة (296/2).

(4) نصب الرأي (3/463)، تحقيق موافق الصحابة (297/2).

(5) المسند ر (2/155)، سنته صحيح ووافقه الذهبي.

(6) الأحكام السلطانية ص 60.

(7) المصدر نفسه ص 60، تحقيق موافق الصحابة في الفتنة (298/2).

(8) الأحكام السلطانية ص 60 للماوردي.

(9) السنن الكبرى للبيهقي (8/180).

(10) مجموع الفتاوى (4/450).

(11) الأحكام السلطانية، للماوردي، ص 58.

وا ولم ينهموا، لذلك جاز للإمام رميهم بالمنجنيق أو النار على قول الشافعي وأبي حنيفة⁽¹⁾

10- لا تجوز غنية أموالهم وسبى ذريتهم، لقول النبي ×: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه»⁽²⁾، وروى عن علي رضي الله عنه يوم الحمل قوله: من عرف شيئاً من ماله مع أحد فليأخذه⁽³⁾، وهذا من جملة ما نقم الخوارج عليه، فقالوا: إنه قاتل وإن لم يسب ولم يغنم، فإن حلت له دماءهم فقد حللت لهم أموالهم، وإن حرمت عليه أموالهم فقد حرمت عليه دمائهم، فقال ابن عباس رضي الله عنهما في مناظرته لهم: أقتبسون أمم؟ يعني عائشة رضي الله عنها - أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها؟، فإن قلت: ليست أموك كفراً، وإن قلت: إنها أموك واستحلتم سببها فقد كفراً⁽⁴⁾.

ويعقب ابن قدامة قاتلاً: ولأن قتال البغاء إنما هو لدفعهم وردهم إلى الحق لا لکفرهم، فلا يستباح منهم إلا ما حصل لضرورة الدفع كالصائل وقطع الطريق، وبقي حكم المآل والذرية على أصل العصمة⁽⁵⁾، والظاهر من المأثور عن علي رضي الله عنه جواز انتقام بسلامتهم، فقد روى ابن أبي شيبة عن أبي البخترى قال: لما انهزم أهل الجمل قال علي: لا تطلبوا من كان خارجاً من العسكر، وما كان من دابة أو سلاح فهو لكم⁽⁶⁾، وفي رواية أخرى قال: ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم⁽⁷⁾.

11- من قُتل من البغاء غسل وكفن وصلى عليه لأنهم مسلمون، على مذهب الشافعى وأصحاب الرأى⁽⁸⁾.

12- إذا لم يكن البغاء من أهل البدع فهم ليسوا فاسقين، وقتل الإمام وأهل العدل لهم إنما من جهة خطئهم في التأويل، وهم كالمحتجهين من الفقهاء في الأحكام، ومن شهد منه م قبلت شهادته إذا كان عدلاً، وهذا قول الشافعى، وأما الخوارج وأهل البدع إذا بغوا على الإمام فلا تقبل شهادتهم لأنهم فاسقون⁽⁹⁾.

13- يجوز للعادل قتل ذي رحمة الباغي لأنه قتله بحق، فأتبه إقامة الحد عليه مع راهية قصد ذلك⁽¹⁰⁾.

14- إذا غلب أهل البغاء بلداً فجبوا الخراج والزكاة وأقاموا الحدود لم يطالبوا بشيء مما جبوه إذا ظهر أهل العدل على ذلك البلد وظفروا بهم، فعندما ظهر علي رضي الله عنه على أهل البصرة بعد موقعة الجمل لم يطالبهم بشيء مما جبوه⁽¹¹⁾.

15- حكم وراثة الباغي من العامل: لا يرث باغ قتل عدلاً، ولا عامل قتل باغياً لقوله ×: «الفاتل لا يرث»⁽¹²⁾، وقال أبو حنيفة: أورث العامل من الباغي، ولا أورث الباغي من العامل، وقال أبو يوسف، أورث كلاً منهما من صاحبه لأنه متاؤل في قتله⁽¹³⁾، و

(1) المعني لابن قدامة (110/8).

(2) سنن الدارقطني (26/3) صحيحه الألباني في إرواء الغليل رقم (1459).

(3) المعني (15/8).

(4) السنن الكبرى للبيهقي (179/8)، خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص 197 إسناده حسن.

(5) تحقيق موافق الصحابة (300/2).

(6) مصنف ابن أبي شيبة (263/15).

(7) تاريخ الطبرى، نقلًا عن تحقيق موافق الصحابة (300/2).

(8) تحقيق موافق الصحابة (301/2).

(9) (4) المعني (118/8)، تحقيق موافق الصحابة (301/2).

(11) المعني (119/8)، تحقيق موافق الصحابة (302/2).

(12) سنن ابن ماجه، كتاب الثبات (883/2) صحيح سنن ابن ماجة رقم (2140).

(13) الأحكام السلطانية ص 61.

بهذا قال النووي⁽¹⁾.

16- إذا لم يكن دفع أهل البغي إلا بقتلهم جاز قتلهم، ولا شيء على من قتلهم من إثم ولا ضمان ولا كفاره؛ لأنه فعل ما أمر به وقتل من أجل الله **+فَقَاتِلُوا الَّذِي تَبْغِي** **هَذَيْ تَفْيِي إِلَيْ أَمْرِ اللَّهِ** [الحجارات: 9]، فإن المسلم إذا أربدت نفسه جاز له الدفع عنها بقتل من أرادها إذا كان لا يندفع بغير القتل، وكذلك ما أتلفه أهل العدل على أهل البغي حال الحرب من المال، فلا ضمان فيه⁽²⁾، وليس على أهل البغي بالمقابل ضمان ما أتلف فهو حال الحرب من نفس ولا مال في أصح الأقوال كما ذكر النووي⁽³⁾، ويبدل على ذلك ما روى الزهرى من إجماع الصحابة، أن لا يضمن الباغي إذا قتل العادل، قال: هاجت لفتة الأولى وأصحاب رسول الله × متوارون، وفيهم البدريون، فأجمعوا أنه لا يقاد أحد ولا يؤخذ مال أحد على تأويل القرآن⁽⁴⁾، وفي روایة عبد الرزاق: فإن الفتة الأولى ثارت وأصحاب رسول الله × من شهد بدرًا كثيراً، فاجتمع رأيهم على أن لا يقيموا على أحد حد حداً في فرج استحلوه بتأويل القرآن، ولا قصاص في دم استحلوه بتأويل القرآن، ولا يرد مال استحلوه بتأويل القرآن إلا أن يوجد شيء بعينه فيرد على صاحبه⁽⁵⁾.

سابعاً: من أهم صفات الخوارج

إن الباحث في تاريخ فرقه الخوارج يلاحظ عدة صفات اتصف بها أتباع هذه الفرقية منها:

1- الغلو في الدين: مما لا شك فيه أن الخوارج أهل طاعة وعبادة، فقد كانوا حريصين كل الحرث على التمسك بالدين وتطبيق أحكامه، والابتعاد عن جميع ما نهى عنه الإسلام، وكذلك التحرز التام عن الواقع في أي معصية أو خطيئة تخالف الإسلام، حتى أصبح ذلك سمة بارزة في هذه الطائفة لا يدانيهم في ذلك أحد، ولا أدل على ذلك من قول رسول الله ×: «يَقْرُؤُونَ الْقُرْآنَ لِيُسَ قَرَأْتُمُوهُ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامَكُمُ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ»⁽⁶⁾، وقال ابن عباس رضي الله عندهما يصفهم حينما دخل عليهم لمناظرتهم: دخلت على قوم لم أر قط أشد منهم اجتهاداً، جباهم قرحة من السجود وأيديهم كأنها ثفنثن⁽⁷⁾ الإبل، وعليهم قمح مرخصة⁽⁸⁾ مشرمين مسهمة وجوههم من السهر⁽⁹⁾. وعن جذب الأزدي قال: لما عدنا إلى الخوارج ونحن مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فانتهينا إلى معسكرهم، فإذا لهم دوي النحل من قراءة القرآن⁽¹⁰⁾، فقد كانوا أهل صيام وصلوة وتلاوة للقرآن، لكنهم تجاوزوا حد الاعتدال إلى درجة الغلو والتشدد، حيث قادهم هذا التشدد إلى مخالفة قواعد الإسلام بما تملئه عليهم عقولهم، كالقول بتکفير صاحب الكبيرة، وستائي مناقشة عقائدهم وأفكارهم باذن الله تعالى، ومنهم من بالغ في ذلك حتى على كل من ارتكب ذنبًا من الذنوب ولو كان صغيراً فإنه کافر مشرك مخلد في النار⁽¹¹⁾، وكان من نتيجة هذا التشدد الذي خرج بهم عن حدود الدين وأهدافه السامية، أن كفروا كل من لم ير رأيهم من المسلمين ورمواهم بالكفر أو النفاق، حتى إنهم استباحوا د

(1) شرح النووي على صحيح مسلم (170/7).

(2) المعني (112/8).

(3) شرح النووي على صحيح مسلم (170/7).

(4) السنن الكبرى للبيهقي (174/8) بسند صحيح، تحقيق موافق الصحابة (303/2).

(5) مصنف عبد الرزاق (121/10).

(6) مسلم، كتاب الزكاة، شرح النووي (171/7).

(7) التقى: جمع ثقنة: ركبة البعير وغيرها مما يجعل فيه غلط من أثر البروك.

(8) مرخصة: مغسلة، النهاية في غريب الحديث والأثر (208/2).

(9) ثلبيس إيليس، ص 91.

(10) المصدر نفسه، ص 93.

(11) الفصل لابن حزم (191/4)، الخوارج، ناصر السعودية ص 183.

ماء مخالفيهم⁽¹⁾, ومنهم من استباح قتل النساء والأطفال من مخالفيه, كالازارقة مثلاً⁽²⁾, ولاتشك أن الخوارج بما اتصفوا به من الجهل والتشدد والجفاء قد شوهو محسن الدين ا لإسلامي تشويهًا غريبًا, فإن هذا الإغراق في التأويل والاجتهاد أخر جهم عن روح الإسلام وجحده واعتداله, وهم في تعقهم قد سلوكوا طريقًا ما قال به محمد × ولا دعا إليه إلا قرآن الكريم, وأما التقوى التي كانوا يظهرون بها فهي من قبيل التقوى العميماء والصلاح الذي كانوا يتربصون به في الظاهر. كان ظاهر التأويل بادي الزخرفة, وقد طمعوا في الجنة وأرادوا السعي لها عن طريق التعمق والتشدد والغلو في الدين غلوًا آخر جهم عن الحد الصحيح⁽³⁾, ولذلك حذر النبي × من التعمق والتشدد في الدين لأنه مخالفة للاعتدال وسماحة الإسلام, وأخبر أن المتعطض مستحق للهلاك والخسران, فقد صح عنه × أنه قال: «هك المنتطعون»⁽⁴⁾ قالها ثلثة, وبهذا يتبيّن لنا شذوذ الخوارج, وكذلك من سار على منهجم المبني على التعسف والتشدد المخالف لسماحة الإسلام ويسره, فإن الإسلام دين اليسر والسماحة, فقد قال ×: «إن الدين يسر, ولن يُشد الدين أحد إلا خلبه, فسدوا وقا ربوا»⁽⁵⁾.

2- الجهل بالدين: إن من كبرى آفات الخوارج صفة الجهل بالكتاب والسنّة، وسوء

(١) الخوارج للسعوي، ص ١٨٣.

⁽²⁾ تلبيس إيليس، ص 95، *الخوارج للسعوي*، ص 184.

³ الخوارج للسعوي، ص 184.

(4) مسلم، كتاب العلم، شرح النووي (220/16).
 (5) النسفي، مختصر الأذان، ثنا عاصم، 83/1.

⁽⁵⁾ البخاري، كتاب الإيمان، شرح الباري (93/1).
⁽⁶⁾ خلاه، قل واعلم، فـ الدليل، جـ 1، هـ 111، حـ 120.

⁶ ظاهر الغلو في الدين، محمد عبد الحكيم ص 114.

⁷ الاعتصام (183, 184/2).
⁸ مصنف ابن أبي شيبة (312, 313/15) الآيات، فـ

(8) مصطفى ابن أبي سبيه (313/15)، الابناني في ص 93

(8) مصنف ابن أبي شيبة (15/312، 313)، الألباني في إرواء الغليل (118/119)، تلبيس إيليس

٩٣ ص

(9) الخوارج للسعوي ص 186.

¹⁰) تلبیس اپلیس ص 93 (285/12) ¹¹) فتن اول

فَتْحُ الْبَارِي (285/12) 11
الْبَارِي (12) 12

الخوارج للسعوي ص 187

سکوا بحبل وثيق منه، وكفى أن رأسهم رد على رسول الله × أمره ونسبة إلى الجور، سأله الله السلامـة⁽¹⁾، وقال عنـهم ابن تيمـية: هـم جهـال فارـقوـا السـنة والـجـمـاعـة عنـ جـهـل⁽²⁾. وبهـذا يتـبيـن أنـ الجـهـل كانـ منـ الصـفـات الـبارـزة فيـ تلكـ الطـائـفة التيـ هيـ إـحدـى الطـوـائفـ الـمـنـتـسـبةـ إـلـىـ إـلـاسـلـامـ، فالـجـهـل مـرـض عـضـالـ يـهـلـكـ صـاحـبـهـ منـ حـيـثـ لاـ يـشـعـرـ، بلـ قـدـ يـرـيدـ الـخـيـرـ فـيـقـعـ فـيـ ضـدـهـ⁽³⁾.

3- شـقـ عـصـاـ الطـاعـة: قالـ ابنـ تـيمـيةـ رـحـمـهـ اللهـ: فـهـؤـلـاءـ منـ ضـلـالـهـمـ اـعـتـقادـهـمـ فـيـ أـذـ مـةـ الـهـدـىـ وـجـمـاعـةـ الـمـسـلـمـينـ أـنـهـمـ خـارـجـونـ عـنـ العـدـلـ، وـأـنـهـمـ ضـالـلـونـ، وـهـذـا مـأـذـ الـخـارـجـ بـنـ عـنـ السـنـةـ مـنـ الرـافـضـةـ وـنـحـوـهـ، ثـمـ يـعـدـونـ مـاـ يـرـوـنـ أـنـهـ ظـلـمـ عـنـهـمـ كـفـرـاـ ثـمـ يـرـتـبـونـ عـلـىـ الـكـفـرـ أـحـكـامـاـ اـبـتـدـعـوـهـ⁽⁴⁾، هـذـا وـقـدـ شـقـواـ عـصـاـ الطـاعـةـ وـسـعـواـ فـيـ تـقـرـيـقـ كـلـمـةـ الـمـسـلـمـ بـنـ.

ويـوضـحـ ذـلـكـ مـوـقـعـهـ مـعـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـيـ، حـيـثـ تـخلـوـاـ عـنـهـ وـخـالـفـوهـ فـيـ أـحـرـ الـمـوـاقـعـ وـعـصـواـ أـمـرـهـ⁽⁵⁾، وـظـلـتـ تـلـكـ الصـفـةـ مـنـ صـفـاتـهـمـ عـلـىـ مـدارـ التـارـيخـ، كـلـ مـنـ خـالـفـهـ مـفـيـ أـمـرـ عـادـوـهـ وـنـبـدوـهـ حـتـىـ إـنـهـمـ تـقـرـقـواـ هـمـ أـنـفـسـهـمـ إـلـىـ عـدـةـ فـرـقـ يـكـفـرـ بـعـضـهـ بـعـضـاـ، وـلـذـلـكـ كـثـرـ فـيـهـمـ الـغـارـاتـ وـالـشـفـاقـ وـالـثـورـاتـ⁽⁶⁾.

4- التـكـفـيرـ بـالـذـنـوبـ وـاسـتـحـلـالـ دـمـاءـ الـمـسـلـمـينـ وـأـمـوـالـهـمـ: قالـ ابنـ تـيمـيةـ: وـالـفـرـقـ الثـانـيـ فـيـ الـخـوارـجـ وـأـهـلـ الـبـدـعـ، أـنـهـمـ يـكـفـرـونـ بـالـذـنـوبـ وـالـسـيـئـاتـ، وـيـتـرـبـ عـلـىـ تـكـفـيرـهـ بـالـذـنـوبـ اـسـتـحـلـالـ دـمـاءـ الـمـسـلـمـينـ وـأـمـوـالـهـمـ، وـأـنـ دـارـ الـإـسـلـامـ دـارـ حـربـ، وـدارـهـ هـيـ دـارـ الإـيمـانـ، وـكـذـلـكـ يـقـولـ جـمـهـورـ الـرـافـضـةـ.. فـهـذـا أـصـلـ الـبـدـعـ الـتـيـ ثـبـتـ بـنـصـ سـنـةـ الرـسـوـلـ ×ـ، وـإـجـمـاعـ السـلـفـ أـنـهـاـ بـدـعـةـ، وـهـوـ جـعـلـ الـعـفـوـ سـيـئـةـ، وـجـعـلـ السـيـئـةـ كـفـرـاـ⁽⁷⁾، وـقـدـ تـمـيـزـ الـخـوارـجـ بـأـرـاءـ خـاصـةـ فـارـقـوـاـ بـهـاـ جـمـاعـةـ الـمـسـلـمـينـ، وـرـأـوـهـاـ مـنـ الـدـيـنـ الـذـيـ لـاـ يـقـبـلـ اللهـ غـيرـهـ، وـمـنـ خـالـفـهـمـ فـيـهـاـ فـقـدـ خـرـجـ مـنـ الـدـيـنـ فـيـ زـعـمـهـ فـأـوـجـبـواـ الـبـرـاءـةـ مـنـهـ، بـلـ إـنـهـمـ مـنـ غـلـافـهـ ذـلـكـ، فـأـوـجـبـواـ قـتـالـ مـنـ خـالـفـهـمـ وـاسـتـحـلـالـ دـمـاءـهـمـ⁽⁸⁾.

فـمـنـ ذـلـكـ أـنـهـمـ قـتـلـواـ عـبـدـ اللهـ بـنـ خـيـابـ بـغـيرـ سـبـبـ غـيرـ أـنـهـ لـمـ يـوـافـقـهـمـ عـلـىـ رـأـيـهـ⁽⁹⁾، وـقـالـ ابنـ كـثـيرـ، فـجـعـلـوـاـ يـقـتـلـوـنـ النـسـاءـ وـالـوـلـدـانـ، وـيـبـقـرـوـنـ بـطـوـنـ الـحـبـالـيـ، وـيـفـعـلـوـاـ أـفـعـالـاـ لـمـ يـفـعـلـهـمـ غـيرـهـ⁽¹⁰⁾، قـالـ ابنـ تـيمـيةـ: وـكـانـتـ الـبـدـعـةـ الـأـوـلـىـ مـثـلـ بـدـعـةـ الـخـوارـجـ، إـنـمـاـ هـيـ مـنـ سـوـءـ فـهـمـهـمـ لـلـقـرـآنـ، لـمـ يـقـصـدـوـاـ مـعـارـضـتـهـ لـكـنـ فـهـمـوـاـ مـنـهـ مـاـ لـمـ يـدـلـ عـلـيـهـ، فـظـنـوـاـ أـنـهـ يـوـجـبـ تـكـفـيرـ أـرـبـابـ الـذـنـوبـ، إـذـ كـانـ الـمـؤـمـنـ هوـ الـبـرـ التـقـيـ، قـالـوـاـ: فـمـنـ لـمـ يـكـنـ بـرـاـ تـقـيـاـ فـهـوـ كـافـرـ وـهـوـ مـُـخـلـدـ فـيـ النـارـ، ثـمـ قـالـوـاـ: وـعـثـانـ وـعـلـيـ وـمـنـ وـالـاهـمـ لـيـسـوـ بـمـؤـمـنـيـنـ؛ لـأـنـهـمـ حـكـمـواـ بـغـيرـ مـاـ أـنـزـلـ اللهـ، فـكـانـتـ بـدـعـتـهـمـ لـهـاـ مـقـدـمـاتـ:

الأـلـىـ: أـنـ مـنـ خـالـفـ الـقـرـآنـ بـعـلـمـ أـوـ بـرـأـيـ أـخـطـأـ فـيـهـ فـهـوـ كـافـرـ.

وـالـثـانـيـ: أـنـ عـثـانـ وـعـلـيـاـ وـمـنـ وـالـاهـمـ كـانـوـاـ كـذـلـكـ، وـلـهـذـاـ يـجـبـ الـاحـتـراـزـ مـنـ تـكـفـيرـ

(1) فـتـحـ الـبـارـيـ (301/12).

(2) مـنـهـاجـ السـنـةـ (464/3).

(3) نـوـادـرـ الـأـصـوـلـ، مـحـمـدـ حـكـيمـ التـرـمـذـيـ، صـ 54ـ، الـخـوارـجـ لـلـسـعـوـيـ، صـ 188ـ.

(4) الـفـتـاوـىـ (497/28).

(5) الـخـوارـجـ لـلـسـعـوـيـ، صـ 191ـ.

(6) الـمـصـدـرـ نـفـسـهـ، صـ 192ـ.

(7) الـفـتـاوـىـ (73/19).

(8) مـنـهـاجـ السـنـةـ (62/3).

(9) الـفـرـقـ بـيـنـ الـفـرـقـ لـلـغـادـيـ، صـ 57ـ، الـخـوارـجـ لـلـسـعـوـيـ، صـ 191ـ.

(10) الـبـداـيـةـ وـالـنـهـاـيـةـ (294/3).

المؤمنين بالذنوب والخطايا، فإنها أول بدعة ظهرت في الإسلام فكفر أهلها المسلمين، واستحلوا دماءهم وأموالهم، وقد ثبت عن النبي × أحاديث صحيحة في ذمهم والأمر بقتالهم⁽¹⁾.

5- تجويزهم على النبي × ما لا يجوز في حقه «كالجور»: قال ابن تيمية: والخوارج جوزوا على الرسول × نفسه أن يجور ويضل في سُنته، ولم يوجروا طاعته ومتابعته، وإنما صدقوه فيما بلغه من القرآن دون ما شرعه من السُّنة التي تختلف بغير عمهم- ظاهر القرآن، وغالب أهل البدع والخوارج يتبعونهم في الحقيقة على هذا، فإنهم يرون أن الرسول لو قال بخلاف مقالتهم لما اتبوعوه.. وإنما يدفعون عن نفوسهم الحجة، إما برد النقل، وإما بتأويل المنقول، فيطعنون تارة في الإسناد، وتارة في المتن، وإلا فهم ليسوا متبعين ولا مؤتمرين بحقيقة السُّنة التي جاء بها الرسول ×، بل ولا بحقيقة القرآن⁽²⁾.

6- الطعن والتضليل: من أبرز صفات الخوارج الطعن في أئمة الهدى وتضليلهم والحكم عليهم بالخروج عن العدل والصواب، وقد تجلت هذه الصفة في موقف ذي الخويسرة مع رسول الهدى ×، حيث قال ذو الخويسرة: يا رسول الله أعدل⁽³⁾، فقد عدَ ذو الخويسرة نفسه أورع من رسول الله ×، وحكم على رسول الله × بالجور والخروج عن العدل في القسمة، وإن هذه الصفة قد لازمتهم عبر التاريخ، وقد كان لها أسوأ الأثر لما ترتب عليها من أحكام وأعمال⁽⁴⁾.

7- سوء الظن: هذه صفة أخرى للخوارج تجلت في حكم ذي الخويسرة الجھول على رسول الهدى × بعدم الأخلاق، حيث قال: والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله⁽⁵⁾، فهو الخويسرة الجھول لمارأى رسول الله × قد أعطى السادة الأغنياء، ولم يعط الفقراء، لم يحمل هذا التصرف على المحمل الحسن، وهذا شيء عجيب خصوصاً أن دواعيه كثيرة، فلو لم يكن إلا أن صاحب هذا التصرف هو رسول الهدى ×، لكونه داعياً إلى حسن الظن، ولكن ذي الخويسرة أبى ذلك، وأساء الظن لمرضه النفسي، وحاول أن يستر هذه العلة بستار العدل، وبذلك ضحك منه إيليس، واحتال عليه، فأوقعه في مصايده، فينبغي للمرء أن يراقب نفسه، وأن يدقق في دوافع سلوكه ومقاصده، وأن يحذر هواء، وأن يكون منتبهاً لحيل إيليس لأنه كثيراً ما يزيّن العمل السيء بخلاف حسن برأس، ويبير السلوك القبيح باسم مبادئ الحق، ومما يعين المرء على وقایة نفسه، والنجاة لها من حيل الشيطان ومصايده العلم، فذو الخويسرة لو كان عنده أثاره من علم، أو ذرة من فهم لما سقط في هذا المزلق⁽⁶⁾.

8- الشدة على المسلمين: عرف الخوارج بالغلظة والجفوة، وقد كانوا شديدي القسوة والعنف على المسلمين، وقد بلغت شدتهم حدًّا فظيعاً، فاستحلوا دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم فروعهم وقتلوا هم، أما أعداء الإسلام من أهل الأواثان وغيرهم فقد تركوهم ووادعواهم فلم يؤذوا هم، ولقد سجل التاريخ صحائف سوداء للخوارج في هذا السبيل⁽⁷⁾، وما قصة عبد الله بن خباب ومقتله عنا ببعيد، فمعاملة الخوارج للMuslimين مصحوبة بالقسوة

(1) الفتاوى (30,31/13).

(2) الفتاوى (73/19).

(3) البخاري، كتاب استتابة المرتدین، فتح الباري (290/12).

(4) ظاهرة الغلو في الدين، ص: 106.

(5) البخاري، كتاب استتابة المرتدین، فتح الباري، (290/12).

(6) ظاهرة الغلو في الدين، ص: 107.

(7) المصدر نفسه، ص: 110.

ة والشدة والعنف، وأما للكافرين، فلين موادعة ولطف⁽¹⁾، فقد وصف الشارع الشرعية بـ أنها سهلة سمحـة، وإنما ندب إلى الشدة على الكفار، وإلى الرأفة بالمؤمنين، فعكس ذلك الـ خوارج⁽²⁾، قال تعالى: +مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ+ رَهْمَاءُ بِيَدِهِمْ [الفتح: 29]، وقال تعالى: +يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَدُوا مَنْ يَرْتَدُ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَسُوفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقُوَّمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّهُمْ وَيَرْتَدُ لَمَّا مُؤْمِنِينَ أَعْزَّهُ عَلَى الْكُفَّارِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَنَّهُمْ+[المائدـة: 54] فالخوارج عكسوا الآيات، فأربـوا المسلمين وروعـهم⁽³⁾، هـ بعض الصفات التي اشتهر بها الخوارج.

أهم مظاهر الغلو في العصر الحديث:

إن مظاهر الغلو في العصر الحديث كثيرة منها:

1- التشدد في الدين على النفس والتعسـير على الآخرين: من مظاهر الغلو في هذا الـ عـصر الخروج عن منهج الاعتدال في الدين، الذي كان عليه النبي ﷺ، وقد حذر النبي ﷺ من ذلك في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «إن هذا الدـ دين يُسر، ولن يُشد الدين أحد إلا غـلبه»⁽⁴⁾، والتـشدد في الدين كثيراً ما ينشأ عن قلة الفقه في الدين، وهوـما من أبرز سمات الخوارج، أعني التـشدد في الدين وقلة الفقه، وأغلب الذين يـنزعون إلى خـصال الخوارج اليوم تـجدـفيـهمـهـاتـينـالـخـصـلـتـينـ⁽⁵⁾، ومن مظاهر الغـلـ وـالـتعـسـيرـ وـترـكـ التـيسـيرـ، فـأـصـحـابـ الغـلـ يـطـالـبـونـ الناسـ بـمـاـ لـيـطـيقـونـ، وـيـلـزـمـونـهـ بـمـاـ لـيـلـزـمـهـ بـهـ الشـرـعـ السـهـلـ، وـلـاـ يـرـاعـونـ قـدـرـانـهـ وـنـقاـوتـهـ، وـطـاقـاتـهـ وـاسـتـطـاعـتـهـ وـتـبـانـيهـ، وـأـفـهـامـهـ وـاخـتـلـافـهـ، فـيـخـاطـبـونـهـ بـمـاـ لـيـفـهـمـونـ، وـيـطـالـبـونـهـ بـمـاـ لـيـسـتـطـعـونـ. وـمـنـ أـ سـبـابـ التـعـسـيرـ الـورـعـ الـفـاسـدـ، وـالـجـهـلـ بـمـرـاتـ الـأـحـكـامـ، وـالـجـهـلـ بـمـرـاتـ النـاسـ، وـأـمـاـ مـجـاـلاتـهـ وـصـورـهـ وـأـشـكـالـهـ؛ إـيـجابـ النـظـرـ وـالـاسـتـدـلـالـ عـلـىـ الـجـمـيعـ، وـتـحـديثـ النـاسـ بـمـاـ لـيـعـرـفـونـ، وـتـرـكـ الرـخـصـ وـالـإـلـازـامـ بـمـاـ لـيـلـزـمـ بـهـ الشـرـعـ⁽⁶⁾.

2- التعـاليـ والـغـرـورـ وـمـاـ يـؤـديـ إـلـيـهـ منـ تـصـدرـ الأـحـدـاثـ: منـ السـمـاتـ الـبارـزةـ فيـ ظـهـرـ الغـلـوـ فيـ الـوقـتـ الـمـعاـصـرـ: الـتعـاليـ وـالـغـرـورـ، وـادـعـاءـ الـعـلـمـ فيـ حينـ أـنـكـ تـجـدـ أحـدـهـ لـاـ يـعـرـفـ بـدـهـيـاتـ الـعـلـمـ الـشـرـعـيـ، وـالـأـحـكـامـ وـقـوـادـعـ الـدـينـ، أوـ قـدـ يـكـونـ عـنـهـ عـلـمـ قـلـيلـ، بـلـاـ أـصـوـلـ وـلـاـ ضـوـابـطـ وـلـاـ فـقـهـ وـلـاـ رـأـيـ سـدـيدـ، وـيـظـنـ أـنـهـ بـعـلـمـ الـقـلـيلـ وـفـهـمـ الـسـقـيمـ قـدـ حـازـ عـلـومـ الـأـولـيـنـ وـالـأـخـرـيـنـ، فـيـسـتـقـلـ بـغـرـورـهـ عـلـمـ الـعـلـمـاءـ، وـيـقـعـ عـنـ مـوـاـصـلـةـ طـلـبـ الـعـلـمـ فـيـهـاـكـ بـغـرـورـهـ وـيـهـلـكـ، وـهـكـذـاـ كـانـ الـخـوارـجـ الـأـولـوـنـ يـدـعـونـ الـعـلـمـ وـالـاجـتـهـادـ، وـيـتـطـاـلـوـنـ عـلـىـ الـعـلـمـاءـ وـهـمـ مـنـ أـجـهـلـ النـاسـ⁽⁷⁾. وـأـدـىـ التـعـالـمـ وـالـغـرـورـ إـلـىـ تـصـدرـ حـدـثـاءـ الـأـسـنـانـ وـسـدـ فـهـاءـ الـأـحـلـامـ لـلـدـعـوـةـ بـلـاـ عـلـمـ وـلـاـ فـقـهـ، فـاتـخـذـ بـعـضـ النـاسـ مـنـهـمـ رـؤـوسـاـ جـهـالـاـ، فـأـفـتـواـ بـغـيـرـ عـلـمـ وـحـكـمـواـ فـيـ الـأـمـورـ بـلـاـ فـقـهـ، وـوـاجـهـواـ الـأـحـدـاثـ الـجـسـامـ بـلـاـ تـجـرـيـةـ وـلـاـ رـأـيـ، وـلـاـ رـجـوعـ إـلـىـ أـهـلـ الـعـلـمـ وـالـفـقـهـ وـالـتـجـرـبـةـ وـالـرـأـيـ، بلـ كـثـيرـ مـنـهـمـ يـسـتـقـصـ الـعـلـمـاءـ وـالـمـشـاـيخـ، وـلـاـ يـعـرـفـ لـهـمـ قـدـرـهـمـ، وـإـذـ أـفـتـىـ بـعـضـ الـمـشـاـيخـ عـلـىـ غـيـرـ هـوـاهـ وـمـذـهـبـهـ، أوـ بـخـلـافـ مـوـقـفـهـ أـخـذـ يـلـمـزـهـمـ إـمـاـ بـالـقـصـورـ أوـ التـقصـيرـ، أوـ الـجـنـ وـالـمـدـاهـنـةـ، أوـ بـالـسـذـاجـةـ وـقـلـةـ الـوـعـيـ وـالـ

(1) المصدر نفسه ص 111.

(2) فتح الباري (301/12).

(3) ظاهرة الغلو في الدين، ص 111.

(4) البخاري، كتاب الإيمان، فتح الباري (93/1).

(5) الخوارج، ناصر العقل ص 130.

(6) ظاهرة الغلو في الدين ص 249-241.

(7) الخوارج، ناصر العقل، ص 129.

دراك، ونحو ذلك مما يحصل بإشاعته الفرقة والفساد العظيم، وغرس الغل على العلماء والحط من قدرهم ومن اعتبارهم، وغير ذلك مما يعود على المسلمين بالضرر البالغ في دينهم ودنياهم⁽¹⁾.

3- الاستبداد بالرأي وتجهيل الآخرين: من أبرز معلم الغلو حديثاً التعصب للرأي، وعدم الاعتراف برأي الآخرين، وإنكار ما عندهم من الحق ما دام خالقه في الرأي، ومن الأسباب التي تولد التعصب للرأي والانحياز له، قلة العلم، مصادفة الرأي لذهن خال، الإعجاب بالرأي، اتباع الهوى.

إن آفة الإعجاب بالرأي والتعصب له هوت بأصحابها إلى دركات خطيرة، في أزمنة قبلينا، فما الذي هوى بذوي الخويسرة الجهول، يقول ابن الجوزي: وأفته أنه رضي برأي نفسه، ولو وقف لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله ×⁽²⁾، والذي هوى بأصحاب ذي الخويسرة هو إعجابهم برأيهم، وظن السوء في غيرهم، وكانت الخوارج تتبع، إلا أن اعتقادهم أنهم أعلم من علي رضي الله عنه وهذا مرض صعب⁽³⁾ أوقعهم في المهالك. إن هؤلاء المساكين وقعوا أسرى للأفاظ لم يحسنوا فهمها، ولم يستمعوا لمن يجيئها لهم، وفيهمهم إياها، لأن الصواب هو رأيهم وما عاده خطأ، يقول محمد أبو زهرة: أولئك أست ولت عليهم ألفاظ الإيمان، ولا حكم إلا الله، والتبرؤ من الظالمين، وباسمها أباحو دماء المسلمين وخضبوا البلاد الإسلامية بجميع الدماء وشنوا الغارة في كل مكان⁽⁴⁾. إن هذا التعصب المقيت قد صدهم عن الاستجابة للحق بعد وضوحيه، فقد ناطرهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ونظرهم ابن عباس رضي الله عنه وأزلاه أذارهم، ودحضا شباهتهم، وأقاموا عليهم الحجج الدامغة، وأفحماهم بالبراهمين الساطعة، فلم يستجب إلا بعضهم واندفع الكثير لاستباحة دماء المسلمين. إن التعصب للرأي وتجهيل الآخرين يتنافي مع مبادئ هامة في الإسلام كالشوري والتناصح.

4- الطعن في العلماء العاملين: يشهد عصرنا حملة غريبة وظاهرة عجيبة إلا وهي اعتداء على هيبة العلماء العاملين، وطعنهم بخاجر الزيف والضلال، ولقد شهدت الصحف والمجلات، والكتب والمقالات، وقاعات الدرس والحلقات نماذج كثيرة من تلك الحملات، فجلب على أمة الإسلام أبلغ الأضرار، فشتت الشمل المشتت، وفرق الجمع المفرق، وعمق الشق الغائر، ولا شك أن للطعن في العلماء أسباباً منها: التعلم بدون معلم، الفهم الخاطئ لبعض عبارات العلماء، واتباع الهوى، والحسد، وقد لجأ بعض الشباب إلى أسلوب سيء إلا وهو تتبع عورات العلماء وزلاتهم، وتصيد أقوالهم، وشواذ آرائهم، وتحريف كلمتهم عن مقاصودهم، فعلوا ذلك ليبرروا حملتهم الشعواء في الطعن على العلماء قديماً وحديثاً من يخالف آراءهم، ولا يقر مناهجهم الحائدة عن الاعتدال، ولقد كان فعلهم هذا وبالاً على الإسلام، وقرة عين لأعداء الإسلام منبني صهيون وعابدي الأواثان، وإن هذا المسلك المشين الذي يدل على جهل صاحبه أو مرضه وحقه، قد حذر منه العلماء لخطورته على المسلمين، وأنه تفيذ لمحظط أعداء الدين، وتحقيق لاغراضهم بلا تعب ولا نصب⁽⁵⁾، يقول ابن تيمية رحمه الله وهو ينهى عن روایة الأقوال الضعيفة عن الأئمة والعلماء: ومثل هذه المسألة الضعيفة، ليس لأحد أن يحكىها عن إمام من أئمة المسلمين لا على وجه القدر فيه، ولا على وجه المتابعة له فيها، فإن ذلك ضرب من الطعن في الأئمة واتباع الأقوال الضعيفة، وبمثل

(1) الخوارج، ناصر العقل، ص 129.

(2) ثلبيس إيلبيس، ص 90.

(3) المصدر نفسه ص 91.

(4) تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، ص 61.

(5) ظاهرة الغلو في الدين، ص 215-223.

ذلك صار وزير التتار يلقى الفتنة بين مذاهب أهل السنة حتى يدعوهم إلى الخروج عن الأمة والجماعة، ويوقعهم في مذهب الرافضة وأهل الإلحاد⁽¹⁾، إن الذين يطعنون في علماء الأمة العاملين يخدمون المخططات اليهودية والنصرانية والطاغوتية والاستخباراتية سواءً أشعروا بذلك أم لا، والذين لا يزلون يطعنون في علماء الأمة بفعلهم هذا يكثرون قد ابتعدوا عن منهج أهل السنة الجماعة الذي يقول: وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل⁽²⁾، ولعلم الذين يطعنون في علماء الأمة العاملين أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هنالك من نقاصهم معلومة، وما يدرى هذا المتعلم أن الاعتبار في الحكم على أشخاص يكثر الفضائل! قال ابن القيم رحمه الله: ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالحه وأثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكانته، قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور، بل مأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يتُّنفع فيها، ولا يجوز أن تهدى مكانته وإمامته في قلوب المسلمين⁽³⁾. فمن يبقى لأمة الإسلام إذا طُعن في علمائهم؟ سيبقى شباب أحداث، لا يحسنون التلاوة، ولا تستقيم لهم لغة، وليس لهم باع طويلة ولا قصيرة في كثير من علوم الشرع!⁽⁴⁾.

إن أسلوب الطعن في العلماء قرة عين لأعداء الإسلام؛ لأنه ينشئ جيلاً بلا قادة، و هلرأيتم جيلاً بلا قادة قد أفلح؟

إن أسوأ ما في الأمم السابقة علماؤهم وأحبارهم، فقد كثُر فيهم الضالعون المضللون، قال تعالى: **+يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّي كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ نَأْمَوْلَ الْذَّانِسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ** [التوبه: 34].

وأفضل ما في الإسلام علماؤه الربانيون العاملون، قال الشعبي: كل أمة علماؤها شرارها إلا المسلمين، فإن علماءها خيارها⁽⁵⁾، ووضح ذلك ابن تيمية فقال: وذلك أن كل أمة غير المسلمين فهم ضالون، وإنما يضلهم علماؤهم، فعلماؤهم شرارهم، والمسلمون على هدى وإنما يتبعين الهدى بعلمائهم، فعلماؤهم خيارهم⁽⁶⁾.

5- سوء الظن: لقد كثُر هذا المرض واستشرى ضرره في عصرنا، وكانت هذه الآفة أداة فتك وتدمر، ووسيلة هدم وتخريب، وقد ترتُّب عليها نتائج خطيرة، ومفاسد عظيمة، وهذه الآفة أسباب ودوافع منها: الجهل، فالجهل بتقهم حقيقة ما يرى وما يسمع وما يقرأ ومرمى ذلك، وعدم إدراك حكم الشرع الدقيق في هذه المواقف خصوصاً إذا كانت المواقف غريبة، تحتاج إلى فقه دقيق، ونظر بعيد، يجعل صاحبه يبادر إلى سوء الظن، والاتهام بالغيبة، والانتقاد من القرد، ومنها الهوى؛ وهو آفة الأفاقت، فيكتفي أن يرى المرء أو يقرأ أو يسمع ما لا يعجه، ولا يرضاه، ولا يوافق عليه ويستعليه.. يكتفي بذلك لأن يطلق للظن السيء الع الحال، ويرخي له العنان فيرتع ويصول ويحول، ولا يزن الأمور بميزان الشرع الدقيق، ولا يحاول أن يلتئم س المعاذير، ولا يراجع نفسه فضلاً عن أن يتهم فمه، فالهوى يصده عن ذلك، ومنها العجب والغرور، فإحسان المرء ظنه بنفسه، وغروره بفهمه، إن كان ذا فهم، وإعجابه برأيه يدفعه لأن يزكي نفسه ويحتقر غيره فهو الصواب والكل خطأ، وهو الحق والكل باطل، وهو الهدى والجميع ضلال، وقد رأينا أناساً بلغ بهم سوء الظن مبلغًا غريباً عجيباً، حتى أخرجوه جميعاً مع الناس عداهم، أحياء وأمواتاً، فرمواهم بالزيغ والضلالة، وفساد الاعتقاد، فالجميع في عقيدة

(1) الفتوى (32/37).

(2) شرح الطحاوية (2/740).

(3) أعلام المؤمنين (3/283).

(4) الفتوى (7/284).

(5) الفتوى (7/284).

ه دخن ودخل، وهم وحدهم المخلصون، الجميع هالكون وهم الناجون. إن الظن السيء آفة، وكل آفة أثارها الخطيرة، فمن آثارها السيئة سوء السيء لا يلد إلا سيئاً:

* أنه يدفع صاحبه ل تتبع العورات، والبحث عن الزلات، والتقويض عن السقطات، وهو بذلك يعرض نفسه لغضب الله وعقابه، لأن ذلك من صفات مرضى القلوب الذين توعدهم رسول الله ﷺ بالفضيحة فقال: «يا معاشر من آمن ببساطته ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تقتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته»⁽¹⁾.

* كما يدفع صاحبه إلى الغيبة، ونهش أعراض الآخرين، والتشفى فيهم.

* وأخيراً فالظن السيء يزرع الشقاق بين المسلمين، ويقطع حبال الأخوة، ويمزق وشائج المحبة، ويزرع العداء والبغضاء والشحنة.

ولما كانت هذه الأفة ذات خطورة عظيمة كما تبين، فقد كان موقف الإسلام حاسماً، وقد دعا وأمر باجتناب أكثر الظن، لأن الواقع والأحداث أثبتت أن الجري وراءه واتباعه عاقنته و خيمة وأضراره عظيمة⁽²⁾. قال تعالى: **إِنَّمَا أَيُّهَا الْذِينَ امْدُوا أَجْتِذَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنْ بَعْضَ الظَّنِّ إِلَّا مُثُمٌ** [الحرات: 12]. قال ابن كثير: يقول تعالى ناهيّاً عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو: التهمة والتخوّن للأهل والأقارب والناس في غير محله، لأن بعض ذلك يكون إثمًا محضًا، فليجتنب كثير منه احتباط⁽³⁾، ومما يدفع سوء الظن التماس العذر لأخيك، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ولا تظن بـ كلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً، وأنت تجد لها في الخير محملاً»⁽⁴⁾.

6- الشدة والعنف مع الآخرين: من مظاهر الغلو حديثاً الشدة والعنف في التعامل مع الآخرين واستخدامهما في غير محلهما، وكأن الأصل في التعامل مع الغير هو العنف والغلطة لا الرفق والرحمة، وهذه الشدة أصبحت هي الطابع الغالب على سلوك بعض الشباب، وقد تجاوز العنف حدود القول إلى العمل، فسفكت دماء بريئة بسببه ودمرت منشآت، ولقد تسبب هذا العنف في أضرار فادحة على أصحابه وعلى الأمة، وقد كانت هناك جملة أسباب رئيسية وراء استخدام بعض الشباب للعنف والشدة، والقسوة والغلطة، نستطيع أن نجملها فيما يلي:

- المحن: فكثير من هؤلاء الشباب تعرضوا لمحن شتى، أثرت في نفوسهم، وكان لذلك رد فعل شديد، فocabلوا العنف بالعنف، وغلب ذلك على طباعهم.

- الجهل بفقه الاحتساب: فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات التي كلف الله بها هذه الأمة، وينبغي للقائم بها أن يكون فقيهاً فيها ليتمكن من تحقيق المصلحة واجتناب المفسدة بأيسر طريق، فهناك أمور ينبغي فقهها والعلم بها لمن يؤدي هذا الواجب منها: أن هذا الواجب قد يؤدي تارة بالقلب، وتارة باللسان، وتارة باليد، والقلب واجب في كل حال، وبعض الناس قد يقع هنا في خطأ، فمنهم من يريد أن يأمر وينهى إما ببساطه وإما بيده مطلقاً، من غير فقه وحلم وصبر، ونظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح، وما يقدر عليه وما لا يقدر، فيأتي بالأمر والنهي معتقداً أنه مطбّع في ذلك الله ولر سوله، وهو معتقد في حدوده⁽⁵⁾، فلا بد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما، ولا بد من العلم بحال المأمور والمنهي، ومن الصلاح أن يأتي بالأمر والنهي بالصراط المستقيم

(1) مُسند أحمد 424-421/4

(2) ظاهرة الغلو في الدين ص 201-211.

(3) تقسيم ابن كثير (4/212).

(4) الفتاوى (8/127, 128).

م، وهو أقرب الطرق إلى حصول المقصود، ولابد في ذلك من الرفق ولابد أيضًا أن يك ون حليةً صبورًا على الأذى، فإنه لابد أن يحصل له أذى، فإن لم يحلم ويصبر كان يف سد أكثر مما يصلح، فلابد من هذه الثلاثة: العلم والرفق، والصبر، والعلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده، وإذا كان كل من الثلاثة مستصحبًا في هذه الأحوال. وقد ذكر الفاضي أبو يعلى: لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فيه فيما يأمر به، فقيهًا فيما ينهى عنه⁽¹⁾، تلك بعض أمور من فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قد أدى الجهل بها وعدم مراعاتها إلى سلوك سبيل الشدة والعنف في الدعوة.

* ولقد استخدم بعض الشباب أسلوب الغلطة والقسوة في إرشاد الناس ومحارتهم لهم، ودعوتهم لإقلال عهم بما يخالف الشرع، وظنوا أن طريق الشدة هي المجدية والرادع، وغاب عنهم أن أسلوب الرفق هو الأصل ولا يترك إلا بعد أن تستند وسائله، لأنه هو المجدي النافع، المؤثر في النفس، أما الشدة فإنها تضر في غالب الأحيان، وتحمل المخالفة على الإصرار، ومن العجب أن هؤلاء لم يفرقوا بين المخالف عن علم، والجاهل الذي لا يدرى، ولا بين الداعية للبدعة والضدية المضل المخدوع، ولا بين المنكر المخالف فيه والمتافق عليه، ومن الأسباب الغليظة التي يسلكها بعض هؤلاء: الخشونة في معاملة الوالدين، فلا يقيم لهما حرمة، ولا يعاونهما ولا يخدمهما، لقد نسي هؤلاء أن الوالدين لهما خصوصيات عن سائر الناس لاسيما في دعوتهما وإرشادهما، ولا يعني ذلك التنازل عن الالتزام والتمسك بأمر من أبو الدين أو ارتكاب معصية لرضاء لهواهما.. كلا... كلا إنما نريد الأدب في المعاملة، واللذين في القول وحسن العشرة، والصبر عليهم والشفقة والرحمة بهما، قال تعالى: +وَوَصَّيْنَا إِلَيْنَا إِذْ سَأَلْنَا بِمَوْلَاهُ أَمْهُ وَهَذِهِ عَلَى وَهُنْ وَفَصَدَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنَّ اشْكُرْ لِي وَلَوْ الدَّيْكَ إِلَيَّ الْمَصْبِرُ وَإِنْ جَاهَدَكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعِمُهُمَا وَصَاحِبِيهِمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَذَابَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَإِذْ بَئْنَكُمْ بِمَا كَنْتُمْ تَعْمَلُونَ" [لقان: 14-15].

ولقد رأينا بعض الشباب يتخاذل عن معاونة الناس الذين خلطوا عملاً صالحًا وأخلاق سيئة، فهو لاء في نظرهم لا يستحقون أي خدمة، ولا كلمة طيبة، ولا مساعدة نافعة، فهو لاء الشباب لم يتضح عندهم مفهوم الولاء والبراء وحدود كل منهم، فيطغى عندهم البراء على الولاء، ونسوا أن الخدمات الاجتماعية وسيلة ناجحة من وسائل الدعوة، لأنها عملية، فهي أبلغ تأثيراً في الناس من القول، نسوا أن خشونتهم في المعاملة وتخلיהם عن المساعدة يعمق الهوة بينهم، ويدرك بهؤلاء الناس إلى صوف المترفين أعداء الدين.

ومن مظاهر العنف البالغة ما يفعله بعض هؤلاء من مجاوزة الغلطة بالقول إلى القتل وسفك الدم، دم العلماء، أو الجنود الأبراء، أو المواطنين العزل، وأخيرًا فلا تعجب إذ أعلمت بعد ذلك أن أصحاب العنف هؤلاء، كثيراً ما انقلب بعضهم على بعض، وتطاولاً ت الألسنة وأحياناً الأيدي، وذلك ليس بغرير إذا رجع الإنسان قليلاً لدراسة أحوال الفرق التي تركت كتاب الله وسنة رسوله × ومنهج السلف الصالحة، فقد تناحرت تلك الفرق فيما بينها، وضللت بعضها بعضاً وكفرت بعضها بعضاً.

وهكذا مصير من ترك المنهج الذي جاء به خاتم الأنبياء صلوات الله عليه وسلم، إن الإسلام موقفه صريح من العنف والشدة في الدعوة ومعاملة الناس، قال تعالى أمرًا موسى وأخاه هارون: +اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِذْنَهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْزَانَا لَعْلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى" [طه: 43، 44]، تلك هي توجيهات ربنا عز وجل لموسى و

هارون عليهما السلام عند دعوة فرعون الطاغية، القول اللين في بيان الحق لأنّه أجدى وأقرب لقبول الذكري وإحداث الخشية، وقال سبحانه: **+وَلَا تَسْتَوِي الْحُسْنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالْأَرْتَى هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الدَّيْ بِيْدُكَ وَبِيْدِهِ عَدَاؤَهُ كَائِنٌ وَلَكِ حَمْيَمٌ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٌ** [فصلت: 34، 35].

إن الداعية قد يلقى في طريقه ما يغضبه ويضايقه، وهو لاقيه لا محالة، فلابد أن يبوطن نفسه على الصبر، ويحصنها بكظم الغيظ، والعفو عن الناس **+يَا بُنَيَ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكِ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأَمْوَارِ** [القمان: 17].

وبيني للداعية أن يتجنّب أسلوب الإثارة والاستفزاز، فيبتعد عن السباب والشتائم **+ وَلَا تَسْبِبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبِبُوا اللَّهَ عَدُوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ** [الأنعام: 108].

ولقد كثرت النصوص النبوية التي تؤكّد وترتكز على الالتزام بقاعدة الرفق، والبعد عن الشدة والعنف، قال **× «إِنَ الرَّفِقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يَنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»**⁽¹⁾.

والرفق: هو الأصل في الدعوة، ليس معنى ذلك إلغاء الشدة بالكلية، لا فالشدة لها م واضعها بعد استفاد وسائل الرفق والصبر، والموفق من وفقه الله لإنزال كل في منزلته، وعصمه من هواه⁽²⁾.

(1) مسند أحمد (362/4)
(2) ظاهرة الغلو في الدين، ص 231-237

المبحث الثاني

أمير المؤمنين علي وفكرة الشيعة

أولاً: الشيعة في اللغة والاصطلاح، والرفض في اللغة والاصطلاح

1- الشيعة في اللغة: شيعة الرجل: أتباعه وأنصاره، ويقال: شابيعه، كما يقال: والاه من الولي.. وتشيع الرجل أي: ادعى دعوى الشيعة، وتشييع القوم صاروا شيعاً، وكل قو م أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعضهم فهم شيع، قوله تعالى: **+كَمَا فَعَلَ بِإِشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلٍ** [سبأ: 54]. أي بأمثالهم من الأمم الماضية⁽¹⁾ وجاء في المصباح المنير: الشيعة الأتباع والأنصار، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، ثم صارت الشيعة نبرأ أي وصفاً. جماعة مخصوصة والجمع شيع مثل: سدرة وسدر، والأشياع جمع الجمع، وشييعت رمضان بست من شوال أتبعته بها⁽²⁾ فالشيعة من حيث مدلولها اللغوي تعني: الق ومال الصحب والأتباع والأعونان، وقد ورد هذا المعنى في بعض آيات القرآن الكريم كما في قوله تعالى: **+فَوْجِدُ فِيهَا رَجُلٌ يَقْتَلُ لَنْ هَذَا مَنْ شَيْعَتْهُ وَهَذَا مَنْ عَدُوُهْ** فاسْتَغْاثَهُ الَّذِي مِنْ شَيْعَتْهُ عَلَى الدَّيْرِ مِنْ عَدُوِهِ [القصص: 15]، قوله تعالى: **+وَإِنْ مَنْ شَيْعَتْهُ لَا بُرَّ أَهِيمْ** [الصفات: 83]، فلفظ الشيعة في الأولى: تعني القوم، وفي الثانية: تشير إلى الأتباع الذين يوافقون على الرأي والمنهج ويشاركون فيهم.

2- تعريف الشيعة في الاصطلاح: إن تعريف الشيعة مرتبط أساساً بأطوار نشأتهم، ومراحل التطور العقدي لهم، ذلك أن من الملحوظ أن عقائد الشيعة وأفكارها في تغير وتطور مستمر، فالتشييع في العصر الأول غير التشييع فيما بعد، ولهذا كان الصدر الأول لا يسمى شيعياً إلا من قدم عليه على عثمان⁽³⁾، ولذلك قيل: شيعي وعثماني، فالشيعي من قدم

علياً على عثمان، فعلى هذا يكون التعريف للشيعة في الصدر الأول: أنهم الذين يقدموه علياً على عثمان فقط⁽⁴⁾. ولهذا ذكر ابن تيمية: أن الشيعة الأولى الذين كانوا على عهد علي كانوا يفضلون أبي بكر وعمر⁽⁵⁾، وقد منع شريك بن عبد الله سوهو من يوصف بالتشييع -إطلاق اسم التشييع على من يفضل عليه على أبي بكر وعمر، وذلك لمخالفته لما توافر عن علي في ذلك.

والتشييع: يعني المناصرة والمتابعة لا المخالفة والمنابدة⁽⁶⁾، وروى ابن بطة عن شيخه المعروف بأبي العباس بن مسروق قال: حدثنا محمد بن حميد، حدثنا جرير، عن سفيان، عن عبد الله بن زياد بن جرير قال: قدم أبو إسحاق السبيعي الكوفة، فقال لنا شهر بن عطية: قوموا إليه، فجلسنا إليه، فتحدىنا، فقال أبو إسحاق: خرجت من الكوفة وليس أحد يشك في فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما، وقدمت الآن⁽⁷⁾ وهم يقولون: ولا والله ما أدرى ما يقولون. قال محب الدين الخطيب: هذا نص تاريخي عظيم في تحديد تطور التشييع، فإ

(1) الصحاح للجوهرى، ولسان العرب، مادة شيع.

(2) المصباح المنير: شيع.

(3) أصول الشيعة الإمامية (64/1).

(4) فتاوى ابن تيمية (153/3)، فتح الباري (34/7).

(5) منهاج السنة (60/2).

(6) أصول الشيعة الإمامية الائتمى عشرية (65/1).

(7) المنقى ص 360.

ن أبا إسحاق السبيسي كان شيخ الكوفة وعالمها⁽¹⁾, ولد في خلافة أمير المؤمنين عثمان فـ بل شهادته بثلاث سنين، وعمر حتى توفي سنة 127هـ، وكان طفلاً في خلافة أمير المؤمنين علي، وهو يقول عن نفسه: رفعني أبي حتى رأيت علي بن أبي طالب يخطب، أبي ضن الرأس واللحية، ولو عرفنا متى فارق الكوفة، ثم عاد فزارها، لتوصلنا إلى معرفة الـ زمن الذي كان فيه شيعة الكوفة يرون ما يراه إمامهم من تقضيل أبي بكر، وعمر، ومتى أخذوا يفارقون علياً ويختلفونه فيما كان يؤمن به، ويعلنـ على منبر الكوفة من أفضليـة أخـوـيهـ صاحـبـيـ رسولـ اللهـ ×ـ وزـيرـيهـ وخـلـفيـتهـ علىـ أمـتهـ فيـ أنـقـيـ وأـطـهـرـ أـزـمانـهاـ⁽²⁾ـ، وـ قـالـ لـيثـ بنـ أبيـ سـليمـ أـدرـكـ الشـيـعـةـ الـأـوـلـىـ وـمـاـ يـفـضـلـونـ عـلـىـ أـبـيـ بـكـرـ وـعـمـرـ أـحـدـ⁽³⁾ـ.

وذكر صاحب مختصر التحفة: إن الذين كانوا في وقت خلافة الأمير رضي الله عنه من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوه بإحسان، كلهم عرفوا له حقه، وأحلوه من الفضل محله، ولم ينقصوا أحداً من إخوانه أصحاب رسول الله × فضلاً عن إكفاره وبشهـ⁽⁴⁾ـ، ولكن لم يطل التشـيـعـ بـهـذاـ النـقـاءـ وـالـصـفـاءـ وـالـسـلـامـةـ وـالـسـمـوـ، بلـ إنـ مـبدأـ التـشـيـعـ تـغـيـرـ، فأـصـبـحـتـ الشـيـعـةـ شـيـعـاـ، وـصـارـ التـشـيـعـ قـنـاعـاـ يـتـسـتـرـ بـهـ كـلـ مـنـ أـرـادـ الـكـيدـ لـلـإـسـلـامـ وـالـمـسـلـمـ مـبـنـ مـنـ الـأـعـدـاءـ الـمـوـتـورـيـنـ الـحـاسـدـيـنـ...ـ وـلـهـذـاـ نـسـمـيـ الطـاعـنـينـ عـلـىـ الشـيـخـيـنـ الرـافـضـةـ، لأنـهـمـ لاـ يـسـتـحقـونـ وـصـفـ التـشـيـعـ⁽⁵⁾ـ، وـمـنـ عـرـفـ الـتـطـوـرـ الـعـقـدـيـ لـطـائـفةـ الشـيـعـةـ لـاـ يـسـتـغـرـ بـوـجـودـ طـائـفةـ مـنـ أـعـلـامـ الـمـحـدـثـيـنـ، وـغـيـرـ الـمـحـدـثـيـنـ مـنـ الـعـلـمـاءـ وـالـأـعـلـامـ أـطـلـقـ عـلـيـهـمـ لـقـبـ الشـيـعـةـ، وـقـدـ يـكـوـنـونـ مـنـ أـعـلـامـ السـدـةـ، لـأـنـ التـشـيـعـ فـيـ زـمـنـ السـلـفـ مـفـهـومـاـ وـتـعـرـيفـاـ غـيـرـ الـمـفـهـومـ وـالـتـعـرـيفـ الـمـتأـخـرـ لـلـشـيـعـةـ.ـ وـلـهـذـاـ قـالـ الـذـهـبـيـ فـيـ مـعـرـضـ الـحـدـيـثـ عـمـنـ رـمـيـ بـيـ بـدـعـةـ التـشـيـعـ:ـ إـنـ الـبـدـعـةـ عـلـىـ ضـرـبـيـنـ،ـ فـبـدـعـةـ صـغـرـىـ،ـ كـفـلـوـ التـشـيـعـ،ـ أوـ كـالـتـشـيـعـ بـلـاغـ لـوـ،ـ فـهـذـاـ كـثـيرـ فـيـ التـابـعـيـنـ،ـ وـأـتـابـعـهـمـ مـعـ الـدـيـنـ وـالـورـعـ وـالـصـدـقـ،ـ فـلـوـ رـدـ حـدـيـثـ هـؤـلـاءـ لـذـ هـبـ جـمـلةـ مـنـ الـأـثـارـ النـبـوـيـةـ،ـ وـهـذـهـ مـفـسـدـةـ بـيـنـةـ،ـ ثـمـ بـدـعـةـ كـبـرـىـ كـالـرـفـضـ الـكـامـلـ،ـ وـالـغـلـوـ فـيـهـ،ـ وـالـحـطـ منـ أـبـيـ بـكـرـ وـعـمـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ،ـ وـالـدـاعـاءـ إـلـىـ ذـلـكـ،ـ فـهـذـاـ النـوـعـ لـاـ يـحـتـجـ بـهـ مـوـلـاـ كـرـامـةـ أـيـضـاـ،ـ فـمـاـ أـسـتـحـضـرـ لـأـلـآنـ فـيـ هـذـاـ الضـرـبـ رـجـلـاـ صـادـقـاـ وـلـاـ مـأـمـونـاـ،ـ بـلـ الـ كـذـبـ شـعـارـهـ،ـ وـالـقـيـةـ وـالـنـفـاقـ دـثـارـهـ،ـ فـكـيـفـ يـقـبـلـ نـقـلـ مـنـ هـذـاـ حـالـهـ،ـ حـاشـاـ وـكـلـاـ،ـ فـالـشـيـعـ يـالـغـالـيـ فـيـ زـمـنـ السـلـفـ وـعـرـفـهـمـ هـوـ مـنـ تـكـلمـ فـيـ عـثـمـانـ وـالـزـبـيرـ،ـ وـطـلـاحـةـ وـمـعـاوـيـةـ،ـ وـ طـائـفةـ مـنـ حـارـبـ عـلـيـاـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ وـتـعـرـضـ لـسـبـهـمـ،ـ وـالـغـالـيـ فـيـ زـمـنـاـ وـعـرـفـهـاـ هـوـ الـ ذـيـ يـكـفـرـ هـؤـلـاءـ السـادـةـ وـيـتـبـرـأـ مـنـ الشـيـخـيـنـ فـهـذـاـ ضـالـ مـفـتـرـ⁽⁶⁾ـ،ـ إـذـنـ التـشـيـعـ درـجـاتـ،ـ وـأـطـ وـأـرـ،ـ وـمـرـاحـلـ،ـ كـمـ أـنـهـ فـرـقـ وـطـوـافـ،ـ وـقـبـلـ أـنـ نـدـعـ الـحـدـيـثـ حـولـ تـعـرـيفـ الـشـيـعـةـ نـشـرـ إـلـىـ أـنـهـ يـلـحظـ عـلـىـ تـعـرـيفـاتـ الشـيـعـةـ الـوـارـدـةـ فـيـ مـعـظـمـ كـتـبـ الـمـقـالـاتـ،ـ أـنـهـ دـأـبـتـ عـلـىـ القـوـ لـفـيـ التـعـرـيفـ لـلـشـيـعـةـ الـإـمـامـيـةـ بـأـنـهـمـ أـتـابـعـهـمـ عـلـيـ..ـ إـلـخـ.

وـهـذـاـ يـؤـديـ إـلـىـ نـتـيـجـةـ خـاطـئـةـ تـخـالـفـ إـجـمـاعـ الـأـمـمـ كـلـهاـ،ـ هـذـهـ النـتـيـجـةـ أـنـ يـكـوـنـ عـلـيـ شـعـيـاـ يـرـىـ مـاـ يـرـاهـ الشـيـعـةـ،ـ وـعـلـيـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ بـرـئـ مـاـ تـعـقـدـهـ الشـيـعـةـ فـيـهـ وـفـيـ بـنـيـهـ وـلـذـ لـكـ لـابـ منـ وـضـعـ قـيـدـ وـاحـتـراـزـ فـيـ تـعـرـيفـ رـفـعـاـ لـلـإـبـاهـ،ـ فـيـقـالـ:ـ هـمـ الـذـيـنـ يـزـعـمـونـ اـتـابـعـ عـلـيـ،ـ حـيـثـ إـنـهـ لـمـ يـتـبـعـاـ عـلـيـاـ عـلـىـ الـحـقـيـقـةـ،ـ وـلـيـسـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـىـ مـاـ يـعـتـقـدـونـ⁽⁷⁾ـ،ـ اوـ يـقـالـ:ـ بـأـنـهـمـ الـمـدـعـونـ التـشـيـعـ لـعـلـيـ،ـ اوـ الـرـافـضـةـ،ـ وـلـذـكـ عـبـرـ عـنـهـ بـعـضـ أـهـلـ الـعـلـمـ بـقـوـلـاـ

(1) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (63/8)، الخلاصة ص291.

(2) حاشية المنقى، ص 361، 360.

(3) المنقى، ص 360.

(4) مختصر التحفة الائتمي عشرية، ص 3.

(5) أصول الشيعة الإمامية الائتمي عشرية (1/67، 66).

(6) ميزان الاعتلال للذهبي (1/6، 6)، لسان الميزان (1/9، 10).

(7) أصول الشيعة الإمامية الائتمي عشرية (1/68).

هـ: الرافضة المنسوبون إلى شيعة علي⁽¹⁾, فهم أيضًا ليسوا على منهج شيعة علي المتبعد نـ لهـ، بل هـمـ أدـعـيـاءـ وـرـافـضـةـ⁽²⁾.

3- الرفض في اللغة هو: الترک، يقال رفضت الشيء: أي تركته⁽³⁾، فالرفض في اللغة معناه الترک والتخلي عن الشيء.

4- الرافضة في الاصطلاح هي: إحدى الفرق المنتسبة للتشيع لآل البيت، مع البراءة من أبي بكر وعمر وسائر أصحاب النبي × إلا القليل منهم، وتکفیرهم لهم وسبهم إياهم⁽⁴⁾, قال الإمام أحمد رحمـهـ اللهـ: الرافـضـةـ: هـمـ الـذـينـ يـتـبـرـوـنـ مـنـ أـصـحـابـ مـحـمـدـ رـسـوـلـ اللهـ × وـيـسـوـنـهـمـ وـيـنـتـصـوـنـهـمـ⁽⁵⁾. وقال عبد الله بن أحمد رـحـمـهـ اللهـ: سـأـلـتـ أـبـيـ عـنـ الرـاـفـضـةـ؟ـ قـالـ:ـ الـذـينـ يـشـتـمـوـنـ أـوـ يـسـبـوـنـ أـبـاـ بـكـرـ وـعـمـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـمـاـ⁽⁶⁾.

وقال أبو القاسم التيمي بقوام السنة في تعريفهم: **وـهـمـ الـذـينـ يـشـتـمـوـنـ أـبـاـ بـكـرـ وـعـمـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـمـاـ وـرـضـيـ اللهـ عـنـ مـحـبـبـهـمـ⁽⁷⁾**, وقد انفردت الرافضة من بين الفرق المنتسبة لـإسلام بمسية الشیخین أـبـيـ بـكـرـ وـعـمـ، دونـ غـيـرـهـاـ منـ الفـرـقـ الـأـخـرـىـ،ـ وـهـذـاـ مـنـ عـظـيمـ خـذـلـانـهـمـ،ـ قـاتـلـهـمـ اللهـ⁽⁸⁾.

يقول ابن تيمية رـحـمـهـ اللهـ: فأـبـوـ بـكـرـ وـعـمـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـمـاـ أـبـغـضـتـهـمـ الـرـافـضـةـ وـلـعـ نـتـهـمـاـ،ـ دـوـنـ غـيـرـهـمـ مـنـ الطـوـائـفـ⁽⁹⁾,ـ وـقـدـ جـاءـ فـيـ كـتـبـ الـرـافـضـةـ ماـ يـشـهـدـ لـهـذـاـ،ـ وـهـ جـاءـهـ مـ حـبـةـ الشـيـخـيـنـ وـتـوـلـيـهـمـ مـنـ عـدـهـمـاـ مـعـدـهـمـاـ فـيـ سـنـةـ أـحـدـىـ وـعـشـرـيـنـ وـمـائـةـ،ـ وـذـلـكـ بـعـدـ أـنـ أـظـهـرـوـاـ الـبـرـاءـةـ مـنـ النـوـاصـبـ،ـ فـقـدـ روـيـ الـدـرـازـيـ عـنـ مـحـمـدـ بـنـ عـلـيـ بـنـ مـوـسـيـ قـالـ:ـ كـتـبـتـ إـلـىـ عـلـيـ بـنـ مـحـمـدـ دـعـةـ السـلـامـ⁽¹⁰⁾ـ عـنـ النـاـصـبـ هـلـ يـحـتـاجـ فـيـ اـمـتـاحـانـهـ إـلـىـ أـكـثـرـ مـنـ تـقـدـيمـهـ الـجـبـ وـالـطـاغـ وـتـ⁽¹¹⁾ـ،ـ وـاعـتـقادـ إـمـامـهـمـ؟ـ فـرـجـعـ الـجـوابـ:ـ مـنـ كـانـ عـلـىـ هـذـاـ فـهـوـ نـاـصـبـ⁽¹²⁾.

5- سبب تسميتهم رافضة: يرى جمهور المحققين أن سبب إطلاق هذه التسمية على الرافضة، لرفضهم زيد بن علي وتقرّتهم عنه بعد أن كانوا في جيشه، حين خروجه على هشام بن عبد الملك، في سنة أحدي عشر وعشرين ومائة، وذلك بعد أن أظهروا البراءة من الشیخین فنهاهم عن ذلك. يقول أبو الحسن الأشعري: وما كان زيد بن علي يفضل علي ابن أبي طالب على سائر أصحاب رسول الله × ويتولى أبا بكر وعمر، ويرى الخروج على أئمة الجور، فلما ظهر في الكوفة في أصحابه الذين بايعوه سمع من بعضهم الطعن في أبي بكر وعمر، فأنكر ذلك على من سمعه منه ففرق عنه الذين بايعوه فقال لهم: رفضتوني⁽¹³⁾, فيقال: إنهم سموا رافضة لقول زيد لهم: رفضتوني، وبهذا القول قال قوام السنة⁽¹⁴⁾, والرازقي⁽¹⁵⁾, والشهرستاني⁽¹⁶⁾, وابن تيمية⁽¹⁷⁾ رـحـمـهـ اللهـ وـذـهـبـ الأـشـعـرـيـ فـ

(1) منهاج السنة (106/2).

(2) أصول الشيعة الإمامية الاثني عشرية (69/1).

(3)قاموس المحيط للفيروز باادي (332/2)، مقاييس اللغة (422/2).

(4) الانصار للصحابي والآل، ص 25.

(5) طفقات الحنابلة لأبي أيوب يعني (33/1).

(6) السنة للخلال رقم 777، وقال المحقق: إسناده صحيح.

(7) الحجة في بيان المحجة (478/2).

(8) الانصار للصحابي والآل، ص 26.

(9) مجموع الفتاوى (435/4).

(10) هو أحد الأئمة الاثني عشرية عند الإمامية، وفيات الأعيان (272/3).

(11) يعنون بهما: أبا بكر وعمر رـضـيـ اللهـ عـنـهـمـاـ،ـ عـنـ قـوـلـهـ تـعـالـيـ:ـ أـلـاـمـ تـرـ إـلـىـ الدـرـازـيـ (246/1).ـ وـهـوـ مـنـ الـكـذـبـ بـيـوـمـذـونـ بـالـجـبـ وـالـطـاغـ وـتـ

(12) المحسن النفسي لمحمد عصفور الدراري، ص 145.

(13) مقالات الإسلاميين (37/1).

(14) الحجة في بيان المحجة (478/2).

ي قول آخر: إلى أنهم سموا بالرافضة لرفضهم إمامية الشیخین، قال: وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامۃ أبي بکر وعمر⁽¹⁾.

6- رافضة اليوم: والرافضة اليوم يغضبون من هذه التسمية ولا يرضونها، ويرون أنها من الألقاب التي الصقها بهم مخالفوها، يقول محسن الأمين: الرافضة لقب ينبع به من يقدم عليه رضي الله عنه في الخلافة وأكثر ما يستعمل للتشفي والانتقام⁽²⁾، ولهذا يتسمون اليوم الشیعة، وقد اشتهروا بهذه التسمية عند العامة، وقد تأثر بذلك بعض الكتاب والمتقین، فنجد لهم بظلوهم عليهم هذه التسمية، وفي الحقيقة أن الشیعة مصطلح عام يشمل كل من شاع عليه رضي الله عنه⁽³⁾، وقد ذكر أصحاب الفرق والمقالات أنهم ثلاثة أصناف:

- أ- غالیة: وهم الذين غلوا في علی وادعوا فيه الإلهیة أو النبوة.
- ب- رافضة: وهم الذين يدعون النص على استخلاف علی، ويتبرؤون من الخلفاء قبله وعامة الصحابة.

ج- زیدیة: وهم أتباع زید بن علی، الذين كانوا يفضلون علیاً على سائر الصحابة ويتوّلون أبا بکر وعمر⁽⁴⁾. فاطلاق الشیعة على الرافضة من غير تقید لهذا المصطلح غير صحيح، لأن هذا المصطلح يدخل فيه الزیدیة⁽⁵⁾، وهم يتوّلون أبا بکر وعمر رضي الله عنهم، بل أن تسمیتهم بالشیعة يوهم التباسهم بالشیعة القدماء الذين كانوا في عهد علي رضي الله عنه ومن بعدهم، فإن هؤلاء مجتمعون على تقضیل الشیخین على علی رضي الله عنه، وإنما يرون تقضیل علی على عثمان، وهؤلاء كان فيهم كثير من أهل العلم ومن هو منسوب إلى الخیر والفضل، ويقول ابن تیمیة رحمه الله: ولهذا كان الشیعة المتقدمون الذين صحبو علیاً، أو كانوا في ذلك الزمان، لم يتنازعوا في تقضیل أبی بکر وعمر، وإنما كان نزاعهم في تقضیل علی وعثمان⁽⁶⁾، ولذا فإن تسمیة «الرافضة» بالشیعة من الأخطاء البينة الواضحة التي وقع فيها بعض المعاصرین، تقیداً للرافضة في سعيهم للتخلص من هذا الاسم لما رأوا من كثرة ذم السلف لهم، ومقتهم لایاهم، فأرادوا التخلص من ذلك الاسم تمويحاً وتذریساً على من لا يعرفهم بالانتساب إلى الشیعة على وجه العموم، فكان من آثار ذلك ما وقع فيه بعض الطلبة المبتدئين منن لا يعرفوا حقيقة المصطلحات من الخلط الكبير بين أحكام الرافضة وأحكام الشیعة، لما تقرر عندهم إطلاق مصطلح الشیع على الرافضة، فظنوا أن ما ورد في کلام أهل العلم المتقدمين في حق الشیعة أنه ينزل على الرافضة في حين أن أهل العلم يفرغون بينهما في كافة أحكامهم⁽⁷⁾، وعليه فإن من الواجب أن يسمى هؤلاء الروافض بمسماهم الحقیقی الذي اصطلاح عليه أهل العلم وعدم تسمیتهم بالشیعة على وجه الإطلاق، لما في ذلك من اللبس والإبهام، وإذا ما أطلق عليهم مصطلح «التشیع»، فينبغي أن يقيّد بما يدل عليهم خاصة، لأن يقال «الشیعة الإمامیة»، أو «الشیعة الانثی عشریة» على ما جرت بذلك عادة العلماء عند ذکرهم⁽⁸⁾، والله

(15) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص 52.
(16) الملل والنحل (155/1).

(17) منهاج السنة (8/1) مجموع الفتاوى (36/13).

(1) مقالات الإسلاميين (1/89).

(2) أعيان الشیعة (20/1).

(3) مقالات الإسلاميين (1/65)، الملل والنحل للشهرستاني (144/1).

(4) المصدر نفسه (137/1)، (661، 88، 137)، المصدر نفسه (25/1).

(5) الانتصار للصحاب والآل، ص 29.

(6) منهاج السنة (13/1).

(7) الانتصار للصحاب والآل، ص 30.

(8) المصدر نفسه، ص 32.

تعالى أعلم.

ثانيًا: نشأة الشيعة الراضةة وبيان دور اليهود في نشأتهم

أول ما دعا إلى أصول عقائد الشيعة الراضةة التي انبنت عليها عقائدهم الأخرى: رجل يهودي اسمه عبد الله بن سباً من يهود اليمن، أسلم في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأخذ يتقلّل بين أمصار المسلمين للدعوة لهذا المعتقد الفاسد، وهذا نص ما ذكره الطبرى في تاريخه قال: كان عبد الله بن سباً يهوديًّا من أهل صنعاء أمه سوداء فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فآخر جوه حتى أتى مصر فاعتبر فيها، فقال لهم فيما يقول: العجب منمن يزعم أن عيسى يرجع، ويكتب بأنَّ محمدًا يرجع وقد قال الله: +إِنَّ الدَّيْرَ فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْقُرْآنَ لِرَادِكُمْ إِلَيْ مَعَادِ+ [القصص: 85]، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى، قال: قبل ذلك عنه، ووضّح لهم ارجعوا فتكلموا فيها ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألفنبي وكلنبي ووصي، وكان علي وصي محمد، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلى خاتم الأوصياء، ثم قال لهم بعد ذلك: من أظلم من لم يجز وصية رسول الله × وواثب على وصي رسول الله × وتناول أمر الأمّة، ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله × فانهضوا فإذا الأمر فحرکوه، وابدووا الطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعرفة والنهي عن المنكر، تستمیلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر، فبث دعاته وكاتب من كان استقسده في الأمصار وكتابوه، ودعوه في السر إلى ما عليه رأيهم⁽¹⁾.

وهكذا كانت بداية الرفض، وما زالت تلك العقائد التي دعا إليها ابن سباً تسير في نفس أناس من أهل الزبغ والضلال، وتنشر بها قلوبهم وعقولهم حتى كان من ثمارها مقتل الخليفة الراشد ذي التورين عثمان بن عفان رضي الله عنه على يد هذه الشرذمة الفاسدة، حتى إذا ما جاء عبد الله بن أبي طالب بدأت تلك العقائد تظهر إلى الوجود أكثر من ذي قبل، إلى أن بلغت عليه رضي الله عنه فأنكرها أشد ما يكون الإنكار وتبرأ منها ومن أهلها، وما صبح في ذلك عن علي رضي الله عنه ما رواه ابن عساكر عن عمار الذهني قال: سمعت أبي الطفيلي يقول: رأيت المسيب بن لجبة أتى به ملبيه يعني ابن السوداء - وعلّى المنبر، فقال علي: ما شأنه؟، فقال: يكتب على الله ورسوله⁽²⁾، وعن يزيد بن وهب عن علي قال: مالي ولها الحميّت⁽³⁾ الأسود⁽⁴⁾. ومن طريق يزيد بن وهب أيضًا عن سلمة عن شعبة قال علي بن أبي طالب: مالي ولها الحميّت الأسود يعني عبد الله بن سباً - وكان يقع في أبي بكر وعمر⁽⁵⁾، وهذه الروايات ثابتة عن علي رضي الله عنه بأسانيد صحّحة⁽⁶⁾، وحكي المؤرخون وأصحاب الفرق والمقالات أن ابن سباً أدعى الروبيّة في علي رضي الله عنه - فأحرقه علي هو وأصحابه بالنار⁽⁷⁾، يقول الجرجاني: السبئية من الراضةة ينسرون إلى عبد الله بن سباً وكان أول من كفر من الراضة، وقال: على رب العالمين، فأحرقه علي وأصحابه بالنار⁽⁸⁾. ويقول الملطي في معرض حديثه عن السبئية: هم أصحاب عبد الله بن سباً. قالوا لعلي رضي الله عنه: أنت. قال: ومن أنا؟، قالوا: الـ

(1) تاريخ الطبرى (347/5).

(2) تاريخ دمشق، الانتصار للصحابي والآل، ص 35.

(3) الحميّت هو وعاء سمن الذي متن بالرّب، وبطريق على المتبن من كل شيء، وفي حديث وحشى: كأنه حميّت، قال ابن حجر: «أي رزق كبير وأكثر ما قال ذلك إذا كان مملوءاً» فتح الباري

(368/7).

(4) فتح الباري (368/7).

(5) عبد الله بن سباً ص 98، الأسانيد حكم عليها الألباني.

(6) الانتصار للصحابي والآل، ص 36.

(7) التعريفات، ص 103.

خالق الباري، فاستتابهم فلم يرجعوا، فأوقد لهم ناراً ضخمة وأحرقهم وقال مرتजٌ^ا:
 لما رأيت الأمر أمراً منكراً
 أجبت ناري ودعوت
 قبر⁽¹⁾

وذهب بعض المؤرخين إلى أن علياً رضي الله عنه لم يحرق ابن سينا وإنما نفاه إلى المدائن، ثم ادعى بعد موت علي رضي الله عنه أن علياً لم يمت، وقال لمن نعاه: لو جئت مونا بدماغه في سبعين صرة ما صدقنا موتة⁽²⁾، ولعل القول الأول هو الصحيح ويشهد له ما جاء في صحيح البخاري، عن عكرمة قال: أتى علي رضي الله عنه بزناندة فأحرقها م بلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لننهي رسول الله ×: «لا تذنبوا بعذاب الله» ولقتلتهم لقول رسول الله ×: «من بدل دينه فاقتلوه»⁽³⁾، قال ابن حجر رحمة الله في شرح الحديث بعد أن ذكر بعض الروايات في هؤلاء المحرقين وفيها: أنهم ناس كانوا يعبدون الأصنام، وفي بعضها أنهم قوم ارتدوا عن الإسلام، وعلى اختلاف بين الروايات في تعينهم قال بعد ذلك: وزعم أبو المظفر الإسفارابيني في «الملل والنحل» أن الذين أحرقهم على طائفة من الروافض ادعوا فيه الإلهية وهم السببية، وكان كبيرهم عبد الله بن سينا يهودياً أظهر الإسلام، وابتدع هذه المقالة، وهذا يمكن أن يكون أصله: ما رويناه من حديث أبي طاهر المخلص من طريق عبد الله بن شريك العامري قال: قيل لعلي: إن هنا قوماً على باب المسجد يدعون أنك ربهم، فدعاهم وقال: ويلكم ما تقولون؟ قالوا: أنت ربنا خالقنا ورازقنا⁽⁴⁾، ثم ساق بقية الرواية وفيها أن علياً رضي الله عنه استتابهم ثلاثة فلما يرجعوا، فحرقهم بالنار في أحاديد قد حرفت لهم، وقال:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً
 أجبت ناري ودعوت قبر⁽⁵⁾

قال ابن حجر: وهذا سند حسن⁽⁵⁾، والمقصود هنا هو ظهور عقائد الشيعة الرافضة اللمتمنة في الغلو في علي رضي الله عنه في تلك الفترة الزمنية، وإمعان علي رضي الله عنه في عقوبته حتى قال ابن عباس ما قال، كما ثبت إنكار علي رضي الله عنه لكل العقائد الأخرى التي ظهرت في عهده، وانتشرت في سلك التشيع له كتضليله على عامة الصحابة وتقادمه على الشيوخين، وكان انتشار سب الصحابة والإيزراء عليهم بين أولئك الأضلال، قال ابن تيمية رحمة الله: ولما أحدثت البدع الشيعة في خلافة أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه ردتها وكانت ثلاثة طوائف: غالبية، وسيبة، ومفضلة، فاما غالبية، فإنه حرقهم بالنار، فإنه خرج ذات يوم من باب كندة فسجد له أقوام فقال: ما هذا؟، فقالوا: أنت هو الله. فاستتابهم ثلاثة فلم يرجعوا، فأمر في الثالث بأخذيد وأضرم فيها النار، ثم قذفهم فيها.. وأما السيبة: فإنه لما بلغه من سب أبا بكر وعمر طلب قتلها، فهرب منها إلى قرقيسيا وكلم فيه، وكان علي يداري أمراءه، لأنه لم يكن متمنكاً ولم يكن يطيعونه في كل ما يأمرهم به، وأما المفضلة: فقال: لا أؤتي بأحد يقتلني على أبي بكر وعمر إلا جلتني حد المفترين: فقال وروى عنه من أكثر من ثمانين وجهًا أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر⁽⁶⁾، وعلى كل حال فعوائد الرافضة مع ظهورها في عهد علي رضي الله عنه قد بقيت محصورة في أفراد لا تمثلها طائفة أو فرقة، حتى انقضى عهده على رضي الله عنه وهي على تلك الحال.

(1) التبيه على أهل الأهواء والبدع، ص 8.

(2) الفصل لابن حزم (36/5)، التبصير في الدين للإسفارابيني.

(3) البخاري، كتاب استتابة المرتدین رقم: (6922).

(4) فتح الباري (12/270).

(5) مجموع الفتاوى (35/184، 185).

وقد أفرد الدكتور سعدي الهاشمي عقيدة ابن سباً والبدع التي نادى بها في رسالته «ابن سباً حقيقة لا خيال»، وذكرها في كتابه «الرواية الذين تأثروا بابن سباً». وأهم البدع التي نادى بها ابن سباً، القول بالوصية، وهو أول من قال بوصية رسول الله × علىي، وأنه خليفته على أمته من بعده بالنص، وأول من أظهر البراءة من أعداء علي رضي الله عنه بهز عمه، وكاشف مخالفيه، وحكم بکفرهم، وأول من قال باليهية علي رضي الله عنه ورب بيته، وكان أول من ادعى النبوة من فرق الشيعة الغلاة، وكان أول من أحدث القول برجعة علي رضي الله عنه إلى الدنيا بعد موته وبرجعة رسول الله ×، وأول من ادعى أن علياً رضي الله عنه هو دابة الأرض، وأنه هو الذي خلق الخلق وبسط الرزق، وقالت السببية: إنهم لا يموتون، وإنما يطيرون بعد مماتهم وسموا بالطياره، وقالوا: بتanax الأرواح، وقالت السببية: هُدِّينَا لِوَحْيِ رُّقْ سُوْطِهِ. هذه أبرز البدع التي كان يعتقد بها ابن سباً وأتباعه وصاروا بها من الغلاة⁽¹⁾.

إن فرق الشيعة الرافضة كفker وعقيدة لم تولد فجأة، بل إنها أخذت طوراً زمنياً، ومرت بمراحل، ولكن طلائع العقيدة الشيعية الرافضة وأصل أصولها ظهرت على يد السببية باعتراف كتب الشيعة التي قالت بأن ابن سباً أول من شهد بالقول بفرض إمامية علي، وأن علياً وصي محمد كما مر - وهذه عقيدة النص على علي بالإمامية، وهي أساس التشيع الرافضي كما يراه شيوخ الرافضا - ومن ذلك ما جاء في الكافي عن أبي الحسن ن قال: ولایة علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله رسول إلا بنبوة مدد × ووصية علي عليه السلام⁽²⁾، وشهدت كتب الشيعة الرافضة كما سيأتي تفصيله بإذن الله - بأن ابن سباً وجماعته هم أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان أصهار رسول الله × وأرحامه وخلفائه، وأقرب الناس إليه رضي الله عنهم والطعن في الصحابة الآخرين، وهذه عقيدة الشيعة الرافضة في الصحابة، كما هي في كتبهم المعتمدة، كما أن ابن سباً قال برجعة علي⁽³⁾، والرجعة من أصول الشيعة الرافضة كما سيأتي بإذن الله -، كما أن ابن سباً قال بتخصيص علي وأهل البيت بعلوم سرية خاصة، كما أشار إلى ذلك الحسن بن محمد بن الحنفية⁽⁴⁾ في رسالة الإرجاء⁽⁵⁾، وهذه المسألة أصح ت من أصول الاعتقاد عند الشيعة، وقد ثبت في صحيح البخاري ما يدل على أن هذه العقيدة ظهرت في وقت مبكر، وأن علياً رضي الله عنه سُئل عنها، وقيل له: هل عندكم شيء مما ليس في القرآن، أو مما ليس عند الناس؟، فنفي ذلك نفياً قاطعاً⁽⁶⁾.

هذه من أهم الأصول التي تدين بها الشيعة الرافضة⁽⁷⁾، وقد وجدت إثر مقتل عثمان رضي الله عنه وفي عهد علي رضي الله عنه ولم تأخذ مكانها في نفوس فرقه معينة معرفة، بل إن السببية ما كادت تظل برأسها حتى حاربها علي رضي الله عنه، كما من معداً، ولكن ما تلا ذلك من أحداث هيأ جواً صالحًا لظهور هذه العقائد، وتمثلها في جماعة كمعركة صفين، وحادثة التحكيم التي أعقبتها، ومقتل علي، ومقتل الحسن.

(1) الرواة الذين تأثروا بابن سباً، د/سعدي الهاشمي ص 19، 20.

(2) أصول الكافي (437/1)، أصول الشيعة الإمامية (1/71).

(3) المقالات والفرق للقمي، ص 21، فرق الشيعة للثوباني، ص 23، أصول الشيعة الإمامية (96/1).

(4) تهذيب التهذيب (32/2).

(5) رسالة الإرجاء ضمن كتاب الإيمان، لمحمد العدنى، ص 294-250.

(6) البخاري، كتاب العلم مع الفتح (1/204).

(7) أصول الشيعة الإمامية الثالث عشرية (97/1).

كل هذه الأحداث دفعت القلوب والعواطف إلى التشيع لآل البيت، فتسلى الفكر الوافد من نافذة التشيع على آل بيته، وصار التشيع وسيلة لكل من أراد هدم الإسلام من ملحد ومنافق وطاغوت، ودخلت إلى المسلمين أفكار ومعتقدات أجنبية اكتست بثوب التشيع وهي سر دخولها تحت غطائه، وبمرور الأيام كانت تنسع البدعة ويتغاظم خطرها، حيث وجد لابن سبا خلفاء كثيرون، ولم يكن استعمال لقب الشيعة في عهد علي رضي الله عنه إلا بمعنى الموالاة والنصرة، ولا يعني بحال الإيمان بعقيدة من عقائد الشيعة الراضة ⁽¹⁾ اليوم.

إن التشيع لآل البيت وحبهم أمر طبيعي، وهو حب لا يفرق بين الآل، ولا يغلو فيهم، ولا ينقص أحداً من الصحابة، كما تفعل الفرق المتنسبة للتشيع، وقد نما الحب وزاد لآل بعدما جرى عليهم من المحن والآلام، بدءاً من مقتل علي ثم الحسين... إلخ، هذه الأحداث فجرت عواطف المسلمين، فدخل الحاذقون من هذا الباب، ذلك أن آراء ابن سينا لم تجد الجو الملائم؛ لتتمو وتنشر إلا بعد تلك الأحداث... لكن التشيع بمعنى عقيدة النص على علي رضي الله عنه، والرجعة، والبداء، والغيبة، وعصمة الأنمة... إلخ، فلا شك أنها عقائد ما أنزل الله بها من سلطان، ودخيلة على المسلمين -ترجع أصولها لعناصر مختلفة-، ذلك أنه قد ركب مطية التشيع كل من أراد الكيد للإسلام وأهله، وكل من احتال ليعيش في ظل عقیدته السابقة باسم الإسلام، من يهودي، ونصراني، ومجوسى، وغيرهم، فدخل في التشيع كثير من العقائد الفاسدة، كما سينتبين ذلك عند دراسة أصول عقائدهم. ولهم ذا ذهب ابن تيمية رحمه اللهـ إلى أن المنتسبين للتشيع قد أخذوا من مذاهب الفرس، والروم، واليونان، والنصارى، واليهود، وغيرهم أموراً مزجواها بالتشيع، ويقول: وهذا تصريح لما أخبر به النبي ﷺ، وساق بعض الأحاديث الواردة في أن هذه الأمة ستركب سُنُن من قبلها...، وقال بأن هذا صار في المنتسبين للتشيع⁽²⁾.

ثالثاً: المراحل التي مرت بها الشيعة الراضة

مرت الشيعة الرافضة في نشأتها بعدة مراحل، حتى أصبحت فرقاً مستقلةً متميزةً بـ عقیدتها واسمها عن سائر فرق الأمة ويمكن إبراز ذلك من خلال أربع مراحل رئيسية:

1- المرحلة الأولى: دعوة عبد الله بن سبأ إلى ما دعا إليه من الأصول التي انبنت عليها عقيدة الرافضة، كدعوته لعقيدة الرجعة، وإدانته القول بالوصية لعلي رضي الله عنه، والطعن في الخلفاء السابقين لعلي في الخلافة، وقد ساعد ابن سبأ في ترويج فكره الضرار البعيد عن روح الإسلام أمران:

أ- اختيار ابن سباً البيئة المناسبة لدعوته: حيث بث دعوته في بلدان مصر، والعربيات، بعد أن أكثر التنقل بين هذه الأمصار، كما مر في كلام الطبرى⁽³⁾، فنشأت هذه الدعوة في مجتمعات لم تتمكن من فهم الإسلام الفهم الصحيح، وتنشرخ أقدامها في العلم الشرعى والفقه بدين الله تعالى، وذلك لقرب عهدها بالإسلام، فإن تلك الأمصار إنما فتحت في عهد عمر رضي الله عنه، هذا بالإضافة إلى بعدها عن مجتمع الصحابة في الحجاز وعدم التقى والتلتمذ والتربية على أيديهم.

بـ- أن ابن سبأ مع اختياره لدعوه تلك المجتمعات، فإنه زيادة في المكر والخديعة، أحاط دعوته بستار من التكتم والسرية، فلم تكن دعوته موجهة لكل أحد، وإنما لمن علم

(1) أصول الشيعة الإمامية (98/1)

(2) منهاج السنة (147/4)، أصول الشيعة الإمامية (109/1).
 (3) تلذذ بالليل (317/5).

. تاریخ الطبری (3) (347/5)

أنهم أهل لقبولها من جهله الناس، وأصحاب الأغراض الخبيثة، ومن لم يدخلوا الإسلام إلا كيداً لأهله بعد أن قوضت جيوش الإسلام عروش ملوكهم، ومزقت ممالكهم، وقد تقدم كلام الطبرى السابق عن ابن سبا: فبئث دعاته، وكاتب من كان استفسده في الأمصار، وكتابه، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم⁽¹⁾، يقول في سياق وصفهم: وأوسعوا في الأرض إذاعة وهم ي يريدون غير ما يظهرون⁽²⁾.

2- المرحلة الثانية: إظهار هذا المعتقد والتصريح به، وذلك بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وانشغل الصحابة رضوان الله عليهم بامداد الفتنة التي حصلت بمقتله، فوجد هؤلاء الضلال متৎمساً في تلك الظروف، وقويت تلك العقائد الفاسدة في نفوسهم، إلا أنه مع كل ذلك بقيت هذه العقائد محصورة في طائفة مخصوصة، ومن أصلهم ابن سبا، وليس لهم شوكة ولا كلمة مسموعة عند أحد سوى من ابْنَى بمصيبتهم في مقتل عثمان رضي الله عنه، وشاركهم في دمه من الخوارج المارقين، وممما يدل على ذلك ما نقله الطبرى: وتكلم ابن السوداء فقال: يا قوم إن عزكم في خلطة الناس فصانعوهم⁽³⁾. وهذا القول لا يقوله صاحب شوكة ومنعة، ومع هذا فإنه لا ينكر دور هؤلاء الشبيهة وقتلة عثمان في إشعال نار الحرب بين الصحابة، بل ذلك مقرر عند أهل التحقيق لفتنة وأحداثها، يقوى ابن حزم مقرراً ذلك: ويرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان بذلك عرف قتلة عثمان الإراعة والتديير عليهم، فبيتوا عسكر طلحة والزبير، وبذلوا السيف فيهم، فدفع القوم عن أنفسهم⁽⁴⁾.

3- المرحلة الثالثة: اشتداد أمرهم وقوتهم واجتماعهم تحت قيادة واحدة وذلك بعد مقتل الحسين رضي الله عنه للأخذ بثار الحسين والانتقام له من أعدائه، يقول الطبرى في حادثة أربع وستين للهجرة: وفي هذه السنة تحركت الشيعة بالكوفة، وأعدوا الاجتماع بالنخيلة سنة خمس وستين للمسير لأهل الشام للطلب بدم الحسين بن علي، وتكلبتوا في ذلك⁽⁵⁾ وكان مبدأ أمرهم ما ذكره الطبرى من رواية عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدي أنه قال: لما قتل الحسين بن علي ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة، فدخل الكوفة، تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم، ورأى أنها قد أخطأت خطأً كبيراً بدعائهم الحسين إلى النصرة وتركهم إجابته، وقتلته إلى جانبهم دون أن ينصروه، ورأوا أنه لا يغسل عارهم وإنما عنهم في مقتله إلا بقتل من قتله، أو القتل فيه، ففرعوا بالكوفة إلى خمسة ثغر من رؤوس الشيعة: إلى سليمان بن صرد الخزاعي، وكانت له صحبة مع النبي ﷺ، وإلى المسد بيب بن نحبة الفزارى، وكان من أصحاب علي وخيارهم، وإلى عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، وإلى عبد الله بن وائل التيمى، وإلى رفاعة بن شداد البجلي، ثم إن هؤلاء الثغراء لخمسة اجتمعوا في منزل سليمان بن صرد و كانوا من خيار أصحاب علي، ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم ووجوههم⁽⁶⁾، وكان هذا الاجتماع عاماً يشمل كافة الشيعة، وقد اجتمع إلى سليمان بن صرد نحو من سبعة عشر ألفاً، ثم لم تعجب سليمان قتليهم، فارسل حكم بن منقذ فنادي في الكوفة، وخرج الناس معهم فكانوا قريراً من عشرين ألفاً⁽⁷⁾، ثم إنه في هذه الأثناء قدم المختار بن أبي عبيد التقفى إلى الكوفة فوجد الشيعة قد القت على سليمان بن صرد وعظموا تعظيمها زانداً، وهم معدون للحرب، فلما استقر المختار عندهم بالكوفة دعا إلى إمامية المهدي محمد بن علي بن أبي طالب وهو محمد ابن الحنفية، ولقبه

(1) تاريخ الطبرى (5/347).

(2) المصدر نفسه (5/348).

(3) المصدر نفسه (5/526).

(4) الفصل في المل والآهوء والنحل (4/239).

(5) (2) تاريخ الطبرى (6/487-501).

(6) (4) البداية والنهاية (8/254).

(7) (7).

بالمهدى فاتبعه على ذلك كثير من الشيعة، وفارقوا سليمان بن صرد، وصارت الشيعة في رقين، الجمئور منهم مع سليمان، يريدون الخروج على الناس ليأخذوا بثار الحسين، وفرقة أخرى مع المختار يريدون الخروج للدعوة إلى إمامية محمد ابن الحنفية، وذلك عن غير أمر ابن الحنفية، وإنما يتقولون عليه ليروجوا على الناس به، ولি�توصلوا إلى أغراضهم الفاسدة⁽¹⁾، فكان هذا بداية اجتماع الشيعة، ثم يذكر المؤرخون خروج سليمان بن صرد بن كان معه من الشيعة إلى الشام، فالتقوا مع أهل الشام عند عين تسمى عين الوبردة واقتتلوا قتالاً عظيمًا لمدة ثلاثة أيام، يقول ابن كثير: لم ير الشيب والمرد مثله لا يجد جز بينهم إلا أوقات الصلوات إلى الليل⁽²⁾، ثم انتهى القتال بينهم بقتل سليمان بن صرد رحمه الله وكثير من أصحابه، وهزيمتهم، وعودتهم من بقي من أصحابه إلى الكوفة⁽³⁾، وأما المختار بن أبي عبيد التقفي فلما رجع من بقي من جيش سليمان إلى الكوفة وأخبروه بما كان من أمرهم، وما حل بهم فترحم على سليمان ومن كان قتل معه، وقال: وبعد، فأن الأول مير المؤمن قاتل الجبارين والمسدسين، إن شاء الله، فأدعوا واستعدوا وأبشروا⁽⁴⁾، يقول ابن كثير: وقد كان قبل قدمهم أخبر الناس بهلاكهم عن وحيه الذي كان يأتي إليه من الشيطان، فإنه قد كان يأتي شيطان فيوحي إليه فربماً مما كان يوحي شيطان مسلمة له⁽⁵⁾، ثم إن المختار بعث الأمر إلى النواحي والبلدان، والرساتيق من أرض العراق وخراسان وعقد الألوية والرايات.. ثم شرع المختار بتتبع قتلة الحسين من شريف ووضيع فيقتلهم⁽⁶⁾.

4- المرحلة الرابعة: انشقاق الشيعة الرافضة عن الزيدية، وبافي فرق الشيعة، وتمييزها بسماتها وعقيدتها، وكان ذلك على وجه التحديد في سنة إحدى وعشرين ومائة عند ما خرج زيد بن علي بن الحسين على هشام بن عبد الملك⁽⁷⁾، فأظهر بعض من كان في جيشه من الشيعة الطعن على أبي بكر وعمر فمنعهم من ذلك، وأنكر عليهم فرضوه، فسدموا بالرافضة، وسميت الطائفة الباقية معه بالزيدية⁽⁸⁾، يقول ابن تيمية رحمه الله: إن أول ما عرف لفظ الرافضة في الإسلام، عند خروج زيد بن علي في أوائل المائة الثانية، فسدل عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فتولاهما، فرفضه قوم فسموا رافضة⁽⁹⁾، وقال: ومن زمن خروج زيد افترقت الشيعة إلى رافضة وزيدية، فإنه لما سُئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما رفضه قوم فقال لهم: رفضتموني، فسموا رافضة لرفضهم ليماه، وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيدياً لانتسابهم إليه⁽¹⁰⁾، ومنذ ذلك التاريخ تميزت الرافضة عن باقي فرق الشيعة، فأصبحت فرقاً مستقلة باسمها ومعتقدوها⁽¹¹⁾، والله تعالى أعلم.

هذا وقد تحدث علماء الفرق عن الفرق المنسوبة للشيعة، ذكرها منها: السببية، والغريبية، والبيانية، والمغيرة، والهاشمية، والخطابية، والعلانية، والكيسانية، والزيدية الجارودية، والسلمانية، والصالحية، والبتيرية، وبعض هذه الفرق غالٌ غلوًّا عظيمًا، والبعض الآخر أقل غلوًّا، ومن أراد الاستزادة فليراجع مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، والممل والنحل للشهرستاني، والفرق بين الفرق لأبي الظاهر البغدادي، وفرق معا

(2) المصدر نفسه (257/8).

(3) المصدر نفسه (256, 257/8).

(4) المصدر نفسه (258/8).

(5) المصدر نفسه (257/8).

(6) المصدر نفسه (271/8).

(7) تاريخ الطيري (160/7)، الانتصار للصحاب والأئل، ص 47.

(8) الانتصار للصحاب والأئل، ص 47.

(9) مجموع الفتاوى (36/13).

(10) منهاج السنة (35/1).

(11) الانتصار للصحاب والأئل ص 48.

صرة للدكتور غالب بن علي عواجي وهو من أفضل من اطلع عليه من المعاصرین.
المبحث الثالث

من أهم عقائد الشيعة الرافضية «الإمامية»

يعتقد الشيعة الراضة الاثنا عشرية أن الإمامة ركن عظيم من أركان الإسلام، وأصل أصيل من أصول الإيمان، لا يتم إيمان المرء إلا باعتقادها، ولا يقبل منه عمل إلا بتحقيقها، وأول من تحدث عن مفهوم الإمامة بالصورة الموجودة عند الشيعة الراضة هو ابن سينا، الذي بدأ يشيع القول بأن الإمامة هي وصاية من النبي × محمضورة بالوصي، وإذا تو لاها سواه يجب البراءة منه وتکفيره، فقد اعترفت كتب الشيعة بأن ابن سينا كان أو ل من أشهر القول بفرض إمامية علي، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه، وكفر هم⁽¹⁾، لأنه كان يهودي الأصل، يرى أن يوشع بن نون وصي موسى، فلما أسلم أظهر هـ هذه المقالة في علي ابن أبي طالب⁽²⁾، وهذا ما تعارف عليه شيخ الشيعة الراضة، فابن بـ ابوبه القمي يسجل عقائد الشيعة في القرن الرابع ويقول بأنهم يعتقدون بأن لكل نبي وصـ يـاً أو وصـيـاً إليه بأمر الله تعالى⁽³⁾، ويذكر أن عدد الأووصياء مائة ألف وصـيـ، وأربعة وعشرون ألف وصـيـ⁽⁴⁾، كما ذكر المجلسـيـ في أخباره: أن عليـاـ هو آخر الأووصياء⁽⁵⁾، وجـاءـ في بعض عناوين الأبوابـ في الكافيـ بـابـ أنـ الإمامـةـ عـهدـ منـ اللهـ عـزـ وجـلـ معـهـودـ منـ واحدـ إلىـ واحدـ⁽⁶⁾، وبـابـ ماـ نـاصـ اللهـ عـزـ وجـلـ وـرسـولـهـ عـلـىـ الـآـثـمـةـ وـاحـدـاـ فـوـاحـدـاـ⁽⁷⁾، وـقـدـ ضـمـنـهـ مـجـمـوعـةـ مـنـ أـخـارـهـ مـتـىـ يـعـدـونـهـ مـنـ الـآـدـلـةـ الـتـىـ لـاـ يـرـقـيـ إـلـيـاـ الشـكـ.

ولهذا قال شيخهم مقداد الحطي ت 821هـ: بأن مستحق الإمامة عندهم لابد أن يكون شخصاً معهوداً من الله تعالى ورسوله لا أي شخص اتفق⁽⁸⁾, ويقرر محمد حسين آل كاشف الغطاء أحد مراجع الشيعة الائتية عشرية في هذا العصر: أن الإمامة منصب ي كالنبوة, فكما أن الله سبحانه يختار ما يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيد بالمعجزة التي هي كنص من الله عليه .. فكذلك يختار للإمامية من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه, وأن ينصبه إماماً للناس من بعده⁽⁹⁾. فأنت ترى أن مفهوم الإمامة عندهم كمفهوم النبوة, فكم يصطفى الله سبحانه من خلقه أنبياء, يختار سبحانه أئمة، وينص عليهم، ويعلم الخلق بهم، ويقيم بهم الحجة، ويؤيدتهم بالمعجزات، وينزل عليهم الكتب، ويوحى إليهم، ولا يقولون إلا بأمر الله ووحيه .. أي أن الإمامة هي النبوة، والإمام هو النبي، والتغيير في الاسم فقط، ولذلك قال المجلسي: أن استنباط الفرق بين النبي والإمام من تلك الأخبار لا يخلو من إشكال⁽¹⁰⁾, ثم قال: ولا نعرف جهة لعدم اتصافهم بالنبوة إلا رعاية خاتم الأنبياء، ولا يصل عقولنا فرق بين النبوة والإمامية⁽¹¹⁾, هذا قولهم في مفهوم الإمامة، ويكفي في نقهـ أنه لا سند لهـ فيه إلا ابن سينا المعهود⁽¹²⁾.

أولاً: منزلة الإمامة عندهم وحكم من جدها:

¹⁾ رجال الكشي ص 101، المقالات والفرق للقمي، ص 20.

⁽²⁾ رجال الكشي ص 101، أصول الشيعة (2) 792/2.

(5) حار الأنوار (342/39).

أصول الكافي (227/1).
بصائر المؤمن (342/39).

⁷ المصدر السابق (286/1).
⁸ النافع العشـر، 17.

النافع يوم الحشر، ص 47.
أصول الشيعة وأصولها ص 58.

١٠) بحار الأنوار (٨٢/٢٦).

المصدر نفسه (82/26).
أحد ما ينشئه الامامة (2/794).

١٢) اصول السیعه الإمامیه (۲)

مسألة الإمامة عند أهل السنة ليست من أصول الدين التي لا يسع المكلف الجهل بها، كما قرره جمع من أهل العلم⁽¹⁾، ولكنها عند الشيعة الرافضة لها شأن آخر، ففي الكافي روایات تجعل الإمامة أعظم أركان الإسلام، روى الكليني بسنده عن أبي جعفر قال: نبی الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والعولایة، ولم يناد بشيء إلا ما نودي بالولاية، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذا يعني الولاية⁽²⁾.

فأنت ترى أنهم أسقطوا الشهادتين من أركان الإسلام، ووضعوا مكانهما الولاية، وعدها من أعظم الأركان، كما يدل عليه قولهم: لم يناد بشيء كما نودي بالولاية، وكما يدلي عليه حديثهم الآخر، وقد ذكر فيه نص الروایة السابقة وزاد: قلت «ألا راوي»: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل⁽³⁾.

ويقول المجلسي: ولا ريب في أن الولاية والاعتقاد بإمامية الأئمة عليهم السلام والإذ عان لهم من جملة أصول الدين، وأفضل من جميع الأعمال البدنية لأنها مفتاحهن⁽⁴⁾.

ويقول المظفر وهو من علمائهم المعاصرین:-: نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين، ولا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهـل والمربيـن، مهما عظـموا، بل يجب النظر فيها، كما يجب النظر في التوحـيد والنـبوة⁽⁵⁾، بل وصلـت الأخـبار إلى أكثر من هذا حينـما قـالت: عـرج النـبـي × بالولاـية لـعـلي وـالأئـمة من بـعـده أـكـثـر مـا أوـصـاه بالـفـرـائـض⁽⁶⁾.

هذه الروایات الشیعیة الرافضیة، ومثیلاتها في کتب الشیعیة الرافضیة كانت کفیلة بأن تجعل الإمامة هي الحكم على إيمان الرجل أو كفره، وأن يجعل المسلم معرضـاً للاتـهاـم بالکفر لمجرد اختلافـه مع الشیعـة الإمامـیـة في عـقـیدـة الإمامـة التي يـعـتـقـدـونـها، ولـذـا رـأـيـنا بـعـضـ کـبـارـ علمـاءـ الشـیـعـةـ الإمامـیـةـ السـابـقـینـ وـالـلاحـقـینـ يـصـرـحـونـ بـهـذـهـ الحـقـیـقـةـ المـرـةـ.

يقول ابن بابویه القمي في رسالته الاعتقادات: واعتقادنا فيمن حدد إمامـةـ أمـيرـ المؤـمـنـينـ علىـ ابنـ أبيـ طـالـبـ عليهـ السـلامـ أنهـ كـمـنـ جـدـ نـبـوـةـ جـمـيعـ الـأـبـيـاءـ، وـاعـتقـادـنـاـ فيـمـاـ أـقـرـرـ نـبـوـةـ محمدـ ×⁽⁷⁾.

ويقول يوسف البحرياني في موسوعته الحدائق الناصرة في أحكام العترة الطاهرة: ولـيتـ شـعـريـ أيـ فـرقـ بـيـنـ مـنـ كـفـرـ بـالـلـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ وـرـسـوـلـهـ، وـبـيـنـ مـنـ كـفـرـ بـالـأـئـمـةـ عـلـيـهـ السـلامـ معـ ثـبـوتـ كـوـنـ إـمـامـةـ مـنـ أـصـوـلـ الدـيـنـ⁽⁸⁾.

ويقول المجلسي: اعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامـةـ أمـيرـ المؤـمـنـينـ وـالـأـئـمـةـ منـ ولـدـهـ عـلـيـهـ السـلامـ وـفـضـلـ عـلـيـهـ غـيرـهـ، يـدـلـ أـنـهـ مـخـلـدـونـ فـيـ التـارـ⁽⁹⁾.

وقال ابن المطهر الحلي: الإمامـةـ لـطـفـ عـامـ، وـالـنـبـوـةـ لـطـفـ خـاصـ لـإـمـكـانـ خـلوـ الزـماـ

(1) غایة المرام للأمدي، ص 363، الاقتصاد للغزالی، ص 134.

(2) أصول الكافي (18/2)، رقم 3.

(3) المصدر نفسه (18/2).

(4) مرآة العقول (7/102).

(5) عقائد الإمامية ص 102.

(6) بحار الأنوار (69/23).

(7) الاعتقادات ص 103، ثم أصررت الحقيقة، محمد الخضر، ص 127.

(8) الحدائق الناصرة (153/18).

(9) بحار الأنوار (390/23).

ن من نبي حي بخلاف الإمام، وإنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف الخاص⁽¹⁾.

فهو يجعل من لم يؤمن بأئمتهم أشد كفراً من اليهود والنصارى، وقد بنى على ذلك أن الزمن لا يخلو من إمام، وهو إشارة إلى عقيدتهم بالإيمان بوجود إمامهم المنتظر الغائب، والذي أنكره طوائف من الشيعة، وقرر المحققون من علماء النسب والتاريخ أنه لم يولد أصلاً، ولكن شيخ الشيعة الرافضة يرى أن إنكاره أعظم من الكفر⁽²⁾، وينقل شيخهم المفيد اتفاقهم على هذا المذهب في تكثير أمة الإسلام فيقول: اتفقت الإمامية على أن من أنكر إماماً أحد من الأئمة وجد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة، فهو كافر صاحب مستحق للخلود في النار⁽³⁾، وبلغ الأمر بشيخهم نعمة الله الجزائرى أن يعلن انفصال الشيعة عن المسلمين بسبب قضية الإمامة فيقول: لم تجتمع معهم على إله ولا نبى ولا عذى إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد × نبىه، وخليفة بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبىه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا⁽⁴⁾.

إن الإمامة صنو النبوة أو أعظم، وهي أصل الدين وقادته الأساسية عندهم، لهذا جاء حكم الشيعة الاثنى عشرية على من أنكر إماماً واحد من أئمتهم الاثنى عشر مكملًا لـ هذا الغلو، حيث حكموه عليه بالكفر والخلود في النار، وخصصوا باللعن والحكم بالردة جميع فئات المسلمين ما عدا الاثنى عشرية، فتناولوا تكفيرونهم:

1- الصحابة رضوان الله عليهم: كتب الشيعة الرافضة مليئة باللعن والتكبير لمن رضي الله عنهم ورضاوه عنه، من المهاجرين والأنصار، وأهل بدر وبيعة الرضوان، وسائر الصحابة أجمعين، ولا تستثنى منهم إلا النزر اليسير الذي لا يبلغ عدد أصحاب اليد، وأصبحت هذه المسألة بعد ظهور كتبهم وانتشارها من الأمور التي لا تحجب بالتقىة⁽⁵⁾، كما أن من أهل العلم وأصحاب المقالات من اطلع على هذا الأمر عند الشيعة الإمامية، قال القاضي عبد الجبار: وأما الإمامية فقد ذهبت إلى أن الطريق إلى إماماً الاثنى عشر الذي يكفر من أنكره، ويجب تكريه، فكفروا بذلك صحابة النبي ×⁽⁶⁾، وقريباً من هذا المعنى قال عبد القاهر البغدادي: وأما الإمامية فقد زعم أكثرهم⁽⁷⁾ أن الصحابة ارتدت بعد النبي × سوى على وابنيه مقدار ثلاثة عشر منهم⁽⁸⁾، ويقول ابن تيمية رحمه الله: إن الرافضة يقولون: إن المهاجرين والأنصار كتموا النص، فكفروا إلا فرآ قليلاً.. إما بضعة عشر أو أكثر، ثم يقولون: إن أبياً بكر وعمر ونحوهما ما زالاً منافقين، وقد يقولون: بل آمنوا ثم كفروا، وتقول كتب الاثنى عشرية إن الصحابة بسبب توليتهم لأبى بكر قد ارتدوا إلا ثلاثة، وتزيد بعض روایاتهم ثلاثة أو أربعة آخرين إلى إماماً علي، ليصل حجم المجموع سبعة، ولا يزيدون عن ذلك، ولقد تداولت الشيعة أنباء هذا الأسطورة في المعتقد من كتبها، فسجلوا ذلك في أول كتاب ظهر لهم وهو كتاب سليم بن قيس⁽⁹⁾، ثم تتبع كتابهم في تقرير ذلك وإشاعته وعلى رأسها الكافي أو ثقة كتبهم الأربع، ورجال الكتب⁽¹⁰⁾، عمدتهم في كتب الرجال وغيرها من مصادرهم⁽¹¹⁾، وسيأتي الحديث عن موقف ا

(1) الأنطاكين، ص 3، أصول الشيعة الإمامية (867/2).

(2) أصول الشيعة الإمامية (867/2).

(3) المسائل للمفيد، وقد نقل ذلك عنه المجلسي في البحار (366/8).

(4) الأنوار النعمانية (279/2).

(5) أصول الشيعة الإمامية (868/2).

(6) شرح الأصول الخمسة، ص 761.

(7) نلحظ أن عبد القاهر لا يعمم هذا المذهب على الإمامية كلها.

(8) الفرق بين الفرق، ص 321.

(9) كتاب سليم بن قيس، ص 75-74.

(10) رجال الكشي ص 11، 6، 7، 8، 9، 11.

لشيعة الرافضة من الصحابة مفصلاً بإذن الله تعالى.

2- تكفيرهم أهل البيت: إن الروايات التي تحكم بالردة على ذلك المجتمع المثالي الفريد، ولا تستثنى منهم جميعاً إلا سبعة في أكثر تقديراته، ولا تذكر من ضمن هؤلاء السبعة أحداً من أهل بيت رسول الله باستثناء بعض روايات عندهم جاء فيها استثناء على فقطر، وهي رواية الفضيل بن يسار عن أبي جعفر، قال: صار الناس كلهم أهل جاهلية إلا أربعة: علياً، والمقداد، وسلمان، وأبا ذر، فقلت: فعمار؟، فقال: إن كنت تزيد الذين لم يدخلهم شيء فهو لاء الثلاثة⁽¹⁾. فالحكم بالردة في هذه النصوص شامل للصحابة، وأهل البيت النبوي من زوجات رسول الله × وقرابته، مع أن واضعها يزعم التشيع لأهل بيت رسول الله ×، فهل هذا إلا دليل واضح على أن التشيع إنما هو ستار لتنفيذ أغراض خبيثة ضد الإسلام وأهله، وأن واضعي هذه الروايات أعداء للصحابة وللقربة⁽²⁾، وقد خصت الشيعة الرافضة بالطعن والتکفير جملة من أهل بيت رسول الله ×، كعم النبي العباس، حتى قالوا بأنه نزل فيه قوله سبحانه: **وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا**⁽³⁾ [الإسراء: 72]. وكابنه عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن الذي خصصوه باللعنة وبأنه سخيف العقل⁽⁴⁾، كما جاء في الكافي، وفي رجال الكشاف: **الهم آعن ابني فلان واعم أبصارهما، كما عميت قلوبهما، واجعل عمى أبصارهما دلالة على عمى قلوبهما**⁽⁴⁾. وعلق على هذا شيخهم حسن المصطفوي فقال: **هـما عبد الله بن عباس وعبد الله بن عباس**⁽⁵⁾، **وبنات النبي × يسلمنهن سخط الشيعة الائتية عشرية** وـ **من نفـهم، فلا يذكـرون فيـمن استـثنـى من التـکـفـير، بل وـنـفـي بـعـضـهم أـنـ يـكـنـ بـنـاتـ للـنـبـي × ماـعـ دـاـ فـاطـمـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـنـ**⁽⁶⁾، **فـهـلـ يـحـبـ رـسـولـ اللـهـ ×ـ مـنـ يـقـولـ فـيهـ وـفـيـ بـنـاتـهـ هـذاـ** القول⁽⁷⁾؟، وقد نص صاحب الكافي في رواياته على أن كل من لم يؤمن بالائتية عشرية فهو كافر، وإن كان عليهما فاطمياً⁽⁸⁾، وهذا يشمل في الحقيقة التکفير لجيل الصحابة ومن بعدهم بما فيه الآل والأصحاب؛ لأنهم لم يعرفوا فكرة الائتية عشر التي لم توجد إلا بعد سنة 260هـ، كما باووا بتکفير أمهات المؤمنين أزواج رسول الله ×، إذ لم يستثنوا واحدة منهم في نصوصهم، ولكنهم يخصون منهم عائشة⁽⁹⁾ وحفصة رضي الله عنها، بالذم واللعنة والتکفير⁽¹⁰⁾، وقد عقد شيخهم المجلسي باباً بعنوان «باب أحوال عائشة وحفصة» ذكر فيه 17 رواية⁽¹¹⁾، وأحال في بقية الروايات إلى أبواب أخرى⁽¹²⁾، وقد آذوا فيها رسول الله × في أهل بيته أبلغ الإيماء، حتى اتهموا في أخبارهم من برأها الله من فوق سبع سموات عائشة بنت الصديق بالفاحشة، فقد جاء في أصل أصول التقاسير عندهم، تفسير لقمي⁽¹³⁾، قدف شنيع متضمن تکذيب القرآن العظيم، قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسير

(1) أصول الشيعة الإمامية (2/780).

(2) تفسير العتاشي (1/199)، البرهان (1/319)، تفسير الصافي (1/389)، أصول الشيعة الإمامية (2/891).

(3) أصول الشيعة الإمامية (2/891).

(4) أصول الكافي (1/247).

(5) رجال الكشي، ص 52.

(6) أصول الشيعة الإمامية (2/892).

(7) أصول الشيعة الإمامية (2/892).

(8) أصول الكافي (1/372-374).

(9) أصول الكافي (1/300)، رجال الكشي، ص 60-57.

(10) أصول الشيعة الإمامية (2/893).

(11) بحار الأنوار (22/227-247).

(12) بحار الأنوار (22/245).

(13) تفسير القمي (2/377).

سورة النور: أجمع أهل العلم رحمة الله- قاطبة على أن من سبها ورمها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في الآية، فإنه كافر؛ لأنَّه معاند للقرآن⁽¹⁾، وقال القرطبي: فكل من سبَّها مما برأها الله منه مكذب لله، ومن كذب الله فهو كافر⁽²⁾.

3- تكفيرهم خلفاء المسلمين وحكوماتهم: في دين الشيعة الراضة الإمامية أن كل حكومة غير حكومة الإمامية الرافضية باطلة، وصاحبها ظالم طاغوت يعبد من دون الله، ومن بياعيه فإنما يعبد غير الله، وقد أثبت الكليني هذا المعنى في عدة أبواب مثل: باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل ومن جحد الأئمة أو بعضهم، ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهل، وذكر فيه اثنى عشر حديثاً عن أئمتهم⁽³⁾، وباب فيمن دان الله عز وجل بغير إمام من الله جل جلاله، وفيه خمسة أحاديث⁽⁴⁾، وكل خلفاء المسلمين ما عدا علياً والحسن، طواغيت حسب اعتقادهم- وإن كانوا يدعون إلى الحق، ويُحسنون لأهل البيت، ويفيمون دين الله، ذلك أنهem يقولون: كل رأية ترفع قبل رأية القائم⁽⁵⁾ صاحبها طاغوت⁽⁶⁾، قال شارح الكافي: وإن كان رافعها يدعو إلى الحق⁽⁷⁾، وحكم المجلس على هذه الرواية بالصحة⁽⁸⁾، حسب مقاييسهم⁽⁹⁾.

4- الحكم على الأمصار الإسلامية بأنها دار كفر: جاء في أخبارهم تخصيص كثير من بلاد المسلمين بالسب، وتکفير أهلها على وجه التعين، ويخصون منها غالباً ما كان أكثر التزاماً بالإسلام واتباعاً للسنة، فقد صرحو بکفر أهالي مكة والمدينة في القرنين الـ مفضلة، ففي عصر جعفر الصادق كانوا يقولون عن أهل مكة والمدينة: أهل الشام شر مـ ن أهل الروم «يعني شر من النصارى»، وأهل المدينة شر من أهل مكة، وأهل مكة يـ کـرون بالله جهرة⁽¹⁰⁾، وقالوا: إن أهل مكة ليکفرون بالله جهرة، وإن أهل المدينة أثبتـ من أهل مكة، أثبتـ منهم سبعين ضعفـاً⁽¹¹⁾، ومن المعلوم أن أهل المدينة كانوا -ولا سيما فيـ القرونـ المفضلةـ يتـأسـونـ بأثرـ رسولـ اللهـ ×ـ أكثرـ منـ سـائـرـ الأمـصارـ،ـ وقدـ ظـلـ أـهـلـ المـديـنـةـ مـتـمـسـكـينـ بـمـذـهـبـهـ المـالـمـكـيـ منـتـسـبـينـ إـلـيـهـ إـلـيـ أوـأـلـ المـائـةـ السـادـسـةـ أوـ قـبـلـ ذـلـكـ أوـ بـعـدـ ذـلـكـ،ـ فإـنـهـ قـدـمـ إـلـيـهـ مـنـ رـافـضـةـ الـمـشـرـقـ مـنـ أـفـسـدـ مـذـهـبـ كـثـيرـ مـنـهـ⁽¹²⁾ـ،ـ وـقـالـواـ أـيـضـاـ عـنـ مـصـرـ وـأـهـلـهـ:ـ أـبـنـاءـ مـصـرـ لـعـنـواـ عـلـىـ لـسـانـ دـاـوـدـ عـلـىـ هـلـلـهـ الـسـلـامـ،ـ فـجـعـلـ اللهـ مـنـهـمـ الـقـرـةـ وـالـخـناـ زـيـرـ⁽¹³⁾ـ،ـ وـمـاـ غـضـبـ اللهـ عـلـىـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ إـلـاـ أـدـخـلـمـ مـصـرـ،ـ وـلـاـ رـضـيـ عـنـهـمـ إـلـاـ أـخـرـجـهـمـ مـنـهـاـ إـلـيـ غـيرـهـاـ⁽¹⁴⁾ـ،ـ وـقـالـواـ:ـ اـنـتـحـواـ بـنـسـ الـبـلـادـ مـصـرـ،ـ أـمـاـ إـنـهـ سـجـنـ مـنـ سـخـطـ اللهـ عـلـيـهـ مـنـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ⁽¹⁵⁾ـ،ـ وـقـالـواـ:ـ اـنـتـحـواـ مـصـرـ وـلـاـ تـطـلـبـواـ الـمـكـثـ فـيـهـ لـأـنـهـ يـورـثـ الـدـيـاثـةـ⁽¹⁶⁾ـ.

وجاءت عندهم عدة روایات في ذم مصر، وهجاء أهلها، والتحذير من سكناها، ونسبوا هـ

(1) تفسير ابن كثير (3/289-290)، الصارم المسلول ص 50.

(2) تفسير القرطبي (12/206).

(3) الكافي (1/372-374).

(4) المصدر السابق (1/374-376).

(5) هو: المهدى المنتظر (في زعمهم).

(6) الكافي: شرحه للمازندراني (12/113)، بحار الأنوار (125/113)، أصول الشيعة الإمامية (2/896).

(7) أصول الشيعة الإمامية (2/896).

(8) مرأة العقول (4/378).

(9) أصول الشيعة الإمامية (2/896).

(10) أصول الكافي (2/409).

(11) المصدر السابق (2/410).

(12) الفتاوى (20/300, 20/299).

(13) بحار الأنوار (60/208)، تفسير القمي ص 596.

(14) تفسير العياشي (1/304)، البرهان (1/456).

(15) تفسير العياشي (1/305)، البرهان (1/457).

(16) بحار الأنوار (2/211)، أصول الشيعة (2/900).

ذه الروايات إلى رسول الله ×، وإلى محمد الباقر، وإلى علي الباقر، وهذا رأي الروافض في مصر في تلك العصور الإسلامية الظاهرة، وقد عقب المجلس على هذه النصوص بقوله بأن مصر صارت من شر البلاد في تلك الأزمنة، لأن أهلها صاروا من أشقي الناس وأكفرهم⁽¹⁾. ولا يبعد أن هذه النصوص هي تعبر عن حقد الرافضة وغيظهم على مصر وأهلها، بسبب سقوط دولة إخوانهم الإسماعيليين العبيدين على يد صلاح الدين، الذي طهر أرض الكناية من ذنهم ورجسمهم، وأين هذه الكلمات المظلمة في مصر وأهلها من الباب الذي عقده مسلم في صحيحه «باب وصية النبي بأهل مصر»⁽²⁾، وجاء عندهم ذم كثير من بلدان الإسلام وأهلها⁽³⁾، ولم يستثن من ديار المسلمين إلا من يقول بمذبهم، وهي قليلة في تلك الأزمان، حتى جاء عنهم: إن الله عرض ولاتتنا على أهل الأمصار، فلم يقبلها إلا أهل الكوفة⁽⁴⁾.

5- قضاة المسلمين: تعد أخبارهم قضاة المسلمين طواغيت لارتباطهم بالإمامية الباطلة بزعمهم، فقد جاء في الكافي عن عمر بن حنظلة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام، عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث، فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاء أیحل ذلك؟، قال: من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتماً، وإن كان حقاً ثابتاً له، لأنه أخذ بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أئن يكفر به⁽⁵⁾، قال تعالى: +بِرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكِمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أَمْرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ+ [النساء: 60]، وهذه الرواية تحكم على القضاة والقضاء في عصر جعفر الصادق، كما يظهر من إسنادهم للرواية إلى جعفر، فإذا كان هذا نظرهم في قضاة المسلمين فيمن في القرون المفضلة، فما بالك فيمن بعدهم⁽⁶⁾؟

6- أئمة المسلمين وعلماؤهم: حذروا من التلقي عن الشيوخ المسلمين وعلمائهم وعد وهم كمل أهل الشرك، عن هارون بن خارجة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنما ترى هؤلاء المخالفين⁽⁷⁾، فنسمع منهم الحديث يكون حجة لنا عليهم؟ قال: لا تأتهم ولا تسمع منهم، لعنهم الله ولعن ملهم المشركة⁽⁸⁾، وجاء في الكافي عن سدير عن أبي جعفر قال: .. يا سدير فأريك الصادين عن دين الله، ثم نظر إلى أبي حنيفة وسفيان الثوري في ذلك الزمان وهم حلق في المسجد، فقال: هؤلاء الصادون عن دين الله بلا هدى من الله ولا كتاب مبين، إن هؤلاء الأخبار لو جلسوا في بيوتهم فجال الناس، فلم يجدوا أحداً يخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله × حتى يأتونا فنخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله ×⁽⁹⁾.

وقد بين ابن تيمية رحمة الله موقفهم من سلف الأمة وأئمتها والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكفروا جماهير أمة محمد × من المتقدمين والمتاخرين؛ فيكفرون كل من اعتقاد في أبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار العذلة، أو ترضي عنهم كما رضي الله عنهم، أو يستغفر لهم كما أمر الله بالاستغفار لهم، ولا يكفرون أعلام الملة، مثل سعيد بن المسيب، وأبي مسلم الخولاني، وألويس القرني، وعطاء بن أبي رباح، وإبراهيم النخعي، ومثل مالك والأوزاعي، وأبي حنيفة، وحماد بن

(1) بحار الأنوار (208/5).
(2) مسلم (2970/2).

(3) (7) بحار الأنوار (206/60). أصول الشيعة (901/2).

(4) أصول الشيعة الإمامية (902/2).

(5) أصول الشيعة الإمامية (901/2).

(6) (7) هذا اللقب يطلق على أهل السنة وقد يتناول كل مخالف.

(8) بحار الأنوار (216/2). أصول الشيعة الإمامية (905/2).

(9) أصول الكافي (393/1)، أصول الشيعة (905/2).

زيد، وحماد بن سلمة، والثوري، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، ومعرفو الكرخي، والجندى بن محمد، وسهل بن عبد الله التستري، وغير هؤلاء، ويرى أن كفرهم أغلى من كفر اليهود والنصارى، لأن أولئك عندهم كفار أصليون، وهؤلاء مرتدون، وكفر الردة أغلى بالإجماع من الكفر الأصلي إلى أن قال: وأكثر محفيقهم -عندهم- يرون أنّا بكر وعمر وأكثر المهاجرين والأنصار، وأزواج النبي مثل عائشة، وحفصة، وسائر أئمة المسلمين وعامتهم ما آمنوا بالله طرفة عين فقط، لأن الإيمان الذي يتبعه الكفر عندهم يكون باطلًا من أصله، ومنهم من يرى أن فرج النبي يزعمهم، لأن وطء الكوافر حرام عندهم⁽¹⁾.

هذا التفهير العام الشامل الذي لم ينج منه أحد، هل يحتاج إلى نقد؟ إن بطلانه أو ضد ح من أن يبين، وكذبه أجل من أن يكشف، وتتفهير الأمة امتداد لتفهير الصحابة، والسبب واحد لا يختلف، ومن الطبيعي أن من يحقد على صحابة رسول الله ويسيئهم ويكرههم يحقد على الأمة جميعًا ويكرهها، كما قال بعض السلف: لا يغل قلب أحد على أحد من أصل أبا رسول الله إلا كان ما في قلبه على المسلمين أغل⁽²⁾.

فإذا لم يرض عن أبي بكر وعمر وعثمان، وأهل بدر وبيعة الرضوان، والمهاجرين والأنصار، وهم في الذروة في الفضل والإحسان، فهل يرضى بعد ذلك عن أحد بعدهم؟، ومبني هذا الموقف هو دعوى الروافض أن الصحابة رضوان الله عليهم أنكروا النص، وسيأتي بيان بطلان النص بالنقل والعقل وبالأمور المتواترة المعلومة -بإذن الله- وما بذلك على الباطل فهو باطل.

ولقد كان حكمهم بردة جيل الصحابة من الظواهر الواضحة على بطلان مذهب الشيعة الرافضة من أساسه⁽³⁾، ولذلك قال أحمد الكسروي الإيراني والشيعي الأصل: وأما ما قالوا من ارتداد المسلمين بعد موت النبي × فاجتراء منهم على الكذب والبهتان، فلائقون بيقول: كيف ارتدوا وهم كانوا أ أصحاب النبي × آمنوا به حين كذبه الآخرون، ودافعوا عنه واحتلوا الأذى في خلافة أبي بكر ليرتدوا عن دينهم لأجله؟ فأي الأمرين أسهل أحداً: أكذب رجالاً أو رجلاً من ذوي الأغراض الفاسدة، أو ارتداد بضع مئات من خلق المسلمين؟ فأجيبونا إن كان لكم جواب⁽⁴⁾.

إن القرآن الكريم بين فيه رب العزة أصول العقائد وحقائقها وهو التبيان لكل شيء، قال تعالى: **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ** [النحل: 89]، ويقولوا واصفًا كتابه بأنه لم يفرط في قضية يقوم عليها الدين بقوله: **مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ** [الأعراف: 38]، فإن كان الأمر كذلك فإن المرأة ليتسائل عن سند هذه العقيدة، فكتاب الإسلام العظيم «القرآن الكريم» يذكر فيه مرات الصلاة والصيام، والزكاة والحج، ولا ذكر فيه لشأن الأئمة الاثنتي عشرية أو الإمامية من بعد الرسول رغم كون الإمامية - كما تقول النظرية الشيعية الرافضية - أعظم أركان الدين !!، أو ليس من العجيب أن يذكر القرآن تفاصيل طريقة الوضوء، ويصنف أنواع المحرمات من الطعام والشراب، ويتحدث عن الجهاد تارة وعن السلم تارة أخرى، وبينما نقاش القضايا الأخلاقية ثم يتتجاهل إمامية الاثنتي عشر التي يصفها آل كاشف الغطاء بأنها «منصب إلهي كالنبوة»، إن هذه النصوص القرآنية قد شهدت بكل وضوح بأن القرآن الكريم لم يفرط في قضية يحتاج إليها البشـ

(1) مجموع الفتاوى (28/261-262).

(2) الإبانة لابن بطة ص 41.

(3) أصول الشيعة الإمامية (2/916).

(4) التشيع والشيعة، ص 66، أصول الشيعة (2/916).

ر، فكيف يفرط في قضية الإمامة النصية التي تذكرها الشيعة الإمامية، ثم يتركها لعلمائهم لكي يصيغوها ويحددوها معاللها، مع كون النص على الأئمة من الله لا منهم⁽¹⁾.

ثانيًا: العصمة عند الشيعة الراضة

إن عصمة الإمام عند الشيعة الراضة الإمامية شرط من شروط الإمامة، وهي من مبادئ الأولية في كيانها العقدي ولها أهمية كبيرة عندهم، ونتيجة لما أضفاه الشيعة على الأئمة من صفات وقدرات ومواهب علمية غير محدودة، ذهبوا إلى أن الإمام ليس مسؤولاً أمام أحد من الناس ولا مجال للخطأ في أفعاله مما أتى من فعل، بل يجب تصديقه والإيمان بأن كل ما يفعله من خير لا شر فيه لأن عنده من العلم ما لا قبل لأحد بمعرفته، ومن هنا قرر الشيعة للإمام ضمن ما قرروا العصمة، فذهبوا إلى أن الأئمة معصومون في كل حياتهم لا يرتكبون صغيرة ولا كبيرة ولا تصدر عنهم آية معصية، ولا يجوز عليهم خطأ ولا نسيان⁽²⁾. وقد نقل الإجماع على ذلك شيخهم المفيد، فقال: إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وحفظ الشرائع وتأديب الأئمة معصومون كعصمة الأنبياء، وإنهم لا يجوز منهم كبيرة ولا صغيرة، وإنه لا يجوز منهم سهو في شيء من الدين ولا ينسون شيئاً من الأحكام، وعلى هذا مذهب سائر الإمامية إلا من شد منهم، وتعلق بظواهر روايات لها تأويلات على خلاف ظنه الفاسد من هذا الباب⁽³⁾. وقال ابن لمطهر الحلي: ذهب الإمامية والإسماعيلية إلى أن الإمام يجب أن يكون معصوماً وخلافه في جميع الفرق⁽⁴⁾.

وقد نص على ذلك المجلسي بقوله: اعلم أن الإمامية رضي الله عنهم اتفقوا على عصمة الأئمة عليهم السلام من الذنوب صغيرة وكبيرة، فلا يقع منهم ذنب أصلاً لا عمداً ولا نسياناً ولا خطأ في التأويل، ولا لخطأ في شيء من الله سبحانه⁽⁵⁾.

وروى الصدوق بسنده إلى ابن عباس كذباً وزوراً - أنه قال: سمعت رسول الله يقول: «أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين معصومون»⁽⁶⁾. وقال أيضاً في تقرير ذلك: اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة أنهم معصومون مطهرون من كل ذنب، وأنهم لا يذنبون لا صغيرة ولا كبيرة، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر⁽⁷⁾.

ولم تكن هذه العقيدة مقصورة على سلف الراضة، بل شاركهم المعاصرلون في ذلك، وفي ذلك يقول محمد رضا المظفر: ونعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفوائح ما ظهر منها وما بطن من سن الطفولة إلى الموت عمداً وسهوأ، كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان⁽⁸⁾. وقد نص على ذلك الرزنجاني في عقائد الإمامية⁽⁹⁾، كما نص عليه أيضاً علي البحرياني في منار الهدى⁽¹⁰⁾، والسيد مرتضى العسكري في معلم المدرستين⁽¹¹⁾، إلا أن هناك اثاراً في المذهب الشيعي الإمامي تخالف ما ذهبوا إليه، ولذلك احتار المجلسي وهو يرى النصوص تخالف إجم

(1) ثم أبصرت الحقيقة، محمد سالم ص 130.

(2) دراسات عن الفرق، د. أحمد جلي، ص 203، مسألة التقريب (322/1).

(3) أوائل المقالات للمفید، ص 35.

(4) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، ص 90.

(5) بحوار الأنوار (205/9).

(6) إكمال الدين للصدوق، ص 474.

(7) نقل ذلك عن الرزنجاني في عقائد الإمامية الاثني عشرية (157/2).

(8) عقائد الإمامية، ص 104.

(9) العقيدة في أهل البيت، ص 371.

(10) منار الهدى، ص 102.

(11) معلم المدرستين، ص 159.

اع أصحابه، فقال: المسألة في غاية الإشكال، لدلالة كثير من الأخبار والآيات عن صدور السهو عنهم، وإبطاق الأصحاب إلا من شذ منهم على عدم الجواز⁽¹⁾. وهذا اعتراف من المجلسي بأن إجماع الشيعة المتأخرین على عصمة الأنمة بإطلاق يخالف روایتهم، وهذا دليل واقعي واعتراف صريح في أنهم يجتمعون على ضلاله، وعلى غير دليل حتى من كتبهم⁽²⁾.

ويبدو أن فكرة العصمة قد مرت بأطوار مختلفة، أو أن الشيعة قد اختلفت عقائدهم في تحديدها في أول الأمر - فمثلاً في عصر أبي جعفر بن بابويه القمي ت 381 هـ وشيد خه محمد بن الحسن القمي، كان رأي جمهور الشيعة أن أول درجة في الغلو هي نفي الـ سهو عن النبي ×⁽³⁾، فكانوا يعدون من ينفي السهو عن النبي × من الشيعة الغلة.

ولكن بعد ذلك تبدل الحال وأصبح نفي السهو والنسيان عن الأنمة هو خروج بهم من منزلة من لا تأخذ سنة ولا نوم، وقد كانت العصمة بهذه الصورة الغالية من نفي السهو والنسيان عن الأنمة معتقد فئة شيعية مجهلة في الكوفة، وفي البخار للمجلسي: أنه قيل للرضا -إمام الشيعة الثامن-: إن في الكوفة قوماً يزعمون أن النبي × لم يقع عليه السهو و في صلاته فقال: كذبوا العنهم الله، إن الذي لا يسمو هو الله لا إله إلا هو⁽⁴⁾. فهذا يدل على أن عقيدة نفي السهو كانت معتقد قوم غير معينين لشنوذهم في هذا الاعتقاد، وأنهم كانوا ينفون السهو عن النبي × الذي هو أفضل الأنمة ولم يقولوا بذلك للأئمة، ثم تطور هذا الاعتقاد ليشمل أئمة الشيعة الاثني عشر ولنعم طائفه الشيعة الإمامية كلها، فهذا شيخ الشيعة المعاصر وأيتها العظمى عبد الله الممقاني يؤكد أن نفي السهو عن الأنمة أصبح من ضرورات المذهب الشيعي⁽⁵⁾، وهو لا ينكر أن شيوخهم السابقين كانوا يعدون ذلك غواً، لكنه يقول: إن ما يُعد غلوًّا في الماضي أصبح اليوم من ضرورات المذهب الشيعي⁽⁶⁾، وإذا كانت دعوى عصمة الأنمة تعنى مضاهاتهم للرسول فإن نفي السهو عنهم تاليه لهم كما أشار إلى ذلك إمام الشيعة الثامن على الرضا، ولذا قرر ابن بابويه القمي وغيره أن هذا الاعتقاد هو الفيصل بين الغلة وغيرهم⁽⁷⁾، وإذا كان شيخهم المعاصر الممقاني يرى أن نفي السهو عن الأنمة من ضرورات المذهب الشيعي ومنكر الضروري كافر عذر دهم كما يؤكده شيخهم المعاصر محسن الأمين⁽⁸⁾، فمعنى هذا أن متاخرיהם يكفرون متقد مبهم، ومتقدميهم يكفرون متاخريم، وإذا كان الممقاني يرى أن نفي السهو عن الأنمة من ضرورات المذهب الشيعي، وبعدهم ينقل الإجماع على ذلك⁽⁹⁾، فإننا نجد في بعض الـ كتابات الموجهة لبيان السنة⁽¹⁰⁾ القول بأن الاعتقاد بأن الأنمة يسمون هو مذهب جميع الشيعة⁽¹¹⁾، وهكذا يكفر بعضهم ببعضًا، وبينما ينافق بعضهم ببعضًا، وكل يزعم أن ما يقوله هو مذهب الشيعة⁽¹²⁾، وقد كان معتقد العصمة من أسباب نشوء عقيدة البداء والتقية كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى - وذلك أن واقع الأنمة لا يتحقق بحال ودعوى عصمتهم، فإذا حصل اختلاف وتناقض في أقوالهم قالوا هذا بدأء أو نقية كما اعترف بهذا بعض

(1) البخار (351/25).

(2) مسألة التقريب (330/1).

(3) شرح عفاذ الصدوق للمغید، ص 160، 161.

(4) البخار (350/25).

(5) تفتح المقال (240/3).

(6) مسألة التقريب (98/2).

(7) المصدر نفسه (240/3)، مسألة التقريب (97/2).

(8) كشف الارتياب المقدمية الثانية ومهذب الأحكام (1)، (393، 388/1).

(9) صراط الحق (121/3)، مسألة التقريب (98/2).

(10) مسألة التقريب (98/2).

(11) الشيعة في الميزان، محمد جواد ص 273-272.

(12) مسألة التقريب (98/2).

الشيعة⁽¹⁾.

إن من أخطر الآثار العلمية لدعوى العصمة اعتبارهم أن ما يصدر عن أنتمهم إلا ثانية عشر هو كقول الله ورسوله، ولذلك فإن مصادرهم في الحديث تنتهي معظم أسانيدها إلى أحد الأئمة ولا تصل إلى رسول الله ×، والشيعة زعمت لأنميتها عصمة لم تتحقق لأنباء الله ورسله، كما يدل على ذلك صريح القرآن والسنة والإجماع⁽²⁾.

1- استدلالهم على عصمة أنتمهم من القرآن الكريم: رغم أن كتاب الله سبحانه وتعالى ليس فيه ذكر للاثني عشر أصلاً كما مر - فضلاً عن عصمتهم، إلا أن الائتي عشرية تتعلق بالقرآن للتقرير العصمة، وينتفق شيوخهم على الاستدلال بقوله سبحانه: +وَإِذْ أَبْتَلَ إِبْرَاهِيمَ رَبِّهِ بِكَلَمَاتٍ فَأَتَمَّهُنْ قَالَ إِنِّي جَاعَلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَائِمًا وَمَنْ ذَرَّ بِي قَالَ لَا يَنْدَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ [البرة: 124]، وبهذه الآية صدر المجلسي بآية الذي عقد في بحاره بشأن العصمة بعنوان: باب.. لزوم عصمة الإمام⁽³⁾. وجملة من شيوخ الشيعة المعاصرین يجعلون هذه الآية أصل استدلالهم من القرآن ولا ينتدلون بسواءها مثل محسن الأمين⁽⁴⁾، ومحمد حسين آل كاشف الغطاء، والذي يقول بأن هذه الآية صريحة في لزوم العصمة⁽⁵⁾، ويتولى صاحب مجمع البيان سياق وجهة استدلال أصحابه بهذه الآية على مرادهم فيقول: استدل أصحابنا بهذه الآية على أن الإمام لا يكرون إلا معصوماً من القبائح؛ لأن الله سبحانه - نص إلا ينال عهده الذي هو الإمامة ظالماً⁽⁶⁾، ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالماً إما لنفسه وإما لغيره، فإن قيل إنما نفي أن ينال ظالم في حالة ظلمه، فإذا تاب فلا يسمى ظالماً فيصح أن يناله، والجواب: أن الظالم وإن تاب فلا يخرج من أن تكون الآية قد تناولته في حال كونه ظالماً، فإذا نفي أن يناله فقد حكم عليه بأنه لا ينالها، والأية مطلقة غير مقيدة بوقت دون وقت، فيجب أن تكون محملة على الأوقات كلها، فلا ينالها الظالم، وإن تاب فيما بعد⁽⁷⁾.

نقد استدلالهم:

أ- اختلف السلف في معنى العهد على أقوال: قال ابن عباس والسدسي: إنه النبوة، قال: +لَا يَنْدَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ أي نبوتي، وقال مجاهد: الإمامة، أي لا أجعل إماماً ظالماً يقتدى به، وقال قتادة وإبراهيم النخعي وعطاء والحسن وعكرمة: لا ينال عهداً الله في الآخرة الظالمين، فاما في الدنيا فقد ناله الظالم، فأمن به وأكل وعاش.. قال الزجاج: وهذا قول حسن، أي لا ينال أمني الظالمين، أي: لا أؤمنهم من عذابي، والمراد بالظالم: المشرك.. وقال الربيع بن أنس والضحاك: عهد الله الذي إلى عباده: دينه، يقول: لا ينال دينه الظالمين، إلا ترى أنه قال: +وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَيْهِ إِسْحَاقَ وَمَنْ ذَرَّ إِلَيْهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لَنَفْسِهِ مُبْرِئٌ [الصفات: 113]، يقول: ليس كل ذريتك يا إبراهيم على الحق.

وروى ابن عباس أيضاً: +لَا يَنْدَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ قال: ليس للظالمين عهد، وإن عاهدته فانقضه⁽⁸⁾، فالآية كما ترى، اختلف السلف في تأويلها، فهي ليست في

(1) مسألة التقرير (329/1).

(2) مسألة التقرير (324/1).

(3) بحار الأنوار، (191/25).

(4) أعيان الشيعة، (324/1).

(5) أصل الشيعة، ص 59.

(6) اختلف السلف في معنى العهد كما سيأتي، ولكن الروافض يأخذون بما يوافق هواهم ويقطعون به بلا دليل.

(7) مجمع البيان للطبرسي (201/1)، التبيان للطوسي (449/1).

(8) المحرر الوجيز، لأبي عطية (250/1)، أصول الشيعة (953/2).

مسألة الإمامة أصلاً في قول أكثرهم، والذين فسروها بالإمامية قصدوا إمامية العلم والصلاح والاقتداء، لا الإمامة بمفهوم الرافضة^(١).

ب- لو كانت الآية في الإمامة فهي لا تدل على عصمة بحال: إذ لا يمكن أن يقال بأن غير الطالم معصوم لا يخطئ ولا ينسى ولا يسيء.. إلخ، كما هو مفهوم العصمة عند الشيعة، إذ يكون قياس مذهبهم من سها فهو ظالم ومن أخطأ فهو ظالم.. وهذا لا يوافقهم عليه أحد ولا يتحقق مع أصول الإسلام، فبين إثبات العصمة، ونفي الظلم فرق كبير؛ لأن ذلك في الظلم إثبات للعدل لا للعصمة الشيعية⁽²⁾.

جـ- لا يسلم لهم أن من ارتكب ظلماً ثم تاب منه لحقه وصف الظلالم ولازمه: ولا تجدي التوبة في رفعه، فإن أعظم الظلم الشرك، قال تعالى: +الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ+ [الأنعام:82]، ثم فسر الظلم بقوله: +لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرِّ كَلَّظْلَمٌ عَظِيمٌ+ [القمان:13]، ومع هذا قال جل شأنه في الكفار: +قُلْ لِمَذْدِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يَعْفُرُ لَهُمْ مَاقْدِسَةَ+ [الأنفال:38]، لكن قياس قول هؤلاء أن من أشرك ولو لحظة، أو ارتكب معصية ولو صغيرة فهو ظلم لا ينفك عنه وصف الظلم، ومزدح هذا أن المشرك ولو أسلم فهو مشرك لأن الظلم هو الشرك⁽³⁾، فصاروا بهذا أشد من الخوارج الوعيدية، لأن الخوارج لا يثبتون الوعيد لصاحب الكبيرة إلا في حال عدم ذوبته، ومن المعلوم في بداهة العقول فضلاً عن الشرع والعرف واللغة «أن من كفر أو ظلم ثم تاب وأصلح لا يصح أن يطلق عليه أنه كافر أو ظالم..» وإلا جاز أن يقال: صبي لشيخ ونائم لمستيقظ، وغني لفقير، وجائع لشبعان، وهي لميت، وبالعكس، وأيضاً لو اطرد ذلك يلزم من حلف لا يسلم على كافر فسلم على إنسان مؤمن في الحال إلا أنه كان كافراً فقل سنين متطلولة أن يحيث. ولا قائل به⁽⁴⁾.

ومن المعروف أنه قد يكون التائب من الظلم خيراً ممن لم يقع فيه، ومن اعتقاد أن كل من لم يكفر ولم يقتل ولم يذنب أفضل من كل من أمن بعد كفره واهتدى بعد ضلاله، وتاب بعد ذنبه، فهو مخالف لما علم بالاضطرار من دين الإسلام، فمن المعلوم أن السابقي من أفضل من أولادهم، وهل يشبه أبناء المهاجرين والأنصار بآبائهم عاقل⁽⁵⁾. كما أن استدلالهم هذا يؤدي إلى أن جميع المسلمين وكذلك الشيعة وأهل البيت – إلا من تعتقد الشيعة عصمتهم - جميعهم ظلمة لأنهم غير معصومين، وقد قال شيخهم الطوسي بأن الظلم اسم ذم، فلا يجوز أن يطلق إلا على مستحق اللعن لقوله تعالى: **أَلَا لَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ** [هود: 18].

د- ما قرره أحد علماء الشيعة الزيدية في نقض استدلال الاثني عشرية بهذه الآية:
حيث قال: احتاج الرافضة بالأية على أن الإمامة لا يستحقها من ظلم مرة، ورام الطعن في إمامية أبي بكر وعمر، وهذا لا يصح لأن العهد إن حمل على النبوة فلا حجة، وإن حمل على الإمامة فمن ثاب من الظلم فلا يوصف بأنه ظالم، ولم يمنعه تعالى- من نيل العهد إلا حال كونه ظالماً⁽⁶⁾.

2- آية التطهير وحديث الكساع: آية التطهير هي قول الله عز وجل: +إذْمَا يُرِيدُ ا

.(1) أصول الشيعة الإمامية (953/2).

²) المصدر نفسه (953/2).

(٣) هم يعنون بالظلم الشرك؛ لأن مرادهم إبطال خلافة أبي بكر وعمر؛ لأنهما قد أسلما بعد شرك والشرك لم ينفك عندهما بعد أيامهما في زعمهم، ولذاك قال الكليني: هذه الآية ابطلت إمامية كل ظالم، أما

4) روح المعالى لابو الوسي (377/1).
5) منهاج السنة (303/1، 302).

(6) الثمرات اليانعة، يوسف بن أحمد الز

(6) الثمارات اليانعة، يوسف بن أحمد الزيدyi، مخطوطة نقلًا عن أصول الشيعة الإمامية (955/2).

الله لَيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطْهِرَكُمْ تَطْهِيرًا" [الأحزاب:33]، وهي كما هو معلوم جزء من قوله تعالى: **بِإِنَّ نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسَتْنَ كَاهِدَاتِ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ اتَّقِيَّتْنَ فَلَا تَخْضُعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعُ الَّذِي قَوْلُهُ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا وَقَرْنَ فِي بِيَوْتَكُنَّ وَلَا تَبْرُجِ الْجَاهْلِيَّةَ الْأُولَى وَأَقْمَنَ الصَّلَاةَ وَأَتَيْنَ الزَّكَاةَ وَأَطْعَمْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لَيُذْهِبَ عَنْكُمُ ا لَرَجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطْهِرَكُمْ تَطْهِيرًا" [الأحزاب:32,33].**

وقد تعدد علماء الشيعة الاثني عشرية اقتطاع آية التطهير من السياق القرآني الذي جاءت فيه والذي خاطب الله به نساء النبي **إِغْفَالًا لِنِسَاءِ النَّبِيِّ** × من الخطاب، ثم ضم وا إلى ذلك حديث النساء الذي رواه مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة⁽¹⁾، قالت: خرج النبي **غَدَةً وَعَلَيْهِ مَرْطَلٌ**⁽²⁾ من شعر أسود فجاء الحسن بن علي، فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم قال: + إنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لَيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطْهِرَكُمْ تَطْهِيرًا" وحدي ث أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها لما نزلت هذه الآية على النبي **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لَيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطْهِرَكُمْ تَطْهِيرًا"** قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟، قال: «أنت على مكانك، وأنت على خير»⁽⁴⁾، لتبثيت المعنى الذي يريدونه من الاستدلال بهذه الآية الكريمة⁽⁵⁾، ويرى علماء الشيعة الاثني عشرية أن في آية التطهير دلالة على عصمة أصحاب الكسأ على فاطمة والحسن والحسين، من ا لخطايا والذنوب؛ صغيرها وكبیرها، بل ومن الخطأ والسهوا البشري⁽⁶⁾.

نقد لاستدلال من وجوه:

أ- حديث أم سلمة المذكور آنفًا قد ورد بعدة صيغ: فروي عن أم سلمة أنها قالت رضي الله عنها: **كَانَ النَّبِيُّ عَنِي وَعَلَيِّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحَسِينَ**، فجعلت لهم خزيرًا، فأكلوا وناموا، وغطى عليهم عباءة أو قطيفة، ثم قال: «**اللَّهُمَّ هُوَلَاءُ أَهْلَ بَيْتِي، أَذْهَبْ عَنْهُمُ الرَّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا**»، وفي رواية أخرى أنه **أَهْلَ بَيْتِي، أَذْهَبْ عَنْهُمُ الرَّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا**، فأكلوا وناموا، وغطى عليهم عباءة أو قطيفة، ثم قال: «**هُوَلَاءُ أَهْلَ بَيْتِي فَأَذْهَبْ عَنْهُمُ الرَّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا**». وهاتان الروايتان تتفقان مع رواية مسلم عن السيدة عائشة رضي الله عنها في دخول الخامسة الآية، ولكن هذا لا يحتم عدم دخول غيرهم⁽⁷⁾، وقد وردت روایات عن أم سلمة رضي الله عنها فيها زيادات تشير إلى عدم دخلتها مع أهل الكسأ، لا يخلو أكثرها من الضعف لكن صرح منها من جملتها هذه الرواية: **لَمَّا نُزِّلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَيِّ النَّبِيِّ + إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لَيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطْهِرَكُمْ تَطْهِيرًا** في بيت أم سلمة رضي الله عنها فدعا فاطمة وحسيناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء، ثم قال: «**اللَّهُمَّ هُوَلَاءُ أَهْلَ بَيْتِي فَأَذْهَبْ عَنْهُمُ الرَّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا**»، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: «أنت على مكانك وأنت على خير»⁽⁸⁾، وهناك رواية هامة جدًا رويت بإسناد حسن تشير إلى أن أم سلمة رضي الله عنها قد دخلت في الكسأ بعد خروج أهل الكسأ

(1) عائشة التي يدعون أنها تبغض علي هي التي تروي هذا الفضل لعلي وفاطمة.

(2) مرط: يعني كسأ.

(3) مرحل: وهو الموسى المنقوش عليه صور رحال الإبل.

(4) سنن الترمذى، كتاب المناقب رقم (3788).

(5) ثم أبصرت الحقيقة، ص 176.

(6) ثم أبصرت الحقيقة، ص 176.

(7) المصدر نفسه ص 177.

(8) فضائل الصحابة (727/2) رقم (1994)، إسناده فيه ضعف وله طرق تقويه.

منه⁽¹⁾، ولعل التعليل في ذلك أنه لا يصح أن تدخل أم سلمة مع على ابن أبي طالب تحت كساء واحد، فلذلك أدخلها رسول الله × بعد خروج أهل الكساء منه، فعن شهر قال: سمعت أم سلمة زوج رسول الله × حين جاء نعي الحسين بن علي، لعنت أهل العراق، فقالت: قتلوا قاتلهم الله، غروره ونلوه لعنهم الله، فإنني رأيت رسول الله × جاءته فاطمة غدية ببرمة قد صنعت له فيها عصيدة تحملها في طبق لها، حتى وضعتها بين يديه، فقال لها: «أين ابن عمك؟» قالت: هو في البيت، قال: «إذبهي فادعيه وائتنى بابنيه»، قال: فجاءت تقد ابنها كل واحد منها بيد، وعلى يمشي في إثراهما، حتى دخلوا على رسول الله × فأجلسهما في حجره وجلس على يمينه وجلست فاطمة على يساره، قالت أم سلمة ×: فاجتبذ كساء خيريراً كان يساططاً على المنامة في المدينة فلفه رسول الله × جميعاً فأخذ بشماله طرف الكساء وألوى بيده اليمنى إلى ربه عز وجل، قال: «اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا»، قلت يا رسول الله: ألسنت من أهلك؟ قال: «بلى» فادخلت في الكساء، فدخلت في الكساء بعد ما قضى دعاءه لابن عمه على وابنيه وابنته فاطمة⁽²⁾.

فشهد رسول الله × لأم سلمة رضي الله عنها أنها من أهل بيته وأدخلها في الكساء بعد دعائه لهم⁽³⁾.

بـ. وما يدل على أن الآية ليست دالة على العصمة والإمامية أن الخطاب في الآيات كله لأزواج النبي × حيث بدأ بهن وختم بهن: قال تعالى: +يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَا زُوْجٍكَ إِنْ كُنْتَنَ تُرْدُنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرِزْقَهَا فَتَعْلَمَيْدِيْنَ أَمْ تَعْلَمُ وَأَسْرَ حَكْمَنَ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِنْ كُنْتَنَ تُرْدُنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْأَخْرَاجَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعْدَ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَ أَجْرًا عَظِيمًا يَا نَسَاءَ النَّبِيِّ مِنْ يَأْتِ مِنْكُنَ بِفَحْشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضْرَاعِفُ لَهَا الْعَذَابُ ضَعْفَيْنَ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا وَمَنْ يَقْدِمُ مِنْكُنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَتَعْمَلُ صَالِحًا ذُؤْتَ هَذَا أَجْرُهَا مَرْتَدِيْنَ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا يَا نَسَاءَ النَّبِيِّ لَسَدْنَ كَاهِدَ مَنْ النَّسَاءَ إِنْ اتَّقَيْتُنَ فَلَا تَخْضُعْنَ يَا لَقْوَلَ فَيَطْمَعُ الْذَّيْ فِي قَلْبِهِ مَرْضٌ وَقَلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا وَقَرْنَ فِي بِيُوتِكُنَ وَلَا تَبْرُجِنَ تَبَرُّجَ الْجَاهَلِيَّةِ الْأَوَّلِيِّ وَأَقْمَنَ الصَّلَاةَ وَأَدِينَ الرِّزْكَةَ وَأَطْعَنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَدْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطْهِرُكُمْ تَطْهِيرًا وَأَذْكُرُنَ مَا يُتَلَقَّى فِي بِيُوتِكُنَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطَيْفًا خَبِيرًا" [الأحزاب: 34-28].

فالخطاب كله لأزواج النبي × ومعهن الأمر والنهي والوعد والوعيد، لكن لما تبين ما في هذا من المنفعة التي تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت جاء التطهير بضمير المذكر، لأنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث غالب المذكر، حيث تناول أهل البيت كلهم، وعلى وفا طمة والحسين رضي الله عنهما أخص من غيرهما بذلك، لذلك خصمهم النبي × بالدعاء لهم، كما أن زوج الرجل من أهل بيته، وهذا شائع في اللغة كما يقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك؟ أي امرأتك ونساؤك، فيقول: هم بخير، وقد قال تعالى: +قَالُوا أَتَعْ جِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ" [هود: 73]، والمخاطب بهذه الآية بالإجماع هي سارة زوجة إبراهيم عليه السلام، وهذا دليل على أن

(1) ثم أبصرت الحقيقة، ص 177.

(2) فضائل الصحابة (2/852)، رقم (1170)، إسناده حسن.

(3) ثم أبصرت الحقيقة، ص 178.

زوجة الرجل من أهل البيت⁽¹⁾.

وقوله تعالى: +فَلَمَّا قُضِيَ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ يَا هُلُهُ آذَسَ مَنْ جَاءَذَبَ الطُّورِ نَارًا قَالَ لَأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آذَسْتُ نَارًا لِعَلِيٍّ أَتَيْكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةً مِنْ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَدُونَ" [القصص:29], والمماطل هنا أيضاً زوجة موسى عليه السلام.

وقوله تعالى: +وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ اسْمَاعِيلَ إِذْهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عَذْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا" [مربيه:54,55], فمن أهله الذين كان يأمرهم بالصلوة؟ وهذا قوله تعالى مخاطبـ النبي × +وَأَمْرَ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهِمَا" [طه:132], ولا شـك في دخول زوجاته أو خديجة رضي الله عنها على أقل تقدير في الأهل، باعتبار أنـ الـ سورة مكية⁽²⁾.

وقال تعالى: +وَاسْتَأْتِبْ قَاتِ الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَالْأَفْيَاسِ يَدِهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ يَا هُلُكَ سُوءً إِلَّا أَنْ يُسْجِنَ أَوْ عَذَابَ الْيَمِّ" [يوسف:25], فالـ مـ المـ مـاـ طـلـبـ هـنـاـ عـزـيزـ مـصـرـ، وـ قـوـلـهـاـ: +مـاـ جـزـاءـ مـنـ أـرـادـ يـأـهـلـكـ سـوءـ" أي زوجتك، وهذا بـيـنـ⁽³⁾.

جـ- إـذـهـابـ الرـجـسـ لـاـ يـعـنيـ فـيـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ وـلـاـ فـيـ لـغـةـ الـقـرـآنـ مـعـنـيـ الـعـصـمـةـ: يـقـوـلـ الـرـاغـبـ الـأـصـفـهـانـيـ فـيـ مـفـرـدـاتـ الـفـاظـ الـقـرـآنـ مـاـدـةـ رـجـسـ: الـرـجـسـ الشـيـءـ الـقـدرـ، قـالـ رـجـلـ رـجـسـيـ، وـرـجـالـ أـرـجـاسـ، قـالـ تـعـالـيـ: +رـجـسـ مـنـ عـمـلـ الشـيـطـانـ" [المائدة:90]... وـالـرـجـسـ مـنـ جـهـةـ الـشـرـعـ: الـخـمـرـ وـالـمـيـسـرـ، وـجـعـلـ الـكـافـرـينـ رـجـسـاـ مـنـ حـيـثـ إـنـ الشـرـكـ بـالـعـقـلـ أـقـبـحـ الـأـشـيـاءـ، قـالـ تـعـالـيـ: +وَأَمَّا الـذـيـنـ فـيـ قـلـوبـهـمـ مـرـضـ فـزـأـدـتـهـمـ رـجـسـاـ إـلـىـ رـجـسـهـمـ" [التـوـبـةـ:125]، وـقـوـلـهـ تـعـالـيـ: +وَيـجـعـلـ الرـجـسـ عـلـىـ الـذـيـنـ لـاـ يـعـقـلـوـنـ" [يونـسـ:100]، قـيـلـ الرـجـسـ: النـنـ، وـقـيـلـ: الـعـذـابـ، وـذـكـرـ كـفـوـلـهـ: +إـنـمـاـ الـمـُشـرـكـوـنـ نـجـسـ" [التـوـبـةـ:28]، وـقـالـ: +أـوـ لـحـمـ خـنـزـيرـ فـيـانـهـ رـجـسـ" [الأـنـعـامـ:154]، وـبـالـجـمـلـةـ لـفـظـ +رـجـسـ" أـصـلـهـ الـقـدرـ بـطـلاقـ وـبـرـادـ بـهـ الشـرـكـ كـمـاـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـيـ: +فـاجـتـذـبـوـنـ الـرـجـسـ مـنـ الـأـوـثـانـ وـاجـتـذـبـوـنـ قـوـلـ الـزـوـرـ" [الـحـاجـ]، وـبـيـطـلاقـ وـبـرـادـ بـهـ الـخـبـائـشـ الـمـحرـمـةـ كـالـمـطـعـومـاتـ وـالـمـشـرـبـاتـ، وـنـحـوـ قـوـلـهـ: +قـلـ لـاـ أـحـدـ فـيـ مـاـ أـوـحـيـ إـلـىـ مـهـرـمـاـ عـلـىـ طـاعـمـ يـطـعـمـهـ إـلـاـ أـنـ يـكـوـنـ مـيـتـةـ أـوـ دـمـاـ مـسـفـوـحـاـ أـوـ لـحـمـ خـنـزـيرـ فـيـانـهـ رـجـسـ أـوـ فـسـقـاـ" [الأـنـعـامـ:145]، وـقـوـلـهـ: +إـنـمـاـ الـخـمـرـ وـالـمـيـسـرـ وـالـأـنـصـابـ وـالـأـزـلـامـ رـجـسـ مـنـ عـمـلـ الشـيـطـانـ" [المائدة:90]، وـلـمـ يـثـبـتـ أـنـ استـخـدـمـ الـقـرـآنـ لـفـظـ +رـجـسـ" بـمـعـنـيـ مـطـلـقـ الـذـنـبـ بـ حـيـثـ يـكـوـنـ فـيـ إـذـهـابـ الرـجـسـ عنـ أـحـدـ إـثـبـاتـ لـعـصـمـتـهـ⁽⁴⁾.

دـ- التـطـهـيرـ مـنـ الرـجـسـ لـاـ يـعـنيـ إـثـبـاتـ الـعـصـمـةـ لـأـحـدـ: فـكـماـ أـنـ كـلـمـةـ +رـجـسـ" لـاـ بـرـادـ بـهـ ذـنـوبـ الـإـنـسـانـ وـأـخـطاـءـ فـيـ الـاجـتـهـادـ، وـإـنـماـ بـرـادـ بـهـ الـقـدرـ وـالـنـجـسـاتـ الـعـنـوـيـةـ وـالـحـسـيـةـ، فـإـنـ كـلـمـةـ التـطـهـيرـ لـاـ تـعـنـيـ الـعـصـمـةـ، فـإـنـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ يـرـيدـ تـطـهـيرـ كـلـ الـمـؤـمـنـيـنـ وـلـيـسـ أـهـلـ الـبـيـتـ فـقـطـ، وـإـنـ كـانـ أـهـلـ الـبـيـتـ هـمـ أـوـلـىـ النـاسـ وـأـحـقـهـمـ بـالـتـطـهـيرـ، فـقـدـ قـالـ اللـهـ تـعـالـيـ فـيـ كـتـابـهـ الـكـرـيمـ عـنـ صـحـابـهـ رـسـوـلـ اللـهـ × +مـاـ يـرـيدـ اللـهـ لـيـجـعـلـ عـلـىـ يـكـمـ مـنـ حـرـاجـ وـلـكـنـ يـرـيدـ لـيـطـهـرـكـمـ وـلـيـتـمـ نـعـمـتـهـ عـلـىـ يـكـمـ" [المائدة:6].

(1) الإمامـةـ وـالـنـصـ، فـيـصـلـ نـورـ صـ 386

(2) المصـدرـ نـفـسـهـ، صـ 391

(3) المصـدرـ نـفـسـهـ، صـ 393

(4) ثـمـ أـبـصـرـتـ الـحـقـيقـةـ، صـ 181

وقال عز من قائل: + خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطْهِرُهُمْ وَتُزَكِّيْهِمْ بِهَا
" [التوبه:103] ، وقال: + إِنَّ اللَّهَ يُحِبُ الْمُطَهَّرِينَ وَيُحِبُ الْمُذَهَّرِينَ " [البقرة:222] ، فكما أخبر الله عز وجل بأنه يريد تطهير أهل البيت أخبار كذلك بأنه يريد تطهير المؤمنين، فإن كان في إرادة التطهير وقوع للعصمة لحصل هذا للصحابة ولعموم المؤمنين الذين نصت الآيات على إرادة الله عز تطهيرهم، وقد قال تعالى عن رواد مسجد قباء من الصحابة + فِيهِ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يُطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُ الْمُطَهَّرِينَ " [التوبه:108] ، ولم يكن هؤلاء معصومين من الذنوب بالاتفاق.

وقال تعالى عن أهل بدر وهم ثلاثة عشر رجلاً: + وَيُنَزَّلُ عَلَيْكُم مَنْ اسْمَاعَ مَاءِ لِيُطَهَّرُكُمْ بِهِ وَيُدْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ " [الأفال:11] ، ولم يذكر في هذا إثبات لعصمتهم مع أنه لا فرق بين قول الله تعالى عن أهل البيت: + لَيُدْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجَسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهَّرُكُمْ تَطْهِيرًا " وبين قوله في أهل بدر: + وَيُدْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ " فالرجز والرجس متقاربان، ويطهركم في الآيتين واحد، لكن الهوى هو الذي جعل من الآية الأولى دليلاً على العصمة دون الآخر. والعجيب في علماء الشيعة أنهم يتمسكون بالآلية ويسخرونها إلى أصحاب الكسا، ثم يصرفون معناها من إرادة التطهير إلى إثبات عصمة أصحاب الكسا، ثم يتৎসون في الوقت نفسه آيات أخرى نزلت في إرادة الله عز وجل لتطهير الصحابة، بل هم بالمقابل يقدحون فيهم، ويقولون بانقلابهم على أعقاليهم، مع أن الله عز وجل نص على إرادة تطهيرهم بدص الآية⁽¹⁾: + وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ ذُورًا فَمَا لَهُ مِنْ ذُورٍ " [النور:40] .

هـ الإرادة في الآية إرادة شرعية، وهي غير الإرادة القدرية: يعني: يحب الله أن يذهب عنكم الرجس، وقد تحدث علماء أهل السنة عن الإرادتين الشرعية الدينية، والإرادة القدرية الكونية، فقالوا:

إرادة شرعية دينية: وهي تتضمن معنى المحبة والرضا، قوله تعالى: + يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسُرُ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسُرَ " [البقرة:185] ، قوله تعالى: + وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَبَعَّونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمْلِيَ وَمَيْلًا عَظِيمًا مَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَخْفَفَ عَنْكُمْ وَخَلْقَ الْإِنْسَانِ ضَعْفِيًّا " [النساء:28] .

إرادة قدرية كونية خلقية: وهي التي بمعنى المثبتة الشاملة لجميع الموجودات، وذلك مثل الإرادة في قوله تعالى: + وَلَكُنَّ اللَّهُ يَفْعُلُ مَا يُرِيدُ " [البقرة:253] ، قوله: + وَلَا يَنْفَعُكُمْ ذَصْحِي إنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْرِيَكُمْ " [هود:34] ، فالمعاصي إرادة كونية قدرية فهو سيحانه لا يحبها ولا يرضها ولا يأمر بها، بل يبغضها ويكرها وينهى عنها، هذا قول السلف والأئمة قاطبة، فيه رقون بين إرادته التي تتضمن محنته ورضاه وبين إرادته ومشيئته الكونية القدرية التي لا يلزم منها المحبة والرضا⁽²⁾، ولا شك أن الله عز وجل أذهب الرجس عن فاطمة والحسين وعلي وزوجات النبي ×، ولكن الإرادة في هذه الآية إرادة شرعية، ولذلك جاء في الحديث أن النبي × لما جلّهم بالكساء قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس»⁽³⁾.

وـ دعاء النبي × يحسم القضية: آية التطهير لو كان فيها ما يدل على وقوع التطهير لأهل الكسا، لما قام رسول الله × بتغطيتهم بالكساء والدعاء لهم بقوله: «اللهم إن هؤلاء أ

(1) ثم أصبرت الحقيقة ص 182.

(2) أوسطية أهل السنة بين الفرق، محمد با عبد الله، ص 387.

(3) سنن الترمذى، كتاب مناقب أهل البيت رقم (3787).

هل بيتي فاذهب عنهم الرجس»⁽¹⁾, بل في هذا دلالة واضحة على أن الآية نزلت في نساء النبي ×, وأن رسول الله × أراد أن ينال أصحاب النساء هذا الإخبار الرياني عن التطهير, فجمعهن وجملهم بالكساء ودعا لهم فقبل الله دعاءه لهم⁽²⁾, فطهرهم كما طهر الله نساء النبي بنص الآية.

ز- من الردود الدالة على عدم دلالة الآية على الإمامة والعصمة: منها: أن ما اختص به أمير المؤمنين علي والحسن والحسين رضي الله عنهم من الآية بزعم القوم ثبت لسيدة فاطمة رضي الله عنها, وخصائص الإمامة لا تثبت للنساء, فلو كان هذا دليلاً لكان من يتصرف بما في الآية يستحق العصمة والإمامية, وفاطمة رضي الله عنها كذلك وبذات الاعتبار, فدل على أن الآية لا يراد بها الإمامة ولا العصمة, ومنها خروج تسعة من الأمة لعدم شمول الآية لهم, حيث اختصت الآية بثلاثة منهم⁽³⁾.

3- أدلةهم من مروياتهم: إن الآتى عشرية تقيم معندها في العصمة وغيرها بما يرثيه صاحب الكافي, وإبراهيم القمي, والمجلسى وأضرابهم من روایات منكرة في متتها, فضلاً عن إسنادها, تثبت لهؤلاء الآتى عشرية العصمة المزعومة, وقد ساق المجلسى في بابه الذي عقده في شأن العصمة ثلاثة وعشرين روایة من روایات شیوخه كالقمي, واعیاشی والمفید وغيرهم, وقد ذكرها بعد استدلاله بآية البقرة, التي تبين أن استدلالهم بها باطل, أما الكليني في الكافي فقد عقد مجموعه من الأبواب في معنى العصمة المزعومة, ساق فيها أخباراً بسنده عن الآتى عشر يدعون فيها أنهم معصومون بل وشركاء في الذبوبة, بل ويتصفون بصفات الإلهية, وتتجذر ذلك في الكافي في باب اعتقادهم في أصول الدين أمثلة من ذلك, وفي باب: أن الأئمة هم أركان الأرض, وأثبت فيه ثلاث روایات تقول بأن الأئمة الآتى عشر كرسول الله × في وجوب الطاعة, وفي الفضل, وفي التكاليف, فعلى جرى له من الطاعة بعد رسول الله × ما لرسول الله ×⁽⁴⁾, ثم ما تثبت أن ترتفع عن مقام رسول الله × إلى مقام رب العالمين, حيث تقول بأن علياً قال: أعطيت خصالاً لم يعطنهن أحد قبلني: علمت علم المانيا والبلايا, فلم يفتني ما سبقني, ولم يعزب عنّي ما غاب عنّي⁽⁵⁾, والذي يعلم المانيا والبلايا هو الله سبحانه + وما تدرى نفس مداداته كسبب عداؤه و ماتدرى نفس بيأي أرض تموت⁽⁶⁾ [القمان: 34], والذي لا يعزب عنه شيء ولا يفوته شيء هو الخالق - حلاً وعلاً- قال تعالى: لا يعزب عنّه مذ⁽⁷⁾ قال ذرة في السماءات ولا في الأرض⁽⁸⁾ [إيسٰ: 3], ومن تتبع أبواب الكافي في هذا المعنى, يلاحظ أنها لا تخرج عن دعاوي المتنبيين والملحدين على مدار التاريخ سوى أنهم نسبوا هذه المفتريات إلى جملة أهل البيت الأطهار⁽⁹⁾.

4- أدلةهم العقلية على مسألة العصمة: قالوا: إن الأمة لابد لها من رئيس معصوم يسد خطأها, فلو جاز الخطأ عليه لزم له آخر يسدده فيلزم التسلسل فحينئذ يلزم القول بعصمة الإمام, لأن النقاوة عندهم بالإمامية لا بالأمة.. وقالوا بأنه هو الحافظ للشرع, ولا اعتماد على الكتاب والسنة والإجماع بذوره.. إلخ⁽¹⁰⁾.

والحقيقة غير هذا تماماً, فالآمة معصومة بكتاب ربها وسنة نبئها ×, ولا تجتمع الأ

(1) سنن الترمذى, كتاب مناقب أهل البيت (3787), صححه الألبانى.

(2) ثم بصیرت الحقيقة, ص 182.

(3) الإمامة والنصل, ص 387.

(4) أصول الكافي (198/1).

(5) أصول الكافي (197/1).

(6) أصول الشيعة الإمامية (958/2).

(7) كشف المراد, لأبن المطهر, ص 390-391, نهج المسترشدين, ص 63, الشيعة في عقائدهم .369-368

مة على ضلاله، وعصمة الأمة مغنية عن عصمة الإمام، وهذا مما ذكره العلماء في حكم عصمة الأمة، قالوا: لأن من كان من الأمم قبلنا كانوا إذا بدلوا دينهم بعث الله نبياً بيده الحق، وهذه الأمة لا نبي بعد نبائها، فكانت عصمتها تقوم مقام النبوة، فلا يمكن لأحد منهم أن يبدل شيئاً من الدين إلا أقام الله من بين خطأه فيما بدله، ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى فرن سبيل المؤمنين بطاعة رسوله في قوله عز وجل: **+وَمَنْ يُشَاقِقُ الرَّسُولَ لَمْ يَنْجُوْ مَنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدُوْيِ وَيَتَبَعُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِيْنَ ذُوْلَهُ مَا ذُوْلَهُ وَذُصْلَهُ جَهَنَّمُ وَسَاعَتْ مَصْرِيْرَا** [النساء: 115]. فعصمة الأمة وحفظها من الصالل كما جاءت بذلك النصوص الشرعية. تختلف تماماً من يوجب عصمة واحد من المسلمين، ويجوز على مجموع المسلمين -إذا لم يكن فيهم معصوم- الخطأ⁽¹⁾، وكل ما سطروه وملأوا به الصفحات من أدلة عقلية تؤكد الحاجة إلى معصوم قد تحققت بالرسول ×، ولذلك فإن الأمة ترد عند التنازع إلى ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة ولا ترد إلى الإمام +**فَإِنْ تَنَازَ عَدْمُ فِي شَيْءٍ فَرَدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ**"

[النساء: 59]، قال العلماء: إلى كتاب الله وإلى نبيه ×، فإن قبض فإلى سنته⁽²⁾، وهي بهدي الكتاب والسنة لا تجتمع على ضلاله؛ لأنها لن تخلو من متمسك بها، إلى أن تقوم الساعة، وبلهذا فإن الحجة على الأمة قامت بالرسيل، قال تعالى: **+إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالذِيْيَرِيْنَ مِنْ بَعْدِهِ** [النساء: 163]، إلى قوله: **+لِذَلِّيْلِ اسْعَادِيْلِيْلِ حِجَّةَ بَعْدَ الرَّسُولَ**" [النساء: 165]، ولم يقل سبحانه -«والآئمة» وهذا يبطل قول من أحوج الخلق إلى غير الرسول كالآئمه⁽³⁾، كما أن دعوى العصمة عندهم ليس عليها دليل إلا زعمهم بأن الله لم يخل العالم من آئمه معصومين، لما في ذلك من المصلحة واللطف، ومن المعلوم المتيقن أن هذا المنتظر الغائب المفقود لم يحصل به شيء من المصلحة واللطف، وكذلك أجداده المتقدمون لم يحصل بهم المصلحة واللطف الحاصلة من إمام معصوم ذي سلطان كما كان النبي × بعد الهجرة، فإن كان إمام المؤمنين الذي يجب عليهم طاعته، ويحصل بذلك سعادتهم، ولم يحصل بعده أحد له سلطان تدعى له العصمة إلا علي رضي الله عنه، ومن المعلوم أن المصلحة واللطف الذين كان المؤمنون فيهما ز من الخلفاء الثلاثة أعظم من المصلحة واللطف الذين كانوا في خلافة علي ز من القتل والفتنة والافتراق⁽⁴⁾ أما من دون علي فإنما يحصل للناس من علمه ودينه مثل ما يحصل من نظرائه، وكان علي بن الحسين وأبيه أبو جعفر، وأبا جعفر بن محمد يعلمون الناس ما علمهم الله كما علمه علماء زمانهم، وكان في زمانهم من هو أعلم منهم وأنفع للآمة، وهذا معروف عند أهل العلم، ولو قدر أنهم كانوا أعلم وأدين فلم يحصل من أهل العلم والذين ما يحصل من ذوي الولاية من القوة والسلطان، والإزام الناس بالحق ومنعهم باليد عن الباطل، وأما من بعد الثلاثة كالعسكريين فهو لاء لم يظهر عليهم علم تستقيده الآمة، ولا كان لهم يد تستعين بها الأمة، بل كانوا كأمثالهم من الهاشميين لهم حرمة ومكانته، وفيهم من معرفة ما يحتاجون إليه في الإسلام والذين ما في أمثالهم، وهو ما يعرفه كثير من عوام المسلمين.. ولذلك لم يأخذ عنهم أهل العلم كما أخذوا عن أولئك الثلاثة⁽⁵⁾.

5- نقد عام لمبدأ عصمة الأئمة: دعوة العصمة للأئمة تصاهي المشاركة في النبوة، فإن المعصوم يجب اتباعه في كل ما يقول، ولا يجوز أن يخالف في شيء، وهذه خاصة الأنبياء، ولهذا أمرنا أن نؤمن بما أنزل إليهم، قال تعالى: **+قُولُوا أَمَدَنَا بِاللَّهِ وَمَا أَنْ**

(1) المنقى، ص 410، أصول الشيعة الإمامية (958، 959/2).

(2) التمهيد لابن عبد البر (264/4).

(3) الفتاوى (66/19).

(4) منهاج السنة (1404/2).

(5) المصدر نفسه (248/3).

زَلَ الْيَنْدَا وَمَا أُنْزَلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا ذَرَرٌ قُبَيْنَ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَذَرَنَ لَهُ مُسْلِمُونَ" [البقرة: 136]. فأمرنا أن نقول: أما بما أُوتِيَ النبيُّونَ، فالإيمان بما جاء به النبيُّونَ مما أمرنا أن نقوله ونؤمن به، وهذا ما اتفق عليه المسلمون، فمن جعل بعد الرسول معصوماً يجب الإيمان بكل ما يقوله فقد أعطاه عنِّي النبوة، وإن لم يعطه لفظها⁽¹⁾، وهذا مخالف لدين الإسلام؛ لكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها.

أما القرآن فقال سبحانه: +يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَوْلَىِ الْأَمْرِ مَنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَ عَدُمُ فِي شَيْءٍ فَرُدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ" [النساء: 59]، فلم يأمرنا بالرد عند التنازع إلا إلى الله والرسول، ولو كان للناس مع صوم غير الرسول × لأمرهم بالرد عليه، فدل القرآن أن لا معصوم إلا الرسول ×⁽²⁾.

وقال تعالى: +وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهِيدَاتِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسْنُ أُولَئِكَ رَفِيقًا" [النساء: 69]، وقال: +وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارًا حَمَدَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبْدًا" [الجن: 23]، فدل القرآن في غير موضع على أن من أطاع الرسول كان من أهل السعادة، ولم يشترط في ذلك طاعة معصوم آخر، ومن عصى الرسول كان من أهل الوعيد، وإن قدر أنه أطاع من ظن أنه معصوم. وقد اتفق أهل العلم على أن كل شخص - سوى الرسول × - فإنه يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله × فإنه يجده تصديقه في كل ما أخبر، واتباعه فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وجزر، وألا يعبد إلا بما شرع، فإنه المعصوم الذي لا ينطبق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى⁽³⁾.

والسنة المطهرة دلت على ذلك، ولكنهم لا يرجعون إلا إلى أقوال أئمتهم، وإليك ما ينقذ مذهبهم مما ثبت عندهم من أقوال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فقد جاء في ذهنج البلاغة الذي تعتمده الشيعة، ما يهدم كل ما بنوه من دعاوي في عصمة الأئمة، حيث قال أمير المؤمنين كما يروي صاحب النهج: لا تختالوني بال Manson، ولا تظنوا بي استنقالاً في حق قيل لي، ولا للناس إعطاء النفس، فإنه من استنقال الحق أن يقال له، أو ألا لعدل أن يعرض عليه، كان العمل بهما أتفق عليه، فلا تنكروا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولا أمن ذلك من فعلي⁽⁴⁾. فهو هنا لم يدع ما تزعم الشيعة فيه من أنه لا يخطئ بل أكد أنه لا يأمن على نفسه من الخطأ، كما لم يعلن استغناءه عن مشورة الرزيعة بل طلب المشورة بالحق والعدل؛ لأن الأمة لا تجتمع على ضلاله، إنما كل فرد على حدة معرض للضلال، فعلم أن دعوى العصمة من غلاة الشيعة⁽⁵⁾، وجاء في نهج البلاغة - أيضًا: لابد للناس من أمير بر أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن، ويجمع به الفئ، ويقاتل به العدو، وتؤمن به السبل، ويؤخذ به للضعف من القوي⁽⁶⁾. فأثبتت ترى أنه لم يشترط العصمة في الأمير، ولم يشر لها من قريب أو بعيد، بل رأى أنه لابد من نصب أمير تناط به مصالح العباد والبلاد، ولم يقل إنه لا يلي أمر الناس إلا إمام معصوم، وكل رأية تقوم غير رأية المعصوم فهي رأية جاهلية كما تقول كتب الشيعة - ولم يحصر الإمارة في الاثنين عشر المعصومين عند الشيعة، ويكره من تولا

(1) منهاج السنة (174/3).

(2) المصدر نفسه (105/2).

(3) منهاج السنة (175/3).

(4) نهج البلاغة ص 335.

(5) أصول الشيعة الإمامية (964/2).

(6) نهج البلاغة، ص 82.

ها من خلفاء المسلمين كما تذهب إليه الشيعة، بل رأى ضرورة قيام الإمام ولو كان فاجراً، وجعل إمارته شرعية بدليل أنه أجاز الجهاد في ظل إمارة الفاجر، فأين هذا مما نقره الشيعة بمنع الجهاد حتى يخرج المنتظر⁽¹⁾.. لأن الإمامة الشرعية محصورة في الآئمة عشر؟!! وكان الآئمة يعتنون بالذنوب ويستغفرون الله منها، فأمير المؤمنين علي رضي الله عنه في دعائه في نهج البلاغة: اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني، فإن عدت فعد على بالمغفرة، اللهم اغفر لي ما وأيت⁽²⁾ من نفسي ولم تجد له وفاء عندي، اللهم اغفر لي ما تقربت به إليك بلسانك ثم خالفه قلبي، اللهم اغفر لي رمazات الألحاد، وسقطات الألحاد، وشهوات الجنان، وشهوات اللسان⁽³⁾. فأنت ترى الإقرار بالذنب وبالعودـة إليه بعد الذنب، والاعتراف بسقطات الألحاد وشهوات الجنان، ومخالفة القلب للسان، كل ذلك ينفي ما تدعـيه الشيعة من العصمة، إذ لو كان على والإئمة معصومـين لكان استغفارـهم من ذنب وبهم عبداً، وكل أئمتـهم قد نقلـت عنـهم كتبـ الشـيعة الاستـغفارـ إلى الله سبحانه منـ الذنـوب والـمعاصـي، ولو كانواـ معـسومـين لماـ كانـت لهمـ ذنـوب⁽⁴⁾. ولقد احـتـار شـيوخـ الشـيعـةـ فيـ ذـ وجـيهـ مـثـلـ هـذـهـ الـأـدـعـيـةـ وـالـتـيـ تـنـافـيـ وـمـقـرـأـتـهـمـ فيـ الـعـصـمـةـ⁽⁵⁾.

وهـنـاكـ أـمـرـ آخرـ يـبـطـلـ دـعـوـيـ الـعـصـمـةـ: وـمـنـ كـتـبـ الشـيعـةـ نـفـسـهـ؛ ذـلـكـ هوـ الاـخـتـلـافـ وـالتـاقـضـ حـيـالـ بـعـضـ الـمـوـاـفـقـ وـالـمـسـائـلـ، وـأـعـمـالـ الـمـعـسـومـينـ لـاـ تـتـاقـضـ وـلـاـ تـخـتـلـفـ بـ لـ يـصـدـقـ بـعـضـهاـ بـعـضـاـ وـيـشـهـدـ بـعـضـهاـ لـبـعـضـ، وـالـاـخـتـلـافـ نـاقـضـ لـلـعـصـمـةـ التـيـ هـيـ شـرـ طـ لـلـإـمـامـةـ عـنـهـمـ، وـهـوـ نـاقـضـ بـالـتـالـيـ لـأـصـلـ الـإـمـامـةـ نـفـسـهـ، وـلـذـلـكـ إـنـ ظـاهـرـ الـاـخـتـلـافـ فـيـ أـعـمـالـ الـأـئـمـةـ كـانـتـ سـبـبـاـ مـبـاـشـرـاـ الـخـروـجـ بـعـضـ الـشـيعـةـ مـنـ نـاطـقـ التـشـيعـ حـيـثـ رـابـهمـ أـمـرـ هـذـاـ التـاقـضـ، وـمـنـ أـمـثلـةـ ذـلـكـ مـاـ ذـكـرـهـ الـقـمـيـ وـالـنـوـبـختـيـ مـنـ آنـهـ بـعـدـ قـتـلـ الـحـسـينـ حـارـتـ فـرـقـةـ مـنـ أـصـحـابـهـ وـقـالـتـ: قـدـ اـخـتـلـفـ عـلـيـنـاـ فـعـلـهـ الـحـسـنـ وـفـعـلـ الـحـسـينـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ، اـ لـأـنـ إـنـ كـانـ الـذـيـ فـعـلـهـ الـحـسـنـ حـقـاـ وـاجـداـ صـوابـاـ مـنـ موـادـعـتـهـ مـعـاوـيـةـ وـتـسـلـيمـهـ لـهـ عـنـهـ عـجزـهـ عـنـ الـقـيـامـ بـمـحـارـبـتـهـ مـعـ كـثـرـةـ أـنـصـارـ الـحـسـنـ وـقـوـتـهـ، فـمـاـ فـعـلـهـ الـحـسـينـ مـنـ مـحـارـبـتـهـ يـزـيدـ بـنـ مـعـاوـيـةـ مـعـ قـلـةـ أـنـصـارـ الـحـسـينـ وـضـعـفـهـ، وـكـثـرـةـ أـصـحـابـ يـزـيدـ حـتـىـ قـتـلـ وـقـتـلـ أـ صـحـابـ جـمـيـعاـ بـاطـلـ غـيرـ وـاجـبـ، لـأـنـ الـحـسـينـ كـانـ أـعـذـرـ فـيـ الـقـعـودـ مـنـ مـحـارـبـةـ يـزـيدـ وـ طـلـبـ الـصـلـحـ وـالـمـوـادـعـةـ مـنـ الـحـسـينـ فـيـ الـقـعـودـ مـنـ مـحـارـبـةـ مـعـاوـيـةـ، وـإـنـ كـانـ مـاـ فـعـلـهـ الـحـسـينـ حـقـاـ وـاجـداـ صـوابـاـ مـنـ مـجـاهـدـتـهـ يـزـيدـ حـتـىـ قـتـلـ وـلـدـهـ وـأـصـحـابـهـ، فـقـعـودـ الـحـسـنـ وـتـرـكـهـ مـجـاهـدـةـ مـعـاوـيـةـ وـقـتـالـهـ وـمـعـهـ الـعـدـدـ الـكـثـيرـ بـاطـلـ، فـشـكـواـ فـيـ إـمـامـهـمـاـ وـرـجـعـواـ فـدـخـلـواـ فـيـ مـقـالـةـ الـعـوـامـ⁽⁶⁾.

وـأـمـاـ الـأـمـثلـةـ عـلـىـ الـاـخـتـلـافـ وـالتـاقـضـ فـيـ أـقـوـالـ الـأـئـمـةـ فـهـوـ بـابـ وـاسـعـ، وـكـانـ هـوـ لـأـخـرـ مـنـ أـسـبـابـ اـنـصـارـ بـعـضـ الـشـيعـةـ عـنـ التـشـيعـ، وـقـدـ شـهـدـ بـذـلـكـ شـيـخـ الطـائـفـةـ الطـوـسـيـ، وـقـالـ بـأـنـ أـخـبـارـهـ مـتـاقـضـةـ مـتـبـانـيـةـ حـتـىـ لـأـيـوـجـ خـبـرـ إـلاـ بـإـرـائـهـ مـاـ يـضـادـهـ، وـلـاـ روـايـةـ هـ إـلـاـ وـيـوـجـدـ مـاـ يـخـالـفـهـ، وـعـدـ ذـلـكـ مـنـ أـعـظـمـ الطـعـونـ عـلـىـ الـمـذـهـبـ الشـيـعـيـ، وـمـنـ أـسـبـابـ مـفـارـقـةـ بـعـضـ الـشـيعـةـ الـإـمامـيـةـ لـلـمـذـهـبـ، وـكـتابـاـ الـتـهـذـيبـ وـالـاستـبـصـارـ سـوـهـماـ الـمـصـدـرـانـ الـمـعـتمـدانـ مـنـ الـمـصـادـرـ الـأـرـبـعـةـ عـنـ الـشـيـعـةـ. يـشـهـدـانـ بـهـذـاـ التـاقـضـ وـالـاـخـتـلـافـ عـبـرـ روـايـاتـ هـمـاـ الـكـثـيرـ، وـقـدـ حـاـوـلـ الـطـوـسـيـ درـءـ هـذـاـ الـاـخـتـلـافـ وـمـعـالـجـةـ هـذـاـ التـاقـضـ بـحـمـلـهـ عـلـىـ الـقـيـةـ فـمـاـ أـفـلـحـ إـذـ زـادـ الـطـيـنـ بـلـةـ، عـلـمـاـ بـأـنـ الـطـوـسـيـ هـوـ الـذـيـ كـانـ يـوـجـهـ الـرـوـايـاتـ فـيـقـولـ:

(1) فـصـلـ الـغـيـبةـ وـالـمـهـدـيـةـ، صـ 824ـ.

(2) وـأـيـتـ: وـعـدـ.

(3) نـهـجـ الـبـلـاغـةـ، صـ 104ـ.

(4) أـصـولـ الـشـيـعـةـ الـإـمامـيـةـ (965/2).

(5) الـمـصـدـرـ نـفـسـهـ (966/2).

(6) الـمـقـالـاتـ وـالـفـرـقـ الـقـمـيـ، صـ 25ـ، فـرـقـ الـشـيـعـةـ للـنـوـبـختـيـ، صـ 26ـ، 25ـ.

هذا الحديث تقية، وهذه الرواية ليست بتقية، وعليها العمل. والمتقد علىه أن الطوسي نفس ه ليس بمعصوم، وبالضرورة سوف يخطئ في توجيه بعض هذه الروايات فيجعل ما ليه س بتقية نقية والشيعة يتبعونه في توجيهه هذا، وبالتالي يتضح أن الشيعة يتبعون في تدبرهم أمثال الطوسي، ولا يتبعون المعصوم في دينهم، وقد أوجد الشيعة الرافضة عقيدة التقى والبداء سوسياتي بيأنهما بإذن الله. لتعطية هذا الاختلاف في أخبار الأئمة وأعمالهم.. فاكتشف بعض الشيعة هذه المحاولة، وعرف سبب وضع هاتين العقيدين، فترك التشيع وقال: إن أئمة الرافضة وضعوا الشياعتهم مقابلتين لا يظهرون معهما من أئمتهم على كذب أبداً، وهم القول بالبداء وإجازة التقى.

وهناك أمر آخر يبطل دعوى العصمة: وهو أن المعصوم الذي يدعون اتباعه لم يعصهم من الخلاف في أصل الدين عندهم وأساسه وهو الإمامة، فتجدهم مختلفين متناذرون متلاعنين، يكفر بعضهم بعضاً لاختلافهم في عدد الأئمة، وفي تحديد أعيانهم، وفي الوقف وانتظار عودة الإمام، أو المضي إلى إمام آخر.. هذا عدا الروايات المختلفة المتافقه في الكثير من أمور الدين -أصوله وفروعه- مما منعت العصمة المزعومة أهل الطائف من الاختلاف، وعدم وجود آثارها يدل على انعدام أصلها، وقد يقال بأن اعتقادهم في عصمة الأئمة أمر لا يؤثر اليوم، لأن الأئمة قد انتهى وجودهم الفعلي منذ عام 260هـ.. ولم يبق إلا الانتظار للغائب الموعود إلا أن هذه العقيدة لها آثارها اليوم في واقع الشيعة، وتتمثل في جوانب منها:

1- عملهم بما يؤثر عن الأئمة الاثني عشر، كما يعمل سائر المسلمين بالقرآن والسنة.

2- غلوهم في قبورهم وأضرحتهم؛ فالغالو في عصمتهم على حد وصفهم بـ صفات الإلهية تحول إلى غلو في قبورهم ومشاهدتهم، فيطاف بها وتدعى من دون الله.

3- أن المجتهد الشيعي أصبح له شيء من هذه الصفة، فهم يرون الراد على كالرادر على الله وهو كحد الشرك بالله، وهذه من الخطورة بمكان.

4- حمل هذا الاعتقاد الفاسد والدينونة به⁽¹⁾ الذي ليس له علاقة بأمير المؤمنين علي وأولاده وأحفاده الأطهار رضي الله عنهم.

ثالثاً: النص من شروط الإمامية عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية:

يعتقد الشيعة الرافضة أن الإمامة كالنبوة لا تكون إلا بالنفع من الله عز وجل علىسان رسوله ×، وأنها مثلها لطف من الله عز وجل، ولا يجب أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة منصوب من الله تعالى، وليس للبشر حق اختيار الإمام وتعيينه، بل وليس للإمام نفسه حق تعيين من يأتي بعده، وقد وضعوا على لسان أئمتهم عشرات الروايات في ذلك، منها ما نسبوه إلى الإمام محمد الباقر رحمة الله أنه قال: أترون أن هذا الأمر إلينا نجعله حيث نشاء؟، لا والله ما هو إلا عهد من رسول الله؛ رجل فرجل مسمى حتى تنتهي إلى صاحبها⁽²⁾.

ويعتقد الشيعة الاثنا عشرية أن الرسول × قد نص على الأئمة من بعده وعينهم بأسمائهم وهم اثنا عشر إماماً لا ينقصون ولا يزيدون وهم:

1- علي بن أبي طالب رضي الله عنه المرتضى (ت 40هـ).

(1) أصول الشيعة الإمامية (2/969-973).

(2) الإمامة والنص، فيصل نور، ص 8.

- 2- الحسن بن علي رضي الله عنه الزكي (ت50هـ).
- 3- الحسين بن علي رضي الله عنه سيد الشهداء (ت61هـ).
- 4- علي بن الحسين زين العابدين (ت95هـ).
- 5- محمد بن علي الباقر (ت114هـ).
- 6- جعفر بن محمد الصادق (ت148هـ).
- 7- موسى بن جعفر الكاظم (ت183هـ).
- 8- علي بن موسى الرضا (ت203هـ).
- 9- محمد بن علي الجواد (ت220هـ).
- 10- علي بن محمد الهادي (ت254هـ).
- 11- محمد بن الحسن المهدي (ت256هـ).
- 12- الحسن بن علي العسكري (ت260هـ).

كان ابن سبأ ينتهي بأمر الوصية عند علي رضي الله عنه، ولكن جاء فيمن بعد من عمّها في مجموعة من أولاده، وكانت الخلايا الشيعية تعمل بصمت وسرية، ومع ذلك فقد تصل بعض هذه الداعوي إلى بعض أهل البيت، فينفون ذلك نفيًا قاطعًا، كما فعل جد هم أمير المؤمنين علي، ولذلك اخترع أولئك الكذابون على أهل البيت «عقيدة التقية» حتى يسهل نشر أفكارهم وهم في مأمن من تأثير الأتباع بموافقتهم أهل البيت الصادقة، والمعونة للناس⁽¹⁾.

إن من أخطر الأمور التي ابتدعها الشيعة: الوصية، وهي أن رسول الله × أوصى بالخلافة بعد وفاته مباشرة إلى علي رضي الله عنه، وأن من سبقه مغتصبون لحقه كما جاء في كتابهم «الكافي»، من مات ولم يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، وكان علي هو وصيه بزعمهم⁽²⁾، ولكن بالاستقراء التاريخي لتاريخ الخلفاء الراشدين، لا نجد للوصية ذكرًا في خلافة أبي بكر ولا في خلافة عمر رضي الله عنهما، وإنما نجد بدایة ظهورها في الست سنوات الأخيرة من خلافة عثمان رضي الله عنه، عند بزوع قرن الفتنة، وقد استذكر الأصحابية هذا القول؛ عندما وصل إلى أسماعهم، وبينوا كذبه، ومن أشهر هؤلاء علي بن أبي طالب، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عندهما، ثم نرى هذا القول يتبلور في فكرة موجّهة، وعقيدة تدعوا إلى الإيمان بها والدعوة إليها، وذلك في خلافة علي رضي الله عنه، وهذه الوصية التي تدعى بها الرافضة قد أثبتت علماؤهم أنها من وضع عبد الله بن سبأ كما ذكر ذلك النوخطي والكتبي - وقد مر ذلك معنا-. ويكون في الرد على زعمهم ما ورد بالنقول الصحيح عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم ومنهم علي رضي الله عنه نفسه، والأدلة كثيرة منها:

- 1- ذكر عند عائشة رضي الله عنها أن النبي × أوصى إلى علي، فقالت: من قاله؟ لقد رأيت النبي × وإنني لمسندته إلى صدرى، فدعا بالطست، فانحنى، فمات، فما شعرت وكيف أوصى إلى علي⁽³⁾.

وتصريح عائشة رضي الله عنها أن النبي × لم يوص لعلي من أعظم الأدلة على عدم

(1) أصول الشيعة الإمامية (2/800).

(2) أصول الكافي (16، 17/2).

(3) البخاري رقم (1471)، كتاب الوصايا.

الوصية، فإن النبي × توفى في حجرها، ولو كانت هناك وصية لكانـت هي أدرى الناس بها⁽¹⁾

2- وعن ابن عباس رضي الله عنهم قال: إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذهب من عند رسول الله في وجده الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن، كيف أصبه ح رسول الله؟ فقال: أصبح بحمد الله بارداً، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب، فقال له: أنت والله بعد ثلاثة عبد العصا، وإنني والله لأرى رسول الله سوف يتوفى في وجده هذَا، وإنني لأعرف وجوه بنبي عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله، فلنسألة فيمن هذا الأمر، إن كان فيينا علماناً بذلك، وإن كان في غيرنا علماناً فما وصى بنا، فقال علي: إنما والله لئن سأله الناس رسول الله فمنعناها، لا يعطينها الناس من بعده، وإنني والله لا أسأله رسول الله⁽²⁾. وفي قوله رضي الله عنه شهادة للصحابة رضي الله عنهم على مدى الذّ ز امهم بتتفيد أمر رسول الله، فلو كانت هناك وصية لما تختلف أحد عنها، ولما عبرت الانصار عن رأيها في السقيفة - بحرية وشجاعة وصدق: منا أمير ومنكم أمير⁽³⁾ ، ولباقي عوا من عهد إليه الوصية، أو على الأقل سيذكر بعضهم، ولو كان هناك نص قبل ذلك لقاء علي للعباس: كيف نسأله عن هذا الأمر فيمن يكون وهو قد أوصى لي بالخلافة، وقد توفي رسول الله في نفس اليوم، فلما لم يوجد شيء من ذلك تبين أن ما يُدّعى من الذّ ص دعوى لا أساس لها من الصحة، وكل ما أوردوه في ذلك من التصريح على على ردود، لمخالفته هذا النص الصریح من علي رضي الله عنه؛ لأن كل أدلةهم السمعية إما أنها لا تدل على المدعى، وإما نصوص تدل على ذلك ولكنها موضوعة⁽⁴⁾.

3- سئل علي رضي الله عنه: أخصكم رسول الله × بشيء؟ فقال: ما خصنا رسول الله بشيء لم يعم به الناس كافة، إلا ما كان في قراب سيفي هذا، قال: فأخرج صحيفه مكتوبًا فيها: «لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من غير منار الأرض، ولعن الله من لعن والده، ولعن الله من آوى محدثا»⁽⁵⁾. قال ابن كثير رحمه الله: وهذا الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما عن علي رضي الله عنه يرد على فرقة الرافضة من زعمهم أن رسول الله أوصى إليه بالخلافة، ولو كان الأمر كما زعموا لما رد ذلك أحد من الصحابة، فإنهم كانوا أطوع الله ورسوله في حياته، وبعد وفاته من أن يفتنتوا عليه فيقدموا غير من قدمه، ويؤخروا من قدمه بنصه، حاشا وكلا!!، ومن ظن بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواتر على معاندة الرسول ×، ومصادتهم لحكمه ونصره، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع رقبة الإسلام، وكفر بإجماع الأمة الأعلام⁽⁶⁾، قال التنووي رحمه الله: فيه إبطال ما تزعمه الرافضة والشيعة والإمامية بالوصية لعلى وغير ذلك من اختراعاتهم⁽⁷⁾.

4- وعن عمرو بن سفيان قال: لما ظهر على يوم الجمل قال: أيها الناس إن رسول الله × لم يعهد إلينا من هذه الإمارة شيئاً حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر فأقام واستقام حتى مضى لسبيله⁽⁸⁾.

5- روى أبو بكر البهقي بإسناده إلى شقيق بن سلمة، قال: قيل لعلي بن أبي طالب:

(١) بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود (١٩٠/١).

(2) البخاري، كتاب المغازي رقم (4447).
 (3) البخاري، كتاب المغازي رقم (6820).

³ البحاري، كتاب الحدود رقم (6830).
⁴ الإمامة والبراء على الراوية تحققة على

(4) الإمام والرد على الراصده لحقفي علي ناصر قفيهي، ص 238.
 (5) مسلم (3/1567) رقم (1978).

البداية والنهاية (221/5) (6)

شرح صحيح مسلم (١٣) / ٧

(8) الاعتقاد, ص 184, وقال البيهقي.

ألا تستخلف علينا؟، فقال: ما استخلف رسول الله × فاستخلف، ولكن إن يرد الله الناس خيرًا فسيجعلهم بعدي على خيرهم، كما جعلهم بعد نبيهم على خيرهم⁽¹⁾. فهذا دليل وأدلة على أن دعوى النص عليه رضي الله عنه إنما هو من اختلاف الراهنون، الذين ملأوا قلوبهم بالبغض والحق لاصحاب رسول الله × بمن فيهم علي وأهل بيته، وإنما يدعون حبهم بسترًا ليتنسني لهم الكيد للإسلام وأهله⁽²⁾.

بهذه النصوص القطعية يتضح بجلاء أنه لا أصل للوصية المزعومة، وأن ما اعتمد عليه الراهنون هو من وضع عبد الله بن سباء، الذي هو أول من أحدث الوصية، ثم وضعت بعد ذلك أسانيد وركبت متون نسبوها زورًا وبهتانًا إلى النبي ×، وهدفهم من ذلك الاتهام في الصحابة رضي الله عنهم بمخالفتهم أمر الرسول × وإجماعهم على ذلك، ومن ثم الطعن ورد ما نقلوه إلى أجيال المسلمين من قرآن وحديث⁽³⁾، قال ابن تيمية رحمة الله في رده على الحلي: وأما النص على علي فليس في شيء من كتب أهل الحديث المعتبرة، وأجمع أهل الحديث على بطلانه، حتى قال أبو محمد بن حزم، ما وجدنا قط رواية عند أحد في هذا النص المدعى إلا رواية إلى مجھول يكفي أنها الحمراء لا نعرف من هو في الخلق⁽⁴⁾، وقال في موضع آخر: فعلم أن ما تدعوه الراهنون من النص هو مما لم يسمه أحد من أهل العلم بأقوال رسول الله × قديمًا ولا حديثًا، ولهذا كان أهل العلم بالحديث يعلمون بالضرورة كذب هذا النقل، كما يعلمون كذب غيره من المنقولات⁽⁵⁾، وقد جاء من الغلاة فيما بعد من أحيا نظرية ابن سباء في أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ثم ظهرت مومها على آخرين من سلالة علي والحسين في إثارة مشاعر الناس وعواطفهم، والدخول إلى قلوبهم، لتحقيق أغراضهم ضد الدولة الإسلامية في ظل هذا الستار، وأول من بدأ بشيئ القول بأن الإمامة محصورة بأناس مخصوصين في آل البيت، شيطان الطاق الذي تلقبه الشيعة مؤمن الطاق⁽⁶⁾، وأنه حينما علم بذلك زيد بن علي بعث إليه ليقف على حقيقة الإشاعة، فقال له زيد: بلغني أنك تزعم أن في آل محمد إماماً مفترض الطاعة؟، قال شيطان الطاق: نعم، وكان أبوك على بن الحسين أحدهم، فقال: وكيف وقد كان يوتى بلقمة وهي حارة فيبردها بيده ثم يلقمها، افترى أنه كان يشفق على من حر اللقمة، ولا يشفق على من حر النار؟، قال شيطان الطاق: قلت له: كره أن يخبرك فتكرر، فلا يكون له فد بك الشفاعة⁽⁷⁾، وهذه القصة المرورية في أوثق كتب الرجال عندهم تبين أن هذه النظرية كانت سرية التداول لدرجة أنها خفيت على إمام من أئمة أهل البيت وهو الإمام زيد. وقد يدين محب الدين الخطيب أن شيطان الطاق هو أول من اخترع هذه العقيدة الضالة وحصر الإمامية والتشريع، وادعى العصمة لأناس مخصوصين من آل البيت⁽⁸⁾، وقد شارك شيطان الطاق رجل آخر هو هشام بن الحكم المتوفي 179هـ⁽⁹⁾، وبيدو أن عقيدة حصر الإمامية بأناس معينين سرت في الكوفة⁽¹⁰⁾، بسعى مجموعة من أتباع هشام وشيطان الطاق، ففكرة حصر الأئمة بعدد معين قد وضع جذورها في القرن الثاني زمرة من يدعى الصادقة بأهل البيت، أمثال شيطان الطاق وهشام بن الحكم⁽¹¹⁾، ولقد اختلفت اتجاهات الشيعة وتأ

(1) الاعتقاد ص 184، استناده جيد.

(2) عقيدة أهل السنة في الصحابة ج2 (620).

(3) خلافة على بن أبي طالب عبد الحميد، ص 65.

(4) المنهاج (362/8)، الفصل (4/161).

(5) المنهاج (50/7).

(6) أصول الشيعة الإمامية (800/2).

(7) رجال الكشي، ص 186.

(8) مجلة الفتح، ص 5، العدد 862 عام 1367هـ.

(9) أصول الشيعة الإمامية (703/2).

(10) بحار الأنوار (259/100)، أصول الشيعة الإمامية (805/2).

(11) أصول الشيعة الإمامية (806/2).

بابنت مذاهبهم في عدد الأئمة، قال في مختصر التحفة: اعلم أن الإمامية قاتلون بانحصار الأئمة، ولكنهم مختلفون في مقدارهم، فقال بعضهم: خمسة، وبعضهم: سبعة، وبعضهم ثمانية، وبعضهم: اثنا عشر، وبعضهم ثلاثة عشر⁽¹⁾.

وكتب الشيعة نقلت صورة هذا التباين والتناقض سواء أكانت من كتب الإماماعيلية كمسائل الإمامة للناشئ الأكبر، أو الزينة لأبي حاتم الرازي، أم من كتب الاثنى عشرية مثل: المقالات والفرق للأشعري القمي، وفرق الشيعة للنوبختي، وقضية الإمامة عندهم ليست بالأمر الفرعى الذي يكون فيه الخلاف أمرًا عاديًّا، بل هي أساس الدين وأصله المدين، ولا دين لمن لم يؤمن بإمامهم ولذلك يكفر بعضهم ببعضًا⁽²⁾، بل إن أتباع الإمام الواحد يكفر بعضهم ببعضًا، ويُلعن بعضهم ببعضًا⁽³⁾ أما الاثنا عشرية فقد استقر قولها فيما بعد بحصر الإمامة في الاثني عشر إمامًا، ولم يكن في العترة النبويةبني هاشم على عهد رسول الله × وأبي بكر وعثمان وعلى رضي الله عنهم من قول بإمامية الاثنى عشر ر⁽⁴⁾، إنما عرف الاعتقاد باثني عشر إمامًا بعد وفاة الحسن العسكري⁽⁵⁾.

وحصر الأئمة بعدد معين عقيدة فاسدة باطلة أمير المؤمنين علي وأولاده وأحفاده برأ منها، وفي كتب الشيعة المعتمدة في نهج البلاغة، عن علي رضي الله عنه قال: دعونا ي والتتسوا غيري، فإنما مستقبلون أمرًا له وجوه ولوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت علية العقول⁽⁶⁾، وإن الآفاق قد أغامت⁽⁷⁾، والممحجة قد تذكرت، واعلموا أنني إن أحبيبكم ركبتم لكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فإنما كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتهم أمركم، وأنا لكم وزيرًا خير لكم مني أميرًا⁽⁸⁾.

فلو كانت إمامية علي منصوصًا عليها من الله عز وجل لما جاز لعلي بن أبي طالب تحت أي ظرف من الظروف أن يقول للناس: «دعوني والتتسوا غيري، ويقول: «أنا لكم وزيرًا خير لكم مني أميرًا» كيف والناس تريده وجاءت تباعيده⁽⁹⁾.

ويقول في النهج كلامًا أكثر صراحة وأشد وضوحاً حين يقول: إنه يعني القوم الذين بايعوا أبي بكر وعثمان علي ما بايدهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغالب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمامًا كان ذلك الله رضا، فإن خرج عن أمرهم خارج بطبعه أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبي قاتلوك على اتباعه غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى⁽¹⁰⁾.

وقد أشار أمير المؤمنين بهذه العبارة إلى حقيقة جديرة بالاهتمام حيث جعل:

أ- الشورى للمهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله × وبيدهم الحل والعقد.

ب- اتفاقهم على شخص سبب لمرضاه الله وعلامة لموافقته سبحانه وتعالى على اختيارهم.

(1) مختصر التحفة، ص 193.

(2) أصول الشيعة الإمامية (2)، 807/2.

(3) منهاج السنة (2)، 11/2.

(4) أصول الشيعة الإمامية (2)، 808/2.

(5) لا تنصير له ولا تتطيق احتماله.

(6) أغامت: غطبت بالغنم.

(7) المحجة: الطريق المسقية.

(8) نهج البلاغة خطبة رقم (92)، ص 236.

(9) تم بصرت الحقيقة، 158.

(10) نهج البلاغة، كتاب إلى معاوية رقم (6)، ص 526.

- ج- لا تتعقد الإمامة في زمانهم دونهم، وبغير اختيارهم.
 د- لا يرد قولهم ولا يخرج عن حكمهم إلى المبتدع البااغي المتابع غير سبيل المؤمنين.

فإين هم الشيعة الائتية عشرية من هذه التصريحات المهمة؟⁽¹⁾

إن مسألة النص لا ثبتت بأي وجه من الوجوه، ومسألة حصر الأئمة بعدد معين مردودة بالكتاب والسنة، كما أنه لا يقبلها العقل ومنطق الواقع، إذ بعده انتهاء العدد المعين هل تتظل الأئمة بدون إمام؟، ولذلك فإن عصر الأئمة الظاهرين عند الائتية عشرية لا يتعدى قرنين ونصف قرن إلا قليلاً، وقد أضطر الشيعة للخروج عن حصر الأئمة بمسألة نيابة ا لمجتهد عن الإمام، وأختلف قولهم في حدود النيابة⁽²⁾. وفي هذا العصر أضطروا للخروج نهائياً عن هذا الأصل الذي هو قاعدة دينهم، فجعلوا رئاسة الدولة تتم عن طريق الانتساب ولكل منهم خرجوا عن حصر العدد إلى حصر النوع فقصروا رئاسة الدولة على الفقيه الشيعي⁽³⁾.

ما يحتاج به الائتية عشرية في أمر تحديد عدد الأئمة بما جاء في كتب السنة:

عن جابر بن سمرة قال: يكون اثنا عشر أميرًا. فقال كلمة لم اسمعها، فقال أبي: إنه قال: «كلهم في قريش»⁽⁴⁾. وفي مسلم عن جابر قال: سمعت رسول الله × يقول: «لا يز ال الإسلام عزيزاً إلى اثنى عشر خليفة»، ثم قال كلمة لم أفهمها. فقلت لأبي: ما قال؟، فقال: «كلهم في قريش»⁽⁵⁾، وفي لفظ: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثنى عشر خليفة»⁽⁶⁾، وفي لفظ آخر: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما ولهم اثنا عشر رجلاً»⁽⁷⁾، وعند أبي داود: «لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم تجتمع عليهم الأئمة»⁽⁸⁾، وأخرجه أبو داود أيضاً من طريق الأسود بن سعيد عن جابر بن حوش ما مضى قال: وزاد فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقلوا: ثم يكون ماذا، قال: «الله رج»⁽⁹⁾.

يتعلق الائتية عشرية بهذا النص ويحتاجون به على أهل السنة، لا لإيمانهم بما جاء في كتب السنة⁽¹⁰⁾، ولكن للاحتجاج عليهم بما يسلمون به، وبالتأمل في النص بكل حيطة و موضوعية نجد أن هؤلاء الائتين عشر وصفوا بأنهم يتولون الخلافة، وأن الإسلام في عهدهم يكون في عزة ومنعة، وأن الناس تجتمع عليهم ولا يزال أمر الناس ماضياً وصالحاً في عهدهم، وكل هذه الأوصاف لا تنطبق على من تدعى الائتية عشرية فيهم الإمامة، فلام يقول الخليفة منهم إلا أمير المؤمنين علي والحسن مدة قليلة، كما لم يقم أمر الأئمة في مدة أحد من هؤلاء الائتين عشر في نظر الشيعة أنفسهم - بل مازال أمر الأئمة فاسداً.. ويتولى عليهم الظالمون بل الكافرون⁽¹¹⁾، وأن الأئمة أنفسهم كانوا يتسترون في أمور دينهم بالتقىة⁽¹²⁾، وأن عهد أمير المؤمنين علي وهو على كرسي الخليفة عهد تقىة، كما ص

(1) ثم أبصرت الحقيقة، ص 161.

(2) الحكومة الإسلامية للخميني، ص 68، أصول الشيعة (2/814).

(3) الحكومية الإسلامية للخميني، ص 248، أصول الشيعة (2/814).

(4) البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف (127/8).

(5) مسلم، كتاب الإمارة، باب الناس (2/1453).

(6) المصدر نفسه (2/1452).

(7) سنن أبي داود، كتاب المهدى (4/471).

(8) سنن أبي داود، كتاب المهدى (4/472).

(9) فتح الباري (13/211).

(10) أصول الشيعة الإمامية (2/815).

(11) منهاج السنة (2/210)، المنقى.

(12) أصول الشيعة الإمامية (2/816).

رح بذلك شيخهم المفید⁽¹⁾, فلم يستطع أن يظهر القرآن, ولا أن يحكم بجملة من أحكام الإسلام, كما صرَّح بذلك شيخهم الجزائري⁽²⁾, واضطُر إلى ممالة أصحابه ومجاراتهم على حساب الدين, كما أقر بذلك شيخهم المرتضى⁽³⁾, فالحديث في جانب ومزاعم هؤلاء في جانب آخر, ثم إنه ليس في الحديث حصر للأئمة بهذا العدد, بل نبوءة منه عليه السلام بأن الإسلام لا يزال عزيزاً في عصر هؤلاء, وكان عصر الخلفاء الراشدين وبني أمية عصر عزة ومنعة⁽⁴⁾, ولهذا قال ابن تيمية رحمة الله: إن الإسلام وشرائعه في زمانبني أمية أظهر وأوسع مما كان بعدهم, ثم استشهد بحديث: «لا يزال هذا الأمر عزيزاً في زمان اثنى عشر خليفة كلهم من قريش»⁽⁵⁾, ثم قال: وهكذا كان, فكان الخلفاء أبو بكر وعم ر وعثمان وعلي, ثم تولى من اجتمع الناس عليه وصار له عز ومنعة معاوية وأبيه يزيد ثم عبد الملك وأولاده الأربع وبنيه عمر بن عبد العزيز, وبعد ذلك حصل من النقص ما هو باق إلى الآن, ثم شرح ذلك⁽⁶⁾.

ثم إنه قال في الحديث: «كلهم من قريش»⁽⁶⁾, وهذا يعني أنهم لا يختصون بعلي وأولاده, ولو كانوا مختصين بعلي وأولاده لذكر ما يميزون به, إلا ترى أنه لم يقل: كلهم من ولد إسماعيل ولا من العرب, فلو امتازوا بكونهم من بنى هاشم, أو من قبيل علي لذكروا بذلك, فلما جعلهم من قريش مطلقاً علم أنهم من قريش, بل لا يختصون بقبيلة, بل من لهم بنو تيم, وبنو عدي, وبنو عبد شمس, وبنو هاشم, فإن الخلفاء الراشدين كانوا من هذه القبائل⁽⁷⁾, فإذا لم يبق من الأوصاف التي تتطابق على ما يريدون إلا مجرد العدد, والعد د لا يدل على شيء⁽⁸⁾.

أدلة من القرآن على النص:

إن الشيعة الرافضة لما لم يجدوا ما يستدلُّون به من الشرع لتقدير عقيدة الإمامة بالذ ص عمدوا إلى آيات من كتاب الله فيها ثناءً ومدح لعباده الصالحين وأوليائه المقربين, فجعلوها خاصة بأمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأولوها على حسب هذا المعتقد الفاسد, كما اختلفوا أحاديث كثيرة لتتأيد هذه البدعة الشنيعة, وذلك لإيقاع جهله المسلمين ومن قبل نصيبيه من العلم في ذلك, وما أوردوه في هذا الشأن واضح البطلان ثم إن استدلالهم لا يخرج عن أمرين:

أ- إن يكون فيما استدلوا به دليلاً على تلك الدعوى, كآية التطهير والمباهلة, وحدث الرأي, وحديث خم وغيرها من الأحاديث.

ب- أو أن تكون أحاديث موضوعة, والموضوع لا تقوم به حجة, وأنهَا اشتهر بين أهل العلم أن الراضة أكذب الفرق المنتسبة للإسلام, وقد ذكر ابن تيمية اتفاق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد على أن الراضة أكذب الطوائف, الكذب فيهم قديم, ولهذا كان أئمة الإسلام يعلمون امتيازهم بالكذب⁽⁹⁾, وإليك بعض الأمثلة في استدلالهم بالقرآن:

1- آية الولاية: قال تعالى: **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الدَّرْبَنَ يُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** [المائدah: 55], ذكرها في تفسير هذه الآية ما يدل على زعمهم بأنها في إمامية علي, قال شيخ الطائفة كما يلقونه-

(1) (2), (3), (4) أصول الشيعة الإمامية (2/816).

(5) منهاج السنة (4/206).

(6) مسلم (1453/2).

(7) منهاج السنة (4/211).

(8) أصول الشيعة الإمامية (2/818).

(9) منهاج السنة (1/59).

الطوسي: وأما النص على إمامته من القرآن، فأقوى ما يدل عليه قوله: +إِنَّمَا وَلَيْكُمُ
اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ أَمْدَوا الَّذِينَ يُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ
هُمْ رَاكِعُونَ [المائدة: 55]⁽¹⁾، وقال الطبرسي: وهذه الآية من أوضح الدلالات على صد
ة إمامية علي بعد النبي بلا فصل⁽²⁾. ويقاد شيوخهم يتقدون على أن هذا أقوى دليل عندهم
حيث يجعلون له الصدارة في مقام الاستدلال في مصنفاتهم⁽³⁾، وأما كيف يستدللون بهذه ا
لآلية على مبتاغهم فإنهم يقولون: اتفق المفسرون والمحدثون من العامة والخاصة أنها نزأ
ت في علي لما تصدق بخاتمه على المسكين في الصلاة بمحضر من الصحابة وهو مذك
ور في الصحاح السنة⁽⁴⁾، و +إِنَّمَا " للحصر باتفاق أهل اللغة، والولي بمعنى الأولى بالا
تصرف المرادف للإمام وال الخليفة⁽⁵⁾. فأنت ترى أنهم يعتمدون في استدلالهم بالأية بما رو
ي في سبب نزولها، لأنه ليس في نصها ما يدل على مرادهم، فصار استدلالهم بالرواية
لابالقرآن، فهل الرواية ثابتة، وهل وجه استدلالهم سليم؟! يتبعن هذا بالوجوه التالية:

أ- أن زعمهم بأن أهل السنة أجمعوا على أنها نزلت في علي هو من أعظم الدعاوى
الكافرة، بل أجمع أهل العلم بالنقل أنها لم تنزل في علي بخصوصه، وأن علياً لم يتصدق
بخاتمه في الصلاة، وأجمع أهل العلم بالحديث على أن القصة المروية في ذلك من الكذب
الموضوع⁽⁶⁾، وقوله: إنها مذكورة في الصحاح السنة⁽⁷⁾، كذب، إذ لا وجود لهذه الرواية
في الكتب السنية، وقد ساق ابن كثير الآثار التي تروي في أن هذه الآية نزلت في علي ح
ين تصدق بخاتمه، وعقب عليها: وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها، ووجه
ة رجالها⁽⁸⁾، وقال عبد العزيز الدھلوی: وأما القول بنزولها في حق علي بن أبي طالب
وروایة قصة السائل وتصدقه بالخاتم عليه في حالة الرکوع فإنما هو للتعليبی⁽⁹⁾ فقط، وه
و متفرد به ولا يعتمد المحدثون من أهل السنة بروايات الشعلبي قدر شعيره ولقيوه بحاطب
ليل، فإنه لا يميز الرطب من اليابس، وأكثر رواياته عن الكلبي عن أبي صالح وهي من
أو هي ما يروى في التقسير عندهم⁽¹⁰⁾، وسبب نزول هذه الآية على الصحيح هو: أنه لما
خانت بنو قينقاع الرسول × ذهبوا إلى عبادة بن الصامت كما أخرج ذلك ابن جرير ف
ي تقسيره - وأرادوه أن يكون معهم فتركتهم وعاداهم وتولى الله ورسوله، فأنزل الله قوله
جل وعلا: +إِنَّمَا وَلَيْكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ أَمْدَوا الَّذِينَ يُقْيِمُونَ الص
لَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ [المائدة: 55]، أي الحال أنهم خاضعون في
كل شأنهم الله تبارك وتعالى، ولذلك قال الله تبارك وتعالى في أول الآيات: +يَا أَيُّهَا ا
لَّذِينَ أَمْدَوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالَّذِصَارَى أَوْلَيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلَيَاءَ بَع
ضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مَنْكُمْ فَإِنَّهُمْ مُنْهَمُ [المائدة: 51]، يعني عبد الله بن أبي بن سلو
ل، لأنه كان مواليًا لبني قينقاع، ولما حصلت الخصومة بينهم وبين النبي × والأهم ونص

(1) تلخيص الشافعي (10/2) نقلًا عن أصول مذهب الشيعة الإمامية (822/2).

(2) مجمع البيان (128/2) نقلًا عن أصول الشيعة الإمامية (822/2).

(3) عقائد الإمامية الاثني عشرية (81، 82/1)، أصول مذهب الشيعة (823/2).

(4) أصول مذهب الشيعة (823/2).

(5) عقائد الإمامية الاثني عشرية (81، 82/1)، نقلًا عن المرجع السابق (823/2).

(6) منهاج السنة (4/4).

(7) أصول مذهب الشيعة (824/2).

(8) تفسير ابن كثير (76، 77/2).

(9) مختصر التحفة الاثني عشرية، ص 141-142.

(10) المصدر نفسه ص 142-141، عقدة أهل البيت بين الإفراط والتقرير، ص 473. وانظر: أسا
ب النزول للواحدى، تحقيق ابن شعبان، ص 163. اليهود في السنة المطهرة (282/1)، وبقي ا
لخير الذي رواه ابن إسحاق بأسنان مرسل ينقوي مع المتبايعات والشواهد، وأنظر مختصر تقسير الـ
قرآن العظيم المسمى عمدة التقاسير عن الحافظ ابن كثير، لأحمد محمد شاكر (701/1)، فقد قال أ
حمد شاكر فيما قال نزلت في علي رضي الله عنه: بل هي الأكاذيب الشيعة الذين يلعنون بناؤيل الف
رأى.

رهم ووقف معهم، وذهب إلى النبي × يشفع لهم، أما عبادة بن الصامت رضي الله عنه وأرضاه فإنه تبرأ منهم وتركهم فأنزل الله تبارك وتعالى: **إِنَّمَا أَيُّهُمَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا إِلَيْهِمْ وَدَ وَالذَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُ مَمْنُونُهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** [المائدة: 51]، ثم عقب تبارك وتعالى بذكر صفة المؤمنين، وهو عبادة بن الصامت ومن اتبעהه **+ إِنَّمَا وَلَهُ كَمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا**، أمثل عبادة وغيره، فهذه الآية نزلت في عبادة بن الصامت⁽¹⁾.

إن الآيات الكريمة جاءت بالأمر بموالاة المؤمنين، والنهي عن موalaة الكافرين، وهذا المعنى يدرك أيضاً بعد معرفة سبب النزول الحقيقى - بوضوح من سياق الآيات، إذ قبل هذه الآية الكريمة جاء قوله سبحانه: **إِنَّمَا أَيُّهُمَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا إِلَيْهِمْ وَدَ وَالذَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُ مَمْنُونُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** [المائدة: 51]، فهذا نهي صريح عن موalaة اليهود والنصارى بالولد والمحبة والنصرة.. ولا يراد بذلك باتفاق الجميع الولاية بمعنى الإمارة، وليس هذا بوارد أصلاً، ثم أردف ذلك بذكر من تجب موالاته وهو: الله ورسوله والمؤمنون، فواضح من ذلك أن موalaة المحبة والنصرة التي نهى عنها في الأولى وهي بعينها التي أمر بها المؤمنون في هذه الآية بحكم المقابلة، كما هو بين جلي من لغة العرب⁽²⁾. قال الرازى رحمة الله: لما نهى في الآيات المتقدمة عن موalaة الكفار، أمر في هذه الآية بموالاة من تجب موالاته⁽³⁾. وقال ابن تيمية رحمة الله: إنه من المعتدى به من الكفار، والأمر بموالاة المؤمنين⁽⁴⁾.

ب- إن الله تعالى لا ينثى على الإنسان إلا بما هو محمود عنده، إما واجب وإما مستحب، والتصدق أثناء الصلاة ليس بمستحب باتفاق علماء الملة، ولو كان مستحبًا لفعله رسول × ولحظه عليه، ولكن فعله، وإن في الصلاة لشُغلاً، وإعطاء السائل لا ينفع، إذ يمكن للتصدق إذا سلم أن يعطيه، بل إن الاستغلال بإعطاء السائلين يبطل الصلاة كما هو رأى جملة من أهل العلم⁽⁵⁾.

ج- أنه لو قدر أن هذا مشروع في الصلاة لم يختص بالركوع، فكيف يقال: لا ول إ لا الذين يتصدقون في حال الركوع، فإن قيل: هذه أراد بها التعريف بعلى، قيل له: أوصاف على التي يعرف بها كثيرة ظاهرة، فكيف يترك تعريفه بالأمور المعروفة، ويعرف بهذا الأمر الذي لا يعرفه إلا من سمعه وصدق به؟ وجمهور الأمة لا يسمع هذا الخبر ولا هو في شيء من كتب المسلمين المعتمدة⁽⁶⁾.

د- قولهم: إن علياً أعطى خاتمه زكاة في حال رکوعه فنزلت الآية مخالفة للواقع، ذلك أن علياً رضي الله عنه لم يكن من تجب عليه الزكاة على عهد النبي ×، فإنه كان فقيراً، وزكاة الفضة إنما تجب على من ملأ النصاب حولاً، وعلى لم يكن من

(1) رواه ابن هشام في السيرة في أمر بنى قبنقابع (49/2)، عن عبادة بن الجليل ورواه ابن جرير في تقيياع (49/2) سيره في تأويل قوله تعالى: **إِنَّمَا أَيُّهُمَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا إِلَيْهِمْ وَدَ وَالذَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ** [المائدة: 51] تقسير الطبرى (178/6) ورجال استناده من طريق ابن جرير - موثوقون، وقد صرحت ابن إسحاق بالتحديث عن والده لكنه مرسلاً، فإن عبادة بن الوليد تابعي جليل روى عن أبيه وجده وغيرهما وهو نفقه التهذيب (114/5).

(2) أصول مذهب الشيعة (826/2).

(3) تقسير الغفر الرازى (25/12).

(4) منهاج السنة (5/4).

(5) منهاج السنة (208/1)، (4/5).

(6) منهاج السنة (5/4)، أصول مذهب الشيعة (825/2).

هؤلاء⁽¹⁾.

هـ- إن الأصل في الزكاة أن يبدأ المزكي، لا أن ينتظر حتى يأتيه الطالب، أيهما أفضى بـ أن تبادر أنت بدفع الزكاة أو أن تجلس في بيتك وزركانك عنده، ثم تتظر الناس حتى يطرقوا عليك الباب ثم تعطيهم زكاة أموالك؟، لا شك أن الأول أفضل⁽²⁾.

وـ قولهم: إن المراد بقوله: +إِنَّمَا وَلَيْكُمُ اللَّهُ+ - الإمارـة- لا يتفق مع قوله سبحانه: +إِنَّمَا وَلَيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا+، فإن الله سبحانه لا يوصف بأذنه متول على عباده، وأنه أمير عليهم، فإن خالقهم ورازقهم وربهم وملكيهم له الخلق والأمر، لا يقال: إن الله أمير المؤمنين كما يسمى المتولي مثل علي وغيره أمير المؤمنين⁽³⁾، وأما الولاية المخالفة للعداوة فإنه يتولى عباده المؤمنين فيحبهم ويحبونه، ويرضى عنهم ويرضون عنه، ومن عادى له ولليـا بارزه بالمحاربة⁽⁴⁾، فهذه الولاية هل المقصودة في الآية، وقوله: +وَهُمْ رَاكِعُونَ+ أي خاضعون لربهم منقادون لأمره، والركوع في أحد لغة بمعنى الخضوع، أي يقيـمون الصلاة ويؤتون الزكـاة في حال الرکوع، وهو الخشـوع والإـختـات والتـواضع للـله⁽⁵⁾ وهذا كما قال الله تبارـك وتعـالـى عن داود عليه السلام، + وَظَنَ دَاؤُدُّ أَنَّمَا فَتَنَاهُ فَأَسْتَغْفَرُ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَذَابَ+ [ص:24]، وهـ و خـر ساجـداـ، وإنـما سـمي رـاكـعاـ لـذـلـلـ والـخـضـوعـ للـلهـ تـبارـكـ وـتعـالـىـ، وكـماـ قـالـ اللهـ تـبارـكـ وـتعـالـىـ: +وَإِذَا قَيـلَ لَهـمْ ارْكـعـوا لـاـ يـرـكـعـونـ+ [الـمرـسـلـاتـ:48]، أي اخـضـعواـ وـاسـتـ سـلـموـ لأـمـرـ اللهـ تـبارـكـ وـتعـالـىـ⁽⁶⁾.

زـ وأما استدلالـهمـ بـأـدـاـةـ الحـصـرـ +إِنَّمَـاـ+ـ وأنـ المرـادـ عـلـيـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ بـالـخـصـوـصـ،ـ فـهـذـاـ الدـلـيلـ كـماـ يـدلـ عـلـىـ نـفـيـ إـمـامـةـ الـأـئـمـةـ الـمـتـقـدـمـينـ كـماـ قـرـرـ يـدلـ عـلـىـ سـلـبـ الإـمـامـةـ مـنـ الـأـئـمـةـ الـمـتـأـخـرـيـنـ بـذـلـكـ التـقـرـيرـ بـعـيـنـهـ،ـ فـلـزـمـ أـنـ السـبـطـيـنـ وـمـنـ بـعـدـهـمـاـ مـنـ الـأـئـمـةـ الـأـطـهـارـ مـسـلـوـبـةـ مـنـهـمـ إـلـيـمـ،ـ فـإـنـ أـجـابـواـ عـنـ النـقـضـ بـأـنـ الـمـرـادـ حـصـرـ الـوـلـاـيـةـ فـيـ بـعـضـ اـلـأـوـقـاتـ،ـ أـعـنـيـ وـقـتـ إـمـامـتـهـ لـاـ وـقـتـ كـوـنـهـ إـمـامـاـ لـاـ قـبـلـهـ⁽⁷⁾ـ،ـ وـإـذـاـ كـانـتـ هـذـهـ أـقـوىـ أـدـلـتـهـمـ كـمـاـ يـقـولـ شـيوـخـهـ تـبـيـنـ أـهـمـ لـيـسـواـ عـلـىـ شـيـءـ،ـ ذـلـكـ أـنـ الـأـصـلـ أـنـ يـسـتـعـمـلـ فـيـ هـذـاـ الـأـمـرـ الـعـظـيمـ وـالـذـيـ هوـ عـنـ الـرـوـافـضـ أـعـظـمـ أـمـورـ الـدـينـ،ـ وـمـنـكـرـهـ فـيـ عـدـادـ الـكـافـرـيـنـ،ـ صـيـغـةـ وـاصـحـةـ جـلـيـةـ،ـ يـفـهـمـهـاـ الـنـاسـ بـمـخـلـفـ طـبـاقـتـهـمـ،ـ يـدـرـكـهاـ الـعـامـيـ،ـ كـمـاـ يـدـرـكـهاـ الـعـالـمـ،ـ وـيـفـهـمـهـاـ الـلـاحـقـ،ـ كـمـاـ يـفـهـمـهـاـ الـحـاضـرـ،ـ وـيـعـرـفـهـاـ الـبـوـيـ،ـ كـمـاـ يـعـرـفـهـاـ الـحـضـرـيـ،ـ فـلـمـ لـمـ يـسـتـعـمـلـ مـثـلـ ذـلـكـ فـيـ كـتـابـ اللهـ دـلـ أـنـهـ لـاـ نـصـ كـمـاـ يـزـعمـونـ⁽⁸⁾ـ،ـ وـهـذـهـ أـقـوىـ أـدـلـتـهـمـ بـهـاـ مـنـ كـتـابـ اللهـ،ـ وـيـسـمـونـهـ آيـةـ الـوـلـاـيـةـ،ـ وـلـهـمـ تـعـلـقـ بـأـيـاتـ أـخـرىـ ذـكـرـهـاـ اـبـنـ الـمـطـهـرـ الـحـلـيـ،ـ وـأـجـابـ عـنـهـ اـبـنـ تـيـمـيـةـ بـأـجـوبـةـ جـامـعـةـ⁽⁹⁾.

2- آية المباهلة: إن آية المباهلة التي نزلت في وفـدـ نـجـرانـ تـُعـدـ دـلـيـلـ آخرـ عـنـ الشـيـعـةـ الـاثـنـيـ عـشـرـيـةـ عـلـىـ إـمـامـةـ،ـ وـهـيـ قـوـلـ اللهـ عـزـ وـجـلـ: +فـمـنْ حـاجـكـ فـيـهـ مـنـ بـعـدـ

(1) أصول مذهب الشيعة (825/2).

(2) حقيقة من التاريخ ص 193.

(3) أصول مذهب الشيعة (827/2).

(4) الكشف للزمخري (624/1)، تفسير الرازى (25/12).

(5) حقيقة من التاريخ، ص 194.

(6) أصول مذهب الشيعة، ص 825.

(7) أصول مذهب الشيعة الإمامية (829/2).

(8) وقد قام الدكتور على السالوس بدراسة مستفيضة حول الآيات التي يستدل بها الإمامية لقولهم بالإمامـةـ،ـ وـأـنـتهـيـ مـنـ ذـلـكـ إـلـيـ أـنـ استـدـلـهـمـ تـبـنيـ عـلـىـ روـاـيـاتـ مـتـصـلـةـ بـأـسـابـ الـنـزـولـ وـتـأـوـيـلـاتـ انـفـرـدـواـ بـهـاـ،ـ لـمـ يـصـحـ شـيـءـ مـنـ هـذـاـ وـلـاـ ذـاكـ،ـ مـعـ الـشـيـعـةـ الـاثـنـيـ عـشـرـيـةـ (1/55 إـلـىـ 111).

مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهُلْ فَنَجْعَلْ لَعْذَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِيِّينَ" [آل عمران: 61]. ووجه دلالة الآية على إمامية علي بن أبي طالب عند الطوسي وغيره من علماء الشيعة أنها دلت على أفضليته من وجهين:

أحدهما: أن موضوع المباهلة ليتميز المحق من المبطل وذلك لا يصح أن يفعل إلا من هو مأمور الباطن مقطوع على صحة عقيدته، أفضل الناس عند الله.

الثاني: أنه × جعله مثل نفسه بقوله: +وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ" لأنه أراد بقوله: +أَبْنَاءَنَا" الحسن والحسين عليهما السلام، وبقوله: +وَنِسَاءَنَا" فاطمة، وبقوله: +وَأَنْفُسَنَا" نفسه ونفس علي عليهما السلام، وإذا جعله مثل نفسه وجب أن لا يدانيه ولا يقاربه في الفضل أحد⁽¹⁾.

وقد سميت آية المباهلة بهذا الاسم، لأن كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له، ولاسيما إذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره، وكانت المباهلة بالموت، لأن الحياة عندهم عزيزة عظيمة، لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت، وأية المباهلة لا مستد فيها على ما يدعوه الشيعة الاثني عشرية في موضوع الإمامة، لعدة أسباب:

أ- إنه على كثرة المعاني والمرادفات لكلمة (نفس) التي استدل بها الإمامية على دلالة النص في خلافة علي بن أبي طالب لا يوجد معنى حقيقي أو مجازي يدل على الخلافة، ولكن ما استدل به أهل السنة على أنها تدل على دعوة النبي × بحضوره بنفسه أو أقا ربه في الدين أو النسب فهو مذكور في اللغة موافق للدين، قال الزبيدي: قال ابن خالويه: النفس الآخر، قال ابن بري: وشاهده قوله تعالى: +فَإِذَا دَخَلْتُمْ بَيْوَتَنَا فَسَلِّمُوا عَلَيَّ أَنْفُسَكُمْ" [النور: 61] وفسر ابن عرفة قوله تعالى: +لَوْلَا أَذْسَمَعْتُمُوهُ ظَنَّ ا لْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالَوْا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ"

[النور: 12]، أي بأهل الإيمان وأهل شريعتهم⁽²⁾، قال الذهلي: معنى +ذَدْعُ" حضر أنف سنا، وأيضاً لو قررنا أن الأمير -أي الإمام علي- من قبل النبي × لمصداق +أَنْفُسَنَا" فمن تقرره من قبل الكفار لمصداق +وَأَنْفُسَكُمْ" في أنفس الكفار مع أنهما مشتركون في صيغة +ذَدْعُ" ولا معنى لدعوة النبي إياهم وأبناءهم بعد قوله +تَعَالَوْا" ⁽³⁾.

وقوله تعالى: +وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ" مثل قوله تعالى: +لَوْلَا أَذْسَمَعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا" [النور: 12]، نزلت في أم المؤمنين عائشة في حادثة الإفك، فإن الوارد من المؤمنين أنفس المؤمنين والمؤمنات، وكذلك قوله تعالى: +فَتُرْبُوْا إِلَيْ بَارِئِكُمْ فَمَا قَاتُلُوا أَنْفُسَكُمْ" [البقرة: 54] أي يقتل بعضكم ببعضًا، ومنه قوله تعالى: +وَإِذَا أَخْدَدْنَا مِيقَاتِكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ" [البقرة: 84]، أي لا يخرج بعضكم ببعضًا، فالمراد بالأنفس الإخوان: إما في النسب وإما في الدين⁽⁴⁾.

وقد قال الله عز وجل في رسوله الكريم: +لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنَاتِ رَوْفٌ رَحِيمٌ" [التوبه: 128]. وفي هذه الآية حجة بالغة على من يستدل بقوله تعالى: +أَنْفُسَنَا" على معنى المماثلة والتطابق، فهذه الآية تتكلم عن رسول الله × وعن كفار مكة، وتقول: +مَنْ أَنْ-

(1) تفسير التبيان للطوسي (485/3).

(2) تاج العروس (570/16)، ثم أصدرت الحقيقة، ص 188.

(3) مختصر التحفة الاثني عشرية، ص 156.

(4) مختصر منهاج السنة (167، 168/1).

فُسِّكُمْ " فمن ذا الذي يقول بأن نفس رسول الله × هي نفس كفار مكة - عيادة بالله-؟!!⁽¹⁾

وهنا تظهر المزاجية في تقسيير آية المباهلة حين يتغافل علماء الشيعة كل هذه النصوص ثم يأتون إلى هذه الآية الكريمة فيبالغون في معناها إلى حد قولهم بأن عليهما هو نفس محمد عليه الصلاة والسلام سوى النبوة، وحتى بعض الروايات الشيعية تشير إلى أن إطلاق لفظ أنفسنا على الأخ أو القريب أو أرباب الفتنة الواحدة شيء متعارف عليه بين العرب، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: بعث أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن عباس إلى ابن الكواء وأصحابه وعليه قميص رقيق وحلاة، فلما نظروا إليه قالوا: يا ابن عباس، أنت خيرنا في أنفسنا وأنت تلبس هذا اللباس، فقال: أنا أول ما أخاصمكم فيه + **لَمَنْ حَرَمْ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لَعْبَادَهُ وَالْطَّيَّبَاتِ مِنَ الرَّزْقِ**" [الأعراف: 32] وقال: **+يَا بَنِي آدَمَ حَذِّرْ وَزِينَتَكُمْ عَنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**" [الأعراف: 31]، فهل بعد هذه الدلائل القرآنية وبعد هذه الرواية الشيعية من كلمة يقولها المغالٰي⁽²⁾؟.

بـ- اعترف أحد أقطاب الشيعة وهو الشريف الرضي أن قوله تعالى: **+أَنْفُسَنَا**" لا يعني أن عليهما رضي الله عنه هو نفس رسول الله × كما يقول الشيعة، يقول الشريف الرضي: قال بعض العلماء: إن للعرب في لسانها أن تخبر عن ابن العم اللاصق والقريب والمقارب بأنه نفس ابن عمّه، وأن الحميم نفس حميمه، ومن الشاهد على ذلك قول الله تعالى: **+وَلَا تَلْمِزْ وَأَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنْبَزْ وَأَيْلَاقَابَ**" [الحجرات: 11]، أراد تعالى: ولا تعيبوا إخوانكم المؤمنين، فأجرى الأخوة بالديانة مجرى الأخوة في القرابة، وإذا وقع ت النفس عندهم على البعيد النسب كانت أخلق أن تقع على القريب النسب، وقال الشاعر: كأنّ يوم قری إنما نقتل إيانا، أراد كأنما نقتل إنفسنا بقتلنا إخواننا، فأجرى نفوس أقاربه مجرى نفسه لشوابك العصم ونوائط العصم ونوائط اللحم وأطيط الرحيم، ولما يخلج من القربى القربية ويتحرّك من الأعراف الوشيجة، فاما قوله تعالى في سورة النور: **+فَإِذَا دَخَلْتُمْ بِيَوْمَ تَفْسِلُمُوا عَلَى أَنْفُسَكُمْ**" فيمكن أن يجري هذا المجرى، لأنّ جاء في التقسير: أن معنى ذلك فليس ببعضكم على بعض لاستحالة أن يسلم الإنسان على نفسه، وإنما ساغ القول، لأن نفوس المؤمنين تجري مجرى النفس الواحدة، للاجتماع في عقد الديانة، والخطاب بلسان الشريعة، فإذا سلم الواحد منهم على أخيه كان كالمسلم على نفسه، لارتفاع الفروق واختلاط النفوس⁽³⁾.

وبهذا يتضح أنه لا حجة لدى الشيعة في دعواهم أن في هذه الآية ما ينص على المساواة بين رسول الله وعليه رضي الله عنه وأرضاه، فلفظ (النفس) يُطلق في لغة العرب على البعيد النسب، فإطلاقه على القريب من باب أولى وليس في ذلك دلالة على الإمامة من قريب ولا بـ عيد⁽⁴⁾.

جـ- إن المباهلة إنما تحصل الرغبة والرهبة والشعور بصدق الداعي بجمعه نفسه وأهل الذين تحن إليهم النفوس بطبيعة الحال ما لا تحن إلى غيرهم من الآبعدين في الهلاك⁽⁵⁾، فكونه × يدعوا الصدق الناس به وأقربهم إليه دليل واضح على صحة نبوته، ولهذا لما رأى نصارى نجران ذلك خافوا على أنفسهم وتخلوا عن مباهلته ولكن الروافض المبدعـة لما ابتلوا بدفع الحق وعدم التسليم له أصيّروا بعدم فهم ما تدل عليه آيات الكتاب العزيز

(1) ثم أبصرت الحقيقة، ص 188.

(2) المصدر السابق، ص 189.

(3) ثم أبصرت الحقيقة، ص 189.

(4) المصدر السابق، ص 190.

(5) منهاج السنة (7/126، 125).

(1)

د- قول الشيعة الإمامية: إن الآية تدل على المساواة بينه وبين النبي × إلا النبوة، كلام لا يُسلم له أبداً، إذ أن النبي لا يساويه أحد في أمور الدين لا علي ولا غيره، فلأن مقام رسول الله × وكماله الشري من سائر الناس؟

إن أمير المؤمنين عليهما نعمته لا يرضى ما يقول الشيعة الإمامية عنه والمنصف العاقل يدرك هذه القضية بكل وضوح⁽²⁾، فمقام النبوة له هيئته ومكانته عند أمير المؤمنين، وقد تحدثنا عنه في هذا الكتاب.

هـ- إن قضايا الاعتقاد الكبرى ومهام الدين وأساسياته العظمى لابد لإثباتها من الأدلة القرآنية الصريحة القطعية الدلالة على المعنى المطلوب كدلالة قوله تعالى: +الله لا إله إلا هو الذي أقيمت به عزوجل[255] على التوحيد، ودلالة +محمد رسول الله+[الفتح: 29] على نبوة محمد ×، ودلالة قوله تعالى: +أقيمت الصلاة+[النور: 56] على فرضية الصلاة ومشروعيتها⁽³⁾... إلخ.

3- قوله تعالى: +قل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوْدَةَ فِي الْقُرْبَى+[الشورى: 23] وقد أورد الشيعة الإمامية في تفسير هذه الآية حديثاً عزوه إلى النبي × حدد فيه القربى بعلي وفاطمة وأبنائهم، الأمر الذي يدل في رأي الشيعة على أفضليتهم ووجود مودتهم، ومن ثم وجوب طاعتهم واتخاذهم أئمة دون غيرهم⁽⁴⁾.

والإجابة على ما سبق كالآتي:

أـ إن هذه الآية في سورة الشورى وهي مكية باتفاق أهل السنة⁽⁵⁾، ومن المعلوم أن عليها إنما تزوج فاطمة بعد زوجة بدر، والحسن ولد في السنة الثالثة للهجرة، والحسين في السنة الرابعة، ف تكون هذه الآية قد نزلت قبل وجود الحسن والحسين بستين متعددة، فكيف يفسر النبي × بوجوب قرابة لا تعرف ولم تخلق بعد⁽⁶⁾.

بـ إن تفسير الآية الذي في الصحيح ينافي ذلك، فقد روى البخاري بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل عن قوله: +إِلَّا الْمَوْدَةَ فِي الْقُرْبَى+[، فقال سعيد ابن جبير: قربى آل محمد ×. فقال ابن عباس: عجلت، إن النبي × لم يكن بطن في قريش إلا كان له فيه قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة⁽⁷⁾[، قال ابن تيمية - رحمة الله -: وهذا ابن عباس رضي الله عنه ترجمان القرآن، وأعلم أهل البيت بعد علي، يقول: ليس معناها مودة ذوي القربى، لكن معناها: لا أسألكم يا معاشر العرب ويا معاشر قريش عليه أجرًا، ولكن أسألكم أن تصلوا القرابة التي بيني وبينكم. فهو سأل الناس الذين أرسل إليهم أولاً أن يصلوا رحمه، فلا يعتدوا عليه حتى يبلغ رسالة ربه⁽⁸⁾.

جـ إن الحديث الذي جعلوه مفسرًا للآية كذب وموضع باتفاق أهل المعرفة بالحديث وهم المرجوع إليهم في هذا، وقد نص على ذلك ابن تيمية⁽⁹⁾، وقد تتبع ابن كثير أيضًا الأحاديث الواردة في تفسير هذه الآية وبين أن الأحاديث التي تنص على أن أولى القرابة

(1) عقدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (2/ 564، 565).

(2) ثم أصررت الحقائق ص 191.

(3) آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأنبياء عبد الهادي الحسيني، ص 5.

(4) مجمع البيان للطبراني (51-49/25)، مختصر التحفة الأخرى عشرية، ص 153-155.

(5) تفسير البغوي (19/4)، العقيدة في أهل البيت، ص 364.

(6) منهاج السنة (99/7)، دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين، جلي، ص 190.

(7) البخاري، ك التفسير، رقم (4818).

(8) منهاج السنة (100/7).

(9) منهاج السنة (100/7).

ى هم فاطمة وولداتها ضعيفة الإسناد، وأورد رواية عن ابن أبي حاتم قال: حدثنا رجل سادس ماه حدثنا حسين الأشقر عن قيس عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهمما قال: لما نزلت هذه الآية **+ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوْدَةُ فِي الْقُرْبَىٰ** قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم؟، قال: فاطمة وولداتها رضي الله عنهم، وهذا إسناد ضعيف فيه متهم لا يعرف عن شيخ شيعي محترق وهو حسين الأشقر ولا يقبل خبره في هذا محل، وذكر نزول الآية في المدينة بعيد فإنها مكية ولم يكن إذ ذاك لفاطمة رضي الله عنها أولاد بالكلية فإنها لم تتزوج بعلي إلا بعد بدر في السنة الثانية من الهجرة، والحق تفسير هذه الآية بما فسرها حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وقد تحدث ابن حجر عن ضعف الروايات المذكورة ومخالفتها للحديث الصحيح⁽¹⁾.

أدلتهم من السنة:

1- خطبة غدير خُمٌ: غدير خم هو موقع بين مكة والمدينة بالجحفة⁽²⁾، ويقع شرق رابع بما يقرب من 26 ميلاً، وبسمونه اليوم الغربية⁽³⁾، وينكر أنه في هذا الموقع خطب النبي × في الناس، وذكر فضل علي رضي الله عنه، واتخذ الروافض هذه الحادثة أساساً يعتمدون عليه في تشيعهم الغالي له من جهة، واعتمدوا عليها في أحقيته على بالخلافة من جهة أخرى، فأعطوا لهذه الحادثة من الأهمية ما لم يعطوه لغيرها في عصر النبوة⁽⁴⁾، حتى ألف فيه كتاب من أحد عشر مجلداً وهو كتاب الغدير ملأ مؤلفه بالأحاديث الموضعة والضعف، وال الصحيح ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه أنه قال: قام رسول الله × فيما خطيباً بماء يدعى خُمًّا بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووضعه وذكر ثم قال: «أما بعد، ألا أيها الناس فاتما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذلوا بكتاب الله واستمسكوا به»، فتحت على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: «وأهل بيته يذكرون الله في أهل بيتي، يذكرون الله في أهل بيتي، يذكرون الله في أهل بيتي» قال له حسين -أي الرأوي عن زيد بن أرقم-: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: بل، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وأآل عقبيل وأآل جعفر وأآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم⁽⁵⁾.

وجاء عند غير مسلم كالترمذى⁽⁶⁾، وأحمد⁽⁷⁾، والنسائي في الخصائص⁽⁸⁾ والحاكم⁽⁹⁾، وغيرهم جاءت بأسانيد صحيحة عن النبي ×: «من كنت مولاه فعلي مولاه»⁽¹⁰⁾، وأما الزيادات الأخرى كقوله: «للهم وال من ولاء وعاد من عاده» فهذه الزيادات صححتها بعض أهل العلم، وال الصحيح أنها لا تصح. وأما زيادة انصار من نصره واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، فهذه زيادة مكذوبة على النبي ×⁽¹¹⁾.

وخطبة النبي ×: في غدير خم لها سبب وجيه، فمن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه

(1) تفسير ابن كثير (112/4)، فتح الباري (564/8).

(2) معجم البلدان (289/2).

(3) على طريق المهرة، عائق البلاد، ص 61.

(4) أثر التشيع على الروايات التاريخية، عبد العزيز محمد نور ولی، ص 299.

(5) مسلم رقم (2408).

(6) سنن الترمذى رقم (3713).

(7) مسنون أحمد الموسوعة الحديثية رقم (670) صحيح لغيره.

(8) خصائص على رقم (79)، صحيح رجاله ثقات.

(9) المسند رواية (110/3).

(10) حقيقة من التاريـخ، ص 182.

(11) انظر: السلسلة الصحيحة للألباني (1750).

إن النبي أخر الكلام إلى أن رجع إلى المدينة ولم يتكلم وهو في مكة في حجة الوداع في يوم عرفة، وإنما أجل الأمر إلى أن رجع، فهذا يدل على أن الأمر خاص بأهل المدينة لأن الذين تكلموا في علي رضي الله عنه من أهل المدينة فهم الذين كانوا مع علي في الغزو، وغدير خم في الجحفة وهي تبعد عن مكة تقريرًا مائتين وخمسين كيلو مترًا، والذي يقول إنه مفترق الحجيج فهذا غير صحيح، لأن مجتمع الحجيج مكة، فلا يكون مقترن الحجيج بعيدًا عن مكة أكثر من مائتين وخمسين كيلو مترًا أبدًا، فإن أهل مكة يبقون في مكة، وأهل الطائف يرجعون إلى الطائف، وأهل اليمن إلى اليمن، وأهل العراق إلى العراق، وهكذا كل من أنهى حجه، فإنه يرجع إلى بلده، وكذلك القبائل العربية ترجع إلى مصاربها، فلم يكن مع النبي × إلا أهل المدينة ومن كان على طريق المدينة فقط، وهم الذين خطب فيهم النبي ×، والاختلاف بين أهل السنة والشيعة الروافض في مفهوم قول النبي × لا في الثبوت، فالروافض يقولون: «من كنت مولاً فعل مولاً»، أي من كنت وباليه فعلي وإليه وأهل السنة يقولون: إن مفهوم قول النبي × «من كنت مولاً فعلي مولاً» أي المولاة التي هي النصرة والمحبة وعكسها المعاداة، وذلك لأمور:

أ- للزيادة التي وردت وصححها بعض أهل العلم وهي قول النبي ×: «اللهم وال م ن والاه، وعاد من عاداه»⁽⁶⁾، والمعاداة هي شرح لقوله: فعلي مولاً، فهي في محبة الناس لعلي، بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه.

بـ- كلمة مولاـه تدل على معانٍ متعددة، قال ابن الأثير: المولى يقع على الرب والمال

(1) مجمع الزوائد (9/127)، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير عبد الجليل بن عطية، وهو ثقة صرّح بالسماع وفيه لين.

1281 مسلم رقم (2)

(3) البز: الثياب، أو متعة البيت من الثياب.

(4) **البداية والنهاية** (95/5)، **السيرة النبوية لابن حشام** (259/4) قال ابن كثير: هذا السياق أقرب من سياق البيهقي (دلائل النبوة 398/5) رغم أنه قال عن رواية البيهقي: هذا إسناد جيد على شرط الـ

(5) البداية والنهاية (95/5).
 (6) السلسلة الصحيحة للألباني رقم (1750).

ك والمنعم والناصر والمحب والحليف والعبد والمعتق وابن العم والصهر^(١)، كل هذا تطا
قه العرب على كلمة مولى.

جـ- الحديث ليس فيه دلالة على الإمامة لأن النبي × لو أراد الخلافة لم يأت بكلمة تحمل هذه المعانى التي ذكرها ابن الأثير، والنبي × هو أفسح العرب ولكن يقول: علي خليفتي من بعدي، أو علي الإمام من بعدي، أو إذا أنا مت فاستمعوا وأطيعوا علي بن أبي طالب، ولكن لم يأت النبي × بهذه الكلمة الفاصلة التي تنهي الخلاف إن وجد ابداً، وإنما قال: من كنت مولاه فعله، مو لاه⁽²⁾.

د- قال الله تعالى: +مَنْ أَكْمَ مُذَّلَّاً هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَاصِيرُ+ [الحديد:15], فسمها مولى لشدة الملاصقة والاتحاد مع الكفار والعياذ بالله.

هـ الموالاة وصف ثابت لعلي في حياة رسول الله × وبعد وفاته وبعد وفاة علي رضي الله عنه، فعلى كان مولى المؤمنين بعد وفاة رسول الله × وهو مولى المؤمنين بعد وفاته رضي الله عنه، فهو الان مولانا كما قال الله تبارك وتعالى: +إِذْمَا وَلَيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا+ [المائدة:55]، وعلى رضي الله عنه من سادة الذين آمنوا.

و- قال الإمام الشافعي رحمة الله عن حديث زيد: يعني بذلك ولاء الإسلام كما قال الله: **+ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ** [مد 11][3] فالحديث لا يدل على أن علياً رضي الله عنه هو الخليفة بعد رسول الله x، وإنما يدل على أن علياً من أولياء الله تبارك وتعالى، تجب له الموالاة، وهي المحجة والنصرة والتاييد⁽⁴⁾.

و عموماً فإن هذه الخطبة التي خطبها النبي ﷺ في غدير خم أراد بها تبرئة ساحة علـي رضي الله عنه ورفع مكانته والتتبـيه على فضله؛ ليزيل ما كان وقر في نفوس الناس من أصحابـه الذين كانوا معه في اليمن وأخذوا عليه بعض الأمور، والرسول ﷺ لم يرد أـن يفعل ذلك أثنـاء موسم الحج لأنـ الحادثـة رغم انتشارـها بقيـت محدودـة في أهلـ المدينةـ، كما أنه لم يؤخرـه حتى وصولـه إلىـ المدينةـ حتى لا يمكنـ المناـافقـينـ من استغـلالـ مثلـ هـذهـ الحادـثـةـ فيـ مكـاـيدـهمـ⁽⁵⁾ـ،ـ وما يـدلـ علىـ أنـ النـبـيـ أـرادـ منـ خطـبـتهـ هـذـهـ بـيـانـ فـضـلـ عـلـيـ لـذـينـ لـمـ يـعـرـفـواـ فـضـلـهـ،ـ آنـهـ عـنـدـمـاـ قـامـ بـرـيـدةـ بـنـ الـحـصـيبـ يـنـقـصـ فـيـ عـلـيـ سـوكـانـ قـدـ رـأـيـ مـنـ عـلـيـ جـفـوـةـ تـغـيرـ وـجـهـ النـبـيـ⁽⁶⁾ـ،ـ وـقـالـ:ـ «ـيـاـ بـرـيـدةـ أـلـسـتـ أـلـوـىـ بـالـمـؤـمـنـيـنـ مـنـ أـنـفـ سـهـمـ؟ـ»ـ فـقـالـ بـرـيـدةـ:ـ بـلـ يـاـ رـسـوـلـ اللهـ.ـ قـالـ:ـ «ـمـنـ كـنـتـ مـوـلاـهـ فـعـلـيـ مـوـلاـهـ؟ـ»ـ

وهناك بحث قيم في هذا الموضوع قام به الدكتور محمد علي السالوس، فتحدث عن خطبة الغير والوصية بالكتاب والسنة، وقام بدراسة لروايات التمسك بالكتاب والعترة وزاد اقتضها وحكم عليها ثم قال: مما سبق نرى أن حديث القلين من الأحاديث التي صح سندها وصح متنها، وأن الروايات الثمانية التي تأمر بالتمسك بالعترة إلى جانب الكتاب الكريم لم تخال واحدة منها من ضعف في السند⁽⁷⁾. وفي متن هذه الروايات نجد الإخبار بأن الكتا

(١) النهاية في غريب الحديث (٢٢٨/٥).

١٨٥ ص, التاریخ من حقبة {2} (٢)

¹⁸⁷ (3) النهاية في غريب الحديث (228/5). (4) حقيقة من القرآن، 187.

4) حقبة من التاريخ، ص 187
5) أضنه اع على دراسة المسيرة النبوية

(٥) أضواء على دراسة السيرة النبوية، صالح الشامي، ص 114، 113. أثر التشيع على الروايات التأريخية، ص 304.

⁵¹ (6) السلسلة الصحيحة (36/4) قال الألباني: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.

(7) ومع هذا أشد ضعفاً، مع الشيعة الاثني عشرية (136/1).

ب وأهل البيت لن يفترقا حتى يردا الحوض على رسول الله ×، ومن أجل هذا وجب التمسك بهما، ولكن الواقع يخالف هذه الأخبار، فمن المتشيعين لأهل البيت من ضل وأضل، وأكثر الفرق التي كادت للإسلام وأهله وجدت من التشيع لآل البيت ستاراً يحميها، ووجدت من المنتسبين لآل البيت من يشجعها لمصالح دنيوية، كأخذ خمس ما يغنمه الاتباع.

إن عدم الضلال يأتي من التمسك بالكتاب والسنّة، وإذا تمسك أهل البيت بهما كان لهم فضل الانتساب مع فضل التمسك، واستحقوا أن يكونوا أئمّة هدى نقتدي بهم كما قال تعالى: **+ وَاجْعَلْنَا لِلنَّٰفِقِينَ إِمَامًا** [الفرقان: 74] أي: أئمّة نقتدي بهم قبلنا، ويقتدي بهم من بعدها، ولا يختص هذا بأهل البيت ولكن بكل من يعتضد بالكتاب والسنّة، فالروايات التي ضعف سندها لا يستقيم منها كذلك، وهذا ضعف آخر. ومع هذا كله فلو صحت هذه الروايات فإنها لا تدل من قريب ولا بعيد على وجوب إمامـة الأئمـة الائـتـى عـشـرـ وـأـدـ

⁽¹⁾ فيتهم بالخلافة

قال العـلـامـةـ المناـويـ فيـ فـقـهـ روـاـيـاتـ الـحـدـيـثـ: إنـ اـتـمـرـتـ بـأـمـرـ كـتـابـهـ، وـأـنـتـهـيـتـ بـنـوـاـهـيـ، وـأـهـتـدـيـتـ بـهـدـىـ عـتـرـتـيـ، وـأـقـتـدـيـتـ بـسـيرـتـهـ، اـهـتـدـيـتـ فـلـمـ تـضـلـوـاـ⁽²⁾.

وقال ابن تيمية بعد أن بين أن الحديث ضعيف لا يصح: وقد أجاب عنه طائفـةـ بما يـدـلـ علىـ أنـ أـهـلـ بـيـتـهـ كـلـهـ لـاـ يـجـتـمـعـونـ عـلـىـ ضـلـالـةـ. قـالـواـ: وـنـحـنـ نـقـولـ بـذـلـكـ كـمـاـ ذـكـرـ ذـلـكـ القاضـيـ أبوـ يـعـليـ وـغـيـرـهـ، وـقـالـ أـيـضـاـ: إـحـمـاعـ الـأـمـةـ حـجـةـ بـالـكـتـابـ وـالـسـنـةـ وـالـإـجـمـاعـ، وـالـعـتـرـةـ بـعـضـ الـأـمـةـ، فـلـيـزـمـ مـنـ ثـبـوتـ إـجـمـاعـ الـأـمـةـ إـجـمـاعـ الـعـتـرـةـ⁽³⁾.

إنـ حـدـيـثـ التـقـلـيـنـ، فـيـ قـوـلـهـ ×: «تـرـكـ فـيـكـ مـاـ إـنـ تـمـسـكـ بـهـ لـنـ تـضـلـوـاـ بـعـدـيـ أـبـدـاـ، كـتـابـ اللـهـ⁽⁴⁾ وـعـتـرـتـيـ»، فـيـ كـلـامـ مـنـ حـيـثـ صـحـتـهـ وـثـبـوـتـهـ عـنـ النـبـيـ ×. وـالـثـابـتـ عـنـدـ مـسـلـمـ مـاـ أـلـمـ كـانـ بـالـتـمـسـكـ بـكـتـابـ اللـهـ، وـالـوـصـيـةـ بـأـهـلـ بـيـتـهـ كـمـاـ مـرـ منـ حـدـيـثـ زـيـدـ بـنـ أـرـقـمـ فـيـ مـسـلـمـ، فـأـوـصـيـ بـكـتـابـ اللـهـ، وـحـثـ عـلـىـ التـمـسـكـ بـهـ، ثـمـ قـالـ: «وـأـهـلـ بـيـتـيـ ذـكـرـكـمـ اللـهـ فـيـ أـهـلـ بـيـتـيـ، ذـكـرـكـمـ اللـهـ فـيـ أـهـلـ بـيـتـيـ، ذـكـرـكـمـ اللـهـ فـيـ أـهـلـ بـيـتـيـ»، فـالـذـيـ أـمـرـ بـالـتـمـسـكـ بـهـ كـتـابـ اللـهـ، وـأـمـاـ أـهـلـ بـيـتـ النـبـيـ × فـأـمـرـ بـرـعـاـيـتـهـ وـإـعـطـاـيـهـ حـقـوـقـهـ الـمـعـطـيـهـ بـهـ كـتـبـهـ ثـلـاثـاـ عنـ عـتـرـةـ النـبـيـ ×؟، بـلـ أـهـلـ السـنـةـ هـمـ أـتـيـاعـ عـتـرـةـ النـبـيـ × وـأـعـطـوـهـ مـحـقـهـ مـ، وـلـمـ يـزـيدـوـاـ وـلـمـ يـنـقـصـوـاـ، كـمـاـ قـالـ النـبـيـ × فـيـ حـقـ نـفـسـهـ: «لـاـ تـظـرـوـنـيـ كـمـاـ أـطـرـتـ النـصـارـىـ عـيـسـىـ اـبـنـ مـرـيـمـ، وـلـكـنـ قـوـلـواـ عـبـدـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ»⁽⁵⁾.

⁽⁵⁾

أـ.ـ إنـ عـتـرـةـ الرـجـلـ هـمـ أـهـلـ بـيـتـهـ، وـعـتـرـةـ النـبـيـ × هـمـ كـلـ مـنـ حـرـمـتـ عـلـيـهـ الزـكـاـةـ وـهـمـ بـنـوـ هـاشـمـ، هـؤـلـاءـ هـمـ عـتـرـةـ النـبـيـ ×، فـالـرـوـافـضـ لـيـسـ لـهـمـ أـسـانـيدـ إـلـىـ الرـسـوـلـ × وـهـمـ يـقـرـوـنـ بـهـذـاـ أـنـهـمـ لـيـسـ عـنـدـهـمـ أـسـانـيدـ فـيـ نـقـلـ كـتـبـهـ وـمـرـوـيـاتـهـ، وـإـنـمـاـ هـيـ كـتـبـ وـجـدـوـهـاـ وـقـالـوـاـ: رـوـوـهـاـ فـإـنـهـاـ حـقـ⁽⁶⁾، أـمـاـ أـسـانـيدـهـمـ كـمـاـ يـقـولـ الـحرـ العـالـمـيـ وـغـيـرـهـ مـنـ أـئـمـةـ الشـيـعـةـ الرـوـافـضـ: إـنـهـ لـيـسـ عـنـ الشـيـعـةـ أـسـانـيدـ أـصـلـاـ وـلـاـ يـعـلـوـنـ عـلـىـ أـسـانـيدـ⁽⁷⁾، فـأـيـنـ لـهـمـ مـاـ يـرـوـوـنـهـ فـيـ كـتـبـهـ ثـلـاثـاـ عـنـ عـتـرـةـ النـبـيـ ×؟، بـلـ أـهـلـ السـنـةـ هـمـ أـتـيـاعـ عـتـرـةـ النـبـيـ × وـأـعـطـوـهـ مـحـقـهـ مـ، وـلـمـ يـزـيدـوـاـ وـلـمـ يـنـقـصـوـاـ، كـمـاـ قـالـ النـبـيـ × فـيـ حـقـ نـفـسـهـ: «لـاـ تـظـرـوـنـيـ كـمـاـ أـطـرـتـ النـصـارـىـ عـيـسـىـ اـبـنـ مـرـيـمـ، وـلـكـنـ قـوـلـواـ عـبـدـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ»⁽⁸⁾.

بـ- إـمـامـ العـتـرـةـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ، وـبـعـدـهـ يـأـتـيـ فـيـ الـعـلـمـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ

(1) مع الشيعة الائتـى عشرـيةـ (136/1).

(2) فيض القدير (14/3).

(3) منهاج السنة النبوية (105/4).

(4) سنن الترمذى، كتاب المناقب رقم (3786) وفي زيد الأنماطى، والحديث له أكثر من طريق لا يخط

وـ طـرـيقـ مـنـهـاـ مـنـ كـلـامـ مـعـ اـخـلـافـ الـمـتـوـنـ.

(5), (4), (5) حـقـيـةـ مـنـ التـارـيـخـ، صـ 203.

(8) البخارى رقم (3445).

عباس الذي هو حبر الأمة، وكان يقول بإمامية أبي بكر وعمر قبل علي رضي الله عنه، بل إن علي بن أبي طالب قد ثبت عنه بالتواتر أنه قال: أفضل الناس بعد رسول الله × أبو بكر وعمر⁽¹⁾. فعلى يقر بفضل الشَّيخين وهو إمام العترة⁽²⁾.

جـ- هذا الحديث مثل قوله ×: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً، كتاب الله وسنتي»⁽³⁾. وقال النبي ×: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضواً عليها بالنواجد»⁽⁴⁾, فأمر بالبعض عليها بالنواخذة, وقال ×: «اقتدوا بالذين من بعدي, أبي بكر وعمر»⁽⁵⁾, وقال: «اهتدوا بهدي عمّار وتمسّكوا بعهد ابن مسعود»⁽⁶⁾, ولم يدل على الإمامة أبداً, وإنما دل على أن أولئك على هدى الرسول ×, كما أن عترة الرسول × لا تجتمع على ضلاله أبداً⁽⁷⁾.

د- إن الشيعة الروافض يطعنون في العباس⁽⁸⁾, ويطعنون في عبد الله ابنه, ويطعنون في أولاد الحسن, وقالوا: إنهم يحسدون أولاد الحسين, ويطعنون كذلك في أبناء الحسين نفسه من غير الأئمة الذين يدعونهم كزيد بن علي⁽⁹⁾, وكذلك إبراهيم أخي الحسن العسكري⁽¹⁰⁾, وغيرهم فهم ليسوا بأولياء النبي × وعترته بل أولياء النبي وعترته هم الذين مذهبوهم وأثنوا عليهم وأعطوه مذهبهم ولم ينفصموهم⁽¹¹⁾.

هـ- فهم صحابة رسول الله × للنص: فهم الصحابة رضي الله عنهم أن المراد بالمولىٰ أو الولي هو الحب والولاء والطاعة، ولذلك عبروا عن طاعتهم وإجلالهم لسيد أهل البيت علي بن أبي طالب بمناداته يا مولانا، فعن رياح الحارث قال: جاء رهط إلى علي با لرحمة فقالوا: السلام عليك يا مولانا، فقال: كيف أكون مولاكم وأنت قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله × يقول يوم غدير خم: «من كنت مولاه فهذا مولاه» قال رياح: فلما م ضوا اتبعهم فسألت من هؤلاء؟، قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري⁽¹²⁾.

إن أهم ما يستفاد من هذا الحديث هو أن علي بن أبي طالب نفسه لم يكن يفهم من لفظ (مولى) معنى الإمامة والإمارة، فمن الملاحظ أن أمير المؤمنين عليهما رضي الله عنه قد استترك منهم مصاداته بـ(يا مولانا)، ولو كان أمير المؤمنين على العربي الفصيح يرهاه مرادفة يا أميرنا، أو يا إمامنا، فما استتر على القائليين تلك المناداة⁽¹³⁾.

و- روت كتب الشيعة الائتى عشرية أقوالاً لبعض أهل البيت ينفون فيها أن يكون المراد بحديث الغدير النص على إمامية علي من بعد رسول الله ×، فقد قيل للإمام الحسين ابن علي الذي كان كبير الطالبيين في عهده وكان وصي أبيه وولي صدقة جده: ألم يقل رسول الله: «من كنت مولاه فعلي مولاه»؟ فقال: بل ولكن سواه - لم يعن رسول الله بذلك الإمامة والسلطان، ولو أراد لافصح لهم به. وكان ابنه الإمام عبد الله يقول: ليس لنا في هذا الأمر ما ليس لغيرنا، وليس في أحد من أهل البيت إمام مفترض الطاعة من الله.

البخاري رقم (3671) {1}

2) حقبة من التاريخ، ص 204.

١١ مستدرک الحاکم (٣) (٩٣/١) (٤) (٢٠١/٤) سُنن أَبْو بَحْرٍ

4) سنن أبي داود (4/174) الترمذى حس صحيح.
 5) صحيح سنن الترمذى للالبانى (3/200).

6) سُنْنَة الترمذى رقم (3805).

٧) حقبة من التاريخ، ص 205

{8} رجال الكشي، ص 52 نقلًا ع

٩- بحار الأنوار (١٩٤/٤٦)

⁸⁾ رجال الكشي، ص 52 نقلًا عن حقبة من التاريخ ص 205.

(٩) بحـار الأنوار (١٩٤٦/٤٦)، اتـهمـوهـ أـنـهـ كانـ يـشـرـبـ الـخـمـ، حـقـيـةـ مـنـ التـارـيخـ، صـ ٢٠٥ـ.

¹⁰ الكافي (504/1) اتهموه بأنه فاجر ماجن شريب للخمور، حقبة من التاريخ، ص 205.

¹¹ حقبة من التاريخ، ص 205.

¹² فضائل الصحابة (702/2) حديث رقم 967.

(13) تم ابصرت الحقيقة، ص 200.

وكان ينفي أن تكون إماماً أمير المؤمنين من الله⁽¹⁾, فإذا كان هذا كلام أهل البيت وهم أبناء علي والناصرون له, فما ترى غيرهم يقولون⁽²⁾؟

2- حديث استخلاف علي رضي الله عنه على المدينة في تبوك: كان في رجب سنة تسع من الهجرة غزوة تبوك، وكانت لها أهمية كبيرة في السيرة النبوية، وتحقق منها عشرات كانت بعيدة الأثر في نفوس المسلمين والعرب، ومجرى الحوادث في تاريخ الإسلام⁽³⁾, واستعمل رسول الله × على المدينة علياً, فوجد المناقون فرصة للتفليس عما بداخلهم من حقد ونفاق, فأخذوا يتكلمون في علي رضي الله عنه بما يسيء إليه, فمن ذلك قوله م: ما تركه إلا لثقه عليه. وهذا القول منهم في حقه, عالمة بارزة واضحة على نفاقهم, في الحديث الصحيح أن علياً رضي الله عنه قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة, إنه لعدم النبي الأمي × «ان لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»⁽⁴⁾.

عند ذلك أدرك علي الجيش وأراد الغزو معهم قائلاً: يا رسول الله أتخافني في الصدريان والنساء, فقال رسول الله ×: «الآ ترضى أن تكون بمنزلة هارون من موسى, غير أنك لا نبي بعدك»⁽⁵⁾.

وليس في هذا الحديث ما يستدل به الشيعة على كون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه خليفة لرسول الله × والرد عليهم من وجوه:

أ- الحديث المذكور له سبب مهم لا ينبغي أن يغفل وأن يفهم الحديث دونه, قد طعن المناقون في علي رضي الله عنه, فيبين رسول الله مكانته وفضله, وكذب المناقين.

ب- من الثابت أن هارون عليه السلام كانت وفاته قبل موسى عليه السلام والاستدلال بالحديث على إمامية علي بعد رسول الله بالتالي غير منطبق, ولو أراد رسول الله × نص علي بن أبي طالب رضي الله عنه لقال له مثلاً: أنت مني بمنزلة يوشع من موسى, لأن النبي الله يوشع استخلف على بنى إسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام, لكن ذكر رسول الله × لهارون عليه السلام الذي كان خليفة موسى عليه السلام في حياة موسى لا بعد وفاته, ليس له إلا معنى واحد هو الترضية لعلي الذي أحزنه إيقاع الرسول × له في المدينة مستخلفاً على الضعفاء والنساء والأطفال والمخالفين عن الغزوة, فيبين له النبي × أنه كما استخلف موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام على قومه وذهب للطريق للقاء ربه تبارك وتعالى فاستخلفي لك من هذا الباب, فموسى لم يستخلف هارون - عليه السلام- استخلفاً به وتتفقىصاً له وإنما ائتماناً وثقة به, وكذلك الحال معك يا علي بن أبي طالب رضي الله عنك.

ج- هارون عليه السلام لم يكن وصيًّا لموسى عليه السلام بل كاننبيًّا وزيراً بذ ص القرآن, وقياس حال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الذي هو عند الشيعة وصي وليس بنبي قياساً مع الفارق علمًا بأنهم يرفضون القياس أصلًا.

د- الاستدلال بكون هارون عليه السلام وزيرًا لموسى عليه السلام على وزارة أمير المؤمنين علي لرسول الله × أعجب من الأولى, ذلك لأن الله تعالى الذي جعل هارون عليه السلام وزيرًا للنبي موسى عليه السلام قال في محكم كتابه عن طلب موسى عليه الـ

(1) ثم أبصرت الحقيقة ص 201, كذلك الرواية في كتب أهل السنة، الاعتقاد للبيهقي ص 182, 183، ومن كتب الشيعة، بصائر المؤمنين للصفار، ص 153-156.

(2) ثم أبصرت الحقيقة، ص 201.

(3) المرتضى للنبوى، ص 55.

(4) مسلم.

(5) البخاري رقم (2404).

سلام: +وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مَنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي" [طه: 32-29]. فهل يرى من يدّعي التطابق بين الاثنين كون علـي رضي الله عنه مشاركاً لرسول الله × في نبوته كما هو الحال في مشاركة هارون لمـوسى عليه السلام في أمره؟!، من يعتقد ذلك فلا شك في كفره وخروجه من ملة الإسلام⁽¹⁾.

هـ- لقد استخلف النبي × على المدينة غير علي بن أبي طالب، ففي غزوة بدر استـلـف عبد الله بن أم مكتوم، واستخلف في غزوة سليم، سباع بن عـرـطة الغفارـي أو ابن أـمـ مكتوم على اختلافـ في ذلكـ، واستـلـفـ في غـزوـةـ السـويـقـ، بشـيرـ بنـ عـبدـ المـنـدرـ، واستـ عملـ علىـ المـديـنـةـ فيـ غـزوـةـ بـنـيـ المصـطـلـقـ، أـبـاـ ذـرـ الغـفارـيـ، وـفـيـ غـزوـةـ الـحـديـبـيـةـ، ذـمـيلـةـ بـنـ عـبدـ اللهـ الـلـيـثـيـ، كـمـاـ اـسـتـعـمـلـهـ أـيـضـاـ فيـ غـزوـةـ خـيـرـ، وـفـيـ عـمـرـةـ القـضـاءـ اـسـتـعـمـلـهـ عـوـيـفـ بـنـ الـأـضـبـطـ الـدـيـلـيـ، وـفـيـ فـتـحـ مـكـةـ، كـلـثـومـ بـنـ حـصـينـ بـنـ عـتـبةـ الـغـفارـيـ، وـفـيـ حـجـةـ الـوـدـاعـ، أـبـاـ دـجـانـةـ السـاعـدـيـ، ذـكـرـ هـذـاـ بـنـ هـشـامـ فـيـ مـوـاـفـقـ مـتـقـرـفـةـ مـنـ السـيـرـ⁽²⁾، إـضـافـةـ إـلـىـ أـنـ اـسـ تـلـفـ عـلـيـ ×ـ عـلـيـ المـديـنـةـ لـمـ يـكـنـ الـأـخـيـ فـقـدـ اـسـتـلـفـ النـبـيـ ×ـ عـلـيـ المـديـنـةـ فـيـ حـجـةـ الـوـدـاعـ، اـعـيـرـ عـلـيـ، وـهـذـاـ مـنـهـجـ النـبـيـ ×ـ فـيـ تـرـيـيـةـ الـقـادـةـ كـمـاـ حدـثـ عـنـدـمـ أـمـرـ أـبـاـ بـكـرـ عـلـيـ الـحـدـيجـ، وـاـخـتـصـهـ أـيـضـاـ بـإـمامـةـ الصـلـاـةـ وـحـدـهـ⁽³⁾.

وـ وـأـمـاـ تـشـبـيـهـ النـبـيـ ×ـ لـعـلـيـ بـهـارـونـ فـهـذـهـ فـضـيـلـةـ، كـمـاـ أـنـ النـبـيـ ×ـ شـبـهـ أـبـاـ بـكـرـ وـعـمـ رـبـاعـظـ مـنـ هـارـونـ فـفـيـ غـزوـةـ بـدـرـ، لـمـ كـانـتـ قـضـيـةـ الـأـسـرـىـ وـاسـتـشـارـ النـبـيـ ×ـ أـبـاـ بـكـرـ، فـرـأـيـ أـنـ يـغـفـرـ عـنـهـمـ وـأـنـ يـفـادـوـهـمـ قـوـمـهـ، وـرـأـيـ عـمـرـ أـنـ يـقـتـلـهـمـ، فـقـالـ النـبـيـ ×ـ لـأـبـيـ بـكـرـ: «ـإـنـ مـثـلـ كـمـثـلـ إـبـرـاهـيمـ يـوـمـ قـالـ: +فـمـنـ تـبـعـنـيـ فـإـنـهـ مـذـمـيـ وـمـنـ عـصـمـانـيـ فـإـنـهـ كـغـفـورـ رـحـيمـ» [إـبـرـاهـيمـ: 36] وـمـثـلـ كـمـثـلـ عـيـسـيـ إـذـ قـالـ: +إـنـ تـعـذـ بـهـمـ فـإـنـهـمـ عـبـادـكـ وـإـنـ تـغـفـرـ لـهـمـ فـإـنـكـ أـنـتـ الـعـزـيزـ الـحـكـيمـ» [الـمـائـدـةـ: 118] ثـمـ الـفتـ إلىـ عـمـرـ فـقـالـ: يـاـ عـمـ إـنـ مـثـلـ كـمـثـلـ مـثـلـ نـوـحـ لـمـ قـالـ: +رـبـ لـاـ تـذـرـ عـلـىـ الـأـرـضـ مـنـ الـكـافـرـيـنـ دـيـارـاـ» [نـوـحـ: 26]، وـمـثـلـ كـمـثـلـ مـوـسـيـ لـمـ قـالـ: +رـبـنـاـ اـطـمـسـ عـلـىـ آـمـوـالـهـمـ وـأـشـدـدـ عـلـىـ قـلـوـيـهـمـ فـلـاـ يـؤـمـنـواـ حـتـئـ يـرـأـ الـعـذـابـ الـأـلـيـمـ»⁽⁴⁾ [يـوـنـسـ: 88]».

فـشـبـهـ أـبـاـ بـكـرـ بـإـبـرـاهـيمـ وـعـيـسـيـ، وـشـبـهـ عـمـ بـنـوـحـ وـمـوـسـيـ، وـأـولـثـكـ مـنـ أـولـيـ العـزـمـ وـهـمـ خـيـرـ الـبـشـرـ بـعـدـ رـسـوـلـ اللهـ ×ـ، وـهـمـ أـفـضـلـ مـنـ هـارـونـ بـدـرـجـاتـ صـلـوـاتـ اللهـ وـسـلـامـهـ عـلـيـهـمـ أـجـمـعـيـنـ، وـتـشـبـيـهـ النـبـيـ ×ـ لـعـلـيـ بـهـارـونـ تـكـرـيـمـ لـهـ، كـمـاـ كـرـمـ النـبـيـ ×ـ أـبـاـ بـكـرـ وـعـمـ عـنـدـمـ شـبـهـمـ بـإـبـرـاهـيمـ وـعـيـسـيـ وـمـوـسـيـ وـنـوـحـ⁽⁵⁾ عـلـيـهـمـ السـلـامـ.

زـ- منـ أـقـوـالـ الـعـلـمـاءـ فـيـ شـرـحـ الـحـدـيـثـ:

قال النـوـوـيـ رـحـمـهـ اللهـ: وـهـذـاـ حـدـيـثـ لـاـ حـدـجـ فـيـ لـأـحـدـ مـنـهـمـ، بـلـ فـيـ إـثـبـاتـ فـضـيـلـةـ لـعـلـيـ وـلـاـ تـعـرـضـ فـيـهـ لـكـونـهـ أـفـضـلـ مـنـ غـيـرـهـ أـوـ مـثـلـهـ، وـلـيـسـ فـيـهـ دـلـالـةـ لـاستـخـلـافـهـ بـعـدهـ، لـأـنـ النـبـيـ ×ـ إـنـماـ قـالـ هـذـاـ لـعـلـيـ حـيـنـ اـسـتـلـفـهـ فـيـ المـدـيـنـةـ فـيـ غـزوـةـ تـبـوـكـ. وـيـؤـيدـ هـذـاـ أـنـ هـارـونـ الـمـشـبـهـ بـهـ لـمـ يـكـنـ خـلـيـفـةـ بـعـدـ مـوـسـيـ، بـلـ تـوـفـيـ فـيـ حـيـةـ مـوـسـيـ، وـقـبـلـ وـفـاةـ مـوـسـيـ بـنـحـوـ أـرـبعـينـ سـنـةـ عـلـيـ ماـ هوـ مـشـهـورـ عـنـدـ أـهـلـ الـأـخـبـارـ وـالـقـصـصـ، قـالـوـاـ وـإـنـماـ اـسـتـلـفـهـ حـيـنـ ذـ

(1) ثـمـ أـبـصـرـتـ الـحـقـيقـةـ، صـ 215.

(2) السـيـرـةـ الـنـوـوـيـةـ لـأـبـيـ هـشـامـ (806/2, 650).

(3) ثـمـ أـبـصـرـتـ الـحـقـيقـةـ، صـ 215.

(4) مـسـنـدـ أـحـمـدـ (383/1) إـسـنـادـهـ صـحـيـحـ.

(5) حـقـبـةـ مـنـ الـتـارـيـخـ، صـ 200.

هب لميقات ربه للمناجاة⁽¹⁾.

وقال ابن حزم رحمة الله بعد ذكر احتجاج الراافضة بالحديث: وهذا لا يوجب له فضلاً على من سواه ولا استحقاق الإمامة بعده: لأن هارون لم يل أمر بنى إسرائيل بعد موسى عليهما السلام، وإنما ولـي الأمر بعد موسى عليهما السلام يوشـع بن نون فـتى موسى وصاحبـه الذي سافـر معـه في طلبـ الخـضرـ علىـهاـ السـلامـ، كماـ ولـيـ الأمـرـ بـعـدـ رسـولـ اللهـ × صـاحـبـهـ فيـ الغـارـ الذـيـ سـافـرـ معـهـ إـلـىـ المـدـيـنـةـ، وـإـذـ لـمـ يـكـنـ عـلـيـ نـبـيـاـ كـمـ كـانـ هـارـونـ ذـبـيـاـ، وـلـاـ كـانـ هـارـونـ خـلـيـفـةـ بـعـدـ مـوـتـ مـوـسـىـ عـلـىـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ فـصـحـ أـنـ كـوـنـهـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ مـنـ رـسـولـ اللهـ بـمـنـزـلـةـ هـارـونـ مـنـ مـوـسـىـ إـنـمـاـ هوـ فـيـ الـقـرـابـةـ فـقـطـ، وـأـيـضـاـ فـإـنـماـ قـالـ لـهـ رـسـولـ اللهـ × هـذـاـ القـوـلـ إـذـ اسـتـخـلـفـهـ عـلـىـ الـمـدـيـنـةـ فـيـ غـزوـةـ تـبـوـكـ، ثـمـ إـنـهـ قـدـ اسـتـخـلـفـ × قـبـلـ تـبـوـكـ وـبـعـدـ تـبـوـكـ فـيـ أـسـفـارـهـ رـجـالـاـ سـوـىـ عـلـيـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ فـصـحـ أـنـ هـذـاـ الـاستـخـلـفـةـ لـمـ يـوـجـبـ لـعـلـيـ فـضـلـاـ عـلـىـ غـيرـهـ، وـلـاـ وـلـيـةـ الـأـمـرـ بـعـدـ، كـمـ لـمـ يـوـجـبـ ذـلـكـ لـغـيرـهـ مـنـ الـمـسـتـخـلـفـينـ⁽²⁾.

وقال ابن حجر رحمة الله: واستدل بـ الحديثـ الـ بـابـ عـلـىـ اـسـتـحـقـاقـ عـلـىـ الـخـلـافـةـ دونـ غيرـهـ مـنـ الصـحـابـةـ، فـإـنـ هـارـونـ كـانـ خـلـيـفـةـ مـوـسـىـ وأـحـيـبـ بـأـنـ هـارـونـ لـمـ يـكـنـ خـلـيـفـةـ مـوـسـىـ إـلـاـ فـيـ حـيـاتـهـ لـأـنـ مـوـتـهـ لـأـنـهـ مـاتـ قـبـلـ مـوـسـىـ بـاـتـاقـ .. أـشـارـ إـلـىـ ذـلـكـ الـخـطـابـ⁽³⁾.

وقال ابن تيمية رحمة الله في سياق رده على الشيعة الراافضة في استدلالهم بهـ ذـاـ الـحـدـيـثـ: وـقـوـلـ الـقـائـلـ هـذـاـ بـمـنـزـلـةـ هـذـاـ، وـهـذـاـ مـثـلـ هـذـاـ، هـوـ كـتـشـيـبـهـ الشـيـءـ بـالـشـيـءـ يـكـونـ بـحـسـبـ ماـ دـلـ عـلـيـ السـيـاقـ، لـاـ يـقـضـيـ السـيـاقـ بـالـمـطـلـقـةـ. فـيـ كـلـ شـيـءـ، وـكـذـلـكـ هـنـاـ بـمـنـزـلـةـ هـارـونـ، وـهـذـاـ الـاسـتـخـلـفـ لـاـ يـسـمـيـ مـنـ خـصـائـصـ عـلـيـ، بـلـ وـلـاـ هـوـ مـثـلـ اـسـتـخـلـفـاتـ فـضـلـاـ أـنـ يـكـونـ أـفـضـلـ مـنـهـ، وـقـدـ اـسـتـخـلـفـ مـنـ هـوـ عـلـىـ أـفـضـلـ مـنـهـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ الـغـزـوـاتـ، وـلـمـ تـكـنـ تـلـكـ الـاسـتـخـلـفـاتـ تـوـجـبـ تـقـديـمـ الـمـسـتـخـلـفـ عـلـىـ عـلـيـ "إـذـ قـدـ مـعـهـ، فـكـيفـ يـكـونـ مـوـجـبـاـ لـتـقـضـيـلـهـ عـلـىـ عـلـيـ؟" قـدـ اـسـتـخـلـفـ عـلـىـ الـمـدـيـنـةـ غـيرـ وـاحـدـ، وـأـلـوـلـكـ الـمـسـتـخـلـفـونـ مـنـهـ بـمـنـزـلـةـ هـارـونـ مـنـ مـوـسـىـ مـنـ جـنـسـ اـسـتـخـلـفـ عـلـيـ بـلـ كـانـ ذـلـكـ الـاسـتـخـلـفـ يـكـونـ عـلـىـ كـثـرـ وـأـفـضـلـ مـنـ اـسـتـخـلـفـ عـلـيـهـ عـامـ تـبـوـكـ وـكـانـتـ الـحـاجـةـ إـلـىـ اـسـتـخـلـفـ أـكـثـرـ، فـإـنـهـ كـانـ بـخـافـ مـنـ الـأـعـدـاءـ عـلـىـ الـمـدـيـنـةـ، فـأـمـاـ عـامـ تـبـوـكـ فـإـنـهـ كـانـ قـدـ أـسـلـمـتـ الـعـربـ بـالـحـجـازـ، وـفـتـ حـتـ مـكـةـ وـظـهـرـ الـإـسـلـامـ وـعـزـ، وـلـهـذـاـ أـمـرـ اللـهـ نـبـيـهـ أـنـ يـغـزوـ، وـلـهـذـاـ لـمـ يـدـعـ النـبـيـ × عـدـ عـلـيـ أـحـدـاـ مـنـ الـمـقـاتـلـةـ، كـمـ كـانـ يـدـعـ النـبـيـ × بـهـاـ فـيـ سـائـرـ الـغـزـوـاتـ بـلـ أـخـذـ الـمـقـاتـلـةـ⁽⁴⁾ كـلـ . ٤٤.

جـ-ـ الـحـكـمـ فـيـ عـدـ تـخـصـيـصـ رـسـولـ اللهـ ×ـ مـنـ بـعـدـ أـحـدـاـ الـبـيـتـولـيـ أـمـرـ الـأـمـةـ: إـنـ الـ حـكـمـ فـيـ عـدـ تـخـصـيـصـ رـسـولـ اللهـ ×ـ مـنـ بـعـدـ أـحـدـاـ يـتـولـيـ أـمـرـ الـأـمـةـ تـنـتـصـرـ فـيـ إـدـرـاكـاـ لـ حـقـ الـإـسـلـامـ كـدـيـنـ رـبـانـيـ لـبـشـرـيـةـ، وـأـنـهـ لـوـ حـدـ الرـسـولـ ×ـ رـجـالـاـ مـنـ بـعـدـ، فـإـنـهـ يـكـونـ قـدـ دـأـعـيـ الـمـسـوـعـ الـشـرـعـيـ لـيـدـعـيـ الـمـدـعـونـ سـوـقـ فـعـلـوـ بـدـونـ بـرـهـانـ. بـأـنـ قـيـادـةـ الـأـمـةـ مـنـ حـقـ أـسـرـةـ بـعـينـهـاـ، وـيـصـبـحـ الـحـكـمـ الـوـرـاثـيـ هوـ الـحـكـمـ السـائـدـ فـيـ الـإـسـلـامـ، وـلـكـنـ رـسـولـ اللهـ ×ـ أـرـادـ سـوـهـ لـاـ يـنـطـقـ عـنـ الـهـوـيـ +ـ إـنـ هـوـ إـلـاـ وـهـيـ يـوـهـيـ"ـ. أـنـ يـتـرـكـ هـذـاـ الـأـمـ رـ مـطـلـقـاـ لـالـمـسـلـمـيـنـ أـنـ يـخـتـارـوـاـ أـصـلـحـهـمـ وـخـيـرـهـمـ، وـإـنـ كـانـ لـمـحـ بـعـضـ الـتـلـمـيـحـاتـ إـلـىـ أـبـيـ بـكـرـ وـكـانـ بـمـقـوـرـهـ عـلـيـهـ الـسـلـامـ أـنـ يـصـرـحـ، وـلـكـنـهـ لـمـ يـفـعـلـ لـهـذـاـ الـقـصـدـ، إـلـاـ أـنـ الـتـلـمـيـحـ لـيـ بـعـطـيـ شـرـعـيـةـ التـولـيـةـ الـمـبـاشـرـةـ، وـلـوـ كـانـتـ هـنـاكـ وـصـيـةـ لـأـحـدـ مـنـ الـخـلـقـ لـمـ حـصـلـ اـخـتـلـاـ

(1) شـرـحـ صـحـيـحـ مـسـلـمـ (13/174).

(2) الـفـصـلـ (4/160-159).

(3) فـتـحـ الـبـارـيـ (7/74)، الـإـنـتـصـارـ لـلـصـحـبـ وـالـآلـ، صـ 540.

(4) مـنهـاـجـ الـسـنـةـ (7/330-332)، مـجمـوعـ الـفـتاـوىـ (4/416).

ف في سقية بني ساعدة في بداية الأمر، ولما استشار أبو بكر الناس في تولية عمر رضي الله عنه، ولما ترك عمر الخلافة بيد ستة من المهاجرين.. إلخ، ولو كانت المسألة وراثة لكان بنو هاشم أول من ينالون هذا الأمر⁽¹⁾.

إن هذا الدين للبشرية، ولا يصح بأي حال من الأحوال أن يكون محصوراً في أسرة حاكمة واحدة، ويظل متورطاً، كالمتاع، وإذا كانت العصور التالية فعلت ذلك، كعصر بذلك أمية، وبني العباس وغيرهم، فإن هذا خلاف القاعدة الشرعية، وما كان خلاف القاعدة فهو ظارئ وغريب على دين الله، وينبغي أن ينحي هذا المفهوم الفاسد كلية من الفكر الإسلامي حتى يصبح ناصعاً نقياً⁽²⁾.

بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يستدلون بها في الإمامة:

1- حديث الطائر: ومن أهم أدلة الشيعة الإمامية كذلك: حديث الطائر المشوي، روى الحاكم في المستدرك عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أخدم رسول الله ×، فقد مل رسول الله فرخ مشوي فقال: اللهم انتي بأحباب خلفاك إليك يأكل معي من هذا الطير، قال: فقلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، فجاء علي رضي الله عنه فقلت: إن رسول الله على حاجة، ثم جاء فقال رسول الله ×: افتح، فدخل، فقال رسول الله ×: ما حبسك يا علي؟، فقال: إن هذه آخر ثلاثة كرات يرددُي أنس، يزعم أنك على حاجة، فقال: ما حملك على ما صنعت؟، فقلت: يا رسول الله، سمعت دعاءك، فأحببت أن يكون رجلاً من قومي، فقال رسول الله ×: إن الرجل قد يحب قومه⁽³⁾. روى هذا الحديث بأسانيد لا تخلو من ضعف، بالإضافة إلى أن كثرة الروايات المسندة إلى أنس بن مالك رضي الله عنه وعدم صحة سند واحد منها أمر يدعو للعجب والدهشة، فلما أصحاب أنس من هذا الحديث وقد صحبوه السنتين الطوال؟ لم نر أي واحد منهم قد روى هذا الحديث، وهم من هم في التقى والضبط، كأمثال الحسن البصري، وثبت البناني، وحميد الطويل، وحبيب بن أبي ثابت، وبكر بن عبد الله المزن尼، وأسعد بن سهل بن حنيف، وإسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، وأبان بن صالح، وإبراهيم بن ميسرة، وغيرهم كثير من يروي عن أنس ولا يعرف، قال ابن كثير: ثم وقفت على مجلد كبير في رده وتضعيقه -أي حديث الطير- سندًا ومتداً للقاضي أبي بكر الباقلاني⁽⁴⁾، وقال ابن الجوزي: قد ذكره ابن مردويه من نحو عشرين طرقاً كلها مظلم، وفيها مطعن، فلم أر الإطالة بذلك⁽⁵⁾، وقال ابن تيمية: حديث الطائر من المكذوبات والموضوعات عند أهل العلم والمعرفة بحقائق النقل⁽⁶⁾، وقال الزيلعي: كم من حديث كثرت رواته وتعددت طرقه، وهو حديث ضعيف⁽⁷⁾.

2- حديث الدار: ومن الأحاديث التي يستدل بها الشيعة الاثني عشرية على نصية إمامية حديث الدار، حيث يرى الشيعة أن رسول الله × نص على إمامية علي منذ بداية البعثة، وأنباء عرضه الإسلام على كفار مكة، ومنذ مطالبته إياهم بترك الأواثن وإفراد الوحدة بالعبادة، لما نزلت هذه الآية على رسول الله × + وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبَ بَيْنَ [الشعراء: 214] دعاني رسول الله × فقال: يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتك لأقربين فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أنى متى أبادتهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصدقت علي حتى جاء جبرائيل، فقال: يا محمد إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك، فاصن

(1)، (3) دراسات في عهد النبي للشجاع، ص 270.
(3) المستدرك (130، 131/3) ضعيف من حيث السند والمعنى.

(4) البداية والنهاية (354/4).

(5) العلل المتباينة (234، 225/1).

(6) منهاج السنة (99/4).

(7) تحفة الأحوذى (24/10).

ع لنا صاعاً من الطعام وأجعل عليه رجل شاة، وأملاً لنا عسماً من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلهم وأبلغهم ما أمرت به، ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومنذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب، فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به فلما وضعته تناول رسول الله خدية من اللحم فشقها بأستانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة، ثم قال: خذوا باسم الله، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة، وما أرى إلا موضع أيديهم وأيم الله الذي نفسي بيده، وإن كان الرجل الواحد منهم يأكل ما قدمت لجميعهم، ثم قال: اسوق القوم، فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لقد سحركم صاحبكم، ففرق القوم ولم يكلمهم رسول الله، فقال: الغد يا علي، إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول ففرق القوم قبل أن أكلهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت، ثم اجمعهم م إلي. قال: ففعلت، ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربيت لهم ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة، ثم قال: أسلقهم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعاً، ثم تكلم رسول الله ×، فقال: يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأياكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصي وخليفي فيكم. قال: فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت -وانني لأحدthem سنداً وأرمصهم عينـاً وأعظمهم بـ طذاً وأحمسهم ساقـاً⁽¹⁾ -: أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي، ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع، وفي سياق آخر.. فلم يجبه أحد منهم فقام علي و قال: أنا يا رسول الله قال: أجلس ثم أعاد القول على القوم ثانيةً، فسمتوا، فقام علي و قال: أنا يا رسول الله، قال: أجلس ثم أعاد القول على القوم ثالثاً فلم يجبه أحد منهم، فقام ع لي فقال: أنا يا رسول الله، فقال: أجلس أنت أخي⁽²⁾.

وهذا الحديث باطل سندًا ومتداً:

أما سندًا: ففي سنته عبد الغفار بن القاسم وعبد الله بن عبد القدوس، فأمام عبد الغفار ابن القاسم فهو متزوك لا يُحتاج به، قال عنه علي بن المديني: كان يضع الحديث، وقال يحيى ابن معين⁽³⁾: ليس بشيء. وروى عباس بن يحيى: ليس بشيء. وقال البخاري: ليس بالقوى عندهم -أي عند علماء الجرح والتتعديل-. وقال عنه ابن حبان: يقبل الأخبار ولا يجوز الاحتجاج به، تركه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وقال النسائي: متزوك الحديث⁽⁴⁾، وليس عبد الله بن عبد القدوس بأحسن حالاً من سابقه، بل هو مجروح أيضًا عند عامة علماء الحديث، قال النسائي: ليس بثقة، وقال الدارقطني: ضعيف⁽⁵⁾.

وأما من ناحية المتن فالحديث واضح البطلان لأسباب وهي:

أ- هذه الرواية معارضة لرواية أخرى اتفق أهل الحديث على صحتها وثبوتها، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت + و آنذر عشيرتك الأقربيـن " [الشعراء: 214]، صعد النبي × على الصفا، فجعل ينادي:

(1) مع أن عمره آنذاك ما يقارب عشر سنوات
(2) المراجعات المراجعة (350/1) من كتاب الحجج الدامغات لنقض كتاب المراجعات، أبو مريم بن محمد الأعظمي.

(3) المجرورين لابن حبان ص 13.
(4) الضعفاء والمترددين النسائي، ص 210.
(5) ميزان الاعتدال (457/2).

«يا بني فهر، يا بني عدي»، لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال: «أرأيتم أن خيلاً بالواد ي تريد أن تغير عليكم أكتنتم مصدفي؟»، قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقًا، قال: «فإن ينذر لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا، فنزلت تدبّت يداً أبي لهبٍ وتدبّت مَا أَعْذَى عَنْهُ مَلَاهُ وَمَاكِسَبٍ»⁽¹⁾ [المودودي: 1,2].

بـ الشيعة الاثنى عشرية طالما ادعوا النص الصريح على خلافة علي وأنه هو الوصي والمستحق الوحيد لهذا المنصب، وأن النصوص متضادة في إثبات ذلك، وهذا الحديث يدحض قولهم، إذ فيه أن النبي ﷺ دعا قومه لنصرته وأن من يقبل نصرته فسيصبح أخاه ووصيه وخليفته من بعده، ولم يخص علياً بذلك بل وأعرض عنده ثلاط مرات، ولم يجد ناصرًا غير علي قال له ما قال، وهذا يدل على أن عليًا لا يستحق هذا المنصب بابتداء وأن النبي ﷺ اضطر مع إحجام قومه أن يجعل هذا الأمر في علي، فهل هذا يتوافق مع ما يدعوه القوم من أن عليًا منصوص عليه من قبل السماء؟⁽²⁾

3- حديث: أنا مدينة العلم وعلي بابها وأحاديث أخرى موضوعة: والأحاديث الموضوعة في هذا الباب كثيرة جداً، ومن ذلك ما رواه جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: أنا مدينة العلم وعلى بابها، فهذا الخبر مطعون فيه، إذ أنكره البخاري وقال عنه يحيى ابن معين: لا أصل له وذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وقال النووي والذهبي: إنه موضوع⁽³⁾، ويقول الألباني رحمه الله: وحديث «أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأت الباب» موضوع، رواه العقيلي في الضعفاء وابن عدي في الكامل، والطبراني في الكبير والحاكم عن ابن عباس ورواه ابن عدي والحاكم عن جابر رضي الله عنه⁽⁴⁾، وكذلك حديث «من ناصب عليًا بالخلافة فهو كافر». فلا أثر له بوجه في كتب أهل السنة⁽⁵⁾ أصلًا، وهذه النماذج تكشف عن ضعف ما استند إليه الروافض من حجج احتصاص علي رضي الله عنه وتعيينه دون غيره للخلافة، ويويد هذا ما ذهب إليه ابن خلدون من أن ما استدل به الشيعة الروافض من نصوص ينقولونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم، لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة، بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم⁽⁶⁾، وما أورده ابن حزم من أن سائر الأحاديث التي تتعلق بها الرافضة، موضوعة يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلها⁽⁷⁾.

ويعرف الكاتب الشيعي ابن أبي الحميد بأثر الحديث لتأييده مذهبهم في الإمامة فيقول: إن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلفة في أصحابهم حملهم على وضعها عداوة خصومهم، فلما رأت البكريه «يريد بعض السنين» ما صنعت الشيعة وضفت لصاحبتها «أبي بكر» أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث.. فلما رأت الشيعة ما قد وضفت البكريه أوسعوا في وضع الأحاديث، ولقد كان الفريقان في غنية عما اكتسباه، ولقد كان في فضائل الـ

(1) البخاري رقم (4492).

(2) ثم أبصرت الحقيقة، ص 224.

(3) الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة، ص 71 رقم (257)، الفتوى (410/4).

(4) ضعيف الجامع الصغير (13/2) رقم (1416).

(5) منهاج السنة (107، 108/4) دراسة عن الفرق، جلي، ص 195.

(6) المقدمة، ابن خلدون، ص 197.

(7) الفصل، ابن حزم (148/4).

ثبتة الصحيحة وفضائل أبي بكر المحققة المعلومة ما يعني عن تكليف العصبية⁽¹⁾, ورغم ضعف هذه الحجج وعدم قوتها فإننا نجد أن بعض الشيعة المعاصرین لا زالوا يرددونها في كتاباتهم ويستشهدون بها لإثبات معتقداتهم في الإمامة، وهذا أحد أئمته يذهب إلى أن الرسول يُعد غير مبلغ للرسالة لو لم يعين علياً خليفة من بعده⁽²⁾, ويقول: إن الرسول الـ كريم قد كلامه الله وحيداً أن يبلغ ما أنزل الله إليه، فيمن يخلفه في الناس وبحكم هذا الأمر فقد اتبع ما أمر به وعين أمير المؤمنين علياً للخلافة⁽³⁾. وقولهم هذا ينافي كل ما يدعوه ن من آيات وأحاديث يستدللون بها على الإمامة، لأنه يلزم من قولهم هذا أنه على واقعة حديث غدير خم، لم يكن الله سبحانه وتعالى ورسوله قد نصا على إمامية علي.

ويكفي في نقد نظرية الإمامة عند الشيعة الإمامية أنه لا سند لهم فيها إلا عبد الله ابن سبا اليهودي، الذي بدأ يشيع القول بأن الإمامة هي وصية من النبي ×، ومحصورة بالوحـي، وإذا تو لاها سواء يجب البراءة منه وتکفیره، فقد اعترفت كتب الشيعة بأن ابن سبا، كان أول من أشهر القول بفرض إمامـة علي، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفـيه وکفرـهم⁽⁴⁾، لأنـه كان يهودـي الأصل يرى أن يوشـع بن نون هو وصـي موسـى، فلما أسلم أظهرـ هـذه المقالـة في علي بن أبي طالـب رضـي الله عنه⁽⁵⁾.

رابعاً: التوحيد والشيعة الانـاث عشرية:

جعل الشيعة العقيدة في الإمام أساساً لـمـذهبـهم وـركـزاً من أركـانـ الدين، وأصبحـ الإمامـونـعـنـهمـ جـزـءـاًـ مـنـ العـقـيـدةـ،ـ وـيـنـسـبـ الشـيـعـةـ إـلـىـ بـعـضـ أـئـمـتـهــ القـوـلـ بـأنـ مـنـ أـصـبـحـ مـنـ هـذـهــ الأـمـةـ لـأـيـامـ لـهـ أـصـبـحـ ضـالـاًـ تـائـهـاـ،ـ وـأـنـ مـاتـ عـلـىـ هـذـاــ الحالـ مـاتـ مـيـةـ جـاهـيلـيـةـ⁽⁶⁾ـ،ـ ذـلـكـ لـأـنـ إـلـمـاـنـ فـيـ تـصـوـرـ الشـيـعـةـ بـخـتـافـ اـخـتـالـاـفـ كـلـيـاـ عـنـ تـصـوـرـ الـمـسـلـمـيـنـ جـمـيـعـاـ لـخـلـيفـتـهــ،ـ مـ،ـ إـذـ أـنـ الـمـسـلـمـيـنـ يـعـدـونـ إـلـمـاـنـ أـوـ خـلـيفـةـ الـمـسـلـمـيـنـ شـخـصـاـ عـادـيـاـ فـيـ تـكـوـيـنـهـ وـمـعـارـفـهـ،ـ وـأـنـ دـورـهـ لـاـ يـتـجـاـوزـ دـورـ الـمـنـفـذـ لـشـرـعـ اللهـ وـأـنـ يـعـرـضـ لـهـ الـخـطـأـ وـالـاتـحـارـافـ،ـ كـمـ يـعـرـضـ لـسـائـرـ النـاسـ فـيـقـوـمـ وـيـعـارـضـ إـذـاـ خـالـفـ أـمـرـ اللهـ وـفـوقـ هـذـاـ،ـ فـإـنـ الـخـلـيفـةـ يـخـتـارـ وـيـتـخـبـ مـنـ قـبـلـ الـجـمـاعـةـ الـمـسـلـمـةـ وـفـقـاـ لـمـبـداـ الشـوـرـىـ⁽⁷⁾ـ،ـ وـخـلـافـاـ لـهـذـاـ التـصـوـرـ يـذـهـبـ الشـيـعـةـ إـلـىـ أـنـ الـأـمـةـ كـانـواـ قـبـلـ هـذـاـ الـعـالـمـ أـنـوارـاـ،ـ وـأـنـ لـهـمـ وـلـاـيـةـ تـكـوـيـنـيـةـ إـلـىـ جـانـبـ الـوـلـاـيـةـ الـحـكـمـيـةـ،ـ وـقـدـ نـسـبـواـ إـلـىـ رـسـوـلـ اللهـ حـدـيـثـاـ أـسـنـدـهـ إـلـىـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ⁽⁸⁾ـ،ـ وـيـقـولـ أـحـدـ أـمـةـ الشـيـعـةـ الـمـعـاـصـرـيـنـ:ـ وـثـبـوتـ الـوـلـاـيـةـ وـالـحـكـمـيـةـ لـلـإـمـامـ،ـ لـاـ يـعـنـيـ تـجـرـدـهـ مـنـ مـنـزـلـةـ هــ الـتـيـ هــ لـهـ عـنـ اللهـ وـلـاـ تـجـلـهـ مـثـلـ مـنـ عـدـاهـ مـنـ الـحـكـامـ،ـ فـإـنـ لـلـإـمـامـ مـقـامـاـ مـحـمـودـاـ وـدـ رـجـةـ سـامـيـةـ وـخـلـافـةـ تـكـوـيـنـيـةـ تـخـضـعـ لـوـلـاـيـتـهـ وـسـيـطـرـتـهـ جـمـيـعـ ذـرـاتـ هـذـاـ الـكـوـنـ،ـ وـإـنـ مـنـ ضـرـورـيـاتـ مـذـهـبـنـاـ أـنـ لـأـمـتـنـاـ مـقـامـاـ لـاـ يـبـلـغـ مـلـكـ مـقـرـبـ وـلـاـ نـبـيـ مـرـسـلـ،ـ وـبـمـوجـبـ مـاـ لـدـيـنـاـ مـاـ مـنـ الـرـوـاـيـاتـ وـالأـحـادـيـثـ،ـ فـإـنـ الرـسـوـلـ الـأـعـظـمـ ×ـ وـالـأـمـةـ عـلـيـهـمـ السـلـامــ،ـ كـانـواـ قـبـلـ هـذـاـ الـعـالـمـ أـنـوارـاـ،ـ فـجـعـلـهـمـ اللهـ بـعـرـشـهـ مـحـدـقـيـنـ،ـ وـجـعـلـهـمـ لـهـمـ مـنـ الـمـنـزـلـةـ وـالـزـلـفـيـ مـاـ لـاـ يـعـلـمـهـ إـلـاـ اللهـ،ـ وـقـدـ قـالـ جـبـرـائـيلـ كـمـاـ وـرـدـ فـيـ روـاـيـاتـ الـمـعـرـاجــ،ـ لـوـ دـنـوـتـ أـنـمـلـةـ لـاـ حـتـرـقـتـ،ـ وـقـدـ وـرـدـ عـنـهـمـ عـلـيـهـمـ السـلـامــ إـنـ لـنـاـ حـالـاتـ لـاـ يـسـعـهـ مـلـكـ مـقـرـبـ وـلـاـ نـبـيـ مـرـسـلـ⁽⁹⁾ـ.

(1) شرح نهج البلاغة (50-48/11) نفلاً عن دراسة عن الفرق، لشيخي الدكتور أحمد جلي، ص 196-195.

(2) دراسة عن الفرق ص 196.

(3) الحكومة الإسلامية للخميني ص 43، 42، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، ص 196.

(4) رجال الكثي ص 109، 108، أصول مذهب الشيعة الإمامية (792/2).

(5) أصول مذهب الشيعة (792/2).

(6) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، ص 197.

(7) النظام السياسي للدولة الإسلامية ص 147-136.

(8) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، ص 198.

(9) الحكومة الإسلامية، آية الله الخميني، ص 93، 94.

وبناء على هذا التصور للإمام فإن دوره لا يقف عند تنفيذ شرع الله بل له هيمته على شئون الكون ومجرياته، فعلى عندهم الحكم المهيمن الشرعي على شئون البلاد والعباد، وأن الملائكة تخضع له، ويخضع له الناس حتى الأداء منهم، لأنهم يخضعون للحق في قيامه، وقعوده في كلامه وصيته، وفي خطبه وصلواته وحروبه⁽¹⁾، وقد أثَر اعتقاد الشيعة في الأئمة على عقيدتها في توحيد الله سبحانه بحسب الغلو، وإليك بيان ذلك:

1- نصوص التوحيد جعلوها في ولادة الأئمة: فأول ما نفاجأ به أن نصوص القرآن التي تأمر بعبادة الله وحده، غيرها معناها إلى الإيمان بإمامتنا على والأئمة، والنصوص التي تنهى عن الشرك جعلوا المقصود بها الشرك في ولادة الأئمة، ففي قوله تعالى: **+ وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَذِنْ أَشْرَكْتُ لَيْحَبْطَنَ عَمَلُكَ** [الزمر: 65].

جاء في الكافي⁽²⁾ -أصح كتاب عندهم في الرواية-، وفي تفسير القمي⁽³⁾ -عدمة تقاضي سببهم- وفي غيرهما من مصادرهم المعتمدة⁽⁴⁾، تفسيرها بما يلي: يعني إن أشركوا في ولادتهم غيره⁽⁵⁾، وفي لفظ آخر: لَذِنْ أمرت بولادة أحد مع ولادة علي من بعدك ليحطّن عملك⁽⁶⁾. وقد ساق صاحب البرهان في تفسير القرآن أربع روایات لهم في تفسير الآية السابقة بالمعنى المذكور⁽⁷⁾، وقد جاء في سبب نزولها عندهم: أن الله عز وجل حيث أوحى إلى نبيه × أن يقيم علياً بكر وعمر، حتى يسكن الناس إلى قولك وبصدقه، فلما أنزل الله عز وجل **+ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أَذْلَلَ إِلَيْكَ مَنْ رَبَّكَ** [المائدah: 67]، شكا رسول الله إلى جبرائيل فقال: إن الناس يكتونني ولا يقلون مني، فأنزل الله عز وجل: **+ وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَذِنْ أَشْرَكْتُ لَيْحَبْطَنَ عَمَلُكَ** [الزمر: 65]، وحتى يدرك القارئ مدى تحريفهم لآيات الله وتآمرهم للتغيير الإلهي وما قبلها وما بعدها وتتبع ذلك بيان معناها قال تعالى: **+ قُلْ أَفَغَيَرُ اللَّهُ تَآمِرُ وَنِي أَعْبُدُ أَيَّهَا الْجَاهَلُونَ وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَذِنْ أَشْرَكْتَ لَيْحَبْطَنَ عَمَلُكَ وَلَذِكْوَنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ بَلَ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ** [الزمر: 66-64]. فالآية كما هو واضح من سياقها تتعلق بتوحيد الله في عبادته، فهم غيرها الأمر فاعتبروا الآية متعلقة بعلي، مع أنه ليس له ذكر في الآية أصلاً، فكانهم جعلوه هو المعتبر عنه بلفظ الجلالة (الله) وجعلوا (ال العبادة) هي ولادته، ولآية وأضحة المعنى بينة الدلالة، ليس بين معناها وتأويلهم المذكور أدنى صلة⁽⁸⁾، قال أهـ لـ العلم في تفسيره: إن الله سبحانه أمر نبيه أن يقول هذا للمرشكين لما دعوه إلى ما هم عليه من عبادة الأصنام، وقالوا: هو دين أباائك⁽⁹⁾، والمعنى: قل يا محمد لمشركي قومك: أتآمر ونني بعبادة غير الله أيها الجاهلون بالله، ولا تصلح العبادة لشيء سواه سبحانه. ولمـ اـ كان الـ اـ مرـ بـ عـبـادـةـ غـيرـ اللـهـ لـ لاـ يـ صـدـرـ إـ لـاـ عـنـ غـيـ جـاهـلـ نـادـاهـ بـ الـ وـصـفـ الـ مـقـنـيـ ذـلـكـ فـقـالـ: **+ يَا أَيُّهَا الْجَاهَلُونَ** [الزمر: 64]، ثم بين سبحانه أنه قد أوحى إلى نبيه وإلى الرسـلـ منـ قـبـلـهـ لـ لـثـنـ أـشـرـكـتـ بـالـلـهـ لـ يـبـطـلـ عـمـلـكـ . وهذا في بيان خطر الشرك وشناعته، وكونه

(1) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، ص 200.

(2) أصول الكافي (427/1) رقم 76.

(3) تفسير القمي (251/2).

(4) البرهان (83/4)، وتفسير الصافي (328/4).

(5) هذا لفظ الكليني في الكافي، أصول الشيعة (519/2).

(6) أصول الشيعة (519/2).

(7) البرهان (83/4)، أصول الشيعة (519/2).

(8) أصول الشيعة الإمامية (520/2).

(9) تفسير ابن كثير (67/4)، تفسير البغوي (284/4).

بحيث ينهى عنه من لا يكاد يباشره فكيف بمن عداه؟ ثم قال سبحانه: **بِإِنَّ اللَّهَ فَقَاعِدٌ**^د لا تعبد ما أمرك به المشركون بل اعبد الله وحده دون كل ما سواه من الآلهة الباطلة والأوثان⁽¹⁾. فالمعنى كما ترى واضح جلي، لا يلتبس إلا على صاحب هوى مغرض، قد أعماه هواء عن رؤية الحق.. فهذه الزمرة التي وضعـت هذه الروايات كان جل همها، وإية قصدها البحث عن سند لدعواهم في الإمامة في القرآن الكريم حتى ولو حرفوا آيات الله، فكانت تختبط في هذا الأمر خطأً عشواء، لا تستند في الاستدلال إلى أصل في لغة أو عقل فضلاً عن الشرع والدين، كما يظهر في النص الإساءة للنبي × بتصويره في موقـة فـالخائف الـوجـل من قـومـه، المتـردد في تـنـفـيـدـ أمرـ رـبـهـ، حتـىـ إـنـهـ لمـ يـفـارـقـ هـذـاـ المـوـقـفـ إـلـاـ حـينـماـ نـزـلـ عـلـيـهـ التـهـديـدـ بـإـحـبـاطـ عـملـهـ⁽²⁾.

2- الولاية أصل قبول الأعمال عندهم: قالوا: إن الله عز وجل نصب علياً عـلـ

ـمـاـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ خـلـقـهـ، فـمـنـ عـرـفـهـ كـانـ مـؤـمـداـ وـمـنـ أـنـكـرـهـ كـانـ كـافـراـ، وـمـنـ جـهـلـهـ كـانـ ضـاـلاـ، وـمـنـ نـصـبـ مـعـهـ شـيـئـاـ كـانـ مـشـرـكاـ، وـمـنـ جـاءـ بـوـلـايـتـهـ دـخـلـ الجـنـةـ⁽³⁾، وـقـالـواـ: فـإـنـ مـنـ أـقـرـ بـوـلـايـتـاـ ثـمـ مـاتـ عـلـيـهـ قـبـلـتـ مـنـ صـلـاتـهـ، وـصـوـمـهـ، وـزـكـاتـهـ وـحـجـهـ، وـإـنـ مـنـ لـمـ يـقـرـ بـوـلـايـتـاـ بـيـنـ يـدـيـ اللهـ عـزـ وـجـلـ لـمـ يـقـبـلـ اللهـ عـزـ وـجـلـ شـيـئـاـ مـنـ أـعـمالـهـ⁽⁴⁾، وـزـعـمـواـ أـنـ جـبـائـيـ لـعـلـيـهـ السـلـامـ نـزـلـ عـلـىـ النـبـيـ ×ـ فـقـالـ: يـاـ مـحـمـدـ، السـلـامـ يـقـرـئـكـ السـلـامـ وـيـقـولـ: خـلـقـتـ السـلـامـ مـاـوـاتـ السـبـعـ وـمـاـ فـيـهـنـ، وـالـأـرـضـينـ السـبـعـ وـمـاـ عـلـيـهـنـ، وـمـاـ خـلـقـتـ مـوـضـعـاـ أـعـظـمـ مـنـ الرـكـنـ وـالـمـقـامـ، وـلـوـ أـنـ عـبـدـاـ دـعـانـيـ هـنـاكـ مـنـذـ خـلـقـتـ السـمـاـوـاتـ وـالـأـرـضـينـ ثـمـ لـقـيـنـيـ جـاحـدـاـ لـوـ لـاـيـةـ عـلـيـ لـأـكـبـيـتـهـ فـيـ سـقـرـ⁽⁵⁾، وـالـرـوـيـاتـ فـيـ شـيـءـ، فـأـمـاـنـاـ كـتـابـ اللهـ سـبـحـانـهـ لـيـسـ فـيـهـ مـاـ يـدـ عـونـ شـيـءـ وـهـوـ الـفـيـصـلـ الـأـوـلـ، وـالـمـرـجـحـ الـأـوـلـ فـيـ كـلـ خـلـافـ، فـالـقـرـآنـ الـكـرـيمـ ذـكـرـ أـنـ أـ صـلـ قـبـولـ الـأـعـمـالـ هـوـ التـوـحـيدـ وـسـبـبـ الـحـرـمـانـ هـوـ الشـرـكـ، قـالـ تـعـالـىـ: **+مـنـ يـسـرـكـ بـإـنـهـ فـقـدـ حـرـمـ اللـهـ عـلـيـهـ الـجـنـةـ وـمـاـوـاهـ الشـارـ** [المائدة: 72]، وـقـولـهـ: **+إـنـ أـ** اللـهـ لـاـ يـغـفـرـ أـنـ يـسـرـكـ بـهـ وـيـغـفـرـ مـاـدـونـ ذـلـكـ لـمـنـ يـشـاءـ [النساء: 48]، وـكـلـ مـاـ ذـكـرـ مـنـ مـبـالـغـاتـ الشـيـعـةـ تـذـكـرـهـاـ آيـاتـ الـقـرـآنـ، فـالـلـهـ سـبـحـانـهـ يـقـولـ: **+مـنـ أـمـنـ بـيـاـ اللـهـ وـالـيـوـمـ الـآـخـرـ وـعـمـلـ صـالـحـاـ فـلـهـمـ أـجـرـهـمـ عـنـدـ رـبـهـمـ وـلـاـ ذـوـفـ** عـلـيـهـمـ وـلـاـ هـمـ يـحـرـزـونـ

[المائدة: 69]، وـهـمـ يـزـعـمـونـ أـنـ وـلـاـيـةـ الـاثـنـيـ عشرـ أـعـظـمـ مـنـ الصـلـاةـ وـسـائـرـ أـرـكـانـ الـإـسـلـامـ، وـالـصـلـاةـ ذـكـرـتـ فـيـ الـقـرـآنـ بـلـفـظـ صـرـيـحـ وـاضـحـ فـيـ أـكـثرـ مـنـ ثـمـانـيـنـ مـوـضـعـاـ، وـلـمـ تـنـكـرـ وـلـاـيـتـهـمـ مـرـةـ وـاحـدـةـ، فـهـلـ أـرـادـ اللـهـ جـلـ شـانـهـ ضـالـلـ عـبـادـهـ، أـوـ لـمـ يـبـيـنـ لـهـمـ طـرـيقـ الـوـصـولـ إـلـيـهـ، سـبـحـانـهـ هـذـاـ بـهـتـانـ عـظـيمـ: **+وـمـاـ كـانـ اللـهـ لـيـ** ضـلـلـ قـوـمـاـ بـعـدـ إـذـ هـدـأـهـمـ حـدـيـ يـبـيـنـ لـهـمـ مـاـ يـتـقـدـونـ [التوبـةـ: 115]، وـقـدـ جـاءـ فـيـ روـيـاتـهـ مـاـ يـنـقـضـ مـاـ قـالـوهـ، وـإـنـ كـانـتـ لـاـ تـلـبـثـ تـأـوـيـلـاتـهـ، أـوـ تـقـيـيـمـهـ مـنـ وـأـدـ مـثـلـ هـذـهـ الـتـصـوـصـ الـمـعـتـدـلـةـ، وـلـكـنـ ذـكـرـ ذـلـكـ لـعـلـ عـاقـلـاـ يـتـعـطـ، أـوـ غـافـلـاـ يـنـتـبهـ، أـوـ نـائـمـاـ يـسـتـيقـطـ، وـلـأـقـامـةـ الـحـجـةـ عـلـيـ الـمـعـانـدـ مـنـ كـتـبـهـمـ، وـبـيـانـ مـاـ عـلـيـهـ نـصـوـصـهـمـ مـنـ تـنـاقـضـ.. جـاءـ فـيـ تـقـيـيـمـ سـيـبـرـ فـرـاتـ: قـالـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ: سـمـعـتـ رـسـوـلـ اللـهـ ×ـ يـقـولـ لـمـاـ نـزـلـتـ **+قـلـ لـاـ أـسـأـ لـكـمـ عـلـيـهـ أـجـرـاـ إـلـاـ الـمـوـدـةـ فـيـ الـقـرـبـاـ** [الـشـورـىـ: 23]، قـالـ جـبـائـيـلـ: يـاـ مـحـمـدـ

(1) تفسير الطبرى (24)، تفسير القرطبي (276، 277/15)، فتح القدير (474/4)، روح المعان

ي لـلـأـلوـسـيـ (23/24/24)

(2) أصول الشيعة الإمامية (522/2).

(3) أصول الكافي (437/1)

(4) أمالى الصدوق، ص 154-155.

(5) أمالى الصدوق، ص 290، بحار الأنوار (167/27).

ن لكل دين أصلاً ودعاة وفرعاً وبنياناً، وإن أصل الدين ودعامته قول: لا إله إلا الله، وإن فرعه وبنائه محبتكم أهل البيت وموالاتكم فيما وافق الحق ودعا إليه⁽¹⁾.

فهذا النص يخالف ما تذهب إليه أخبارهم، حين يجعل أصل الدين شهادة التوحيد لا لولايته، ويعد محبة أهل البيت هي الفرع وهي مشروطة بمن وافق الحق منهم ودعا إليه⁽²⁾.

3- اعتقادهم أن الأئمة هم الواسطة بين الله وخلقه: يقول الشيعة الإمامية: إن الأئمة ثلاثة عشرية هم الواسطة بين الله وخلقه، قال المجلسي عن أئمتنا: فإنهم حجب الرب والوسائط بينه وبين الخلق⁽³⁾، وعقد لذلك باباً بعنوان: باب أن الناس لا يهتدون إلا بهم، وأنهم الوسائل بين الخلق وبين الله، وأنه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم⁽⁴⁾، وجاء في كتاب قائد الإمامية أن الأئمة الثلاثة عشر هم: أبواب الله والسبيل إليه.. إنهم كسفينة نوح من رك بها نجا ومن تخلف عنها غرق⁽⁵⁾، ومن المسائل الموجودة في كتبهم ومصادرهم والتي هي تصب في هذه المعاني:

أ- قوله: لا هداية للناس إلا بالأئمة: قال أبو عبد الله - على حد زعمهم- بلية الناس عظيمة، إن دعوناهم لم يُجيئونا، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا⁽⁶⁾. وتقول أخبارهم: قال أبو جعفر: بنا عَبْدُ اللهِ، وبنا عُرْفُ اللهِ، وبنا وَحْدَ اللهِ⁽⁷⁾، فهذه النصوص لا تنفي الهدایة عن الأئمة، ولكن تجعل مصدرها الأئمة والحق أن الهدایة بمعنى التوفيق إلى الحق وقد وله، لا يملكون إلا رب العباد، ومقلب القلوب والأبصار والذي يحول بين المرء وقلبه، والذي إذا قال للشيء: كن فيكون.. والشيعة في إطلاقها هذه العبارات بلا أي قيد تجعل لأنفسها مشاركة الله في هذه الهدایة والله سبحانه هو الهدایي وحده لا شريك له⁽⁸⁾، قال تعالى: مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمَهْتَدُ وَمَنْ يُضْلَلْ فَذَنْ تَجْدَلْ لَهُ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ" [الكهف: 17] ويقول لنبيه: +إِذْكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتُ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ نَتَّبِعْهُمْ بإِحْسَانٍ، وَلَا تَنْحَصِرْ فِي الْأَثْنَى عَشْرَ +قُلْ هَذِهِ سَيِّلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ أَتَبَعَنِي" [يوسف: 108]. وإطلاق القول بأن هداية العباد لا تتم إلا بالأئمة جرأة على الله⁽⁹⁾.

ب- قوله: لا يُقبل الدعاء إلا بأسماء الأئمة: قالوا: لا يفلح من دعا بغير الأئمة، ومن فعل ذلك فقد هلك، جاء في أخبارهم عن الأئمة: من دعا الله بنا أفلح، ومن دعا بغيرنا هلك واستهلك⁽¹⁰⁾، وبلغت جرائمهم في هذا الباب أن قالوا: إن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستغفار بهم، صلوات الله عليهم أحجمعين⁽¹¹⁾، هذا ما تقوله الشيعة الرافضة وتقرب به، لكن الله يقول: +وَاللَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا" [الأعراف: 180]. ولم يقتصر سبحانه: فادعوه بأسماء الأئمة أو مشاهدهم. كما قال جل شأنه: +وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْدُّ جَبْ لَكُمْ" [غافر: 60]. ولو كان أساس قبول الدعاء ذكر أسم

(1) تفسير فرات ص 149-148 بحار الأنوار (247/23).

(2) أصول الشيعة الإمامية (535/2).

(3) بحار الأنوار (97/23).

(4) عقائد الإمامية للمظفر، ص 99-98.

(5) أمالى الصدق، ص 363، أصول الشيعة (539/2).

(6) بحار الأنوار (103/23).

(7) أصول الشيعة الإمامية (540/2).

(8) أصول الشيعة الإمامية (540/2).

(9) وسائل الشيعة (1142/4)، أصول الشيعة (541/2).

(10) وهذا أحد أبواب بحار الأنوار (319/26).

اء الأئمة لقال: ادعوني بأسماء الأئمة استجب لكم، بل إن هذا الأمر الذي تدعوه الشيعة وتفتريه من أسباب رد الدعاء وعدم قبوله لأن الإخلاص في الدعاء الله أصل في الإجابة والقبول، قال تعالى: **+فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَاوْ كَرَهُ الْكُفَّارُ وَنَّ** [غافر:14], **+وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** [الأعراف: 29] و هو لاء الأئمة من سائر البشر **+إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَبَادًا أَمْثَالَكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلَا يَسْتَهِنُ جَيْبُوا لَكُمْ إِنْ كَنْدُمْ صَادِقِينَ** [الأعراف: 194] ولم يجعل الله عز وجل بينه وبين خلقه في عبادته ودعائه ولهم صالحاً، ولا ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً، بل الجميع عباد الله **+إِنْ يَسْتَكِفَ الْمُسَيْحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا اللَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقْرِبُوْ** ن " [النساء: 172] قوله: **+إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا أَتَيَ الرَّحْمَنَ عَبْدًا** [93] [مريم: 93].

ولما دعوى أن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل بالأئمة فهي دعوى باطلة، إنما الأنبياء دعوا الله عز وجل باسمه سبحانه وبوحدينته جل شأنه، وأيوب عليه السلام توسل بأسماء الله الحسيني وأنه عز وجل - أرحم الراحمين **+وَأَيُوبُ إِذْ نَادَ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِي الْضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٌّ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمَثَلُهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا وَذَكْرَى لِلْعَابِدِ** [الأبياء: 83، 84]، وأما يونس عليه السلام فتوسل الله بوحدينته، قال تعالى: **+وَذَا النَّذْهَابَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ تُغْفَرْ عَلَيْهِ فَنَادَهُ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ أَنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغُمَّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ** [الأبياء: 87، 88].

والكلمات التي قالها آدم عليه السلام وزوجه هي كما قال الله سبحانه: **+فَقَالَ اللَّهُ سَبَحَنَاهُ ظَلَمَنَا أَنْفَسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمَنَا لَنَكُونَنَا مِنَ الْخَاسِرِينَ** [الأعراف: 23].

وهذه المقالة من الشيعة معلومة فسادها من الدين بالضرورة وقد نقلت كتب الشيعة نفسها ما ينافق هذه الدعوة عن الأئمة في مناجاتهم لله ودعائهم له، وما من إمام إلا قد روى عنه الكثير من الدعاء ومناجاته وقد أتى على أكثره المجلسي في بحار(1).

جـ- قولهم: إن الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى بيت الله: قال ابن تيمية رحمه الله: حدثني النقلات أن فيهم من يرى الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى البيت العتيق، فيرون الإشراك بالله أعظم من عبادة الله وحده، وهذا من أعظم الإيمان بالطاغوت(2)، جاء في الكافي وغيره: إن زيارة قبر الحسين تعدل عشرین حجة، وأفضل من عشرین عمرة وحجۃ(3)، وخصت الروايات الشيعية الموضوعة زيارة الحسين يوم عرفة بفضل خاص، تقول: من أتى الحسين عارفاً بحقه في غير يوم عيد كتب الله له عشرین حجة وعشرين عمرة مبرورات مقولات.. ومن أتاه في يوم عيد كتب الله له عشرین حجة ومائة عمرة، ومن أتاه يوم عرفة عارفاً بحقه كتب الله له ألف حجة وألف عمرة مبرورات متقبلات، وألف غزوة مع النبي مرسلاً أو إمام عادل(4). وليس زيارة قبر الحسين عند هولاء أفضل من الحج فحسب، بل هي أفضل الأعمال، جاء في روایتهم: إن زيارة قبر الحسين أفضلاً ما يكون من الأعمال(5)، وفي رواية أخرى: من أحب الأعمال زيارة قبر الح-

(1) أصول الشيعة الإمامية (545/2).

(2) منهاج السنة (124/2).

(3) ثواب الأعمال ابن بابويه ص 52، تهذيب الأحكام للطوسي (16/2).

(4) فروع الكافي (324/1) للكتابي، من لا يحضره الفقيه بابويه (182/1).

(5) كامل الزيارات، ص 146، أصول الشيعة الإمامية (561/2).

سین(١).

وهكذا تنسى شرائع الإسلام وأوامره، ويهتم بالقبور والأضرحة، ويجعلونها من أفعال الأعمال بلا دليل إلا ما صنعته أو هامهم، وأوحاه لهم شياطينهم، ليشرعوا من الدين ما لم يشرعه الله(٢).

وقد جعل هؤلاء القوم زيارة الأضرحة فريضة من فرائض مذهبهم ووضعوا لها مذاسك كمناسك الحج إلى بيت الله الحرام، قال ابن تيمية رحمة الله: وقد صفت شيخهم ابن النعمان المعروف عندهم بالميديكتاباً سماه «مناسك المشاهد» جعل قبور المخلوقين تحج كما تحج الكعبة البيت الحرام الذي جعله الله قياماً للناس، وهو أول بيت وضع للناس، فلا يطاف إلا به ولا يصلى إلا إليه، ولم يؤمر إلا بحجه(٣)، ومن رجع إلى مصادر الشيعة الرافضة التي تتحدث عن المشاهد يرى العجب العجاب، والانحراف عن كتاب الله وهدي الرسول ×، ومن أراد التوسيع فلينظر إلى كتاب أصول مذهب الشيعة الإمامية(٤).

إن للمسلمين كعبة واحدة يتجهون إليها في صلاتهم ودعائهم، ويحجون إليها، ويطوفون بها، أما الشيعة فلهم مزارات ومشاهد عبارة عن أضرحة الموتى من الأئمة(٥)، وهذا كله مما نهى الله عنه ورسوله، وكل ما نهى الله عنه ورسوله فهو مذموم منهي عنه سواء أكان فاعله منتبهاً إلى السنة أم إلى التشيع، وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي × لم يأمر بما ذكره من أمر المشاهد ولا شرع لأمته مناسك عند قبور الأنبياء والصالحين، بل هذا من دين المشركين الذين قال الله تعالى فيهم: **وَقَالُوا لَا تَذَرْنَ إِلَيْهِنَّ كُمْ وَلَا تَذَرْنَ وَدَأْ وَلَا سُوَاعِمْ وَلَا يَغُوثَ وَيَعْوَقَ وَنَسْرَأْ** [توب: 23].

قال ابن عباس وغيره: هؤلاء.. أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى محالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسموها بأسائهم، فعلوا، فلم تبعد حتى إذا هلك أولئك ونسى العلم عبدت(٦). وقد قال أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه لأبي الهياج الأسدي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ×؟ «أن لا تدع تمثلاً إلا طمسه، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته»(٧)، وهذا المذهب أقرت به بعض روایات الشیعه، فقد روی الكلینی عن أبي عبد الله، قال أمیر المؤمنین ن: بعثتني رسول الله × إلى المدينة فقال: «لا تدع صورة إلا محوتها ولا قبرًا إلا سويته»(٨)، وعن أبي عبد الله قال: نهى رسول الله × والله أعلم يصلى على قبر أو يقعد عليه أو يبني عليه(٩)، وعن أبي عبد الله قال: لا تبنوا على القبور.. فإن رسول الله × كره ذلك(١٠)، وعنه أيضاً أن آبائه عن رسول الله نهى أن تجصص المقابر(١١).

وقد زعم الحر العاملی أن هذا النھی یشمل كل قبر غير قبر النبی × والأئمۃ عليهم السلام، وأن هذا النھی لمجرد الكراهة(١٢)، وصیغة العموم واضحة في هذه الروایات، كما أن دلالة التحریر بینة، ولا دليل عند العاملی سوى ما شذت به طائفته في واقعها وفي

(١) أصول الشیعه الإمامیه (٥٦١/٢).

(٢) منهاج السنة (١٧٥/١)، مجموع الفتاوى (٤٩٨/١٧).

(٣) أصول مذهب الشیعه الإمامیه (٤٩٨-٥٥٥/٢).

(٤) أصول مذهب الشیعه الإمامیه (٥٨٠/٢).

(٥) البخاري، فتح الباري (٦٦٧/٨)، موقف على ابن عباس من حكم المرفوع قاله الألباني رحمة الله.

(٦) في سریح الفقید الطحاویه من ٨٠.

(٧) مسلم، کتاب الجنائز، رقم ٩٦٩.

(٨) فروع الكافي (٢٢٧/٢)، وسائل الشیعه (٨٦٩/٢).

(٩) تهذیب الأحكام للطوسی (١/١٣٠)، وسائل الشیعه (٨٦٩/٢).

(١٠) تهذیب الأحكام (٣٠/١)، المحاسن للبرقي ص ٦١٢.

(١١) من لا يحضره الفقيه (٢/١٩٤)، ابن بابویه، وسائل الشیعه (٨٧٠/٢).

(١٢) أصول الشیعه الإمامیه (٥٨٤/٢).

جملة من روایاتها، والشذوذ دليل على البطلان لمخالفته لكتاب الله وسنة رسوله × واجماع الأمة بمن فيهم أهل البيت الذين أثروا عنهم التحذير من ذلك، لأن ذلك وسيلة للشرك بالله، ثم إن الحكمة التي ورد من أجلها النهي لا تفرق بين قبر وقبر، وقد يكون الخطأ في قبور الأئمة أشد لعظم الافتتان بهم، ولهذا كان أصل الشرك هو الغلو في الصالحين⁽¹⁾.

4- قولهم: إن الإمام يحرم ما يشاء ويحل ما يشاء: تزعم الشيعة الإمامية في روایاته أنها أن الله سبحانه وتعالى خلق محمدًا وعليه وفاطمة، فمكثوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفرض أمرورها عليهم، فهم يحلون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون⁽²⁾. شرح شيخهم المجلسي النص السابق: فقال: وأجرى طاعتهم على لها، أي أوجب والزم على جميع الأشياء طاعتهم حتى الجمادات من السماويات والأرضيات، كشق القمر وإقبال الشجر وتسبيح الحصى وأمثالها مما لا يحصى، وفرض أمرورها إليهم من التحليل والتحريم والعطاء والمنع⁽³⁾... وجاءت الرواية عندهم صريحة بهذا فيما ذكره المفید في الاختصاص، والمجلسی في البحار وغيرهما عن أبي جعفر قال: مَنْ حَلَّنَا لَهُ شَيْئًا أَصَابَهُ مِنْ أَعْمَالِ الظَّالِمِينَ⁽⁴⁾ فهو حلال لأن الأئمة منا مفوض إليهم، فما أحلوا فهو حلال، وما حرموا فهو حرام⁽⁵⁾، ومن المعلوم في كتاب الله وسنة رسوله × أن من أصول التوحيد الإيمان بأن الله سبحانه هو المشرع وحده سبحانه يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء، لا شريك له في ذلك، ورسل الله يبلغون شرع الله لعباده، ومن ادعى أن له إماماً يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء فهو داخل في قوله سبحانه: +أَمْ لَهُمْ شُرُكَاءُ شَرَّ عَوْلَاهُمْ مَنْ مَلَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ+ [الشورى: 21].

إن حق التشريع لا يملكه إلا رب العباد، والرسول عليهم الصلاة والسلام إنما هم مبلغون عن الله سبحانه لا يحرمون ولا يحلون إلا ما يأمرهم الله به، ويوجهه إليهم، وقد قال الله جل شأنه فيما مشاربه فيما يحلون ويحرمون من دون شرع الله وحكمه، قال سبحانه: +أَتَأْخُذُوا أَحَدِيَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابَهُمْ مَنْ دُونَ اللَّهِ+ [التوبه: 31]، فجعل سبحانه اتباعهم فيما يحلون من الحرام ويحرمون من الحلال كما جاء في تفسير الآية⁽⁶⁾ عبادة لهم، حيث تلقوا الحال والحرام من جهتهم، وهو أمر لا يتحقق إلا من جهة الله عز وجل⁽⁷⁾.

5- قولهم: بأن الدنيا والآخرة كلها للإمام يتصرف بها كيف يشاء: عقد صاحب الكافي لهذا باباً بعنوان: باب أن الأرض كلها للإمام⁽⁸⁾، ومما جاء فيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أما علمت أن الدنيا للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى ما نشاء جائز له ذلك من الله⁽⁹⁾.

فهذا النص شرك في ربوبيه الله سبحانه، لأن الله جل شأنه يقول: +أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ+ [البقرة: 107]، ويقول سبحانه: +وَلَلَّهِ مُلْكُ الْأَرْضِ+.

(1) تيسير العزيز الحميد لشرح كتاب التوحيد، ص 305.

(2) أصول الكافي (441/1)، بحار الأنوار (340/25).

(3) بحار الأنوار (341:342/25).

(4) الظالمون في معتقدهم هم خلفاء الدولة الإسلامية، ما عدا أمير المؤمنين علياً وابنه الحسين رضي الله عنهما لأن بقية أئمتهم لم يتولوا الخلافة ولا يوماً واحداً، وكل خليفة من غيرهم هو ظالم وغاصب لحق الأئمة على حد زعمهم.

(5) الاختصاص ص 330، بحار الأنوار (334/25).

(6) تفسير الطبرى (113:114/1)، تفسير ابن كثير (373)، تفسير ابن عطية (166/8).

(7) أصول الكافي (410-407/1).

(8) المصدر السابق (409/1).

سَمَاءَاتٍ وَالْأَرْضِ وَمَا بِيَدِهِمَا وَإِلَيْهِ الْمَصْدِيرُ" [المائدة: 18], ويقول جل شأنه: +الله مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ" [المائدة: 20]. وقال: +الَّذِي لَهُ مَلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَخَذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ" [الفرقان: 2]. وقال سبحانه: +فَلَذِكُهُ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى" [النجم: 25]. كما قال سبحانه: +فَلُولُ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" [سباء: 24]. وقال سبحانه: +هُلْ مَنْ خَالَقَ غَيْرَ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" [فاطر: 3]. وقال: +فَلَبِطْغُوا عَنْدَ اللَّهِ الرِّزْقُ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ" [العنكبوت: 17]. فهو سبحانه قد تفرد بالملك والرزق والتدبير، لا شريك له في ذلك⁽¹⁾.

6- إسناد الحوادث الكونية إلى الأئمة: عن سماحة بن مهران قال: كنت عند عبد الله عليه السلام، فأردت السماء وأبرقت، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أما إنه ما كان من هذا الرعد ومن هذا البرق فإنه من أمر صاحبكم، قلت: من صاحبنا؟ قال: أمير المؤمنين ن عليه السلام⁽²⁾، يعني: كل ما وقع من رعد وبرق فهو من أمر علي، لا من أمر الواحد القهار، فماذا يستتبع المسلم المنصف من هذه الرواية، والله جل شأنه يقول: +هُوَ الَّذِي يَرِيْكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَظُمْرًا وَيُذْشِئُ السَّحَابَ النَّذْقَالَ" [الرعد: 12]؟ أليس ت هذه هي السبيئة قد أطلت برأسها المشوه من خلال كتب الانشى عشرية؟ أليس هذا دعاء لربوبية على رضي الله عنه، أو أن له شركاً في الربوبية؟ كيف يتجرأ فلمجلس ي ومن قبله المفید على كتابة هذه الأسطورة ونسبتها إلى جعفر؟ فإن هذا الإيحاء لا يخفى على أمثالهم، ولا يؤمن بهدا ويبدعوا إليه إلا كل زنديق وملحد، والعجب من قوم يستنقو ن دينهم من كتب حوت هذا الغثاء، ويعظمون شيوخاً يجاهرون بهذا البلاء، أليس في هذه الطائفنة من صاحب عقل ودين يعلن الصيحة والنكير على هذا الضلال المنتشر والكفر المبين، ويبرىء أهل البيت الأطهار من هذا الدرن القاتل وينقي ثوب التشيع مما لطخ به شيوخ الدولة الصفوية من كفر وضلالة، أم أن كل صوت صادق إما أن يصوات بالقتل كما فعلوا مع الكسروي، أو يحمل قوله على القافية كما صنعوا في الكثير من روایاتهم، وطائفة من أقوال شيوخهم، فهل وصل هذا المذهب في سبيل دعوته إلى نور الحق إلى طريق مسدود⁽³⁾؟

7- الجزء الإلهي الذي حل في الأئمة: وتردد روایات عند الشيعة الإمامية تدعى بأن جزءاً من النور الإلهي حل بعلي⁽⁴⁾، قال أبو عبد الله: ثم مسحنا بيديه فأفاضي نوره علينا⁽⁵⁾، ولكن الله خلطنا ببنفسه⁽⁶⁾، وهذا الجزء الإلهي الذي في الأئمة كما يزعمون. أعد طوا به قدرات مطلقة، ولذلك فإن من يقرأ ما يسمونه معجزات الأئمة وتبلغ مئات الروايات. يلاحظ أن الأئمة أصبحوا كرب العالمين تعالى ونقدس عما يقولون. في الإحياء والإمامية والخلق والرزق⁽⁷⁾، إلا أن روایاتهم تربط هذا بأنه من الله كنوع من التلبس والإبهام، ويكفي في فساده مجرد تصوره، إذ هو مخالف للنقل والعقل وال السنن الكونية، كما هو منقوض بواقع الأئمة وإقرار انهم، حيث يزعم الشيعة أن الأئمة عاشوا مظلومين ومضطهدین، ورسول الهدى يقول كما أمره ربـه -+فَلَ لاَ أَمْلُكُ لِذَفْنِسِي ذَفْنَعًا وَلَا ضَرَّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ" [الأعراف: 188].

(1) أصول الشيعة الإمامية (622/2).

(2) الاختصاص للمفید، ص 327، بحار الأنوار (33/27).

(3) أصول الشيعة الإمامية (624/2).

(4) المصدر نفسه (628/2).

(5) أصول الكافي (440/1).

(6) أصول الكافي (435/1).

(7) أصول الشيعة الإمامية (628/2).

ومن الطريف أن كتب الشيعة مع تعظيم الأئمة والغلو فيهم تروي ما يخالف هذا، لتنبت تناقضها فيما تقول، كالعادة في كل كذب وباطل، فقد جاء في رجال الكشي أن جعفر ابن محمد قال: فوالله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضر ولا نفع، وإن رحمنا فبرحمته، وإن عذبنا فبذنبنا، والله ما لنا على الله حجة، ولا معنا من الله براءة، ولنا لميتون ومقبورون، ومنشرون، ومبعوثون وموفوفون ومسئلون، ويلهم، مالهم لعنهم الله فقد آذوا الله وأذوا رسوله × في قبره، وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسن ومحمد بن علي صلوات الله عليهم.. أشهدكم أني أمر ولدني رسول الله ×، وما معى براءة من الله، إن أطعته رحمني وإن عصيته عذبني عذاباً شديداً⁽¹⁾. ولكن شيوخ الشيعة يعدون مثل هذه الإقرارات من باب التقية، فأضلوا قومهم سواء السبيل، وأصبح مذهب الشيعة مذهب الشيوخ لا مذهب الأئمة⁽²⁾.

8- قولهم: إن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء: عقد ذلك صاحب الكافي باباً بعنوان: «باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء»⁽³⁾، وضمه طائفة من روایاتهم، وعقد باباً آخر بعنوان «باب أن الأئمة إذا شاؤوا أن يعلموا علموا»⁽⁴⁾، وذكر فيه جملة من أحاديثهم، ومن روایات هذه الأبواب⁽⁵⁾: قال أبو عبد الله كما يذكرون -: إنني لأعلم ما في السموات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون⁽⁶⁾، وعن سيف التمار قال: كان مع أبي عبد الله رضي الله عنه جماعة من الشيعة في الحجر فقال: علينا عين؟ فالتفتتا به نة ويسرة فلم نر أحداً، فقلنا: ليس علينا عين، فقال: ورب الكعبة ورب البنية ثلاثة مرات - لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منها ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما ما، لأن موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان، ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة، وقد ورثاه من رسول الله × والآلهة وراثة⁽⁷⁾.

وهذا نموذج من غلو الشيعة الرافضة، وهذا بعض ما عندهم، فالغلو أساس مذهبهم وأصله، وقد نهى الله عز وجل وحذر من الغلو لما فيه من منافاة التوحيد وأصل الشرك قد يمّا وحديتا، قال تعالى: +قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابَ لَا تَغْلُبُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرُ الْحَقِّ " [المائدة:77]، قال ابن كثير رحمة الله - في تفسيره هذه الآية: أي لا تجاوز الحد في اتباع الحق، ولا تطروا من أمرتكم بتعظيمه فتباغوا فيه حتى تخرجوه من حيز النبوة إلى مقام الإلهية كما صنعت في المسيح وهونبي من الأنبياء فجعلتموه إلهًا من دون الله، وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخكم شيوخ الضلال الذين هم سلفكم من ضل قديمًا +قد صدّوا من قَبْلُ وَأَصْدَلُوا كَثِيرًا وَصَدَّلُوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ " [المائدة:77] أي خرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال إلى طريق الغواية والضلال⁽⁸⁾، وقال تعالى: +يَا أَهْلَ الْكِتَابَ لَا تَغْلُبُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقْوُلُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقِّ " [النساء:171]، فالله عز وجل في هاتين الآيتين ينهى عن الغلو والإطراء وتجاوز الحد، وفيه رد صريح على الشيعة الرافضة وكل من سلك هذا المسلك تجاه من يعظهم، وقد أمر الله عز وجل ذبيه محمدًا × أن يُبَيِّن للناس أنه لا يملك لنفسه شيئاً وأن النفع والضر بيده الله وأن علم الغيب لا يعلمه إلا الله، قال تعالى: +قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَانَةٌ اللَّهُ وَلَا أَ

(1) رجال الكشي، ص 226-225.

(2) أصول الشيعة الإمامية (630/2).

(3) أصول الكافي (262-260/1).

(4) المصدر السابق (258/1).

(5) أصول الشيعة الإمامية (679/2).

(6) أصول الكافي (261/1).

(7) المصدر نفسه (260, 261/1).

(8) تفسير ابن كثير (85/2).

عَلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَبَعْ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ قَدْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ " [الأنعام: 50]. وقال تعالى: + قُلْ لَا أَمْلُكْ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كَنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سُنْكَثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَنَنِي السُّوءُ إِنْ أَدْنَا إِلَّا ذَرِيرًا وَبَشِيرٌ لَّهُ وَمِنْ يُؤْمِنُونَ " [الأعراف: 188]. فالله عز وجل أمره أن يفوض الأمور إليه وأن يخبره م عن نفسه أنه لا يعلم غيب المستقبل ولا اطلاع له على شيء من ذلك⁽¹⁾.

كل ذلك سداً للطرق الموصلة إلى الغلو فيه ×، وتحذيرًا لأمنته أن يغلوا فيه كما غال ت اليهود والنصارى في أنبيائهم، فإذا كان هذا في حق سيد الخلق، وأعظمهم منزلة عند الله فغيره من باب أولى.

وبهذا يظهر بطلان دعوى الرافضة في الأئمة وزعمهم أنهم يعلمون الغيب ويعلمو ن ما كان وما سيكون، وجعلهم شركاء الله في الخلق والإحياء وفي الأسماء والصفات، وكيف يستطيع لهم ذلك مع قوله تعالى أيضًا في غير ما آية من كتابه العزيز، قال تعالى: + وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًّا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِمَايَ أَرْضٌ تَمُو تُ " [لقمان: 34]. وقال تعالى: + يَوْمٌ يَحْمَلُ اللَّهُ الرَّسُولُ فَيَقُولُ مَاذَا أَجْبَدْمُ قَدْ وَلَا عِلْمٌ لَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغَيْبِ وَبِ " [المائدة: 109].

وقال تعالى: + إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَرْدَادُ " [الرعد: 8]. وقال تعالى: + ذَلِكَ بِإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَإِنَّهُ يُحِبِّي الْمَوْتَى " [الحج: 6]. وقال تعالى: + وَعَنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهُمَا إِلَّا هُوَ " [الأنعام: 59]. وقوله تعالى: + وَلَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَيَّ كُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ قَدِيرٌ " [آل عمران: 189]. وقوله تعالى: + تَبَارَكَ الذَّي بِيَدِهِ الْمُمْكِنُ وَهُوَ عَلَيَّ كُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ قَدِيرٌ " [الملك: 1]. وغير ذلك من الآيات الواردة في هذا الباب والتي تثبت تقرده جل وعلا بعلم الغيب والتصرف بالكون، فمن نسب شيئاً من ذلك إلى أحد من المخلوقين فقد نازع الله في ربوبيته وألوهيته وهو في الشرك، فأنني له الإسلام مع ذلك، قال تعالى: + إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يَشْرُكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنِ يَشَاءُ " [النساء: 48]. وقال: + إِنَّهُ مَنْ يَشْرُكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَذَابَهُ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ الدَّارِ وَمَا لِظَّالَمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ " [المائدة: 72]. وذلك أن الله عز وجل خلق الخلق لعبادته، قال تعالى: + وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ " [الذاريات: 56]. أي ليوحدوه فأرسل الرسلي، وأنزل الكتب من أجل إفراده بالعبادة، قال تعالى: + وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ " [النحل: 36] والغلو ينافي تحقيق العبادة⁽²⁾، وكما حذر الله عز وجل من الغلو بكل مظاهره وصوره، فقد حذر النبي × أيضًا حماية لتوحيد الله وسدًا لكل ذريعة، تكون سببًا في نقص توحيد، لأن الغلو مطيبة الشرك ووسيلة الشراك وما دب في أمة إلا أهلها، فقال × محذرًا لأمنته من هذا الداء: «إِيَاكُمْ وَالْغَلُو، فَإِنَّمَا أَهْلُكُمْ قَبْلَكُمُ الْغَلُو فِي الدِّينِ»⁽³⁾، وعن أبي عباس رضي الله عنهما أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر سمعت النبي × يقول: «لَا تظروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهِ»⁽⁴⁾، فالنبي × يحذر أمنته من الغلو ومجاوزة الحد في مدحه، كما فعلت النصارى في عيسى عليه السلام، ويأمر × أن يوصف بصفة العبودية والتي قد وصفه الله بها في ا

(1) تفسير القرآن العظيم (373/2).

(2) العقيدة في أهل البيت ص 398.

(3) صحيح سنن ابن ماجة (177/2). صححه الألباني.

(4) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، رقم (3445).

لإسراء فقال: +سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا+ [الإسراء: 1]. كما وصفه بذلك في مقام الدعوة إليه فقال: +وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادَ وَا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لَبِدًا+ [الجن: 19]. وكذلك وصفه عند إنزال الكتاب عليه ونزول الملك إليه فقال: +تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ عَلَى عَبْدِهِ+ [الفرقان: 1]. فتلك ثلاثة مقامات من أشهر المقامات وصفه ومدحه ربه جل وعلا فيها بصفة العبودية له، فain الشيعة الراضة من تلك الآيات والأحاديث الواردة في النبي عن الغلو والتحذير منه، الداعية إلى تحقيق العبودية؟.

إن الناظر إلى أقوال أمير المؤمنين علي وأبنائه رضي الله عنهم، يجد فيها الرد على هذا الغلو والإفراط وبراعتهم من أقوال الشيعة الراضة وكل من غالى فيهم، كما تبين كذب تلك الروايات المنسوبة إليهم وضلالها⁽¹⁾. فقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي الطفلي عامر بن وائلة رضي الله عنه قال: كنت عند علي بن أبي طالب فأتاه رجل فقال: ما كان النبي × يُسر إلينك؟ قال: فغضب وقال: ما كان النبي × يسر إلى شيئاً يكتمه عن الناس، غير أنه قد حدثني بكلمات أربع، قال: ما هن يا أمير المؤمنين؟ قال: «لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من أوى محدثاً، ولعن الله من غير منار الأرض». وفي رواية: أخذكم رسول الله ×؟ قال: ما ذكرنا رسول الله × بشيء⁽²⁾.

وفي رواية عند الإمام أحمد: ... ما عهد إلى رسول الله × شيئاً خاصة دون الناس⁽³⁾، وروى البخاري في صحيحه عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: قلت لعلي: هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفه، قال: قلت: فما هذه الصحيفه؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر⁽⁴⁾، وفي رواية: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أعلم إلا فهم ما يعطيه الله⁽⁵⁾... قال ابن حجر: وإنما سأله أبو جحيفة عن ذلك لأن جماعة من الشيعة كانوا يزعمون أن عند أهل البيت -لا سيما علياً- أشياء من الأوهى خصهم النبي × بها لم يطلع غيرهم عليها⁽⁶⁾، وقال ابن تيمية رحمه الله- عقب إيراده لهذا الحديث: والكتب المنسوبة إلى علي، أو غيره من أهل البيت في الإخبار بالمسند قبلات كلها كذب مثل كتاب الجفر والبطاقة وغير ذلك، وكذلك ما يضاف إليه من أنه عذر علم من النبي × خصه به دون غيره من الصحابة، وكذلك ما ينقل عن غير علي من الصحابة، أن النبي × خصه بشيء من علم الدين الباطن، كل ذلك باطل⁽⁷⁾.

ومما يبين بطلان ذلك، ما روى ابن سعد عن علي بن الحسين زين العابدين أنه قال عن سعيد بن جبير -رحمهما الله-: ذلك رجل كان يمر بنا فسألته عن الفرائض وأشياء ما ينفعنا الله بها، إنه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء، وأشار بيده إلى العراق⁽⁸⁾. وجاء عن محمد ابن الحنفية محدثاً الشيعة الراضة مما تنسبه إليهم من علم خصهم به رسول الله × حيث قال: إنما والله ما ورثنا من رسول الله × إلا ما بين اللوحين⁽⁹⁾، وقد توافر عن آل البيت أنهم كانوا يقولون لشيعتهم: أيها الناس أحبونا حب الإسلام، فما برح بنا حبكم ح

(1) العقيدة في أهل البيت، ص 399.
(2) مسلم، كتاب الأضاحي رقم (1978).

(3) المسند (119/1).

(4) البخاري، كتاب العلم رقم (111).

(5) البخاري، كتاب الجهاد رقم (3047).

(6) فتح الباري (204/1).

(7) منهاج السنة (136/8).

(8) الطبقات الكبرى (5/216).

(9) المصدر السابق (5/105).

تى صار علينا عار⁽¹⁾). وزيادة على ذلك فقد جاء في كتب الشيعة الرافضة التحذير من الغلو وبراءة آل البيت من ذلك، فقد روى المجلسي بسنته عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إياكم والغلو فيما، قولوا إنما عبد مربوبون⁽²⁾. وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: اللهم إني برئ من الغلة كبراءة عيسى ابن مرريم من النصارى، اللهم اخذلهم أبداً، ولا تنصر منهم أحداً⁽³⁾.

روى الكليني بسنته عن سعيد قال: كنت أنا وأبو بصير وبخيي البزار وداود بن كثي ر في مجلس أبي عبد الله إذ خرج إلينا وهو مغضب، فلما أخذ في مجلسه قال: يا عبداً لا قواماً يزعمون أنا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلا الله عز وجل. لقد همت بضرب جريدة في فلانة فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي⁽⁴⁾. وروى الكشي عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام إنهم يقولون. قال وما يقولون؟ قلت: يقولون تعلم قطر المطر وعدد النجوم وورق الشجر وزن ما في البحر وعدد التراب، فرفع يده إلى السماء وقال: سبحان الله، لا والله ما يعلم هذا إلا الله⁽⁵⁾. فهذه أقوال أئمة آل البيت الطيبين الطاهرين، كما صرحت بذلك كتب الشيعة الرافضة وهم براء مما ترميمهم به الشيعة الرافضة، إذ الرافضة من أكذب خلق الله، فالفارق بينهم والكذب دينهم، ولذلك قال ابن تيمية -رحمه الله- إنهم من أكذب الناس في النقوليات ومن أجهل الناس في العقوليات⁽⁶⁾.

إن روایات الشیعة تکشف نفسها وتتناقض نصوصها، وقول الأئمة إنهم مصدر الرزق وإنزال الغیث .. الخ، والذي يرويه شیوخ الاشیاء عشریة هو من مخلفات غلاة الشیعة، والذین انکر الائمه مذهبهم، فقد جاء عن أخبارهم أن أبا عبد الله قال حينما قيل له: إن المفضل بن عمر يقول: إنکم تقدرون أرزاق العباد. قال: والله ما يقدر أرزاقنا إلا الله ولقد احتجت إلى الطعام لعيالي فضائق صدري وأبلغت إلى الفكرة في ذلك حتى أحرزت قوته م، فعندھا طابت نفسی، لعنه الله وبرئ منه⁽⁷⁾.

ولكن هذه الروایات هي كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، وفي التقیة متسع لكل ذص تضییق به نفوس شیوخ الشیعة، والإیک مثلاً على ذلك فاسمع ما يقوله شارح الكافی تعقیباً على قول أبی عبد الله الذي نقلناه آنفاً، والذي يتعجب فيه أبو عبد الله من قوله شارح الكافی: إنکم تقدرون أرزاق العباد. قال: والله ما يقدر أرزاقنا إلا الله ولقد احتجت إلى الطعام لعيالي فضائق صدري وأبلغت إلى الفكرة في ذلك حتى أحرزت قوته م، فعندھا طابت نفسی، لعنه الله وبرئ منه⁽⁷⁾.

يفقال عنه إنه يعلم ما كان وما يكون؟! قال شارح الكافی:.... الغرض من هذا التوجّب وإظهاره هو ألا يتخرّد الجهال إلهًا، أو يدفع عن وهم بعض الحاضرين المنكر لفضله ما نسبوه إليه من العلم بالغيب حفظاً لنفسه، وإن فهو رضي الله عنه كان عالماً بما كان وما يكون، فكيف يخفى عليه مكان الجاریة؟، فإن قلت: إخباره بذلك على هذا يوجب الكذب، فقلت: إنما يوجب الكذب لو لم يقصد التوریة وقد قصدها. فإن المعنى ما علمت به على غير مستقاد منه تعالى بأنها في أي بيوت الدار⁽⁸⁾، انظر التکلف العجیب في رد هذه الروایة لإثبات أن الإمام يعلم ما كان وما يكون حتى ارتكب في سبيل ذلك نسبة الإمام إلى الكذب، وهدم أصلاً من أصولهم وهو العصمة⁽⁹⁾. وأما شیخهم الآخر الشعراوی المعلق على الشرح فلم يعجبه هذا التکلف في تأویل الروایة، ورام ردها بأقصد طریق وهو الـ

(1) البداية والنهاية (110/9).

(2) بحار الأنوار (270/25).

(3) المصدر نفسه (284/25).

(4) أصول الكافی (257/1).

(5) رجال الكشي ص 193، العقيدة في أهل البيت، ص 402.

(6) منهاج السنة (3/1).

(7) رجال الكشي ص 274، أصول الشیعة الإمامیة (685/2).

(8) شرح جامع على الكافی (30,31/6) للمازندرانی.

(9) أصول الشیعة الإمامیة (686/2).

حكم بأن الرواية كذب، وهكذا يشيعون عن علماء أهل البيت مثل هذه الإشاعات الكاذبة، فإذا أنكروا على هؤلاء الكاذبين فريتهم، وفضحوا باطلهم أمام الملأ حمل شيوخ الشيعة هذا التكذيب والإنكار على التقى.. فصارت التقى حيلة بيد غلاة الشيعة لبقاء التشيع في دائرة الغلو، ورد الحق والإساءة لأهل البيت⁽¹⁾، وقد ادعى زراره بن أعين أن جعفر بن محمد يعلم أهل الجنة، وأهل النار، فأنكر ذلك جعفر لما بلغه ذلك، وكفار من قاله، ولكن زراره حينما نقل له موقف جعفر قال لمحدثه: لقد عمل معك بالقيقة⁽²⁾.

9- الغلو في الإثبات «التجسيم»: اشتهرت ضلالات التجسيم بين اليهود، ولكن أول من ابتدع ذلك بين المسلمين هم الشيعة الروافض، ولهذا قال الرازبي: اليهود أكثرهم مشبهة، وكان بدء ظهور التشبيه في الإسلام من الروافض مثل هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي، ويونس بن عبد الرحمن القمي، وأبي جعفر الأحوال⁽³⁾، وكل هؤلاء الرجال المذكورين هم من تعدهم الآثا عشرية في الطليعة من شيوخها، والآفات من نقلة مذهبها⁽⁴⁾، وقد حدد ابن تيمية أول من تولى كبر هذه الفرية من هؤلاء، فقال: وأول من عرَف في الإسلام أنه قال: إن الله جسم هو هشام بن الحكم⁽⁵⁾، وقد نقل أصحاب الفرق كلما تعرقة في التشبيه والتجسيم منسوبة إلى هشام بن الحكم وأنباءه تقشعر من سماعها جلود المؤمنين، يقول عبد القاهر البغدادي: زعم هشام بن الحكم أن معبوده جسم ذو حد ونهاية وأنه طويل عريض عميق وأن طوله مثل عرضه⁽⁶⁾، وقد استفاض عن هشام بن الحكم ومن تبعه أمر الغلو في التجسيم في كتب الفرق وغيرها⁽⁷⁾. فقد كان تشبيه الله سبحانه بخلقه كان في اليهود، وشرب إلى التشيع، وأول من تولى كبره هشام بن الحكم، ثم تعدد أثره إلى آخرين عرفوا بكتاب الفرق بمذاهب ضالة غالبية منسوبة إليهم⁽⁸⁾، ولكن شيئاً وشيئاً عشرية يدافعون عن هؤلاء الضلال الذي استقاض خبر فتنتهم، واستطرار شرهم، ويتكلفون تأويل كل بائفة منسوبة إليهم أو تكذيبها⁽⁹⁾، وقد كان لهشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي بالذات دور ظاهر في اتجاه التجسيم عند الشيعة كما تذكر ذلك مجموعة من روایاتهم⁽¹⁰⁾ وكان الأئمة يتبررون منها ومن قولهما، وحينما جاء بعض الشيعة إلى إمامهم وقال له: إني أقول بقول هشام. قال إمامهم أبو الحسن علي بن محمد: ما لكم وقول هشام، إنه ليس منا من زعم أن الله جسم، ونحن منه براء في الدنيا والآخرة⁽¹¹⁾، وتفصح بعض روایاتهم عما قالوه في الله جل شأنه وتقىدست أسماؤه، فهذا أحد رجالهم⁽¹²⁾ ينقل لأبي عبد الله كما تقول الرواية- ما عليه طائفة من الشيعة من التجسيم فيقول: إن بعض أصحابنا يزعم أن الله صورة مثل الإنسان، وقال آخر: إنه في صورة مرد جد قطط، فخر أبو عبد الله عليه السلام ساجداً، ثم رفع رأسه فقال: سبحان الذي ليس كمثله شيء، ولا تدركه الأبصار، ولا يحيط به علم⁽¹³⁾.

فأنت ترى أن كبار متكلميهم قد غلو في الإثبات، حتى شبهوا الله جل شأنه بخلقه و

(1) أصول الشيعة الإمامية (2). (686/2).

(2) ميزان الاعتدال (69,70/2).

(3) اعتقادات فرق المسلمين والمشركيين، ص 97.

(4) أعيان الشيعة (106/1)، أصول الشيعة الإمامية (641/2).

(5) منهاج السنة (20/1).

(6) الفرق بين الفرق، ص 65.

(7) أصول الشيعة الإمامية (642/2).

(8) أصول الشيعة الإمامية (643/2).

(9) بحار الأنوار (290/3-292) دفاع المجلس عن هؤلاء.

(10) أصول الشيعة الإمامية (2). (646/2).

(11) التوحيد، ص 104 ابن بابويه، أصول الشيعة الإمامية (2). (646/2).

(12) سنته الرواية: يعقوب السراج، وهو من تألفه الفهرست للطوسى، ص 214.

(13) التوحيد ص 104، ابن بابويه، أصول الشيعة (2). (647/2).

هو كفر بالله سبحانه، لأن تكذيب لقوله سبحانه: **لَيْسَ كَمَثْلُهِ شَيْءٌ**⁽¹⁾ [الشوري: 11]. وعلموا صفاته الالفة به سبحانه فوصفوه بغير ما وصف به نفسه، ورويا لهم في هذا الباب كثيرة⁽²⁾، فهذا الاتجاه إلى الغلو في الإثبات، قد طرأ على الإثبات الحق الذي عليه علماء أهل البيت، وأصبح المذهب يتنازعه اتجاهان اتجاه التجسيم الذي يتراء مه هشام، واتجاه التزير الذي عليه أهل البيت كما تشير إليه روايات الشيعة نفسها، وكما هو ثابت مستفيض في كتب أهل العلم⁽³⁾.

10- التعطيل عندهم: بعد هذا الغلو في الإثبات بدأ تغيير المذهب في أو آخر المائة الثالثة، حيث تأثر بمذهب المعتزلة في تعطيل البارئ سبحانه من صفاته الثابتة له في الكتاب والسنة، وكثير الاتجاه إلى التعطيل عندهم في المائة الرابعة لما صنف لهم المفيد وأتباه كالموسوي الملقب بالشريف الرضا، وأبي جعفر الطوسي، واعتمدوا في ذلك على كتب المعتزلة⁽⁴⁾، وكثير مما كتبوه في ذلك منقول عن المعتزلة نقل المسطرة، وكذلك ما يذكرون في تفسير القرآن العظيم في آيات الصفات والقدر ونحو ذلك هو منقول من تقاسد ير المعتزلة⁽⁵⁾، ولهذا لا يكاد القاريء لكتب متاخرة للشيعة يلمس بينها وبين كتب المعتزلة في باب الأسماء والصفات فرقاً فالعقل كما يزعمون - هو عمدتهم فيما ذهبوا إليه، وألمسائل التي يقررها المعتزلة في هذا البابأخذ بها شيوخ الشيعة المتأخرة، كمسألة خلق القرآن، ونفي رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، وإنكار الصفات، بل إن الشبهات التي يثيرها المعتزلة في هذا هي الشبهات التي يثيرها شيوخ الشيعة المتأخرة، والفرق الذي يلمسه القاريء في هذه المسألة، هو أن الشيعة أسندوا روايات إلى الأئمة تصرح بنبذ الصفات وتقول بالتعطيل، فقد جاؤوا بروايات كثيرة في الأئمة يسندون بها مذهبهم في التعطيل، ويقترون على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وبعض علماء أهل البيت كـ حمد الباقر وجعفر الصادق بأنهم يقولون بالتعطيل، واعتبر بعض شيوخهم المعاصرین أن هذا هو عمدتهم في نفي الصفات، حيث قال تحت عنوان طريقة معرفة الصفات: هل يبقى مجال للبحث عن الصفات وهل له طريقة إلا الإذعان بكلمة أمير المؤمنين: كمال الإخلاص نفي الصفات عنه⁽⁶⁾.

هذا والثابت عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأنه أهل البيت إثبات الصفات الله، والنفل بذلك ثابت مستفيض في كتب أهل العلم⁽⁷⁾، وهذا أيضاً ما تعرف به بعض روايات لهم موجودة وسط ركام هائل من التعطيل، إن مجموعة من رواياتهم وصفت رب العالمين بالصفات السلبية التي ضمنوها نفي الصفات الثابتة له سبحانه، وليس هذا بجديد فهو سبيل من زاغ واحد عن منهج الرسل عليهم السلام من المتفلسفة والجهمية وغيرهم.

إن الله سبحانه بعث رسلاً في صفاتهم مفصل، ونفي مجمل، ولهذا يأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلاً والنفي مجمل⁽⁸⁾، قال تعالى: **لَيْسَ كَمَثْلُهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** [الشوري: 11]. فالنفي جاء مجملًا: **لَيْسَ كَمَثْلُهِ شَيْءٌ** وهذه طريقة القرآن في النفي غالباً، قال تعالى: **+هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيعًا** [مريم: 65]، أي: نظيرًا يستحق مثل اسمه، ويقال: مساميًّا بساميَّه⁽⁹⁾، وهذا معنى ما يروى عن

(1) أصول الكافي (106/1)، أصول الشيعة (648/2).

(2) أصول الشيعة (648/2).

(3) منهاج السنة (1/229).

(4) المصدر الساقي (356/1).

(5) عقائد الإمامية الاشترى عشرية للزنجماني، ص 28.

(6) منهاج السنة (144/2).

(7) شرح الطحاوية، ص 49، التدميرية لابن نعيم، ص 8.

(8) التدميرية، ص 8.

ابن عباس: هل تعلم له مثلاً أو شبيهًا⁽¹⁾, وقال سبحانه: +وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ " [الإخلاص: 4], وأما الإثبات فيأتي التفصيل: +وَهُوَ السَّمِيعُ الْدَّاهِرِ " [الشوري: 11]. وكآخر سورة الحشر: +هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالَمُ الْغَيْرِ بِالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَمَّمُ مِنْ الْعَزِيزِ الْجَيَارِ الْمُتَكَبِّرِ سَبِّحَا نَالَ اللَّهُ عَمَّا يُشَرِّكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " [الحرث: 22-24]. وشواهد هذا كثيرة⁽²⁾.

إن الشيعة تروي عن أمتها: أن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه⁽³⁾, ولكنها تعرض عن ذلك كما أعرضت عن كتاب الله سبحانه، وعن مقتضى العقل والفطرة، وتؤثر في ذلك التقليد الممحض، والأخذ من «نفيات» الفلسفات البائدة. وإلا فكيف يتجرأ على الاعتماد في أمر غبيي لا سبيل للوصول إلى المعرفة فيه على سبيل التفصيل! لا بخبر السماء على العقل القاصر والفكر العاثر، وتحكيم خيالات البشر المتناقضة، وذواتهم المتعارضة؟⁽⁴⁾

أـ مسألة خلق القرآن: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وعلى هذا دل الكتاب والسنة، وإنما يرجح ذلك في زمانه المجلسي في البخاري في كتاب القرآن بباباً بعنوان: باب أن القرآن مخلوق⁽⁵⁾, أورد فيه إحدى عشرة رواية، ومعظم هذه الروايات تختلف ما ذهب إليه ولكن لشيخ الشيعة مسلكاً في تأويلها، سنذكره بعد قليل ببادن الله تعالى- ويقول آية الشيعة محسن الأمين: قالت الشيعة والمعترضة: القرآن مخلوق⁽⁶⁾, وهذا بناء على إنكارها لصفة الكلام لله وزعمهم أن الله سبحانه يوجد الكلام في بعض مخلوقاته كالشجرة حين كل موسى، وكجبرائيل حين أنزله بالقرآن⁽⁷⁾, هذا بعض ما يقوله شيوخهم في هذا الأمر⁽⁸⁾, وهذا رجعت إلى الروايات التي ينقلونها في «آل البيت»، وجدتها تختلف في أكثرها ما يذهب إليه هو لا فمن ذاك ما جاء في تفسير العياشي عن الرضا أنه سئل عن القرآن فقال: إنه كلام الله غير مخلوق⁽⁹⁾. وفي التوحيد لابن بابويه القمي قيل لأبي الحسن موسى رضي الله عنه: يا ابن رسول الله ما تقول في القرآن، فقد اختلف فيه من قبلنا، فقال قوم: إنه مخلوق، وقال قوم: إنه غير مخلوق؟، فقال رضي الله عنه: أما إني لا أقول في ذلك ما يقولون، ولكن أقول: إنه كلام الله عز وجل⁽¹⁰⁾.

وفي هذا المعنى روایات كثيرة عندهم⁽¹¹⁾, ولكن يلاحظ أن شيخ الشيعة في زمانه ابن بابويه القمي قد ذهب في تأويل هذه النصوص إلى اتجاه آخر، فأثبت أن قول الأئمة: القرآن غير مخلوق يعني أنه غير مخلوق أي غير مكتوب لا يعني به أنه غير محدث⁽¹²⁾,

(1) تفسير الطبرى (106/16).

(2) انظر التدميرية لأبن تبيه، ص 8 وما بعدها.

(3) أصول الشيعة الإمامية (656/2).

(4) المصدر نفسه (656/2).

(5) الرد على الزنادقة للإمام أحمد، خلق أفعال العباد للبخاري.

(6) بحار الأنوار (92/121-117).

(7) أعيان الشيعة (1/461).

(8) المصدر السابق (1/453).

(9) أصول الشيعة الإمامية (658/2).

(10) تفسير العياشي (8/1).

(11) التوحيد ابن بابويه، ص 224.

(12) بحار (121، 117/92)، أصول الشيعة (659/2).

(13) بحار (119/92)، أصول الشيعة (659/2).

وقال: وإنما امتنعنا من إطلاق المخلوق عليه لأن المخلوق في اللغات قد يكون مكذوبًا، ويقال: كلام مخلوق مكذوب⁽¹⁾، وقد قال علماء السلف ردًا عليهم: إنه غير مخلوق ولم يريدوا بذلك أنه غير مكذوب، بل هذا كفر ظاهر يعلمه كل مسلم، وإنما قالوا: إنه مخلوق خلقه في غيره فرد السلف هذا القول، كما تواترت الآثار عنهم بذلك، وصنف في ذلك مصنفات متعددة⁽²⁾، وفي كتاب تفسير الصراط المستقيم، لعلمائهم ولآياتهم البروجوري نقى لنصًا عن ابن بابويه — أيضًا — يحيل فيه النصوص التي فيها المعنى السابق على التقى فقال: ولعل المنع من إطلاق الخلق على القرآن إما للتقى مما شاش مع العامة، أو لكونه موهمًا لمعنى آخر أطلق الكفار عليه بهذا المعنى في قوله: «إن هذا إلا اختلاق»⁽³⁾، فلم يجد هؤلاء الشيوخ ما يلوذون به إلا القول (بالتقى) أو ما ماثلها..

وهذا المنهج يثبت أنهم ليسوا على شيء، وأن احتمال التقى في كل نص قد أفسد عليهم أمرهم أو أضاع حقيقة المذهب، فأصبح دينهم دين المجلسي أو الكليني أو ابن بابويه القمي لا روایات الأئمة⁽⁴⁾، وهذا يضيع العلم والحق بهذه الطريقة الماكرة، ويكتب على الأمة الفرقة والخلاف بهذه الأساليب التي هي من وحي الشيطان ومكره، ولو أحسن مد سن للشيعة وأراد بها الخير من شيوخها لسألك بها طريق الجماعة، وأخذ من روایاتهم ما يتفق مع كتاب الله، وسنة رسوله × وهدي الصحابة الكرام وعلماء أهل السنة والجماعة، وتخلص من مكر القمي والكليني والمجلسي، ولا سيما والأئمة تشتكى من كثرة الكذابين عليهم حتى قالوا: بأن الناس أولعوا بالكذب علينا⁽⁵⁾. ولو أردت أن تطبق هذه النظرية — أي ما تتفق فيه روایات أهل السنة مع روایات الشيعة عن أهل البيت في هذه المسألة— لو جدت أن كتب الشيعة روت كما سبقـ روایات عن أهل البيت بأن كلام الله منزل غير مخلوق، وكتب أهل السنة روت مثل هذا، فقد أخرج البخاري في كتاب أفعال العباد⁽⁶⁾، وابن أبي حاتم⁽⁷⁾، وأبو سعيد الدارمي، والأجري في الشريعة⁽⁸⁾، والبيهقي في الاعتقاد⁽⁹⁾، والأسماء والصفات⁽¹⁰⁾، واللاكاني في شرح أصول اعتقاد أهل السنة⁽¹¹⁾، وأبو داود في مسائل الإمام أحمد⁽¹²⁾، عن جعفر الصادق أنه قال حينما سئل عن القرآن قال: ليس بخالق ولا مخلوق، قال ابن تيمية: إنه قد استفاض ذلك عن جعفر⁽¹³⁾، فلماذا لا يؤخذ بالمعنى المتفق عليه ويترك الباطل الذي لا ينسنه إلا أقوال شيوخ يبغون في الأمة الفرقة والخلاف، وينشدون الشذوذ والعزلة ليتسنى لهم تحصيل الأموال الطائلة باسم الخمس، وتحتفق لهم الواجهة الاجتماعية، والمنزلة «المقدسة» باسم النيابة عن الإمام الغائب؟، ولهذا ما برحوا يؤكدون على القول: إن ما خالف العامة فيه الرشاد⁽¹⁴⁾، ويقصدون بذلك أهل السنة والجماعة.

إن الروایات الواردة في كتب الشيعة والتي تنص على أن القرآن منزل غير مخلوق

(1) أصول الشيعة (2/659).

(2) مجموعة فتاوى شيخ الإسلام (12/301).

(3) تفسير الصراط المستقيم (1/304).

(4) أصول الشيعة الإمامية (2/600).

(5) رجال الكليني ص 135-136.

(6) خلف أفعال العباد، ص 36 تحقيق البدري.

(7) منهاج السنة لأبن تيمية (2/187).

(8) الشريعة، ص 77.

(9) الاعتقاد، ص 36.

(10) الأسماء والصفات، ص 247.

(11) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (2/241, 242, 238).

(12) مسائل الإمام أحمد ص 265.

(13) منهاج السنة (1/278).

(14) أصول الشيعة الإمامية (2/662).

قد تمثل مذهب قدماء الشيعة الذين كانوا على هذا الاعتقاد كما أشار إلى ذلك أهل العلم⁽¹⁾ لأن القول بأن القرآن مخلوق هو إحداث متأخر للشيعة⁽²⁾، كما أن الاعتقاد بأن القرآن مُنزل غير مخلوق، هو الثابت عن أهل البيت، إذ ليس من أئمة أهل البيت مثل علي بن الحسين وأبي جعفر الباقر وابنه جعفر بن محمد من يقول بخلق القرآن، ولكن الإمامية تختلف أهل البيت في عامة أصولهم⁽³⁾، وبعد،ليس يكفي في بيان فساد مذهبهم أنه خلاف ما عليه أهل البيت، وخلاف ما اتفقت فيه روایات لهم مع ما جاء عند أهل السنة، وأن رواياتهم كلها متعارضة متناقضه؟⁽⁴⁾

إن معتقد أهل السنة والجماعة في هذه المسألة هو: إن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولًا، وأنزله على رسوله وحيًّا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقًّا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق كلام البرية، فمن سمعه فز عم أنه كلام البشر، فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأو عده بسقر حيث قال تعالى: +سَأَصْلِيهِ سَقَرَ+ [المدثر: 26]، فلما أوعد الله بسقر لمن قال: +إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ+ [المدثر: 25]، علمنا وأيقناً أنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ، ولا يشبه قول البشر⁽⁵⁾.

ب- مسألة الرؤية: ذهبت الشيعة الإمامية بحكم مغاراتهم للمعتزلة إلى نفي الرؤية و جاءت روايات عديدة ذكرها ابن بابويه في كتابه التوحيد، وجمع أكثرها صاحب البحار ت نفي ما جاءت به النصوص من رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، ففقرىء مثلاً - على أ بي عبد الله جعفر الصادق بأنه سئل عن الله تبارك وتعالى هل يرى في المعاد؟ فقال: س بحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا، إن الأ بصار لا تدرك إلا ما له لون وكيفية، والله خال ق الألوان والكيفية⁽⁶⁾، وقال شيخهم وأيتمهم جعفر النجفي صاحب كشف الغطاء: ولو نس ب إلى الله بعض الصفات .. كالرؤبة حكم بارتاده⁽⁷⁾، وجعل الحر العامل نفي الرؤية م ن أصول الأئمة، وعقد لذلك باباً بعنوان «باب إن الله سبحانه لا تراه عين ولا يدركه ب صر في الدنيا ولا في الآخرة»⁽⁸⁾، لفهم رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة خروج عن مقتضى النصوص الشرعية، وهو أيضًا خروج عن مذهب أهل البيت، وقد اعترفت بعض رواياتهم بذلك، فقد روى ابن بابويه القمي عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قالت له: أخبرني عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيمة؟ قال: نعم⁽⁹⁾، والرؤ ية حق لآل الجنة يرونـه بغير إحاطة ولا كافية، كما نطق به كتاب ربنا مثل قوله تعالى: +وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَيْ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ+ [القيمة: 23، 22]، وقوله تعالى: +لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَرْيَدٌ+ [اق: 35]، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: هو النظر إلى وجه الله عز وجل⁽¹⁰⁾، وقوله تعالى: +لَذَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَى وَزَيَادَةً+ [يونس: 26]، فالحسنى: الجنة، والزيادة، هي النظر إلى وجهه الكريم، فسرها بذلك رسول الله × و الصحابة بعده، كما روى مسلم في صحيحه عن صحيب قال: قرأ رس ول الله ×: +لَذَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَى وَزَيَادَةً+ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار. نادي مناد: يا أهل الجنة. إن لكم عند الله موعدًا ويريد أن ينجركم

(1) منهاج السنة (286/1)، أصول الشيعة الإمامية (664/2).
(2) مقالات الإسلاميين لأشعرى (114/1).

³ منهاج السنة (٢٩٦/١).

أصول الشيعة الإمامية (٤)

5) المنحة الإلهية في تهذيب شرح الطلاق
6) دليل الآثار (31/1)

⁽⁵⁾ المنحة الإلهية في تهذيب شرح الطحاوية، عبد الآخر الغنيمي، ص 109.

(6) بحار الأنوار (31/4).
 (7) نكشاف الغطاء (117). أهـ، الشهادة الإمامية (670/2).

٨) أصول الشيعة (670/2).

الفصول المهمة في أصول

(10) مجمع الفوائد (7/112).

$\therefore (127) = \text{مع} \div (10)$

وه، فيقولون: ما هو؟ ألم يُنقل موازيننا ويبكي وجهنا ويُدخلنا الجنة ويُجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، وهـي الزيادة»⁽¹⁾.

وقال تعالى: +كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ « [المطففين:15].

احتج الشافعي رحمة الله وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة، ذكر اطبرى وغيره عن المزنى عن الشافعى، وقال الحاكم: حدثنا الأصم حدثنا الربيع بن سليمان قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعى، وقد جاءت رقعة من الصعيد فيها، ما تقول في قول الله عز وجل: +كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ « [المطففين:15].

قال الشافعى رحمة الله: لما أن حجب في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياء هـيرونه في الرضا⁽²⁾، وأما الأحاديث عن النبي × وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن⁽³⁾، وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعـونـ، وأئمة الإسلام المعروفـونـ بالإمامـةـ في الدينـ، وسائلـ طـوـافـ أـهـلـ الـكـلامـ المـنسـوـبـينـ إـلـىـ السـنـةـ وـالـجـمـاعـةـ⁽⁴⁾.

11- تقضيـاـهـمـ الأـئـمـةـ عـلـىـ الـأـنـبـيـاءـ وـالـرـسـلـ: الرـسـلـ أـفـضـلـ الـبـشـرـ وـأـحـقـهـمـ بـالـرـسـالـةـ، جـ بـثـ أـعـدـهـ اللهـ تـعـالـىـ لـكـمـالـ الـعـبـودـيـةـ وـالتـبـلـغـ وـالـدـعـوـةـ وـالـجـهـادـ +أـعـدـمـ حـيـثـ يـجـ عـلـ رـسـالـاتـهـ « [الأـنـعـامـ:124]، فـهـمـ قدـ اـمـتـازـواـ بـرـتـبـةـ الرـسـالـةـ عـنـ سـائـرـ النـاسـ⁽⁵⁾، وـقـدـ أـوـجـ بـ اللهـ عـلـىـ الـخـلـقـ مـتـابـعـتـهـمـ، قـالـ تـعـالـىـ: +وـمـاـ أـرـسـلـنـاـ مـنـ رـسـوـلـ إـلـاـ لـيـطـاعـ يـبـ ذـنـ اللـهـ « [الـنـسـاءـ:64]، وـلـاـ يـفـضـلـ أـحـدـ مـنـ الـأـوـلـيـاءـ عـلـىـ أـحـدـ مـنـ الـأـنـبـيـاءـ عـلـىـ الـسـلـامـ وـنـقـوـلـ: نـبـيـ وـاـحـدـ أـفـضـلـ مـنـ جـمـيعـ الـأـوـلـيـاءـ⁽⁶⁾، وـتـقـضـيـلـ الـأـئـمـةـ عـلـىـ الـأـنـبـيـاءـ هـوـ مـذـهـبـ غـلـةـ الـرـوـافـضـ، كـمـ نـبـهـ عـلـىـ ذـلـكـ عـدـ عبدـ الـقـاهـرـ الـبـغـادـيـ⁽⁷⁾ وـالـقـاضـيـ عـيـاضـ⁽⁸⁾، وـابـنـ تـيمـيـةـ⁽⁹⁾، وـهـذـاـ المـذـهـبـ بـعـدـ غـداـ مـنـ أـصـوـلـ الـاثـنـيـ عشرـيـةـ، فـقـدـ قـرـرـ صـاحـبـ الـوـسـائـلـ أـنـ تـقـضـيـلـ الـأـئـمـةـ عـلـىـ الـأـنـبـيـاءـ مـذـهـبـ الشـيـعـةـ التـيـ نـسـيـهـاـ لـلـأـئـمـةـ⁽¹⁰⁾، وـقـالـ بـأـنـ الـرـوـاـيـاتـ عـنـهـمـ فـيـ ذـلـكـ أـكـثـرـ مـنـ أـنـ تـحـصـيـ⁽¹¹⁾، وـفـيـ بـحـارـ الـأـنـوـارـ الـمـلـجـسـيـ عـقـدـ بـاـبـاـ بـعـنـوانـ «ـبـابـ تـقـضـيـلـهـمـ عـلـيـهـمـ الـسـلـامـ عـلـىـ الـأـنـبـيـاءـ وـعـلـىـ جـمـيعـ الـخـلـقـ»ـ وـأـخـذـ مـيـثـاقـهـمـ عـنـهـمـ وـعـنـ الـمـلـائـكـةـ وـعـنـ سـائـرـ الـخـلـقـ، وـأـنـ أـوـلـيـ العـزـمـ إـنـمـاـ صـارـوـاـ أـوـلـيـ الـعـزـمـ بـحـبـهـمـ صـلـوـاتـ اللهـ عـلـيـهـمـ⁽¹²⁾، وـهـذـاـ المـذـهـبـ الـذـيـ اـسـتـقـرـ عـلـيـهـ مـذـهـبـ الـاثـنـيـ عشرـيـةـ مـرـ بـتـغـيـرـاتـ وـتـطـورـاتـ نـحـوـ الـغـلـوـ، فـإـنـ الـشـيـعـةـ فـيـ مـسـلـةـ تـقـضـيـلـ الـأـنـبـيـاءـ عـلـىـ الـأـئـمـةـ كـاـنـواـ ثـلـاثـ فـرـقـ كـمـاـ يـقـولـ الـأـشـعـريـ:-

الفرقة الأولى: يقولون بأن الأنبياء أفضل من الأئمة، غير أن بعض هؤلاء جوزوا أن يكون الأئمة أفضل من الملائكة

(1) مسلم رقم (181)

(2) مناقب الشافعى (419/1) للبيهقي.

(3) شرح الطحاوية، ص 151.

(4) المصدر السابق ص 146.

(5) منهاج في شعب الإيمان للحلمي (238/1).

(6) شرح الطحاوية، ص 493.

(7) أصول الدين، ص 298.

(8) الشفاء، ص 1078.

(9) منهاج السنة (177/1).

(10) أصول الشيعة الإمامية (745/2).

(12) بحار الأنوار (267/26).

ة.

الفرقة الثانية: يزعمون أن الأئمة أفضل من الأنبياء والملائكة.
والفرقة الثالثة: وهم الفائلون بالاعتزال والإمامية، يقولون: إن الملا
ئكة والأنبياء أفضل من الأئمة⁽¹⁾.

ويضيف المفید في أوائل المقالات مذهبًا رابعًا لهم وهو أفضلية الأئمة على سائر ا
لأنبياء ما عدا أولي العزم⁽²⁾، ثم لا يبوح بذلك المذهب الذي يعتمد من هذه المذاهب، بل
ينکر توقفه للنظر في ذلك⁽³⁾، ولكن يظهر أن كل هذه المذاهب تلخص بمعنى شيوخ الدول
الصفوية ومن تبعهم واستقر المذهب على الغلو في الأئمة، حتى أن المجلسي يقول في
عنوان الباب الذي عقده في بحاره لهذا الغرض: إن أولي العزم إنما صاروا أولي عزم بـ
حبهم صلوات الله عليهم⁽⁴⁾، إن من يرجع إلى كتاب الله سبحانه يجد أنه ليس لأنتمهم الأئـ
مـةـ عشر ذـكـرـ فـضـلـاـ عنـ أـنـ يـقـدـمـواـ عـلـىـ أـنـبـيـاءـ اللهـ وـرـسـلـهـ،ـ كـمـاـ أـنـ يـلـاحـظـ:ـ أـنـ الـأـنـبـيـاءـ لـكـ
وـنـهـمـ أـرـفـعـ رـتـبـةـ يـقـدـمـوـنـ بـالـذـكـرـ عـلـىـ غـيـرـهـمـ مـنـ صـالـحـيـ عـبـادـ اللهـ،ـ قـالـ تـعـالـيـ:ـ +ـ فـأـوـلـأـ وـلـدـ
كـ مـعـ الـذـيـنـ أـنـعـمـ اللـهـ عـلـيـهـمـ مـنـ الـذـيـبـيـنـ وـالـصـدـدـيـقـيـنـ وـالـشـهـدـأـعـ وـالـ
صـلـادـهـيـنـ [النساء: 69]. فرتبت الله سبحانه عباده السعداء المنعم عليهم أربع مراتب⁽⁵⁾، و
كتاب الله يدل في جميع آياته على اصطفاء الأنبياء واختيارهم على جميع العالم⁽⁶⁾، وقد أ
جمع أهل القرون الثلاثة على تقضيل الأنبياء على من سواهم والإجماع حجة، وقال ابن
نيمية: اتفق سلف الأئمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من الأولياء
و الذين ليسوا بأنبياء⁽⁷⁾، والعقل يدل صريحةً على أن جعل النبي واجب الطاعة وجعله آ
مراً وناهياً وحاكمًا على الإطلاق، والإمام نائبًا وتابعًا له لا يعقل بدون فضيلة النبي ع
ليه، ولما كان هذا المعنى موجوداً في حق كلنبي مفهوداً في حق كل إمام لم يكن إماماً أ
فضل من النبي أصلاً، بل يستحيل⁽⁸⁾. ثم قد ورد في كتب الشيعة نفسها ما يتفق مع النص
والإجماع والعقل، وينفي ذلك الشذوذ، وهو ما رواه الكليني عن هشام الأحول عن زيد بـ
ن علي أن الأنبياء أفضل من الأئمة، وأن من قال غير ذلك فهو ضال⁽⁹⁾، وروى ابن بابويه
عن الصادق ما ينص على أن الأنبياء أحب إلى الله من على⁽¹⁰⁾.

خامسًا: موقف الشيعة الإمامية من القرآن الكريم

قد كان لمعتقد الشيعة في الإمامة ومحاولة الدفاع عنها أثر كبير في دفع بعض الشيعـةـ إـلـىـ تـبـنيـ أـفـكـارـ خـطـيرـةـ حـوـلـ الـقـرـآنـ وـالـسـنـةـ،ـ وـالـصـحـابـةـ رـضـوـانـ اللـهـ عـلـيـهـمـ،ـ فـشـكـواـ فـيـ
الـقـرـآنـ،ـ وـأـنـكـرـواـ كـثـيرـاـ مـنـ الـأـحـادـيـثـ الثـابـتـةـ،ـ وـطـعـنـواـ فـيـ الصـحـابـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـ وـجـرـ
حـوـهـمـ وـنـسـبـواـ إـلـيـهـمـ تـعـدـ الذـبـحـ وـتـحـرـيفـ كـتـابـ اللـهـ تـعـالـيـ.

1- اعتقاد بعضهم في تحريف كتاب الله عز وجل والرد عليهم: فقد زعم بعض الشـيـعـةـ الـراـفـضـةـ أـنـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ قدـ حـرـفـ وـأـسـقـطـتـ مـنـهـ بـعـضـ السـوـرـ وـكـثـيرـ مـنـ الـآـيـاتـ الـتـيـ
أـنـزـلـتـ فـيـ فـضـائلـ أـهـلـ الـبـيـتـ وـالـأـمـرـ بـاتـبـاعـهـمـ،ـ وـالـنـهـيـ عـنـ مـخـالـقـتـهـمـ وـإـجـابـ مـحـبـتـهـمـ،ـ

(1) مقالات الإسلاميين (120/1).

(2) أوائل المقالات، ص 43-42.

(3) المصدر السابق، ص 43.

(4) بحار الأنوار (267/26).

(5) أصول الشيعة الإمامية (749/2).

(6) الفتاوي (221/11).

(8) مختصر التحفة، ص 101.

(9) أصول الشيعة الإمامية (753/2) مختصر التحفة، ص 100.

(10) مختصر التحفة، ص 101.

وأسماء أعدائهم والطعن فيهم، ولعنهم، وقد اتهم الشيعة الصحابة رضي الله عنهم، بأنهم سقطوا من القرآن من جملة ما سقطوه «وجعلنا علياً صهراً» من سورة (الشرح) والتي تشير إلى تخصيص على بمصاہر الرسول × دون عثمان. وقد جهل هؤلاء أن هذه الآيات التي تشير إلى ولایة على ومن بعده من الأئمة، وقد رد هذه الافتراضات على القرآن الكريم العديد من علماء الشیعه الإمامية وعلى رأسهم حجتهم المشهور أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني ت329هـ صاحب كتاب الكافي، الذي يعتبر في حجته لدى الشیعه في مرتبة كتاب البخاري عند أهل السنة، وقد ذكر صاحب تفسير الصافی الشیعی: إن الظاهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكلینی طاب ثراهـ أنه كان يعتقد أيضاً في التحريف والتقصیان في القرآن لأنّه روی روایات في هذا المعنى في كتابه الكافی ولم يتعزّز بذبح فيها، على أنه ذكر في أول كتابه أنه يثق بما رواه فيه⁽²⁾، وكتاب الكلینی هذا مذکور بهذه المزاعم المنحرفة، والتي تهدف في الأساس إلى إثبات إمامه على بن أبي طالب رضي الله عنه والأئمة من بعده. ومن ذلك ما رواه الكلینی عن أبي بصیر عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: +وَمَنْ يَطِعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ+ عن ولایة على والأئمة بعده. **+وَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** هكذا نزلت⁽³⁾، ويروي أيضاً عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: فلت له لم سمي «علي بن أبي طالب» أمير المؤمنين؟ قال: الله سماه وهذا أنزل في كتابه: «وإذ أخذ ربك منبني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدكم على أنفسهم ألسنت بربكم وأن محمدًا رسولى وأن علياً أمير المؤمنين»⁽⁴⁾، ويروى الكليني عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: رفع إلى أبو الحسن عليه السلام مصحفًا وقال: لا تنظر فيه، ففتحته وقرأت فيه **+لَمْ يَكُنِ الْأَذْيَنْ كَفَرُوا** فوجدت فيه سبعين رجلاً من قريش يسمائهم وأسماء آبائهم قال: فيبعث إلى بالمصحف⁽⁵⁾، وقد زعم الكلیني أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة، وأنهم (أي الأئمة) يعلمون علمه كله، مما جمعه وحفظه كما أنزل إلا على بن أبي طالب والأئمة من بعده⁽⁶⁾، وقد رد هذه الفرية التي ربطت جماعة القرآن بعلي رضي الله عنه، وقد ذهب صاحب الاحتجاج إلى أنه لما توفي الرسول ×، جمع على (عليه السلام) القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله، فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم، فوثب عمر وقال: يا علي اردده فلا حاجة لنا فيه، فأخذه عليه السلام وانصرف، ثم أحضر روازيد بن ثابت وكان قارئاً للقرآن، فقال له عمر: إن علياً جاء بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار، وقد رأينا أن نلوف القرآن ونسقط منه ما كان فيه فضيحة وهناك للمهاجرين والأنصار، فاجابه رزيد إلى ذلك ثم قال: فإن أنا فرغت من القرآن على ما سألتم وأظهر علي القرآن الذي ألهه أليس قد بطل كل ما عملتم؟، قال عمر: فما الحيلة؟، قال ريز

(1) دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين، ص 226.

(2) تفسير الصافی، ص 13، الإمام الصادق، لأبي زهرة، ص 333.

(3) أصول الكافی (414/1).

(4) أصول الكافی (412/1)، السنة والشیعه، إحسان إلهی، ص 103.

(5) أصول الكافی (631/2)، السنة والشیعه ص 87.

(6) أصول الكافی (228/1).

د: أنت أعلم بالحيلة، فقال عمر: فما حيلته دون أن نقتله ونستريح منه، فدبر في قتله على يد خالد بن الوليد، فلم يقدر على ذلك⁽¹⁾، ولا شك أن مثل هذه الرواية من نسج خيال مريض فاسد أراد أن يتهم الصحابة بتحريف القرآن، والتامر على حرمان علي من إمامية المسلمين وهو إذ يمدح علياً يذمه إذ يصفه بالسکوت السلبي حينما رفض الصحابة الأخذ برأته، فكيف يتحقق هذا مع مواقف علي رضي الله عنه البطولية في سبيل الدفاع عن الإسلام، ويرد على مثل هذه الترهات قول علي رضي الله عنه: أعظم الناس أجرًا في المصطفى أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع ما بين اللوحين⁽²⁾، ولم يكن الراهن كليني بهذا، بل نسب هذه الافتراضات والمزاعم الباطلة حول التحريف في القرآن إلى جعفر الصادق، إذ ينسب إليه أنه قال: إن القرآن الذي نزل به الوحي على محمد سبعة آلاف آية، والآيات التي نتلوها ثلاثة وستون ومائتان وستة آلاف فقط، والباقي مخزون عند آل البيت⁽³⁾، وزعم الكليني أن الصادق قال عن القرآن الذي جمعه علي بن أبي طالب في زعمه: قيل هو مثل قرآنكم هذا ثلاثة مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد⁽⁴⁾، ويقولون: إن فاطمة رضي الله عنها مكثت بعد النبي خمسة وسبعين يوماً صبت عليها مصائب من الحزن لا يعلمها إلا الله، فأرسل الله إليها جبرائيل يسلّيها ويعزيها ويحدثها عن أبيها، وعما يحدث لذريتها، وكان علي يستمع ويكتب ما يسمع حتى جاء به مصحفاً قدر القرآن ثلاثة مرات ليس فيه شيء من حلال وحرام. ولكن فيه علم ما يكون⁽⁵⁾.

ويردد عالم شيعي آخر: وهو علي بن ابراهيم القمي نفس المزاعم التي ذهب إليها الـ كليني ويورد عنه محمد محسن الملقب بالفيض الكاشي في تفسيره فيقول: المستقاد من الـ روایات عن طريق آل البيت أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو مغير محرف وأنه قد حذف منه أشياء كـ ثيرة منها اسم علي في كثير من الموضعـ وـ منها لـ فـ (آل محمد) غير مرـ، ومنها أسماء المنافقـ في موضعـها، وـ منها غير ذلك وأنه ليس على الترتـيب المـرضـي عند الله ورسـولـه، وبـهـ أيـ بهذا الرأـيـ قالـ عليـ بنـ ابرـاهـيمـ المـسمـيـ بالـقـمـيـ سـولـهـ تـفسـيرـ مـلـيءـ بـهـذهـ الدـعـاوـيـ وـ الغـلوـ فـهـاـ وـ أـخـذـ بـخـلطـ وـ يـزـ عـمـ أـنـ هـنـاكـ آيـاتـ فـيـ، وـ لـاـيـةـ عـلـىـ حـذـفـ⁽⁶⁾

وقال صاحب كتاب بصائر الدرجات الصفّار بسنده عن أبي جعفر -عليه حد زعم
ـ ما يستطيع أحد أن يدعي أنه جمع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء⁽⁷⁾، وعن
أيضاً: مامن أحد من الناس يقول إنه جمع القرآن كله كما أنزل الله إلا كذاب، وما جمعه
وما حفظه كما أنزل إلا على، بين أبي طالب والائمة من بعده⁽⁸⁾.

وفي تفسير العياشي عن أبي عبد الله: لو قُرئ القرآن كما أنزل لألفيتنا فيه مسمين⁽⁹⁾، وفيه عن أبي جعفر: لو لا أنه زيد في كتاب الله ونقص منه ما خفي حقنا على ذي حجي⁽¹⁰⁾. والروايات في كتب الشيعة الرافضلية المصرحة بتحريف القرآن كثيرة جدًّا، وقد أخبر عن استفاضتها وتواترها عندهم كبار علمائهم ومحققيهم، يقول المفيد: إن الأُخبار جاءت مستقيمة عن أئمَّة الهدى من آل محمد × باختلاف القرآن، وما أحدهُ بع

(1) الاحتجاج للطبرسي، ص 225، 228 دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين، ص 228.

كتاب المصايف، للسجستاني (1/5) (2).

{3} الإمام الصادق، ص 323
{4} الإمام الكاف، 1/230

أصول الكافي (4)
أعنة الأكافي (5)

٦) اسات عن الفرق، فـ تأ

6} دراسات عن الفرق في تار
7} بصائر الدرجات. ص 13

{ المصادر نفسه، ص 213. } 8

تقسر العيashi (7), (9)

• 1970 • 5 • 177-187

ضن الظالمين فيه من الحذف والنقصان⁽¹⁾.

ويقول هاشم البحرياني⁽²⁾ أحد كبار مفسريهم: اعلم أن الحق الذي لا محيد عنه بحسب الأخبار المتواترة الآتية وغيرها أن هذا القرآن الذي في أيدينا قد وقع فيه بعد رسول الله × شيء من التغييرات، وأسقط الذين جمعوه بعده كثيراً من الكلمات والآيات⁽³⁾، وبه ول أيضاً: وعندني في وضوح صحة هذا القول –أي تحريف القرآن– بعد تتبع الأخبار وتفحص الآثار بحيث يمكن الحكم بكونه من ضروريات مذهب التشيع وأنه من أكبر مقدمة الخلافة⁽⁴⁾.

ويقول نعمة الله الجزائري⁽⁵⁾: إن الأخبار الدالة على هذا (التحريف) تزيد على ألفي حديث، وادعى استقاضتها جماعة كالمفید والمحقق الداماد، والعلامة المجلسي⁽⁶⁾، فهذه أقوال أئمتهم ومحققهم الكبار تقطع بتوافر واستقاضة الروايات في كتبهم بدعوى تحريف القرآن وتبييله، وأنها تبلغ الآلاف مما جعل بعض هولاء العلماء يقطع بأن هذه العقيدة من ضروريات المذهب عندهم وأكبر مقاصد الإمامة، وزيادة على ما جاء في كتبهم من آلاف الروايات الدالة على دعوى تحريف القرآن، فإن أقوال علمائهم ومنظريهم وأهل الإجتهاد فيهم، جاءت مؤكدة لذلك العقيدة الفاسدة، ولعل المقام لا يتسع لنقل كلامهم هنا وإنما أذكر من نقل إجماعهم على ذلك من كبار علمائهم، يقول المفید ناقلاً إجماعهم على ذلك: واتفقوا (أي الإمامية) أن أئمة الضلال خالفوا في كثير من تأليف القرآن، وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبي ×، وأجمعوا على تأليف المعتزلة والخوارج والمرجئة، وأصحاب الأحاديث على خلاف الإمامية في جميع ما عدناه⁽⁷⁾.

وقد قام النوري الطبرسي، أحد كبار علمائهم المتأخرین الھالک في سنة 1320ھ بتأليف كتاب ضخم في إثبات دعوى القرآن عند الشيعة الرافضة، سماه «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب»⁽⁸⁾، صدره بثلاث مقدمات يتبعها بابان:

الأول: في الأدلة على تحريف القرآن بزعمه.

الثاني: في الرد على القائلين بصحبة القائلين في الأمة. وقد أودع الطبرسي في كتابه هذا آلاف الروايات الدالة على تحريف القرآن بزعمهم، حيث أورد في الفصلين الأخيرين فقط من الباب الأول المكون من اثنى عشر فصلاً (1602) رواية هذا غير ما أورده في الفصول الأخرى من هذا الباب والمقدمات الثلاث والباب الثاني وقال معذراً عن قوله ما جمعه: «ونحن نذكر منها ما يصدق دعواهم مع قلة البضاعة»⁽⁹⁾، وقال موثقاً هذه الروايات: واعلم أن تلك الأخبار منقوله من الكتب المعتبرة التي علينا معمول أصحابنا في إثبات الأحكام الشرعية والآثار النبوية⁽¹⁰⁾، وقال بعد أن سرد حشدًا هائلاً من أسماء علمائهم القائلين بالتحرف استغرقت خمس صفحات من كتابه: ومن جميع ما ذكرنا ونقلنا، بتتبعي القاصر، يمكن دعوى الشهرة العظيمة بين المنتمين وانحصر المخالفين فيهم

(1) أوائل المقالات، ص 91.

(2) هاشم بن سليمان البحرياني، توفي سنة 1107هـ.

(3) مقدمة تفسير البرهان في تفسير القرآن، ص 36.

(4) المصدر نفسه ص 49.

(5) متوفى سنة 1112هـ، قال عنه الحر العاملي: فاضل عالم محقق جليل القدر، أمل الآمل (336/2).

(6) فصل الخطاب، ص 248.

(7) أوائل المقالات، ص 49.

(8) الانتصار للصحاب والآل ص 61.

(9) فصل الخطاب، ص 249، الانتصار للصحاب والآل، ص 62.

(10) فصل الخطاب، ص 249.

بأشخاص معينين يأتي ذكرهم⁽¹⁾. ثم ذكر أن هؤلاء المخالفين هم: الصدوق، والمرتضى، وشیخ الطائفة الطوسي، قال: ولم يعرف من القدماء موافق لهم⁽²⁾.

ونذكر أنه تبعهم الطبرسي صاحب كتاب «مجمع البيان»، قال: وإلى طبقته لم يعرف الخلاف صريحاً إلا من هؤلاء المشايخ الأربعه⁽³⁾، ثم اعتذر بعد ذلك عن بعض هؤلاء العلماء في عدم قولهم بتحريف القرآن بأن الذي حملهم على ذلك التقية والمداراة للمخالفين، قال معتذراً عن الطوسي عما أورده في كتابه (البيان) من القول بعدم التحريف: ثم لا يخفى على المتأنل في كتاب البيان أن طريقته فيه على نهاية المداراة والمماشاة مع المخالفين.. وهو بمكان من الغرابة ولو لم يكن على وجه المماشاة⁽⁴⁾.

وقد سبق النوري الطبرسي الاعتذار لهؤلاء العلماء: نعمة الله الجزائرى حيث قال بعد أن نقل إجماع علماء الإمامية على عقيدة التحريف: نعم قد خالف فيها المرتضى والصدوق والشيخ الطبرسي، وحكوا أن ما بين دفتى هذا المصحف هو القرآن لا غير، ولم يقع فيه تحريف ولا تبديل، والظاهر أن هذا القول صدر منهم لأجل مصالحة كثيرة منها: سد باب الطعن عليها، بأنه إذا جاز في القرآن، فكيف جاز العمل بقواعد وأحكامه، مع جواز لحقوق التحريف لها، كيف روى هؤلاء الأعلام في مؤلفاتهم أخباراً كثيرة تشمل على وقوع تلك الأمور في القرآن وأن الآية هكذا أنزلت ثم غيرت إلى هذا⁽⁵⁾. وبهذا يظهر أن القول بتحريف القرآن واعتقاد تغييره وتبديله هو محل إجماع علماء الشيعة الرافضة قاطبة، ما حقق ذلك الطبرسي في فصل الخطاب، ودللت عليه القول السابقة عن كبار علمائهم، وأنه لم يخالف في هذه العقيدة أحد من علمائهم، حتى وقت تأليف فصل الخطاب إلا أربعة منهم حملهم على ذلك التقية والمداراة للمخالفين، على ما نص عليه الطبرسي ومن قبله نعمة الله الجزائرى. وكما أثبتت ذلك البحوث المعاصرة التي بحثت هذه المسألة وأيدت ذلك بذكر شواهد كثيرة من الروايات الدالة على التحريف الوارد في كتب هؤلاء المشايخ الأربعه⁽⁶⁾ مما يدل على اعتقادهم مضمونها وموافقتهم لسائر علماء الشيعة الرافضة فيما ذهبوا إليه، من اعتقاد تحريف القرآن وتبديله وإن أظهروا تقية ونفاقاً وخداعاً لأهل السنة⁽⁷⁾.

ومما يدل على ما ذهبت إليه أنه لم يتعرض واحد من هؤلاء الذين زعموا التحريف في القرآن إلى نقد من قبل الشيعة إذ ظل الكليني موضع النقمة والتبريج والإكراه والمرجع الأول عند جميع الشيعة اليوم. ورغم أن الشيعة المعاصرین أكدوا نفي التحريف عن القرآن زيادة ونقصاً، فإننا لا نجد أحداً منهم يرد على الكليني ردًا صريحاً أو يظهر عدم التقى به أو يرفض ما ذهب إليه، بل إن البعض حاول بطريقة ملتوية أن يدافع عنه ويجد له المعاذير⁽⁸⁾.

وإن كان هؤلاء القوم صادقين، فعليهم أن يتبرؤوا من قال بتحريف القرآن الكريم، ولا يترددوا في تكfir من أنكر كلمة واحدة من القرآن، وأن يبينوا أن جحود البعض كجحود الكل، لأن ذلك طعن صريح فيما ثبت عن النبي × بضرورة الدين، واتفاق المسلمين.

أن القرآن الكريم هو الكتاب الإلهي الذي لم يتطرق إليه التحريف والتبديل وذلك لأن

(1)، (4) فصل الخطاب، ص 30.

(3)، (6) فصل الخطاب، ص 34.

(5) الأنوار النعمانية (328)، (359/2).

(6) الشيعة والقرآن لإحسان إلهي ظهير، ص 68-71.

(7) الانصار للصحاب والآل، ص 65.

(8) أصوات على خطوط محب الدين، ص 42 وما بعدها.

الله تبارك وتعالى تعهد وتکفل بحفظه، بخلاف التوراة والإنجيل، فإن الله لم يتكلف بحفظه ما، بل استحفظ عليهم أهلها فضيعلهم، حكى الشاطبي عن أبي عمر الداني عن أبي الـ حسن المنتاب قال: كنت يوماً عند القاضي أبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق، فقيل له: لم جاز التبديل على أهل التوراة، ولم يجز على أهل القرآن؟ فقال القاضي: قال الله عز وجل في أهل التوراة: **+إِنَّمَا سَمْهُ حَفْظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ** [المائدة: 44]. فوكل الحفظ إليه م، فجاز التبديل عليهم، وقال في القرآن: **+إِنَّمَا نَحْنُ ذَرَدْنَا الذَّكْرَ وَإِنَّمَا لَهُ حَافِظُونَ** [الحجر: 9]. فلم يجز التبديل عليهم، قال علي: فمضيت إلى أبي عبد الله المحاملي فذكرت له الحكاية، فقال: ما سمعت كلاماً أحسن من هذا⁽¹⁾، وقد أجمعـت الأمة على مر العصور والدهور على أن القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد × هو القرآنـ المـوجـودـ الأنـ بأـيديـ الـمـسـلـمـينـ ليسـ فـيهـ زـيـادـةـ أوـ نـقـصـانـ، ولاـ تـغـيـيرـ فـيهـ ولاـ تـبـدـيلـ فـيهـ يمكنـ أنـ يـتـطـرـقـ إـلـيـهـ سـيـءـ مـنـ ذـلـكـ لـوـعـدـ اللهـ بـحـفـظـهـ وـصـيـانتـهـ وـلـمـ يـخـالـفـ فـيـ هـذـاـ إـلـاـ شـيـءـ عـةـ الرـافـضـةـ حـيـثـ زـعـمـواـ أـنـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ قـدـ حـدـثـ فـيـهـ تـحـرـيفـ وـتـغـيـيرـ وـتـبـدـيلـ، وـزـعـمـواـ أـنـ الصـاحـبةـ هـمـ الـذـينـ حـرـفـواـ الـقـرـآنـ مـنـ أـجـلـ مـصـالـحـهـمـ الـدـنـيـوـيـةـ، وـعـقـيـدـتـهـمـ هـذـهـ بـاطـلـةـ، وـ دـلـ عـلـىـ بـطـلـانـهـاـ الـأـدـلـةـ مـنـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ، وـأـقـوـالـ الـأـئـمـةـ مـنـ أـهـلـ الـبـيـتـ وـالـعـقـلـ، وـإـلـيـكـ بـيـاـنـ ذـلـكـ:

أـ.ـ الأـدـلـةـ مـنـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ:ـ الـآـيـاتـ الـصـرـيـحةـ الـدـالـلـةـ عـلـىـ تـكـفـلـ اللهـ تـعـالـىـ بـحـفـظـ الـقـرـآنـ وـأـنـهـ لاـ يـمـكـنـ أـنـ يـتـطـرـقـ إـلـيـهـ التـحـرـيفـ أـوـ التـبـدـيلـ، وـالـآـيـاتـ فـيـ هـذـاـ الشـأنـ كـثـيرـةـ مـنـهـ:

* قوله تعالى: **+إِنَّمَا نَحْنُ ذَرَدْنَا الذَّكْرَ وَإِنَّمَا لَهُ حَافِظُونَ** [الحجر: 9].

* قوله تعالى: **+وَأَقْلُلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبَّكَ لَا مُبَدِّلٌ لَكَلِمَاتِهِ وَلَمَّا تَجَدَ مِنْ دُونِهِ مُلْحَدَّداً** [الكهف: 27].

* قوله تعالى: **+لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمَدِيدٍ**

[فصلت: 42].

* قوله تعالى: **+الْمَذِكُورُ الْكِتَابُ لَا رَيْبٌ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**

[البقرة: 2].

* قوله تعالى: **+الرَّكِتَابُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصَدَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ** [هود: 1].

* قوله تعالى: **+وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا أَذَّاتُهُ مَذَّقَى الشَّيْطَانُ فِي أَمْرِيَتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُذَقُّ الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحَكِّمُ مُحْكَمَةً اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلَيْمٌ حَكِيمٌ** [الحج: 52].

* قوله تعالى: **+لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمِيعَهُ وَقُرْآنَهُ**

[القيمة: 16، 17].

فقد دلت هذه الآيات الكريمة على حفظ الله لكتابه الكريم وإحكامه لآياته، وأنه لا يأـ نـيـهـ الـبـاطـلـ مـنـ بـيـنـ يـدـيـهـ وـلـاـ مـنـ خـلـفـهـ +وـعـدـ اللهـ حـقـاـ وـمـنـ أـصـدـقـ مـنـ اللهـ قـيـلاـ " [النساء: 22]. وهذه الآيات في صراحتها على حفظ الله لكتابه وصيانته من التحريف، وـ التـبـدـيلـ حيثـ لـاـ يـحـتـاجـ إـلـىـ شـرـحـ أـوـ تـوـضـيـحـ،ـ كـمـاـ أـنـ ثـنـاءـ اللهـ تـعـالـىـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ عـلـىـ

ى الصحابة رضوان الله عليهم نسبته إليهم الشيعة الراضة من دعوى تحريف القرآن⁽¹⁾، قال تعالى: +وَالسَّابِقُونَ الْأُوَدُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَذْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ+ [التوبة: 100].

وقوله تعالى: +لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَارِعُونَكَ تَحْتَ الشَّهْرِ جَرَةً فَعَلِمَ مَا فِي قَلْوَبِهِمْ فَأَذْلَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثْبَطَهُمْ فَتَحَاهَا قَرْبًا+ [الفتح: 18]. وغير ذلك من الآيات في مدح الصحابة التي سيأتي شرحها وبيانها في موضعه بإذن الله تعالى.

وبعد إيراد هذه الآيات بقسميها المتقدمين نقول للشيعة الراضة: إن قولكم بتحريف القرآن تعارضه هذه الآيات الكريمة، التي أكد الله فيها أن هذا القرآن لم يحرف ولن يحرف لأنه هو الذي تكفل بحفظه وصيانته عن التحريف والتبدل، كما أثبتت على صحابة النبي ﷺ الذين اهتموا بالتحريف، ووصفهم بالصدق والإيمان بالله ورسوله، وزكاهم أعلم تزكية، فليلزمكم تجاه هذه الآيات: إما أن تعترفوا وتقرروا أن هذه الآيات جاءت من الله تعالى، فعند ذلك لا يسعكم إلا قبوله واعتقاد ما دلت عليه، من سلامة القرآن الكريم من التحريف والتبدل، وإما أن تتذكروا أنها من الله، فهذا كفر بالله بإجماع المسلمين، إذ من أنكر آية واحدة من القرآن، واعتقد عدم صحة نسبتها إلى الله، فهو كافر بإجماع المسلمين⁽²⁾.

بـ- الأدلة من أقوال أئمتهم: فقد جاءت روایات كثيرة عن أئمتهم الذين يعتقدون عصمتهم يحثون فيها الشيعة على التمسك بكتاب الله ورد كل شيء إلى الكتاب والسنة.

ومن هذه الروايات: ما جاء عن موسى بن جعفر أنه سئل: أكل شيء في كتاب الله وسنة نبيه أو تقولون فيه؟، فقال: بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه ×⁽³⁾. وجاء عن أبي عبد الله أنه قال: من خالف كتاب الله وسنة نبيه محمد × فقد كفر⁽⁴⁾. وعن أبي جعفر أنه قال: إن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا أنزله في كتابه، وبينه لرسوله ×، وجعل لكل شيء حداً وجعل عليه دليلاً يدل عليه⁽⁵⁾. وعن أبي عبد الله قال: ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة⁽⁶⁾.

والمتأمل لهذه الروايات يخرج بفائدين مهمتين:

* أن الأئمة من آل البيت كانوا يعتقدون كغيرهم من سلف الأمة صحة القرآن الكريم وإلا لم يطلبو من تلاميذهما التمسك بكتاب الله وسنة نبيه × ونبذ ما سواهما، ثم إخبارهم إياهم أنه ما من شيء إلا وهو في كتاب الله والسنة وأنه ليس عندهم إلا ما فيهما.

* أن الروايات المنسوبة إليهم من القول بتحريف القرآن لم يقولوها بل هم براء منها ومن افتراؤها⁽⁷⁾.

(1) بذل المجهود (434/1) عبد الله الجميلي.

(2) المصدر نفسه (325/1).

(3) أصول الكافي (62/1).

(4) المصدر نفسه (70/1).

(5) المصدر نفسه (59/1).

(6) المصدر نفسه (59/1).

(7) بذل المجهود (437/1).

جـ- الأدلة العقلية: وكما دل النقل على بطلان دعوى الرافضة في تحريف القرآن الكريم، فإن العقل يدل على بطلان دعواهم ذلك، وذلك لما يتترتب على القول بتحريف القرآن من المفاسد العظيمة التي يستلزم منها الطعن في الله تبارك وتعالى، وفي النبي ﷺ، وصحابته رضوان الله عليهم، والأئمة من آل البيت الأطهار، بحفظ القرآن من التحريف تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا. ويستلزم الطعن في النبي ﷺ حيث إنه لم يبلغ القرآن الكريم البلاغ الكامل بل خص عليه رضي الله عنه بكثير من الآيات التي لم يطلع عليها غيره، ويستلزم الطعن في الصحابة الذين حرفوا القرآن من أدل مصالحهم الخاصة، على حسب ما يدعوه الشيعة الرافضة، ويستلزم الطعن في علي وأئمته من بعده، وذلك لأنهم لم يسلموا القرآن الذي معهم على حد زعم الشيعة الرافضة. إلى الناس ويدعوهم إليه، وهذا كتم لكتاب الله، وقد توعد على ذلك بقوله: **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَذُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَذُهُمُ الْلَاعِذُونَ** [البقرة: 159]. ولو كان للشيعة الرافضة اعتراف بالآلة العقلية، ل كانت هذه اللوازم الفاسدة المترتبة على تلك العقيدة الخبيثة أكبر رادع لهم لابلاع عن هذه العقيدة والتوبة إلى الله، من كل ما افتروه عليه وعلى نبيه ﷺ، وصحابة ذبيه الكرام، وأهل البيت الأطهار⁽¹⁾.

2- اعتقادهم أن القرآن ليس حجة إلا بقيم: قال الكليني صاحب أصول الكافي والذي هو عندهم ك صحيح البخاري عند أهل السنة⁽²⁾، يروى ما نصه: «.. أن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم، وأن علياً كان قيم القرآن وكانت طاعته مفترضة، وكان الحجة على الناس بعد رسول الله»⁽³⁾، كما توجد هذه المقالة في طائفة من كتبهم المعتمدة كرجال الكشي⁽⁴⁾، وعلل الشرائع⁽⁵⁾، والمحاسن⁽⁶⁾، وسائل الشيعة⁽⁷⁾ وغيرها. وكيف يقال مثل هذا في كتاب الله سبحانه ليكون هداية للناس **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ يَهُدِي لِلّٰتِي هِيَ أَفْوَم** [الإسراء: 9].

قال الخليفة الراشد علي رضي الله عنه: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قسمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلله الله، وهو الحبل المتنين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا تنتهي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم⁽⁸⁾، وقال ابن عباس رضي الله عنه: «يضمون الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة»، ثم قرأ هذه الآية: **+قَالَ أَهْبِطْنَا مِنْهُ أَجْمَعِيًّا بِعَذْبَكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مَنِّي هُدًى فَمَنْ أَتَبَعَ هُدًى يَقْلُبْ لَيْلَهُ صَلِّ وَلَا يَسْقُفَى**⁽⁹⁾ [طه: 123].

وقد جاء في كتب الشيعة نفسها عن أهل البيت ما ينقض هذه المقوله في بعض مصادرهم المعتمدة، فقد جاء فيها: ... فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرار

(1) بذل المجهود (437/1).

(2) أصول الشيعة الإمامية (155/1).

(3) أصول الكافي (188/1).

(4) رجال الكشي، ص 420.

(5) الصدوق، علل الشرائع ص 192.

(6) المحاسن البرقي، ص 268.

(7) وسائل الشيعة للحر العاملي (18/141).

(8) فضائل القرآن لأبن كثير، ص 15، موقف على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

(9) تفسير الطبراني (225/16).

آن، فإنه شافع مشفع، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل على خير سبيل⁽¹⁾. وفي نهج البلاغة المنسوب لعلي رضي الله عنه وهو الذي عند الشيعة من أوثق المراجع: جاء النص التالي: فالقرآن أمر زاجر، وصامت ناطق، حجة الله على خلقه⁽²⁾.

ولهذه النصوص شواهد أخرى وهي تكشف لنا مدى التناقض والاضطراب الواقع في مصادر هؤلاء القوم: فرواياتهم كما ترى - يعارض بعضها بعضاً، لكنهم في حالة التناقض تلك قد وضعوا لهم منهجاً خطيراً وهو الأخذ بما خالف العامة - وهم أهل السنة عندهم - والمتأمل لتلك المقالة التي تواترت في كتب الشيعة يلاحظ أنها من وضع عدو حاقد أراد أن يصد الشيعة عن كتاب الله سبحانه، ويضلهم عن هدى الله، فما دامت تتكل المقالة ربطت حجية القرآن بوجود القيم، والقيم هو أحد الأئمة الاثني عشر، لأن القرآن نفس رجل واحد وهو على، وقد انقل علم القرآن من على إلى سائر الأئمة الاثني عشر، كل إمام يعهد بهذا العلم إلى من بعده، حتى انتهى إلى الإمام الثاني عشر، وهو غائب مفقود عند الاثني عشرية منذ ما يزيد على أحد عشر قرناً، ومعدوم عند طوائف من الشيعة وغيرهم، فما دامت هذه المقالة ربطت حجية القرآن بهذا الغائب أو المعدوم فكان نهايتها أن الاحتجاج بالقرآن متوقف لغياب قيمه أو عدمه، وأنه لا يرجع إلى كتاب الله، ولا يرجح عليه في مقام الاستدلال، لأن الحجة في قول الإمام فقط، وهو غائب فلا حجة فيه حينئذ، وحسبك بهذا الضلال، والإضلal عن صراط الله، وتلك ليست نهاية التأمر على كتاب الله، وعلى الشيعة، ولكنها حلقة من حلقات، ومؤامرة ضمن سلسلة مؤامرات، تريد أن تبعد الشيعة عن كتاب الله عز وجل⁽³⁾.

إن مما علم من الإسلام بالضرورة أن علم القرآن الكريم لم يكن سرًا اتوارثه سلاة معينة، ولم يكن لعلي اختصاص بهذا دون سائر صحابة رسول الله × وأن الصحابة رضوان الله عليهم هم الطليعة الأولى التي حازت شرف تلقي هذا القرآن عن رسول البشرية محمد × ونقله إلى الأجيال كافة، ولكن الشيعة تختلف هذا الأصل، وتعتقد أن الله سبحانه وتعالى قد اختص أئمتهم الاثني عشر بعلم القرآن كله، وأنهم اختصوا بتلقيه، وأن من طلب علم القرآن من غيرهم فقد ضل⁽⁴⁾، وتنكر بعض مصادر أهل السنة أن بدایة هذه المقادير، وجنورها الأولى ترجع لابن سينا، فهو القائل: بأن القرآن جزء من تسعه أجزاء وعلم له عند علي⁽⁵⁾، وقد استفاض ذكر هذه المقالة في كتب الشيعة الإمامية الاثني عشرية بـأـ وـانـ الـأـخـبـارـ وـصـنـوفـ الرـوـاـيـاتـ:

أـ جاء في أصول الكافي في خبر طويل عن أبي عبد الله قال: إن الناس يكتفيون بالقرآن لو وجدوا له مفسراً، وإن رسول الله × فسره لرجل واحد، وفسره للأئمة شأن ذلك الرجل وهو علي بن أبي طالب⁽⁶⁾، وجاء في طائفة من مصادر الشيعة المعتمدة لديهم أن رسول الله × قال: إن الله أنزل علي القرآن وهو الذي من خالقه ضل، ومن يتغى علمه عذر غير علي هلك⁽⁷⁾. وزعمت أيضاً كتب الشيعة أن أبو جعفر قال: يا قنادة أنت فقيه أهل البصرة؟، فقال: هكذا يزعمون، قال أبو جعفر رضي الله عنه: بلغني أنك تقسر القرآن؟ فـ

(1) تفسير العياشي (2/1)، البخار (17/92).

(2) نهج البلاغة، ص 265، أصول الشيعة الإمامية (160/1).

(3) أصول الشيعة الإمامية (161/1).

(4) أصول الشيعة الإمامية (162/1).

(5) أحوال الرجال، ص 38 للجوزي جاني، أصول الشيعة الإمامية (162/1).

(6) أصول الكافي (25/1)، وسائل الشيعة (131/18).

(7) أمالى الصدوق، ص 40، وسائل الشيعة (131/18).

قال له قتادة: نعم –إلى أن قال-: ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به⁽¹⁾.

وروایاتهم في هذا الباب كثيرة جدًا، وربما تستغرق مجلدًا وكلها تحوم حول معنى واحد وهو اختصاص الأئمة الاثني عشر بعلم القرآن وأنه مخزون عندهم وبه يعلمون كل شيء⁽²⁾، والرد على ذلك كما قال الله تعالى لمن طلب آية تدل على صدق رسول الله ×: أَوْ لَمْ يَكُفِّهِمْ أَذْنَانُ عَذَّلَيْكُمْ الْكِتَابَ يَتَلَوَ عَذَّلَيْهِمْ "[العنكبوت: 51]، فالقرآن الكريم العظيم هو الشاهد والدليل والحجة، ومن ابتغى علم القرآن من القرآن، أو من سُدَّةَ الْمَصْطَفِي ×، أو من صحابة رسول الله × بمن فيهم علي فقد اهتدى. والقول بأن من طلب علم القرآن عند غير علي هلك ليس من دين الإسلام، وهو مما علم بطلاه من الإسلام بالضرورة، فلم يخص النبي × أحدًا من الصحابة بعلم الشريعة دون الآخرين، قال تعالى: +وَأَذْنَانَا إِلَيْكَ الْذَّكْرَ لَتُبَيِّنَ لِنَذَانَاسِ مَا ذُرَّ إِلَيْهِمْ".

[النحل: 44]، فالأية تدل على أن البيان للناس وليس لفرد أو طائفة منهم ولو كانوا أهل بيته، وقد نفى أمير المؤمنين علي أن يكون خصه رسول الله × بعلم دون الناس⁽³⁾، وقد خاطب النبي × الصحابة ومن بعدهم، ورغبهم في تلقيع سنته ولم يخص أحدًا منهم، فقال ×: «نَصَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنْ حَدِيثِنَا فَحْفَظَهُ حَتَّى يَبْلُغَهُ غَيْرُهُ، فَإِنَّ رَبَ حَامِلَ فَقَهْ لَيْسَ بِفَقِيهٍ، وَرَبَ حَامِلَ فَقَهْ إِلَى مَنْ هُوَ أَفَقَهْ مِنْهُ»⁽⁴⁾. وقد روت هذا الحديث كتب الشيعة الإمامية الاثني عشرية المعتمدة⁽⁵⁾، فيكون حُجَّةً عليهم، وأما الدعوة بأن القرآن الكريم لم يخاطب به سوى الأئمة الاثني عشر، ومن هنا فلا يعرف القرآن سواهم –إنما يعرف القرآن أن من خوطب به⁽⁶⁾-، بهذا الفهم السقيم يُعد صاحبة رسول الله ×، والتابعون وأئمة الإسلام على امتداد العصور قد هلكوا وأهلكوا –على حد زعمهم- بقياسهم بتصنيف القرآن وفق أصوله، أو اعتقادهم أن في كتاب الله ما لا يذر أحد بجهالته، ومنه ما تعرفه العرب من كلامها، ومنه ما لا يعرفه إلا العلماء، ومنه ما لا يعلمه إلا الله⁽⁷⁾، فالشيعة تزعم أنه لا يعرف القرآن سوى الأئمة، وأنهم يعرفون القرآن كله، وهذه دعوة تقفر إلى الدليل، ورغم يكذبه العقل والنقل، فمما يجب أن يعلم أن النبي × بين لأصحابه معاني القرآن، كما يبيّن لهم ألفاظه، فقوله تعالى: +وَأَذْنَانَا إِلَيْكَ الْذَّكْرَ لَتُبَيِّنَ لِنَذَانَاسِ مَا ذُرَّ إِلَيْهِمْ" [النحل: 44]، يتناول هذا وهذا.

وقد قال أبو عبد الرحمن السعدي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن -كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وغيرهما -أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي × عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً⁽⁸⁾، ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة، وذلك أن الله تعالى قال: +كِتَابٌ أَنَّ زَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لَيَدِيرُ وَأَيَّاتُهُ وَلَيَتَدَكَّرَ أَوْلُو الْأَلْبَابِ" [ص: 29]، وقال: +أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ" [النساء: 82]، و قال: +أَفَلَمْ يَدِيرُ وَالْقُوْلَ" [المؤمنون: 68]، وتدير القرآن بدون فهم معانيه لا يمكن، وكذلك قال تعالى: +إِنَّمَا أَذْنَنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا مَعْلُكَمْ تَعْقِلُونَ" [يوسف: 2]، وعقل القرآن متضمن لفهمه، ومن المعلوم أن كل كلام فالمعنى منه فهو مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى.

(1) بحار الأنوار (237/2، 238)، أصول الشيعة (1/163).

(2) أصول الشيعة الإمامية (1/166).

(3) مسلم رقم (1978).

(4) سلسلة الأحاديث الصحيحة (1/689، 690).

(5) أصول الكافي (403/1)، وسائل الشيعة للحر العاملي (18/64).

(6) بحار الأنوار (237/238/24)، أصول الشيعة (1/163).

(7) تفسير الطبراني (76/1) كلام ابن عباس.

(8) مجموع الفتاوى (331/13).

ولهذا لم تعد فئة من الشيعة تهضم هذه المقالة، وخرجت عن القول بكل ما فيها، فقالت بأن ظواهر القرآن لا يختص بعلمها الا ثنا عشر بل يشركهم غيرهم فيها، أما بواسطن الآيات فمن اختصاص الأئمة. وقام خلاف كبير حول حجية ظواهر القرآن بين الأخباريين والأصوليين، فالفئة الأولى ترى أنه لا يعلم تفسير القرآن كله ظاهره وباطنه إلا الأئمة، والآخرى ترى حجية ظواهر القرآن لعموم الأدلة في الدعوة لتبرير القرآن وفهمه⁽¹⁾.

إن دعوى أن القرآن لم يُفسِّر إلى علي مخالفة لقول الله سبحانه: **إِنَّ الْبَيِّنَاتَ وَالزُّبُرَ وَأَذْنَانَ الْذِكْرِ لَتَبِينَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَا عَلَيْهِمْ يَتَفَكَّرُونَ** [النحل: 44]، فالبيان للناس لا على وحده كما سبقـ فليس لمن قال هذه المقالة إلا أحد طريقين: إما القول بأن الرسول لم يبلغ ما أنزل إليه، وإما أن يُكذب القرآن، وهي مخالفة للعقل ومما علم من الإسلام بالضرورة، ودعوى أن علم القرآن اختص به الأئمة ينافيه اشتهر عدد كبير من صحابة رسول الله × بتفسير القرآن كالخلفاء الأربع، وابن مسعود، وابن عباس، وزيد بن ثابت وغيرهم، وكان علي رضي الله عنه يثني على نقسيـر ابن عباس رضي الله عنهما⁽²⁾، وقال ابن تيمية رحمـه الله: وهذا ابن عباس نقل عنه من التفسير ما شاء الله بالأسانيد الثابتة ليس في شيء منها ذكر علي، وابن عباس يروي عن غير واحد من الصحابة، يروي عن عمر، وأبي هريرة، وعبد الرحمن بن عوف، وعن زيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وأسمـة بن زيد وغير واحد من المهاجرين والأنصار، وروايـته عن علي قليلـة جـداً، ولم يخرج أصحاب الصحيح شيئاً من حديـته عن علي، ورجوا حديـته عن عمر وعبد الرحمن بن عوف وأبي هريرة وغيرـهم.. وما يـعرف بايدي المسلمين تفسير ثابت عن علي، وهذه كتب الحديث والتفسير مملوـة بالآثار عن الصحابة والتابعـين، والذي منها عن علي قليلـاً، وما يـنقل من التفسير عن جـعـفر الصادق كذلك على جـعـفر⁽³⁾، وقد تحدث جـعـفر بـولـع الناس بالـكذـب عليه، وإن قولهـم بأن علم القرآن اـنفرد بنـقلـه على يـفصـي إلى الطـعن في توـاـرـت شـريـعة القرـآن من الصحـابة إلى سـائـر الأـجيـالـ، لأنـه لم يـنـقلـها على حد زـعمـهمـ عن رسـول الله إلا واحدـ وهو على رـضـي الله عنـهـ، فـهذه المـقالـة مؤـامـرةـ، الـهـدـفـ منـهاـ الصـدـ عنـ كـتـابـ اللهـ سـبـحانـهـ وـالـإـعـراضـ عنـ تـبـرـيرـهـ، وـاستـلهـامـ هـديـهـ، وـالـتـكـرـ فيـ عـبـرـهـ، وـالـتـأـمـلـ فيـ معـانـيـهـ وـمـقـاصـدـهـ، فـالـقـرـآنـ فيـ دـيـنـ الشـيـعـةـ لاـ وـسـيلـةـ لـفـهـمـ معـانـيـهـ إـلاـ مـنـ طـرـيقـةـ الـأـئـمـةـ الـأـلـثـىـ عـشـرـ، أـمـاـ غـيـرـهـ فـمـحـرـومـ منـ الـانتـقـاعـ بـهـ، وـهـيـ مـحاـوـلـةـ أوـ حـيـلـةـ مـكـشـفـةـ الـهـدـفـ، مـفـضـوـحةـ الـقـصـدـ، لـأـنـ كـتـابـ اللهـ نـزـلـ بـلـسـانـ عـربـيـ، مـبـيـنـ وـخـوـطـبـ بـهـ النـاسـ أـجـمـعـونـ + إـنـاـ أـذـنـاهـ قـرـأـدـاـ عـرـبـيـاـ لـعـلـكـمـ تـعـقـلـوـنـ " [يوسف: 2]، + هـذـاـ بـيـانـ لـلـنـاسـ وـهـدـىـ وـمـوـعـظـةـ لـلـمـتـقـيـنـ " [آل عمرـانـ: 138]، وأـمـرـ اللهـ عـبـادـهـ بـتـبـرـيرـهـ، وـالـاعـتـبـارـ بـأـمـثلـهـ، وـالـاعـتـزـازـ بـمـوـاعـظـهـ، وـمـحـالـ أـنـ يـقـالـ لـمـنـ لاـ يـفـهـمـ مـاـ يـقـالـ لـهـ وـلـاـ يـعـقـلـ تـأـوـيـلـهـ: اـعـتـرـ بـمـاـ لـاـ فـهـمـ لـكـ بـهـ وـلـاـ مـعـرـفـةـ مـنـ الـبـيـانـ وـالـكـلـامـ⁽⁴⁾، وـهـيـ مـحاـوـلـةـ لـلـصـدـ عنـ ذـلـكـ الـعـلـمـ الـعـظـيمـ فـيـ تـفـسـيرـ الـقـرـآنـ، وـالـذـيـ نـقـلـهـ إـلـيـنـاـ صـحـابةـ رسـولـ اللهـ ×ـ وـالـسـلـفـ وـالـأـئـمـةـ، فـهـذـهـ الـكـنـوزـ الـعـظـيمـةـ لـاـ عـبـرـةـ بـهـاـ وـلـاـ قـيـمـةـ لـهـاـ فـيـ دـيـنـ الشـيـعـةـ، لـأـذـ هـاـ لـيـسـ وـارـدـةـ عـنـ الـأـئـمـةـ الـأـلـثـىـ عـشـرـ، وـقـدـ صـرـحـ بـذـلـكـ بـعـضـ شـيـوخـهـ الـمـعاـصـرـيـنـ فـقاـلـ: إـنـ جـمـيعـ الـتـفـاسـيرـ الـوـارـدـةـ عـنـ غـيـرـ أـهـلـ الـبـيـتـ لـاـ قـيـمـةـ لـهـاـ وـلـاـ يـعـتـدـ بـهـاـ⁽⁵⁾، لـقـدـ حـاـولـتـ كـتـبـ الـتـفـاسـيرـ الـمـعـتـمـدةـ عـنـهـمـ كـتـقـسـيرـ الـقـمـيـ وـالـعـيـاشـيـ وـالـصـافـيـ وـالـبـرـهـانـ، وـكـتـبـ الـحـدـيـثـ كـالـكـافـيـ وـالـبـحـارـ تـأـوـيـلـاتـ لـكـتـابـ اللهـ مـنـسـوـبـةـ لـأـلـ الـبـيـتـ تـكـشـفـ فـيـ الـكـثـيرـ الـغـالـبـ عـنـ جـهـلـ

(1) البيان للخوئي، ص 463، أصول الفقه للمظفر (130/3).

(2) تفسير ابن عطية (19/1)، تفسير ابن جزي (9/1).

(3) منهاج السنة (155/4).

(4) تفسير الطبراني (82/1).

(5) الشيعة والرجعة، ص 19، محمد رضا النجفي.

فاضح بكتاب الله، وتأويل منحرف لآياته، وتعسف بالغ في تفسيره، ولا يمكن أن تصح نسبتها لعلماء آل البيت، فهي تأويلاً لا تتصل بمدلولات الألفاظ، ولا بمفهومها ولا بالسيء الذي يحيط بهم، كما سيأتي أمثلة على ذلك بإذن الله - وبناء على هذه العقيدة فإن هذا هو مبلغ علم علماء آل البيت، وفي ذلك من الزراية عليهم ونسبة الجهل إليهم الشيء الكثير من قوم يزعمون محبتهم والتشيع لهم⁽¹⁾.

3- اعتقادهم بأن للقرآن معانٍ باطنٍ تختلف الظاهر: ذهب الشيعة إلى أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا، وأن الناس لا يعلمون إلا الظاهر، وأما الباطن فلا يعلمه إلا الأئمة ومن يصدّقون منهم، ويمثل هذه الأفكار فتح الشيعة الباب للزنادقة والملحدين وأصحاب الأهواء والذاهبون للهداية لكي يتلاعبوا بالقرآن، وحاولوا جميعاً الكيد له وأرادوا أن يطفئوا نور إلحادهم بأفواههم ولكن الله متن نوره ولو كره الكافرون، وقد استغل الشيعة فكرة الظاهر والباطن هذه وحاولوا بها تفسير القرآن لكي يوافق معتقداتهم ويخدم مذهبهم في الإمامة، كما اتخذوا القرآن تكأة للهجوم على الصحابة رضي الله عنهم وتجريتهم في الوقت الذي يمجدون فيه أهل البيت وينسبون إليهم أشياء يدفعونها هم عن أنفسهم، وقد أتى الشيعة الرافضة في هذا الباب بآراء تختلف كل ما أثر في تفسير القرآن، ولا يسندها أثر ولا عقل ولا لغة ولا منطق⁽²⁾.

إن جذور التأويل الباطني نبتت في أروقة السببية، لأن ابن سينا حاول أن يجد لقوله بالرجعة مستندًا من كتاب الله بالتأويل الباطل وذلك حينما قال: العجب من يزعم أن عيسى يرجع وبكذب لأن محمدًا يرجع، وقد قال الله عز وجل: «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْقُرْآنَ لِرَادُكُمْ إِلَىٰ مَعَادٍ» [القصص: 85]⁽³⁾، وقد نقلت لنا بعض كتب أهل السنة نماذج من تأويلاً للشيعة لكتاب الله، ولكن ما انكشف لنا اليوم أمر خطير على عقائد المسلمين وفکرهم وثقافتهم، فقد تحدث الإمام الأشعري⁽⁴⁾، والبغدادي⁽⁵⁾، والشهرستاني⁽⁶⁾، وغيرهم يحكون عن المغيرة بن سعيد أحد الغلة باتفاق السُّنَّة والشيعة والذي تنسب إليه طائفة المغيرة أنه ذهب بتأويل الشيطان في قول الله جل شأنه: «كَمَّذَلَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانَ اكْفُرْ» [الحشر: 16]، بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهذا التأويل يعنيه قد ورثته إلاثا عشرية، ودونته في مصادرها المعتمدة، حيث جاء في تفسير العياشي⁽⁷⁾، والصفافي⁽⁸⁾، والقمي⁽⁹⁾، والبرهان⁽¹⁰⁾، وبحار الأنوار⁽¹¹⁾، عن أبي جعفر في قول الله: «وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَا فَضَيَ الْأَمْرُ» [ابراهيم: 22]، قال: وهو الثاني وليس في القرآن شيء «وقال الشيطان» إلا وهو الثاني، فكانت كتب إلاثى عشرية تزيد على المغيرة بوضع هذا الانحراف في كتاب الله قاعدة مطردة⁽¹²⁾.

فهذه الروايات التي تسندها كتب الشيعة إلاثى عشرية إلى أبي جعفر الباقر هي من أكاذيب المغيرة بن سعيد وأمثاله، فقد ذكر الذهبي عن كثير النواء⁽¹³⁾، أن أبو جعفر قال:

(1) أصول الشيعة الإمامية (176/1).

(2) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ص 234، 233.

(3) تاريخ الطبراني (347/5).

(4) مقالات الإسلاميين (73/1).

(5) الفرق بين الفرق ص 24.

(6) المل والنحل (177/1).

(7) تفسير العياشي (223/2).

(8) تفسير الصافي (223/3).

(9) تفسير القمي (84/3).

(10) البرهان (309/2).

(11) بحار الأنوار (378/3).

(12) أصول الشيعة الإمامية (1/206).

(13) كثير النواء: شيعي وروي أنه رجع عن تشيعه.

برئ الله ورسوله من المغيرة بن سعيد، وبيان بن سمعان فإنهم كذبا علينا أهل البيت⁽¹⁾ وروى الكشي في رجاله عن أبي عبد الله قال: لعن الله المغيرة بن سعيد كان يكذب علينا⁽²⁾، وساق الكشي روايات عديدة في هذا الباب⁽³⁾، ويلاحظ أنه اتفق كل من الأشعري، والبغدادي وأبي حزم، ونشوان الحميري على أن جابرًا الجعفي الذي وضع أول تفسير للشدة على ذلك النهج الباطني كان خليفة المغيرة بن سعيد⁽⁴⁾ الذي قال بأن المراد بالشيطان في القرآن هو أمير المؤمنين عمر، فهي عناصر خطيرة يستقي بعضها من بعض عملت على فساد التشيع⁽⁵⁾.

وحين احتاج شيخ الشيعة في زمانه سوالاً الذي إذا أطلق لقب العلامة عندهم انصرف إليه (ابن المطهر الحلي)^٦ - على استحقاق علي للإمامية بقوله: «البرهان الثالثون قوله تعالى: +مراج الأَبْحَرِ يَنْ يَلْتَقِيَانْ بِيَدِيهِمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانْ» [الرحمن: 20، 19] قال علي وفاطمة +بِيَدِيهِمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانْ» النبي × +يَخْرُجُ مِنْهُمَا الْأُولُوُفُ وَالْمُرْجَانُ» الحسن والحسين، فحينما احتاج ابن المطهر بذلك قال ابن نيمية رحمه الله: إن هذا وأمثاله إنما يقوله من لا يعقل ما يقول، وهذا بالهداية أشبه به مذبه بتفسير القرآن وهو من جنس تفسير الملاحدة والفرامطة الباطنية للقرآن، بل هو شر مذبه كثير منه، والتفسير بمثل هذا طريق للملاحدة على القرآن والطعن فيه، بل تفسير القرآن بمثل هذا من أعظم القدح فيه والطعن فيه⁽⁶⁾، وهذه أمثلة من تحريف الشيعة الراضة لآيات القرآن الكريم، وذلك بفتحهم باب التفسير الباطني ل القرآن الكريم على مصراعيه:

أ- تحريفهم معنى التوحيد الذي هو أصل الدين إلى معنى آخر هو ولادة الإمامة: فعن أبي جعفر أنه قال: ما بعث الله نبياً قط إلا بولايتنا والبراءة من عدونا⁽⁷⁾، وذلك قول الله في كتابه: +وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنَّ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ» [النحل: 51].

ب- تحريفهم معنى الإله إلى معنى الإمام: ففي قوله تعالى: +وَقَالَ اللَّهُ لَا تَدْخُلُ ذَوَا إِلَهٍ يَنْ اذْنِيْنِ إِذْمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ» [النحل: 51] قال أبو عبد الله: يعني بذلك: ولا تتحذوا إمامين إنما هو إمام واحد⁽⁸⁾.

ج- تحريفهم معنى رب في القرآن إلى معنى الإمام: ففي تفسير قول الله تعالى: +وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا» [الفرقان: 55]، قال القمي في تفسيره: الكافر: الثاذب (يعني عمر بن الخطاب)، كان على أمير المؤمنين علي عليه السلام ظهيرًا⁽⁹⁾. وقال الكاشاني في البصائر: إن الباقي عليه السلام سُئل عن تفسير هذه الآية فقال: إن تفسيرها في بطن القرآن: علي هو ربه في الولاية⁽¹⁰⁾.

د- تحريفهم معنى الكلمة إلى معنى الأنثمة: فقالوا في تفسير قول الله: +وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَقَصْدُلِ لَقَضَيَ بِيَدِهِمْ» [الشوري: 21]، الكلمة: الإمام⁽¹¹⁾، قوله سبحانه: +

(1) ميزان الاعتدال (161/4).

(2) رجال الكشي ص 195.

(4) مقالات الإسلاميين (1/73)، الفرق بين الفرق، ص 242، المحتوى (44/5)، أصول الشيعة (207/1).

(5) أصول الشيعة (208/1).

(6) منهاج السنة (4/66).

(7) تفسير العياشي (2/261)، البرهان (2/373).

(8) البرهان (2/373)، أصول الشيعة (1/209).

(9) تفسير القمي (2/115).

(10) تفسير نور القلوب (2/25).

(11) تفسير القمي (2/274)، بحار الأنوار (24/174).

لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ" [يونس:64]. قالوا: لا تفسير للإمامية⁽¹⁾.

هـ تحريفهم معاني المسجد والكعبة والقبلة إلى معانٍ الأئمة: فقالوا في تفسير قول الله تعالى: +وَأَقِيمُوا وَجُوهُكُمْ عَنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ" [الأعراف:29] قال: يعني الأئمة⁽²⁾, وفي قوله: +خُذُّوا زِينَكُمْ عَنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ" [الأعراف:31] قال: يعني الأئمة⁽³⁾, وفي قوله تعالى: +وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ اللَّهُ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا" [الجن:18], قال: إن الإمام من آل محمد، فلا تتخذوا من غيرهم إماماً⁽⁴⁾, ويقول الصادق عنهم: نحن البلد الحرام ونحن كعبة الله ونحن قبلة الله⁽⁵⁾, والمسجد: هو ولاية الأئمة وبهذا يفسرون قوله تعالى: +وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ" [الآل:43] حيث قالوا: يدعون إلى ولاية علي في الدنيا⁽⁶⁾.

وـ تحريفهم معاني التوبة في القرآن إلى الرجوع عن ولاء أبي بكر وعمر وعثمان إلى ولاء علي وحده: ففي قوله سبحانه: +فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَأَتَبَعُوا سَبِيلَكَ" [غافر:7]. جاء تأويلها عندهم في ثلاثة روايات، تقول الأولى: +فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا" من ولاء فلان وفلان «يعنون أبا بكر وعمر وبني أمية»، وتقول الرواية الثانية: +فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا" من ولاء الطواغيت الثلاثة «يعنون أبا بكر وعمر وعثمان»، ومن بنى أمية، +أَتَبَعُوا سَبِيلَكَ" يعني ولاء علي، وتقول الثالثة: +فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا" من ولاء هؤلاء وبنى أمية +أَتَبَعُوا سَبِيلَكَ" هو أمير المؤمنين⁽⁷⁾. وكل الروايات الثلاث المذكورة منسوبة لأبي جعفر محمد الباقر، وعلمه ودينه ي匪يـان صحة ذلك⁽⁸⁾. وهذا قليل من كثير من تأويلاتهم الباطلة، فقد قامت مصادرهم في التفسير غالباً على هذا المنهج الباطني في التأويل الذي استقرته من أبي الخطاب وجابر الجعفي والمغيرة بن سعيد وغيرهم من الغلاة، ويلاحظ أنه في القرن الخامس بدأ اتجاه التفسير عندهم يحاول التخلص من تلك النزعة المفرطة في التأويل الباطني، حيث بدأ شيخ الطائفة عندهم أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (المتوفى 460هـ) يؤلف لهم كتاباً في التفسير، ويحاول فيه أن يخلص أو يخفف من ذلك الغلو الظاهر في تفسير القمي والعياشي وفي أصول الكافي وغيرها، وهو وإن كان يدافع عن أصول طائفته ويقرر مبادئهم المبددة، إلا أنه لا يهبط ذلك الهبوط الذي نزل إليه القمي ومن تأثر به، ومثل الطوسي في هذا النهج الفضل بن الحسن الطبرسي في مجمع البيان، وقد أشار ابن تيمية إلى ذلك حيث يقول: الطوسي ومن معه في تفسيرهم يأخذون من تفسير أهل السنة، وما في تفاسيرهم من علم يستفاد إنما هو مأخوذ من تفاسير أهل السنة⁽⁹⁾.

سادساً: موقف الشيعة الإمامية من الصحابة الكرام

يقف الشيعة الرافضة من أصحاب النبي × موقف العداوة والبغضاء والحق والضدانية، يبرز ذلك من خلال مطاعنهم الكبيرة على الصحابة التي تزخر بها كتبهم القديمة والحديثة، فمن ذلك اعتقادهم كفراً لهم وردتهم إلا نفرًا يسيرًا منهم، وعلى ما جاء مصراً بذلك في بعض الروايات الواردة في أصح كتبهم وأوثقها عندهم، فقد روى الكليني عن أبا

(1) تفسير القمي (314/1)، بحار الأنوار (175/24).

(2) تفسير العياشي (12/2)، أصول الشيعة (216/1).

(3) تفسير العياشي (13/2)، أصول الشيعة (216/1).

(4) البرهان (393/4)، أصول الشيعة (216/1).

(5) بحار الأنوار (303/24).

(6) تفسير القمي (383/2)، مرآة الأنوار، ص 176.

(7) تفسير الصافي (335/4)، تفسير القمي (255/2).

(8) أصول الشيعة (218/1).

(9) منهاج السنة (246/3).

ي جعفر أنه قال: كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة. فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: الْمَقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَأَبُو ذِرٍ الْغَفَارِي، وَسَلْمَانُ الْفَارَسِي، رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَرَفَ أَنَّاسًا بَعْدَ يَسِيرٍ وَقَالَ: هُؤُلَاءِ الَّذِينَ دَارَتْ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ وَأَبْوَا أَنْ يَبْلِغُوا حَتَّى جَأُوا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَكَرَهًا فَبَلَّغَهُمْ⁽¹⁾.

وقال نعمة الله الجزائري: الإمامية قالوا بالنص الجلي على إمامية علي، وكفروا الص
حابة، ووقعوا فيهم، وساقوها الإمامة إلى الجعفر الصادق وبعده إلى أولاده المعصومين ع
يهم السلام، ومؤلف هذا الكتاب من هذه الفرقة وهي الناجية إن شاء الله⁽²⁾.

وقدح الشيعة الرافضة في الصحابة لا يقف عند هذا الحد من اعتقاد تكفيرهم وردهم، بل يعتقدون أنهم شر خلق الله، وأن الإيمان بالله ورسوله لا يكون إلا بالترء منهم، وخاصة الخلفاء الثلاثة أبا بكر وعمر وعثمان، وأمهات المؤمنين⁽³⁾.

هذا الدعاء مرغب فيه عندهم، حتى إنهم رروا في فضله نسبة إلى ابن عباس أنه قال: إن علياً عليه السلام كان يقنت بهذا الدعاء في صلواته، وقال: إن الداعي به كالرا

(١) البروضة من الكافي (٢٤٥-٢٤٦/٨)، الانتصار للصحابي والآل، ص ٧٦.

⁷⁷ 2) الأنوار النعمانية (244/2).

⁽³⁾ الانتصار للصحاب والآل، ص 77.

⁴⁴ حق اليقين، ص 519 (فارسي) وقد قام بترجمة النص إلى العربية الشيخ محمد عبد الستار التونسي في كتابه بطلان عقائد السمعة، ص 53.

(5) أجمع الفضائح للملائكة ص 513 نقلأً.

⁵ مفتاح الحنان، للأدعية والزيارات والأذكار، ص 113-14، وتحفة عوام مفهوم، للعلامة حاتم، ص 513، تغria عن السيدة واهل البيت، ص 157.

(6) مفاجأة الجنان في الادعية والزيارات والاتخار، ص 113-114، وتحفة عوام معمولون، ص 214-215. وهذا الكتاب الأخير موثق من كبار علمائهم المعاصرین، ورد ذكر اسمائهم على غلاف الكتب، ومنهم الخميني.

تاب، ومنهم الخميني.

مي مع النبي × في بدر وأحد وحنين، بألف ألف سهم⁽¹⁾، ولهذا كان هذا الدعاء محل عناية علمائهم. حتى إن أغا برزك الطهراني ذكر أن شروحه بلغت العشرة⁽²⁾.

فهذا ما جاء في كتبهم القديمة وعلى ألسنة علمائهم المتقدمين، أما المعاصرون منهم فهم على عقيدة سلفهم سائرون وبها متمسكون، وهذا إمامهم المقدس وأئتهم العظامي الخمي ني يقول في كتابه كشف الأسرار: إننا هنا لا شأن لنا بالشيوخين، وما قاما به من مخالفات للقرآن، ومن تلاعُب بأحكام الإله، وما حلّاه وحرماه من عذّهم، وما مارساه من ظلام ضد فاطمة ابنة النبي، × ضد أو لادها. ولكننا نشير إلى، جعلهما بأحكام الإله

وقد خرجت أصوات شيعية معاصرة تدعو للتقارب بين الشيعة وأهل السنة وتزعم أنها تقدر الصحابة، كالخنزير وأحمد مغنية والرافعى، ومحمد جواد مغنية، فعليهم أن يع لنوا موقفهم في تقديمهم للصحاببة في الأوساط الشيعية، وأن يعملوا على تنقية التراث الشيعي من كل ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله وأن يتصدوا المشايخ الشيعة المعاصرین الذين لا يزلون يهدون في هذا الضلال، وألا يتوجهوا ما جاء في كتبهم قديماً وحديثاً وما يجري في واقعهم من عوامهم وشيوخهم، وأن يصدقوا ولا يتناقضوا، حتى يقبل منهم مو قفهم⁽⁷⁾.

إن عقيدة الشيعة الرافضة في الصحابة موجودة في أصول كتبهم، التي يقوم عليها الـ
مذهب من مطاعن وسباب وشتم بذئنة، يتزه أصحاب المروءة والدين عن إطلاقها علـ
ى أكفر الناس، بينما تشرح بها صدور الشيعة الـ رافضة، وتـسارع بهاـ السنـتهم فيـ حقـ أـ
صحابـ رسولـ اللهـ ×ـ وـخـلـفـائـهـ وـوزـرـائـهـ وـأـصـهـارـهـ، وـيـعـدـونـ ذـلـكـ دـيـنـاـ يـرـجـونـ عـلـيـهـ منـ اـ
الـلهـ أـعـظـمـ الـأـجـرـ وـالـمـثـوـبةـ. وـفـيـ الحـقـيـقـةـ إـنـ الـمـسـلـمـ إـذـ ماـ تـأـمـلـ حـالـ هـؤـلـاءـ النـاسـ مـنـ بـعـدـ
وـضـلـالـ، فـإـنـ لـابـدـ لـهـ مـنـ مـوـقـفـينـ:

أ- موقف استشعار نعمة الله، وعظم لطفه، وسابغ كرمه أن أنقذه من هذا الضلال، لأنّه أمر الذي يستوجب شكرًا لله على ذلك.

ب- موقف الاعاظ والاعتبار بما بلغ هؤلاء القوم من زيف وانحراف، يعلمه من له أدنى ذرة عقل، كتقربهم إلى الله بلعن أبي بكر وعمر صباحاً ومساءً، وزعمهم أن من لعنهم لعنة واحدة لم تكتب عليه خطيبة يومه، وذلك أن عامة العقلاة من هذه الأمة، بل ومن أصحاب الملل السماوية يدركون إدراكاً ضروريّاً من دين الله، أن الله ما تبعد أمة من الأمّ بلعن أحد من الكفار، ولو كان أكفر الناس، بل ما تبعدهم بلعن إيلليس اللعين المطرو

(١) علم اليقين في أصول الدين لمحسن الكاشاني (١٠١/٢).

² الذريعة إلى تصانيف الشيعة (192/8).

³ كشف الاسرار، ص 126.

المرجع نفسه، ص 131 {4} 135 {5}

المرجع نفسه، ص 135

⁶ المرجع نفسه، ص 137.
⁷ أصول الشيعة الإمامية

()) اصوات اسيجعه الهمامية (١٣١٩/٣ - ١٣٤٢) .

د من رحمة الله صباحاً ومساء، في أوراد مخصوصة تقربنا إلى الله كما تقرب الشيعة الرافضة بلعن أبي بكر وعمر. بل إنني لا أعلم^(١)، فيما أطلعت عليه من كتب الرافضة أنفسهم أنها تضمنت دعاء مخصوصاً أو غير مخصوص في لعن أبي جهل، أو أمية بن خلف، أو الوليد بن المغيرة الذين هم أشد الناس كفراً وتكذيباً لرسوله ×، بل ولا في لعن إيليس في حين أن كتباً تمثل بالروايات في لعن أبي بكر وعمر، كما في دعاء صنماني قرشي وغيره، ففي هذا عبرة لكل معتبر فيما يبلغ بالعبد من الضلال إن هو أعرض عن شروع الله، واتبع الأهواء والبدع يزين له سوء عمله وقبيح أفعاله حتى يصبح لا يعرف معروفاً من مكراً، ولا يميز حقاً من باطل، بل يتخطى في الظلمات، ويعيش سكرة الشهوا ت، وهذا ما أخبر الله عنه في كتابه وبين حال أصحابه^(٢) في قوله +أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوْءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضْلِلُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ " [اطبر: ٨]، وقال: +الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ الدُّنْيَا وَهُمْ بِهَا مُحَسِّبُونَ أَنَّهُمْ يَحْسَدُونَ صَدْعَانًا" [الكهف: ١٠٤]، وقال تعالى: +قُلْ مَنْ كَانَ فِي الصَّدَلَةِ فَلَمْ يَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدَّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابُ وَإِمَّا لِسَاعَةً فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا" [مريم: ٧٥].

نماذج للمزاجية في تفسير الآيات عند الشيعة الرافضة المتعلقة بردة الصحابة - على حد زعمهم. والرد على باطلهم.

- آية آل عمران: استدل الشيعة الرافضة بقول الله تعالى في كتابه العزيز: +وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَذَّوْنَ الْمُوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَدْهُرُونَ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَذْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَذْقَلِبْ عَلَى عَقَبَيْهِ فَلَنْ يَضُرُّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ" [آل عمران: ١٤٣، ١٤٤]، إن هذه الآية يزعمون أنها صريحة في الدلالة على انقلاب الصحابة بعد رسول الله ×، وعد الصحابة المنقبين على أعقابهم هم الكثرة الغالبة من الصحابة فيما ثبت من الصحابة قلة قليلة، وهي الفتنة التي ترى الشيعة الرافضة ثبوتها على الإسلام، وهؤلاء الثابتون هم الشاكرون ولا يكونون إلا قلة كما قال تعالى: +وَقَدْلِيلٌ مَنْ عَبَادَ يَ الشَّكُورُ" [سباء: ١٣]، والمهم عندهم أن آية الانقلاب تتصد الصحابة مباشرة، الذين يمشون مع رسول الله × في المدينة، وتزمي إلى النبي ساعدة عندما انتخب الصحابة الكرام أباً بكر الصديق رضي الله عنه. والرد على هذا الكذب العظيم كالآتي:

- روى الطبرى في تفسيره بسنده عن الضحاك قال في قوله تعالى: +وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ" [آل عمران: ١٤٤]، ناس من أهل الارتياب ومرضى النفاق، قالوا يوم فر الناس عن النبي الله ×، وشج فوق حاجيه، وكسرت ربابيعه: قتل محمد فالحقوا بدينكم الأول، فذلك قوله: +أَفَإِنَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَذْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ" [آل عمران: ١٤٤]^(٤).

وروى أيضاً عن ابن جرير قال: قال أهل المرض والارتياب والنفاق، حين فر الناس عن النبي ×: قد قتل محمد، فالحقوا بدينكم الأول، فنزلت الآية^(٥)، فالمقصود بالانقلاب

(١) هو الدكتور إبراهيم الرحيلي صاحب كتاب الانتصار للصحاب والآل، ص 85.

(٢) الانتصار للصحاب والآل، ص 85.

(٣) ثم اهتمت للتبنجياني، ص 114، 115.

(٤) تفسير الطبرى (3/458).

(٥) تفسير الطبرى (3/458).

ب على الأعقاب في الآية هو: ما قاله المنافقون لما أشيع في الناس أن رسول الله × قتل ، وهو قوله: ارجعوا إلى دينكم الأول ، ولم تكن هذه الآية فيمن ارتد بعد موت النبي × وإن كانت حجة عليهم ، مع أنها لو كانت فيمن ارتد بعد موت النبي × لكان أظاهر في الدلالة على براءة أصحاب النبي × من المرتدين ، فإنهم هم الذين قاتلوكم ، وأظهر الله دينه على أيديهم ، وخذل المرتدين بحربيهم لهم ، فرجع منهم من رجع إلى الدين ، وهلك من هلك على ردته ، وظهر فضل الصديق بمقاتلتهم لهم ⁽¹⁾ ، ولهذا ثبت عن علي رضي الله عنه أنه كان يقول في قوله تعالى: +وَسَيَحْزُنُ اللَّهُ الشَّاكِرُونَ+ [آل عمران: 144] ، الثابت على دينهم أبا بكر وأصحابه ⁽²⁾ ، وكان يقول كان أبو بكر أمين الشاكرين وأمين أحباء الله ، وكان أشகرهم وأحبهم إلى الله ⁽³⁾ .

لقد كان لموقعة أحد ظروفها الخاصة وملابساتها ، ولذلك جاءت الآيات الكريمة في سورة آل عمران وفقاً لتلك الظروف والملابسات ، واستخدام الآية الكريمة للاستدلال على وقائع كحادثة السقيفة أو موقعة الجمل لا يخلو من غرابة ومن مزاجية ، لا تمت بصلة للمنهجية العلمية ، وتُعد هذه الآية من أكبر الدلائل على عظم إيمان أبي بكر وحكمته وتقاعده في الدفاع عن دين الله ، ف موقفه الثابت يوم أن توقيع رسول الله × حير شاهد على ذلك ، يوم أن وقف وفاته الثابتة مخاطباً الناس بعدهم الوهن والضعف على فقد رسل الله × فقال: إن الله عز وجل يقول: +إِنَّكَ مَيَّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ+ [الزمر: 30] ، ويقول +وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرِّسُولُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قَتُلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقُلِبْ عَلَى عَقَبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَحْزُنُ اللَّهُ الشَّاكِرُونَ+ [آل عمران: 144] ، فمن كان يعبد الله عز وجل فإن الله عز وجل حي لا يموت ، ومن كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ⁽⁴⁾ ، وموقفه الصارم من الذين ارتدوا على أعقابهم واستبدلوا الإيمان بالكفر ، فاتبعوا مسلمة ، وسجاح وطليحة بن خوليد والأسود العنسي وأمثالهم ، ومن الذين قالوا: لا نصلى ولا نزكي ، فأسقطوا شعائر الإسلام بالهوى لأروع مثال على عظمة أبي بكر و الصحابة وعلى حرصهم على الدين ⁽⁵⁾ ، وقد وقف أمير المؤمنين على "جانب الخليفة الراشد الصديق في جهاد المرتدين ومانعي الزكاة ، أما التيجاني وشرف الدين الموسوي وفلان وفلان من أئمة علماء الشيعة الاثني عشرية فلا زالوا يذندون حول قضية مانعي الزكاة محاذلين تبرئة ساحتهم ، ورمي أبي بكر والصحابة بال مقابل بالأباطيل والردة ، فاي ضلال ينطق به هؤلاء حين يطعنون في أصحاب رسول الله ، ويجعلون من الذين جاهدوا ⁽⁶⁾ في سبيل الله رفعه لهذا الدين رموزاً للكفر والردة والنفاق ، ولذلك لا نعجب إن علمنا مدى إكبار الإمام جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لأبي بكر الصديق وإجلالاً له ، يذكر الأربلي في كتاب كشف الغمة في معرفة الأئمة عن عروة بن عبد الله أنه قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيف ، فقال: لا بأس بها ، قد حل أبو بكر الصديق رضي الله عنه سيفه ، قلت: فتقول الصديق؟ قال: فوثب وثبت واستقبل القبلة ، وقال: نعم الصديق ، فمن لم يقل له الصديق فلا صدق الله له قوله في الدنيا والآخرة ⁽⁷⁾ ، فرحم الله الإمام أبا جعفر ، ورحم الله كلماته التي طوتها صحف الأمس ولم تنطق بها ضمائر اليوم ⁽⁸⁾ .

(1) الانتصار للصحابي والآل، ص 322.

(2) تفسير الطبرى / 3 / 455.

(3) تفسير الطبرى / 3 / 455.

(4) البخارى، فضائل الصحابة رقم (3668).

(5) ثم أبصرت الحقيقة، ص 302.

(6) ثم أبصرت الحقيقة، ص 302، 303.

(7) ثم أبصرت الحقيقة، ص 304.

(8) تفسير الطبرى / 4 / 624- 623.

بـ- آية سورة المائدة: وقد استدل بعض المتنطعين على ردة الصحابة وانقلابهم على أعقابهم بقول الله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذْلَمُهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْزَزُهُ عَلَى الْكُفَّارِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَّا يَمْ ذَكَرُ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْمٌ** [المائدة: 54].

إن هذه الآية التي بين أيدينا والتي يستدل بها علماء الشيعة الاثني عشرية، على ردة الصحابة وانقلابهم على أعقابهم⁽¹⁾، لهي أعظم دليل على عظمة هؤلاء الصحابة وتقاليهم في الدفاع عن الإسلام، لا على ردتهم وانقلابهم على أعقابهم، فقد روى الطبرى بسنده عن علي رضي الله عنهـ أنه قال في قوله تعالى: **فَسُوفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يَحْبِبُهُمْ وَيَحْبِبُونَهُ** [المائدة: 54]، بأبي بكر وأصحابه، وعن الحسن البصري قال: هذا والله أبو بكر وأصحابه، وعن الضحاك قال: هو أبو بكر وأصحابه، حتى ردهم إلى الإسلام، وبهذا قال قتادة وابن جرير وغيره من أئمة التفسير⁽²⁾.

إن الآية الكريمة تحدث عن صفات جيل التمكين وبأن أهل الإيمان سيحالفهم النصر والتمكين فينالون العزة والكرامة بينما سيتحقق بأهل الردة مكرههم السبي وتعشاههم الذلة، وهذه حقيقة يلمسها كل من قرأ التاريخ الصحيح وتجلت له عزة الصحابة وعلى رأسهم الخليفة الراشد أبو بكر، وذل زعماء الردة، كمسيلمة والعنسي وسجاح وخبيتهم⁽³⁾.

إن هذه الصفات المذكورة في هذه الآية الكريمة أول من تتطبق عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه - وجيشه من الصحابة الذين قاتلوا المرتدين ، فقد مدحهم الله بأكمل الصفات وأعلى الميراث ، فالله سبحانه وتعالى ذكر أنه يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ، لا يخافون لومة لائم ، وقد شرحت هذه الصفات في كتابي الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق⁽⁴⁾ فمن أراد المزيد فليلرجع إليه .

جـ- آية سورة التوبه: قال تعالى: +يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ مُّنْدَرٌ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ اشْفَقْتُمُ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيْتُمْ بِالْحَدِيَّةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنْفَرُوا إِلَيْنَا مُعْدِّيْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرِكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ+ [التوبه: 38، 39]، فقد قال بعض علماء الشيعة الرافضة: هذه الآية صريحة في أن الصحابة تناقلوا عن الجهاد، واختاروا الركون إلى الحياة الدنيا، رغم علمهم بأنها ماتع قليل، حتى استوجبا توبيخ الله سبحانه، وتهديده إياهم بالعذاب الأليم، واستبدل غيرهم من المؤمنين الصادقين، وقد جاء هذا التهديد باستبدال غيرهم في العيد من الآيات، مما يدل دلالة واضحة على أنهم تناقلوا عن الجهاد في مرات عديدة، فقد جاء في قول الله تعالى: +وَإِن تَتَوَلُوا يَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرِكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْتَلَكُمْ+ [محمد: 38]، عند صاحب كتاب (ثم اهنتيت): ومن البديهي المعلوم أن الصحابة ترقوا بعد النبي × واختلعوا وأوقدوا نار الفتنة، حتى وصل بهم الأمر إلى القتل وال الحرب الدامية، التي سببت انكماس المسلمين وتخلفهم وأطمعت فيهم أعدائهم⁽⁵⁾. والرد على هذا الشيعي الرافضي كالتالي: أنه ليس في الآيتين مطعن على أصحاب النبي × وإنما فيها حيث الله تعالى

(1) ثم أبصرت الحقيقة ص 311

(2) تفسير الطبرى (624-123/4).

³⁾ المصدر نفسه، ص 312.

(4) الانسراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق، ص 288 إلى 291، للمؤلف.
(5) ثـ اهنتـتـ، صـ 115

(٥) نم اهندیب، ص ۱۱۵.

إلى الصحابة على الجهاد، وذلك عندما أمر النبي × أصحابه في غزوة تبوك بغزو الروم، وكان ذلك في زمن العسرة وفاة من أصحاب النبي × مع شدة الحر وبعد السفر، فشق ذلك على بعضهم، فنزلت الآيات في الترغيب في الجهاد في سبيل الله والتحذير من النثأة عنه، فاستجاب أصحاب النبي لأمر ربهم.

قال الطبرى في تفسير قوله تعالى: **+يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَدُوا مَا لَكُمْ إِذَا قُيْلَ لَكُمْ أَنْفَرُ وَافِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْفَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ** [التوبه: 38]، وهذه الآية حث ن الله جل ثناؤه للمؤمنين به من أصحاب رسوله على غزو الروم، وذلك في غزوة رسول الله × تبوك ⁽¹⁾. ولا شك أن في هاتين الآيتين تضمننا نوع من عتاب من الله عز وجل لبعض من نقل عليهم الخروج في الجهاد، وهذا قطعاً لا يرد على عامة أصحاب النبي × الذين استجابوا الله ورسوله بالمسارعة في الخروج في سبيل الله، وعن غالب الصحابة وأكثرهم ⁽²⁾، وقال ابن كثير: هذا شروع في عتاب من تخلف عن رسول الله × في غزوة تبوك ⁽³⁾، ومعلوم أنه لم يتخلف عن النبي × في غزوة تبوك أحد من أصحابه من غير أهل الأذار، إلا ثلاثة نفر كما دل على ذلك حديث كعب بن مالك المشهور في الصحيح ⁽⁴⁾، وهو كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، ومع هذا فقد ثبت بنص كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أن الله تاب على الجميع، وأنزل في توبته على سائر الصحابة، وحيا بتلي في كتابه قوله: **+لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَرِيقُ قَلْوَبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَوِيفٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الْمُلَائِكَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ يَمْرِدُونَ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ أَنفُسُهُمْ وَظَرَوْا أَنْ لَا مَلَجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لَيَتَوَبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ** [التوبه: 117، 118]، وتضمنت هذه الآيات إخبار الله تعالى عن توبته على المهاجرين والأنصار الذين اتبعوا رسول × في غزوة تبوك، والتي تسمى غزوة العسرة فلم يختلفوا عنه مع ما أصحابهم فيها من الجهد والشدة والفقر، حتى جاء في بعض الروايات أن النفر منهم كانوا يتناولون التمرة بينهم يمسوها هذا ثم يشرب عليها، ثم يمسوها هذا ثم يشرب عليها حتى تأتي على آخر رهم ⁽⁵⁾، كما تضمنت توبه الله على الثلاثة المختلفين، الذين تأخروا عن رسول الله × في تلك الغزوة بعد هجر النبي × لهم، وندمهم ندما عظيما حتى صارت عليهم الأرض بما مر حيث ⁽⁶⁾، فلم يبق بعد ذلك عذر لأحد في النيل من أصحاب النبي × أو عذر لهم بشيء مما قد يقع منهم بعد مغفرة الله لهم وتوبته عليهم، وثنائه عليهم الثناء العظيم في كتابه، وتزكيه الرسول × لهم في سنته رضي الله عنهم- ⁽⁷⁾، وأما اقتتال الصحابة رضي الله عنهم فقد نشأ في عهد علي رضي الله عنه-، وقد بينما الحديث عن أسباب الاختلاف بين الصحابة في الفتنة، وبين وجهة كل فريق، وبرأعتهم من كل ما يلتصق بهم من ذلك، وأن عامة ما صدر منهم إنما كانوا مجتهدين فيه، ليس لأحد أن يذمهم بشيء منه ⁽⁸⁾، وإنما لإمساك عما شجر بينهم والترحم عليهم هو السبيل الأمثل، والمنهج الأقوم في حقهم، فر

(1) تفسير الطبرى / 6 / 372.

(2) الانتصار للصحاب والآل، ص 327.

(3) تفسير ابن كثير / 2 / 372.

(4) البخارى رقم (4118)، مسلم (2769).

(5) تفسير الطبرى / 6 / 502، تفسير البغوى / 2 / 333.

(6) الانتصار للصحاب والآل، ص 329.

(7) المصدر نفسه، ص 328.

(8) المصدر نفسه، ص (330).

ضي الله عنهم أجمعين^(١).

د- حديث المذادة عن الحوض: قال رسول الله ×: «بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إِذَا عرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِّنْ بَيْنِهِمْ فَقَالَ: هَلْ، فَقَالَتْ: إِلَى أَيْنَ؟، قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ، قَالَتْ: مَا شَانَهُمْ؟ قَالَ: ارْتَدُوا عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقِيرِيِّ، فَلَا أَرِي يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا هَمُ النَّعْمَ»^(٢)، فَقَالَ ×: «نَّيٌ فَرَطْكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ مَرَ عَلَى شَرْبِهِ، وَمَنْ شَرَبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبْدًا، لَيْرَدَنْ عَلَى أَقْوَامِهِ أَعْرَفُهُمْ وَيَعْرُفُونِي ثُمَّ يَحَالُ بَيْنِهِمْ، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَوْكَ بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سَحْقًا لِمَنْ غَيْرُ بَعْدِي»^(٣).

يقول بعض الشيعة: فالمتمعن في هذه الأحاديث العديدة التي أخرجها علماء أهل السنة في صحاحهم ومسانيدهم، لا يتطرق إليه الشك في أن أكثر الصحابة قد بدلوا وغيروا، بل ارتدوا على أدبارهم بعده × إلا القليل عبر عنه بهم النعم، ولا يمكن بأي حال من الأحوال حمل هذه الأحاديث على القسم الثالث، وهم المنافقون لأن النص يقول: فأقول: أصحابي، وأن المنافقين لم يبدلوا بعد النبي ×، وإلا لأصبح المناافق بعد وفاة النبي × مؤمنا^(٤)، والرد على هذه الشبهة كالتالي: إن أصحاب النبي × مما لا يقبل النزاع في عدالتهم أو التشكيك في إيمانهم بعد تعديل العليم الخبير لهم في كتابه، وتركيبة رسوله لهم في سنته، وثناء الله ورسوله عليهم أجمل الثناء، ووصفهم بأحسن الصفات، مما هو معلوم ومتواتر من كتاب الله وسنة رسوله × سويأتي بيان ذلك بإذن الله.

ولهذا انق شراح الحديث من أهل السنة، على أن الصحابة غير معينين بهذه الأحاديث، وأنها لا توجب قدحًا فيهم، قال ابن قتيبة في معرض رده على الشيعة الرافضية- في استدلالهم بالحديث على ردة الصحابة: فكيف يجوز أن يرضي الله عز وجل عن أقوام ويحمدهم، ويضرب لهم مثلاً في التوراة والإنجيل، وهو يعلم أنهم يرتدون على أعقابهم بعد رسول الله × إلا أن يقولوا: إنه لم يعلم وهذا هو شر الكفراء^(٥)، وقال الخطابي: لم يرتد من الصحابة أحد، وإنما ارتد من جفاة العرب، ومن لا نصرة له في الدين، وذلك لا يوجب قدحًا في الصحابة المشهورين، ويدل القول: (أصحابي) على قلة عددهم^(٦)، وقال النووي في شرح بعض روایات الحديث عند قوله ×: (هل تدري ما أحدثوا بعده)، وهذا اختلاف العلماء في المراد به على أقوال:

1- إن المراد به المنافقون والمرتدون، فيجوز أن يحشروا بالغرفة والتحج بيل، فیناديهم النبي × للسيما التي عليهم، فيقال: ليس هؤلاء مما وعدت بهم، إن هؤلاء بدلوا بعده: أي لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم .^م

2- إن المراد من كان في زمن النبي × ثم ارتد بعده فیناديهم النبي × لما كان يعرفه × في حياته من إسلامهم، فيقال: ارتدوا بعده.

3- إن المراد به أصحاب المعاصي والكبار الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام، وعلى هذا لا يقطع بهؤلاء الذي يذادون بالنار يجوز أن يذادوا عقوبة لهم، ثم يرحمهم الله سبحانه

(١) البخاري، ك الرفاق، رقم (6584)، (6587).

(٢) الانتصار للصحب والآل، ص 330.

(٣) البخاري، كتاب الرفاق رقم (6587، 6584).

(٤) ثم اهنتيت، ص 119.

(٥) تأويل مختلف الحديث ص 279.

(٦) فتح الباري (11/ 285).

نه وتعالى فيدخلهم الجنة بغير عذاب⁽¹⁾، ونقل هذه الأقوال، أو قريبا منها ، القرطبي، وأبن حجر رحمهما الله تعالى⁽²⁾.

ولا يمتنع أن يكون أولئك المذادون عن الحوض من مجموع تلك الأصناف المذكور^ة، فإن الروايات محتملة لكل هذا، ففي بعضها يقول النبي ×: «فأقول أصحابي أو أصي^{حابي} بالتصغير - وفي بعضها يقول: «سيؤخذ أناس من دوني، فأقول: يا ربى مني^{ومن أمتى»، وفي بعضها يقول: «ليردن على أقوام أعرفهم ويعروفونني»⁽³⁾، وظاهر ذلك أن المذادين ليسوا طائفه واحدة وهذا هو الذي تقتضيه الحكمة، فإن العقوبات في الش^رع تكون بحسب الذنب، فيجتمع في العقوبة الواحدة كل من استوجبها من أصحاب ذلك الذنب⁽⁴⁾، وإذا كان النبي × قد بين أن سبب الذود عن الحوض، هو الارتداد كما في قوله: «إنهم ارتدوا على أدبارهم»، أو الإحداث في الدين، كما في قوله: «إنك لا تدرى م^ا أحدثوا بعده»⁽⁵⁾، فمقتضي ذلك هو أن يزاد عن الحوض كل مرتد عن الدين سواء أك^{ان} من مرتد بعد موت النبي × من الأعراب، أم من كان بعد ذلك، يشاركم في هذا أهل الإحداث وهم المبتدعة، وهذا ما ذهب إليه بعض أهل العلم، قال ابن عبد البر رحمه الله- كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض، كالخوارج والروافض، وسائر أصحاب الأهواء، قال: وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق، والمعلنو^ن بالكبار، قال: وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا من عنوا بهذا الخبر، والله أعلم⁽⁶⁾ ، وقال القرطبي رحمه الله في التذكرة: قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من أرتد عن دين الله، أو أحدث فيه ما لا يرضاه، ولم ياذن به الله، فهو من المطرودين عن الد^{حوض} المبعدين عنه، وأشدتهم طردا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم، كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعزلة على أصناف أهواها، فهو لاء كلهم مبدلون⁽⁷⁾.}

إذا ما تقرر هذا ظهرت براءة الصحابة من كل ما يرميهم به الشيعة الراضة، فالذو د عن الحوض، إنما هو بسبب الردة والإحداث في الدين، والصحابة من أبعد الناس عن ذلك، بل هم أعداء المرتدين الذين قاتلواهم وحاربواهم في أصعب الظروف وأحرجها بعد موت النبي ×، على ما روى الطبرى في تاريخه بسنده عن عروة بن الزبير عن أبيه قال: أرتد العرب إما عامة وإما خاصة في كل قبيلة، ونجم النفاق، وأشار أربت اليهود والنصارى، والمسلمون كالغم في الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبيهم × وقاتلهم وكثرة عدوهم ⁽⁸⁾.

ومع هذا تصدى أصحاب النبي × لهؤلاء المرتدین وقاتلواهم قتالاً عظيماً وناجزوهم حتى أظهرهم الله عليهم، فعاد للدين من أهل الردة من عاد، وقتل منهم من قتل، وعاد للإسلام عزه وقوته وهبته على أيدي الصحابة رضي الله عنهم - وكذلك أهل البدع كان الإصحابة رضوان الله عليهم - أشد الناس إنكاراً عليهم، ولهذا لم تشتد البدع وتقوى إلا بعد انتصاف عصرهم، ولما ظهرت بعض بوادر البدع في عصرهم أنكروها وتيروها منها ومن أهلها، فعن ابن عمر رضي الله عنهما - أنه قال لمن أخبره عن مقالة القردية: إذا لقي

(1) شرح صحيح مسلم (3/136، 137).

(2) المفهوم للقرطبي (504/71)، فتح الباري (11/385).

(3) الروايات في البخاري، كتاب الرفاق، فتح الباري (11/463، 465).

⁴ (4) الانتصار للصحابي والال، ص 354.

(5) مسلم، كتاب الفضائل وإثبات الحوض (4/1082-1792).

ح النووي على صحيح مسلم {137/3} {318/1} لـ الـ الفـقـرـةـ الـأـخـرـةـ

^{٣٤٨}) النكارة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (١/٣)، (٢٢٥/٣)، (٣٥٦)، (١٢)، (الآ).

⁸⁾ الانصار للصحابي والآل، ص 356، نقل عن تاريخ الطبرى (225 / 3).

ت هؤلاء، فأخبرهم أن ابن عمر منهم بريء، وهو منه براء ثلث مرات⁽¹⁾، ويقول البعض⁽²⁾ على نسأله الصحاوة وسائل السلف على معاداة أهل البدع، وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا مجتمعين متتفقين على معاداة أهل البدع ومهاجرته م⁽³⁾.

وهذه المواقف العظيمة للصحابة من أهل الردة وأهل البدع، من أكبر الشواهد الظاهرة على صدق تدينهم، وقوتهم إيمانهم وحسن بلائهم في الدين، وجهادهم أعداءه بعد موته رسول الله × حتى أقام الله بهم السنة وقمع البدع، الأمر الذي يظهر به كذب الرافضة في رميهم لهم بالردة والإحداث في الدين، والتدوّد عن حوض النبي ×، بل هم أولى الناس بـ حوض نبيهم لحسن صحبتهم له في حياته وقيامهم بأمر الدين بعد وفاته، ولا يشكل على هذا قول النبي ×: «ليردن على ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختجوا دوني»⁽⁴⁾، فهو لاءٌ لهم من مات النبي × وهو على دينه، كما ارتدت كثير من قبائل العرب بعد موته النبي × فهو لاءٌ في علم النبي × أصحابه، لأنّه مات وهو على دينه، ثم ارتد وا بعد وفاته ولذا يقول له: «إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدهك»، وفي بعض الروايات «إنه لا علم لك بما أحدثوا بعدهك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهري»⁽⁵⁾.

فظاهر أن هذا في حق المرتدين بعد موته النبي ×، وأين أصحاب النبي × الذين قاموا بأمر الدين بعد تبنيهم خير قيام، فقاتلوا المرتدين وجاهدوا الكافرين والمنافقين، وفتحوا بعد ذلك الأنصار، حتى عم دين الله كثيراً من الأنصار، من أولئك المنقبين على أدبارهم، وهو لاءٌ المرتدون لا يدخلون عند أهل السنة في الصحابة، ولا يشملهم مصطلح الصحبة إذا ما أطلق، فالصحابي كما عرفه العلماء المحققون: من لقي النبي × مؤمناً به وما ت على الإسلام⁽⁶⁾.

وأما قول النبي ×: «فلا أراه يخلص منه إلا مثل همل النعم»⁽⁷⁾، واحتجاج الشيعة الرافضة به على تكفير الصحابة إلا القليل منهم فالحجة عليهم فيه، لأنّ الضمير في قوله (منهم) إنما يرجع على أولئك القوم يبنون من الحوض ثم يذادون عنه، فلا يخلص منه إلا القليل، وهذا ظاهر من سياق الحديث فإن نصه: «بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هل، فقلت: إلى أين؟، فقال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: ارتدوا على أدبارهم القهري، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هل، فقلت: إلى أين؟، فقال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدهك على أدبارهم القهري، فلا أراه يخلص منه إلا مثل هم لـ النعم»⁽⁸⁾، فليس في الحديث للصحابة ذكر وإنما ذكر زمرا من الرجال يذادون من دون الحوض، ثم لا يصل إليهم منهم إلا القليل⁽⁹⁾، قال ابن حجر في شرح الحديث عند قوله: (فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم)، يعني به هؤلاء الذين دنوا من الحوض وكادوا يردونه فصدوا عنه، والمعنى لا يرده منهم إلا القليل لأن الهمل في الإبل قليل بالذلة لغيره⁽¹⁰⁾، ولهذا يظهر بطلان احتجاج الشيعة الرافضة وتلبسهم وبراءة الصحابة م

(1) السنة لعبد الله بن أبي أحمد (2/420).

(2) شرح السنة للبغوي (1/194).

(3) البخاري رقم (6582).

(4) مسلم، ألفاظ (4/1796).

(5) الإصابة في تمييز الصحابة (1/7).

(6) البخاري، رقم (6584-6587).

(7) البخاري رقم (6584).

(8) الانتصار للصحابي والآل، ص 359.

(9) فتح الباري (11/474، 475).

ن طعنهم وتجرحهم⁽¹⁾.

2- عدالة الصحابة -رضي الله عنهم-

ترجع إلى معنى واحد وهو أن العدالة ملامة في النفس تحمل صاحبها على ملامة القوى والمروءة ولا تتحقق للإنسان إلا بفعل المأمور وترك الممنهي وأن يبعد عما يدخل بالمرءة، ولا تتحقق إلا بالإسلام والبلغ، والعقل، والسلامة من الفسق، ولم تتحقق العدالة في أحد تتحققها في أصحاب رسول الله ×، فجميعهم رضي الله عنهم -عدول تحققت فيهم صفة العدالة⁽²⁾.

والمراد بها روایاتهم للحديث عن رسول الله، وحقيقة التنجين عن تعمد الكذب في الرواية والانحراف فيها، قال العلامة الذهلي: ولقد تتبنا سيرة الصحابة كلهم، فوجناهم يعتقدون الكذب على النبي × أشد الذنب، ويحتزرون عنه غاية الاحتراز كما لا يخفي على أهل السير⁽³⁾.

ولقد تضافت الأدلة في كتاب الله وسنة رسوله × على تعديل الصحابة الكرام -رضي الله عنهم- ممala يبقى معها شك لمرتاب في تتحقق عدالتهم، فكل حديث له سند متصل بين من رواه وبين المصطفي لم يلزم العمل به إلا بعد أن ثبتت عدالة رجاله، ويدب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه إلى النبي × لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم و اختياره لهم بنص القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه⁽⁴⁾.

1- قوله تعالى: **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطَّا لَذِكُورَ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** [البقرة: 143]، ووجه الاستدلال بهذه الآية على عدالة الصحابة رضي الله عنهم -أن وسطاً تعني: عدولًا خيارًا لأنهم المخاطبون بهذه الآية مباشرة⁽⁵⁾.

2- قوله تعالى: **كُنُتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَؤْمِنُونَ بِرَبِّكُمْ** [آل عمران: 110]، ووجه دلالة هذه الآية على عدالة الصحابة رضي الله عنهم: أنها ثبتت الخيرية المطلقة لهذه الأمة علىسائر الأمم قبلها، وأول من يدخل في هذه الخيرية المخاطبون بهذه الآية مباشرة عند النزول وهم الصحابة الكرام -رضي الله عنهم-، ذلك يقتضي استقامتهم في كل حال، وجرباً ن أحوالهم على الموافقة دون المخالفة، ومن بعيد أن يصفهم الله عز وجل بأنهم خير أمة ولا يكونون أهل عدل واستقامة، وهل الخيرية إلا ذلك⁽⁶⁾.

3- قوله تعالى: **وَالسَّمَّاقيُونَ الْأُولَاؤُنَّ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ** رضي الله عنهم ورضوا عنهم وآتينهم جنائز تجري تحتها الأدماء خالدين فيها أبداً ذلِك الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [التوبه: 100]، ووجه دلالة هذه الآية على عدالتهم -رضي الله عنهم: أن الله تعالى أخبر فيها بضاهائهم، ولا يثبت الله رضاهم إلا لمن كان أهل للرضا، ولا توجد الأهلية لذلك إلا من كان من أهل الاستقامة في أموره كلها عدلاً في دينه، ومن أثني الله تعالى عليه هذا الثناء كيف لا يكون عدلاً؟، وإذا كان التعديل يثبت بقول اثنين من الناس فكيف لا يثبت عدلاً

(1) الانتصار للصحب والآل، ص 360.

(2) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (2/ 799).

(3) ظفر الأماني في مختصر الجرجاني لكتبوني، ص (507).

(4) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (2/ 800).

(5) الكفاية، للخطيب البغدادي، ص (64).

(6) عقيدة أهل السنة في الصحابة (2/ 804).

⁽¹⁾ة صفوة الخلق و خيارهم بهذا الثناء، الصادر من رب العالمين

4- قوله تعالى: +مَحْمَدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ بِيَدِهِمْ تَرَاهُمْ رُكَعًا سَجَدًا يُبَدِّغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضُوا إِذَا سِيمَاهُمْ فِي وِجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَذْلَمٌ فِي التَّوْرَةِ وَمَذْلَمٌ هُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَأَهُ فَازَرَهُ فَاسْتَعْلَمَ فَاسْتَوْلَى عَلَى سَوْقِهِ يَعْجِبُ الزُّرَاعُ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا [الفتح: 29]، فهذا الوصف الذي وصفهم الله به فيكتبه، وهذا الثناء الذي أثني به عليهم لا يتطرق على النفس معه الشك فإذا عدّاللهم؟ قال القرطبي رحمة الله عند تفسير هذه الآية: فالصحابي كلهم عدول -أولياء الله تعالى وأصفياؤه، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله- هذه الأمة، وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم، فيلزم البحث عن عداللهم، ومنهم من فرق بين حالهم في بدأة الأمر، فقال: إنهم كانوا على العدالة إذ ذاك، ثم تغيرت بهم الأحوال، فظهرت فيهم الحروب وسفك الدماء، فلا بد من البحث وهذا مردود، فإن خيار الصحابة وفضالائهم كعلي وطلحة والزبير وغيرهم حرضي الله عنهم -من أثني الله عليهم وذكراتهم ورضي عنهم وأراضاهم، ووعدهم الجنة بقوله تعالى: +وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا، وخاصصة العشر المقطوع لهم بالجنة بإخبار الرسول هم القوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية عليهم بعد نبيهم بإخباره لهم بذلك، وذلك غير مسقط من مرتبتهم وفضالهم إذا كانت تلك الأمور مبنية على الاجتهاد⁽²⁾.

هـ- قوله تعالى: **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ أَخْرُجُوهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَبْتَعِدُونَ** فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْ لِئَلَّكُمْ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مِنْ هَاجَرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مَمَّا أَوْتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانُ بِهِمْ خُصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَإِنَّمَا يُؤْثِرُ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" [الحشر: 8، 9]، فالصادقون هم المهاجرون، والمفلحون هم الأنصار ، بهذا فسر أبو بكر الصديق رضي الله عنه- هاتين الكلمتين من الآيتين حيث قال في خطبته يوم السقيفة مخاطباً الأنصار: إن الله سمانا (الصادقين) وسماكمن (المفلحون) وقد أمركم أن تكونوا حينما كنا، فقال: **+يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُوْنُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**" [التوبية: 119].

فهذه الصفات الحميدة في هاتين الآيتين كلها حقها المهاجرون والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ، واتصفو بها، ولذلك ختم صفات المهاجرين بالحكم بأنهم صادقون، وختم صفات الذي أزروهم ونصروهما وأثروهم على أنفسهم بالحكم لهم بأنهم مفاحون، وهذه الآيات البينة الدالة على عدالة الصحابة رضي الله عنهم، فعدائهم ثابتة بنص القرآن الكريم⁽³⁾.

وأما دلالة السنة على تعديلهم رضي الله عنهم: فقد وصفهم النبي ﷺ في أحاديث يطول تعدادها وأحسن الثناء عليهم بتعديلهم، ومن تلك الأحاديث:

1- ما رواه الشیخان في صحیحهما من حديث أبي بکر أن النبی × قال: (... لا لـ

(1) عقيدة أهل السنة في الصحابة (2/804).

(2) تقسيم الطبراني (299 / 16).

(3) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (2/802).

يبلغ الشاهد منكم الغائب ⁽¹⁾، وجه دلالة الحديث على عدالتهم رضي الله عنهم: أن هـذا القول صدر من النبي **خ** في أعظم جمع من الصحابة في حجة الوداع، وهذا من أعظم الأدلة على ثبوت عدالتهم حيث طلب منهم أن يبلغوا ما سمعوه منه من لم يحضر ذلك الـجمع دون أن يستثنـي منهم أحدا ⁽²⁾. قال ابن حبان رحمة الله: وفي قوله **خ**: **(ألا ليبلغـ الشـاهـدـ مـنـكـمـ الـغـائـبـ)**، أـعـظـمـ دـلـيلـ عـلـىـ أـنـ الصـاحـبـاتـ كـلـهـمـ عـدـوـلـ لـيـسـ فـيـهـمـ مـجـرـوحـ وـلـاـ ضـعـيفـ، إـذـ لوـ كـانـ فـيـهـمـ أـحـدـ غـيـرـ عـدـلـ لـاستـثـنـيـ فـيـ قـوـلـهـ **خ** وـقـالـ: **(ألا ليـلـيـغـ فـلـانـ مـنـكـ الـغـائـبـ)**، فـلـامـ أـجـلـهـمـ فـيـ الذـكـرـ بـالـأـمـرـ بـالـتـبـلـيـغـ مـنـ بـعـدـهـمـ دـلـ عـلـىـ أـنـهـمـ كـلـهـمـ عـدـوـلـ، وـكـفـيـ بـمـ عـدـلـهـ رـسـوـلـ اللهـ **خ** شـرـفـاـ ⁽³⁾.

2- روى البخاري بإسناده إلى أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-. قال: قال النبي ﷺ: (لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم اتفق مثل أحد ذهبا، ما يبلغ مد أحدهم ولا نصفه)⁽⁴⁾، وجه الاستدلال بهذا الحديث على عدالة الصحابة -رضي الله عنهم-: أن الوصف لهم بغير العدالة سب، لا سيما وقد نهى \times بعض من أدركه وصحابه عن التعرض لمن تقى دمه لشهاد الموافق الفاضلة، فيكون من بعدهم بالنسبة لجميعهم من باب أولى⁽⁵⁾، فالص حابة كلهم عدول بتعديل الله لهم وثنائه عليهم، وثناء رسول الله \times عليهم، فليسوا بحاجة إ له تعديل أحد من الخلق⁽⁶⁾.

ولو لم تكن عدالتهم منصوصاً عليها في كتاب الله وسنة رسوله × لجسم أهل العقول الصحيحة والقلوب السليمة بعد عدالتهم، استناداً إلى ما تواترت به الأخبار عنهم من الأفعال الجليلة والخيرات الوفيرة التي قدموها لنصرة دين الله الحنيف، فقد بذلوا ما أمكنهم بذلك فـ ي سبيل نصرة الحق ورفع رايته وإرساء قواعده ونشر أحكامه في جميع الأقطار رضي الله عنهم أجمعين -، والعدالة المراد بها هنا ليس المقصود بها عدم الوقوع في الذنوب والخطايا فإن هذا لا يكون إلا لمعصوم⁽⁷⁾، قال ابن الأنباري: وليس المراد بعدهم ثبوت اعصمة لهم واستحالة المعصية منهم، وإنما المراد قبول روایاتهم من غير تكلف البحث عن أسباب العدالة، وطلب الترکیة إلى أن يثبت ارتکاب قادح ولم يثبت ذلك والله الحمد والمنة، فنحن على استصحاب ما كانوا عليه في زمان رسول الله × حتى يثبت خلافه⁽⁸⁾

الإجماع على عدالتهم: أجمع أهل السنة والجماعة على أن الصحابة جميعهم عدول بلا استثناء من لابس الفتنة وغيرها ولا يفرقون بينهم، الكل عدول إحساناً للظن بهم ونظر ما أكرمه الله به من شرف الصحبة لنبيه عليه الصلاة والسلام، ولما لهم من المأثر الجليلة من مناصرتهم للرسول × والهجرة إليه والجهاد بين يديه والمحافظة على أمور الدين والقيام بحدوده، فشهادتهم ورواياتهم مقبولة دون تكليف ببحث عن أسباب عدالتهم بإيجام من يعتد بقوله، وقد نقل الإجماع على عدالتهم جمع غير من أهل العلم، ومن تلك الأقوال:

1- قال الخطيب البغدادي رحمة الله- بعد أن ذكر الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله × التي دلت على عدالة الصحابة رضي الله عنهم- وأنهم كلهم عدول، قال: هذا مذهب

(1) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (1/91).

² عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (807/2).

(3) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (1/91).
 (4) الأذن (2/232).

٤- البخاري (٢/٢٩٢) - ٣- المختصر شهـ - الفقيه الحنفـ (٣/١١٠ - ١١١)

(٦) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (٢/٨٠٩-١١٥/٣) فتح المعنى سرّح الفيه الحديث (١١١ - ١١١)

عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (2/809)

ي (8) فتح المغيث (115/3)

() () ()

ب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء⁽¹⁾.

2- وقال أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله:- ونحن وإن كان الصحابة رضي الله عنهم قد كفينا البحث عن أحوالهم لِإجماع أهل الحق من المسلمين، وهم أهل السنة والجماعة، على أنهم عدول، فواجب الوقوف على أسمائهم⁽²⁾.

3- وحكي الإجماع على عدالتهم إمام الحرمين الجويني رحمه الله- وعلل حصول الإجماع على عدالتهم بقوله: ولعل السبب فيه أنهم نقلة الشريعة، فلو ثبت توقف روایاتهم لأنحصرت الشريعة على عصر الرسول × ولما استرسلت على سائر الأعصار⁽³⁾.

4- ذكر ابن الصلاح: أن الإجماع على عدالة الصحابة خصيصة فريدة تميزوا بها عن غيرهم، فقد قال: للصحابية بأسرهم خصيصة وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة، وقال أيضاً: إن الأمة مجتمعة على تعديل جميع الصحابة، ومن لا يلبس الفتنة منهم، فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع إحساناً للظ ن ذلك لكونهم نقلة الشريعة⁽⁴⁾، والله أعلم.

5- قال الإمام النووي رحمه الله:- بعد أن ذكر أن الحروب التي وقعت بينهم كانت عن اجتهاد وأن جميعهم معذورون رضي الله عنهم- فيما حصل بينهم، قال: ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم رضي الله عنهم-⁽⁵⁾، وقال في التقريب: الصحابة كلهم عدول من لا يلبس الفتنة وغيرهم بإجماع من يعتد به⁽⁶⁾.

6- وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:- والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة لما أثني الله عليهم في كتابه العزيز، وبما نطق به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم، وما بدلوا من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله × ورغم أنه فيما عند الله من الثواب الجزييل والجزاء الجميل⁽⁷⁾.

7- وقال العراقي في شرح ألفيته: بعد ذكره لبعض الآيات القرآنية والأحاديث الدالة على عدالة الصحابة: إن جميع الأمة مجتمعة على تعديل من لم يلبس الفتنة منهم، وأمثال من لا يلبس الفتنة منهم وذلك حين مقتل عثمان، فأجمع من يعتد به أيضاً في الإجماع على تعديلهما إحساناً للظن بهم وحملها لهم في ذلك على الاجتهاد⁽⁸⁾.

8- وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:- مبيناً أن أهل السنة مجتمعون على عدالة الصحابة فقال: اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة⁽⁹⁾، فهذه النقول المباركة للإجماع من هؤلاء الأئمة كلها فيها بيان واضح ودليل قاطع على أن ثبوت عدالة الصحابة عموماً أمر مفروغ منه ومسلم به فلا يبقى لا حد شك ولا ارتياح بعد تعديل الله ورسوله وإجماع الأمة على ذلك⁽¹⁰⁾.

(1) الكفاية، ص 67.

(2) الاستيعاب على حاشية الإصابة (1/1).

(3) فتح المغيث شرح ألفية الحديث (3/112)، وذكره السيوطي في تدريب الرواية (2/2).

(4) مقدمة ابن الصلاح، ص 146 - 147.

(5) شرح النووي على صحيح مسلم (15/149).

(6) تقريب النووي مع شرح تقريب الرواية (2/2).

(7) الباعث الحث ص 182 - 181.

(8) شرح ألفية العراقي المسماة بالتبصرة والتذكرة (3/13-14).

(9) الإصابة (1/17).

(10) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (2/813).

3- وجوب محبتهم والدعاء والاستغفار لهم: من عقائد أهل السنة والجماعة وجوب محبة أصحاب رسول الله × وتعظيمهم وتوقيرهم واحتجاج بإجماعهم والاقتداء بهم، وحرمة بغض أحد منهم لما شرفهم الله به من صحبة رسوله × والجهاد معه لذلة دين الإسلام، وصبرهم على أذى المشركين والمنافقين، والهجرة عن أوطانهم وأمنهم وتقديم حب الله ورسوله × على ذلك كله، قال تعالى: +وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَا خُوَانِدَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غُلَالًا لَّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَوْفٌ رَّحِيمٌ [الحشر: 10]، هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة، لأنه جعل لممن بعدهم حظا في الفئ ما قدموه على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم، وأن من سبهم أو أحدا منهم أو اعتقد فيه شرما أنه لا حق له في الفئ، روى ذلك عن الإمام مالك وغيره، قال مالك: من كان يبغض أحدا من أصحاب محمد × أو كان في قلبه عليهم غل، فليس له حق في في المسلمين، ثم قرأ + وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ [١]، وقد فهم منقدموه أهل السنة والجماعة ومتاخروهم أن المراد من الآية السابقة الأمر بالدعاء والاستغفار لهم من اللآخر للسابق، ومن الخلف للسلف، الذين هم أصحاب رسول الله ×، روى مسلم بإسناده على هشام بن عمرو عن أبيه قال: قالت لي عائشة: يا ابن أخي أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي × فسبوه [٢].

وروى ابن بطة وغيره من حديث أبي بدر قال: حدثنا عبد الله بن زيد عن طلحة بن مطر عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: الناس على ثلاثة منازل، فمضت متزلتان، وبقيت واحدة، فأحسن ما أنتم عليه كائنو ن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت ثم قرأ: +لَذُلْفَقْرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضْوَانًا [الحشر: 8]، هؤلاء المهاجرين وهذه منزلة قد مضت، ثم قرأ: +وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مِنْ هَذِهِ جَرَائِيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أَوْتَوْا وَيُوَثِّرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانُوا بِهِمْ خَصَاصَةً وَمَنْ يُوقَ شُجْنَ ذَفْسَهِ فَأَوْلَدَكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [الحشر: 9]، ثم قال: هؤلاء الأنصار وهذه المنزلة قد مضت ثم قرأ: +وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَا خُوَانِدَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غُلَالًا لَّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَوْفٌ رَّحِيمٌ [٣]، قد مضت هاتان وبقيت هذه المنزلة التي بقيت أن تستغفروا لهم [٤]، ولا يتزدّد من له أدنى علم في أن الشيعة الرافضة خارجون من هذه المنزلة لأنهم لم يترحموا على الصحابة ولم يستغفروا لهم، بل سبواهم وحملوا لهم الغل في قلوبهم، فحرموا من تلك المنزلة، التي يجب على المسلم أن يكون فيها ولا يحيى عنها بحال حتى يلقى ربه [٥].

وقد قال ابن تيمية رحمة الله - وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار وعلى الذين جاءوا من بعدهم، يستغفرون لهم، ويسألون الله لا يجعل في قلوبهم غلا لهم وتنتضمن أن هؤلاء الأصناف هم المستحقون للفئ، ولا ريب أن هؤلاء الرافضة خارجون من من الأصناف الثلاثة، فإنهم لم يستغفروا للسابقين، وفي قلوبهم غل عليهم، ففي الآيات الثناء على الصحابة وعلى أهل السنة الذين يتلونهم وإخراج الرافضة من ذلك وهذا يذهب مذهب الرافضة [٦].

(١) تفسير القرطبي (١٨/ ٣٢).

(٢) مسلم (٤/ ٢٣١٧).

(٣) منهاج السنة (١/ ١٥٣)، المستدرك (٢/ ٤٨٤)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٤) عقيدة أهل السنة (٢/ ٧٧٠).

(٥) منهاج السنة (١/ ١٥٣)، عقيدة أهل السنة (٢/ ٧٧٢).

4- تحريم سب الصحابة - رضي الله عنهم- في الكتاب والسنة:

1- قال تعالى: +إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ اللَّهَ وَرَسُولُهُ لَعَذَّبُهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا" [الأحزاب: 57]، هذه الآية تضمنت التهديد والوعيد بالطرد والإبعاد من رحمة الله والعقاب الممهين لمن أذاه -جل جلاله- بمخالفة أو امره وارتكاب زواجره وإصراره على ذلك، وإيذاء رسوله⁽¹⁾، شمل كل أذية قولية أو فعلية من سب وشتم أو تقصص له أو لدينه، أو ما يعود إليه بالأذى⁽²⁾، ومما يؤذيه × سب أصحابه وقد أخبر × أن إيذاءهم إيذاء له، ومن أذاه فقد أذى الله⁽³⁾، وأي أذية للصحابة أبد لغ من سبهم؟! والأية فيها إشارة قوية ظاهرة إلى أنه يحرم سبهم -رضي الله عنهم-.

2- +وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا أَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بِهِنَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا" [الأحزاب: 58]، وهذه الآية فيها التحذير من إيذاء المؤمنين والمؤمنات بما ينسب إليهم مما هم منه براء لم يعلوه، ولم يفعلوه، والبهت الكاذب أن يحكى أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات، ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتقصص لهم⁽⁴⁾، ووجه دلالة الآية على تحريم سب الصحابة -رضي الله عنهم-: أنهم في صداررة المؤمنين فإنهم المواجهون بالخطاب في كل آية مفتتحة بقوله +بِمَا أَيْهَا الَّذِينَ أَمْذَلُوا" [البقرة: 104]، ومثل قوله: +إِنَّ الَّذِينَ أَمْذَلُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ" [الكهف: 107]، في جميع القرآن فالآلية دلت على تحريم سب الصحابة لأن لفظ المؤمنين أول ما ينطبق عليهم؛ لأن الصداررة في المؤمنين لهم -رضي الله عنهم-، وسبهم والنيل منهم من أعظم الأذى، وأن من نال منهم بذلك فقد أذى خيار المؤمنين بما لم يكتسبوا، وأن من اتخاذ شتمهم والنيل منهم دينا له، فإن الوعيد المذكور في الآية يصيبه⁽⁵⁾.

قال ابن كثير -رحمه الله- عند هذه الآية: ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرة بالله وبرسوله، ثم الرافضة الذين ينتقصون الصحابة ويعيرونهم بما قد يرأه الله منه، ويصفونهم بنفيض ما أخبر الله عنهم، فإن الله -عز وجل- وقد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم وينقصونهم ويدكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبداً، فهم في الحقيقة منكسوا القلوب يذمون الممدحين ويمدحون المذمومين⁽⁶⁾.

3- قوله تعالى: +مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدُاءُ عَذَّابِ الْكُفَّارِ رَرِحَمَاءُ بِيَنْهُمْ تَرَاهُمْ رُكَعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانَ مَا سَيِّمَاهُمْ فِي وَجْهِهِمْ مِّنْ أَتَرَ السُّجُودُ ذَلِكَ مَتَلَّهُمْ فِي التَّوْرَاهِ وَمَتَلَّهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعُ أَخْرَاجِ شَطَّاهُ فَازَرَهُ فَنَاسَتْعَذْلَظُ فَاسْتَوْرَى عَلَى سُوفَهُ يَعْجَبُ الزَّرَاعُ لِيَغْرِيَهُمُ الْكُفَّارُ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ أَمْذَلُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا" [الفتح: 29]، ووجه دلالة الآية على تحريم سب الصحابة -رضي الله عنهم-: أنه لا يسبهم شخص إلا لما وجد في قلبه من الغيظ عليهم، وقد بين تعالى في هذه الآية إنما يغاظ بهم الكفار، فدللت على تحريم سبهم، وال تعرض لهم لما وقع بينهم على وجه العيب.

4- وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ×: «لا تسبوا أ

(1) عقيدة أهل السنة في الصحابة (2/ 832).

(2) تفسير السعدي (6/ 121).

(3) مسنن أحمد (4/ 87).

(4) تفسير ابن كثير (3/ 535).

(5) عقيدة أهل السنة في الصحابة (2/ 823).

(6) عقيدة أهل السنة، نقلًا عن تفسير ابن كثير.

صحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك أحدهم ولا نصفيفه»⁽¹⁾، فهذا الحديث اشتمل على النهي والتحذير من سب الصحابة رضي الله عنهم - وفيه التصريح بحريم سبهم⁽²⁾، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

نهي السلف عن سب الصحابة رضي الله عنهم:-

إن النصوص الواردة عن سلف الأمة وأئمتها من الصحابة، ومن جاء بعدهم من التابعين لهم بإحسان، والتي تقضى بحريم سب الصحابة والدفاع عنهم، كثيرة جدا منها:

1- قال أحمد بن حنبل رحمه الله: إذا رأيت رجلا يذكر أحدا من أصحاب رسول الله × بسوء، فاتهمه على الإسلام⁽³⁾.

2- قال أبو زرعة الرازى رحمه الله: إذا رأيت رجلا ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ×، فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول × عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ×، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة⁽⁴⁾.

3- وقد ذكر الإمام الشوكاني رحمه الله: بإجماع أهل البيت رضي الله عنهم، على تحريم سب الصحابة رضوان الله عليهم، من التي عشر طريقا⁽⁵⁾، وقد روى أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي بإسناده إلى محمد بن علي بن الحسين بن علي أنه قال لجابر الجعفي: يا جابر بلغني أن قوما بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا ويتناولون أبا بكر وعمر، ويزعمون أنى أمرهم بذلك، فأبلغهم عنى أنى إلى الله منهم بريء، والذي نفس محمد بيده لو وليت لقربت إلى الله بدمائهم، لا نالتنى سفاعة محمد × إن لم أكن أستغفر لها وأترحم عليهما، إن أعداء الله لغافلون عن فضلهم، فأبلغهم أنى بريء منهم ومن ثم رأى من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما⁽⁶⁾، روى أيضاً بسنده إلى عبد الله بن الحسن بن علي أنه قال: ما أرى رجلا يسب أبا بكر وعمر تيسر له توبة أبدا⁽⁷⁾.

5- حب أمير المؤمنين علي وأبنائه للصحابة - رضي الله عنهم: الصورة الحقيقة الناصعة البياض تبقى وما سواها يزول، إنها تتجلى في أهم كتاب عند الشيعة الاثني عشرية نهج البلاغة، تلك النصوص كفيلة بهدم الأطروحة القائمة على لعن وسب صحابة رسول الله ×، والقول بردتهم وانقلابهم على أعقابهم من بعده، فهذا أمير المؤمنين علي بن أبيه صور لنا بنفسه صحابة رسول الله × كما رأهم وعاينهم، إذ يقول: لقد رأيت أصحاب مدد لما أرى أحداً يشبههم، لقد كانوا يصيرون شيئاً غيراً، وقد باتوا سجداً وقياماً يراوحون بين جبارتهم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين عينيهما ركب المعزى من طول السجود، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يمد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاء الثواب⁽⁸⁾، وهو يتسر على فرائهم ويرثيهم بعد موتهم كحال أي محب فارق من يحبه فيقول: أين القوم الذي دعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرأوا القرآن فأحكموه، وسلبوا السيف أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض أطرافهم زحفاً زحفاً صفاً صفاً، مره العيون من البكاء، خمح البطنون من الصي

(1) مسلم / 4 / 1697 - 1698.

(2) عقيدة أهل السنة في الصحابة / 2 / 838.

(3) مناقب الإمام أحمد لأبي الجوزي، ص 160.

(4) الكفاية في علم الرواية ص 67.

(5) إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي، ص 50 - 64.

(6) البداية والنهاية / 9 / 349.

(7) عقيدة أهل السنة في الصحابة / 2 / 851.

(8) نهج البلاغة، ص 189 - 182، ثم أبصرت الحقيقة، ص 324.

ام، ذيل الشفاه من الدعاء، صفر الألوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاسعين، أولئك إخواني الذاهبون، فحق لنا أن نظما إليهم، ونعرض الأيدي على فرافقهم^(١)، فيما أحباب أمير المؤمنين على رضي الله عنهـ تأملوا في نظرته إلى أصحاب رسول الله ×.

وأما الإمام علي بن الحسين زين العابدين رحمة الله - فكان يذكر أصحاب رسول الله ويدعو لهم في صلاته بالرحمة والمغفرة لنصرتهم سيد الخلق في نشر دعوة التوحيد، وتبليل رسالة الله إلى خلقه، فيقول: فاذكرهم منك بمغفرة ورضاوان، اللهم وأصحاب محمد خاصة، الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، وكافروه وأسرعوا إلى وفاته، وسابقوه على دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته، وفارقوا الأزواج والأو لأد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته، والذين هجرتهم العشير إذ علقة وبعروته، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في قرابته، اللهم ما ترکوكا لك وفيك، وأرضهم من رضوانك وبما حاشوا الحق عليك، و كانوا من ذلك لك وإليك، وأشكرهم على هجرتهم في يك ديارهم، وخرجوهم من سعة العيش إلى ضيقه، ومن أكثره في اعتزار دينك إلى أفله، إلاهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون ربنا اغفر لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان خير جرانك، والذين قصدوا سمتهم، وتحروا جهتهم، ولو مضوا إلى شاكلتهم لم يتثنهم ريب فإذا بصيرتهم، ولم يختلجم شك في فقو آثارهم والانتقام بهداية منارهم، مكانفين وموازرين لهم، يدينون بدينهم، ويهتدون بهديهم، ينتفعون عليهم ولا يتهمونهم فيما أدوا إليهم⁽²⁾.

فهذا موقف أئمة أهل البيت رضوان الله عليهم من الصحابة، لا ما يدعوه المنسون من الرافضة، والمسترون بستار التشيع، أعداء القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة وأئمة أهل البيت الأطهار.

سابعاً: موقف الشيعة من السنة النبوية

معنى السنة النبوية في اصطلاح الأصوليين، ما نقل عن النبي × من قول أو فعل أو تقرير⁽³⁾، ولقد اهتم علماء أهل السنة بتدوين السنة الصحيحة وبنوا جهوداً عظيمة مـن أجل حمايتها من الوضع والوضاعين، وقد بذلوا جهداً لا مـزيد عليه، وقد سلكوا طرقاً هي أقوم الطرق العلمية للنقد والتـميـص، حتى لـنـسـطـيـعـ أنـ نـجـزـمـ بـأنـ عـلـمـاءـنـاـ رـحـمـهـمـ اللهـ هـمـ أـوـلـ مـنـ وـضـعـواـ قـوـاـدـ النـقـدـ الـعـلـمـيـ الدـقـيقـ لـلـأـخـبـارـ وـالـمـرـوـيـاتـ بـيـنـ أـمـمـ الـأـرـضـ كـلـهاـ، وـأـنـ جـهـدـهـمـ فـيـ ذـلـكـ جـهـدـ تـقـاـخـرـ بـهـ الـأـجيـالـ وـتـتـيهـ بـهـ عـلـىـ الـأـمـمـ، وـذـلـكـ فـضـلـ اللـهـ يـؤـتـيـهـ مـنـ يـشـاءـ، وـالـلـهـ وـاسـعـ عـلـيـمـ.

وقد سار علماء أهل السنة على الخطوات التالية في سبيل النقد حتى أفقذوا السنة مما دبر لها من كيد، ونظفوها مما علق بها من أوحال⁽⁴⁾.

1- إسناد الحديث: لم يكن صحابة رسول الله × بعد وفاته يشك بعضهم في بعض، ولم يكن التابعون يتوقفون عن قبول أي حديث يرويه صحابي عن رسول الله ×، حتى وقعت الفتنة وقام اليهودي الخاسر عبد الله بن سبأ بدعوه الإمامة التي يتبناها على فكرة التشييع الغالى القائل بإلهية علي رضي الله عنه، وأخذ الدس على السنة يربو عصراً بعد عصر، عندئذ بدأ العلماء من الصحابة والتابعين يتحررون في نقل الأحاديث ولا يقبلون منها إلا ما عرفوا طريقها وروايتها واطمأنوا إلى ثقتهم وعدالتهم.

يقول ابن سيرين **فما يرويه عن الإمام مسلم في مقدمة صحيحه:** لم يكونوا يسأل

(1) نهج البلاغة، ص 235، ثم أبصرت الحقيقة، ص 325.

(2) صحيفه كامله لزين العابدين ص 13، نقل عن: ثم انصرت الحقيقة، ص 329.

⁴⁷ (3) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص 47.

(4) المصدر نفسه، ص 90.

ون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم، وقد ابتدأ هذا التثبيت منذ عهد صغار الصحابة الذين تأخرت وفاتهم إلى زمن الفتنة، فقد روى مسلم في مقدمة صحيحه عن ماجد أن بشيرا العدوبي جاء إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله كذا، فجعل ابن عباس لا يأخذ الحديث ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عباس مالي أراك لا تسمع لحديثي، أحدثك عن رسول الله ولا تسمع؟ فقال ابن عباس: إنما كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول: قال رسول الله ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف، ثم أخذ التابعون في المطالبة بالإسناد حين فشا الكذب، يقول أبو العالية: كنا نسمع الحديث عن الصحابة فلا نرضى حتى نركب إليهم فنسمعه منهم، ويقول ابن المبارك: الإسناد من الدين، ولو لا الإسناد لقال من شاء ما شاء، ويقول ابن المبارك أيضاً: بينما وبين القوم القوائم، يعني الإسناد⁽¹⁾.

2- التوثيق من الأحاديث: وذلك بالرجوع إلى الصحابة والتابعين وأئمته هذا الفن، فلقد كان من عناية الله بسنة نبيه أن مد أعمار عدد من أقطاب الصحابة وفقها لهم ليكونوا مرجعاً يهتدي الناس بهديهم، فلما وقع الكذب لجأ الناس إلى هولاء الصحابة يسألونهم ما عندهم أولاً، ويستقتونهم فيما يسمعونه من أحاديث وأثار، ولهذا الغرض كثرت رحلات التابعين بل بعض الصحابة أيضاً من مصر إلى مصر، ليسمعوا الأحاديث الثابتة من الرواة للقات، ولذلك سافر جابر بن عبد الله إلى الشام، وأبو أيوب إلى مصر لسماع الحديث.

3- نقد الرواية، وبيان حالهم من صدق وكذب: وهذا باب عظيم وصل منه العلماء إلى تمييز الصحيح من المكذوب والقوى من الضعيف وقد أبلوا فيه بلاء حسان وتبعدوا الرواية ودرسو حياتهم وتاريخهم وسيرتهم، مما خفي من أمرهم وما ظهر، ولم تأخذهم في الله لومة لائمه⁽²⁾.

وقد وضعوا لذلك قواعد ساروا عليها فيمن يؤخذ منه ومن لا يؤخذ، ومن يكتب عنه ومن لا يكتب.. ومن أهم أصناف المتروكين الذين لا يؤخذ حديثهم:

1- الكذابون على رسول الله ×: وقد أجمع أهل العلم على أنه لا يؤخذ حديث من ذهب على النبي ×، كما أجمعوا على أنه من أكبر الكبائر، واختلفوا في كفره، فقال به جماعة، وقال آخرون بوجوب قتلها، واختلفوا في توبتها هل تقبل أم لا؟

2- الكذابون في أحاديثهم العامة: ولو لم يكنوا على رسول الله ×، وقد اتفقا على أن من عرف عنه الكذب ولو مرة واحدة ترك حديثه.

3- أصحاب البدع والأهواء: وكذلك اتفقا على أنه لا يقبل حديث صاحب البدعة إذا كفر بدعنته، وكذلك إذا استحل الكذب وإن لم يكفر بدعنته، أما إذا لم يستحل الكذب فهل يقبل أم لا؟ أو يفرق بين كونه داعية أو غير داعية؟ قال ابن كثير: في ذلك نزاع قد يم وحده، والذي عليه الأكثرون التفصيل بين الداعية وغيره⁽³⁾ والذي يظهر لي أنهم يرفضون روایة المبتدع إذا روى ما يوافق بدعنته، أو كان من طائفه عرفت بإباحة الكذب ووضع الحديث في سبيل أهوائها، ولهذا رفضوا روایة الرافضة، وقبلوا روایة المبتدع إذا كان هم أو جماعته لا يستحلون الكذب كعمران بن حطان⁽⁴⁾.

(1) مقدمة صحيح مسلم (10/1).

(2) السنة ومكانتها في التشريع، ص 93.

(3) السنة ومكانتها في التشريع، ص 93.

(4) السنة ومكانتها في التشريع، ص 94.

4- الزنادقة والفساق والمغفلون الذين لا يفهمون ما يحدثون: وكل من لا تتوافر فيهم صفات الضبط والعدالة والفهم.

وقد وضع علماء الحديث القواعد لمعرفة الصحيح والحسن والضعف من أقسام الحديث، ووضعوا قواعد لمعرفة الموضوع وذكره والعلمات يعرف بها، كركاكة اللفظ، وفساد المعنى، ومخالفته لصريح القرآن ومخالفته لحقائق التاريخ المعروفة في عهد النبي ﷺ وغيرها من العلامات⁽¹⁾.

وبتلك الجهود الموفقة استقام أمر الشريعة بتوطيد دعائم السنة التي هي ثانى مصاد رها التشريعية، واطمأن المسلمين على حديث نبيهم فأقصى عنه كل دخيل، وميز بين الصحيح والحسن والضعف، وسان الله شرعاً من عبث المفسدين ودس الدسائين وتأمر الزنادقة والشuboبيين، وقطف المسلمين ثمار النهضة الجبارية المباركة التي كان من أبرزها تدوين السنة وعلم مصطلح الحديث، وعلم الجرح والتعديل، وعلوم الحديث⁽²⁾.

موقف الشيعة من السنة بسبب تكفيرهم للصحاباة: كان لنظرة الشيعة ورأيهم في الأمة أثر في تكفيرهم لمعظم الصحابة رضي الله عنهم، وهذا التكفير الشنيع ترتب عليه إنكار الشيعة كل الأحاديث الورادة عن طريق الصحابة ولم يقبلوا إلا الأحاديث الواردة عن طريق الأئمة من أهل البيت أو من نسبوه إلى التشيع كسلمان الفارسي وعمار ويا سر وأبي ذر والمقداد بن الأسود، وقد شنوا هجوماً عنيفاً على رواة الحديث كأبي هريرة وسميرة بن جذب، وعروة بن الزبير، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة وغيرهم، واتهموهم بالوضع والتزوير والكذب⁽³⁾، وعد الإمام عبد القاهر البغدادي الشيعة من المذكرين للسنة لرفضهم قبول مرويات صحابة رسول الهوى⁽⁴⁾.

فالشيعة تحارب السنة، ولهذا فإن أهل السنة اختصوا بهذا الاسم لاتبعاً لهم سنة المصطفى⁽⁵⁾، هذا ما جاء به بعض مصادر أهل السنة، ولكن الشيعة تروي عن أنتمها: أن كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة وكل حديث لا يوافق الكتاب والسنة فهو زخرف⁽⁶⁾، وبهذا المعنى روایات آخر⁽⁷⁾ عندهم، وهو يفيد أن الشيعة لا تذكر سنة رسول الله ﷺ، بل تعتمد عليها، وتجعلها مع كتاب الله الميزان والحكم، والدارس لنصوص الشيعة وروایاته ا ينتهي إلى الحكم بأن معظم روایاتهم وأقوالهم تتجه اتجاهًا مجانبًا عن السنة التي يعرفها المسلمون، في الفهم والتطبيق، وفي الأسانيد والمتون ويتبيّن ذلك فيما يلي:

1- قول الإمام كقول الله ورسوله: فالسنة عندهم هي: كل ما يصدر عن المعصوم، من قول أو فعل أو تقرير⁽⁸⁾، ومن لا يعرف طبيعة مذهبهم لا يلمح مدى مجانبتهم للسنة في هذا القول، إذ إن المعصوم هو رسول الله، ومن يجعلون كلامهم مثل كلام الله وكلام رسوله، وهم الأئمة الائتبا عشر، لا فرق عندهم في هذا بين هؤلاء الائتبا عشر وبين من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وهي يوحى⁽⁹⁾، فهم ليسوا من قبيل الرواية عن النبي والمحدثين عنه، ليكون قولهم حجة من جهة أنهم ثقّات في الرواية، بل لأنهم هم المنصوبون من الله تعالى على لسان النبي لتبليغ الأحكام الواقعية، فلا يحكمون إلا عن الأحكام الواقعية عند الله تعالى

(1) المصدر نفسه، ص 94، إلى 97.

(2) المصدر نفسه ص 103.

(3) أصوات على خطوط محب الدين ص 48، 65.

(4) الفرق بين الفرق ص 322، 327.

(5) منهاج السنة (1/2).

(6) صحيح الكافي (11/1)، أصول الشريعة الإمامية (1/1).

(7) أصول الشريعة الإمامية (1/1).

(8) الأصول العامة في الفقه المقارن، محمد نقى الحكيم ص 122.

(9) أصول الشريعة الإمامية (1/1).

كما هي⁽¹⁾.

ولَا فرق في كلام هؤلاء الاثني عشر بين سن الطفولة، وسن النضج العقلي، إذ إنهم في نظرهم- لا يخطئون عمداً ولا سهوا ولا نسيانا طوال حياتهم كما مر معنا في مسألة العصمة- ولهذا قال أحد شيوخهم المعاصرین: إن الاعتقاد بعصمة الأئمة جعل الأحاديـث التي تصدر عنهم صحيحة دون أن يشتـرطوا إصال سندـها إلى النبي × كما هو الحال عند أهل السنة⁽²⁾، فالسنة عندـهم ليست سنة النبي فحسب، بل سنة الأئمة، وأقول هؤلاء الأئمة كأقوال الله ورسوله، ولهذا اعترفوا بأن هذا مما أحقـته الشيعة بالسنة المطهـرة، قالوا: وأـلـحـقـ الشـيـعـةـ الإـمـامـيـةـ كـلـ ماـ يـصـدـرـ عـنـ أـئـمـتـهـ الـاثـنـيـ عـشـرـ منـ قـوـلـ أوـ فـعـلـ أوـ تـقـرـيرـ بـالـسـنـةـ الشـرـيفـةـ⁽³⁾.

هم يقولون بهذا القول من منطلقين خطيرين، وقاعدتين أساسيتين عندهم في هذه المسألة، وقد أشار أحد شيوخهم المعاصرين إليـهمـ حينـماـ ذـكـرـ أنـ قولـ الإمامـ يـجريـ مجرـىـ قولـ النبي ×، منـ كـوـنـهـ حـجـةـ عـلـىـ العـبـادـ وـاجـبـ الـاتـبـاعـ، وـأـنـهـ لـاـ يـحـكـمـونـ إـلـاـ عـنـ الأـحـكـامـ الواقعـيـةـ عـنـ اللهـ تـعـالـىـ كـمـاـ هـيـ، فـيـنـ أـنـ ذـكـرـ يـتـحـقـقـ لـهـمـ مـنـ طـرـيقـ الـإـلـهـاـمـ كالـنـبـيـ، أـيـ مـنـ طـرـيقـ الـوـحـيـ، أـوـ مـنـ طـرـيقـ التـلـقـيـ عـنـ المـعـصـومـ قبلـهـ⁽⁴⁾.

وـهـمـ يـزـعـمـونـ أـنـ الـأـئـمـةـ هـمـ خـزـنـةـ عـلـمـ اللهـ وـوـحـيـهـ: وـقـدـ عـقـدـ صـاحـبـ الـكـافـيـ بـابـ لهـذاـ بـعنـوانـ: بـابـ أـنـ أـئـمـةـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ- وـلـاـ أـمـرـ اللهـ وـخـزـنـةـ عـلـمـهـ⁽⁵⁾، وـضـمـنـ هـذـاـ الـبـابـ سـتـ روـاـيـاتـ فـيـ هـذـاـ الـمـعـنـىـ، وـبـابـ أـخـرـ بـعـنـوانـ: إـنـ الـأـئـمـةـ وـرـثـواـ عـلـمـ النـبـيـ وـجـمـيعـ الـأـنـبـيـاءـ وـالـأـوـصـيـاءـ الـدـيـنـ مـنـ قـبـلـهـ⁽⁶⁾، وـفـيـ سـبـعـ روـاـيـاتـ، وـبـابـ ثـالـثـاـ بـعـنـوانـ: إـنـ الـأـئـمـةـ يـعـلـمـونـ جـمـيعـ الـعـلـومـ الـتـيـ خـرـجـتـ إـلـىـ الـمـلـائـكـةـ وـالـأـنـبـيـاءـ وـالـرـسـلـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ⁽⁷⁾، وـفـيـ أـرـبـعـ روـاـيـاتـ⁽⁸⁾، وـقـدـ توـسـعـ الشـيـعـةـ الرـافـضـةـ فـيـ هـذـاـ الـبـابـ وـنـكـتـيـ بـهـذـاـ الـقـدـرـ مـنـ الـمـصـادـرـ الـوـهـمـيـةـ الـتـيـ تـزـعـمـهـاـ الرـافـضـةـ، وـالـتـيـ يـغـنـيـ فـيـ بـيـانـ فـسـادـهـاـ مـجـرـدـ عـرـضـهاـ وـتـصـورـهاـ.

وـنـتـيـجـةـ لـذـكـرـ الـتـصـورـ عـنـ الـأـئـمـةـ، فـانـ الشـيـعـةـ الرـافـضـةـ لـمـ يـهـتـمـواـ بـصـحةـ الـإـسـنـادـ وـتـقـوـيمـ الـرـجـالـ، كـمـ اـهـتـمـ عـلـمـاءـ الـحـدـيـثـ مـنـ أـهـلـ السـنـةـ وـفـيـ الـوقـتـ الـذـيـ رـفـضـ فـيـ الشـيـعـةـ صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ وـمـسـلـمـ وـكـتـبـ السـنـةـ، الـمـعـتـمـدةـ الـمـوـتـقـنةـ، اـعـتـمـدـوـاـ فـيـ أـحـادـيـثـهـمـ عـلـىـ مـاـ نـقـلـهـ الـكـلـيـنـيـ الـذـيـ سـبـقـ أـنـ أـقـوـالـهـ فـيـ كـثـيـرـ مـنـ عـقـادـهـمـ وـعـدـوـهـ حـجـةـ، وـيـعـدـ كـتـابـهـ الـكـافـيـ⁽⁹⁾ مـنـ أـقـدـمـ كـتـبـ الشـيـعـةـ فـيـ الـحـدـيـثـ وـأـوـتـقـهاـ عـنـهـمـ، وـيـصـوـرـ أـحـدـ الشـيـعـةـ مـكـانـهـ هـذـاـ الـكـتـابـ لـدـيـهـمـ فـيـقـولـ: وـقـدـ اـنـقـقـ أـهـلـ الـإـمـامـةـ وـجـمـهـورـ الشـيـعـةـ عـلـىـ تـقـضـيـلـ هـذـاـ الـكـتـابـ، وـالـأـخـذـ بـهـ وـالـثـقـةـ بـخـبـرـهـ وـالـاـكـتـقـاءـ بـأـحـكـامـهـ، وـهـمـ مـجـمـعـونـ عـلـىـ الإـقـرـارـ بـارـتـقـاعـ درـجـتـهـ وـعـلوـ قـدـرـهـ، وـعـلـىـ أـنـهـ الـقـطـبـ الـذـيـ عـلـيـهـ مـدارـ روـاـيـاتـ الـثـقـاتـ الـمـعـرـوفـينـ بـالـضـبـطـ وـالـإـنـقـانـ إـلـىـ الـيـوـمـ، وـهـوـ عـنـهـمـ أـجـلـ وـأـفـضـلـ مـنـ جـمـيعـ أـصـوـلـ الـأـحـادـيـثـ، عـلـمـاـ بـأـنـ جـلـ مـاـ فـيـ الـكـافـيـ كـمـ أـيـقـولـ أـبـوـ زـهـرـةـ- أـخـيـارـ تـنـتـهـيـ عـنـ الـأـئـمـةـ، وـلـاـ يـصـحـ أـنـ نـقـولـ أـنـ يـذـكـرـ سـنـدـاـ مـتـصـلـاـ بـالـنـبـيـ ×، وـلـاـ أـنـ يـدـعـيـ أـنـ هـذـهـ أـقـوـالـ النـبـيـ ×، إـلـاـ عـلـىـ اـسـاسـ أـنـ أـقـوـالـ أـئـمـتـهـ هـيـ أـقـوـالـ الـذـيـ بـيـ ×، وـأـنـهـ دـيـنـ اللهـ تـعـالـىـ.. وـأـكـثـرـ مـاـ يـرـوـىـ فـيـ الـكـافـيـ وـاقـفـ عـنـ الصـادـقـ وـقـلـيلـ مـنـهـ مـاـ

(1) أصول الفقه المقارن (50/3)، أصول الشيعة (374/1).

(2) تاريخ الإمامية ص 140، عبد الله فياض.

(3) سنة أهل البيت، محمد تقى الحكيم، ص 90.

(4) أصول الشيعة الإمامية (1/1)، (377).

(5) أصول الكافي (193 - 192/1).

(6) أصول الكافي (1/1)، (226 - 223).

(7) أصول الشيعة (1/1).

(8) المصدر نفسه (385، 385/1).

(9) أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله للسالوس، ص 274 - 275.

يعلو إلى أبيه الباقي، وأقل من ذلك ما يعلو إلى أمير المؤمنين على رضي الله عنه. وناد را ما يقف عند النبي ⁽¹⁾، كما أن هناك كتاب: (من لا يحضره الفقه) جمعه أبو جعفر م حمد بن علي بن بابويه، الذي يلقبونه بالشيخ الصدوق، وهو أيضاً من أكبر علمائهم بخراسان (توفي 381هـ)، ومن الكتب المعتمدة عند الشيعة: كتاباً (تهذيب الأحكام) و (الاست بصار فيما اختلف من الأخبار) لمحمد بن الحسن الطوسي، وهذه الكتب الشيعية ملية بعشرات الآلاف من الأحاديث التي لا يمكن إثبات صحتها، بل معظمها موضوع مخالق ⁽²⁾، مثل ما سبق أن أشرنا إليه من الأحاديث التي اعتمدوا عليها في دفاعهم عن أحقيتهم لإمام علي بالإمامية، من هذا العرض لآراء الشيعة ومعتقداتهم، والشيعة يعتنون أو على الأقل بعض منهم بأن في تلك الكتب بعض الروايات الموضوعة، كما أنهم أنفسهم جرحو بعض رواتهم، وإذا كان الأمر كذلك فيمكن أن يأخذ الشيعة بوصية أمير المؤمنين على بن أبي طالب -رضي الله عنه-. عندما قال: الزموا دينكم واهتدوا بهدي نبيكم واتعوا سنتهم ⁽³⁾، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن فما عرفه فالزموه، وما انكره فردوه ⁽⁴⁾، وقال ⁽⁵⁾ رضي الله عنه: (واقدوا بهدي نبيكم ^x، فإنه أفضل الهدي واستتوا بسنته، فإنه أفضى ل السنن) ⁽⁶⁾، وأن يلتزموا بطريقة أمير المؤمنين على بن أبي طالب -رضي الله عنه-. فإذا ⁽⁷⁾ فهم الأحكام من القرآن الكريم ومعاني الآيات فيلتزموا بظاهر القرآن الكريم، وحمل المجمل على المفسر، والمطلق على المقيد، وأن يراعوا الناسخ والمنسوخ والنظر في لغة العرب، وفهم النص بنص آخر، والسؤال عن مشكلة، والعلم بمناسبة الآيات، وتخصيص العام، وأن يتلهموا من أمير المؤمنين على رضي الله عنه. كيف يحترمون مقام النبوة، ويتعاملون مع سنة الرسول ^x وفق هديه الذي بينته في هذا الكتاب، ثم يعرضون رواياتهم التي في كتبهم على العدليين، كتاب الله وسنة رسوله، مما وافق كتاب الله وسنة رسوله ^x قبلوه وما خالفها نبذوه، وحدروا أتباعهم منه، وخصوصاً تلك الروايات التي تسيء إلى أنتمهم أنفسهم فضلاً عن الإسلام.

إن دين الله كمل، قال تعالى: +الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ [المائدة: 3]، ورسو^ل الله ^x يبلغ جميع ما أنزل إليه وامتثل أمر ربه في قوله: +يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ [المائدة: 67].

وقد بلغ النبي ^x البلاغ المبين، وأقام الحجة على العالمين، وأعلن ذلك بين المسلمين، ولم يسر لأحد بشيء من الشريعة ويسكتمه إيه، قال تعالى: +إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أُنزِلَ لَهُمَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا يَبَيِّنُهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ إِلَّا وَلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ الْلَاعِذُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا [القرآن: 159، 160]، وقال: +وَمَا أُنْزِلَ لَنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ [النحل: 64]، فالدين قد تم وكمل، لا يزاد فيه ولا ينقص منه ولا يبدل ⁽⁵⁾، لا من إمام مزعوم، ولا من غائب موهوم ⁽⁶⁾، وقد ودع المصطفى الدنيا بعد أن بلغ الدين كله وبين جميعه كما أمره ربه، قال ^x: «تركتم على مثل البيضاء ليلاها كنها رها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك» ⁽⁷⁾، وقال أبو ذر رضي الله عنه: لقد تركنا محمد ^x وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علاماً ⁽⁸⁾.

(1) الإمام الصادق، أبو زهرة، ص 429.

(2) الخطوط العربية، ص 49.

(3) البداية والنهاية (7/246).

(4) المصدر نفسه (7/319).

(5) المحيى (1/26).

(6) أصول الشيعة الإمامية (1/398).

(7) هذا المعنى صحيح الألباني -رحمه الله- معطمه.

(8) مسند أحمد (5/153).

ثامنًا: التقية عند الشيعة

1- تعريفها عند الشيعة الرافضة: فيقول شيخهم المفید: التقية كتمان الحق، وستر الا عتقاد فيه، وكتمان المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررا في الدين والدنيا⁽¹⁾، وي قول يوسف البحرياني - أحد كبار علمائهم في القرن الثاني عشر - المراد بها إظهار موافقة أهل الخلاف فيما يدينون به خوفا⁽²⁾، ويقول الخميني: التقية معناها أن يقول الإنسان ق ولا مغايرا الواقع أو يأتي بعمل مناقض لموازين الشريعة وذلك حفظا لدمه وعرضه أو ماله⁽³⁾، فهذه ثلاثة تعاريفات للتقىة لثلاثة من كبار علماء الشيعة الرافضة جاؤوا في فترات زمنية مختلفة، وهذا التعاريفات تدور حول أربعة أحكام رئيسية للتقىة عندهم وهي:

* أن معنى التقىة أن يُظهر الإنسان لغيره خلاف ما يبطن.

* أن التقىة تستعمل مع المخالفين ولا يخفى دخول كافة المسلمين تحت هذا العموم.

* أن التقىة تكون فيما يدين به المخالفون من أمور الدين.

* أن التقىة إنما تكون عند الخوف على الدين أو النفس أو المال، وهذه أربعة أحكام هي محور عقيدة التقىة عندهم⁽⁴⁾.

2- مكانتها عند الشيعة الرافضة: فهي تحتل منزلة عظمية ومكانة رفيعة، دلت عليه ا روایات عديدة جاءت في أمهات الكتب عندهم، فقد روی الكليني وغيره عن جعفر الصادق أنه قال: التقىة من دیني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقىة له⁽⁵⁾. وعن أبي عبد الله أنه قال: إن تسعة أشخاص الدين في التقىة، ولا دين لمن لا تقىة له، والتقىة في كل شيء إلا في النبي والمصح على الخفين⁽⁶⁾.

وفي المحسن: عن حبيب بين بشير عن أبي عبد الله أنه قال: لا والله ما على الأرض شيء أحب إلى من التقىة، يا حبيب إنه من كانت له تقىة رفعه الله، يا حبيب من لم يكن له تقىة وضعه الله⁽⁷⁾.

وفي أمالی الطوسي عن جعفر الصادق أنه قال: ليس منا من لم يلزم التقىة ويصوننا عن سفلة الرعية⁽⁸⁾.

وفي الأصول الأصلية: عن علي بن محمد من مسائل داود الصرمي: قال: قال لي: يا داود لو قلت لك إن تارك التقىة كتارك الصلاة لكنك صادقا⁽⁹⁾.

وعن الباقر أنه سئل: من أكمل الناس؟ قال: أعملهم بالتقىة وأقضفهم حقوق إخوانه⁽¹⁰⁾.

وعنه أيضا أنه قال: أشرف أخلاق الأنمة الفاضلين من شيعتنا استعمال التقىة⁽¹¹⁾.

فدللت هذه الروایات على مكانة التقىة عندهم، ومنزلتها العظيمة في دینهم، فالتقىة عند الشيعة الرافضة من أهل أصول الدين، فلا إيمان لمن لا تقىة له، والتارك للتقىة كالطار

(1) تصحيح الاعتقاد، ص 115.

(2) الكشیکول (202 / 1).

(3) کشف الأسرار، ص 147.

(4) بذل المجهود (638 / 2).

(5) أصول الكافي (219 / 2)، المحسن ص 255.

(6) أصول الكافي (217 / 72)، بذل المجهود (2 / 236).

(7) المحسن للبرقی، ص 257.

(8) أمالی الطوسي، ص 287.

(9) الأصول الأصلية، عبد الله بشیر، ص 320.

(10) الأصول الأصلية، ص 324.

(11) المصدر السابق، ص 323.

ك للصلوة، بل أن التقية عندهم أفضل من سائر أركان الإسلام، فالتقنية تمثل تسعة أعينار
دينهم، وسائر أركان الإسلام وفرائضه تمثل العشر الباقى^(١)، وقد ذكر صاحب الكافي أ
خبرًا في (باب التقية)^(٢)، و(باب الكتمان)^(٣)، (باب الإذاعة)^(٤)، وذكر المجلسى في ب
حاره من روایاتهم فيها مائة وتسع روایاتهم في باب عقده بعنوان (باب التقية)^(٥)
والمداراة^(٦).

3- سبب الغلو في أمر التقية يعود إلى عدة أمور منها:

(1) أن الشيعة الرافضة تعد إماماً الخلفاء الثلاثة باطلة: وهم من بابا لهم في عداد الكفار، مع أن علياً رضي الله عنه - بابا لهم وصلى خلفهم، وجاهد معهم وزوج عم رابنته أم كلثوم، وتسرى من جهاده مع أبي بكر ، ولما ولت الخليفة سار على نهجهم ولم يغير شيئاً مما فعله أبو بكر وعمر، كما تعرف بذلك كتب الشيعة نفسها، وهذا يبطل مذهب الشيعة من أساسه، فحاولوا الخروج من هذا التناقض المحيط بهم بالقول بالحقيقة (6)، واستخدمو مبدأ التقية لتقسيير أحداث تاريخهم فذهبوا إلى أن سكوت علي عن أبي بكر رضي الله عنهما كان تقية، وتازل الحسن بن علي عن الخليفة لمعاوية كان تقية، واحتقاء أنتمهم وسترهم كان تقية منهم، وهكذا يمكن تقسيير كل الأحداث التي تناقض عقيدتهم بالذلة (7)

(ب) أنهم قالوا بعصمة الأنفة وأنهم لا يسمون ولا يخطئون ولا ينسون: وهذه الدعوى خلاف ما هو معلوم من حالهم، حتى إن روایات الشیعة نفسها المنسوبة للأئمة مختلفه متناقضه حتى لا يوجد خبر منها إلا ويإله ما ينافقه، كما اعترف بذلك شیخهم الطوسي⁽⁸⁾، وهذا ينقض مبدأ العصمة من أصله فقلوا بالتفقیة لتبرير هذا التناقض والاختلاف والتستر على كذبهم على الأئمة، روى صاحب الكافي عن منصور بن حازم قال: قد لات لأبي عبد الله عليه السلام: ما بالي أسلأك عن المسألة فتجيبني فيها بالجواب، ثم يجيئك غيري فتجيبه فيه بجواب آخر؟ فقال: إنما نحبيب الناس على الزيادة والقصاص⁽⁹⁾، قال شارح الكافي: أي زيادة حكم عند التفقة، ونقصانه عند عدمها، ولم يكن ذلك مستندا إلى النسيان والجهل، بل لعلهم بأن اختلاف كلمتهم أصلح لهم، وأنفع لبقائهم إذ لو اتفقا لعرفوا بالتشريع، وصار ذلك سبباً لقتلهم وقتل الأئمة عليهم السلام⁽¹⁰⁾.

(ج) تسهيل مهمة الكاذبين على الأئمة: ومحاولة التعنيف على حقيقة مذهب أهل البيت
ت بحيث يوهمون الأتباع أن ما ينفعه (واضعوا مبدأ التقية) عن الأئمة هو مذهبهم، وإنما
أشتهر وذاع عنهم، وما يقولونه، ويغلوونه أمام المسلمين لا يمثل مذهبهم وإنما يغلوونه نفـ
يـة فيسهـل عليهم بهذه الحـيلة أقوـال الأئـمة، والـدس عـلـيـهـم، وتـكـذـيب ما يـرـوـيـ عنـهـمـ منـ حقـ
، فـتجـدهـمـ مـثـلاـ يـرـدـونـ كـلـامـ الإـمامـ مـحـمـدـ الـبـاقـرـ أوـ جـعـفـ الصـادـقـ الـذـيـ قـالـ أـمـامـ مـلـأـ مـنـ الـأـ
ناسـ، أوـ نـقـلـهـ العـوـولـ مـنـ الـمـسـلـمـينـ بـحـجـةـ أـنـ هـنـاـكـ حـضـرـهـ بـعـضـ أـهـلـ السـنـةـ، فـلـاقـىـ فـيـ كـلـامـهـ،
وـيـقـلـوـنـ مـاـ يـنـفـرـدـ بـنـقـلـ الـكـذـبـ أـمـثـلـ جـابـرـ الجـعـفـيـ بـحـجـةـ أـنـ لـاـ يـوـجـدـ أـحـدـ يـتـقـنـهـ فـيـ كـلـامـهـ،

(1) بذل المجهود (637 / 2)

(1) أبن بهر - (2) أصول الكافي

المصدر السابق (3) (221 / 2)

(4) المُصْدَرُ السَّابِقُ (369 / 2)

⁵ بخار الانوار (75 / 393 - 443) .

⁶⁾ أصول الشيعة الإمامية (2/984).

(7) دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين، ص ٢١.
 (8) أصوات الشععة الامامية (٢/٩٨٥)

(٨) أصول السبعة الإمامية (٩٨٣/٢).
 (٩) أصول الكاف (٦٥/١).

جامعة الماندراني (٦٥/١) - (٦٥/١) أسلوب انجليزي

۱۰) سوچ جامع مدرسي (۸۵/۷۱)

وبحسبك أن تعرف أن الإمام زيد بن علي وهو من أهل البيت يروي عن علي رضي الله عنهـ كما تنقله كتب الاثني عشرية نفسهاـ أنه غسل رجله في الوضوء، ولكن من يلقي بونه بـ(شيخ الطائفة) لا يأخذ بهذا الحديث ولا يجد حجة يحتج بها سوى التقية، فهو يرد الحديث في الاستئصال عن زيد بن علي عن جده علي بن أبي طالب قال: جلست أتوه فأقبل رسول الله × حين ابتدأت الوضوءـ إلى أأن قالـ وغسلت قدمي، فقال لي: (يا علي خل بين الأصابع، لا تخل بالنار)⁽¹⁾، فأمنت ترى أن عليا كان يغسل رجله في وضوءه، وأن رسول الله × أكد عليه بأن يخل أصابعه والشيعة تختلف في سنة رسول الله × وهدي عليـ رضي الله عنهـ في ذلك، ولا تأتفت لمثل هذه الروايات، وإن جاء في كتبها بروايات أئمة أهل البيت، ولا يكفي شيخ الشيعة أنفسهم بالتفكير في أمر هذه الروايات ودرستها، فلديهم هذه الحجة الجاهزة⁽²⁾ «القيقة».

ولهذا قال الطوسي: هذا خبر موافق للعامةـ يعني أهل السنةـ وقد ورد مورد التقية لأن المعلومات الذي لا يتخلج منه الشك من مذاهب أئمتناـ عليهم السلامـ القول بالمسح على الرجلين، ثم قال: إن رواة هذا الخبر كلهم عامة، ورجال الزيدية، وما يختصون به⁽³⁾ لا يعمل به، وفي النكاح: جاءت عندهم روایات في تحريم المتعة، ففي كتبهم عن زيد بن علي عن آبائه عن عليـ عليه السلامـ، قال: حرم رسول الله × يوم خير لحوم الحمر لأهلية ونکاح المتعة⁽⁴⁾ وقال شیخهم الحر العاملی أقول: حمله الشيخ⁽⁵⁾، وغيره على التقة يعني في الروایة، لأن إباحة المتعة من ضروريات مذهب الإمامية⁽⁶⁾، وفي قسمة الموارibث: أن المرأة لا ترث من العقار والدور والأرضين شيئاً⁽⁷⁾، ولما يأتي عندهم ذ ص عن الأئمة يخالف ذلك وهو حديث أبي يعقوب عن أبي عبد الله قال: سأله عن الرج ل هل يرث من دار امرأته أو أرضها من التربية شيئاً؟، أو يكون في ذلك منزلة المرأة ف لا يرث من ذلك شيئاً؟، فقال: يرثها وترثه من كل شيء ترك وترك⁽⁸⁾، قال الطوسي: نحمله على التقية، لأن جميع من خالفنا يخالف في هذه المسألة، وليس يوافقنا عليها أحد من العامة، وما يجري هذا المجرى يجوز التقية فيه⁽⁹⁾.

(د) وضع مبدأ التقية لعزل الشيعة عن المسلمين: لذلك جاءت أخبارهم فيها على هذا المنطـ يقول إمامهم «أبو عبد الله»: ما سمعت مني يشبه قوله الناس فيه التقية، وما سمعت مني لا يشبه قوله الناس فلا تقية فيه⁽¹⁰⁾، وقد كان من أثار عقيدة التقية ضياع مذهب الأئمة عند الشيعة، حتى إن شيوخهم لا يعلمون في الكثير من أقوالهم أنها تقية وأليها حقيقة⁽¹¹⁾، ووضعوا لهم ميزاناً، أخرج المذهب إلى دائرة الغلو، وهو أن من خالف العا مة فيه الرشداد⁽¹²⁾.

وقد اعترف صاحب الحائقـ بأنه لم يعلم من أحكام دينهم إلا القليل بسبب التقيةـ حي ث قال: فلم يعلم من أحكام الدين على اليقين إلى القليل لامتزاج أخباره بأخبار التقيةـ كما

(1) الاستئصال (1/ 65، 66).

(2) أصول الشيعة الإمامية (2/ 987).

(3) الاستئصال (1/ 66، 65).

(4) تهذيب الأحكام للطوسي (1/ 184).

(5) إذا أطلق الشيخ في كتب الشيعة، فالمراد به شیخهم الطوسي.

(6) وسائل الشيعة (7/ 441).

(7) الاستئصال للطوسي (4/ 151-155).

(8) المصدر السابق (4/ 154).

(9) المصدر السابق (4/ 155).

(10) بحار الأنوار (2/ 252).

(11) أصول الشيعة الإمامية (2/ 989).

(12) أصول الشيعة الإمامية (2/ 989).

قد اعترف بذلك نفأة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني في جامعه الكافي، حتى إنه تخطى العمل بالترجيحات المروية عند تعارض الأخبار والتجأ إلى مجرد الرد والتسليم للأئمة لأبرار⁽¹⁾.

وأما تطبيق التقية عندهم فهو خير كاشف بأن تقitemهم غير مرتبطة بحالة الضرورة، وقد اعترف يوسف البحرياني بأن الأئمة يخالفون بين الأحكام وإن لم يحضرهم أحد من أولئك لأنما، فتراهم يجيبون في المسألة الواحدة بأجوبة متعددة، وإن لم يكن بها قائل من المخالفين⁽²⁾.

4-مفهوم التقية عند أهل السنة: إن مفهوم التقية في الإسلام غالباً، إنما هي مع الكفار، قال تعالى: +إِلَّا أَن تَدْقُوا مِنْهُمْ تُقَاهَا+ [آل عمران: 28]، قال ابن جرير الطبرى: التقية التي ذكرها الله في هذه الآية إنما هي تقية من الكفار لا غيرهم⁽³⁾، ولهذا يرى بعض السلف أنه لا تقية بعد أن أعز الله الإسلام، قال معاذ بن جبل ومجاهد: كانت التقية في جدة الإسلام قبل قوة المسلمين، أما اليوم فقد أعز الله المسلمين أن يتقووا منهم تقاة⁽⁴⁾. ولكن تقية الشيعة هي مع المسلمين ولا سيما أهل السنة حتى إنهم يرون عصر القرون المفضلة عهد تقية، كما قرره شيخهم المفيد، وكما تلاحظ ذلك من نصوصهم التي ينسبونها للأئمة، لأنهم يرون أهل السنة أشد كفراً من اليهود والنصارى، لأن منكر إمامية الاثنى عشر أشد من منكر النبوة⁽⁵⁾.

والتقية رخصة في حالة الاضطرار: ولذلك استثنى سبحانه من مبدأ النهي عن موافاة الكفار فقال سبحانه: +لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكُفَّارَ بِنِ أَوْلَيَاءِ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعُلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَدْقُوا مِنْهُمْ تُقَاهَا وَيَحْدِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَيْهِ اللَّهُ الْمَصْرِيرُ+ [آل عمران: 28]، فنهى الله سبحانه عن موافاة الكفار، وتوعده على ذلك أبلغ الوعيد فقال: +وَمَنْ يَفْعُلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَدْقُوا مِنْهُمْ تُقَاهَا+ أي: من يرتكب نهي الله فقد برئ من الله، ثم قال سبحانه: +إِلَّا أَن تَدْقُوا مِنْهُمْ تُقَاهَا+ أي: من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم، فله أن يتقىهم بظاهره لا بباطنه ونبيته⁽⁶⁾.

وأجمع أهل العلم على أن التقية رخصة في حال الضرورة، قال ابن المنذر: أجمعوا على أن من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل فকفر وقلبه مطمئن بالإيمان أن لا يحكم عليه بالكفر⁽⁷⁾، ولكن من اختار العزيمة في هذا المقام فهو أفضل، قال ابن بطاطا: وأجمعوا على أن من أكره على الكفر واختار القتل أنه أعظم أجرًا عند الله⁽⁸⁾، ولكن التقية عند الشيعة خلاف ذلك فهي عندهم ليست رخصة بل هي ركن من أركان دينهم⁽⁹⁾.

والتقية في دين الإسلام دين الجهاد والدعوة لا تمثل نهجاً عاماً في سلوك المسلم ولا سمة من سمات المجتمع المسلم، بل هي - غالباً - حالة فردية مؤقتة، مقرونة بالاضطرار، ومرتبطة بالعجز عن الهجرة، وتزول بزوال حالة الإكراه أما في المذهب الشيعي تعد ط

(1) الحدائق الناضرة، يوسف البحرياني (1/1).

(2) الحدائق الناضرة، يوسف البحرياني (1/1).

(3) تفسير الطبرى (316/6).

(4) تفسير الطبرى (75/4)، فتح التفہیر (331/1).

(5) المصدر نفسه (978/2).

(6) تفسير ابن كثير (371/1).

(7) فتح الباري (314/12).

(8) المصدر السابق (317/12).

(9) أصول الشيعة الإمامية (979/2).

بيعة ذاتية في بنية المذهب، وحالة مستمرة وسلوك اجتماعي دائم⁽¹⁾، وقد قرر أهل العلم من خلال معرفتهم بواقع الشيعة أن تقينهم إنما هي الكذب والتفاوت ليس إلا، وقد فرق ابن تيمية رحمة الله - بين تقية النفاق والتقية في الإسلام فقال: ليست بأن أكذب وأقول بل ساني ما ليس في قلبي، فإن هذا نفاق ولكن أفعل ما أقدر عليه... فالمؤمن إذا كان بين الكفار والفجار، لم يكن عليه أن يجادهم بيديه مع عجزه، ولكن إن أمكنه بلسانه، وإن فقلبه ه مع أنه لا يكذب ويقول بلسانه ما ليس في قلبه، إما أن يظهر دينه وإما أن يكتمه ومعه ذا لا يوافقهم على جميع دينهم كلهم، بل غايته أن يكون كمؤمن آل فرعون، حيث لم يكن موافقاً لهم على جميع دينهم ولا كان يكذب، ولا يقول بلسانه شيئاً، وإظهاره الدين الباطل شيء آخر، فهذا لم يبحه الله فقط إلا من أكره بحيث أتيح لهم النطق بكلمة الكفر فيعدنه الله بذلك، والمنافق والكافر لا يغفر بحال، ثم إن المؤمن الذي يعيش بين الكفر مضطراً ويكتم إيمانه يعاملهم بمقدار الإيمان الذي يحمله - بصدق أمانة ونصح وإرادة الخير بهم وإن لم يكن موقفاً لهم على دينهم، كما كان يوسف الصديق في أهل مصر وكانوا كفاراً، وبخلاف الرافض الذي لا يترك شرًا يقدر عليه إلا فعله بمن يخالفه⁽²⁾.

ولقد لخص الشيخ سلمان العودة الفروق بين التقية عن أهل السنة والرافضة فقال: إن التقية عند أهل السنة استثناء مؤقت مخالف للأصل، أما عند الشيعة فواجب مفروض حتى يقوم القائم من آل البيت، وينتهي العمل بها عند أهل السنة بمجرد زوال السبب الداعي إليها، أما عند الشيعة فواجب جماعي مستمر لا ينتهي العمل به حتى يخرج مهديهم الذي لا يخرج أبداً، وتقية أهل السنة هي مع الكفار في الغالب، وقد تكون مع الفساق الظالمة، أما تقية الشيعة فهي أصلاً مع المسلمين المخالفين لهم من أهل السنة، إن التقية عند أهل السنة حالة موقتة يلجمأ إليها المسلم دون رضا واطمئنان إليها، أما عند الشيعة فقد أصبحت خلة ممدودة مرضية، جاء في مدحها النصوص عن أنتمهم الكثير⁽³⁾.

تساعاً: المهدى المنتظر بين الشيعة والسنة

1- عقيدة المهدى المنتظر عند الشيعة: من أبرز عقائد الشيعة الرافضة التي تكاد تمثله بها كتبهم عقيدة المهدى المنتظر، ويقصد الرافضة الإمامية بالمهدي المنتظر: محمد بن الحسن العسكري، وهو الإمام الثاني عشر عندهم، ويطلقون عليه الحجة، كما يطلقون عليه القائم⁽⁴⁾، ويزعمون أنه ولد سنة 255هـ واحتفى في سردار (سر من رأى) سنة 265هـ، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، لينقمون بهم من أعدائهم وينتصر لهم⁽⁵⁾، ولا زال الشيعة الرافضة يزورونه بسردار (سر من رأى)⁽⁶⁾ ويدعونه للخروج⁽⁷⁾، وهذا المهدى الذي يدعى عليه الرافضة معذوم لا وجود له: فالحسن العسكري الذي ينسبون إليه المهدى مات ولم يعقب أحداً، فقسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر، وقد صاحب عقيدة المهدى المنتظر عند الشيعة الرافضة، خرافات وأساطير كبيرة لا يصدقها عاقل، ويعتقدون أن المهدى من ولد الحسين⁽⁸⁾، ويررون العجائب في ولادته⁽⁹⁾، ويقولون عندما يخرج يجتمع إليه الشيعة الرافضة من كل مكان⁽¹⁰⁾، ويخرج الصحابة من قبورهم وي

(1) المصدر نفسه /2/ 981.

(2) أصول الشيعة الإمامية /2/ 995.

(3) العزلة والخلطة، سلمان بن فهد العودة، ص 149.

(4) الإرشاد للمفید، ص 363، کشف الغمة، الأربلي (2/ 437)، بذل المجهود (1/ 237).

(5) بذل المجهود (1/ 237)، معجم البلدان (3/ 173).

(6) المفید، ص 346، کشف الغمة، ص (2/ 446) بذل المجهود (1/ 237).

(7) مصابيح الجنات، محسن العصفور، ص 255.

(8) الغيبة، ص 115، بذل المجهود (1/ 238).

(9) بذل المجهود (1/ 239).

(10) بحار الأنوار (52/ 291).

عنهم⁽¹⁾، ويقتل العرب، وقريش⁽²⁾، وبهدم الكعبة والمسجد النبوى وكل المساجد⁽³⁾، ويدعو إلى دين جديد وكتاب جديد وقضاء جديد⁽⁴⁾، ويستفتح المدن بتابوت اليهود⁽⁵⁾، وتتبع له عينان من ماء ولبن، ويصير الرجل من الشيعة الراضة بقوة أربعين رجلاً، ويمد لهم في أسمائهم وأدبهم⁽⁶⁾. صار لهم ويحكم بحكم آل داود⁽⁷⁾.

وعقيدة الشيعة الراضة في مهديهم المنتظر باطلة، وقد دل على بطلانها عدة أوجه:

(أ) ثبوت عدم ولادة هذا المهدى: فقد اقتضت حكمة العلي القدير أن يموت الحسن العسكري الإمام الحادى عشر عند الراضة ولـي له ولد، فكانـت قضيـحة كـبـيرـة وخـذـلـاـنا عـظـيمـاـ لـشـيـعـةـ الـراـضـةـ إـذـ كـيـفـ يـمـوتـ الإـمـامـ وـلـاـ يـوـجـدـ لـهـ مـنـ الـأـوـلـادـ مـنـ يـخـلـفـهـ فـيـ الإـمـامـةـ، فـقـيـدـةـ الشـيـعـةـ الـراـضـةـ تـنـصـ عـلـىـ أـنـ الـذـيـ يـخـلـفـ الإـمـامـ بـعـدـ مـوـتـهـ وـلـدـهـ، وـلـاـ يـجـوزـ أـنـ تـكـونـ الإـمـامـةـ فـيـ إـلـخـوـةـ بـعـدـ الـحـسـنـ وـالـحـسـيـنـ⁽⁸⁾، وـعـدـمـ وـلـادـةـ الـمـهـدـيـ ثـابـتـةـ فـيـ كـتـبـ الشـيـعـةـ أـنـفـسـهـمـ⁽⁹⁾.

(ب) لا معنى لاختفاء المهدى: لو سلمنا جـداً بـولـادـةـ هـذـاـ المـهـدـيـ، فـإـنـهـ لـاـ معـنىـ لـاخـتـفـاءـ هـذـهـ الـفـتـرـةـ الطـوـلـيـةـ فـيـ السـرـدـابـ، وـإـذـ سـئـلـ الشـيـعـةـ الـراـضـةـ عـنـ الـحـكـمـةـ مـنـ اـخـفـائـهـ فـيـ السـرـدـابـ وـعـدـمـ خـروـجـهـ لـلـنـاسـ، فـإـنـهـمـ يـعـلـلـونـ ذـلـكـ بـأنـهـ خـشـيـ علىـ نـفـسـهـ القـتـلـ⁽¹⁰⁾، وـهـذـهـ عـلـةـ وـاهـيـةـ قـدـ دـلـ عـلـىـ بـطـلـانـهـ عـدـةـ أـدـلـةـ مـنـهـ: أـنـهـ قـدـ جـاءـ فـيـ كـتـبـكـمـ أـنـهـ سـيـكـونـ مـنـصـورـاـ وـمـؤـيـدـاـ مـنـ اللهـ تـعـالـىـ، وـأـنـهـ يـمـلـكـ مـشـارـقـ الـأـرـضـ وـمـغـارـبـهـ فـيـمـلـأـ الـأـرـضـ عـدـلـاـ كـمـاـ مـلـثـتـ جـورـاـ، وـيـعـشـ حـتـىـ زـمـنـ نـزـولـ عـيـسىـ بـنـ مـرـيـمـ عـلـيـهـ السـلـامـ⁽¹¹⁾، كـمـاـ أـنـ قـولـهـ هـذـاـ يـتـ رـتـبـ عـلـيـهـ أـنـ الـمـهـدـيـ لـنـ يـخـرـجـ حـتـىـ تـذـهـبـ دـوـلـ الجـورـ وـالـظـلـمـ وـالـفـسـادـ لـيـأـمـنـ عـلـىـ نـفـسـهـ مـنـ القـتـلـ، وـعـدـنـذـ لـاـ حـاجـةـ فـيـ خـروـجـهـ، وـهـذـهـ الدـوـلـ تـسـتـطـعـ أـنـ تـحـمـيـ الـمـهـدـيـ لـوـ خـرـجـ فـلـمـاـذـ لـمـ يـخـرـجـ؟ـ، إـنـ مـنـ لـاـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـحـمـيـ نـفـسـهـ مـنـ القـتـلـ، فـمـنـ يـابـ أولـىـ عـزـهـ عـنـ حـمـاـيـةـ غـيـرـهـ، فـإـنـ فـاقـدـ الشـيـءـ لـاـ يـعـطـيـهـ، فـكـيـفـ تـنـتـظـرـوـنـ مـنـ هـذـهـ صـفـتـهـ أـنـ يـنـتـقـمـ لـكـمـ مـنـ أـعـدـائـكـ وـيـنـصـرـكـ نـصـرـاـ مـؤـزـراـ، وـبـهـذـاـ تـكـوـنـ قـدـ بـطـلـتـ دـعـواـهـمـ، بـأـنـ الـعـلـةـ مـنـ دـخـرـ خـروـجـ الـمـهـدـيـ هـيـ: الـخـوـفـ مـنـ القـتـلـ، وـبـنـاءـ عـلـىـ هـذـاـ تـبـطـلـ دـعـوىـ وجودـ الـمـهـدـيـ أـصـلـاـ، إـذـ لـآـسـبـ يـمـنـعـهـ مـنـ الـاسـتـارـ غـيرـ خـوفـهـ مـنـ القـتـلـ، كـمـاـ صـرـحـ بـذـلـكـ شـيـخـ الطـائـفةـ الـطـوـسـيـ⁽¹²⁾، فـتـكـوـنـ دـعـوىـ وجودـ الـمـهـدـيـ باـطـلـةـ بـشـهـادـةـ عـلـمـائـهـمـ، وـهـذـاـ مـنـ تـوـفـيقـ اللهـ وـعـظـيمـ فـضـلـهـ.

(ج) أنه لم تحصل منفعة بهذا المهدى: وما يدل على بطلان عقيدة الشيعة الراضة في المهدى المنتظر: أن هذا المهدى الذي تدعىـهـ الـراـضـةـ لـمـ تـحـصـلـ بـهـ مـصـلـحةـ فـيـ شـيـءـ مـنـ أـمـورـ الـدـيـنـ أـوـ الـدـنـيـاـ وـلـمـ يـنـتـقـعـ مـنـهـ مـسـلـمـونـ بـشـيـءـ لـاـ الـرـاـضـةـ وـلـاـ غـيـرـهـ، قـالـ ابنـ تـيـمـيـةـ رـحـمـهـ اللهـ: إـنـ هـذـاـ الـمـعـصـومـ الـذـيـ يـدـعـونـ أـنـهـ فـيـ وقتـ ماـ قـدـ وـلـدـ عـنـدهـ لـأـكـثـرـ مـنـ أـرـبعـمـائـةـ وـخـمـسـيـنـ سـنـةـ⁽¹³⁾، فـإـنـهـ دـخـلـ السـرـدـابـ عـنـدـهـ سـنـةـ سـتـينـ وـمـائـتـينـ، وـلـهـ خـمـسـ سـنـةـ بـنـ عـنـ بـعـضـهـمـ وـأـقـلـ مـنـ ذـلـكـ عـنـ آخـرـينـ، وـلـمـ يـظـهـرـ عـنـهـ شـيـءـ مـاـ يـفـعـلـهـ الإـمـامـ الـمـعـصـومـ⁽¹⁴⁾.

(1) المصدر نفسه (2/386).

(2) المصدر نفسه (52/355).

(3) الرجعة للإحساني، ص 184.

(4) الغيبة، ص 154.

(5) بذل المجهود (1/247).

(6) المصدر نفسه (1/249).

(7) كمال الدين و تمام النعمة للصدوق، ص 414.

(8) أصول الكافي (1/505)، بذل المجهود (1/267).

(9) الغيبة، ص 119.

(10) الغيبة، ص 199، بذل المجهود (1/271).

(11) بذل المجهود (1/271).

(12) هذا بالنسبة لعصر ابن تيمية، أما الآن فقد مضى عليه ما يزيد عن ألف ومئة وخمسين عاماً.

م، فأي منفعة للوجود في مثل هذا لو كان موجوداً فكيف إذا كان معذوماً، والذين آمنوا بـ هذا المعصوم أي لطف وأي منفعة حصلت لهم به نفسه في دينهم أو دنياه... إلى أن قال: وهذا الذي تدعى به الرافضة إما مفقود عندهم، وإما معذوم عند العقلاة، وعلى التقدير فلا منفعة لأحد به في دين ولا دنيا⁽¹⁾، والشيعة الائتية عشرية في هذا العصر نقضوا هذه العقيدة عملياً من خلال اعتقادهم بنظرية ولایة الفقيه، وهي تجويز الحكم والولاية للمسلم العادي غير المعصوم، أو الذي ليس عليه نص من الله ورسوله بشرط العلم والعدل.

2- عقيدة أهل السنة والجماعة في المهدى: بينت الأحاديث الصحيحة أن الله تعالى يخرج في آخر الزمان رجالاً من أهل البيت يؤيد الله به الدين، يملك سبع سنين يملاً الأرض عدلاً وسلاماً، كما ملئت جوراً وظلماء، تنعم الأمة في عهده نعمة لم تتعتمها قط، وتخرج الأرض نباتها، وتنطر السماء قطرها، ويعطى المال بغير عدد، ومن هذه الأحاديث: (أ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ×: «يخرج في آخر أمتى المهدى يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطى المال صحاحاً⁽²⁾ وتكثر الماشية، وتعظم الأمة ويعيش سبعاً أو ثمانى»⁽³⁾، يعني حجاً⁽⁴⁾.

(ب) وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ×: «لا تقوم الساعة حتى تمتليء الأرض ظلماً وعدواناً» قال: «ثم يخرج رجل من عترتي -أو من أهلي بيتي- يملؤها قسطاً، وعدلاً، كما ملئت ظلماً وعدواناً»⁽⁵⁾.

(ج) وعن ثوبان قال -رضي الله عنه-: قال رسول الله ×: «يقتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، وتطلع الرائيات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم»- ثم ذكر شيئاً لا أحفظه فقال: «إذا رأيتكموه، فباعوه، ولو حبوا على الشجر، فإنه خليفة الله المهدى»⁽⁶⁾، قال ابن كثير رحمه الله: والمراد بالكنز المذكور في هذا السياق كنز الكعبة، يقتل عنده ليأخذه ثلاثة من أولاد الخلفاء حتى يكون آخر الزمان فيخرج المهدى، يكون ظهوره من بلاد المشرق، لا من سردار سامراء كما يزعم جهله الرافضة من أنه موجود فيه إلى الآن، وهو ينتظرون خروجه في آخر الزمان، فإن هذا نوع من الهدناني، وقسط كبير من الخذلان شديد من الشيطان، إذ لا دليل على ذلك ولا برهان، لا من كتاب ولا من سنة، ولا معقول صحيح ولا استحسان... إلى أن قال: ويؤيد بناس من أهل المذهب ينصرونه، ويقيمون سلطانه، ويشدون أركانه، وتكون رايتهم سوداً أيضاً وهو زعي عليه الوفار، لأن رأية رسول الله × كانت سوداء يقال لها العقاب... إلى أن قال: والمقصود أن المهدى المدوح المدحوب بوجوده في آخر الزمان يكون أصله وظهوره، وخروج هـ من ناحية المشرق وبيان له عند البيت كما دلت على ذلك بعض الأحاديث⁽⁷⁾.

(د) وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله × قال: «كيف أنت إذا نزل ابن مريم، وإمامكم منكم»⁽⁸⁾.

(هـ) وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله × قال: «لا تزا

(1) منهاج السنة /8/ 262-261.

(2) بمعنى الصحيح، النهاية لابن الأثير /3/ 12.

(3) المستدرك /4/ 557-558، قال الألباني: سنته صحيح رجاله ثقات، سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم

711.

(4) المهدى وفقه أشراطه الساعية، محمد اسماعيل، ص 33.

(5) السلسلة الصحيحة (1259)، وحكم الألباني بتواتره.

(6) سنن ابن ماجة (2/ 1367)، مستدرك الحاكم (4/ 464)، وقال: هذا حديث صحيح على سرط الشيب خبيث وواافقه الذهبي.

(7) النهاية، الفتن والملاحم (1/ 31).

(8) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء (6/ 491).

ل طائفه من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيمة» إلى أن قال: «فينزل عيسى بن مريم - عليه السلام - فيقول أميرهم: صل بنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة»⁽¹⁾.

والآحاديث التي وردت في الصحيحين تدل على أمرين:

أحدهما: أنه عند نزول عيسى ابن مريم - عليه السلام - من السماء يكون المตولى لإمرء المسلمين رجلاً منهم.

الثاني: أن حضور أميرهم للصلوة، وصلاته بال المسلمين، وطلبه من عيسى - عليه السلام - عند نزوله أن يتقدم ليصلي بهم يدل على صلاح هذا الأمير وهداه، وجاءت الآحاديث في السنن والمسانيد وغيرها مفسرة لهذه الآحاديث التي في الصحيحين، ودالة على أن ذلك الرجل الصالح يسمى: محمد بن عبد الله، ويقال له المهدي، والسنة يفسر بعضها ببعض.

(و) فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه - قال: قال رسول الله × قال: «منا الذي عيسى بن مريم يصلى خلفه»⁽²⁾.

(ز) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ×: «المهدي مني أجيال الجبهة، أفتى الأتف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، ويملاك سبع سنين»⁽³⁾، ولا توجد أية صلة أو علاقة بين مهدي السنة ومهدي الشيعة الرافضة، وهناك بعض الفروق بينهما منها:

* أن المهدي عند أهل السنة اسمه (محمد بن عبد الله) فاسميه يوافق اسم النبي × واسم أبيه يوافق اسم أبيه، أما مهدي الشيعة الرافضة، فاسميه محمد بن الحسن العسكري.

* أن المهدي عند أهل السنة من ولد الحسن - رضي الله عنه -، ومهدي الشيعة الرافضة من ولد الحسين.

* أن المهدي عند أهل السنة تكون ولادته ومدة حياته طبيعية، ولم يوجد في الآحاديث ما يدل على أنه يمتاز عن غيره من الناس بشيء من ذلك، أما مهدي الشيعة الرافضة فإنه حملة ولادته كانت في ليلة واحدة ودخل السرداد وعمره تسعة سنوات ومضى عليه الآن ما يزيد على ألف ومئة وخمسين سنة وهو في السرداد.

* أن المهدي عند أهل السنة يخرج لنصرة الإسلام والمسلمين، ولا يفرق بين جنس و الجنس، وأما مهدي الشيعة الرافضة فيخرج لنصرة الشيعة الرافضة خاصة والانتقام من أعدائهم، ويكره العرب وقريشاً فلا يعطيهم إلا السيف ولا يكون من أتباعه عربي، كما دلت على ذلك روایاتهم.

* أن مهدي السنة يحب صحابة النبي ×، ويرتضى عنهم ويتمسك بسنتهم، كما يحب أمهات المؤمنين ولا يذكرهن إلا بالثناء الجميل، أما مهدي الشيعة الرافضة فيبغض أصحاب النبي × ويخرجهم من قبورهم ويعذبهم ثم يحرقهم - على حد زعمهم - وكذلك يبغض أمهات المؤمنين، ويحد أحب نساء النبي × إليه، الصديقة بنت الصديق عائشة - رضي الله عنها - على حد زعمهم.

* أن مهدي أهل السنة يعمل بسنة النبي × فلا يترك سنة إلا أقامها، ولا بدعة إلا قمعه

(1) مسلم، كتاب الإيمان (2/ 193) مع شرح النووي.

(2) رواه أبو نعيم في أخبار المهدي، صحيح الألباني صحيحاً (7170/ 75).

(3) سنن أبي داود، كتاب المهدي رقم (4265).

ها، أما مهدي الشيعة الراضة فإنه يدعو إلى دين جديد وكتاب جديد.

* أن مهدي السنة يقيم المساجد ويعمرها، وأما مهدي الشيعة الراضة فيهدم المساجد ويخر بها، فيهدم المسجد الحرام والكعبة، ومسجد النبي ×، ولا يبقى مسجداً واحداً على وجه الأرض كما صرحت بذلك روایاتهم.

* أن مهدي السنة يحكم بكتاب الله وسنة نبيه ×، أما مهدي الشيعة الراضة فيحكم به كم آل داود.

* أن مهدي السنة يخرج من المشرق، أما مهدي الشيعة الراضة فيخرج من سردار سامراء.

* أن مهدي السنة حقيقة ثابتة دلت عليها أحاديث النبي × وأقوال العلماء قديماً وحديثاً، أما مهدي الشيعة الراضة فهو من الأوهام لم يخرج ولن يخرج في يوم من الأيام⁽¹⁾.

عاشرًا: عقيدة الرجعة عند الشيعة الراضة:

الرجعة من أصول المذهب الشيعي، فمن روایاتهم: ليس منا من لم يؤمن بكرتنا⁽²⁾، وقال ابن بابويه في الاعتقادات: واعتقادنا في الرجعة أنه حق⁽³⁾، وقال المفید: وانافت اإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات⁽⁴⁾، وقال الطبرسي والحر العاملي وغيره ما من شيوخ الشيعة: إنها موضع إجماع الشيعة الإمامية⁽⁵⁾، وإنها من ضروريات مذهبهم، وإنهم مأمورون بالإقرار بالرجعة واعتقادها، وتحديد الاعتراف بها في الأدعية والزارات ويوم الجمعة وكل وقت كالإقرار بالتوحيد والتبوية والإمامية والقيامة⁽⁶⁾، ومعنى الرجعة: الرجوع إلى الدنيا بعد الموت⁽⁷⁾، وقد ذهبت فرق شيعية كثيرة إلى القول برجوع أئمتهم إلى هذه الحياة ومنهم من يقر بموتهم ثم رجعتهم، ومنهم من ينكر موتها ويقول بأنهم غابوا وسیر جعون، وكان أول من قال بالرجعة ابن سباء، إلا أنه قال بأنه غاب وسير جع ولم يصدق بموته، وكانت عقيدة الرجعة خاصة برجمة الإمام عند السببية، والكيسانية وغيرهما، ولكنها صارت عن الاثني عشرية عامة للإمام وكثير من الناس، ويشير الأوسى إلى أن تحول مفهوم الرجعة عند الشيعة من رجمة الإمام فقط، إلى ذلك المعنى العام كان في القرن الثالث⁽⁸⁾، وأما المفهوم العام لمبدأ الرجعة عند الاثني عشرية فهو يشم لثلاثة أصناف هم:

(1) الأئمة الاثنتي عشر، حيث يخرج المهدى من مخبئه، ويرجع عن غيبته، وباقى الأئمة يحيون بعد موتها ويرجعون لهذه الدنيا.

(2) ولادة المسلمين الذين اغتصبوا الخلافة في نظرهم - من أصحابها الشريعين «الائمة الاثنتي عشر» فيبعث خلفاء المسلمين وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وعثمان... ومن قبورهم يرجعون لهذه الدنيا - كما يزعم الشيعة - للاقصاص منهم بأخذهم الخلافة من أهلها فتجري عليهم عمليات التعذيب والقتل والصلب.

(3) عامة الناس، ويخص منهم: من محض الإيمان محضاً، وهم الشيعة عموماً، ولا

(1) بذل المجهود (257 / 256 / 1).

(2) أصول الشيعة الإمامية (2 / 1103).

(3) الاعتقادات، ص 90.

(4) أوائل المقالات، ص 51.

(5) مجمع البيان (52 / 5)، الإيقاظ من المجمع، ص 33.

(6) المصدر السابق، ص 64.

(7) القاموس (3 / 28)، مجمع البحرين (4 / 334).

(8) روح المعانى (15 / 27)، صحي الإسلام أحمد أمين (3 / 237).

ن الإيمان خاص بالشيعة، كما تتفق على ذلك روایاتهم وأقوال شيوخهم ومن محض الكفر محسناً وهم كل الناس ما عدا المستضعفين⁽¹⁾.

ولهذا قالوا في تعريف الرجعة: إنها رجعة كثُر من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيمة⁽²⁾، وعودتهم إلى الحياة بعد الموت⁽³⁾ في صورهم التي كانوا عليها⁽⁴⁾.

وأتجه شيخ الشيعة إلى كتاب الله سبحانه ليأخذوا منه الدليل على ثبوت الرجعة التي يتقى دون بها عن سائر المسلمين، ولما لم يجدوا بغيرهم تعلقاً كعادتهم بالتأويل الباطني، وركبوا متن السلطة، وتعسفاً أيما تعسفاً في هذا السبيل، حتى أصبح استدلالهم حجة عليهم، ودللاً على زيف معتقدهم، ويرهانا على بطلان مذهبهم، وإليك مثلاً على تقسيرهم للآيات، يرى شيئاً من المفسرين عندهم أن من أعظم الدلالة على الرجعة قوله سبحانه: +وَحَرَامٌ عَلَىٰ فِرْيَةٍ أَهْلَكَهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ+ [الأبياء: 95]، حيث يقول ماربه: هذه الآية من أعظم أدلة على الرجعة، لأن أحداً من أهل الإسلام لا يذكر أن الناس كلهم يرجعون - يوم القيمة مـن هـلـك وـمـن لـم يـهـلـك⁽⁵⁾، ومع أن الآية حجة عليهم، فهي تدل على نفي الرجعة في الدنيا، إذ معناها كما صرحت به ابن عباس وأبو جعفر الباقر وقتادة وغير واحد: حرام على أهل كل قرية أهلكوا بذنبهم أنهم يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيمة⁽⁶⁾، وهذا قولهم سبحانه: +أَلَمْ يَرَ وَأَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ+ [يس: 31]، وقوله: +فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلَهُمْ يَرْجِعُونَ+ [يس: 50]، زيادة +لا+ هنا لتأكيد معنى النبي من +وَحَرَام+ وهذا من أساليب التزييل البدعية النهائية في الدقة، وسر إلـأـخـبـار بعدم الرجوع معوضـهـ، هو الصـدـعـ بما يـزـعـ جـهـمـ ويـؤـسـفـهـمـ، وفـوـاتـ آمنـيـتـهـمـ الـكـبـرـىـ، وـهـيـ حـيـاتـهـمـ الـدـنـيـاـ⁽⁷⁾، وإذا كان المقصود إثبات الرجعة فيه رجعة للناس لـيـومـ الـقـيـامـةـ بلاـرـيـ بـ⁽⁸⁾ أي مـمـتنـعـ الـبـتـةـ عدم رـجـوعـهـمـ إـلـيـنـاـ لـلـجـزـاءـ⁽⁹⁾.

إن فكرة الرجعة عند الشيعة الرافضية بعد الموت مخالفة صريحة لنص القرآن الكريم، وباطلة بدلالة آيات عديدة من كتاب الله سبحانه، قال تعالى: +قَالَ رَبُّ ارْجِعُوهُنَّ لَعَلَّهُمْ يَأْتُمْ أَعْمَلُ صَدَاحًا فِيهِ مَا تَرَكْتُ كَلَامَةٌ هُوَ قَائِلُهُمَا وَمَنْ وَرَأَهُمْ بِرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمٍ يُبْعَثَرُونَ+ [المؤمنون: 99، 100]، فقولهم سبحانه: +وَمَنْ وَرَأَهُمْ بِرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمٍ يُبْعَثَرُونَ+ [المؤمنون: 99، 100]، صريح في نفي الرجعة مطلاً⁽¹⁰⁾.

فهؤلاء جميعاً يسألون الرجوع عند الموت، وعند العرض على الجبار جل علاه، وعند رؤية النار يجيبون، لما سبق في قضائه أنهم إليها لا يرجعون، ولذلك عد أهل العلم القول بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت من أشد مراحل الغلو في بدعة التشيع⁽¹¹⁾، وقد جاء في مسند أحمد أن عاصم بن ضمرة: وكان من أصحاب علي رضي الله عنه - قال للحسن بن علي: إن الشيعة يزعمون أن علياً يرجع، قال الحسن: كذب أولئك الكاذبون، ولو علمنا

(1) أصول الشيعة الإمامية (2/ 1105).

(2) أوائل المقالات، ص 51.

(3) أصول الشيعة الإمامية (2/ 1105).

(4) أوائل المقالات، ص 95.

(5) تقسير القمي (2/ 76) وضع عنوان في أعلى الصفحة: أعظم دليل على الرجعة.

(6) تقسير ابن كثير (3/ 205).

(7) تفسير القاسمي (1/ 293).

(8) أصول الشيعة الإمامية (2/ 1112).

(9) فتح التذير (3/ 426).

(10) مختصر التفقة ص (201).

(11) أصول الشيعة الإمامية (2/ 1112).

ذلك ما تزوج نساؤه ولا قسمنا ميراثه⁽¹⁾، والقول بالرجعة بعد الموت إلى الدنيا لمحازاة المسيئين وإثابة المحسنين، ينافي طبيعة هذه الدنيا وأنها ليست دار جزاء + وإنما توافقون أجوركم يوم القيمة فمن رُحْزَحَ عن الدار وأدْخُلَ الجنة فـ د فازَ وَمَا الْحَيَاةُ إِلَّا مَتَاعٌ الْغَرْرُورُ" [آل عمران: 185]، وقد كان لابن سينا اليهودي دور التأسيس لمبدأ الرجعة، إلا أنها رجعة خاصة بعلي، كما أنه ينفي وقوع الموت عليه أصلاً كحال الآتشى عشرية مع مهديهم الذي يزعمون وجوده، وعقيدة الرجعة عند الشيعة الإمامية خلاف ما علم من الدين بالضرورة من أنه لا حشر قبل يوم القيام، وأن الله حين توعد كفراً أو ظالماً إنما توعده بيوم القيمة، كما أنها خلاف الآيات والأحاديث المتواترة المصرحة بأنه لا رجوع إلى الدنيا قبل يوم القيمة⁽²⁾.

الحادي عشر: قولهم بالبداء على الله سبحانه وتعالى:

من أصول الآتشى عشرية القول بالبداء على الله، سبحانه وتعالى حتى بالغوا في أمره قالوا: ما عبد الله بشيء مثل البداء⁽³⁾، وما عظم الله عز وجل بمثل البداء⁽⁴⁾، ولو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا من الكلام فيه⁽⁵⁾، وما بعث الله نبياً قط إلا بتحريم الخمر وأن يقر الله بالبداء⁽⁶⁾، ويبدو أن الذي أرسى هذا المعتقد عند الآتشى عشرية هو الملقب عندهم بشقة الإسلام وهو شيخهم الكليني (ت 328 أو 329هـ)، حيث يوضع هذا المعتقد في قسم الأصول من الكافي، وجعله ضمن كتاب التوحيد، وخصص له باباً بعنوان (باب البداء) وذكر فيه ستة عشر حديثاً من الأحاديث المنسوبة للأئمة⁽⁷⁾.

وإذا رجعت إلى اللغة العربية لتعريف معنى البداء تجد أن القاموس يقول: بدا بدوا بهـ دأـةـ ظـهـرـ، وبـداـ لهـ فيـ الأمـرـ وـبـداـ وـبـداـ: نـشـأـ لـهـ فـيـ رـأـيـ (8)، فالبداء في اللغة له معنيان:

[1] الظهور بعد الخفاء، تقول: بدا سور المدينة أي ظهر.

[2] نشأة الرأي الجديد، قال الفراء: بدا لي بداء أي: ظهر لي رأي آخر، قال الجوهري: بدا له في الأمر بداء أي: نشأ له فيه رأي⁽⁹⁾، وكلا المعندين ورداً في القرآن، فمن لأول قوله تعالى: + وَإِنْ تُبَدِّلْ وَمَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفِدُهُ يُحَاسِّبُكُمْ بِهِ أَلَّهُ" [النور: 284]، ومن الثاني قوله: + ثُمَّ بَدَأَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا أَلَا يَأْتِ لَهُمْ سُجْدَنَةٌ هَذِي حِينٌ" [يوسف: 35]، وواضح أن البداء بمعنده يسئلتم سبق الجهل وخدوث العلم، وكلاهما محل على الله سبحانه، ونسبته إلى الله من أعظم الكفر، فكيف تجعل الشيعة الآتشى عشرية هذا من أعظم العبادات، وتدعى أنه ما عظم الله عز وجل بمثل البداء؟، سبحانه هذا بهتان عظيم⁽¹⁰⁾.

وهذا المعنى المنكر يوجد في كتب اليهود فقد جاء في التوراة التي حرفاها اليهود وفي

(1) مسند أحمد (2/ 312)، قال أحمد شاكر: أسناده صحيح.

(2) أصول الشيعة الإمامية (2/ 1124).

(3) أصول الكافي (1/ 146).

(6) أصول الكافي (1/ 146).

(5), (2) أصول الكافي (1/ 148).

(7) أصول الشيعة الإمامية (2/ 1133).

(8) القاموس المحيط (4/ 302).

(9) الصحاح (6/ 2278)، لسان العرب (6/ 614).

(10) أصول الشيعة الإمامية (2/ 1135).

ق ما شاعت أهواهم نصوص صريحة تتضمن نسبة معنى البداء إلى الله سبحانه (١)، ويدو أن ابن سينا اليهودي قد حاول إشاعة هذه المقالة، التي أخذها من (توراته) في المجتمع الإسلامي الذي حاول التأثير فيه باسم التشيع تحت مظلة الدعوة إلى ولالية علي رضي الله عنه، ذلك أن فرق السنية كلهم يقولون بالبداء وأن الله تبدوا له البدوات (٢) ثم اندلعت هذه المقالة إلى فرقة (الكيسانية) أو المختارية أتباع المختار بن أبي عبيد النقفي وهي الفرقة التي اشتهرت بالقول بالبداء والاهتمام به، والتزامه عقيدة (٣).

وكان شيوخ الشيعة يمنون أنبياعهم بأن الأمر سيعود إليهم، والدولة ستكون لهم، حتى إنهم حدوا ذلك بسبعين سنة، في رواية نسبوها لأبي جعفر، فلما مضت السبعون ولم يتحقق شيء من تلك الوعود اشتكت الأئمة من ذلك، فحاول مؤسس المذهب الخروج من هذا المأزق بأنه قد بدأ الله سبحانه ما اقتضى تغيير هذا الوعد (٤).

وقد دل القرآن الكريم على إثبات صفة العلم لله تعالى وعلى بطلان ما نسبته الشيعة الرافضة من عقيدة البداء لله، التي أفضت إلى نسبة الجهل إليه تعالى: والأيات الدالة على إثبات صفة العلم لله تعالى كثيرة، منها قوله تعالى: **وَعَنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْفَطُ مِنْ وَرْقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَدِيثَ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**. وهو الذي يتدوّي كلام بالليل ويعلم ما جر حذم بالنهار" [الأذى: 59: 60]، وقال تعالى: **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْأَطِيفُ الْخَبِيرُ**" [الملك: 14].

قال ابن تيمية رحمه الله: قد دلت هذه الآية على وجوب علمه بالأشياء من وجوده انتظمت... لأهل النظر والاستدلال القياسي العقلي:
أحدها: أنه خالق لها، والخلق هو الإبداع بتقدير، وذلك يتضمن تقديرها في العلم قبل تكونها في الخارج.
الثاني: أن ذلك مستلزم للإرادة والمشيئة، والإرادة مستلزمة لتصور المراد والشعور به.

الثالث: أنها صادرة عنه، وهو سببها التام، والعلم بأصل الأمر، وسببه يوجب العلم بالفرع المسبب، فعلمه بنفسه مستلزم بكل ما يصدر عنه.

الرابع: أنه في نفسه لطيف يدرك الخفي، وهذا هو مقتضى العلم بالأشياء، مستغن عنها، كما هو غني بنفسه في جميع صفاته (٥)، وقد دلت الآيات كذلك على تقدير الله تعالى للكون قبل أن يخلقه، وذلك بناء على علمه السابق بهذا الكون قبل وجوده، قال تعالى: **+ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا**" [الفرقان: 2]، وقال تعالى: **+ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَرَ فَهَدَى**" [الأعلى: 3، 4]، فهذه الآيات الكريمة ت فيها أعظم رد على الشيعة الرافضة الذين زعموا أن الله تعالى لا يعلم الحوادث إلا بعد حدوثها، وأنه قد يأمر بأمر ثم يتغير رأيه بناء على تجديد المصلحة، فالله تعالى قبل أن يخلق هذا الخلق قدره، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا تنبيره، ولا يتجاوز ما كتب الله في اللوح المحفوظ قبل خلق المخلوقات وجود الكائنات ولكن الظالمين بآيا

(١) المصدر نفسه (2/1136).

(٢) التبيبي والرد للملطي، ص 19.

(٣) أصول التشيع الإمامية (2/1135).

(٤) تفسير العياشي (2/218)، بحار الأنوار (4/214).

(٥) الفتاوى (2/211).

ت الله يجحدون ⁽¹⁾.

وقد دلت السنة على إثبات صفة العلم لله تعالى، روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغير ض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدرى نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم حتى تقوم الساعة أحد إلا الله» ⁽²⁾، وهذه الأمور التي جاءت في الحديث ثُمَّ أمر مسبقية دل الحديث على علم الله بها قبل حدوثها، وقال النبي ﷺ: «قدر الله قادر الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء» ⁽³⁾. وقد جاءت في كتب الشيعة في ذلك الركام الهائل من الأباطيل روایات قد تکون وثيقة الصلة بعلماء آل البيت لأنها تعبر عن المعنى الحق وهو ما يليق بأولئك الصفة، وقد تكون من آثار الشيعة المعتلة، فعن منصور بن حازم قال: سالت أبا عبد الله - عليه السلام - يَكُونُ الْيَوْمُ شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْأَمْسِ؟ قَالَ: مَنْ قَالَ هَذَا فَأُخْزِاهُ اللَّهُ، قَالَ: أَرَأَيْتَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَلِيْسَ فِي عِلْمِ اللَّهِ؟ قَالَ: بَلِّي، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ ⁽⁴⁾.

الثاني عشر: موقف أهل البيت من الشيعة الراضة

أئمة أهل البيت كسائر أهل السنة في موقفهم من الراضة ومن عقائدهم، فهم يعتقدون ضلالهم وانحرافهم عن السنة، وبعدهم عن الحق، وهم من أشد الناس ذمًا ومقتا لهم، وذلك لنسبتهم تلك العقائد الفاسدة إليهم، وكثرة كذبهم عليهم، وقد تعددت عبارات أهل البيت وتتنوعت في نبذ الشيعة الراضة وبراءتهم من عقائدهم، فمما جاء عنهم في براءتهم من عقائد الشيعة الراضة وتأصيلهم عقيدة أهل السنة ⁽⁵⁾:

1- ما ثبت عن علي رضي الله عنه- وتواتر عنه أنه قال وهو على منبر الكوفة: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما- ⁽⁶⁾، وعنده رضي الله عنه- قال: لا يفضلني أحد على الشيوخين إلا جلتني حد المفترى ⁽⁷⁾، وفي الصحيحين أنه قال في حق عمر عند تشييعه: ما خلفت أحداً أحب إلى من أن لقي الله بمثل عمله منك، وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع أصحابي، وذلك أني كنت أسمع كثيراً رسول الله ﷺ يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر وإن كنت لأظن أن يجعلك الله معهما ⁽⁸⁾.

وهذه الآثار -الثابتة- عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه- تناقض عقيدة الشيعة في الشيوخين كما تقدم، وتدل على براءة علي رضي الله عنه- من الشيعة الراضة ومن عقائدهم، وتوليه للشيوخين وسائر أصحاب النبي ﷺ وحبه لهم كما بينا سابقاً- وإقراره للشيوخين بالفضل عليه، وعقوبته من فضلهم عليهم، وتنبيه أن يلقى الله بمثل عمل عمر، فرضي الله عنه، وعن سائر أصحاب النبي الطيبين المطهرين من كل ما ينسبه إليهم أهل البدع من الشيعة الراضة والخوارج المارقين، تم من بعد علي رضي الله عنه- جاءت أقوال أبنائه، في البراءة من الراضة ومن عقائدهم واننقادهم لعقيدة أهل السنة ⁽⁹⁾.

(1) بذل المجهود (1/340).

(2) البخاري رقم (4967).

(3) مسلم رقم (16).

(4) التوحيد لابن بابويه، ص 334، أصول الكافي (1/48) رقم (10).

(5) الانتصار للصحاب والآل، ص 112 رقم (112).

(6) الالكتاني (7/1366-1397).

(7) السنن لابن أبي عاصم، ص 561.

(8) البخاري، رقم (3685).

(9) الانتصار للصحاب والآل، ص 144.

2- قول الحسن بن علي رضي الله عنه: عن عمرو بن الأصم قال: قلت للحسن: إن الشيعة تزعم أن علياً مبعوث قبل يوم القيمة قال: كذبوا والله ما هؤلاء بالشيعة لو علموا أنه مبعوث، ما زوجنا نساءه، ولا اقتسمنا ماله⁽¹⁾.

وروى أبو نعيم: قيل للحسن بن علي رضي الله عنهم: إن الناس يقولون: إنك تريد الخلافة، قال: كانت جماجم العرب في يدي، يحاربون من حاربت ويسالمون من سالت، فتركتها ابتغاء وجه الله، وحقن دماء أمة محمد⁽²⁾.

3- قول الحسن بن علي رضي الله عنهم: كان يقول في شيعة العراق -الذين كاتبوا وه ووادعوه بالنصر، ثم ترقوا عنه وأسلموه إلى أعدائه- «اللهم إن أهل العراق غرونني وخدعونني، صنعوا بأخي ما صنعوا، اللهم شتت عليهم أمرهم وأحصهم عددا»⁽³⁾، ثم كانت نتيجة غدرهم وخذلانهم له استشهاده رضي الله عنه- هو وعامة من كان معه من أهل بيته، بعد أن تفرق عنهم هؤلاء الخونة، فكان مقتله رضي الله عنه- معيبة عظيمة، وما ساء جسمية يقطر لها قلب كل مسلم⁽⁴⁾.

4- قول علي بن الحسين رحمه الله: ثبت عنه أنه قال: يا أهل العراق أحبونا حب الإسلام، ولا تحبونا حب الأصنام، فما زال بنا حكم حتى صار علينا شيئاً⁽⁵⁾. وعن رحمة الله، أنه جاءه نفر من أهل العراق، فقالوا في أبي بكر وعثمان رضي الله عنه- «فألا فرغوا قال لهم: الا تخبروني، أنتم المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانه وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون؟ قالوا: لا، قال: فأنتم الذين تبوعوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يوجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوقد شح نفسه، فأولئك هم المفلحون؟»، قالوا: لا، قال: أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل فيهم: «وَالَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجِدُنَّ فِي قُلُوبِنَا عَلَى لَذَّذِينَ أَمْذَدُوا رَبَّنَّا إِنَّكَ رَوْفٌ رَّحِيمٌ» [الحشر: 10]، أخرجا فعل الله بكم⁽⁶⁾!!.

5- قول محمد بن علي (الباقر): عن محمد بن علي أنه قال: أجمع بنوا فاطمة على أن يقولوا في أبي بكر وعمر، أحسن ما يكون من القول⁽⁷⁾، وعن رحمة الله- أنه قال لجابر الجعفي: إن قوماً بالعراق يزعمون أنى أمرتهم بذلك، فأخبرهم أنى أبراً إلى الله تعالى منهن، والله بريء منهم، والذي نفس محمد بيده لو وليت لتقربت إلى الله بدمائهم، لا نلتني شفاعة محمد إن لم أكن أستغفر الله لهما، وأترحم عليهم، إن أعداء الله غافلون عن ما⁽⁸⁾، وعن بسام الصيرفي قال: سألت أبا جعفر عن أبي بكر وعمر قال: والله إنني لأتو لاهما وأستغفر لهما، وما أذكرت من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما⁽⁹⁾.

6- قول زيد بن علي رحمة الله: عن زيد بن علي أنه قال: كان أبو بكر إمام الشاكريين، ثم تلا: «وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» [آل عمران: 143]، ثم قال: البراءة من أبي بكر

(1) سير أعلام النبلاء (3/263).

(2) حلبة الأولياء (2/37).

(3) سير أعلام النبلاء (4/302).

(4) سير أعلام النبلاء (4/302).

(5) المصدر السابق (4/390).

(6) الحلية (3/137).

(7) سير أعلام النبلاء (4/406).

(8) الأعقاد للبيهقي ص (361).

(9) سير أعلام النبلاء (4/403).

فهذه هي أقوال أئمة أهل البيت، الطيبين الطاهرين، الذين تدعى الشيعة الراضة إما منهم ولو لايهم، وينسبون إليهم عقيدتهم، موضحةً ومبيّنةً موقفهم من الشيعة الراضة، ومن دينهم، وبرأعتهم منهم ومن كل ما يقعنون بهم من عقائدهم الفاسدة، ومطاعنهم على خيار الصحابة، وأمهات المؤمنين، وأن هؤلاء الأئمة من أهل البيت على عقيدة السنة، طهراً وباطناً، في كل كبير وصغير، فهي عقيدتهم التي بها يدينون، عليها يواليون ويعادون، وأن من نسب لهم غير ذلك فهو كاذب عليهم ظالم لهم، فرحمهم الله رحمة واسعة، وأخذ زى الله من الصدق بهم الأكاذيب⁽⁹⁾.

الثالث عشر: وجهة نظر التقرير بين أهل السنة والشيعة:

لقد تبين لنا من خلال البحث مدى ما عند الشيعة الروافض من ضلال وبدع وأنحرًا ف عن كتاب الله وسنة رسوله والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، ومدى الأخطار والأضرار الكبيرة التي احتوت عليها كتبهم المعتمدة في مجال التفسير والتوحيد والحديث وغيرها، وأنها تصبب المسلمين في صميم الاعتراف بهذه الكتب، التي لا يصل الكيد إلا ستشرافي والتبييري إلى مستوى ما وصلت إليه من محاولات لتغيير دين الله وشرعه باسم الإسلام، بل إن الاستشراف والتبيير من معينها يرتوي، وعلى شبهاتها وأساطيرها يعتمد في إفساده وتزمره على الدين وأهله، ولهذا فإن هناك علاقة وثيقة بل تشابها تاماً بين شبهات المستشرقين والمبشررين، وأراء الشيعة والروافض، وليس هذا بجديد وهذه العلاقة تستحق أن يفرد لها رسالة علمية خاصة. فمن قديم كان الأعداء يستخدمون (أراء) الشيعة الروافض تكاءلة لهم في محاربة الإسلام وأهله، بل كان جنود الشيعة الروافض أمضى سلاحاً في يد الأعداء، وكان التشيع الرافضي مأوى لكل من أراد هدم الإسلام من ملحد وحاذق وموتور، وأيام التاريخ مليئة بمؤامراتهم وخياناتهم ومؤازرتهم للأعداء، وم

(1) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (1302 / 7).

(2) النهي عن سب الأصحاب للمقدسي ص 75.

³ سير أعلام النبلاء (259/6) / (258/3).

(4) سير اعلام النبلاء (258 / 6)
 (5) الدرر العذبة (255 / 6) نسخة

(6) الانتصار للصحاب والآباء، ص 19.

(7) سیر اعلام النبیاء (6/260)

(8) سیر اعلام النبلاء (260/6).

(9) الانتصار للصلب والال، ص120.

ن أبرز الأسباب في ذلك أن هؤلاء الشيعة الروافض لا يؤمنون بشرعية حكومة إسلامية إلا حكومة المنتظر الذي غاب أكثر من أحد عشر قرنا، ولهذا وجد الأعداء مدخلاً إلى قلا وبيهم من هذا الطريق⁽¹⁾، قال ابن تيمية رحمه الله: وكثير منهم يواد الكفار من وسط قلبه أكثر من موته للمسلمين، ولهذا لما خرج الترك الكفار من جهة المشرق وقتلوا المسلمين وسفكوا دماءهم ببلاد خراسان والعراق والشام والجزيرة وغيرها، كانت الرافضة معاونة لهم على المسلمين، وكذلك كانوا بالشام وحلب وغيرها من الرافضة كانوا من أشد الناس معاونة لهم على قتال المسلمين، وكذلك النصارى الذين قاتلوا المسلمين بالشام، كان ت الرافضة من أعظم المعاونين لهم، فهم دائماً يوالون الكفار من المشركين والنصارى - ويعاونونهم على قتال المسلمين ومعادتهم⁽²⁾، ويكتفي للتاكيد على ذلك شواهد تاريخية منها:

١- مؤامرة ابن العلقمي الرافضي في إسقاط بغداد 656هـ: وملخص الحادثة أن ابن العلقمي كان وزيراً لل الخليفة العباسى المستعصم وكان الخليفة على مذهب أهل السنة، كما كان أبوه وجده، ولكن كان فيه لبين وعدم تيقظ، فكان هذا الوزير الرافضي يخطط للقضاء على دولة الخلافة، وإيادة أهل السنة، وإقامة دولة على مذهب الشيعة الرافضة، فاستغل منصبه، وغفلة الخليفة لتنفيذ مؤامرته ضد الخلافة، وكانت خيوط المؤامرة تتمثل في ثلاثة مراحل:

أ- المرحلة الأولى: إضعاف الجيش، ومضايقة الناس حيث سعى في قطع أرزاق عسر المسلمين قال ابن كثير رحمه الله: وكان الوزير ابن العلقمي يجتهد في صرف الجيوش، وإسقاط اسمهم من الديوان فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريباً من مائة ألف مقاتل.. فلم يزل يجتهد في تقليفهم، إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف⁽³⁾.

ب- المرحلة الثانية: مكاتبنة التتار: يقول ابن كثير رحمه الله: ثم كاتب التتار وأطعمهم فيأخذ البلاد وسهل عليهم ذلك، وحکى لهم حقيقة الحال وكشف لهم ضعف الرجال⁽⁴⁾.

ج- المرحلة الثالثة: النهي عن قتال التتار وتنبيط الخليفة والناس: فقد نهى العامة عن قتالهم⁽⁵⁾، وأوهم الخليفة وحاشيته أن ملك التتار يريد مصالحتهم، وأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم، ونصفه للخليفة، فخرج الخليفة إليه في سبعينياته راكب من القضاة والفقهاء، والأمراء واللأعيان، فتم بهذه الحيلة قتل الخليفة ومن معه من قواد الأمة وطلائعها، بدون أي جهد من التتار.

وقد أشار أولئك الملايين من الشيعة الرافضة وغيرهم من المناقفين على هولاكو أن لا يصلح الخليفة، وقال له الوزير ابن العلقمي: متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عاماً أو عامين، ثم يعود الأمر إلى ما كانت عليه قبل ذلك، وحسنوا له قتل الخليفة، ويقال: إن الذي أشار إليه بقتله الوزير العلقمي ونصير الطوسي⁽⁶⁾، ثم مالوا على البلد فقتلوا جميع من قرروا عليه من الرجال والنساء والمشايخ والكهول والشباب، ولم ينج منه

(1) مسألة التقريب 216 إلى 278.

(2) منهاج السنة 104 إلى 107.

(3) البداية والنهاية 202.

(4) البداية والنهاية 13/202.

(5) منهاج السنة 83 إلى 85.

(6) كان النصر عند هولاكو قد استصحبه في خدمته لما فتح قلاع الألموت وانتزعها من أيدي الإسماعيلية، البداية والنهاية 13/201.

م أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى، ومن التجأ إليهم، وإلى دار الوزير ابن العطّifi الرافضي، وقد قتلوا من المسلمين ما يقال إنه بضعة عشر ألف إنسان أو أكثر أو أقل، ولم ير الإسلام ملحمة مثل ملحمة الترك الكفار المسلمين باللتار، وقتلوا الهاشميين، وسيموا نسائهم من العباسين وغير العباسين، فهل يكون موالي آل رسول الله x من يسلط الكفار على قتليهم وسببيهم وعلى سائر المسلمين⁽¹⁾.

وقتل الخطباء والأئمة، حملة القرآن، وتعطلت المساجد، والجماعات، مدة شهور ببغداد⁽²⁾.

وكان هدف ابن العلقمي: أن يزيل السنة بالكلية وأن يظهر البدعة الرافضة، وأن ينذر للرافضة مدرسة هائلة، ينشرون بها مذهبهم، فلم يقدر الله على ذلك، بل أزال نعمته عنه ونصف به عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة، وأتبעהه بولده⁽³⁾.

2-الدولة الصفوية: في الدولة الصفوية والتي أسسها الشاه إسماعيل الصفوی، فرض تشيع الاثنتي عشرية على الإيرانيين قسراً، وجُعل المذهب الرسمي لإيران وكان إسماعيل قاسيماً متعطشاً للدماء إلى حد لا يكاد يصدق⁽⁴⁾، ويُشيع عن نفسه أنه معصوم ولديه بينه وبين المهدى فاصل، وأنه لا يتحرى إلا بمقتضى أوامر الأئمة الاثنتي عشر⁽⁵⁾، ولقد تقدّم سيفه وأعمله في أهل السنة، وكان يتذمّر على الخلفاء الثلاثة وسيلة لامتحان الإيرانيين، وقد أمر الشاه أن يعلن السب في الشوارع، والأسواق، وعلى المنابر، منذر المعاذين بقطع رقابهم، وكان إذا فتح مدينة أرغم أهلها على اعتناق الرفض بقوة السلاح⁽⁶⁾، ولقد أزر شيخوخ الروافض سلاطين الصوفيين في الأخذ بالتشيع إلى مراحل من الغلو، وفرض ذلك على مسلمي إيران بقوّة الحديد والنار، وكان من أبرز هؤلاء الشيوخ شيخهم على الكركي⁽⁷⁾، الذي يلقبه الشيعة بالمحقق الثاني قربه الشاه طهماسب، ابن الشاه إسماعيل وجعله الأمر المطاع في الدولة، وكذلك كان من شيوخ الدولة الصفوية المجلسي، والذي شارك السلطة في التأثير على المسلمين في إيران، حتى يقال إن كتابه (حق اليقين) كان سبباً في تشيع سبعين ألف سني من الإيرانيين⁽⁸⁾، والأقرب أن هذا من مبالغات الشيعة، فإن الرفض في إيران لم يجد مكانه إلا بالقوة والإرهاب لا بالفكر والإقناع⁽⁹⁾.

ولا ينسى الجانب الآخر من أثر الدولة الصفوية، وذلك في حروبها لدول الخلافة الإسلامية العثمانية، وتعاونها مع الأعداء من البرتغال ثم الإنجليز ضد المسلمين، وتشجيعها لبناء الكنائس ودخول المبشرين والقسّيس، مع محاربتهم للسنة وأهلها⁽¹⁰⁾.

هذه بعض آثار دولتهم وأفرادهم في هذا المجال، ومن كلمات ابن تيمية رحمة الله تعالى والمهمة في هذا الموضوع، والتي إذا طبقتها على الواقع، وإذا استقرأت من خلالها وقائع التاريخرأيت صدقها كالشمس، قوله رحمة الله: فلينظر كل عاقل فيما يحدث في زمانه، وما يقرب من زمانه من الفتن والشروع والفساد في الإسلام فإنه يجد معظم ذلك من قبل الرافضة، وتتجدهم من أعظم الناس فتنا وشرا، وأنهم لا يقدعون عما يمكنهم من ا

(1) منهاج السنة (3/83).

(2) البداية والنهاية (12/203).

(3) البداية والنهاية (13/202-203).

(4) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، على الواقع، ص 56.

(5) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، كامل الشبيبي، ص 413.

(6) أصول الشيعة الإمامية (3/1475).

(7) المصدر نفسه (3/1476).

(8) عقيدة الشيعة، دونلسن، ص 302.

(9) أصول الشيعة الإمامية (2/1478).

(10) أصول الشيعة الإمامية (2/1478).

لفتن والشرور وإيقاع الفساد بين الأمة⁽¹⁾، ونحن قد علمنا بالمعاينة والتواتر أن الفتنة والشروع العظيمة التي لا تشبهها فتن، إنما تخرج عنهم⁽²⁾.

فمع من نتحد يا معاشر أهل السنة؟ مع من يطعن في قرآننا ويفسره على غير تأويله ويحرف الكلم عن مواضعه، ويكرر الصديق والفاروق وأم المؤمنين وأحب نساء النبي × إليه عائشة رضي الله عنه، وطلحة والزبير وغيرهم من أجلة الصحابة رضوان الله عليهم، ويخداع المسلمين باسم التقى⁽³⁾.

3- من التجارب المعاصرة في التقريب:

أ- تجربة مصطفى السباعي: بذل الدكتور مصطفى السباعي عدة مساعٍ مع بعض علماء الشيعة في مسألة التقريب، وسعى لعقد مؤتمر إسلامي لدراسة السبل الكفيلة لإرساء دعائم الألفة والمودة والتقارب بين الفريقين، وكان يرى من أكبر العوامل في التقريب أن يزور علماء الفريقين بعضهما، وأن تصدر الكتب والمؤلفات التي تدعوا إلى التقارب، وكان يرى عدم إصدار الكتب التي تثير أحد الطرفين، وقام مصطفى السباعي بزيارة أحد مراجع الشيعة الكبار، ومن يعدونه من أكبر دعاة الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب والدعوة إلى توحيد الصفة وجمع الكلمة، وهو شيخهم عبد الحسين شرف الدين الموسوي فألفاه متحمساً لهذه الفكرة وأؤمنا بها، واتفق معه على عقد مؤتمر إسلامي بين علماء السنة والشيعة لهذا الغرض، كما قام السباعي بزيارة وجوه الشيعة من سبيبين وتجار وأدباء للغرض نفسه، وخرج من هذه الاتصالات فرحاً لحصوله على تلك النتائج، وما كان يخطر ببال السباعي -رحمه الله- أو يدور بخلده ما تتطوّي عليه نفوس القوم من أهداف، وما يرمون إليه من وراء دعوة التقريب من خطط، حتى فوجيء السباعي -كما يقول- بعد فترة بأن هذا الموسوي المتحمس للتقريب قام بإصدار كتاب في أبي هريرة رضي الله عنه- مليء بالسباب والشتائم، بل انتهى فيه إلى القول بأن هريرة رضي الله عنه- كان منافقاً كافراً، وأن الرسول قد أخبر عنه بأنه من أهل النار⁽⁴⁾. ثم يقوّل السباعي: لقد عجبت من موقف عبد الحسين في كلامه وفي كتابه معاً، ذلك الموقف الذي لا يدل على رغبة صادقة في التقارب ونسيان الماضي⁽⁵⁾، وذكر السباعي أن غاية ما قدم شيوخ الشيعة تجاه فكرة التقريب هي جملة من المjalمة في الندوات والمجالس، مع استمرار كثير منهم في سب الصحابة وإساءة الظن بهم، واعتقاد كل ما يروي في كتاب أسلافهم من تلك الروايات والأخبار⁽⁶⁾، ويدرك أنهم وهم ينادون بالتقريب لا يوجد لروح التقريب أثر لدى علماء الشيعة في العراق وإيران، فلا يزال القوم مصرin على ما في كتبهم من ذلك الطعن الجارح والتوصير المكذوب لما كان بين الصحابة من خلاف، لأن المقصود من دعوة التقريب هي تقريب أهل السنة إلى مذهب الشيعة⁽⁷⁾، ويدرك السباعي أن كل بحث علمي في تاريخ السنة أو المذاهب الإسلامية لا يتفق مع وجهة نظر الشيعة يقيم بعض علمائهم النكير على من يبحث في ذلك، ويستترون وراء التقريب ويتهمون صاحب هذا البحث بأنه مت指控 بمعرفة لجهود المصلحين في التقريب، ولكن كتاب عبد الحسين شرف الدين في الطعن في أكبر صحابي موثوق في روایته للأحادي ث في نظر أهل السنة لا يراه أولئك العائدون أو الغاضبون عملاً معرقاً لجهود الساعدين

(1) منهاج السنة /3/ 243.

(2) المصدر السابق /3/ 245.

(3) مسألة التقريب /2/ 280.

(4) السنة ومكانتها، ص 9.

(5) السنة ومكانتها، ص 10.

(6) المصدر السابق، ص 9-10.

(7) المصدر السابق، ص 9-10.

إلى التقرير، ويقول: لست أحضر المثال بكتاب: «أبي هريرة» المذكور، فهناك كتب تطبع في العراق وفي إيران وفيها من التشريع على جمهور الصحابة ما لا يتحمل سماعه إنسان ذو وجادن وضمير، مما يؤجج نيران التفرقة من جديد⁽¹⁾، هذه تجربة الشيخ السباعي رحمة الله ومحاولته أفلست أمم تعصب شيوخ الشيعة وإصرارهم في عدوائهم على خير جيل وجد في خير القرون⁽²⁾.

لقد أصبح التقرير في مفهوم الشيعة الراضة، أن يتاح لهم المجال لنشر عقائدهم في ديار السنة، وأن يستمرروا في نيلهم من أصحاب رسول الله ﷺ، وأن يسكت أهل السنة عن بيان الحق، وإن سمع الروافض الحق يعلوا هاجوا وماجاوا قائلين إن الوحدة في خط ر⁽³⁾.

بـ- تجربة الشيخ موسى حار الله: هذا الشيخ الحليل من علماء روسيا فهو موسى بن جار الله التركستاني القازاني الروسي، شيخ مشايخ روسيا في نهاية العصر الفي negeri وبداية الحكم السوفياتي، كان صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في أمور مسلمي روسيا الذي ن كانوا يزيدون عن الثلاثين مليون نسمة، ثم هب عليه إعصار الشيوعية فأصبح بعيداً عن دياره وأهله، قام بتأليف رسائل وكتب، تنقل بين الهند والهجاز ومصر والعراق، قال عن نفسه: كان يوسعني أن أعد كتاب روسيا الأول وأحد زعماء الطليعة فيها لو أتنى ذخلت عن إيماني، ولكنني أثرت أن أشتري الآخرة بالدنيا⁽⁴⁾.

حاول هذا العالم الجليل أن يجمع شمل الأمة، وأن يوحد أهل السنة والشيعة وبذل جهوداً في هذا الجانب عظيمة، فبدأ بدراسة كتب الشيعة وطالعها باهتمام كما يذكر أنه طالع (أصول الكافي وفروعه) و(من لا يحضره الفقيه)، وكتاب (الوافي) و(مراة العقول) و(بحار الأنوار) و(غاية المرام) وكتبًا كثيرة وغير هذه الكتب⁽⁵⁾، ثم زار ديار الشيعة وعاش فيها أكثر من سبعة أشهر يزور معايدتها ومشاهدتها ومدارسها ويحضر محافلها وحفظ لاتها في العزائم والمأتم، ويحضر حلقات الدروس في البيوت والمساجد وصونها، والمدارس وحجراتها، وأقام بالنجف أيام المحرم ورأى كل ما تأتي به الشيعة أيام العزاء ويومن عاشوراء، وخرج هذه العالم بنتيجة علمية، فرأى ببصيرته الأنافية وعلمه الغزير أن نقد عقائد الشيعة وواقعها هو أول مرحلة من تأليف قلوب الأمة، لا تأليف بدونها، وكان أو لمساعيه في التقرير لفاؤه مع شيخ الشيعة محسن الأمين في طهران، وجرى بينهما بعد ض الحديث تم قدم له الشيخ موسى ورقة صغيرة كان تاريخ الرسالة 26/8/1934 وأرسل منها نسخة إلى علماء النجف، وأخرى إلى علماء الكاظمية، فكتب فيها: أقدم هذه المسائل لأساتذة النجف الأشرف بيد الاحترام بأجمل الاستقادة بقلب سليم صادق، كله رغبة في تأليف عالمي الإسلام الشيعة الإمامية الطائفية المحققة يعني على زعمهم⁽⁶⁾، وعامة أهل السنة والجماعة راحيا إجابة الأساتذة جميعاً أو فرادى، وكل ببيانه البليغ، وبتوقيع يده مؤكداً بخاتمه ومهره، ثم أورد في الرسالة ما في كتب الشيعة من أمور منكرة مشيراً إلى أرقام الصفحات في كل ما يذكره، فذكر عدة قضايا خطيرة في كتب الشيعة الراضة تحول بين الأمة والانشقاق مثل:

نكير الصحابة.

(1) المصدر السابق ص 10

(2) مسألة التقرير (2/198)

(3) مسألة التقرير (2/198)

(4) المصدر نفسه (2/201)

(5) الوشيعة، ص 19 مسألة التقرير (2/199)

(6) مسألة التقرير (2/205)

- اللعنات على العصر الأول.
- تحريف القرآن الكريم.
- حكومات الدول الإسلامية وقضاتها وكل علمائها طواغيت في كتب الشيعة.
- كل الفرق الإسلامية كافرة ملعونة خالدة في النار إلا الشيعة.
- الجهاد في كتب الشيعة مع غير الإمام المفترض طاعته حرام مثل حرمة الميّة وحرمة الخنزير، ولا شهيد إلا للشيعة، والشيعي شهيد ولو مات على فراشه، والذين يقاتلون في سبيل الله من غير الشيعة فاللويل يتغطّلُون.
- ثم قال الشيخ بعد ما نقل شواهد هذه المسألة من كتب الشيعة المعتمدة مخاطباً شيوخ الشيعة: هذه ست من المسائل، عقديّة الشيعة فيها يقين فهل يبقى لتوحيد كلمة المسلمين في عالم الإسلام من أمل وهذه عقديّة الشيعة؟
- وهل يبقى بعد هذه المسائل، وبعد هذه العقيدة لكلمة التوحيد في قلوب أهلها من أثر؟
- وهل يمكن أن يكون للأمم الإسلامية ولهم هذه العقيدة - في سبيل غلبة الإسلام في مستقبل الأيام من سعي؟ ثم أردف ذلك بمسائل منكرة أخرى مثل:
- رد الشيعة لأحاديث الأمة ودعواهم أن كل ما خالف الأمة فيه الرشد، ويرى أن هذا المبدأ هدم الدين الشيعة قبل أن يهدم دين الإسلام.
- وما في كتب الشيعة من أبواب في آيات وسور نزلت في الأئمة والشيعة، وفي آيات وسور نزلت في كفر أبي بكر وعمر وكفر من اتبعهما.
- وغلو الشيعة في التقى.
- ثم ذكر أباطيل أخرى شنيعة في كتب الشيعة مثل:
- أن رسول الله × طلق عائشة فخرجت من كونها أم المؤمنين.
- أن القائم عندما يقيم الحد على عائشة انتقاماً لأمهه ابنة النبي × فاطمة عليها وعلى أبيها وأولاده الصلاة والسلام.
- أن القائم إذا ظهر يهدم مساجد الإسلام.
- ثم ذكر أن دين الشيعة روحه العداء، وأن ما في كتب الشيعة من حكايات العداء بين الصديق والفاروق، وبين أن كلها موضوعة.
- وذكر أن كتب الشيعة تقول على لسان بعض الأئمة: إن الأمة وإن كان لها أمانه وصدق ووفاء، لا تكون مؤمنة لإنكارها الولاية.
- وأن الشيعة وإن لم يكن عندها شيء من الدين لا عتب لها لأنها تدين بولاية إمام عدل، وذكر مسائل أخرى ثم قال: ففضلوا أيها الأساتذة السادة بالإفادة حتى يتحد الإسلام وتتجتمع كلمة المسلمين حول كتاب الله المبين، فماذا كان جواب الشيعة بهذه المسائل التي نقلتها من أمهات كتب الشيعة عرضاً على سبيل الاستعراض، عملاً بأمر الله في كتابه: + فَاسْأَلُوا أَهْلَ الْذِكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" [النحل: 43/ الأنبياء: 70]، يقول: ثم انتهت سنة وزيادة، ولم أسمع جواباً من أحد إلا من كبير مجتهدي الشيعة بالبصرة، قد قام بوظيفته وتفضل على بكل أجوبته في كتاب تزيد صفحاته على تسعين، بكلمات في الط

عن في العصر الأول أشد وأجرح من كلمات كتب الشيعة، ثم كتب الشيخ موسى كتابه (١) لوشيعة في نقد عقائد الشيعة، بعد أن لم ير استجابة من شيوخ الشيعة، ويقول إنني أدفع بذلك عن شرف الأمة وحرمة الدين، وأقضى به حقوق العصر الأول على وعلى كل الأمة (٢).

وإذا كان الشيخ موسى جار الله يرى في نشره كتاب (الوشيعة) وفي نصحه لشيوخ الشيعة أن ذلك أول تدبير في التأليف والتقريب فإن شيخ الشيعة ترى أن ما كشفه الشيخ موسى يجب أن يكون دفينا ويستقرهم مثل هذا الكشف غاية الاستفزاز، والسبب في انزعاج شيوخ الشيعة من أي كشف لما في كتبهم من أباطيل أن في ذلك فضحا لأغراضهم وماربهم، وكشفوا لاستغلالهم لجمهور البسطاء من الشيعة، دينيا باسم النيابة عن المعصوم المنتظر، وماليًا باسم خمس هذا المنتظر (٣).

4-المنهج السليم للتقريب: هو أن يقوم علماء السنة بجهد كبير لنشر اعقادهم الصحيح المنبني من كتاب الله وسنة رسوله ×، وبيان صحته وتميزه عن مذاهب أهل البدع، وكشف مؤامرات الشيعة الراضة وأكاذيبهم وما يستدلون به من كتاب أهل السنة والرد على الشبهات الموجهة لأهل السنة بعلم وعدل وبرهان، ولابد من مصاحبة ذلك كله ببيان لانحرافات الشيعة الراضة، وكشف ضلالاتهم وأصولهم الفاسدة، وإذا كان أئمة السنة قد شاركوا في ذلك فإنه يجب مضاعفة الجهد وأن يكون جهدا جماعيا مخططا له.

إن المنهج الأصيل للتقريب هو بيان الحق وكشف الباطل وتقرير الشيعة إلى كتاب الله وسنة رسول الله ×، وفهم الإسلام الصحيح، من خلال علماء أهل السنة وعلى رأسهم فقهاء وعلماء أهل البيت كأمير المؤمنين علي وأبنائه وأحفاده من العلماء، ولابد من الوقوف في وجه المدعى التبشيري الراضي، الذي يشنن لأهل البيت الأطهار، والذي ينشط اليوم بشكل قوي في العالم الإسلامي، وفي أوروبا وأمريكا، وحتى يجتمع المسلمين على كلمة سواء، ويعتصموا بحبل الله جمیعا ولا يتفرقوا.

وإذا كان لا يجدي مع بعض علماء الشيعة الراضة الاحتجاج عليهم بالقرآن والسنة والإجماع، وبيان الحق بهذه الأصول لمخالفتهم لأهل السنة في ذلك، فلا يعني ذلك أن تنتقد عن بيان مذهب أهل السنة وصحته، وبطلان مذهب الشيعة وضلاله في تلك الأصول، فذلك سيحد من انتشار عقيدة الروافض بين أهل السنة بإذن الله تعالى.-

وعلينا أن نبحث عما يكشف باطلهم من كتبهم نفسمها، وهذا المنهج لم يسلكه علماؤنا المتقدمون الذين اهتموا بالرد على الروافض، وتفيد حجمهم ودحض دعواهم، ولعل السبب في ذلك أن كتب القوم لم يكن لها ذلك الذيع والانتشار، وكانت موضع التداول الخاصة بهم، أو أن السبب أن هناك بعض كتبهم الأساسية قد وضعت من المتأخرین ونسبت للمتقدمين، أو زيد عليها في العصور المتأخرة (الدول الصفرية) أيًا كان السبب هذا أو ذاك أو جميعاً فإن كتب الروافض اليوم قد انتشرت ودان بقدسيتها وآمن بصحتها الكثير من الشيعة الروافض، فهم لا يؤمنون إلا بما جاء فيها ولا يحتاجون إلا إليها، ويردون بها السنة الصحيحة بل نصوص الكتاب الظاهرية بل منهم من يصدق أساطيرها التي تمس كتاب الله العظيم وتزعزع الوحي للأئمة وعلم الغيب، فيُكِن تصحيح وضع الشيعة من كتبهم، وكشف ضلالهم من ورائهم، ومنطلق التقريب الصحيح من مدوناتهم (٣).

وقد قامت جهود مشكورة في هذا المجال وظهرت بعض الكتب، مثل (الإمامية والذ

(1) الوضيعة ص 39، مسألة التقريب (2/208).

(2) مسألة التقريب (2).

(3) مسألة التقريب (2/282-283).

ص) فيصل نور، (ثم أبصرت الحقيقة)، محمد بن علي القفاري، و(دراسة عن الفرق وتراث المسلمين)، للدكتور أحمد جلي، إن هذا المسلك يتبعه أن يدرس بعناية واهتمامًا، فإن القاريء لكتب الشيعة يتلمس خيوطاً بيضاء وسط ركام هائل من الضلال، ومن الممكن أن ينسج من هذه الخيوط العقيدة الحقة للأئمة الموافقة لكتاب والسنة الصحيحة، من الأضياع والتيه الذي يعيشونه، وهذه الخيوط كما تشمل الأصول تشمل الفروع وعلى ذلك يمكن اللقاء والتقارب⁽¹⁾، كما ينبغي التوبيه وتشجيع الأصوات الإصلاحية الشيعية الصادقة واحترامهم وتقديرهم، والوقوف معهم في نصيحة أقوامهم، كالذي قام به السيد حسين الموسوي رحمة الله في كتابه (الله ثم التاريخ، كشف الأسرار في تبرئة الأئمة الأطهار)، وكالجهد العلمي الذي قام به السيد أحمد الكاتب مشكوراً في كتاب (تطور الفكر السياسي الشيعي من السورى إلى ولادة الفقيه)، علينا أن نقف مع كل محب صادق لأهل البيت متفقين لأنصارهم الصحيحه وهديهم الجميل في إرشاد الناس لكتاب الله وسنة نبيه عليه أفرض الصلاة والسلام، ونعاملهم بكل احترام وتقدير، ونأخذ بأيديهم نحو شواطئ الأمان، ونبين القرآن الكريم طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف، ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات⁽²⁾، وأن كل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم × وكل ما جاء عن السلف رضي الله عنهم موافقاً لكتاب والسنة قبلناه، وإن فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع، ولكن لا نعرض للأشخاص فيما اختفوا فيه بطبعهن أو تجريح ونكلهم إلى نياتهم وقد أفضوا إلى ما قدمو⁽³⁾، وكل بدعة في دين الله لا أصل لها استحسنها الناس بأهوائهم سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه ضالةً تجب محاربتها⁽⁴⁾، والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي على ما هو شر منها، ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قرية إلى الله تعالى، والأولياء هم المذكورون في قوله تعالى: +الذين امْدُوا وَكَادُوا يَتَّذَوَّنْ+ [يونس: 63]، والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية مع اعتقاد أنهم رضوان الله عليهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً في حياتهم أو بعد مماتهم فضلاً عن أن يهبو شيئاً من ذلك لغيرهم⁽⁵⁾، وزيارة القبور رأياً كانت سنة مشروعة بالكيفية المأثوره ولكن الاستعانت بالمقبورين وطلب الحاجات منهم عن قرب أو بعد والنذر لهم وتشييد القبور وسترهما والتمسح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها، لا تتأول لهده الأعمال سداً للذرية⁽⁶⁾، والعرف الخاطيء لا يغير من حقيقة الألفاظ الشرعية، بل يجب التأكد من حدود المحراني المقصود بها والوقوف عندها كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظي من كل نواحي الدنيا والدين، فالعبرة بالسميات لا بالأسماء⁽⁷⁾، والإسلام يحرر العقل، ويبحث على النظائر في الكون ويرفع قدر العلم والعلماء ويرحب بالصالح والنافع من كل شيء، والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها⁽⁸⁾، ولا نكفر مسلماً أقر بالشهادتين، وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض، برأي أو معصية إلا إن أقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلوماً ممن الدين بالضرورة أو كتب صريح القرآن أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملاً لا يتحمل تأويلاً غير الكفر⁽⁹⁾.

إنه مثل هذه الأصول والمفاهيم تعين الناس عموماً في فهم الإسلام المتمثل في كتاب

(1) المصدر نفسه (2/296).

(2) النهج المبين لشرح الأصول العشرين د. عبد الله الوشلي، ص 126.

(3) المصدر نفسه، ص 157.

(4) المصدر نفسه ص 234.

(5) المصدر نفسه، ص 259.

(6) المصدر نفسه، ص 279.

(7) المصدر نفسه، ص 305.

(8) المصدر نفسه، ص 323.

(9) المصدر نفسه، ص 343.

الله وسنة رسوله × ومنهج أهل السنة والجماعة، الذي أصل لأصوله رسول الله × والخ زاء الراشدون المهديون، ومن سار على نهجهم من العلماء والفقهاء.

إن أهل الحق المتمسكون بنهج أهل السنة، ليس عندهم بدع بحمد الله، ومستدتهم القر آن والسنة الصحيحة، ولا يمكنهم التنازل عن شيء من ذلك مما قد يجعل الدين عرضة لمساومة، وأما الشيعة الرافضة فعندهم من البدع الشيء الكثير لا يمنعهم شيء من التنازل عنها إلا التعصب واتباع الهوى والمصالح المادية لبعض شيوخهم المنحرفين عن هد ي أمير المؤمنين على وعلماء أهل البيت رضي الله عنهم جميعاً، وذكر العلماء أن أهل ا لسنة على إيمانهم إنكار بدع المبتدةعة، وإن كان المبتدع متبعاً بها معتقداً صوابها، ولا بأس أن ذ قيد إنكارنا على هذه البدع بالقيد المصلحي وفق قاعدة الترجيح بين المفاسد والمصالح ال متعارضة بأن نتحمل المفسدة اليتيرية من أجل درء المفسدة الكبيرة، ونتحمّل تقويت المع روف الأصغر حرصاً على جلب الأكبر، وهذه قاعدة صحيحة عند الفقهاء، والعمل بهذه القاعدة قد يجعلنا نسكّ عن إنكار بدعة الشيعة الرافضة في وقت من الأوقات أو في مك ان من الأمكنة سداً للذرية وخرجاً عن أصل الإنكار إذا كان الإنكار يؤدي إلى هياج ال فتن وإراقة الدماء والاقتتال بين أهل بلد يتكافأ فيه عدد الشيعة مع عدد السنة، وأما في ا لأحوال الاعتيادية التي لا تكون هناك مفسدة تصاحب هذا الإنكار يكون مستساغاً أو وج با (١).

وعلى علماء أهل السنة أن يتلزموا أسلوب البحث العلمي الهادئ في مناقشة بدع الم بتدعة، وأن يتزلفوا معهم، وقد يكون من تمام الترافق زيارتهم وتعاونتهم في الحدود التي لا خلاف فيها أو نجدتهم في الملمات وأيام المصاعب أو نصرتهم إذا كانوا في نزاع مع كافر أو ظالم، وفق السياسة الشرعية الخاصة للمصالح والمفاسد، إلا أن الأصل في الذ عاون وحسن العلاقة وهدوء البحث لا يمكن أن يطرد دائماً، ليشمل من يأتي من الشيعة ا لرافضة بغضون ذلك في السكوت عنه تحرك الغوغاء والدهماء، بل الواجب أن نذكر ع لى أهل الغلو الشديد والأقوال الشاذة في كل الأحوال، والحد المميز بين الطائفتين الأولى التي تترافق معها في الكلام، والثانية التي تغفل لها الكلام إنما يكون كاماً في مدى اعتماد القائل على نص شرعاً يتكون منه شبهة له أو على تأويل قد تميل إليه بعض الأذهان، وأما من يتبع غرائب النقول عن المجاهيل والمتاخرين ومن لا تأويل له فالإنكار من تج اهه أولى - وربما كان الإغلاظ له أوج (٢).

إن أهل الحل والعقد من أهل السنة في المجتمعات الطائفية هم الذين يقدرون المواق ف السياسية، والتحالفات الحزبية مع الطوائف الأخرى وفق فقه المصالح والمفاسد الذي تضيّكه قواعد السياسة الشرعية، وهذا لا يمنع العلماء والداعية من تعليم المسلمين أصول منهج أهل السنة وتربيتهم عليه، والتحذير من العقائد المنحرفة المندسة في أوساط المسلم ين، حتى لا يتأنروا بذلك الأفكار الفاسدة التي يجتهد دعاتها في نشرها بالليل والنهار، والـ سر والإعلان بدون ملل ولا كمل، وقد قام رسول الله × بإياب هجرته للمدينة بعقد المعاهدة مع اليهود، التي تؤمن لهم حياة كريمة في ظل الدولة الإسلامية، وكان القرآن الكريم في نفس الوقت يتحدث عن عقائد اليهود وتاريخهم وأخلاقهم، حتى يعرف المسلمون الحق يقة الشخصية لليهودية، فلا يخدعوا بها.

(١) مسألة التقريب (٣٦٠/٢).
(٢) المصدر نفسه (٣٦١/٢).

المبحث الثالث

الأيام الأخيرة من حياة أمير المؤمنين على بن أبي طالب واستشهاده رضي الله عنه

أولاً: في أعقاب النهروان:

كان قتال أمير المؤمنين رضي الله عنه - لهذه الفرقة الخارجة المارة دليلاً قوياً وحجية ظاهرة في أنه مصيب في قتاله لأهل الشام، وأنه أولى بالحق من معاوية، فقد جاء عن رسول الله ص أنه قال: «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين ن بالحق⁽¹⁾»، فالقارئ يتوقع أن الجيش سيكون أشد عزيمة في قتال أهل الشام لما تيقن لديهم هذه البراهين وغيرها مما سبق، كمقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه، إلا أنه بالرغم من ذلك فالذى حدث عكس ما هو متوقع منهم، فالخطبة التي رسمها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه - هي الذهاب إلى الشام بعد الانتهاء من قتال الخوارج، لأن إدخال الشام تحت خلافته وإعادة وحدة الأمة هدف يجب تحقيقه وغاية يسعى إلى الوصول إليها، وما حربه للخوارج إلا تأمين لجبهة الداخلية خشية أن يقعوا بمن في العراق من الذرا ربي أثناء غيابه كما ذكر ذلك في خطبته - ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، إذا لم يستطع رضي الله عنه - غزو الشام حتى استشهد⁽²⁾، فقد كان لخروج الخوارج أثر في إضعاف جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه -، كما أن الحروب في الجمل وصفة بين والنهروان، تسببت في ملل أهل العراق للحرب ونفورهم منها، وخاصة أهل الشام في صفين، فإن حربهم ليس كحرب غيرهم، فمعركة صفين الطاحنة لم تفارق مخيلتهم، فكم يتمت أطفال ورملت نساء، بدون أن يتحقق مقصودهم، ولو لا الصلح أو التحكيم الذي رحب به أمير المؤمنين علي وكثير من أصحابه لكان مصيبة على العالم الإسلامي لا يتخيل أثارها السيئة، فكان هذا التخاذل عن المسير مع علي رضي الله عنه - إلى الشام مرة أخرى أحب إليهم وتميل إليه نفوسهم، وإن كانوا يعلمون أن علياً على حق⁽³⁾، ومن المعضلات التي أ وهنت جانب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه - خروج فرقه تغالي في تعظيم أمير المؤمنين علي وترفعه إلى مقام الالوهية، حتى بدا للبعض أن هذا رد فعل للخوارج الذين يتبرعون من علي وبکفرونـه⁽⁴⁾، ولكن هؤلاء كان مقصدهم سيناً وهو إدلال معقدات فاسدة على المسلمين لهم الدين وإضعاف المسلمين عامـة، وليس جيشـه على فقط⁽⁵⁾، ولقد تصدى لهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه - كما بینـا، ولاشكـ أن مباينةـ الخوارج وقتلـهم أضعفـ جانبـ عليـ كثيرـاً، تمـ تتابـعتـ الفتوـقـ علىـ عليـ منـ بـعـدـ، فـ خـرـجـ الخـرـيـتـ بنـ رـاشـدـ، وـقـيـلـ اسمـهـ الـحـارـثـ بنـ رـاشـدـ فيـ قـوـمـهـ منـ بـنـيـ نـاجـيـةـ، وـكـانـ منـ وـلـاةـ عـلـىـ الـأـهـواـزـ، فـدـعـاـ إـلـىـ خـلـعـ عـلـىـ، فـأـجـابـهـ خـلـقـ كـثـيرـ وـاحـتوـىـ عـلـىـ الـبـلـادـ وـجـبـ الـأـمـوـالـ، فـبـعـثـ إـلـيـهـ جـيـشـاـ بـقـيـادـةـ مـعـقـلـ بنـ قـيسـ الـرـيـاحـيـ فـهـزـهـ وـقـتـلـهـ⁽⁶⁾، وـطـمـعـ أـهـلـ الـخـرـاجـ فيـ نـاجـيـةـ عـلـىـ كـسـرـ الـخـرـاجـ، وـانـقـضـ أـهـلـ الـأـهـواـزـ، وـلـابـدـ أـنـ عـلـيـ وـاجـهـ منـ جـلـ ذـكـ بـعـضـ الصـعـوبـاتـ الـمـالـيـةـ وـالـعـسـكـرـيـةـ، وـقـدـ روـيـ عـنـ الشـعـبـيـ فـيـ هـذـاـ الـخـصـوصـ قـوـلـهـ: لـمـ قـتـلـ عـلـىـ أـهـلـ الـنـهـرـوـانـ، خـالـفـهـ قـومـ كـثـيرـ، وـانـقـضـتـ عـلـيـ أـطـرـافـهـ، وـخـالـفـهـ بـنـوـ نـاجـيـةـ، وـقـدـمـ اـبـنـ الـحـضـرـيـ الـبـصـرـيـ وـانـقـضـ أـهـلـ الـأـهـواـزـ، وـطـمـعـ أـهـلـ الـخـرـاجـ فـيـ كـسـرـهـ

(1) مسلم (2/ 745، 746).

(2) خلافة علي بن أبي طالب، ص (345).

(3) خلافة علي بن أبي طالب، ص (345).

(4) نظام الخلافة في الفكر الإسلامي، ص (15، 16)، مصطفى حلمي.

(5) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد على، ص (350).

(6) تاريخ الطبرى (6/ 27 - 47).

وأخرجو سهل بن حنيف عامل علي بن أبي طالب من فارس⁽¹⁾.

وفي الجانب الآخر كان معاوية رضي الله عنه - يعمل بشتى الوسائل سراً وعلانية على إضعاف جانب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، واستغل ما أصاب جيشه من تفكك وخلاف، فأرسل جيشاً إلى مصر بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه - سيطر عليها وضمها إليه، وقد ساعده على ذلك عدة عوامل منها:

- انشغال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بالخارج.

عامل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على مصر محمد بن أبي بكر لم يكن على قدر من الدهاء كسلفة قيس بن سعد بن عبادة الساعدي الأنصاري، فدخل في حرب مع المطالبين بدم عثمان، ولم يسايهم كما كان يصنع الوالى السابق فهزمه.

- اتفاق معاوية مع المطالبين بدم عثمان في مصر في الرأي ساعد في انتصاره عليها⁽²⁾.

بعد مصر عن مركز أمير المؤمنين علي رضي الله عنه - وقربها من الشام.

- طبعتها الجغرافية فيه متصلة بأرض الشام عن طريق سيناء وتمثل امتداداً طبيعياً، وقد أضافت مصر لمعاوية رضي الله عنه -، قوة بشرية واقتصادية كبيرة، وكذلك أرسل معاوية بعوته إلى الجزيرة العربية، ومكة والمدينة وإلى اليمن، ولكن لم تثبت هذه البعثة أن ردت على أعقابها عندما أرسل أمير المؤمنين علي من يصدّها⁽³⁾، وعمل معاوية رضي الله عنه - على استئصال كبار أعيان القبائل وعمال علي رضي الله عنه -، فقد حاول سحب قيس بن سعد رضي الله عنه -، عامل علي على مصر إليه فلم يستطع، ولكنه استطاع أن يثير شغب حاشية علي ومستشاريه فيه فزع له⁽⁴⁾، وكان عزل سعد بن قيس مكمباً كبيراً لمعاوية، كما حاول سحب زياد بن أبيه عامل علي رضي الله عنه - على فارس ففشل في ذلك⁽⁵⁾، وقد استطاع معاوية رضي الله عنه - أن يؤثر على بعض الأعيان والولاة بسبب ما يمنيهم ويعدهم به، ولما يرون من على أمر معاوية، وتفرق أمر علي رضي الله عنه - إذ يقول في إحدى خطبه: إلا أن بسراً قد اطلع من قبل معاوية، ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون عليكم باجتماعهم على باطلهم وتقرّقهم عن حكم، وبطاعتهم أميرهم ومعصيتكم أميركم، وبأدائهم الأمانة وبخيانكم، استعملت فلاناً فغل وغدر وحمل الماء إلى معاوية، واستعملت فلاناً آخر فخان وغدر وحمل المال إلى معاوية، حتى لو اثتمت أحدّهم على قدر خشيت على علاقته، اللهم إني أبغضتهم وأبغضوني فأرحهم مني وأرّحني منهم⁽⁶⁾.

ثانياً: استهانه بـأمير المؤمنين على همة جيشه ثم الهدنة مع معاوية:

لم يستسلم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه - لهذه المصائب، وهذا التفاسع والتخاذل، فقد بذل جهده في انتهاء همة جيشه بكل ما أوتي من علم وحجة وفصاحة وبيان،

(1) المصدر نفسه (53).

(2) مصنف عبد الرزاق، الطبقات لأبي سعد (3/83) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي ص(351) سنه صحيح.

(3) تاريخ خليفة، ص (198) بدون سند.

(4) ولادة مصر، ص (45، 46).

(5) الاستيعاب (2/525 - 526).

(6) التاريخ الصغير للبخاري (11/125) بسند منقطع ولله شواهد.

خطبه الحماسية المشهورة -التي اشتهرت عنه، تعتبر من عيون التراث- لم يقلها من فراغ أو خيال، بل من مر تجراه وواقع أليم عاصره، فمن خطبه التي قالها لما أغير على أطراfe قال: أما بعد، فإن jihad باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباب النقوى ودرع الله الحصينة وجُنته⁽¹⁾ الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الـ ذل وشمله البلاء، وديث بالصغار والقماءة⁽²⁾، وضرب على قلبه بالأسداد⁽³⁾، وأديل⁽⁴⁾ ، الحق منه بتضييع jihad، وسيم الخس⁽⁵⁾، ومنع الذَّاصف⁽⁶⁾ . ألا وإنني قد دعوكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً، وقلت لكم إنما اغزوهم قيل أن يغزوكم، فوالله ما غزى قوم في عقر دارهم⁽⁷⁾ إلا ذلوا، فتوكلتم وتخاذلتم، حتى شنت عليك الغارات، وملكتم عليكم الأوطان، وهذا أخوه عاصم قد وردت خيله الأنبار⁽⁸⁾، وقد قتل حسان البكري، وأزال خيلكم من مسالحها⁽⁹⁾، ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة وألآخرى المعاهدة⁽¹⁰⁾، فينترع حجلها وقليلها وقليلها وقليلها ورغاثها⁽¹¹⁾، ما تمنع منه إلا بالاسترجاع⁽¹²⁾، والاسترحام، ثم انصرفوا وافرین⁽¹³⁾، مانال رجل منهم كلام ولا أريق له دم، فلو أن امرأً مسلماً مات من بعد هذا أسفما كان به ملوماً بل كان عندي جديراً، فيما عجب والله يرمي القلب ويجلب لهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطفهم وتفرقهم عن حقهم، ففجحا لكم وترحا⁽¹⁴⁾، حيث صرتم غرضاً يرمي، يغار عليكم ولا تغيرون، وتدُّغرون ن ولا تَغزوون، ويعصى الله وترضون فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر فقلتم: هذه حمارية القطيظ⁽¹⁵⁾، أمهلنا يسبح عنا الحر، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم: هذه صبرة القر⁽¹⁶⁾، أمهلنا يسبح عنا البرد، كل هذا فراراً من الحر والقر، فإذا كنتم من الحر والقر تقررون، فإذا أنتم والله من السيف أفر يا أشباه الرجال ولا رجال⁽¹⁷⁾، حلوم الأطفال وعقول ربات الحال⁽¹⁸⁾، لو دبت أنتي لم أركم ولم أعرفكم، معرفة والله جرت ندماً، وأعدقت سدمما⁽¹⁹⁾، قاتلتم الله، لقد ملأتم قلبي قيحا⁽²⁰⁾، وشحنتم صدري غيظاً، وجرعتموني نخب التهام أنفاساً⁽²¹⁾، وأفسدتتم على رأيي بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش: إن أبدن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب.. الله أبوهم، وهل أحد منهم أشد لها م راساً مني⁽²²⁾، وأقدم فيها مقاماً؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وهذا أذناً قد ذرفت

(1) الجنة بالضم: الوقابة.

(2) ديث: ذلل، الصغار: الذل والصغر، القماءة: الذل والصغر.

(3) الأسداد: الحجب الذي تحجب عنه الهدي والرشاد.

(4) أديل الحق منه: تحول الأمر عنه إلى الحق فالملت به الكوارث.

(5) سيم الخسف: أصبح محل الإذلال والمهانة.

(6) منع النصف: النصف: العدل: أي حرم العدل.

(7) عقر الدار: وسطها وأصلها، توأكلتم: وكل كل منكم أمر jihad إلا الآخر.

(8) الأنبار: بلدة شرقى الفرات.

(9) مسالح: جمع مسلحة وهي التغیر.

(10) المعاهدة: الذمية وهي غير المسلمة القيمة في بلاد المسلمين.

(11) الحجل: الخلخل، القلب: السوار، الرغاث: جمع رغثة وهو القرط.

(12) الاسترجاع: تزوير الصوت بالبكاء.

(13) وافرین: تامين لم ينقض عددهم، الكلم: العرج.

(14) ترحا: هما أو حزناً أو فرحاً.

(15) القطيظ: الحر، حمار القطيظ: شدته، يسبح: يخف.

(16) صبارنة الشتاء: شدة البرد، القر: البرد.

(17) يقصد أن صفات الرجل كله انعدمت ففيهم.

(18) حلوم: عقول، ربات الحال: كنایة عن النساء.

(19) سدم: الله المشوب بالأسف والغيظ.

(20) القيح: ما في القرحة من الصديد، شحنتم صدري: ملأتكم.

(21) التغب: جمع نغبة (كجريدة): الحرارة، التهام: المهم.

(22) المراس: المعالجة: المعاواة والمزاولة والمعاناة.

على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع⁽¹⁾

إن هذه الخطبة كتلة نارية يصبها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه - قذائف ساخنة فوق رعوس أولئك القوم، الذين حرموه من قطف ثمار جهاده، وتحقيق النصر الذي كان يسعى له، وقد صاغها بأسلوب أدبي رائع، يهز عباراتها المشاعر، ويحرك بالفاظها ما كامن النفوس، بعيداً عن الغموض والإبهام، كما أنها خالية من السجع والصناعة الفظية⁽²⁾

إن الخطب التي تثبت عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه - وأعني بها التي تحدث عن خلافته تعكس صورة تاريخية تتعدى الوصف الظاهري لتكشف عن شعور أمير المؤمنين رضي الله عنه - تجاه ما يلقاه من جيشه من تخاذل بعد معركة النهرawan، ولكن معظم الخطب التي نسبت إليه رضي الله عنه - لا تصح، فعدد من العلماء يقولون عن خطب علي رضي الله عنه - في نهج البلاغة إنها من تأليف ووضع الشريف الرضي⁽³⁾، فلابد من إعمال منهج نقيّع عند التعامل معها باعتبارها مصدرًا تاريخياً، هذا ومن ناحية أخرى أخذ على رضي الله عنه - يذكر أصحابه بفضائله ومناقبه ومنزلته الرفيعة في الإسلام، فيحدثنا عدد من شهود العيان أن علياً رضي الله عنه - ناشد الناس في الرحبة: من سمع رسول يوم غدير خم: «الستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاهم وأل من والاه وعاد من عاداه» فقام اثنا عشر رجل سوفي روایة - ستة عشر رجال فشهدوا بذلك⁽⁴⁾، وهذا يذكرنا بعثمان - رضي الله عنه - عندما كان يستشهد بالصحابية على مناقبه وفضائله عندما حصره الغوغاء، وكأنه يقول: من هذا عمله وخدمته للإسلام أهكذا يكون حزاؤه مع اختلاف المناسبات ، وبالرغم من كل هذه المحاولات والجهود المضنية لم يستطع رضي الله عنه - أن يحقق ما يريد، إذ لم يستطع أن يغزوا الشام بسبب التفكك والتتصدع الذي حدث في داخل جيشه، وتفرق كلمتهم وظهور الأهواء فاضطرر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه - في سنة أربعين للهجرة أن يوافق لمعاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنه -، على أن يكون العراق له، والشام لمعاوية، ولا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو⁽⁵⁾، قال الطبرى في تاريخه: وفي سنة 40هـ - جرت بين علي ومعاوية المهادنة بعد مكانتين جرت بينهما يطول بذكرها الكتاب على وضع الحرب بينهما، ويكون لعلي العراق ولمعاوية الشام، فلا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو⁽⁶⁾.

ثالثاً: دعاء أمير المؤمنين علي الله - عز وجل - أن يعجل له بالشهادة:

هادن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه - معاوية، ويبدو أن هذه الهدنة لم تستمر، فمعاوية أرسل بسر بن أبي أرطاة إلى الحجاز في العام الذي استشهد فيه علي رضي الله عنه -⁽⁷⁾، ولما لم يتمكن علي رضي الله عنه - من تجهيز الجيش بما يصبووا ويريد، ورأى خذلانهم كره الحياة وتنمي الموت، وكان يتوجه إلى الله بالدعاء ويطلب منه عز وجل أن يعجل منيته، فلما روى عنه أنه خطب يوماً فقال: اللهم إني قد سئلتهم وسموني، ولملئهم ولوبي، فأرحي منهم وأرحهم مني، فما يمنع أشقاكم أن يخضبها بدم، ووضع

(1) البيان والتبيين للجاحظ، ص (238، 239).

(2) الأدب الإسلامي، نافذ معروف، ص (59).

(3) ميزان الاعتدال (3/124) وله نقد جيد في هذا الموضوع، خلافة علي بن أبي طالب، ص (355).

(4) فضائل الصحابة (2/705) إسناده صحيح.

(5) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (356).

(6) تاريخ الطبرى (6-6)، (56).

(7) التاريخ الصغير للبخاري (41/1)، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (431).

ده على لحيته⁽¹⁾، وقد ألح على رضي الله عنه- في الدعاء في أيامه الأخيرة، فعن جند ب قال: ازدحموا على علي رضي الله عنه- حتى وطئوا على رجله فقال: إنني قد ملتهم وإنلوني، وأبغضتهم وأبغضونني، فارحنى منهم وأرجمهم مني⁽²⁾، وفي رواية أخرى عن أبي صالح قال: شهدت عليا وضع المصحف على رأسه حتى تقعق الورق فقال: اللهم إذ يسألهم ما فيه فمعنوني، اللهم إنني قد ملتهم وإنلوني، وأبغضتهم وأبغضونني، وحملوني على غير أخلاقي، فأبدلهم بي شرًا مني، وأبدلني بهم خيراً منهم، ومث قلوبهم ميثة الملح في الماء⁽³⁾، وفي رواية فلم يلبث إلا ثلاثة أو نحو ذلك، حتى قتل رحمه الله⁽⁴⁾.

وقال الحسن بن علي: قال لي علي رضي الله عنه-: إن رسول الله × سمح لي لليلة في منامي، فقلت: يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدد؟⁽⁵⁾، قال: ادع عليهم، قلت: اللهم أبدلني بهم من هو خيراً منهم، وأبدلهم من هو شرّ مني لهم، قال الحسن - رضي الله عنه-: فخرج فضربه الرجل⁽⁶⁾.

رابعاً: علم أمير المؤمنين بأنه سيستشهد:

تفيد بعض أحاديث النبي × التي تعد من دلائل نبوته × إخباره بأن علياً سيكون من الشهداء، فقد جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه-: أن رسول الله × كان على حراء، هو وأبو بكر وعثمان وعلى وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله ×: «إهاداً فاما عليك إلانبي أو صديق أو شهيد»⁽⁷⁾، وهناك أحاديث أخرى من هذا الحديث، تخبر أن علياً سيستشهد بأرض العراق وتبيّن كيفية اغتياله أيضاً، وهذا كله يبين صدق نبوة محمد ×، وبأنه لا ينطق عن الهوى، وإنما يخبر بما أطلعه الله عز وجل عليه عن طريق الوحي، وقد أطلع النبي × علياً على ما سيحدث له، وقد آمن على بذلك وأيقن، فكان يتحدث إلى الناس بذلك، فمما حدث من ذلك في العراق، إذ يروي عنه أبو الأسود الدؤلي، يقول أبو الأسود: سمعت علياً يقول: أتاني عبد الله بن سلام وفداً دخلت رجلي في الغرز، فقال لي: أين تزيد؟ فقلت: العراق، فقال: أما إنك إن جئتها لي صبيك بها ذباب السيف، فقال علي: وليم الله لقد سمعت رسول الله × قبله يقوله، قال أبو الأسود: فعجبت منه، وقلت: رجل محارب يحدث بمثل هذا عن نفسه⁽⁸⁾، وحدث بهذا الحديث في ينبع قبل توليه الخلافة، من عاده في مرضه، وهو أبو فضالة الأنباري البدر ي، رضي الله عنه-: إنني لست ميتاً في مرضي هذا، أو من وجيبي هذا، إنه عهد إلى الذي بي × أني لا أموت حتى تخضب هذه يعني لحيتي- من هذه - يعني هامته⁽⁹⁾، وحدث به الخوارج وحدث به أصحابه، وقد جمع البيهقي هذه الأحاديث ونحوها في كتاب (دلائل الأنبياء)⁽¹⁰⁾، وجمعها الحافظ ابن كثير في كتابه البداية والنهاية⁽¹¹⁾، وعن عبد الله بن داود قال سمعت الأعمش، عن مسلمة بن سهيل عن سالم بن أبي جعدة عن عبد الله بن سبع قال: سمعت علياً رضي الله عنه- على المنبر يقول: ما ننتظر إلا شقياً، عهد إلى رسول الله × لتخضبن هذه من دم هذا، قالوا: أخبرنا بقاتلك حتى نبier عترته، قال: أشد الله رج

(1) مصنف عبد الرزاق (10 / 154) بساند صحيح، الطبقات (3 / 4) إسناده صحيح.

(2) الأحاديث والمتانة لابن أبي عاصم (1 / 37) (3) بساند حسن، خلافة علي، ص (432).

(3) سير أعلام النبلاء (3 / 144).

(4) المحن، ص (99) لأبي العرب، خلافة علي، عبد الحميد، ص (432).

(5) الأود: العوج، اللدد: الخصومة.

(6) تاريخ الذهبي، عهد الخلفاء الرسدين، ص (649).

(7) مسلم (4 / 1880).

(8) تاريخ الذهبي، عهد الخلفاء الرسدين، ص (648).

(9) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (433) طرق الرواية صححة بمجموعها.

(10) دلائل النبوة (6 / 438-441) تحقيق عبد المعطي قلاعي.

(11) البداية والنهاية (7 / 323-325).

لَا قُتْلَ بِي غَيْرِ قاتِلٍ^(١)، وَقَدْ تَمَثَّلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بِأَبْيَاتِ شِعْرٍ فَقَالَ:
شَدَّ حِيَازَ يَمِكَ لِلْمَوْتِ
فَإِنَّ الْمَوْتَ لِاقِيكَا

اذا حل بواديکا (2)

ولا تجزع من القتل

وتدھب بعض الروايات إلى أبعد من هذا، إذ تقييد أن علياً رضي الله عنه- يعرف هـذا الشقى الذي سيقته، فيروى عبيدة السلمانى بسند صحيح إليه يقول: كان علي إذا رأى ابن ملجم قال:

أريد حياته ويرد قتلى
عذيرك من خلilik من مرادي ⁽³⁾

لقد تركت معركة النهروان في نفوس الخارج جرحاً غيراً لم تزده الأيام والليالي إلا
لا أيام وحسرة، فائق نفر منهم على أن يفكوا بعليٍّ رضي الله عنه، ويثاروا من قتـ
ل من إخوانهم في النهروان، وأجمع أهل السير والمؤرخون على ذكر روایة مشهورة
(8) لا تسلم من انتقادات لاحتواها على عناصر متضاربة وأخرى مختلفة، ولا تستبعد بدـ
ورنا أن تكون هذه الحادثة المهمة قد تعرضت مثل غيرها إلى إضافات وزيادات في الفـ
رات المتأخرة، ويبدو من خلال المصادر والدراسات أن هناك إجماعاً على أن عملية قـ
تل على تمت على أيدي عناصر خارجية انتقاماً لضحايا معركة النهروان، أما بقية المعلوـ
مات الخاصة بالعملية مثل قصة الحب بين ابن ملجم وقطام والدور المزعوم للأشعـ
ك لدى سبأته، بيان براعته باذن الله لاحقاً - وغيرها فيصعب قبولها والتصديق بها والいく تـ

(1) كتاب الشريعة للأجري (2105/4) تحقيق الدميسي، إسناده حسن.

(2) تاريخ الذهبي، عهد الخلفاء الراشدين، ص (648).

(3) طبقات ابن سعد (33، 34 / 3) إسناده صحيح.

(4) الاستيعاب (127 / 3)

نهائی دریته.

⁶ مسند احمد (325/2)، الموسوعة الحدیثیة حسن لعیره.

(٧) حسان امير المؤمنين علي بن ابي طالب، ص (١٦٣/١٦٤)، حم المحن احمد ميرين البوسعي
ر حمه الله بالاصحة.

(8) الطبقات لابن سعد (3/35) تاريخ الطبرى تاريخ (6/58 إلى 66) بسند منقطع، مروج الذهب (3)

⁽⁴²³⁾ الطبراني الكبير (1/55-85)، مجمع الزوائد (6/249)، تاريخ الإسلام والخلفاء الرشادين

⁴ للذهبى، ص (649)، وفيات الأعيان (7/218)، البداية والنهاية (7/325).

فصيل مقتله رضي الله عنه.

1-اجتماع المتأمرين: كان من حديث ابن ملجم وأصحابه أن ابن ملجم والبرك بن

عبد الله وعمرو بن بكر التيمي اجتمعوا، فتقذروا أمر الناس، وعايبوا على ولاتهم، ثم ذكروا أهل النهر، فترحوموا عليهم، وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئاً، إخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربهم، والذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم، فلو شربينا أنفسهم فاتيتنا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم فأرنا منهن البلاد، وتارنا بهم إخواننا، فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علي بن أبي طالب وكان من أهل مصر - وقال البرك بن عبد الله: وأنا أكفيكم معه، وقال عمرو بن أبي بكر: وأنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا وتوافقوا بالله لا ينفصل رجل منا عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه، فأخذوا أسيافهم، فسموها واتعدوا لسبعين عشرة تخلو من رمضان أن يثبت كل واحد منهم على صاحبه الذي توجه إليه، وأقبل كل رجل منهم إلى المصر الذي صاحبه فيه يطلب⁽¹⁾.

2- خروج ابن ملجم ولقاوه بقطام ابنة الشجنة: فأما ابن ملجم المرادي فكان عداده في كندة، فخرج فافي أصحابه بالكوفة وكانتهم أمره كراهة أن يظهروا شيئاً من أمره، فإنه رأى ذات يوم أصحاباً من تميم الرباب وكان على قتل منهم يوم النهر عشرة - فذكروا أن ثلاثة، ولقي من يومه ذلك امرأة من تميم الرباب يقال لها: قطام ابنة الشجنة - وقد قتل أبوها وأخوها يوم النهر، وكانت فائقة الحمال، فلما رأها التبت بعقله، ونسى حاجته التي جاء لها، ثم خطبها، فقالت: لا أتزوجك حتى تشفى لي، قال: وما يشفيك؟ قالت: ثلاثة إلا ف وعبد وقينة وقتل على بن أبي طالب، قال: هو مهر لك، فأما قتل على فلا أراك ذكره له لي وأنت تريدينني، قالت: بلى التمس غرتة، فإن أصبت شفتي نفسك ونفسى، ويهنىك أعيش معى، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينة أهلها، قال فوالله ما جاء بي إلى هذا المصر إلا قتل على، فلك ما سألت، قالت: إنني أطلب لك من يسند ظهرك، ويساعدك على أمرك، فبعثت إلى رجل من قومها من تميم الرباب يقال له: وردان، فكلمته فأجابها، وأتى ابن ملجم رجلاً من أشجع يقال له: شبيب بن بجرة فقال له: هل لك في شرف الدنيا والأخرة؟ قال: وما ذلك؟ قال: قتل على بن أبي طالب، قال: ثكناك أملك، لقد جئت شيئاً إد، كيف تقدر على على، قال: أكمن له في المسجد فإذا خرج لصلاة الغداة شدتنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفينا أنفسنا وأدركنا ثارنا، وإن قتلتانا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها، قال: ويحك لو كان غير على لكان أهون على، قد عرفت بلاءه في الإسلام، وسابقته مع النبي × وما أجدني أنشرح لقتله، قال: أما تعلم أنه قتل أهل النهر العباد الصالحين؟ قال: بلـ، قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا، فأجابه، فجاءوا قطاماً وهي في المسجد الأعظم معدة لقتلهـ. قد أجمع رأينا على قتل على، قالت: فإذا أردتم فألوني، ثم عاد إليها ابن ملجم في ليلة الجمعةـ. التي قتل في صبيحتها على سنة 40ـ. فقال: هذه الليلة التي وعدت فيها صاحبـي أن يقتل كل منـا صاحـبهـ، فـدعتـ لهمـ بالحرـيرـ فـعصـبـتـهمـ بهـ، وأـخذـواـ أـسيـافـهمـ وجـلسـواـ مـقـابـلـ السـدـةـ التـيـ يـخـرـجـ مـنـهـ عـلـيـ، فـلـمـ خـرـجـ ضـرـبـهـ شـبـيبـ بـالـسـيفـ، فـوـقـعـ سـيـفـهـ بـعـضـادـةـ الـبـابـ أـوـ الطـاقـ، وـضـرـبـهـ اـبـنـ مـلـجمـ فـيـ قـرـنـهـ بـالـسـيفـ وـهـرـبـ وـرـدـانـ حـتـىـ دـخـلـ مـنـ زـرـلـهـ فـدـخـلـ عـلـيـ رـجـلـ مـنـ بـنـيـ أـبـيـهـ وـهـ يـنـزـعـ الـحـرـيرـ عـنـ صـدـرـهـ، فـقـالـ: مـاـ هـذـاـ الـحـرـيرـ وـالـسـيـفـ؟ فـأـخـبـرـهـ لـمـاـ كـانـ وـاـنـصـرـفـ، فـجـاءـ بـسـيـفـهـ فـعـلـاـ بـهـ وـرـدـانـ حـتـىـ قـتـلـهـ، وـخـرـجـ شـبـيبـ نحوـ أـبـوـابـ كـنـدـةـ فـيـ الـغـلـسـ، وـصـاحـ النـاسـ، فـلـحـقـهـ رـجـلـ مـنـ حـضـرـمـوتـ يـقـالـ لـهـ عـوـيـرـ، وـفـيـ يـدـ شـبـيبـ السـيـفـ، فـأـخـذـهـ وـجـثـمـ عـلـيـ الـحـضـرـمـيـ فـلـمـ رـأـيـ النـاسـ قـدـ أـقـبـلـواـ فـيـ طـلـبـهـ، وـسـيـفـ شـبـيبـ فـيـ يـدـهـ، خـشـيـ عـلـيـ نـفـسـهـ، فـتـرـكـهـ، وـنـجاـ شـبـيبـ فـيـ غـمـارـ النـاسـ فـشـدـواـ عـلـيـ اـبـ

ن ملجم، فأخذوه، إلا أن رجلا من همدان يكى أبا أدماء أخذ سيفه فضرب به رجله، فصد رעה، وتاخر علي، ورفع في ظهره جدة بن هبيرة بن أبي وهب، فصلى بالناس الغادة ف قال علي: علي بالرجل، فادخل عليه، ثم قال: أي عدو الله، الم أحسن إليك؟، قال: بل، قال: ما حملك على هذا؟ قال: شحذته أربعين صباحا، وسألت الله أن يقتل به شر خلقه، فقل علي رضي الله عنه: لا أراك إلا مقتولا به، ولا أراك إلا من شر خلقه⁽¹⁾.

3- محمد ابن الحنفية يروى قصة مقتل أمير المؤمنين علي: قال ابن الحنفية: كنت والله إبني لأصلبي تلك الليلة التي ضرب فيها علي في المسجد الأعظم في رجال كثير من أهل مصر، يصلون قريبا من السدة، ما هم إلا قيام وركوع وسجود، وما يسامون من أو ل الليل إلى آخره، إذا خرج علي لصلاة الغادة، فجعل ينادي: أيها الناس الصلاة الصلاة، فما أدرى أخرى أخرج من السدة، فتكلم بهذه الكلمات ألم لا، فنظرت إلى بريق، وسمعت: الحكم الله يا علي لا لك ولا لأصحابك، فرأيت سيفا، ثم رأيت ثانيا، ثم سمعت عليا يقول: لا يفوته نكم الرجل، وشد الناس عليه من كل جانب، قال: فلم أبرح حتى أخذ ابن ملجم وأدخل على على، فدخلت فيمن دخل من الناس، فسمعت عليا يقول: النفس بالنفس، أنا إن مت فاقتني كما قلتني، وإن بقيت رأيت فيه رأيي⁽²⁾، وذكر أن الناس دخلوا على الحسن فزعين له ما حدث من أمر علي، فيبينما هم عنده وابن ملجم مكتوف بين يديه، إذا نادته أم كلثوم بذات علي وهي تبكي: أي عدو الله، لا بأس على أبي، والله مخزيك، قال: فعلى من تبكين؟ والله لقد اشتريته بآلف، وسمنته بآلف، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل مصر ما بقي منهم أحد⁽³⁾.

4- وصية الطبيب لعلي وميل أمير المؤمنين للشوري: عن عبد الله بن مالك، قال جمع الأطباء لعلي رضي الله عنه - يوم جرح، وكان أبصرهم بالطب أثير بن عمرو السكري، وكان صاحب كسرى يتطلب، فأخذ أثير رئة شاة حارة، فتتبع عرقا منها، فاستخر جه فأدخله في جراحة علي، ثم نفح العرق فاستخرج له فإذا عليه بياض الدماغ، وإذا الصدر ربعة قد وصلت إلى أم رأسه، فقال: يا أمير المؤمنين، اعهد عهديك فإنك ميت⁽⁴⁾، وذكر أن جندي بن عبد الله دخل على علي فسأله، فقال يا أمير المؤمنين إن فقدناك - ولا نفقدك - فنباعي الحسن؟ قال: ما أمركم ولا أنهاكم، أنت أبصر⁽⁵⁾.

5- وصية أمير المؤمنين علي لأولاده الحسن والحسين رضي الله عنهم: دعا أمير المؤمنين علي حسنا وحسينا، فقال: «أوصيكما بتنقى الله، وألا تتبعا الدنيا وإن بعثتما، ولا تبكيما على شيء زوى عنكم، وقولا الحق، وارحاما اليتيم، وأغيثا الملهوف، واصنعوا لآخرة، وكونوا للظلم خصما وللمظلوم ناصرا، واعملوا بما في الكتاب ولا تأخذكم في آخرة لومة لائم» ثم نظر إلى محمد ابن الحنفية، فقال: هل حفظت ما أوصيتك به أخيك⁽⁶⁾؟ قال: نعم، قال: فاني أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخيك، لعظم حقهما عليك، فاتبع أمرهما، ولا تقطع أمرا دونهما، ثم قال: أوصيكما به، فإنه ابن أبيكم، وقد علمتما أن أباكم ما كان يحبه، وقال للحسن: «أوصيك أيبني بتنقى الله، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلها، وحسن الوضوء، فإنه لا صلاة إلا بظهوره، ولا تقبل صلاة من مانع زكاة، وأوصيك بغفر الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عند الجهل، والتقوه في الدين».

(1) تاريخ الطبرى (62).

(2) تاريخ الطبرى (6).

(3) تاريخ الطبرى (6).

(4) الاستيعاب (3).

(5) تاريخ الطبرى (6).

(6) المصدر نفسه (6).

ن، والتثبت في الأمر، والتعهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف والنهي عن الم نكر، واجتناب الفواحش»⁽¹⁾.

فَلِمَا حَضَرَتِهِ الْوَفَاءُ أَوْصَى، فَكَانَتْ وصيَّةُهُ:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ عَلَيْ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، أَوْصَى أَنَّهُ يَشَهِدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهَدِيَّ وَدِينَ الْحَقِّ لِيُظَهِّرَ عَلَى الدِّينِ كُلَّهُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، ثُمَّ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحِيَّيِّي وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أَمْرَتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ أَوْصَيْكُمْ يَا حَسْنَ وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي بِتَقْوَى اللَّهِ رَبِّكُمْ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا، وَلَا تُفْرِقُوا، فَإِنِّي سَمِعْتُ أَبَا الْفَاسِمِ يَقُولُ: إِنَّ صَلَاحَ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَةِ الصَّلَاةِ وَالصَّدَقَاتِ، اَنْظُرُوا إِلَى ذُوِّي أَرْحَامِكُمْ فَصَلُوْهُمْ يَهُونُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَسَابُ، اللَّهُ أَللَّهُ فِي الْأَيْتَامِ، فَلَا تُذْعِنُوا أَفْوَاهِهِمْ، وَلَا يَضْبِعُنَّ بِحَضْرَتِكُمْ، وَاللَّهُ أَللَّهُ فِي جِيرَانِكُمْ فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ ×، مَا زَالَ يَوْصِي بِهِ حَتَّى ظَنَّا أَنَّهُ سَيِّرَتُهُ، وَاللَّهُ أَللَّهُ فِي الْقُرْآنِ، فَلَا يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ، وَاللَّهُ أَللَّهُ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ، وَاللَّهُ أَللَّهُ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ فَلَا تَخْلُوْهُ مَا بَقِيْتُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ تَرَكْ لَمْ يَنْظُرْ، وَاللَّهُ أَللَّهُ فِي الْجَهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ، وَاللَّهُ أَللَّهُ فِي الزَّكَاةِ، فَإِنَّهَا تَطْفِئُ غَضْبَ الرَّبِّ، وَاللَّهُ أَللَّهُ فِيمَا مَلَكَ أَيْمَانَكُمْ، الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ لَا تَخَافِنُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَّا تُنْهَى، يَكْفِيكُمْ مِنْ أَرَادَكُمْ وَبَغَى عَلَيْكُمْ، وَقُولُوا لِلنَّاسِ حَسْنَا كَمَا أَمْرَكُمُ اللَّهُ، وَلَا تَرْتَكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهِيِّ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُوْلَى الْأَمْرِ أَشْرَارَكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يَسْتَجِبُ لَكُمْ، وَعَلَيْكُمُ التَّوَاصِلُ وَالتَّبَاذِلُ، وَإِيَّاكُمُ وَالْتَّدَابِرُ وَالتَّقَاطِعُ وَالتَّنَرِقُ، وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبَرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعَدْوَانِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ، حَفَظُكُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ، وَحَفَظَ فِيهِمْ نَبِيِّكُمْ، أَسْتَوْدِعُكُمُ اللَّهَ، وَأَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ» ثُمَّ لَمْ يَنْطِقْ إِلَّا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَتَّى قَبَضَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ أَرْبَعينَ⁽²⁾، وَجَاءَ فِي رَوَايَةِ أَنَّهُ قُتِلَ فِي صَبَّيَّةِ إِحدَى وَعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ⁽³⁾، وَتَحْمِلُ هَذِهِ الرَّوَايَةُ عَلَى الْيَوْمِ الَّذِي فَارَقَ فِيهِ الدُّنْيَا، لَأَنَّهُ بَقِيَ ثَلَاثَةَ أَيَّامَ بَعْدَ ضَرْبَةِ الشَّقِّي⁽⁴⁾.

6- نهى أمير المؤمنين عن المثلثة بمقاتله: فقد قال رضي الله عنه- احبسو الرجل فإِنْ مَتْ فَاقْتُلُوهُ، وَإِنْ أَعْشَ فَالْجَرْوحَ قَصَاصَ⁽⁵⁾، وفي رواية أخرى قال: أطعموه واسقوه وأحسنوا إساره، فإن صحت فانا ولی دمي أعفو إن شئت وإن شئت استقدت⁽⁶⁾، وفي رواية أخرى زيادة، وهي قوله: إن مت فاقتلوه قلتني ولا تعذبوا إن الله لا يحب المعذبين⁽⁷⁾، وقد كان على نهى الحسن عن المثلثة، وقال: يابني عبد المطلب، لا ألفينكم تخوضو ن في دماء المسلمين، تقولون: قتل أمير المؤمنين، قتل أمير المؤمنين، ألا لا يقتلن، انظر يا حسن، إن مت من ضربته هذه فاضربه ضربة بضربي، ولا تمثل بالرجل، فإني سمعت رسول الله × يقول: «إِيَاكُمْ وَالْمُتَّلِّهُ وَلُوْ أَنْهَا بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ»⁽⁸⁾، وقد جاء في شأن وصية أمير المؤمنين بأمر قاتله روايات كثيرة تناقلت، منها الصحيح ومنها الضعيف، فالرواية التي فيها أمر علي رضي الله عنه- بإحرق الشقي بعد قتله إسنادها ضعيف، والـ

(1) تاريخ الطبرى / 6 / 63.

(2) تاريخ الطبرى / 6 / 64.

(3) التاريخ الكبير للخوارى (71 / 99) سند صحيح.

(4) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، (439).

(5) فضائل الصحابة / 2 / 560.

(6) المحن لأبي العرب، ص (4)، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، (439).

(7) الطبقات (35 / 73)، تاريخ الإسلام.

(8) تاريخ الطبرى / 6 / 64.

روایات الأخرى تسير في اتجاه واحد فكلها فيها أمر على بقتل الرجل إن مات من ضربته ونهاهم عما سوى ذلك، فهذه الروايات يغض بعضها، وتهضم للاحتجاج بها، هذا من جهة، كما أن أمير المؤمنين على لم يجعله مرتدًا، فيأمر بقتله، بل نهاهم عن ذلك لما هم بعض المسلمين بقتله وقال: لا تقتلوا الرجل، فإن برئت فالجروح قصاص، وإن مت فاقتلاوه^(١)، وتنكر الرواية التاريخية المشهورة: فلما قبض على رضي الله عنه- بعث الحسن إلى ابن ملجم، فقال للحسن: هل لك في خصلة؟ إني والله ما أعطيت الله عهدا إلا وفيت به، إني كنت قد أعطيت الله عهدا عند الحظيم أن أقتل علياً ومعاوية أو أموت دونهما، فإن شئت خليت بيني وبينه، ولك الله على إن لم أقتله - أو قتلت- ثم بقيت أن آتيك حتى أضع يدي في يدك فقال له الحسن: أما والله حتى تعاين النار ثم قدمه فقتله^(٢)، ثم أن الناس أخذوه فأحرقوه بالنار ولكن هذه الرواية منقطعة^(٣)، والصحيح من الروايات والذي يليق بالحسن والحسين وأبناء أهل البيت أنهم التزموا بوصية أمير المؤمنين على في معاملة عبد الرحمن بن ملجم، ولا تثبت الرواية التي تقول: فلما دفن أحضروا ابن ملجم، فاجتاز الناس، وجاءوا بالنقط والبواري، فقال محمد ابن الحنفية، والحسين، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب: دعونا نشق منه، فقطع عبد الله يديه ورجليه، فلم يجزع ولم يتكلم، فكمل عينيه فلم يجزع، وجعل يقول إنك لتکحل عيني عمك، وجعل يقرأ: +اقرأ باسم ربك الذي خلق^(٤) [العلق: ١]، حتى ختمها، وإن عينيه لتسيلان، ثم أمر به فعولج عن لسانه ليقطع، فجزع، فقيل له في ذلك، فقال ما ذلك بجزع ولكنني أكره أن أبقى في الدنيا فaca لا أذكر الله، فقطعوا لسانه، ثم أحرقوه وكان أسمر حسن الوجه، افلح، شعره من شحمة أذنيه، وفي جبهته أثر السجود^(٥).

وقال الذهبي عن عبد الرحمن بن ملجم: قاتل علي رضي الله عنه-، خارجي مفتر، .. شهد فتح مصر، واختلط بها مع الأشراف، وكان من قرأ القرآن والفقه، وهو أحد بذلك تدول وكان فارسهم بمصر، قرأ القرآن على معاذ بن جبل، وكان من العباد، ويقال: هو الذي أرسل صبيغاً التميمي إلى عمر، رضي الله عنه-، فسأله عمما سأله مستعجم القرآن.. إلى أن قال الذهبي ثم أدركه الكتاب، وفعل ما فعل، وهو عند الخوارج من أفضل الأمة، وفي ابن ملجم يقول عمران بن حطان الخارجي:

إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
يا ضربة من تقي ما أراد بها

أوفي البرية عند الله ميزانا

إني لأذكره حيناً فأحسبه

وابن ملجم عند الروافض أشقي الخلق في الآخرة، وهو عندنا أهل السنة من نرج له النار، ونجوز أن الله يتتجاوز عنه، لا كما يقول الخوارج والروافض فيه، وحكمه حكم قاتل عثمان وقاتل الزبير، وقاتل طلحة، وقاتل سعيد بن جبیر، وقاتل عمار وقاتل خارجة، وقاتل الحسين، وكل هؤلاء نبراً منهم ونبغضهم في الله، وكل أمورهم إلى الله عز وجل^(٥).

وأما البرك بن عبد الله فإنه في تلك الليلة التي ضُرب فيها على قعد لمعاوية، فلما خ

(١) منهاج السنة (١٥ / ٤٠٥)، منهاج ابن تيمية في مسألة التكبير، ص(٣٠٩).

(٢) تاريخ الطبرى (٦ / ٦٤).

(٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(٤٤٠).

(٤) طفقات ابن سعد (٣٩ / ٣)، الأخبار الطوال، ص(٢١٥).

(٥) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص(٦٥٤).

رج ليصلى الغداة شد عليه بسيفه، فوقع السيف في إلته، فأخذ، فقال: إن عندي خبراً أسد رك به الليلة فلأن أخبرتك فناعي ذلك عندك؟ قال: نعم، قال: إن أخاً لي قتل علياً في هذه الليلة، قال: فعله لم يقدر على ذلك، قال: بلـ، إن علياً يخرج ليس معه أحد يحرسه، فأمر به معاوية فقتل، وبعث معاوية إلى الساعدي - وكان طبيباًـ. فلما نظر إليه قال اختر إحدى خصلتين: إما أن أحمي حديدة، فأضعها موضع السيف، وإما أن أسفك شربة تقطع منها الولد، وتبرأ منها، فإن ضربتك مسمومة، فقال معاوية أما النار فلا صبر لي عليها، وأما انقطاع الولد فإن في يزيد عبد الله ما تقر به عيني، فسقاه تلك الشربة فبراً، ولم يولد له بعدها، وأمر معاوية عند ذلك بالمقصورات وحرس الليل وقيام الشرطة على رأسه إذا سجد، وأما عمرو بن يكر فجلس لعمرو بن العاص تلك الليلة، فلم يخرج، وكان أشتكى بطنه، فأمر خارجة بن حذافة، وكان صاحب شرطته، وكان من بنى عامر بن لؤي، فخرج ليصلى، فشد عليه فقتله وهو يرى أنه عمرو ضربه فقتله، فأخذه الناس فانطلقا به على عمرو يسلمون عليه بالإمرة، فقال: من هذا؟ قالوا: عمرو قال: فمن قتلت؟ قالوا: خارجة بن حذافة، قال: أما والله يا فاسق وما ظنته غيرك، فقال عمرو: أردتني وأراد الله خارجة، فقدمه عمرو فقتلته⁽¹⁾.

7- مدة خلافة أمير المؤمنين علي، وموضع قبره وسنه يوم قتل: كانت مدة خلافته على قول خليفة بن خياط، أربع سنين وستة أشهر وستة أيام، ويقال ثلاثة أيام، ويقال أربعة عشر يوماً⁽²⁾، والذي يظهر أنها أربع سنين وستة أشهر وثلاثة أيام، وذلك لأنه يوم عي بالخلافة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عام خمس وثلاثين، وكانت وفاته شهيداً في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان عام أربعين للهجرة⁽³⁾.

وقد تولى غسل أمير المؤمنين علي رضي الله عنهـ. الحسن والحسين وعبد الله بن جعفرـ، رضوان الله عليهمـ، وكفنـ في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص⁽⁴⁾، وصلى عليه الحسن ابنـ عليـ، رضي الله عنهـماـ، فكتبـ عليهـ أربعـ تكبيرـات⁽⁵⁾ـ، وفيـ روایـة دونـ إسـنـادـ كـبرـ عليهـ تـسـعـ تـكـبـيرـاتـ⁽⁶⁾ـ.

وأما موضع قبره فقد اختلف فيه وذكر ابن الجوزي عدداً من الروايات في ذلك ثم قالـ: والله أعلم أي الأقوال أصح⁽⁷⁾ـ، ومن الروايات التي جاءت في هذا الشأن ما يليـ:

أنـ الحـسنـ بنـ عـلـيـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـماـ دـفـنـ عـنـدـ مـسـجـدـ الجـمـاعـةـ فـيـ الـ رـحـبـةـ مـاـ يـلـيـ أـبـوـابـ كـنـدـةـ قـبـلـ أـنـ يـنـصـرـفـ النـاسـ مـنـ صـلـةـ الفـجرـ⁽⁸⁾ـ.

روـاـيـةـ مـثـلـهـ أـنـ دـفـنـ بـالـكـوـفـةـ عـنـدـ قـصـرـ الإـمـارـةـ عـنـدـ مـسـجـدـ الجـامـعـ لـيـلـاـ وـعـمـىـ مـوـضـعـ قـبـرـهـ⁽⁹⁾ـ.

روـاـيـةـ تـذـكـرـ أـنـ اـبـنـهـ الـحـسـنـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ نـقـلـهـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ⁽¹⁰⁾ـ.

• روـاـيـةـ تـذـكـرـ أـنـ القـبـرـ الـذـيـ بـظـاهـرـ الـكـوـفـةـ الـمـشـهـدـ الـذـيـ بـالـنـجـفـ هوـ قـبـرـ عـلـيـ رـ

(1) تاريخ الطبرى (6/65).

(2) التاریخ، ص (199).

(3) التاريخ الكبير للخاري (1/99) بسنده صحيح.

(4) المنظم (5/175)، الطبقات (3/337).

(5) الطبقات (3/338)، (3/337).

(6) المنظم (5/175).

(7) المصدر نفسه (5/178).

(8) الطبقات (3/38)، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (441).

(9) المنظم (5/177)، تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء، ص (615).

(10) تاريخ بغداد (137/1).

ضي الله عنه، وأنكر بعض أهل العلم مثل شريك بن عبد الله النخعي قاضي الكوفة (ت 178هـ) ومحمد بن سليمان الحضرمي (ت 297هـ)⁽¹⁾، وفي الحقيقة فإن ابتداع ما يسمى مشهد علي رضي الله عنه بالناجف كان أيامبني بويه في عهد الدولة العباسية وكانوا من الشيعة الروافض، وقد صنعوا الشيعة ذلك على عاداتهم في القرن الرابع، وأهل المعرفة متقوون على أنه ليس بقبر علي رضي الله عنه. بل قيل، هو قبر المغيرة بن شعبة، قال ابن تيمية: وأما المشهد الذي بالناجف، فأهل المعرفة متقوون على أنه ليس بقبر علي، بل قيل: إنه قبر المغيرة بن شعبة، ولم يكن أحد يذكر أن هذا قبر علي ولا يقصده أحد أكثر من ثلاثة سنة، مع كثرة المسلمين من أهل البيت والشيعة وغيرهم وحكمهم بالكوفة، إذ ما اتخذ ذلك مشهدا في ملكبني بويه - الأعاجم. بعد موته على بأكثر من ثلاثة سنة⁽²⁾، وقال: وأما مشهد علي فعامة العلماء على أنه ليس قبره، بل قد قيل: إنه قبر المغيرة بن شعبة، وذلك أنه إنما أظهر بعد نحو ثلاثة سنة من موته على في إمارةبني بويه⁽³⁾.

• واختلف في سنة يوم قتل، فقال بعضهم: قتل وهو ابن تسع وخمسين سنة، وقيل وهو ابن خمس وستين سنة، وقيل وهو ابن ثلاث وستين سنة، وذلك أصح ما قيل فيه⁽⁴⁾

8-خطبة الحسن بن علي رضي الله عنهمـ بعد مقتل أبيه: عن عمرو بن حُبْشَنِي، قال: خطبنا الحسن بن علي بعد قتل علي رضي الله عنهمـ، فقال: لقد فارقكم رجل أمن سما بسقه الأولون بعلم ولا أدركه الآخرون، إن كان رسول الله ﷺ لبيعته ويعطيه الرأي فلَا ينصرف⁽⁵⁾ حتى يفتح له، ما ترك من صفاء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه كان يرصدها لخادم أهله⁽⁶⁾.

9-سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهـ يثنى على علي رضي الله عنهـ: عن ربيعة الجرجسي: أنه ذكر علي عند رجل وعنده سعد بن أبي وقاص فقال له سعد: أتذكر عليا، إن له مناقب أربعـ لأن تكون لي واحدة منها من أحب إلى من كذا وكذا، وذكر حمر النعمـ قوله: لأعطيين الرأيـ، وقولهـ: أنت مني بمنزلة هارون من موسىـ، وقولهـ: من كنت مواليـ فعلي مولاه⁽⁷⁾، ونسى سفيان واحدةـ.

10-عبد الله بن عمر يثنى على علي بن أبي طالب رضي الله عنهـ: عن سعد بن عبيدة قال: جاء رجل إلى ابن عمر فسألـه عن عثمان فذكرـ من محسـن عملـهـ، قالـ: لعلـ ذلك يسوقـكـ قالـكـ نـعـمـ قالـ: فـأـرـغـمـ اللهـ بـأـنـفـكـ، ثمـ سـأـلـهـ عنـ عليـ فـذـكـرـ منـ مـحـسـنـ عـمـلـهـ قـالـ: هـوـ ذـاكـ، بـيـتـهـ أـوـسـطـ بـيـوـتـ النـبـيـ ﷺـ، ثـمـ قـالـ: لـعـلـ ذـاكـ يـسـوـقـكـ؟ـ قـالـ: أـجـلـ، قـالـ فـأـرـغـمـ اللهـ بـأـنـفـكـ، اـنـطـلـقـ، فـأـجـهـدـ عـلـىـ جـهـدـكـ⁽⁸⁾.

11-استقبال معاوية خبر مقتل عليـ: ولما جاء خبر قتلـ عليـ إلى معاوية جعلـ يبكيـ، فقالـ لهـ أمرـاتهـ أـتـبـكـيهـ وـقـدـ قـاتـلـتـهـ؟ـ فـقـالـ: وـيـحـكـ إـنـكـ لـاـ تـدـرـيـنـ مـاـ فـقـدـ النـاسـ مـنـ الـفـضـلـ وـالـ

(1) خلافة عليـ بنـ أبيـ طـالـبـ، عبدـ الحـمـيدـ صـ (441).

(2) الفتاوىـ (4/502)، دراسـاتـ فيـ الـأـهـوـاءـ وـالـفـرقـ وـالـبـدـعـ، صـ (280).

(3) الفتـاوـيـ (27/446).

(4) تاريخـ الطـبـريـ (6/67).

(5) فضـائلـ الصـحـابـةـ (2/737)، إـسـنـادـ صـحـيـحـ: فـلـاـ يـنـصـرـفـ: فـلـاـ يـرـجـعـ.

(6) المصـدرـ نـفـسـهـ (2/737)، إـسـنـادـ صـحـيـحـ.

(7) المصـدرـ نـفـسـهـ (2/78)، إـسـنـادـ حـسـنـ.

(8) الصـحـيـحـ المسـنـدـ مـنـ فـضـائلـ الصـحـابـةـ، صـ (140) للـعـدـوـيـ.

فقه والعلم⁽¹⁾، وكان معاوية يكتب فيما ينزل به يسأل له على بن أبي طالب رضي الله عنه. عن ذلك، فلما بلغه قتله قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب، فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام، فقال له: دعني عنك⁽²⁾، وقد طلب معاوية، رضي الله عنه. في خلافته من ضرار الصدائي أن يصف له عليا، فقال: اعفني يا أمير المؤمنين قال: لتصنفه، قالك أما إذ لا بد من وصفه فكان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلا⁽³⁾، ويحكم عدلا، يتقدّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، ويستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وورحنته، وكان غزير العبرة، طويل الفكر، يعجبه من الناس ما قصر، ومن الطعام ما حشن، وكان فينا كأحدنا، يجيئنا إذا سأله، وبيننا إذا استنا بآباء، ونحن والله - مع تقربيه إيانا وقربه منا. لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظم أهل الدين ويقرب المساكين، لا يطمع القوى في باطله، ولا ييأس الضعيف من عده، وأشهد أنني قد رأيته في بعض موافقه وقد أرخي الليل سدوله⁽⁴⁾، وغارت نجومه، قابضا على لحيته، يتم لمل تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غري غيري، إلى تعرضت أم إلى شفوت! هيئات هيئات، قد باینتك ثلاثا لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك قليل، آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق، فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها وهو في حجرها⁽⁵⁾.

وعن عمر بن عبد العزيز قال:رأيت رسول الله × في المنام وأبو بكر وعمر جالساً عندده، فسلمت عليه وجلست، فيبينما أنا جالس إذ أتني بعلي ومعاوية فأدخلنا بيتي وأجيف⁽⁶⁾ الباب وأنا أنظر، فما كان بأسرع من أن خرج علي وهو يقول قضى لي رب الكعبة، فما كان بأسرع من أن خرج معاوية وهو يقول غفر لي رب الكعبة⁽⁷⁾.
وروى ابن عساكر عن أبي زرعة الرازي أنه قال له رجل: إنني أغض معاوية فقال له: ولم؟ قال: لأنك قاتل عليا، فقال له أبو زرعة: ويحك إن رب معاوية رحيم، وخصم معاوية خصم كريم، فايش دخولك أنت بينهما؟ رضي الله عنهم.⁽⁸⁾.

12- ما قال الحسن البصري رحمة الله: سئل الحسن البصري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فقال: كان علي والله سهما صائبان من مرامي الله على عدوه، وربان⁽⁹⁾ ي هذه الأمة، وذا فضلها، وذا سابقتها، وذا قربتها من رسول الله ×، لم يكن بالنواومة عن أمر الله، ولا بالملومة في دين الله، ولا بالسروقة لمال الله، أعطى القرآن عزائم، فما ز منه برياض مونقة، ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه.⁽¹⁰⁾.

13- ما قاله أحمد بن حنبل في خلافة علي رضي الله عنه: قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: كنت بين يدي أبي جالسا ذات يوم، فجئت طائفة من الكرخيين ذكرروا خلافة أبي⁽¹⁾ بكر وخلافة عمر بن الخطاب وخلافة عثمان فأكثروا، وذكروا خلافة علي بن أبي طالب وزادوا فأطالوا، فرفع أبي رأسه إليهم، فقال: يا هؤلاء، قد أكثرتم القول في علي والـ

(1) البداية والنهاية /8/ 133.

(2) الاستيعاب /3/ 1108.

(3) المصدر نفسه /3/ 1107.

(4) سدوله: سدائه.

(5) الاستيعاب /3/ 1108.

(6) أجيف الباب: رد وأغلق.

(7) البداية والنهاية /8/ 133.

(8) البداية والنهاية /8/ 133.

(9) النومه: الخامل الذكر الذي لا يؤبه له.

(10) الاستيعاب /3/ 1110.

خلافة، والخلافة وعلى (١)، أتحسرون أن الخلافة ترثين علياً؟ بل زينها علي (٢).
 14- براءة الأشعث بن قيس من دم علي رضي الله عنه: ذهبت بعض الروايات إلى اتهام الأشعث بن قيس، قال اليقoubi: إن عبد الرحمن بن ملجم نزل على الأشعث بن قيس، فأقام عنده شهرًا يستحد سيفه (٣)، وذكر ابن سعد في الطبقات، قال: وبات عبد الرحمن ابن ملجم تلك الليلة التي عزم فيها أن يقتل علياً صبيحتها بیناجي الأشعث بن قيس في مسجده حتى كاد أن يطلع الفجر، فقال له الأشعث: فضحك الصبح، فقام عبد الرحمن ابن ملجم وشبيب بن بجرة فأخذوا أسيافهما ثم جاءوا حتى جلسا مقابل السدة التي يخرج منها علي (٤)، وهذه روايات ضعيفة (٥).

15- خطورة الفرق الضالة والفرق المنحرفة على المسلمين: إن الفرق الضالة والواهف المنحرفة عندما تنتشر في بلاد المسلمين تعرض أهله للخطر، وتهدد الأمن والاستقرار وتشكك الناس في عقيدتهم، وتعيث في الأرض فساداً وخراباً، وتلك هي حال الخوارج المارقين الذين خرجن على علي رضي الله عنه. وكفروه، وقتلته نفر منهم على حد نبغة كما بینا ذلك من قبل، زاعمين أنهم يسررون أنفسهم بهذا الفعل ابتعاء من رضات الله، وما عندهم في ذلك مستند و لا برهان، إن هو إلا اتباع الأهواء وطاعة الشياطين، وإذا تبيّن لنا مما سبق أن الخوارج قد تسبّبوا في قتل علي رضي الله عنه. وعرفنا مناهجهم الفاسدة، فالواجب على أمّة الإسلام أن تحذر منهم، وتحارب مناهجهم، ويقوم العلماء والدعاة بواجههم في ذلك ليستقرّ الأمن، وتظهر أنوار السنة، وتخدم نيران البدعة، و فعل ذلك وأداؤه على الوجه الأمثل بالتمكين لعقيدة أهل السنة والجماعة، ومقارعة البدعة والم بد تدعين، وهذا كلّه من أسباب نهوض المجتمعات، وهذه هي الطريقة المثلثة لجمع الشمل ووحدة الصّف، ومن تأمل تاريخ الإسلام الطويل وجد أن الدول التي قامت على السنة هي التي جمعت شمل المسلمين، وقام بها الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزع به الإسلام قديماً وحديثاً، وهذا بخلاف الدول التي قامت على البدعة، وأشارت الفو

(١) تاريخ مدينة السلام (٤٢٦ / ١).

.{2} تاريخ مدينة السلام {426/1} .{2} تاريخ الـ {212/2}

(3) تاريخ اليعقوبي (212/2)
 (4) الطلاقاني (414/3)

. (4) الطبعات (444/3)
طالع، عدد الحمد، ص (353)

(5) حلاقه علي بن أبي طاب، عبد الحميد، ص (353).
 (6) تهذب الكمال (33/34).

(7) الكامل في التاريخ (3 / 444).

(8) تهذيب التهذيب (300 / 2)

حمد ضيف الله بطانية، ص (52).

ضي والفرقة والمحدثات، وفرقت الشمل فهذه سرعان ما تتدثر ، وتتقرض ^(١).
16-الحقد الدفين الذي امتلأت به قلوب الحاذقين من الخوارج على المؤمنين الصادقين

الكشف عن الحقد الدفين الذي امتلأت به قلوب الحاذقين من الخوارج على المؤمنين الصادقين، دل على ذلك قول عبد الرحمن بن ملجم -يعني سيفه-: والله لقد اشتريته بألف ، وسمنته بألف، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل مصر ما بقي منهم أحد⁽²⁾.

إن كلماته هذه تبرز لنا العداء السافر الذي يكنته هؤلاء الخوارج، لا على عموم المؤمنين فحسب، بل على القادة الكبار من أمثال علي بن أبي طالب، رضي الله عنهـ الذي تجتمع في شخصه رضي الله عنهـ أعظم المناقب وأجل السجايا، وانظرـ ر عاك اللهـ كيـف تورد المناهج الباطلة، والأفكار المنحرفة وأصحابها إلى دركات من التعasseـة والشقاءـ، عندما يغتالون أهل الإيمان ويدعون أهل الأوثان (3).

17- تأثير البيئة الفاسدة على أصحابها: إذ البيئة الفاسدة تؤثر على أصحابها حتى لو كان منهم من يحب العدل وبسعي إليه، فهذا عبد الرحمن بن ملجم يقابل شبيب بن بحرة في يقول له: هل لك في شرف الدنيا والأخر؟ قال: وما ذاك؟ قال: قتل علي بن أبي طالب، قال: ثكلتك أمك، لقد جئت شيئاً إدّاً، كيف تقدر على علي! قال: أكمن له في المسجد، فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفينا أنفسنا، وأدركتنا ثارنا، وإن قتلناه مما عن الله خير من الدنيا وما فيها، قال: ويحك! لو كان غير علي لكان أهون علي، قد عرفت بلاءه في الإسلام، وسابقته مع النبي ×، وما أجدني أشرح لقتله، قال: أما تعلم أنه قتل العباد الصالحين؟! قال: بل، قال: فقتلته بمن قتل من إخواننا، تقول روایة الطبری: فأجابه (4).

فانظر رعاك الله- كيف يؤثر أصحاب الآراء الضالة والأفكار المنحرفة على من يخالطونهم ويجلسون معهم؟ إنه على الرغم من أن شيئاً لم ينشر صدره لقتل علي لما يعلم عنه بلائه في الإسلام وسابقته مع النبي ﷺ، إلا أنه استجاب لابن ملجم لما أثر عليه بالشبهة التي ألقاها عليه عندما ذكره بقتل علي رضي الله عنه- لأخوانه من الخوارج الـ مارقين، فأثار فيه العاطفة تجاههم، رغم أنهم قتلوا بالحق لا الباطل، فاستجاب لاصحابه، وانقاد له فكانت النتيجة: إفساد الأفكار، وتلوث السمعة، والخسران المبين، وذلك يدعوه كـ ل مسلم أن يحذر من مصاحبة من كان على نهج هؤلاء من فاسدي الاعتقاد ملوثي الأفكار، وأن يسارع إلى مجالسة العلماء الر巴نيين الذين يعلمون الحق ويعملون به، ويرشدونه إلى ما فيه صلاحه في الدنيا والآخرة، وإنه إن لم يرض بهذه السبيل القوية، وخالف أهل ذلك المنحرفين في عقيدتهم فسيغضض أصابع الندم، ولات ساعة مندم⁽⁵⁾ كما قال الله تعالى: +وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ عَذَىٰ يَدِيهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولَ سَبِيلًا يَا وَيَلَوْتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَخَذْ فَلَانَا خَلِيلًا لَقَدْ أَصْدَنِي عَنِ الذَّ كُرْ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ حَذَّرَ وَلَا" [الفرقان: 27-29].

هذه بعض الدروس والعبر والفوائد من حادثة مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهـ العالم الريانيـ الذي أفنى عمره كلـه خاشعا له تعالىـ أواهـاً منيـاـ وـ

(1) سير الشهداء... دروس وعبر، عبد الحميد السجيفاني، ص (77).

. (62/6) تاریخ الطبری (2)

(3) سير الشهداء.. دروس وعبر، ص (87).

٤) تاريخ الطبرى (٦٢/٦)

(٥) سیر الشهداء.. دروس وعبر، ص (٩).

خط لنا طريقاً مباركاً للاقتداء والتأسي به.

سادساً: ما قيل في أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - من رثاء:

1- ما قاله أبو الأسود الدؤلي: وقال ابن عبد البر: وأكثرهم يرويها لأم الهيثم بنت الـ عريان النخعية أولها:

ألا تبكي أمير المؤمنينا

ألا يا عين ويحك أسعدينا

بعبرتها وقد رأيت اليقينا

تبكي أم كلثوم عليه

فلا قررت عيون الشامتينا

الاقل للخوارج حيث كانوا

بخير الناس طرًّا أجمعينا

أفي شهر الصيام فجتمعنا

وذللها ومن ركب السفيننا

قتلتم خير من ركب المطايا

ومن قرأ المثناني والمئينا

ومن ليس النعال ومن حذاها

وحب رسول رب العالمينا

فكـل مناقبـ الخـيراتـ فيهـ

بأنكـ خـيرـ هـاـ حـسـبـاـ وـ دـيـنـاـ

لـقدـ عـلـمـتـ قـرـيـشـ حـيـثـ كـانـتـ

رأيتـ الـبـدـرـ فوقـ (١)ـ النـاظـرـينـاـ

وـإـذـ اـسـتـقـبـلـتـ وـجـهـ أـبـيـ حـسـينـ

نـرـىـ مـوـلـىـ رـسـوـلـ اللـهـ فـيـنـاـ

وـكـنـاـ قـبـلـ مـقـتـلـهـ بـخـيرـ

وـيـعـدـلـ فـيـ العـدـاـ وـالـأـقـرـبـينـاـ

يـقـيمـ الـحـقـ لـاـ يـرـتـابـ فـيـهـ

وـلـمـ يـخـلـقـ مـنـ الـمـتـجـبـرـينـاـ

وـلـيـسـ بـكـاتـمـ عـلـمـاـ لـدـيـهـ

نعمـ حـارـ فـيـ بـلـدـ سـنـيـنـاـ (٢)

كـأـنـ النـاسـ إـذـ فـقـدـوـ عـلـيـاـ

2- ما قاله إسماعيل بن محمد الحميري من شعر له:

منـ كـانـ أـثـبـتـهـ فـيـ الدـيـنـ أـوتـادـاـ

سـائـلـ قـرـيـشاـ بـهـ إـنـ كـنـتـ ذـاـ عـمـاءـ

علمـاـ وـأـطـهـرـهـ أـهـلـاـ وـأـلـادـاـ

مـنـ كـانـ أـقـدـمـ إـسـلـامـاـ وـأـكـثـرـهـاـ

(1) فوق: في رواية راق، الاستيعاب (3/1132).

(2) الاستيعاب (3/1132).

تدعوا مع الله أوثانا وأندادا	من وحد الله إذ كانت مكذبة
عنها وإن يخلوا في أزمة جادا	من كان يقدم في الهيجاء إن نكلوا
علمها وأصدقها وعدا وإبعادا	من كان أعدلها حكما وأبسطها
إن أنت لم تلق للأبرار حсадا	إن يصدقوك فلن يعدوا أبا حسن
وذا عناد لحق الله جادا (1)	إن أنت تلق أقواما ذوي صلف
3- ما قاله بكر بن حماد التاهري (2) ردا على شاعر الخوارج عمران بن حطان (3):	قال شاعر الخوارج عمران بن حطان:
إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا	يا ضربة من تقى ما أرد بها
أوفى البرية عند الله ميزانا	إني لأذكره حينا فأحسبه
فقال بكر بن حماد التاهري معارضا في ذلك:	فقال بكر بن حماد التاهري معارضا في ذلك:
هدمت ويلك للإسلام أركانا	قل لابن ملجم والأقدار غالبة
وأول الناس إسلاما وایمانا	قتلت أفضل من يمشي على قدم
سن الرسول لنا شرعا وتبينا	وأعلم الناس بالقرآن ثم بما
ليثا إذا لقى الأقران أفرانا	وكان من الحرب سيفا صار ما ذكرنا
فقلت سبحان رب الناس سبحاننا	ذكرت قاتله والدمع منحدر
يخشى المعاد ولكن كان شيطانا	إني لأحسبه ما كان من بشر
وآخر الناس عند الله ميزانا	أشقى مرادا إذا عدت قبائلها
على ثمود بأرض الحجر خسرانا	كعاقر الناقة الأولى التي جلبت

(1) الاستيعاب (3/1132).

(2) بكر بن حماد التاهري نسبة إلى تاهرت المغربية رحل إلى الشرق وسمع مسند بن مسند بن مسرد

د ورواه عنه في المغرب، وكان معاصرًا للخماري وكان شاعرًا، الإصابة (3/177).

(3) عمران بن حطان البصري من رؤساء الخوارج ومن الشعراء المقلين توفي سنة 84 هـ، الإصابة (177/3).

قبل المنية أزمانا فاز مانا	قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها
ولا سقى قبر عمران بن حطانا	فلا عفا الله عنه ما تحمله
إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا	لقوله في شقي ما أراد بها
فسوف يلقى بها الرحمن غضبانا	بل ضربة من غوي أورنته لظى
إلا ليصلى عذاب الخلد نيرانا (١)	كأنه لم يرد قصدا بضربته

وهكذا خرج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من هذه الدنيا بعد جهاد عظيم، وقد طویت بوفاته صفحة من أنصع صفحات التاريخ وألقاها، فقد عرف فيه التاريخ رجل هذا من طراز فريد، كانت همته في رضا الله تعالى، وكان همة انتصار الإسلام، وأعظم أمانه يه سيادة أحكام الله في دنيا الناس، وأقصى غايته تحقيق العدالة بين أفراد رعيته.

إن دراسة عهد الخلفاء تمد أبناء الجيل بالعزائم الراشدية، التي تعيد إلى الحياة روعة الأيام الجميلة الماضية، وبهجتها، وترشد الأجيال بأنه لن يصلح أو أخر هذا الأمر إلا به ما صلحت به أولئه، وتساعد الدعاة والعلماء، وطلاب العلم على التأسي بذلك العهد الراسدي ومعرفة خصائصه ومعالمه وصفات قادته وجبله، ونظام حكمه ومنهجه في السير في دنيا الناس، وذلك يساعد أبناء الأمة على إعادة دورها الحضاري من جديد.

هذا وقد انتهت من هذا الكتاب يوم السبت الساعة الواحدة إلا خمس دقائق ظهرا بتاریخ 7 ربیع الآخر 1424 هـ الموافق 7 يونيو 2003م، والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل ويشرح صدور العباد للانتفاع به، ويبارك فيه به منه وكرمه وجوده، قال تعالى: **مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِذَنَاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكٌ لَّهُمَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلٌ لَّهُمَّ إِنْ بَعْدَهُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** [فاطر: 2].

ولا يسعني في نهاية هذا الكتاب إلا أن أقف بقلب خاشع مني بفضله وكرمه وجوده، متبرئاً من حولي وقوتي، فالله هو المفترض، وهو المكرم، وهو المعين، وهو الموفق، له الحمد على ما من به علي أولاً وآخر، وأسأله سبحانه بأسماءه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملي لوجهه خالصاً ولعباده نافعاً، وأن يثببني على كل حرف كتبته ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثبت إخوانى الذين أعنوني بكل ما يملكون من أجل إتمام هذا الال جهد المتواضع، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب إلا ينسى العبد الفقير إلى عفو وربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه، فإن دعوة الأخ لأخيه بظاهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى، وأختتم الكتاب بقول الله تعالى: **بِرَبِّ أَوْزُعْنِي أَنْ أَشْكُرْنَعْ مَنْ تَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلْ صَالِحَاتَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرْ حَمَّتَكَ فِي عَبَادَكَ الصَّالِحِينَ** [النمل: 19].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغرك وأتوب إليك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

**الفقير إلى عفو ربه ومحنة
رته ورحمته ورضوانه**

على محمد محمد الصلاة

ي
7 ربيع الآخر 1424 هـ

الخاتمة

وبعد، فهذا ما يسره الله لي من جمع وترتيب فصول هذا الكتاب الذي سميته (سيرة أمير المؤمنين على بن أبي طالب.. شخصيته وعصره) فما كان فيه من صواب فهو مصون فضل الله علي، فله الحمد حتى يرضي، ولله الحمد عند الرضا، ولله الحمد بعد الرضا، وما كان فيه من خطأ فاستغفر الله وأتوب إليه، والله ورسوله بريء منه، وحسبي أنني كنت حريصاً أن لا أقع في الخطأ، وعسى أن لا أحزم من الأجر، وأدعوا الله تعالى أن يذبح بهذا الكتاب إخواني المسلمين، وأن يذكرني من يقرؤه في دعاءه، فإن دعوة الأخ لأخه يبلغ الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى، وأختتم هذا الكتاب بقول الله تعالى: **وَالَّذِي
نَجَاءُ وَا مَنْ بَعْدُهُمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلَا خُوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا
بِإِيمَانِنَا وَلَا تَجْعَلْ فِي قُدُورِنَا غَلَّا لَذَذِينَ آمَدُوا رَبَّنَا إِذَكَ رَوْفَ رَحِيمٌ** [الحشر 10].

وبقول الشاعر أبو محمد الفطاطي:

وأجل من يمشي على الكثبان

قل: إن خير الأنبياء محمد

وكذلك أفضل صحبه العمران (١)

وأجل صاحب الرسل صحب محمد

بدمي ونفسي ذانك الرجالان

رجلان قد خلقا لنصر محمد

في نصره وهمما له صهران

فهمما اللذان تظاهرا لنبينا

وهمما له بالوحى صاحبتان

بناتهما أنسى نساء نبينا

يا حبذا الأبوان والبنتان

أبواهما أنسى صحابة أحمد

لفضائل الأعمال مستبقان

وهما وزيراه اللذان هما هما

وبقربه في القبر مضطجعان

وهما لأحمد ناظراه وسمعه

وهمما لدين محمد جبلان

كانا على الإسلام أشدق أهلها

أنقاهمما في السر والإعلان

أصفاهما أقواهمما أخشاهمما

أوفاهمما في الوزن والرجحان

أسناهمما أزكاهمما أعلاهمما

هو في المغاردة والنبي اثنان

صديق أحمد صاحب الغار الذي

من شرعنا في فضله رجالان

أعني: أبو بكر الذي لم يختلف

(1) العمران: أبو بكر وعمر رضي الله عنهم.

هو شيخ أصحاب النبي وخيرهم
وأبو المطهرة التي تتزيهما
أكرم بعائشة الرضا من حرة
هي زوج خير الأنبياء وبكره
هي عرسه، هي أنسه هي إلفه
أو ليس والدها يصافي بعلها
لما قضى صديق أحمد نحبه
أعني به: الفاروق فرق عنوة
هو أظهر الإسلام بعد خفائه
ومضى وخلى الأمر شورى بينهم
من كان يسهر ليلة في ركعة
ولي الخلافة سهر أحد بعده
زوج البتول أخا الرسول وركنه
سبحان من جعل الخلافة رتبة
واستخلف الأصحاب كي لا يدعني
أكرم بفاطمة البتول وبعلها
غضنان أصلهما بروضة أحد
أكرم بطلاحة والزبير وسعدهم
وابن أبي عبيدة ذي الديانة والنقي

وإمامهم حقا بلا بطلان
قد جاءنا في النور والفرقان
بكر مطهرة الإزار حسان
وعروسه من جملة النساء
هي حبه صدقا بلا إدهان
وهما بروح الله مؤتلفان
دفع الخلافة للإمام الثاني
بالسيف بين الكفر والإيمان
ومحا الظلام وباح بالكتمان
في الأمر فاجتمعوا على عثمان
وترا فيكم ختمة القرآن
أعني علي العالم الرباني
ليث الحروب منازل القرآن
وبنی الإمامة أيما بنیان
من بعد أحد في النبوة ثاني
وبمن هما لمحمد سبطان
له در الأصل والغصنان
وسعيدهم وبعابد الرحمن
وامدح جماعة بيعة الرضوان

فَلْ خَيْرُ قَوْلٍ فِي صَحَابَةِ أَحْمَدَ
دَعْ مَا جَرِيَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِي الْوَغْيِ
فَقَتَلُوهُمْ مِنْهُمْ وَقَاتَلُوهُمْ لَهُمْ
وَاللَّهُ يَوْمَ الْحِشْرَ يَنْزَعُ كُلُّ مَا
وَالْوَيْلُ لِلرَّكْبِ الدِّينِ سَعَوْا
وَوَيْلٌ لِمَنْ قُتِلَ الْحَسِينُ، فَإِنَّهُ
لَسْنًا نَكْفَرُ مُسْلِمًا بِكَبِيرَةَ
وَيَقُولُ الشَّاعِرُ:
أَنَا الْفَقِيرُ إِلَى رَبِّ الْبَرِيَّاتِ
أَنَا الْمَظْلُومُ لِنَفْسِي وَهِيَ ظَالِمَتِي
لَا أُسْتَطِعُ لِنَفْسِي جَلْبَ مُنْفَعَةٍ
وَالْفَقْرُ لِي وَصَفْ ذَاتَ لَازِمَ أَبْدَا
وَهَذِهِ الْحَالُ حَالُ الْخُلُقِ أَجْمَعُهُمْ
وَيَقُولُ الشَّاعِرُ:
اطْلَبُ الْعِلْمَ وَلَا تَكْسِلْ فَمَا
احْتَلَّ لِلْفَقِهِ فِي الدِّينِ وَلَا
وَاهْجَرْ النَّوْمَ وَحَصَلَهُ فَمَنْ
لَا تَقْلِيلَ قَدْ ذَهَبَتْ أَرْبَابُهُ
(سَبَّحَنَكَ اللَّهُمَّ رَبُّنَا وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ)

- أحاديث ضعيفة وموضوعة في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه
إن الله أوحى إلى في علي ثلاثة أشياء ليلة أسرى بي، أنه سيد المؤمنين وأم
المتقين وقائد الغر المجلين (موضوع) السلسلة الضعيفة للألباني، رقم
(353).
- السبق ثلاثة: فالسابق إلى موسى يوشع بن نون والسابق إلى عيسى صاحب
ياسين والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب، (ضعيف جداً) السلسلة الضعيف
ة رقم 358 وضعيف الجامع، رقم (3334).
- على أمام البررة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره ومخذول من خذله، (م
وضوع) السلسلة الضعيفة للألباني، رقم (357) وضعيف الجامع
(37799).
- للمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد و يوم الخندق أفضل من أعمال
أمتى إلى يوم القيمة، (كتب) السلسلة الضعيفة، برقم (400).
- اللهم إن عبدي عليك احتبس نفسه على نبيك فرد عليه شرقها، و(في رواية) ا
للهم إنه كان في طاعنك وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس، قالت أسماء:
فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدها غربت، (موضوع) السلسلة الضعيفة
برقم (971) للألباني.
- إن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم، قيل: يا رسول الله من هم؟
(وفي رواية سمهن لنا) قال: على منهم يقول ذلك ثلاثة وأبو ذر وسلمان والم
قداد، أمرني بحبهم وأخبرني أنه يحبهم، (ضعيف) السلسلة الضعيفة للألباني
برقمي (1549)، (3128)، وضعيف الجامع (156)، وضعيف سنن الترمذ
ي (771)، وضعيف سنن ابن ماجة (28)، المشكاة (6249).
- أنا مدينة العلم وعلى بابها، فمن أراد العلم فليأت بابه، (موضوع) السلسلة ال
ضعيفة، برقم (2955).
- أنا عبد الله وأخو رسول الله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كذاب،
صليت قبل الناس لسبعين، (باطل) ضعيف سنن ابن ماجة، برقم (23).
- رحم الله علينا، اللهم در الحق معه حيث دار، (ضعيف جداً) السلسلة الضعيف
ة (2094) وضعيف سنن الترمذ (3095) وضعيف سنن الترمذ (767)، والم
شكاة (6125).
- على مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا على الحوض، (ضعيف
ف) ضعيف الجامع برقم (3802).
- على يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين، (ضعيف) ضعيف الجامع
(3805).
- ليلة أسرى بي انتهيت إلى ربي عز وجل، فأوحى إلي في علي بثلاث: أنه
سيد المسلمين وولي المتقين وقائد الغر المجلين، (موضوع) السلسلة الضع
يفة (4889).
- يا أنس: انطلق فداع لي سيد العرب - يعني عليا. فقالت عائشة: ألسنت سيد
العرب قال: أنا سيد ولد آدم وعلى سيد العرب يا معاشر الأنصار لا أدلكم ع
لي ما إن تمسكتم به لم تضلوا بعده؟! قالوا: بلى يا رسول الله! قال: هذا على
فأحبوه بحبي وأكرموه لكرامتني، فإن جبريل أمرني بالذي قلت لكم عن الله
عز وجل (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (4890).
- أنت تبين لأمتى ما اختلفوا فيه من بعدي (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم
14-

- (4891). 15- أنا المنذر وعلى الهدى، بك يا علي يهتدى المهدتون بعدي، (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (4899).
- 16- لما أسرى بي رأيت في ساق العرش مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله ، صفوتي من خلقي أيدته بعلی ونصرته، (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (4902).
- 17- من أراد أن ينظر علـاً آدم في عمله، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى يحيى في زهده، وإلى موسى في بطشه فلينظر إلى علي، (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (4903).
- 18- تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بالطرقات والنهروانات والشعفات، (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (907).
- 19- نزلت هذه الآية **+يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بُكُّلْ مَا أَنْذَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ** يوم غدير خم في علي، (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (4922).
- 20- لما نصب رسول الله علياً بغدير ختم فنادي له بالولاية بخط جبريل بهذه الآية **+الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَنْذَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**، (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (4923).
- 21- هذا أخي ووصيي وخليفي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا يعني: عليا، (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (4932).
- 22- انشدكم الله: هل فيكم أحد أخي رسول الله بينه وبينه –إذ أخي بين المسلمين– غيري؟ قالوا اللهم لا ، (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (4949).
- 23- لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي، (مكذوب) على علي، منهاج السنة (70/5).
- 24- حب علي حسنة لا تضر معها سيئة وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة، (مكذوب) على علي منهاج السنة (73/5).
- 25- القلان كتاب الله طرف بيد الله وطرف بأيديكم، فتمسوا به ولا تضروا، واآخر عترتي، وإن اللطيف الخير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فسألت ذلك لهما ربى فلا تقدمهما فتهاكلوا، ولا تقصرروا عنهما فتهاكلوا، ولا تعلموهم فهم أعلم منكم، (ضعف) السلسلة الضعيفة، برقم (4914).
- 26- معرفة آل محمد براءة من النار، وحب آل محمد جواز على الصراط، والولایة لآل محمد أمان من العذاب. (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (4917).
- 27- إن هذا أخي ووصيي وخليفي من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا. هذا الحديث باطل متنا وسندًا أما من ناحية السند فيه عد الغفار بن القاسم: قال ع نه الذهبي: أبو مريم الأنباري رافضي، ليس بثقة، قال علي بن المديني: ك ان يضع الحديث ميزان الاعتدال (640/2).
- 28- إن وصيي وموضع سري هو علي بن أبي طالب، وخير من أترك بعدي ويه نجز عدتي ويقضى ديني علي بن أبي طالب. رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (9/141). وعزاه إلى الطبراني وقال: فيه ناصح بن عبد الله وهو متزو إك.
- 29- أنا دار الحكمة وعلي بابها. رواه الترمذى وأبو نعيم سكت عن قول الترمذى: هذا حديث غريب منكر.. ولا نعرف هذا الحديث عن واحد من الثقات عن شريك حديث، رقم (3723)، قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع،

- مشكاة المصايبح (3/ 1777) وحكم ابن الجوزي بأنه مكذوب (الموضوعات 1/ 349).
 30- أنت يا علي وشيعتك + أَوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّيَّةِ". فيه أبو الجارود: زياد بن المنذر الكوفي، قال عنه الحافظ بن حجر: رأضي كذبه يحيى بن معين (القريب 2101).
- 31- أوحى الله إلى في علي ثالثاً: إنه سيد المؤمنين وإمام المتدينين وقائد الغر المجلين. قال الحافظ: قال الحاكم في المناقب: صحيح الإسناد. قلت: بل هو ضعيف جداً ومنقطع أيضاً، إتحاف المهرة (1/ 344) قائلاً بأن عمر بن الأحسين العقيلي وشيخه يحيى بن العلاء الرازى متروك، بل صرح بأن الأحاديث موضوع.
- 32- بخ لك يا علي، أصبحت مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة. فيه علي بن زيد بن جدعان، قال عنه الجوزجاني: واهي الحديث ضعيف، الشجرة في حوال الرجال، ص (194) قال ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (1/ 226): هذا الحديث لا يجوز الاحتياج به. ومن فوقه إلى أبي هريرة ضعفاء. وقال البزار: تكلم فيه جماعة من أهل العلم (كشف الأستار 490) وقال الدارقطني: ليس بالقوري. سنن الدارقطني (1/ 103).
- 33- رحم الله علياً، اللهم أدر الحق معه حيث دار. رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيفيين (المستدرك 3/ 125) فيه المختار بن نافع التميمي، قال الأذهي تعقيباً على الحاكم: المختار ساقط. وقال الحافظ: المختار ضعيف (التقريب 6522).
- 34- على أخي في الدنيا والآخرة. ضعيف (انظر ضعيف الجامع للألباني 3801).
- 35- على باب حطة ومن دخله كان آمناً. موضوع: فيه حسين الأشقر. قال البخاري: فيه نظر (التاريخ الكبير 2/ 2862) وقال: عنده مناكير (التاريخ الصغير 2/ 319) انظر السلسلة الضعيفة للألباني (3913).
- 36- على خير البشر فمن أبي فقد كفر. موضوع: قال الحافظ بن حجر: أخرجه ابن عدي من طرق كلها ضعيفة، تسييد القوس (3/ 89). قال الذهبي: هذا حديث منكر. ووصف الذهبي هذا الحديث بأنه باطل جلي (ميزان الاعتدال 1/ 521) وابن الجوزي في الموضوعات (1/ 348).
- 37- لقد علمت أن علياً أحب إليك من أبي مرتين أو ثلثاً. ضعفه الألباني (ضعف أبي داود، ص 491).
- 38- مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق. رواه الطبراني في الكبير (37/ 3) والهيثمي (9/ 168) في إسناده عبد الله بن داهر والحسن بن أبي جعفر وهمما متروك، قاله الهيثمي.
- 39- من أحب أن يحيا حياتي ويموت موتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربى عز وجل وغرس قضبانها بيديه فليتول علي بن أبي طالب. صححه الحاكم (3/ 128) وتعقبه الذهبي فيه القاسم متروك وشيخه ضعيف، وهو: يحيى بن العلي الإسلامي. قال الحافظ في القريب (7677): شيعي ضعيف. لكنه أخطأ في ذكر اسم الإسلامي فسماه المحاربي واستغل عبد الحسين في المراجعات ذلك أبغض استغلال.
- 40- ما صب الله في صدري شيئاً إلا صببته في صدر علي. حديث موضوع (الإدارية 1/ 131)، أسس الطالب (1262).

- 41- محبك محبى ومحبى محب الله، ومبغضك مبغضى ومبغضى مبغض الله. قال الحافظ: رواه ابن عدي وهو باطل. (لسان الميزان 2/109).
- 42- يا علي أبشر فإنك وأصحابك وشيعتك في الجنة، يا علي صلیت العصر؟ قال: لا قال: اللهم إنك تعلم أنه في حاجتك وحاجة رسولك فرد عليه الشمس قال: فردها عليه فصلى علي وغابت الشمس.

أهم المصادر والمراجع

- 1 المهدى وفقه أشراط الساعة، الدكتور محمد أحمد إسماعيل المقدم، الدار العالمية، الإسكندرية، الطبعة الأولى 1423هـ.
- 2 الانتصار للصحاب والأئل من افتراطات السماوي الضال، للدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى 1418هـ-1997م.
- 3 النهج المبين للأصول العشرين، عبد الله القاسم الوشلي، دار المجتمع، جدة، 1411هـ-1990م.
- 4 مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د. ناصر بن عبد الله بن علي القفار، دار طيبة.
- 5 أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، عرض ونقد د. ناصر بن عبد الله القفارى، دار الرضا للنشر والتوزيع، الجizra بمصر، الطبعة الثالثة 1418هـ-1998م.
- 6 بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود، عبد الله الجميلي، مكتبة الغربية الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، 1414هـ-1994م.
- 7 السنة ومكانتها في التشريع، د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي 1405هـ-1985م.
- 8 انتصار الحق... مناظرة علمية مع بعض الشيعة الإمامية، مجدي محمد علوي، دار طيبة، الطبعة الأولى 1418هـ-1997م.
- 9 الدر المنشور في التفسير بالتأثر للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى 1403هـ-1983م.
- 10 سنن سعيد بن منصور، دار الصميحي، الرياض، الطبعة الثانية 1420هـ-2000م.
- 11 مسند الدارمي، لأبي محمد عبد الله الدارمي، دار المغني، الرياض، 1421هـ-2000م.
- 12 الموسوعة الحديثية، السنن الكبرى للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن سعيد النسائي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1421هـ-2001م.
- 13 ثم أبصرت الحقيقة، محمد سالم الخضر، دار الإيمان للطباعة والنشر 2003م.
- 14 المحصول في علم الأصول، لفخر الدين محمد عمر بن لحسين الرازي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة 1418هـ - 1997م.
- 15 فقه الإمام علي بن أبي طالب، أحمد محمد طه، رسالة مقدمة لجامعة بغداد قسم الدراسات الإسلامية، لم تطبع.
- 16 أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت 1408هـ - 1988م.
- 17 تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الانصارى القرطبي، مكتبة الراشد، الطبعة الأولى 1418هـ - 1991م.
- 18 التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للدكتور وهبة الزحيلي، دار الـ فكر المعاصر بيروت، الطبعة الأولى 1411هـ - 1991م.
- 19 في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة الشرعية الخامسة والعشرون.
- 20 سورة الحجرات، د. ناصر العمر، دار الصديق، صنعاء، الطبعة الثالثة 1422هـ.

- 21 منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس، عبد الحاج محمد الحريري، رسال
ة مقدمة لجامعة بغداد.
- 22 الدعاء ومتزلته من العقيدة الإسلامية لأبي عبد الرحمن جيلان بن خضر الع
 Rossi، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى 1417 هـ - 1996م.
- 23 مع الشيعة الاثني عشرية في الأصول والفروع، د. على السالوس، دار التقا
وى.
- 24 سيد الشهداء، دروس وعبر، عبد الحميد بن عبد الرحمن السحبياني، دار الو
طن.
- 25 نساء أهل البيت، منصور عبد الحكيم، المكتبة التوفيقية.
- 26 الإمام علي بن أبي طالب، رابع الخلفاء الراشدين، دار الكتب العلمية، بيرو
ت.
- 27 تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قاطنيها العلماء من غير أهلها وو
ارديها، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، دار الغرب الإ
سلامي 2001م.
- 28 خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عبد الحميد على ناصر فقيهي،
رسالة علمية قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لم تطبع حتى الآن أ
شرف عليها الدكتور أكرم ضياء العمري.
- 29 الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن محمد بن عبد البر. ت
حقيق على محمد الجاوي، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى 1412 هـ -
1992م.
- 30 البداية والنهاية، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي دار الريان، 1998م.
- 31 جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، محمد السيد الوكيل، دار المجمت
ع، المدينة، الطبعة الخامسة 1416 هـ - 1995م.
- 32 الصحيح المسند في فضائل الصحابة، لأبي عبد الله مصطفى العدوى، دار ا
بن عفان، السعودية، الخبر، الطبعة الأولى 1416 هـ - 1995م.
- 33 الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق، د. علي محمد الصلايبي،
دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1423 هـ - 2002م.
- 34 دراسات في الأهواء الفرق والبدع وموقف السلف منها، د. ناصر بن عبد الـ
كريـم العـقلـ، دار إشـبيلـياـ، الطـبـعةـ الأولىـ 1418ـ هـ - 1997ـ مـ. الـرـيـاضـ.
- 35 دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، د. محمد صيف الله بطائنة، دار الفرقان،
عمان.
- 36 الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندة، لأبي العباس أحمد
بن محمد ابن علي بن حجر الهيثمي، مؤسسة الرسالة بيروت، 1417 هـ -
1997م.
- 37 فرائد الكلام للخلفاء الكرام، قاسم عاشور، دار طويق الرياض، 1419 هـ -
1998م.
- 38 الخوارج في العصر الأموي، د. نايف معروف، دار الطليعة، بيروت، الط
بة الرابعة.
- 39 شرح الصدور ببيان بدع الجنائز والقبور لأبي عمر عبد الله بن محمد الحما
دي، مكتبة الصحابة، الشارقة، الطبعة الثانية 1420 هـ - 1999م.
- 40 الموسوعة الحديثية. مسند الإمام أحمد بن حنبل، توزيع وزارة الشؤون الإس
لامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الثانية 1420 هـ - 1999م.

- 41 الأدب العربي من ظهر الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي، د. حبيب يوسف مغنية، دار مكتبة الهلال، الطبعة الأولى 1995م بيروت لبنان.
- 42 الطبقات لأبن سعد، دار صادر، بيروت.
- 43 عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، د. ناصر على عائض حسن الشيش، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى 1413 هـ - 1993م.
- 44 السنة لأبي بكر أحمد بن محمد الخلا، تحقيق د. عطية الزهراني، دار الراية.
- 45 بيعة علي بن أبي طالب، أم مالك الخالدین، حسن فرحان المالكي، مركز الدراسات التاريخية، الطبعة الثالثة، عمان.
- 46 تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين، محمد أحمد الذبيحي، دار الكتاب العربي.
- 47 فتح الباري، المطبعة السلفية، الطبعة الثانية 1410 هـ.
- 48 المدينة النبوية، فجر الإسلام والعصر الراشدي، محمد محمد حسن شراب، دار القلم - بيروت، الدراسات الشامية، بيروت، الطبعة الأولى 1415 هـ - 1994م.
- 49 تاريخ الطبری لأبی جعفر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى 1407 هـ - 1987م.
- 50 استشهاد عثمان وواقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبری، دراسة نقدية د. خالد بن محمد الغيث، دار الأندرس الخضراء، جدة 1418 هـ.
- 51 سنن أبي داود، الإمام أبي داود، سليمان السجستاني، تحقيق وتعليق عزت الـ دعاس 1391 هـ، سوريا.
- 52 سنن ابن ماجة، الحافظ أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني، دار الفكر.
- 53 سنن الترمذی لأبی عیسیٰ محمد بن عیسیٰ الترمذی، دار الفكر 1398 هـ.
- 54 سنن النسائي، أَحْمَدُ بْنُ شَعِيبٍ بْنُ عَلَى بْنِ بَحْرٍ بْنِ سَنَانِ بْنِ دِينَارِ النَّسَائِيِّ بِـ شرح جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، دار الفكر بيروت.
- 55 الإحسان في صحيح ابن حبان، علاء الدين على بن بلبان الفارسي، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى 1412 هـ - 1991م.
- 56 السلسلة الصحيحة، للألباني، المكتب الإسلامي.
- 57 معجم الطبراني الكبير، لأبی القاسم سليمان بن أَحْمَدَ الطَّبَرَانِيِّ، مكتبة العلوم والحكم الطبعة الثانية 1416 هـ - 1995م.
- 58 السنة لعبد الله بن أَحْمَدَ حَنْبَلَ، تحقيق: أبی هاجر محمد السعید بن بسیونی ز غلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 59 شرح العقيدة الطحاوية، للعلامة محمد بن علي بن محمد الأذرعي، خرج أـ حادثها: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، 1391 هـ.
- 60 النهاية في غريب الحديث والاثر، لمجد الدين أبی السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أَحْمَدَ الزَّوَّاِيِّ، ومحمود الطناحي، المكتبة الإسلامية.
- 61 صحيح البخاري، لأبی عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر 1991م.
- 62 صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.

- 63 صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر الشريف الطبعة الأولى ، 1347 هـ.
- 64 مجموعة الفتاوى، تقى الدين أحمى بن نيمية الحراني، دار الوفاء بالمنصورة ، مكتبة العبيكان بالرياض، الطبعة الأولى 1418 هـ - 1997 م.
- 65 المصنف في الأحاديث والآثار، للحافظ أبي بكر بن أبي شيبة، طبع الدار ال سلفية، الطبعة الأولى 1403 هـ، بومباي الهند.
- 66 المصنف لعبد الرزاق بن همام الصناعي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1403 هـ.
- 67 العواصم من القواسم، القاضي أبو بكر بن العربي، تحقيق محب الدين الخ طيب، إعداد محمد بن سعيد مبيض، درا الثقافة، قطر الدوحة، الطبعة الثانية، 1989 م.
- 68 تحقيق مواقف الصحابة في الفتن من روایات الطبرى والمحدثين، تأليف د. محمد أمحزون، دار طيبة، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الأولى 1415 هـ - 1994 م.
- 69 الإبانة في أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، طبعة الجامعة الإسلامية، 1975 م.
- 70 الإمامة والرد على الرافضة، للحافظ أبي نعيم الأصبهانى، تحقيق وتعليق د. علي بن محمد ناصر الفقىهى، طبع مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى ، 1407 هـ.
- 71 أصول الدين، لعبد القاهر البغدادى، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 72 الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة لأبي بكر أحمد بن الحسين البىهقى، الناشر، نشاط آباد، فيصل آباد، باكستان.
- 73 الاقتصاد في الاعتقاد، لأبي حامد الغزالى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 74 المقدمة لابن خلدون.
- 75 عبد الله بن سبا وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، سليمان بن حمد ال عودة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثالثة 1412 هـ.
- 76 الوصية الكبرى، لشيخ الإسلام ابن نيمية، دار المطبعة السلفية ومكتبتها، ن شر: قصي محب الدين الخطيب، الطبعة الثالثة 1401 هـ.
- 77 تمهيد الأول وتأخيص الدلائل، للفاضي أبي على محمد بن الطيب الباقلانى ، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى 1407 هـ - 1987 م.
- 78 دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، د. عبد الرحمن الشجاع، الطبعة الأولى 1419 هـ - 1999م، دار الفكر المعاصر - صنعاء.
- 79 الخلافة بين التظير والتطبيق، محمود المرداوى، الطبعة الأولى 1403 هـ - 1983 م.
- 80 منهاج على بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، د. سليمان بن قاسم العيد، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى 1422 هـ - 2002 م.
- 81 الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام، السيد عمر، معهد الفكر العالمي.
- 82 عبقرية الإمام، عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية - بيروت.
- 83 خلفاء الرسول، خالد محمد خالد، دار ثابت، القاهرة دار الفكر، دمشق 1994 م
- 84 على بن أبي طالب، خالد البيطار.

- 85- على بن أبي طالب، عبد السنار الشیخ، الطبعة الأولى 1412 هـ - 1991 م.
- 86- الأدب الإسلامي في عهد النبوة، نايف معروف، دار النفائس، بيروت، لبنان.
- 87- الخلفاء الراشدون، عبد الوهاب النجار، دار القلم، بيروت، 1406 هـ - 1986 م.
- 88- المرتضى سيرة أمير المؤمنين أبي الحسن على بن أبي طالب، لأبي الحسن الندوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية 1419 هـ - 1998 م.
- 89- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت.
- 90- تاريخ المذاهب، لأبي زهرة، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى.
- 91- دار الحكم في الإسلام، عارف أبو عبيد، دار النفائس، الأردن 1416 هـ - 1996 م.
- 92- الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، عبد الله بن عمر بن سليمان الدمشقي، دار طيبة، السعودية، الطبعة الثانية 1409 هـ.
- 93- مشكاة المصايب للبغوي.
- 94- فتاوى في التوحيد، عبد الله بن جبرين.
- 95- النافية عن طعن أمير المؤمنين معاوية، عبد العزيز بن أحمد بن حامد، غراس للتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى 1422 هـ.
- 96- مسند الإمام زيد بن علي، جمع عبد العزيز بن إسحاق البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403 هـ.
- 97- صحيح سنن الترمذى، محمد ناصر الدين الألبانى، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة الأولى 1408 هـ.
- 98- صحيح سنن ابن ماجة للألبانى، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ضـ.
- 99- صحيح النسائي للألبانى، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض 1408 هـ.
- 100- مشكاة المصايب للألبانى.
- 101- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد عبد الله الأصفهانى، دراية الكتب العلمية، بيروت.
- 102- فضائل الصحابة، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، دار ابن الجوزي السعودية، الطبعة الثانية، 1420-1999 م.
- 103- الجامع لأخلاق الرأوى وأداب السامع، الحافظ الخطيب البغدادى، تحقيق د. محمود الطحان، مكتبة المعرفة، الرياض، 1403 هـ.
- 104- شرف أصحاب الحديث، الخطيب البغدادي، تحقيق سعيد أوغلي، نشر دار إحياء السنة النبوية.
- 105- مسند أحمد، تحقيق أحمد شاكر، الطبعة الثالثة، دار المعرفة، مصر، 1368 هـ.
- 106- تذكر السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، سعد الله بن جماعة، دار كتب العلمية.
- 107- تاريخ اليعقوبى، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، دار بيروت، لبنان.
- 108- جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى، دار الفكر، دار الكتب الإسلامية، 1402 هـ.

- 109-ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربي، محب الدين الطبرى، دار المعرفة، بيروت.
- 110-تاريخ الخلفاء للسيوطى، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى 1417 هـ - 1997 م.
- 111-صفة الصفوة للإمام أبي الفرج بن الجوزي، دار المعرفة، بيروت.
- التاريخ الإسلامي، مواقف وعبر؛ د. عبد العزيز عبد الله الحميدى، دار الدعوة الإسكندرية، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى 1418 هـ - 1998 م.
- أدب الدين والدنيا للماوردي.
- المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح للدمياطى.
- الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي المكارم الشيبانى، المعرف بابن الأثير، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربى، بيروت، 1408 هـ - 1989 م.
- صحيح التوثيق في سيرة علي بن أبي طالب، مجدى فتحى السيد، دار الصحابة بطنطا، الطبعة الأولى 1417 هـ - 1996 م.
- الإمام علي بن أبي طالب، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983 م.
- رجال الفكر والدعوة للندوى، دار ابن كثير.
- كتز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تصنيف نديم مرعشلى، أسامة مرعشلى، مؤسسة الرسالة، 1413 هـ - 1993 م.
- أخلاق النبي في القرآن والسنة، د. أحمد الحداد، دار الغرب الإسلامى 1999 م.
- روح المعانى، للألوسى.
- الزهد للإمام أحمد بن حنبل.
- أصحاب الرسول، محمود المصري، مكتبة أبي حذيفة السلفى، الطبعة الأولى 1420 هـ - 1999 م.
- نبيل الأوطار، محمد بن علي الشوكانى، الطبعة الأخيرة، مصطفى البابى الحلبي وشركاه، القاهرة.
- تراث الخلفاء الراشدين في الفقه والقضاء، د. صبحى محمصانى، دار العلم للملايين الطبعة الأولى 1984 م.
- مفتاح دار السعادة لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقى، دار الكتاب العربي، بيروت، 1392 هـ.
- مدارج السالكين، ابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقى، دار الكتاب العربي، بيروت، 1392 هـ.
- تاريخ دمشق، دار إحياء التراث، الطبعة الأولى.
- لطائف المعارف لابن رجب، دار ابن كثير.
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
- التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرحمن المناوي، تحقيق د. محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى 1410 هـ، دار الفكر.
- معرفة الصحابة لأبي نعيم، تحقيق محمد راضى ابن حاج عثمان، مكتبة الدار المدينة، ومكتبة الحرمين - الرياض، الطبعة الأولى 1408 هـ.

- موسوعة فقه على بن أبي طالب، قلعي، دار النفائس، بيروت، 1417 هـ - 1996 م. -133
- فقه التمكين في القرآن الكريم، على محمد الصلايبي، دار الوفاء، الم نصورة، الطبعة الأولى 1421 هـ - 2001 م. -134
- شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبرى اللالكائى، تحقيق د. أحمد سعد حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض. -135
- المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة للزمخشري، تحقيق سيد إبراهيم صادق، دار الحديث، طبعة 1422 هـ - 2001 م. -136
- الشیخان أبو بکر وعمر من روایة البلاذري في أنساب الأشراف، تحقیق إحسان صدیق العمد، المؤتمن للنشر، السعوڈیّة، الطبعة الثالثة 1414 هـ - 1994 م. -137
- نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، حمد محمد الصمد، المؤسسة الجماعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى 1414 هـ - 1994 م. -138
- الدولة والسيادة في الفقه الإسلامي، فتحي عبد الكريم، مكتبة وهبة. -139
- النظام السياسي في الإسلام، د. محمد أبو فاس، دار الفرافان، عمان، الأردن. -140
- روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة، موقف الدين عبد الله بن أ حمد المقدسي، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الرابعة 1391 هـ. -141
- الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية نشأتها وتطورها حتى منتصف القرن الثالث الهجري، د. سليمان بن صالح بن سليمان آل كمال، منشو رات جامعة أم القرى. -142
- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب الذ ويري، مطبعة كوتتسا توماس القاهرة. -143
- فن الحكم الإسلامي، مصطفى أبو زيد فهيم، المكتب المصري الحديث. -144
- الشورى بين الأصالة والمعاصرة، عز الدين التميمي، دار البشير، 1405 هـ - 1985 م. -145
- المستدرك على الصحيحين، للإمام أبي عبد الله النيسابوري بذيله ال تلخيص للذهبي، طبعة 1390 هـ - 1970 م، دار الفكر. -146
- نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده، دار البلاغة، 1421 هـ - 2000 م. -147
- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي المثنى التميمي، تحقيق وتحريف حس ن سليم أسد، الطبعة الأولى، دار المأمون للتراث، دمشق. -148
- مجمع الزوائد، ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت. -149
- الوسطية في القرآن الكريم، على محمد الصلايبي، دار النفائس، دار البيارق عمان، الطبعة الأولى 1999 م. -150
- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للشيخ عبد الرحمن السعدي. -151
- الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار، لابن عبد البر، حنة إحياء التراث الإسلامي. -152

- الغلو في الدين، د. الصادق عبد الرحمن الغرياني، دار السلام
1422 هـ - 2001 م. -153
- المواعظ والاعتبار، أحمد بن علي عبد القادر المقرizi، الطبعة الثا
نية، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 1987 م. -154
- الاعتصام للشاطبي، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعارف، بيرو
ت 1402 هـ. -155
- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، لابن القيم الجوزية.
في ظلال الإيمان، صلاح عبد الفتاح الخالدي، مكتبة المنار، الأردن
، الزرقاء. -156
- 157
- تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، علي محم
د الصلايبي، دار الصحابة، الطبعة الأولى 2001 م. -158
- تفسير الفخر الرازى، أبو عبد الله محمد بن عمر، دار إحياء التراث
العربي، بيروت، الطبعة الثانية. -159
- السيرة النبوية، لابن هشام، لأبي محمد بن عبد الملك بن هشام، دار
الفكر، بدون تاريخ. -160
- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت. -161
- عيون الأخبار لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار الكتب العا
مية، 1986 م. -162
- الإعجاز والإيجاز، أبو منصور الثعالبي، دار الرائد العربي، بيرو
ت. -163
- مروج الذهب ومعاذن الجوهر لأبي الحسن علي بن الحسين بن عل
ي المسعودي، دار المعرفة، بيروت، 1403 هـ - 1982 م. -164
- الشريعة للإمام المحدث أبي بكر محمد بن الحسين الأجري، تحقيق
د. عبد الله بن سليمان الدميжи، الطبعة الأولى، دار الوطن الرياض،
1418 هـ - 1997 م. -165
- الشرك في القديم وال الحديث، أبو بكر محمد زكريا، مكتبة الرشد، الر
ياض، 1421 هـ. -166
- مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن عبد الرحمن المقدسي، مكتبة الب
يان، دمشق 1398 هـ. -167
- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة،
1999 م. -168
- إحياء علوم الدين الغزالى.
معامل السلوك وتركيبة الفنون، عبد العزيز محمد عبد اللطيف، دار
الوطن السعودية، الطبعة الأولى 1414 هـ. -169
- بدائع الفوائد لابن القيم، مكتبة الرياض.
صيد الخاطر لابن الجوزي.
الأخلاق والسير لابن حزم. -170
- الدر المنثور في التفسير بالتأثر، للإمام عبد الرحمن جلال الدين الـ
سيوطى، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1403 هـ - 1983 م. -171
- الرياض النضرة في مناقب العشرة، لأبي جعفر أحمد الشهير بالمحـ
ب الطبرى، المكتبة القيمة، القاهرة. -172
- 173
- 174
- 175

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت. -176
- نظم الحكومة الإسلامية لكتابي: المسمى التراتيب الإدارية، محمد عبد الحفيظ الكتاني الإدريسي الحسني، دار الأرقام بن أبي الأرقام - بيروت. -177
- الأموال، لأبي عبيد، تحقيق محمد خليل هراس، مكتبة الكليات الأزهرية. -178
- الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى، د. محمد ضيف الله بطانية، دار طارق، دار الكندي، الأردن. -179
- الهبة في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين، د. فضل إلهي، مؤسسة المجربي، الرياض، الطبعة الثالثة 1420 هـ - 1999 م. -180
- المغني للإمام العلامة ابن قدامة المقدسي، دار الحديث، القاهرة، 1416 هـ - 1996 م. -181
- الخارج، لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، المكتبة السلفية، القاهرة، 1382 هـ. -182
- ولاية الشرطة في الإسلام، د. نمر الحميداني، دار عالم الكتب، الرياض، 1414 هـ. -183
- تاريخ خليفة بن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي، تحقيق أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، ودار القلم، بيروت 1397 هـ. -184
- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت. -185
- علي بن أبي طالب، د. علي شرفي، دار الكندي، إربد، الأردن، 2001 م. -186
- الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، د. عبد العزيز إبراهيم العمري. -187
- من أصول الفكر السياسي، محمد فتحي عثمان، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت 1404 هـ - 1984 م. -188
- النظم المالية في الإسلام، عيسى عبده، معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة. -189
- السياسة المالية لعثمان بن عفان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986 م. -190
- تاريخ العرب، مطول، د. فيليب حتى، ترجمة إدوارد جرجي، د. جبرائيل جبور، دار الكشاف، بيروت، 1949 م. -191
- وكان ندوة النظم الإسلامية، أبو ظبي، 1405 هـ - 1984 م. -192
- نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ظافر القاسمي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة 1407 هـ - 1987 م. -193
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت. -194
- الاجتهد في الفقه الإسلامي ضوابطه ومستقبله، عبد السلام السليمان، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية. -195
- خلاصة التشريع الإسلامي، عبد الوهاب خلف، دار القلم، 1402 م. -196

- هـ - 1982. تاريخ القضايى، كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، للإمام القاضى محمد بن سلامة بن جعفر الشافعى، مطبوعات جامعة أم القرى.
- 197
- تاریخ القضايى لبنان، د. محمد الزحيلي، دار الفكر دمشق، دار الفكر المعاصر لبغداد، الطبعة الأولى 1415 هـ - 1995 م.
- 198
- أخبار القضايى لوكيم، وكيع محمد بن خلف بن حيان، الطبعة الأولى ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، 1366 هـ - 1947 م.
- 199
- الأحكام السلطانية، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب، دار الفكر، بيروت.
- 200
- شرح منهج البلاغة لابن أبي الحديد، تحقيق حسن تميم، مكتبة الحياة، بيروت.
- 201
- صحيح سنن أبي داود، مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- 202
- شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، بيروت، دار الفكر، 1401 هـ - 1981 م.
- 203
- المجموع شرح المذهب، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، مطبعة الإمام بمصر.
- 204
- المبسط لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، دار المعرفة بيروت.
- 205
- المحلى بالآثار، للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- 206
- معجم الطبرانى، سليمان بن أحمد الطبرانى، الدار العربية، بغداد 1398 هـ.
- 207
- جمع الجوامع بحاشية العطار للإمام ابن السبكى مع شرح الجلال ال محلى، دار الكتب العلمية - بيروت.
- 208
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للعلامة علاء الدين أبي بكر بن سعود الكاسانى الحنفى، الناشر زكريا على يوسف.
- 209
- فتح العزيز شرح الوجيز للإمام أبي القاسم عبد الكريم محمد الرافعى، المطبوع في هامش المجموع.
- 210
- بداية المجتهد ونهاية المقتضى، لمحمد بن أحمد بن رشد القرطبي، 1386 هـ - 1966 م، مطبعة الكليات الأزهرية.
- 211
- المنتقى شرح موطأ مالك بن أنس للقاضى أبي الوليد سليمان بن خلف الباجى الأندلسى، طبعة مصورة على الطبعة الأولى سنة 1313 هـ مطبعة السعادة.
- 212
- اعلاء السنن للمحدث الناقد ظفر أحمد العثماني على ضوء ما أفاده الإمام الفقيه الشيخ أشرف على التهانوى بتحقيق وتعليق عبد الفتاح أبو غدة - منشورات إدارة القرآن والعلوم الإسلامية باكستان.
- 213
- الإشراف على مذاهب أهل العلم للحافظ محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، بتحقيق محمد نجيب سراج الدين، دار إحياء التراث الإسلامى بدولة قطر.
- 214
- السيل الجرار المتذوق على حدائق الأزهر للشيخ محمد بن علي الشد وکانى، تحقيق محمود إبراهيم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية 1405 هـ
- 215

- 1985 م. -
المدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس، طبعة بالأوفسيت 1323 هـ، دار صادر بيروت.
- 216- سبل السلام، للأمير الصناعي.
- 217- مقاصد الشريعة الإسلامية، د. محمد سعد اليوني، دار الهجرة، الرياض، الطبعة الأولى، 1418 هـ - 1996 م.
- 218- الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، عبد العزيز مصطفى كامل، دار طيبة.
- 219- الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري، يحيى بن إبراهيم الـ يحيى، دار الهجرة الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1996 م.
- 220- عصر الخلافة الراشدة، د. أكرم ضيام العمري، مكتبة العلوم والحكـم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1414 هـ - 1994 م.
- 221- حقيقة البدعة وأحكامها، سعيد ناصر الغامدي، مكتبة الرشد، الرياض، 1412 هـ.
- 222- المواقفات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق عبد الله دراز، دار الباز، مكة المكرمة.
- 223- شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي، تحقيق محمد محمد سعيد د الخطيب أو غلي، دار إحياء السنة النبوية.
- 224- الأم للشافعي، دار المعرفة بيروت.
- 225- مسائل الإمام أحمد لأبي داود سليمان بن الأشعث، مطبعة المنار بمصر، 1353 هـ.
- 226- مناقب الشافعي للرازي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم، تحقيق عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 227- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، عن طبعة حيدر آباد.
- 228- الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من خلاف، د. حامد محمد الخليفة، مطبع الدوحة المدينة الرياضية عمان،الأردن، 1423 هـ - 2002 م.
- 229- الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار، تحقيق د. علي نويهض ، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
- 230- تهذيب تاريخ دمشق، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1407 هـ - 1987 م.
- 231- الأخبار الطوال، لأبي حنيفة أحمد بن داود، تحقيق عبد المنعم عامر ، مراجعة د. جمال الدين الشيال، مكتبة المتنبي، بغداد.
- 232- كتاب الفتوح، أبو محمد بن أعلم، الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد، الهند 1388 هـ - 1998 م.
- 233- ولادة مصر، لأبي يوسف محمد بن يوسف الكندي، تحقيق د. حسين نصار، دار صادر، بيروت بدون تاريخ.
- 234- مرويات أبي مخف في تاريخ الطبراني، يحيى إبراهيم اليحيى، دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى 1410 هـ.
- 235- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة بدون تارـيخ.
- 236-

- 237 تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان، على محمد الصلاحي ، دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة، الطبعة الأولى 1413 هـ - 2002 م.
- 238 منهاج السنة النبوية لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد، مؤسسة قرطبة.
- 239 الثقات، محمد بن حبان بن أحمد، مكتبة مدينة العلم، مكة المكرمة، 1393 هـ.
- 240 فتنة مقتل عثمان بن عفان، محمد عبد الله الغبان، مكتبة العبيكان، 1419 هـ.
- 241 تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف عبد الرحمن المزي، بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى 1405 هـ.
- 242 أثر الحرب في الفقه الإسلام، د. وهبة الزحيلي، دراسة مقارنة، دار الفكر.
- 243 الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1271 هـ.
- 244 وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية القاهرة 1382 هـ.
- 245 تفسير التابعين، عرض دراسة مقارنة، د. محمد عبد الله على الخضيري، دار الوطن، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 1999 م.
- 246 فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، علي محمد الصلاحي، دار الصحابة، الإمارات، الطبعة الأولى 2002 م.
- 247 أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، د. إبراهيم علي شعوط، المكتب الإسلامي.
- 248 الفتنة الكبرى - على وبنوه، طه حسين، دار المعارف بمصر 1966 م.
- 249 الدرام المضروبة على الطراز الساساني للخلفاء الراشدين في المدة حف العراقي، وداد علي قراز، مجلة المسكوكات، مديرية الآثار العامة بغداد، الجزء، (1) المجلد (1) 1969 م.
- 250 الأنساب، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، تحقيق وتعليق الأستاذ محمد عوامة، الطبعة الأولى، نشر محمد أمين دمج، بيروت 1396 هـ - 1976 م.
- 251 التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، محمد بن يحيى بن أبي بكر المالقي الأندلسي، حقه د. محمود يوسف زايد، دار الثقافة، الدوحة، 1985 م.
- 252 الأساس في السنة وفقها، سعيد حوى، دار السلام، 1409 هـ - 1989 م.
- 253 الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي، د. محسن باقر الموسوي، الغدير، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1419 هـ - 1998 م.
- 254 النظم الإسلامية، صبحي الصالح، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت.
- 255 الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري، القاهرة 1970م، محمد حسين الزبيدي.
- 256 العرافية والنقابة مؤسستان اجتماعيتان مهمتان في العهد النبوى، مح

- مد يوسف الفاروقى، مجمع البحوث الإسلامية، - الجامعة الإسلامية - إس
لام آباد باكستان، 1982 م. -257
- تفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1411 هـ -
1991 م. -258
- التفسيير الصحيح، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالتأثر،
د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المأثر، المدينة النبوية، الطبعة الأولى
1420 هـ - 1999 م. -259
- منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس، د. عبدو الحريري، رسالة
ماجستير، جامعة بغداد، لم تطبع. -260
- دعاوى الإنقاذ للتاريخ الإسلامي، سليمان العودة، رسالة نشرت ع
لى الإنترت. -261
- ذكرة الحفاظ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، بيرو
ت، دار إحياء التراث. -262
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد
بن محمد الحنفي، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر. -263
- وفيات الأعيان وأبناء الزمان، لابن خلkan، أبو العباس شمس الدين
أحمد، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت. -264
- البيان والتبيين للجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، دار الخانجي بم
صر، 1388 هـ - 1968 م. -265
- ميزان الاعتدال للذهبى، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة،
بيروت. -266
- المجرورين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان البستي
محمد إبراهيم زيد، دار المعرفة، بيروت. -267
- لسان الميزان: لابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات،
بيروت. -268
- رجال الكشي، لأبي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، قد
م له وعلق عليه أحد السيد الحسيني. -269
- عبد الله بن سباء الحقيقة المجهولة، لمحمد على العلم.
الخوارج والشيعة، بوليوس فلهوازن. -270
- السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات، فان فولتن، ترجمة حسن إد
راهيم حسن، ومحمد زكي إبراهيم، القاهرة مكتبة النهضة المصرية،
1385 هـ - 1965 م. -271
- العقيدة والشريعة الإسلامية، جولد تسيهر، أجناس ترجمة د. محمد ي
وسف موسى وأخرين، القاهرة، دار الكتب الحديثة. -272
- تاريخ الأدب العربي في الجاهلية وصدر الإسلام، نكلسن، رينولد، ت
رجمة صفاء خلوصي، بغداد، مطبعة المعارف 1388 هـ - 1969 م. -273
- عقائد الشيعة، رونلسن، دوأيت تعریب (ع م) القاهرة، مكتبة الخان
جي. -274
- أصول الإسلامانية، لويس بارنارد، ترجمه إلى العربية خليل أحمد
جلو، جاسم محمد الرجب، بغداد، مكتبة المثلث، 1317 هـ - 1947 م. -275
- عائشة والسياسية، سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، 1391 هـ -
1971 م. -276

- 277 الدولة الأموية، يوسف العشي، دار الفكر ، الطبعة الثانية، 1406 هـ
- 277 - 1985 م. أحداث وأحاديث فتنة الهرج، د. عبد العزيز دخان، رسالة دكتوراه بفاس بالمغرب، لم تطبع.
- 278 المغني في الضعفاء، الذهبي، تحقيق نور الدين عتر.
- 279 التاريخ الكبير للبخاري، مؤسسة الثقافة، بيروت.
- 280 دور المرأة السياسي في عهد النبي والخلفاء الراشدين، أسماء محمد
- 281 أحمد زيادة، دار السلام، الطبعة الأولى 1421 هـ - 2001 م.
- 282 الإمامة والسياسي، المنسوب لابن قتيبة، مؤسسة الحلبي، القاهرة.
- 283 لمع الأدلة في عقائد أهل السنة، للجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، تحقيق فوقيه حسين محمود، الناشر الدار المصرية.
- 284 غياث الأمم في التنازع الظلم لإمام الحرمين الجويني، تحقيق عبد العظيم الدبي، مطبع الدوحة الحديثة، قطر، الطبعة الأولى 1400 هـ.
- 285 التذكرة في أحوال الموتى والأخرة، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، حقه وأخرج أحاديثه فؤاد أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي.
- 286 حقبة من التاريخ، عثمان الخميس، دار الإيمان، الإسكندرية.
- 287 العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتغريط، د. سليمان بن سالم بن رجاء السحيمي، مكتبة البخاري، الطبعة الأولى 1420 هـ - 2000 م.
- 288 إفادة الأخيار ببراءة الأبرار، محمد العربي التباني، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 289 أعلام النصر المبين لأبي الخطاب عمر بن الحسن بن دحية الكلبي، تحقيق د. محمد أمجزون، دار الغرب، الطبعة الأولى 1998 م.
- 290 أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق محمد إبراهيم البنا، مطبعة الشعب.
- 291 تقريب التهذيب لابن حجر.
- 292 الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي، الحافظ أحمد بن عبد الله الجرجاني، دار الفكر للطباعة، بيروت، الطبعة الثانية 1405 هـ.
- 293 الأنصار في العصر الراشدي، سياسياً وعسكرياً وفكرياً، د. حامد م. حمد خليفة، رسالة دكتوراه من كلية الآداب في جامعة بغداد لم تطبع، من صورة مصورة.
- 294 العثمانية، للجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت.
- 295 خلاصة الخلافة الراشدة من تاريخ ابن كثير، محمد كنعان، مؤسسة المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1417 هـ - 1998 م.
- 296 نسب قريش، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله الزبيري، دار المعارف، القاهرة.
- 297 التاريخ الصغير البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد إبراهيم زايد، الطبعة الأولى 1406 هـ، دار المعرفة، بيروت.
- 298 أنساب الأشراف، لأبي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري.
- 299 كتاب أهل البغي من الحاوي الكبير، لأبي الحسن الماروبي.
- 300 المنتهي من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال،

- للحافظ أبي عبد الله محمد عثمان الذهبي، مكتبة دار البيان، حقه وعلق عليه: محب الدين الخطيب .
-301 سير السلف لأبي القاسم الأصفهاني، دار الرأي، الرياض، 1420 هـ .
-302 أهل الشورى الذين اختارهم عمر رضي الله عنه، رياض العبد الله، دار الرشيد، بيروت دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة الأولى 1412 هـ - 1992 م.
-303 عمدة الفارئ شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني.
-304 تحفة الأحوزي بشرح الترمذى، لمحمد بن عبد الرحمن المباركفورى، مطبعة الاعتماد، نشر محمد عبد المحسن الكتبى، تصحيح عبد الرحمن بن محمد عثمان.
-305 دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، للأعظمي محمد لقمان الأعظمى الندوى، دار العبيكان، الطبعة الأولى 1417 هـ - 1996 م.
-306 الزهد لابن المبارك.
-307 الزبير بن العوام، الثروة والثورة، عبد العظيم الدبيب، مكتبة ابن تيمية، البحرين.
-308 فرسان في عصر النبوة، أحمد خليل جمعة، اليمامة، دمشق، 1420 هـ .
-309 تاريخ الدعوة الإسلامية، محمد جميل عبد الله المصري، 1407 هـ .
-310 معاوية بن أبي سفيان، صحابي كبير وملك مجاهد، منير الغضبان، دار القلم دمشق، الطبعة الثالثة 1417 هـ - 1996 م.
-311 المعرفة والتاريخ، للغصوى، لأبي يوسف الغصوى، تحقيق أرم ضياء العمري، مطبعة الإرشاد بغداد، 1394 هـ .
-312 الأعلام للزركلى، دار العلم للملايين - بيروت لبنان - الطبعة السادسة، 1984 م.
-313 إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل، للشيخ محمد ناصر الدين الألبانى، الطبعة الأولى، 1399 هـ، نشر المكتب الإسلامي.
-314 الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين د. حمدي شاهين، دار القاهرة.
-315 مسند أحمد مع الفتح الربانى، للسعاتى، أحمد عبد الرحمن الساعاتى، في ترتيب الإمام، مطبعة الفتح الربانى بالقاهرة، الطبعة الأولى.
-316 تهذيب الأسماء واللغات: للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شد رف النوفى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
-317 تلخيص الحبير في أحاديث الرافعى الكبير: لأبي الفضل أحمد بن علی بن حجر العسقلانى، مراجعة: السيد عبد الله هاشم اليماني المدنى، المدببة المنورة.
-318 عمرو بن العاص الأمير المجاحد، د. منير الغضبان، جامعة أم القرى، 1420 هـ .
-319 عمار بن ياسر، أسامة بن أحمد سلطان، المكتبة المكية، السعودية، 1420 هـ .
-320 قصص لا تثبت، سليمان بن صالح الخراشى، دار الصميعى، الرياض،

- 1420 هـ .
-321 تنزيه أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان من الظلم والفسق في مط
البيه بدم أمير المؤمنين عثمان، لأبي يعلى محمد الفراء، تحقيق دار النيلاء
عمان، 2001 م.
- أبو موسى الأشعري، الصحابي العالم المجاهد، محمد طهماز، دار ا
لعلم، دمشق.
-322 أنس بن مالك الخادم الأمين، عبد الحميد طهماز، دار القلم، دمشق.
-323 مناقب عمر لابن الجوزي.
-324 مجموعه الوثائق السياسية في العهد النبوى، والخلافة الراشدة، محم
د حميد الله، دار النفائس، الطبعة الخامسة، 1405 هـ - 1985 م.
-325 صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي، دار النفائس، 1408 هـ -
1988 م.
- السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم العمري، الطبعة الأولى 1412 هـ
- 1992 م، مكتبة المعرفة والحكم بالمدينة المنورة.
السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبة، دار القلم،
دمشق.
-327 صحيح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، للألباني، دار الصميدي
السعودية.
-328 غزوة الحديبية، لأبي فارس، دار الفرقان، الأردن.
-329 من معين السيرة، صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، 1413 هـ
- 1992 م.
-330 إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء، محمد الخضري، دار المعرفة، بيروت،
1996 م.
- فتح الشام، محمد عبد الله الأزدي، تحقيق عبد المنعم عبد الله عام
ر، نشر مؤسسة القاهرة 1970 م.
- القيادة العسكرية في عهد الرسول، دار القلم، 1410 هـ - 1990 م.
سفراء النبي ×، محمود شيت خطاب، مؤسسة الريان، دار الأندلس ا
لخضراء، الطبعة الأولى 1417 هـ - 1996 م.
- عمرو بن العاص، عبد الخالق سيد أبو رابية، الطبعة الأولى 1408
هـ - 1988 م.
- عمرو بن العاص، عباس محمود العقاد، الناشر دار الكتاب العربي،
بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1969 م.
- المراسيل، لابن أبي حاتم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى
1397 هـ .
- التاريخ، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق أحمد
محمد نور سيف، دار المأمون للتراث.
- الأحكام السلطانية، لأبي يعلى محمد بن الحسين تعليق: محمد حامد
الفقى، دار الكتب العلمية / بيروت 1403 هـ.
- الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، محمد خير هيكل، 1414 هـ -
1993 م
- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، القاضي أبي بكر
بن الطيب الباقلانى، تحقيق محمد زايد الكوثري، الطبعة الثانية، مؤسسة ا

- لخانجي 1382 هـ. -343
 مناقب الإمام أحمد بن حنبل، لأبي الفرج بن الجوزي، تحقيق: لجنة إحياء التراث، طبع دار الأفاق الجديدة، الطبعة الثالثة، 1402 هـ. -344
 مناقب الإمام ابن قتيبة، د. على بن نفيع العلياني، مكتبة الصديق، ال سعودية. -345
 المعارف لابن قتيبة، تحقيق ثروت عكاشه، الطبعة الثالثة، دار المعرف مصر. -346
 مختصر التحفة الاثنى عشرية، للسيد محمود شكري الألوسي، مكتبة إيشيق - استانبول، تركيا، 1399 هـ - 1979 م. -347
 السيف اليماني في نحر الأصفهاني، وليد الأعظمي، دار الوفاء، مصر. -348
 منهاج كتابة التاريخ الإسلامي، محمد صالح العلياني السلمي، دار طيبة، الرياض. -349
 أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، د. عبد العزيز محمد نور ولی، دار الخضيري، المدينة النبوية، الطبعة الأولى 1417 هـ - 1996 م. -350
 منهاج المسعودي في كتابه التاريخ، سليمان بن عبد الله المديد السويكت. -351
 تاريخ عمرو بن العاص، حسن إبراهيم حسن، مطبعة السعادة، 1922 م. -352
 الشيعة والسنّة، إحسان إلهي ظهير. -353
 دراسات عن الفرق وتاريخ المسلمين، د. أحمد محمد جلي، شركة طباعة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1406 هـ. -354
 الإمام الصادق، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي. -355
 الشيعة والقرآن، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنّة، لاھور، باکستان. -356
 تأویل مختلف الحديث، لأبي محمد عبد الله بن قتيبة، تحقيق: محمد محيى الدين الأصفدر، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى 1409 هـ. -357
 المفہم لما اشکل من تلخیص مسلم، لأبی العباس أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: محيي الدين دیب مستو، یوسف بدوي، دار ابن کثیر، بیروت، دمشق. -358
 الكفاية، أحمد بن علي الخطيب، الطبعة الأولى 1405 هـ، دار الكتاب العربي، تحقيق وتعليق: الدكتور أحمد عمر هاشم. -359
 فتح المغيث شرح ألفية الحديث، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الكتب العلمية، بیروت، لبنان. -360
 تدريب الراوی في شرح تقریب النووی، لجلال الدین عبد الرحمن بن أبي بکر السیوطی، منشورات المکتبة العلمیة بالمدینة المنورۃ، 1392 هـ - 1972 م. -361
 مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث لأبی عمر وعثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح، طبع دار الكتب العلمية، بیروت، لبنان. -362
 الباعث الحثیث، شرح اختصار علوم الحديث، إسماعیل بن عمر بن کثیر، تحقيق أحمد شاکر، طبع مکتبة ومطبعة محمد على صبیح وأولاده.

- الخوارج، ناصر العقل، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى 1416 هـ. -382
- الوظيفة العقائدية للدولة الإسلامية، حامد عبد الماجد قويسي، الطبعة الأولى 1413 هـ، 1993 م، دار التوزيع والنشر الإسلامية. -383
- تبليس إيليس، لابن الجوزي، بتحقيق محمود مهدي استانبولي 1395 هـ. -384
- الخوارج، دراسة ونقد لمذهبهم، ناصر بن عبد الله السعوي، دار المعارض الدولية، الرياض، الطبعة الأولى 1417 هـ - 1996 م. -385
- نصب الرأية لأحاديث الهدایة، جمال الدين أبو محمد أبو عبد الله يوسف الزيلي، دار المأمون، القاهرة، 1357 هـ - 1938 م. -386
- ظاهر الغلو في الدين في العصر الحديث، محمد عبد الكريم، 1991 م. -387
- الإباضية في موكب التاريخ، علي يحيى معمر، مكتبة وهبة. -388
- السياسة في إصلاح الراعي والرعية، ابن تيمية، المطبعة السلفية ومكتبتها. -389
- فيض القدير في شرح الجامع الصغير، عبد الرءوف المناوي، دار ا لفکر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 1391 هـ - 1972 م. -390
- قواعد في التعامل مع العلماء، د. عبد الرحمن بن معاذا اللويحق، دار الوراق، السعودية، الطبعة الأولى 1410 هـ - 1992 م. -391
- التكفير جذوره وأسبابه، د. نعمان عبد الرزاق السامرائي، دار المدارسة - جدة. -392
- ظاهرة التكفير، الأمين الحاج محمد أحمد، مكتبة دار المطبوعات الحديثة، جدة، السعودية، الطبعة الأولى 1412 هـ - 1992 م. -393
- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، د. يوسف القرضاوي، كتاب الأمة (2). -394
- مصابح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، دار الهدایة، الرياض. -395
- الصحابا تاج اللغة وصاحح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهرى، تحقيق أحمد عبد الغفور، الطبعة الثانية، القاهرة 1402 م. -396
- المصابح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف أحمد بن م حمد المقرى الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان. -397
- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان. -398
- مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى 1411 هـ. -399
- الحجۃ في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنۃ للحافظ قوام السنۃ أبي القاسم إسماعیل الأصبهانی، د. محمد ربيع مدخلی، و محمد بن محمود أبو رحیم، دار الرأیة. -400
- اعتقادات فرق المسلمين والمشرکین، لفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1402 هـ. -401
- الرواۃ الذين تأثروا بابن سباء، د. سعد الهاشمي، 1413 هـ - 1992 م. -402

- الاقتصاد في الاعتقاد، لأبي حامد الغزالى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. -403
- الصارم المسلول في شاتم الرسول، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، 1402 هـ - 1982 م. -404
- الكافل للزمخشري، جار الله محمود الزمخشري، دار المعرفة، بيروت. -405
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان. -406
- آية التطهير، وعلاقتها بعصمة الأنمة، عبد الهادي الحسيني. -407
- تقسيير البغوي، المسمى معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعى، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار، دار المعرفة بيروت. -408
- الحجج الدامغة لنقض كتاب المراجعات، أبو مريم بن محمد الأعظمي. -409
- تيسير العزيز الحميد لشرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة. -410
- الرسالة التدميرية لابن تيمية، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي. -411
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، لأبي الفضل عياض بن موسى الي حصبي الأندلسى، مطبعة البابى الحلبي، الطبعة الأخيرة 1369 هـ - 1950 م. -412
- المنحة الإلهية في تهذيب الطحاوية، عبد الآخر حماد الغنيمي، دار لصاحبة، بيروت، الطبعة الثالثة، جمادى الثانية، 1418 هـ - 1997 م. -413
- الملل والنحل، لأبي الفتح محمد عبد الكريم الشهريستاني، تحقيق: الأستاذ أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية 1413 هـ. -414
- مختصر تقسيير القرآن العظيم المسمى عمدة التقسيير عن الحافظ ابن كثير، اختصار وتحقيق: أحمد شاكر، دار طيبة، دار الوفاء، 1424 هـ - 2003 م. -415
- روايات تاريخ الصحابة في ميزان الجرح والتعديل، د. عبد العزيز صغير دخان، طبعة أولى 1998 م، الشوكاني باليمين. -416
- اليهود في السنة المطهرة، عبد الله الشقاري، دار طيبة، 1417 هـ - 1996 م. -417
- المروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في التقسيير من سورة المائدة إلى سورة الناس، رسالة ماجستير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، للطالب فهد عبد العزيز إبراهيم الفاضل، لم تطبع. -418
- خلافة علي بن أبي طالب، رتبه وهذبه، د. محمد بن صالح السلمي ، مستخرج من البداية والنهاية، دار الوطن، الطبعة الأولى 1422 هـ - 2002 م. -419
- وسيطية أهل السنة بين الفرق، د. محمد باكريه، دار الرأي، الرياض ، 1415 هـ. -420
- عقائد الثلاث والسبعين فرقة، لأبي محمد اليمني، تحقيق ودراسة: م. حمد عبد الله زربان الغامدي، مكتبة دار العلوم، الطبعة الأولى 1414 هـ. -421

- العزلة والخلطة، أحكام وأحوال، سلمان بن فهد العودة، 1413 هـ .
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أحمد السيد يعقوب الرفاعي، دار الفضيلة، القاهرة .
السلسلة الضعيفة، للألباني، مكتبة المعرف، الرياض، 1422 هـ - 424
- زاد المعاد، ابن القيم، تحقيق: شعيب و عبد القادر الأرناؤوط، دار ا 2002 م .
رسالة .
فقه السيرة النبوية، محمد سعيد رمضان، دار الفكر، دمشق، سوريا.
أصول من السيرة النبوية، عبد المنعم السيد .
هجرة الرسول وصحابته في القرآن والسنة، أحمد عبد الغني الجمل ، دار الوفاء .
السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله أحمد ، الطبعة الأولى 1412 هـ - 1992 م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية .
الخليفتان عثمان وعلي بين السنة والشيعة، أنور عيسى، لم تطبع .
مرويات غزوة الحدبية، حافظ الحكمي، دار ابن القيم .
القول المفيد على كتاب التوحيد، لمحمد صالح العثيمين، دار العاصمة .
التاريخ السياسي، د. علي معطي، مؤسسة المعرف بيروت .
قراءة سياسية للسيرة النبوية، محمد قلعي، دار النفائس، بيروت، لبنان .
علي بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين، د. محمد عمر ا لحاجي، دار الحافظ بدمشق، الطبعة الأولى 1998 م .
زواج عمر بن الخطاب رضي الله عنه، من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، رضي الله عنهمَا، حقيقة وليس افتراء، تأليف أبي معاذ الإسماعيلي .
عثمان بن عفان، صادق عرجون، الدار السعودية، 1410 هـ - 1990 م .
مجلة البحوث الإسلامية، العدد العاشر .
رياض النفوس المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، عام 1403 هـ - 1983 م .
فتنة قتل عثمان، محمد بن عبد الله الغبان، مكتبة العبيكان، السعودية .
عثمان بن عفان، الخليفة الشاكر الصابر، دار القلم دمشق .
ليس من الإسلام، محمد الغزالى، دار القلم، الطبعة الأولى 1420 هـ - 1999 م .
-422
-423
-424
-425
-426
-427
-428
-429
-430
-431
-432
-433
-434
-435
-436
-437
-438
-439

فهرس الكتاب

الصفحة

الموضوع

الإهداء
المقدمة

3

4

الفصل الأول

علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمكة

20	المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته وصفته وأسرته	أولاً: اسمه وكنيته ولقبه
20		ثانياً: مولده
21		ثالثاً: الأسرة وأثرها في الأعقاب
21	المبحث الثاني: إسلامه وأهم أعماله في مكة قبل الهجرة	البحث الثاني: إسلامه وأهم أعماله في مكة قبل الهجرة
31		أولاً: إسلامه
31		ثانياً: كيف أسلم علي؟
32		ثالثاً: بين علي رضي الله عنه وأبي طالب
32		رابعاً: هل كسر علي رضي الله عنه الأصنام مع رسول الله في مكة؟
32		خامساً: هل دفن علي رضي الله عنه أبو طالب بار شاد رسول الله؟
33		سادساً: الحس الأمني عند علي رضي الله عنه ودوره في إيصال أبي ذر
33		رضي الله عنه لرسول الله ×
35		سابعاً: على رضي الله عنه مع رسول الله في طوافه على القبائل وعرضه لـ
		لدعوة عليها وحضوره المفاوضات مع بني سيبان
38		ثامناً: تقديميه نفسه فداء للنبي ×
40		تاسعاً: هجرته
42	المبحث الثالث: معايشة أمير المؤمنين على للقرآن الكريم وأثرها عليه في	حياته
42		أولاً: تصوره عن الله والكون، والحياة، والجنة والنار، والقضاء والقدر
45		ثانياً: مكانة القرآن الكريم عنده
46		ثالثاً: ما نزل فيه من القرآن الكريم
48		رابعاً: تبليغه تفسير رسول الله لبعض آيات القرآن الكريم
49		خامساً: الأصول والأسس التي سار عليها أمير المؤمنين على في استبطاط الأحكام من القرآن الكريم وفهم معانيه
49		1- الالتزام بظاهر القرآن الكريم
50		2- حمل المجمل على المفسر
50		3- حمل المطلق على المقيد في القرآن الكريم
51		4- العمل بالناسخ والمنسوخ
51		5- النظر في لغة العرب
52		6- فهم النص بنص آخر
53		7- السؤال عن مشكله
53		8- العلم بمناسبة الآيات
53		9- تخصيص العام
55		10- معرفة عادات العرب ومن حولهم
55		11- قوة الفهم وسعة الإدراك
55		سادساً: تفسير أمير المؤمنين على لبعض الآيات الكريمة
55		1- الذاريات

56 2- قوله تعالى: +فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُسِ"
56 3- بكاء الأرض على العبد الصالح
56 4- الخشوع في القلب وأن تلين كتفك للمرء المسلم
56 5- خليلان مؤمنان، وخليلان كافران
57 6- الزهد في كلمتين في القرآن
57 7- أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وتبصره في الصلاة
57 8- قوله تعالى: +يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنْوَنٌ"
58 المبحث الرابع: ملازمته لرسول الله ×
58 أو لا: أمير المؤمنين ومقام النبوة
59 1- وجوب طاعة النبي × ولزوم سنته والمحافظة عليها
60 2- حديث أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن دلائل نبوة الرسول ×
62 3- الترغيب في هدي النبي ×
62 4- بيان فضله، وبعض حقوقه على أمته ×
64 5- المعرفة الدقيقة الشاملة لملامح الشخصية النبوية
66 6- نماذج من اتباع أمير المؤمنين للسنة
69 ثانياً: الرواية عن علي بن أبي طالب
75 المبحث الخامس: أهم أعمال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما بين الـ جرة والأحزاب
75 أو لا: حركة السرايا
75 1- غزوة العشيرية
76 2- غزوة بدر الأولى
76 ثانياً: غزوة بدر
78 3- ثالثاً: زواج على من فاطمة رضي الله عنها
78 1- مهرها وجوهازها
79 2- زفافها
79 3- وليمة العرس
80 4- معيشة على وفاطمة رضي الله عنهم
81 5- زهد السيدة فاطمة وصبرها
82 6- إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء الله أن يبعثنا بعثنا
82 رابعاً: ولادها: الحسن والحسين رضي الله عنهم
82 1- الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
84 2- الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
85 3- ما ورد من أحاديث في مناقب مشتركة بين الحسن والحسين
87 خامساً: حديث الكسأ ومفهوم أهل البيت
88 سادساً: ما يخص آل رسول الله × من الأحكام
88 1- تحريم عليهم الزكاة
88 2- لا يرثون رسول الله ×
88 3- لهم خمسخمس في الغنيمة والفيء
88 4- الصلاة عليهم مع النبي ×
89 5- لهم موعد خاصة
90 سابعاً: علي رضي الله عنه في غزوة أحد
91 ثامناً: علي رضي الله عنه في غزوة بني النضير
92 تاسعاً: علي رضي الله عنه في غزوة حمراء الأسد

عاشرًا: على رضي الله عنه و موقفه من حادثة الإفك 93
المبحث السادس: أهم أعمال علي رضي الله عنه ما بين الأحزاب إلى وفاة النبي 95
أولاً: على رضي الله عنه في غزوة الأحزاب 95
ثانياً: على رضي الله عنه في غزوة بني قريطة 96
ثالثاً: على رضي الله عنه في صلح الحديبية و بيعة الرضوان 97
رابعاً: عمرة القضاء 7 هـ و على رضي الله عنه و حضانة ابنة حمزة 100
خامساً: على رضي الله عنه في غزوة خيبر 7 هـ 101
سادساً: على رضي الله عنه في فتح مكة و غزوة حنين 8 هـ 105
1- إحباط محاولة تجسس لصالح قريش 105
2- أجرنا من أجرت يا أم هاني 106
3- مقتل الحويرث بن نقيد بن وهب 106
4- على رضي الله عنه في مهمة إصلاحية 107
5- على رضي الله عنه في غزوة حنين 107
6- سرية علي رضي الله عنه لهدم الفلس في بلاد طيء 108
سابعاً: استخلاف النبي × على المدينة في غزوة تبوك 9 هـ 108
ثامناً: على رضي الله عنه و دوره الإعلامي في حجة أبي بكر بالناس 9 هـ 108
تاسعاً: على رضي الله عنه ووفد نصارى نجران، و آية المباهة 9 هـ 110
عاشرًا: على رضي الله عنه داعياً و قاضياً في اليمن 10 هـ 112
1- قضاؤه في الأربعين الذين تدافعوا عند زبيدة للأسد 113
2- ثلاثة وقعوا على امرأة في طهر 113
الحادي عشر: على رضي الله عنه في حجة الوداع 114
الثاني عشر: نشرفه بغسل النبي × و دفنه 115
الثالث عشر: قصة الكتاب الذي هم النبي × بكتابته في مرض موته 115
الفصل الثاني

علي بن أبي طالب في عهد الخلفاء الراشدين

المبحث الأول: علي بن أبي طالب في عهد الصديق 121
أولاً: مبايعة علي لأبي بكر بالخلافة رضي الله عنهم 121
ثانياً: على رضي الله عنه و مساندته لأبي بكر في حروب الربدة 123
ثالثاً: تقديم علي رضي الله عنه لأبي بكر 124
رابعاً: اقتداء علي بالصديق في الصلوات و قبول الهدايا منه 126
خامساً: الصديق والسيدة فاطمة و ميراث النبي × 129
سادساً: مصاهرات بين الصديق وأهل البيت و تسمية أهل البيت بعض أسمائهم باسم أبي بكر 139
سابعاً: علي رضي الله عنه في وفاة الصديق 140
المبحث الثاني: علي رضي الله عنه في عهد الفاروق 142
أولاً: في الأمور القضائية 142
ثانياً: علي رضي الله عنه والتنظيمات المالية والإدارية العمرية 145
ثالثاً: استشارة عمر لعلي رضي الله عنهما في أمور الجهاد و شئون الدولة 146
رابعاً: علي رضي الله عنه وأولاده و علاقتهم بعمر رضي الله عنهم 148
خامساً: زواج عمر من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب 150
سادساً: قول عمر لفاطمة رضي الله عنهم: يا بنت رسول الله ما أحد من لا خلق أحب إلينا من أبيك 152

سابعاً: الخلاف بين العباس وعلى وحكم عمر رضي الله عنه بينهما	153
ثامناً: ترشيح عمر علياً للخلافة مع أهل الشورى وما قاله على في عمر بعد استشهاده	154
1- ترشيح على مع أهل الشورى.....	154
2- ما قاله على في عمر بعد استشهاده.....	155
3- قول علي في عمر: إن عمر كان رشيد الأمر	155
4- إن عمر كان يكره نزوله، فاتأ أكرهه لذلك	156
5- حب أهل البيت لعمر رضي الله عنه	156
6- عمر بن الخطاب جعله الله سبباً في ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب	157
7- قول عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب في عمر المبحث الثالث: علي رضي الله عنه- في عهد عثمان بن عفان	157
أولاً: بيعة علي لعثمان رضي الله عنه	158
ثانياً: أباطيل رافضية دست في قضية الشورى	159
1- اتهام الصحابة بالمحاباة في أمر المسلمين	160
2- حزب أموي وحزب هاشمي	160
3- أكاذيب نسبت بهتانها وزوراً علي رضي الله عنه	161
ثالثاً: المفاضلة بين عثمان وعلي رضي الله عنهم	161
رابعاً: علي رضي الله عنه يقيم الحدود ويستشار في شئون دولة عثمان	162
1- إقامة علي للحدود في عهد عثمان رضي الله عنهم	162
2- استشارة عثمان علي وكبار الصحابة في فتح إفريقية	163
3- رأي علي في جمع عثمان للناس على قراءة واحدة	163
خامساً: موقف علي رضي الله عنه في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه	164
1- موقف علي رضي الله عنه في بداية الفتنة	165
2- موقف علي رضي الله عنه أثناء الحصار	167
3- المصاeras بين آل علي وآل عثمان رضي الله عنهم	169
سادساً: من أقوال علي في الخلفاء الراشدين	170
1- سيداً كهول أهل الجنة وشبابها	171
2- ما أضمر لها إلا الذي أتمنى المرضي عليه	171
3- هذا عثمان بن علي سميه بعثمان بن عفان	172
4- أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم كان لهم بالنبي اختصاص عظيم	173
5- ما يترتب عليه في مذهب الراضة من تكير الصحابة	173
6- فرائن عملية وأدلة واقعية على حقيقة العلاقة بين علي و الخلفاء الراشدين	173
سابعاً: وصف لأصحاب النبي × في القرآن الكريم	175
الفصل الثالث	
بيعة علي -رضي الله عنه- وأهم صفاته وحياته في المجتمع	
المبحث الأول: بيعة علي رضي الله عنه	178
أولاً: كيف تمت بيعة علي رضي الله عنه	178
ثانياً: أحقيّة علي بالخلافة	181
ثالثاً: بيعة طلحه والزبير رضي الله عنهم	184
رابعاً: انعقاد الإجماع على خلافة علي رضي الله عنه	186

خامساً: شروط أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في بيعته وأول خطبة خطبها	192
.....
1- مبدأ الشوري	192
2- أهل الحل والعقد في عهد أمير المؤمنين علي	193
3- الحرص على أن لا يظل منصب الخليفة شاغرا	194
4- الرد على بعض الكتب المعاصرة التي تحدثت عن بيعة علي رضي الله عنه	194
.....
5- أول خطبة خطبها علي رضي الله عنه	196
6- الترافق بين ألفاظ الإمام وال الخليفة وأمير المؤمنين	197
7- أيهما أصح عند ذكر أمير المؤمنين علي: هل نقول رضي الله عنه أم كرم الله وجهه أم عليه السلام؟	198
.....
المبحث الثاني: شيء من فضائله وأهم صفاتاته وقواعد نظام حكمه	199
أولاً: العلم والفقه في الدين	201
ثانياً: زهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وورعه	210
ثالثاً: تواضع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه	215
رابعاً: كرمه وجوده	218
خامساً: الحياة من الله تعالى	220
سادساً: شدة عزوبيته وصبره وإخلاصه لله تعالى	221
سابعاً: شكره لله	225
ثامناً: الدعاء لله	226
تاسعاً: المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه	229
1- المصدر الأول: كتاب الله تعالى	229
2- المصدر الثاني: السنة المطهرة	229
3- الاقتداء بالخلفاء الراشدين الذين سبقوه	229
عاشرًا: حق الأمة في الرقابة على الحكم	230
الحادي عشر: الشوري	231
الثاني عشر: العدل والمساواة	232
الثالث عشر: الحريات	236
المبحث الثالث: حياته في المجتمع واهتمامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	237
أولاً: دعوته للتوحيد ومحاربته للشرك	237
1- قوله رضي الله عنه: لا يرجون عبد إلا الله ولا يخافن إلا ذنبه	237
2- تعريف أمير المؤمنين على الناس بأسماء الله وصفاته	240
3- تعريف أمير المؤمنين على الناس بنعم الله المستوجبة للشكر	241
4- حرص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على محى آثار الجاهلية	242
أ- الزيارة الشرعية للقبور	244
ب- تاريخ الاحتفال بالمزارات في الأضرحة	244
ج- ارتباط المزارات بالتخلف والجهل	245
د- الحملات الاستعمارية وإقامة الأضرحة	246
هـ- هل المزارات من الإحداث في الدين	246
وـ- حرص أمير المؤمنين علي على بطلان الاعتقاد بالكواكب	249
زـ- إحراق أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لمن غلوا فيه والأوهة	249
حـ- كيفية بداية الإيمان في القلب عند أمير المؤمنين علي وتعريفه للنقوي	251
طـ- القضاء والقدر عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب	253

- ى- كيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم؟
 ثانياً: خطبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وتحليلها
 ثالثاً: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والشعر
 1- في الفرج والشدة
 2- في الصبر
 3- في حرص الناس على الدنيا
 4- في الصداقة
 5- في التواضع والقاعة
 6- في السر وكتمانه
 رابعاً: من حكم أمير المؤمنين علي التي سارت بين الناس
 خامساً: حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن صفات خيار العباد،
 وعن تطوع النبي ×، ووصف الصحابة الكرام
 1- صفات الخيار العباد
 2- إجابته لمن سأله عن تطوع النبي ×
 3- وصف أمير المؤمنين للصحابة الكرام
 4- تنبية أمير المؤمنين علي أصحابه على فضائل الأعمال
 5- معایدة المريض
 6- تشجيعه لابنه الحسن على الخطابة
 7- إنني لست كما تقول
 8- التحذير من الانقياد للشهوات
 9- إدخال السرور على المسلم
 10- أشد الأعمال ثلاثة
 سادساً: التحذير من الأمراض الخطيرة التي حذر منها أمير المؤمنين
 1- جراء المعصية
 2- طول الأمل واتباع الهوى
 3- الرياء
 4- العجب
 سابعاً اهتمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بترشيد الأسواق وموافق
متوعة مع الناس
 1- إنكاره على مزاحمة النساء والرجال في الأسواق
 2- لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره
 3- خطورة التجارة قبل النفقه في أحکامها
 4- من سبق إلى موضع فهو أحق به
 5- المحتكر عاص ملعون
 6- الخسارة على المال والربح على ما اصطلحوا عليه
 7- تحريقه قرية كانت تباع فيها الخمر
 8- احتسابه فيما يتعلق باللباس والهيئة
 9- حبسه أهل الشر والفساد
 10- الترهيب من عدم الإنفاق
 11- مناداته للصلوة
 12- الاهتمام بالطرق العامة
 13- ظهور بدعة القصص ومحاربة أمير المؤمنين علي لها
 ثامناً: ولادة الشرطة في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

المؤسسة المالية والقضائية في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وبعض اجتهاداته الفقهية

282	المبحث الأول: المؤسسة المالية
284	المبحث الثاني: المؤسسة الاقتصادية
285	أولاً: الخطة الاقتصادية والتشريعية في عهد الخلفاء الراشدين والم صدر التي اعتمدتها الصحابة في ذلك العهد
288	ثانياً: ميزات القضاء في العهد الراشدي
290	ثالثاً: أشهر قضاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه
292	رابعاً: الأسلوب القضائي عند أمير المؤمنين علي
292	1- إيقاؤه على أسلوب القضاء
292	2- عدم نقضه الأحكام الصادرة قبله
293	3- الأهلية للقضاء
293	4- مكان القضاء
293	5- مجانية الحصول على الحكم
293	6- بذور المحاماة
294	خامساً: ما يجب على القاضي
294	1- دراسة القضية المعروضة عليه دراسة واعية
294	2- المساواة بين الخصوم
294	3- عدم الصياغ بالمتخاصمين
294	4- الابتعاد عن المؤثرات ومجاهدة النفس
294	5- الشورى
295	المبحث الثالث: من فقه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
295	أولاً: في العبادات
295	1- أحكام في الطهارة
296	2- أحكام في الصلاة
299	3- أحكام متعلقة بالزكاة
301	4- أحكام متعلقة بالصيام
303	5- من أحكام الحج
303	6- بعض الأحكام الحقن بالعبادات
308	7- بعض الأحكام المتعلقة بالمعاملات المالية
310	ثانياً: الحدود
310	1- عقوبة المرتد
312	2- حد الزنا
312	أ- قصة رجم
313	ب- تأجيل رجم الحامل
313	ج- المستكره على الزنا
313	د- زنا المسيطرة
314	هـ- درء الحدود بالشبهات
314	و- زنا النصرانية
314	ز- الحد كفارة لذنب من أقيم عليه عند علي
315	3- حد الخمر
315	أ- شرب الخمر في رمضان
315	ب- حكم الموت بإقامة حد الخمر
316	4- حد السرقة

316	أ- اشتراط الحرز
316	ب- سرقة ما فيه شبهة ملك
316	ج- سرقة الحر
316	د- سرقة العبد مولاه
316	هـ- إثبات السرقة
317	و- كشف السارق قبل أن يسرق
317	ز- تكرار السرقة
317	حـ- قطع اليد وتعليقها
318	ثالثاً: في القصاص والجنایات
318	أ- الاشتراك في القتل العمد
318	بـ- من أمر عبده بالقتل
318	جـ- المقتول في الزحام
318	دـ- جنایة السائق والقائد الراكب
319	هـ- ما أنسئت بتعذير فأحدثت تلفاً
319	وـ- الخطأ في الشهادة
320	زـ- اشتراك جماعة في قتل بعضهم بعضاً خطأ
320	حـ- من استخدم صغيراً أو عبداً بغیر إذن
320	طـ- الفعل المعنوي
320	ىـ- جنایة الطبيب
320	كـ- الميت من القصاص والحد
320	لـ- قاطع طريق ألقى القبض عليه
321	مـ- قاتل اعترف بالقتل لدفع التهمة عن متهم برأي
322	نـ- امرأة قتلت زوجها يوم زفافها بحضور صديقها
322	سـ- بدل الإبل في دفع الديمة، وكيف تدفع الديمة؟
322	عـ- دية الكتابي
323	فـ- دية الصلب
323	صـ- عين الأعور
323	قـ- دية الأصابع
323	رابعاً: التعزير
323	1- الضرب باليد
324	2- الجلد دون الحد
324	3- التشهير
324	4- الحبس
324	5- القفيذ في الحبس
324	6- الغمس في الأذار
324	7- القتل
324	8- إتلاف أدلة الجريمة وما يتبعها
325	المبحث الرابع: حجية قول الصحابي والخلفاء الراشدين
	الفصل الخامس

مؤسسة الولاية في عهد أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

332	المبحث الأول: أقاليم الدولة
332	أولاً: مكة المكرمة
333	ثانياً: المدينة المنورة

608	
333	ثالثاً: ولادة البحرين وعمان.....
334	رابعاً: ولادة اليمن
335	خامساً: ولادة الشام
338	سادساً: ولادة الجزيرة
339	سابعاً: ولادة مصر
349	ثامناً: ولادة البصرة
356	ناسعاً: ولادة الكوفة
357	عاشرأً: ولادات الشرق
357	1- فارس
359	2- خراسان
360	3- أذربيجان
362	المبحث الثاني: تعيين الولاية في عهد علي رضي الله عنه
362	أولاً: موقف علي من ولاة عثمان وتعيينه لأقاربه
362	1- موقف علي من ولاة عثمان
367	2- تعيين أمير المؤمنين علي بعض أقاربه على الولايات
370	ثانياً: مراقبة أمير المؤمنين علي لعملاته وبعض توجيهاته
372	ثالثاً: الصالحيات الممنوحة للولاية في عهد علي رضي الله عنه
372	1- تعيين الوزراء
373	2- تشكيل مجالس الشورى
374	3- إنشاء الجيش وتجهيزه
375	4- ترسيم السياسة الخارجية في مجال الحرب والسلم
376	5- الحفاظ على الأمن الداخلي
376	6- تشكيل الجهاز القضائي في الولاية
377	7- النفقات المالية
378	8- العمال التابعون للولاية ومتابعتهم
380	9- أصناف وطبقات المجتمع
381	10- التربية بالعقاب والثواب
382	11- دور العرفاء والنقباء في تثبيت نظام الولايات
383	رابعاً: من المفاهيم الإدراية عند أمير المؤمنين علي رضي الله عنه
383	1- التأكيد على العنصر البشري
383	2- عامل الخبرة والعلم
384	3- العلاقة بين الرئيس والمرءوس
385	4- مكافحة الجمود
385	5- الرقابة الوعائية
385	6- التوظيف يتم عبر الضوابط وليس عبر الروابط الشخصية
386	7- الضبط
386	8- المشاركة في صنع القرار
387	9- حسن الاختيار لدى الوالي والضمادات المادية والنفسية لموظفي الدولة
388	10- مراقبة ذوي الخبرات
388	11- الإدارة الأبوية
	الفصل السادس
	معركتنا الجمل وصفين وقضية التحكيم
392	المبحث الأول: الأحداث التي سبقت معركة الجمل
393	أولاً: أثر السبيبية في إحداث الفتنة

393	1- السبئية حقيقة أم خيال: حقيقة عبد الله سبا
397	2- دور عبد الله بن سبا في تحريك الفتنة
400	ثانياً: اختلاف الصحابة في الطريقة التي يؤخذ بها القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه
401	ثالثاً: خروج الزبير وطلحة وعائشة ومن معهم إلى البصرة للإصلاح
405	1- هل أكرهت السيدة عائشة على الخروج؟
406	2- هل كانت متسولة على من معها؟
406	3- موقف أزواج النبي × من الخروج للطلب بدم عثمان
408	4- مرور السيدة عائشة على ماء الحواب
410	5- أعمالهم في البصرة
411	6- مقتل حكيم بن جبلة ومن معه من الغوغاء
413	7- رسائل السيدة عائشة إلى الأنصار الأخرى
413	8- الخلاف بين عثمان بن حنيف وجيشه عائشة والزبير وطلحة
414	رابعاً: خروج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى الكوفة
416	1- نصيحة عبد الله بن سلام لأمير المؤمنين علي
416	2- نصيحة الحسن بن علي لوالده
417	3- استفار أمير المؤمنين علي لأهل الكوفة من ذي قار
418	4- اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية
419	5- تساؤلات على الطريق
420	خامساً: محاولات الصلح
420	1- عمران بن حصين رضي الله عنه
420	2- كعب بن سور
420	3- القعقاع بن عمرو التميمي
422	سادساً: نشوب القتال
422	1- دور السبئية في نشوب الحرب
427	2- الجولة الأولى في معركة الجمل
429	3- الجولة الثانية
431	4- عدد الفتلى
433	5- هل يصح قتل مروان بن الحكم لطلحة بن عبيد الله؟
433	6- نداء أمير المؤمنين بعد الحرب
434	7- تقدّه للقتلى وترحمه عليهم
434	8- مبايعة أهل البصرة
435	9- حديث أبي بكرة عن رسول الله ×: إذا توجه المسلمان بسيفهما فالقاتل
	ل والمقتول في النار
436	10- تاريخ معركة الجمل
437	11- أفل انكف عنهن وهن مسلمات
437	12- اعتذار أبي بكر التقي عن إماراة البصرة
437	13- موقف أمير المؤمنين علي من بنال من عائشة
437	14- دفاع عمار بن ياسر عن أم المؤمنين عائشة
437	سابعاً: بين عائشة - أم المؤمنين - وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب
450	ثامناً: سيرة الزبير بن العوام رضي الله عنه واستشهاده
464	تاسعاً: سيرة طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه واستشهاده
470	المبحث الثاني: معركة صفين
470	أولاً: تسلسل الأحداث التي قبل المعركة

470	1- أم حبيبة بنت أبي سفيان ترسل النعمان بن بشير بقميص عثمان إلى معاوية وأهل الشام
471	2- دوافع معاوية في عدم البيعة
472	3- معاوية يرد على أمير المؤمنين على رضي الله عنهم
472	4- تجهيز أمير المؤمنين على لغزو الشام واعتراض الحسن على ذلك
473	5- بعد معركة الجمل، أرسل أمير المؤمنين على جرير بن عبد الله إلى معاوية
474	6- مسيرة أمير المؤمنين إلى الشام
474	7- خروج معاوية إلى صفين
476	8- القتال على الماء
477	9- المواعدة بينهما ومحاولات الصلح
478	ثانياً: نشوب القتال
478	1- اليوم الأول
479	2- اليوم الثاني
481	3- ليلة الهرير يوم الجمعة
482	4- الدعوة إلى التحكيم
485	5- مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه وأثره على المسلمين
486	6- فهم العلماء للحديث
488	7- الرد على قول معاوية رضي الله عنه: إنما قلته من جاء به
489	8- من هو قاتل عمار بن ياسر؟
490	9- المعاملة الكريمة أثناء الحرب والمواجهة
492	10- معاملة الأسرى
493	11- عدد القتلى
493	12- تقدير أمير المؤمنين على القتلى وترحمه عليهم
494	13- موقف لمعاوية مع ملك الروم
494	14- قصة باطلة في حق عمرو بن العاص بصفين
495	15- مرور أمير المؤمنين على بالمقابر بعد رجوعه من صفين
496	16- إصرار قتلة عثمان رضي الله عنه على أن تستمر المعركة
496	17- نهي أمير المؤمنين على عن شتم معاوية ولعن أهل الشام
497	المبحث الثالث: التحكيم
498	أولاً: سيرة أبي موسى الأشعري
505	ثانياً: سيرة عمرو بن العاص رضي الله عنه
512	ثالثاً: نص وثيقة التحكيم
514	رابعاً: قصة التحكيم المشهورة وبطليانها من وجوه
522	خامساً: هل يمكن الاستفادة من حادثة التحكيم في فض النزاعات بين الدول الإسلامية
524	سادساً: موقف أهل السنة من تلك الحروب
528	سابعاً: التحذير من بعض الكتب التي شوهت تاريخ الصحابة
528	1- الإمامة والسياسة المنسوبة لأبن قتيبة
530	2- نهج البلاغة
532	3- كتاب الأغاني للأصفهاني
533	4- تاريخ اليعقوبي
534	5- مروج الذهب
535	ثامناً: الاستئناف والتاريخ الإسلامي

الفصل السابع

موقف أمير المؤمنين على من الخوارج والشيعة

المبحث الأول: الخوارج	540
أولاً: نشأة الخوارج والتعريف بهم	540
ثانياً: ذكر الأحاديث التي تتضمن ذم الخوارج	543
ثالثاً: انحياز الخوارج إلى حرراء ومناظرة ابن عباس لهم	547
رابعاً: خروج أمير المؤمنين لمعاظرة الخوارج و سياساته في التعامل معهم بـ عد رجوعهم للكوفة ثم خروجهم من جديد	550
خامساً: معركة النهروان	554
سادساً: من الآثار الفقهية من معارك أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ..	560
سابعاً: من أهم صفات الخوارج	564
1- الغلو في الدين	564
2- الجهل في الدين	565
3- شق عصا الطاعة	565
4- التكبير بالذنوب واستحلال دماء المسلمين وأموالهم	567
5- تجويزهم على النبي × ما لا يجوز في حقه كالجور	568
6- الطعن والتضليل	568
7- سوء الظن	568
8- الشدة على المسلمين	569
أهم مظاهر الغلو في العصر الحديث	569
1- التشدد في الدين على النفس والتعسir على الآخرين	569
2- التعالي والغرور وما يؤدي إليه من تصدر الأحداث	569
3- الاستبداد بالرأي وتجهيل الآخرين	570
4- الطعن في العلماء العاملين	571
5- سوء الظن	573
6- الشدة والعنف مع الآخرين	574
المبحث الثاني: أمير المؤمنين على وفكر الشيعة	577
أولاً: الشيعة في اللغة والاصطلاح، والرفض في اللغة والاصطلاح	577
ثانياً: نشأة الشيعة الرافضة وبيان دور اليهود في نشأتهم	582
ثالثاً: المراحل التي مررت بها الشيعة الرافضة	587
المبحث الثالث: من أهم عقائد الشيعة الرافضة (الإمامية)	591
أولاً: منزلة الإمامة عندهم وحكم من جدها	592
ثانياً: العصمة عند الشيعة الرافضة	601
ثالثاً: النص من شروط الإمامة عند الشيعة الإمامية الأخرى عشرية ـ ما يحتج به الآئمة عشرية من أمر تحديد الأئمة بما جاء في كتاب السد	618
ـ أدلة من القرآن على النص	625
ـ آية الولاية	626
ـ آية المباهلة	627
ـ قوله تعالى + ـ أدلة من السنة	631
ـ خطبة غدير خم	634
ـ حديث استخلاف علي رضي الله عنه على المدينة في تبوك	635
بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يستدلون بها في الإمامة	642

647	1- حديث الطائر
648	2- حديث الدار
650	3- حديث: أنا مدينة العلم وعلى بابها وأحاديث أخرى موضوعة رابعاً: التوحيد والشيعة الاثنا عشرية
651	4- نصوص التوحيد جعلوها في ولاية الأئمة
652	1- الولاية أصل قبول الأعمال عندهم
654	2- الولادة أصل قبول الأفعال عندهم
655	3- اعتقادهم أن الأئمة هم الواسطة بين الله وخلقهم
655	أ- قولهم: لا هداية للناس إلا بالأئمة
656	ب- قولهم: لا يقبل الدعاء إلا بأسماء الأئمة
657	ج- إن الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى بيت الله
659	4- قولهم: إن الإمام يحرم ما يشاء ويحل ما يشاء
660	5- قولهم: بأن الدنيا والآخرة كلها للإمام يتصرف بهما كيف يشاء
661	6- إسناد الحوادث الكونية إلى الأئمة
661	7- الجزء الإلهي الذي حل في الأئمة
662	8- قولهم: إن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء
668	٩- الغلو في الإثبات (التجسيم)
669	١٠- التعطيل عندهم
671	أ- مسألة خلق القرآن
673	ب- مسألة الرؤية
675	١١- تقضيلهم الأئمة على الأنبياء والرسل خامسًا: موقف الشيعة الإمامية من القرآن الكريم
677	١- اعتقاد بعضهم في تحريف كتاب الله عز وجل والرد عليهم
677	٢- اعتقادهم أن القرآن ليس حجة إلا بقيم
686	٣- اعتقادهم بأن للقرآن معانٍ باطننة تخالف الظاهر
691	٤- موقف الشيعة الإمامية من الصحابة الكرام
695	٥- نماذج للمزاجية في تفسير الآيات عند الشيعة الرافضة المتعلقة بردة الصحبة - على حد زعمهم - والرد على باطلهم
698	أ- آية آل عمران
398	ب- آية سورة المائدة
700	ج- آية سورة التوبية
701	د- حديث المذادة على الحوض
703	٢- عدالة الصحابة رضي الله عنهم
707	٣- وجوب محبتهم والدعاء والاستغفار لهم
713	٤- تحرير سب الصحابة رضي الله عنهم في الكتاب والسنة
714	٥- حب أمير المؤمنين على وأبنائه الصحابة
716	سابعاً: موقف الشيعة من السنة النبوية
718	ثامنًا: التقية عند الشيعة
724	تاسعاً: المهدى المنتظر بين الشيعة والسنن
730	١- عقيدة المهدى المنتظر عن الشيعة
730	٢- عقيدة أهل السنة والجماعة في المهدى
733	عاشرًا: عقيدة الرجعة عند الشيعة الرافضة
736	الحادي عشر: قولهم بالبداء على الله سبحانه وتعالى
738	الثاني عشر: موقف أهل البيت من الشيعة الرافضة
741

744	الثالث عشر: وجهة نظر التقريب بين أهل السنة والشيعة
745	- مؤامرة ابن العلقمي الراضي في إسقاط بغداد 656هـ
747	- الدولة الصفوية
748	- من التجارب المعاصرة في التقريب
748	أ- تجربة مصطفى السباعي
749	ب- تجربة الشيخ موسى جار الله
752	4- المنهج السليم للتقريب
757	المبحث الثالث: الأيام الأخيرة في حياة أمير المؤمنين على بن أبي طالب واستشهاده، رضي الله عنه
757	أولاً: في أعقاب النهروان
759	ثانياً: استشهاد أمير المؤمنين على همة جيشه ثم الهدنة مع معاوية
762	ثالثاً: دعاء أمير المؤمنين على الله عز وجل أن يجعل له بالشهادة
763	رابعاً: علم أمير المؤمنين بأنه سيشهد
764	خامساً: استشهاد أمير المؤمنين على رضي الله عنه وما فيه من دروس وعبر وفوائد
765	1- اجتماع المتآمرين
765	2- خروج ابن ملجم ولقاوه بقطام ابنة الشجنة
766	3- محمد ابن الحنفية يروى قصة مقتل أمير المؤمنين على
767	4- وصية الطبيب لعلي وميل أمير المؤمنين للشوري
767	5- وصية أمير المؤمنين على لأولاده الحسن والحسين رضي الله عنهم
769	6- نهي أمير المؤمنين على عن المثلة بقتاله
771	7- مدة خلافة أمير المؤمنين على، وموضع قبره وسنه يوم قتل
772	8- خطبة الحسن بن علي على رضي الله عنهما بعد مقتل أبيه
773	9- سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يثنى على علي رضي الله عنه
773	10- عبد الله بن عمر يثنى على علي بن أبي طالب رضي الله عنه
773	11- استقبال معاوية خبر مقتل علي رضي الله عنه
774	12- ما قاله الحسن البصري - رحمة الله -
774	13- ما قاله أحمد بن حنبل في خلافة علي رضي الله عنه
775	14- براءة الأشعث بن قيس من دم علي رضي الله عنه
775	15- خطورة الفرق الضالة والفرق المنحرفة على المسلمين
776	16- الحقد الدفين الذي امتلأ به قلوب الحاذقين من الخارج على المؤمنين الصادقين
776	ن- تأثير البيئة الفاسدة على أصحابها
777	سابساً: ما قيل في أمير المؤمنين على رضي الله عنه رثاء
777	1- ما قاله أبو الأسود الدؤلي وقال ابن عبد البر: وأكثرهم يرويها لأم الهيثم بنت العريان النخعية
778	2- ما قاله إسماعيل بن محمد الحميري من شعر
779	3- ما قاله بكر بن حماد التاهري ردًا على شاعر الخوارج عمران بن حطأ
782	الخاتمة
786	فهرس للأحاديث الضعيفة والموضوعة في أمير المؤمنين على
790	أهم المصادر والمراجع
815	فهرس الكتاب

